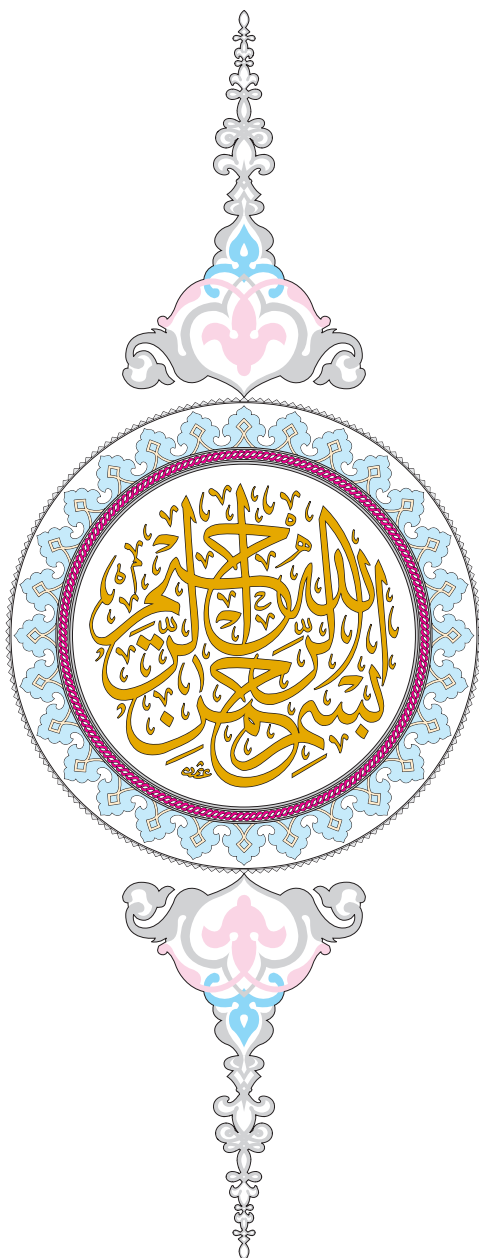








مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

١٠٦

المجلد الخامس والسبعون - القسم الثاني

السنة ١٤٢٣ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- من تفسير سورة النجم
- لفضيلة الإمام الأكبر
- السيرة النبوية والأدب الشعبي
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- من نفحات الإسراء والمعراج
- لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي
- ملامح القوة في الإسراء والمعراج
- لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي
- الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية
- للدكتور / عبد الحليم عويس

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎



الأهرام

مجلة شريعة جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
ومر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٢هـ - سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٢م - الجزء السابع - السنة الخامسة والسبعون

السيرة النبوية

اتجهت بعض الدراسات الجامعية إلى تدوين ما يسمى بالأدب الشعبي، مما يدور على ألسنة الناس من شعر عامي وقصصى بطولى وأمثال شائعة وتوسع فى هذا المجال من خصوصاً الأقسام العلمية، وأقاموا الأساتذة المنهجيين، وخططوا الرسائل الجامعية لتحليل هذا الأدب الذائع، وقد عده عشاقه من أثمر الفنون فائدة، وأصدقها دلالة على نفسيات الشعوب، وأخلاق المجتمعات، فظهرت دراسات عن أمثال عنتره، والظاهر بيبرس، وسيف ابن ذى يزن، والأميرة ذات الهمه، وأبى زيد الهلالي، وحمزة البهلوان، وكلها تهدف إلى تصوير هذه الشخصيات التاريخية لا كما وردت أخبارها عن الثقات من المؤرخين، بل كما ترددت فى الأساطير المتداولة على ألسنة العامة منذ قرون عدة، حيث يضيف الخالف إلى السالف من العجائب والغرائب ما لا يقف عند حد، ويحيث يكون رجل كعنتره فى القرن الأول الهجرى غيره فى القرن الثانى وفى القرن الثالث غيره فى القرن الرابع وهكذا تتضخم الأخبار لتصور خيالات الشعوب عن الباطل بصرف النظر عن واقعه التاريخى.

ودعك مما يسرف فيه المحبذون من تمجيد هذه الدراسات وعدها فتحاً مبيناً فى البحث الأدبى! ومع عدم الاقتناع بما يقوله أنصار هذا الاتجاه حين أعطوا للأساطير الخرافية أكثر مما تستحق، فإن الكثيرين من مخالفي هذا الاتجاه لم يشاءوا أن يقفوا فى طريق هؤلاء الهواة، لأن الخطر الناجم عن تضخيم الأحداث بالنسبة لهؤلاء غير ذى بال! ولكن اتجاه فريق من الباحثين إلى رصد الأساطير الشعبية التى أضيفت للسيرة النبوية، والاهتمام بتسجيل ما لفقه القصص حول سيرة الرسول، وعده أثراً أدبياً يجب أن يأخذ مكانه من الرصد والتدوين.

هذا الاتجاه الذى يخلط الواقع بالخيال ويموه الحق بالباطل فى سيرة سيد الأنبياء ﷺ هو خطر شنيع يهدد السيرة الصادقة، حين يسمح أن تمتزج بأساطير المخرفين، واختلاق من لا

سنة والأدب الشعبي

يقدرّون خطر الكذب على رسول الله، إذ هم في الواقع يساعدون على ذوبان الحقائق في خضم الأباطيل، وإذا اتسع هذا النطاق إلى مداه المرتقب دون أن يجد من يقف في طريقه فسيأتى زمن يحار فيه القارئ بين ما يأخذ وما يدع مما يرى ويقرأ من الأخبار، بل ربما تملكه الشك في كل ما يقرأ...

وتلك هي الغاية التي اتجه إليها المستشرقون حين اهتموا بدراسة الأساطير الشعبية لتصبح تاريخاً فيما بعد! ولتمتد إلى سيرة رسول الله ﷺ فتحوطها بركام كثيف يحجب الساطع من لآئها المنير، وقفى على أثر هؤلاء من بنى الإسلام من جهلوا عاقبة ما يصنعون، فاندفعوا إلى شفير الهاوية غير متدبين وإلى هؤلاء نتوجه بالحديث.

سؤال حائر

وتسأل عن السر في الاهتمام بهذه الأساطير الشعبية لدى من يحرصون على جمعها ودراستها، فتجد الدكتورة الفاضلة (نبيلة إبراهيم سالم) أستاذة الأدب العربى بكلية الآداب جامعة القاهرة تقول بصدد هذا الاتجاه في بحث ضاف نشرته بمجلة (عالم الفكر)، وهى بالضرورة فى طليعة من يأخذون بهذا الاتجاه^(١):

تقول الكاتبة الفاضلة: (إن الرواة اعتمدوا فى هذه الرواية (رواية الأساطير الشعبية فى قصة المولد النبوى) على خيالهم أكثر من اعتمادهم على النص الأصيل للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى، إذ لم تكن الأحداث التى روتها السيرة وألفها الناس هى التى تثير شعور الجماعة، بل هى الإضافات التى تنبع من وحي مشاعرهم وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول ﷺ منذ كان بذرة فى بطن أمه إلى أن خرج من الوجود).

(١) مجلة عالم الفكر - عدد (يناير، فبراير، مارس) فصلية سنة ١٩٨٢، ص ٣٦٥.

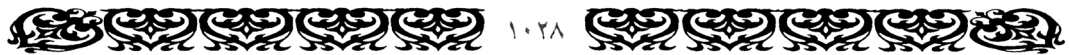


وتعليقاً على هذا الرأي نقول : أما أن الرواة قد اعتمدوا فى قصة المولد النبوى على خيالهم أكثر من اعتمادهم على النص الأصيل للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى فنعم ! وهذا مصدر الخطأ من الرواة، إذ لا يجوز لهم أن يخلطوا بين الواقع والخيال فى سيرة صادقة لنبي صادق مشهود الوقائع، متواتر الأحداث، مشتهر الصفات ! وأما أن الأحداث التى روتها السيرة وألفها الناس لا تثير شعور الجماعة، وإنما تثيرها الإضافات التى تنبع من وحى مشاعرهم وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول ﷺ، فهذا ما نخالفه كل المخالفة، لأن عظمة الرسول منذ مولده إلى وفاته لم تقم على الإضافات التى نسبت إليه، ولم تتأجج عاطفة الحب للنبي العظيم لدى الخاصة والعامة من المسلمين لما أضافه الخيال فى سيرته المطهرة، ولكن لما فى واقع هذه السيرة من نماذج عليا للمثل الرفيعة، إذ أن أخلاق الرسول المثالية ومواقف جهاده الصابرة الثابتة، وتأديته رسالة السماء على نحو ما كان ليبلغه سواه حتى أخرج الناس من الظلمات إلى النور، هذا كله هو الذى أجج مشاعر المسلمين نحو نبيهم الكريم ! أما الأساطير المضافة فأهون بها فى هذا المجال، وقد أضيفت أساطير هائلة إلى سير أقزام فلم تفعل شيئاً!!

إن الكاتبة الفاضلة ذكرت فى مجال القصص الشعبى الخاص برسول الله، قصة عامر اليهودى، وقصة اليتيم المظلوم، وقصة الجمل والغزاة، وقصة معاذ بن جبل مع الإضافات التى ألصقتها الرواة بقصتى الإسراء والمولد النبوى واعتبرت ذلك خيالاً شعبياً رائعاً يضيف الحماسة الدافقة، والحنان المتوقد لذكرى رسول الله ! وهو رأى يزداد عجبنا من سرده، لأن هذه الأساطير وحدها لا تقدم ولا تؤخر فى مقياس العظمة النبوية التى تُغنى بجهادها وصفاتها وأثرها فى المحيط الإنسانى بأجمعه عن كل تلفيق زائف تسطع عليه شمس الحقيقة فيتحول إلى سراب !

أيتأجج شعور المسلمين نحو رسول الله لأن ما يدعى (خيالاً دون حقيقة) يعامر الراهب، كانت له ابنة كسيحة مُقعدة ورأت نوراً من السماء ليلة مولده فبرئت ودُهِش والدها فسار معها إلى منزل الوليد الجديد ليراه مؤتلق الضياء ! أيتأجج الشعور بهذا القصص الكاذب، ولا يتأجج بمواقف جهاده ﷺ منذ قام وحده داعياً إلى الله صارخاً فى قومه : لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، إن الرائد لا يكذب أهله، ومتحملاً أشد بلاء الاضطهاد من عمه وذوى قرباه فضلاً عن الأبعدين الغرباء، حتى جاء نصر الله والفتح .

أنتأجج مشاعر المسلمين نحو رسول الله لأن الغزاة والجمل كان له شأن معهما إذ رهن نبي الإسلام (كما تدعى القصة كذباً) نفسه عند صاحب الغزاة كى يفك أسرها لتذهب حيث ترضع أولادها وتعود، ثم يتحدى اليهودى رسول الله أن يجعله ينطق الجمل، فما كان من النبي إلا أن أنطق الغزاة ليكون نطقها معجزة كافية لا تقبل الإنكار ! أنتأجج مشاعر المسلمين بهذا الاختراع الساذج، ولا تتأجج بموقف كموقفه يوم الهجرة حين خرج فاراً بدينه، وكان :



﴿ثَانِيكَ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنَ
إِلَّا اللَّهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ
لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (٣).

أنتأجج مشاعر المسلمين لقصة يتيم مخترعة عن طفل رآه الرسول بعد رجوعه من غزوة ظافرة، فاجتباها وأهداه لابنته فاطمة - هكذا تزعم الرواية - ثم وجدها تضربه ذات يوم لخطأ وقع فيه، فلامها أبوها، ونزل قول الله عز وجل ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٣) ! ولا تتأجج لمواقف الرحمة المتكررة في حياته الشريفة وهي مواقف حقيقية ذائعة مشتهرة في المأثور الصادق من الأخبار، وزكاها الله بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤) أنتأجج مشاعر المسلمين لعودة معاذ بن جبل - رضى الله عنه - من اليمن حين علم بوفاة الرسول، واتصاله بكبار الصحابة ليحدثوه عن اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة وعن حضور جبريل وبكائه وتردد عزرائيل، مما نسجه خيال القصاص الملق، ولا تتأجج لاحتمال الرسول أعباء الجهاد في بدر وأحد والخنديق يوم تألبت الجزيرة العربية كلها عليه. خارج المدينة، وانتفض اليهود معهم داخلها، يقول المولى سبحانه:

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (٥) لدى المترددين، أما الرسول وأصحابه فهتفوا قائلين حين رأوا الأحزاب:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٦).

أنتأجج مشاعر المسلمين لإضافات المولد النبوي وحواشى قصة المعراج ولا تتأجج للنصر النهائي الذى تم على يده ﷺ حين رجع ظافراً إلى مكة وعفا عن خصومه فقال فى سماحة: « اذهبوا فأنتم الطلقاء » (٧) وهو يومئذ سيد العرب جميعاً!! .

(٣) سورة الضحى الآية ٩.

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

(٥) سورة الأحزاب الآية ١٠.

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٧) سيرة ابن هشام ج ٢.

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢٢.



لو كان الذين وضعوا قصة المولد قد احتفلوا بروائع الأحداث الخطيرة فى السيرة النبوية الزكية لأغنتهم أعظم الغناء عن فرار وحوش المشارق إلى وحوش المغرب يوم الميلاد، وما نعرفه مما تزيد فيه الواضعون، ورسول الله نفسه يقول: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»^(٨)، ولم يقل إن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قد حضرتا ميلاده السعيد! وإنما قاله الواهمون، أفيكون هذا القول وحده هو الذى يؤجج مشاعر المسلمين!! .

أظن الباحثة الفاضلة قد استرسلت فى أوهام خادعة حين ظنت أن الأساطير الملفقة تفوق الحقائق الصادقة! ولو كان ذلك أمراً حقيقياً لاستطاع الصغار أن يكونوا كباراً بمحض التلفيق، ولأخذوا أماكنهم الرفيعة فى سجل التاريخ بخيال زائف ترتجف قدماءه! فلا يستطيع النهوض .

قصة المولد

كانت وزارة الأوقاف المصرية منذ أكثر من نصف قرن قد دعت إلى مسابقة أدبية لتأليف قصة للمولد النبوى تبعد عن الأساطير الخرافية التى لا تمت إلى الواقع بسبب، لأن القصص المتداولة حينئذ كقصص البرعى والبرزنجى والجنبيهى والمنياوى قد احتفلت بهذه الأساطير على نحو يجعلها فى أذهان العامة حقيقة واقعة، وهذا ما يبعد بينهم وبين السيرة الصحيحة فى مسارها القويم، وقد رحبت الهيئات العلمية باتجاه الوزارة ورأت فيه خطوة سديدة لارتقاء المعلومات الدينية، وتصحيح القيم النبوية، ولكن الدكتور طه حسين قد اعترض وحده على هذا الاتجاه القويم، وكتب مقالاً ضافى الذبول يعارض به فكرة المسابقة التى عقدتها وزارة الأوقاف، ولم أكن لأتعرض لهذا الموضوع اليوم فقد أشرت من قبل^(٩) لولا أن الدكتورة الفاضلة نبيلة إبراهيم سالم قد باركته وأيدته واستشهدت ببعض ما ذكر الدكتور طه حسين، من مثل قوله^(١٠):

«وأى بأس على المسلمين فى أن يتحدث إليهم قصص كهذه الأحاديث الحلوة، فتنبئهم بأن أم الطير والوحش كانت تختصم بعد مولد النبى، كلها يريد أن يكفله، ولكنها ردت عن هذا لأن القضاء سبق بأن رضاع النبى سيكون إلى حليمة السعدية، وأى بأس على المسلمين فى أن يسمعوها أن الجن والإنس والحيوان والنجوم تباشرت بمولد النبى، وأن الشجر أورق بمولده، وأن الروض ازدهى لمقدمه وأن السماء دنت من الأرض حين مس الأرض جسمه الكريم؟ لم تأت الأحاديث بشيء من هذا؟»

(٩) قضايا اسلامية للمؤلف ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٨) كنز العمال، ج ٦، حديث رقم: ١٤٩٦٥ .

(١٠) عالم الفكر ص ٣٨٦ السابق .





ولكن الناس يحبون أن يسمعه ويرون في التحدث به والاستماع إليه تمجيذاً للنبي الكريم، لا بأس به، ولا جناح فيه، وأى بأس على المسلمين في أن يسمعوا أن نفرًا من الملائكة أقبلوا إلى النبي وهو طفل يلعب فأضجعوه وشقوا عن قلبه، وغسلوه حتى طهره، ثم ردوه كما كان، وأقاموه كأن لم يصبه مكرهه، لم يصح الحديث بهذا ولكن المسلمين يتحدثون به ويستمعون له منذ أكثر من اثني عشر قرنًا، لم يفسد لذلك ذوقهم، ولم يضعف إيمانهم، إن من فاحش الخطأ أن يضيق على الجماهير حتى في القصص البريء، وإن من فساد الذوق ألا يباح للجماعات إلا الحق الذي لاحظ للخيال فيه، إن من سوء العناية بالدين أن يكف الخيال عن تأييد الدين».

الإسرائيليات والشعبيات

ولعل الدكتور محمد حسين هيكل صاحب كتاب (حياة محمد) كان أقوى من تصدى لمجابهة الدكتور في شططه فكذب في ملحق (السياسة الأسبوعية) (١١). يعلن أن ما ذكره طه حسين ليس حقاً إذ يعنى بإسرائيليات سَطُرَتْ لإفساد العقول وتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه الكريم، وقد وضعت مثل هذه الأساطير في تواريخ بعض الأديان السابقة فنأدى المصلحون بضرورة محوها!.

وأزيد على ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فأقول: إن جهداً جباراً من جهود الباحثين اليوم قد اتجه إلى تفنيد ما ذكر خطأ في كتب التفسير والسيرة النبوية، وقصص الأنبياء من إسرائيليات تحط من مقام النبوة الكريم فإذا جئنا اليوم ودعونا إلى تسجيل (الشعبيات) التي يرددها العامة، فستكون أداة طعن في الإسلام حين ينهض من الخصوم من لا يفرق بين الواقع والخيال، فيهاجم هذه الأباطيل، وكأنها حقائق يعتنقها المسلمون، وتؤلف الكتب الجامعية في تحليلها بدءاً بعدها في الأسطورة، ثم يزول هذا المعنى لتنتقل من الخيال إلى الحقيقة، ونحتاج إلى تنقية السيرة منها وكتابة مؤلفات عن الشعبيات، كما كتبت المؤلفات عن (الإسرائيليات) لا لشيء إلا لأن أهل الغرب قد دعوا إلى دراسة الأدب الشعبي لحاجة في نفوسهم، فسرنا وراءهم شبراً شبراً، حتى إذا تجرأوا على تاريخ نبي الإسلام تابعناهم مرحبين، وعددنا ذلك عملاً فنياً تارة، وبحثاً منهجياً تارة أخرى، ولا بد أن تتيقظ العقول فلا تندفع في شطط مريب.

د. محمد رجب البيومي

مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّجْمِ

لفضيلة الأيام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

بمناسبة ذكرى
الإسراء والمعراج نقدم
لقرائنا هذا الشهر
تفسير آيات بينات من
سورة «النجم»
لفضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

قال الله - تعالى - :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَ هَاجِنَةِ الْمُأْوَىٰ ۝١٥
إِذِغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝﴾ النجم : ١ - ١٨

فالأظهر القول بأنه الثريا ووراء هذين القولين، القول بأن المراد به: المقدار النازل من القرآن.. (٣). وقوله - سبحانه -:

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ

جواب القسم و«ما» نافية، و«ضل» من الضلال، والمراد به هنا: عدم الاهتداء إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم.

و«غوى» من الغى، وهو الجهل الناشئ من اعتقاد فاسد، وهو ضد الرشد.

و«الهوى» الميل مع شهوات النفس، دون التقيد بما يقتضيه الحق، أو العقل السليم.

والمعنى: وحق النجم الذى ترونه بأعينكم - أيها المشركون - عند غروبه وأفوله، وعند رجوعنا به للشياطين.. إن محمدا ﷺ الذى أرسلناه إليكم:

﴿ شَهِدْ أَوْ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ ﴾ (٤)، ما ضل عن

طريق الحق فى أقواله وأفعاله، وما كان رأيه بجانب للصواب فى أمر من الأمور، وما ينطق بنطق صادر عن هوى نفسه ورأيه، وإنما ينطق بما نوحى إليه من قرآن كريم، ومن قول حكيم، ومن توجيهه شديد.

وقد أقسم - سبحانه - بالنجم عند غروبه، للإشعار بأن هذا المخلوق العظيم مسخر لإرادة الله - تعالى - وقدرته، فهو مع لمعانه وظهوره فى السماء لا يتأبى عن الغروب والأفول، إذا ما أراد الله - تعالى - له ذلك، ولا يصلح أن يكون إلها، لأنه خاضع لإرادة خالقه.

افتتح الله - تعالى - هذه السورة بهذا القسم العظيم، للدلالة على صدق رسوله ﷺ ولرد على أولئك المشركين الجاهلين، الذين زعموا أن النبى ﷺ قد اختلق القرآن الكريم.

والنجم: هو الكوكب الذى يبدو للناظرين، لامعا فى جو السماء ليلا.

والمراد به هنا: جنسه، أى ما يشمل كل نجم بازغ فى السماء، فال فيه للجنس، وقيل: أل فيه للعهد والمراد به نجم مخصوص هو: الشعرى، وهو نجم كان معروفاً عند العرب، وقد جاء الحديث عنه فى آخر السورة، فى قوله - تعالى -:

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ۚ ﴾ (١). قالوا: وكانت

قبيلة خزاعة تعبد.

وقيل المراد به: الثريا، فإنه من النجوم المشهورة عند العرب.

وقيل: المراد به هنا: المقدار النازل من القرآن على النبى ﷺ وجمعه نجوم، وقد فسره بعضهم بذلك فى قوله - تعالى -:

﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۚ ﴾ (٢).

ومعنى «هوى»: سقط وغرب، يقال هوى الشيء يهوى - بكسر الواو - هوى - بضم الهاء وفتحها - إذا سقط من أعلى إلى أسفل.

قال الألوسى: وأظهر الأقوال، القول بأن المراد بالنجم، جنس النجم المعروف، فإن أصله اسم جنس لكل كوكب. وعلى القول بالتعيين،

(٢) الواقعة (٧٥).

(٤) الأحزاب (٤٥).

(١) النجم (٤٩).

(٣) تفسير الألوسى ج ٢٧ ص ٤٥.

ولقد حكى - سبحانه - عن نبيه إبراهيم أنه حين:

﴿جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلُ رَمًا كَوَكَّبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآلِفِينَ﴾ (٥).

قال بعض العلماء: والوجه أن يكون قوله:

﴿إِذَا هَوَى﴾ بدل اشتغال من النجم، لأن المراد من النجم أحواله الدالة على قدرة خالقه ومصرفه، ومن أعظم أحواله حال هويّه وسقوطه، ويكون ﴿إِذَا﴾ اسم زمان مجردا عن معنى الظرفية، في محل جر بحرف القسم (٦).

وقال - سبحانه -: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ للإشارة

إلى ملازمته ﷺ لهم، طوال أربعين سنة قبل البعثة، وأنهم في تلك المدة الطويلة لم يشاهدوا منه إلا الصدق، والأمانة، والعقل الراجح، والقول السديد.. وأنهم لم يخف عليهم حاله بل كانوا مصاحبين له، ومطلعين على سلوكه بينهم، فقولهم بعد بعثته ﷺ إنه ساحر أو مجنون.. هو نوع من كذبهم البين، وجهلهم المطبق.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ استئناف بياني مؤكد لما قبله.

والضمير ﴿هُوَ﴾ يعود إلى المنطوق به، المفهوم

من قوله - تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.

أى: إن الرسول ﷺ لا يصدر نطقه فيما يأتيكم به

عن هوى نفسه ورأيه، وإنما الذى ينطق به، هو وحى من الله - تعالى - أوحاه إليه على سبيل الحقيقة التى لا يحوم حولها شك أو ريب.

ومتعلق ﴿يُوحَى﴾ محذوف للعلم به. أى: ما هذا الذى ينطق به إلا وحى أوحاه - سبحانه - إلى نبيكم ﷺ.

قال الإمام ابن كثير: قوله:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أى: إنما يقول ما أمر بتبليغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.. فعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قریش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشرى يتكلم فى الغضب، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك له، فقال: «اكتب فوالذى نفسى بيده، ما خرج منى إلا الحق» (٧).

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا أقول إلا حقا» فقال بعض الصحابة: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إني لا أقول إلا حقا» (٨).

وقال صاحب الكشاف: ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء، ويجاب بأن الله - تعالى - إذا سوغ لهم الاجتهاد، كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى (٩).

ثم بين - سبحانه - بعد ذلك جانباً من صفات جبريل - عليه السلام - الذى ينزل بالقرآن على النبي ﷺ فقال:

(٦) تفسير التحرير والتنوير ج٧ ص ٩٠ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

(٨) راجع تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٤٧.

(٥) الأنعام (٧٦).

(٧) فتح البارى ١/٢٠٧، وأحمد ٢/١٦٢.

(٩) تفسير الكشاف ج٤ ص ٢٨.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾

أى: علم النبي ﷺ القرآن، ملك من ملائكتنا الكرام، وهو جبريل - عليه السلام - الذى أعطيناه قوة شديدة، استطاع بها أن ينفذ ما كلفناه بتنفيذه.

والضمير المنصوب فى «علمه» هو المفعول الأول، والثانى محذوف. أى: القرآن، لأن علم تتعدى إلى مفعولين.

وقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ صفة لموصوف محذوف. أى: ملك شديد القوى.

قالوا: وقد بلغ من شدة قوته، أنه اقتلع قرى قوم لوط - عليه السلام - ثم رفعها إلى السماء، ثم قلبها. بأن جعل أعلاها أسفلها.

وقوله - تعالى -: ﴿ذُومِرَةً فِاسْتَوَى﴾ صفة أخرى من صفات جبريل - عليه السلام -، والمرة - بكسر الميم - تطلق على قوة الذات، وحصافة العقل ورجاحته، مأخوذ من أمرت الحبل، إذا أحكمت فتله.

وشبيه بهاتين الآيتين قوله - تعالى -:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٨﴾﴾ (١٠).

وقوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾ أى: فاستقام على صورة ذاته الحقيقية، دون الصورة الآدمية التى كان ينزل بها على الرسول ﷺ.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ أى: وهو - أى جبريل

- بالجهة العليا من السماء المقابلة للنظر إليها:

﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّى﴾ أى: ثم قرب جبريل - عليه

السلام - من النبى ﷺ ﴿فَدَلَّى﴾ أى:

فانخفض من أعلى إلى أسفل.

وأصل التدلى: أن ينزل الشئ من طبقته إلى ما تحتها، حتى لكأنه معلق فى الهواء، ومنه قولهم: تدلت الثمرة إذا صارت معلقة فى الهواء من أعلى إلى أسفل.

ثم صور - سبحانه - شدة قرب جبريل من

النبى ﷺ فقال: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

والقاب: المقدار المعين: وقيل: هو ما بين وتر القوس ومقبضها.

والقوس: آلة معروفة عند العرب، يشد بها وتر من جلد، وتستعمل فى الرمى بالسهم.

وكان من عادة العرب فى الجاهلية، أنهم إذا تحالفوا، يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى، فيكون قاب إحداهما ملاصقا للآخر، حتى لكأنهما قاب واحد، ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهما واحدا، فيكون ذلك دليلا على التحالف التام والرضا الكامل.

والمعنى: أن جبريل - عليه السلام - بعد أن كان بالجهة العليا من السماء، ثم قرب من النبى ﷺ، ثم زاد فى القرب، حتى كان على مقدار مسافة قوسين منه ﷺ أو أقرب من ذلك.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ أى: فأوحى

جبريل - عليه السلام - إلى عبد الله ورسوله محمد ﷺ ما أوحى من قرآن كريم، ومن هدى حكيم.

فالضمير فى قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ أى:

جبريل، لأن الحديث فى شأنه، وإيحاؤه إنما هو بأمر الله - تعالى - ومشيعته، ويرى بعضهم أنه يعود إلى الله - تعالى -.

قال الآلوسى: قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ أى: جبريل

﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ أى: عبد الله، وهو النبى ﷺ،

والإضمار - ولم يجبر له - تعالى - ذكر، لكونه فى غاية الظهور، ومثله كثير فى الكلام، ومنه:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظُهُرِهِمْ مِنْ دَابَّكُمْ ﴾ (١٥).

﴿ مَا أَوْحَى ﴾ أى: الذى أوحاه، والضمير

المستتر لجبريل - أيضاً -.

وقيل: الضمير المستتر لله - تعالى - أى:

أوحى جبريل إلى عبد الله، ما أوحاه الله إلى جبريل.

والأول مروى عن الحسن، وهو الأحسن.

وقيل: ضمير أوحى الأول والثانى لله - تعالى

- والمراد بالعبد جبريل - عليه السلام - وهو كما ترى.. (١٦).

﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ مقدار قوسين عربيتين،

والقَاب والقَيْب، والقَاد والقَيْد، المقدار.. وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة والشبر.. ومنه الحديث الشريف: «لقاب قوس أحدكم من الجنة، وموضع قده، خير من الدنيا وما فيها» (١١) والقَد السوط.

فإن قلت: كيف تقدير قوله:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾، قلت: تقديره فكان

مقدار مسافة قربه مثل قَاب قَوْسَيْنِ، فحذفت هذه المضافات.. (١٢).

و«أو» فى قوله: ﴿ أَوَادْنِي ﴾ للشك، ولكن

هذا الشك من جهة العباد، أى: أن الرائي إذا رأى

هذا الوضع قال: هو قَاب قَوْسَيْنِ أو أقرب من

ذلك، ويصح أن تكون بمعنى «بل».

قال الجمل: قوله: ﴿ أَوَادْنِي ﴾ هذه الآية

كقوله:

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (١٣).

لأن المعنى: فكان - جبريل - بأحد هذين

المقدارين فى رأى الرأى. أى: لتقارب ما بينهما

يشك الرائي فى ذلك.

وأدنى: أفعل تفضيل، والمفضل عليه

محذوف. أى: أو أدنى من قَاب قَوْسَيْنِ، ويصح

أن تكون بمعنى بل، أى: بل هو أدنى.. (١٤).

وقوله:

(١٢) تفسير الكشاف ج٤ ص٢٩.

(١٤) حاشية الجمل على الجلالين ج٤ ص٢٢٥.

(١٦) تفسير الآلوسى ج٢٧ ص٤٩.

(١١) أحمد ١٥٣/٣، البخارى ٢٠/٤.

(١٣) الصافات (١٤٧).

(١٥) فاطر (٤٥).



وأبهم - سبحانه - ما أوحاه، لتفخيم شأنه، وإعلاء قدره، حتى لكأنه لا تحيط به عبارة، ولا يحده الوصف، وشبيه بهذا التعبير قوله - تعالى -:

﴿فَأَنبَعَثَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (١٧)

وعبر - سبحانه - عن رسول ﷺ بعبده، وأضافه إليه، للتشريف والتكريم، ولبيان أنه عبد من عباده - تعالى - الذين اصطفاهم لحمل رسالته، وتبليغ ما أوحاه إليه.

وقوله: ﴿مَّا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ رد

على المشركين، وتكذيب لهم، فيما زعموه من أن الرسول ﷺ لم يتلق الوحي عن جبريل، ولم يشاهده.

واللام في قوله: ﴿الْفُؤَادُ﴾ عوض عن المضاف إليه، والفؤاد: العقل أو القلب، ومنه قوله -

تعالى -: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ (١٨).

وقراءة الجمهور ﴿كَذَّبَ﴾ بفتح الذال مع التخفيف، وقرأ ابن عامر بفتحها مع التشديد، و«ما» موصولة، والعائد محذوف.

أى ما كذب فؤاد النبي ﷺ وما أنكر، الذى رآه ببصره من صورة جبريل - عليه السلام - لأنه لم يكن يجهله، بل كان معروفا لديه، وصاحب الوحي إليه، فهو ﷺ عرفه بقلبه، وتأكدت هذه

المعرفة برؤيته له بعينه.

فالكذب هنا: بمعنى الإنكار والتردد والشك فى صحة ما يراه.

قال صاحب الكشف قوله:

﴿مَّا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أى: ما كذب

فؤاد النبي ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل - عليه السلام -.

أى: ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك - على سبيل الفرض - لكان كاذبا لأنه عرفه، يعنى أنه رآه بعينه، وعرفه بقلبه، ولم يشك فى أن ما رآه حق.

وقرىء ﴿مَّا كَذَبَ﴾ - بالتشديد - أى:

صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (١٩). ثم وبخ - سبحانه - المشركين على تكذيبهم للنبي ﷺ فيما يخبرهم عنه من شئون الوحي، فقال:

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾

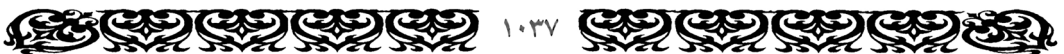
والممارسة: المجادلة والملاحاة بالباطل.

يقال: مارى فلان فلانا ممارسة ومراء، إذا جادله، مأخوذ من مرى الناقة يمرىها. إذا مسح ضرعها ليستدر لبنها، ويأخذها كاملا، فشبه الجدال بذلك، لأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه، أى: يسعى لاستخراج كل ما عنده، حتى يقيم الحجة عليه.

(١٧) سورة طه الآية ٧٨.

(١٨) سورة القصص الآية ١٠.

(١٩) تفسير الكشف ج٤ ص ٢٩.





ذلك في ليلة الإسراء والمعراج . أى : والله لقد رأى محمد ﷺ جبريل في صورته التي خلق عليها ، حالة كونه نازلا من السماء نزلة أخرى .

وقد جاء الإخبار عن هذه الرؤية بصيغة مؤكدة بلام القسم وبقد . . للرد على المشركين الذين أنكروا ذلك ، فكأنه - سبحانه - يقول لهم : لئن كنتم قد أنكرتم هذه الرؤية في الأرض ، فإنه ﷺ لم يره في الأرض فقط ، بل رآه روية أعظم من ذلك ، وهى رؤيته له فى السماء ، حين كان مصاحبا له فى رحلته ليلة الإسراء والمعراج .

قال الآلوسى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾

أى : رأى النبى ﷺ جبريل في صورته التي خلقه الله عليها ﴿ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ أى : مرة أخرى ، وهى فعلة من النزول ، أقيمت مقام المرة ، ونصبت نصبها على الظرفية ، لأن أصل المرة مصدر مريم ، ولشدة اتصال الفعل بالزمان يعبر به عنه ، ولم يقل مرة بدل نزلة ، ليفيد أن الرؤية فى هذه المرة ، كانت بنزول ودنو ، كالرؤية فى المرة الأولى ، الدال عليها ما مر .

والمراد من الجملة القسمية ، نفى الريبة والشك عن المرة الأخيرة ، وكانت ليلة الإسراء (٢١) .

وقوله : ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ بيان

للمكان الذى تمت عنده الرؤية الثانية .

والسدرة فى الأصل : تطلق على شجرة النبق ، وهو ثمر معروف فى بلاد العرب .

والمنتهى : اسم مكان ، أو مصدر ميمى بمعنى

وعدى الفعل بعلى لتضمنه معنى المغالبة .
أى : أفتجادلون نبينا محمد ﷺ فيما رآه بعينه ، وتجادلونه فى شىء هو تحقق منه بعقله وبصره ، وهو ملاقاته ورؤيته لأمين وحينا جبريل - عليه السلام - ؟ إن مجادلتمكم له فى ذلك ، هو من قبيل التعنت الواضح ، والجهل الفاضح ، لأنكم كذبتموه وجادلتموه فى شىء هو قد رآه وتحقق منه ، وأنتم تعلمون أنه صادق أمين .

فالمقصود بالاستفهام تبكيثهم وتجهيلهم على جدالهم بالباطل .

هذا وقد ذكر العلماء ، أن هذه الآيات ، تشير إلى رؤية النبى ﷺ لجبريل ، على الهيئة التى خلقه الله - تعالى - عليها ، فقد كان جبريل يأتى النبى ﷺ فى صورة آدمى ، فسأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها ، فأراه نفسه مرتين : مرة فى الأرض وهى التى تشير إليها هذه الآيات ، ومرة فى السماء ، وهى التى تشير إليها الآيات التالية .

وقد توسع الإمام ابن كثير فى ذكر الأحاديث التى وردت فى ذلك فقال ما ملخصه : عن عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين ، أما واحدة فإنه سأله أن يراه فى صورته ، فسد الأفق ، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد . . (٢٠) .

وقوله - سبحانه - :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ إشارة إلى المرة

الثانية التى رأى فيها الرسول ﷺ جبريل على هيئته التى خلقه الله - تعالى - عليها ، وكان

(٢١) تفسير الآلوسى ج٢ ص ٢٧ . ٥٠

(٢٠) راجع ابن كثير تفسير ج٤ ص ٢٤٧ .





أخرى، عند ذلك المكان الجليل المسمى بسدره المنتهى، حالة كون هذا المكان ينزل به ما ينزل، ويغشاه ما يغشاه من الفيوضات الربانية، والأنوار القدسية، والخيرات التى لا يحيط بها الوصف.

فهذا الإيهام فى قوله: ﴿مَا يَغْشَى﴾

المقصود به التهويل والتعظيم والتكثير، لما يغشى هذا المكان من خيرات وبركات.

وقوله - تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

بيان لما كان عليه النبى ﷺ من ثبات واطمئنان عند رؤيته لما أذن الله - تعالى - له فى رؤيته.

والزيف: هو الميل عن حدود الاستقامة. والطغيان: تجاوز الحدود المشروعة.

أى: ما مال بصر النبى ﷺ عما أذن الله - تعالى - له فى رؤيته. وما تجاوزه إلى ما لم يؤذن له فى رؤيته، بل كان بصره ﷺ منصبا على ما أبيض له النظر إليه. فالمقصود من الآية الكريمة، الثناء على النبى ﷺ، ووصفه بما هو أهله من أدب وطاعة لخالقه - عز وجل -.

قال ابن كثير: قوله:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ قال ابن عباس: ما

ذهب يميناً ولا شمالاً، وما جاوزنا ما أمر به، وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطى، وما أحسن قول القائل:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو

رأى غيره ما قد رآه لتأها (٢٣)

الانتهاء، وإضافة السدره إليه، من باب إضافة الشئ إلى مكانه، كما فى قولهم: أشجار البستان. أو من إضافة المحل إلى الحال، كما فى قولك: كتاب الفقه أو النحو.

وسمى هذا المكان بسدره المنتهى، لانتهاء علوم الخلائق عنده، وما وراءه لا يعلمه إلا الله - تعالى -.

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدره المنتهى، وهى فى السماء السابعة وإليها ينتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها (٢٢).

ثم بين - سبحانه - ما يدل على شرف هذا المكان فقال: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾.

أى: عند سدره المنتهى، جنة المأوى. أى: الجنة التى تأوى وتسكن إليها أرواح المؤمنين الصادقين، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

ثم نوه - سبحانه - بما يحيط بذلك المكان من جلال وجمال لا تحيط العبارة بوصفه فقال:

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾.

والظرف «إذ». فى موضع الحال من:

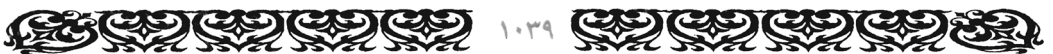
﴿سِدْرَةَ الْمُنْهَى﴾، لقصد الإشادة بما أحاط

بذلك المكان من شرف وبهاء.. أو هو متعلق بقوله: ﴿رَءَاهُ﴾.

أى: ولقد رأى محمد ﷺ جبريل - عليه السلام - على هيئته التى خلقه الله عليها مرة

(٢٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٢

(٢٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٢.





وقد فصل القول في هذه المسألة الإمام الآلوسى فقال
ما ملخصه: فالضمائر في «دنا» و«تدلى» و«أوحى...»
وكذلك الضمير المنصوب في «رأه» لله - عز وجل -.

واستدل بذلك مثبتو رؤية النبي ﷺ لله - عز وجل -
كابن عباس وغيره... وخالف في ذلك عائشة -
رضي الله عنها - فقد أخرج مسلم عن مسروق
قال: كنت عند عائشة فقالت: ثلاث من تكلم
بواحدة منهن، فقد أعظم على الله - تعالى - الفرية.

قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا
يعلم الغيب فقد كذب، ومن زعم أن محمدا
كتم شيئا فقد كذب، ومن زعم أن محمدا رأى
ربه فقد أعظم على الله الفرية، فقلت: يا أم
المؤمنين: ألم يقل الله - تعالى -:

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾؟ فقالت: أنا أول
من سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «لا، إنما
هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها
سوى هاتين المرتين. رأيته منهبطا من السماء
سادا ما بين السماء إلى الأرض».

ثم قال الآلوسى: ولا يخفى أن جواب الرسول
ﷺ على عائشة، ظاهر في أن الضمير المنصوب
في ﴿رَآهُ﴾ ليس راجعا إليه - تعالى -، بل
إلى جبريل - عليه السلام -.. (٢٤).

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة يراها ترد على
المشركين مزاعمهم، بأبلغ أسلوب، وأقوى بيان، وأنه
- سبحانه - قد أعطى نبيه ﷺ من المعجزات، ومن
الخيرات والبركات.. ما لم يعط غيره.

ثم عظم - سبحانه - من شأن ما أراه لنبيه
ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

والكلام جواب لقسم محذوف، والآيات جمع آية،
والمراد بها العجائب التي أطلع الله - تعالى - عليها نبيه
ﷺ في تلك الليلة، وهى ليلة الإسراء والمعراج.

والكبرى: صفة لهذه الآيات، وحذف المرئى:
لتفخيم أمره وتعظيمه.

أى: والله لقد رأى محمد ﷺ في تلك الليلة
أمورا عظاما لا يحيط بها الوصف، وقد أكرمناه
برؤيته ليزداد يقينا على يقينه، وثباتا على ثباته،
وقوة على قوته في تبليغ رسالتنا، وحمل أمانتنا.

هذا، وقد جرينا في تفسيرنا لهذه الآيات على
الرأى الذى سار عليه المحققون من العلماء وهو أن هذه
الآيات تحكى رؤية النبي ﷺ لجبريل مرتين، كما سبق
أن بينا، وأن الضمائر في تلك الآيات منها ما يرجع إلى
جبريل، ومنها ما يرجع إلى الله - عز وجل -.

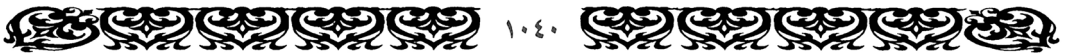
وقد أعدنا كل ضمير إلى مرجعه الذى نراه
مناسبا للمقام.

فمثلا: الضمير المنصوب في قوله - تعالى -:

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قلنا: إنه يعود إلى
جبريل. أى: أن الرسول ﷺ رأى جبريل على
هيئته التى خلقه الله عليها مرة أخرى، غير المرة
الأولى التى كانت فى أوائل بعثته ﷺ.

ولكن بعض المفسرين يرون أن مرجع الضمير
فى هذه الآية وغيرها، يعود إلى الله - تعالى -،
ويستدلون بذلك على أن الرسول ﷺ رأى ربه.

(٢٤) راجع تفسير الآلوسى ج ٢٧ ص ٥٢ وابن كثير ج ٤ ص ٢٤٨ وما بعدها.





مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عريطة

من
صور
الإعجاز
البياني
في
القرآن
الكريم

ورد هذا المثل في ثلاث سور من القرآن الكريم: الأول في سورة «يونس» والثاني في سورة «الكهف»، والثالث في سورة «الحديد». وترتيبها في النزول هو نفس ترتيبها في التلاوة. وإن من يقرأ هذه الآيات في مواضعها من السور الثلاث، ويتأملها، يرى فيها التقاء وافترقا حول ما بينها من أهداف يتجلى من خلالها روعة الأداء القرآني، ودقة النسق في طريقة العرض القرآني لمثل هذا المثل، ورسم صورته المعبرة الموحية.

* يقول الحق - تبارك وتعالى - في سورة يونس :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ .

جاءت هذه الآية المباركة، عقب مجموعة من الآيات تصور قدرة الله

(١) يونس (٢٤).



والإيمان، مهما كانوا فى فقر ومسكنة؛ لأنهم - فى حقيقة الأمر- أصحاب الميزان الصحيح، الذى لا تطيش كفته، ولا تخبو أضواء الحق فى ناظره. جاءت هذه الآية:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ لتضع القضية كلها

فى بؤرة ضيقة المساحة عميقة الجذور فى كل نفس، قوية الإيمان بمرادات الله - تبارك وتعالى - فى المقطع السابق عليها، لتسلط عليها أضواء الحقيقة، وتشتد، من خلال هذا المثل الذى بلغ الغاية فى الدقة والإحكام. بما اشتمل عليه من وجازة اللفظ، وعمق الأثر، واتساع رقعة الظل، التى لا تترك للنفس لفتة فى حياتها، ولا للضمير همسة من همساته، إلا كانت لهما بالمرصاد، حيث تذكره بالمصير المحتوم، الذى لا يفيد معه مال، ولا ينفع عنده جاه، ولا يخفف من وقعه أبناء أو خلان.

فها هى ذى الحياة الدنيا بكل مظاهرها وعناصرها، وبكل زينتها وبهجتها، وقد اغتر بها المغترون.. لا تكاد تبدأ حتى تنتهى، وكان شيئاً لم يكن، وكان أولها هو آخرها، فلم يكد الماء ينزل من السماء ويختلط بالتراب والنبات لبدأ دورة حياة، حتى يصير هو نفسه ومعه التراب والنبات هشيماً، لا وزن له ولا اعتبار؛ تنسفه الرياح نسفاً. فهل هذه الحياة تستحق أن يتشبث بها صاحب الجنتين وضرباًؤه؟! وقيموا من المال والجاه حكماً بين أقدار الناس وقيم الحياة؟! ألا ما أقصرها حياة!! وما أهونها حياة!!

فهى فى إزالتها والقضاء عليها، لا تحتاج إلى أكثر من أن يصدر لها الأمر فى لحظة من ليل أو نهار - وسبحان من يعلم متى سيكون ذلك - فتصبح فى غمضة عين.. لاشيء!!.. وكان لم تغن بالأمس!! وكان لم تقم لها قائمة.

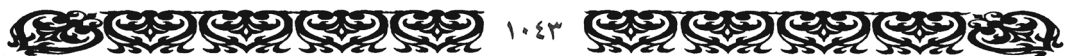
ولنترك صورة الدنيا من هذه الزاوية إلى حين؛ لنتأملها من زاوية أخرى فى سورة «الكهف»؛ لنتابع سوياً عظمة الأداء الفنى القرآنى، عندما يعمد إلى تحويل الفكرة من الذهنية الخالصة إلى مشاهد وأحداث حية، تجرى تحت سمعنا وبصرنا بكل ما ينتج عن ذلك من أصوات وظلال وألوان. قال تعالى:

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ۝٥﴾

وسورة الكهف بصفة عامة تدور حول محور واحد « ترتبط به موضوعاتها ويدور حوله سياقها [وهو] تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة»^(٦). وتمشياً مع هذا الإطار العام، فقد جاءت الآية التى معنا بمثابة التعقيب الموجز على قصة الرجلين اللذين يعتز أحدهما بماله وجنتيه، ويعلى من شأنهما أكثر مما يعلى من شأن العقيدة، فى مواجهة صاحبه الذى يقيم من دينه وعقيدته معياراً صحيحاً، يزن به حياته الخاصة والعامة. وقبل هذه القصة، كان توجيه الله لرسوله ﷺ، بأن يصبر نفسه على مصاحبة دعاة الحق

(٦) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

(٥) الكهف (٤٥).





ولنترك الحديث فى هذه اللقطة بعض الوقت
أيضا لنتأمل الصورة نفسها من زاوية أخرى فى
سورة الحديد . يقول الحق - تبارك وتعالى :

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوَّلُ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتْرَتُهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٧﴾ .

جاءت هذه الآية المباركة « تعقيبا على دعوة
الإيمان والبذل، ودعوة الفداء والتضحية، تعقيبا
يصور الدنيا كلها بصورة هزيلة زهيدة تهون من
شأنها وترفع النفوس عنها» (٨) .

فما قيمتها وقد بدت لعين المتأمل الفاحص
كلعب الأطفال التى لايفرح بها غير الصغار، ولذا
كان مصيرها إلى زوال؟! لقد صورها القرآن فى
صورة الغيث الذى ينزل من السماء، فنبت النبات
الذى يعجب به الزراع ويفرحون؟ لما فيه من نضارة
وجمال وبهجة، تعطى الأمل فى حياة أطول وخير
أوفر. ثم ترى هذا النبات وقد هاج وعلت سيقانه،
ثم يتحول بعد ذلك إلى حطام، وهنا ينتقل المشهد
إلى الحقيقة الكبرى، التى تستيقظ على وقعها
القلوب الوسنى، والعقول الغافلة عما ينتظرها من
عذاب شديد للعاصين المغرورين، ومغفرة من الله
ورضوان للمؤمنين الذين لا يعطون الحياة الدنيا
أكثر مما تستحق من اهتمام .

* * *

إن من يتأمل هذه الصورة ذات اللقطات
الثلاث، يراها من التشبيه التمثيلى الذى
تشبه فيه حالة بحالة : حالة الدنيا وقد ازينت
لأهلها بكل مغريات وأسباب زينتها؛ حتى
اطمأن إليها من اغتروا بها، وظنوا أنهم
قادرون عليها، ثم ما يحدث لها بعد ذلك من
خراب ودمار . بحالة الأرض حينما ينزل
عليها المطر، فتنبت وتثمر فإذا فرح بها
الزراع، وتهيأوا للارتفاع بها، تحولت إلى
هشيم تذروه الرياح، فلا يبقى منها إلا
الحسرة والندامة . تلك هى الصورة العامة التى
تشترك فى عرضها اللقطات الثلاث، على
اختلاف مواضعها وملاساتها .

غير أن من ينعم النظر إليها من الوجهة الفنية،
يرى أن هذه اللقطات الثلاث، ليست على قدر
واحد من اتساع المساحة، وإنما يرى فيها من
التفاوت فى التفصيل، والإجمال، ما يثير التأمل
والتفكير .

- فاللقطة الأولى :

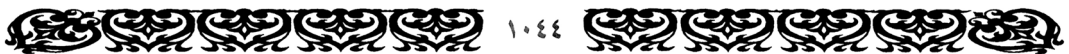
﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ

فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴿٨﴾

[سورة يونس] فيها من التفصيل وتوسيع رقعة
العرض، ما يشمل كل خطوات تتابع الصورة
المحتملة : ففيها نزول الماء من السماء، فاختلاطه
بنبات الأرض : سواء فى ذلك ما يأكله الناس وما
يأكله الحيوان، ثم يأتى إيقاع المشهد بعد ذلك
بطيئا فى انتقاله من مرحلة إلى التى تليها .. :

(٨) سيد قطب، فى ظلال القرآن .

(٧) الحديد (٢٠) .





﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ
وَطْنَهَا أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا ﴾

إذا حدث هذا بعد هذا وذاك ... :

﴿ أَتَنهَا أَمْرًا نَائِلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ والأمر هنا جاء
مغمض المضمون لنفاجاً بسرعة في الإيقاع، لم
نكن على استعداد لها لتقلب الصورة قاتمة،
ليس فيها إلا كل ما هو دمار وخراب شاملين ... :

﴿ فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ .

شيء مخيف وفظيع قد حدث طى ذلك الأمر
الذى صدر في التو واللحظة .

إذن هنا عرض مسهب، فيه تطويل في سرد
أسباب السعادة والراحة النفسية ثم سرعة غير متوقعة
ليطوى ما حدث بعد ذلك الأمر، لنرى الصورة غاية
في القتامة والحسرة . تلك هي اللقطة الأولى .

- أما اللقطة الثانية : -

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ
مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾

« الآية » [سورة الكهف] فهي غاية في الاختصار
في عرض المشهد : فدورة الحياة لا تكاد تبدأ على
الأرض حتى تنتهي ؛ دون أن نرى فيها شيئاً مما
شاهدناه من شريط النعمة الوافرة في اللقطة الأولى .

- وأما اللقطة الثالثة :

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ
وَكِبَارٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ
نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْدُهٗ مُصْفًرًا ﴾

« الآية » [سورة الحديد] فإن من يتأملها يراها
قد تحقق فيها نوع من التفصيل، الذى لا يبلغ ما
بلغته اللقطة الأولى، وهو فى ذات الوقت أوسع
رقعة مما فى اللقطة الثانية . أى أن ترتيب اللقطات
الثلاث كالتالى : الأولى يليها الثالثة، وأخيراً
الثانية . وهو ترتيب تنازلى كما نرى . فما سر
ذلك ؟

إن من يعيد قراءة آية يونس :

﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾

إلخ، وقراءة ما قبلها وما بعدها، يجد أن هذا
الشوط من السورة فيه بسط لنعم الله - عز وجل -
وفضل تفصيل فى ذكرها، مع بيان ما يقابله به
الإنسان من مكر هو فى حقيقته كفر بنعمة
المنعم .

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنۢ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَمٍّ إِذَا لَهُم مَّكَرٌ فِي

ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكَرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَكُرُّونَ

﴿ ١٦ 〉 هُوَ الَّذِى يُسَوِّرُكَ فِى الْبَرْقِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتَ فِى السَّمَاءِ

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَیْقَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَ تَهَارِیْعٌ عَاصِفٌ

وَجَاءَ هُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَیۡنَ أَجْمَعُونَ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ

الشَّٰكِرِينَ ﴿ ١٧ 〉 فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ یَأْتِیَہَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغِیۡکُمْ عَلَیۡ أَنْفُسِکُمْ مَتَّعَ الْحَیۡوةِ

الدُّنْيَا ثُمَّ لَیۡسَ لَہُمْ جُعَلٌ فَنَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ ١٨ 〉

إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْتِ كُلُّ النَّاسِ وَالْأَعْدَاءُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ

زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطْنَهَا أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا





أَتَنَهَا أَمْرًا نَائِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَعْرِفْ
يَا لَأَمْسٍ كَذَلِكَ تَفْصِلُ الْأَيْدِ يَقْوَرُ يَنْفَكُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْفَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿٩﴾.

فالمجال هنا عامة، مجال بسط لنعم الله وتعداد
أوجه فضله، مع ما يواجهه به الإنسان من عبادة
غير المنعم. اقرأ قبلها:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ﴾ ﴿١٠﴾.

واقراها بعدها:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ
أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ ﴿١١﴾.

أما آية الكهف:

﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَالْخَلَاطُ
بِهِ نَبَاتٌ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾

فالمشهد فيها يعرض عمر الدنيا «قصيرا خاطفا
ليلقى في النفس ظل الفناء والزوال، فالماء ينزل من
السما فلا يجرى ولا يسيل، ولكن يختلط به
نبات الأرض. والنبات لا ينمو ولا ينضج ولكنه
يصبح هشيما تذروه الرياح. وما بين ثلاث جمل
قصار، ينتهى شريط الحياة» ﴿١٢﴾. هذا الاختصار

البالغ فى عرض مشهد الحياة تراه وفيه رد بليغ
موح على من يغترون بزينة الدنيا، سواء فى ذلك
أشراف قريش الذين يطلبون من الرسول ﷺ، وقد
غرتهم الدنيا بزخرفها وزينتها، أن يطرد فقراء
المؤمنين من مجلسه، حتى يجلسوا هم إليه،
ويستمعوا إلى دعوته.

﴿وَأَضْرَبَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهم
بِالْفَدْوَىٰ وَالْعِيسَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ﴿١٣﴾.

أو صاحب الجنتين الذى اغتر بماله وأهله:

﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ
أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ ﴿١٤﴾.

ومما يؤكد على أن ذلك الاختصار فى عمر
الدنيا مقصود من وراء هذا العرض فى هذا المقطع
بكامله، ذلك التفصيل فى تعداد فضل الله على
المؤمنين، الذين يعملون الصالحات، وما أعد الله
لهم من الجنات الباقيات الخالدات وما يتمتعون به
فيها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ
لَهم جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهم الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَوِّنِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مَرْفَقًا﴾ ﴿٢٥﴾.

(١٠) يونس (١٨).

(١٢) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

(١٤) الكهف (٣٢).

(٩) يونس (٢١ : ٢٦).

(١١) يونس (٢٨).

(١٣) الكهف (٢٨).

(١٥) الكهف (٣٠ ، ٣١).



وفيه مقارنة بين الدنيا وما فيها من زخرف يغتر به طلابها، مع أنها لا تكاد تبدأ حتى تنتهى .. وبين ما أعدّه الله للمؤمنين الذين لا يغترون بالدنيا، ولا يقيمون من مظاهرها ميزانا للقيم الإنسانية . بين جنات باقيات خالدها لا تنتهى، وبين جنة الدنيا التى لا تثبت عند الشدائد .. وإن بلغت من الروعة والجمال ما بلغت حتى ركن إليها صاحبها وقال :

﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝٣٥﴾

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ۝ (١٦).

وإن من يتأمل المشهد الذى فى سورة الحديد :

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَّةً مُّصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝﴾

هذا المشهد -قلنا- فيه نوع من التفصيل الذى لا يبلغ ما بلغه المشهد الأول الذى فى سورة (يونس) وهو يزيد عما فى المشهد الثانى الذى فى سورة (الكهف) . ونلاحظ أن هذا التفصيل المحدد يكاد يتركز فى المرحلة الثانية من الصورة، مرحلة الفناء ومقدماته، وما بعده . وهى تبدأ من

﴿ ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَّةً مُّصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۝﴾

أما المرحلة الأولى ففيها لف للصورة وإجمال :

﴿ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ۝﴾

أما المشهد الذى فى سورة (يونس) :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ ۝﴾

[الآية] فهو على عكس ما فى سورة الحديد من هذه الناحية : بمعنى أن الصورة هنا فصلت فى المرحلة الأولى منها وهى التى تبدأ من أول الآية وتمتد إلى

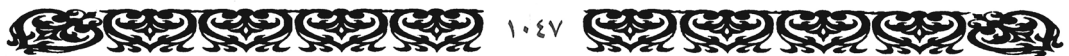
﴿ قَدِرْزُونَ عَلَيْهَا ۝﴾ أما المرحلة الثانية، ففيها لف وإجمال حتى لتكاد تتركز فى كلمة بعينها

﴿ حَصِيدًا ۝﴾ ، ولا يقولن قائل إن جملة :

﴿ كَانَ لَمْ تَعْلَمْ بِالْآمِنِينَ ۝﴾ داخله فى هذه المرحلة

الثانية، لأنها هنا إلماع للمقارنة بين حالتين : حالة الدنيا قبل زوالها، وحالتها بعد زوالها، وليس فيها تفصيل يضاف للمرحلة الثانية .

أما عن السبب فى التفصيل هنا الذى يقابله إجمال هناك، والذى يتلوه إجمال هنا يقابله تفصيل هناك . فهو - فيما نحسب - أن التفصيل فى المرحلة الثانية من الصورة التى فى آية الحديد، كان مقابلة عادلة للتفصيل فى عرض حقيقة الدنيا؛ فالدنيا التى هى : لعب .. ولهو .. وزينة .. وتفاهر .. وتكاثر، سوف يكون مصيرها مصير النبات الذى يهيج .. ويصفى .. ويتحطم ؛ ليصل طالبها بعد ذلك إما إلى عذاب شديد، إن طلبها من حرامها .. وإما إلى مغفرة من الله ورضوان إذا هو طلبها من حلالها، وجعلها مطية للآخرة .





ومن يتأمل «الحصيد» يراه النهاية الطبيعية لدورة النبات مما يأكل الناس والأنعام، وإن كان الحاصد هنا هو الله تبارك وتعالى .

أما «الهشيم» فهو الذى يصور واقع الحياة التى يتمسك بها طلابها المتعلقون بمظاهرها، كما هو الحال لدى صاحب الجنتين، فما أن تهب ريح عاصفة من غضب الله ونقمته، حتى يتبين أن ما يرويه ليس إلا شيئاً هشاً لا وزن له ولا قيمة، فقد ذهب مع الريح، ولم يبق لصاحبه إلا أن يقلب كفيه حسرة وندامة على ما أنفق فيها .

وأما «الحطام» فهو المصير المحتوم لما يعجب به الكفار من مظاهر الدنيا . . ويراد بالكفار فى الصورة الفنية الزراع؛ لأنهم يكفرون الحبة، أى يسترونها فى التربة، والتعبير عنهم هنا بالكفار «فيه - كما قال الشهيد سيد قطب - تورية وإلماع إلى إعجاب الكفار بالحياة الدنيا» .

ننتقل الآن إلى تذييل كل مشهد من هذه المشاهد الثلاثة لنتأمل أيضاً بلاغة التعبير القرآنى . فإذا كان المشهد الذى فى سورة «يونس» قد ختم بقوله تعالى :

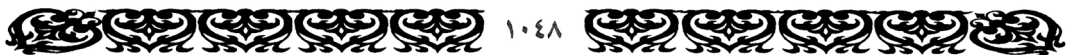
﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ ،
فإن نظير ذلك فى سورة (الكهف) قوله تعالى :
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ ، وفى سورة (الحديد)

أما آية (يونس) ، فمجال عرض الصورة الفنية فيها يغلب عليه طابع سرد مظاهر النعمة، التى يتحجب الله بها إلى عباده ويتودد :

﴿وَإِذَا أَدْفَأْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجِيتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أُنجِيتَهُمْ إِذَا هُمْ يَتَغَوَّنَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ الْحَقُّ﴾

إلى آخر المقطع . وتتضح فيه جوانب الرحمة وآفاقها، وقد أنعم الله بها على عباده . . وهذا السبب هو نفسه الذى دعا إلى الإجمال فى ذكر النعمة بالمرحلة الثانية من الصورة ذاتها :

﴿أَتَنْهَأُ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ .
نقطة أخرى تبين مدى دقة التعبير القرآنى المبارك وعظمته وشفافيته فى رسم الصورة الفنية، هى ما أطلق عليه البلاغيون مراعاة النظير فى وضع الكلمة . ونعنى به هنا، وضع كلمة ﴿حَصِيدًا﴾ فى نهاية المشهد الذى فى سورة (يونس) يقابلها كلمة ﴿هَشِيمًا﴾ فى نهاية المشهد الذى فى سورة (الكهف) ، وكلمة ﴿حُطَمًا﴾ فى المشهد الذى فى سورة الحديد .





يطلبون من الرسول ﷺ ألا يسوى بينهم وبين
الفقراء فى الجلوس إلى حضرته الشريفة، أو ذلك
الرجل الذى يستعرض قوته ومكانته بين ماله
وأهله فى مواجهة صاحبه . ولذا كان الرد :

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ (١٧).

فى القصة الأولى، و ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ﴾ (١٨)

و ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً يَنْصُرُونَ مُرِمِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١٩)

فى القصة الثانية . قدرة فى مواجهة قدرة ..
والنتيجة معروفة !! ..

وأما فى سورة (الحديد) :

﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ فالجمال

مجال التحذير من عاقبة الركون إلى الدنيا
والاغترار بها؛ ولذا حينما ضرب الله لها المثل،
بدأه بأن حصر شأنها وقيمتها فى اللعب واللهو
والزينة والتفاخر .. والتكاثر .. مما يجب أن يفر
منه العقلاء، ويتعاملوا معه بحذر شديد، وختمه
بأن حصرها أيضا فى المعنى ذاته :

﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾، وذلك

لأن المشهد الذى فى سورة (يونس) جاء تنويجا
لشوط من السورة فيه تفصيل فى عرض موقف
الإنسان من قضية الوحي والعقيدة، من خلال
مناقشة عدد من القضايا الجزئية، التى تصب
جميعها فى مجرى تصحيح العقيدة التى انحرفت
لدى فريق من الناس و ترسيخها فى مفهوم فريق
آخر آمنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات .

فإذا كان المثل الذى ضربه الله تعالى للحياة
الدنيا فى قوله :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ ﴾ فيه تركيز

للعبرة والدرس، فإن ذلك التركيز إنما هو دفعة فى
طريق التفصيل؛ لأن حرارة الوجدان الحذر من
الدنيا، سوف تدفع إلى تأمل ما مر من قضايا
جزئية ناقشتها الآيات المباركات :

﴿ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

أما فى سورة (الكهف) :

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ فالجمال مجال

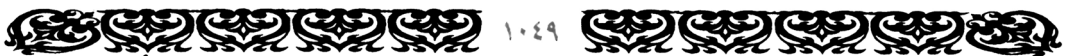
استعراض للقوة : سواء من جانب أولئك الذين
يعتدون بقوتهم ويستعرضون مكانتهم وهم



(١٨) الكهف (٤٢).

(١٧) الكهف (٢٩).

(١٩) الكهف (٤٣).



مِلَّةُ الْفِرْقَانِ الْكَرِيمِ

للدكتور / على أحمد على

ونعني بـ «الكلية» من هذه الكليات ما حملته الآية من آيات القرآن الكريم من «لفظ، كل أو معناه». ذلك أن كثرة فوق الحصر من آيات التنزيل العزيز لا ينفصل المراد منها عن «الكلية» مطلقاً، وليس يفهم معناها إلا مقترناً بـ «كل» ولو لم تحمل الآية هذا اللفظ: (كل)، أي أن تجزئها لفظاً من «كل» لا يعني خلوها من «كل». لذلك كان لا بد، ابتداءً من الإشارة إلى هذه الحقيقة، وضرب الأمثلة لها، وإن كان البحث، أساساً، أعداً لدراسة «الكليات اللفظية» في الكتاب الكريم؛
فأما «الكليات المعنوية» فلها في القرآن الكريم أكثر من قرينة تهدي إليها، كذلك منها ما يطابق معناه «كل» تمام المطابقة؛

فمن الأولى ذوات القرائن قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١). فعقيدتنا، إزاء الآية الكريمة، تعطى معنى.. كل «حتماً» أي أن لله كل ما في السماوات وما في الأرض؛ ذلك أن الله - سبحانه - ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢)، وهو أيضاً مالك كل شيء ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣). ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾^(٤).
فالكلية ملازمة للآية ولا جدال.

ومن هذا اللون ذي القرينة العقيدية أيضاً قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾^(٥).
أي جئتمونا واحداً واحداً، كل واحد منكم منفرداً بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر، عراة كما خرجتم من بطون أمهاتكم، ليس في أيديكم شيء مما ملكتم في دنياكم فقد تركتم كل شيء مرغمين^(٦).

(١) البقرة (٢٨٤).

(٢) الأنعام (١٠٢).

(٣) النور (٤٢) ..

(٤) الإسراء (١١١).

(٥) الأنعام (٩٤).

(٦) راجع القرطبي في تفسير الآية.



ومن الثانية، أى التى يتطابق معناها مع «كُلٌّ»
حتماً قوله - تعالى -:

﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(٧).

أى عنده - سبحانه وتعالى - مفاتيح الأرزاق كلها^(٨). فالآية الكريمة مطابقة لمعنى: كل شئ عندنا خزائنه.

وتجد هذا اللون بكثرة فى الآيات التى جاءت فيها (النكرة) فى سياق النفى، وذلك أمر معروف فى قواعد اللغة.



مع الكليات اللفظية:

١- وجاءت فى القرآن الكريم فى خمسة ألفاظ:

● «كل» رفعاً، ونصباً، وجرّاً.

● و«كُلُّهُ» مثله إعراباً، وهو مضاف إلى ضمير المفرد المذكور.

● و«كُلُّهَا» مضافاً إلى المفرد المؤنث منصوباً، إلا فى الآية الكريمة:

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٩)

فقد جاءت فى الآية الشريفة بالجر توكيداً للآيات المحرورة.

و«كُلُّهُمْ» مرفوعاً فقط، مضافاً إلى ضمير

الجمع المذكور.

و«كُلُّهُمْ» مثله مرفوعاً فقط، ولم يأت فى التنزيل العزيز إلا مرة واحدة فى نسائه ﷺ وذلك فى قوله - تعالى -:

﴿تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْتِي الْيَاكُ مِنْ نَشَاءٍ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَنِهُمْ وَلَا يُخْزِبَكَ وَيَرْضَىٰ يَمْأَةً ابْتِغَاءً لِّكُلِّهِمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾^(١٠).

فأما الكليات الأربع خلافها، فمواقعها فى القرآن الكريم كثيرة، ويبلغ عددها جميعاً سبعة وخمسين وثلاثمائة آية^(١١).

والبحث مختص بـ«كل» فى هذه الأوضاع الخمسة.



٢- و(كل) لفظٌ - بحسب وضعه - شامل لجميع «أفراد» أو «أجزاء» ما يضاف إليه من «جنس» أو «نوع» فهى جميعاً منطوية فيه، يستغرقها تماماً: مادية كانت أم معنوية، وينبغى أن نوضح أن هذا الاستغراق يفسره مضمون ماورد فيه، فيكون - تارة - عاماً كقوله - تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٢).

فالمضاف إليه (شئ) فى الآية شامل لكل الكون،

(٧) الحجر (٢١).

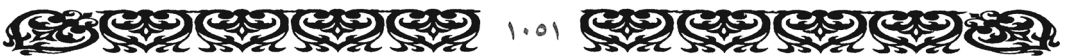
(٨) راجع القرطبي فى تفسير الآية.

(٩) القمر (٤٢).

(١٠) الأحزاب (٥١).

(١١) هذا الحصر عن (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى، ومنه نعلم أن لفظ (كل) حظى بالعدد الأوفر، حيث ذُكر فى القرآن الكريم خمساً وعشرين وثلاثمائة مرة (٢٢٥) بين رفع وخفض، فأما فى حال النصب (كُلًّا) فقد ذُكر خمس عشرة مرة، وجاء (كُلُّهُ) فى سبع، و(كُلُّهَا) فى خمس، و(كُلُّهُمْ) فى أربع، و(كلهن) ما ذكرت.

(١٢) البقرة (٢٠).



فما فيه من جزء أو ذات إلا شملها حكم القدرة، وهي خاضعة لقدرة الله تعالى .

ويكون الإستغراق الكلي خاصاً، أى ليس على هذا العموم - كما فى قوله - تعالى - فى عقوبة قوم عاد بالريح الصرصر :

﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا

لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسْكَنَهُمْ ﴾ (١٣) .

ف (شىء) فى الآية شملت كل شىء إنساناً أو حيواناً على أرض عاد، وليس الكون كله، ومن ثم، فإن الحكم الوارد فى الآية ينطبق على أجزائها، أو ذواتها - حسب ما هي عليه من عموم أو خصوص - جميعاً ويشملها فرداً فرداً .

وعودة إلى المضاف إليه المادى والمعنوى نجد منه فى كليات القرآن الكريم الكثير، نكتفى منه بمثال للمادى وآخر للمعنوى :

فمن الأول قوله - تعالى :

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ الواردة بالآية الكريمة :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَصَرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٤) .

ف ﴿ دَابَّةٌ ﴾ فى الآية تجمع الحيوان كله (١٥) . وهي - جميعاً وما ورد فى الآية دلالات على وحدانيته - تعالى - وقدرته،
ومن الثانى :

قوله - تعالى - فى العدل بين الزوجات لدى من تزوج بأكثر من واحدة :

﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾

من الآية الكريمة :

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (١٦) .

يقول مولانا الشيخ حسنين محمد مخلوف - مفسراً للآية :

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ أى العدل

المطلق الكامل بين زوجاتكم فى القسَمِ والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والمحاملة والمحبة والانعطاف .. وغير ذلك ﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ عليه أتم الحرص، ولذلك لم يكلفكم الله به، إذ التكليف إنما يكون فى الوسع والطاقة، فقاربوا واجتهدوا ألا تميلوا الميل المخطور إلى واحدة منهم فى حقوق الزوجية بحيث تكون الأخرى كأنها

(١٣) الأحقاف (٢٥) .

(١٤) البقرة (١٦٤) .

(١٦) النساء (١٢٩) .

(١٥) راجع تفسير القرطبي للآية .



﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (١٨).

وعدا الأنبياء تتفاوت الصفة؛ فإما رفيعه القدر، أو من سَقَطَ الأخلاق، ولله - جَلَّ عَلاه - تسجيل لهذه الأخلاق المتردية، نذكر منها بعض ما جاء في الكتاب الكريم صُحْبَةً (كل) .. قال - تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (١٩).

وقال - تعالى :

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٠).

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٢١).

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (٢٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣).

وحسبنا من هذا الصنف أولئك المعتدون، فلا ترى سُمُوءاً ولا جزاء حَسَنًا ولا نعمة في أعين الناس لكل خَوَّانٍ أو أَفَّاكٍ أو خَتَّارٍ كَفُورٍ أو حَلَّافٍ مهين^(٢٤)، ويندر أن تنفرد صفة واحدة من هذه الصفات في إنسان، بل لابد أن يجمع منها الكثير. ثم من بعد ذلك منازل يرتفع فيها الإنسان إلى

معلقة، لا هي مطلقة، ولا هي ذات بعلٍ، وجاهدوا أنفسكم حتى تصلوا إلى الحد المستطاع من العدل الذي يباح لكم معه تعدد الزوجات. اهـ.

وواضح أن الحكم بالنهي عن الميل شامل لكل ألوانه.

٣- و «الأجناس» و «الأنواع» المصاحبة لـ «كُلِّ» - أعنى المضاف إليه - عديدة في القرآن الكريم، غير أنها لا تصعب على الحصر، فليس تطلب إلا نظرة فاحصة إلى هذا المضاف إليه فيقع الحصر، وينتهي إلى عدد محدد، دون تعداد المكرر.

ثم هذا المضاف إليه (التمثل في الجنس أو النوع) ألوان عديدة مع (كل)، شاملة جميع ما يخطر للإنسان المخاطب بالقرآن من شأن :

فهى تارة مضافة إلى (عام) لا يَسْتَثْنِي شيئاً، ومنه قوله - تعالى - آمراً رسوله ﷺ بالرد على المنافقين فى (أُحَد) :

﴿قُلْ إِنْ أَلَأَمْرُكَ لِلَّهِ﴾ (١٧).

وتضاف (كل) تارة إلى الإنسان، لتسفر عن أنواعه المختلفة، ومنازله المتباينة، وجماعاته المتنوعة، وهنا يحظى الإنسان بالقدر الأكبر من هذه الإضافات : فإضافة تسفر عن أعلى منازل - منزلة النبوة - قال - تعالى :

(١٨) الأنعام (١١٢).

(٢٠) الجاثية (٧).

(٢٢) القلم (١٠).

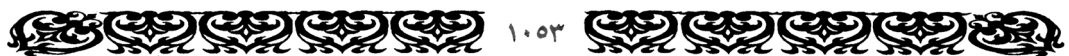
(١٧) آل عمران (١٥٤).

(١٩) الحج (٣٨).

(٢١) لقمان (٣٢).

(٢٣) لقمان (١٨).

(٢٤) الخوان - معروف، فهو الغافق للأمانة تماماً، والكفور: الجاحد للنعمة، وفى أول تلك النعم الإيمان بالله، والأفَّاك: الكذاب، الأثيم: الملازم للإثم، والختار: الغدار، والحلاف: الكثير الحلف بالباطل، وهو (مهين) أى حقير، والمختال: المزهو بنفسه، المتبختر فى مشيه الفخور على الناس بذاته، أو ماله، أو منزلته.



واصطبحت (كل) أجناسا ذات دلالات شرعية :
فالمشركون المعاندون لا يؤمنون بوحدايته
تعالى - وفيهم نزل قوله - عز وجل :

﴿ وَلَئِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ (٣١).

وتصحب ﴿ كُلاًّ ﴾ النبات والطعام
والمكان والزمان، ففي التنزيل العزيز :

﴿ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (٣٢).

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي

إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (٣٣).

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ (٣٤).

﴿ يَسْأَلُهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (٣٥).

وأضيفت ﴿ كُلاًّ ﴾ إلى الضمير، فلم
تفقد خاصيتها، إذ الضمير لجنس أو نوع، وإذا
هى على « العموم » المناسب لما أُضيفت إليه، من
ذلك قوله - تعالى :

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ (٣٦).

وقوله : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴾ (٧).

فكلها فى الآية الأولى تعنى (كل الأزواج)

﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٌ ﴾ (٢٥) أى كثير الرجوع إلى

طاعة ربه، حافظ لحدوده، أو ينتهى إلى :

﴿ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ﴾ (٣٦) لا تجد الإنسانية منه إلا

شراً فإذا تجاوزنا الأخلاق نجد (كلاً) تضاف تارة
إلى المعجزة، فهذا موسى - على نبينا وعليه
أفضل الصلاة والسلام - ومعه قَوْمُهُ يطاردهم
فرعون بجنوده، فيُوحى الله - تعالى - إليه :

﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ﴾ أى

البحر ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾ من مياه البحر :

﴿ كَأَطْوَادٍ الْعَظِيمِ ﴾ أى الجبل الضخم (٢٧).

وتارة تصحب (كل) أجناسا شتى من خلقه
تعالى - فتصحب الحيوان عامة :

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴾ (٢٨).

والحيوان من الإنسان، فقد ذكر المولى - عز
وجل - الزلزلة التى تشمل الأرض جميعا قبل
الساعة أى قبل القيامة، فقال :

﴿ يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا

أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ (٢٩).

يقول الحسن البصرى - رضى الله عنه : تَذْهَلُ
المرْضِعَةُ عن ولدها لغير فطام - أى الذى لم يفطم
بعد - وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام (٣٠).

(٢٧) الشعراء (٦٣).

(٣٠) راجع تفسير الخازن والنسفى فى الآية.

(٣٣) آل عمران (٩٣).

(٣٦) الزخرف (١٢).

(٢٦) المطففين (١٢).

(٢٩) الحج (٢).

(٣٢) البقرة (٢٦٦).

(٣٥) الرحمن (٢٩).

(٢٥) ق (٣٢).

(٢٨) الرعد (٨).

(٣١) الانعام (٢٥).

(٣٤) الفرقان (٥١).

(٣٧) مريم (٩٥).

وهدايتهم، فمنهم من آمن ومنهم من عصى .
ذكر - سبحانه وتعالى - هذه الحقيقة بشأنهم فى
الآيتين (١٣٠، ١٣١) ثم عقب على ذلك بقوله:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ﴾ .. الآية؛ فكان السياق موضحاً
بلا لبس اطلاقاً هذا المضاف المحذوف فى شخص هؤلاء
المكلفين الذين أعلمهم الله - تعالى - بالواجب عليهم،
وعنت الآية أن لكل من المكلفين درجات متفاوتة من
أجل ما عملوه فى دنياهم من طاعة أو معصية .

٥- وإذ انتهينا من دراسة (كل) من حيث ورودها
معنى ولفظاً فى الآى الشريف، ثم اثبتنا إلى دراسة
(كل) نفسها من حيث ورودها مصاحبة للمادة تارة،
وللمعنى تارة أخرى ثم عرجنا إلى النظر فى ذات
(المضاف إليه) الذى لا بد من مصاحبته لـ (كل) وإن
لم يذكر معها نصاً، ووجدنا هذا المضاف إليه جنساً
كان أو نوعاً، شاملاً مستوعباً لكل ما خلق الله - تعالى
- أو أراد فى (كونه) من مادة أو فكر أو نظر أو خاطر
قد يعلق بذهن إنسان، فيتساءل عنه !!! فماذا بعد ... ؟
نقول: إن كل ما قدمناه فى هذه الصفحات أشبه بـ
(المبتدأ) الذى لم نتحدث بعد عن خبره - وإنه لخبر
مستحق بدوره لدراسة نسال الله - تعالى - عوناً عليها
وتوفيقاً إليها، ولن يمتنع ذلك من نظرية سريعة إلى
(خبر) من هذه الأخبار، ولنستشهد له بقوله - تعالى :

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٤٠) . لنجد حكمه
- تعالى - على كل نفس بأنها مأخوذة مرهونة بعملها
مستحقة لما نالها من جزاء، فلا نجاة من النار إلا لأولئك
الذين استثناهم المولى - عز وجل - فى قوله:

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ .

أى الأصناف من خلقه - تعالى - وكلهم - فى
الثانية - تعنى خلقه العائد إلى الله يوم القيامة بلا
مال ولا نصير يمنعه من قضاء الله فيه .

٤- وتأتى ﴿كُلِّ﴾ منونة، رفعاً ونصباً
وجراً، فلا يصحبها المضاف إليه قرينا لها، ولكنه حاضر
قائم بها غير عسير مطلقاً معرفته، يقول - تعالى :
﴿أَمَّا الرُّسُلُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (٣٨) .

وتقدير هذا المضاف المحذوف يسير، فهو الرسول
ﷺ والمؤمنون - رضى الله عنهم - أى أن كلا من
الرسول والمؤمنين آمن بالله وملأته وكتبه ورسله .
وفى «سورة الأنعام» ذكر عز وجل - ثمانية عشر
نبياً رسولاً فى أربع آيات من رقم (٨٣) ثلاثة وثمانين
إلى رقم (٨٦) ستة وثمانين، وفى الأخيرة منها قال
تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

والمضاف المحذوف كأن لا حذف له، فهو
واضح مقصود به هؤلاء الرسل الكرام أفضل
الآدميين فى عصورهم .
ومثال المجرور قوله تعالى :

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ يَمَّا عَمِلُوا
وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٩) .

والآية الكريمة ذكرها سبحانه وتعالى - فى
النهاية من ذكر الجن والإنس، وما أقامه سبحانه
عليهم من حجة بإرساله الرسل لديهم يدعونهم
للإيمان بأذلين كل جهد فى توعيتهم



الحكم في نظر الإسلام



لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: «قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذ بحقتها، وأدى الذي عليها فيها».
رواه مسلم

- يتعلق بهذا الحديث أمور :
- (١) بيان معناه إجمالاً .
 - (٢) بيان الصفات التي يجب أن يكون عليها الحاكم .
 - (٣) واجب الرئيس الأعلى
 - (٤) خطورة الحكم وعاقبة أمره .
 - (٥) حقوق المنصب .
 - ١ - معنى الحديث ظاهر، وهو أن أبا ذر رضي الله عنه (من مشاهير الصحابة الذين لهم سبق بإزاء ذلك .
 - واجب الرئيس الأعلى
 - خطورة الحكم وعاقبة أمره .
 - حقوق المنصب .
 - معنى الحديث ظاهر، وهو
 - أن أبا ذر رضي الله عنه (من مشاهير الصحابة الذين لهم سبق

● من روائع «مجلة الأزهر» عدد ربيع الثاني ١٣٥٧هـ.



والأمانة كى ينتفع بها، سواء عليه بعد ذلك أن يعظم أو يصغر، أو يساء أو يسر، على أن فى ذلك أيضا تبصرة وذكرى لهؤلاء الذين يتهافتون على المناصب تهافت النصور على الجيف وهم ليسوا بأكفاء لها، وإذا تخطتهم رئاسة ملأوا الدنيا ضجيجا وجاءوا بالشفعاء من كل صوب لاغتصابها من يد مستحقيها، فإن هؤلاء الأشرار من أشد الجناة على العدل والنظام .

٢ - أما الصفات التى يتصف بها الحاكم فقد أجملها الحديث بقوله: «يا أباذر إنك ضعيف»، والاضطلاع بمسئولية الرئاسة يستلزم القوة بكل معانيها. فالحاكم يجب أن يكون قادرا على إقامة العدل بين الناس، فلا يظلمهم ولا يتركهم يتظالمون، قادرا على حفظ أموالهم وأعراضهم ودمائهم، كما قال عمر بن الخطاب لرؤساء القبائل: «إنى لم أرسل عمالى إليكم ليضربوا وجوهكم ولالْيَأْخُذُوا أموالكم، وإنما أرسلتكم إليكم ليصونوا دماءكم وأعراضكم وأموالكم، ويقسموا بينكم مازركم الله من فئ... إلخ .

وأن يكون قادرا على معرفة أحوال رعيته والنظر فى كل شعونها المادية والأدبية، عاملا على ترقيتها والنهوض بها الى المستوى اللائق بها . ومن أحسن ما روى فى هذا أن عمر قال : والله لو عثرت دابة فى العراق لرأيتنى مسئولا عنها . فقل له وما ذنب أمير المؤمنين فى ذلك ؟

فقال : أمير المؤمنين مكلف بإصلاح الطرق وتسويتها ليمشى عليها الناس والدواب بدون عثار واضطراب .

وأن يكون قادرا على الدفاع عن رعيته بالقول والفعل، فلا يسمح لأحد أن يعتدى عليها أو

فى الإسلام) طلب من رسول الله ﷺ أن يسند اليه رئاسة عمل من الأعمال فأبى رسول الله عليه ذلك لأنه لم ير فيه الصفات التى يجب أن يكون عليها الرئيس، ثم أبان له خطورة الحكم وعظم مسئوليته فقال له : إن رئاسة الأعمال أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة الخ . . ومعنى كونها أمانة أنها . تستلزم القيام بحقوق الناس على الوجه الكامل، وهذه الحقوق فى عنق الرئيس، فلا بد له من أدائها لهم كاملة فى هذه الحياة الدنيا، وإلا كانت عاقبة أمرها خُسرا ووبالا عليه يوم القيامة، فليس الحكم مجرد لذة من اللذات العظيمة التى تستعذبها النفس ولايسأل المرء عنها، كلا بل هى تكليف شاق وحمل ثقيل، فلا ينبغى لأحد من المسلمين أن يلى أمرا من أمورهم وهو ضعيف فى أية ناحية من نواحيه .

ومن أحسن العظات التى تؤخذ من هذا الحديث أن أبا ذر لم يعارض فى وصفه بالضعف، ولم يحاول الدفاع عن نفسه، ذلك لأن الرسول صلوات الله عليه لفته الى حقيقة أغفله عنها ما هو كامن فى طبيعة الإنسان من حب المنصب والجاه، فلما أدرك ذلك أذعن للحق خاضعا . وأروع من هذا وأجمل أن هذا الرجل العظيم يحدث بذلك عن نفسه وهو قرير العين منشرح الصدر، فلم يبال أن يقال عنه إنه ضعيف غير صالح لولاية الأعمال . وليس هذا بغريب؛ لأن هؤلاء السادة البررة لا يرون وجودهم لأنفسهم فحسب، بل يرون وجودهم لخدمة المجتمع الإنسانى، فكل همه منحصر فى خدمة المجتمع الإسلامى بنقل شريعة رسول الله ﷺ إليه بالدقة



ومن هذا تعلم أن كل شئ يرهق المحكومين ويضيرهم، ويفسد أخلاقهم ويضيق عليهم وسائل معاشهم، ويسلب منهم حقوقهم ويقعد بهم عن الرقى العلمى والمادى، يكون الحاكم مسئولا عنه ولا ينجيه عند الله عجزه، لأنه إن عجز وجب عليه أن يترك المنصب للقادر عليه.

وكل شئ ينهض بالأمة الى ذروة المجد ويحفظ أخلاقها، ويث الأمن بين ربوعها ويجعلها عزيزة الجانب فإنه واجب مقدس على الرئيس أن يقوم به.

٣ - أما واجب الرئيس الأعلى وهو الإمام الأعظم أو خليفة المسلمين ومن يقوم مقامه بإزاء ذلك، فهو أنه لا يحل له أن يسند أمرا من الأمور إلى غير أهله. لا يحل له أن ينيب عنه فى مصالح المسلمين ضعيفا فى إرادته أو فى شهوته، أو فى عقله، أو فى دينه، أو فى سياسته العامة أو الخاصة على الوجه الذى بيناه. بذلك أمر الله الخلفاء صريحا فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (١).

ومعنى الآية الذى يدل عليه السياق بوضوح: أنه سبحانه يقول: إننى آمركم أيها الخلفاء والرؤساء الأعلون أن تسندوا المناصب الى أهلها اللائقين بها القادرين عليها وعلى أدائها على الوجه الأكمل. فالمراد بالأمانات المناصب كما هو صريح الحديث الذى معنا، فقد قال النبى ﷺ لأبى ذر: إن المنصب أمانة، أى حق من الحقوق

يهين كرامتها، أو يطمع فى استخدامها بكل مايمكنه من حول وطول.

وأن يكون حازما لا ينثنى عن الحق بشفاعة الشافعين، ولا يميل مع العاطفة فيغدق على من يحب ويحرم من يبغض.

وأن يكون رحيما فلا يقسو فى مواطن الرحمة.

وأن يكون قادرا على تأديب العصاة والمجرمين الذين يسعون فى الأرض فسادا.

وأن يكون قادرا على ضبط نفسه عند الغضب، فلا يحمل له نزق السلطان وكبرياؤه على المظالم والاستبداد بالناس انتقاما لشهوته وإرضاء لغضبه.

وبالجملة فشرط الحاكم أن يكون قويا فى عقله وتفكيره، قويا فى إرادته ونفوذه، قويا فى عدله وحلمه وضبط شهوته، قويا فى جلدته وصبره على سياسة رعيته بما يناسب حالها مهما ترتب على ذلك من مشقة وتضحية، قويا فى معرفة أحوال رعيته بنفسه، فلا يصغى لوشاية واش ولا يعبأ برأى جاسوس كاذب، وإلا كان ضعيفا لا يحل للرئيس الأعلى أن يسند إليه أمرا من أمور المسلمين. وهذه الأوصاف كلها مصرح بها فى كثير من الأحاديث الصحيحة ووصايا الخلفاء الراشدين وكتبهم إلى عمالهم. فكل من ولى أمرا من أمور المسلمين فإنه يكون مسئولا عن حياته والقيام عليه بكل ما يصلحه، فإن عجز وجب عليه أن يتخلى عنه لغيره، وإن قصر أو أهمل كان جزاؤه الخزى فى الدنيا والآخرة.



المتعلقة بذمة الرئيس، فلا يصح أن يحتمله ضعيف ليس أهلا له .

وقوله سبحانه :

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

خطاب لكل من ولى من أمر المسلمين شيئا سواء أكان : إماما، أم أميرا، أم قاضيا، أم رئيس قبيلة، أم رئيس أسرة، أم رئيس جماعة . فكل واحد من هؤلاء يفترض عليه أن يقضى بين الناس بالعدل، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيتها ومسئولة عن رعيته . إلخ » (٢) .

وقال ﷺ : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » (٣) .

ومما لاخفاء فيه أن الأمة التى بيدها انتخاب الحاكم أو انتخاب من ينتخبه، مسئولة عمن تختاره للحكم كمسؤولية الإمام الأعظم سواء بسواء، فإذا لم تنتخب الكفاء القادرين للتحكم كان وزرها عند الله عظيما وعقوبتها شديدة .

٤- وأما خطورة الحكم وعاقبة أمره، فإن الحكم تارة يكون أداة صالحة ينفع الحاكمين والمحكومين، وتكون عاقبته سعادة فى الدنيا والآخرة، وتارة يكون من شر الوسائل المردية لصاحبه فى الدنيا

والآخرة . وقد رغبت الشريعة الإسلامية فى الحكم الصالح، وحذرت من الحكم الظالم الفاسد ونهت عنه نهيا شديداً، فمن الأول قوله ﷺ : « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله » (٤) . إلخ . فانت ترى أنه قد بدأ السبعة بإمام المسلمين وخليفتهم العادل . وقوله : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قرى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال » (٥) . ومعنى قوله : ذو سلطان مقسط، ذو ملك عادل . وقوله ﷺ « يوم من أيام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » (٦) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل الرئيس العادل والحاكم الموفق القادر .

ومن الثانى قوله ﷺ : « من ولى شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسنا نجا، وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهو فى سبعين خريفا » (٧) . وقوله : « إنكم ستحرقون على الإمامة، وستكون ندامة يوم القيامة » (٨) . وقوله : « الإمامة أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل، وكيف يعدل مع قريبه » (٩) .

وقوله ﷺ : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه .

(٥) أخرجه مسلم .

(٧) مجمع الزوائد ٢٠٥/٥، ٢١١ .

(٩) أخرجه الطبرانى وغيره .

(٢) البخارى ١٩٦/٣، ٦/٢ .

(٤) البخارى ١٦٨/١، وأحمد ٤٣٩/٢ .

(٦) البيهقى ١٦٢/٨ .

(٨) أخرجه البخارى .

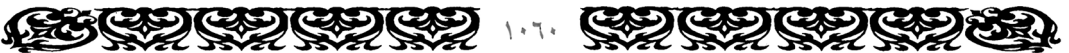


يوم القيامة»^(١٠) وقوله : « لا تقدر أمة لا يقضى فيها بغير الحق، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على خطورة الحكم فى نظر الدين الإسلامى، وكلها أحاديث صحيحة.

لقد نظر المسلمون الأولون الى أوامر الدين نظرا صادقا مقدسا، فكانوا يستمعون القول فيعضون عليه بالنواجذ ولا يجيدون عنه قيد شعرة، وهؤلاء هم المؤمنون حقا الذين عرفوا قدر الدنيا وقيمتها، وأيقنوا أن شهواتها لا ثبات لها ولا استقرار، فلم تخذعهم شهوة الجاه والسلطان، ولم تغرهم لذة الرياسة وشهوة النفوذ، ولم يفتنهم ملق الناس وطاعتهم إياهم وتفانيهم فى الزلفى منهم والتهافت على إرضائهم بحق وبغير حق، فكل ذلك لم تكن له أية قيمة فى نظر أسلافنا الصالحين، فكانوا يفرون من المناصب فرار السليم من الأجر والشاة من الذئب، ومنهم من آثر السجن والتعذيب على تولى منصب لأنه كان يخشى أن لا يؤديه كاملا فيعرض نفسه لظلم الخلق وسخط الخالق. ولو أن هذه الروح الطيبة قد استمرت حية بين المسلمين لما كانت المناصب مصدر فرقة وبلاء على الأمم والشعوب مما نرى بعضه الآن، فقد منى الناس بعشاق المناصب الذين لا يرون لأنفسهم حياة إلا إذا غمرتهم أبهة المنصب واستمتعوا بثمراته الطيبة ونعيمه اللذيذ، فطفقوا يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار من غير شعور بواجب أو دين أو خلق كريم. فيها نحن أولاء نرى المناصب قد جذبت إلى حبها الناس شبابا وشيوخا وكهولا كما

تجذب قوة (المغناطيس) قطع الحديد بدون إرادة واختيار، وكل يدعى أنه أهل وغيره ضعيف، وكل يقذف صاحبه فى عرضه وكرامته وخلقه ودينه، ويرمى به من حائق فى سبيل شهوة الجاه والسلطان والمال، حتى لقد يخيل إلى من ينظر إلى تهافت الناس على المناصب وتنازعهم فى سبيل الحصول عليها أنه إذا أمكن أحدهم القضاء على منافسه لم يتأخر. وذلك واضح، فقد رأينا بعض الناس لا يبالي باتهام الصالحين الذين لا تحوم حولهم الريب بأقبح التهم كذبا من أجل المنصب، رأيناهم يسلطون أذنانهم وسفهاءهم على الخوض فى المصلحين العاملين على تهذيب الأخلاق وخدمة الدين لتوهم أنهم يحولون بينهم وبين المناصب، رأيناهم يتهمون الأئمة الذين لا هم لهم إلا الإصلاح الخلقى والدينى بما هم براء منه لتوهم أنهم من العوامل التى تحول بينهم وبين لذاتهم الفاسدة. ورأينا غير الأكفاء يبذلون الأموال والشفعاء ليظفروا بالمنصب ولا يبالون باتهام الأكفاء الأبرياء الغافلين بما لو ثبت عليهم لقضى على حياتهم قضاء مبرما. ورأينا الناس يصلون الى المناصب فيضعون أصابعهم فى آذانهم كى لا يستمعوا صيحات المظلومين، ولا يكون لهم هم إلا ملء بطونهم ويطون أهليهم وأقربائهم ومحسوبيهم. رأينا كل ذلك بأعيننا وسمعناه بأذاننا، فهل الذى يفعل ذلك مسلم يدين بالإسلام بعد ما قدمناه من هذه الأحاديث؟ اللهم كلا! فهذا هو الإسلام شاهد عليهم، وهذا هو رسول الله ﷺ حذرهم وبشرهم فقال: « لا يحل لأحد أن يأخذ منصبا وهو غير أهل له، ومن وصل

(١٠) أبو داود ٢٩٤٨، والبيهقى ١٠/١٠١.





فلا يهمل أمرا يرقى عقولهم وأخلاقهم، ولا يذخر وسعا فى الوسائل التى تحفظ عليهم أموالهم ودمائهم وأعراضهم، ويكون لهم مثلاً كاملاً فى معاملة بعضهم بعضاً بالعدل والإنصاف. فالإمام الأعظم العادل هو مصدر سعادة أمتة وهنائها.

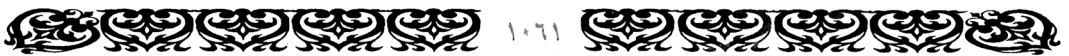
وأما عدل الولاة والحكام ومن يليهم من الرؤساء فإنه من أقوى الأركان التى تقوم عليها سعادة المرءوسين، ويستقر عليه الأمن والنظام. فإذا جار الحاكم وفشت المظالم بين الناس كان ذلك شراً ووبالاً عليه وعلى مرءوسيه، فإن المظلوم منهم يحقد عليه وعلى من حاباه فى سبيله، فتنتقطع بينهم روابط المودة، ويمعن كل منهما فى الإضرار بصاحبه، فضلاً عما يسرى لهم من خلق الظلم، فيتسلطون على خلق الله فيظلمونهم كما ظلمهم، وبذلك تسود الفوضى وتجب المظالم إلى الأقوياء، ويحل بالناس الشقاء وتنهار دعائم العمران. ويتبع ذلك عدل القضاة وعدل الشهود، فإذا جار القاضى ولم تقسط الشهود كان فى ذلك البلاء كل البلاء، فإن النظام العام يختل بعد ذلك كل الخلل، وتهدر الدماء والأموال والأعراض بدون أن يجد المظلوم ملجأ ينصفه. ولذا قال رسول الله ﷺ: «القضاة ثلاثة: واحد فى الجنة، واثان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار»^(١١). فالقاضى الممدوح فى نظر الدين هو الذى يعرف الحق ويقضى به. وذلك يحتاج إلى جهاد عظيم حتى يتنزه القاضى عن التحيز

الى منصب وهو له أهل فإنه يجب عليه أن يجرد نفسه من كل شهوة، وأن يعدل بين الناس بكل معنى العدل، بصرف النظر عن قريب وأجنبى وعدو وصديق، ومن حكم فعدل كان له عند الله أحسن المثوبة، ومن حكم وجار وفجر كان له عند الله أسوأ الجزاء، ومن عجز عن إقامة العدل وجب عليه أن يترك المنصب للقادر على العدل، وإلا غضب الله عليه، ولم يشفع له عجزه.

هذا هو الاسلام وهذه نصوصه الحكيمة تبين لنا قيمة المناصب، وتوضح لنا الغرض منها أوضح بيان فهى تحرم على غير الكفاء القادر أن يلى أمراً من الأمور وهو عاجز عن أدائه على الوجه الأكمل، وتوجب على القادرين أن يعدلوا فيما يسند إليهم من الأمور كما أمرهم الله ورسوله. وهذا المعنى كان له أعظم الأثر فى نفوس أسلافنا من أئمة الإسلام وعلمائه العاملين، فقد كانوا ينساقون إلى السجون من أجل أن يتقلدوا منصبا عاليا، فلا يرضون ويفضلون السجن والتعذيب على المنصب الذى يظنون أنهم لا يستطيعون القيام بحقه على الوجه الأكمل. والحق أنهم كانوا فى ذلك مثلاً أعلى لمن كان له قلب.

٥ - أما حقوق الإمارة فتؤخذ مما بيناه آنفاً. وأهم حقوق الرياسة إقامة العدل بين المرءوسين. فأما عدل الإمام الأعظم أو خليفة المسلمين فأهمه إسناد المناصب إلى مستحقيها، ورد المظالم إلى المظلومين من رعاياه، وتأديب الخارجين على القوانين الشرعية التى تنتظم صلاح المعاش والمعاد، ومراقبة رعيته بكل ما يستطيع من قوة،

(١١) أخرجه أبو داود وغيره.



فالغرض من الآية المبالغة في قول الحق بحيث لو فرض وشهد الإنسان على نفسه أو على ولده أو والده فإنه يجب عليه أن يقول الحق . وكان بعض السلف يرى جواز شهادة الوالد لولده وبالعكس عند صلاح الدين والأخلاق، عملاً بهذه الآية الكريمة . ومعنى قوله :

﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ ﴾ (١٣)

أن الشاهد ينبغي له أن يغض النظر عن كل اعتبار، فلا يتحيز لحصم أيا كان حاله، فلا تحمله العاطفة أو الرحمة أن يشهد لمصلحة أحد بغير حق، ولا تحمله القرابة أن يتحيز لأقربائه، فلا يراعى في هذا المقام إلا الله - عز وجل - الذي أمره أن لا ينثنى عن ذكر الحق قيد شعرة، والله أولى بالفقير منه . ومعنى قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَآعَةً لَّكُمْ خَيْرًا ۖ ﴾ (١٤)

إن تلوا أو ألسنتكم عن قول الحق فلا تنطقوا به، أو تعرضوا عن أداء الشهادة رأساً، فإن الله خبير بكم لا تخفى عليه خافية من أمركم فيجزئكم على ما فعلتم شر الجزاء في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . هذه صورة مصغرة لآداب الحكم في الإسلام، فالله المسئول أن يوفق المسلمين إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم، إنه سميع الدعاء،

والميل مع أقربائه وأصدقائه أو من تربطه بهم رابطة أو تجمعهم معهم جماعة، أو يكون له في الميل معهم غرض يناله من مال أو رقي، أو شهوة، فالقاضي لا ينجو إلا إذا كان بالنسبة للخصوم كالميزان المنضبط، فلا يميل مثقال ذرة إلى أحد منهم إلا بالحق . وما لا ريب فيه أن عمدة القاضي في معرفة الحق إنما هم الشهود، فإذا تحيز الشاهد أو شهد زوراً وضلل القاضي أو امتنع عن أداء الشهادة فقد احتمل كل هذه المسئولية، وكان من أشقى خلق الله وأتعسهم عند الله وعند الناس . . ويكفي في الحث على ذلك قوله تعالى :

﴿ يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ؕ أَوِ ٱلْوَالِدِينَ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾ (١٢)

ومعنى ﴿ قَوَّامِينَ ﴾ مواظبين على أداء العدل . ومعنى ﴿ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ ﴾ تشهدون بالحق ابتغاء مرضاة الله . وقوله :

﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ۖ ﴾ مبالغة في الحث على

أداء الشهادة، فكأنه يقول : ينبغي أن يقول الإنسان الحق ولو على نفسه التي بين جنبيه أو ولده الذي هو ألصق الناس به، لأن ما يقوله الإنسان على نفسه إقرار لاشهادة، إلا إذا أريد من الشهادة بيان الحق مطلقاً، ولكن الأول أوضح بدليل قوله : ﴿ أَوِ ٱلْوَالِدِينَ ﴾ الخ، فإن شهادة الوالد لا تصلح، وكذا شهادة الولد .



من نفحات الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامري

إن معنى النفحة كما أفهمها وكما أقصدها - أيضاً - هي ومضة نور وجرعة إمداد تبعث الحياة في موات النفوس فتشرق بالنور وبالعزم وتتطلع النفوس بها إلى منابع الضوء. وتمضي بالحياة صاعدة إلى القيم العليا على المستوى العام. ترفض الظلم والظفيان، جسورة غير هيابة.. وتأبى الزيف والنفاق واضحة جلية.

وعلى المستوى الشخصي تمتلك حزمة من ضوء النور الهادي مصداقاً لقول الله تعالى:

﴿يُؤْتِكُمْ كَافًلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ..وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ..﴾ (١) الآية.

لكنها مع ذلك قد تخطيء في دنيا الناس ولا تملك قسطاً منها كما يحبها أهلها لأنها لا تعنيها ولا تكثر لها ولكنها بما تمتلك من نور تتلذذ بالزهد وتقنات الورع.. وتموت ولا تشم رائحة حرام لأنها تعيش قول المصطفى ﷺ «كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به» (٢) وسيدنا أبوبكر الصديق كان يعيش هذا المعنى لما وضع أصبعه في حلقه يتقايأ لقمة وصلت جوفه يقول لها «لو لم تخرجي إلا بروحي لأخرجتك» (٣). والحرام ليس فقط أن تضع يدك في جيب الناس بل أن تتحال فيقدم لك الناس ما في جيوبهم وربما احتلت بالدين ويا سوء ما فعلت.

نفحة ربانية سبقها الاحتراق.. وعاناه المصطفى ﷺ الكامل المكمل ولم تكن هذه المعاناة ضرورة استحقاق لرسول الله ﷺ وإنما هي لأتمته حتى تجد في طلب الارتقاء النفسي والقيمي ولنا في رسول

والنفحة لحظة ميلاد، لحظة إشراق وأروع ما في الكون إشراق الميلاد وميلاد الإشراق ودائماً ما يكتنف الميلاد ويسبقه آلام مخاض وحتى ينبثق الضوء لأبد من وهج احتراق، والإسراء والمعراج

(٢) الإصابة.

(٣) سيرة أبوبكر الصديق.

(١) سورة الحديد (٢٨).



إلى الطائف يفتح للدعوة أفقاً ولنفسه متنفساً فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار وبالسوء استقبال أهل الطائف له ﷺ وبرغم ما كان فيه من الألم . وكما يقولون : إن المحن تلد المنح مادام قلب الإنسان عامراً باليقين فما بالك بقلب سيد المرسلين ﷺ وبعد ما لا قاه المصطفى ﷺ من أهل الطائف من سخرية وعنف، وعزالنصير والمعين وكأن الأرض أجديت ممن يؤمن بالله وكأن الرحمة قد انتزعت حتى من البطحاء .

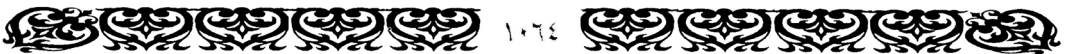
وهنا خرجت كلمات « رسول الله ﷺ من فمه الطاهر تهز أركان السماء هزاً بل تهز الكون كله ففيها صدق اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه وحده فلم تعد في الأرض قوة تركز الدعوة إليها لتعيش في كنفها وتقطعت أسباب الأرض كلها ولم تبقى إلا أسباب السماء قال رسول الله ﷺ اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس اللهم رب المستضعفين أنت ربي إلى من تكلني إلى قريب ملكته أمري أم إلى بعيد يتجهمني إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي .. على تعدد الروايات في ألفاظ الدعاء فينزل جبريل الأمين يقول له إن ربك يقول « لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت » هذا جزاء ما اقترفوا وذلك هو العدل . لكن قلب رسول الله ﷺ الذي يفيض رحمة والرحمة فوق العدل فيقول أسأل الله أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله و يوحد^(٥) قبل هذا الموقف العظيم كانت المساومة الدنيئة من المشركين في مكة يوم أن عرضوا على رسول الله ﷺ عن طريق عمه أبي

الله ﷺ أسوة حسنة فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، فقبل الإسراء والمعراج رزء رسول الله ﷺ بوفاة اثنين كانا من أحب الناس إليه وأقربهم إلى قلبه وأكثرهم عوناً على الدعوة وأشدّهم في الدفاع عنه وهما : زوجه البارة والوفية المؤنسة الحبيبة إلى قلبه خديجة بنت خويلد حتى كانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - تغار عليه ﷺ من شدة حبه وإعزازها لها حتى بعد مماتها، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت : « هل كانت إلا عجزاً قد أبدلك الله خيراً منها » فغضب ثم قال : « لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبنى الناس وواستني بمالها إذ حرمنى الناس ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء » قالت عائشة فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسبة أبداً^(٤) هذه السيدة الوفية الزوجة الحبيبة التي لم يحتمل فيها كلمات ضرة . ولن نستطيع أن نعبر عن مدى إعزازها في قلبه ﷺ . ولا عن مكانها ومكانتها في قلبه ﷺ لن نستطيع أن نعبر عن ذلك بأبلغ من كلماته ﷺ حين قال آمنت إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبنى الناس وواستني بمالها إذ حرمنى الناس .

وكما رزء بوفاة الزوجة في العام نفسه رزء بوفاة عمه أبي طالب ذلك النصير والمعين الحامي والمدافع فأصبح البيت خاوياً ومكة خاوية وأصبح الهجير في بطاح مكة كما هو في صحن الدار وتضيق مكة فلا يمكن بها قرار ويهرع النبي ﷺ

(٥) اتحاف السادة المتقين ١٠/٤٣.

(٤) سيرة ابن هشام.





دينى بالدنيا . فلا تتحدث لأناس انقطعوا عن الحياة أو بتعبير أدق من يعيشون بشخصيتين واحدة للدين والتاريخ وأخرى للدنيا ومباهجها .

قلت لصاحبى والبهجة تملأ جوانحى أعزك الله وبارك فيك هذا هو منهجى فى الحياة وفى الدعوة وهذا هو فهمى للإسلام، قاطعنى صاحبى قائلاً : مهلاً : أريد توضيحاً لما تقول، ما معنى منهجك فى الحياة وفى الدعوة وفهمك للإسلام؟

قلت : الأمر أبسط مما تتوهم يا صاحبى . أما عن أنه منهجى فى الحياة فذلك أننى أؤمن بأن الدين جاء ليقيم أعوجاج الحياة إذا جنحت بها سفينة الشهوات والاستبداد فعلياً أن نقوم الحياة حتى توافق الدين ولا نلوى الدين حتى يتوافق مع دنيا الناس . أما عن منهجى فى الدعوة فلا أدعو إلى الإغراق والتشدد فى طلب الدين من الناس لكن أن نبين لهم الحد الوسط فذلك لازم وضرورى . كل هذا يشكل فهمى للإسلام وفى ذات الوقت استطيع أن أقول إنه نابع من فهمى للإسلام، فالإسلام منهج غض طرى سلس ليس فيه رعونة ولا تشدد ولا تسبب ولا إفراط إنه اعتدال قوم . ومن منطلق مبادئ الإسلام الرشيدة التى تؤسس اللبنة الصالحة أولاً . أى الإنسان المستقيم فإنه هو قوام الحياة المستقيمة والمجتمع المستقيم النظيف وبه يكون النصر والسيادة الحقيقية ومن هذا المنطلق وانسياقاً مع هذا الفهم فإن الذى يزعجنى ويؤرقنى فساد اللبنة - فساد الداخل - ولا أنزعج أبداً لأى هجوم خارجى مهما عظم .

قال صاحبى : عجباً لك كلما اقتربت من التآلف مع أفكارك وفهمك أراك توشك أن تبهر عنى بعيداً لا أقول فى أعماق خطرة

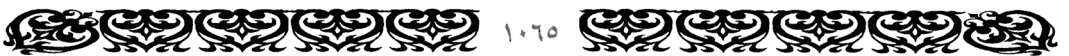
طالب أن يترك الدعوة ويعطوه ما يشاء من مال أو ملك أو رياسة . إلخ . لكنه أبى لأن المبادئ لا تقبل المساومة .

هل فى هذا الدرس الأخلاقى نفحة من نفحات الإسراء؟ تدفعنا نلجأ إلى الله تعالى أن يرفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم .

قال صاحبى فى ضجر غير خاف وتهكم ممزوج بشماتة : مالك ما الذى دهاك؟ لم تقدم الإسراء قصة نرتاح لها ولم تمنحنا شيئاً من نفحات لوحث بها فى صدر مقالك؟ . قلت فى ضيق مكتوم . أعجب لأمة منهزمة جعلت من مواقف دينها قصصاً تريد أن ترتاح إليه وبه؟ ما الذى أضناها حتى تطلب الراحة . وما الذى قدمته حتى تطلب ما تأخذه؟ بل وما الذى أرهقها حتى لم تعد تفرق بين الجد والهزل بين الضرورى والثانوى؟ هل كنت تتوقع منى أن أجعل نفحات الإسراء خبزاً يطعم الكسالى أو وسائل يرتاح إليها المتخمون؟ إن النفحات وهج صدق تولد من معاناة حقيقية وثبات على المبدأ عايشها نبلاء لا يعرفون خيانة الوطن ولا بيعه للأجنىب والاتجار فى وحدته وتماسكه، ولا بسرقة واختلاس قوت الفقراء الكادحين من أبنائه . أقول هذا بمناسبة هجمة الجراد البشرى الذى يأكل الأخضر واليابس فى شتى مواقع مصر حتى كاد الأمل يتسرب من نفوسنا ويتسلل إليها اليأس والإحباط .

قال صاحبى فى دهشة هى أقرب إلى طلب الاستزادة من الحوار منها إلى رفضه تنم عن بداية استيعاب للموضوع .

قال : يعجبنى فى منهجك أنك تربط ما هو



فيستجاب له وليس ذلك وليد رهبة وانقطاع إنه معاشة نظيفة في مجتمع نظيف، إن الذي يؤلمني تفشى الأمراض في المجتمع المسلم ولا يزعجني تكالب الأعداء من الخارج ذلك أن عوامل النصر في الإسلام تختلف عنها عند غير المسلمين حيث إن صلة المسلم بربه هي أساس النصر فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (٥) وقوم تفشى فيهم النفاق والكذب والسرقة والاختلاس لا يمكن أن يكونوا ممن ينصرون الله. فهي معادلة لا بد من تحقق الطرف الأول حتى يتحقق الطرف الآخر.

ويقول الرسول ﷺ إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم (٦) هذه مفاهيم لا يعيها الغرب كله ولا يمكن أن يستوعبها ضميره القلق ونفسيته الخبيثة حيث دور المسنين والرفق بالحيوان.. لافتات زائفة يخدع بها سذج المترفين المغرمين بالفكر الغربي والنموذج الغربي.

لذا قلت لصاحبي أنا لا أخاف جبروت أمريكا وطغيانها شريطة أن نكون نحن صالحين.. لأن الله سبحانه الذي نؤمن به تكفل بالظالمين يقول النبي ﷺ إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته (٧) لكن لا بد من مجتمع مسلم صالح فعلاً لا قولاً وادعاءً.

تلك هي نفحة الإسراء التي نطلبها في ذكرى الإسراء المباركة ولنا حديث آخر إن شاء الله.

ولكنها بعيدة وعميقة قلت: زعكا الله لا تخش شيئاً يا صاحبي فالله معنا.. ما دمتنا صادقين جادين وعلينا أن نسعى أريد أن أقول إن المسلم فرداً وأمة لا بد أن تكون صلته بالله قوية عامرة.. المسلم لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا الدنس يموت ولا يسرق ولا يتاجر بدينه أو عرضه يهرب من الخنا كما يهرب السليم من الأجر ولا يرضى بأى من ذلك. وما دام كذلك فتصبح علاقته بالله قوية فكان الله سمعه وبصره ورجله ويده التي يبسط بها. فالمسلم راهب بالليل عامل بالنهار يبتغي فضل الله، فالمسلم لا يعرف ما يسمونه أزمة اقتصادية مثلاً قد تحصل ندرة في القوت، لكن ذلك لا يشكل ما يسميه الناس أزمة، وعلاج الندرة في المجتمع المسلم الإيثار والعطاء ممن يملك لوجه الله. «من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له».

● فأنا لست منزعاً لأن أمريكا تمنع المعونة بل ولماذا تقدمها أصلاً

فهل وصلت إلى درجة السخاء.. أبداً إنها تشتري مصالحها الخاصة.

إن الذي يزعجني أن يقبل إنسان مسلم هذا الصغار الحقير. قلت لصاحبي أحس كائن قد أطلت عليك لكنني أقول لك إن النفحة التي نرجوها في ذكرى الإسراء والمعراج. فمُ طاهر يدعو

(٧) اتحاف السادة المتقين ٩٤/٦.

(٦) سورة محمد (٧).

(٨) البخاري ٩٤/٦.

زيارة.. الى بيت النبوة

مواقف
إسلامية

للمستاذ الدكتور / محمود عمارة

يقولون: حتى ينجح مشروع ما.. لابد لنجاحه من توافر أمرين:

١- تحديد الهدف. ٢- ثم توفر الوسائل المحققة له.

والزواج.. لا يخرج عن هذه القاعدة.

ولكن بعض الناس يعرفون الهدف.. بيد أنهم لا يملكون وسائل تحقيقه.. أو يملكون.. لكنهم لا يحسنون الأداء..

وبعضهم لديه من الوسائل ما يكفي.. لكن الهدف غائم عائم في أذهانهم.. ومن ثم يتخبطون.. ثم لا يصلون..

وقد حدد الإسلام هدف الزواج وهو: السكن ثم كشف النقاب عن الأسباب الحاملة إليه.. مركزاً على عنصر

التدين الواصل بالزوجين إلى هذا السكن المنشود منكمراً حصراً لهم في ذات المال أو الجمال.. رقيقة الدين..

هذا التدين الذي كشف المجريون اليوم صدقه وتفرد به تحقيق السلام النفسى بين

الزوجين.

ثم يواصل الأديب حديثه موضحاً كيف ينحدر

الجمال الصارخ بها وبالأسرة كلها إلى الهاوية:

.. إنها دائمة النظر إلى نفسها.. رغبة في نظر

الناس إليها لا كما هي على طبيعتها.. وإنما طبق

ما يتصورها الآخرون.. وإذا تزوجت فسوف

يتقدم لها الشاب الوسيم مثلها أو الغنى وسوف

يكون الاثنان معا متنافسين في جذب الناس

وتتكاثر حولها وتتكاثر حوله العيون.. ويبدأ

الخلاف ويبدأ السباق على نهاية الحياة الزوجية..

يقول أحد الأدباء: فالبيت الجميلة يعاملونها منذ

طفولتها معاملة خاصة وهذه المعاملة الخاصة تؤكد

لها أنها غير الناس وهذا الإعجاب المستمر بها.. يعزلها

عن الناس.. وفي الوقت نفسه يدعو الناس إلى الإقبال

عليها والدوران حولها، وهذا الزحام حولها.. يهدد

أمنها وحريتها، فهي لاتستمتع بحرية الفتيات اللاتي

هن دونها في الجمال.

ثم إن هذا الجمال يفرض عليها أسلوباً في الزي

والكلام.. ويقف بها أمام المرأة طويلاً.



تصبح هما بالليل وذلا بالنهار .. إن بعض الآباء - مدفوعا بغريزة حب الظهور - يكلف الفتى من أمره عسرا .. وما يراه العقلاء من الكماليات .. يظنه هو فى طليعة الضروريات !
ويحس الفتى بالتمزق : فهو واقع تحت ضغط نفسى .. ولا بد من تلافيه بتلبية حاجات من يحب !

ثم هو واقع ثانيا تحت ضغط مجتمع لا يرحم .. لأن المقياس فى يده يجعل عنصر الأخلاق فى مرتبة تالية .. وأهم من الأخلاق : كم قدم من الأطباق ؟!

ونحن مدعوون إلى رحلة نزور فيها بيت النبى ﷺ .. وكيف كان جهاز « فاطمة » الزهراء ؟
روى جابر - رضى الله عنه - قال :
حضرنا عرس على وفاطمة فما رأينا عرسا كان أحسن منه :
حشونا الفراش : الليف .

وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها : إهاب كبش^(١) بل إن العروس نفسه - وهو على رضى الله عنه - يذكر ذلك على الملأ .. وبلا حرج قال :

جهز رسول الله فاطمة فى خميل وقربة ووسادة فى حشوها إذخر^(٢) .

ومن مجموع الرويات يتلخص لك حجم الأثاث .. أثاث الماجدة « فاطمة » بنت رسول الله ﷺ .. أحب أولاده إليه :

وأوضح صورة لذلك نجوم السينما وفشل حياتهم الزوجية ، ففي الأفلام يلتقى اثنان ، أحدهما جميل أو الاثنان معا ويخرجان من قصة الحب فى الفيلم إلى حب حقيقى وزواج وبعد الزواج يكتشف الاثنان أن الذى بينهما ليس حبا وإنما هى معايشة فنية أفضت إلى زواج وأنهما (اندمجا) فى التمثيل ولكن أحداً منهما لم يحب الآخر .. وفى الصحف والمجلات العالمية عشرات من قصص الطلاق والفشل فى الحب بين جميلات الشاشة ، والسبب أن الجمال كان جنانية عليها ، فقد حشرن فى سجن ذهبي ضيق .. وأدى السجن إلى خنقها إلا إذا حطمت السجن وتحررت لتدخل فى سجن آخر .. بينما الفتاة التى ليست جميلة جدا أحسن حظا .. لأنها تحاول طول الوقت أن تكون جميلة ، وتحاول أيضا أن تبذل جهداً فى إقناع الطرف الآخر بأنها جميلة عاقلة وست بيت وأم ، بينما الجميلة جدا لا تحاول ، وإنما تنتظر دائما ولكن السعادة لا تجيء وحدها وإنما يجب أن تذهب إليها وتفرش لها الطريق بالعقل والصبر .

وفى هذه الصفحات التالية .. دعوة إلى عودة راشدة إلى ماضينا المجيد .. ونحن واجدون فيه من القيم ما نعدل به مسير حياتنا .. وبخاصة عبر هذه المواقف .. فى دوحه النبوة .. ومن بيت الزهراء - رضى الله عنها - تذكرة لأولى الألباب .

الشقاء بالثمن والسعادة بالمجان !

من أسباب سعادة الأسرة تلك البساطة فى تأثيث البيت والتى لا ترهق الزوج بالديون التى

(٢) الخميل: قطيفة لها أهداب. والإنخر: نبات طيب الرائحة.

(١) رواه البزار.





١- خميلة .
٢- وسادة حشوها إذخر .
٣- رحاء آن وسقآن .
٤- قليل من الطيب .
٥- فراش هو : إهاب كبش حشوه ليف !
من الكماليات إلى الكمال

وعلى - رضى الله عنه - وهو العروس -
يتحدث راضيا عما جهز به الرسول ابنته ..
متحررا من ضغط النفس فهو يتزوج الكمال ..
ولا تعنيه الكماليات .. ومتحررا كذلك من ضغط
مجتمع لا يلاحق بالنقد هذا الأثاث البسيط ..
بل إنه بدل الكلام والملام يتنادى أفراده ليكونوا
جميعا خدماً له فى ذلك اليوم .. يعدون له غرفة
النوم ..

وتأمل ذلك الحس الجمالى .. حين يختارون أن
يكون الإذخر حشو الوسادة .. بالذات .. ليكون
ريحها الطيب روح النفس وريحانها !
وليكن « السرير » بعد ذلك إهاب كبش أو
إهاب غزال .. فيكفى من نساء العالمين زوجة
واحدة .. تملأ على الفتى حياته وتجعل من بيته
جنة وارفة الظلال .

وبينما طلاب الدنيا يتلاومون .. بل قد ينفض
سامرهم عن الفراق .. إذا بطلاب الآخرة
سعداء .. يتمتعون بقيمة البساطة بعيدا عن
التعقيد .. إنهم يعيشون فى صميم الدنيا .. لكن
همتهم معلقة بالآخرة .. فاستمتعوا بالدنيا ..
وبالآخرة معا !

وهكذا تفرق المبادئ بين الناس : فمنهم
شقى .. وسعيد .. إن صاحب الحق .. يستعصى

ويتم السرور بلقاء الصاحبين على نفس
البساطة بجمالها وجلالها .. قال محمد بن
سيرين : تزوجت امرأة من بنى تميم فلما كانت
ليلة البناء - الزفاف - دخلت عليها فإذا هى
جالسة على باب خدرها فأهويت إليها بيدي
فقالت : مهلا على رسلك فحمدت الله وأثنت
عليه ثم قالت : إن الله - عزوجل - يضع العلم
حيث يشاء وأنه بلغنى أن الرجل إذا دخل بيته
يؤمر أن يصلى ركعتين وتصلى المرأة خلفه .. فإذا
فرغ قال : اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لأهلى
فى .. اللهم ارزقنى منهم وارزقهم منى .. اللهم
ارزقنى ألفتهم ومودتهم وارزقهم ألفتى ومودتى
وحب بعضنا إلى بعض .

قال ابن سيرين : فقلت ففعلت ذلك .. فلما
فرغت أهويت إليها فقالت : مهلا على رسلك ،





وما أسعد والد الزوجة هنا بزواج ابنته .. والذي أحبه حبا ملك عليه أقطار نفسه .. ثم راح يتلمس مظاهر هذا الحب عنده ليطمئن قلبه ..

وجاء الجواب الجامع المانع: فهي أحب إليه .. لأنها قطعة من أبيها .. وهو - لأنه حاميتها - أعز عليه .

وعلى - رضى الله عنه - يحبه ﷺ .. صادرا فى هذا الحب عن روافد تصب فيه: فهو ابن عمه .. أولا .

ثم إنه تربى فى حجره منذ نعومة أظفاره .. وهو الذى قدم إليه هدية عزيزة عليه .. أثيرة لديه هى فاطمة الزهراء ..

ثم هو فوق هذا رسول الله ﷺ والذي هو أحب إليه من نفسه .. ومن الناس أجمعين .

ولاشك أن الزوجة سعيدة بأبيها .. وبزوجها: ذلك الفارس رب السيف .. والقلم والذي نشأ فى الإسلام صغيرا ..

الرجل الذى ولد رجلا بلا طفولة .. حيث لم يترك له الإحساس بالمسؤولية وقتا يلهو فيه كما يلهو الصبيان .

ومن شأن هذا الحب العميق المتبادل أن يصمد أمام الأحداث الطارئة .. والأحداث الطارئة قدر الأسرة .. كل أسرة .. ولكن المهم: كيف نتصرف؟ ما هو موقف أهل الزوجة إذا ما تأزمت الأمور؟ لقد كان على - رضى الله عنه - عاملا آملا .. يأكل من عمل يده وكانت فاطمة - رضى الله عنها - تنهض بعبء العمل فى البيت .. ولكن هموم البيت كانت فوق طاقتها . فماذا تفعل .. وما هو موقف أبيها من هذه المشكلة بما

إن الرجل إذا أراد غشيان أهله أن يدعو قبل ذلك فيقول: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا ولا تجعل له فينا نصيبا .

قال ابن سيرين: ففعلت ذلك

فلم أزل أعرف بعد ذلك: الألفة واللفظ والخير .

ويشرق الصباح فى البيت على رزق ساقه الله إلى هذا البيت فى شخص عروس تملك من قوة الإرادة ما تستعلى به على أحداث الزمان وما تنضم به إلى ركب الأسرة التى صارت عضوا فيها .. لا حربا عليها وفى الوقت الذى تصرخ فيه الشهوة طالبة الإشباع .. تسكتها الحكمة البالغة على لسان زوجة صالحة مصلحة .. وملكة غير متوجة: رب مستور سبته شهوة فعرى عن ستره وانتهك صاحب الشهوة عبد .. فإذا ملك الشهوة أضحى ملكا .

أسوة فى التعامل مع أصهارنا

وحين يترنح السفين فوق الأمواج الغاضبة .. فقد يحلو للزوج أن ينتصر على أهل زوجته فى معركة تنتهى حتما بهزيمة الفريقين! .. فإذا تحققت أمنيته .. فتلك سعادته .

ولكن عليا - رضى الله عنه - كان همه الأكبر أن يفوز بحب والد زوجته ﷺ وأن يتحسس مشاعره ليعرف أين هو من قلبه الكبير، قال للرسول ﷺ يوما: أيهما أحب إليك يا رسول الله: على؟ أم فاطمة؟

فقال ﷺ: «فاطمة: أحب إلى منك . وأنت أعز على منها» .





يصبح مقياسا.. نقيس عليه اليوم حياتنا في علاقتنا بأصهارنا؟

روى البخارى: أن فاطمة شكت إلى رسول الله ﷺ ما تلقى في يدها من أثر الرحي فأنت النبي ﷺ تسأله خادما.. فلم تجده.

فذكرت ذلك لعائشة - رضى الله عنها - فلما جاء أخبرته.. قالت فاطمة: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا.. فذهبت أقوم فقال: مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه في صدري فقال: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟

إذا آويتما إلى فراشكما وأخذتما مضاجعكما: فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم» ثم قالت: رضيت عن الله - عزوجل - ورضيت عن رسول الله ﷺ.

وهكذا يمتص والد الزوجة فورة الغضب.. ويعود بالنفوس إلى أمنها وسلامها.. والذي بدا على لسان الزهراء التي قنعت بما رزقت.. راضية بحكم الله - تعالى - ورسوله ﷺ.

من دروس الموقف

إن بعض «الحموات» لهن إلحاح فى إرهاب الزوج بما لا تسمح به ميزانيته.. ثم يكون الشقاق الذى لا ينجو من آثاره أحد من الطرفين.. ولكن فى بيت النبوة.. ومع أن القضية خطيرة فيما بدا من آثار العمل فى يدى الزهراء - رضى الله عنها - إلا أن ذلك لم يشكل عقدة يتعقد بها الموقف.. ولم يتخذ الزوج ذريعة لافتعال معركة ساخنة أو باردة..

وها هو ذا والد الزوجة ينتقل.. وينفسه.. ليقف معهما فى محنتهما.. جاعلا من الثقة بالله بديلا هو أغلى من كل ما فى البيت.. عن طريق الدعاء الذى تعلماه.

وتستجيب الزوجة لأمر الله - تعالى - ثم تواصل معاناتها خدمة لزوجها.. مع أنها ابنة رسول الله ﷺ.. لقد كان زوجها أول من قدم بين يدى نجواه صدقة وها هى ذى فاطمة أول من تتنازل عن حقها.. لتبقى المبادئ فوق المنافع وتبقى صورة أقارب الحاكم الذين يعطون.. ولا يأخذون.

وإذا كانوا يقولون: الزوجة الحمقاء تزيد المشكلات.. والزوجة العاقلة تخفف من حدتها.. والزوجة الجميلة تخلقها.. فإن الزوجة المؤمنة تحل المشكلات.. وكذلك كانت الزهراء - رضى الله عنها -

المثل الأعلى

لقد ضاقت يد الزوج عن تدبير خادم يخفف من عناء زوجته.. فلم يجد أمامه إلا والد الزوجة.. ويعنى ذلك أن الوالد هو موثله بعد الله - تعالى - هذا الوالد الذى لم يتخل عن مسئوليته تجاه ابنته بعدما سلمها لزوجها ولم يلجئهما إلى جار أو زميل يبيع فيهما ويشترى وهو التجاء محسوب لعلى - رضى الله عنه - أن حصر المشكلة ولم يوسع مداها باللجوء إلى الآخرين.. أو الشكوى إليهم.. أما عن فاطمة - رضى الله عنها - فهى على أى حال: امرأة وزوجة.



الوقت ببرد الرضا خلف ضلوعها.. ولقد رضى معها الزوج بل قبلها.. بما قسم الله - تعالى - ورضى به رسوله الحاكم.. الحكيم.

إنه الحاكم الحكيم.. وليس المتحكم!

لقد ضاقت موارد الدولة عن تدبير خادم لابنته.. فلم يوقع قرارا استثنائيا بتدبير خادم لا تسمح به خطة الميزانية.. ومن ناحية أخرى.. ولما يعلمه من فقر الزوج.. فإنه لم يرهقه من أمره عسرا فيكلفه أن يدبر هو خادما.. وإنما شدد على ابنته لتواصل جهادها فى خدمة بعلها وأولادها.

وبعض الناس اليوم يكلفون الزوج أن يقتنى سيارة.. استجابة لدلال بنت يدمى أصابعها لمس الحرير! ثم يتعقد الموقف حين يعجز الزوج المسكين عن تحقيق الأمل المستحيل.. ثم تكون المعارك التى تأكل الأخضر واليابس.. ومن معانى موقفة ﷺ:

أن البنت إذا تزوجت.. فليس معنى ذلك انفصالها عن الأسرة.. بل ما تزال جزءا منها.. وفى السويداء من قبلها.. تراعيها وتتابع حياتها.. وإذا كان هناك ولابد من انحياز فهو الانحياز إلى الزوج الذى سوف يرد الجميل إلى أهلها.. تقديرا لابنتهم.. وعونا لها على وعثاء الطريق.

السلام يرفرف على البيت

ولقد كان من الممكن أن تقوم معركة بين الزوج والزوجة هنا بسبب تفضيل أهل الصفة على فاطمة.. وما أدراك ما فاطمة؟؟

إن لها فى خدمة الدعوة قدم صدق، لقد كان لها فى المعارك العسكرية دور مرموق، تضمد الجراح وتسقى المحتضرين.. ثم إنها فلذة كبده

ولكن فاطمة - رضى الله عنها - رضيت بحياة التقشف عائدة إليها بعدما اعتذر والدها.. مع أنها كانت تطلب حقها الشرعى.

الزوج.. يشفق على زوجته

تقول الروايات الأخرى ما ملخصه: إن عليا - رضى الله عنه - اشفق عليها من إرهاق العمل: فأشار عليها أن تذهب إلى أبيها تطلب خادما.. وكان ذلك فى التوقيت المناسب:

وذلك حين علم أنه ﷺ عاد من إحدى الغزوات بغنائم وسبايا.

ولقد ذهبت فعلا.. ولكن الحياء عقد لسانها.. فاستحيت أن تسأل الرسول ﷺ. وفى المرة الثانية صحبها زوجها - رضى الله عنه - ثم ناب عنها فى الطلب.

الوالد يعتذر

ولقد أحس ﷺ بمشاعر الأبوة تجاه أعز أولاده لديه.. ولكن مشاعره الخاصة تصطدم بالمصلحة العامة.. ولم يتردد فى الانحياز إلى ما تلميه مصلحة الأمة.. ولو أغضب ذلك أحب أولاده إليه.. فقال معتذرا قاطعا أملهما فى الخادم بالقسم:

« لا والله - أنا لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم »

لكنه لم يكن ذلك الحاكم الذى يطبق الشرع نصوصا فقط وإنما كان قبل ذلك إنسانا تعمر قلبه أرق مشاعر الإنسان.. وذلك عندما خف إليهما مسرعا.. ثم كانت هذه الجلسة الوداعة والزوجان من حوله راقيدين.. ولم تحس الزهراء فقط ببرد قدمه الشريفة فى صدرها.. بل أحست فى نفس



وأهم من تنسيق الفراش؟ إن وظيفتها الأولى هي: توثيق الصلة بربها - عزوجل - أولاً، حتى إذا ذكرته في الرخاء كان معها في الشدة.

ومن ذكر الله - تعالى - ذكر «عياله» وحقوقهم عليها.. ومن هؤلاء «العيال» أو «الرجال».. زوجها الذى يجب أن توثق صلته.. بأهله.. وأهلها.. وعدم إرهاقه بالمطالب والزهرء هنا.. والدها ﷺ كانا معا عوناً للزوج على تجاوز الموقف المحرج، ولم يكونا عوناً للمحرج عليه وحتى لا يموت الزوج موتاً بطيئاً.. يموت به خلق كثير فى طليعتهم: الزوجة والأولاد.. فإن فعلت الزوجة ذلك.. كان أمرها وأمر بيتها على ما يقول الشاعر:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلى من نقر الدفوف
وأكل كسيرة فى كسر بيتى
أحب إلى من أكل الرغيف

وقد حفل تاريخنا العظيم بزوجات كن على هذا المستوى: أوفياء للميثاق الغليظ الذى لا ينقض غزله من بعد قوة أبدا.. ثم للأولاد الذين يشاهدون.. فيتأثرون وكان هذا الود الذى قيل فيه:

أغيب عنك بود لا يغيره
نأى الخل.. ولا صرف من الزمن
تعتل بالشغل عنا.. لا تكلمنا
الشغل للقلب.. ليس الشغل للبدن.

مفارقات عجيبة

إن المرأة العصرية اليوم.. تطالب بحقوقها فى العمل.. وبإلحاح وفى الوقت تطلب خادماً..

الباقية.. بعد موت أولاده جميعاً، وكانت مع ذلك أشبه بأبيها سمناً وهدياً.. وهى التى قال لها: [وإنك أول أهلى لحوقاً بى].

ومع هذا.. فقد كان الحق أولى.. ومن بركة هذا الحق.. ذلك السلام الذى عم أرجاء البيت.. وذلك الود السابغ الذى ألقاه على قلبيهما.. ثم خلفهما من ورائه فى سجوة الليل فى وثام وسلام.

دور زوجة الأب

ولاحظ ان فاطمة - رضى الله عنها - ذهبت أولاً لطلب الخادم ثم عقد الحياء لسانها.. ومع ذلك فقد تركت لأبيها ﷺ رسالة ضمنيتها أمنيته.. والغريب أنها حملت الرسالة.. أم المؤمنين عائشة وأنا أتصور الآن ما كان يحدث من بعض زوجات الأب لو أن ابنة زوجها تطلب شيئاً ما.. والقارىء العزيز يتصور ذلك ولكن عائشة - رضى الله عنها - تبلغ الرسالة بأمانة.. مؤكدة أنها أم المؤمنين ويجب أن يكون قلبها من الاتساع بحيث يستوعب آمال المؤمنين.. والمؤمنات..

ثم إنها تحب زوجها ﷺ.. ومن حبها له أن تحب من يحبه هو..

وفى عالمنا اليوم حب مغشوش.. حب مقصوص الجناح ذلك الذى يدعيه بعضنا حين يقول: إنه يحبك.. لكنه فى نفس الوقت يكره من يحبك؟ شاهداً على نفسه بالنفاق!!

وظيفة الزوجة

والحديث الشريف دعوة إلى كل زوجة أن تلتزم بأداء وظيفتها التى هى أوسع من «المطبخ»





جمع الأموال التي يشتري بها أهل الميت وأصدقائه طاقات الزهور التي تحمل مع الجنازة ثم توضع على القبر ثم إنفاقها في بناء مساكن صحية للعمال والفقراء.. وقد شيدوا في مدة قصيرة ألف مسكن!! لماذا نستمسك بما لا يعود بعائدة.. ولا يحقق فائدة.. في الأفراح.. والأتراح: هل تذهب بهجة العيد لو اتفقنا في تحيته على كوب من عصير الليمون؟ وهل تذهب بهجة العرس إذا لم يكن ثوب الزفاف بألف؟ ثم هل يمنع الميت من دخول الجنة لو مضى إلى ربه بلا باقات من الزهور؟ اللهم أعط المخلصين من الفقراء.. قدرة.. وأعط القادرين إخلاصا.. لتجتمع همة الواجدين والفاقدين على البر والتقوى:

نحن يا رب من ضعف من ضعف التقى وفجور القوى!

ولنبداً بالعيد مرحلة جديدة نسعد بها الفقراء.. الذين يزرعون لنا القمح.. ولا يجدون حتى الشعير.. ويبنون لنا القصور ولا يجدون حتى الأكواخ!

وللأسف: بقى الأمر كما هو: تبدلت الوجوه.. وبقى العمل المشبوه! الأسلوب واحد.. والسياسة واحدة يتبدل الوزن ويبقى الميزان.. والميزان مختل والقب مائل.. والصناعات ضائعات.

الأبوة الحازمة

وهكذا كان ﷺ - رءوفاً رحيماً بابنته فاطمة.. وزوجها الفارس «علي» رضي الله عنهما. ولكنه ﷺ حين علم بعزم علي أن يتزوج بنت أبي جهل تغير كل شيء إنه لم

وبالحاح أيضاً! ولو أنها فضلت البيت وآثرت عمارته.. على العمل خارجه.. لاستغنت عن كائن غريب يشكل حارساً مقيماً في البيت: يرى ويسمع ما ينبغي أن يكون سرا! ويمكن بهذه القناعة - أن تخلى مكانها في الديوان لشاب يعول أسرة.. لتسهم بذلك في التخفيف من مشكلة البطالة.. ومن الناحية الأخلاقية: فقد تسد باباً إلى الفتنة.. فيحدث من الفساد ما لا يعوضه عملها.. العمر كله! ولكنه التقليد والتكرار لماضينا التقليد: ولا بأس من التقليد ما دام مفيداً.. يضيف إلينا جديداً.. مع بقاء الشخصية مستقلة! وتاريخنا شاهد بأنه في أول العهد العباسي أخذ آباؤنا كل نافع من بلاد فارس.. لكنهم لم يصيروا بهذا التقليد فرساً! بل إنهم قلدوهم.. وفي نفس الوقت فرضوا عليهم هيبتهم.. فجعلوا من الفرس عرباً!!

وما زال هذا المشهد في خيالي:

زوجة عاملة.. تخوض كل يوم معركة المواصلات ذاهبة آتية من أجل مبلغ زهيد.. وكانت مشكلة وحل المشكلة هنا هو أن يكف زوجها عن التدخين ليريح زوجته.. ويريح أعصابه.. ثم يحتفظ بعافيته التي تتسرب مع كل نفس يبثه في الهواء!

يقول الشيخ على الطنطاوي:

نقلد الأجانب.. فنأخذ السم.. ونذع الترياق!!

في السويد جمعية «أمناء الأزهار» عملها هو





وما أكثر الحراس على السنن القولية ..
بينما رصيدهم صفر من السنن العملية ..
وفى مقدمتها التضحية من أجل أن نسعد
أولادنا ..

وإذا كنا نجأر اليوم بالشكوى .. ثم نسكب
الدمع المسفوح حزنا على ضياع آمالنا فيمن
صاهرنا .. فلنعلم أننا ما حصدنا إلا ما زرعنا :
نفتش عن ينابيع المياه .. ومن حولنا
الجفاف والعطش .

ندعى التفاؤل بينما يحاصرنا الإحباط ،
نشير بالاطمئنان .. والقلق يفترسنا ليل نهار ،
نطلب الحب .. وليس هناك سوى الأشواك
وأسلاك الكراهية ..

.. نحن فى حاجة إلى « المودة » من أجل
أن تتفتح الوردة وتختفى الرصاصة .
من أجل أن يطول عمر القبيلة .. ونقصف
عمر القبلة !

فليشكل الأهل سياجا واقيا حول
الزوجين .. وإلا فلا نلومن إلا أنفسنا :
وصدق القائل :

لو كان حولى بنو أمية لم
ينطق رجال إذا هموا نطقوا
إن جلسوا .. لم تضق مجالسهم
أو ركبوا .. ضاق عنهم الأفق
كم فيهموا من أخ وذى ثقة
عن منكبيه القميص منخرق

يذهب إلى على فى بيته هذه المرة .. ولكنه
ذهب إلى المسجد .. ثم خطب فى الناس
قائلاً :

(إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أن
ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب . فلا آذن
لهم .. لا آذن لهم .. ثم لا آذن لهم ! اللهم إلا
أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى
وينكح ابنتهم : فإن ابنتى بضعة منى : يرببنى
ما أرابها ويؤذبنى ما آذاها وإنى أخاف أن
تفتن فى دينها) .

ولم يكن رسول الله ﷺ ليحرم ما أحل
الله - تعالى - ولكنه خشى من فتنة الزهراء
فى دينها حين يجمعها بيت واحد مع بنت
فرعون هذه الأمة .

ولقد استمع على - رضى الله عنه - إلى ما
قاله الرسول ﷺ .. فهب مذعورا عائدا إلى
بيته معذرا إلى فاطمة التى قبلت اعتذاره
بثقة وأمان .

ولئن كنا سعداء بعودة المياه إلى
مجاريها .. فإن سعادتنا لاتنسينا دور أهل
الزوجة فى عودة الصفاء .. لو أنهم فعلوا
مثما فعل ﷺ .. وباليات قومى .. يعلمون ..
ثم يعملون :

يعلمون أن من سنته ﷺ إعانة الزوجين
على الوفاق .. والبعد بهما عن أسباب
الشقاق .. وأن مسؤولية الأهل هنا وهناك عن
هذا الوفاق مباشرة ..



الحدود

بين الرمة والقوة

لدكتور الدكتور / عبد الحليم مفتي

أولاً: أنها حق لله، وليست حقاً للعباد، أو بتعبير القوانين الوضعية هي حق جنائي وليست حقوقاً مدنية، ويترتب على ذلك أن الحد حين يثبت لا يملك أحد إعفاء الجاني من العقوبة، لا ولي الأمر صاحب السلطان، ولا المجني عليه كما في حالة السرقة، فالمسروق منه يملك عدم إقامة الدعوى على السارق، ولكن إذا قامت الدعوى وثبتت السرقة على السارق بأية وسيلة من وسائل الإثبات فلا يملك المسروق منه حينئذ أن يعفو عن السارق، وقد حدث أن سرق من أحد أصحاب النبي ﷺ رداؤه الذي كان يضعه تحت رأسه وهو نائم في المسجد، وثبتت سرقة الرداء على شخص، وعند تنفيذ العقوبة قال صاحب الرداء - وهو صفوان بن أمية - يارسول الله ما أردت قطع يده، ولكن أبيعه إياه ويعطيني ثمنه مؤجلاً، فقال النبي (هلا فعلت هذا قبل أن تأتيني به) ^(١) وأمر بالسارق فقطعت يده.

وهذا بخلاف القصاص الذي يلتزم القرآن في شأنه دعوة المجني عليه إلى العفو ولو في أية مرحلة من مراحل القضية قبل تنفيذ القصاص، فنجد الدعوة إلى العفو في كل الآيات التي تذكر القصاص.

وقد يبدو شيء من التناقض في ظاهر الأمر في التشريع الإسلامي بين الدعوة إلى العفو في كبرى الجرائم وهي القتل، بينما يمنع العفو فيما دونها

من المعروف أن العقوبات في الإسلام ثلاثة أنواع، الحدود والقصاص والتعزير، فأما الحدود فهي من حيث العدد خمسة:

١- حد السرقة.

٢- حد الزنا.

٣- حد القذف.

٤- حد الإفساد في الأرض أو قطع الطريق.

٥- حد شرب الخمر.

وأما الحدود من حيث الخصائص التي تميزها عن غيرها من موجبات العقاب في الإسلام فهي كما يلي:

(١) أحمد ٤٠١/٣، والبيهقي ٢٥٩٥.

بكثير وهي الحدود.

يتعلق بهذه الجريمة، فإذا شاعت السرقة انعدم الأمن على المال، وإذا شاع الزنا انعدم الأمن على الأعراض، وإذا شاعت الخمر وما يترتب عليها من السكر وغيره انعدم الأمن على أى شىء، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من حوادث السيارات يكون وليد الخمر والمخدرات وما تحدثه من سكر أو فقدان تركيز لدى السائقين.

وحيث يظهر لنا جانب مهم من حكمة التشريع الإسلامى فى جعله القصاص حقاً مدنياً للمجنى عليهم، يملكون العفو فيه، لأن الجريمة حينذاك لا يخشى أن تؤدى إلى الاحتراف وإفساد المجتمع، وفى جعله العقوبة فى الحدود حقاً لله لا يملك أحد إطلاقاً العفو فيها عن الجانى بعد ثبوتها، لأن الجناة فى جرائم الحدود ينتظر احترافهم الجريمة، وعلمهم بأنه لا بد من إيقاع العقاب، وأنه لا شفاعاة ولا عفو، لا شك أن فيه زجراً وتخويفاً لهم ولغيرهم، وقد غضب النبى ﷺ غضباً شديداً حين أرادوا الشفاعاة فى المرأة المخزومية القرشية التى سُرقت وأمر بقطع يدها قائلاً: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (٢).

وينبغى أن يكون واضحاً أن نسبة الحق لله فى الحدود لا يقصد بها أثر الجريمة، وإنما يقصد بها ملكية العقوبة، بمعنى أنه حين يقال مثلاً: إن حد السرقة حق لله وليس حقاً للناس، فإن المراد بهذا التعبير أن الله وحده هو الذى يملك العقاب، ولا ينوب عنه أحد فيه، أما الجريمة نفسها وهى السرقة فهى عدوان من السارق على المسروق منه، كما أن القتل عدوان من القاتل على المقتول.

ثانياً: تلغى عقوبة الحدود عند وجود أية شبهة، وفى الحديث النبوى (ادروا الحدود بالشبهات) (٣).

ولكننا نستطيع أن نلمح أن الإسلام لا ينظر إلى الجرائم من الناحية الفردية، أو لذات الجرائم فحسب، وإنما يركز اهتمامه أولاً فى أثر الجريمة فى المجتمع، من حيث صلاح المجتمع وفساده، فهو فى الجريمة يحافظ على حق المجنى عليه، ولكنه يركز اهتمامه فى منع تأثير هذه الجريمة فى إفساد المجتمع.

وهنا نحتاج إلى تأمل الفارق الدقيق فى علاج الإسلام لكل من جرائم القصاص والحدود، فمن أهم الفروق بينهما أن الجريمة فى حالة القصاص وهى القتل جريمة فى العادة فردية وطائرة ومرتبطة بدافع معين أدى إليها، ولا يخشى أن تؤدى جريمة القتل إلى الاحتراف بحيث يتعود القاتل القتل فيصبح عادة لديه، بخلاف جرائم الحدود، بمعنى أن القاتل إنما يلجأ إلى القتل فى العادة لأسباب ودوافع تدفعه إلى قتل شخص معين، وحتى لو افترضنا تعدد لجوئه إلى القتل فلا يتصور أن يؤدى به هذا إلى احتراف القتل بحيث يقتل كل من يلقاه، أو من يتمكن من قتله، بخلاف السرقة مثلاً فإن تكرار مزاولتها يدعو فى أغلب الأحيان إلى احتراف السرقة، وكذلك تكرار قطع الطريق يؤدى عادة إلى احتراف هذه الجريمة، وأيضاً تكرار مزاولتها الزنا يدعو فى العادة إلى مزاولتها بحيث يصبح عادة لديه، وكذلك تعود اللسان على القذف يدعو إلى استمراره، وأيضاً تكرار شرب الخمر يؤدى إلى إدمانها.

وإذن فجريمة القتل لا يخشى أن تؤدى إلى الاحتراف، بخلاف سائر جرائم الحدود فإنها ينتظر أن تتحول إلى الاحتراف، واحتراف الجريمة معناه شيوعها فى المجتمع، وبالتالي فقدان الأمن فى هذا المجتمع فيما

(٢) الخطيب البغدادي ٣٠٢/٩، نصب الراية ٣٣٣/٣.

(٣) البخارى ٢١٣/٤، ٢١٩/٨.

وصفه بالجانب الإعلامي بالغة العنف والشدة والرهبة، وهذا ما يجعل البعض يصفون العقوبات الإسلامية بالقسوة، ولكن التشريع الإسلامي يجعل الوضع عند التطبيق والتنفيذ يختلف اختلافاً واضحاً عن مظهر التشريع، وهذه الفجوة ليست في الأحكام نفسها، وإنما في وسائل التنفيذ والتطبيق، ففي القصاص مثلاً نجد المظهر التشريعي قتل القاتل المتعمد على الإطلاق ودون تقييد، وهذا يوحي بمظهر دموي رغم أنه عدل، ولكننا نجد التشريع الإسلامي نفسه عند التنفيذ يسلك أكثر من وسيلة بحرص واضح على إنقاذ القاتل من الموت، مما هو معروف من الدعوة إلى العفو، ثم الإغراء المادي في الدية، وغير ذلك.

وكذلك في الحدود نجد المظهر التشريعي مثلاً قطع يد السارق على الإطلاق، وهذا يوحي بمظهر قسوة شديدة، ولكن الإسلام عند التنفيذ يحرص حرصاً واضحاً على إنقاذ السارق من قطع يده، ومن ذلك الحديث النبوي المشهور الذي يكلف ولي القضاء أن يلتمس أية شبهة تدفع عن الجاني تنفيذ العقوبة مع أنها عدل في الحديث المشهور عن درء الحدود بالشبهات، فإذا وجدت شبهة مهما ضعفت لإنقاذ الجاني كانت هي الراجحة على الحكم التشريعي العام.

وأيضاً في جريمة الزنا يبدو المظهر التشريعي بالغ القسوة، وهو رجم الزاني المتزوج بالحجارة حتى الموت، ولكنه عند التنفيذ نجد العكس، فإن النبي ﷺ يتجاوز مرحلة الدرع بالشبهات إلى الرغبة الواضحة في عدم إثبات هذه الجريمة، فقد كان يوحي إلى من يجيئه معترفاً بجريمة من جرائم الحدود بالرغبة في عدم الاعتراف، فقد جاءه رجل من قبيلة أسلم، فشهد على نفسه بأنه أصاب امرأة حراماً، فأعرض عنه النبي ﷺ بوجهه إلى الجهة الأخرى، وهكذا أربع مرات في كل

فبينما يلتمس التشريع الإسلامي كل وسيلة مشروعة لإثبات حق القصاص، نجده يلتمس كل شبهة مقبولة لرفع الحد عن الجاني، والسبب الواضح في ذلك أن الإسلام في حالة القتل يحاول بكل وسيلة مشروعة أن يشعر أولياء الدم بالتمسك من حقهم ليطفئ جذوة الغضب والحقد في نفوسهم فيصبحوا مهينين لدعوتهم إلى العفو عن الجاني أو قبول الدية، وبذلك تنقذ حياة القاتل مع حسم المشكلة اجتماعياً بحيث لا يلجأ أولياء الدم إلى الثأر، ولكن من أهم الأهداف في النهاية إنقاذ الجاني نفسه، وهذا الهدف نفسه هو هدف التشريع الإسلامي في درء الحدود بالشبهات لإنقاذ الجاني من العقوبة، وذلك لأن الأصل في الثواب والعقاب على كل أنواع السلوك في كل الأديان السماوية هو الآخرة، أما عقاب الدنيا فإن الغاية النهائية فيه هو إصلاح المجتمع، فالغاية واحدة، ولكن الوسائل تختلف في بعض المواقف عنها في بعض آخر.

ثالثاً: تتميز الحدود أيضاً عن غيرها بأنها لا تقبل فيها شهادة النساء، فالقاعدة في التشريع الإسلامي أن الشهادة من حيث العدد لا بد أن تكون شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، وهذا يسرى على كل مواقف التقاضي، وعلى القصاص، ولكن التشريع الإسلامي يستثنى من ذلك الحدود، فلا تقبل فيها شهادة النساء، وهو من باب درء الحدود بالشبهات، لأن شهادة المرأة في الإسلام دون شهادة الرجل، وهذا يتضمن نوعاً من الشبهة فلا يثبت بها الحد.

رابعاً: من الواضح في كل العقوبات الإسلامية، وبصفة خاصة الحدود، أن هناك فجوة بين الجانب النظري التشريعي والجانب التطبيقي التنفيذي، وتتمثل هذه الفجوة أو هذا الاتساع في أن التشريع الإسلامي يجعل العقوبات في مظهرها أو فيما يمكن



بأن يكشفوا ما ستره الله عليهم، ففي الحديث النبوى: «إن من المجاهدة أن يعمل أحد عملاً بالليل ثم يصبح فيحدث الناس به، يبيت يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عنه»^(٨).

وهذه الفجوة التى تبدو فى مظهرها بين أحكام التشريع الإسلامى فى العقوبات وواقعية تنفيذها ليست غريبة إذا فهمنا حكمة تشريعها وأهدافه، فإن الأصل فى الثواب والعقاب فى كل الأديان أن يكون فى الآخرة، وكل عقوبات الدنيا إنما يقصد بها إصلاح المجتمع وزجر الناس عن الإفساد فيه، لأن عقاب الدنيا مهما يبلغ لا يزن شيئاً بجوار عقاب الآخرة، وكذلك الثواب، على أن العقوبة مهما تبلغ فلا أثر لها فى التطهير من الذنب ما لم تصحبها التوبة والرجوع إلى الله، والمجرم المصر على مزاولة الجريمة بعد العقاب الواضح أن العقاب لم يصلحه، ومعنى ذلك أن العقاب لا فائدة منه بالقياس إليه، وإنما فائدته زجر الآخرين.

ومسلك النبى ﷺ فى محاولته إنقاذ المعترفين بجرائمهم من العقاب يتضمن الدليل على أن هدف العقوبة هو إصلاح المجتمع، فإن الذى يجىء من تلقاء نفسه معترفاً بذنبه طالباً عقابه معناه أنه نادم على جرمه، ولا يعقل أن يعاود الجريمة مرة أخرى، فلا خوف على المجتمع منه بعد ذلك، وبهذا يتحقق الهدف الأهم من أهداف العقاب وهو إصلاح المجتمع، فلا ضرورة لتنفيذ العقوبة، بل يمكن أن تبقى على الأصل، وهو عقاب الآخرة إن أراد الله عقابه، أو تقبل توبته فى واسع رحمته.

منها يعترف الرجل بالزنا والنبي يعرض عنه، فلما وجده النبي مصراً قال: «أنكحتها؟» قال: نعم قال: حتى غاب ذلك منك فى ذلك منها؟ قال: نعم، قال: كما يغيب المرود فى المكحلة؟ وكما يغيب الرشا فى البعثر؟ قال: نعم، قال: فهل تدري ما الزنا؟ قال: نعم أتيت منها حراماً مثل ما يأتى الرجل من امرأته حلالاً، قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرنى، فأمر به فرجم»^(٤). وكان النبي يسلك مثل هذه المحاولات مع كل من يجيئه معترفاً، وكذلك فى السرقة، جاء ذات مرة شخص يعترف بالسرقة، فقال له النبي: «أسرقت؟» ثم أردف النبي قائلاً (ما إخاله سرق) يعنى ما أظنه سرق، ولكن الرجل أصر على الاعتراف فأقام عليه الحد»^(٥)، وقد أقيم حد الرجم ذات مرة على رجل معترف بالزنا، فلما اشتد عليه الضرب هرب، فلا حقه بالضرب حتى مات، فلما سمع النبي قال: «فهلا تركتموه»^(٦)، وفى حادثة أخرى كانوا يرجمون امرأة زانية، فأصاب دمها ملابس خالد بن الوليد، فسبها، فقال النبي: «مهلاً ياخالد، لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم»^(٧)، وهذه الرحمة هدف كل الأديان السماوية، فمن هذا القبيل قول المسيح - عليه السلام - حينما أرادوا رجم امرأة زانية: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

وهذا عن الذين يعترفون من تلقاء أنفسهم بالزنا خوفاً من الله ورغبة فى تطهير أنفسهم من الإثم، أما الذين لا يعترفون فإن الإسلام يؤثر إزاءهم الستر وحفظ كرامة الأعراض، ويكلهم إلى دينهم وربهم، ولا يرضى

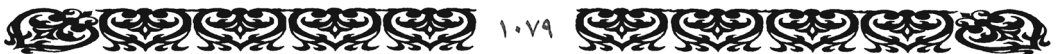
(٥) الدارقطنى ١٠٢/٣.

(٤) البخارى ٢٠٧/٨، وأحمد ٢٧٠/١.

(٧) مسلم، الحدود (٢٣)، أحمد ٣٤٨/٥.

(٦) أحمد ٤٥٠/٢.

(٨) اتحاف السادة المتقين ٢٧٢/٦، فتح البارى ٤٨٦/١٠.



الإفساد بين الطريقتين والسنن الإلهية

للدكتور / عبد الحليم عويس

يحاول بعضهم أن يستثنى الإنسان من السنن الإلهية التى تحكم الحياة والكون وكأنه - فى رأيهم - الوسيلة والغاية، والسيد المطاع فى هذا الكون. وفى البداية نورد هاتين الآيتين الكريمتين من كتاب الله ودلالتهما لاتحتاج لبيان، أما أولهما فقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ (١)﴾
وأما الآية الثانية فقوله تعالى على لسان الكافرين:
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ (٢)﴾.

برعاية صانع خبير عليم حكيم، يدير حركته وفق قوانينه، ويدفعه - والإنسان جزء منه لغايات مرسومة.. ومع أن تعاليم الأنبياء كثيرا ما كانت تتعرض للضياع والتدخلات البشرية، فإن عقل الإنسان - فى عصر الضياع هذه - كان كثير التساؤل والحيرة والتأمل. إن حركة الكون المكرورة أمامه من ليل ونهار، وشمس وقمر ونجوم، وعواصف وزلازل، لاشك ستدفعه إلى التساؤل:

ثم نقول: إن الإنسان ليقوم وحده، وإنه فى حاجة أساسية للوحى والعقل معا، ولقد وفر الأنبياء - عليهم السلام - بدءا من آدم، وانتهاء بمحمد - خاتم المرسلين - على الإنسان جهودا كبيرة كان من الممكن أن يقضيها فى التيه العقلى والتخبط الفكرى، حين علموه أن لكل شىء سببا وغاية، وأن وراء كل سبب مسببا، ووراء كل صنعة صانعا، وأن هذا الكون - بالتالى - ينعم



عندما تكتمل له حاجاته الفردية وحاجاته الاجتماعية سيشعر بحاجة ملحة إلى نوع آخر من الحاجات .

فهذا الإنسان يتميز عن الكائنات الأرضية الأخرى بأنه يحمل (روحا واعية) ذات تطلع دائم إلى الأشواق العليا . . وإنها لتحس بالسأم والملل - حتى بعد إشباع سائر الجوانب - إذا لم تحقق إشباعها فى الجانب الروحى .

فهل الإنسان كائن روحى؟ على أساس أن هذه هى ميزته التى ينفرد بها عن سائر المخلوقات الأرضية الأخرى التى تشاركه بقية حاجاته الفردية والاجتماعية؟

لقد أدرك الإنسان هذا منذ ظهر، ومنذ غرست الأديان السماوية - فى فطرته ووعيه هذه الحقيقة الأزلية، وأزالت عنها - بين الحين والحين - كل ما يطرأ عليها من تحريف وتشويه . . ولئن كان الإنسان قد أدرك هذا، فإن هذا الإدراك القائم على أن الله هو الصانع، وهو الخالق، ليس كافيا للإجابة عن الأسئلة الملحة التى تطرح نفسها على الوعى البشرى الموصول .

إن الإنسان يدرك حاجته اليومية المتجددة للطعام والشراب والهواء والماء والملبس والمسكن، ثم يدرك حاجته الاجتماعية التى يقوم على أساسها كيانه الاجتماعى وبقاء نوعه . . فى أى مدى يصل الدور الذى تقوم به هذه الحاجات فى استمرار حركته ونموها، وفى ضمان تفاعله مع ما حوله؟

١- من يصنع هذا؟

٢- وكيف يصنع؟

٣- ولماذا يصنع؟

وفى الواقع البشرى الاجتماعى والفردى يجد الإنسان نفسه محاصرا بمجموعة من الظواهر التى تشبه الظواهر الكونية، فى ضرورتها وتكرارها .

- فحاجة الإنسان إلى الطعام حاجة أساسية ومتجددة لا تنتهى .

- وحاجة الإنسان إلى الشراب .

- وحاجة الإنسان إلى النوم .

- وحاجة الإنسان إلى اللباس والمسكن .

فكل هذه حاجات فردية، تجعل الإنسان يتساءل: هل هو مجموع هذه الحاجات؟ وهل حياته لا تخرج عن نطاق إشباع هذه الجوانب .

وعندما يصل الإنسان إلى سن البلوغ، ويندمج اجتماعيا، تظهر فى حياته حاجات أخرى:

- حاجته إلى الزواج والأولاد .

- حاجته إلى البيئة .

- حاجته إلى المجتمع .

فربما تسأل الإنسان فى مرحلة معينة: هل هو رهن هذه الحاجات؟ وهل هو كائن أسرى أو بيئى أو اجتماعى؟ وهل يكفى إشباع هذه الجوانب - بعد الحاجات الفردية - لضمان مسيرة الإنسان فى الحياة؟ لكن الإنسان





المتوازنة، القائمة على تقنين الحرية من جانب، ورفض نظريات أو أيديولوجيات الحتمية الجبرية من الجانب الآخر.

والحق أن المذاهب (الجبرية) أو (الحتمية) قد اهتزت حتى في مجالها الطبيعي المادى، وإننا لنجد مفكرا كالأستاذ (أوبجتون) يصور لنا هذا الاهتزاز بأسلوب حاسم فيقول: (لا بد لى أن أوضح أن النظرة العلمية للمذهب اللاهتمى لاتعنى أن هناك أحيانا استثناءات للقانون الحتمى، لكنها تعنى أن كل ظاهرة لاحتمية بدرجة كبيرة أو صغيرة).

ويقول (أوبجتون) أيضا: (طالما أن الحتمية قد أزيحت من وضعها الذى يبدو منيعا فى علم الطبيعة فإن الطبيعى أن نشك فى قولها حين تزعم أنها اتخذت لنفسها وضعا مؤكدا فى مناطق أخرى من الخبرة) (٣).

وليس أروع من القرآن الكريم، وهو يرفض تلك الحتمية الجماعية، أو تلك الجبرية الفردية، فيوجه النظر إلى أنه لاحتمية هنا ولا هناك، وإلا انعدم معنى (المسؤولية) وانعدم - بالتالى - معنى الثواب والعقاب.

يقول القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلَوْنَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

وهل هذه الحاجات هدف فى حد ذاتها تنتهى رسالته إذا حققها؟ وأهم من ذلك كله أنه يريد أن يفهم نواميس الخالق - سبحانه وتعالى - التى أخضع لها - سبحانه - الكون والإنسان والمجتمع، لأن فهم الإنسان لهذه النواميس أمر ضرورى بالنسبة له، سواء فى مستوى حياته العملية، الرعوية أو الزراعية أو فى مستوى تحقيق تقدمه الحضارى.

وإن ما أعطته رسالات السماء فى تفسير حركتى الكون والمجتمع، إنما هو إطار كلى، ترك للعقل البشرى أن يقوم فيه بالفهم والتفسير، فهذا هو مجال الاختيار، وشأن (تفسير التاريخ) هنا شأن بقية المجالات، التى طرقها الوحي الكريم، فثمة قوانين كلية حاكمة وضابطة، وثمة مساحة للاختيار الإنسانى واسعة وفسيحة

فحتى فى علاقة الإنسان المخلوق بالله الخالق ثمة أوامر تكوينية فطرية، وثمة أوامر تشريعية وعبادية، وهناك - فى المقابل - مساحة لحرية الإنسان هى مناط الثواب والعقاب، فى تفاعلها - إيجابا أو سلبا - مع القوانين الفطرية والكونية والتشريعية.

وفى ظل هذه الرؤية الإسلامية لعلاقة الإنسان بالكون والأوامر الإلهية الكونية والتشريعية، يتجلى حظ الإنسان المتاح له من الحرية والإرادة وتتضح (المعادلة) الإنسانية

(٣) د/زكى نجيب محمود، الجبر الذاتى ص ٢٤٥، ٢٤٦، طبع الهيئة المصرية العامة بالقاهرة سنة ١٩٧٣.

(٤) البقرة (١٣٤).





﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ

بِفِتْنَةٍ أَوْ جَهَنَّمَ هَلْ لَكُمْ مِنْهَا أَلْفُ عَشْرٍ﴾ (٥)

أجل .. ليس الإنسان مجبراً أو آلة تحركها أية عوامل، وإنما هو - قبل أى مؤثر - المسئول الأول عن صناعة الحضارة، وهو المحرك الأول للحضارة فى مرحلة نموها واستمرارها وازدهارها.

إنه (الخليفة) على هذا الكوكب، وإن التاريخ إنما هو شأنه، سواء كان فرداً .. أو فرداً ممتازاً فى هيئة بطل، أو جماعة آمنت بمبدأ إيجابى، ومتى تزايد إقبال الأفراد والشعوب على الطاعة لإرادة الله تحسنت الأمور، أى أن مقياساً أساسياً من مقاييس التقدم الحضارى هو المجاهدة فى سبيل التقدم، وفى النهاية فإن كل شعب سيحصل على ما يستحق بالعدل الإلهى!! لكن ذلك لايعنى أن الإنسان هو وحده فى هذا الكون، وأنه حر فى أن يحطم كل (نظام) ويتمرد على كل أصول عقلية أو قانونية، كسائق السيارة المجنون الذى يعتقد أن إشارات المرور إنما هى قيود وأصفاد، ويرى أن تحقيق حريته يقتضى حرية الانفلات من هذه القواعد المروية.

إن هذه (الحرية الفردية اللامبالية)

مرفوضة، لأنها تعنى العشوائية التى هى سلب للعقل والقانون، ومن الواضح أن هذا المذهب (الحر) إذ يمارس (حرية اللامبالاة) هذه، إنما يقضى على (حرية المجموع) من جانب، ويقضى على المسئولية الخلقية من جانب آخر.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (٧)

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط

كُلُّ لَهُ قُنُوتٌ﴾ (٨).

كما ينبغى للإنسان - كذلك - ألا ينسى أنه محكوم بسنن ونواميس إلهية تفوق طاقاته وقدراته جميعاً، وبدونها لايمضى حق وعدل ولايستقيم نظام كونى ولا وجود بشرى، ولا تتحقق حكمة الله سبحانه وتعالى من تسيير الكون، والخلائق جميعاً وفق طرائق محدودة تتول بهم إلى الأهداف التى رسمها علم الله المطلق، ورفعتهم إليها إرادته التى لا راد لها^(٩) (سبحانه وتعالى) ..

إنه إنسان حر. لكنه كذلك مسئول ومحكوم بالسنن الإلهية.

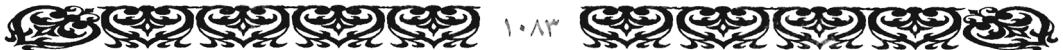
(٦) الزمر (٦٢، ٦٣).

(٨) الروم (٢٦).

(٩) د/عماد الدين خليل: التفسير الإسلامى ص ١٨١ - لبنان - المكتب الإسلامى.

(٥) الأنعام (٤٧).

(٧) الرعد (١٥).



قَالُوا عَنْ الْحَضَارَةِ الْغُرَبَاءِ

للدكتور / محمد فتوح والمي

«إن شجرة الحضارة البشرية تترنح اليوم وتهتز كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد الرجل الذي وحد العالم جميعه، فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة محمد لتتقنها مرة أخرى^(١). لقد أصبح الإسلام -اليوم- لأهل الأرض جميعا ضرورة بشرية فضلا عن كونه، فريضة شرعية. خاصة بعد أن شهدت البشرية أفطع فواجعها وأبشع جرائمها، بما جنته حضارة الغرب المادية الجسدية وبما خلفته حضارة الشرق الإلحادية الدموية. دفعت البشرية ثمنها حروبا وويلات وأوبئة ومجاعات ومطامع وصراعات.

وتبحث عن لا شيء! وتجري وراء أخيلة! وتغذف بأغلى ما تملك، وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار! لعنة! لعنة كالتى تحدث عنها الأساطير!

إنها تقتل الإنسان، وتحوله إلى آلة.. لتضاعف الإنتاج! إنها تقضى على مقوماته الإنسانية، وإحساسه بالجمال والخلق والمعاني السامية، لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين، وتجار الشهوات، ومنتجى الأفلام السينمائية، وبيوت الأزياء. وتنظر إلى وجوه الناس ونظراتهم، وحركاتهم وأزيائهم، وأفكارهم وآرائهم ودعواتهم، فيخيل إليك أنهم هاربون!

وقد أجاد أحد أبناء عصرنا وصف تلك الحضارة المادية القاسية فقال:

«إن العاقل الواعى لم يأخذ الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة، يراها تتخبط فى تصوراتها وأنظمتها، وأوضاعها وتقاليدها، وعاداتها وحركاتها كلها، تخبطا منكرا شنيعاً.. يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس! وتتشنج فى حركاتها، وتتخبط وتتلط كالمسوس.. يراها تغير أزياءها فى الفكر والاعتقاد، كما تغير أزياءها فى الملابس، وفق أهواء بيوت الأزياء! يراها تصرخ من الألم، وتجري كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكران.

(١) ج. هـ. دينسون من كتابه «العواطف كأساس للحضارة».



ومن هنا يبرز دور الإسلام، وتتميز دعوته،
وتتجلى حاجة البشرية إليه في هذا الزمان.

ومن هنا تبدو جسامة الجريمة التي يرتكبها
من يحاولون تذويبنا في أية حركة، أو أية
منظمة، أو أى اتجاه عالمي جديد، إنهم حين
يرتكبون جريمتهم تلك، يكونون قد أجزموا في
حق البشرية كلها، لا في حق الإسلام وحده،
ولا في حق الوطن الإسلامى.

وعندما تسقط أمتنا الإسلامية في هذا
«الشرك» وتستدرج إلى هذه التبعية المهينة،
تكون قد أجزمت في حق ربها مرتين: مرة حين
دعيت إلى مقام الخيرية فأبت، وانتدبت إلى
مقام القيادة فنكصت وأحجمت، فكانت بهذا
النكوص والإحجام من أعظم الأمم جهلاً،
وأشدها حمقاً.

ومرة أخرى: حين هيات الفرصة - بإخلاء مقام
القيادة - لمن ليسوا لها أهلاً، فانحرفوا بالبشرية
عن طريقها، وارتكسوا بها إلى هوة سحيقة،
وأوردوها موارد الدمار الرعيب، والفناء الرهيب.

لقد نجحت الحضارة الغربية في إحراز
انتصارات باهرة في عالم الفضاء، وأجهزة
الاتصال، ووسائل النقل، وشبكات المعلومات
والحاسبات. كما نجحت في اختراع وسائل
التدمير والإهلاك والإفناء. لكنها أخفقت إخفاقاً
ذريعاً في أن تحقق لأصحابها لحظة من الهدوء
النفسى، أو الانسجام الروحى، أو الارتواء
العاطفى. وما يزال عقلاء الغرب يستشعرون
بشاعة الجريمة، وخيبة الأمل، وسواد المصير.
ويحاولون عبثاً أن يوقفوا تيار هذا السعار المجنون
فلا يستطيعون.

مطاردون! لا يلوون على شىء، ولا يتثبتون من
شىء! ولا يترشثون لبروا شيئاً ما رؤية واضحة
صحيحة. وهم هاربون فعلاً! هاربون من
نفوسهم الجائعة القلقة الحائرة، التى بين
جنوبهم، التى لا تستقر على شىء ثابت ولا
تدور على محاور ثابت ولا تتحرك فى إطار
ثابت.. وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من
المستنفعين بهذه الحيرة الطاغية، وهذا الشرود
القاتل.. زمرة من المرابين، ومنتجى السينما،
وصانعى الأزياء والصحفيين والكتاب.. يهتفون
لها بالمزيد من الصرع والتخبط والدوار، كلما
تعبت وكلت خطاها، وحتت إلى المدار المنضبط
والمحور الثابت، وحاولت أن تعود.

● زمرة تهتف لها.. التطور.. الانطلاق..
التجديد.. بلا ضوابط ولا حدود.. وتدفعها
بكلتا يديها إلى المتاهة كلما قاربت من المثابة..
باسم التطور.. وباسم الانطلاق.. وباسم
التجديد.. إنها الجريمة. الجريمة المنكرة. فى حق
البشرية كلها.. وفى حق هذا الجيل المنكود..
تلك هى حضارة الغرب فى نظر المفكر الإسلامى
سيد قطب عندما زار أمريكا فى أواخر
الأربعينيات من القرن الماضى.

فأى خير يرجى من حضارة كهذه.. حضارة
أرادت أن تسعد الإنسان فأشقتة، وأن تريحه
فأتعبته وأن تكون خادمة له فاستعبده وأذلته.
لقد تعبت البشرية من الارتكاس فى حمأة
اللذائذ ومن عبادة المادة واللذة والإنتاج. فبدلاً
من أن يكون الإنتاج خادماً للبشرية أصبحت
البشرية خادمة له. وبدلاً من أن تكون اللذة
ملكاً لصاحبها أصبحت تستعبده وتستذله.





الأمر، وتملك زمام البلاد، انحطاطاً في الاستعداد الفكري والخلقي، إننا نلاحظ أن الحضارة الغربية لم تحقق الآمال الكبيرة التي عقدتها عليها الإنسانية، وأنها أخفقت في تنشئة الرجال الذين يملكون الذكاء والإقدام، الذي يسير بالحضارة على الشارع الخطر الذي تتعثر عليه، إن الأفراد والإنسانية لم تتقدم بتلك السرعة التي تقدمت بها المؤسسات التي نبعت من عقولها، إن علمنا بالحياة وكيف يجب أن يعيش الإنسان، متأخر جداً عن علمنا بالماديات وهذا التأخر هو الذي جنى علينا»^(٤).

ويصور العالم النمسوي المهتدى محمد أسد حالة الحضارة الغربية التي تنزعها أمريكا وأوروبا اليوم، ويريدون أن يفرضوا نظامها القاتل على العالم كله فيقول: «لا شك أنه لا يزال في الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب ديني، ويبدلون جهدهم في تطبيق عقائدهم، بروح حضارتهم، ولكنهم شواذ. إن الرجل العادي في أوروبا، ديمقراطياً كان أو فاشياً، رأسمالياً كان أو اشتراكياً عاملاً باليد أو رجلاً فكرياً، إنما يعرف ديناً واحداً، وهو عبادة الرقي المادي والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة، غير أن يجعلها الإنسان أسهل، وبالتعبير الدارج «حرة مطلقة» من قيود الطبيعة، أما كنائس هذا «الدين» فهي المصانع الضخمة، ودور السينما، والمختبرات الكيميائية، ودور الرقص، ومراكز توليد الكهرباء. وأما كهنتهم فهم رؤساء الصيارف، والمهندسون، والممثلات وكواكب

يقول المفكر الإنجليزي جود: «إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش»^(٢).

ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب:

«إن هذا التفاوت بين فتوحنا العلمية المدهشة، وطفولتنا الاجتماعية المخجلة، نواجهه على كل منعطف ومنعرج، نستطيع أن نتحدث من وراء القارات والبحار، ونرسل الصور بالبرق، ونستمع في سيلان إلى دقات (Big Ben) - الساعة العظمى تضرب في لندن، ونركب فوق الأرض والبحر وتحتهما، والأطفال يتحدثون على الأسلاك البرقية، والزروع تنمي بالكهرباء والشوارع تفرش بالمطاط والأشعة نوافذ نطل منها على داخل أبداننا، والصور المتحركة تتكلم وتغني، والغواصات تذهب إلى القطب الشمالي، والطائرات تطير إلى القطب الجنوبي، ومع ذلك كله لا نقدر في وسط مدننا الكبرى أن نخصص رحبة يلعب فيها أطفال الفقراء في راحة وسلام، ونتيجة ذلك أنا نقتل منهم ألفين (٢٠٠٠) وتجرح منهم تسعين ألفاً سنوياً»^(٣).

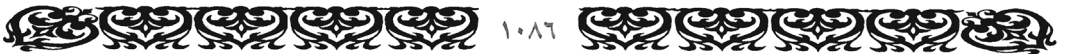
وهذا شاهد آخر من أبناء الحضارة الغربية ممن أصطلوا بناها هو الدكتور «الكيسس كاريل» يقول في كتابه: «الإنسان ذلك المجهول»:

«يظهر أن الحضارة العصرية لا تستطيع أن تنتج رجالاً يملكون الابتكار والذكاء والجرأة، ففي كل قطر تقريباً يرى الإنسان في الطبقة التي تباشر إدارة

(٢) الأستاذ جود، هو رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن والنص منقول من كتابه (Guide To Modern.Wickedness).

(٣) كان هذا الكلام في الأربعينيات من القرن الماضي. فانظر كيف يكون الأمر الآن.

(٤) Alexis carrel. Man, The, Unk nown, 141



وليقيننا الكامل والعميق فى كلام ربنا - سبحانه - ما كنا لنحتاج إلى كلام آخر، لكن لأن الخطاب موجه إلى غير المسلمين، وهم المقصودون بدعوتنا. فإننا سنسوق نماذج من أقوال علماء الغرب، يشهدون بها على أن الإسلام هو أمل أهل الأرض جميعاً للخروج بالبشرية من هذا الحليم الرهيب .

يقول ج. هـ. دينسون . فى كتابه « العواطف كأساس للحضارة » : « إن شجرة الحضارة البشرية تهتز وتترنح اليوم كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد « الرجل الذى وحد العالم جميعه » فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة هذا الرجل لتنقذها مرة أخرى .

ويقول العالم النمىسوى « لىبولد فايس » مبيناً سبب دخوله فى الإسلام « لقد تمكنت من المقارنة، بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التى تسود العالم الإسلامى فى أيامنا . وهذه الدراسات والمقارنات خلقت فى العقيدة الراسخة بأن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التى خلفها تأخر المسلمين - أعظم قوة نهضة بالهمم عرفها البشر . وهكذا تجمعت رغباتى كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد » (٨) .

ويقول فى موضع آخر من كتابه : « الإسلام على مفترق الطرق » : « نحن نعد الإسلام، أسمى من سائر النظم المدنية، لأنه يشمل الحياة بأسرها إنه يهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفوس والجسد، والفرد والمجتمع، إنه لا يهتم فقط، بما فى الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى

السينما، وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون، والنتيجة التى لا مفر منها فى هذه الحال هى ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح، والاستعدادات الحربية، مستعدة لإبادة بعضها بعضاً إذا تصادمت أهواؤها ومصالحها . أما فى جانب الحضارة ففتيجتها ظهور نوع من البشر تنحصر فلسفته الأخلاقية فى الفائدة العملية، ويكون أسمى فارق لديه بين الخير والشر هو النجاح المادى لا غير » (٩) .

ويلخص الصحفى الأمريكى المشهور « جون جنز » نفسية تلك الحضارة فى كلمات قليلة فيقول : « إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام فى الأسبوع، ويتوجهون فى اليوم السابع إلى الكنيسة » .

وأمام هذه الشهادات المتواترة من أقوال عقلاء الغرب ومفكره، وكذلك شهادة الواقع الذى ينطق فى كل لحظة ويؤكد فى كل لفظة، أن حضارة الغرب لم تنجح فى قيادة الأمم إلى ما يحقق طموحها، ويشبع رغباتها، ويروى ظمأها الروحى، والعاطفى، ولم يبق إلا أن يتقدم المسلمون إلى هذه البشرية بالإسلام .

هذا هو الأمل الباقى للبشرية كلها اليوم . والذى لا يوجد على وجه الأرض كلها غيره . وكيفينا فى ذلك قول الخالق - سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٦) وقوله :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٧) .

(٦) آل عمران (١٩) .

(٥) أنظر: الإسلام على مفترق الطرق / محمد أسد ص٤٧ .

(٨) الإسلام على مفترق الطرق / محمد أسد ص١٦ .

(٧) آل عمران (٨٥) .



الشعراء أحمد شوقي فقال يخاطب الرسول ﷺ
معتذراً شاكياً:

شعوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران: ذكر سنة
فما بالهم في حالك الظلمات

وإذا كان حال الأمة الإسلامية اليوم قد أصبح
يدعو للألم والحسرة، فإن الذي يبشر بالخير، أن
العقلاء من هذه الأمة، ساهرون على أمرها،
مشغولون بإيقاظها، حريصون على استعادة
مجدها ومكانها. يستمدون العون في ذلك من
الله سبحانه وتعالى -القائل:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَيِّدُ بِنُفُوهِهِمْ أَنْ يَتَسَدَّدُوا﴾ (١٢).

وإذا كنا نحن -المسلمين -مطالبين جميعاً -
ضرورة وواجباً - بالتقدم لحمل الرسالة وأداء الأمانة،
والتقدم إلى أهل الأرض بالإنقاذ، فإن ذلك يحتاج
منا إلى إحسان التلقى، وإخلاص النية، ووضوح
الغاية، وجدية العمل لهذا الدين، مع فهم عميق
لطبيعية المهمة التي انتدبنا الله سبحانه وتعالى
لحملها ومعرفة بطبيعة الميدان الذي نتحرك فيه على
أن يكون ذلك كله ممتزجاً بحالة من المعية الصادقة
الموصولة بالله. واحتساب كل ما نلقى في الطريق
من شدائد، وما يعترضنا من أهوال - جزءاً من
طبيعة المهمة، وبعضاً من مهر الحسنة. وقديماً قيل:
ومن يخطب الحسنة لم يغلبها المهر.

السمو، بل يهتم أيضاً بما فيها من قيود طبيعية..
إنه ليس سبيلاً بين السبل، ولكنه هو السبيل! وإن
الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هادياً من
الهداة، ولكنه الهادي. فاتباعه في كل ما فعل وما
أمر اتباع للإسلام عينه، وأما إطراح سنته فهو
إطراح لحقيقة الإسلام» (٩).

ويقول الكاتب الإنجليزي (Robert Briffault)
في كتابه (The Making Of Humanity): «ما
من ناحية من نواحي تقدم أوروبا إلا وللحضارة
الإسلامية فيها فضل كبير وأثار حاسمة لها تأثير
كبير» (١٠).

ويقول في موضع آخر: (لم تكن العلوم
الطبيعية (التي يرجع الفضل فيها إلى العرب)
هي التي أعادت أوروبا إلى الحياة، ولكن الحضارة
الإسلامية قد أثرت في حياة أوروبا تأثيرات كبيرة
ومتنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى
أوروبا) (١١).

وإذا كان للمسلمين أن يفخروا - وبحق - بأنهم
يملكون أعظم منهج شهدته الأرض، وأكمل نظام
عرفته البشرية منذ خلقها الله وإلى أن تقوم
الساعة، فإن عليهم أن يذوبوا خجلاً، وأن
يحترقوا ألماً، أن صار حالهم إلى هذا الحال، وآل
أمرهم إلى هذا المآل، فأصبحوا وهم يملكون
مقومات السيادة أذلاء، وصاروا وهم يستجمعون
كل أسباب القوة ضعفاء. إنها حالة من الذهول
عن الذات، تصل إلى درجة الغيوبة الكاملة
وهذه الحالة هي التي أثارت عجب أمير

(١٠) P.190.

(١٢) غافر (٥١).

(٩) الإسلام على مفترق الطرق. ص ١١٠.

(١١) P.202.





الإسراء والمعراج

شعر المرحوم العارف بالله الشيخ / محمد الطاهر الحامدي

إذا كان الإسراء بمعناه الروحي وعروجه الرباني فإن أنفس ما يقال فيه ما
جاء على لسان صوفي عارف بربه شاهد أنوار السماء، فعبر عنها بإلهام
شارك فيه الإمام البوصيري.

(رجب البيومي)

عُلاك قد جل عن قولي وعن كلمي * يا أشرف الخلق من عرب ومن عجم
حللت فوق سماء المجد منزلة * تسمو على كل منشور ومنتظم
أنى لمثلى أن يهـدى إليك ثنا * وأين يبلغ منه ساعدى وفـمى
ما حام حول حماك العقل ممتدحا * إلا وناداه فرط العجز لا تحم
لكن لى غرضاً فى المدح أنشده * ياخير من ضرب الأمثال فى الكرم
يا فائق البحر فى فيض وفى مدد * وسابق الدهر فى عزم وفى همم
ذرات هذا الورى لولاك ما عرفت * فى ذا الوجود ولم تخرج من العدم
ما فى السماء ولا فى الأرض كائنة * إلا وإمدادها من فيضك العمم
لك النبوة عند الله.. ثابتة * من عالم الذر... بل من عالم القدم
أقسمت أنك أسمى الخلق مرتبة * وإن أكن غير محتاج إلى القسم



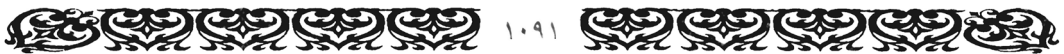
الأنبياء وإن فاقرو الأنام علأ ** فأنت من ذروة العلياء فى القمم
قلدت كل عظيم فى الورى مننا ** وأنت بالغ أقصى الحـد فى العظم
سريت بالروح والجسم الكريم إلى ** مقام عزٍ وطيدٍ شامخٍ سنم
سريت من مكة والناس قد رقدوا ** وعدت والناس غرقى فى رقادهم
فى ليلة من ليالى الأنس واحدة ** كأنها غرة فى الأعصر الدهم
لو كان مسراك أقصى الشام غايته ** أو كان بالروح أو فى عالم الحلم
لكنه لبساط العرش حيث رأت ** عيناك ما قد رأت من حضرة القدم
تنزه الله ليس الله وجهه ** وأنت لست على الرؤيا بمتهم
فى العرش روياء أو فى الأرض ممكنة ** فى مسجد الشام أو مسجد الحرم



كأنما اشتاق سكان السماء إلى ** حسن بوجهك فردٍ غير منقسم
فرحت للملأ الأعلى تشرفه ** يا صفوة الله من خلق ومن نسـم
فيالها منة لله سابغة .. ** لغير ذاتك لم تقسم ولم تسم
ولست أعجب من يكفرون بها ** كم فى بنى آدم أغـبى من النعم
دعيت فى الذكر بالأمى تكرمة ** يا معجز القول والأفعال والشيم
لم تفشٍ للعلم قبل الوحي مدرسة ** نعم ولا كنت ذا لوح ولا قلم
نشأت بين أناس لا خلاق لهم ** والجهل قد عم فى سهل وفى علم
فأين أهل كتاب لا وثوق به ** قد حرفوه وقوم عابدى صنم
من ذا هداك إلى الإسلام من صفر ** فلم تهـم إلى فـحشٍ ولم يهـم
حتى أتاك أمين الوحي منتدبا ** لتخرج الناس من ظلم ومن ظلم



فجئتنا بكتاب كله عجب ** فيه انطوت أعدل الأحكام والنظم
حوى العقائد والأخلاق واكتملت ** فيه السياسة للأفراد والأمم
أهديت للدين والدنيا به قبساً ** من العلوم ونبراساً من الحكم
وقد تحدت أرباب البيان به ** فلم يحاكيه في معنى ولا كلم
هذا هو الحق وحى الله جئت به ** وقد هديت به جما من الأمم
يا خير منتصف للحق منتصر ** وخير متصف بالعدل متسم
رمت الخلافة للصديق مؤثره ** على ابن عمك رب السيف والقلم
لأنه كان ذا فضل وسابقة ** وكان عندك أوفى صحبك القدم
أمرتهم أن يصلوا خلف حضرته ** ليعرفوا أنه الوالى لأمرهم
وقد أتتك سبايا الحرب وافرة ** والجود مقتبس من بحرك الخضم
كم حاولت بنتك الزهراء طالبة ** من تستعين به فى البيت والخدم
فقلت والله لا أعطيك خادمة ** وأترك الناس فى ضيق وفى أزم
أبيع ما ملكت كفى وأطعمهم ** وأنت يكفيك ذكر الواحد الحكم
لله لله ما أسماك من بشر ** ثانيك والله لم يعهد ولم يشم
طويت بطنك من جوع على حجر ** وأنت مالك ما فى الأرض من نعم
أو شئت مثل الجبال الشم من ذهب ** أو شئت مثل الملوك الغر من خدم
لكن عففت عن اللذات مكتفياً ** بالباقيات وفيها منتهى الشمم
أعطيت فوق ذوى الأموال أى غنى ** وصوله فوق ما للأسد فى الأجم
كم من ملوك لك انقادوا طواعية ** قد آثروك على تيجان ملوكهم
لم يرغبو منك فى مال ولا نشب ** أو يسلموا لك عن خوف من النقم





كانوا عظاما وكانوا مثل آلهة ** يسخرون عباد الله كالغنم
فأصبحوا ورعاياهم سواسية ** بعزة الملك قد ضحوا وبالحشم
دعاهمـو لك دين واضح وسنا ** على محياك بادٍ غير... منكم
يا نفس لا تضجـرى هما ولا جزعا ** فقد وثقت بخير الخلق كلهم
إن لم أكن أنا... ذا تقوى وصالحة ** كفى التجاءً لجاه المفرد العلم
تأملـى أنت يوم الفتح كيف عفا ** عن المشين لم يثـأر ولم يلم
جفـروا على صحبه شجوه فى أحد ** تناولوا فيه شر القول والتهم
فلم يكلفهـو عن نفسه عوضا ** ولم يطالبهـمو عن صحبه بدم
لـوذى بساحته تلقى براحته ** منا جزيلا بلا من ولا سأم
وكيف يقطعـنى الهادى ولى نسب ** فى عمه السيد العباس ذى القدم
وإن لى ذمة منه بتسميتى ** محمداً وهو أوفى الخلق بالذم



تحية يا أبا الزهراء طيبة ** من أطهر الحب لا من أطرب النغم
ياليت ريح الصبا تسرى بها سحراً ** إلى ضريحك معنى الجود فى اضم
إلى الضريح الذى لما وقفت به ** جرت دموعى له تنهل كالديم
الآن قد بعدت دارى وجَدَد لى ** بعد المسافة أضعافا من الألم
لكن روحك فى الآفاق سارية ** ترى وتسمع من بعد ومن أم
فأنت تسمعها منى ويسعدنى ** منك القبول ولو أنى أخو صمم
ورب نظرة عطفٍ منك واحـدة ** تحمى مواتى وتشفينى من السقم
دامت عليك صلاة الله ما طلعت ** شمس النهار ولاح البدر فى الظلم



عداوة أمريكا وصداقتها

السُّعُوبُ لَيْسَتْ وَطْعَانًا مِنَ الْمَاسِيَةِ
رَغْمًا هِيَ تَخْلُقَانِ رَفِيعَةَ الْمُسْتَوَى

لِلدُّسَّازِ الدُّكْتُورِ / عَبْدِ الْعَظِيمِ الْمُطْعَنِيِّ

سأل احرر الدكتور العميد هذا السؤال : « في تصورك هل أمريكا على علاقة عدائية مع الإسلام والمسلمين والعرب ، كما هو الطرح السائد لدى قطاع من الرموز الدينية والفكرية والسياسية ، ولدى الأوساط الشعبية ؟ »

وكان مما ذكره العميد في الإجابة :

« من الأخطاء الكبيرة التي نرتكبها بحق أنفسنا أن نصف علاقتنا بالغرب أو بأمريكا بالعداء ، بل إن ذلك من الخطورة التي تصل إلى حد التهكلة والانتحار والعزلة والتهميش . والسماح بوصول العلاقة إلى حالة العداء يعني أننا على استعداد للتفريط بكل المنجزات التي حققناها على مستوى المعيشة التي نحياها ، لنقبل بمستويات عيش دول صنفت بمعاداة أمريكا ، كالعراق والسودان وإيران .. بل إنه من حماقة أن نترك المشكلات المتعلقة بقضية الصراع العربي الإسرائيلي لتدفعنا إلى حافة الهاوية . »

هذا الكلام سبق الرد على بعضه من قبل ، بيد أن فيه جديدا يجب مناقشته .

يواصل الأستاذ الدكتور

عبد العظيم المطعني تحليل

آراء الأستاذ الدكتور

عبد الحميد الأنصاري

عميد كلية الشريعة

والقانون بجامعة قطر في

الحوار الذي نشرته جريدة

الرأية القطرية أوائل يناير

الماضي مطلع عام ٢٠٠٢م .

مع ملاحظة أن هذا

الرد تسلمته المجلة كاملاً

وتنشره على حلقات ، فهو

لا يتعلق على أحداث جارية

أو مصاحبة للنشر .



بها توراتهم المحرفة عاصمتها من النيل إلى الفرات .. أليس هذا هو المصير لترك الأمة الحبل على الغارب لإسرائيل، ونقول لإسرائيل ما قاله «متيم عزة» لـ «عزة» :

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة

لعزة من أعراضنا ما استحلت

أرى بكل وضوح أن الدكتور العميد أبعد النجعة فى أفكاره هذه عن أصول الإسلام وفروعه، وعن الواقع المرير الذى تعيشه أمته، وعن الإجماع العربى والإسلامى على حد سواء.

عزيزنا الأستاذ الدكتور العميد :

إن الشعوب ليست قطعانا من الماشية تعلق لتسمن ويطيب لحمها لآكلها، وإنما هى مخلوقات لله رفيعة المنزلة، كرمها الله وفضلها على كثير ممن خلق تفضيلا، ووهبها من الخصائص الجسدية والعقلية والنفسية ما جعلها أهلا لحمل أرفع مسئولية فى الوجود، مسئولية التكليف وحمل الرسالة الإلهية لتعرف لله قدره، وتخصه بالولاء فى كل ما تقول، وفى كل ما تفعل.

فكيف يسوغ لنا، ونحن أمة حملها الله آخر رسالاته وأخلدها وأعمها .. كيف لنا أن نقدم امتلاء بطوننا بما لذ وطاب من الطعام والشراب، والنوم على الفراش الوثير، والراحة والدعة، على القيام بواجبنا نحو الله ونحو أنفسنا ونحو الإنسانية جمعاء؟

عزيزنا الدكتور العميد :

إن عمداء الكليات العلمية عهدناهم متجانسين مع مناهج الدراسة فى كلياتهم، وأنت منهم، ولا نظن أن الآية التى سنذكرها غائبة

فالعميد يخشى كل الخشية إذا سلمنا بأن أمريكا عدوة للإسلام والمسلمين والعرب، يخشى أن تنقطع أرزاقنا ويهلكنا الحرمان، وكأن أمريكا هى الخالق الرازق المدبر لشئون العباد!.

ويضم الدكتور العميد إلى هذه العلة المرفوضة، علة أخرى منكرة، هى دعوته إلى التخلّى عن الصراع العربى الإسرائيلى، وفى مقدمته - بالطبع - مشكلة بيت المقدس ومسجده الشريف، ناهيك عن مأساة الشعب الفلسطينى المتآمر عليه عالميا.

فمن نصائح الدكتور العميد لأمته : أن تترك الاهتمام بالصراع العربى الإسرائيلى - بكل أشكاله؟ ولماذا تتركه الأمة يا ترى؟

يقول الدكتور العميد : لئلا يدفعنا إلى حافة الهاوية؟! هكذا ورب المشارق والمغرب .؟

أليست هذه دعوة إلى الاستسلام المهين؟! حتى أمام أعدى أعداء الله والإنسانية (إسرائيل) .. إن معنى ترك الأمة للصراع العربى الإسرائيلى هو - لا محالة - إسقاط الطرف الأول (العرب) من طرفى ذلك الصراع؟

ومعنى هذا - مرة أخرى - أن يبقى الطرف الثانى وحده (إسرائيل) فى ميدان الصراع دون مصارع يصارعه .. ولتفعل إسرائيل - بعد ذلك - ما تشاء.

تهدم المسجد الأقصى، وتقيم على أنقاضه معبدا يهوديا وتنقل عاصمتها من تل أبيب إلى القدس الشرقية، ثم يتتابع نقل السفارات الغربية، وفى مقدمتها سفارة أمريكا وأول الغيث قطرة ثم ينهمر، كما يقول المثل العربى الحكيم.

ثم لتقم إسرائيل مملكتها الكونية، التى تعدهم





عنك، لأنها من أشهر أدلة الشريعة، التى أنت
عميد لإحدى كلياتها، والآية هى: ﴿قُلْ إِنْ
كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتُكُمُ الْكَسَادُهَا وَنِسَاءكُمْ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

قارن ما دعوت أنت إليه، وما خاطب الله به
الامة وتبين هل بين القولين وفاق أم بينهما تناقض
مائة فى المائة.
ولمن تستجيب الامة ياترى لك أم إلى الله
مالك السموات والأرض؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢)
وتأمل جيدا عبارة «لما يحييكم» أى لما يرفع
شأنكم ويحفظ عليكم عزتكم بالإيمان والطاعة.
ومن اللافت للنظر حقا، أن هاتين الآيتين
وردتا فى سورتين جاءتا فى المصحف (الأنفال -
التوبة) متجاورتين.
وأن كلا منهما يحمل الرقم (٢٤) يا سبحان الله :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣).

وهل نسى الدكتور العميد عبر التاريخ
ومواعظه، وكيف يفعل الترف والاسترخاء بالأمم
والدول والشعوب؟

فقد أجمع المؤرخون، أن دولة بنى العباس،
وكانت أرسى قواعد من دولة بنى أمية، وأطول
عمرا، كان من أبرز عوامل سقوطها، الانغماس
فى الترف وأفانين النعم والملاذات والارتقاء فى
أحضان القيان والحظيات، والانصراف عن حماية
الحق، ورعاية الفضائل.

وكذلك سقوط الدولة الإسلامية فى الأندلس.
أفنى شبابها وحطم عودها الإغراق فى الشهوات
الماجنة، وليالى الأنس والطرب. حتى لقد نعى شاعرهم
حظ الدولة، وبين أسباب ضعفها وانحسارها، مصورا
ذلك فى هذه الأبيات الباكية بغير دموع:

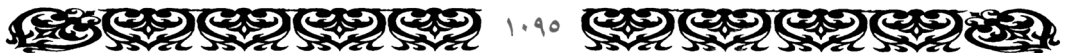
كنا ملوكا فى أرضنا دول
نمنا بها حتى أفنان من النعم
فأيقظتنا سهام للردى لضبت
ترمى بأفطع رمى من بهن رمى
وصار ما كان من ملك ومن ملك
أشلاء شالت مع العقبان والرخم
إنها لقطات بالغات فى سنن الحياة والملمات،
ومن قبل، قال شاعر عربى يمدح قومه، لأنهم لم
يكونوا فى الشدائد عبيدا لشهواتهم، وإن كانت
من الحلال الطيب :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم
عن النساء وإن باتت بإطهار
حتى امرؤ القيس، شاعر الفسق والمجون، تنبه
إلى هذه الطريقة فى ملاقة الخطوب.

(٢) الأنفال «٢٤».

(١) التوبة «٢٤».

(٣) قى «٣٧».





للأكل والشرب وركوب السيارات الفارهات،
والتردد بين المتنزهات والأندية؟ أم ماذا تفعل
ياترى؟

ثم يقول ضمن هذه الفقرة:

«إن جانباً كبيراً من الطرح الدينى والقومى
طرح انتحارى مهلك، ونحن غير مستعدين
لتكلفته... وكان من قلة المسئولية، وعدم الوعى
أن ندع هذا الخطاب الأعمى يقودنا إلى التهلكة
معصوبى الأعين».

ونقول: هذه العبارة وصلة بين ما تقدم
عليها، وما تأخر عنها، لأن الدكتور العميد أخذ
على عاتقه الدفاع عن أمريكا، وإظهارها فى كل
سطر من كلامه على أنها هى الضحية المعتدى
عليها. وأن العرب والمسلمين هم المعتدون
الآثمون على الحمل الوديع أمريكا. ويصف
حركات بعث الوعى فى فصائل الأمة دينيا
وقوميا بأنها طرح انتحارى مهلك، ومع هذا -
وهو يدعو الأمة للاستسلام - يقول: «وليس
المقصود هنا تثبيط الهمة، أو التخويف، أو عدم
التضحية فى سبيل الدين والوطن».

ولست أدرى بأى وجه من وجوه الاعتذار
المقبول، ينفى أن كلامه هذا ليس تثبيطاً. وهو
فى الواقع عين التثبيط، ودعوة إلى تجريد الأمة
من عناصر القوة فى عصر لا يفهم إلا القوة، بل
القوة الغاشمة، وهى التى نكتوى بلهبها الآن،
ثم أخذ الدكتور العميد يسرد حسنات أمريكا
نحونا، ونسى فى غمرة الانتشاء بالدفاع عنها،
فعد خروج إسرائيل من لبنان حسنة من حسنات

فقد قتل أبوه، وهو - أعنى امرأ القيس - مخمور
لا يكاد يفيق من غيبوبة الخمر. فقال له الناس:
«كيف تحتسى الخمر وأبوك قد قتل، أرادوا أن
يحمسوه للأخذ بثأر أبيه فقال لهم:

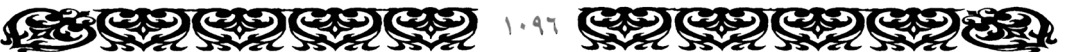
«اليوم خمر وغدا أمر» واعدوا إياهم بترك
الملذات، والتفرغ لدفع العار عنه.

مع هذا كله تأتى دعوة الدكتور العميد
للأمة كلها بأن تبيع عزتها وكرامتها وحرمانتها
ومقدساتها بامتلاء البطون، ولذة الجسوم،
ومتعة الملمس والمنظر، ولو فعلت الأمة هذا
خاصمها خالق الأرض والسموات، وما فيها
وما بينهما، فوق خصومة أعدائها لها، ألم
يقول رب العزة:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقْلَشْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾
إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾».

ومما غاب عن الدكتور العميد أن استرداد
القدس ومسجده الشريف، واجب على
المسلمين كلهم، لا على العرب وحدهم، ولا
على الشعب الفلسطينى وحده، فكيف يدعو
الدكتور العميد الأمة إلى ترك دورها فى الصراع
العربى الإسلامى، الإسرائيلى؟ ولأى شىء تتفرغ
الأمة بعد انسحابها من هذا الصراع؟ أتتفرغ





أمريكا، ولولا أمريكا ما خرجت إسرائيل من جنوب لبنان؟!

يا سعادة العميد، أنت تعلم، والعالم كله يعلم، أن إسرائيل خرجت من لبنان هاربة مذعورة، وأن الذي أخرجها ليس أمريكا ولا مفاوضات جرت بين الطرفين، بل إن أمريكا فوجئت بهروب إسرائيل من لبنان.

إن الذي أخرج إسرائيل من لبنان هو الجهاد الإسلامي، الذي تدعو أنت لإلغائه، باعتباره شكلا من أشكال الإرهاب في نظر أمريكا، بل وفي نظر إسرائيل!

وكاتب هذه الرسالة سمع المجاهد الكبير حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله البطل، في مؤتمر علماء الإسلام الذي انعقد في بيروت (١٠-٩ يناير ٢٠٠٠م) وكنت واحدا من المشاركين فيه، سمعناه يقول في أحد اللقاءات التي تمت على هامش المؤتمر:

«إن الرجال الذين حرروا لبنان من الاحتلال الإسرائيلي لم يكونوا خريجي جامعات، بل كانوا خريجي المساجد» الله أكبر، الله أكبر. بل كانوا خريجي المساجد، فأين فضل أمريكا - أيها العميد - في هذا الحدث العظيم؟ إنه نصر مشرف حققه الجهاد الإسلامي، على أيدي فتية آمنوا بالله وزادهم هدى.

ولهذه الاعتبار أدرجت أمريكا حزب الله في قائمة الجماعات الإسلامية الإرهابية؟!

ولهذه الاعتبار - كذلك - طالبت أمريكا بعض الدول الإسلامية بإعلامها بأسماء خطباء المساجد النشطين، الذين يبشرون روح الجهاد

لمقاومة أى عدوان تتعرض له الأمة، لتعاقبهم أمريكا باعتبارهم أفرادا «ضمن قاعدة» أسامة ابن لادن.

ولهذه الاعتبار كذلك، يؤسفنا نحن العرب والمسلمين أن نرى قائدا منا في مجال العلم والمعرفة ينساق وراء أهواء أمريكا، ويدعو إلى وقف خطباء المساجد الذين يبشرون الوعي الدينى والسياسى والقومى بين شباب الأمة، التى تكالبت عليها الأمم، كما تتكالب الأكلة على قصعتها.

أليس من حق الأمة رد أى عدوان يقع عليها بكل ما تملك من وسائل، أم عليها أن تأخذ جلاديهها وسلاخيها بالأحضان.

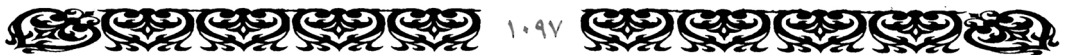
رحم الله الشاعر حسن الغياتى إذ يقول:

لا نلوم المستبد إذا استبد

فشأنه أن يستبد، وشأننا أن نستعد

ولم يقف دور المساجد عند تحرير لبنان. بل كان له وجود فى الجزائر ضد فرنسا، وفى ليبيا ضد إيطاليا، وفى أفغانستان ضد الإنجليز، وفى إيران ضد الإنجليز كذلك. ثم فى فلسطين الآن كما يعلم الخاصة والعامة.

فالانتفاضة الشعبية الفلسطينية الباسلة، التى تصنع المعجزات الآن، هى وليدة المساجد، وكانت تسمى فى أول عهدها: «انتفاضة أطفال المساجد» ثم سميت فيما بعد، ولست أدري لماذا؟ بـ «انتفاضة أطفال الحجارة»، وها هى ذى قد شبت عن «الطوق» وبلغت أشدها، وزلزلت الأرض تحت أقدام إسرائيل، غير عابئة بما يصيبها من عدو مدجج بأحدث أنواع الأسلحة،





وفى الرد على هذا الادعاء نختصر الحديث
فى أمرين:

الأول: بعد الحرب العالمية الأولى، وسقوط
الدولة الإسلامية الكبرى كتب الغربيون
سياسيون، وعسكريون، ورجال دين،
ومفكرون، كتبوا مائة مشروع فى صورة
مقترحات لاحتواء العالم الإسلامى أو القضاء
عليه، وقد ذكر هذه المشروعات ومضامينها
المجاهد الإسلامى الكبير، الأمير شكيب أرسلان
فى تعليقاته على كتاب «حاضر العالم
الإسلامى» تأليف لوثرود ستودارد الأمريكى
(ج ١ من ص ٢٠٨ إلى ص ٣٢٣) أى: خمس
عشرة ومائة صفحة، وليرجع القارئ إليه إن
شاء، لأن فيه مفاجآت كثيرة مذهلة.

الثانى: الإحصائية التى قام برصدها الاستاذ
إدوارد سعيد (مسيحى فلسطينى) حول ما
كتبه المبشرون والمستشرقون الغربيون، فقد
بلغت ثلاثة وستين مجلدا خلال مائة وخمسين
عاما، من عام ١٨٠٠م إلى ١٩٥٠م. وكلها ضد
الإسلام وتشويه حقائقه!؟

ومن يدرى كم كتبوا فى المدة من ١٩٥٠ م
إلى عام ٢٠٠٠م.

فماذا يقول الدكتور العميد بعد هذا؟ أيصّر
على رأيه أن الغرب وأمريكا يعاديان الإسلام؟
ثم بماذا يفسر حماية إنجلترا لسلمان رشدى
بعد تهجمه على الإسلام، والظعن فى رسوله
الكريم، وزوجاته أمهات المؤمنين؟
أهذا يصدر عن محب للإسلام أم عن كاره له
يناصبه العداء وبلا مبرر؟

التى تمدها بها أمريكا أو تصنعها هى. ولكن
ذلك لم يفت فى عضد الشعب المؤمن البطل،
الذى يحمل أرواحه فى يديه، ويتصدى بكل
قوة لحماقات العدو، لم يرهبه أزيز طائراته، ولا
هدير مدافعه، ولا تساقط صواريخه، ولا
محاصرات قواته، وقد أصابت هذه الانتفاضة
المباركة إسرائيل بأضرار جسيمة:

سلبتهم الأمن وأذهبت النوم عن أعينهم،
وهجرت سبعمائة ألف يهودى من إسرائيل إلى
خارج إسرائيل.

وحولت فنادقها السياحية إلى كهوف مظلمة
مهجورة رافضة الركوع لغير الله - عز وجل -
وإنهم لمصممون على مواصلة النضال مهما
طالت المعارك، ومهما تخلى عنهم العالم.. هذا
هو دور المساجد فى دحر الأخطار والحفاظ على
الحرمات والمقدسات.

عزيزنا الدكتور العميد: إن الدعوة إلى إعدام
دور المساجد، أشد خطورة على الأمة من الدعوة
إلى تسريح جيوشها، كلتاهما موت.

إن الدكتور العميد ركز كثيرا فى حوار مع
جريدة «الرأية» على المساجد وخطبائها، وعلى
المقالات الصحفية، والندوات الفضائية، التى تندد
بمواقف أمريكا من المشكلات والقضايا العربية
والإسلامية، ويتحمس كثيرا لوصف هذه الجهود
بالطرح النارى، ويظهرنا - نحن العرب والمسلمين -
بالمعتدين على أمريكا المتطاولين على «قداستها
وطهرها وبراءتها» ولم يذكر لنا حسنة واحدة
صنعناها مع أمريكا وهذا تحريف فظيع للواقع
الحسوس، الذى لا يخفى على أحد ثم يصر على
تخطئنا إذا قلنا: إن أمريكا والغرب يعاديان الإسلام؟

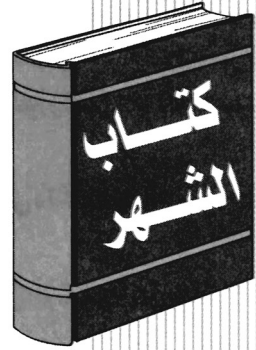




من هو اليهودي؟!

تأليف

د/ عبد الوهاب المسيري



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض



من ينظر إلى اليهود عبر تاريخهم الممتد يجد نفسه يتعامل مع كيانات ضبابية لمساء، فلا يكاد يقترب منها حتى تزداد المسافة بينه وبينها اتساعاً. وإذا ما حاول أن يتلمسها أو يتحسسها وجد يديه تطيشان في الهواء، فيخيل إليه أنه ساذج رأى خيالا مثل تلك الخيالات التي تصنع بأشعة الليزر فظنها حقيقة جسمية، فلما أقدم على تلمسها أدرك أنه يتلمس الهواء.

فإذا ما حاول التعرف على هذا الكيان من اليهود أنفسهم لم يحصل إلا على ذلك الوهم الخيالي، حتى أصبح اليهودي طلسماً لا تدري هويته، ولا تحد أبعاده، ولا يوقف على كنهه. وليس هذا الغموض والإبهام ناشئاً عن خصوصية في أصل التكوين، أو شذوذاً عن سائر الأمم والأجناس، وإن كانوا هم - في مزاعمهم - يتوهمون ذلك، ويوهمون الآخرين به؛ إذ أداروا حياتهم على هذا المحور المزعوم (شعب الله المختار).

اليهود في تعريف القرآن وغيره من الكتب السماوية

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (١).

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ سُوءَ بَاقِلٍ
لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ
وَالْوَيْلُ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣).

وقد أطلق على هذا الشعب من الشعوب البشرية اسم (اليهود) إما لانتسابهم إلى (يهوذا) أكبر أولاد يعقوب - عليه السلام - حيث تجيز العربية قلب الذال دالاً. وإما لانتمائهم إلى تلك الجماعة من بنى إسرائيل الذين اتخذوا من عجل السامري إلهاً، ثم هادوا إلى بعد ذلك ورجعوا،

فاليهود - كغيرهم من الشعوب - ناس من الناس الذين خلقهم - الله سبحانه وتعالى - من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل مختلفة الألسن والألوان بسبب البيئات والمواقع؛ لينتشروا في الأرض، ويحصلوا ما بث الخالق فيها من المعارف والمعالج والعلوم، كي تكون وسيلة التقاء من جديد وتعارف وتآزر على أداء دور الخلافة، والإفادة مما تضمه الأرض من معادن وكنوز، لا وسيلة تنافر، ولا سبب تعال وتكبر وتجبر، وهيمنة، ولا أساس تميز وتفاضل.

(٢) الحجرات: [١٣].

(١) الروم: [٢٠].

(٣) الروم: [٢٢].

وأعلنوا توبتهم ورجوعهم عن عبادته فقالوا:

﴿وَاكْتُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا نِلَيْكَ﴾ (٤).

إذ اليهودُ يعنى التوبة، على ما رواه القرطبي عن مجاهد وأبى العالية وقتادة (٥) فهم - على كلا الاحتمالين - فرع من بنى إسرائيل.

ثم إن من هؤلاء اليهود من تلاعب بالحقيقة، وحرف كلام الله عن مواضعه، فإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه ليعيبه، ويطنعن فى الإسلام.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّأَيَّالِيسِنَاهُمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ (٦).

ومنهم من آثر الاستجابة للكذب وترويجه فى مواجهة الإسلام، وآزر كل من يعادى الإسلام من أهل الشرك وغيرهم، وطووا قلوبهم على الرجز والحقد والبغضاء.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِكَلِمَةٍ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ (٧).

فما بين اليهود وبين غيرهم من الناس، وما بين بعض اليهود وبعضهم الآخر من تباين لا صلة له بالأعراق، وأصول الإنسان، وإنما منشأ ذلك هو السلوك والمعتقد والأخلاق.

فاليهود - فى المفهوم القرآنى - أولاً وآخراً شعب من الشعوب التى جعلها الله، حيث خلق الناس جميعاً من ذكر واحد وأنثى واحدة استلت من هذا الذكر الواحد، من كل ما يزيل شبهات التنوع العرقى ... وهؤلاء اليهود جميعهم - كذلك - أبناء يهوذا أو أبناء من هادوا إلى الله ورجعوا عن عبادة العجل.

وقد ظل مفهوم اليهود محصوراً داخل هذا الإطار القرآنى والسلوكى حتى مشارف العصر الحديث، حيث عمل بعض السياسيين وذوى المآرب على استغلال التراث اليهودى فى استحداث مفاهيم أخرى لليهود، صنعت منهم تلك الكيانات الضبابية التى كادت تجعلهم كيانات خيالية أسطورية لا وجود لها فى الحقيقة.

الفرار من شتات إلى شتات

ولكن الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيرى رأى أن يقتحم تلك الظلمات المتراكمة؛ باحثاً عن حقيقة اليهودى الذى نتعامل معه فى هذا العصر الحديث، والتى يشار لها فى الخطاب السياسى والإعلامى الإسرائيلى والغربى، فكان هذا الكتاب (من هو اليهودى؟)!

وهو كتاب صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٧م، وفى سنة ٢٠٠١ قدمته دار الشروق

(٥) تفسير القرطبي: ٢٩٤/١، ١٨٨/٧.

(٧) المائدة: [٤١].

(٤) الأعراف: [١٥٦].

(٦) النساء: [٤٦].



ومن هذا الرصد يقرر الدكتور أن قضية تعريف اليهودى قضية دينية وسياسية، بل وقضية مصيرية تنصرف إلى رؤية العالم والذات، وإلى الأساس الذى يستند إليه تضامن هذا المجتمع الجديد .

ولا أدل على ذلك من أن هذه القضية قد أثيرت بشكل دائم فى الكيان الصهيونى منذ تأسيسه، ومازالت مثارة بشكل حاد إلي يومنا هذا . من كل ما يؤكد زيف الفكرة القائلة: (إن اليهود يشكلون شعباً لا أرض له) كما يصرح بذلك الواقع العرقى للمستوطنين من الصهيونيين فى أرض فلسطين .

بل إن واقع الجماعات اليهودية خارجها يتحدى تلك المزاعم الصهيونية، ويقرر أن شتات الفكر والعرق قد طواهم بعد أن توهموا أنهم تخلصوا من شتات الأرض .

فرض قضية (الهوية اليهودية)

وينبه الدكتور المسيرى إلى أن الجميع - يهودا وغير يهود - يقعون فى خطأ حين يتحدثون عن اليهود، كما لو كانوا كيانا واحداً؛ لأنهم بذلك يخضعون للرؤية المثالية للهوية اليهودية، ويغفلون الواقع اليهودى وما يضم من تناقض صارخ، وتعارض بين .

ويصرخ بأن إغفال هذا الواقع اليهودى إنما نشأ عن أن التركيب الطبقي فى الهويات اليهودية لم يلحظ من الكثيرين بسبب انفصال أعضاء الجماعات اليهودية ووجودهم فى أماكن متفرقة من العالم فرضت على الهوية اليهودية أن تكون هويات مختلفة؛ لتحدها

بمصر فى طبعته الثانية مع إضافة الباحثين الآخرين، فشغل اثنتى عشرة صفحة ومائة من القطع المتوسط، وضم مقدمة وثلاثة عشر فصلاً .

ولقد أدار الدكتور المسيرى بحثه هذا فى أربعة محاور، تردد فيها بين الرؤية التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، منبهاً فى مقدمته إلى ما يتعرض له المجتمع الإسرائيلى من اضطرابات خطيرة تهدده بسبب التيه الذى يطوى الهوية اليهودية، فيفرض عليهم شتاتاً من نوع آخر أوقعتهم فيه أطماعهم ونزواتهم، بدلاً من شتات التوزع بين قارات العالم المختلفة، على الرغم من تجمعهم فى تلك البقعة المحدودة من الأرض التى انتزعوها من أصحابها، وأطلقوا عليها (دولة إسرائيل) على أمل خلاصهم من الشتات الذى ورثوه عن الآباء والأجداد .

فإن تجمعهم فى الأرض الجديدة، وتوافدهم عليها من شتى الأصقاع استوجب البحث عن هوية يتمركزون حولها، ويتوافدون تحت لوائها، ويتخلصون بها من الصراعات العرقية والعنصرية التى توشك أن تقضى على هذا الكيان الملقق المصنوع، وتجعل من دولتهم الوليدة سراباً .

وقد رصد الدكتور - فى مقدمة الكتاب - نماذج من هذا الصراع، كل نموذج منها يمثل توجهاً من توجهات هؤلاء المتوافدين والمهجّرين من شتى بلاد العالم ليقيموا دولة يأملون بها أن يقضى على ما أصيبوا به من شتات وتوزع عبر قرون متطاولة .





ولكن هذا الاختراع الوهمي لا يلبث أن يتبدد حين يصل أصحاب هذه الهويات إلى أرض إسرائيل، حيث يتضح للجميع أنهم ليسوا مجرد يهود؛ إذ يصبحون مرة أخرى مصريين، ومغاربة، وروساً.. إلى غير ذلك. ثم تتحدد مكانتهم الاجتماعية وفق تلك الهويات الوطنية أو العنصرية.

من كل ما يفرض طرح قضية (الهوية اليهودية).

تباين الهويات اليهودية عبر التاريخ

ومن خلال جولة تاريخية تأملية استقصائية قدم الدكتور المسيري استعراضاً للهويات اليهودية في ثنائيا تاريخهم الممتد، كاشفاً به ما يتسم به تاريخ الهويات اليهودية من طول وتركيب، حيث غطى عدة أزمنة وأمكنة شتى، لا يربطها رابط في كثير من الأحيان.

١ - وكانت الهوية العبرانية أولى هذه الهويات اليهودية، وقد اتسموا بها قبل تهجيرهم إلى آشور وبابل وهي هوية تستند إلى تعريف ديني قومي

وبعد التغلغل العبراني في أرض كنعان امتزج العبرانيون بالكنعانيين، وتزاوجوا بهم.

وبذا يمكننا أن نقول إن رؤية العبرانيين لهويتهم وتعريفهم لها كان مرناً منفتحاً إلى حد ما. أما على مستوى الممارسة فكان منفتحاً تماماً؛ فالعبرانيون الذين تسللوا إلى كنعان كانوا قد أحضروا معهم من مصر وأرض مدين فكرة الإله الواحد، في الوقت الذي لم تكن فيه اليهودية قد اكتملت تكوينها.

في غياب سلطة يهودية مركزية دينية أو دنيوية؛ فيهود (اليديشية) - وهم يهود شرق أوروبا - نتاج مجتمعاتهم، من روسى إلى بولندى إلى أوكرانى إلى غير ذلك، وكذا يهود اليمن، ويهود فرنسا.. وغير ذلك، إلى جانب من استقر في ألمانيا وفرنسا، وانجلترا، والولايات المتحدة من يهود (اليديشية) حيث يتكلم كل بلغة موطنه.

ومع هذا التعدد والتباين في الهويات.. يشار إليهم جميعاً باسم (الشعب اليهودي) انطلاقاً من افتراض وجود وحدةٍ ما ينتظمون في سلكها.

ولكن هذا التجمع حين وضعه الواقع موضع الاختبار - بعد إنشاء دولة إسرائيل - ظهرت آثار تلك التراكمات الطبقية، فتفجرت قضية البحث عن الهوية اليهودية الموحدة، تعبيرا عن اكتشاف أن ما يسمى (الهويات اليهودية) ليست كلاً، يتسم بقدر من التجانس، وإنما هي في واقع الأمر تركيب جيولوجي تراكمي، وقد أظهرت مجتمعات كل من أمريكا اللاتينية، وجمال القوقاز هذه الخاصية الجيولوجية التراكمية في الهويات اليهودية بشكل واضح.

وعلى الرغم من ذلك... ينكر الفكر الصهيوني واقع الجماعات اليهودية الحضاري الفسيفسائي التركيبي التراكمي - أو يتجاهله - ويصر على طرح فكرة الهوية اليهودية العالمية الواحدة، متوهماً أن في المقدور معالجة التعدد التراكمي باختراع مصطلحات توهم وحدة اليهود، مثل: (يهود الدياسبورا)، و(يهود المنفى)، و(الشعب اليهودي)..





قيام مصطلح (يهودى) على التجوز والتجاوز؛ لأن معظم العبرانيين كانوا قد فقدوا لغتهم إبان الإقامة فى بابل، وبدأت أغلبيتهم تتحدث الآرامية.

فتعريف (الهوية العبرانية اليهودية) فى فلسطين لم يكن متمسكاً بكثير من المرونة، ولذلك طالب (عزرا) كل من يود أن ينتمى إلى الجماعة اليهودية العبرانية بأن يطلق زوجته الأجنبية.

مما دفع إلى ظهور جماعة السامريين التى شكلت جماعة دينية مستقلة ذات هوية دينية مستقلة، ترفض الخضوع لأوامر (عزرا) وتقاوم تعاليم الحاخامات وتفسيراتهم لأسفار موسى (التلمود)

ولكن تعريف (عزرا) الصارم للهوية اليهودية ظل سائدا حتى العصر الهلينى.

الجماعات الوظيفية

ومن هنا انتشر خارج فلسطين جماعات يهودية تشكل - فى معظم الأحيان - جماعات وظيفية، أى جماعات بشرية يستوردها المجتمع من خارجه أو يجندها من داخله، ويوكل إليها وظيفة محددة، ويعرفها فى إطار وظيفتها.

وقد التزمت هذه الجماعات بالاحتفاظ بعزلتها الأصلية والدينية عن مجتمع الأغلبية، وذلك بالتمسك الشديد بالهوية، والاحتفاظ بقدر من الاستقلال عن المحيط الحضارى الذى يعيش فيه أعضاء الجماعات اليهودية، فى الرؤية والمآكل والملبس، واللغة والعقيدة.

ويلاحظ أن أعضاء الجماعة الوظيفية لا يعيدون صياغة هويتهم من خلال عناصر

وتبنى العبرانيون كثيرا من أعياد الكنعانيين وعباداتهم وثقافتاتهم، وتحدثوا بإحدى اللهجات الكنعانية والتى أصبحت تدعى (العبرية).

وحينما انتصر داود على البيوسيين فى القدس - وهم أحد بطون كنعان - ثم استيعاب هؤلاء البيوسيين فى الجماعة العبرانية حسبما يقال.

وبعد موت سليمان انحلت تلك المملكة إلى دويلتين عبرانيتين هما: المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية، وكان لكلٍ مركز دينى مستقل عن الآخر، وكان ملوك هاتين الدولتين يتزوجون من أميرات أجنبيات كن يحضرن آلهتهن معهن، ويقمن المعابد لها، وينشرن العبادات الخاصة بهم بين الأثرياء. الأمر الذى يزيد من التعددية الدينية.

وثمة رأى يذهب إلى أن العبرانيين كانوا يتحدثون فى تلك الرحلة بلهجات مختلفة، فلم تكن هناك هوية لغوية موحدة.

كما إن هاتين الدويلتين كانتا فى حالة حرب دائمة.. ألجأت كلا منهما إلى الاستعانة بالدول الأخرى. وفى هذا الإطار يكون الحديث عن هوية عبرانية متمسكاً بالتجاوز، دون شك.

ومع هذا.. فإننا نستخدم أحيانا مصطلح (الهوية العبرانية اليهودية) للإشارة إلى الهوية اليهودية بعد العودة من بابل بتصريح من (قورش الأخمينى) إمبراطور فارس، فهى عبرانية فى جانبها القومى المحدد، ويهودية فى جانبها الدينى الذى لم يستكمل تحده.

وهذا يعنى أن مصطلح (الهوية العبرانية اليهودية) قائم على التجوز والتجاوز، كما يعنى





يهودى متى أجاد اللغة اليونانية، ومارس أسلوب حياتها؛ ولذا انجذب أعداد كبيرة من العبرانيين اليهود إليها .

٢ - عدم تحدد الهوية العبرانية اليهودية بشكل صارم داخل فلسطين ذاتها .

٣ - خوض الدين اليهودى تحولات عميقة فى تلك المرحلة نتيجة احتكاكه بالفكر الهلبنى، حتى كانت كلمة (يهودى) فى تلك المرحلة التاريخية تضم تعريفات كثيرة متضاربة .

٤ - قيام اليهود الفريسيين - وهم أبناء الطبقة الوسطى - بطرح رؤية جديدة للهوية تحررها من المفهوم القديم المرتبط بالمجتمع القبلى العبرانى، أو المجتمع الزراعى الملكى، أو المجتمع الكهنوتى .

٥ - نشوب الصدام بين الإمبراطورية الرومانية والقيادات الشعبية العبرانية اليهودية فى فلسطين، التى أجهدتها دفع الضرائب .

٦ - انتشار الجماعات اليهودية فى العالم نتيجة الهجرة من فلسطين والتهود .

إلى غير ذلك من الأسباب والعوامل التى كانت وراء هذا التخلخل .

جماعات..لاهويات

لقد كان لهذه العوامل وغيرها دور فعال فى تفتيت الهوية اليهودية على المستويين الدينى والقومى داخل فلسطين وخارجها، من كل ما يؤكد أن تحطيم الهيكل على يد (تيتوس) لم يكن سبباً مباشراً فى القضاء على الهوية

مستمدة من التراث اليهودى، وإنما من عناصر مستمدة من المجتمع المضيف الذى يعيشون فى كنفه، أو من مجتمع مضيف سابق، أو منهما مجتمعين .

وكانت أولى هذه الجماعات الوظيفية اليهودية هى الحامية العبرانية فى جزيرة (إلفنتاين) التى وطنها فراعنة مصر فى أسوان لحماية حدود مصر الجنوبية، ففقدوا علاقتهم بفلسطين، ونسوا شعائر دينهم، واختلطوا بالمحيط المصرى .

كما كانت أهم هذه الجماعات الوظيفية الجماعة اليهودية فى بابل، التى رفضت العودة إلى فلسطين، واشتغل أعضاؤها بالتجارة والربا، فتحولوا بالتدريج حتى صاروا جماعة وظيفية وسيطة، ونسوا العبرية، وكان لهم علماء وهم ومدارسهم الدينية، وتوجههم الثقافى الذى تطور بهم حتى أصبحوا فى مرحلة من المراحل مركز اليهودية الأساسى فى العالم .

وهكذا تفتت الهوية اليهودية فى هذه الجماعات مع ظهور المفهوم الدينى القائل بأن شريعة الدولة هى الشريعة التى يجب أن يتبعها اليهودى فى حياته العامة .

وهكذا ... شهد العصر الهلبنى تخلخلا فى الهوية العبرانية اليهودية فى فلسطين، خصوصاً فى القرن الأول قبل الميلاد، والقرن الأول بعد الميلاد لأسباب عديدة أدت إلى ذلك التخلخل، من أبرزها:

١ - جاذبية الحضارة الهلنسية وقبولها أى





وظلت كذلك إلي أن انتشرت المسيحية في الغرب، وانتشر الإسلام في الشرق، فظهرت جماعات أخرى احتفظت بعناصر من التجمعات القديمة، إلى جانب ما دخل عليها من عناصر جديدة.

ومن هنا.. ظهر ما يمكن أن يطلق عليه (هوية يهودية عربية إسلامية)

وازدادت الهوية اتساعاً بين الهويات اليهودية في الشرق والغرب؛ فيهود الأندلس والعالم العربي يتحدثون العربية ويكتبون بها، ويهود فرنسا يتحدثون برطانية فرنسية ويكتبون بالعبرية، ثم ظهرت (اليديشية) لغة (الأشكناز) في شرق أوروبا، و(اللادينو) لغة اليهود (السفارد) في حوض البحر المتوسط، ويهود (الرومانيو) الذين يتحدثون اليونانية، ويهود إيطاليا الذين يتحدثون الإيطالية.

وإلى هذا وذاك.. كان هناك (الخرز) في منطقة القوقاز، و(الفلاشة) في إثيوبيا، وبنى إسرائيل في الهند، ويهود الصين في كايغنج، ويهود مانيبوس، والشويتاس، واليهود السود، واليهود الأكراد، ويهود إيران، وأفغانستان، والقوقاز، ويهود البربر، والمارانو، والدونمة.

ولم يكن انتماء هؤلاء الديني إلى اليهودية الحاخامية، وإنما كان انتماءهم إلى تقاليد دينية مختلفة، دخلت عليها عناصر دينية، وقومية محلية.

«يتبع»

العبرانية اليهودية. وإنما كان تجسيدا لعملية تاريخية مركبة وتعبيراً نهائياً عنها، أدى إلى القضاء على هذه الهوية، بعد تفتيتها.

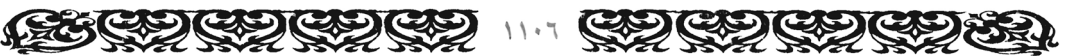
ويمكن القول بأن الهوية العبرانية، والهوية العبرانية اليهودية ذات التوجه القومي قد اختفت تماماً، عند هذه النقطة التاريخية؛ فلم يعد ممكناً - منذ ذلك التاريخ - التحدث عن (عبرانيين)، ولا عن (عبرانيين يهود)، وإنما عن (أعضاء الجماعات اليهودية)، وعن هوياتهم المختلفة.

فعلى المستوى الديني.. كان هناك تجمع (السامريين) بمفهومه الديني، في مقابلة التجمعات الأخرى بمفاهيمها الخاصة كذلك، مثل (الصدوقيين)، و(الفريسيين).

وعلى المستوى القومي.. كان يهود فلسطين المتأغرقون، ويهود فلسطين الساميون، ويهود فلسطين المتهودون من أبناء (الإيطوريين)، و(الأدوميين)، ويهود مصر المتأغرقون، ويهود جزيرة (الفتناين)، ويهود روما الذين كانوا يتحدثون اليونانية واللاتينية، كما كانت توجد جماعات يهودية في آسيا الصغرى، وفي ليبيا، وفي أنحاء أخرى متفرقة من أوروبا.

ومما زاد من عدم تجانس الجماعات اليهودية، انتشار اليهود في أنحاء العالم دون وجود سلطة مركزية دينية أو قضائية في فلسطين، أو في غيرها من الأماكن.

لكل هذا تطورت كل جماعة يهودية على حدة - دينياً وقومياً - بمعزل عن الأخرى.





معركة فى كتاب:

مراثى الفلاسفة

د. أستاذ الدكتور / محمد عمارة

مؤلف هذا الكتاب هو حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد بن محمد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م].. فقيه شافعى، ومتكلم أشعرى.. بل هو واحد من أبرز الذين طوروا مقالات ونظريات الأشعرية.. وهو، أيضا، أصولى.. وفيلسوف.. وفوق كل ذلك، ومعه، متصوف شرعى..

ولقد كان ميلاد الغزالي، وكذلك كانت نشأته، ثم وفاته بخراسان. ولد فى «الطابران» من أعمال «طوس».. ثم رحل - طالبا للعلم، ومعلما - إلى كثير من أقاليم وحواضر الإسلام.. مثل: نيسابور، وبغداد، والحجاز، والشام، ومصر.. وغيرها..

ولقد تجاوز الغزالي، فى معيار العلم الإسلامى، درجة المجتهد والمجدد، إلى حيث أصبح، فى تاريخ الفكر الإسلامى «ظاهرة فكرية»، ميزت عصره، وتركت بصماتها على مسيرة الفكر الإسلامى فيما تلا عصره من عصور.. بل لا تزال اجتهاداته وأثاره الفكرية تطبع قطاعات واسعة من الثقافة الإسلامية حتى الآن.

و (المنقذ من الضلال) و (مقاصد الفلاسفة) و (فضائح الباطنية) و (المعارف العقلية) و (المضنون به على غير أهلها) و (جواهر القرآن) و (التبر المسبوك فى نصيحة الملوك) و (منهاج العابدين) و (المستصفى من علم الأصول) و (ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل) و (عقيدة أهل السنة) و (ميزان العمل) و (المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) .. إلخ .. إلخ ..

ومؤلفات الغزالي قد بلغت نحو من مائتى كتاب ورسالة، كتب أغلبها باللغة العربية.. وبعضها باللغة الفارسية- ولقد ترجمت إلى العربية.. كما ترجمت العديد من مؤلفاته إلى العديد من اللغات- الإسلامية والأجنبية.. ومن أهم كتبه- غير كتاب (تهافت الفلاسفة)- .. (إحياء علوم الدين) و (الاقتصاد فى الاعتقاد) و (معيار العلم) و (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) و (معارج القدس)



ولقد جمع الغزالي، فى تأليفه ودروس تعليمه، موسوعية المجدد إلى عمق المجتهد.. مع التميز بالاهتمام بتقعيد «المنهج» فى العلوم التى كتب فيها.. اهتم بهذه «المنهجية» فى مقدمات مؤلفاته، وفى ثناياها، بل وأفرد عددا من آثاره الفكرية لقضية «المنهج»، كما صنع فى (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) وفى (معيار العلم).. وغيرهما.

ومن أبرز الإنجازات الفكرية، التى سرت معالمها فى كل كتابات الغزالي، مواجهته الحاسمة لذلك الفصام النكد، الذى كان قد ساد فى الثقافة الإسلامية، بين «العقل» و«القلب» و«النص»، عندما غلب على الفقهاء مجافاة القلب، وعلى الصوفية مجافاة الشرع، وعلى الفلاسفة عقلانية منفصلة من الشرع والقلب معا، فدعا الغزالي إلى إحياء كل العلوم، باقتران وامتزاج العقل والشرع والقلب جميعا، لتفقه القلوب بنور العقل والشرع معا.. فيكون للناظرين نور مبعثه العقل والشرع جميعاً.

منهاجه فى النقد

وإذا كانت العقلانية الإسلامية - كما فهمها الغزالي، ودافع عنها، وحبذها - هى العقلانية المؤمنة، التى تؤاخى بين «نور العقل» و«نور الشرع»، والتى رآها «الوسطية الإسلامية الجامعة» بين النورين، والمتميزة عن غلو الظاهرية النصوصية الحرفية، وعن غلو الفلاسفة.. وهى عقلانية «أهل السنة، الذين تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول.. لأن مثال العقل: البصر السليم عن الآفات والأداء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء.. فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله: المعارض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور»^(١).

ولقد جمع الغزالي، فى تأليفه ودروس تعليمه، موسوعية المجدد إلى عمق المجتهد.. مع التميز بالاهتمام بتقعيد «المنهج» فى العلوم التى كتب فيها.. اهتم بهذه «المنهجية» فى مقدمات مؤلفاته، وفى ثناياها، بل وأفرد عددا من آثاره الفكرية لقضية «المنهج»، كما صنع فى (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) وفى (معيار العلم).. وغيرهما.

ومن أبرز الإنجازات الفكرية، التى سرت معالمها فى كل كتابات الغزالي، مواجهته الحاسمة لذلك الفصام النكد، الذى كان قد ساد فى الثقافة الإسلامية، بين «العقل» و«القلب» و«النص»، عندما غلب على الفقهاء مجافاة القلب، وعلى الصوفية مجافاة الشرع، وعلى الفلاسفة عقلانية منفصلة من الشرع والقلب معا، فدعا الغزالي إلى إحياء كل العلوم، باقتران وامتزاج العقل والشرع والقلب جميعا، لتفقه القلوب بنور العقل والشرع معا.. فيكون للناظرين نور مبعثه العقل والشرع جميعاً.

وكما كان كتابه الفذ (إحياء علوم الدين) إحياء للعلوم الشرعية بروحانية القلب المؤمن، إنقاذاً لها من جفاف الشكل والصور والحركات.. فلقد كان كتابه (تهافت الفلاسفة) إسهاماً فى إعادة الفلسفة إلى إطار الوحي الإلهي، وضبط العقلانية بثوابت الإيمان الدينى، وذلك من خلال الدراسة النقدية - التى قدمها هذا الكتاب - نقضا لما رآه الغزالي باطلاً فى مقولات الفلاسفة القدماء - أى الإغريق..

فمع إبداع الغزالي فى ميادين العقلانية

(١) الغزالي (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص ٢، ٣ طبعة القاهرة. مكتبة صبيح. بدون تاريخ.



الآخر.. فالخلاف مع هذه القلة فى الأصول، بينما الخلاف فى التفاصيل مع الفلاسفة الذين توجه إليهم بالنقد فى هذا الكتاب.

ولذلك، حصر الغزالي المقولات الفلسفية التى رأى كفر قائلها فيما رآها متعلقة «بالأصول».. وهى- فى كتابه هذا- ثلاث مسائل:

إحداها: مسألة قدم العالم، والقول بأن الجواهر فيه كلها قديمة..

والثانية: القول بأن الله - تعالى - لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص، وإنما يقف علمه عند ذاته فقط..

والثالثة: إنكار بعث الأجساد والأبدان وحشرها يوم القيامة..^(٣)

وذلك، لأن القول القاطع بهذه المسائل الثلاث، فيه إنكار وتكذيب لما أخبر به الأنبياء والمرسلون جميعا، وهو مالم يعتقده أحد من فرق المسلمين ومذاهبهم.. أما ما عدا ذلك من مقولات الفلاسفة- الأوائل والأواخر- فإن لها شبيها بمقالات فرق إسلامية، إن عدها البعض فى «أهل البدع»، فلقد رفض الغزالي تكفيرها.. فالتكفير خاص «بما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين، كالقول فى حدوث العالم، وصفات الصانع، وبيان حشر الأجساد والأبدان. وقد أنكروا جميع ذلك..»^(٤)



إذا كانت هذه هى العقلانية الإسلامية، كما آمن بها الغزالي- وكل أهل السنة- فإن منواجه فى نقد نظريات هؤلاء الفلاسفة كان بمعيار هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة.. فهو لم يحاكم نظرياتهم إلى الشرع الإسلامى وحده، وإنما حاكمها إلى العقل أيضا، فكان - فى هذا الكتاب- فيلسوفا إلهيا، يكشف تهافت مقولات فلسفية رآها منفصلة من ضوابط الشرع الإسلامى، ومن ضوابط العقل المؤمن أيضا..

وهو- فى هذا الكتاب- يرد على «الفلاسفة القدماء»- أى الإغريق- وعلى «المقلدين لهم».. وهو لا يكفر الفلاسفة بتعميم وإطلاق- فلقد كان من أكثر العلماء تخرجاً من التكفير-.. وإنما رأيناه يتحدث عن هؤلاء الفلاسفة فيقول: «إنهم مؤمنون بالله، ومصدقون لرسله، ولكنهم اختبطوا فى تفاصيل بعض هذه الأصول، قد زلوا فيها، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل» فلقد «اتفق كل مرموق من الأوائل والأواخر على الإيمان بالله واليوم الآخر.. والاختلافات راجعة إلى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين، اللذين لأجلهما بعث الأنبياء المؤيّدون بالمعجزات، ولم يذهب إلى إنكارهما إلا شذمة يسيرة.. لا يؤبه بهم»^(٢).

فهو لا يصنف عموم الفلاسفة فى خانة القلة الدهرية، الذين كفروا بالله واليوم

(٢) الغزالي (تهافت الفلاسفة) ص ٣. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

(٣) المصدر السابق، ص ٩١.

(٤) المصدر السابق، ص ٥.

المقدمات.. والفصول

ولقد قسّم الغزالي كتابه هذا إلى أربع مقدمات، وعشرين مسألة، وخاتمة..

تحدث في المقدمة الأولى عن طول اختلاف الفلاسفة، وكثرة نزاعهم، وتباعد طرقهم.. الأمر الذى يقطع بلا يقينية مقولاتهم، التى تغاير فى اليقين المقولات الرياضية والهندسية التى ألفوا فيها..

وتحدث فى المقدمة الثانية عن أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق..

وتحدث فى الثالثة عن منهجه فى إبطال الباطل من مقولاتهم، وكيف أنه استعان فى هذا المقام بحجج الفرق الإسلامية، حتى تلك التى يختلف معها الغزالي والأشعرية.. لأن التناقض بينه وبين هذه المقولات الفلسفية مقدم على التناقضات مع الفرق الإسلامية الأخرى «فإن سائر الفرق ربما خالفونا فى التفاصيل، وهؤلاء (الفلاسفة) يتعرضون لأصول الدين، فلنتظاهر عليهم، فعند الشدائد تذهب الأحقاد»!- وهو، بهذا المنهاج، يقدم مذهبا فى فقه وترتيب الأولويات!..

وفى المقدمة الرابعة تحدث الغزالي عن «حيل الفلاسفة»، الذين خلطوا يقين المعقولات بظنونها، وذلك عندما خلطوا علومهم الرياضية والهندسية والمنطقية بمقالاتهم فى الإلهيات، على حين أن الرياضيات راجعة إلى الحساب والهندسة، وهى لا إنكار لها ولا اختلاف فى حقائقها وقوانينها.. بينما كان الخطأ فى علومهم الطبيعية

يسيرا.. وفى الإلهية كثيرا.. ولقد استعانوا، بهذا الخلط، على تمويه أخطائهم فى الإلهيات بإيهام صحتها عن طريق الطبيعيات والرياضيات.. بزعم التسوية بين جميعها.. (٥)

... وحديث الغزالي، فى هذه المقدمة الرابعة، يعالج ذات القضية الحديثة التى تبنتها الفلسفة الوضعية الغربية، وفلاسفة التنوير الغربى- منذ عصر النهضة الأوروبية- عندما أرادوا تطبيق مناهج العلوم الطبيعية- الدقيقة والمحايدة- على العلوم الاجتماعية- علوم النفس والسياسة والاجتماع والاقتصاد.. بل والفنون والفلسفات والآداب- مضيفين على نظرياتهم فى العلوم الاجتماعية والإنسانية وعلى مقولاتهم الفلسفية يقين حقائق العلوم الطبيعية وقوانينها.. الأمر الذى يختلف معهم فيه الكثيرون..

وبعد هذه المقدمات الأربع، عرض الغزالي للمسائل العشرين، التى تناول فيها تناقضات مذاهب الفلاسفة فى قضايا مثل: أزلية العالم وقدمه.. وأبديته وخلوده.. وعجز مذهب الفلاسفة عن البرهنة على أن صانع العالم هو الله.. وعلى وحدانيته، واستحالة إلهين.. وإبطال مذهبهم فى نفى الصفات الإلهية.. ولزوم القول بالدهرية لمذهبهم، ومن ثم تناقضه مع دعواهم الإيمان بالله.. ومذهبهم فى العلم الإلهى، الذى أنكروا فيه علم الله للجزئيات، وزعموا أن «نفوس السموات» هى التى تعلمها.. وكذلك مذهبهم فى السببية، الذى هو فى حقيقته مذهب «الحتمية المطلقة»، المنكرة لإمكانية خرق

(٥) المصدر السابق. ص ٢ - ٦.

على جسمها بحيث لا تتعدها، وتبقى معها سخونتها، وتكون على صورة النار حقيقتها.. أو يحدث في بدن الشخص صفة، ولا يخرجها عن كونه لحما وعظماً فيدفع أثر النار.

فالغزالي لا ينكر ضرورة عمل الأسباب في المسببات، وإنما «يجوز» استبدال الأسباب بأخرى توقف عمل الأولى، وتعمل هي بدلا منها.. وكما أن الجسم لا يحترق إذا هو طلي بمادة عازلة- «كالطلق»- الذي تحدث عنه الغزالي- فإن العقلانية المؤمنة «تجوز» استبدال الأسباب من قبل مسبب الأسباب - سبحانه وتعالى - وذلك إيماناً «بمقدرات الله، التي لم نشاهد جميعها، فلا ينبغي إنكار إمكانها، والحكم باستحالتها».. (٧)

ولذلك، فنحن لا ندهش عندما نرى أن رأى الغزالي هذا- في كتابه (تهافت الفلاسفة)- هو نفسه رأى ابن رشد [٥٢٠-٥٩٥هـ / ١١٢٦-١١٩٨م] في كتابه (تهافت التهافت).. الذي رد فيه على الغزالي!- فابن رشد، المناصر لعلاقة الفردية بين الأسباب والمسببات، هو- مثل الغزالي- مؤمن بأن هناك فاعلا وراء الأسباب المعتادة، له في المسببات فعل- بل إنه هو فاعل وموجد هذه الأسباب.. وعنده: «لا ينبغي أن يشك في أن هذه الموجودات قد يفعل بعضها بعضا ومن بعض، وأنها ليست مكتفية بأنفسها في هذا الفعل، بل بفاعل من خارج، فعله شرط في فعلها، بل في وجودها، فضلا عن فعلها.. ولا يشك أحد من الفلاسفة في أن الإحراق الواقع في القطن من النار مثلا، أن النار هي الفاعلة له، لكن

العادة من قبل مسبب الأسباب.. ومذهبهم في استحالة الفناء على النفوس البشرية.. وإبطال قولهم إن البعث والحشر والتلذذ والتألم في الجنة والنار إنما هو بالمعاني والأرواح، لا بالأجساد والأبدان.. (٦)

وكمثال على حقيقة موقف الغزالي في هذه «المسائل»-وهو موقف قد أسيء فهمه كثيرا- رأيه في «السببية».. فلقد شاع- شيوع «الخطأ الشائع»- إنكار الغزالي لعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات، بينما الذي أنكره الرجل على الفلاسفة هو القول «بالحتمية المطلقة» التي لا تتخلف، في علاقة الأسباب بالمسببات.. فعنده أن الضرورة- التي سماها «الاقتران» قائمة بين الأسباب والمسببات، اللهم إلا إذا أراد مسبب الأسباب وخالقها إظهار «الإعجاز»، فإنه قادر على إحلال القوانين غير المعتادة محل الأسباب المعتادة، ليخرق بها العادة والاقتران المعتادة.. وتأمل عبارات الغزالي، في هذه المسألة، لا يدع مجالا للشك في أن هذا هو مراده.. فهو يقول: «إننا نسلم أن النار خلقت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه» ثم يضيف حديثه عن الإيمان بقدرة مسبب الأسباب على خرق هذه الاقتران المعتادة بإيجاد أسباب غير معتادة، فيقول- مستطردا:- «ولكننا، مع هذا، نجوز أن يلقي شخص في النار فلا يحترق، إما بتغير صفة النار أو بتغير صفة الشخص، فيحدث من الله - تعالى - أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها

(٧) المصدر السابق. ص ٦٧، ٩٨.

(٦) المصدر السابق. ص ٦٠ - ٩٠.

فابن رشد قد سعى إلى نقضه في كتابه (تهافت التهافت) .. كما طلب السلطان العثماني محمد الفاتح [٨٣٣-٨٨٦هـ / ١٤٣٠-١٤٨١م] من العلامة مصطفى بن خليل البرسوى، الملقب بـ «خوجة زادة» [٨٩٣هـ - ١٤٨٨م] أن يكتب «تحكيما» بين الغزالي وابن رشد، فكتب كتابه (تهافت الفلاسفة) الذي اقتفى فيه مذهب الغزالي، مع انتقادات وشروح وتعليقات ..

بل لقد وجدنا مقالات الغزالي - في هذا الكتاب - سلاحا استخدمه خصوم «الرشدية» اللاتينية - في أوروبا - إبان النهضة الأوروبية الحديثة .. منتصرين بهذه المقالات للإيمان المسيحي، في مواجهة «وضعية ومادية» فلاسفة التنوير ..

ولقد عرف هذا الكتاب طريقه إلى الطباعة منذ مايزيد على المائة عام .. فصدرت له «طبعة حجر» في «بومباي» - بالهند - سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م .. ثم طبعته المطبعة الخيرية - بمصر - سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠١م - ومعه (تهافت التهافت) لابن رشد، و(تهافت الفلاسفة) لخوجه زاده .. ثم أعيدت هذه المجموعة - في طبعة الحلبي - سنة ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م .. ثم طبع بتحقيق «الأب بويج» - ببيروت - سنة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م .. ثم بتحقيق وتعليق الدكتور سليمان دنيا - في طبعة الحلبي - سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .. وهي الطبعة التي أخرجتها دار المعارف - بمصر - سنة ١٣٧٤هـ - سنة ١٩٥٥م .. إلي غير ذلك من الطبعات، التي تناولت حظوظها من التحقيق والدرس والتعليق.

لا بإطلاق، بل من قبل مبدأ من خارج، هو شرط في وجود النار، فضلا عن إحراقها-^(٨)!

فلا خلاف في السببية، ولا في علاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات .. وإنما الخلاف مع القائلين «بالحتمية المطلقة»، لأن مذهبهم هذا يجعل المسببات مفعولا للأسباب المادية وحدها، منكرين بذلك قدرة خالق الأسباب ومسببها على إحلال الأسباب غير المعتادة محل هذه الأسباب المعتادة ..



والغزالي، الذي صاغ - في تراثنا - عبارة: «إنه لا مشاحة في الألفاظ» والمصطلحات .. هو الذي نبه على ضرورة تحديد المراد والمفهوم والمضمون من المصطلحات، كشرط من شروط صحة الجدل مع الفلاسفة، وجدوى الحوار مع الخصوم .. فإذا كان «المنطق» هو «آلة الفكر» في المعقولات، فلا بد من الاستعانة على فهم الفلاسفة بفهم مصطلحاتهم المنطقية، وطرائقهم في النظر .. ولذلك، وجدناه - في (تهافت الفلاسفة) - ينبه على ضرورة الاطلاع على كتابه (معيان العلم)، الذي تناول فيه ما يسميه الفلاسفة علم المنطق .. وصولا إلى تحرير وتحديد المفاهيم، كشرط لموضوعية الحوار والجدل ..^(٩)



وللمكانة المحورية لكتاب الغزالي هذا، في المسيرة الفلسفية لحضارتنا الإسلامية، كان الاهتمام به - نظرا .. وشرطا .. وتعليقا .. ونقدا - من قبل كثير من العلماء والفلاسفة والنظار ..

(٨) ابن رشد (تهافت الفلاسفة) ص ١٢٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

(٩) الغزالي (تهافت الفلاسفة) ص ٦٠٥.



علم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري المدوناني 1990-1923

281

تاريخ الطب

من هن المداواة إلى علم التشخيص

تأليف: جان شارل سورنيا

ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي

قراءة نقدية في كتاب

عرض وتعليق

الأستاذ الدكتور

أحمد فؤاد باشا (*)



(٣) نواصل قراءتنا في كتاب «تاريخ الطب» الذي صدر مؤخراً برقم ٢٨١ في سلسلة «عالم المعرفة» التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت. ومؤلف هذا الكتاب هو: جان - شارل سورنيا الأستاذ بالأكاديمية الطبية الفرنسية الذي ترأس الجمعيتين الفرنسية والدولية لتاريخ الطب وله العديد من المؤلفات في المجال نفسه منها كتاب «الأطباء العرب في القرنين العاشر والحادي عشر» (١٩٨٦) .. وخبرة المؤلف في مجال تاريخ الطب تدعونا إلى التركيز على بعض ألفاظه وعباراته التي قصدها قصداً في ثنايا السطور .. فهو يقول: «مع نهاية القرن الحادي عشر (الميلادي) ندر الأطباء الكبار المتكلمون باللغة العربية في الشرق» .. متجاهلاً بذلك أن اللغة العربية في ذلك الوقت كانت لغة العلم العالمية وقد أحبها الموالي حتى إنهم فضلوها على لغاتهم الأصلية .. وقال أحدهم، وهو أبو الريحان البيروني، إن الهجو بالعربية أحب إليها من المدح بالفارسية.

(*) الكاتب: نائب رئيس جامعة القاهرة.

(٤) من ناحية أخرى، إذا عدنا لرأى المؤلف بأن « المؤمنين فى بلاد الإسلام اليوم يؤسسون علمهم الطبى على « الطب النبوى » ، فإن هذا رأى تكرر لما جاء فى مؤلفات عدد من المؤرخين منها دراسة حديثة حول « الاتجاهات الجارية فى دراسة العلوم والطب عند المسلمين فى العصر الوسيط » (مجلة الثقافة العالمية . العدد ٤٤ ، الكويت ١٩٨٩م) أورد فيها « إميلي سفيج - سميث » كلاما مبتسراً عن « الطب النبوى » والرسائل المؤلفة فيه من قبل علماء الدين وليس من قبل الأطباء على أساس اعتقادهم بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق الوحي والنبي محمد ﷺ وأعراف الصحابة المقربين . ويزعم « سميث » فى دراسته أن رسائل الطب النبوى قد شاعت فى مقابل الطب القائم على أساس إغريقى على أيدي فريق من الأطباء النطاسيين أمثال ابن جميع وابن رضوان وغيرهما . والحق أن ما يعرف بالطب النبوى أو الطب الإسلامى قد نشأ بظهور الإسلام ونما وتطور نظرياً وعلمياً على أيدي علماء الأمة الإسلامية وأصبحت له فروع تبحث فى أسرار القرآن الكريم وأحكامه وشرائعه وعلاقتها بالصحة والوقاية والبيئة والعلاج والتربية وغيرها من المباحث الطبية المختلفة .

وفى مقال آخر ظهر بمجلة « العلم والمجتمع » .
Impact of Science on Society, UNESCO,
No159, 245 (1990).

نجد مثلاً واضحاً يجسد محاولات التستر بالعلم لتشويه الإسلام من خلال الثقافة

ثم لا يلبث المؤلف أن يقع - كالعادة - فى تناقض عجيب عندما يقرر بعد ذلك بقليل أننا نمتلك اليوم سلسلة من البيوجرافيا الطبية، من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر.. حوالى أربعمئة عام من التاريخ، مليئة بالطب والأطباء .. خلفوا لنا مؤلفات قيمة .. أغلبها باللغة العربية ويعترف فى الوقت نفسه بأن الجانب الآخر من الأبيض المتوسط .. فى المغرب وفى أسبانيا..، وقد شهد الازدهار نفسه الذى شاهده الجانب الشرقى، حيث تلالأت أسماء: ابن زهر، وابن رشد، وابن جلدجل، والزهرراوى، وغيرهم .

وأشار المؤلف إلى موسوعة الزهرراوى التى تقع فى ثلاثين جزءاً وسماها « الترصيف » ولم يصوبها المترجم . وصحتها « التصريف لمن عجز عن التأليف » وهو من أشهر المؤلفات الطبية فى علم الجراحة وقد ضمنه الزهرراوى نظريات مهمة غير مسبوقة وزوده برسوم توضيحية لأكثر من مائتى آلة جراحية معظمها من ابتكاره وتطويره ، ورغم هذه الحقيقة المعروفة تاريخياً فإن مؤلف كتاب « تاريخ الطب » يحرص على أن يؤكد على أن الأطباء والجراحين المسلمين لم يظهروا ميلاً خاصاً نحو كتابة المراجع أو الملخصات أو الموسوعات، كما يحرص - بافتعال ملحوظ - على تأكيد ما أسماه بالدور الذى لعبه الأطباء اليهود فى الإنتاج الطبى واستمرار ما أسماه بالعطاء الطبى العربى واليهودى فى مراكز ثقافية نشطة - مثل فاس ومراكش وتونس والقيروان .

عبارات إنشائية معسولة الألفاظ عندما ذكر في كتابه «تاريخ العلم» (الترجمة العربية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م، ص ٢٣-٢٤) مانصه:

«.. وحديثنا عن الماضي محدود من عدة وجوه.. وأحد هذه الوجوه الضرورية أنه يجب علينا أن نقصر أنفسنا على أسلافنا فحسب.. والواقع أن ثقافتنا النابعة من الأصل الإغريقي والعبري هي الثقافة التي تعيننا كثيرا، إن لم تكن هي كل ما يعيننا، والزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشرٌّ لأنني إذا كنت أرقى من جيراني، فليس لي أن أقول ذلك. ولكن لهم فقط أن يقولوه، وإذا زعمت لنفسى شيئا من العلو لا يستطيعون - أو يقبلون - أن يصادقوا عليه، فإن ذلك لا يثمر سوى العداوة بيننا».

حتى عندما اتجه بعض المؤرخين الغربيين إلى التأليف في تاريخ العلم لإذكاء النزعة القومية.. نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربى، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنسانى، ولكن لكي يثبت أن أسطورة تفوق الجنس الآرى ومقولة أن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربيا، فعندما ألف «جوزيف نيدهام» زملاؤه سبعة مجلدات ضخمة (بدأ إصدارها فى عام ١٩٥٤م) عن العلم والحضارة فى الصين، كان يحاول أن يفسر السبب الذى حال دون أن تتبع التنمية فى الصين نفس المسار الذى اتبعته الثورة العلمية الحديثة فى أوروبا، ثم يسعى من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمنى مفاده أن العلم الذى

الآيات القرآنية الكريمة، وترك للرسول الكريم بيان تفصيلها قولاً وأداءً وتوقيتاً، وعنه - ﷺ - تنقلت إلى يومنا هذا . ولو قرأ «ديفيد لنج»، أو سأل أهل الذكر، لعلم أيضا أن صلاة الضحى عبادة مستحبة، من شاء ثوابها من المسلمين فليؤدها وإلا فلا تشرب عليه فى تركها، وليس صحيحا ما ذكره «ديفيد لنج» عن الرسول ﷺ . من روايات تنسب إليه قوله بأنها بدعة موروثه، وأن هذا كان سببا واضحا - فيما يزعم - لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية فقد جاء فيما روى الترمذى وحسنه عن أبى سعيد - رضى الله عنه - قال: «كان ﷺ يصلى الضحى حتى نقول: لا يدعها. ويدعها حتى نقول لا يصليها».

(٥) أما ما لاحظناه على مؤلف كتاب «تاريخ الطب» من تحيز واضح لثقافة الغرب المادية ومحاولة التأصيل لها بما أسماه «التراث اليهودى المسيحى المشترك» فهو اتجاه يروج له بعض المؤرخين ونجده واضحا فى سلسلة «تاريخ العلوم العام» التى تقع فى أربعة أجزاء ساهم فى تأليفها أكثر من مائة باحث بإشراف «رينيه تاتون» (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨) حيث يكال المدح والثناء على ما يسمى «بالعلم العبرى» وتساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة فى الشرق، وللإشادة بالعصر الذهبى «للعبرية السامية» فى حضارة بابل وآشور.

ويتضح هذا الاتجاه أيضا عند «جورج سارتون» الذى حاول إخفاء دوافعه النفسية وراء



وسياسية وعقدية - متحيزة وغير موضوعية يمكن أن تغير مستقبلا في أساليب العديد من المؤرخين، وتحديد ملامح نوع من الاستشراق الجديد والعلمانية المحدثة التي تتستر بالعلم لإثارة الشكوك حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة.

إن أخطر ما يواجه أعداء الإسلام في عصرنا هو إمكانية البعث الحضارى للأمة الإسلامية، ومن ثم فإنه لم يعد كافيا بالنسبة لهم أن يبدوا عدم ارتياحهم للربط بين العلم والإسلام فى أية صورة من الصور التى ينادى بها الإسلاميون، بل إنه لم يعد كافيا أن تقتصر دعوتهم على مجرد الفصل بين المقومات المادية لقيام النهضة والطاقات الروحية المغذية لها، وذلك باستبعاد الدين عن مجال التأثير، والتعويل على قوة العلم وحده لتحقيق الجنة الموعودة. ولذا فانهم يتصدون بكل قوتهم وإمكاناتهم لكبت أية جهود تهدف إلى ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره، كما كان من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف: العقيدية والعملية، ثم يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت والمناسبة لطبيعة العصر والمستشفرة لطموحات المستقبل. ولعل أكثر ما يزعج أنصار التيارات المعادية للإسلام ويؤرقهم هو تصحيح واقع الفكر الإنسانى المعاصر لدى عقلاء العالم ومفكره إذا ما وصلت اليهم حقائق الإسلام واستفادوا منها فى إصلاح شئون حضارتهم المهددة بالانهيار.

أينع بالفعل فى أوروبا النهضة عالمى، وأن كل ماهو أوربى عالمى.

وعلى غرار «جوزيف نيدهام» فى كتابه عن العلم الصينى:

J.Need ham, the Chinese Scientific Tradition, 1962.

(عن مجلة العلم والمجتمع، الترجمة العربية، اليونسكو، ٧٣٤، ١٩٨٩م) جاء «توبى هاف» حديثا.، فى كتابه «فجر العلم الحديث، الإسلام. الصين - الإسلام» (الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت، مارس وأبريل ١٩٩٧م) محاولاً الإجابة عن سؤال: لماذا نشأ العلم الحديث فى الغرب دون حضارتي الإسلام والصين، مع أنهما كانتا فى العصر الوسيط أكثر تقدما فى العلم؟ ولتفسير ذلك جعل المؤلف من هذا السؤال «إشكالية» تناول من خلالها اختلاف الأنظمة الدينية والفلسفية والتشريعية فى الحضارات الثلاث، وساق مبررات خاصة تساعده على بلورة نسق مميز لبنية المجتمع الغربى جعله الأصلاح - من وجهة نظره - لإتاحة مناخ الحيدة والحرية فى ممارسة البحث العلمى.

● خاتمة:

وهكذا نجد التحيز واضحا بدرجات متفاوتة فى كتابات المؤرخين الغربيين لأسباب لم تعد خافية على أحد، وربما نكون على صواب إذا ما اعتقدنا أن تاريخ العلم والتقنية يصاغ الآن - فى عصر العولمة - فى إطار أنساق معرفية - اجتماعية



تنويه

حضرة الفاضل العالم الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

رئيس تحرير «مجلة الأزهر»

السلاّم عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

عند قراءتي للعدد الأخير من مجلة الأزهر (ربيع الأول ١٤٢٣ هـ / يونيو ٢٠٠٢) لاحظت خطأين تاريخيين لا يمكن السكوت عنهما في مقالة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي (الأمويون وتأكيده هوية القدس الإسلامية).

— **الخطأ الأول:** في أول سطر من الصفحة رقم ٤٢٦ حيث ورد: وبعد وفاة يزيد (يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) تمكن ابنه مروان الأول ٦٨٤ - ٦٨٥ م ثم ابنه عبد الملك

والمعروف أن مروان الأول هو مروان بن الحكم وليس ابن يزيد. تابع الخطأ الأول: أن الذي تولى بعد يزيد هو ابنه معاوية الثاني ثم أتى بعده مروان الأول وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

— **الخطأ الثاني:** ورد في أسفل العمود الثاني من الصفحة رقم ٤٢٨ مايلي: ومما لا شك فيه أن المدينة [يقصد القدس] جذبت اهتمام ابن الوليد سليمان ٧١٥ - ٧١٧ م.

مع أن سليمان بن عبد الملك هو أخو الوليد بن عبد الملك وليس ابنه.

مهندس مدني / أبو السعود السعيد الدسوقي

الإدارة العامة لرى شرق الدقهلية



اغتسال المجانب

من أظهر الأمثلة على تأثير الإسلام على العوائد اليهودية عادة اغتسال المجانب . ومن الممكن أن نستخدم هذا المثل نموذجاً لسائر الأمثلة التي يتناولها بحثنا ونستطيع أن نستعين بما يتضح بصدده من حقائق على فهم ما يكون غامضاً في غيره .

ولسنا بحاجة إلى أن نقف هنا على هذه العادة في العصر التلمودي وما تعرضت له من تغير في بابل أو فلسطين لأن كثيرين قد قاموا بدراسة ذلك كله ولا سيما العلامة ليفي جينسبورج الذي وفي هذا التشريع حقه من البحث والتحقيق، وما يعيننا هي تلك الحقيقة التي قررها جينسبورج والتي مؤداها أن هذه العادة ليس لها ما يثبتها في حكم التلمود البابلي، وأنها في الواقع لم تكن مألوفة في بابل لا في العصر التلمودي ولا في عصر الجاءونيم الأوائل . بيد أنه ابتداء من العصر الوسيط للجاهونيم نرى أن هذه العادة قد ضربت جذورها في بابل أيضاً .

فما الذي دعا إلى هذا التحول؟

إننا نجد الإجابة عن هذا السؤال لدى الحبر « كوهين صيداق جاءون فومبيتا » الذي طلب التدقيق في اغتسال المجانب « لأجل النظافة وتقديس الله أمام الشعوب » .

فهذه الكلمات لا تحتاج إلى إيضاح وهي تطالعنا بجلاء تام على العوامل الخارجية لهذا التحول المشار إليه وغنى عن البيان أن العبادة

التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية

تأليف: نفتالي فيدر
ترجمة: د. محمد سالم الجرح

عرض وتحليل:
الأستاذ الدكتور

محمد إبراهيم الفيومي





الإسلامية تدقق تدقيقاً شديداً في هذا الغتسال .

وكل ذلك يشير إلى مدى تغلغل هذا التأثير الأجنبى . ويدافع من هذا التأثير لم يأخذ اليهود على عاتقهم أن يغتسلوا فى حالة إذا ما وجد ماء فحسب بل أصبح الغتسال بعد ذلك شرطاً تبطل الصلاة بدونه . وقرر الحبر هائى الجاءون أن الذى ليس لديه ماء لا يصلى . ويدل على ذلك بقوله : « ونحن نتذكر عدة سبوت كنا نصلى عن الحبر هارون الجاءون تبارك ذكره فى بيته بينما هو قاعد عن الصلاة حتى الغروب » وفى مصر ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير فحرموا على المجانب الدخول إلى الكنيسة .

إن أماننا تأثير من البيئة الأجنبية وذلك ما يتضح من رسالة رامبام إلى الحبر فنحاس بن مشلوم قاضى اليهود فى الإسكندرية . ويجب أن نعرض هنا خلاصة الرسالة لما لها من الأهمية من نواح عدة . فإن الحبر فنحاس يحمل إليه خبر المعارضة القوية التى تعرض لها رأيه المتهاون فى هذا الغتسال بين جمهور يهود الإسكندرية ويصف ذلك قائلاً « هب الناس من جميع الأنحاء وجاءونى قائلين : نحن لم نعد نحتمل أقوالكم فأنتم تحلون ما تشاءون وتحرمون ما تشاءون أليس هناك تقاليد أثرت على أسلافنا ومن أتو من قبلنا تقضى بأن لا يقرب الإسرائيلى الصلاة

إذا كان مجاناً حتى يغتسل فى الحمام أو فى البحر ويتطهر وينظف نفسه ؟ والآن يجيزون الصلاة ودخول الكنيس وتلاوة التوراة دون اغتسال أو تطهر . إذا كان الدين كذلك فإننا ذاهبون كى نرفع أمرنا إلى القضاء » .

هذه الكلمات تنطوى على معان عدة وعلى وجه الخصوص الجملة الأخيرة التى نستطيع هنا أن ندرك من خلالها واحدة من التفصيلات المهمة والشائعة فى القضية المعروضة أمامنا : لقد هدد المعارضون أولئك الذين يتساهلون فى هذا الغتسال بأن يشوا بهم لدى السلطات العربية الإسلامية لأنهم رأوا فى الصلاة دون اغتسال أمراً منكراً . فأنت ترى فى هذا دلالة قطعية على أن اكترائهم لرأى العرب كان عملاً له أهميته فى هذا الشأن .

إصلاحات الحسيدين فى الصلاة (١)

أ- الإصلاح النسكى ودوافعه :

إن الغاية التى تضمنتها اصلاحات الميمونى استمر تحقيقها وبصورة متطرفة فى مجموعة الإصلاحات التى أدخلها ابنه الحبر إبراهيم على نظم الصلاة المتفق عليها . ومما لا شك فيه أن مثل هذا الإقدام وذلك الحزم الذى لا يشوبه وجل وهو ما تميزت به خطوة الأب الجريئة كان للابن بمثابة قدوة يحتذى بها كما كان يمدد بالتشجيع فى صراعه من أجل تحسين شعائر الصلاة .

(١) فرقة يهودية.





السجود

كونت أوضاع التعبد الجسمانية على اختلاف أنواعها جزءاً هاماً من الحياة الدينية اليهودية فى أعصرها القديمة. وصور العبادة هذه: البروك، الركوع، السجود، الجثو، وإكفاء الوجه. وبكثر ورودها فى الكتاب المقدس ومعروف أنها كانت متبعة حتى فى عصر الهيكل الثانى. وبعد تخريبه كان هناك ميل واضح لهجر هذه العادة القديمة.

وعندما أدخل الأحرار الأوضاع الجسمانية فى الصلاة العادية شرعوها على أساس أنحناء القامة والركوع فقط. وقد حدد أحرار التلمود كيفية الركعات وعارضوا انحناء الجسم أكثر من اللازم. ويتجلى هذا الاعتراض وبوضوح فى موقف الحبر يهوذا لبناسى، الذى حكى عنه أنه رأى أن أحدهم انحنى أكثر من اللازم فأبعده الحبر ومن المفيد أن نقارن سجودهم فى الهيكل بهز الرأس الذى اكتفوا به فى الصلاة كما أنهم حددوا عدد الركعات حتى لا تزيد على أربعة.

إحياء السجود

بعد هذا العرض المجلل علينا أن نبحث هذا التغير الذى حدث فى عصر إبراهيم الميمونى أى: إرجاع السجود إلى سابق عهده. وهذا التغير يفسر أولاً بأنه تأثير البيئة الإسلامية على وجه العموم. فمن المعلوم أن للسجود منزلة هامة ومرموقة فى الصلاة الإسلامية التى جوهرها ليس سوى سلسلة من الأوضاع الجسمانية المعينة تصحبها آيات قصيرة فى الحمد والتسبيح

وعلىنا أن نقرر من البداية أن الأنظمة الحديثة التى أسسها الحبر إبراهيم الميمونى قد نقلت من المسجد إلى الكنيس وأن فيها ما يعد تطاولاً جوهرياً على نظم الصلاة التقليدية وملاءمتها شعائر العبادة الإسلامية، وهذه النظم هى:

أ- السجود.

ب- الجلوس على هيئة البارك.

ج- استقبال القبلة وقت الجلوس أيضاً.

د- وقوف المصلين فى صفوف.

هـ- بسط اليدين.

وليست هذه كلها سوى تعديلات تتسم بطابع الإصلاح. غير أن الحبر إبراهيم الميمونى لم ير نفسه مصلحاً مجدداً بل باعثاً لعادات قديمة.

فقد تكاثفت عوامل شتى لتنتهى إلى اتجاه واحد: رد فعل الآراء الإسلامية على العبادة والخوف على وقار بنى إسرائيل ودينهم، وهذان الاعتباران هما اللذان دفعا موسى الميمونى إلى الإصلاح وكانا دافعين هامين بالنسبة لابنه. وليس هذا فقط بل فى مقدورنا أن نقول: إن تأثير رد الفعل القوى هذا كان أعنف فى قوة التأثير على أبيه، لأنه كانت تربطه بالنسك المسلمين قرابة روحية، فلا شك أنه اتصل بهم اجتماعياً، وأعظمهم وأكن لهم ولعاداتهم السلوكية كل الاحترام، وقد أدى به تبجيله إلى إمعان النظر فى آرائهم. وسوف نجد مفتاحاً هاماً أفهم روح إبراهيم الميمونى فى أقواله.



فيها أو يكرر أن القرائين يلصقون وجوههم في الأرض: يحنون قامتهم ووجوههم في غبار الأرض يمرغون خدودهم في تراب الأرض... إلخ.

هذا التأكيد المتكرر لتراب الأرض يفهم في ضوء الحقيقة: أن نساك الإسلام حرصوا على الظهور في الطريق بعد صلاتهم وقد علا التراب جباههم بسبب السجود. الأمر الذي عدوه من أعمال التنسك.

وقد تكاثفت الأسباب النسكية مع هذه الدوافع العامة لدفع محاولة إعادة السجود إلى الكنيس دفعة قوية. ولا كان إبراهيم الميموني ومن تبعه قد أعطوا للصلاة أهمية صوفية واجتهدوا في أن يضيفوا عليها «صورة خوف».

«ويجعلوا منها صورة للوصول فقد أباحوا دخول السجود بين جمهورهم لتعظم بواسطته «قوة نيتهم الباطنة» وليساعدوا على شد أزر «القوة الظاهرة والباطنة» والوصول إلى «تحرك القلب نحوه تعالى».

استقبال القبلة أثناء الجلوس

أدخل الحبر إبراهيم الميموني والحبر إبراهيم الحسيد تعديلا هاما يتصل بالجلوس سواء للجمهور أو بالنسبة للشيوخ وهو أن يستقبلوا جميعا القبلة في أثناء جلوسهم كذلك.

وتقضى العادة التقليدية باستقبال القبلة في وقت الصلاة العادية التي تقال وقفا ليس غير. وفي أجزاء الصلاة التي تقال جلوسا يحق للمصلي الاتجاه إلى أي جهة يشاء. وقد أدت هذه الحرية إلى جلوس غير منظم في الكنيس.

وتختلف عن الصلاة في معناها المعتاد اختلافا جوهريا وكان حتما أن يصبح اليهود في نظر المسلمين تاركين للأصل ومكتفين بالفرع ونستطيع أن نقف على طبيعة رد فعل المسلمين من النزاع الذي يكشفه لنا إبراهيم الميموني والذي نلم من خلاله أيضا بالقضية كلها. فهو يشكو من إبدال عادة إكفاء الوجه بالإمالة أو إدارة الوجه مرتفعا كمن يتطلع إلى السماء. ويتحسر لذيوع صورة هذا الركوع بين الأمم على أنه ركوع يهودي ويقول: لقد نسجوا من هذا حكايات وتحقق فينا القول «تجعلنا عار على جيراننا، هزاة وسخرية لمن حولنا».

وهذا الاكتراث لرأى المسلمين يزداد وضوحا إذا ما لاحظنا الخلف الذي كان بين الربانيين والقرائين، وقد مارس الآخرون السجود وإكفاء الوجه حقيقة وكان هذا دليلا منقطع النظير على أن القرائين هم الذين يتمسكون باليهودية الحقة وإن الربانيين هم الذين يزيفونها ويزورونها بجهلهم نصوصا بينة متكررة في الكتاب المقدس وبإغائهم عادة عتيقة لها تقاليد مورثة. وكان في هذه الحقيقة تدعيم وتقوية لدعائم الربانيين في الأوساط العربية ومن المحتمل أن تكون شهرة «إكفاء الوجه» قد ذاعت من معسكر الربانيين بين المسلمين. وقد ورد في كتاب الأنوار تنديد بالربانيين من جراء ذلك «وحرّموا على الناس أن يلصقوا وجوههم بالأرض وقت السجود وذلك خلاف قول الكتاب «وخروا على وجوههم إلى الأرض على البلاط وسجدوا». ولا يفوت يهودا هدى صاحب كتاب «أشكول» فرصة لا يؤكد



ورمزا للضوضاء والاضطراب فما بالك به في البلدان الإسلامية؟ ولكم نرى من الطريف ذلك التفسير الاشتقاقي الذي ذكره علماء العرب للفظ «يهودى» حيث اشتقوه من مادة هـ د ا = اهتز تحرك ووفقا لرأيهم سمي اليهود كذلك لأنهم يتحركون أثناء الصلاة وعلى الرغم من أن هذا التفسير الاشتقاقي بين الخطأ فإنه مفيد إلى حد كبير وهو يكفى لأن يقف على ما أحس به العرب من غرابة نحو صلاة اليهود وإذا كان سلوك النصارى المتأدب في كنائسهم قد صار قدوة للحدسيدين الاشكنازيين فما لاريب فيه أن النظام العنيف الذى ساد فى المساجد الإسلامية كان قد أدى للتأثير على الحسيدين الشرقيين.

وقد كان الخوف من أن يحول جمهور اليهود وجهه عن الشرق أثناء الصلاة وأن يؤدى ذلك إلى اضطراب فى الصلاة من الأسباب التى كانت وراء إصلاح والد إبراهيم الميمونى بإلغاء صلاة الهمس. على أن الابن كان أكثر فاعلية من أبيه فبينما لم يهدف إصلاح الأب إلا إلى أن يجعل ذلك الذبيح من غير الممكن فى حالة الوقوف، جاء إصلاح الابن ليمنع ذلك الزيف فى كل الحالات وحتى فى ساعة الجلوس. ومما يجدر ذكره، أن الشاعر القبالي مناحيم دى لو نزانوا انتقد عادة التدقيق فى استقبال القبلة، ولا شك أننا لا نبتعد عن الصواب إذا قررنا أنه أيضا تأثر بالأنظمة المثالية فى المساجد الإسلامية. وقد ظهر ذلك شعائر أخرى فهو فمثلا يضع العرب كأموزج لأبناء عصره لحرصهم على تطهير أرجلهم.

ويذكر لنا إبراهيم الميمونى تصور الاضطراب الذى ساد فى عصره: منهم من يقع استقبال القبلة اتفقا ومنهم من يستدبرها ومنهم من يجانبها أعنى أن تكون عن يمينه أو يساره.

كانت جذور هذا الإصلاح أيضا ضاربة فى البيئة الإسلامية، كما ادعى أنصار القديم المعاصرين لإبراهيم الميمونى. وقد وقفنا من قبل على النظام الدقيق الذى تفرضه قوانين الصلاة الإسلامية على المصلى، والتى تحرم عليه أقل الحركات شأنًا فما بالك بتحول الوجه عن القبلة الأمر الذى يبطل الصلاة ويوجب إعادتها؟ ومن اليسير علينا أن نتصور الصورة التى تركها النظام المضروب فى الكنيس على المسلمين حيث كان المصلون يجلسون جلوس راحة، مستنديين للحيطان هذا يستقبل جهة الشرق وذلك يستقبل جهة الغرب أحدهم يستقبل الشمال والآخر الجنوب. أضف أن تحويل الوجه عن جهة الشرق يجر وراءه اضطرابات أخرى، وفيه حسب رأى إبراهيم الميمونى إثم، إذ أنه يؤدى إلى فتور الهممة بل والنوم فى الأسحار وفى أوائل النهار والاشتغال برؤية الداخل والخارج والوقوف للأدبيين وقت عبادة الله - تعالى - وهو يشير إلى ذلك بقوله: «وقد رأيت بعينى وليس بغريب الخبر أو الشيخ يدخل والناس يتلون» تلاوة أسمع» فيقف الناس كلهم أو بعضهم يحيون ذلك الآدمى وفى مثل هذا يتشكى القائل «نضطجع فى خزيننا ويغطينا خجلنا». ولا ينطبق هذا التعبد على ما ذكر «أعبدوا الرب بخوف». وإذا كانت هذه الفوضى المنتشرة فى الكنائس الواقعة فى بلاد النصارى قد جلبت العار على شعبنا، حتى صار الأمر مضرب الأمثال، ومدعاة للتشنيع والهجاء،



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قالوا....

- إرض بالله صاحباً، ودع الناس جانباً.
- رُب صدقة من بين فكئِكَ، خيرٌ من صدقة من بين كفيكَ.
- قد أمن الحرمان، من سأل الرحمن.
- النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام.
- إن من البلاء أن يكون الرأي عند مَنْ يملكه، لا مَنْ يبصره.
- ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك.
- الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه
- .. والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه، والمداومة عليه.

حقوق الزوجة

- الصداق (المهر) قال تعالى :
- ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ مَحَلَّةً﴾^(١).
- النفقة .. لقوله تعالى :
- ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(٢).
- إحسان العشرة واحتمال الأذى ..
- ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣).
- أن يُعلم زوجته أمور الدين :
- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٤).
- العدل بين الزوجات ..
- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾^(٥).

(٢) الطلاق (٧).

(٤) طه (١٣٢).

(١) النساء (٤).

(٣) النساء (١٩).

(٥) النساء (٣).

حقيقة

شكوتُ، وما الشكوى لثلى عادة
ولكن تفيض النفس عند امتلائها

رؤوس النعم ثلاث

أولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا
بها.

والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة
إلا بها.

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش
إلا بها.

حقاً

من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه.
.. ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

دعاء

يا أكرم الخلق مالى من ألود به
سواك عند حدوث الحادث العمم

أبواب السلطان

قد يسعى إلى أبواب السلطان أجناس من
الناس كثير، أما الصالح فمدعو، وأما الطالح
فمقتحم، وأما ذو الأدب فطالب، وأما من لا
أدب له فمختلس، وأما القوى فمدافع، وأما
الضعيف فمدفوع، وأما المحسن فمستثيب، وأما
المسيئ فمستجير.. فهو مجمع البر والفاجر،
والعالم والجاهل، والشريف، والوضيع.

رأيت الجنة فى منامى

قال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة
فى منامى، فرأيت جميع ما فيها من القصور،
فقلت: لمن هذه؟!.. ف قيل لى: للعرب، قال
له رجل من الموالى: أصعدت الغُرف؟!..
قال: لا، قال: تلك لنا.

هبّات الفضل بن يحيى

وهب الفضل لطباخه مائة ألف درهم،
فعاتبه أبوه فى هذا، فقال: إن هذا صحبنى
وأنا لا أملك شيئاً واجتهد فى نصيحتى.
.. وقال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يصحبهم فى المركب الخشن



من رجال التشريع الإسلامي

إلكيا الهراسي فرين الهملا الغزالي والمنافرة الكبير

لأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحيدري

إلكيا باللغة الفارسية هو الرجل الكبير القدر، العظيم المقام، وهكذا كان عماد الدين شمس الإسلام أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري شيخ الشافعية في عصره وقد ولد سنة ٤٥٠ هـ ومات سنة ٥٠٤ هـ^(١) وعاش عيشة حافلة جليلة قضاها في التأليف والتدريس والمناظرة الفقهية، حتى ضرب به المثل في حجته الدافعة وبرهانه الساطع، وشهد له منظاروه بالتفوق الجدلي، والغوص العلمي، وهذه عجالة عن فضله العلمي.

فقد نقل صاحب (طبقات الشافعية)^(٢) عن الفقيه أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل موازنة بينه وبين زميله حجة الإسلام الغزالي قال فيها عن إلكيا الهراس: «إنه حسن الوجه مطابق الصوت للنظر، مليح الكلام، فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به وصار من رعوس الأصحاب، ورعوس المعيددين، وكان ثاني الغزالي، بل أملح وأطيب في النظر، وأبين في العبارة والتقارير منه، وكان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به، وكان مواظبا على الاستفادة».

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٤٤٨ ج ٢ تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ج ٧ ص ٢٣٢ تحقيق الطلو والطناحي.



وفاته ووقف أحدهم عند رأسه، والآخر عند
رجليه، وأنشد ابن الدامغانى^(٤):

وما تُغنى النوادر والبواكى

وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد أبو طالب الزينبى:

عقم النساء فما يلد شبيهه

إن النساء بمثله عقم

وقام الشاعر المشهور أبو إسحق الغزى فأنشد فى

رثائه قصيدة طويلة قال فيها:

لئن طوته المنايا تحت إخمصها

فعلمه الجم فى الآفاق منتشر

حبر عهدناه طلق الوجه مبتسما

والبشر أحسن ما يلقي به البشر

من فاز منه بتعليق فقد علقت

يمينه بشهاب ليس ينكدر

وفى البيت الثانى ما يدل على طلاقة الوجه،

وابتسام الثغر فى موقف المناظرة، وهذا يرجع إلى

هدوء النفس، واطمئنان الثقة، وهو مما جعل

مناظريه يستحيون من اللجاج معه وقد يعجب

القارىء اليوم من حديث المناظرات الفقهية فى

عصر الهراس والغزالي ولكن كتب التاريخ

الفقهى، تؤكد أن الأمراء كانوا يترضون العامة

بحضور مجالس المناظرات وتشجيعها وقد اشتهر

وقد وقفت كثيراً عند قول أبى الحسن
عبد الغافر: «إن إلکيا كان أبين من الغزالي»، لأن
كتب الغزالي تدلّ على فصاحة لا يرقى إليها
النظراء، فكيف يكون إلکيا الهراس أبين من
الغزالي ولكنى أظن أن الموازنة تتعلق بمجالس
المناظرة، فقد يكون إلکيا فى مواقف الجدل
الشفوى أبين عبارة من حجة الإسلام، لأن الهراس
كان متعدياً فى حديثه، غير متسرع فى جداله،
ومن له هذه الصفات يكون حريصاً على انتقاء
العبارة وصفاء الأسلوب.

على أن إلکيا الهراس كان متواضعاً لا يرى
لنفسه التقدم فى المجال الأسلوبى، ويروى أنه كان
يفتح مناظراته قائلاً لمن يناظره فى أدب^(٣):

أرفق بعبدك إن فيه يوسنة

جبليّة ولك الفرات وماؤه

فهو يعترف - متواضعاً - أن لسانه الجبلى، لا

تجرى فيه العذوبة المعهودة عند فقهاء العراق،

وبهذا التواضع ملك إلکيا قلوب خصومه

المناظرين، حتى بكوا عليه يوم تشييع جنازته،

يقول مؤرخوه: «وقد حضر دفنه الشيخ أبو طالب

الزينبى - وقاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى،

وكان من رؤساء الحنفية فى بغداد، وبينهم وبينه

من المنافسة فى المسائل الفقهية ما استدعى الحوار

فى مسائل دقيقة، فى مواقف مشهودة يحضرها

الوزراء والكبار من العلماء، ولكنهما بكيّا يوم

(٣) الطبقات ص ٢٣٣.

(٤) الطبقات الوسطى نقلاً عن الحافظ بن عساكر فى هامش ص ٢٣٤ من الطبقات الكبرى.





وعناوين هذه المؤلفات تدل على دقة في اختيار موضوعات التأليف، ومن حسن الحظ أن كتاب (تفسير أحكام القرآن للهراس) قد بقى وطبع وتداول العلماء مباحثه فأظهر فضل الرجل وأبان معدنه العلمي الأصيل، وذلك أن علماء كل مذهب جعلوا يؤلفون كتباً خاصة بتفسير آيات الأحكام ومدلولها عن الأئمة الكبار فوجدت لدينا ثروة كبيرة تحدث عنها حاجي خليفة في كتاب (كشف الظنون)^(٥) فقال :

« إن أول من صنف في هذا النوع من التفسير هو الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ثم الشيخ أبو الحسن علي بن حجر السعدي المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ثم القاضي أبو إسحق الأزدي البصري المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ثم أبو الحسن القمي المتوفى سنة ٣٠٥ هـ ثم الإمام أبو جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ هـ، ثم الشيخ أبو محمد بن القاسم بن الأصبع المتوفى سنة ٣٤٠ هـ ثم الشيخ الإمام أبو بكر الجصاص الرازي الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ثم الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالكنيا الهراس الشافعي المتوفى سنة ٥٠٤ هـ.

هذا ما ذكره صاحب كشف الظنون، وقد ترك حاجي خليفة كتاباً جليلاً في تفسير أحكام القرآن على المذهب المالكي للإمام أبي بكر بن العربي وقد طبعه الأستاذ علي البجاوي فانتشر في نطاق واسع.

علماء الأحناف والشافعية بالصيال في هذه الحلبات، لأن المالكية والحنابلة قد تركوا الميدان حين علموا أن هوى الدولة مع الشافعية وهوى كثير من العامة مع الأحناف وهم بالنظر إلى الفريقين لا يجدون النصير وحين اتسعت شقة الخلاف بين بعض المتناظرين وضع الإمام الغزالي شروطاً للمناظرة الفقهية، اشترط فيها أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه إذا ظهر أن الحق في غير مذهبه بحيث لا يقدر حكماً إلا إذا اعتقد صحته، وإن خالف مذهبه، وهذا الشرط لم يعمل به، لأن التعصب حينئذ بدأ يأخذ دوره، ولأن التنافس على المناصب كان يدعو المتنافسين إلى إرضاء تلاميذهم من رجال المذهب، ونحمد الله أن ربح التعصب المذهبي قد خفت الآن، وأصبح المفتي غير مقيد بمذهب خاص، وهى روح ظهرت بواكيرها منذ ولى الأستاذ الإمام محمد عبده منصب الإفتاء، وخلفه من اهتدى بهداه.

هذا وللكيا الهراس مؤلفات فقهية كثيرة، ضاعت في مهب الأحداث، ولم ترزق مؤلفاته شهرة كمؤلفات الغزالي، وقد ذكر مؤرخوه بين مؤلفاته المفقودة

- ١ - كتاب (شفاء المسترشدين في مباحث المجتهدين)
- ٢ - وكتاب (لوامع الدلائل في زوايا المسائل)
- ٣ - وكتاب (نقد مفردات الإمام أحمد)
- ٤ - وكتاب (أصول الفقه الشافعي)

(٥) كشف الظنون لحاجي خليفة ج (١) ص ٤٥ ط بولاق.

هذا العصر حين حاولوا نصرة المذهب الخاص بهم مهما ظهر ضعفه ولعل من باحثى هذا العصر من ينهض بتأليف كتاب يوازن فيه بين اتجاه فقيه شافعى فى التفسير كالكيا الهراس، واتجاه فقيه حنفى كالجصاص، أو مالكى كابن العربى، فيكون نموذجا من الفقه المقارن الذى نحتاج إليه فى هذا الخضم الواسع من كتب التشريع.

هذا وإذا كانت مباحث الفقه هى جوهر كتاب أحكام القرآن للهراس، فإن مباحث أخرى تتصل بالأخلاق والتاريخ والسيرة النبوية تجد محلها الطيب فى كتاب تفسير الأحكام، ونضرب لذلك مثلا بما كتبه المؤلف حول قوله تعالى:

﴿وَلْيَبْلُوكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٧)

فقد قال ما نوجزه فى هذه السطور مع التصرف البسير (٨):

قَدَّم الله ذكر ما علم أنه سيصيب المؤمنين ليوطئوا أنفسهم عليه، فيكون أبعد لهم من الجزع، ويكونون مستعدين له، فلا يكون كالهاجم عليهم، كما فيه تعجيل ثواب الله على العزم وتوطين النفس، أما قوله:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٩)

أما كتاب «أحكام القرآن» للكبيا الهراس فقد قال بصدد الحديث عنه بعد أن قرر أن مذهب الشافعى فى رأيه أدق المذاهب إذ وصل إلى درجة اليقين الجازم فى أحكامه السديدة قال ما نصه (٦):

«وقد رأيت أن أصنف كتاباً فى أحكام القرآن أشرح فيه ما انتزعه الشافعى - رضى الله عنه - من أخذ الدلائل فى غوامض المسائل، وضممت إليه ما نسجته على منواله، واحتذيت فيه على مثاله على قدر طاقتى وجهدى، ورأيت بعض من عجز عن إدراك (مسالك) فهمه، ولم يصل إلى أغراض معانيه، جعل عجزه عن فهم معانيه سببا للقدح فى معاليه، ولم يعلم أن الدرر دُرٌّ برغم من جهله، وأن أفقته من قصور فهمه، وقلة علمه، وما يضر الشمس قصور الأعمى عن إدراكها، والحقائق عجز البليد عن لحاقها.

ولم رأيت أقاويل المفسرين فى أحكام القرآن متجاوزة حد البيان، آخذة بطرفى الزيادة والنقصان، جررت فى سرحها هذه الفصول، المتضمنة من اللفظ والمعنى شفاء كل عليل، مع انتخابى فيها قصد السبيل، وتوقى التطويل».

والحق أن الرجل قد أفصح عن عمله ومجهوده دون تزييد أو مباهاة ومهاجمة لخصومه ناشئة عن الروح العام الذى شمل فقهاء

(٦) أحكام القرآن (مقدمة المؤلف ص ٢٠ تحقيق موسى محمد على وعزت عطية.

(٨) أحكام القرآن ص ٥١ للهراس، بتحقيق موسى محمد على وعزت عطية.

(٧) البقرة (١٥٥).

(٩) البقرة (١٥٦).



ففيه إقرارهم بالعبودية في تلك الحالة، إذ فوضوا الأمور إليه، ورضوا بقضائه وسلموا بذلك، لأنه لا يقضى إلا بالحق كما قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ (١٠).

ثم إن الصبر على جهات مختلفة، فما كان من فعل الله فله التسليم والرضا، وما كان من فعل العدو فهو بالصبر على جهاده والثبات على دين الله، وفي التلفظ بقول الله تعالى:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ غيظ للأعداء لعلمهم

بجد الصابر واجتهاده وربما ترقى الأمور بالصبر إلى أن يزهّد الصابر في مغريات الدنيا والرضا بما قسم الله، إذ صدر عن مالا يتهم في عدله.

ولعل من الفتاوى التي أحدثت ضجيجا في بغداد وقام بسببها خلاف كبير بين الفقهاء ما أفتى به الهراس في لعن يزيد بن معاوية حيث قال فيما قال (١١): إنه لم يكن من الصحابة، لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب، ولأنه في أقوال مختلفة، ولنا قول واحد نصرح به ولا نلوح وكيف لا يكون ذلك - وهو جواز اللعن - وهو اللاعب بالنرد

والمتصيد بالفهود، ومدمن الخمر».

وقد عارض الإمام الغزالي هذه الفتوى معارضة شديدة يجدها القارىء في وفيات الأعيان (١٢) لابن خلكان حيث حرم لعن يزيد، وذكر أن قتل الإمام الحسين لم يكن بأمره، وأشبع هذا الموضوع إشباعاً، وأنا أشير إلى ذلك كى أؤكد أن فتاوى إلكيا الهراس وفقهاء عصره لم تكن مقصورة على أحكام الفقه وحدها بل تعدتها إلى مسائل من التاريخ واللغة، ومن أطرف ما يروى من فتاواه أنه سئل عن الحكم في رجل أوصى بنصف ماله للعلماء والفقهاء، فهل يدخل كتبة الحديث في هذه الوصية (١٣) بدخلهم مع العلماء والفقهاء لأن النبي ﷺ قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالماً» (١٤).

هذه عجالة تذكر بفقهاء مفسر كان قرين الغزالي في عصره، ولولا ضياع أكثر آثاره لتناقل العلماء آراءه على مر العصور، وها أنذا ألفت إليه أنظار الباحثين فقد يجدون مخطوطات له في المكتبات العالمية فيسعون إلى نشرها مشكورين.

(١١) الوفيات ج (٢) ص ٤٤٨.

(١٠) غافر (٢٠).

(١٢) الوفيات ج (٢) ص ٤٤٨.

(١٣) الوفيات ج (٢) ص ٤٤٨.

(١٤) هكذا جاء في وفيات الأعيان ولم استطع تخريجه.



رجولة وإباء

قصة
العدد

للأستاذ / شوقي محمود أبو ناصح

كانت الهزائم المروعة أكبر من أن يحتمل صدماتها إنسان مهما أوتي من الحنكة والجلد، حتى لو كان هذا الإنسان عظيم الروم الذي استطاع أن يثأر من الفرس^(١) بعد توليه مقاليد الحكم، وقبل أن تمضي عشر سنوات على هزيمة الروم. وأجلاهم عن مصر والشام، واسترد الصليب الأعظم، ثم أعاده إلى بيت المقدس في حفل بهيج، كما أن جيش الروم - الذي لقي المسلمين، أضعاف أضعاف جيوشهم، ولا يقاس ما لدى المسلمين من عدة وعتاد إلى ما توفر على حشده وتطويره خبراء الحروب في الإمبراطورية منذ عقود خلت. لقد بدأت الهزائم في اليرموك، ولم تنته بأنطاكية مروراً بعشرات النوازل التي روت جيوشه في دمشق وفحل وطبرية وبيسان وبعلبك وحمص وحماء وشيزر واللاذقية وغيرها، وليست هذه الهزائم بأقل من مصيبتها في فقد كبار قواده الذين كان آخرهم «ميناس»^(٢) أعظم رجل في المملكة بعد هرقل، وخرج عظيم الروم مضطراً من أنطاكية قاصداً القسطنطينية، وعندما وجد نفسه على ربوة تشرف على سورية الجميلة، نظر إليها والدمع يترقرق في مآقيه قائلاً: «سلام عليك يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ولن يدخل إليك رومي إلا خائفاً».

(١) هزم هرقل الفرس سنة ٦٢٥ م.

(٢) «ميناس» كان ثاني رجل في الامبراطورية بعد هرقل، قتل في وقعة قنسرين وكان المسلمون بقيادة خالد بن الوليد، وقد علق عمر - رضى الله عنه - على بطولات خالد بقوله: «رحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال مني» وأمره عليها.

وتصل أخبار علقمة بن مجزز وحصاره لغزة وقصته مع «القيقار» وينتشي عبدالله بن حذافة لذكاء صديقه، ويستعيد ذكرياته معه، ويحاول أن يقتدى به^(٤)، ويغري جماعة معه بعمل فدائي ومبايعة على الموت فيقع بعضهم أسرى في أيدي حامية المدينة التي تحتفظ بهم حتى بعد هزيمة الروم ومقتل مايزيد على ثمانية آلاف، بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألف.

لم يدر عبدالله لم وأين ذهب الجند برفاقه من الأسرى وجيء به إلى هذه الغرفة الجميلة في هذا القصر الفاخر، كما جيء له بأثواب من الحرير ولحم خنزير عزف منه، ولم يتبلغ إلا بكسرة من خبز وملح وحُمْل الطعام لتدخل عليه فتاة بارعة الجمال في أبهى زينة جعلت تغارله وتعاثه، وتميل عليه في دلال فينفلت منها حتى أبأسها، فراودته عن نفسه في صراحة فدمعت عيناه، وجعل يردد مرتجفاً «إني أخاف الله رب العالمين».

وتركته الغانية بعد أن استياست منه ليغلق عليه الحراس الباب يوماً كاملاً دون أن يُقدم إليه طعام أو شراب، وينظر إليه الحارس من كوة صغيرة بالباب فيجده إما مصلياً أو جالساً يتأمل، ورغم جلسته

ظل هرقل ذاهلاً عن نفسه أياماً لا يطاوعه عقله على التفكير في شيء، فقد كان ما حدث أكبر من أن يستوعبه أو من أن يجد لنتائجه مقدمات مقنعة، وإن كانت تساؤلاته قد وجدت إجابة على السنة جواسيسه الذين نقلوا إليه صورة عن حال المسلمين في اليرموك، فاستحضر ذهنه النتيجة الحتمية في تعليق محكم «لئن كانوا كذلك ليملكن موضع قدمي هاتين» ولكنه لا يزال في حيرة من أمر هؤلاء الذين يريد كل واحد منهم أن يموت قبل صاحبه.. ولم يشعر بشيء من السعادة أو الرضا عندما عرض عليه أحد قواده جماعة من أسرى المسلمين، إلا أن الأسئلة الكثيرة التي تتصارع في بؤرة تفكيره دعت أن يأمر بتخير واحد من هؤلاء.

كان عبدالله بن حذافة السهمي جندياً في جيش معاوية الذي وجهه يزيد بن أبي سفيان لفتح قيسارية حتى لا يصل إلى «أرطبون»^(٣) مدد من البحر عن طريقها، وطال حصار أهلها، ولكن لسان الثقة بالنصر جعل يردد صدى ما قال خالد بن الوليد لأهل قنسرين: «لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا».

(٣) «كان أدهى الروم وأنكاهها فعلاً (وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشغية الرسل، فَوَلَّيْهِ بِنَفْسِهِ، فدخل عليه كأنه رسول عمرو، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه، وتأمل حضرته حتى عرف ما أرادته فقال الأرطبون في نفسه: والله هذا لعمر، أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله، فدعا حارساً فأمره بقتله، فقال: اذهب إلى مكان كذا فإذا أمر بك فاقتله. ففطن عمرو بن العاص فقال للأرطبون: أيها الأمير، إني سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لتكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أجببت أن أتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت، فقال الأرطبون: نعم فاذهب فأتني بهم، ودعا رجلاً فساره فقال: اذهب إلى فلان فردّه، وقام عمرو فذهب إلى جيشه، ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال، خدعني الرجل، والله هذا أدهى العرب أ، هـ (عن البداية والنهاية ج٤ ص٧٣).

(٤) كان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزة وجعل يرأسه فلم يشفه أحد فأتاه كأنه رسول علقمة وكان بينه وبين القيقار مثلاً كان بين عمرو ابن العاص والأرطبون، وكان عبدالله بن حذافة قد اشترك معه في سرية (الكامل في التاريخ ج٢، الواقدي ص٦٣، ٦٨٩/١١٠٩، ابن هشام ص٢١١ البداية والنهاية ج٢، ج٤، تاريخ الخميس للديار بكري ص١٣٣، تفسير القرطبي ج٤ تفسير ابن كثير ج٢، أسد الغابة ج٣).



بعثه بعد انتهاء المناسك ينادى فى الناس : « أيها الناس .. إنها أيام أكل وشرب وذكر لله^(٧) » وقد كان هذا النداء مدعاة لممازحته من بعض أصدقائه وهم يصفونه بحب الطعام وإعزازة للشريد وها هو ذا ليوم كامل لا تمتد يده إلى طعام لأن الله حرمه ولا إلى شراب أمر المؤمنين ألا يقرؤه .

بلغ هرقل ما كان من عبدالله بن حذافة، كما أخبروه بما كان من بلائه وشراسته فى القتال، وجاءته الأخبار عن طريق أسرى المسلمين - أنه كان من الصحابة ذوى المكانة المتميزة، وأنه حمل رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى، وكيف دخل مرفوع الهامة ولم يسجد أو يقبل الأرض أمام ملك الفرس الذى مزق الرسالة لأن الرسول ﷺ بدأها بنفسه، ثم استجابة رب محمد لدعائه عندما قال : « مزق الله ملكه » فقتله ابنه شيرويه .

ويعود هرقل بذكرياته إلى ثمانى سنوات خلت عندما أدخلوا عليه دحية بن خليفة مبعوثاً من النبى ﷺ^(٨) .

وأكرم وفادته ورده رداً جميلاً، ولم يكن يتصور أن صاحب الرسالة التى حملتها إليه دحية بن خليفة

وحيداً فى محبسه إلا أن الحارس يراه يبتسم بين الحين والآخر ولا يعلم الحارس أن عبدالله كان يستعرض شيئاً من ذكرياته، فيرى نفسه وهو يحل حزام راحلة رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى كاد ﷺ أن يقع^(٩) ويستشعر شيئاً من الندم على هذه وأشباهها، كما يشعر بالخجل الذى أسال عرقه عندما علمت أمه أنه سأل رسول الله ﷺ : « من أبى ؟ فأجابه ﷺ : أبوك حذافة^(٦) .

كانت هذه الأحداث وأشباهها صغيرة فعلها من قبيل الدعابة التى عُرف بها . ولكنه الآن يشعر بالخجل من إتيانها .

ويبتسم عندما يقارن بين موقفيه :

الأول : فى بلاد الفرس عندما أرسله النبى ﷺ بكتابه إلى كسرى .

والثانى : فى بلاد الروم .

انصرف يوم ليلة دون أن يدخل فى جوف عبدالله طعام أو شراب، ثم دخل عليه الحارس وهو يحمل مائدة حافلة بلحوم الخنزير، فلا يتحرك ليصيب شيئاً منها وإن ابتسم عندما تذكر حججه مع النبى ﷺ وقد

(٥) تفسير القرطبي ج٥ ص٢٦ طبعة دار الشعب، أسد الغابة ج٣.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) بعثه الرسول ﷺ ينادى فى الناس : إنها أيام أكل وشرب... إلخ وردت فى جميع كتب السيرة والتاريخ.

(٨) الذين بعثهم الرسول ﷺ فى العام السادس للهجرة هم :

- عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويزين هرمز ملك الفرس .

- حاطب بن أبى بلتعة اللخمي إلى المقدوقس صاحب الإسكندرية ومصر .

- عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ (فى ابن سعد/ وابن سيد الناس) ابني الجندى الأزديين ملكى عمان .

- العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين .

- شجاع بن وهب الأموي من أسد خزيمية إلى الحارث بن أبى شمر الغساني وابن عمهم جبلة بن الأيهم ملكى البلقاء من أعمال دمشق .

- المهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبد الملك الحميري (فى ابن هشام عبد كلال الحميري).





سوف تبلغ دعوته ما بلغت في هذه السنين القصار،
فيتوغل جنده في دولة الأكاسرة في الشمال الشرقي،
وهاهم يجلونه عن الشام في الجنوب الغربي، ولا يعلم
إلا الله وحده متى وأين يقف زحفهم.

وتوقفت الخواطر التي تداعت على رأس هرقل
عندما أوقفوا أمامه عبدالله بن حذافة مكبلاً بالحديد
ليسأله: هل لك أن تنتصر وأمر بإخلاء سبيلك؟
- لا.

- أنى أرى فيك مخايل الشهامة، ولو تنصرت
زوّجتك ابنتي وأشركتك في ملكي.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتْدُوا بِهٖ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَذْلَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يُحْسِبُونَ﴾ (٩).

- إذا لابد من قتلك.

- أفعل ما بدالك.

وأمر به فصلب، وطلب -بالرومية- من الرماة أن
يرموا، قريباً من جسده، بينما يطلب منه هرقل -بين
الحين والآخر- أن ينتصر فلا يجيب إلا بالنفي القاطع.

وزداد عجب عظيم الروم من هؤلاء المسلمين الذين
لا يبالون بالموت المحقق، ولا يزدادون إلا تمسكاً
بعقيدتهم بينما تصله الأنباء عن دخول الآلاف ممن
كانوا رعاياه في دين الفاتحين.. ويأمر بإنزال عبدالله
كما يأمر ببقرة النحاس المملوءة زيتاً فيوقد تحتها حتى
يغلي الزيت ثم يؤتى بأحد الأسرى، ويطلب منه هرقل
أن ينتصر فيأبى فيأمر بإلقائه في البقرة فإذا عظامه
تلوح، ويصرخ هرقل في عبدالله:

- تنصر وإلا ألقيتك في هذه البقرة.

- ما أفعل.

فأمر أن يلقي في البقرة فبكى، فقال الجند لهرقل:

- إنه جنّ وبكى.

- ردوه.

فقال له عبدالله وهو رابط الجأش:

- لا ترى أنني بكيت جزعاً، ولكنى بكيت حيث

ليس لى إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله.. كنت
أحب أن يكون لدى من الأنفس عدد كل شعرة في،
ثم تسلط على فتفعل بي هذا.

فلا يزداد هرقل إلا إعجاباً، واستيقظت فيه أريحية
القائد فرأى أنه ليس من الشجاعة الانتقام من هذا
البطل وهو مكبل بالقيود فعاود عليه العروض المغرية
من زواج ابنته ومقاسمته ملكه فيجيب بقوة: «لا
أفعل» فيقول له هرقل: قبل رأسي وأطلق سراحك.

- أفعل على أن تطلق معي ثمانين من أسرى
المسلمين.

- أفعل.

وصلت هذه القصة إلى عمر بن الخطاب -رضى الله
عنه- قبل أن يصل عبدالله بن حذافة ومعه الثمانين،
حتى إذا وصل المدينة لقيه بعض من كان بينه وبينهم
دعابة فقال له: قبلت رأس علع.

- أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين.

وما أن رآه عمر -رضى الله عنه- حتى تلقاه بين
أحضانه وجعل يقبل رأسه قائلاً: «حق على كل مسلم
أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبداً بذلك».



الدراسات الاستشراقية والآداب العربي

د. ساذ الدكتور / محمد أحمد العزب

... ووضح اليوم مكان المستشرقين في الدراسات العربية وسائر الدراسات الشرقية، فإذا صرفنا النظر عن عمل الكثيرين منهم في دراسة اللغة لأغراض دينية أو سياسية، فهم قبل كل شيء مؤرخون أو أصحاب إحصاء وتسجيل، لم يعهد فيهم أنهم حجة في آداب بلادهم.. فهم آخرون لا يكونوا عندنا حجة في آدابنا العربية، وبخاصة في مسائل الذوق الفني، واختيار الشعر، والحكم على الشعراء. وهم بعد ذلك يجهلون روح اللغة، ويجهلون معاني الكلمات، وليس من الشائع بينهم أن يتوسعوا في دراسة التاريخ العام للبلاد الشرقية إلى جانب دراسة اللغة، فيكثر عندهم من أجل ذلك أن يخطئوا فهم أطوار اللغة، جهلا منهم بأطوار التاريخ، وبما يستلزمه من موضوعات الشعر والخطابة وغيرها من التعبيرات القومية.

تضع إبداع الشاعر أولا وأخيرا محورا لاهتمامات الدراسة الأدبية، ومعروف أنه بدون تأمل هذا الإبداع المحور والأساس، تبقى كل الدراسات سماعة يحتمل الصدق والكذب، وشهادة تحتمل الإنصاف والوشاية بلا تفریق.

فحين يؤكد (بلاشير) في مقدمة كتابه، (تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي) أن الباحث في الأدب العربي يجد نفسه مضطرا

تذكرت هذه السطور اللامعة التي كتبها العقاد في كتابه الممتع: (اللغة الشاعرة) وأنا أقرأ كتاب المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير: (تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي) .. لأن بعضا من الأحكام النقدية التي تضمنها هذا الكتاب، يمكن - بكل المقاييس - أن تعد أخطاء جسيمة، جر إليها ربما تعميم الأحكام، أو ربما تلقى هذه الأحكام عن الأغيار بشكل شمولي، دون أية استقصاءات نقدية



خاطئة) .. ويذهب إلى ترتيب هذه النتيجة على كل هذه المقدمات .

ويظهر أن الوضع الملائم هو إظهار الوشائج الكائنة بين أصحاب الآثار الأدبية والشعراء، وبين الوسط الذى عاشوا فيه، ثم فى إظهار الملامح التى تشكل النواحي المشابهة لتؤلف فيما بعد مجموعات أو «زمر عقلية» .. إن مثل هذه الطريقة تقودنا إلى نتائج مخيبة، ولكنها الوحيدة التى تبعدنا عن الأهواء وتحول دون اطلاق صفتى الجدة والطرافة على آثار لا تملكها، والتى تنحصر فائدتها فى تجردها من هاتين الصفتين، وعندها تبدل مرامى تلك الآثار، على اعتبار أنها ليست شواهد فردية بل تعبيرات منبعثة عن طبقة اجتماعية، أو طائفة تعكس فى آن واحد حياتها ومثلها العليا) - (المقدمة - ص ١٤ - ١٥) .

- ٢ -

فهل صحيح كل هذا الذى زعمه (بلاشير)؟ هل يمكن الموافقة على أن الإبداع (العرقى) (كله) ليست فيه خصوصية تنبىء عن فرادة المبدع، وإنما هو مجرد صورة جماعية مكرورة، وفنانوه (زمر) تردد ماقيل بلا أية قدرة على إمكانية التجديد والابتكار، وتختفى فيه ملامح (الشخصية) ليزوب فى محيط (اللاشخصية) العام، وينوع على أساس (القواعد الموضوعية) (والأذواق المؤقتة السائدة)؟؟؟

وهل حقيقى أن الأدب العربى لم يعرف إلا (ومضات خاطفة) من التجديد والتمييز

لتأييد نظرية تأثير الوسط على الأشكال الأدبية، وبالتالي عدم استطاعته تجاوز الوقائع أو الخط من أثر العباقرة والنوابغ فى عالم الأدب، فذلك - هنا - كما يرى (بلاشير) لأن (الفعالية الأدبية فى أدوار عدة، بل فى الأدوار الهامة، تظل جماعية، مجردة من كل خلق فردى أصيل، وإذا ما اتفق أن وجدنا خلاف ذلك، فإننا لا نلبث إذا أمعنا النظرة أن نذكر أن الظاهرة حركة تجدد أوجدتها فئة أو جماعة أدبية، أو هى صفة خاصة أقليمية) .. وتأسيسا على ذلك يقرر (بلاشير) أننا بلاشك - كما يقول : (نلاحظ فى الأدب العربى، فى زمن معين، جهودا بذلت للخروج من نطاق اللاشخصية والارتفاع إلى مستوى إنتاج شخصى هو انعكاس لخلق المؤلف ومزاجه، غير أن تحقيق مثل هذه الأمور يظل فى حكم النادر، وينطبق على شخصيات فذة أمثال: المعرى والغزالي وابن خلدون، أو من هم دون هؤلاء أمثال أبى نواس والجاحظ والمتنبى، وكم من المفتنين الذين عجزوا - على ما بذلوا من جهود - عن الخروج على القواعد الموضوعية والأذواق المؤقتة السائدة) .

ثم يعمم (بلاشير) الحكم فيقول : (وعلى الجملة فالأدب العربى - وقد نلحق به آداب الشرق الأدنى - لم يعرف إلا فى ومضات خاطفة تلك الحاجة المهرقة للخصبة للتجديد والتمييز والمقارنة، وكل محاولة ملحة لكشف حالة أدبية متميزة عند أمثال أبى نواس وأبى العتاهية وابن الرومى، تؤدى بنا إلى تأويلات





والمقارنة؟؟؟

خصوصية المكان؟

نحن نعرف أن العالم الشعري لطرفة بن العبد يتميز بعشق المغامرة.. والإحساس بالعرضية.. ونسيان الواقع الظالم في أحضان المتعة والغياب:

ونعرف أن العالم الشعري لزهير بن أبي سلمى يتميز برحابة التجربة.. وحكمة الأشياء وأخلاقية الاتجاه.

ونعرف أن العالم الشعري لعروة بن الورد يتميز بالتمرد على واقع التفاوت، والانحياز إلى الجائعين والمتعبين.. والإلحاح المستمر على عبور الذات إلى الآخرين.

فاذا انتقلنا من الجاهليين إلى الإسلاميين.. وجدنا العالم الشعري لأبي نواس يتميز بعشق اللذة والذات.. والسخرية من كل المواضع الاجتماعية والأخلاقية.. والصحو آنا بعد آن في بكائيات شفيفة ضارعة.

ووجدنا العالم الشعري للمنتبى يتميز بطغيان الإحساس بالقوة.. وفلسفة الأشياء والقيم.. والتمزق النبيل بين محدودية الطاقة ولامحدودية الطموح.

ووجدنا العالم الشعري للمعري يتميز بتأمل الحياة والكون والصبر.. وتعرية الباطن الإنساني وعرضه في قسوة على ذاته.. والدعوة إلى رفض الافتراس في تعاملنا مع الأحياء والأشياء.

فهل يمكن أن يقال - بعد كل ذلك - أن الإبداع العربي ليست فيه أية خصوصية مميزة؟

وهل كان (الوسط) الذي عاش فيه الشعراء العرب بالفعل جبريا في توجيههم وجهة واحدة، وساحقا في هذا التوجيه إلى هذا الحد الذي يجعل من جميعهم مجرد نسخ مكررة أو حتى متشابهة؟؟؟

وهل ظل شعراء العربية يعبرون - كما يقول - ليس عن (عواالمهم الخاصة) وإنما عن (طبقة اجتماعية أو طائفة تعكس في آن واحد حياتها ومثلها العليا)؟؟؟

لأنريد أن نستعرض الأدب العربي كله، ولاستطيع أن نستعرضه كله، وإنما سنكتفى بتأمل بعض نماذج (الشعر الجاهلي) (والشعر الإسلامي)، وهما أقرب مراحل الإبداع العربي إلى هذه الصيغة الظالمة التي وضع بها (بلاشير) طوق الاتهام حول عنق كل هذه الظاهرة الشعرية العربية منذ الجاهلية حتى بدايات العصر الحديث.

فهل كان عالم امرئ القيس هو نفس عوالم طرفة بن العبد.. وزهير بن أبي سلمى.. وعنبرة بن شداد.. وعمرو بن كلثوم.. والحارث بن حلزة.. ولبيد بن ربيعة.. شعراء المعلقات؟

وهل كانت عوالم هؤلاء الشعراء هي نفس عوالم الشعراء الصعاليك.. والشعراء الفرسان.. والشعراء المتألهين؟

ثم هل كانت دواوين القبائل نسخا لدواوين القبائل الأخرى، بلا تمايز يعبر عن خصوصية الإنسان، أو خصوصية الزمان، أو



ويقول عن خصوصية عالم طرفة الشعرى :
(وفضل النقاد العرب طرفة على سائر
الشعراء بإجاداته وصف الناقّة في معلقته
على نحو لم يسبق إليه، ويميل بعضهم إلى
عده أشعر شعراء الجاهلية) (تاريخ الأدب
العربي - ج ١ - ص ٩٢) .

ويقول عن خصوصية عالم زهير الشعرى :
(ويروى لزهير سبع قصائد نظم كلامها في عام
كامل، ومن ثم سميت الحوليات، وقد برز عنصر
التهذيب والتعليم بقوة في شعر زهير، ولاسيما
في معاني العتاب والزهد، حتى ظن بعض العلماء
أنه خاضع لتأثير النصرانية، نعم كان تأثير
النصرانية واسع الانتشار قديما في جزيرة العرب،
بيد أنه لايجوز من أجل ذلك عده نصرانيا)
(تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ص ٩٥) .

ويقول عن خصوصية عالم امرئ القيس
الشعرى : (ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس
أول من استعمل النسيب وغيره من معاني
الشعر في أسلوب القصائد، ومن الخصائص
العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب
المقبوض في الطويل، وكثرة الإقواء في القافية،
وكثرة التصريح في غير أول القصيدة) .
(تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ص ٩٩) .

ويقول عن عالم الشنفرى الشعرى : (... أما
في لامية الشنفرى فيواجهنا مذهب شعرى
مستقل، كما أكد ذلك بحق جورج ياكوب في
تقديمه للآميّة، وعلى حين يجعل الشعر الجاهلى
وصف الطبيعة من الجبال والفيافي وغيرها، غرضا
مقصودا لذاته، يتخذ شاعر الآميّة هذا الوصف

وليس لمبدعيه أية قدرة على الابتكار
والتجديد؟ ولم يستطع أن يجسد ملامح
(الشخصية) لفنانة؟ وأنه ظل طوال تاريخه
أسيرا للأنماط السائدة والقواعد الموضوعية،
والوسط الجبرى، والطبقة الأم؟

لقد أنصف النقد العربى القديم جهد
الإبداع الشعرى لشعراء الجاهلية والإسلام،
وحدد لكل عبقرية شعرية مجالها
وخصوصيتها، فقال ابن سلام مثلا : (سألت
يونس النحوى عن أشعر الناس، فقال : لا
أومىء إلى رجل بعينه، ولكنى أقول : امرؤ
القيس إذا غضب، والنابعة إذا وهب، وزهير إذا
رغب) .. ويبدو ذلك تحديدا علميا لخصوصية
كل واحد من هؤلاء وتركيزا على المنحى الذى
يشكل جوهر عالمه الذاتى .. وأمثال هذا
التحديد كثير فى تراثنا النقدى القديم .

ولكننا ندرك أن أمثال (بلاشير) قد لايسلمون
بالأحكام النقدية التى تنسب إلى علماء التراث
العربى، على الرغم من علميتها وموضوعيتها معا،
ومن هنا يجوز أن نجبههم بأحكام نقدية أطلقها
مستشرقون معاصرون، أكدوا من خلالها خصوصية
كل شاعر من شعراء العرب الكبار، على نحو يقطع
بأن غياب (العالم الخاص) لكل شاعر منهم، فرضية
لاتسكن غير عقول المتسرعين الذين لم يستطيعوا
قراءة الموروث الشعرى العربى قراءة فاهمة .

يقول بروكلمان عن خصوصية عالم عنتره
الشعرى : (وفن عنتره الشعرى، الذى نعرفه من
معلقته بصورة أساسية، هو فى حقيقته فن بدوى
نموذجى) (تاريخ الأدب العربى (١ / ٩١) .



وفنية استقطبت هما وجوديا وفنيا مشتركا، أسهم فيه كل عقل بمنظوره الخاص ورؤيته المتفردة؟ أو من التوفر على مضامين بذاتها شكلت توجه العصر الفنى إلى استقصاء هذه المضامين وصياغتها فى شكل فنى؟ أو من الالتقاء- حتى فى الشكل- صورا، وأبنية، وتصاميم، ليؤكد أن حركة فنية ما لا بد أن تتبادل عملية التأثير والتأثر، وتشكل بقبضها على هذه الملامح الشكلية عصراً فنياً له طبيعته الخاصة، وحضوره الخاص؟

على أنه من المعروف أن شعر المقطوعة مرحلة سابقة على شعر القصيدة وغالبا ما كان الشاعر يعبر من خلال المقطوعة عن ذاته وهمومه الخاصة، أى عن وجدانه الفردى، فلما طغى الإحساس بالجماعة، انعكس ذلك على الشعر، ولم يكن طغيان هذا الإحساس الجمعى سوى نتيجة لما أحاطت به الجماعة شاعرها من تكريم وحفاوة تاريخية، ولما أحاطت به شعره من تقدير يوشك أن يكون طقوسياً، ولما أحسه الشاعر- وسط ذلك كله- من دور قيادى جعل من انتمائه ضرورة حياتية وفنية لازمة، فغنى هموم الجماعة فى شعره، وكانت تلك مرحلة من مراحل تاريخية الشعر العربى .

ومع ذلك فقد ظل للشاعر صوته الخاص، وعالمه الخاص، الذى إن عجز- لهذا السبب التاريخى السالف- عن تضمينه فى قصيدته بكاملها، فإنه استبقى هذا العالم وهذا الصوت الخاص، فى مقدمات قصائده من جهة، وفى المنظور الفلسفى والموقف الفنى الذى يعكس

بمثابة منظر أساسى بهيج لتصوير الإنسان، نفسه وأعماله، وإذا فليس هناك ما يحملنا على موافقة قدامى اللغويين الذين اقتفى أثرهم كرنكو فى دائرة المعارف الإسلامية، والذين افترضوا لهذه القصيدة اللامعة بين قصائد الشعر الجاهلى شاعرا آخر غير الشنفرى الذى رويت له القصيدة). (تاريخ الأدب العربى- ج ١- ص ١٠٦- ١٠٧).

ويلفتنا هذا النص الأخير إلى حقيقة نقدية ساطعة، وهى أن موافقة بروكلمان للنقاد العرب فى تحديد خصائص العوالم الشعرية لكل من عنتره وطرفة، وزهير، وامرئ القيس، ليست مجرد موافقة ناقلة، وإنما هى موافقة معقّلة، بدليل أنه حين لم يقتنع بما قاله النقاد القدماء الذين اقتفى أثرهم كرنكو، فى انتماء لامية الشنفرى، إليه أو إلى غيره، رفض وجادل وقرر.. وهذا يطمئننا إلى مدى بعيد بأن بروكلمان كان شريكا فكريا للنقاد العرب فى تأكيدهم على خصوصية كثير من شعراء الجاهلية واستقلال كل منهم بعالم خالص.

فإذا زعم بعض المستشرقين بعد ذلك- أن مجرد اشتراك هؤلاء الشعراء فى «الاتجاه العام» فى عصرهم، يلغى خصوصيتهم الفنية فهذا الزعم غير العلمى يسحب كل الأرض من تحت أقدام كل المذاهب الأدبية فى القديم والحديث على السواء.. إذ كيف إذن تكونت المذاهب الأدبية والفنية، فى القديم والحديث، فى الشرق والغرب، إن لم يكن من «هذا التوجه العام» الذى يعقد وشائج فنية بين «زمر» معينة؟ أو من مجموع إبداع عقليات أدبية

ومن ثم تصبح هذه الوحدة وحدة مراوغة، لأنها تخذع المتلقي الساذج فتخيل إليه أنها هنا كما هي هناك، مع أن قليلاً من الغوص والتعميق يقفنا على حقائق المسافة الفاصلة بين قصيدة الطبيعة مثلاً عند شاعرين يمتلكان منظورين مختلفين.

فإذا وصف شعراء الجاهلية منادح الطبيعة، أو مفاوز الصحراء، أو هذا النوع من الأحياء التي تشاركهم حركة واقعهم اليومي، فليس معنى ذلك أن كلا منهم يكرر الآخرين هكذا بلا تمييز، فبعضهم - كما حدثنا بروكلمان - كالشنفري، لا يكرر وصف الطبيعة ككائن حيادي، أو حتى ككائن مراوغ، وإنما يصفها كإطار عام يتحرك داخله الإنسان فيترك عليه من طابعه، ويأخذ هو كذلك من طابعه.. وقل مثل ذلك في وصف الأطلال والناقة والرحلة.. إن كلا منها يبوح بمضمون إنساني مختلف، في هذا العمل الشعري أو ذاك، لهذا الشاعر أو ذاك، مع تكررها بأعيانها الظاهرة في كل القصائد تقريباً.

وهكذا يتحدد الحجم الحقيقي لمثل هذه الدراسات الاستشراقية، كما يتحدد حجم الدور المنوط بنا في قراءة هذه الدراسات، وتقويمها، والتنبيه على بعض ما فيها من مغالطات فكرية، قد تكون نتيجة القصد، أو نتيجة القصور، أو نتيجةهما معاً، فشبابنا الطالع يظل أمانة في أعناقنا، حتى يقوى عقله على التفكير المستقل، وجناحه على التحليق البعيد.

من خلاله تجاربه الشعرية من جهة أخرى.. مع ملاحظة أن الشعر إذا صار وجدانا جماعيا فتلك مرحلة تقدم وليس دليل اتهام.

إن اشتراك مجموعة من العبقرات الفنية في عصر واحد، يعنى - على الفور - توجهها العام إلى هموم بذاتها، ومع ذلك فهو لا يلغى خصوصيتها في الرؤية والإحساس والتشكيل، كما يعنى أن الحركة الإبداعية لهذه العبقرات تمتلك نوعاً من الوعي الجماعي الذي يقود الإبداع في اتجاهه، حتى يكون قادراً على التعبير عن مخاض عصره بلا غياب في أنانيات تعبيرية مسطحة.

وقد يخيل إلينا أن الذي جرّ إلى هذا الموقف التعميمي، لدى بعض هؤلاء المستشرقين أنهم وجدوا «موضوعات» بذاتها تتكرر في الشعر العربي، والجاهلي منه على وجه التحديد، فشبه لهم أن تكرار هذه الموضوعات تكرار للمنظور الفني الذي واجهها به هؤلاء الشعراء، ومن ثم شبه لهم أن البناء الفني للشعر الجاهلي مجرد تنويع على أساس واحد بلا تحديد.

مع أنه معروف - من الوجهة النقدية - أن «الموضوع» لا يحدد قيمة الإبداع، فقد يتناول الموضوع الواحد شعراء متعددون، ويبدع كل واحد منهم، من هذا الموضوع الواحد، تشكيلاً جمالياً مختلفاً في تكويناته وإيحاءاته بلا حد.

كما أن «الموضوع» في «الشعر بالذات» لا يشكل سوى مجرد مُثير محرّض على الإبداع، مع التسليم بأن وحدته نابعة من تشابه الإطار المادى الذى يحيا فيه الشعراء ويعبرون عنه،



مَسْئُولِيَةُ الْعُلَمَاءِ

لفضيلة الشيخ / فوزي الزرفاف

العلم أمانة استودعها الله لدى العلماء الذين اصطفاهم من خلقه، ونوه بقدرهم ومكانتهم ومنزلتهم، وأشاد القرآن الكريم بهم في كثير من سورة مبيناً وموضحاً صور تفضيلهم.. فتارة يحكم بنفى التسوية بينهم وبين غيرهم، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

فقد نفى - سبحانه - المساواة بين العالم والجاهل، فلا يستوى عند الله العلماء الذين يعملون ويعملون بمقتضى علمهم، والذين لا يعملون ويعملون بمقتضى جهلهم. وتارة يقصر خشية الله على العلماء، فيقول جل شأنه:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢)

أي: إنما يخاف الله تعالى، ويخشاه العالمون بما يليق بذاته وصفاته من تقديس وطاعة، وإخلاص في العبادة، وإدراك وفهم لما يحيط بهم من أسرار خلق الله في كونه، واستيعاب وتحصيل علوم الدين والدنيا، والعمل في طاعة الله بمقتضاها... وكفى بهذه الآية الكريمة مدحاً للعلماء، حيث قصر - سبحانه وتعالى - خشية الله والخوف منه على العلماء..

وتارة يقصر الفهم السليم، والإدراك العميق لمعاني آيات القرآن الكريم، وفهم المقاصد والغايات والأهداف من الأمثلة التي يضر بها في القرآن الكريم على العلماء، فيقول عز وجل:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣)

(٢) فاطر (٢٨) .

(١) الزمر (٩) .

(٣) العنكبوت (٤٣) .



سخرُوا ما أعطاهم الله من معارف في خدمة دينهم وعقيدتهم، وفيما ينفعهم وينفع غيرهم، وأخلصوا لله في عبادتهم، وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم، فاستحقوا أن ينالوا هذا الشرف العظيم...

إذن فمسئولية العلماء كبيرة، فهم مأمورون بحفظ هذه الأمانة وأدائها بنشر العلم وتعليم الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وحثهم على عمل ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ولن تؤدي هذه المسئولية على وجهها الصحيح إلا إذا كان العلماء قدوة حسنة فيما يأمرهم به وفيما ينهون عنه..

وجزاؤهم عند الله كبير في حالة قيامهم بأداء واجباتهم باخلاص لله من غير كبر ولا غرور، ولا نفاق ولا رياء، ولا تطلعاً لشهرة، ولا جرياً وراء الحكام للحصول على منصب أو جاه، ولا إراقة لماء وجوههم لتحصيل كسب مادي...

أما إذا قصر العلماء في أداء واجباتهم، وخانوا الأمانة التي ائتمنهم الله عليها، واشتروا الدنيا بالآخرة، وتملكهم الكبر والغرور، ونسوا فضل الله عليهم فحجبوا علمهم عن الناس، أو استعملوه في غير ما يرضى الله، أو تملقوا الحاكم ونافقوا السلطان، وأهدروا كرامة العلم والعلماء جرياً

فقد ساق القرآن الكريم أمثلة كثيرة ومتنوعة في آيات سورة على سبيل الإرشاد والتوضيح، والتنبيه والتحذير، والترغيب والترهيب... غير أنه لا يعقل هذه الأمثال، ويفهم معانيها ومقاصدها، والهدف والغاية من ضربها إلا الراسخون في العلم، المتدبرون في خلق الله، الفاقهون لما يتلى عليهم.

وتارة يقصر توريث القرآن الكريم وما اشتمل عليه من عقائد وأحكام، وعبادات ومعاملات، وآداب وتوجيهات على الذين اصطفاهم من عباده، فيقول سبحانه:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا^(٤)

أى أعطينا العلم لمن اخترناهم من عبادنا المؤمنين، فهم مختارون من الخيار.

وتارة يعظم العلماء ويشرفهم بأن يقرنهم باسم الله واسم ملائكته يقول الله - تعالى:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَكُ وَالْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ^(٥).

فبدأ تعالى بنفسه وثنى بملائكته وثالث بأولى العلم، فهذا شرف عظيم للعلماء لا يدانيه شرف، ودليل علي فضل العلماء وعلى مكانتهم ومنزلتهم عند الله، فلو كان يوجد أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء الذين

(٥) آل عمران (١٨) .

(٤) فاطر (٣٢) .



وقد ذُكر عن موسى بن عمران - عليه السلام - أنه لما كلمه الله تعالى - تكليماً، ودرس التوراة وحفظها، حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فهو الله إليه نفسه بالخضر - عليه السلام.

وقال مقاتل بن سليمان - وقد دخلته أبهة العلم - : سلوني عما تحت العرش إلى أسفل من الثرى.

فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى!!

ولكن نسألك عما كان في الأرض وذكّره الله في كتابه: أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فافحمه.

وقال عليه السلام: «ألا أخبركم بشر الناس؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: العلماء إذا فسدوا»^(١١).

وقال عيسى بن مريم - عليه السلام: «سيكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون، ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون، ينهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون، يُقربون الأغنياء ويُبعدون الفقراء، ويتبسّطون للكبراء، وينقبضون عن الفقراء، أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن»^(١٢).

وراء تعيينهم في مناصب دنيوية زائلة، وغرّتهم الدنيا فوقعوا أسرى في زينتها وشهواتها.. فإن حسابهم - في تلك الحالة - عند الله عسير، وجزاؤهم في الآخرة النار وبئس المصير..

يقول الله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ﴾^(٦).

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَجَمَهُ اللَّهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٧)، وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارَى بِهِ الْعُلَمَاءُ، أَوْ لِيُمَارَى بِهِ السُّفَهَاءُ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسَ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(٨)، وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمَهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عُرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٩)، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لغير الله، أَوْ أَرَادَ بِهِ غير الله فليتبوأ مقعده من النار»^(١٠).

(٧) أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٤٩٥.

(٦) آل عمران (١٨٧).

(٩) أخرجه أبو داود ب١٢، واحد ٢/ ٣٣٨.

(٨) أخرجه الترمذى رقم ٦٥٤، وابن عدى ١/ ٣٢٦.

(١١) أخرجه أحمد ١/ ١٣٩.

(١٠) ابن عدى ٥/ ١٨٢٧.

(١٢) اتحاف السادة المتقين ٦/ ١٢٦.



فعن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم. فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلّم الناس الخير» (١٣).

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد» (١٤).

وعن عثمان - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» (١٥).

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله - عز وجل - للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي» (١٦).

وللبهيقي: يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم.

وقال الفضيل بن عياض: كان العلماء رثيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحاً، وإذا نظر إليهم الفقير لم يودّ أن يكون غنياً، وقد صاروا اليوم فتنة للناس.

وذكر عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما أقبح بالعالم يؤتى إلى منزله، فيقال: أين العالم؟ فيقال: عند الأمير، أين العالم؟ فيقال: عند القاضي، ما للعالم وما للقاضي، وما للعالم وما للأمير؟ ينبغى للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

وقال سفيان الثوري: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا جترّ الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوى غيره؟

أما العلماء الحافظون لأمانة العلم، المؤدّون حقها كما أمر الله، العاملون بعلمهم، المخلصون في أداء رسالتهم، المتعففون عن جاه ومناصب الحكام، الزاهدون في تواضع فلا تغرنهم الحياة الدنيا بزينتها ومفاتنها.. فهنيئاً لهم بما يدخره الله لهم من ثواب، وما يجازيهم به من حسنات.

(١٣) الترمذى ٢٦٨٥، الدارمى ١/ ٧٧.

(١٤) الترمذى ٢٦٨١، ابن ماجه ٢٢٢.

(١٥) اتحاف السادة المتقين ١/ ٨٠، القرطبي ١٧/ ٣٠٠.

(١٦) الترغيب والترهيب ١/ ١٠١، الدر المنثور ١/ ٣٥١.



خطبة الجمعة

ملاحم القوة في الإسراء والمعراج (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١).
 أشهد أن لا إله إلا الله، يوسع فضله للمؤمنين الأتقياء، ويؤيد بعزته المناضلين الأوفياء:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، هو
 بالمؤمنين رءوف رحيم، وللكافرين مقاوم خصيم، فصلوات الله عليه وسلامه، وعلى آله
 وأصحابه، وأتباعه وأحبابه: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣).
 يا أتباع محمد ﷺ:

نحن نتطلع الآن إلى نفحات ذكرى الإسراء والمعراج، وهي ذكرى تضم الكثير من العبر
 والعظات، واللائق بالمعتبرين أن يأخذوا من هذا الكثير الغزير ما يناسب ظروف حاضره، وما
 يحتاجون إليه في إصلاح أمرهم، ونحن الآن في مرحلة من الزمن تتطلب منا أن نكون أقوياء في
 كل جانب من جوانب حياتنا، أقوياء في إيماننا، أقوياء في بنياننا، أقوياء في أوطاننا، أقوياء في
 عتادنا وجهادنا، أقوياء في أخلاقنا وأرواحنا، حتى نحقق في أنفسنا قول خالقنا جل جلاله:

(*) ألقى في يوم الجمعة ٢٥ من رجب سنة ١٣٨٨هـ الموافق ١٨ من أكتوبر ١٩٦٨م.

(١) الأنفال (٤).

(٢) الذاريات (٥٨).

(٣) الحج (٧٤).



﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤).

وللقوة في حادث الإسراء والمعراج ملامح
ماجدة متعددة، تتوجها قوة الله العلي الكبير،
رب العزة والجبروت، وصاحب الملك
والملكوت، الذي مجد نفسه، وعظم شأنه،
وقدس ذاته، وأظهر قدرته على ما لا يستطيعه
غيره، فقال مصورا جلال سلطانه، وعظيم
فضله على إمام رسله في معجزة الإسراء:

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَمَرَنِي بِعَبْدِهِ لِيَلَازِمَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥).

ثم عاد فزكى رسوله صاحب المعراج عليه
الصلاة والسلام بالقوة الربانية والعصمة
الإلهية التي تجعله يعلو إذا هوت النجوم،
ويهدى حين تضل العقول والقلوب فقال:

﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَبْطُئُ
عَنِ أَمْرِئٍ ۚ إِنَّهُ لَا وَحَىٰ بُوحَىٰ ۚ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ لِأَفْئَقِ الْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ (٦).

وهذا صفوة الخلق محمد تحيط به وهو
يسرى إلى ربه مظاهرة القوة المادية والمعنوية،
الحسية والنفسية، القلبية والروحية، ليكون

المثل الأعلى لأمته التي يطالبها ربها بأن تتحلى
بكل ما يزينها من قوة، وأن تعد كل ما
تستطيع من قوة، وأن تأخذ كل ما أتاها ربها
بقوة، وأن تصون عزتها وكرامتها بالقوة:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٧)

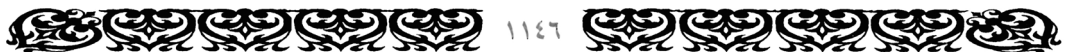
هذا رسول الله في ليلة الإسراء والمعراج
يتدرع بقوة القلب ونقاء الصدر، فيأتيه
جبريل ليظهر أحناء قلبه بأمر ربه، ويملاه
إيمانا وحكمة، ونورا ورحمة كما حدثنا نبأ
الشق للصدر الكريم من النبي العظيم عليه
الصلاة والتسليم، ثم انتظم موكب الرحلة،
في جلاله وجماله، فجبريل يقوم مقام
الرفيق، وميكائيل يمسك بالزمام ليقود،
وجبريل وميكائيل علمان من أعلام
الملائكة، والملائكة فيهم غلاظ شداد، وهم
أيضا عباد مكرمون، لا يعصون الله ما
أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ووسيلة
الركوب والانتقال هنا ترمز إلى الخفة
والسرعة والاعتدال على قطع المسافات في
أقل الأوقات، وهذه الوسيلة هي «البراق»
والبراق يذكر بالبرق الخاطف السريع
المضي، ولذلك قالت السيرة: إن البراق لونه
أبيض، في فخذيه جناحان يحفز بهما
رجليه، ويخطو الخطوة فإذا حافره فيها يقع
عند نهاية بصره، فكأن سرعته أكثر من

(٥) الإسراء (١).

(٧) آل عمران (١٣٩).

(٤) الفتح (٢٩).

(٦) النجم (١: ٧).



حتى جاوز مراتب الأنبياء كلهم في السماء، وبلغ ما لم يبلغه سواه، وهو في حال من الثبات العظيم والأدب الكريم، فالعقل مكين مجيد، والحس وقور وطيد، والبصر مستقيم رشيد :

﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ
وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨).

ولقد كان الرسول ﷺ وهو يتنقل في رحلة الإسراء والمعراج يرى جموعاً من الملائكة وراء الجموع، وتحدث عن كثرتهم الهائلة، ثم استشهد على ذلك بقول ربه :

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (١٩) وكلمة «الجنود» هنا تذكر بالجيش، والجيش مظهر للقوة، فكأن معاني القوة كانت تحيط برسول الله ﷺ عن يمين وشمال .

وعاد صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة مغموراً بفضل الله، مؤزراً بعناية مولاه، محفوفاً بحراسته وقوته وهده، عاد إلى مكة، وأصبح كما تروى السيرة، وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار، بعد أن شاهد في تلك الليلة من المشاهد والآيات ما لو رآه غيره لطاش منه العقل وتزلزل الفؤاد، ولكنه النبي الفتى القوى العلى، الذى كان من أمر ربه على يقين، فلا تخيفه

سرعة انتشار الضوء، وما هي إلا لحظات حتى حل سيد الخلق ضيفاً كريماً على بيت المقدس والمسجد الأقصى، ليتسلم موارث النبوة وألوية الرسالات، بحكم أنه الرسول الخاتم، وأنه لا نبي بعده، وهناك تجلى عليه ربه بغرة القيادة وقوة الزعامة، فجمع له كيفما شاء جموع الأنبياء والمرسلين، ليبايعوه ويقدموه فيكون لهم إماماً فى صلاة ردد ذكرها لسان الزمان كأنها ترنيمة الوحدة فى هذه الحياة :

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (٢٠).

ثم بدأت الرحلة لارتداد الفضاء وزيارة السماء، والصعود إلى أوج العلا والسناء، بدأت رحلة المعراج فكانت أول إشارة فى تاريخ البشرية تعلم أمة نبي العلم والرفعة «محمد» أن تستجيب لهدى ربها حين يحثها ويدفعها إلى دراسة السماء مع الأرض، فيقول :

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢١).

وتدثرت روح محمد ﷺ بما تدثرت به من سمو، وتدرعت ذاته بما تدرعت به من حصانة، وركب المعراج بقوة من هيا له ربه الانعتاق من كثافة الحس البشرى الأرضى، والانطلاق إلى آفاق الملكوت الأعلى الربانى وأخذ يعلو ويعلو، وظل يسمو ثم يسمو،

(٩) يونس (١٠١).

(١١) المدثر (٣١).

(٨) القصص (٦٨).

(١٠) النجم (١٦ : ١٨).



إن الباطل كان زهوقا هكذا كانت ملامح القوة تحيط برحلة الإسراء والمعراج من كل جانب، لتكون تصديقا لقول الحق:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٢).

يا أتباع محمد ﷺ.

لا ينبغي الاقتصار في ذكرى الإسراء والمعراج على الانبهار بجلال المعجزة وروعة الخوارق، بل ينبغي مع ذلك أن نستلهم في هذه الذكرى كل معاني القوم لنحققها في حياتنا فنلقى بها عدونا غدا، فنكون من المفلحين:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَبْلِ يُزْهِقُونَ بِنِعْذِ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ أَخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تُعَاوَنُهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبُوءَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١٣)

واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون،،،

معارضة المعارضين، ولا يزلزله شك المرتابين، ولقد تعلقت بثوبه بنت عمه أم هانئ مشفقة من مواجهته المشركين بحادث الإسراء والمعراج، وقالت له راجية: «يا نبي الله، لا تحدث الناس بهذا الحديث لئلا يكذبونك ويؤذوك» فيقسم لها بالله مؤكدا أنه لا بد أن يحدثهم به، لأنه الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ومضى فأعلن النبأ وقص الخبر، لا يبالي لومة لائم، ولا سخرية كافر، وصارت معجزة الإسراء تكريما لرسول الله أي تكريم، وتمحيصا للمؤمنين أي تمحيص، وتمييزا بين من يصلح للجهاد والهجرة في سبيل الدعوة ومن لا يصلح، وكثير المكذبون، وقل الموقنون، ولكن القلة المؤمنة تزايدت مع الأيام، وتضاءلت الكثرة الكافرة حتى أصبحت كالهباء، وأبى ربك العلي الكبير إلا أن ينصر عبده، ويعزز جنده ويهزم الأحزاب وحده، وجاء الحق وزهق الباطل،

(١٢) المنافقون (٨).

(١٣) الأنفال (٦٠).



مؤسّسات الاستيطان اليهودى فى إسرائيل

لمؤسّس / صلاح عبد الرحيم محمد

الحقيقة التى لا يجادل فيها أحد أن الاستيطان اليهودى هو جوهر المشروع الصهيونى، إذ يستهدف، فى المقام الأول، احتلال أرض فلسطين، واستقدام يهود العالم من شتاتهم فى كل أنحاء المعمورة، لتوطينهم فيها، بعد طرد سكانها الأصليين العرب، وترحيلهم منها بالقوة القاهرة، كما تشهد بذلك حقائق التاريخ الحديث والمعاصر. ويعتمد الاستيطان اليهودى على مفهوم صهيونى مفاده: «الدمج بين الاستيطان والدفاع من جهة، وبين الاستيطان والأمن من جهة أخرى»، إذ يعتقد القادة الصهاينة أن الربط بين النشاطين الاستيطانى والأمنى هو أحد الشروط الجوهرية من أجل تحقيق أهداف المشروع الصهيونى التى يأتى فى طليعتها خلق كيان يهودى نقى لا يخالطه أحد من غير اليهود. وفى هذا الإطار صار الاستيطان والأمن عنصراً رئيسياً واحداً للضمان تأمين الوجود اليهودى فى فلسطين. وأصبح إقامة أى مستوطنات جديدة فيها بمثابة تجمعات يهودية عسكرية، مجهزة للدفاع عن نفسها ضد أى تهديد عربى أو فلسطينى.

خضنا، بمفردنا، حرباً عام ١٩٤٨ أمام أربعة جيوش عربية هى مصر والأردن والعراق وسوريا. ولولا استيطاننا، وعلى رأسه الاستيطان العامل، لم تكن لتبقى قوة جيشنا، ولم نكن لنتمسك بمواقعنا فى غور الأردن، ولا فى الجليل الأعلى» ولتأكيد أهمية الاستيطان فى حياة الكيان الإسرائيلى الوليد، يضيف «بن جوريون» قوله: «يجب علينا أن نبني سلسلة من المستوطنات، تمثل أكاديمية عسكرية من مستوطنين ومقاتلين،

وفى هذا المقام فإن أسلوب الحياة الذى يمارسه المستوطنون داخل هذه الخلايا الاستيطانية قائم على دمج العمل الزراعى مع التدريب العسكرى لحماية أنفسهم، وضمان سلامتهم. ذلك مايؤكدده «بن جوريون» أول رئيس حكومة إسرائيلية، ووزير دفاع بقوله: «إنه بدون المستوطنات كان من الصعب قيام دولة إسرائيل الوليدة، فلم نكن لنصمد فى هذه المعركة غير المتكافئة بيننا وبين العرب، فقد



مستوطنون صهاينة يطوفون في شوارع القدس العربية ببنادقهم يبحثون عن أماكن جديدة يقيمون فيها مستوطنات بقوة السلاح

من مزارعين وجنود، وهذا ماتفرضه علينا الظروف الجغرافية والسياسية والاقتصادية، فيدون حرب لن نقيم مستوطنات، وبدون مستوطنات لن ننتصر في الحرب». وغنى عن القول أن هذه المستوطنات، والحال هذه، ليست ثكنات مدنية فقط، بل هي ثكنات عسكرية في الدرجة الأولى.

لذلك يجب لفت

الأنظار إلى أن سياسة الاستيطان تسعى لضمان السيطرة، والسيادة اليهودية على أرض فلسطين العربية، ولقد شاركت العديد من المؤسسات المعنية بالنشاط الاستيطاني في تنفيذ هذه السياسة الاستيطانية منذ قيام الكيان الإسرائيلي الغاصب على الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨، وسوف أتناول فيما يلي بالبيان الواضح ما قامت به هذه المؤسسات الصهيونية من جهود في هذا الصدد لتكريس الاحتلال اليهودي في فلسطين العربية، وقطع التواصل الجغرافي لها بما تقيمه عليها من مستوطنات.

لجنة مشكلات الاستيطان والرى

تشكلت هذه اللجنة من شعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية، والصندوق القومي الإسرائيلي، والمركز الزراعي التابع للهستدروت

(اتحاد نقابات العمال الإسرائيلي)، وممثلي سكرتارية حزب الماباي (وهو أساس حزب العمل الحالي) وممثلي قيادة «الهاجاناه» في ذلك الوقت قبل إدماجها في إطار الجيش الإسرائيلي. وقد كُلِّفت هذه اللجنة بإعداد خطة الاستيطان لسنوات ١٩٤٧ - ١٩٥١ التي تضمنت الاستيطان الأمني للحدود الشمالية لفلسطين، وتعمير صحراء النقب. وتلفت الانتباه إلى أن هذه اللجنة تحولت إلى هيئة حكومية باسم «لجنة التنسيق بين المؤسسات الاستيطانية».

وبذلك اقتصر نشاطها على التنسيق بين المؤسسات المشتغلة بالأنشطة الاستيطانية في دولة الكيان الصهيوني. ولا يفوتني أن أذكر أن «ليفى أشكول» كان على رأس هذه اللجنة في بداية عملها، بالإضافة إلى رياسته لشعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية التي سأتناولها بالبيان فيما بعد.

شعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية

فى أعمال التشجير. وتجدر الإشارة إلى أن الصندوق القومى الإسرائيلى يتلقى الكثير من الأموال من يهود العالم لتمويل النشاط الاستيطانى. هذا وقد تحمس القائمون على رأس الصندوق لفكرة الاستيطان فى الأرضى العربية التى يجرى احتلالها عسكرياً لخلق حقائق يهودية جديدة على الأرض العربية، قد تكسبهم واقعاً يهودياً يتذرعون به لإثبات حق ليس لهم فى أى تسوية سياسية قادمة.

المركز الزراعى التابع للهستدروت

وهو من أقدم المؤسسات الاستيطانية التى تقوم بالتنسيق بين الحركات الاستيطانية، وتمثيلها فى أى اجتماعات، والتعاون فى تخطيط المستوطنات الزراعية الجديدة، وتدير الموارد المالية لأى موازنات يتم وضعها، بخصوص المستوطنات، وإعداد البرامج التدريبية لتأهيل المرشدين الزراعيين للعمل فى المستوطنات الكيبوتزته (المزارع الجماعية) بالإضافة إلى إعادة تأهيل الجنود العسكريين الراغبين فى الانخراط فى هذه المستوطنات الزراعية بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية، ولم يقتصر دور المركز الزراعى عند هذه المهام، بل قام بإنشاء المدارس الزراعية لتدريب الفلاحين القدامى والجدد على اكتساب المهارات الزراعية التى تعينهم فى العمل بالمستوطنات الزراعية.

وزارة الدفاع الإسرائيلى

شاركت أول وزارة للدفاع الإسرائيلى برئاسة «بن جوريون» فى النشاط الاستيطانى، بوصفه

بدأت هذه الشعبة أول نشاطها فى العشرينات بوضع حجر الأساس لمشروع الاستيطان اليهودى فى فلسطين، وقد تولت - عقب قيام إسرائيل - مسئولية التخطيط لبناء المستوطنات، وتعيين مواقع بنائها بالتنسيق مع الوزارات الحكومية الإسرائيلىة المسؤولة عن الأمن والدفاع والاقتصاد، بالإضافة إلى إقامة البنية التحتية للمستوطنات الجديدة، من طرق، ومياه، وكهرباء، واتصالات، وتدير التمويل اللازم لمختلف الأنشطة الاستيطانية. هذا وتولى «ليفى أشكول» رئاسة هذه الشعبة، وأصبح هو الرجل الأول - منذ نشأة الدولة ولمدة ١٥ عاماً - والمسئول عن مؤسسات النشاط الاستيطانى إلى أن انتخب فى عام ١٩٦٣ رئيساً للحكومة الإسرائيلىة، وظل على رأس الحركة الاستيطانية لسنوات طويلة، قام خلالها بتأسيس شركة «مكوروت» للمياه التى تمد المستوطنات الجديدة والقائمة بالمياه اللازمة لها.

الصندوق القومى الإسرائيلى

يعتبر الصندوق القومى الإسرائيلى شريكاً رئيسياً مع الوكالة اليهودية فى مشاريع الاستيطان إذ يقوم بتمويل شراء الأرضى فقد اشترى، فى بداية نشاطه، حوالى ٢ مليون دونم من الأرضى الزراعية من حكومة إسرائيل، ونقلها إلى ملكية الشعب الإسرائيلى، وشارك فى بناء المستوطنات الجديدة وساهم فى تحديد القوائم منها. ومن أهدافه شق الطرق، وتعبيدها، والمحافظة على الثروة الغابية، والتوسع

القيادة العامة لهيئة الأركان الإسرائيلية

إنشئ فرع للاستيطان في قيادة الأركان بالجيش الإسرائيلي برئاسة «ضابط استيطان» يتولى مايتعلق بالنشاط الاستيطاني الجديد. وقد قام فرع الاستيطان بتقديم أول خطة استيطانية عاجلة في ١٨/٤/١٩٤٩ لإقامة مستوطنات متتالية على طول الحدود الفلسطينية الإسرائيلية كنقاط للحماية العسكرية، ومستوطنات في خط ثان لتأمين مؤخرة استيطانية للنقاط الحدودية، وتأمين اتصالات منتظمة مع مراكز الاستيطان، ودعم السيطرة الكاملة على طرق النقل الرئيسية في إسرائيل، وتهويد كل المناطق التي تتمتع بأهمية استراتيجية مثل الجليل الأعلى والأوسط - ويجدر ذكره أن القسم التنفيذي بشعبة العمليات في الجيش الإسرائيلي لفرع الاستيطان، قد ساهم في وضع سبعة مبادئ أو أسس أمنية لأى استيطان جديد نذكر منها القدرة على الدفاع المدنى لكل مستوطنة، وإمكانية التعاون المتبادل بين المستوطنات، والدفاع فى العمق، وبناء نظام استيطاني يكفل السيطرة الكاملة على المناطق الحيوية لسد محاور احتمالات الغزو العربى، والقدرة على التصدى الفورى لأى هجوم عربى معاد، وخلق قاعدة قوية لقوات الجيش النظامى العاملة فى منطقة الاستيطان. واللافت للانتباه أنه يوجد «سلاح الهندسة» التابع لهيئة الأركان، مهمته التعاون مع قسم التخطيط بالوكالة اليهودية فى إعداد نماذج جديدة تلبى المتطلبات الأمنية للمستوطنين، حتى يمكن تخطيط الاستيطان الزراعى على منوالها.

جزءاً من النشاط الأمنى على ثلاثة مستويات :

الأول قام فيه «دافيد بن جوريون» برئاسة لجان الحوار، حول أمور الاستيطان، مما ساعد على إزالة الكثير من المعوقات البيروقراطية، وإيجاد الحلول الملائمة للعديد من مشكلات الاستيطان اليهودى،

والثانى بادر فيه «بن جوريون» بترشيح عدد من الشخصيات الخبيرة بأمور الاستيطان فى مناصب الحكومة الهامة.

والثالث سارع فيه وزير الدفاع الإسرائيلى بإنشاء عدة هيئات تتولى مهمة التخطيط، والتنفيذ لسياسات الاستيطان فى الأرض العربية المحتلة، وفى سياق العمل الاستيطاني أنشأت وزارة الدفاع «شعبة تأهيل وتوطين الجنود» مهمتها تأهيل الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية للدفاع عن المستوطنات، وإعادة تأهيل الجنود المصابين فى العمليات الحربية، ورعاية أسر الضحايا. وقد تفرع من هذه الشعبة «قسم الاستيطان الزراعى» لتأهيل الجنود الذين اختيروا للعمل الزراعى فى المستوطنات الزراعية، وإعداد برامج التدريب الاستيطاني، وتحديد إمكانيات الاستيعاب فى الاستيطان الزراعى، وإدارة النشاط الإعلامى بين الجنود من خلال إعداد الندوات، والمؤتمرات، والمحاضرات، ومدهم بالمطبوعات والكتيبات لرفع المستوى العلمى، وتحسين قدرات هؤلاء الجنود المرشحين للعمل فى المستوطنات، وربط الخلايا الاستيطانية بشبكة من الطرق الالتفافية، ووضع ميزانيات المستوطنات بالتعاون مع المؤسسات الاستيطانية الأخرى التابعة للحركة الصهيونية.



مكتب رئيس الوزراء

تم إنشاء جهاز للتخطيط تابع لمكتب رئيس الحكومة، في إطار اهتمام الحكومة بالاستيطان، وقد تفرع من هذا الجهاز وحدتان رئيسيتان، إحداهما للتنسيق والتخطيط الاقتصادي، والأخرى للتخطيط الهندسي، إذ تولت الوحدة الأولى تنسيق الأعمال المرتبطة بالشئون الاقتصادية في مختلف وزارات الحكومة الإسرائيلية، والتعاون مع الوكالة اليهودية في تأهيل المستوطنين المرشحين للعمل في المستوطنات الجديدة. وتقوم وحدة التخطيط الهندسي برسم نقاط الحدود الاستيطانية، وتحديد المواقع الملائمة لإقامة المستوطنات، وكيفية الربط بينها، ورسم خريطة أهداف الاستيطان، ويأتى على رأسها، دمج الاستيطان في نظرية الأمن القومى الإسرائيلى .

وفي إطار السياسة الاستيطانية فى على انقاض بيوتهم جلسوا وهم وضرباؤهم انتظارا لترحيلهم تمهيدا لإقامة مستوطنات جديدة للصهاينة إسرائيل تشارك وزارات الزراعة، والبناء والإسكان، والبنى التحتية، كل فيما يخصه فى خطة الاستيطان العامة وتخصيص الاعتمادات المالية اللازمة لتمويل بناء الوحدات السكنية فى المستوطنات .

لذلك تستند كل خلية استيطانية يهودية إلى قوة ذاتية عسكرية من سكانها، تتولى الدفاع عنها . ويمكن القول أن فكرة الاستيطان اليهودى لا تهدف فقط إلى اغتصاب كل قطعة أرض من فلسطين، بل تهدف، فى المقام الأول، إلى خلق واقع يهودى جديد بما تزرعه المؤسسات الاستيطانية الصهيونية من مستوطنات على الأراضى الفلسطينية المغتصبة لطمس معالمها العربية، ومحو ملامحها الإسلامية .

وفى الختام يمكن التأكيد على أن التعاون والتنسيق القائم بين المؤسسات الاستيطانية التى جرى عرضها فى هذا المقال هو ترجمة واقعية لأهداف المشروع الصهيونى الذى يهدف إلى نقل الفئات البشرى اليهودى من بلاد الشتات إلى فلسطين العربية، وتحويله إلى مادة حربية مقاتلة،

رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَمَرَنِي بِعَبْدِهِ، لِيَلْزِمَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْنَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢).

ليزداد الارتباط الإسلامي قوة بمدينة المسجد الأقصى .. بعد أن أصبح أولى القبلتين، وثالث الحرمين بمقتضى الحديث الشريف: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

صارت القدس، وصار المسجد الأقصى معراج رسول الله ﷺ إلى السماوات العُلا.

.. ولكن اليهود في المدينة أصابهم الجنون من جراء خروج النبوة منهم وانتقالها إلى العرب، فناصروا نبي الإسلام - ﷺ - العداء لتبدأ القصة الحقيقية لحقيقة ما يجري اليوم على أرض فلسطين ..

فالعداء ديني، وديني محض، وهم الذين صنعوا هذا العداء، فبينما حرص رسول الله - ﷺ - بمجرد مقدمه المدينة المنورة على إعلان دستور ينظم العلاقة بين جميع الطوائف التي

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ .. إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ .. إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله» (١).

دعاء نكاد نحفظه، أو نحن نحفظه بالفعل .. دعا رسول الله - ﷺ - به ربه بعدما لقي من الكفار ما لقي من عنت وأذى في سبيل نشر كلمة التوحيد، كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .. وأراد المولى - عز وجل - أن يُسرِّي عن نبيه الكريم .. صلوات الله وسلامه عليه، فكانت رحلة الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات العُلا .. إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى.

فلسطين منذ بدء استيطان العصابات الصهيونية لها في نهاية ثلاثينيات القرن المنصرم لم ولن يلغى عروبتها وإسلاميتها.

ويخطيء من يظن أن هناك مأزقاً فلسطينياً، الفلسطينيون لا يواجهون أية مأزق، إنهم يناضلون، يقاتلون من أجل استرجاع حقوقهم، ومن يقاتل من أجل الحصول على حقه لا يواجه مأزقاً، فهو إن قُتل فلا إثم عليه ولا تشریب، وإنما هي الجنة، وإن ظفرَ فذلك هو غاية المرام.

أما الذي يواجه المآزق فإنهم (المُهَجَّرُونَ) المنفيون من رحمة الله. ودائماً اللص يخاف عاقبة لصوصيته، دائماً هو في خوف وهلع وذعر.

فعلى مدار ما يقرب من ثلاث سنوات متصلة عجزت آلة الحرب الأمريكية - الإسرائيلية عن دحر أبطال جيش التحرير الفلسطيني، بل على العكس، أدى العدوان الأمريكي - الإسرائيلي إلى حشد الشعب الفلسطيني كله بأطفاله قبل شبوخته، وشبوخته قبل نسائه، ونسائه قبل شبابه ورجاله، حشدهم جميعاً تحت راية المقاومة... الكل يعيش الآن تحت السلاح، يستظل بظله، الكل يعيش المواجهة، المقاومة، الحرب (الجهاد) والكل يملؤه (الحماس) انتظاراً لـ (فتح) قريب إن شاء الله، وتلاحمت الصفوف واختفت الخلافات وفشلت سياسة (فرق تسد).

أجل هناك ألم، هناك حزن، هناك صراخ، لكن لا مكان لليأس ولا للهزيمة أو الخوف، لم يهاجر الفلسطينيون فراراً من آلة العدوان الأمريكية - الإسرائيلية كما حدث عام ١٩٤٧، عقب مذابح دير

تعيش فيها بشكل يساوى بين الجميع.. مسلمين ويهود فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، كانت قصص الحسة التي حكى عنها قرآننا وتوراتهم، وأقل القليل من ذلك ما ورد عن عائشة - رضی الله عنها - أنها قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي - ﷺ - فقالوا: السام عليك (بدلاً من أن يقولوا السلام عليك) فقُلت: بل عليكم السام واللعنة.. فقال: يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: أولم تسمع ما قالوا؟.. قال: قلت: وعليكم^(٣).

ذهبوا ليتحدثوا مع رسول الله ﷺ ليسمع منهم ويسمعوا منه، وبدلاً من أن يبتدروهم بالسلام، ابتدروهم بما هم أهل له، فهم ليسوا أهل سلام، بل أهل شر، وهلاك.

وينتقل الرسول الكريم إلى جوار ربه، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الدولة الإسلامية وتصبح فلسطين بما فيها القدس جزءاً لا يتجزأ من الدولة الناشئة طوال ما يزيد على ألف وأربعمئة عام. أجل، القدس كانت ولا زالت وستظل إسلامية، وإن كان قد أتى عليها حين من الدهر واحتلها الصليبيون ما يقرب من مائة عام.

إلا أن هذا الاحتلال لم يُلغِ إسلاميتها، ولا عروبتها، والدليل على ذلك أنه بعد مائة عام لم يعد هناك أثر للممالك والإمارات الصليبية التي جرى إنشاؤها آنذاك في فلسطين بصفة عامة، والقدس بصفة خاصة.

والاحتلال الصهيوني الذي ابتليت به

مؤخراً ذكرت مجلة «دير شبيجل» الألمانية أن نحو ألفي إسرائيلي تقدموا بطلبات إلى وزارة الخارجية الألمانية للحصول على الجنسية الألمانية بسبب فقدانهم الأمل داخل إسرائيل، مما جعلهم يفكرون في الهجرة العكسية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، توقعت المجلة أن يرتفع عدد طالبي الجنسية الألمانية من الإسرائيليين إلى ما لا يقل عن ثلاثة آلاف!..^(١).

ثلاثة آلاف إسرائيلي يطلبون الجنسية الألمانية! وألمانيا دولة مكروهة إسرائيليًا على المستوى الشعبى بسبب مذابح النازى ضد اليهود، معنى هذا أنه إذا هاجر ثلاثة آلاف إسرائيلي إلى ألمانيا، فلا بد أن يكون عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة لا يقل عن ثلاثين ألفاً، وربما ثلاثمائة ألف.

إنهم يخافون الهجمات الانتحارية التى صارت أمضى سلاح فتاك يشهده الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى فى تاريخه، استطاع الفلسطينيون باللجوء إلى هذه العمليات الانتحارية خلق معركة جديدة يقف فى مواجهتها الجيش الإسرائيلى، أحد أقوى جيوش العالم وأكثرها تسليحاً عاجزاً عن توفير الأمن لنفسه ولشعبه.

وهناك أنباء عن تحقيقات واسعة النطاق تجريها الأجهزة الأمنية الإسرائيلية مع عدد من ضباط وجنود جيش الاحتلال الإسرائيلى تم اعتقالهم مؤخراً، أندرون ما تهمتهم؟! .. إنها بيع أسلحة للفلسطينيين، أسلحة تخص الجيش الإسرائيلى، يبيعونها بنصف وربع ثمنها، وأحياناً يباع الرشاش ومعه رشاش آخر هدية

ياسين وكفر قاسم، وغيرها، بل صمدوا وقاتلوا، وهذا هو ما يدفع أمريكا وإسرائيل إلى الجنون .. شيمون بيريز قال: (رجل عجوز تجاوز السبعين يدفعنا جميعاً للجنون) .. إنه يقصد الرئيس الفلسطينى، أو المجاهد الفلسطينى الكبير ياسر عرفات.

.. والغريب أن بيريز يعلق على المطالبة الأمريكية - الإسرائيلية بعزل عرفات بقوله: «ليس من مسئوليتى إعفاء أى شخص من وظيفته، والأمر متروك للفلسطينيين»^(٤).

.. وعرفات رئيس مُنتخب من قِبَل الشعب الفلسطينى، وانتخابه تم تحت إشراف دولى، وكانت الولايات المتحدة نفسها إحدى الدول المشاركة فى الإشراف على هذه الانتخابات، ثم إذا كان الإسرائيليون لا يرغبون فى وجود عرفات كرئيس للسلطة الوطنية الفلسطينية، فهل يتصور أحد أن الفلسطينيين يوافقون على وجود شارون كرئيس لوزراء إسرائيل؟! ..

المشكلة الحقيقية التى تؤرق إسرائيل اليوم هى صمود القيادات الفلسطينية، قيادات الصف الأول، وثباتها فى المقاومة، فى حين أن الذى يهرب ويفر الآن، هم الإسرائيليون أنفسهم، فالتقارير الإعلامية الدولية، بل والإسرائيلية تتحدث عن هجرات معاكسة يقوم بها الإسرائيليون من الداخل إلى الخارج .. خارج أرض الميعاد المحتوم ..

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٥).

(٥) الشعراء (٢٢٧).

(٤) الأهرام ١٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٦) الجمهورية ١٨ من أغسطس ٢٠٠٢م.

على سبيل إغراء المشتري الفلسطيني .

شيمون بيريز يخشى من غضبة جيش التحرير الفلسطيني، جيش أطفال الحجارة فقال معذراً عن مجزرة ارتكبتها القوات الإسرائيلية ضد عدد غير قليل من الأطفال في غزة .. (الخسائر البشرية في غزة أُسئ تقديرها) (٧).

.. وقال في مناسبة أخرى: «إسرائيل أصبحت بالفعل مسئولة عما يحدث في المناطق الفلسطينية، وأنه يتوجب عليها الاعتناء بتحسين الوضع الاقتصادي والتغلب على المشاكل الإنسانية الأكثر إلحاحاً» (٨) .. وفي مناسبة تالية قال: «إن الأعمال العدائية تتسبب في ضياع الوقت، ولابد من اللجوء إلى المفاوضات» (٩).

إنه اعتذار الخائف المرتعد من العواقب الوخيمة للعدوان الأمريكي - الإسرائيلي.

الشعب الفلسطيني لا يواجه أى مآزق، وتخطئ وسائل الإعلام العربية إن اعتقدت ذلك أو حاولت استجداء المشاعر نحو الشفقة بالشعب الفلسطيني البطل المقاتل بحثاً عن نيل حقوقه المشروعة.

الذى يواجه المآزق حقاً هو شارون، الذى فشل حتى الآن فى استدراج مصر إلى حرب أعد هو عدتها على غرار ما حدث عام ١٩٦٧، ويوماً بعد يوم يقوم باستدعاء قوات جديدة من الاحتياط بزعم مواجهة أبطال جيش التحرير الفلسطيني، أطفال الحجارة .. طائرات، دبابات، صواريخ، مدفعية بعيدة المدى فى مواجهة الحجارة والبنادق الآلية، كانوا يتوقعون منا أن تغلبنا العاطفة على الحكمة، فنبداً فى حشد الجيوش وإطلاق التصريحات

حتى وهم يواجهون المحنة، لم ينس أحفاد (السامرى و (قارون) وأبناء (شاييلوك) صفاتهم الأخلاقية المكتسبة .. الاتجار بكل شئ حتى ولو كان هذا الشئ أجسادهم هم أنفسهم، فإلهم عندهم فقط هو المال، لا أمانة ولا مبدأ ولا شرف ولا أخلاق!!! ...

إنهم هم الذين يواجهون المآزق لا نحن ... انتصر أطفال الحجارة على آلة الحرب الأمريكية الإسرائيلية ... انتصروا حتى الآن .. أتدرون لماذا؟! .. لأنهم ببساطة شديدة لم يُهزَموا، لم يركعوا، والرأى العام الإسرائيلى يقول حالياً: (إذا كنا عجزنا بما نملك من أحدث ما هو موجود فى ترسانات السلاح العالمية، وبكم يتفوق على الجيوش العربية مجتمعة عن تحطيم شوكة هؤلاء الأطفال، فماذا يمكن أن نفعل فى مواجهة الجيوش العربية النظامية إذا وَقَعَت الحرب ١٩٠٠) .. من هنا كان الفرار الإسرائيلى من الداخل إلى الخارج، من هنا كان التراجع عن الهجرة إلى أرض الميعاد، بعد أن أدرك هؤلاء حقيقة ذلك الميعاد.

جورج بوش الابن، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حاول أن يخفف من حالة الهلع التى تنتاب الشارع الإسرائيلى فقال: (لن نسمح لأحد بأن يسحق إسرائيل) .. فهل حقاً إسرائيل مهددة بالانسحاق تحت وطأة الانتفاضة الفلسطينية؟ .. حتى أن الولايات المتحدة نفسها تهدد بالتدخل العسكرى بجوار إسرائيل.

(٧) الأهرام ٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٨) من تصريحات لراديو إسرائيل نشرتها جريدة «الأخبار» الأربعاء ٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٩) فى مقابلة مع برنامج «صباح الخير يا مصر» فى ٦/٨/٢٠٠٢م.

من أكتوبر سنة ١٩٧٣ .. وما أعقبه من إحساس إسرائيل بافتقاد القوة، أو على الأقل أن هناك من يستطيع دحرها والانتصار عليها .. ومن هنا كان السلام والانسحاب من الأراضي المصرية المحتلة كلها انسحاب الصاغر الذليل المضطر.

» الولايات المتحدة أعلنت منذ أيام على لسان وزير دفاعها دونالد رامسفيلد «أن الأراضي المحتلة هي مكسب جنته إسرائيل بالحرب، ولا تعتبر تلك الأراضي محتلة»^(١٠) .. ومن ثم فإنه بناء على وجهة النظر الأمريكية هذه لا يبقى أمام الشعب الفلسطيني إلا أن يستعيد ما خسره بالحرب، وبالحرب فقط، تماماً كما فعلت مصر عام ١٩٧٣، وكما فعل الفرنسيون في مواجهة هتلر في الحرب العالمية الثانية، حيث كان الأخير قد اعتبر الأراضي الفرنسية التي احتلتها ألمانيا مكاسب جنتها ألمانيا بالحرب .. هتلر كان قد احتل فرنسا .. أتذكرون؟! ..

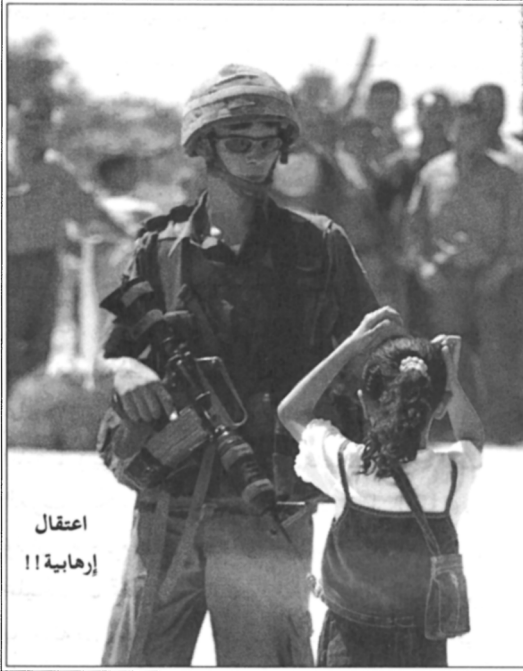
فلا بد إذن أن يحظى الفلسطينيون بانتصار مدوٍ على الإسرائيليين، وصولاً إلى سلام متكافئ بين طرفين متعادلين في القوة، القوة القائمة على: العين بالعين، والسن بالسن، وقتيل بقتيل، وهو وضع يقبله ويرحب به الفلسطينيون من منطلق «قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار» .. وهم في هذه الحالة في وضع معنوي أفضل بكثير من الجانب الإسرائيلي الذي أصبح في حالة رعب وفزع.

.. والرئيس محمد حسنى مبارك أعلن وحذر بشكل واضح في تصريحات للصحفيين الإسرائيليين عقب لقائه مع وزير الخارجية

العنترية التي تكون مسوغاً لهم لشن ما يسمونه بالهجوم الوقائي في وقت تكون فيه جيوشهم أكثر استعداداً .. كانوا يتوقعون أن تستفزنا تصريحات أحد وزرائهم الذى هدد علناً بإعادة احتلال سيناء والهجوم على السد العالى وتدميره، ولكن صدمهم رد الفعل غير المتوقع من الرئيس مبارك: «ما حدث عام ١٩٦٧ لن يتكرر» .. ليجن جنونهم وفي مقدمتهم شارون الذى أصبح فى وضع لا يحسد عليه، فلا هو نجح فى استفزاز مصر، ولا هو نجح فى ردع الفلسطينيين، وانسحابه اليوم من الأراضي الفلسطينية سيفسر بأنه انتصار فلسطيني غير مسبوق.

الضباط والجنود الإسرائيليون أنفسهم .. (أكدوا أنهم أسرى للخوف والرعب من العمليات الفدائية الفلسطينية واعترفوا بأنهم فقدوا القدرة على النوم خلال وجودهم فى المناطق الفلسطينية مما أثر فى معنوياتهم وحالتهم النفسية بشكل كبير).

مشكلة الإسرائيليين أنهم لا يخضعون إلا لمنطق القوة إذا استشعروا ضعفهم، أما إذا شعروا بأنهم هم الطرف الأقوى، فإنهم عندئذٍ ييغون ويطنغون، والغريب أن رجلاً مثل شيمون بيريز وزير خارجية هذا الكيان الغريب قال: «قيل من قبل إن تحقيق السلام مع مصر أمر مستحيل، ونفس الشيء حدث مع الأردن، لذلك ليس هناك ما يمنع من صنع السلام مع الفلسطينيين» .. إنه يتغافل أن السلام الذى تم توقيعه بين مصر وإسرائيل، كان محصلة انتصار مصر فى السادس



اعتقال
إرهابية !!

الإسرائيلي شيمون بيريز يوم الاثنين ٥ أغسطس ٢٠٠٢م: «من استمرار تردى الوضع واستمرار العنف المضاد مادام الفلسطينيون تحت الحصار فى مدنتهم وقراهم دون أن يستشعروا أى أمل فى التوصل إلى تسوية مُرضية وعادلة لقضيتهم، وحصولهم على حقوقهم المشروعة، وقال: إن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن حقوقهم، فقد ناضلوا من أجلها نصف قرن مضى، وسيواصلون هذا النضال لنصف قرن آخر إذا لزم الأمر» (١١).

.. ورؤية الرئيس مبارك سليمة مائة فى المائة، فالفلسطينيون لا يوجد لديهم ما يخسرونه، فأرضهم محتلة، وبيوتهم مستباحة، وبالتالي ليس لديهم شئ يكون عليه، أما الجانب الإسرائيلي فلديه ما يخسره ويخشى عليه وهو كثير: تَقْلُصُّ مساحة الأرض المغتصبة التى يقفون عليها، انهيار الأمن القومى بشكل يجعل الهجرات اليهودية إلى إسرائيل مسألة مستحيلة، مما يؤدي إلى انهيار مروع على المدى البعيد، فضلاً عن الخسائر الاقتصادية، وغير ذلك كثير.

وقد كان من المضحك جداً بعد تلك الجرائم المرتكبة فى حق شعبنا العربى فى فلسطين أن يوجه القتل والمغتصبون الاتهام إلى عدد من الكُتَّاب المصريين بمعادة السامية من منطلق معاداتهم لليهود، وكأنهم نسوا أن الدولة الصهيونية تسمى فى الدوائر العالمية والإسرائيلية نفسها بـ (الدولة العبرية) أى أنها بالتأكيد، دولة تخص اليهود، واليهود وحدهم هم الذين ذبحوا الأطفال والنساء

والشيوخ وبقروا بطون الحوامل فى دير ياسين، واعتدوا على بلادنا سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧.

فهل يتوقع منا هؤلاء بعد ذلك الماضى الحربى التليد أن نكون أصدقاء؟! .. هكذا بين عشية وضحاها، ما الذى قدموه حتى تكون هناك صداقة؟! .. انسحبوا من أرضنا التى احتلوها!! .. هل يعتبرون هذا مبرراً للصداقة؟! .. وهل جواسيسهم الذين يتساقطون يوماً بعد يوم هم سفراء تلك الصداقة؟! ..

ما الذى يتوقعون أن يقال عنهم، وتحديداً ما نقوله عنهم هنا فى مصر؟! .. هل يتوقعون أن نقول إننا نحبههم، أو أننا على استعداد لأن نكون

وجه الأرض، وهى أسلحة لم ولن نسعى إلى امتلاكها لأننا كما قال المولى - عز وجل :-

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١٣).

وليس فى قرآننا ما يدعوننا إلى إهلاك البشر.. ولماذا نسعى إلى امتلاكه ولدينا السلاح الأمضى والأشد؟!.. لدينا الدعاء إلى الله :

﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (١٣).

﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤)

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كَفَّارًا ﴾ (١٥).

ومع هذا، فإننا نحن المصريين مدعوون إلى وقفة جادة مع النفس، وقفة نعلن فيها أن الكرامة لا تُبَاع ولا تُشْتَرى، وقفة نلتف فيها حول قائدنا، نُدْعِمُه ونؤيده.

وقفة نُعلن فيها أننا لن ناكل إلا حصاد زرعنا.

لقد وفرت الدولة آلاف الأفدنة تنتظر شبابنا لكى يكد ويشقى فى زراعتها، ولكننا نكتفى بالنظر إليها عندما نمر بجوارها على طرق السفر السريعة منطلقين إلى الشواطىء.

أيها المصريون.. املكوا قوتكم لتملكوا قراركم.

أصدقاء حميمين لهم؟!.. تلك هذ البلاهة بعينها.. كيف أحب من هدم المسجد ومزق المصحف وقتل الأطفال والرضع على نحو دفع وزير خارجيتهم للاستياء؟!.. كيف أحب من منع الأذان؟!..

هل يتصورون أننا لن نُعبر عن كرهنا لهم؟!.. وأننا لن نحض على كراهيتهم؟!.. يا للبلاهة.... أولا يعلمون إن الحب والكره شعور وجدانى محض لا يمكن التحكم فيه أو السيطرة عليه؟!.. ألم يقل كبير من كبارهم وهو ذلك المدعو (يوسف عوفاديا) : « عليكم اللعنة أيها العرب، إنكم تتكاثرون وتتناسلون مثل النمل ».. وقال : « حُرِّم علينا إيزاء أى رحمة تجاه العرب .. عليكم أن تمطروهم بالصواريخ ».. هذا الشخص يدعونه بـ (الحاخام الأكبر) وهو يعد الزعيم الروحي لحزب شاس، أحد أقوى الأحزاب الدينية المتطرفة الإسرائيلية التى يعتمد عليها شارون فى التصويت على سياساته العدوانية تجاه العرب داخل الكنيست الإسرائيلى.. أى أن هذه التصريحات محسوبة بالضرورة على الحكومة الإسرائيلية.

وعندما يأتى من يتناول تاريخهم وسيرتهم العفنة التى يحفظها العالم أجمع، بل وتبلى فى الصلوات إنجيلاً وقرأناً تثور ثائرتهم، ويحشدون أبواق الدعاية وينظمون المحاكمات.

سيتأسدون علينا بامتلاكهم أسلحة الدمار الشامل وامتلاك القدرة على إفناء الحياة من على

(١٣) آل عمران (١٣)

(١٥) نوح (٢٦، ٢٧).

(١٢) آل عمران (١١٠).

(١٤) العنكبوت (٣٠).

لن نصبح شعباً إسلامية بسمات أمريكية

للدكتور / محمد حسن عبد الحنان

في حياة الأمم، كل الأمم، انتصارات وكبوات، والحياة تستمر والأجيال تتعاقب «وننسى أو ننسى في خضم الأحداث ومشاكل الحياة»، والتاريخ وحده هو الذي يسجل بلا تدخل من أحد ومهما حاول أي طاغية أن يزيّف الحقائق أو يضيف على عمله الإجرامى شرعية من نسج خياله مهما استخدم من عبارات هلامية ليس لها معنى محدد مثل «مجاربة الإرهاب» أو «الدرع الواقى» أو حتى معادات السامية فما سجله التاريخ لا يخفى على أحد وقد أصبح واضحاً لدى العيان أننا نعيش عصر القوة الغاشمة، عصر القطب الواحد عصر من معنا؟ ومن ضدنا؟ عصر من يسبح فى فلكى نجا من الهلاك ومن يسبح ضد تيارى تحطم على صخرة جبروتى.

ورب ضارة نافعة، فأحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، برغم رفضنا لها وبكل المقاييس، وبرغم إدانة العالم العربى والإسلامى لهذا العمل الإجرامى الذى اهتزت له مشاعر العالم والذي لم يعلن بعد عن فاعله الحقيقى ومن شاركوه وجنسياتهم برغم مرور عام كامل والواضح ان التحقيقات لن تنتهى.

بدىلا يحظى بالدعم الأمريكى المطلق .
وليس لأمرىكا هدف واحد بل لها أهداف تالية، فقد طالعنا بالمرحلة الثانية، وهى فكرة «محور الشر» التى تشمل بلدين مسلمين بالإضافة إلى كوريا الشمالية برغم أننا لا نعرف الرواية الكاملة عما حدث فى ١١ سبتمبر، لكن الإدارة الأمريكية نجحت فى استغلال الحدث وتوظيفه، وإلقاء التبعة على الإسلام والمسلمين!! .
وهناك قاسم مشترك بين حكومة بوش الابن،

فقد وجدت أمريكا فرصة فرض الهيمنة على العالم أجمع، وكانت التجربة الأولى لنجاحها فى أفغانستان المسلمة، وما حدث هو بداية وليس نهاية الحقيقة أن صدمة الحادى عشر من سبتمبر تركت آثارها على المستوى الأمريكى والعالمى .

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأخذ بالثأر؟ ومن؟ لو أنها تقصد القاعدة وتنظيم طالبان، فقد حققت هدفها فى أفغانستان، ووجدت



وحكومة شارون وكلنا يعرف الظروف والملابسات في نجاح بوش، وأنه وصل إلى الحكم بالقضاء ولسنا هنا في مقام الحديث عن السياسة الأمريكية داخل أمريكا، ولكننا ننظر إلى السياسة الأمريكية وتداعياتها على العالم العربي والإسلامي.

فبعد القضاء على حكم طالبان وتنظيم القاعدة ارتفعت أغلبية بوش إلى ٨٨٪ ومع الإصرار على ضرب العراق انخفضت إلى ٦١٪ وكذلك في إسرائيل فقد زادت أغلبية شارون بين ٥٤٪ إلى ٦٦٪ وهي إدارة حكومية يمينية متطرفة.

ونسلم الآن عن المعاهدة الأمريكية الإسرائيلية بعدم تسليم أى مجرم حرب للمحكمة الدولية، حيث لم توقع أى منهما على معاهدة جرائم الحرب في لاهاى والتي دخلت حيز التنفيذ منذ يوليو ٢٠٠٢ وما حدث في فيتنام ليس ببعيد.

ونرى كذلك انتهاك إسرائيل لقواعد وشروط استخدام الأسلحة الأمريكية المنشأ.

وأود أن أشير إلى أن دافع الولايات المتحدة ليس تعزيز الديمقراطية وإنما تغيير النظم على أهوائها وإيجاد من يقبل الإسلام والنظام والحكم على الطريقة الأمريكية.

أود أن أشير إلى الأقلام اليهودية الصهيونية المسمومة التي تعتبر كل من يجرؤ أو يتناول لكشف جانب من جوانب الظلم الإسرائيلي الصارخ إما يعادى السامية، كيف نعاديها ونحن أصلاً ساميون من نسل سام بن نوح عليه السلام؟! بل إنهم قد استطاعوا في غفلة من الزمن ومن الدول العربية انتزاع قانون فرنسي يحرم بل ويجرم كل من يتناول عليهم، ومن يشكك

في افتراءاتهم، ويخضع للمحاكمة والحبس.

وحاخامات إسرائيل على المستوى الدينى وراء ارتكاب كافة أنواع الجرائم ضد الأغنياء «غير اليهود» وتضع نفسها فى خدمة جيش الدفاع الإسرائيلى ضاربة بالأوامر والنواهي الدينية عرض الحائط والفتاوى جاهزة وعقول الغرب تحت السيطرة اليهودية بما لديهم من وسائل الإعلام ويتخصصهم فى غسل العقول.

فقد غرس حاخامات اليهود فى عقول شعبهم كره جميع الشعوب الأخرى لأنها فى نظرهم شعوباً وثنية، لذلك أفتوا بأنه لا يصح لشعب الله المختار أن يصابه الوثنيين واعتبارهم خطراً على الدين اليهودى، على اعتبار أن الزواج بالأجنبيات زواج غير مقدس.

وقد طفت على السطح مسميات تدعو للعجب مثل «ظاهرة الإسلام السياسى بعد أحداث ١١ سبتمبر... إلخ».

وأود أن أشير إلى أن الإسلام دين كامل متكامل يصلح لكل العصور دين إرتضيانه، ولا نجبر أحداً على الدخول فيه واعتناقه ولا نخشى من ضياعه، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يحفظه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

وتخص فكرهم عن عمل دراسة للعالم العربى يقوم بها نخبة من الأساتذة الأجانب والعرب الذين تعلموا فى أحضانهم والهدف مساعدة الغير وخرجت النتيجة: ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

ويهمنى فى هذه النتيجة وضع المرأة العربية، حيث زعمت تقاريرهم المشبوهة أنه وضع متدن للغاية وأنها لا تتمتع بحقوقها، وتعيش تحت ظلم صارخ بدءاً





الدفاع المشترك .

وليبيا المحاصرة بتهمة طائرة لوكيربي، وإسرائيل تهدم أحياء بكاملها على من فيها .

والعراق التي تصمم واشنطن على ضربه وتغيير حكومته، من أعطى أمريكا حق تغيير الحكومات، لأنها القطب الوحيد؟!!

والحملات المسعورة تملأ صفحات الجرائد الكبرى التي يسيطر عليها اللوبي الصهيوني، وتروج حالياً إلى أن تمويل الإرهاب سعودى .

لتنضم السعودية، إلى من سبقوها من الدول العربية .

وجيش الدفاع الإسرائيلى يعيث فى الأرض فساداً يحرق الأخضر واليابس، ورحم الله شهداء الانتفاضة، وأود أن أذكر بقرون العذاب والدموع ودموع يوم الغفران « كيبور » هل ستسيل كما كانت على الظلم الواقع عليهم، أم أنها ستسيل فرحاً بما يرتكبون فى حق شعب أعزل وللدموع دلالة خاصة فى الفكر الدينى اليهودى .

والأدب زاخر بدموع أبطاله وأصبحت الدموع سمة يتمتع بها اليهودى عبر الزمان من بداية تاريخهم المريع، الدينى والدنيوى ويطلقون عبارة « شعر دماغوت » أى أبواب الدموع، كناية عن أبواب موجودة فى السماء يعتقدون بأن دموع المظلومين من اليهود تنفذ عبرها إلى الله سبحانه وتعالى .

وفى « المزامير »^(٢) ورد نص : هزرو عيم بدمعاه بريناه يقصروا أى « الزارعون بالدموع بالبهجة يحصدون » . ويبدو أن جيل شارون فسرها أن المقصود هو : دموع الفلسطينيين حسرة على أبنائهم وأطفالهن .

بالختان وإنهاء بعدم ممارستها حقها الانتخابى، بالإضافة لكونها قد تكون الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ... ألخ .

والسؤال الذى يطرح نفسه هل وصل بكم الحقد لمحاربة الإسلام عن طريق المرأة المسلمة؟ هل تدخلنا فى شئون المرأة اليهودية مثلاً : وأنها حتى الآن تستيقظ فى الصباح وتقول : أنا امرأة وما قيمتى .

إن الدين الإسلامى الحنيف هو الذى أنصف المرأة وأعطاهما كافة حقوقها .

إنها حرب ضروس بعيدة عن آلة الحرب ولكنها أكثر تأثيراً من القنبلة الذرية وهذا ليس بجديد ولا ننسى الحرب ضد الختان ثم « الحجاب » الذى أصبح الآن مرادفاً للإرهاب والقاعدة وطلالان .

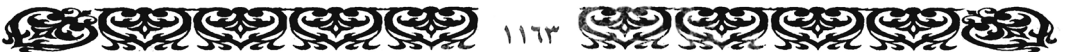
والجهود خلف الكواليس والمساومات من أجل حصول أمريكا على تأييد الدول الأوروبية لتبنى وجهات النظر الأمريكية، لفرض الرؤية الأمريكية .

وللإعلام دوره : فقد فاجئتنا نجمة الإغراء الفرنسية « برجيت باردو » وهى تهاجم الإسلام الذى يسمح بذبح الحيوانات وأكلها .

وأقول لها : أبنائنا فى فلسطين يذبحون يومياً وتنهش لحومهم الكلاب الضالة فهل تتأثرين للبشر كما تأثرت للحيوانات!! .

وأود أن أقول إلى أننا فى أشد الحاجة اليوم أن نتكاتف ونمد الجسور بيننا بعد أن تركنا الساحة خالية للصهيونية وحدها ورأينا تركيا ورثة الخلافة العثمانية، وهى تعلن علمانية الدولة التى يبلغ عدد المسلمين فيها ٩٩٪ وترتقى فى أحضان إسرائيل، وتعتقد معها العديد من الاتفاقات التى تصل إلى حد

(٢) مزامير ١٣٦/٥ .



في الرؤى والأحلام

للمُستَاز / مجدى عبدالمحميد بشير

شف الإنسان بمعرفة الغيب أمر لا جدال فيه، وولعه بما خفى عنه غالباً ما يكون مبعث متاعبه وسر شقائه. وحزن المسلم من الخوض في ذلك التيه المظلم هو إيمانه بالله واستمسكه بدينه لعلمه أن كل الأمور بيد الله حاضرها وماضيها ومستقبلها، فهو يتلو ليل نهار قوله تعالى:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝

إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ۖ﴾ (١).

وهو يقرأ صباح مساء ما يقيه من أن يقع فريسة للخرافة والكهانة والسير خلف محترفي التحصين ومدعى الغيب الذين يوهمون البسطاء وهم في الحقيقة يهرفون بما لا يعرفون. يقول سبحانه:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ

إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۖ﴾ (٢).

كما أنه يسمع بكرة وعشية قول المصطفى ﷺ: خمس لا يعلمهن إلا الله - عز وجل - أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تلدئ نفس ماذا تكسب غداً وما تلدئ نفس بأى أرض تموت (٣).

المستور وكشف المخبوء ألا وهو باب الرؤى والأحلام وهو باب واسع رحب يلججه الصغير والكبير والعظيم والوضيع فكم أقضت رؤيا

فهل بعد حديث الوحيين إلا التخرصات؟ وهل بعد الكتاب والسنة إلا الأوهام والأباطيل؟ غير أن هناك باباً آخر يطرقه الكثيرون لاستجلاء

(٣) أخرجه الترمذى.

(٢) النمل (٦٥).

(١) الجن (٢٦، ٢٧).



النبوة»^(٤). ومع هذا الوضوح تعلق نفوس البعض بالرؤى تعلقاً أوصلها إلى ضروب من الأوهام كان الدافع إليها الخواء الروحي والجزع النفسى والفرق القلبي ليس إلا. لقد أصبحت الرؤى شغلهم الشاغل في المجتمعات والمنتديات والفضائيات يضيعون فيها الساعات في تعاطى الترهات، الأمر الذى جعلها تطفئ على الفتاوى الشرعية حتى غلب السؤال عن الرؤى على التفقه فى أمور الدين الذى هو لحمه المرء وسداه. ترى ما الأدب الإسلامى إذن فى التعامل مع الرؤى؟ وهل من الإيمان أن يرى أحدنا الرؤيا فتضطرب لها نفسه وترتعد منها فرائسه وكيف يسمح أى مسلم لنفسه أن تستقطبه الفضائيات فيلقى أصحابها فى رأسه ما لذ لهم وطاب من أفكار تميل به ميلاً عن صحيح الدين وما ارتضاه لنا ربنا من مثل أخلاقية هى المفتاح الذى ندلف به إلى القلوب الظمأى للخير.

وقد روى مسلم فى صحيحه أن أبا سلمة قال: كنت أرى الرؤيا أعرى منها- أى أمرض- غير أنى لا أزمّل حتى لقيت أبا قتادة فذكرت ذلك له فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلمًا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره» وفى رواية عند مسلم أيضاً قال أبوسلمة: «إن كنت لأرى الرؤيا أثقل على من جبل فما هو إلا أن

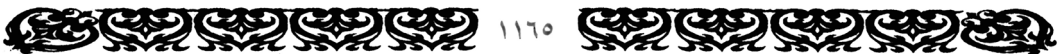
عظيماً من مضجعه وكم بشرت أفراداً بمستقبلهم وكم رسمت لشعوب قصوراً فرشتها بالورود والرياحين ولا يغيب عن البال هنا رؤيا الدكتور / عبدالحليم محمود شيخ الأزهر- رحمه الله- التى بشر فيها الرئيس / السادات بالنصر فى حرب رمضان المباركة وما رؤيا يوسف بغائبة عنا ولا رؤيا ملك مصر بخافية علينا.

ولقد أنكر الفلاسفة الرؤى ونسبوها إلى الأخطا التى فى الجسد وبينوا أن لها انعكاساً على ما يرى النائم كما أن لعلماء النفس موقفاً سلبياً من الرؤى تبينوا فيه وجهة نظر الفلاسفة فجعلوها خليطاً من الأمزجة والرواسب الكامنة فى ذاكرة الإنسان التى يهيئها المنام حتى إنهم حصروها فى قالب بيولوجى ومفهوم جنسى كما قال فرويد وكل تلك مزاعم وأكاذيب لا أساس لها من الصحة وأما علماء الإسلام فقد استقوا علمهم من مشكاة النبوة والإلهام الربانى فذهبوا إلى أن الرؤيا المنامية الصالحة الصادقة حق من عند الله وقسموها إلى مبشرة ومنذرة.

فقد روى مالك فى الموطأ عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات. قيل: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له.

وقال أيضاً: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من

(٤) أخرجه الشيخان.



سمعت بهذا الحديث فما أباها، وفي الحديث كما ترى كثير من الآداب الواضحة.

والرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام كما عند ابن ماجة من حديث عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن الرؤيا ثلاث منها أهوئيل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم ومنها ما يصم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، ومثال الأولى ما رواه مسلم في صحيحه أن اعرابياً جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله رأيت في منامي كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتدت على أثره فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك». والمعنى أن يقابل مثل هذا النوع من أضغاث الأحلام بما يلي: التعوذ بالله من شر هذه الرؤيا ومن شر الشيطان وأن يتفل الرائي ثلاثاً عن شماله وأن لا يذكرها لأحد وأن يصلي ما كتب له وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه وزاد بعض أهل العلم قراءة آية الكرسي. وأما حديث النفس في اليقظة فمثله أن يشغل أحدهم بتجارة أو غيرها فينام فيرى ذلك في منامه وهو من أضغاث الأحلام التي لا تعبیر لها.

وأما النوع الثالث وهو الرؤيا الصادقة الصالحة التي تكون من الله وهي إما بشارة أو نذارة وقد تكون واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل كما رأى إبراهيم أنه يذبح ابنه في المنام

وقد تكون رمزية كرؤيا صاحبى السجن التي فسرهما يوسف وهى رؤى لا تقص إلا على عالم أو ناصح فقد قال ﷺ «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح»^(٥). وما عدا ذلك من الرؤى التي تتعلق بشئ من إثبات الأحكام الشرعية من حلال أو حرام أو فعل عبادة أو تحديد ليلة القدر التي أريها النبي ﷺ ثم أنسيها فرؤى محمودة أما الرؤى التي ينبى عليها آثار تتعلق بحقوق الناس وحرمااتهم وإساءة الظنون بهم أو الحكم على عدالتهم ونياتهم فإن ذلك كله من أضغاث الأحلام والظنون التي لا ينبغي الاعتماد عليها فى قول جمهور أهل العلم. فقد تراجع الخليفة العباسى المهدى عن قتل شريك بن عبد الله القاضى لما نبه إلى أن ما رآه فى منامه من قتل ذلك الفقيه ما هو إلا أضغاث أحلام.

وبعد.. فيقول ابن القيم فى توجيه كريم لا يفوتنا العمل به يقول: المفتى والمعبر والطبيب يطلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا يطلع عليه غيرهم فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره. انتهى.

وليعلم أن تعبیر الرؤى قرين الفتيا قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا بَاطِلًا﴾^(٦)

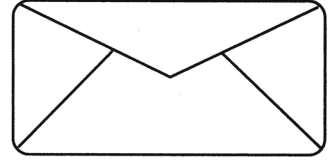
فهذا اعظم من يتصيدون تفسير الأحلام بغير علم.

(٦) يوسف (٤٣) ص ٢٤٠.

(٥) أخرجه الترمذى.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ /عبد الفتح سيد جمعان



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فسند في هذا العدد بمشيئة الله على رسالتين من رسائل القراء الأعزاء.

● الرسالة الأولى من قارئة ذكرت أنها أم أسامة من محافظة الغربية وحاصلة على ليسانس تربية تقول في رسالتها، إنها متزوجة منذ خمس سنوات وأنها اختارت زوجها بمحض إرادتها وموافقة أهلها، وأنها استخارت الله في هذا الزواج، فرأت زوجها في الرؤيا قبل أن تتعرف عليه وأن المقربين منه ذكروا لها أنه ذو خلق ودين ولم تلتفت إلى يساره وثروته بل كانت تتمنى على الله أن يرزقها زوجا ذا دين ولهذا لم تطل فترة الخطبة، لكنها تقول: إن حمايتها لم تستقبلها ليلة الزفاف استقبالا حسنا بل لم تقابلها بالمرّة لكنها نزلت على رأي أهلها المسالمين فصعدت إليها في شقتها بفستان الزفاف وسلمت عليها وبعد شهر من الزفاف صعدت إليها مرة ثانية ومعها هدية متواضعة لمؤانستها فما كان منها إلا أن اتهمتها بالكذب على ابنها حتى تزوجته وبأنها أقل منهم مستوى وأن أهلها لم يجهزوها جهازا يتناسب مع حالتهم الاجتماعية وأنها أي حمايتها تعتبرها خادمة لها ولا بنها ولكل أبنائها ومع كل هذا فإنها أي الزوجة تعاملها بما يرضى الله - تعالى - وفي ختام رسالتها تطلب من المجلة التي تعتبرها رزق الله إليها وإلى أمثالها أن توجه كلمة لهذه الحماة وأمثالها أن ترحم زوجة ابنها وألا تغالى في موضوع الجهاز.

يقضى الله أمرا كان مفعولا وبعدها يكون الفرج إن شاء الله خاصة وأنت لم تذكر شيئا يقدح في سلوك زوجك وأخلاقه وإلا ما استمرت العشرة بينكما خمس سنوات كوامل وأنت بحمد الله سيدة مثقفة تتصفين

وبداية أقول للأخت السائلة إنك تكبرين المسألة أكثر من اللازم بسبب حساسيتك الزائدة وما كنت تنتظرينه من حماتك ولم تجديه فهذه الحماة تعتبر ضيفة عندكم فاحتمليها المدة التي تعيشها بينكم حتى



كرم الله وجهه - كما في النسائي جهزها في خميل وقربة ووسادة حشوها إذخر، والحميل كل ثوب من القטיפفة له وبر، والإذخر نبت طيب الرائحة يحشى به الوسائد .

واحمدى الله أيتها الحماة أن رزقك الله بكنة (زوجة ابن) تتقى الله في ابنك وتحفظه حاضراً وغائباً واجعلى هذه الكنة كابنتك وعاملها على هذا الأساس يعطك الله الأجر الوفير والثواب الكثير ويبارك الله لك في كل شيء .

وقد قال العلماء : إن المرأة ليست مسئولة عن تجهيز بيت الزوجية وإنما المسئول عن ذلك الرجل وحده، ولكن إذا جرى العرف بأن المرأة هي التي تجهز بيتها من مالها الخاص أو من المهر الذي تقبضه من الزوج أو جرى العرف باشتراك الزوجين في التجهيز كان ذلك في مقام الشرط ينبغي الأخذ به والعرف هنا محكم كما يقول الفقهاء^(١) .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر هذه الحماة بأن الدنيا كلها متاع زائل وعارية مستردة، ورحم الله الذي قال :

إنما نعمة قوم متعة

وحياة المرء ثوب مستعار .

وقد دخل بعض الناس بيت أحد الصالحين فلم يجد فيه أثاثاً على الإطلاق فسأله أين أثاث منزلك : فأجابته إن لنا داراً أخرى جعلنا فيها أثاثاً وهو يقصد الدار الآخرة وكما أن الإسلام طلب من ولي الزوجة عدم المغالاة في المهور استرشاداً بقول

بالتدين والحكمة والأناة وكثير من الصبر، تستطيعين بشيء من اللباقة والمودة أن تقتربي من زوجك أكثر وأن تقربيه منك أشد، إنك إن فعلت ذلك صفت نفسك وارتاك ضميرك ولم تبال بما يظهر من حماتك من جفوة ومع مرور الزمن سيتغير حالها وإذا رأيت أن ابنتها سعيدة معك خاصة وأن لك منه أولاداً يملفون عليك حياتكما بهجة وسعادة أما حماتك فأقول لها : إن العبرة بالشخص لا بالأثاث والرياش فما قيمة الجهاز لو كان قيمته مائة ألف جنيه وابنتك يعيش في نكد وقلق محرومة من السعادة والأولاد وعلى كثرة الأحاديث المذكورة في هذا الباب أذكرها فقط بقول رسول الله ﷺ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولديتها فافطر بذات الدين تربت يداك » .

قال العلماء في شرح هذا الحديث « إن ذات المال فيهن طاغية ما لم يكن لها دين يمنعها من الرذائل وسوء الخلق .

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال : « إن أعظم النكاح بركة أيسره مئونة » .

وقال : (يُمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها) .

واعلمى أيتها الحماة - هداك الله - أن رسول الله ﷺ جهز سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- عند زفافها لعلی -

(١) من كتاب الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٤٥/٢ .





أحد هذا الحساب؟ ويسأل أيضا هل موضوع القدس يعتبر عاما للأمة الإسلامية كلها أم يخص الفلسطينيين وحدهم؟

وبدايةؤكد للأخ السائل إن الحق - سبحانه تعالى - سوف يحاسب كل العباد على كل شيء على القليل والكثير والقطمير وشرو النقيير مصداقاً لقوله تعالى :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

وقال - عز من قائل - حكاية قول لقمان لابنه وهو يعظه :

﴿يَبْنِيْ اِيْمَانًا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰ اٰتِ بِهَا اَللّٰهُ اِنَّ اَللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ﴿٥﴾﴾

وهذا يا أخى من حقائق الإيمان المقررة فى الكتاب والسنة لأن من عناصر الإيمان التى لا يكمل إيمان المسلم إلا به الإيمان باليوم الآخر وما يحدث فيه من ثواب وعقاب وحساب وميزان وصراط .. إلخ .

هذا وكما فهمت من الآية الكريمة فإن حساب الحكام والولاة والقضاء حساب عظيم ويعظم هذا الحساب بحسب المسؤولية الملقاة على عاتق كل مسئول أو راع ولهذا حذر الرسول ﷺ من هذه المسؤولية ونهى الضعاف من الصحابة عن تحملها فعن أبى ذر - رضى

المصطفى ﷺ « التمس ولو خاتماً من حديد » حتى إن عمر - رضى الله عنه - هم بأن يجعل للمهر حداً أقصى لا يزيد الأولياء عليه لولا أن امرأة ذكرته بقوله تعالى :

﴿وَأَنْتُمْ إِحْدِلْتُمْ كِنَظَارًا ﴿٢﴾﴾، وبقي مع ذلك يكره المغالة فى المهور وينهى عنه .

أقول كما نهى الإسلام عن المغالة فى المهور نهى أيضاً عن طلب الزوج وأهله من أهل الزوجة شيئاً يشق عليهم الإتيان به أو يكلفهم من أمرهم عسراً قال تعالى :

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ .

والله ولى التوفيق .

● أما الرسالة الثانية فى هذا العدد فقد وردت من القارئ عبد الله محمد سيد يقول فيها :

كنت أقرأ فى كتاب الله فوقفت عند قوله تعالى :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ .

وذهلت عندما تخيلت مدى الحساب الواقع على الحكام والملوك وبعض المشايخ الذين يسايرونهم، ثم يسأل : هل سيحاسب الله - عز وجل - الحكام والملوك على كل ميثقال ذرة من قول أو فعل؟ وهل يتحمل

(٣) الطلاق (٧) ص ٥٥٩ .

(٥) لقمان (١٦) ص ٤١٢ .

(٢) النساء (٢٠) ص ٨١ .

(٤) الزلزلة (٨، ٧) ص ٥٩٩ .

(٦) أخرجه مسلم .





اللهم من ولى أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به .

أما الحكام المقسطون العادلون فأمرهم مختلف فهم آمنون يوم الفزع الأكبر والإمام العادل أول السبعة الذين يستظلون بظل الله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر بذلك الصادق المصدوق .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا » (٧) وعن عوف بن مالك -رضى الله عنه- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال : قلنا يا رسول الله أفلا ننبأهم؟ قال : لا ما أقاموا الصلاة فيكم . . لا ما أقاموا الصلاة فيكم » ومعنى تصلون عليهم : تدعون لهم .

أما موضوع القدس فشان يخص المسلمين جميعا حكاما ومحكومين، فلسطينيين وغير فلسطينيين فى شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها سواء كانوا فى أوروبا أو أفريقيا أو آسيا ولكن المسؤولية التى تقع على عاتق المسلمين العرب أكبر وأخطر، والحكام أول من يسأل عن موضوع القدس وهنا تتضاعف

الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر إنى أراك ضعيفا وإنى أحب لك ما أحب لنفسى، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم » (٦) .

وعنه رضى الله عنه فيما يرويه مسلم قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملنى؟ فضرب بيده على منكبى ثم قال : « يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

وروى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة » والندامة تكون على الحكام والولاة والرعاة المقصرين لأن الولاة مسئولون عن كل شىء فى الدولة والرعية لا أقول عن كل فرد بل عن كل شىء . . عن الطرق والبنىات والمدارس والمستشفيات ولذا قال سيدنا عمر - رضى الله عنه - وأقسم (لو أن بغلة عثرت فى العراق لرأيتنى مسئولا عنها يوم القيامة لم لم تمهد لها الطريق؟) .

هذا عن الحكام العاديين فما ظنكم بالحكام العصاة الظالمين؟! إن حسابهم عسير وعذابهم شديد، قال صلوات الله عليه : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » وعن عائشة -رضى الله عنها- قالت « سمعت رسول الله يقول فى بيتى هذا :





وأَسباب الموت فى هذا العصر سوى الحرب أكثر من أن تعد ويكفى أن تعمل إحصائية سريعة مما ينشر فى الصحف عن موتى حوادث المرور فى بلد واحد ناهيك عن الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التى ابتلينا بها بسبب إخلالنا إلى الحياة .

أما عن العلماء الذين يمالئون الحكام ويغيرون الدين على حسب أهوائهم أجيب عن هذه الجزئية من سؤاله بأن التغيير فى دين الله خروج عن الدين بالكلية ولا أظن أحداً من العلماء يقدم على هذا الأمر الخطير إلا أن يكون قد فقد عقله أو فقد دينه .

وعلينا أن نشير هنا إلى أنه فى بعض الحالات يؤمر الناس بالصبر على ظلم الرعاة حتى لا تكون فتنة، وفى حديث عوف بن مالك السابق عندما قال الصحابة لرسول الله ﷺ حينما ذكر لهم شرار الأئمة (أفلا ننابذهم قال: لا ما أقاموا الصلاة فيكم.. لا ما أقاموا الصلاة فيكم) وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٨) .

هذا والله أعلم وبه التوفيق

المسئولية على الحكام لأنهم هم الذين بيدهم الأمر والنهى والشعوب تتحرك بأمرهم .

وقد بما ظلمت امرأة مسلمة على حدود أوروبا فصرخت وامعتصماه تنادى الخليفة المعتصم فى بغداد فخف لنجدتها بجيش جرار وهزم المعتدين فى موقعة عمورية المشهورة التى خلدها أبو تمام فى قصيدة من عيون الشعر العربى، وذلك لأن المسلمين كانوا متحدين ولهم رئيس واحد نادته هذه المرأة المسلمة ولكن المسلمين الآن أكثر من خمسين دولة فمن ينادى الفلسطينيون؟! إن ذنبهم ودماءهم فى رقبة المسلمين كلهم وبالأخص الحكام لأن العلماء قد قرروا أنه إذا احتلت أرض المسلمين أو جزء منها صار الجهاد فرض عين على كل مسلم «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» .

والجهاد الذى هو فرض عين على كل المسلمين الآن لا يأمر به ولا يستعد له إلا الحكام والولاة والرؤساء وحقا إن الحرب خراب ودمار ولكن ماذا يفعل المسلمون إذا فرضت عليهم الحرب فرضاً؟ هل ينكصون أم يتقدمون؟ إن نكوصهم لن يعفيهم من الموت ولن يطيل فى أعمارهم لحظة واحدة، وبحق قال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

(٨) متفق عليه .



بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشني

الوحدة الإسلامية ضرورة لمنع الاعتداءات الأمريكية

كان لنا وقفة مع الأستاذ عبداللطيف فايد في الجمهورية الأسبوعى فى ١٥ / ٨ / ٢٠٠٢ قال فيه :
إذا لم يتدارك المسلمون أنفسهم الآن بالتضامن والوحدة فإن الوحش الأمريكى سيلتهمهم دولة بعد دولة، فهذا الوحش انفراد بالقوة الضاربة فى العالم ويريد أن يستذل كل دولة فيفرض سيطرته عليها ويستنزف خيراتها، وهو يستهدف أولا الدول الإسلامية وبخاصة فى المنطقة العربية التى أقام وسطها إسرائيل لتكون رأس جسر للعدوان، فأى منطق فى الدنيا بل أى منطق فى التاريخ يجيز حرمان شعب من بلده وحرية ويضع مكانه أشتاتا من الأرض تصبح لها دولة مدعومة ومؤيدة بأفتك الأسلحة، وليست لها أية مهمة سوى العدوان، ومن شأن أمريكا أن تحب إسرائيل وأن تدعمها كما تشاء، ولكن ليس من شأنها أن تضع إسرائيل وحدها فى كفة، وتضع العالم كله فى كفة أخرى وهدفها ترجيح إسرائيل على العالم كله، فقد حدث فى الأيام الأخيرة الماضية أن اقترعت دول العالم فى الجمعية العامة للأمم المتحدة على جلاء إسرائيل عن

الأرض التى تحتلها فى فلسطين فوافقت على الجلاء (١١٤) دولة ولم تعارض سوى أمريكا وإسرائيل ومعنى هذا أن أمريكا تضع إسرائيل فى مواجهة العالم كله، ومن سوء حظ هذه المنظمة العالمية أنها لا تستطيع أن توقف أى عدوان على دولة ما لأنها تملك القوة الجاهزة المسلحة لرد العدوان، ومن هنا تدخل أمريكا اللعبة لأنها تعتدى باسم الأمم المتحدة ولا تجد من يرد عدوانها، ولذلك فإن الموقف فى فلسطين مأساوى وسيظل مأساويا لغياب العدل .

فإذا انتقلنا من فلسطين إلى العراق وجدنا أن ضعف النفوس من حكام الدول الإسلامية يصنعون المشكلات لدولهم وللدول الإسلامية جميعا فقد نجحت الدسياسة مع صدام حسين حاكم العراق ليعتدى على الكويت، فتنتهزها أمريكا فرصة لضرب العراق باسم الأمم المتحدة وتدمير قوته الذاتية بحجة القضاء على أسلحة الدمار الشامل، وفى سبيل ذلك أعلنت الحصار على العراق وحرمانه من بيع بترول وبيع الغذاء والدواء عنه ورتبت قوة تفتيشية باسم الأمم المتحدة لتنتهك سيادته وظلت أمريكا ترتب لضرب العراق ضربات موجعة بالطائرات والأسلحة الفتاكة التى تترك وراءها أمراضا لا يمكن مقاومتها وإجماع الدول العربية الأخير على معارضة



الدول الإسلامية هي مشكلة السودان فمنذ أن وقعت مصر وبريطانيا اتفاقية الجلاء عن السودان بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وبريطانيا تعمل على تأكيد دورها الاستعماري بفصل جنوب السودان عن شماله هذا الدور الاستعماري الذي ورثته أمريكا بعد بريطانيا فحاربت عرى الوحدة السودانية حتى لا يتجه السودان إلى مصر ويشكلا وحدة سياسية قوية إلى جانب الوحدة الجغرافية التي تربط بينهما وبخاصة أنهما يشريان من نهر واحد هو أطول أنهار العالم بعد نهر المسيسيبي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان دورها واضحا في تدمير إنشاءات قناة جونجلي بعد أن قاربت على التمام وتحويل منطقة المستنقعات بجنوب السودان إلى أرض زراعية خصبة تزيد على ثلاثة ملايين ونصف المليون فدان، وكان ضغط أمريكا واضحا في المفاوضات التي جرت بين حكومة السودان وممثلي الجنوب التي جرت أخيرا في كينيا لمنع وحدة السودان شماله وجنوبه والأمل في شعب السودان نفسه أن يتمسك بوحدته في المراحل القادمة من مباحثات تقرير المصير لأن وحدة السودان تعنى قوته وسياسة تقسيمه هي سياسة استعمارية سبق أن مارسها الاستعمار ضد الدول الإسلامية وهو يحارب دولة الخلافة العثمانية التي قويت ونشطت ورفعت راية واحدة على الأمة الإسلامية كلها وامتدت منها إلى أوروبا التي لا تزال فيها حتى الآن جذور إسلامية لهذا الامتداد.

والوحدة قوة ما في ذلك شك.. وتجنيد الإمكانات لتدعيم هذه الوحدة هو طريق النجاح للمستقبل حتى لا تمارس أمريكا سياستها العدوانية على أرض المسلمين.

ضرب أمريكا للعراق هو جزء مما يجب أن يكون من الدول الإسلامية كلها لتقف وقفة باسلة أمام عدوان أمريكا على العراق وتستخدم في ذلك كل إمكاناتها السياسية والاقتصادية لا تمنع أمريكا من ضرب العراق، وإنما لتقتصر على مؤامرات أمريكا ضد الدول الإسلامية.. وتظن أمريكا أنها تخدع العالم حينما تزعم أنها تضرب العراق لإسقاط حكم صدام حسين وتعد لذلك ست خطط كما جاء في تصريحات أحد المسؤولين الكبار بها مع أن صدام حسين يحكم العراق ولا يحكم أمريكا، ومن شأن شعبه فقط إبقاؤه أو إسقاطه إذا أراد، وأمريكا تفعل ذلك محتجة بضرورة تدمير أسلحة الدمار الشامل بينما هي نفسها تملك هذه الأسلحة وتهدد بها العالم كله، وترك إسرائيل تملكها وتهدد بها المنطقة العربية من العالم الإسلامي، ولا تعمل على تدميرها أسوة بما تدعيه نحو العراق.

وليس بعيدا عن أذهاننا ما فعلته أمريكا مع ليبيا وحصارها إياها ومنع الدخول إليها والخروج منها بهدف قتلها، وقد سبق أن اعتدت عليها عدوانا سافرا فهدمت وقتلت بطائراتها ما استطاعت أن تهدم وتقتل وسبق أن اتهمتها بأنها تملك الأسلحة الكيميائية تمهيدا للاعتداء عليها باعتبارها قوة اقتصادية عالية الشأن في المنطقة.

ودور أمريكا واضح في أفغانستان لتدمير قواتها الذاتية وعسكرتها هناك بعد شن حرب ضدها للقضاء على ما تسميه إرهابا، كما أن دورها واضح في جعل القلاقل والأزمات مهيمنة على باكستان وبخاصة بعلاقاتها مع الهند بسبب مشكلة كشمير التي عطلت الهند فيها اتخاذ إجراءات عادلة ليقوم أهل كشمير بتقرير مصيرهم بأنفسهم.

أحدث المشكلات التي تقوم بها أمريكا في



بين المجلنة.. والقنارى

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

بين القصاص والشار

ممثلة لتحصد رشاشات الثار الغادر اثنين وعشرين من الأبرياء، لا لذنوب جنوه ولكن لأنهم أقارب «قاتل»!!

الظلم هو هو.. غير أنه يتلون كالحرباء وإذا كان الظلم متوقعا من العدو الإسرائيلي فكيف نتوقعه من بنى جلدتنا! كيف يقع مثل هذا الظلم الظلوم بأيدي أناس يحفظون- أو على الأقل سمعوا- قول الحق: «يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»^(١).

وقوله ﷺ: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)^(٢).

وكيف يختفى هذا النور من قلب رجل

دهمتنى أخبار حادثة الثار التي راح ضحيتها «اثنان وعشرون» من أبناء الصعيد، تماما كما تدهمنا أخبار الطلعات الجوية الآتمة التي تشنها قوات الاحتلال الإسرائيلي على العزل الآمنين فى فلسطين. فالظلم لا يختلف صدها مهما تعددت وترامت جهاته.

فالجنود الإسرائيليون.. مسلحون، والفلسطينيون مدنيون عزل، ويقود الشيطان القوى الظالم ليفترس الضعيف متخذاً ذريعة ما، فيقع عشرات القتلى الأبرياء مع كل طلعة جوية، لا لذنوب إلا لأنهم فلسطينيون.

وكذلك قاد الشيطان طلعة آتمة أخرى

(١) صحيح مسلم ج٣ ص ١٩٩٥ كتاب البر والصلة وتحريم الظلم.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩٦.

وكانت إجابته (إن الذى يُقتل عندنا هو أحب أفراد العائلة عندنا ولذلك نقتل أحب وأهم أفراد عائلة القاتل).

قالها الرجل- برغم ما تحمل من خطأ واضح- وكأنه جاء باليقين المطلق!!

ومن هنا يتضح أن السبب الأول فى حدوث الثأر هو:

التقاليد والعادات والمفاهيم القبليه، التى تقوم على التفاخر.

ولا بد أن يكون واضحاً- أيضاً- أن علاج ذلك أساسه التوعية الدينية.

ولنتأمل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءً بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءً إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

١٧٨ البقرة

فالآية الكريمة ترسى أولاً أهم المبادئ وهو العدل ثم تحبب فى العفو، فليس الإسلام دينا يحب سفك الدماء أو ينادى به، ولنتأمل قول العلماء فى تفسير قوله تعالى:

﴿فَمَنِ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾

(المراد من أخيه: ولى الدم، أى فالجاني الذى عفى له من ولى الدم شئ من العفو، ولو أقل القليل. كأن يعفو بعض الورثة عن حقهم فى

مؤمن، ليحل محله الحرص على طلب الثأر!!

تتابعت أخبار الواقعة المؤلمة، وحملت الصحف الكثير من التفاصيل.. غير أنى توقفت والأسف يعتصرنى أمام عنوان يقول «١٠٠ حالة ثأرت تحت الرماد فى قنا»^(٣).

أى أن هناك مائة لغم قابل للانفجار، قد يسفر أحدها عن مجزرة أخرى أليمة.. وإذا كان هذا هو الرقم المعلن أى المعروف لدى سلطات الأمن، فكم يبلغ الرقم إذا أضفنا أصحاب ثأر آخرين لم يعلنوا عن رغبتهم فى الأخذ بالثأر.

ثم كم يبلغ هذا الرقم إذا أضفنا حالات الثأر المعلنة وغير المعلنة فى المحافظات الأخرى؟! اللهم لطفك

وقد شئت الأقدار أن ألتقى بأحد أهل الصعيد المتشددى كان الرجل يهجو أهل القاهرة ويصفهم بالرخاوة والليونة.

فوجدت فيه الرجل الذى أود أن أسمع إجابته عن موضوع الثأر.. فعاجلته قائلاً: قد يكون أهل القاهرة كما تقول، ولكنهم ليسوا ظلمة، ماذا تقول فى مذبحه سوهاج؟ فأجاب بأسرع مما كنت أظن: هذا جهل!!

ثم أردف قائلاً: إننى من قنا، نحن لا نقتل إلا رجلاً برجل. قلت: لكنكم أحياناً تقتلون غير القاتل!!



ثم نعود إلى سبب آخر وهو بطئ التقاضى .. إذ يدفع هذا البطء ولي الدم إلى طريق الثأر .. عندما يرى القاتل حراً لسنوات . لذلك نرى أن قضايا الثأر تحتاج إلى معالجة خاصة تتطلب :

(١) تشكيل مجالس عرفية تضم حكماء هذه القبائل وكبارهم وأصحاب الكلمة المسموعة لديهم مع بعض القيادات الرسمية ويأخذوا لو كانت تلك القيادات من أهل البلد . يكون هدف هذه المجالس الاستماع لأهل القاتل والمقتول والوصول إلى الحلول التي ترضى الطرفين ويكون ذلك معلناً مع أخذ التعهدات على ذلك (وأهل الصعيد خير من ينفذون ماتعهدوا به فهم يعتبرون ذلك مسألة كرامة ، وهي نقطة تحمد لهم) .

(٢) القضايا التي تستعصى على المجالس العرفية تلك تحول إلى القضاء ، على أن يتولاها قضاء خاص عاجل قبل ان تتفجر ، فمصلحة الوطن قبل كل اعتبار .

(٣) ثم الدور الرئيسى الذى يصاحب كل هذه المراحل يقوم به الأزهر الشريف وهو دور التوعية الدينية وترسيخ مبدأ العفو لدى الجميع على أن تجند له كل الطاقات الممكنة ، من أجهزة شعبية ورسمية رجالاً ونساءً ، حتى نصل إلى نبذ هذه العادة الذميمة البغيضة ولتبقى كلمة الله هي العليا .

القصاص ، فإن ذلك يسقط القصاص كالعفو التام ، وسماه «أخاه» استعطافاً ، بتذكير أخوة الدين^(٤) .

ولنتأمل أيضاً قوله تعالى :

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ يقول فضيلة الإمام

الأكبر فى تفسير هذه الآية : فيها تحريض على العفو والصفح والعفو معناه التجاوز عن خطأ اخطئ ونسيانه مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا طمسته وأزالته والصفح مقابلة الإساءة بالإحسان ، فهو أعلى درجة من العفو أى قابلوا أيها المؤمنون إساءة المسيئ بنسيانها ومقابلتها بالإحسان .

وقوله : ألا تحبون أن يغفر الله لكم : أى ألا تحبون أيها المؤمنون أن يغفر الله لكم ذنوبكم بسبب عفوكم وصفحكم عن أساء إليكم .

والجملة الكريمة ترغيب فى العفو والصفح بأبلغ أسلوب وقد صح أن أبا بكر رضى الله عنه لما سمع الآية قال بلى والله ياربنا إنا لنحب أن تغفر لنا ، وأعاد إلى مسطح نفقته ، وفى رواية أنه رضى الله عنه ضاعف لمسطح نفقته^(٥) .

ويمكننا أن نقول باعتزاز «هذا هو الإسلام» بعد أن يعطى كل ذى حق حقه ، يطالب بالعفو إن حب الناس للإسلام هو السبيل إلى محو «عادة الثأر الجاهلية» .

(٤) التفسير الوسيط (مجمع البحوث الإسلامية) الحزب ٣ ص ٢٧٦ .

(٥) تفسير القرآن الكريم (إ.د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر) تفسير سورة النور- الآية ٢٢ .



سرقة علمية فاضحة

وهذا المدعى الناسخ يسمى (ياسر دويدار) وهو اسم لم أعرفه من قبل، وقد شاء أن يبدأ كتابته في الصحف بهذه السرقة، والعجيب مرة أخرى أنه نشر مقالاً ذاته بمجلة النور اللبنانية عدد (جمادى الأولى) حرفياً، فما معنى هذا كله؟

وختاماً تقبلوا تحياتي

صلاح عبدالرحيم محمد



أخي الأستاذ الناقد/ عادل خفاجة
سلاماً وتحية وبعد :

فأرجو أن تشيروا في بابكم الذائع (بين المجلة والقارئ) إلى أن مدعياً بمجلة الوعي الإسلامي في العدد الصادر بتاريخ جمادى الآخرة، ١٤٢٣ هـ قد سطا على مقال المنشور بمجلة الأزهر بعدد (ربيع الأول سنة ١٤٢٣)، فنقله حرفياً، وتوَّجه باسمه، والمقال تحت عنوان : (مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية)

العالمي، من خلال التها الاعلامية التي نجحت الى درجة كبيرة في تحسين صورتها في عيون العالم الغربي الذي يدعم «حقها» في فلسطين، وذلك في غيبة من الاعلام العربي.

المغالطة الاولى

يزعم قادة إسرائيل «أن دولة اسرائيل الآن هي امتداد لمملكة داود، التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، برقتها الجغرافية الواسعة ويحدوها المترامية الاطراف». ولا يسعني في هذا الزعم إلا أن ادع



مغالطات
إسرائيلية
كاذبة

جانب مما نشرته مجلة «النور»

جانب مما نشرته مجلة «الوعي الإسلامي»

بقلم: ياسر

يزعم الإسرائيليون الصهاينة أنهم حينما دخلوا فلسطين العام ١٩٤٨م لم يدخلوها محتلين



بمجلة النور بعدد ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ وعلى ما نشر بمجلة الوعي الإسلامي في عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ وقد اتضح تطابق النصوص

إلى الأستاذ الفاضل / صلاح عبدالرحيم محمد، اطلعت على مقالك المنشور بمجلة الأزهر بعدد ربيع الأول ١٤٢٣ هـ وعلى ما نشر

النشر المعنية حتى تحفظ حقوقك ونسبة المقال إليك « على أن ترسل نسخة من مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤٢٣ هـ إلى كل منهما ».

ويكفى أن أقول لك يا أستاذ صلاح: إن من سطا على مقالك فى الحقيقة غاب عن الوعى مرتين مرة حين نسب إلى نفسه ما ليس له، والأخرى حين يعلم المسئولون عن تحرير « الوعى » بهذا الأمر وبعدها سيكون غيابه عن « الوعى » طويلاً أكثر مما يظن، وعن النور أيضاً.

الثلاثة مطابقة تامة لم يشذ غير الأخطاء الطباعية.

وبذلك يستبين أنك صاحب النص لأنك صاحب السبق فى النشر بعدد ربيع الأول ١٤٢٣ هـ بمجلة الأزهر.

ولك يا أستاذ صلاح أن تطيب نفسك لنشر مقالك ثلاث مرات من ثلاث جهات نشر محترمة، وهذا ما أتاحة لك القدر، ويمكنك يا أستاذ صلاح أن ترسل إلى جهات

الظلم وخيم العاقبة

تسرى بالليل والناس نيام فتلتقها يد العناية الإلهية وتنتقم لصاحبها وترد له حقه ولو بعد حين.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً

فالظلم مصدره يفضى إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه

يدعو عليك وعين الله لم تنم

فيتعين على كل ولى أمر أن يعدل فى رعيته وعلى كل إنسان أن يكف يده عن الظلم ويسلك طريق العدل ويراقب الله فى السر والعلن ويعلم أن الله مطلع على كل أعماله ويجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم وإذا أخذ الظالم لم يفلته، فاحذر أيها العاقل دعاء المظلوم عليك فإن - الله تعالى - لا يرده .

وعن الظلم أرسل القارىء/ ياسر فكرى السيد من شبين الكوم - ميت خاقان . يقول :

مما لاشك فيه أن العدل شريعة الله فى خلقه وميزان الله فى الأرض الذى يؤخذ به للضعيف من القوى ومن الظالم للمظلوم .

ولذلك حذر الله من الظلم وعاقبته فقال :

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

الشعراء « ٢٢٧ »

وقال رسول الله ﷺ « من اقتطع حق امرئ مسلم أو جب الله له النار وحرّم عليه الجنة » .

وكان معاوية يقول « إنى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصر إلا الله » .

- فاحذر أيها الإنسان من دعوة المظلوم فإنها

رسالة قارىء

وأنها تدل وتشير إلى يوم الانهيار وهنا أشير إلى أن مجموعة من العلماء قد قامت بتقسيم القرآن ثلاثين قسماً وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء ثم قسموا الجزء إلى حزبين، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام كل قسم منها يسمى ربعاً فالقرآن الكريم لم ينزل من عند الله مقسماً إلى أجزاء أو أحزاب أو أربع.

وأخيراً وليس آخراً ندعو المسلمين بالبعد عن هذه الأمور التي تضيع الوقت والمال وعدم أخذ كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسيلة لأغراض أخرى الهدف منها تضليل الواقع والمؤمنين وندعو المولى - عز وجل - أن يهدي الجميع لما فيه خير الصلاح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد محمود العطار - كفر الشيخ

● المحرر: نذكر القراء إلى أننا في ردنا على هذه الرسالة قدما قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾
التوبة ٣٦

دليلاً على كذب الادعاء وقلنا: إن الشهور العربية «محرم - صفر..... إلخ» هي المقصودة في قوله تعالى وليس «سبتمبر» أو غيره وبذلك يسقط الادعاء.

غير أننا نعتضد بكل رأى طالما أن الحق إمامه. ونشكر للقارئ حسن المتابعة وندعو الله أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى.

وردت هذه الرسالة من القارئ / محمد محمود عطار - كفر الشيخ يقول:

السيد الأستاذ / عادل رفاعي خفاجة - محرر باب بين المجلة والقارئ مجلة الأزهر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد،،،
إنه ليسعدني ويشرفني أن أرسل لسيادتكم كل تقدير واحترام وأحيى فيكم روح الدفاع عن الإسلام وذلك في ضوء رد سيادتكم على الرسالة التي تقدم بها القارئ / م.م. ع من القاهرة في عدد ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ وأهنيء سيادتكم على هذا الرد الطيب ولكن لي رد على هذه الرسالة حيث أقول وبالله التوفيق:

القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية، وهو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ والمتعبد بتلاوته.. والمتحدى به. والقرآن الكريم كتب كله في عهد النبي ﷺ لكنه كان غير مجموع في مصحف واحد مرتب، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعه وترتيبه، وذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة في قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

الحجر ٩

ويقول الإمام السيوطي في كتابه «الانتقان في علوم القرآن» عن زيد بن ثابت قال: «قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء» ولقد ذكر الأستاذ / م.م. ع أن الورقة التي أرسلت إليه بأن الآية رقم (١٠٩) من سورة التوبة تقع في الجزء رقم (١١)



من إبداعات القراء :

● نقدم هذه الأبيات التى يهديها القارئ / نجاح عبدالقادر سرور من كفر بولين - بحيرة إلى أستاذه بمناسبة تقاعده ونحن بدورنا نهديها لكل من بلغ سن التقاعد وساهم فى تشييد صرح العلم فى بلدنا لهم منا جميعا كل محبة واعتزاز وتقدير.

إلى معلمى

افخر كما شئت.. بين اليوم والأمس
أنساك كيف.. وقد كنت اليتيم أنا
أنساك كيف.. ومازلتم لنا مدداً
لكن مثلك.. من أبقاه خالقنا
فأفخر.. فأنت الذى علّمت جاهلنا
يا من رفعت أساس العلم فى نفسى
وكم مسحّت بكف الحب لى رأسى!
من يوم أشرقتمو.. فى قاعة الدرس!
نور الزمان.. بقاء النجم والشمس
وجميل صنعك.. فوق العين والرأس

هل من مجيب

أبكى على ضعفى وقلة حيلتى
يا ويلنا حل الهوان بأرضنا
المسجد الأقصى ينادى أين هم
يا قدس لن ينساك رب قائل
يا قدس سوف تكون يوماً سيدا
والله يعلم أن بى هم كبير
القبلة الأولى تهان ولا نثور
من آمنوا بمحمد الهادى البشير
إن تنصروه فإنه نعم النصير
ليل الشتاء يليه إشراق ونور

محمود محمد حسن - قرغان / ديرب نجم - شرقية





للأستاذ / محمد الشرقاوي

ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً، ويتحول عن شقه الذي كان عليه .. ولا تضره الرؤيا.

وأكد أن تفسير الأحلام ليس من العلم العام الذي يحسن نشره بين المسلمين ليصححوا اعتقاداتهم وأعمالهم، وأن التوسع في باب تفسير الأحلام في القنوات الفضائية والصحف والمجلات والمنتديات جذاباً للناس وأكلاً لأموالهم بالباطل، كل هذا شرٌ عظيم، وأنه يجب على المسلمين التعاون في منع هذا الأمر. ويجب على ولاية الأمور السعى في غلق هذا الباب لأنه أصبح باب شرٍ وذريعة إلى التخرُّص، أي الكذب والاستعانة بالجن وجر المسلمين إلى الكهانة زيادة على ما فيها من الأضرار ومن إحداث النزاعات والشقاق

مفتى السعودية يحذر من انتشار ظاهرة تفسير الأحلام بين المسلمين

انتشرت مؤخراً بشكل واسع ظاهرة تفسير الأحلام باسم الإسلام وتوسعت في محطات التلفزيون والصحف والمجلات والمنتزهات كوسيلة لكسب المال والشهرة، وأصبحوا في الأساس يدعون معرفة المستقبل من خلال الأحلام، وهذا يدخل في علم الغيب. وقد حذر مفتى عام المملكة العربية السعودية الشيخ / عبدالعزيز آل الشيخ من هذه الظاهرة وانتشارها وقال: إنها أكل لأموال الناس بالباطل وأن المسلم إذا رأى في منامه رؤيا، فعليه أن يتبع الأدب النبوي في ذلك، فإن كانت رؤيا تسره ويحبها، فليحمد الله ولا يحدث بها إلا من يحب. وإن رأى ما يكره، فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، ويتفل



* في الدانمارك ..

ارتفاع أعداد الطلاب الدانماركيين للدين الإسلامي

أكدت دراسة دانماركية ازدياد نسبة المقبلين على دراسة الدين الإسلامي ومعتنقى الإسلام وسط « الدانماركيين » وبينت الدراسة أن دانماركياً واحداً على الأقل يعتنق الإسلام يومياً.

ووفق إحصائيات مكتب القبول في جامعة « كوبنهاجن » فإن ارتفاعاً سُجِّلَ في عدد الطلاب الراغبين بمتابعة الدراسة في كلية الدراسات الشرق أوسطية وبالذات دراسة الثقافة والدين الإسلامي بنسبة « ٦٠٪ » مقارنة مع العام الماضي .

قال أحد الباحثين : إنه باعتراف عدد كبير من الدانماركيين للإسلام وازدياد عدد المسلمين الذين يولدون في الدانمارك فإن هذا سيؤدى قريباً إلى ولادة ثقافة إسلامية أوروبية

غالبية مسلمي أمريكا تعرضوا للتمييز

أظهرت نتائج استطلاع للرأى أجراه مؤخراً مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية « كبير » أن أكثر من نصف مسلمى الولايات المتحدة تعرضوا للتمييز بسبب انتمائهم الدينى منذ وقوع هجمات سبتمبر . وأشار الاستطلاع إلى أن ٨٧٪ من مسلمى أمريكا يعرفون مسلماً واحداً على الأقل تعرض للتمييز خلال تلك الفترة . بينما أوضح « ٧٩٪ » من المشاركين فى الاستطلاع أن أكثر أنواع التمييز التى تعرض لها المسلمون فى الولايات المتحدة كانت الإساءات اللفظية، ثم التمييز الدينى والعرقى، ثم التمييز فى أماكن العمل .

والتفريق بين المرء وزوجه، والرجل وأقاربه وأصدقائه، بدعوى أن ما يقوله العابر فى تفسير الأحلام يؤخذ على أنه حق محض، لا جدال فيه وتبنى عليه الظنون، وهذا من أبطل الباطل .

* صحيفة بريطانية بعد إسلامها :

الإسلام دين عادل لحقوق المرأة

استضاف برنامج أخبار لندن المحلية فى محطة تليفزيون الإذاعة البريطانية « B.B.C1 » الصحفية البريطانية « جوان برادلى » التى اعتقلت فى أفغانستان من قبل قوات طالبان قبل أسابيع من بدء الهجوم الأمريكى، وكان سبب اللقاء هو إعلان الصحفية إسلامها بعد عشرة أشهر من الإفراج عنها وعودتها لبريطانيا . وحول أسباب اعتناقها الإسلام قالت « برادلى » :

عند اعتقالى فى أفغانستان سجنّت مع عشرة مسيحيين، حينها قطعت عهداً على نفسى أن أدرس الإسلام بطريقة أكثر توسعاً وبعد عودتى بدأت فى دراستى فوجدته ديناً جيداً ومخاطباً للروح ومتماشياً مع الحياة . وأضافت : عندما درست الإسلام وتفهمته وجدته ديناً يملك العديد من الصفات مثل الانفتاح والتسامح .. ويحترم المرأة، وهذه جميعاً صفات وأشياء أذهلتنى !! ..

ورداً على سؤال المذيعة التى قالت : الإسلام بتطبيقاته فى بعض الدول بالشرق الأوسط وبعض دول آسيا المسلمة لا يعطى إشارات بذلك، خصوصاً فى موضوع حقوق المرأة وحالات عدم العدالة ..

فردت « برادلى » : هذا اعتقاد خاطئ .



أنباء مكاتب شيخ الأزهر

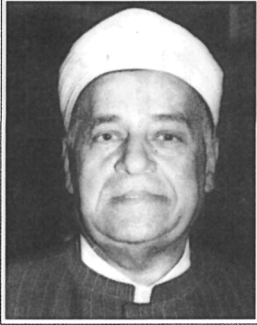
لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من البوسنة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفداً من طلاب وطالبات مدارس التعليم الأساسى والتعليم الثانوى من مدينة سراييفو بالبوسنة والهرسك برئاسة السيدة / عايدة عمر سوفييتش مديرة مدرسة أدهم مولابد يتش بسراييفو، رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مشيراً إلى أن مصر رئيسا وحكومة وشعباً تولى اهتماماً كبيراً بأبنائنا وبناتنا فى البوسنة والهرسك، وأن الأزهر الشريف يفتح أبوابه دائماً لمن يريد الدراسة بالأزهر الشريف، كما أشار فضيلته إلى أنه يوجد عدد كبير من أبناء البوسنة والهرسك يدرسون فى الأزهر الشريف ويطبقون بمدينة البعث الإسلامية، ويتعلمون بجانب إخوانهم فى مصر، وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً لدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين حيث يوجد طلاب من خمس وتسعين دولة يدرسون بالأزهر الشريف من البنين والبنات ويتعلمون فى الأزهر الدين الإسلامى بيسر وسماحة واعتدال ووضوح، مؤكداً على أن الأزهر الشريف يهتم بحفظ القرآن الكريم، وبدراسة

الأحكام الشرعية ودراسة اللغة العربية والعلوم الحديثة على اختلاف أنواعها، كما أشاد فضيلته بما شاهده أثناء زيارته لمدارس البوسنة والهرسك ومدى تفهمهم لما يتلقونه من علوم دينية.

ومن جانبه أكد فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وقوف الأزهر إلى جانب أبناء البوسنة والهرسك وبخاصة بعد الحروب الطاحنة التى عاشوها، مشيراً إلى أن الأزهر يرسل علماء أزهريين لتعليم أبناء البوسنة والهرسك الدين الإسلامى وعلوم اللغة العربية والعلوم الدينية فى بلاده، ثم قام بشرح لمراحل التعليم الأزهري فى مصر من الحضارة ثم الابتدائى ثم الإعدادى ثم الثانوى ثم يذهبون إلى الجامعة الأزهرية، وقد بلغ عدد المعاهد الأزهرية ستة آلاف ومائتى معهد منها معاهد نموذجية، كما أن الكليات التابعة لجامعة الأزهر الشريف بلغت حتى الآن أكثر من سبعين كلية، فى جميع التخصصات المختلفة فى القاهرة وفى محافظات الجمهورية، كما أوضح فضيلة وكيل الأزهر الشريف أن الأزهر أخذ بتطوير العلوم لمسيرة مستجدات العصر كدراسة الكمبيوتر والحاسب الآلى وذلك فى المعاهد والكليات.



فضيلة الشيخ/ محمود عاشور

تهنئة

● تتقدم أسرة تحرير (مجلة الأزهر) بأطيب التهاني إلى فضيلة

الشيخ/ محمود عاشور

وكيل الأزهر الشريف بمناسبة صدور قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٢١٢ لسنة ٢٠٠٢ بمد خدمة فضيلته لمدة سنة اعتباراً من ١٣/٨/٢٠٠٢.

راجين لفضيلته دوام التوفيق

المحفظين للقرآن الكريم لدولة أندونيسيا، ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر بأن الأزهر دائماً يقدم العون والمساعدة لأبناء المسلمين في شتى بقاع الأرض وخاصة لأبناء أندونيسيا، والحمد لله التعاون قائم على الوجه الأكمل، وقد وعد فضيلته بدراسة طلبات الوفد تمهيداً لتبليتها.

الإمام الأكبر يرأس اجتماع رؤساء المناطق الأزهرية

* ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الاجتماع الموسع لرؤساء ومديري عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، حيث تم استعراض الجوانب المتعلقة بمسيرة التعليم قبل الجامعي، من حيث الاطمئنان على ما اتخذته المناطق الأزهرية من إجراءات وترتيبات لاستقبال العام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣ من تجهيز لمقار الدراسة وصيانتها طبقاً للمبالغ المخصصة لها في هذا الغرض.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الجامعة الإسلامية باندونيسيا

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور/ أريو ماريني آزرا رئيس الجامعة الإسلامية باندونيسيا والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف مشيداً بعمق التعاون بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا الشقيقة في مجال التعليم حيث يوجد في الأزهر طلاب وطالبات من دولة أندونيسيا يدرسون في الأزهر الشريف وجامعته العريقة، شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن اللقاء وعلى التعاون البناء المثمر بين الأزهر الشريف وجامعته وبين معاهد وجامعات جاكارتا، كما رغب في زيادة هذا التعاون وطلب معادلة شهادة الدراسات الإسلامية بجامعة جاكارتا من الأزهر الشريف، كما طلب إمداد الجامعات والمعاهد بالمراجع والكتب والأبحاث العلمية للرجوع إليها والاستفادة منها، كذا إرسال



أحدى عشرة سنة لأنهم يدرسون الابتدائية خمس سنوات الآن، بعد استيفاء الضوابط الأخرى من حفظ ١٨ جزءاً من القرآن الكريم، وعلى المناطق متابعة الكثافة الطلابية والأعداد اللازمة لتحديد المقبولين كما أكد فضيلته على أهمية التوسع في المعاهد النموذجية في حدود الإمكانات المتاحة لكل منطقة - وبالنسبة لتحويل المعاهد العادية إلى نموذجية فيتم ذلك اعتباراً من المرحلة التمهيديّة ليتم التحويل تدريجياً طبقاً لإمكانات كل منطقة الموافقة على تحويل تلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية بالأزهر الشريف إلى الصفوف المناظرة بمدارس التربية والتعليم، وأيضاً التحويل من التعليم العام للأزهر الشريف بتلك الصفوف على أن يجتاز الطالب امتحان القرآن الكريم المقرر والتحويل في الإعدادى مقصور على الصف الأول والثاني فقط .

وفيما يخص المعاهد المضارة بالزلازل فقد أكد فضيلته بأننا نسير فيها طبقاً للخطة الموضوعة وهى تؤدى نتائجها على نحو طيب وتم الاتفاق مع وزارة المالية على النظام المتبع لدعم بناء وترميم هذه المعاهد .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عبد الكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ شوقى النوبجى رئيس قاع المعاهد الأزهرية والسادة أصحاب الفضيلة القائمين على العملية التعليمية بقطاع المعاهد الأزهرية .

وأكد فضيلته على أهمية المحافظة على المياه داخل المباني الدراسية لما لها من أهمية قصوى فى حياتنا وحفاظاً على المباني أيضاً وصيانتها والتأكيد على أن تكون الكتب الدراسية فى أيدي الطلاب والطالبات مع بداية العام الدراسى وهى متوفرة فى مخازن الأزهر الشريف ومطلوب من المناطق استلامها سواء فى ذلك الكتب الشرعية واللغوية أو الكتب الثقافية .

وأكد على أهمية دعم المكتبات فى المعاهد فى جميع المراحل الدراسية وتوفير الكتب المناسبة لكل مرحلة دراسية بما يتناسب والعمر الزمنى للطلاب . وتوجد ميزانية مخصصة لشراء هذه الكتب، وذلك لإثراء الجوانب المعرفية والثقافية للطلاب، كما ناقش فضيلته الإجراءات التى اتخذتها المناطق لالتهاء من حركة النذب الداخلى فى جميع التخصصات قبل بداية العام الدراسى على نحو يحقق التوازن فى العمالة بين جميع المواقع، مع الوضع فى الاعتبار تحقيق التوازن الأسرى من نقل الزوجة لمقر عمل الزوج وأضاف فضيلته : إننا مع الرحمة فى أن ينقل الزوج أيضاً لمقر عمل الزوجة لتحقيق الاستقرار الأسرى، كما أكد فضيلته على أهمية دعم المعامل ووضع المناطق والأجهزة المعنية أمام مسؤولياتها من حيث توفير الكوادر المتخصصة والوسائل العملية اللازمة لهذا الغرض، وبخصوص مسابقة القبول للصف الأول الإعدادى الأزهرى للطلبة المحولين من مدارس التربية والتعليم فقد وافق فضيلته على النزول بالسن إلى احدى عشرة سنة، حيث إن التلميذ فى المدارس يحصل على الابتدائية فى سن



دورة تدريبية جديدة للأئمة ووعاظ العالم الإسلامي

* شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية السابعة والخمسين للأئمة والوعاظ والتي استمرت ثلاثة أشهر وانتهت في آخر يوليو ٢٠٠٢ وقد حضرها أربعة وعشرون واعظاً وإماماً من دول: أندونيسيا، كوت ديفوار، الكاميرون، تايلاند، سيرلانكا، غانا، بنجلاديش وقد تحدث فضيلته إلى السادة الدعاة قائلا: إن شريعة الإسلام تقوم على أصليين أساسيين هما القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وإننا جميعاً نتعاون من أجل خدمة ديننا الحنيف، وإن الشريعة الإسلامية تقوم على الوضوح في آدابها، ومعاملاتها، وتعطى كل ذي حق حقه، كما أوضح بأن الدراسة في الأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال، ودراسة جميع المذاهب الإسلامية بدون تفرقة، وأصحاب المذاهب الأربعة لم يختلفوا في أصل من الأصول في الدين، ولكن الاختلاف في الأمور الفرعية التي تقبل الاجتهاد، وحث فضيلته الأئمة والدعاة على التمسك بحفظ القرآن الكريم ودراسته المستمرة ودراسة السنة النبوية المطهرة، كما حثهم على ضرورة الاهتمام بفهم القرآن الكريم وفهم السنة النبوية المطهرة، حتى يستطيعوا الرد على الشبه التي توجه للمسلمين وللإسلام أيضاً، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجِدْ لَهُم مَّا يَنْقِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

وأيضاً يتمثل في هؤلاء الفئة من العلماء قول الله تعالى:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

فأنتم قد تعلمتم على أيدي أساتذة وعلماء أجلاء من الأزهر الشريف وجامعته، وعليكم أيها العلماء أن تكونوا قدوة طيبة لإخوانكم في بلادكم فالقدوة الطيبة هي الأسوة الحسنة التي يقتدى الناس بها، كما أوصاهم فضيلته أن يكونوا أوفياء وأن يذكروا مصر وأزهرها الشريف وعلمائها بالخير دائماً، ومصر وأزهرها الشريف تفتح قلوبها وأبوابها لكل قاصد إليها، نحن نستقبلكم ونودعكم بكل الحب والاعتزاز والتقدير وندعو الله لكم بدوام التوفيق والسداد.

كما افتتح فضيلته الدورة العالمية التدريبية الثامنة والخمسين لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامي للأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر أيضاً وتبدأ اعتباراً من أول أغسطس سنة ٢٠٠٢ وعدد السادة العلماء في هذه الدورة عشرين عالماً من دول زامبيا، كوت ديفوار، موريتانيا، وأوغندا، والجزائر، حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ عبدالحق

(١) النحل (١٢٥).

(٢) آل عمران (١٠٤).

الشريف وقيمته العالمية من خلال علماء الدعوة والتعليم فى تحفيظ الطلاب والتدريس لهم وتعليمهم والقاء الخطب والمحاضرات وتثقيف الشباب وغيرهم وتحدث عن بعض الإنجازات فى منطقة الدقهلية، حيث بلغت جملة المعاهد الأزهرية الحضانة والابتدائى والاعدادى والثانوى بنين وبنات حوالى ٥٠٠ معهد منها ٤٦٠ معهدا بنيت بالجهود الذاتية، وأربعين معهدا فقط بنيت بخطة الأزهر وهو ما قامت ببنائه الدولة.

ثم تحدث السيد المحافظ فرحب بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى محافظة الدقهلية، وشكر له هذا الحضور الطيب الذى سعدت به المحافظة لتشريف شيخ الأزهر وإمام المسلمين وأثنى على منطقة الدقهلية وقياداتها من السادة العلماء الذين يعملون فى صمت ويحصلون على التفوق دائما ولسنوات متتالية، فحيث يوجد الأزهر يوجد العلم والعلماء.

ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فرحب بالسادة الحضور جميعا وأثنى على مسابقة القرآن الكريم وعلى الطلاب الفائزين ومعلمى القرآن الكريم مشيدا بفضل القرآن الكريم.. وفضل الحفاظ عليه مرددا الشعار الذى اتخذه الأزهر له: « ليس بأزهرى من لم يحفظ القرآن الكريم » كما أثنى على شعب الدقهلية، مشيدا بخلقه، كما أشاد بالمنطقة الأزهرية وعلمائها والعاملين بها ودعا لهم جميعا بالتوفيق والسداد، وأضاف فضيلته أن الأزهر حريص على إرسال علمائه لجميع بقاع الأرض لشرح الإسلام، ولتعليم أبناء المسلمين الرد على الافتراءات التى تلصق بالإسلام والمسلمين، وبيان حقائقه الناصعة

نصير أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، والسادة السفراء من دولتى غانا والكاميرون.

الإمام الأكبر:

الجهاد شرع للدفاع عن الحق والنفس

قام فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة محافظة الدقهلية، حيث استقبله السيد الدكتور / سعيد صوان محافظ الدقهلية والسيد المحاسب / محمد محمود عبدالرحمن أمين عام الحزب الوطنى ورئيس المجلس الشعبى المحلى وفضيلة الشيخ / محمد عبدالعظيم رئيس الإدارة المركزية لمنطقة المنصورة الأزهرية وعلماء الأزهر والوعظ من منطقة المنصورة الأزهرية والقيادات الشعبية والحزبية بالمنصورة وبدأت الزيارة بافتتاح المقر الجديد لمنطقة الدقهلية الأزهرية، كما تم وضع حجر الأساس للجناح الجديد للمعهد النموذجى بالمنصورة بتكلفة إجمالية قدرها ٢٥ مليون جنيه، كما حضر فضيلته الاحتفال بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم وعلى المحفظين وقام فضيلته بتوزيع الجوائز وقيمتها ٨٧٥,٠٠٠ ألف جنيه وقد وزعت على المتفوقين من الطلبة أبناء الدقهلية وكان ذلك فى قصر ثقافة المنصورة وقد ألقى الشيخ محمد عبدالعظيم رئيس المنطقة كلمة رحب فيها بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لتشريفه المحافظة وتحمله المشاق للافتتاحات ولتوزيع الجوائز على أبنائه الطلاب حفظة القرآن الكريم كما رحب بالسيد المحافظ وبالقيادات بالمحافظة وتحدث عن فضل الأزهر



وعربية وذلك لنشر الثقافة الإسلامية وتدريس العلوم العربية والشرعية والمواد الثقافية وعلوم القراءات ضمت هذه الحركة ٢٨٥ مدرسا وواعظا وكانت على النحو التالي : ١٣٣ مدرسا للعلوم العربية، ١٢٠ مدرسا للعلوم الشرعية، ١٢ واعظا، ١٦ مدرسا للمواد الثقافية، ٤ علماء للقراءات .

وكيل الأزهر يشارك في اجتماعات وزارة التعليم بجنوب إفريقيا

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ١٠٨٨ لسنة ٢٠٠٢ م .

بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ محمود عبدالغنى محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف إلى مدينة (درين) بدولة جنوب أفريقيا لمدة ستة أيام اعتبارا من ١٦ / ٩ / ٢٠٠٢ وذلك للمشاركة في اجتماعات مسئولى وزارة التعليم والثقافة بجنوب أفريقيا وزيارة معهد درين الأزهرى وبعض المدارس الإسلامية بالدولة المذكورة بناء على الدعوة الموجهة من دولة جنوب أفريقيا .

الأزهر يشارك في ندوة بمدينة طهران

صدر قرار فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ١٠٩٧ لسنة ٢٠٠٢ بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ فرحات السيد المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية ممثلا للأزهر الشريف إلى دولة إيران لمدة خمسة أيام تبدأ من تاريخ السفر وذلك لحضور الندوة التى سوف تنعقد بمدينة طهران بتاريخ ١٨ / ٩ / ٢٠٠٢ م تحت عنوان (السيدتان المقدستان السيدة فاطمة الزهراء والسيدة مريم - عليها السلام) .

وتعاليمه السمحة، وأن شريعة الإسلام تعطى لكل ذى حق حقه، ومن هذا المنطلق طالب فضيلته بدعم صمود الشعب الفلسطينى وأنه واجب على كل مسلم ومسلمة، كما طالب المجتمع الدولى باتخاذ موقف حاسم تجاه الممارسات الوحشية التى ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى حتى تقوم دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وقال : إن شريعة الإسلام ترفض محاولات البعض الصاق تهمة معاداة السامية بالعرب والمسلمين بهدف إيجاد موقف عدائى ضد المسلمين، وقال : إن علماء المسلمين ومفكرهم يتسمون بروح التسامح ويقدرّون حق الإنسان فى الحياة والحرية وأنه لا مجال إطلاقا لفكرة معاداة السامية، وأن ما كتبه الأستاذ إبراهيم نافع باعتباره واحدا من كبار المفكرين المصريين ونقيباً للصحفيين المصريين والعرب لا يعدّوا توضيح المفاهيم وتأكيد أن الاسلام دين السماحة ويدعو لنشر الفضائل ويرفض الظلم والقتل والتشريد للآخرين بدون حق بما يخالفه تعاليم كل الأديان ويتنافى مع كل القيم والمبادئ الإنسانية، وقال : إن هناك فرقا كبيرا بين الجهاد والإرهاب فى الإسلام، وإن الجهاد إنما شرع فى الإسلام للدفاع عن الحق والنفس وليس للاعتداء على الآخرين وتقييد حرياتهم .

بعثات أزهرية جديدة

* اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حركة ابتعث العلماء الأزهريين إلى دول العالم المختلفة للعام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ وذلك إلى ٢٨ دولة أفريقية وآسيوية وأوروبية





knowledge about Allah's signs in the universe because this strengthens faith in Allah's power and oneness.

(And have not the ones who disbelieved seen that the heavens and the earth were an integrated (mass), then We unseamed)

[Al-Anbiyaa (The Prophets): 30]

Before the creation of the heavens and the earth, Allah knows everything that ever existed in the past, that is existing now, and all that will exist in the future. This divine knowledge is registered in a guarded Tablet. Therefore, the Muslim believes strongly that nothing can ever exist except by the will of Allah.

If we knew that Allah is our Lord who created us, we should also perceive that He did not create us without a purpose, but to worship Him. Revelation is not a mere chance or haphazard thing. By meditating on it, man may learn about himself, and his relation to nature around him and to Allah the Originator of all. There is a Hereafter and Allah will not treat the ones who do good like the ones who do evil. He will fully restore the balance disturbed in this life.

(And in no way have We created the heaven and the earth, and whatever is between them, untruthfully. That is the surmise of the ones who have disbelieved. So woe to the ones who have disbelieved, from the fire!)

[Sad:27]





The divine words are meant to make man look deeply at the universe to be able to understand the tokens that reveal the power of Allah. Allah subjects everything for man's benefit. All is created out of naught and nothing; whatsoever can do harm or good for itself without Allah's command. Contemplating on Allah's creation and thanking Him for His blessings is very important.

(Allah is He Who has subjected to you the sea, that the ships may run in it at His command, and that you may seek of His Grace, and that possibly you would thank (Him).)

[Al-Jathiyah (Kneeling) :12]

According to the Qur'an, the heavens and earth were one unit, then Allah separated them. Later on, scientists proved that with the theory of the Big Bang. Since the Big Bang, the universe has probably been expanding outwards, perhaps it will go on expanding forever or perhaps it could be slowing down, and eventually starts to contract and return to nothing again.

Allah informed us through the Books He revealed to His messengers that He is the Originator and Sustainer of all creatures. The role of His messengers was to convey Allah's words to mankind and call people to believe in Allah and worship Him alone. The Qur'an is a constant challenge to science with all the facts presented by Allah about the universe. However, Islam does not prohibit scientific research as it encourages the efforts for obtaining more





The Universe

By: Hanan Abdou At-Tahtawy

Allah is the sole owner and creator of universe. He alone is worthy of worship. Several verses in the Qur'an incite mindful people to contemplate the universe in order to grasp the truth behind its existence. The universe is the source of knowledge and a clear evidence for the singleness of the All-Knowing Creator Who revealed in the universe the signs that reflect his knowledge and wisdom. Allah states in the Qur'an:

﴿Surely in the creation of the heavens and the earth and in the alternation of Night and Day there are indeed signs for ones endowed with intellects.﴾

[Al Imran (The Household of Imran) : 190].

The heavens and the earth are but two brief symbols and reminders of the glorious majesty of Allah and His goodness to man. Allah created the whole universe and He only knows everything about it. Allah swears by His mighty works in nature, which are token of His providence.

﴿And by the sun and its for forenoon radiance. And by the moon when it ensues her.﴾

[Ash-Shams (The Sun): 1,2]





So, people are equal in humanity; ruler and ruled, rich and poor, blue-blooded and others etc... There is nothing to distinguish between them except good deeds.

2- The right to live: Islam honored human life and considered it as a right not to be encroached upon. According to the equality between people in rights and duties and preventing a class to be put under control of another, Islam prohibited taking the life of others without right. Therefore, Islam put deterrent penalties to preserve and keep man's right to live. Allah says:

﴿O you who have believed, prescribed for you is retaliation concerning (the ones) killed.﴾

[Al-Baqarah (The Cow) :178]

So, Islam stated retaliation in case of killing on purpose and blood-money in case of killing unintentionally. Moreover, it stated that the disbeliever who had compact with Muslims must be treated like Muslims concerning killing by mistake in expiation and blood-money.

Furthermore, Islam prohibited killing the children for fear of want as He says: **﴿And do not kill your children, in apprehension of want; We provide for them and for you (too), surely the killing of them has (ever) been a great sinning.﴾**

[Al-Isra' (The Night Journey) : 31]

In addition, Islam allowed and legalized *jihad* to face any aggression on both soul and religion as He says:

﴿And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors.﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 190].

In conclusion, Islam shows interest in all kinds of rights applied to man such as captives' as it commands Muslims not to cause them to starve unlike enemies. Allah, glory be to Him, says: **﴿And they give feed for the love of it, to the indigent, the orphan, and the captive.﴾**

[Al-Insan (Man) :8].





was regarded as a hope that a new atmosphere of equity, peace and security in the world would prevail.

What came in Islam as preserving man's rights was a symbol of balance between the materialistic attitude and the religious spiritual one. So, if man's rights – according to the international customs – are nothing but mere civil rights, they are obligatory duties in Islam; rewarded when done and punished when left. When Islam came, man was suffering from humiliation and ignominy in countries described by civilization and modernity such as the Persian and Roman empires; the strong exploits the weak. So, Islam came with the most honorable rights (to be proud of):

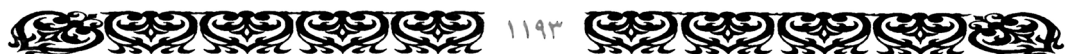
1- To honor humans and to let equality prevails among them. Allah, glory be to Him, appointed man as His successor in earth as He says: **﴿And as your Lord said to the angels, "Surely I am making in the earth a successor"﴾**. [Al-Baqarah (The Cow) :30].

Moreover, Allah graced man over His other creatures as He says: **﴿And indeed We have already honored the Seeds of Adam and carried them on land and sea, and provided them of the good (things), and graced them over many of whom We created with marked graciousness.﴾**

[Al-Isra' (The Night Journey): 70]

The man honored by Allah is man in general; no difference between them concerning race, color, religion and etc,.... They are all equal as Allah says: **﴿O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.﴾**

[Al-Hujurat (The Apartments):13]





Islam and Human Rights

By: Dr. Abd Al-Ghafar Hamid Helal

According to the Islamic law, man is Allah's successor in earth who is supposed to develop and elevate it. Moreover, he should draw balance between the materialistic and spiritual life in accordance with Allah's piety and the values and principles that control man's behavior.

Anything organizing community in all different fields, politically, socially and economically, goes back to an Islamic source. So, organizing man's life and activity depends on this rule in which the individual does his duty as he lives, works and produces in return for getting security, peace, justice and controlled freedom that does not lead to confusion, chaos and waste of rights.

The Islamic law protects man and universe and what is happening in it, namely, confusion in order to guarantee its safety, security and stability in an energetic, pure, pious way.

Considering the facts of the Islamic history and its glorious Texts proves the existence of a true construction of life in politics, sociology, science and culture. The connection between each one of them and the principles of morality should allow the masses all over the world to find out its rightful truth for the scientific and cultured specialists and researchers. All this shows the pure essence of Islam and its message in reforming and developing life.

The international organizations, at the beginning of fifties, began to show interest in human rights as a result of people's sufferings relating to wars and the Nazi and Fascist consequences that affects nations life. The end of the World War

* 1 • An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.





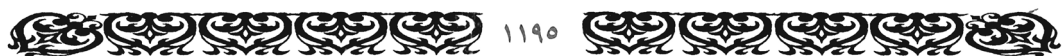
against Muslims so, where was your Islam?" The tyrant felt perplexed and found nothing to say but: "I'm a Muslim and I brought a muezzin, judge and Imam with me." Ibn Taymia said: "What did you do with your Islam? Your father and grandfather were disbelievers, however, they did not commit what you have done of crimes". Then, he returned to Damascus to instigate people to fight. Moreover, he led the jurists to train them horsemanship and Jihad. After a period, the enemy attacked again and Ibn Taymia prepared himself to join – with no fear – the Muslim army to fight back while asking martyrdom. This attitude of Ibn Taymia made the sultan, An-Nasser, Mohamed Ibn Qallawoon, feel amazement and he offered Ibn Taymia some gifts but he disdained from taking the price as he expects more when joins Allah.

One of his unforgettable attitudes is his unique stance towards king, An-Nasser. Some denouncers went to the sultan to turn him against Ibn Taymia saying that he is beloved by people and that he fought and invaded aiming at nothing but usurping the throne. An-Nasser was known for his rashness so he immediately sent for the sheikh and asked him angrily: "Why do you gather people around you?" The sheikh replied: "To support Islam as you witness". The sultan shouted at him saying: "No, but because you want to be the ruler and you exert much efforts to achieve your aim". Ibn Taymia smiled and said: "I swear by Allah that your throne besides the Tatars' do not worth a penny for me". Upon hearing this, the sultan felt ashamed and apologized.

The Imam resorted to the right so it protected him against tyrants.

(and it is (ever) truly (binding) on Us to (give) victory to the believers.)

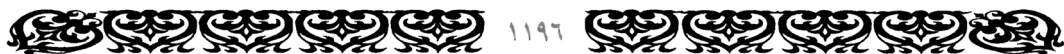
[Ar-Rum (The Romans): 47].





evil to join them. All this put the creed of monotheism at the mercy of violent storms. Upon witnessing this, Ibn Taymia assumed the responsibility of restoring right. So, he began to confront his opponents using opinion, reason and arguments. In addition, he held meetings to discuss and argue. All this made those who had the upper hand, namely, the sects' leaders, feel endangered. So, they conspired with the sultan and conducted trails and judged him to be returned to prison as if he was a true guilty.

This is considered to be little in comparison with what he had faced in the outside field. It was rife with attitudes to be admired. For example, when the Arabs defeated the fleets of the Tatars at Ain Gallout, they retreated to their homes feeling infamy and bitterness of defeat. In 699 A.H. their king, Qazan, prepared his army to invade the Arab lands and then take hold of the land of the Nile. So, some of the Arab princes surrendered out of fright. The Tatarian sultan was pretending being a Muslim and so he accompanied a muezzin, judge and Imam as a camouflage to pave the way for him to fulfill his invasion and practice shedding blood and torturing. When Damascus opened its gates to receive him, Ibn Taymia felt pain to see this tyrant practices all sorts of torment under the guise of Islam. So, he decided to face this bloody tyrant. He went to him accompanying some of Damascus' dignitaries. Qazan received them while tending to sweet talk and ordered a feast. They ate out of fright except Ibn Taymia who abstained from eating. So, the sultan wondered and asked: " Why don't you eat, sheikh? " Ibn Taymia replied: " How can I eat from the food you cooked from people's sheep and trees with no right to do so?" Qazan said while astonished: "But I'm a Muslim, sheikh". Ibn Taymia answered him saying: "You took the side of the crusader king





Ibn Taymia
Making Right Public
By : Dr. M. R. Al-Biomi

Ibn Taymia was a matchless hero as no one dares – even his rivals – to question his being a great example. This honorable scholar was not fighting in one field on which he can focus his ideas, thought and strength but he was dealing with two different fields however, they share the topic of declaring truth and raising Allah's Word.

The great Imam fought in two different directions, inside and outside. As to the first field, it was full of those who oppose and contradict him, namely, imitators and knowledge and righteousness pretenders. Despite his being imprisoned and exiled at the hands of those who held great rank at the sultan, he never surrendered.

The society in which Ibn Taymia was living, was fraught with different factions that had different opinions and ideologies which they relate to the Shari'ah but in fact they are very far from the true soul of Islam. Moreover, they were leading the common to new delusive acts and corruption. Given this, the Imam looked deeply into this and was furious to see misinterpretation, corruption, rigorism and defending wrong. So, he determined to face and fight all this till he overcame it and achieved his goal aiming at defending right.

Ibn Taymia perceived that the commons were misled by some factions that impose their innovated matters on the Islamic thought and creed. Moreover, they were stating obligations that are not stated in the Islamic Shari'ah. Furthermore, they considered their innovations as evident Islamic Texts and encouraged those who do not differentiate between good and





﴿Indeed he has already seen of the signs of his Lord, the greatest﴾ [An-Najm (The Star): 18]

Al-Isra' and Al-Mi'raj

[The Night Journey and the Ascent]

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Whenever we witness the month of Rajab, we recall back the memories of the bitter struggle shouldered by the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, for the sake of the call. Allah, glory be to Him, sought to sorely try the prophet by the death of two of his dearest in one year namely, his wife, Khadija, may Allah be pleased with her, and his uncle, Abu Talleb. They used to support him (in his call). So, this year was called '*The Year of Mourning*'. This happened before the honorable migration a year or so.

To relieve sadness, Allah, glory be to Him, set a great miracle for him; he was carried in body from the Sacred Mosque in Mecca to Al-Aqsa Mosque in Jerusalem then he was ascended to heavens and saw marvels not available to anyone else, then his return to Mecca at the same night. As soon as he informed the disbelievers of Mecca about this miracle, a great deal of argument arose concerning the possibility of this. Those people – out of ignorance – forgot the mighty of Allah that has no limits and adhered to the human laws as some of them said: "Do you claim that you went there in a single night and we take a whole month by camels?" Their objection was considered as an answer for those who said that it was just a dream. If it was a dream, they would not have objected and complained to Abi Bakr thinking that this would shake his faith. However, Abu Bakr said his well known words "*If he said this, he is true*", really, he is the truthful.





AL-AZHAR
MAGAZINE

Rajab 1423 A. H.



ENGLISH
SECTION

October 2002

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰنَا اللّٰهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

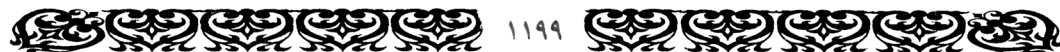
*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University





الفهرس



- السيرة النبوية والأدب الشعبي (الافتتاحية) ١٠٢٦
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٠٢٦
- من تفسير سورة النجم ١٠٣٢
- لفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ محمد سيد طنطاوى ١٠٣٢
- من صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم ١٠٤١
- لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطه ١٠٤١
- كليات القرآن الكريم ١٠٥٠
- للدكتور/ على أحمد على ١٠٥٠
- الحكم في نظر الإسلام ١٠٥٦
- لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيري ١٠٥٦
- من نفحات الإسراء والمعراج ١٠٦٣
- لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٠٦٣
- زيارة إلى بيت النبوة ١٠٦٧
- للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٠٦٧
- الحدود بين الرحمة والقسوة ١٠٧٦
- للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٠٧٦
- الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية ١٠٨٠
- للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٠٨٠
- قالوا عن الحضارة الغربية ١٠٨٤
- للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٠٨٤
- الإسراء والمعراج ١٠٨٩
- شعر لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى ١٠٨٩
- عداوة أمريكا وصادقته ١٠٩٣
- للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٠٩٣
- كتاب الشهر: من هو اليهودى ١٠٩٩
- عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٠٩٩
- معركة في كتاب: تهافت الفلاسفة ١١٠٧
- للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١١٠٧
- قراءة نقدية في كتاب: تاريخ الطب ١١١٣
- عرض وتعليق أ.د/ أحمد فؤاد باشا ١١١٣
- تنويه ١١١٨
- للتأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية ١١١٩
- عرض وتحليل أ.د/ محمد إبراهيم الفيومى ١١١٩
- طرائف ومواقف ١١٢٤
- لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١١٢٤
- الكيا الهراس ١١٢٦
- للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحيدى ١١٢٦
- قصة العدد: رجولة وإباء ١١٣١
- للأستاذ/ شوقى أبوناجى ١١٣١
- الدراسات الاستشراقية والأدب العربى ١١٣٥
- للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١١٣٥
- مسئولية العلماء ١١٤١
- لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفراف ١١٤١
- خطبة الجمعة: ١١٤٥
- ملامح القوة في الإسراء والمعراج ١١٤٩
- لفضيلة الدكتور/ أحمد الشرباصى ١١٤٩
- مؤسسات الاستيطان اليهودى في إسرائيل ١١٥٤
- للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ١١٥٤
- رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ١١٦١
- للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١١٦١
- لن نصبح شعباً إسلامية بسمات أمريكية ١١٦٦
- للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١١٦٦
- في الرؤى والأحلام ١١٦٦
- للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١١٦٦
- رسالة...و..رد ١١٦٧
- لفضيلة الشيخ عبدالفتاح سيد جمعان ١١٧٢
- بين الصحف والمجلات ١١٧٤
- إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١٧٤
- بين المجلة والقارىء ١١٨١
- إعداد وتقديم/ عادل خفاجة ١١٨١
- أنباء العالم الإسلامى ١١٨٣
- للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١١٨٣
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ١١٩٩
- إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ١١٩٩
- القسم الإنجليزى ١١٩٩
- إعداد أ.د/ إبراهيم الأصيل ١١٩٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر

- النقد الهادف لا الهدم الجارف

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

- من نفحات الإسراء .. جلسة هادئة وحوار بناء

لفضيلة الشيخ الطاهر العامدي

- الإنسان والكون بين الإيمان العلمي والإلحاد الخرافي

للدكتور / عبد العظيم عويس

- الإسلام والتفرقة العنصرية

للأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي



الأهرام

مجلة شريعة جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩ هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراك السنوي

● داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً

● الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

● أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً

● اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٨٥٧٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠ ☎

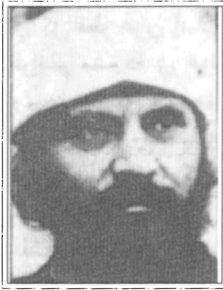
شعبان ١٤٢٣ هـ - أكتوبر ٢٠٠٢ م - الجزء الثامن - السنة الخامسة والسبعون

النقد الهادف لا ال

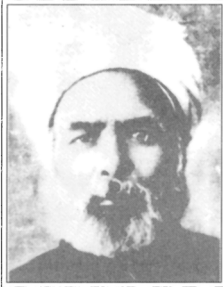
جميلٌ جداً أن نغارَ على الإسلام، وعلى مبادئه أن تُهدر فالمسلم غيور ولكن الغيرة تُخطيء طريقها الطبيعي لدى أناس يُحاولون أن يهتفوا بالإسلام في سبيل شائك هو التطرّف المقيت في تكبير التهم، واختلاقها أحياناً، لتُلصق التصاقاً بنفر من المُجاهدين، وهم شرفاء! وكُنّا في كُتُب الجدل القديمة نرى أناساً يتصيدون التهم لنفر من الأعلام ليخرجوا بهم عن حظيرة الإسلام، فنظن أن هذا المرض الكريه قد مضى زمنه في عُهُود التقدم، ولكننا ننظر فيما يكتب الآن فنجد الداء هو الداء، ونرى أن الخطب قد استشرى إذ اتسعت وسائل النشر ووجدت ثمرات الأقلام رواجها الهائل لدى القراء، وبذلك أصبحت التهم الكاذبة لا يقتصر تداولها على نفر خاص، بل عَمّت بها البلوى إلى ما لا يُحد من الأبعاد.

وطبيعة التنقص من الطبائع المنحرفة في بعض النفوس، وهي ترمز إلى علل نفسية تدل على الكراهية والمقت وتباعد بصاحبها عن السلوك السوى، فيظل أسير أنانيته المريضة وأشدّ ما يؤلم في هذا المنحدر أن صاحبه لا يستشعر مرضه الدفين، بل يعتقد أنه سليم مُعافى، وأنه يصدرُ عن نية طيبة وصدر سليم، لقد ظهر لدينا نفر من كبار المصلحين قاوموا أبالسّة الشر، وواجهوا الخطوب السود في معارك النضال، حتى أيقظوا العيون الهاجعة، وأناروا الطرق الدامسة، وواجهوا من العقبات ما تنوء به العصبية أولوا القوة ثم أفضوا إلى ربهم فعرف لهم المخلصون جهادهم الباسل، وأولّوهم مكان الصدارة بين زعماء الإصلاح وأصبحوا أعلام العصر وهداته فبُسِطت آراؤهم النظرية وحُللت مواقفهم العملية، وصدرت المؤلفات لتتحدّث عما فعلوه، والإنسان بشرٌ يُخطيء ويصيب، فلا بد أن يقع هؤلاء في بعض ما يؤخذ عليهم، ويصبح موضع انتقادهم، وطبيعي أن يُسجل التاريخ ما كان كما كان، وأن يرصد الحسنات، ويسجل الهنات! وهذا وجه لا اعتراض عليه ولا انتقاد، بل إننا نرى أن تسجيل الهنات يدعو إلى تلافئها، ويفسح مجال العبرة منها، فيفيد المصلح من بقرع تاريخه مُخطئاً

الهدم الجارف



جمال الدين الأفغانى



الإمام محمد عبده



الشيخ/ محمد المراغى

ومصيبا، يُفِيدهم مصيبا حين يجعلونه موضع القدوة فيما أصاب، ويُفِيدهم مخطئا حين يتجنبون ما تورط فيه من خطأ فيسلمون ويهتدون.

ولكن فريقا من الكتاب يتحدثون عن هؤلاء الأعلام حديثاً من يراهم موضع الاتهام والازدراء، فهم لا يهتفون إلا بما توهمونه من مآخذ! ثم لا يفتأون يكررون الاتهام فى إصرار ممل، ويقيّمون الدنيا ويُقعدونها سخطا على قوم يرونها مارقين ناشزين، وقد يجدون من يرد عليهم فى أدب فيبين لهم موضع الخطأ فيما يصنعون ولكنهم لا يستمعون إلى نصيح ولا يبحثون عن مكنى الحق فيما يقولون، ثم لا يزالون بعد وضوح الجادة، واستواء الحجة يشنون الغارة على هؤلاء المصلحين كأنما يؤلمهم كلّ الإيلام أن تظهر براءة متّهم أو تستقيم سيرة مناضل!.

نعرف أن جمال الدين الأفغانى قد أدى دوره الناهض فى إيقاظ الوعي الإسلامى، وقَفّى على أثره تلميذه الشيخ محمد عبده فأكملَ خطوات الطريق بما بذل من جهد ثم تتابع تلاميذهما المخلصون من أمثال: محمد مصطفى المراغى، ومحمد رشيد رضا، ومحمد فريد وجدى، فأسهموا خير إسهام فى استنارة العقول وبعث النهضة الإسلامية المعاصرة، وهؤلاء جميعاً قادة رواد، تعرف نور الحق فى أعمالهم، وترى هداية الإسلام فى مقالاتهم ومؤلفاتهم ولهم لدى المنصفين مكان مرموق، وفى صفحات التاريخ سطور من نور.



محمد رشيد رضا



محمد فريد وجدى

ولكن نفرا من ذوى الغيرة لايزالون يكتبون المؤلفات وينشرون المقالات، وفيهم من يدعى لإلقاء المحاضرات فى بعض حواضر الإسلام إذ عُرِفوا بالحماسة الدينية المفرقة والهتاف الإصلاحى الصاخب فتراهم يعبثون جهودهم للدعوة إلى مقاومة الانحراف، وهذا ما يُحمد لهم دون نزاع إذ يسرّ كل مسلم أن يتبين وجوه أعدائه من ذوى الأربة المريضة فيعرف ما يبثّه الاستشراق والتبشير من سموم فى كيان المجتمع الإسلامى المعاصر، ولو اقتصر هؤلاء المستشرقين والمبشرين والمستغربين ما اعترض طريقهم معترض بل وجدوا التأييد القوى والاحتفاء البالغ ولكنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا حين أخذوا يلحون فى انتقاص زعماء الوعى الإسلامى دون إشفاق فهم يتتبعون أمثال جمال الدين، ومحمد عبده، ومحمد مصطفى المراغى فى تشفٍّ لا أدرى بواعثه، وكأنهم من طراز المبشرين وغلاة المستشرقين! فيهلّك كل الهول أن تسمع من هؤلاء من يكرّر فى لفظ كريبه أن جمال الدين الأفغانى من دُعاة الماسونية وأن محمد عبده هو صاحب الدعوة إلى تبرج المرأة، وأن المراغى صديق الاستعمار وحليفه فى مصر والسودان! ثم يشفعون

بذلك بالتحذير من آرائهم، والتهوين من نضالهم! وقد تظنّ بهم الجهل البرىء فترشداهم إلى وجه الحق وتدلّهم على شهادات الأحرار من المخلصين وتزكياتهم الرائعة لمواقفهم الجهيرية، ثم تختار لهم من مؤلفات المنصفين ما يرد على كلّ شبهة تحاك! قد تفعل ذلك كله لتجد أذنا تسمع أو عينا تقرأ، أو قلما يناقش ثم تنظر فلا ترى غير التعصب المقيت والاستهانة بكلّ تعليل، والتحيف لكلّ إنصاف، حتى لتظن أن هناك حرصا قويا على تثبيت الاتهام، وإذاعة السوء، وإلصاقه بالشرفاء، وإلا فماذا تصنع فيمن تدله على الحق فيجتويه وتحذره من الباطل فيأتيه، وله أذن تسمع وعين ترى، وعقل يميز الطيب والخبث!

نقول لهؤلاء: إن الأفغانى قد خُدع بالماسونية بدءا ثم اكتشف بواعثها المغرضة فنأبذها واحتقرها، وأن محمد عبده قد دعا إلى تعليم المرأة وثقيفها والتمتع بما أوجبه لها الإسلام من امتيازات دون أن يدعو إلى التبرج والاستهتار، وأن المراغى قد كَسَبَ مُسَالمة العدو لاعتزازه بكرامته وتمسكه بإسلامه، ومناقشة الآراء فى حصافة واقتدار حتى يُسكت خصيمه فلا يلج فى عناد! نقول ذلك ثم نستشهد بالوقائع ونستدلّ بالمؤلفات ونستعين بالعدول من الثقات، ونعتقد بعد هذا الجهد الجاهد أن الباطل قد هوى وأن الحق قد ارتفع



ثم يهولك الإصرار كل الإصرار على اتهام الشرفاء وانتقاص الأحرار، مع ما قدمت من البرهان!.

فإذا تركتَ حديث هؤلاء عن الأحرار من الزعماء، والصادقين من الشرفاء إلى حديثهم عن المستشرقين والمبشرين من أرباب الجدل الواضح والحق المتين فلن تجد دراسة هادية، أو حججا مقنعة، أو تعمقا بصيرا ولكنك تجد مظاهرات صاخبة تجمع شتى الأسماء في نطاق واحد! إذ ترى حشدا من الأسماء المستشرقة ما بين أمريكية وإنجليزية وهولندية وألمانية ومجرية وفرنسية! وكلهم مستشرقون مبشرون! تجمع هذه الحشود في محاضرة أو مقالة أو صفحات كتاب لا لتناقش الأفكار جزئية جزئية! بل لتسبب المستشرقين وتلعنهم، دون هدم لفكرة أو تفنيد لرأى!! وتكتب لهؤلاء فتدلهم على الطريق الأصوب لمقاومة التبشير والاستشراق، وتدعو إلى التخصص في الرد، فيرد صاحب الدراسات القرآنية على أخطاء المغرضين، ويُفند صاحب الدراسة التاريخية أوهام من خبطوا في التاريخ الإسلامي، ويتجه علماء الحديث إلى تقويض أراجيف الزائغين بدلا عن محاضرة لا تزيد عن ترديد الأسماء، وذكر رؤوس الموضوعات! وصاحبها عند نفسه - وعند نفسه فحسب - مدافع مناضل يقف على ثغر من ثغور الإسلام يُعرض صدره للسهم حبا في الاستشهاد! هو وحده الذي يضرب بالسيف، أما جمال الدين ومحمد عبده ومصطفى المراغي، فمنحرفون مضللون!.

هؤلاء هم زعماء الدين وقد وُصفوا بالإفك ووُصفوا بالبهتان، فإذا انتقلنا منهم إلى زعماء الأدب فلا بد أن يكون ميدان السبب فسيحا متسعا، ولا بد أن تثور براكين الأرض، نقمة على ما اقترفوا من كتب ومادبجوا من أبحاث!.

وأعجب ما يثير العجب أن كتب هؤلاء التي انتحت وجهة الإسلام، قد صدرت منذ سبعين عاما وأكثر وقد حظيت من القبول والرواج، وتعدد الطبعات، ونباهة الذكر ما أورث المكتبة الإسلامية خصباً ناضراً كان من قبل جذباً موحشاً، إذ قدمت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الطاهرين بأحسن ما يُنتظر أن يجذب أفعدة الملايين من القراء في عصر تقدم فيه الأسلوب الكتابي بما لا يُغنى معه الاكتفاء بسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية ونور اليقين ونحوها بل لا يُغنى معه ما كتبه كثير من أساتذة الكليات الجامعية الذين يتحدثون عن نبي الإسلام في «مؤلفات» تقرر على الطلاب ولا تجد ذيوها عدة أمتار بعد عتبات الكلية، وأقول «مؤلفات» تجوز أنها ملخصات لا ترشح بالجديد في الفكرة ولا تتألق بالناضر من التعبير، ولست أعنى أحدا بذاته ولكني أتكلم عما رأيت، فما شهدت إلا بما علمت.



هذه الكتب التي أخصبت المكتبة الإسلامية بثمرها المستطاب، ضاقت بها أقلام يعزُّ عليها أن تعترف بالحق لأهله « فحياة محمد » الخالدة التي سطرها الكاتب البارع الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله - منقولة - في زعمهم - عن مؤلف فرنسي كتبه درمنجم، ومحشوة بمفتريات هذا الفرنسي: هكذا قال هؤلاء السبابون في جرأة فاضحة! وقد ترجم المرحوم الأستاذ عادل زعيتر كتاب درمنجم منذ عشرات السنوات، وقرأه الناس في ترجمته العربية فما وجدوا بينه وبين « حياة محمد للدكتور هيكل » مشابهة تذكر، فالأسلوب غير الأسلوب تبويبا وتفكيريا وقضايا، ولئن كان هيكل قد اعترف بأن كتاب درمنجم قد جذبته إلى كتابة مؤلفه، فهذا شيء والنقل عن المستشرق الفرنسي شيء آخر، ولكن الساخطين لا يُعجبهم أن يكتب هيكل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدل أن يمدح اتجاهه النبيل فلا بد أن يذم، ولا بد أن يكون عمله الرائع محسوبا عليه لا له! ولا بد أن يكون كتابه ستارا استشراقيا باطنه العذاب وظاهره الرحمة.

والعقاد: رحمه الله العقاد! لقد أثار حفيظتي ودفعني رأسا لكتابة هذا المقال، ما قرأته في ماضى السنين بجريدة الأهرام تحت عنوان مثير يقول: « صدمة للثانوية » بالبنط العريض، أتدرون ما هذه الصدمة التي صرخت منها جريدة الأهرام وعدتها خطرا مزعجا يتهدد آلاف الطلاب، إنها تقرير كتاب « عبقرية عمر » هذا العام على التلاميذ! وقد قررت العبقريات عدة أعوام فكانت وحدها الشيء الجدى في مقررات اللغة العربية إذ فرضت على الطلاب وهم مقبلون على الأسلوب الجامعي نمطا رفيعا من التأليف البياني تحليلا وتشريحا وجدلا وإفحاماً، وقد قيل إنها تتطلب الجهد!! وأى عمل مدرسى لا يتطلب الجهد؟ ولماذا يُقرر على الطلاب أنفسهم روايات الكبار من أدباء الغرب في اللغة الإنجليزية، فيضطرون إلى فهمها في لغتها الأجنبية، ثم لا يعترض على ذلك معترض، فإذا كتب العقاد بأسلوب عربى مبين عن محمد صلى الله عليه وسلم، والصديق وعمر وخالد! صاح الصائحون وصرخت الأهرام، واستعدت المسئولين!! إنه زمن مضى بآثامه، وأرجو ألا يعود.

ثم نأتى لطفه حسين! وقد مات طه حسين، فاقتضى عمل المؤرخ الجاد أن يقسم حياته إلى فترتين مختلفتين فترة ناشزة ضلّ فيها الطريق وفترة أخيرة رجعت به إلى السنن القويم حين كتب « الوعد الحق » بأفصح ما يكتب به من البيان الرائع عما لاقاه المستضعفون من تعذيب وحين كتب « مرآة الإسلام » فى وضوح مشرق ساطع الدليل، وقد قرّر الكتابان عدة سنوات على آلاف الطلاب فكانا موضع استفادة



محققة تنشرح لها صدور المنصفين! كما وقف الدكتور أمام الشيوعيين وقفات رائعة تنتصر للغة العربية المهضومة والأدب العربي المهيبض والتراث الإسلامي المنتقص فكان صوته الأعلى لدى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وكم ضاقت به أقلام شيوعية مستأجرة تراه حاجزا دون ازدراء اللغة العربية والأدب العربي، وكان يرمض نفوسها أنها لا تستطيع مقاومة طه حسين! هذا الرجل قد تواطأ بعد وفاته جماعة من الكتاب على سبِّه والخروج به عن حظيرة الإسلام! ثم يبلغ بهم العناد أن يقولوا إن ما كتبه في مثل مرآة الإسلام، والوعد الحق، لا يصور اتجاهه المستنير، وإنما هو تمويه وتدجيل! وكأنهم قد شقوا عن صدره فعرفوا أنه ملحد منافق ومموه دجال!.

ونحن نقول لهؤلاء: إنكم تخالفون الإسلام صراحة حين تتحدثون عن النيات المستترة والحواليج الباطنة، فذلك كله من شأن عالم الغيب والشهادة، وسبيلكم الصائب، أن تسردوا للرجل ما له وما عليه، فإذا انتقدتموه في عهده الأول عن حق، فليس لكم أن تشوهوا ما ختم به حياته من اتجاه، وليس لكم غير الظاهر دون سواه.

على أنى بعد ذلك أسأل في غيظ: أى معسكر سيستفيد من تحقير مواقف جمال الدين، ومحمد عبده ومحمد مصطفى المراغى؟ وأى معسكر سيكسب من إهمال «حياة محمد» و«عبقريات العقاد» و«مرآة الإسلام».. لا شك أن قراء المسلمين هم الخاسرون، وأن المستفيد عن يقين هم أعداء الإسلام وشائئوه، فعلام التشنج الصاخب فى سب المصلحين من رجال الدين، والتنطع الخائب فى تسفيه الرائع من صحف الأدباء؟ وما ثمرة ذلك كله التى يحرص عليها المندفعون؟.

تسأل ما تسأل فلا تجد إجابة تشفى أو منطقاً يفيد، وفى النفس ما فيها مما يضيق به الصدر ولا يترجم عنه اللسان.

د. محمد رجب البيومي

نَفْسَانِ سَوِيَّتِي الْبَقَرَةِ

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتْعًا
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

الآية: ٢٤٠ : ٢٤٢

لفضيلة الامام الاكبر شيخ الزهر
الاسناذ الدكتور محمد سيد طنطاوي



وفاة زوجها، إذ كلمة حول تدل على التحول أى حتى تعود الأيام التى حدثت فيها الوفاة . وقوله :

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال من أزواجهم أى غير مخرجات من مسكن الزوجية، فلا يصح لورثة الميت أن يخرجوهن من مسكن الزوجية بغير رضاهن، لأن بقاءهن فى مسكن الزوجية حق شرعه الله لهن، فلا يجوز لأحد أن يسلبه منهن بغير رضاهن .

ثم قال - تعالى - :

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾

أى : ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من منزل الزوجية برضاهن ورغبتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أى فلا إثم عليكم أيها المسلمون :

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ .

أى فيما فعلن فى أنفسهن من أمور لا ينكرها الشرع كالتزين والتطيب والتزوج بعد انتهاء عدتها وهى أربعة أشهر وعشرة أيام . هذا، وللعلماء فى تفسير هذه الآية اتجاهان مشهوران :

أما الاتجاه الأول : فيرى أصحابه أن هذه الآية منسوخة لأنها توجب على الزوج حين مشاركة الموت أن يوصى لزوجته بالنفقة والسكنى حولا، ويجب عليها الاعتداد حولا، وهى مخيرة بين السكنى فى بيته حولا ولها النفقة، وبين أن تخرج منه ولا نفقة لها، ولم يكن لها ميراث من زوجها . قالوا : وكان هذا الحكم فى ابتداء الإسلام .

والآية الأولى من هذه الآيات تبين بعض الحقوق التى شرعها الله - تعالى - للمرأة التى توفى عنها زوجها .

والمعنى : لقد شرع الله لكم فيما شرع من أحكام، أن على المسلم قبل أن يحضره الموت أن يوصى لزوجته التى على قيد الحياة بما تنتفع به انتفاعاً مستمراً لمدة حول من وفاته، ولا يصح أن يخرجها أحد من مسكن الزوجية .

وقوله : ﴿وَصِيَّةٌ﴾ فيه قراءتان مشهورتان .

القراءة الأولى بالنصب، والتقدير : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً فليوصوا وصية، أو كتب الله عليهم وصية لأزواجهم .

والقراءة الثانية بالرفع والتقدير : فعليهم وصية لأزواجهم .

وعلى قراءة النصب تكون كلمة ﴿وَصِيَّةٌ﴾ مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به، وعلى قراءة الرفع تكون مبتدأ محذوف الخبر . وقوله :

﴿لَا زَوْجَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة للكلمة ﴿وَصِيَّةٌ﴾ على القراءتين . أى : وصية كائنة لأزواجهم .

والمراد بقوله : ﴿مَتَّعًا﴾ ما تتمتع به الزوجة من السكن والنفقة بعد وفاة زوجها بوصية منه وهو منصوب على المصدر أى متعوهن متاعاً أو على المفعولية . أى جعل الله لهن ذلك متاعاً .

وقال - سبحانه - : ﴿مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ للتصيص على أن هذه المدة تمتد حولاً كاملاً منذ

وقد نسخ وجوب الوصية بالنفقة والسكنى بآية المواريث وبحديث «ألا ولا وصية لوارث» حيث جعل لها الربع أو الثمن عوضاً عن النفقة والسكنى ونسخ وجوب العدة حولاً بقوله - تعالى - قبل ذلك :

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ مع قوله :

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (٢).

وعلى هذا الاتجاه سار جمهور المفسرين .

أما الاتجاه الثاني : فيرى أصحابه أن هذه الآية محكمة وليست منسوخة ومن ذهب إلى هذا الاتجاه مجاهد، فقد قال ما ملخصه : دلت الآية الأولى وهي :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرِبُصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

على أن هذه عدتها المفروضة تعتدها عند أهل زوجها . ودلت هذه الآية بزيادة سبعة أشهر وعشرين ليلة على العدة السابقة تمام الحول، وأن ذلك من باب الوصية للزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً ولا يمنع من ذلك لقوله :

﴿غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ فإذا انقضت عدتهن

بالأربعة أشهر والعشر - أو بوضع الحمل - واختار الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يمنع من ذلك لقوله : ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ .

وقد نسخ وجوب الوصية بالنفقة والسكنى بآية المواريث وبحديث «ألا ولا وصية لوارث» حيث جعل لها الربع أو الثمن عوضاً عن النفقة والسكنى ونسخ وجوب العدة حولاً بقوله - تعالى - قبل ذلك :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرِبُصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

قالوا : ومما يشهد لذلك ما أخرجه أبو داود والنسائي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : نسخت بآية الميراث بما فرض الله لهن من الربع والثمن « ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً » (١) .

وقد حكى هذا الرأي صاحب الكشف فقال : والمعنى : أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أى : ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن . وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله :

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار . ونسخت النفقة بالإرث الذى هو الربع والثمن .

واختلف في السكنى فعند أبى حنيفة لا سكنى . ثم قال : فإن قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة ؟ قلت : قد تكون الآية متقدمة

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق باب نسخ متاع المتوفى عنها زوجها بما فرض لها من الميراث .

(٢) تفسير الكشف ج ١ ص ٢٨٩ .



تعارض بين الآيتين ومتى انتفى التعارض انتفى النسخ.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أى: عزيز فى انتقامه من تعدى حدوده، إذ هو القاهر فوق عباده، حكيم فيما شرع لهم من آداب وأحكام فينبغى أن يمثل الناس أوامره ويجتنبوا ما نهاهم عنه. ثم بين - سبحانه - حق المطلقات فقال:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

أى: وللمطلقات على أزواجهن الذين طلقوهن متاع بالمعروف أى: شئ ينتفع به انتفاعاً ممتداً لمدة من الوقت مما تعارف العقلاء عليه وعلى فائدته للمرأة، وهذا المتاع جعله الله حقاً على المتقين الذين يصونون أنفسهم عن كل ما يبغضه الله - تعالى -:

وقد جعل الله هذا الحق للمطلقة على مطلقها جبراً لوحشة الفراق وإزالة لما قد يكون بين الزوجين من شقاق، وتخفيفاً لما قد يحيط بجو الطلاق من تنافر وتخاصم وعدم وفاق.

قال ابن كثير: وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء بوجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة، أو مفروضاً لها، أو مطلقة قبل المسيس، أو مدخولاً بها. وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير، وهو قول عن الشافعى^(٥).

ومن المفسرين الذين أيدوا هذا الاتجاه الإمام ابن كثير فقد قال - بعد أن ساق قول مجاهد - وهذا القول له اتجاه وفى اللفظ مساعدة له وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو العباس بن تيمية^(٣).

كما أيده أيضاً الإمام الفخر الرازى فى تفسيره، فقد قال بعد أن ساق بعض الأدلة التى تثبت ضعف قول من قال بالنسخ: «فكان المصير إلى قول مجاهد أولى من التزام النسخ من غير دليل»^(٤).

والخلاصة أن أصحاب هذا الاتجاه الثانى لا يرون معارضة بين هذه الآية وبين آية:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

لأن الآية التى معنا لا تتحدث عن عدة المتوفى عنها زوجها وإنما تتحدث عن حقها فى البقاء فى منزل الزوجية بعد وفاة زوجها، وأن هذا الحق ثابت لها فإن شاءت بقيت فيه، وإن شاءت خرجت منه على حسب ما نراه مصلحة لها، ولأنها لا يوجد فى ألفاظها أو معانيها ما يلزم المرأة بالتربص والامتناع عن الأزواج مدة معينة.

أما الآية الثانية فنراها واضحة فى الأمر بالتربص أربعة أشهر وعشراً، وهى العدة التى يجب أن تمتنع فيها المرأة التى مات عنها زوجها عن التزين والتعرض للزواج. إذن فلا

(٤) راجع تفسير الفخر الرازى ج ٦ ص ١٦٨.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٩٧ بتصرف يسير.

(٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٩٧.



حق في المتعة إذا لم يوص لها زوجها بالنفقة .
ثم ختم - سبحانه - هذه الآيات المتعلقة
بأحكام الأسرة بقوله :

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
أى : مثل هذا البيان الحكيم الواضح الذى
بين الله لكم به الأحكام السابقة، يبين لكم
جميع آياته وأحكامه التى أنتم فى حاجة
إليها لكي تفهموا ما فيها وتعقلوه وتعملوا
به فتنالوا السعادة فى الدنيا والآخرة .

وإلى هنا تكون السورة الكريمة قد بينت
لنا فى أكثر من عشرين آية بعض الأحكام
التي تتعلق بالأسرة وصيانتها وسعادتها
بأسلوب مؤثر حكيم وبطريقة تهدى إلى
أفضل الأخلاق، وأقوم العلاقات بين الأفراد
والجماعات، وإن التأمل فى هذه الآيات وما
اشتملت عليه من توجيهات سامية ليوقن بأن
هذا القرآن إنما هو من عند الله، الذى شرع
لعباده ما فيه صلاحهم وسعادتهم .

وبعد هذا البيان الحكيم عن الأسرة وما
يتعلق بها من زواج وطلاق وغير ذلك، ساق
القرآن من القصص ما من شأنه أن يدعو إلى
التذكر والاعتبار ويحرض على الجهاد فى
سبيل الله .

وعلى هذا التفسير يكون المراد بالمتاع ما
يعطيه الرجل لامرأته التى طلقها زيادة عن
الحقوق المقررة لها شرعاً ليكون التسريح
بإحسان .

ومن العلماء من يرى أن المراد بالمتاع هنا :
النفقة التى تكون للمطلقة فى العدة قال الفخر
الرازى : وأعلم أن المراد بالمتاع ههنا فيه قولان :
أنه هو المتعة فظاهر هذه الآية يقتضى
وجوب هذه المتعة لكل المطلقات .

والقول الثانى : أن المراد بهذه المتعة
النفقة، والنفقة قد تسمى متاعاً، وإذا حملنا
هذا المتاع على النفقة اندفع التكرار فكان
ذلك أولى^(٦) .

ويظهر أن مراد الفخر الرازى بقوله :
« اندفع التكرار » أى ما بين هذه الآية والآية
التي سبقت وهى قوله - تعالى - :

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ
مَتَّعَا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾

ولك أن تقول : إنه لا تكرار مع إرادة المتعة
التي ليست هى النفقة لأنه فى السابقة بين
أنها حق للمرأة حين تطلق ولم يكن قد قدر
لها مهر معين، وهنا ذكرت عقب آية الوفاة
لدفع ما يتوهم من أن المتوفى عنها زوجها لها

(٦) تفسير الفخر الرازى ج١ ص ١٧٢ .



فاتحة الكتاب بين تفسيرين

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

١
لعلنا لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا: إن (فاتحة الكتاب) هي من أهم ما ينبغي على المسلم استقصاؤه وتعمقه والوقوف على ما ينطوي عليه من دلالات وإشارات، لأنها النداء العقيدى الذى يردده الإنسان المسلم فى صلواته الخمس على تعدد ركعاتها، وفى سننه ونوافله التى يأتى منها بقدر ما يستطيع وما يسعه الجهد، وفى توجهاته الحياتية التى يبدوها باسم الله، ويختتمها بالابتهاال إليه والاستعانة به.

ولعل أول ما يلفتنا فى فاتحة الكتاب هو أنها - على الرغم من آياتها السبع القصار، وعلى الرغم من تكرارها فى شفاه الملايين المسلمة ربما بلا انقطاع لا تستحيل فى لحظة من اللحظات إلى نبع جامد ليس يتدفق بالعطاء، مع أن من المعروف أن أى نص مهما كان سموقه البلاغى والروحى يستحيل بعد تكراره إلى مجرد صيغٍ ناضبة لا توحى بشىء ذى بال، وربما رفض المتلقى قراءته لأنه لم يعد يوحى له بشىء، ولكن الفاتحة تبقى على الرغم من كل ذلك التكرار مصدراً من مصادر الوحي الذى يهب إنسانه المسلم - إذا هو فهم عنه - نوعاً من السلام الداخلى الذى يعيد إليه تعادله واتزان، ويشعره بأن الله الخالق يرعى خطواته على الأرض، وأن كل عذابات الدنيا تتلاشى فى نبضة رحمة من رحماته، وأن العبادة له ليست هروباً من واقع ضاغط، بقدر ما هى استعانة به على هذا الواقع الضاغط، وأن كل السبل تتشاجن وتتقاطع، ويبقى وحده (الصراط) الذى ارتضاه مستقيماً لا أمت فيه ولا تفاريق.

ويرى المتأمل أن من جملة الخصائص التى وهبت الفاتحة هذا الاقتدار المتفرد على العطاء والإيحاء، أنها دفقات روحية هائلة بقدر ما هى إحالة على حركة الواقع الوجودى الحى، فهى لا تذبل فى ملايين الشفاه المرددة، لأنها مزيج رائع من حركة الروح وحركة الواقع، ومعروف أن تعاليات الروح لا تنتهى عند حد، كما أن من المعروف كذلك أن حركة الواقع الوجودى أمواج متجددة، وعلاقات تتأمر وتفترق دائماً لتشكّل ديمومة مستمرة.

وقد أطلق الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) على تفسيره اسم: (تفسير القرآن العظيم) وهو يشارك عديداً من التفاسير الأخرى في اتجاه (التفسير بالمأثور) .. من مثل: (جامع البيان في تفسير القرآن) لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، و(معالم التنزيل) لأبي محمد الحسين البغوي (ت ٥١٠ هـ) - و(الدر المنثور) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

ويحدد ابن كثير منهجه في تفسيره على هذا النحو: (إن أضح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكانه فإنه قد فسر في موضوع آخر .. فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له .. وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبرائهم كالحلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبدالله بن مسعود، فقد قال ابن مسعود: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته» - المقدمة - ص ١٢.

ثم يقول ابن كثير: (وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجعت كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير، فقد قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها» ولهذا قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) - المقدمة - ص ١٢ - ١٣.

فالرحمة، والمالكية، والغيب، والعبادة، والاستعانة، والهداية، والصراط، والاستقامة، والهدى، والضلال، كلها مزيج من تعاليات الروح وحركة الواقع، وهي تتراحب بتراحب حركة الكائن الحي في علاقاته وتفاعلاته وقيمه .. وهذا هو الذي يمنحها هذا التجدد وهذا الخلود.

وإذا كنا هنا نتأمل تفسيراً غابراً وتفسيراً معاصراً للفتاحة، فإنما لكي نرى منطلقات الذهنية المسلمة في فهم إيقاع هذه الآيات السبع، ومدى تجليتها لنوعية الإعجاز الخارق الذي ضمن لهذا النص القرآني - على الرغم من كثرة التردد والتكرار - هذا الاقتدار الرائع على الإيحاء والإلهام، وما نظن أن المنطلقات اختلفت، أو أن الرؤية غامت، أو أن الإيقاع تغير .. ولكن الذي تغير ربما هو (المنظور) الذي أطل منه أولئك وهؤلاء، فبينما هو في القديم - غالباً - منظور (لغوى) يستمد تأملاته الروحية للآيات من واقع خبرته اللغوية بالمفرد والتركيب جميعاً .. إذا به في الحديث - غالباً كذلك - منظور (جمالي) يستمد تأملاته الروحية للآيات من واقع خبرته الجمالية بالمفرد والتركيب جميعاً .. أي أننا مع (ابن كثير)، وهو الذي اخترناه ليمثل المنظور القديم، مع عالم يحاول تجسيد فهمه لفتاحة الكتاب من خلال استبطانات لغوية فذة تصله بغايته من تفسير الآيات إلى ما يريد .. ومع (سيد قطب)، وهو الذي اخترناه ليمثل المنظور المعاصر، مع فنان يحاول تجسيد فهمه لفتاحة الكتاب من خلال استبطانات جمالية فذة تصله بغايته من تفسير الآيات إلى ما يريد كذلك.

منزلة إلى منزلة، وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلد لإحاطته بمنزله ودوره، وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه... وأما الآية: فأصل معناها العلاقة، سميت بذلك لانقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها، أى هى بائنة عن أختها ومنفردة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ۚ ﴾ (١)

وأما الكلمة: فهى اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل: «ما» و«لا» ونحو ذلك، وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل «أسقيناكموه». وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل: ﴿ وَالضُّحَى ۚ ﴾ (٢) ومثل:

﴿ وَالْفَجْرِ ۚ ﴾ (٣). (المقدمة - ص ١٤).

وفى الفصل الثانى يتعرض ابن كثير لقضية ورود غير العربى فى القرآن الكريم، فيقول: (قال القرطبى: أجمعوا على أنه ليس فى القرآن شىء من التراكيب الأعجمية وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كـ «إبراهيم» و«نوح» و«لوط» واختلفوا: هل فيه شىء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلانى والطبرى وقالوا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات فتكلمت بها العرب والفُرس والحبشة وغيرهم) - المقدمة - ص ١٤.

وواضح أن ابن كثير فى الفصل الأول يركز على (المنحى اللغوى) من خلال تحديده لمعنى السورة والآية والكلمة.. ويركز على نفس

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال فى القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار» - المقدمة - ص ١٣.

وإذن فمنهج ابن كثير فى التفسير هو الجمع بين الرواية والدراية، وتفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، فإذا لم نجد قلنا بما نعلم مع تحرّز واجتهاد وتوثيق.

وقبل دخوله فى التفسير يذكر ابن كثير ما سماه (مقدمة مفيدة تذكر فى أول التفسير قبل الفاتحة) يعدد فيها السور التى نزلت فى المدينة من القرآن الكريم وهى كما يقول: (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وعشر من التحريم، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله)، هؤلاء السور نزلت فى المدينة، وسائر السور بمكة.

ويذكر أن عدد آيات القرآن العظيم ستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات بالمدارس وغيرها.

ويعقب ابن كثير بفصلين صغيرين، يتعرض فى أولهما لمعنى (السورة) ومعنى (الآية) ومعنى (الكلمة) من الجهة اللغوية فيقول:

واختلفت فى معنى السورة مما هى اشتقت؟ فقليل من الارتفاع، فكأن القارىء ينتقل بها من

(٢) الضحى (١).

(١) البقرة (٢٤٨).

(٣) الفجر (١).



(المنحى اللغوى) فى الفصل الثانى، وإن كان من طريق السلب الذى ينفى حلول التراكيب غير العربية فى القرآن الكريم.

وهكذا يتشكل المدخل المنهجى الذى قدم به ابن كثير لتفسيره، وهو كما نرى مدخل يشف عن منهجية رصينة، وعن اتجاه ينزع فى أساسه إلى فهم حقيقى لطبيعة المصطلح اللغوى للكلمات والتراكيب، وعن توقّر دائب على استبطان أعماق النصّ القرآنى من خلال تأمل سياقاته المعجزة، كل أولئك فى إطار من التحرك فى دائرة التحرّز العلمى الذى لم يعتمد غير المصادر المطمئنة الموثقة إلا قليلاً.

ويفتح ابن كثير تفسيره لسورة الفاتحة بهذا الإيقاع العاكس لمنهجه الذى يعتمد على تحديد المصطلح، واستكناه حقائق التركيب من طبيعة الحسّ اللغوى فيقول: (تسمى «الفاتحة» لأنه تفتتح بها القراءة فى الصلوات، ويقال لها أيضاً: «أم الكتاب» ولها أسماء منها «الحمد» و«الشفاء» و«الواقية» و«الكافية» و«أساس القرآن». قال البخارى: وسميت - أم الكتاب - لأنه يبدأ بكتابتها فى المصاحف، ويبدأ بقراءتها فى الصلاة. وقال الطبرى: والعرب تسمى كل جامع أمراً أو مقدم لأمر «أماً» فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ: «أمّ الرأس» ويسمى لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها: «أماً» قال ذو الرمة:

على رأسه أم لنا نقتدى بها

جماع أمور ليس نعصى لها أمراً

ثم يلقى ابن كثير بعض الضوء على ما ورد فى فضل فاتحة الكتاب من أحاديث، وهى فى

مجمّلها تجمع على أن فاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم. وأنها نور من نورين لم يؤتهما نبى قبل نبينا محمد ﷺ، وأن من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداجٌ - ثلاثاً - غير تمام، وأنها كذلك فاتحة حوار بين العبد المصلّى وربّه، فإذا قال العبد:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدنى

عبدى، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله: أثنى علىّ عبدى، وإذا قال:

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجّدنى عبدى،

وقال مرة: فوض إلىّ عبدى، فإذا قال:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا

بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿

قال: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل!!

ثم يبدأ فى تحليل رؤية لغوية حول متعلق الباء

فى قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فقد قدره

بعضهم ﴿بِسْمِ﴾ تقديره: باسم الله

ابتدائى، وقدره بعضهم بفعل (تقديره: أبدأ

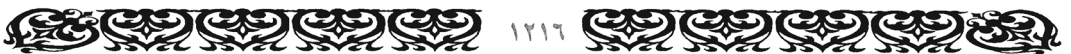
باسم الله، أو ابتدأت باسم الله، ويرى أن كليهما

معاً صحيح، فإن الفعل لا بد له من مصدر، فلك

أن تقدر الفعل ومصدره، فالمشروع ذكر اسم الله

فى الشروع فى ذلك كله تبركاً وتيمناً واستعانة

على الإتمام والتقبل، ويدلّ للأول قوله تعالى:



وواضح أنه هنا ينطلق من منطلق لغوى كما نرى، يتكئ في تأكيد منظوره من خلاله على (تحليل القاعدة اللغوية) وشدة حساسيته بما تُفِيه الصيغ المختلفة على المعنى من ظلال وإحياءات. ويورد في تفسير قوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رأى ابن جرير الذى يرى أن الآية تُمحض الشكر خالصاً لله، وتشكل ثناءً أثنى به على نفسه، وضمنه أمر عباده بالثناء عليه، ولكنه يستدرك عليه قوله: (وأهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر) فيقول: (وهذا الذى ادعاه ابن جرير فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان) .. ثم يستعين برأى الجوهري فى التفرقة بين الحمد والشكر، حيث يذهب إلى أن بينهما رابطة عموم وخصوص - فالحمد أعم من الشكر.. ولا ينسى ابن كثير أن يشير إلى أن الألف واللام فى ﴿الْحَمْدُ﴾ لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه.

ثم يشير فى تفسير قوله تعالى:

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أن الرب هو المالك المتصرف، والعالمين كل موجود سوى الله - عز وجل -. وفى قوله تعالى: ﴿الْزَمِّنُ الْزَجِيمُ﴾ بعد

﴿بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَا دِينَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْيَوْمِ وَإِنَّا لَآلِهَةٌ مُمْتَرَةٌ﴾ (٤) ويدلّ للثانى قوله تعالى:

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ (٥).

ويقول ابن كثير إن ﴿اللَّهُ﴾ علم على الرب، لأنه (الاسم الأعظم) والأسماء الباقية كلها صفات، وهو اسم لم يسم به غيره - تبارك وتعالى - ولهذا لا يعرف له فى كلام العرب اشتقاق، وقيل مشتق من آله يأله إلهه، وقيل من وله إذا تحير لأنه تعالى يحير الفكر فى صفاته، وقيل من ألهمت إلى فلان، أى سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته.

ويذهب إلى أن ﴿الزَّحْمَنُ الْزَجِيمُ﴾ إسْمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، (و(رحمن) أشد مبالغة من (رحيم))، وزعم بعضهم - كما يقول ابن كثير - أنه غير مشتق، وحين أنكرت العرب اسم ﴿الزَّحْمَنُ﴾ كان ذلك لجهلهم بالله وما وجب له، وبناء فعْلان ليس كفعيل، فإن (فعْلان) لا يقع إلا على مبالغة الفعل، وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول، وحين يزعم بعضهم أن ﴿الزَّحْمَنُ﴾ أشد مبالغة من ﴿الزَّحْمَنُ﴾ لأنه أكد به، والمؤكد لا يكون إلا أقوى من المؤكّد، يجيب ابن كثير بأن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت.

وهم الوجه المقابل للذين علموا الحق وعدلوا عنه ﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وللذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

ثم يعقد ابن كثير فصلاً موجزاً فيما اشتملت عليه سورة الفاتحة وهى سبع آيات من القيم النبيلة الفاضلة التى تضع إنسانها المسلم على خطّ الطهارة وصميميّة الانتماء.. ويدلّف من ذلك إلى تأملات لغوية مرهفة، من مثل إسناد الإنعام إليه تعالى فى قوله:

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وحذف الفاعل فى الغضب فى قوله: ﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك فى الحقيقة، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان الذى أضلّهم بقدره كما قال تعالى:

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾^(٧) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال.

وهكذا نرى فى تفسير ابن كثير لفاتحة الكتاب أننا أمام عقل منهجى، يتجه فى تفسيره وتحليله اتجاها هو إلى الرؤية اللغوية أقرب منه إلى غيرها من الرؤيات، وإن كان بالطبع لم يهمل ما تضمنه النص من دلالات فقهية وعقيدية ووصفية.

قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ضربٍ من قرْنِ الترغيب بالترهيب.

وفى قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ إلى قراءتين يوردهما ويعقب عليهما بتحليل لغوى حساس، يضع بينهما فروقاً مرهفة، فقد قرأ بعضهم: (ملك) وآخرون: ﴿مَلِكٍ﴾ وكلاهما صحيح متواتر، و ﴿مَلِكٍ﴾ مأخوذة من الملك، و ﴿مَلِكٍ﴾ مأخوذة من الملك.. أما ﴿الدِّينِ﴾ فهو الجزاء والحساب.

ولأن العبادة هى ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، قال تعالى:

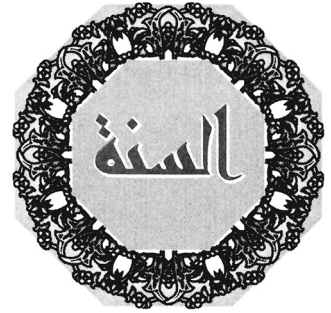
﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ وَإِنْ تَتَوَكَّلْ عَلَى الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِكَ﴾، وإذا كانت العبادة هى المقصودة فإن الاستعانة وسيلة إليها. ولما تقدم الثناء على المسئول - تبارك وتعالى - ناسب أن يعقب بالسؤال، وهذا أكمل أحوال السائل - يمدح مسئوله، ثم يسأل حاجته، لأنه أنجح للحاجة، وأنجح للإجابة، ولهذا أرشد الله إليه لأنه أكمل:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.. أما الذين أنعم الله عليهم المشار إليهم فى قوله:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فقد ذكرتهم سورة النساء فى قوله تعالى:

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٦).

أَخَذُ لِلَّهِ لِلظَّالِمِينَ (*)



لفضيلة الأستاذ الشيخ / طه الساکت

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبي موسى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَنْقُصْهُ». قال: ثم قرأ:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ (١)

[أخرجه الشيخان]

المفردات

للبعير أرخى له الزمام ووسع له فى القيد، ليتسع له المرعى. والمللوان: الليل والنهار.

والظلم: وضع الشيء فى غير موضعه. وفى المثل «من استرعى الذئب فقد ظلم». وأصل الظلم،

الإملاء: الإمداد فى الزمن والإمهال والتأخير، مأخوذ من الملو، والملاوة - مثلثتين - وهى الطائفة الطويلة من الزمن. وأملى

● من روائع «مجلة الأزهر».



الجور ومجاوزة الحد . وهو ثلاثة أقسام تأتي .

وأفلتت من الورطة، وفلّته: خلصه وأنقذه . وأفلتت منها بنفسه، وأفلتتها: تخلص . يتعدى ويلزم .

المنفى

تمهيد :

لا نستطيع أن نفهم الحديث حق فهمه، ولا أن نجليه كما ينبغي له، إلا إذا أوضحنا المراد «بالظلم» وكشفنا الغطاء عنه . ذلك أننا لا نكاد نفهم من «الظلم» عند إطلاقه إلا أنه انتهاك حرمان الناس والتعدي على حقوقهم . وهو على هذا الوجه شائع معروف في كتاب الله وسنة رسوله، وفي لغة العامة والخاصة . حتى قال الاستاذ «الجزيري» - رحمه الله - في صدر كتابته على حديث «الظلم والشح»^(٢) : «كل الناس يعرفون معنى الظلم، ويدركون معنى العدوان على النفس والأعراض والأموال والحقوق العامة والخاصة، فإذا اعتدى أحد على غيره في نفسه أو ماله أو عرضه، أو سلبه حقا من حقوقه فقد ظلمه، ومن يفعل ذلك فقد خسر خسارانا مبينا وكان عرضة للهلاك في الدنيا والآخرة» . وهو - رحمه الله - منصف في حمل الحديث على هذا المعنى؛ لأنه لا يكاد يَحْتَمِلُ غيره، وإن كان ذلك في حقيقة الأمر نوعا من أنواع الظلم، على ما نوضحه .

ذلك بأننا نجد القرآن المبين، وقد ذم الظلم وأهله مائة

مرة ونيفاً، يطلق «الظلم» في أغلب الأحيان على معنى عام، هو مخالفة أمر الله وتعدي حدوده التي حد لعباده، فيشمل كبائر الذنوب وصغائرها أيا كان نوعها ومناطقها . ومن هنا نقل الراغب عن بعض الحكماء أن الظلم ثلاثة؛ ظلم بين الإنسان وبين الله - تعالى - وأعظمه الكفر والشرك والنفاق؛ ولذلك قال :

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)؛ وظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله :

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) . وظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله :

﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾^(٥) . وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس؛ فإن الإنسان أول ما يهيم بالمعصية فقد ظلم نفسه وعدا عليها وعرضها لسخط الله - عز وجل - ولذلك قال الله - تعالى - في غير موضع :

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٦)

ولا ريب أن من ظلم نفسه التي بين جنبيه كان لغيره أظلم، وإن كان يجهل أو يتجاهل أنه ظالم لنفسه؛ لأنه يتجلى له ظلمه في صورة المنفعة، وتتمثل له نفسه في صورة الأخيار المصلحين . وهكذا شأن الظالمين المجرمين . ويؤيد هذا الذي

(١) هود (١٠٢) .

(٢) أنظره في المجلد الحادي عشر من هذه المجلة ص ٣٩٤ .

(٣) لقمان (١٣) .

(٤) الشورى (٤٠) .

(٥) فاطر (٣٢) .

(٦) البقرة (٥٧) .



الإملاء إلا اعتوا وفسادا، وبالغت الرسل في نصحتهم فلم تزدتهم النصيحة إلا بغيا وعنادا:

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾^(٩)

إملاء الله للظالمين

وإملاء الله للظالمين هو إرجاء عقوبتهم، وإمهالهم إلى أجل مسمى، مع إمدادهم بالنعم وإمتاعهم بزهرة الدنيا وزينتها، مكرا بهم وكيدا لهم؛ ليزدادوا إثما وبغيا وطغيانا وكفرا. حق عليهم ذلك بما أفسدوا من فطرة الله وكفروا بأنعم الله، واغترروا بحلمه - تعالى - وما علموا أن الله يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

ولعل من حكمته - تعالى - في هذا الإملاء، وله الحجة البالغة، أن يُعذر إلى الظالمين^(١٠)، لئلا تكون لهم عند الله حجة، ولا تنفعهم لديه معذرة. وعسى أن يكون في بعضهم أثارة من خير، فيتذكر ما قدمت يدها، ويندم على ما فرط في جنب الله:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُ لَكُمْ﴾^(١١).

هذا إلى ما كتب الله للأرض من أجل تبلغ فيه عمارتها، وتأخذ فيه زخرفها وزينتها:

نقله الراغب ما يؤثر عن علي - رضى الله عنه - في بعض خطبه «ألا وإن الظلم ثلاثة؛ فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(٧) وأما الظلم

الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات^(٨) وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا. القصاص هناك شديد، ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه.

المراد بالظلم فى الحديث

وواضح بعد أقسام الظلم التى أوضحنا أن المراد به فى الحديث ما يشملها جميعا؛ من الإفساد فى الأرض والتعالى فيها، وانتهاك حرمة الله وحرمة عباد، ويتناول ذلك أول ما يتناول الاستهزاء بالرسل وما جاءوا به، وذلك أقبح الظلم وأشنع. وهو - ولا ريب - دركات متفاوتة بتفاوت الظالمين فى الشر والإفساد.

ويؤيد هذا المعنى العام الذى ذهبنا إليه، استشهاد عليه السلام بالآية الكريمة فى وعيد الظالمين وتهديدهم، بأن عاقبتهم هى عاقبة المكذبين لرسولهم؛ من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم موسى، ومن إليهم. وقد أملى لهم الله فلم يزدتهم

(٨) الأمور الحقية، وأراد بها الإمام: صفات الذنوب.

(٧) النساء (٤٨).

(٩) غافر (٢١).

(١٠) يزيل غرهم، فلا يبقى لهم موضعا للاعتذار، وفى حديث البخارى: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

(١١) الشورى (٢٥).



ما هو أشد أثرا في النفوس، وأفعل فتكا في الأمم، ألا وهو فقدان عزتها وذهاب قوميتها واستعباد الأمم لها حتى يهيى بناؤها وتنقسم عروتها وتصبح مثلا في الأذلين. ومن الأدلة على هذا ما نشاهده من أن الأمة القوية إذا غلبت على أمرها فإنها تؤثر الفناء على الاستعباد، وتختار الهلاك في سبيل عزتها على البقاء على ربة الذل والهون. وما أحكم أبا الطيب إذ يقول:

ذَلَّ مِنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيشَ

رُبَّ عَيْشٍ أَخْفَ مِنْهُ الْحِمَامُ

ومن ضروب الأخذ، أن يبتلى الله ظالما بظالم، وينتقم من فاسق بفاسق، ثم ينتقم منهم جميعا؛ وها هي ذى بلاد البغى والفجور، لا تزال غارقة في بحار من الدماء، هائمة في وديان من البؤس والشقاء، بما اقترفوا من الشهوات، واجتروا من فنون الموبقات؛ كما اعترف بذلك أساطينهم، وأهل الرأي فيهم:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارَعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ (١٥)

وليقرأ في قصص القرآن، وفي تاريخ الممالك والدول، وفي قضاء الله - تعالى - في بنى إسرائيل وأشباههم - من شاء أن يتبين قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦)

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١٢).

جزاء الظالمين

ومن العدل الإلهي، وقد حرم الله الظلم على نفسه، ووكد تحريمه على عباده، أن يجعل عقابه أليما، وجزاء وخيما، وقد قص - سبحانه - من أنباء الظالمين، أفرادا وأمما، ما فيه العبر الناجعة، والعظات البالغة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع؛ فصل أخذ للظالمين في مئين من آي الذكر، وأجمله في غير آية منه:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَارِسَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ لَهَا لَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٣).

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٤).

وليس أخذ الله للظالمين مقصورا على الإهلاك الحسى، والتدمير المرئى، بل إن من ضروب الأخذ

(١٣) النحل (١١٢، ١١٣).

(١٥) الرعد (٣١).

(١٢) النحل (٦١).

(١٤) العنكبوت (٤٠).

(١٦) الأنعام (١٢٩).



وبركة نبيهم ﷺ، فهل لهم في ذلك معتبر؟
ومن شؤم الظلم أن عقوبته تعم الظالمين
وغيرهم، يؤيد ذلك قوله تعالى:

﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (٢١)

وكذلك ما رواه الشيخان عن زينب بنت
جحش - رضى الله عنها - أنها سألت رسول الله
ﷺ: أنهلك وفيما الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر
الخبث!

أما بعد، فهذا بعض عقاب الله للظالمين، على
ما مضت به سنته، وجرت به عادته. ولا ملجأ
لهم من بطشه وأخذه، إلا أن يثوبوا إلى رشدهم،
ويكفوا عن ظلمهم، ويؤدوا حقوق الله وحقوق
عباده:

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ
مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٢٢)

فإن لم يفعلوا فليصبروا على عذاب الله في
الدنيا:

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (٢٣).

ومن أنواع العقوبة على الظلم، أن تفترق
الأمة أحزابا وشيعا، فيتصدع جمعها،
وتختلف كلمتها، وتتشعب أهواؤها، فيطمع
العدو فيها، ويهون عليه أمرها. وهذا الذى
أنزله الله بالأمة الحمدية لما ظلمت نفسها
وحادت عن تعاليم نبيها. روى البخارى عن
جابر - رضى الله عنه - قال: لما نزلت هذه
الآية:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ (١٧).

قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك! قال:
﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ (١٨) قال: أعوذ
بوجهك!

﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (١٩)
قال رسول الله ﷺ: هذا أهون أو هذا
أيسر (٢٠)».

وقد جمعت هذه الأمة من المنكرات ما
تفرق فى الأمم السابقة مما تستحق على بعضه
عذاب الاستئصال، ولكن الله حماهم منه

(١٨) الأنعام (٦٥)

(١٧) الأنعام (٦٥)

(١٩) الأنعام (٦٥)

(٢٠) الشك من الراوى، وانظر شرح الحديث فى المجلد الثانى عشر ص ٢٧٣.

(٢٢) البقرة (١٢٣).

(٢١) الأنفال (٢٥)

(٢٣) طه (١٢٧)



جلسة هادئة وحوار بناء

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

جلسنا صاحبي وأنا في هدوء نتحاور ونتبادل أطراف الحديث في ودٍ ظاهرٍ وتحاور حوار المتفقين وإن كان اتفاقنا لا يعنى تطابق وجهات النظر في كل شيء! إذ أن هناك بعض اختلاف بل واختلاف كثير، لكنه اختلاف في الفهم واختلاف عقول واعية. وليس اختلاف قلوب - نعوذ بالله من ذلك - فاختلاف العقول أمر وارد ومقبول ودليل الصحة النفسية والعقلية وهو كما يقولون لا يفسد للود قضية بل ربما يزيد الود، فإن المناظرة تثرى المعلومات وتقوى الرغبة في التعلم وذلك هدف طلاب المعرفة فاختلاف العقول مقبول ومحمود.

أما اختلاف القلوب - نعوذ بالله منه - فهو غير مقبول ولا محمود بل يصعب جمعها وتآلفها إذا تنافرت - إلا من رحم ربك - وكما يقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافــر ودها

مثل الزجاجـة كسرها لا يجبر

بادرنى صاحبي قائلاً: لفت نظري في نهاية حديثك السابق وأنت تتكلم عن نفحات الإسراء أنك لم تجعلها في شكل منحة أو هدية من السماء أو جائزة مثلاً. فأغلب الناس يفسرونها كذلك. وبعضهم يقصرها على عطاء دنيوى مادي ولكنى أحس أن تفسيرك مختلف فما قولك؟

قلت: عافاك الله يا صاحبي وبارك فيك لقد سألت عن عظيم وهو يسير على من يسره الله له فأغلب الناس يفهم النفحة جائزة مادية دنيوية في أغلب الأحيان أما أنا فأراها أكثر في الأمور المعنوية التي تزيد الإيمان بالله والمعرفة والعلم به

سبحانه وتعالى ونماء اليقين في القلب .

قال : كيف ؟

قلت : أكثر شيء يوضح المسألة ويزيدها بياناً المثال وخير ما نهتدى به هو حديث رسول الله ﷺ ففيه خير مثال وخير جواب .

عن الحارث بن مالك الأنصاري : أنه مر بالنبى ﷺ « يوماً » ودار بينهما الحوار الآتى :

قال النبى ﷺ : « كيف أصبحت يا حارثة ؟ »

حارثة : « أصبحت مؤمناً حقاً . »

النبى ﷺ : انظر ما تقول ؟ فإن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟

حارثة : « عرفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأطعمت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها - يضحجون ويتصايحون - »

النبى ﷺ : « يا حارثة عرفت فالزم ثم قال النبى ﷺ : مؤمن نور الله قلبه » (١) .

ولما رأى الناس شدة يقين الإمام - على كرم الله وجهه - كآنه خيل إليهم أنه يعايش الله ويراه .

فقالوا : له هل رأيت ربك ؟

فأجاب فى ثقة ويقين : وهل أعبد ما لا أرى ؟

وقال أحد الصوفية : لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً .

بمعنى أن إيمانه بالغيب وبما أخبر به - سبحانه وتعالى - من أمور غيبية إيمان ثابت لا يشوبه ريب . ثابت لا يتزعزع ، ليس فى حاجة إلى يقين بعد قول - الله تعالى - أو إخبار الصادق المصدق ﷺ . فى هذا الجو المضمخ باليقين نفهم قول النبى ﷺ لما قيل له : إن بنى حارثة أخبروا بأن رسول الله ﷺ اتجه فى صلاته إلى الكعبة بعد أن كانت القبلة إلى بيت المقدس فتحولوا وهم فى صلاتهم بمسجدهم ذو القبلتين .

قال النبى ﷺ يصف هذه الاستجابة الفورية والتصديق اليقيني : « أولئك قوم يؤمنون بالغيب . »

هذه فى رأى هى النفحات المرجوة والجديرة بأن تسمى نفحات .

(١) مجمع الزوائد ج ١ ص ٥٧ ، الطبرانى فى الكبير ، البزار .



اللهم زد في إيماننا وقو يقيننا وأرزقنا من اليقين ما تبلغنا به جنتك ومن الخوف ما تجنبنا به معاصيك .

على أنني لا أقول بنفى النفحات الدنيوية التي تتمثل في تيسير الأمور ويسر المعيشة فذلك يكسب الرضا، والرضا يجلبه أيضا .
قال صاحبي : أراك طوحت بعيداً .

قلت مبادراً : أنا لا أتخيل حديثي معك درساً محدداً يلقي في مدرسة ثانوية نلتزم به سوياً أنا وأنت ، لأننا مطالبون أن ننتهي من منهج محدد في وقت محدد، إنما هي : « جلسة هادئة وحوار بناء » فذلك يعطيني الحرية في التنقل بين موضوعات عدة أحسب أنك وأمثالك من الشباب في حاجة إليها خصوصاً وأننا نتكلم في موضوعات عن التصوف، وأحسب أن التصوف واصطلاحاته في حاجة إلى كثير بيان وتحديد، وأن الصوفية أنفسهم في حاجة - الآن - إلى ترشيد وتقويم وفحص وبيان حيث قد اختلط الأمر لا أقول على كثير من الناس بل على كثير ممن يزعمون أنهم من رجال التصوف، وأصبح الأمر عند كثير منهم في أحسن حالاتهم هو جمع الاتباع وكثرة المترددين بكلمات فيها من الذكاء الفطري وفيها من الهلامية وعدم التحديد ما يجعل الأمر ميسوراً مرغوباً فيه عند الزائر والمزور لأسباب تخص كل واحد منهما وترضيه، ولا علاقة لها بالتصوف كتيرية ومنهج فالتصوف هو : العمل على الوصول إلى المعرفة واليقين اللذين أشرنا إليهما بحديث النبي - ﷺ - السابق فهل تجد في مجالس القوم ما يقرب إلى هذه الأهداف أو يرغب فيها ؟! أو من يعمل من أجلها ؟!

وتاملت وقع كلماتي على صاحبي وأدركت من ملامحه شبه تحفز هو أقرب إلى النفور لصعوبة الموضوع، فبادرته على الفور بأن هذا الموضوع سوف نتناوله في أحاديث آخر، فهون عليك ولا تضرع .

وقبل أن أعلق بكلام بادرني قائلاً : ما الذي تحمله في رفق بين يديك في إعزاز ظاهر، قلت على الفور : إنها جبة شيخى أرجو بركته بإذن - الله تعالى -

قال - مقاطعاً : ما الذي حملك على هذا ؟! قلت : وأى شيء في هذا ؟! إننى باختصار شديد أعمل بنص القرآن الكريم، وليس فيما أفعل خروج عن الشرع، فأنا فعلت ما أشار به نبي على نبي بامر - الله تعالى - ألم تقرأ يا أخى سورة يوسف حيث يقول - الله تعالى - على لسان سيدنا يوسف - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - لما أصاب والده يعقوب - عليه السلام - العمى وكف بصره قال - عليه السلام :

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾^(٢) وهذا الكلام صادر من نبي موجه إلى نبي وحكاه رب العزة ولم يعترض سيدنا يعقوب النبي ويرفض عرض الابن « النبي » بدعوى أن فيه شركاً أو خروجاً عن أمر الله، بل استعجاب وامتنل للأمر فكان فيه - بإذن الله - الشفاء ورد البصر، وفوق ذلك فإن الأب « النبي » يعقوب - عليه السلام - ما إن تحرك الركب المبارك بالقميص من عند يوسف « النبي » حتى أدرك الأب شذى عبق به الكون كله فهتف على الفور قائلاً: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾^(٣).

فهل فيما أفعله أنا من غضاضة أو شرك؟ إن الأمر في رأيي أكبر من هذه القضية، فنحن في حاجة إلى أن نتصالح مع أنفسنا ونقيم الأمور والتراث تقيماً معتدلاً بعيداً عن التعصب والعصبية.

فأنا أقول وأكرر: إن المسلمين في حاجة إلى قراءة متأنية لكتاب - الله تعالى - بعيداً عن صخب الأشرطة ومكبرات الصوت، كما أننا ونحن نقلب في التراث في حاجة إلى أن نقلب العقول ونجدد شبابها ونزيل عنها غبار تراكمات حجبت عنا كثيراً من نضارة الوحي، تكشف أبعاداً من سعة التشريع.

أقول هذا بمناسبة إحساسى بأننا منذ أكثر من ستمائة سنة نعيش حالة على ما قدمه أسلافنا ذوو العقول النيرة. ونحن في الواقع لم نقدم شيئاً إلا الشرح والاختصار في أكثر الأوقات وفي أقلها تقدم عرضاً وافياً لما أبدعوه.

هذا إلى جانب فكرة المؤامرة التي تسيطر علينا في كل حياتنا السياسية والعلمية، فنحن أسرى هذه الفكرة إلى درجة تصنيفنا بالحيرة حتى يسيطر علينا العجز

إن التآمر على أى أمة قائم وموجود ولسنا بدعاً بين الأمم، لكننا نبالغ فيما نتناوله ونتعصب لما نتوهم ونرفض أى حوار قد ينقذنا من عواقب تحقيق بنا أو بترائنا.

قال صاحبي: لقد استدرجتنا إلى حوار الكرامات والتبركات وتلك قضايا صوفية أحسب أنها تدخل ضمن ما اتفقنا على تأجيله.

قلت: لا تشرب عليك يغفر الله لى ولك، لقد اتفقنا على الحديث فى

موضوعات صوفية فى حلقات قادمة وأنا عند اتفاقنا لكنك أنت الذى اثرتنى باعتراضك على حفاوتى بجبة شيخى وزعمت أن ما أفعله يخالف الشرع فقلت لك: إننى متبع لا مبتدع، متبع لنبي ابن نبي قال عنه رسول الله ﷺ «الكريم بن الكريم»

ثم أردفت قائلاً: دعك من اللجاجة واللدد، فنحن طلاب حق نسعى إليه، وأرجو أن لا يكون هدفنا مجرد الغلبة والنصر.

وتعال بنا إلى ساحة القرآن الكريم. وتأمل معى قوله تعالى :

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بِصِيرًا ﴾. وتأمل معى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾^(٤).

تأمل فى الآية الأولى جملة ﴿ يَأْتِ بِصِيرًا ﴾ وهى قول سيدنا يوسف وتأمل فى الآية الثانية جملة ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ ألا توحى الآية الأولى بمجىء سيدنا يعقوب إلى مصر، حيث يوسف عليه السلام؟ وذلك غيب أعلمه الله نبيه يوسف - عليه السلام - مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ ﴿٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ ﴾^(٥)

فأخبر النبى يوسف - عليه السلام - بهذا الغيب فى رفقٍ مغلف حتى يكاد المتعجل لا يدركه وهو يقرأ فى عجلة، أن الفعل اختلف مع البشير حين قدم بالقميص فلم يقل فآلقاه على وجهه فأتى بصيرا لأن البشير لم يعلم مراد الله ولا يصلح الفعل ساعتها وهما «البشير وسيدنا يوسف» فى بيت المقدس معا.

أليس هذا من وهج الكلمات وإيماء بمعان ودلالات لا يمكن أن يستخدمها إنسان لتؤدى هذا المعنى القاهر المعجز، للقرآن حين تشرق كلماته، وأحسب أن العجز البشرى يكون واضحاً فى ترجمة القرآن أيضاً أكثر من ذلك.

(٥) الجن (٢٦، ٢٧).

(٤) يوسف (٩٦).

مواقف إسلامية .. وتكاليف الحُرمة

للمؤلف الدكتور / محمود عمارة

عن عكرمة عن ابن عباس
« أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث.
كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته.
فقال النبي ﷺ للعباس: يا عباس: ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟
فقال النبي ﷺ لبريرة: لو راجعته. قالت: يا رسول الله: تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي
فيه»^(١).

وفي رواية ابن ماجه: [فإنه أبو ولدك].
وفي رواية [لو أعطاني كذا وكذا ما كنت عنده].. علامة على شدة البغض.

المحبة التي سببها الخير.

تمهيد:

يقول: «ابن مسكويه» في كتابه (تهذيب الأخلاق):
ومنها ما ينعقد بطيئا. وينحل سريعا. وهي
المحبة التي تكون بسبب المنافع.

المحبة أربعة أنواع: منها ما ينعقد سريعا.
وينحل سريعا. وهي المحبة التي تكون بسبب
اللذة فقط.

ومنها ما ينعقد بطيئا. وينحل بطيئا. وهي
المحبة التي تتركب من هذه الأنواع كلها، وهي:
محبة الزوجين كل منهما للآخر. فإن فيها
اللذة المشتركة.

ومنها ما ينعقد سريعا. وينحل بطيئا.. وهي

(١) البخارى - كتاب الطلاق ٤٠٨/٩.



فمن بعد هذا الوصل والود كله
أكان جميلا منك .. تهجر هكذا؟!
وفى نفس اللحظة .. ومن وحى الإباء .. إباء
بريرة .. أتخيلها ترد عليه قائلة فى تحد وإصرار:
لو أراد البعد عنى
نور عينى .. ما تبعته
إن قلبى .. وهو قلبى
لو تجنى .. ما تبعته!
كل شىء من رقيقى
ما خلا الغدر .. احتمله!!
ويبدو أن «مغيثا» لم يغدر .. ولم يخن عهد
الوفاء .. ولكنها تكاليف الحرية .. التى ذاقت
بريرة طعمها بالعنق ويفرض عليها الإحساس
بها .. أن تتحرر من أن تكون تحت رحمة عبد ..
مملوك .. فاتخذت قرارها الصعب بخلع ..
مغيث .. وإن كان رد الفعل مر المذاق فى حلق
وليدها الذى يبدو بين يديها يتيما .. وإن كان
والداه أحياء!
لقد كان من ثمرات الحرية بزوغ قيمة
التضحية .. التضحية فى سبيلها بكل نفيس!
ولا عليها إذا صار مغيث على ما قيل:
لا جزى الله دمع عيني خيرا
وجزى الله كل خير لسانى
نمّ دمعى .. فليس يكتّم شيئا
ووجدت اللسان ذا كتمان!!
لقد كان من سوء حظه أن يكون تحت رحمة
المخلوق الضعيف ..
والذى كانت قوته فى ضعفه، إن المرأة التى

والخيرات المتبادلة . والمنافع المختلطة . وهما
يتعاونان عليها:
فالمرأة تنتظر من زوجها الحبّ . وهو ينتظر منها
الحفظ لتثمر الحبة فلا تضيع . ومتى قصر
أحدهما .. اختلفت المحبة وحدث الخلاف
بينهما» .
وفى قصة بريرة لا ندرى : هل انعقد الحب
بينهما سريعا .. أم انعقد بطيئا ؟ لا تهمنى هنا
البداية ، والذى نعلمه : أنه انحل بطيئا كما تفيد
الرواية القائلة إنه كان لزوجها منها أولادا ..
ويعنى ذلك : طول مدة الوفاق .. والذى ظهر
من بعد أنه كان يخفى من ورائه تراكمات من
الخلافات انفجرت فجأة .. وعلى غير ميعاد ..
وصار أمر الزواج على ما قيل :
ويلاه إن هى واصلت أو باعدت
وقع السهام .. ونزعهن أليم
فإذا كان ذلك التباعد من قبل الزوجة .. وبعد
هذا الزمان المتطاوّل .. وفى البيت زغب
الحواصل .. يتضورون جوعا إلى رعاية الأب ..
وحنان الأم .. فإن الألم عندئذ يبلغ درجة
التشيع .
فليس من فوقه مزيد .. ولا من بعده جديد ..
وذلك حال «مغيث» زوج بريرة .. والذى كان
يدور معها فى سكك المدينة يخطب ودها ..
ولكن «مغيثا» لم يجد من مغيث!!
وكأنى به يبثها شكواه أو نجواه بما قاله هائم
على درب الحب :
وبتنا وما بينى وبينك ثالث
كزوج حمام .. أو كفصنين هكذا





تحب يوما .. بكل قلبها .. سوف تنتقم غدا ..
وبلا قلب!
ولقد كان الوفاء يفرض عليها أن تعفى
«مغيثا» من هذا الهوان .. على قارعة الطريق
ذاهبا آيبا من خلفها .. منطلقة من قول الشاعر:
أحسن إلى الأعداء والأصدقاء

فإنما أنس القلوب الصفاء
لكنها لم تفعل .. منطلقة من قاعدة تقول:
أيها الباحث عن شريكة الحياة المناسبة .. كن
أنت قبل ذلك مناسبا!
ولم يعد مغيث في ظل الوضع الجديد مناسبا!
وإذا كان من عادة الرفاق أنه إذا تصورت
رفيقك ضاحكا .. اشتقت إليه وإذا تخيلته
باكيا .. أشفت عليه .. وإذا كانت هذه إحدى
قواعد التعامل بين الرفاق .. فإن بريرة .. لم
تتخيل رفيق الأمس يبكي .. بل رأته فعلا وعلى
الطبيعة .. وها هي ذى دموعه تتخلل لحيته .. ولا
قلب هناك ..

من دروس المشاهدة



كان الرجل الصالح يقول لصديقه الغني:
هذا «السائل الذى يطرق بابك .. هو هدية
الله - تعالى - إليك .. فأحسن استقباله».
وبنفس القوة كنت اعتبر دعوتى إلى مجلس
من مجالس الصلح هو هدية الله - تعالى - إلى ..
وكنت أحاول حسن استقبالها بدراستها،
وأحيانا تسفر الدراسة عن العثور على مفتاح
الموقف كله:

إن القلوب إذا تنافروا ودها

مثل الزجاجة كسرهما لا يجبر.

المفارقة العجيبة

لقد كان من وصايا الإسلام أن يحسن
الرجل عشرة زوجته .. بمثل هذه الوصايا:
ألا يعبس فى وجهها بغير ذنب .. وألا
يكون فظا غليظا .. ولا مظهرا ميلا إلى غيرها ..
ولكن موقف «بريرة» من «مغيث» عكس
القضية! .. على نحو أكد لنا صدق من قال:
إذا كان هناك رجال لا تتفتح لهم الأبواب ..



٣

وفى الاجتماع

لكل مجتمع تقاليدته التى اصطلح عليها.
وعاداته التى تكونت على مر السنين ..

ومنهما عادات وتقاليد لا تصطدم بحقائق
الدين .. فإذا وجدنا من يخرج على هذه
العادات .. فمن حقنا أن نتساءل وأن نتعجب ..
وقد تعجب ﷺ من الموقف، فقد جرت العادة أن
الحب لا يكون إلا محبوباً .. والعكس صحيح ..

ومن ذلك قول أحدهم لمن معه مشيراً إلى رجل
أت من بعيد :

هذا الرجل القادم يحبني .. فلما سئل فى ذلك
قال : لأننى أحبه !

وكأنما هناك بين القلوب رسائل موجهة عبر
الأثير .. والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها
اثتلف .

ولكن موقف بريرة هنا كان استثناء من هذه
القاعدة .. وهذا سر تعجبه ﷺ .. والذى بلغ من
قوته أنه يعجب منه العباس - رضى الله عنه -
وكأنما كانت شحنة التعجب أكبر من أن يتحملها
واحد .. بمفرده !

٤

يجوز لمن كانت له مكانة مرموقة فى المجتمع ..
ولو كان الحاكم نفسه .. يجوز له أن يشفع عند
الخصم فى خصمه ليحط عنه . أو يسقط .. أو

فقد تكون الأزمة بين الحموات .. وقد يكون
النفور بين الزوجين ..

فى الحالة الأولى : فأهل الزوجين يملكون
الحل .. بالتخلى عن زوجين حبيبين .. إن حاميتها
هنا هو : حراميتها !

أما إذا كان النفور بين الزوجين أحدهما .. أو
كليهما .. فإن الأمر يختلف .. وينبغى البدء فى
اتخاذ الإجراءات التى تجسم الموقف : رأياً
للصدع .. أو الطلاق !!

ربما كانت المشكلة مالية .. وهنا لابد من
التقشف .

وربما كانت غشماً .. وهنا تكون الوصاة
بالصبر .

لكن المشكلة إذا كانت « عاطفية » فلا حيلة
لنا .. لأن القلوب بيد الله - سبحانه وتعالى .

وهذا ما فعله ﷺ .. عندما لم يفرض على
بريرة أن تعود وهى كارهة .

٢

من أدب الصجبة

ينبغى أن ينبه الصديق صديقه .. وليعتبر
بآيات الله - تعالى - فى الأنفس والآفاق .

فقد فعل ﷺ ذلك .. حين عجب العباس من
حب مغيث بريرة .. ونفرتها منه .

إنها آية من آيات الله - تعالى - ينبغى أن نمر
عليها ونحن أيقاظ .. لا معرضون .





يحملنا على الظن بأنه لم يولد فى يوم وليلة وإنما تخلق على المدى الطويل .. ثم ظهر على السطح لما فاض الكأس!

ويعنى ذلك أن الزوجة قد تبغض زوجها أشد البغض .. ثم لا يظهر ذلك .. ولا ترتب عليه آثاره .. بل هى مطيعة له حافظة غيبته مادامت علاقة الزوجية قائمة . فإذا جاءت ساعة الصفر . تغير كل شىء .. إلى الحد الذى يتدخل فيه الحاكم لفض هذا الاشتباك .. دون جدوى وقد كانت بريرة جديرة بالاحترام :

أ- بما أظهرت من فقهها الذى به عرفت أن أمره ﷺ لا يخالف .. إلا إذا كان على سبيل الشفاعة .

ب- ثم بأدبها فى الخطاب لما قالت : لا حاجة لى فيه .. ولم تصرح برد الشفاعة . وحتى لما تصاعد نفورها لم تزد على أن قالت : لا عود إليه .. ولو أعطانى كذا وكذا ..

تكتفى بذلك غير معرضة بأسباب هذا النفور مما يحرج الرجل الذى هو على أى حال .. وإن لم يعد زوجها .. فقد بقى «أبا» لوحيدها .. الذى كان من حبها له أن يظل أبوه كريما!!

٧

يشير الحديث الشريف إلى قانون من قوانين النفس الإنسانية وهو: أن فرط الحب مضر ..

يتنازل عن الدعوى برمتها، على أن يتم ذلك فى جو من اللطف والتودد .

٥

درس للخلاط

إذا خير الشريك بين مباحين .. فأثر اختيار ما ينفعه .. لم يلحقه لوم .. حتى ولو أضر اختياره برقيقه .. وعلينا أن نلتمس له العذر .. ما دام ذلك الاختيار قد تم بغير اختياره .

لقد كان من مصلحة «مغيث» أن تعود إليه «بريرة» لكن ذلك العود لم يكن حميدا بالنسبة لها .. فلا ضير عليها حتى الساعى بينهما يكون مأجورا .. وإن لم تنقض الحاجة على يديه .. ولو كان هذا الساعى أعلى مرتبة ممن يرجوه فإن ذلك لا يقدم فى موقف المشفوع عنده .. فالأشخاص تتوارى وتبقى المصلحة الحقيقية سيدة الموقف .

٦

فى آداب الزوجية

كان نفور «بريرة» ظاهرا . وكان العزم على الفراق أكيدا .. بدليل :

أ- كان لها منه ولد . ومع ذلك لم يرق ليطمه قلبها .

ب- ومع ذلك تعتذر عن العود إليه حتى لو أعطاه كذا وكذا!

ونستطيع أن نقول : إن حجم النفور هنا





والحزم.. ليخفف على الأقل من حدة التوتر.. وهو درس للفارغين اليوم.. الذين يسمنون على «حكايات» الآخرين.. والتي تغذى فيهم غريزة حب الاستطلاع.. والتي يشبعونها بما تصنعه مخيلاتهم من أقوال وأفعال.. غافلين عن دورة الفلك.. والتي سوف تنتزعهم من دنياهم المؤثرة.. ليشرّبوا من نفس الكأس.. غدا.. أو بعد غد ليكونوا على ما يقول الشاعر:

بينما يرى الإنسان فيها مخبرا
حتى يرى خبرا من الأخبار

١٠

والموقف درس للذين يعرفون نعمة الزوجة ثم ينكرونها.. غير مستشعرين من طول الألفة أنهم يملكون بالزوجة الوفية كنزا، كنزا من الحب والوفاء يغنيهم عن كل نساء الدنيا.. وقد لا تملك الزوجة رياشا.. لكنها فى الميزان أثقل ممن يملكن الرياش.. ويجدد بهن الفراش!

ويا لها من نعمة على المحبين سابغة، تالله لقد سبق القوم.. السعاة وهم على ظهير الفرش نائمون.

وقد تقدموا الركب بمراحل.. وهم فى سيرهم واقفون.

هذا الأنموذج الذى يصوره المنصفون فيقولون:

ذلك بأنه يذهب بالحياء.. كما بدا من مشهد «مغيث» وهو يطوف خلف «بريرة» يبكى عبر الطرق.. وتفرض الرجولة على الرجل أن يتجمل.. لتبقى له بقية من الحياء- يستأنف بها الحياة!

٨

إن الحب والبغض واردان فى حياة الزوجين.. ولا لوم فيه.. لأنه اضطرارى لا حيله لهما فيه.. ولا ملام أيضا لو تطورت العاطفة فكانت عاصفة من البكاء والنشيج.. ولا يخدش ذلك معنى الرجولة.. ولا بأس أن يبكى الرجل على حظوظه الدنيوية.. وبخاصة على الزوجة الوفية.. لا كما يتباكى الفارغون اليوم قائلين:

خلقت الجمال لنا آية وقلت ألا يا عبادى اتقون.

وأنت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون!

ولكن قلب العابد يحب.. وعقله فيه ودينه!

٩

ولا يجلس المجتمع هنا على كراسى المتفرجين.. تاركا الأمور تجرى فى أعنتها لينام خالى البال..

ولكن المجتمع المؤمن شخصه ﷺ مشغول بما يحدث فيه ثم يتدخل بمنطق الحكمة

من لى بمثل سـيـرك المدلل

تمشى رويدا.. وتجى فى الأول!
أجابوا منادى الشوق إذ نادى بهم: حى على
الفلاح.

وبذلوا نفوسهم فى طلب الوصول إلى محبوبهم.
تالله لقد حمدوا عن الوصول سُرَاهم.
وشكروا مولاهم على ما أعطاهم.
إنما يحمد القوم السرى.. عند الصباح^(٢).

١١

والحديث الشريف يحل مشكلة اجتماعية وهى:
هل يجوز للمطلق أن يكلم مطلقاته.. وفى
الطريق...؟! أو عبر الهاتف!؟
والجواب بالإيجاب.. مادام ذلك الكلام تعبيراً
عن رغبة صادقة فى عودة المياه إلى مجاريها.

١٢

لقد كان موقف بريرة باعثاً لمشاعر التعجب من
قسوة قلبها..
لكننا فى النهاية نتحول من «التعجب منها»
إلى «الإعجاب بها» فلقد كان موقفها صعباً.
ومع ذلك لم يتخل عنها فقهها ولا أدبها..
وهى تتساءل فى إخبات:
يا رسول الله: تأمرنى؟ أهو أمر.. أم شفاعة..
فإذا كان أمراً.. تجاهلت كل مشاعر راضية بما
اختاره لى رسول الله.

إنها تجسد معنى.. الالتزام بالسنة النبوية..
كأخت لها من قبل: «أم حكيم» - رضى الله
عنها - فلقد روت حديثاً يذكر فضل الإحرام من
بيت المقدس.. فتجشمت متاعب السفر إلى
هناك.. ثم أحرمت بعمره!

إنها المرأة المؤمنة التى لا تجعل قصارى دورها أن
تكون على السنة «شكلاً» لكنها قبل ذلك..
تركب الصعب.. حيث تجعل من السنة
العملية.. شرعتها فى الحياة.. ومنهاجها.

١٣

لقد فرضت تكاليف الحرية على «بريرة» أن
تبدو هكذا قاسية. والتى حملتها على أن تأخذ
هذا الموقف الغريب من رفيق العمر.
إن للحرية ضغوطها التى لا يسع الأحرار إلا
الاستجابة لها مهما كان الثمن..
لقد كان عنتره عبداً.. ولا يحسن إلا الحلاب
والصر.. أما بعد أن ظفر بالحرية فقد تغير فى
مذاقه كل شىء بالحرية.. التى كانت إكسير
حياته. فصار على ما قال هو بعد أن ظفر بها.
قد كنت فيما مضى أرعى جمالهمو
واليوم.. أحمى حماهم كلما نكبوا
وبعد:

فإن اعتزازنا بالإسلام ليتزايد ويعمق.. هذا
الإسلام الذى شرع الكفاءة بين الزوجين سبيلاً إلى
الوفاق.. هذه الكفاءة التى إذا غربت قالت لها
السعادة: خذينى معك..
وإذا حضرت.. فكل شىء إذن حضر!

سراج المسلم في العبادة والعمل

د. سنان الدكتور أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣).

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال: قلت «يا أم المؤمنين كيف كان عمل رسول الله هل كان يخص شيئاً من الأيام؟» قالت: كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع». وقال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله - تعالى - أدومها وإن قل، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها - أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال: «من هذه؟» قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه، وجاء في رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بنى أسد، وفي رواية الإمام مسلم إنها الجولاء بنت تويث بن حبيب بن أسد عبد العزى من رهط خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وقيل عنها: إنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة - رضي الله عنها - للمرأة ومدحها لها مع النهي عن المدح فلعلها أمنت عليها الفتنة فلذلك مدحتها في وجهها ولكن رواية حماد بن مسلمة عن هشام في هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة. أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده من طريقه، ولفضله «كانت عندي امرأة فلما قامت قال رسول الله ﷺ: «من هذه يا عائشة قالت: يا رسول الله هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة» الحديث.

المنقطع أما الذى يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل .

ولطالما وجه الرسول ﷺ المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله : « إذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم » (٥) .

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينيك عليك حقا ، وإنه بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها » (٦) .

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد فى الأمور كلها لا إفراط ولا تفريط قال تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (٧)

وقال :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٨) .

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

وقال :

وكلمة مه مبنية على السكون وهى اسم فعل بمعنى أكفف وهذا النهى متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت كما يحتمل أن يكون نهيا عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله وقد قال بعض الأئمة بكراهة صلاة جميع الليل ومعنى عليكم بما تطيقون أى افعلا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه ومنطوقه . يقتضى الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة ومفهومه يقتضى النهى عن تكلف ما لا يطاق ولئن كان سبب ورود هذا الحديث خاصا بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاما فى قوله : عليكم ، مع أن المخاطب النساء ومعنى « لا يمل الله حتى تملوا » - الملal هو استثقال الشئ والنفور عنه بعد محبته وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة لله - تعالى - بل هو محال ، ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازا كقوله - تعالى :

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٩) وقال الهروى :

معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فترهدوا فى الرغبة إليه وقيل : إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير لا يمل وتملون والأولى أنه من باب المقابلة ومعنى « أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه » المحبة من الله - تعالى - إرادة الثواب أى أكثر الأعمال ثوابا أدومها لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق فإن العمل الدائم ولو كان قليلا ينمو ويصبح أكثر من الكثير

(٥) أحمد ٢/٢٥٨ ، والبيهقى ١/٢٨٨ .

(٧) الأعراف (٣١) .

(٤) الشورى (٤٠) .

(٦) أخرجه البخارى .

(٨) الفرقان (٦٧) .



﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

وقال ﷺ: «هلك المتنطعون»^(٩) أى الذين يبالغون ويتشددون فى الأمور وقال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واغدوا ورحوا» وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلامية على اليسر فمعروف أن العمل القليل الذى يكون متصلاً يكون صاحبه منشراح الصدر نشيطاً للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه يصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح وقد ذم الله - تعالى - من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها فقال:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ رَعَاهَا فَمَا حَقَّ رِعَايَتُهَا﴾^(١٠)

وكثيراً ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم احتقار اليسير منها قال ﷺ: «يأنس المسلم لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» والفرسن هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف وقد قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقد

قاوم الرسول ﷺ الذين يغالون فى أعمالهم، روى أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين السارين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينة تقوم تصلى فإذا فترت قامت فتعلقت به، فقال النبى ﷺ «حلوه» ثم قال: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر

فليرقد»^(١١)، كما روى أنس - رضى الله عنه - أيضاً قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها - أى عدوها قليلة - وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١٢).

وقد حكى أن أقواماً أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعاونهم على أداء دية لزمتهم فنظروا إليه فرأوه وهو فى البستان يجمع ما يتساقط من الثمر ويميز بين الجيد والردى، فلما انتهى من عمله سألوه ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم: لقد داخلنا بعض الشك فى جودك بعد أن رأينا ما تصنعه فى البستان، فأجابهم: إن ما رأيتم من حرصى على مالى هو الذى مكننى من تحقيق غرضكم، أى أن الاعتدال فى الأمور كلها والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان مواصلة العمل، والاستمرار فى وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب عاماً وشاملاً لسائر العبادات والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم

(١٠) الحديد (٢٧).

(١٢) البخارى ٢/٧.

(٩) اتحاف السادة المتقين ٥٠/٢، فتح البارى ١٣/٢٦٧.

(١١) البخارى ٢/٦٧، وأبو داود ص ١٥.



يدع جانباً من تلك الجوانب إلا وجه المسلم إلى الاعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تقصير.

ففى جانب الأكل والشرب، قال تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

وفى جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالاعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلاً ولا مبذراً فقال تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (١٣).

وفى جانب العبادة، لم يكلف الله الناس ما لا طاقة لهم به، قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤).

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا: يارسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة

والصيام والجهاد والصدقة، قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها فقال رسول الله ﷺ «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١٥)

فلما أقر بها القوم ونطقت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها:

﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١٦).

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل قوله:

﴿لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧).

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو.. روى البخارى بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تجاوز لى عن أمتى ما وسوست به صدورهم ما لم تعمل أو تكلم».

(١٤) البقرة (٢٨٤).

(١٦) البقرة (٢٨٥).

(١٣) الإسراء (٢٩).

(١٥) البقرة (٢٨٥).

(١٧) البقرة (٢٨٦).



﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (٢١).

وإنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها، لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته والتيسير عليها ووصلوها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس.. أن رسول الله ﷺ أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعده أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه.. فقال الذى عند رجله للذى عند رأسه.. أضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفاز، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هو كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء تتبعونى؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لى أن وردت لكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعونى؟ فقالوا: بلى فقال: فإن بين أيديكم رياضاً هى أعشب من هذه وحياضاً هى أروى من هذه فاتبعونى فقالت طائفة صدق والله لتتبعنه وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه كل هذا يدل على رأفة الرسول ﷺ ورحمته بأمنته واتباعه معها طريق اليسر

وقد اجتهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى تثبيت منهج الاعتدال فى الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصاً منه على استمرارهم فى العمل ورأفة منه ورحمة بهم، وصدق الله - تعالى - إذ يقول:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٨) لقد

حرص على ترسيخ هذا المنهج المعتدل حتى أنه كان يترك - فى بعض الأحيان - بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها فتفرض عليهم، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم، وما سبىح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط وإنى لأسبحها» وهى نافلة الضحى. وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٩).

ومعنى الآية: أن الله - تعالى - يمتن على المؤمنين حيث أرسل إليهم رسولا من جنسهم وعلى لغتهم، كما دعا إبراهيم - عليه السلام - كما قال الله - تعالى - حكاية عنه:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ (٢٠).

وقال تعالى:

(١٩) التوبة (١٢٨).

(٢١) آل عمران (١٦٤).

(١٨) الأنبياء (١٠٧).

(٢٠) البقرة (١٢٩).



ﷺ فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» رواه أحمد ومسلم والنسائي.

وروى أحمد والنسائي بمعناه: عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال: أفى كل عام يارسول الله؟ فقال: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع» ومن مظاهر التيسير أن الرسول ﷺ كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سببا فى تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك فى توجيهه وإرشاده فكان ﷺ يتخول المسلمين بالموعظة كراهة السامة عن ابن مسعود قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السامة علينا وكان يخشى إذا استمر فى التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه أو يأخذ التعب طريقه إليهم فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتمكين معلوماتهم فيها من التثبيت والتركيز ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التى استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوى الحكيم، وحين بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن

والتسامح فإنه يعز عليه أن ترى شيئا يشق عليها أو حرجا تلاقيه لأنه بعث رحمة للعالمين، وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» (٢٢) فالرحمة جوهر رسالته قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والطريق إلى هذه الرحمة يسير فى اتجاهين مستقيمين مستنيرين أحدهما: فى التيسير فى التكليف والعبادات، والرحمة بالامة فى كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثانى: بدوام العمل والعبادة، واستمراره، وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم فى العبادة ودوام عليها وإن كانت قليلة داوم الله - تعالى - بإسباغ رحمته عليه، ورفقه به، ورعايته له وحبه إياه، لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله - سبحانه وتعالى -، كما قال الرسول ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله - تعالى - أدومها وإن قل» (٢٣) أما نتيجة هذا الحب من الله - تعالى - فقد بينه فيما جاء فى الحديث القدسى: فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيزنه» (٢٤).

ومن مظاهر حرص الرسول ﷺ على أمته اجتهاده معهم فى جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يتسببون به فى الزيادة ومالا يستطيعون القيام به، عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله

(٢٢) مسلم، المسافرين، رقم ٢١٨، أحمد ٦/١٦٥.

(٢٣) تفسير ابن كثير ٢٨١/٥، اتحاف السادة المتقين ١٦٢/٧.

(٢٤) اتحاف السادة المتقين ٣٣٣/٧، أحمد ٩/٥٠٩.



يكن الاقتداء به فى مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتى مثل هذه الأعمال الشاقة .

وللإجابة على هذا نقول: إن كل حكم يثبت فى حق النبى ﷺ فهو ثابت أيضا فى حق أمته إلا ما استثنى بدليل كـ بعض خصائصه ﷺ، فإن خصائص الرسول ﷺ لا يتأسى به فى جميعها وقد توقف فى ذلك إمام الحرمين وقال أبو شامة: ليس لأحد التشبه به فى المباح كزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه « كالأكل من الصدقة ويستحب التشبه به فى الواجب عليه كالضحى ، قال الحافظ ابن حجر: وأما المستحب، أى فى حقه ﷺ فلم يتعرض له والوصال فيه - أى وصال الصيام - من قبيل المستحب فى حق النبى ﷺ فيحتمل أن يقال: إن لم ينه عنه لم يمنع الإتياء به فيه ولعل مراده بقوله: « إن لم ينه عنه » أى بالنسبة لبعض الناس وفى بعض الأحوال وهذا نادر وأما الأعم الأغلب فهو ما ورد بشأنه السنة الصحيحة الصريحة فى ذلك فى النهى عن الوصال، روى الإمام البخارى - رحمه الله - بسنده: عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: « إياكم والوصال مرتين قيل: إنك تواصل قال: إني أبيت يطعمنى ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون » .

زوده بالتوجيه الكافى وأمره أن يسير على سنن التدريج معهم فيقول له: « إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم فيأيك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (٢٥) .

ويتبادر هنا سؤال هو، إن الله - تعالى - قد أمرنا بالافتداء بالرسول ﷺ قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢٦)

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ كان يقوم الليل متهجدا راکعا ساجدا حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله وحتى يسمع لصدره أزيز المرجل من البكاء فتقول له فى ذلك السيدة عائشة - رضى الله عنها - : أتفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيجيبها: « أفلا أكون عبدا شكورا » وكان يواصل الصيام والوصال: وهو الترك فى ليالى الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين فلم لم



الإنسان والكون بين الإيمان العلمى والإلحاد والخرافى

للدكتور / عبد الحليم عويس

نظام الكون يدل على الخالق العظيم

– الكون كتاب مفتوح تتجلى فيه آيات الإبداع الإلهى الدالة على وجود الله ووحدانيته وقدرته وهيمنته .

– ولهذا كان محور الكون من المحاور الأساسية فى كتاب الله .. القرآن الكريم

– فثمة آيات قرآنية كثيرة تتصل بالكون، وتحدث عن عوالمه المختلفة، المشاهد وغير المشاهد، والمعلوم وغير المعلوم :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ۖ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ۖ ۞ ١١ ﴾

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ ۞ ١٢ ﴾

﴿ ٧٥ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۖ ۞ ٧٦ ﴾

وكثير من الآيات تتكلم عن صور من الإبداع الإلهى فى عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الطبيعة والإنسان :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي ۖ ۞ ٧٧ ﴾

﴿ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ ۞ ٧٨ ﴾

وكثير من الآيات تتحدث عن مفردات دقيقة فى عوامل الكون . وهكذا بصفة إجمالية نجد القرآن الكريم حافلاً بالآيات العظيمة التى تشد انتباهنا وتلفت نظرنا إلى ذلك الكون البديع الذى نعيش فيه، لنرى كيف يسير بدقة وعظمة تنبئان عن أن لهذا الكون خالقاً، خَلَقَ وَقَدَّرَ وَدَبَّرَ، ومن هذه الآيات الآية التى تقول :

﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۖ ۞ ٧٩ ﴾

والسماء هى أسطح لوحة تدل على وجوب وجود الخالق

(٢) الواقعة (٧٥، ٧٦).

(٤) الإسراء (٤٤).

(١) الحاقة (٣٨، ٣٩).

(٣) فصلت (٥٣).



– فمن الذى سخره وجمعه وأمره أن ينزل الماء؟ إنه الله^(٦) سبحانه وتعالى ..

– ثم هذا هو الهواء الذى يملأ الفضاء .. فكل ذرة من ذرات ذلك الهواء الجامد الذى لا يملك شعوراً، تسمع وتعى ما يلقي إليها من الأوامر الإلهية .. فيستنشقها جميع الأحياء .. وتنقل الأصوات وتنقل الحرارة والضوء والكهرباء .. وتصير وسطاً صالحاً لتلقيح النباتات ... وغير ذلك من الوظائف، فكيف انتظمت وأدت ذرات الهواء دورها على هذا النحو؟!!

– ثم لننظر إلى المطر الذى يغدقه الله - تعالى - علينا من خزائن رحمته على صورة تلك القطرات المتهاطلة، ولذلك أطلق على المطر اسم الغيث والرحمة^(٧) .. كيف استقام أمر المطر على هذا النحو؟ وكيف أن أمما تعيش على المطر فى زراعتها وحيواناتها؟

فهل كان ذلك كله احتمالاً أو صدفة؟ وكيف بقيت هذه الصدفة ثابتة آلاف السنين؟!!

– أو أنها قدرة الله القوى اللطيف الكريم المحيط بكل شئ علماً، والذى عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وينزل الغيث، وينشر رحمته، ويمسك السموات والأرض أن تزولا .. وصدق الله العظيم القائل فى كتابه المبين:

وعظمته سبحانه بما تمتلئ به من الأجرام السماوية الضخمة التى يبلغ حجم بعضها أكبر من أرضنا ألف مرة .. والتى يسير بعضها بسرعة أكبر من انطلاق القذيفة .. تسير كلها بلا مزاحمة ولا تصادم. وتسير بلا ضوضاء ولا أعطال .. تحوى آلافاً من القناديل المضاءة التى تساعد الناس فى سيرهم. وهى تضاء بلا زيت ولا كهرباء وتحمل السماء وتجعلها زينة للناظرين^(٥).

– وما زالت السماء مع التقدم العلمى الهائل - وستبقى - مجالاً خصباً للبحث والاستكشاف، حيث يمكن القول أن ما عُرف عنها لا يساوى إلا نسبة مليونية مما يمكن أن يُعرف .. ومع ذلك فكثير من تجليات الإبداع واضحة لكل من ينظر بعقل وبصيرة معاً إلى السماء وما فيها.

– فإن من ينظر فى السماء يلمح بجلاء - لو أعمل عقله وخلصت نيته - أن السماء وما فيها مسخر ومدبر وموظف، فمن يأتى فعل ذلك بهذه القدرة الفائقة المعجزة .. إنه الله الذى لا إله إلا هو .. إنها تمضى منذ خلقت وفق ناموس لا يختل قط ..!!

– وعندما ننظر فى الفضاء ونجده معرضاً للعجائب والخوارق كذلك، ففيه السحاب المعلق بين السماء والأرض، يسقى ساكنيها بالماء، الذى هو أساس الحياة عليها، ويلطف من حرارتها.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسى: الآية الكبرى ص ٣٠-٤٢ نشر شركة سوزلر القاهرة.

(٧) المرجع السابق ص ٣٥-٣٦.

(٦) المرجع السابق ص ٣٤.





- وعبقرية فى حفظ التميز الدقيق بين الأنواع حتى فى الصنف الواحد .

- وعبقرية فى إخراج كل هذا الإعجاز من بذور ضعيفة، وبويضات ضئيلة . . ومع ذلك فمع ضعفها وضآلتها - تحمل فهرستاً كاملاً بخصائص النوع ووظائفه لاتحيد عنه!!

- وإذا تركنا السماء والفضاء والماء والهواء والمطر . . ثم أدركنا النظر إلى الركن الأسفل الذى نبصره، أى إلى الأرض التى نسير فوقها بأقدامنا وننام بأجسادنا، ويخيل إلينا أنها منبسطة ساكنة خامدة جامدة، بينما هى تمرّ السحاب، وتدور عدة دورات كما تدور عقارب الساعات .

- ومع ذلك نجد فوقها جبلاً كالأوتاد . . هائلة ضخمة رهيبة . . والعجيب أننا عندما نتأمل بفكرنا وعقلنا فى عالم الجبال والصحارى، نجد أن وظائف الجبال الكلية وفوائدها العامة من العظمة والحكمة بما يحير العقول، فمثلاً نجد بروز الجبال واندفاعها من باطن الأرض بأمر ربانى يهدئ من هيجان الأرض، ويخفف من حدتها الناجمة عن تقلباتها الباطنية، فتتخلص بذلك من الزلازل المهلكة والتصدعات المدمرة، فالجبال أوتاد للأرض تحفظ توازنها . . قال تعالى :

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾^(١٠) . وقال :

﴿وَالْقِطَنَ فِيهَا رَوْسَى﴾^(١١)، يضاف إلى

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ﴾^(٨)
 ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾^(٩)
 ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾^(١٠)

والأرض وما فوقها تدل على الخالق الكريم

- وعندما ننظر أيضا فوق الأرض، فنبصر عالم الحيوانات، وبين السماء والأرض فنبصر أسراب الطيور التى لا يمسكهن إلا الله وحده، والتى تمضى عابرة المحيطات بذاكرة كمبيوترية لا تخطئ طرقها ولا مساكنها . . . عندما يتعمق تفكير الإنسان، بعقله الواعى - فى عالم الطيور والحيوانات على هذا النحو - يجد تلك الحيوانات والطيور تتكلم بمئات الألوف من الأصوات المتباينة، والألسنة المختلفة، وسوف يجد ذلك الإنسان ثلاث حقائق عظيمة محيطة تشهد على وحدانية الله - جل جلاله - وهى : حقيقة الإيجاد والصنع والإبداع (أى حقيقة الإحياء ومنح الروح)، وحقيقة التميز مع الجمال، التى تتضح من خلال تلك المخلوقات غير المحدودة، والتى يختلف بعضها عن بعض بعلامات فارقة وبأشكال مزينة وبمقادير موزونة وبصور منسقة، ثم حقيقة خروج كل هذه الأنواع غير المحدودة من بيضات متماثلة معدودة ومن قطرات بسيطة متشابهة أو مختلفة بفارق طفيف^(٩) .

- فهل تم كل ذلك بالصدفة أو الاحتمال؟ وأى صدفة أو احتمال يصل إلى هذه العبقرية العجيبة: عبقرية عجيبة فى الإيجاد .

(٩) النورسى : الآية الكبرى ص ٥٢ - ٥٥ .

(١١) الحجر (١٩) .

(٨) الواقعة (٦٨ : ٧٠) .

(١٠) النبأ (٧) .





معنوى، وهو بحاجة إلى العلم والبصيرة، وبهما تدرك عظمة اللطيف الرحيم الذى يقيم حياة الناس والكون على كائن لطيف على هذا النحو.

والقسم الثالث: كالنور، يرى ولكن لا يحس، ولا يؤخذ ولا يستمسك، فيحتاج لعمل الكيان الإنسانى كله.. من بصيرة القلب إلى الروح.. لأن النور لا يؤخذ باليد، ولا يصاد بالأصابع، وهو يعالج بالفكر والبصيرة^(١٤).. وبالفكر (الموضوعى النقى) والبصيرة (النقية القوية) نستطيع أن ندرك بعض آفاق عظمة الله فى الكون، ولكننا سندرك أول ما ندرك أن هذا الكون لا يقوم بغير خالقه الحكيم المدير الخبير المهيمن الرحيم.

وسوف يدلنا كل شيء فى الوجود على وجوب وجود الله القدير، وعلى عظمته المطلقة من جهتين:

الجهة الأولى: قيام كل كائن من الذرات حتى المجرات، ومن النملة حتى الفيل بوظائف تفوق طاقته المحدودة بالآلاف المرات، مع أنه عاجز عن ذلك، فيشهد كل كائن بلسان عجزه على وجود الله القدير المطلق.

الجهة الثانية: توافق حركة كل كائن مع الدساتير التى تكون نظام العالم وانسجام عمله مع القوانين التى تديم توازن الموجودات، فيشهد - بهذا الانسجام والتوافق - على وجود الله العليم القدير.

ذلك مافى جوف هذه الجبال من أنواع الينابيع والمياه والمعادن والمواد والأدوية التى ادخرت بحكمة وكرم وتدبير^(١٢).

الكائنات كلها منظومة متكاملة موظفة

ومع كل ذلك، فهذه الكائنات.. تتكامل فى أداء أدوارها، وتمضى لوظائفها بحب وشوق وفاقاً لقانون المجاذبية بين السالب والموجب، والذكورة والأنوثة فى كل شيء، وحتى علاقة الإنسان نفسه بالكون، مع أنها علاقة تسخير بين (فاعل) هو الإنسان و(موضوع) هو الكون، إلا أن التسخير هنا - فى الرؤية الإسلامية - ليس تسخير إذلال وصراع، بل هو تسخير ودود كريم استثناسى، فالرسول يحب جبل أحد، كما أن جذع الشجرة كان يحن لرسول الله ﷺ...!!

- وأياً كان الأمر فإن مفردات الكون، أو مانسميه عالم الأشياء ينقسم إلى ثلاثة أقسام^(١٣):

قسم منها كالماء: يرى ويحس، ولكن لا يمسك بالأصابع.. ففى هذا القسم المادى ينبغى التجرد عن الخيالات والانغماس فيه بكليتك.. بالطرق العلمية البحتة.. وسوف تكتشف أسراراً عجيبة فى الماء وأشباهه تؤكد لك وجود الخالق العظيم.

والقسم الثانى: كالهواء، يحس ولكن لا يرى، ولا يتخذ ولا يمسك.. فهو نصف مادى ونصف

(١٢) النورسى: الآية الكبرى : ٥٥.

(١٣) النورسى: الآية الكبرى : ٥٥.

(١٤) المكان السابق.





معركة فى كتاب

هتافُ التهاافتِ

لأستاذ الدكتور / محمد عمارة

مؤلف هذا الكتاب هو ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٤ هـ، ١١٢٦ - ١١٩٨ م].. فيلسوف حكيم.. ومتكلم مسلم.. وفقه مالكي.. وقاضى القضاة.. وطبيب عظيم.. وأديب.. ولغوى.. أبداع فى ميادين هذه العلوم والفنون آثارا فكرية خالدة، تشهد على «التخصص العميق» مع «الموسوعية» التى أحاطت بكل هذه الميادين.

فله فى علم الكلام: «مناهج الأدلة فى عقائد الملة» بسط فيه الشريعة ليثبت لمن ظن - من المتكلمين - مخالفتها للحكمة والفلسفة أنهما متآخيتان.. وله فى المنهج: [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] بسط فيه الحكمة ليثبت لمن ظن - من المنتسبين إليها - مخالفتها للشريعة أنهما الأختان المثقفتان.. وله فى الفقه: [بداية المجتهد ونهاية المقتصد] وهو الذى فلسف فيه اختلافات الفقهاء.. وله فى اللغة والأدب والنحو: [تلخيص كتاب الشعر] و[الضرورى فى النحو] و[كلام على الكلمة والاسم المشتق].. وله فى الطب أكثر من عشرين كتابا، أشهرها: [كتاب الكليات].. وله فى الفلسفة - وخاصة شروحه لفلسفة أرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م] - ما يزيد على التسعين كتابا.. أما كتابه [تهافت التهافت] فلقد ذاعت شهرته، لأنه كان الميدان الذى دافع فيه ابن رشد عن الفلسفة والفلاسفة، عندما كرسه لرد الهجوم الذى شنّه عليها أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ، ١٠٥٨ - ١١١١ م].

وكما تميز ابن رشد بالاجتهاد فى كل ما كتب عنه وألف فيه، كذلك تميز «بعدالة العلماء»، التى تجعلهم متجردين للحق الذى هو رسالتهم فيما يكتبون..



فعنده: «أن العالم، بما هو عالم، إنما قصده: طلب الحق، لا إيقاع الشكوك وتحير العقول»^(١). .. و«حياة» العالم لابد أن تكون تجسيدا «لفكره» حتى يكون قدوة جاذبة للفضائل التي يبشر بها بين الناس «فإنما تكون الأقاويل التي يحث بها على السنن مقنعة، إذا كان المشيرون بها ذوى صلاح وحسن فعل، حتى تكون هذه الأشياء المذكورة ها هنا معلومة لنا وموجودة فينا، فإنه إذا وجد فينا الخلق الذي نحث عليه كان قولنا في الحث عليه أشد إقناعا»^(٢).

ولأن ابن رشد قد جمع بين الإبداع الإسلامي، في الفقه والفلسفة والكلام، وبين تقديمه لأكبر مشروعات الفلسفة اليونانية - فلسفة أرسطو - فلقد وضع منهاجا عادلا لتفاعل الأفكار بين الحضارات المختلفة، وبين المتقدمين واللاحقين.. فالعدالة مع «الذات» تقتضى العدالة مع «الآخرين».. و«قد يجب علينا أن ألفتنا لمن تقدم من الأمم السابقة نظرا في الموجودات، واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذى قالوه من ذلك، وأما ما أثبتوه فى كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه. وما كان منها غير موافق للحق، نبهنا عليه وحذرنا منه، وعذرناهم»^(٣).

ولقد أجاد «ابن الآبار» [٥٩٥ - ٦٥٨ هـ، ١١٩٩ - ١٢٦٠ م] عندما وصف ابن رشد، فقال: «كانت الدراية أغلب عليه من الرواية. درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وغير ذلك. ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلماء وفضلا. وكان، على شرفه، أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا. عنى بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سوّد فيما صنف وقيد وألف واختصر نحو من عشرة آلاف ورقة. ومال إلى علوم الأوائل، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يفرغ إلى فتواه فى الطب كما يفرغ إلى فتواه فى الفقه مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب..»^(٤).

معركة التهافت

لقد وُلد ابن رشد بعد وفاة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ، ١٠٥٨ - ١١١١ م] بخمسة عشر عاما.. أى أنه ولد وعاش فى ظل سلطان الهيمنة الفكرية للغزالي على مختلف ميادين الفكر فى عالم الإسلام.. فلما عهد سلطان «الموحدين» أبو يوسف يعقوب بن يوسف [٥٥٥ - ٥٩٥ هـ، ١١٦٠ - ١١٩٩ م] إلى ابن رشد [٥٦٤ هـ -

(١) [تهافت التهافت] ص ٦٧ طبعة القاهرة ١٣٢١ هـ سنة ١٩٠٣ م.

(٢) [تلخيص الخطابة] ص ١٤٠، ١٤١. تحقيق: د. محمد سليم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م.

(٣) [فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال] ص ٢٨. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢ م.

(٤) [إرنست رينان] [ابن رشد والرشدية] ص ٤٣٥، ٤٣٦. ترجمة عادل زعيتر. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م.





الإسلام - بوحدة الحقيقة، قد رأى أن أساليب التعبير عن الحقيقة متفاوتة بتفاوت مراتب المتكلمين ومرتبات المخاطبين في صناعة الفلسفة والبرهان.. فهناك الجمهور، الذين لا دُربة لهم على صناعة الفلسفة، ولا طاقة لهم بفقه مصطلحاتها ومفاهيمها.. ولهذا الجمهور الأساليب الخطابية والوعظية والشعرية، التي يحصلون بها يقينا مناسباً لمستوياتهم في الإدراك.

وهناك أوساط الناس، الذين ناسبتهم أساليب المتكلمين في الجدل والحجاج، دفعاً لما يرد على العقائد من شبهات.

وهناك القلة من أهل صناعة الفلسفة والحكمة والبرهان، الذين ناسبته الفلسفة عقولهم، فاتخذوا براهينها سبلاً لتحصيل اليقين.^(٥)

ولما كان الغزالي - في كتابه [تهافت الفلاسفة] - يجادل الفلاسفة، في مقولات فلسفية، فلقد عرض ابن رشد الأقاويل التي نسبها الغزالي لهم على ما رآه المعايير البرهانية، ليكشف لقراءه حظها من اليقين.. فرأيناه يفتتح كتابه - [تهافت التهافت] - ببيان هذا الغرض من تأليفه له.. «فإن الغرض من هذا القول أن نبين مراتب الأقاويل المثبتة في كتاب [التهافت] في التصديق والإقناع، وقصور أكثرها عن رتبة اليقين والبرهان»^(٦).

ولأن هذا هو منهاج ابن رشد، في كتابه هذا، رأيناه في الكثير من المسائل لا يختلف

١١٦٩م] بتقديم فلسفة أرسطو إلى الناطقين بالعربية، تقديماً يصلح عبارتها، التي أفسدها المترجمون، ويضبط معانيها، التي اختلف فيها المفسرون.. نهض ابن رشد بهذه المهمة، فقدم لأعمال أرسطو أوفى الشروح وأدق التفسيرات، حتى لقد عد الشارح الأكبر لأرسطو على النطاق العالمي.. بل ويسر هذه الفلسفة للمستويات المختلفة من القراء، وذلك عندما قدم لكل كتاب من كتبها ثلاثة شروح - المطول.. والمتوسط.. والموجز - مع إضافات وانتقادات..

وكان لابد لمن يقدم أعمال أرسطو لقراء العربية من أن يدلي بدلوه فيما كتبه الغزالي - في [تهافت الفلاسفة] - عن حكيم اليونان ومن تبعه من الفلاسفة المشائين القدماء.. فكان كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] الذي تصدى به لاتهامات الغزالي للفلاسفة.

وإذا كان ابن رشد قد قدم أدق الشروح العربية لفلسفة أرسطو، فلقد رأيناه يتتبع في كتابه هذا كل الأقاويل التي نسبها الغزالي للفلاسفة، فيقومها، كاشفاً عن حظها من الدقة، وهل بالفعل قد قال الفلاسفة أو قصدوا هذا الذي فهمه الغزالي، فنسبه إليهم، ورده عليهم؟ أم أن هذا الذي نسبته الغزالي للفلاسفة، واتهمهم به، هو فهم خاطيء وقاصر، فهمه البعض من كلامهم، وهم منه براء؟؟..

وابن رشد، الذي آمن - ككل فلاسفة

(٦) [تهافت التهافت] ص ٢٠.

(٥) [فصل المقال] ص ٥٨ - ٦٢.

غيروا مذهب القوم فى العلم الإلهى حتى صار ظنياً - من جنس الأقاويل الظنية . التى لا تبلغ مرتبة الإقناع الخطبى، فضلاً عن الجدلى .. وذلك لقلّة تحصيلهم لمذهب القدماء .. ولذلك، يحق ما يقول أبو حامد، فى غير موضع من كتبه، إن علومهم الإلهية ظنية ^(٨) . تلك هى الحقيقة، التى تحتاج إلى تدبر جديد .. وكبير! ..

المواجهة حول الأصول

وإذا كان الغزالى قد حدد - فى [تهافت الفلاسفة] - أن الأخطر فى مواجهته مع الفلاسفة، إنما هو الخلاف معهم فى «الأصول» وليست الاختلافات فى «الفروع والتفاصيل والجزئيات» . وأن أخطر هذه الخلافات هى تلك التى رآها مخرجة لهؤلاء الفلاسفة من الملة، مؤدية بهم إلى الكفر... وهى قولهم:

- ١- بقدّم العالم والجواهر التى فيه .. الأمر الذى يبطل الدليل على وجود الخالق - دليل حدوث العالم، الذى لا بد له من محدث .
- ٢- وبأن الله - سبحانه وتعالى - لا يعلم الجزئيات الصادرة من الأشخاص، لأن علمه قاصر على ذاته .
- ٣- وبأن البعث والحشر والجزاء - نعيماً وآلاماً - إنما هو بالمعاني والأرواح، لا بالأجساد

مع مقاصد الغزالى، بقدر ما كان خلافه مع الفهم الذى فهمه الغزالى من كلام الفلاسفة، والذى رآه ابن رشد فهما خاطئاً، أخطأ الذين فهموه، فنسبوه إلى الفلاسفة، وجاراهم فى هذا الفهم صاحب [تهافت الفلاسفة] .. فالمنطلقات الإسلامية الثوابت، قد جمعت بين الغزالى وابن رشد، فلم تكن المواجهة بينهما، فى كتابيهما هذين، خلافاً فى العقائد الإسلامية، بل ولا فى التصورات الأساسية لهذه العقائد، بل ولا حتى فى التأويلات، فابن رشد لا يختلف مع الغزالى فى قواعد وضوابط التأويل، بل لقد كان أكثر تحرجاً فى استخدام التأويل! .. ^(٧) بقدر ما كانت المواجهة بين هذا الذى فهمه الغزالى، مما هو منسوب إلى الفلاسفة، وبين ما كشف عنه ابن رشد من خطأ فى هذا الفهم، وتبيان حقيقة مقولات الفلاسفة ومقاصدهم .

لقد رأى ابن رشد أن الغزالى قد وجه انتقاداته إلى التصورات التى قدمها الفارابى [٢٦٠ - ٣٣٩ هـ، ٨٧٤ - ٩٥٠ م] وابن سينا [٣٧٠ - ٤٢٨ هـ، ٩٨٠ - ١٠٣٧ م] لمقالات الفلاسفة القدماء .. ولما كانت مقالات الفارابى وابن سينا، فى هذه التصورات - برأى ابن رشد - لا صحة لها، فإن «التهافت» إنما هو فيما فهماه ونسباه للفلاسفة، وليس للفلسفة ذاتها .. فأبو نصر وابن سينا وغيرهما، الذين

(٧) انظر [فصل المقال] ص ٣٢. و[تهافت التهافت] ص ١٢٤، ١٢٥. والغزالى [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص ٤ - ٩ طبعة القاهرة: سنة ١٩٠٧م.

(٨) [تهافت التهافت] ص ٤٩، ٨١، ٢١، ٥١.

والأبدان .. إذا كانت هذه المقولات الثلاث هي أبرز وأخطر القضايا التي دار حولها الجدال بين ابن رشد والغزالي - في كتابيهما - فإن الوقوف أمام مقالات ابن رشد إزاء هذه المقولات، سيكون شاهد صدق على وحدة المنطلقات والاعتقادات والتصورات لديهما .. وعلى أن جوهر الخلاف بينهما إنما كان حول دقة وصدق هذا الذي فهمه الغزالي فحسبه مقالات الفلاسفة القدماء، ثم تصدى لهم فيه .

● ففي مسألة قدم العالم: التي رأى الغزالي أن قول الفلاسفة بها مخرج لهم من الملة، لأن حدوث العالم هو الدليل على وجود الخالق القديم .. لا يختلف ابن رشد مع الغزالي في هذا الذي اجتمع على اعتقاده المسلمون، وإنما يختلف معه في أن هذا - القول بقدم العالم - هو رأى الفلاسفة القدماء .. فهو يرى أن المتكلمين - الذين ينطق بمنطقهم الغزالي - قد أخطأوا عندما قاسوا « الغائب » على « الشاهد » - أى قاسوا حقائق عالم الغيب على حقائق عالم الشهادة - بينما يجب - فى الحديث عن الله، وخلقه للعالم - ألا يكون « الشاهد » هو معيار تصوراتنا لخلق الله وفعله، فضلاً عن ذاته، سبحانه .. « فالعقل الإنسانى قاصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل » .. وقياس الغائب على الشاهد هو الخطأ الذى وقع فيه المتكلمون، حتى ليظهر كلامهم « أنهم قد جعلوا الإله إنساناً أزلماً » .

أما علاقة العالم « بالقدم » أو « بالحدوث » فيجب أن تبرأ من المفاهيم التى صاغها المتكلمون لكل من القدم والحدوث .. فالقديم عندهم هو ما لا فاعل له، ولم يتقدمه زمان .. والحادث هو المخترع من لا شئ .. أما الفلاسفة فإن لهذين المصطلحين عندهم - فى هذا المبحث - معانى أخرى .. ومن ثم فإن الواجب - لحل الإشكال - هو تحرير مضامين مصطلحي « القدم » و « الحدوث » .. وهذا هو ما صنعه ابن رشد، عندما قال: « وأما مسألة قدم العالم، وحدوثه، فإن الاختلاف فيها بين المتكلمين - من الأشعرية - وبين الحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعاً للاختلاف فى التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء . وذلك أنهم اتفقوا على أن ها هنا ثلاثة أصناف من

ليس مُحَدَّثًا حقيقيا ولا قديما حقيقيا، فإن الحدث الحقيقي فاسد ضرورة، والقديم الحقيقي ليس له علة» (١٠).

هكذا كشف ابن رشد عن مبررات انتفاء الخلاف، فتحديد مضامين مصطلحات «القدم» و«الحدث» يكشف عن أمر جديد، غاب عن الذين جعلوا من هذه القضية تهمة اتهموا بها الفلاسفة القدماء.

وحتى «ظاهر الشرع»، فإنه لا يشهد لما قال به المتكلمون من أن معنى حدوث العالم هو الاختراع من غير شيء... «فالحدث، الذي صرح الشرع به في هذا العالم، هو من نوع الحدوث المشاع ههنا، وهو الذي يكون في صور الموجودات، التي يسميها الأشعرية صفات إنسانية، وتسميها الفلاسفة صورا، وهذا الحدوث إنما يكون من شيء آخر، وفي زمان، ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا نَفْثًا﴾ (١١)

وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (١٢).

وأما حال طبيعة الموجود الممكن مع الموجود الضروري فسكت عنه الشرع، لبعده عن أفهام الناس، ولأن معرفته ليست ضرورية في سعادة الجمهور.

وأما الذي تزعم الأشعرية من أن طبيعة الممكن مخترعة وحادثة من غير شيء، فهو الذي يخالفهم

الموجودات، طرفان، وواسطة بين الطرفين. فاتفقوا في تسمية الطرفين، واختلفوا في الواسطة.

فأما الطرف: فهو موجود وُجد من شيء غيره، وعن شيء، أعنى عن سبب فاعل، ومن مادة، والزمان متقدم عليه، أعنى على وجوده، وهذه هي حال الأجسام التي يدرك تكونها بالحس، مثل تكون الماء والهواء، والأرض والحيوان والنبات، فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع من القدماء والأشعريين، على تسميتها محدثة.

وأما الطرف المقابل لهذا، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا عن شيء، ولا تقدمه زمان. وهذا - أيضا - اتفق الجميع، من الفرقتين، على تسميته قديما، وهذا الموجود مُدرك بالبرهان، وهو الله، - تبارك وتعالى - الذي هو فاعل الكل وموجده والحافظ له - سبحانه وتعالى قدره.

وأما الصنف من الموجود الذي بين هذين الطرفين، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شيء، أعنى عن فاعل، وهذا هو العالم بأسره... فهذا الموجود قد أخذ شبهها من الوجود الكائن الحقيقي، ومن الوجود القديم، فمن غلب ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المُحَدَّث، سماه قديما، ومن غلب ما فيه من شبه المحدث، سماه مُحَدَّثًا. وهو في الحقيقة،

(١١) الأنبياء: ٣٠.

(١٠) [فصل المقال] ص ٤٠، ٤٢. [تهافت التهافت] ص ٧٤.

(١٢) فصلت: ١١.

علمه بالمصنوعات .. وقولهم: «إنه لا يعرف إلا ذاته، يعنى أنه يعرف جميع الموجودات .. وتعلق علمه بالموجودات على نحو تعلق علمنا بها مستحيل، فوجب أن يكون تعلق علمه بها على نحو أشرف، ووجود أتم لها من الموجودات التى تعلق علمنا به، لأن العلم الصادق هو الذى يطابق الموجود ..» (١٤).

فالقضية، عند الفلاسفة، ليست التمييز بين العلم بالكلييات والعلم بالجزئيات - كما فهم الغزالي من مقالاتهم - وإنما هى تمييزهم بين العلم الإلهى والعلم الإنسانى .. فتعلق العلم الإلهى بالموجودات مغاير لتعلق علمنا بها، سواء أكان ذلك فى العلم بالكلييات أم الجزئيات.

● وفى «التهمة» الثالثة - المتعلقة «بحشر الأجساد» .. يرى ابن رشد أن الفلاسفة قد قالوا وآمنوا بالمعاد والجزاء، دون تحديد لصورتيهما .. وهم يعظمون الشريعة ويؤمنون بمبادئها تسليماً وتقليداً، لأن هذه المبادئ عندهم، مما يفوق العقول الإنسانية، فنحن نأخذها كما جاءت من واهب العقول الإنسانية .. ولذلك فهم يؤمنون بما جاء عن البعث والجزاء فى الشريعة إجمالاً .. وأن قول من قال من الفلاسفة «بشريعة عقلية» لا يقلل عندهم من مقام الشريعة المنزلة، لأن الشريعة الإلهية، عندهم، قائمة على «العقل والوحى»، ومن ثم فإن كفتها راجحة على شريعة العقل وحده .. ثم إن مذهبهم فى التأويل يمنع التصريح بهذا التأويل، الأمر الذى ينفى قولهم بتأويلات تجعل البعث والجزاء روحانياً، لا جسدياً.

فيه الفلاسفة، من قال منهم بحدوث العالم أو لم يقل، فما قالوه - [أى الأشعرية] - إذا تأملته بالحقيقة ليس هو من شريعة المسلمين، ولا يقوم عليه برهان» (١٣).

فالعالم حادث، بمعنى أنه مفعول ومخلوق لله الخالق، حادث من شىء - مثل الدخان الذى سبق حدوث السماء، وهذا الحادث لا يقتضى الاختراع من لا شىء كما تصورته الأشعرية.

● وفى قضية العلم الإلهى - التى كانت التهمة الثانية من الغزالي للفلاسفة - عندما قال إنهم ينفون علم الله بالجزئيات الحادثة من الأشخاص - يدافع ابن رشد عن الفلسفة، ويدفع هذه التهمة عن الفلاسفة، مؤكداً قولهم بأن الله - سبحانه وتعالى - عالم بالجزئيات، كما هو عالم بالكلييات .. لكن، على نحو مغاير للعلم الإنسانى، ذلك لأن العلم الإنسانى معلول للموجودات، بينما العلم الإلهى هو سبب وجود الموجودات، وعلم الله لذاته يعنى علمه لكل موجوداته وجميع مصنوعات .. ولا يعنى وقوف علمه عند الكلييات دون الجزئيات. «فالعلوم الإنسانية كلها انفعالات وتأثيرات عن الموجودات، والموجودات هى المؤثرة فيها .. والعلة فى الإدراك هو المدرك نفسه، فلا يشك فى تغير الإدراك بتغير المدركات، وفى تعدده بتعدددها .. وإذا كان علمنا معلولاً للمعلوم به، فهو محدثٌ بحدوثه، ومتغير بتغيره، فعلم الله - سبحانه - بالموجود على مقابل هذا، فإنه علة المعلوم، الذى هو الموجود .. وذات الصنع، التى يسمى بها صانعاً، ليست شيئاً أكثر من

(١٣) [تهافت التهافت] ص ٩٨.

(١٤) المصدر السابق، ص ٨٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣. و [فصل المقال] ص ٣٩.



وأخيرا، فإن مغايرة عالم الغيب لعالم الشهادة – ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(١٥) – يدل على أن ظاهر الشريعة يرشح أن العودة – فى البعث – إنما هى لأمثال هذه الأمثال التى فى الدنيا، لا لأعيانها.. فلو قلنا ببعث الأجساد، فإن ذلك لا يقتضى عودة ذات الأجساد الدنيوية، وإنما عودة أجساد مثلها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الوجود لمثل ماعدم.

وينبه ابن رشد على أن هذا المعنى الأخير قد قال به الغزالي.. بل وقال – فى غير كتابه [تهافت الفلاسفة] – إن الصوفية يقولون بالبعث الروحانى – ولم يكفهم!..

على هذا النحو، عرض ابن رشد للقضية، فدفعت التهمة، ومن ثم الحكم بالكفر، عن الفلاسفة، فى تصوراتهم للبعث والجزاء.. فالقول بنفى البعث الجسدى، هو «شئ ما وجد لواحد ممن تقدم فيه قول.. وهم أشد الناس تعظيما للشريعة وإيمانا بها، والسبب فى ذلك أنهم يرون أنها تنحو نحو تدبير الناس، الذى به وجود الإنسان بما هو إنسان، وبلوغه سعادته الخاصة به، وذلك أنها ضرورية فى وجود الفضائل الخلقية للإنسان، والفضائل النظرية، والصنائع العملية.. فيجب التسليم بها والتقليد فيها مع جهل أسبابها لأنها من مبادئ الشريعة، وهى أمور تفوق العقول الإنسانية، نأخذها من واهب العقول الإنسانية..

ويرون أنه لا ينبغي أن يُتعرض بقول فى سائر مبادئها، مثل القول فى السعادة الأخيرة وفى كيفيتها، لأن الشرائع كلها اتفقت على وجود أخرى بعد الموت، وإن اختلفت فى صفة ذلك الوجود.

ومن صرح بشك فى المبادئ الشرعية التى نشأ عليها، أو بتأويل مناقض للأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – وصارف عن سبيلهم، فإنه أحق الناس أن ينطلق عليه اسم الكفر، ويوجب فى الملة التى نشأ عليها عقوبة الكفر.

وكل شريعة كانت بالوحى فالعقل يخالطها، ومن سلم أنه يمكن أن يكون ههنا شريعة بالعقل فقط، فإنه يلزم ضرورة أن يكون أنقص من الشرائع التى استنبطت بالعقل والوحى.

والوجود الأخرى هو طور آخر أفضل من هذا الطور.. والتى تعود هى أمثال هذه الأمثال التى كانت فى هذه الدار، لا هى بعينها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الوجود لمثل ما عدم، لا لعين ماعدم – كما قال أبو حامد.

ولقد قال أبو حامد – فى هذا الكتاب [تهافت الفلاسفة] – : إنه لم يقل أحد من المسلمين بالمعاد الروحانى. وقال فى غيره: إن الصوفية تقول به. وعلى هذا فليس يكفر من قال بالمعاد الروحانى، ولم يقل بالمحسوس إجماعا، وجوز القول بالمعاد الروحانى^(١٦).

(١٥) نعتقد أن هذا فى النعيم الحاصل لأهل الجنة فإنه اختراع لم يخطر على قلب بشر، أما البعث فإنه إعادة لأعيان الأجسام التى كانت فى الدنيا وتلك هى قدرة الخالق، وقولهم: إن المعدوم لا يعود بالشخص غير مُسلَّم فى حقه تعالى، أما قوله: إن الصوفية يقولون للبعث الروحانى فإننا لم نعثر عليه وإن قالوه فهو غير مُسلَّم (المجلة).

(١٦) [تهافت التهافت] ص ١٢٤، ١٢٣ – ١٢٥.

فسفسطائية عرضت له فى ذلك، ومن ىنفى ذلك فليس يقدر أن يعترف أن كل فعل لايد له من فاعل .. وماذا يقولون فى الأسباب الذاتية، التى لا يفهم الوجود إلا بفهمها؟ .. والعقل ليس أكثر من إدراكه الوجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة، فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل، وصناعة المنطق تضع وضعاً أن ههنا أسباباً ومسببات، وأن المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها، فرفع هذه الأشياء يبطل العلم .. ولا يشك أحد من الفلاسفة فى أن الإحراق الواقع فى القطن من النار، مثلاً، أن النار هى الفاعلة له، لكن لا بإطلاق، بل من قبل مبدأ من خارج، هو شرط فى جود النار، فضلاً عن إحراقها .. (١٧).

فلا خلاف بين صاحبي [التهافت] على وجود الأسباب .. وفعلها .. ولا على أن هذا الوجود والفعل إنما هو بقدرة موجودها وموجد فعلها، سبحانه وتعالى .

نقد المنهج

ولقد تناثرت فى كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] إشارات نقدية للمنهج الذى استخدمه الغزالي فى كتابه [تهافت الفلاسفة] .. من أهمها:

● أن الغزالي بدلاً من أن يقرر المذهب الحق، مع نقضه لما رآه باطلاً، اكتفى بنقض الباطل، دون تقرير المذهب الحق .. الأمر الذى يترك القارئ فى الحيرة والشكوك .. لقد قال – [الغزالي] –: «إن

هكذا دفع ابن رشد عن الفلاسفة تهمة الكفر، فى تصوراتهم لكيفية البعث والحساب والجزاء .

السببية

ويشهد، أيضاً، على أن اختلاف ابن رشد مع الغزالي – فى كتابيهما – لم يكن فى المنطلقات والعقائد، بل ولا فى التصورات الأساسية، بقدر ما كان حول «صحة المروى» عن الفلاسفة، و«المنسوب» إليهم .. يشهد على ذلك، أيضاً، موقفهما من «السببية» – والذى حسبه الكثيرون موضوعاً للخلاف، بينما هما فيه متفقان .

فالغزالي لم تكن قضيته مع القائلين بالسببية، وعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات، وإنما كانت مع القائلين «بالحتمية المطلقة» فى عمل الأسباب بالمسببات، على النحو الذى ينكر قدرة مسبب الأسباب على إيقاف عملها، إذا هو أراد استبدالها، فى المعجزات .

وهذا هو الذى قدمه ابن رشد، كمرأى للفلاسفة، الذين يؤكدون على وجود الأسباب الفاعلة – الذاتية – وعلى عملها فى المسببات، دونما إنكار لوجود سبب فوق هذه الأسباب الذاتية، فمسبب الأسباب هو موجدتها، وهو خالق فعلها فى المسببات .. ذلك «أن إنكار وجود الأسباب الفاعلة، التى تشاهد فى المحسوسات، قول فسفسطائي، والمتكلم بذلك إما جاحد بلسانه لما فى جنانه أو منقاد لشبهة

أنه لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولا يعتد به» (٢٠)

فمقاصد الفلاسفة الإلهيين كانت معرفة الحق .. وحبهم هذا سببا للمديح والثناء .. أما ثمرات فلسفتهم في العلوم الإلهية فليس فيها ما يعتد به ..!

وهو اعتراف صريح .. وخطير من أبى الوليد! ولأن هذه المعركة الفكرية - بين ابن رشد والغزالي - فى هذين الكتابين - [تهافت التهافت] و[تهافت الفلاسفة] - كانت من أشهر وأخطر المعارك الفكرية فى تراث الإسلام الفلسفى، حتى لقد أخذت طريقها إلى ما وراء حضارة الإسلام .. فلقد لقى كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] - كما لقى كتاب الغزالي - الكثير من الاهتمام .. فطبع بالقاهرة - بالمطبعة الإعلامية سنة ١٣٠٤ هـ، سنة ١٨٨٤ م .. ثم مع كتاب الغزالي .. وكتاب خوجة زادة [٨٩٣ هـ ١٤٨٨ م] [تهافت الفلسفة] الذى كتبه تعليقا عليهما .. طبعتهما - كمجموعة - المطبعة الخيرية - بمصر سنة ١٣١٩ هـ، سنة ١٩٠١ م .. ثم طبعهما الحلبي - بمصر - سنة ١٣٢١ هـ سنة ١٩٠٣ م .. وله طبعات محققة، أولاها «للأب بونج» - بيروت - سنة ١٣٤٨ هـ، سنة ١٩٣٠ م .. وثانيتهما للدكتور سليمان دنيا - القاهرة - سنة ١٣٨٤ هـ سنة ١٩٦٤ م .. كما ترجمه إلى العبرية واللاتينية والإنجليزية .. وغيرها من اللغات.

قصده ههنا ليس هو معرفة الحق، وإنما قصده إبطال أقاويلهم وإظهار دعاويلهم الباطلة .. وهو قصد لا يليق به، بل بالذين فى غاية الشر ..! وقد كان واجبا عليه أن يبتدىء بتقرير الحق قبل أن يبتدىء بما يوجب حيرة الناظرين وتشككهم» (١٨).

● كذلك أبصر ابن رشد - بملكة الفيلسوف - مقام الفلسفة فى إبداع الغزالي .. فقدم تفسيراً لموقفه هذا من الفلاسفة والفلسفة، باحتمال أن يكون «لزمان» الغزالي وعصره، وأهل ذلك الزمان، والاتهامات التى وجهت إليه - والتى بلغت حد اتهامه بالزندقة - .. احتمال أن يكون الرجل قد أراد مداينة أهل زمانه بهجومه هذا على الفلسفة والفلاسفة! .. ذلك أن «معظم ما استفاد هذا الرجل - [الغزالي] - من النباهة، وفاق الناس فيما وضع من الكتب التى وضعها، إنما استفادها من كتب الفلاسفة ومن تعاليمهم .. فإتيانه بمثل هذه الأقاويل السفسطائية قبيح، فإنه يظن أنه ممن لا يذهب عليه ذلك، وإنما أراد مداينة أهل زمانه، وهو بعيد من خلق القاصدين لإظهار الحق، ولعل الرجل معذور بحسب وقته ومكانه، فإن الرجل امتحن فى كتبه» (١٩).

ولا ينسى ابن رشد - رغم دفاعه التاريخي عن الفلسفة - الموضوعية التى جعلته يتفق مع الغزالي على أن تراث الفلاسفة فى العلوم الإلهية إنما هو «ظنى» لم يبلغ مرتبة «اليقين» .. فيقول: «إن قصدهم إنما هو معرفة الحق، ولو لم يكن لهم إلا هذا المقصد لكان ذلك كافيا فى مدحهم. مع

(١٩) المصدر السابق، ص ٨٨، ١١.

(١٨) المصدر السابق، ص ٨٨، ٣٤.

(٢٠) المصدر السابق، ص ٨٨.

تعقيب على رد

وردت إلى المجلة رسالة الأستاذ محمد محمد طه الولى تنشرها المجلة بنصها:
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.
إلى فضيلة الشيخ الطاهر محمد الطاهر الحامدى المحترم، مدير تحرير «مجلة الأزهر» حفظكم الله؛
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإنى أكتب رسالتى هذه شاكرا لكم نشر مقالتي الأولى المتعلقة بابن رشد الحفيد فى عدد
أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٢، وشنأكم الذى أرجو خيره ونفعه لى ولسائر المسلمين، وأثمن للدكتور
محمد عماره- حفظه الله- «بالقراءة المتأمله بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف»، والتي أرجو أن
أحظى بها دوما من طرفه وطرفكم مشكورين حفظكم الله، وقد وجدت فى كلمة الدكتور عماره عن
«الحوار العلمى نموذجاً للحوار الفكرى اللائق بالعلم»، و«أن مجلة الأزهر تسعد بهذا اللون من القراءة
التي تقف وقفات فكرية عميقة» ما شجعتنى على متابعة الموضوع لأهميته الكبرى فى التاريخ
الفكرى العربى، شاكرا لكم سلفاً نشر مقالتي هذه كرماً منكم وفضلاً، وهذه بعض تعليقاتي أختصرها
من غير إخلال بإذن الله:

● من المعروف أن «آثار ابن رشد الفلسفية وشروحه على أرسطو» ليست من «ثمرات
اختلاف اجتهادات المذاهب والتيارات الإسلامية فى الفروع» كما ذكر الأستاذ الدكتور- حفظه
الله- وذلك ببساطة بسبب بُعد أفكار أرسطو وما تفرع منها عن فكر نبى الإسلام محمد ﷺ
فضلاً عن بُعد فروعها من فروع فقه الإسلام التي ليست هى مجال بحثنا هنا، على أننا لا ننكر
كل ما قاله أرسطو رأساً إلا أن نعرضه على ميزان الشريعة المرفوعة؛ مؤكداً فى هذه المناسبة أن
مسألة حدوث العالم كله من غير استثناء ليست من الفروع الفقهيّة، بل هى من أصول
الاعتقاد كما هو مبين فى مضافه من كتب أهل هذا الشأن كالجوينى والباقلانى، وقد ذكرها ابن
حزم فى كتابه مراتب الإجماع تحت عنوان: «باب من الإجماع فى الاعتقادات يكفر من
خالفه بإجماع»، مستدلاً بحديث البخارى: «كان الله ولم يكن شئ غيره»،
وذلك بغض النظر عن إثبات نسبتها لابن رشد أو عدمه.

مناقشة علمية على ضوء الدين، فيحسبها البعض أنها أمور مسلمة مادامت منسوبة لكبار العلماء، وكم في هذه الآراء مما يتنافى مع مقررات الدين ولا يتفق ومكارم الأخلاق. وللإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» كلام طويل في العلوم المحمودة والعلوم المذمومة، وهو نفسه ألف في الرد على الفلاسفة بعد دراسة مذاهبهم.

هذا، وقد كتب عنه شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي وأجمل رأيه فيه أنه هو الذى ناهض الفلسفة وكشف ما فيها من زخرف وزيف. اهـ.

فلم يكن رأى في الفلسفة إلا موافقاً لموقف علماء الأزهر الشريف، على أن لابن خلدون في مقدمته فصلاً قال: إنه «مهم» بعنوان «إبطال الفلسفة» يبين فيه بعدها عن مقاصد الشريعة واختلاف مشارب أهلها عن مشارب أهل الشريعة فليراجع.

● أما قول ابن رشد بقدم الوجود والزمان وأنهما لا يتناهيان من جهة الماضي، فلست أول من ذكر عنه ذلك، بل هو واضح في عدد من كتبه، ومنها ما هو بتعليق الدكتور عمارة نفسه، وأعنى كتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال» (طبع دار المعارف، ط ٣ - ص ٤٢) تحت عنوان: «العالم بين القدم والحدوث»، وفيه ما نصه بعد طول كلام: «أن صورة

● مازلت أؤكد أن فلسفة ابن رشد وغيره كابن سينا والفارابي مغايرة لطريقة أهل السنة والجماعة، يدل على ذلك اسمها اليوناني كما ذكر الأستاذ مصطفى عبدالرازق في كتابه في تاريخ الفلسفة وغيره كثيرون. ثم إن أهلها لم يعتبروها من العلوم الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة إذ إنهم قد استقوا آراءهم من كلام أساطينها السبعة القدماء من اليونانيين؛ فلا أجد أى مناسبة بين قواعد الإسلام المبنية على الكتاب والسنة، وفلسفة اليونان التى لم ينسبها أحد من أهلها من أولهم إلى آخرهم إلى صاحب الشريعة المطهرة، إنما اتفقوا على نسبتها إلى أرسطو وغيره من واضعيها الأوائل، وليس ما أقوله فى هذا الشأن إلا مستمداً من فتاوى شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي - رحمه الله - والشيخ عطية صقر عضو لجنة الفتوى فى الأزهر الشريف الذى قال فى فتوى له (مايو ١٩٩٧) ما نصه: لا مانع من دراسة المواد الفلسفية إذا كانت الدراسة للإحاطة بالأفكار ومقارنتها بالدين، فإن كانت متفقة معه قبلت وإلا رفضت. أما دراستها لمن لا يعرف الحق من الباطل، وترك الباطل منها دون بيان بطلانه ففيها ضرر كبير. وعيب بعض المؤلفات التى تدرس فى بعض مراحل التعليم الآن أنها تعرض الأفكار ولا تناقشها



يراه ابن رشد « كما رأى أرسطو أن العالم قديم أى ليس له بداية، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوقاً له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباريء عليه كتقدم العلة على المعلول » من كلام الأستاذ الدكتور بدوى فى موسوعة الحضارة العربية .

والخلاصة أن المتمرس فى أفكار ابن رشد وكلامه للدكتور عمارة - حفظه الله - لا شك فى أنه يجدها مجافية لسعة الصدر التى هى حلية العلماء العاملين خاصة مع كثرة وصفه الغزالي - رحمه الله - فى تهافت التهافت بالـ «سفسطائي الخبيث» والـ «مغالطى الخبيث» إلى ما هنالك من نابى العبارات التى هى بعيدة كل البعد من الطريقة التى كان عليها السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

هذا ما أحببت أن أكتبه فى هذه العجالة شاكراً لكم ومجلة الأزهر الشريف اهتمامكم الكريم .

العالم محدثة بالحقيقة، وأن نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين، أعنى غير منقطع»، فهذا يظهر بوضوح قوله بأزلية شيئين مع الله هما الوجود والزمان، وأنه لا ابتداء لهما ولا انتهاء، علماً أن هذا الأمر ليس مما انفردت أنا به عن ابن رشد بل هو مشهور عنه كما ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «ابن رشد» (طبع دار المعارف، بيروت - ١٩٥٣ ص ٣٩) حيث يقول: «وعند ابن رشد إن العالم قديم»، وكما ذكر الأستاذ عبد الرحمن بدوى تحت عنوان الإلهيات عند ابن رشد من موسوعة الحضارة العربية، وهو ما لا يشك فيه من قرأ تهافت التهافت (طبع مركز دراسات الوحدة العربية بتعليق الجابري، ١٩٩٨) ولا سيما ربه الأول وما فيه تحت عنوان: «كل موجود ففعله مقارن له فى الوجود»، وفيه (ص ٢٠٢) يصرح قائلاً: «وبهذا الموجود الأول يعنى - الله تعالى - يمكن أن توجد أفعال لم تنزل ولا تزال»، وفى موضع آخر منه (ص ٢٣٣) يقول: «وإنه - أى العالم - ليس لحدوثه أول ولا منتهى»، وهذا كله بناء على ما



ما يقال عن الإسلام عداوة أمريكا وصداقتها

الحلقة الأخيرة

للمستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

الفقرة الخامسة:

ليسمح لنا القارئ في اختصار عبارات الدكتور العميد فيما يأتي:
«حرصت الحكومة- يعنى الأمريكية بعد أحداث سبتمبر- على تمثيل الإسلام والمسلمين بممثل عنهم في كل المناسبات، وأصدرت هيئة البريد أول طابع لتمجيد «الأعياد الإسلامية، وافتتح مجلس النواب إحدى جلساته بقراءة الفاتحة، فهل مثل هذه الحكومة وهذا الشعب يصح وصفهما بعداوة الإسلام والمسلمين؟»
ونقول:

إن هذه الأمور التى ذكرها العميد مواقف خادعة، وقد حدث قبلها الكثير والكثير من دول غير إسلامية، فعلى سبيل التمثيل لا الاستقصاء نذكر بعض النماذج:

● فى يوم ٢٤/١١/١٩١٧م، بعد ستة أسابيع بقليل من وقوع الانقلاب البلشفى فى روسيا، ووصولهم إلى مقاليد الحكم فيها، وجهت الحكومة السوفيتية الجديدة نداء إلى كل المسلمين، وقد جاء فى هذا النداء:

«يا مسلمى روسيا، يا من خربت مساجدكم، وهدمت بيوت عبادتكم، نعلن لكم:

يواصل الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني تحليل آراء الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر فى الحوار الذى نشرته جريدة الراية القطرية أوائل يناير الماضى مطلع عام ٢٠٠٢م.

مع ملاحظة أن هذا الرد تسلمته المجلة كاملاً وتنشره على حلقات، فهو لا يعلق على أحداث جارية أو مصاحبة للنشر.



الغرب والخداع المسلمين والطمع فيهم .
ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟ باختصار شديد
ابتلعت روسيا البلشفية الشعوب الإسلامية
الواقعة ضمن حدودها الجغرافية، وحاربت الإسلام
واضطهدت المسلمين ومنعت دخول المصحف
إليهم، وحرمتهم من حرياتهم الدينية .
لذلك سارعت تلك الشعوب إلى المطالبة
بالاستقلال بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام
١٩٩١ م .

ومن قبل خداع البلشفيين للعرب والمسلمين
فعل الشيء نفسه نابليون بونابرت في أثناء
حملته على مصر، حيث بعث بمنشور عسلي
المذاق فور وصوله الإسكندرية يعلن فيه أنه
مسلم، وأن الفرنسيين كذلك مسلمون، ثم
أرعى لحيته، وحمل مسبحة بيمينه ومبالغة في
التمويه والخداع، تسمى باسم إسلامي ثم ماذا
كان بعد أن دخل القاهرة ؟

لقد ظهر ما كان يضره من سوء وأحقاد،
فاتحت الجامع الأزهر، واتخذ منه « اسطبل » لخيول
الغزاة ؟ إضافة إلى الجرائم التي ارتكبتها ضد
الإسلام والمسلمين !

وبعد نابليون (الفرنسي) حدث الأمر نفسه
من لورد لويد، المندوب السامي لإنجلترا في مصر
في عهد الاحتلال الإنجليزي لها، فقد خطب هذا
« اللورد » خطبة جامعة في أحد مساجد لندن،
أشاد فيها بالإسلام والمسلمين، وأن حكومة
صاحبة الجلالة لا يمكن أن تستغنى عن العالم
الإسلامي أو تحرم من حمايته لها، وأن الإسلام
يجب أن تعود إليه قوته من جديد .

« إن عقائدكم الدينية، وشعائركم ومنشآتكم
الحضارية والقومية، ستصبح ابتداء من اليوم
مصونة لن تمتد لها يد آثمة . فأقيموا حياتكم
القومية في جو من الحرية دون أن يعوقها عائق،
فلكم الحق في ذلك » .

هذا النداء كان موجها للمسلمين داخل روسيا
ثم وجهوا نداء آخر لكل الشعوب الإسلامية . وقد
جاء فيه :

« يا مسلمي الشرق، يا إيرانيون، يا أتراك، يا
عرب، يا من مارس المقتصبون الاستعماريون،
القادمون من أوروبا للتجارة بأرواحكم قرونا،
وبأموالكم وحررياتكم، وأوطانكم، يا من قسم
دياركم هؤلاء النهاب، الذين أشعلوا الحرب
العالمية ضدكم، نعلن لكم :

إن معاهدات القيصر المخلوع السرية، التي نص
فيها على السماح له بغزو القسطنطينية بالقوة،
قد مزقت ومحيت من الوجود، فالجمهورية
الروسية وحكومتها ترفض الغزو المسلح لأراضي
أى دولة أجنبية ؟

« إن معاهدة تقسيم إيران قد مزقت وأزيلت
من الوجود، فبعد انتهاء العمليات الحربية،
ستسحب القوات الروسية (يعنى القيصرية قبل
الثورة البلشفية) مباشرة من إيران، وستكفل
الحرية للشعب الإيراني ليقرر مصيره السياسى عن
طريق استفتاء شعبى حر ؟! » .

« إن معاهدة تقسيم تركيا واغتصاب أرمينية
قد مزقت ومحيت من الوجود .. » .

بهذا الأسلوب الخداع أراد البلشفيون تجنيد
كل القوى الإسلامية للاستعانة بها على قوى





وفى هذا الإطار الخداعى الماكر، تأتى الوقائع الأمريكية التى خُدِعَ بها الدكتور العميد، أما الأمة فلن تنخدع بها مهما كانت براءة، حتى ولو قرأ أعضاء الكونجرس الأمريكى القرآن كله فى افتتاح جلساتهم، لأن الأمة تهتدى بهدى رسولها القائل :

« لن يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وجحر أمريكا حاول أن يلدغنا مئات المرات، وليست العبرة بالأقوال، بل بالأفعال، وأفعال أمريكا معنا لم تترك مثقال ذرة فى قلوبنا لتصديقها .

الفقرة السادسة :

ونستأذن القارىء مرة ثانية من إعفائنا من ذكر كلام العميد بطوله، وأن نكتفى بموضوع المناقشة فحسب، وذلك على الوجوه الآتية :

● فى نشوة الدفاع عن أمريكا، وتضخيم حسناتها نسب العميد لأمريكا ما لم تصنعه معنا، انظر إلى قوله :

« ولكن الإيجابيات -يعنى إيجابيات أمريكا معنا- أكثر من السلبيات، ويكفى أن نذكر بعضها: « الإنذار الأمريكى فى حرب السويس » .

العميد -هنا يتحدث عن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م الذى قامت به إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس .

والمعروف أن الذى أنهى تلك الحرب هو الإنذار الروسى والذى أصدره هو بولجانين « فليس

وبعد هذا الكلام المعسول ظهرت مواقف إنجلترا مخالفة لما قاله مندوبها السامى .

ومما قاله لورد لويد فى تلك الخطبة :

« اعتقد أن الإمبراطورية البريطانية لا يمكنها البقاء، دون حماية كاملة من المسلمين، فى جميع أنحاء العالم، فالإسلام -على ما اعتقد- بإمكاناته الروحية والفكرية هو إحدى القوى الجوهرية فى العالم، وسوف أعمل دائما ما أستطيعه لتوجيه إنجلترا فى إنشاء علاقات ود وصداقة، مع الإسلام فى كل مكان من العالم »^(١).

ثم ماذا كان بعد ذلك :

إنجلترا هى التى مهدت لقيام دولة إسرائيل فى فلسطين (البلد المسلم) وهى التى كانت العضو المنشط الفعال فى العدوان الثلاثى على مصر، بلد الأزهر والإسلام، واختفت من قاموس العمل البريطانى تلك الوعود الكاذبة .

وفى الوقت نفسه الذى ألقى فيه اللورد لويد خطبته تلك، حاول موسوليني، فى أثناء رحلته إلى ليبيا عام ١٩٣٣م كسب الإسلام وشعبه إلى جانبه، فادعى أنه صديق الإسلام، والمدافع بإخلاص -عنه!

هذا هو مسلك زعماء الغرب معنا، يفترضون أننا أغبياء لنغمض أعيننا عما يريدون صنعه معنا، وفينا كما يقول القرآن :

﴿ سَمِعُونَهُمْ ﴾^(٢).

(١) الإسلام قوة الغد العالمية، تأليف بول تيمنز، تعريب دكتور/ محمد شامة ص ٣١٠، مكتبة وهبة - القاهرة.

(٢) التوبة (٤٧).





ثانياً: إن أمريكا تعلم أنها إذا لم تقم بهذه المهام، فإن العرب سوف يحصلون عليها من مصادر أخرى تنافس منتجاتها وخبراتها منتجات أمريكا وخبراتها، مثل الصين، واليابان، وروسيا حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي .

ولو كان هذا قد حدث لضاقت الأرض بما رحبت أمام أمريكا . ولولا الأسواق العربية المفتوحة على مصراعيها أمام أمريكا لكل ما تنتجه مصانعها لتوقف ثلث أو نصف تلك المصانع عن الحركة، ولغزت صناعات أخرى غير الصناعات الأمريكية الأسواق العربية، ولمنيت أمريكا بضربات قاتلة في اقتصادها .

ثالثاً: إن إتاحة الفرصة لأمريكا، من خلال هذه المنافذ تمكن أمريكا من الاطلاع على أحوال الدول العربية والإسلامية، وتعرف -عن كذب- مواطن القوة والضعف، ولا يكون عندنا مجهول تشوق أمريكا إلى معرفته عن طريق التجسس غير الموثوق فيه .

ولو أحسنت التفكير يا سعادة العميد، لأدركت أن العرب هم أصحاب الفضل على أمريكا، في كل ما عدته أنت إنه من حسنات أمريكا على العرب والمسلمين .

رابعاً: كل ما ذكره العميد في الشؤون العسكرية والحربية التي رأى أنها من علامات صداقة أمريكا للعرب والمسلمين، كل هذه الأمور خاضعة عند أمريكا لضوابط شديدة الخطورة، كان حريا بالعميد الأنصاري أن يضعها في الحسبان :

ذلك الضابط هو حرص أمريكا أن تكون إسرائيل هي المتفوقة دائماً على جيرانها، فهي مع إسرائيل قلباً

هو إنذاراً أمريكياً، وهذا لا يكاد يجهره أحد الآن، هذه مجرد ملاحظة وتصويب لازم، لئلا يعتقد الشباب صحة ما أورده الدكتور العميد من قلب لحقائق التاريخ . أما إنذار أمريكا فكان متأخراً، وفيه مقال .

● ثم يسترسل -سعادته- في سرد حسنات أمريكا علينا فيقول :

« مبيعات الأسلحة الأمريكية للدول العربية ضخمة، وآخر صفقة مع السعودية ٢٤ مليار . . أمريكا مصدر التسليح والتكنولوجيا والتدريب للقوات المسلحة لكثير من الدول العربية، القوات العسكرية العربية تعتمد على السلاح الأمريكي في التصنيع، وفي تطوير قدراتها الحربية، وفي تدريبها وقطع غيارها » .

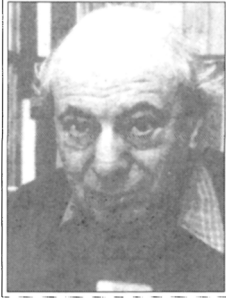
ونقول تعقيباً على هذا الكلام :

إن رؤية العميد بدت قاصرة هنا عن إدراك الحقائق، لأنه كان عليه أن يعرف :

أولاً: إن أمريكا في المجالات التي أشار إليها لم تكن صاحبة فضل علينا، لأنها في مبيعات الأسلحة وجدت سوقاً رائجة لفائض منتجاتها العسكرية، وهي بهذه المبيعات تدعم اقتصادها دعماً هي في حاجة إليه، والاقتصاد عند أمريكا إليه يعبد الكبار والصغار .

وكذلك كل ما يتم جلبه من أمريكا من خبرات وتدريبات، فهي تباع خبراتها كما تباع منتجاتها الحربية وغير الحربية .

إذن هذه التعاملات تستفيد منها أمريكا كما تستفيد الدول العربية، فليس هنا محسن ومحسن إليه .



ماكسيم رودنسن

ذلك الكتاب هو «محمد» تأليف المستشرق اليهودي الأصل: ماكسيم رودنسن، والذي كان يدرس هذا الكتاب للطلبة والطالبات مدرس أمريكي.

وكتاب «محمد» هذا معروف لدى المهتمين بمتابعة ما يكتبه المستشرقون والمبشرون عن الإسلام منذ زمن طويل.

وقد ملأه مؤلفه افتراءات على الإسلام وعلى رسوله الكريم.

وقد تضمن طعوناً سافرة في حق القرآن، وفي حق الرسول ﷺ.

فقد أظهره هذا اليهودي الحاقد في مظهر سبى للغاية، حيث وصفه بأنه كان «زير نساء» لا هم له إلا إشباع نزواته الجنسية، وبأى ثمن يمكن بذله.

ولو أن أمريكا درست هذا الكتاب في إحدى جامعاتها بأمريكا لما تدخل في شئونها أحد، ولما حز في أنفسنا كما حز تدريسه في عقر دارنا.

أليس هذا طعنًا خطيرًا في ديننا، وتعديا أحقق على مقدساتنا وإساءة ما بعدها إساءة إلى مليار ونصف المليار مسلم في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها؟

وهل سمحت مصر للجامعة الأمريكية بها أن تمارس هذا النوع من التخريب والحماقة؟

اكتفت الحكومة المصرية بمصادرة الكتاب أو

وقالبا لضمان انتصارها على كل من حولها إذا نشبت بين الفريقين حرب عاجلة أو آجلة.

وجانب آخر من علاقات أمريكا بنا أشار إليه العميد، ولكن لم يفصح عنه، وله صلة خطيرة ببيان هل أمريكا تعادى الإسلام أم تحترمه وتدافع عنه، كما ادعى العميد.

ذلك الجانب هو صلة أمريكا التعليمية والثقافية بنا، ونوجز الحديث عنه في ما يأتي:

لأمريكا في بعض الدول العربية جامعات، تعرف بـ «الجامعات الأمريكية»، وأشهرها الجامعة الأمريكية في مصر «القاهرة»، والجامعة الأمريكية في لبنان «بيروت».

هذه الجامعات لها تاريخ سبىء ضد الإسلام، بالإضافة إلى أننا لا نجنى منها ثماراً مفيدة نحن في أمس الحاجة إليها.

لأن الدراسة التي تتم فيها تتعلق بمواد تقليدية، لها نظائر في مؤسساتنا التعليمية الوطنية، وليس بها كلية واحدة يستفيد منها طلابنا في مجال الطاقة والتكنولوجيا الحديثة.

ولا توجد في أى منها كلية للطب مثلاً، لأن أمريكا تضمن بخبراتها «الاستراتيجية» على غيرها من الشعوب وبخاصة الشعوب العربية الإسلامية.

بالإضافة إلى هذه الجوانب السلبية للجامعات الأمريكية عندنا، والخطب فيها يسير لو لم تكن لها سيئات أخرى ضارة ومتعمدة.

فلنأخذ نماذج من سيئات الجامعة الأمريكية في القاهرة:

منذ ثلاثة أعوام ضبط كتاب مخالف يدرس في إحدى كليات الجامعة الأمريكية بالقاهرة.



بالإسلام، إحدى لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكنت عضوا فيها. وكان مقررها المستشار عبدالحليم الجندى رئيس إدارة قضايا الحكومة آنذاك، وقد أحالت اللجنة الكتاب إلى أحد أعضائها (د/ محمود دياب) ليقرأه ويقدم عنه تقريراً للجنة.

وقد تضمن التقرير أموراً مفزعة، لأن الفكرة التى وضع من أجلها الكتاب تدور حول صيغ مصر صبغة مسيحية خالصة فى جميع عصورها القديمة والحديثة، وأن دخول الإسلام لم يغير من «هويتها» المسيحية شيئاً.

وأن الكتاب يتجاهل وجود الإسلام فى مصر تجاهلاً تاماً وعلى كثرة صفحات الكتاب (٧٠٠ صفحة) لم يتضمن أى حديث عن الإسلام سوى فصل صغير جداً عن الغزو العربى لمصر بقيادة عمرو بن العاص. صفحاته دون العشرين صفحة. وأن فى الكتاب نداء وجهه مؤلفوه لأقباط مصر، حاصلة: لا تياسوا فبعد الظلام الطويل لا بد من طلوع الفجر!

وهذا كلام خطير للغاية، يثير فيه كاتبوه الفتنة الطائفية بين الأقباط والمسلمين ويحثون الأقباط على استرداد أرضهم المغصوبة كما استرد اليهود فلسطين، والأسبان الأندلس!

والتقرير أودع فى أعمال اللجنة منذ أكثر من سبعة عشر عاماً.

هذه خلاصة التقرير:

أما إخراج الكتاب فقد تضمن خريطة طولية لوادى النيل، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، هذه الخريطة موضح عليها أماكن

بمعنى أصبح بمنع تدريسه لطلابها، ولم تتخذ أى إجراء آخر ضد الجامعة الأمريكية بها. وكان المنتظر هو سحب ترخيص قيام الجامعة الأمريكية بالقاهرة. ولو كانت مصر قد اتخذت هذا الإجراء لما لامها أحد، ودستورها العام الدائم ينص على أن الإسلام: هو الدين الرسمى للدولة.

أليس هذا تسامحاً من مصر مع أمريكا التى يدافع عنها الدكتور العميد؟

ثم بعد عام واحد من هذه الواقعة لجأت الجامعة الأمريكية بالقاهرة، إلى تدريس رواية ساقطة منحطة، هى رواية «الخبز الجاف» -أو «الحاف»، ولا أدري -لؤلف عربى سخييف يحرض فى روايته هذه الشباب على الدعارة والمجون والانتحار الأخلاقى المميت.

وقبل هاتين الواقعتين، حدث ما يحيل الولدان شيباً فقد تم فى أوكار الجامعة الأمريكية بمصر تأليف كتاب ضخيم باللغة الإنجليزية عنوانه بالإنجليزية (the christion egypt ancient and vencent) وترجمته بالعربية: «مصر مسيحية قديماً وحديثاً» جرى تأليفه فى مصر، وتم طبعه من وراء الكواليس فى القاهرة وتم توزيعه فى عواصم كثير من الدول الأوروبية، مثل لندن، واشنطن، باريس... إلخ.

أما فى القاهرة فكان لا يباع إلا داخل أوكار الجامعة الأمريكية!؟

أما موضوع الكتاب فهو فى إيجاز:

فى عام ١٩٨٥م حصل أستاذ بجامعة الأزهر (د/يس مراد) على نسخة منه فى إحدى مكتبات لندن، ثم قدمها للجنة التعريف





لقد سعوا سعياً ملحوظاً لوقف تلك الفكرة، ونادوا بقيام جامعة أخرى بدل الجامعة الإسلامية، وهى الجامعة العربية، وترتب على تلك الدعوة دعوى أخرى إلى « القومية العربية »، وسموا أنفسهم بـ « القوميون العرب »، وصارعت هذه الفكرة فكرة الجامعة الإسلامية، وشاءت الأقدار أن تموت فكرة الجامعة الإسلامية، وتقوم على أنقاضها فكرة القومية العربية.

وفى هذا الجو المعاكس لأى عمل إسلامى جامع قال أحد القوميين العرب فى غير حياء:

سلام على كفر يوحنا بيننا

وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

هذه إحدى إفرازات الجامعة الأمريكية فى بيروت، فهل هى خطوة فى دعم الإسلام تدل على حبه والدفاع عنه أم هى آفة قاتلة لكل عمل إسلامى قوى فى مواجهة الزحف الغادر لطمس معالمه من الوجود، أو ليعيش ذليلاً كليلاً مهيبض الجناح؟

● أما الإساءة الثانية، فهى ما قام به اليسوعيون للقضاء على اللغة العربية الفصحى، وإحلال اللهجات العامية المحلية محلها.

كان اليسوعيون من أنشط الدعاة إلى نصرته العامية على الفصحى، وجهود أنيس فريحة فى هذا المجال معروفة ونصائحه للمسلمين بأن سيطرة العامية على لغة الحديث والكتابة لا يهدد وجود العربية الفصحى، لأن القرآن سيقراً فى المساجد والمحاريب بلغته الفصحى، ثم يخلص من نصائحه الخادعة، بأن اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ماتزال لغة الطقوس الدينية فى الكنائس والأديرة إلخ.

الكنائس والأديرة برسومات بارزة، ومبالغ فيها إلى حد كبير، بحيث يخيّل للناظر فيها أنه يرى وطننا ليس فيه أى أثر إسلامى فى طول البلاد وعرضها!

فبم يفسر الدكتور العميد العمل الذى قامت به الجامعة الأمريكية فى القاهرة؟

هل هو نابع من حب أمريكا للإسلام؟

هل هو صادر عن صداقة أمريكا للعرب والمسلمين؟

هل هو مما تحتاج إليه مصر فى حاضرها أو مستقبلها؟

هل هو عمل يدخل فى صميم وظيفتها التعليمية، التى من أجلها رخص لها بالإنشاء والاستمرار فى مصر؟

أليس هذا بعثاً لفتنة لا يعلم غير الله آثارها؟ وهل هذه الحماقات تدعونا للاعتقاد بصداقة أمريكا لنا أم العكس هو الصواب؟

أما الجامعة الأمريكية فى بيروت فسيرتها هى سيرة أختها فى القاهرة، ومن نماذج عداوتها للعروبة والإسلام ما يأتى:

● بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية، التى انضوى تحت لوائها كل الشعوب والجنسيات الإسلامية، حن المسلمون إلى إحيائها من جديد وسيطرت فكرة إحياء الخلافة على الساحة الفكرية فى كل مكان، وكادت تأخذ طريقها إلى العودة. فما الذى حدث لوراد تلك الفكرة فى مهدها يا ترى؟

إن الذى حدث هو معارضة « اليسوعيون » فى لبنان والشام وهم خريجو الجامعة الأمريكية فى بيروت، وفى جامعات أمريكا نفسها.



مأذون لها بها، بقصد النيل من الإسلام والمسلمين، والعروبة والعرب.

إن أمريكا في هذه العلاقات تهدف إلى تحقيق مآرب لها، وتتخذ من هذه العلاقات وسيلة لإنجاح مقاصدها الباطنة والظاهرة، لا كما يصورها الدكتور العميد، في صورة المحسن الذي لا يريد جزاء ولا شكورا.

ومن التقصير في الفهم، أن نخدع بالظواهر البراقة المعسولة ونعرض عما تخفى وراءها من سموم وما أصدق قول الشاعر في هذا المعنى:

وإن طرة راعتك فانظر فرما

أمر مذاق العود والعود أخضر

وأحكم من قول الشاعر ما ينسب إلى النبي ﷺ أنه قال:

«إياكم وخضراء الدمن؟ قالوا، وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسنة في المنبت السوء».

والدمن هي: أماكن إلقاء القاذورات، والنبات الذي ينبت فيها يكون زاهيا جميل المنظر، لكن المكان الذي نبت فيه يجعله خبيث الجنى. وإن جذب الأنظار بخضرتة وحسنه الخادع.

الفقرة السابعة:

هذه الفقرة تركز على حجم الاستثمارات الأمريكية في الدول العربية، وقد أشار إليها العميد بقوله: «والاستثمارات الأمريكية في الدول العربية من أكبر الاستثمارات الأجنبية».

ونقول: لقد نسي العميد أن استثمارات أي دولة في دولة أخرى، تقوم على المنافع المتبادلة بين الدولتين، ولا يمكن أن يعد طرف من أطرافها صاحب فضل على الطرف الآخر.

والقضاء على الفصحى كان هدف الاستعمار الصليبي الغربي، وقد بلغ عدااء العربية الفصحى أقصى مدى له في عهد الاحتلال الإنجليزي لمصر.

● ومن مظاهر العدااء للإسلام على أيدي اليسوعيين خريجي الجامعة الأمريكية ببירות أمران آخران- طعون خورى حداد في القرآن الكريم مفردات، وتراكيب ومعان ومضامين وقد رصد أحقاد هذا الرجل (خورى حداد) الأستاذ محمد دروزة في كتابه القيم (القرآن والمستشرقون)، وكذلك الأستاذ الدكتور عمر فروخ، في بعض مؤلفاته «التبشير والاستعمار».

ومن اليسوعيين المتأمرين القس أنيس المقدسى وبخاصة في كتابه «تطور الأساليب المنترية»، فقد زعم أن القرآن في المرحلة المكية تأثر فيه النبي ﷺ بسجع الكهان، فجاءت جملة قصيرة مسجوعة كما كان يفعل الكهان في كلامهم، ثم يوغل في التخریف فيوازن بين السور القرآنية المكية القصيرة، وبين مقطوعات من كلام الكهان، ولهذا الرجل طعون مليئة بالحقد في سيرة النبي ﷺ وبخاصة كتبه ورسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل والعشائر، وإلى ملوك الشعوب كالفرس والروم. ويدعى أنها مكذوبة مفتراة لأن محمدا ﷺ لم يكن يملك من القوة والسلطان ما يشجعه على مخاطبة الملوك والرؤساء، وبخاصة في بدايات دعواته! هذا هو في إيجاز بعض ما أثمرته الجامعات الأمريكية في البلاد العربية. فهي -أعني أمريكا- تنتهز وجودها في أي شكل من الأشكال في الدول الإسلامية والعربية وتباشر أعمالا غير



واقفة تتفرج في صمت، أما تدخل أمريكا بعد خمس سنوات من المجازر النازية فكان له سبب آخر:

أن الغرب الصليبي كان يتقرب نهاية مسلمي البوسنة أمام الصرب الحقود المتعصب. ولما لم يحدث هذا، وقرر مسلمو البوسنة المضى في النضال، خشى الغرب أن يحقق مسلمو البوسنة انتصارا على الصرب، أو على الأقل يطول كفاحهم أمام الصرب، وهذا في نفسه يضاف إلى الإسلام والمؤمنين به، وهذا ما لا يريده الغرب ولا أمريكا. ومن هنا قرر الغرب وأمريكا التدخل لوقف الحرب، حتى يقال إن الذي أوقف الحرب هي أمريكا والغرب، وحتى لا يقال: إن المسلمين صمدوا ولم يهزموا، أو إنهم حققوا انتصارا على ألد الخصوم في يوما ما من الأيام.

ورغم ذلك فإن دحر أعداء مسلمي البوسنة إنما هو ثمرة حلوة المذاق لجهادهم البطولي، الذي طبعهم عليه الإسلام، ليس لتدخل أحد من الخارج، لأن هذا التدخل نفسه إحدى ثمرات العمل الذاتي لأولئك الأبطال.

● أما إمداد أمريكا لمسلمي أفغانستان في حربهم ضد الروس، فلم ترد به أمريكا تحرير أفغانستان المسلمة من الأسر الروسى، وإنما كانت أمريكا تريد منع روسيا -عدوة أمريكا- من التوسع من جهة، وإلحاق الضعف بها من جهة أخرى، إبان وجود الاتحاد السوفيتى، والذي كانت أمريكا أو العالم الرأسمالى الغربى يخشاه، ويعمل له ألف حساب.

أما كوسوفو، فإن الذى كان يحاربهم وكر من أوكار الشيوعية التى كانت أمريكا تناصبها

واستثمارات أمريكا فى الدول العربية تقابلها استثمارات عربية فى البنوك والمصارف الأمريكية، والمعروف أن حجم الأموال العربية فى الغرب بلغ ١٤٠٠ مليار دولار، لأمريكا منها نصيب الأسد، فالأولى ترك هذا الجانب، فهو ليس من الحسنات التى تحسب لأمريكا علينا.

الفقرة الثامنة:

وفيهما يعدد العميد مآثر أمريكا فى تحرير بلاد المسلمين فيقول:

«لولا التدخل الأمريكى المسلح لحماية المسلمين فى كوسوفو عام ١٩٩٨م والبوسنة قبلها ضد الصرب لما تحررت.. ولولا التدخل الأمريكى والسلاح الأمريكى فى أفغانستان ضد الروس لما تحررت».

ونقول: هل يتذكر الدكتور العميد بعد كم سنة من نشوب الحرب الصربية ضد البوسنة والهرسك تدخلت أمريكا فى فض الاشتباك بين الطرفين؟

وما هى حجم الأضرار التى منيت بها البوسنة فى الأموال والأرواح والمنشآت، والمقدسات الدينية، وأعراض النساء؟

إنها مهازل لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل، أكثر من خمسين ألف فتاة اعتدى عليهن وتحرش بهن الصرب، وانتهكوا حرمانهن.

مئات الآلاف من الرجال والشباب من مسلمي البوسنة والهرسك قطعت رقابهم، ورأيانهم رأى العين مصورين بأجهزة «الفيديو» وهم محزوزو الرقاب، استمرت تلك المآسى ما يقرب من خمس سنوات والعالم كله، وفى مقدمتهم أمريكا،



الفقرة الأخيرة: « وفيها يدعونا الدكتور العميد إلى أن نتعامل مع أمريكا على أساس المصالح، لا أساس العقائد؟! »

ونقول: هذه الدعوة أخطر على الأمة: حاضرها، ومستقبلها من غزو أمريكى جوى وبرى وبحرى شامل؟!

لأن العقيدة ليست محل مساومة، ولا هى سلعة تعرض للبيع والشراء، وهذا هدف قديم طرحه الاستعمار من قبل فى بعض المعاهدات أو المؤتمرات بأن تنحو الدول الإسلامية فى تشريعاتها منحنى لا يرتبط بالعقيدة ولا الشريعة الإسلامية، وإنما يخضع لمفاهيم وأطر الحضارة الغربية الحديثة^(٣). وهذا أيضا ما فعلته دول الاستعمار فى البلاد الإسلامية عربية وغير عربية.

وليست كل أشكال التعامل مع غيرنا، سواء كان أمريكا أو غير أمريكا تخضع لسلطان العقيدة، هذا محال. وإنما الذى نعنيه هنا محصور فى بعض الصور أبرزها ثلاث:

● العقائد.

● التشريع.

● الأخلاق.

فهذه الميادين الثلاثة يجب أن تكتفى الأمة فيها بما لديها. ولا يجوز لها بحال أن تتطلع لغيرها فيها، وإلا أخرجت نفسها أمام ربها.

أما كافة صور التعامل الأخرى مما لا مساس له بالعقيدة ولا بالتشريع (الحلال والحرام) والأخلاق فلا حرج على الأمة فيها إذا تحققت فيها ضوابط

العداء، وقد تباطأت أمريكا فى التدخل كما تباطأت فى البوسنة من قبل.

وللدكتور العميد أن يقارن بين هذه التباطؤات، وبين السرعة المذهلة، التى حدثت من أمريكا والغرب فى مسألة تيمور الشرقية، وتيمور الغربية.

إن الغرب كله، وليست أمريكا وحدها، كان فى قلب الأحداث بعد أربع وعشرين ساعة من حدوث المشكلة.

وجندت أمريكا كل قوى الغرب المادية والمعنوية حتى هيئة الأمم والبنك الدولى لخدمة الغرض المنشود فى أسرع وقت من الزمان.

بينما لاتزال أمريكا تعارض إرسال قوات أمن دولية لحماية الشعب الفلسطينى الأعزل، من وحشية شارون وعصابات جيش الدفاع (الهجوم) ضد الشعب الفلسطينى، وتدنيس المقدسات، وانتهاك الحرمات، وإسالة الدماء، وإزهاق الأرواح وتخطيط المنشآت، وإحكام الحصار على الشعب الفلسطينى ورئيسه.

سؤال نوجهه إلى الدكتور العميد:

بم تفسر التباطؤات التى أشرنا إليها فى قضايا الإسلام والمسلمين؟

وبم تفسر السرعة المذهلة فى مشكلة تيمور الشرقية وتيمور الغربية؟

وبم تفسر اعتراض أمريكا على إرسال قوات أمن دولية إلى فلسطين؟ أهذا حب فى الإسلام من أمريكا؟ أم لعداء له؟ نترك هذه الإجابات إليك شخصيا.

(٣) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر الأسبق وزير الأوقاف الأسبق.



العين تعرف من عيني محدثها

إن كان من حزبها أو من أعاديها

أما ما ذكره الدكتور العميد من حسنات أمريكا فإن الرد عليه جاهز، ومن أقصر طريق، لأن ما عده العميد إيجابيات لأمريكا معنا، النفع فيه مزدوج، حتى في إمدادها لنا بالسلاح والتدريب وأشكال التكنولوجيا، فهذه الأمور نحصل عليها بالنقد العاجل، أو القروض بفوائد باهظة. فإن كان هذا محسن ومحسن إليه، فنحن المحسنون، وأمريكا هي المحسن إليها، لأننا فتحنا لها أسواقنا لترويج منتجاتها في شتى الميادين، ولو أغلقنا أسواقنا أمام منتجاتها لأحدثنا شروخا غائرة وواسعة في اقتصادها، ولقامت في داخلها ثورات وضغوط من أصحاب الشركات والمصانع ضد الإدارة الأمريكية، التي تسببت لمنتجاتهم في الكساد والوباء. ولن تجد أمريكا لأسواقنا بديلا.

أما نحن فسنجد عشرات المصادر الصناعية نتبادل معها التعامل في حرية وكفاءة.

ومرة أخيرة نقول:

نحن لم نشتر عداوة أمريكا، وليس لنا مصلحة في كون أمريكا عدوة. بل العكس، لكن بشرط أن تعرف أمريكا أننا أمة لها كرامة يجب أن تصان تحسن لمن أحسن إليها، وتصد عن يسيء إليها مهما كان.

وصدق حكيمنا الذي قال:

«اعترف لي بحقي في الحياة اعترف لك بذلك الحق. أمني على حاضري ومستقبلي لا أجد مبررا لمخاصمتك».

والحمد لله في الأولى والآخرة.

معينة، سواء كانت معدات أو خبرات بلا قيود وتفرض علينا.

أما إذا فرضت علينا قيود تمس هوية الأمة فلا وألف لا.

ولا حرج علينا أن نتعامل مع مخالفيها في العقائد أو الدين في كل ما هو نافع، مع الحفاظ التام على كرامتنا وحرماننا.

فإن كان الدكتور العميد يشير علينا بعدم الاكتراث بعقيدتنا حين نتعامل مع أمريكا أو غيرها، فهذه كبوة يتعذر النهوض منها أو يستحيل.

والويل للأمة كل الويل إذا باعت دينها نظير نفع عاجل في هذه الحياة الدنيا. فما عندنا ينفد وما عند الله باق.

كلمة أخيرة

هذه هي أفكار الدكتور العميد -عبد الحميد الأنصاري- ناقشناها بكل حيطة وموضوعية، ورصدنا الكثير من مواقف أمريكا من قضايا العروبة والعرب، والإسلام والمسلمين، وقلنا إننا لم نشتر عداوة أمريكا، ولا نحن أعداء لها، وإنما مواقفها المتكررة المتعمدة هي التي حملتنا على القول بأن أمريكا عدو لنا، ونحن لسنا أعداءها، وحتى هذه اللحظة، أما قولنا إنها هي عدو لنا، فهذا القول رد فعل قهري لسياسات أمريكا تجاه العرب والمسلمين والإسلام.

وإننا لندرجو أن يحدث تغيير في سياسات أمريكا يجعلنا نعدل على اعتقادنا بأنها عدوة لنا، أما إذا استمرت على هذه المواقف فمن الغباء المستحکم أن نفهم أن أمريكا ليست عدوتنا، والأمر كما قال الشاعر:

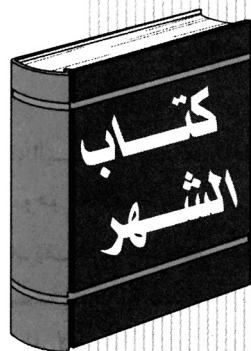




من هو اليهودي؟!

تأليف

د/ عبد الوهاب المسيري



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض





وجدت نفسها في محيط توحيدى إسلامى أو مسيحى، فحاول علماء اليهود أن يخلقوا هوة بين اليهودية وأعضاء الديانات التوحيدية الأخرى، فاصطنعوا (التلمود) .

ومن هنا... عُرِّف اليهودى بأنه من ولد لأم يهودية، أو من تهوّد. وهو تعريف دينى قومى .

وقد صار هذا التعريف الإطار المرجعى لكثير من الكتابات، مع تضمّنه إشكالية أساسية نشأت من أنه يعنى: أن من ولد لأم يهودية يظل يهودياً، حتى لو لم يمارس تعاليم اليهودية؛ فهو يهودى بالمعنى العرقى الإثنى . أما المتهود فعليه أن يقوم بتنفيذ جميع الأوامر والنواهي اليهودية .

وتظهر هذه المشكلة عند الإفراض: حيث يباح لليهودى أن يقرض غير اليهودى بالربا، فإذا ما طلب يهودى متنصر قرضاً ظهرت قضية يهوديته؛ فبعض الحاخامات يجيز إقراضه بالربا باعتباره ليس يهودياً، وبعضهم الآخر لا يجيزون ذلك لأنه ولد لأم يهودية .

وكان من أهم المشكلات التى واجهها الفقه اليهودى.. مشكلة يهود (المارانو) الذين لم يتركوا شبه جزيرة (إبويا) وتظاهروا باعتناق المسيحية، فعدّهم الفقه اليهودى يهوداً. ولكن مع مرور الزمن ضعف انتماءهم اليهودى، حتى أصبح من الصعب عليهم التأقلم مع اليهودية الحاخامية .

وقد خلق يهود (الدونمة) مشكلة أخرى، حيث أعلنوا الإسلام، وأسروا انتماءهم اليهودى، ولم يكن الفقه اليهودى منذ (موسى بن ميمون) يعدّ اعتناق الإسلام -فى حالة الاضطراب- شركاً .

على الرغم من أن دولة إسرائيل التى زرعت فى الأرض الفلسطينية منذ منتصف القرن العشرين.. على الرغم من أن هذه الدولة تعلن أنها الممثل السياسى والواقعى لليهود العالم بما للأحزاب الدينية فيها من دور توجيهى، على الرغم من هذا.. نراها -فى الوقت نفسه- تعلن أنها تعتمد فى مسارها على الأسس العلمانية الحادة، حتى بدت كياناً غائماً، غير واضح المعالم .

وفى تلك الدراسة التاريخية الجادة المتعمقة كشف الدكتور المسيرى أن للضباب الذى يطوى الهوية اليهودية جذوراً تاريخية عميقة، وانتشاراً جغرافياً شاملاً.. كان له أثره البالغ فى جعل الدولة الإسرائيلية كياناً اجتماعياً متعارض العناصر، متناقض المشارب، وظلت ملتقى لعدة تجمعات متنافرة الجذور والأعماق، وإن حاولت أن تبدو فى السطح متلاحمة موحدة .

تباين الهويات اليهودية فى التعريف الدينى

وبعد أن أبرز الدكتور المسيرى عسر -أو صعوبة- التعرف على الهوية اليهودية فى ذلك الكيان الفسيفسائى الذى اتسم به الوجود اليهودى على مدى تلك القرون الممتدة منذ ما قبل الميلاد إلى أن ظهرت المجتمعات العلمانية التى زلزلت اليهودية الحاخامية، وعمقت عدم التجانس، أو أظهرت هذا التنافر المتخفى .

وبعد هذا... أخذ الدكتور فى استعراض الهويات اليهودية من خلال التعريف الدينى لها، فذكر أن اليهودية -فى العصور القديمة- كانت ديانة توحيدية فى محيط وثنى، ولكنها فى العصور الوسطى الغربية، وفى العالم الإسلامى



الذين اعتنقوا المسيحية، واعتبروا المسيح هو الماشيَّ اليهودي.

وقد أصر كل هؤلاء على أن يُسموا (يهوداً) على الرغم من إلحادهم الكامل، أو رفضهم معظم مقولات الشريعة اليهودية؛ فلم يعد مصطلح (يهودي) حسب التعريف الحاخامي ينطبق على الغالبية العظمى ليهود العالم، ولا يوجد سوى أقلية صغيرة للغاية هي التي تلتزم بالشريعة اليهودية، وتحفظ بلقب (يهودي) مثل تلك الغالبية العظمى، وتدعى لنفسها حق تقرير من هو اليهودي.

الواقع اليهودي في ظل هذا التباين

وخلص الدكتور المسيرى من هذا الاستعراض إلى أن كلمة (يهودي) —منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى ظهور الدولة الصهيونية) تشير إلى أشخاص يؤمنون بأنساق دينية متعارضة من بعض النواحي، وينتمون إلى تشكيلات حضارية مختلفة، تمثلت في عشرات الهويات والانتماءات الدينية، والوثنية، والطبقية، مثل:

١ - يهود اليديشية — وهم يهود شرق أوروبا أو الأشكناز — المتدينون والعلمانيون.

٢ - يهود العالم الغربي.

٣ - يهود أمريكا اللاتينية.

٤ - يهود الشرق والعالم الإسلامي، والعالم العربي.

٥ - الجماعات اليهودية المتفرقة (مثل الفلاشة، ويهود بنى إسرائيل).

وقد تم تصنيف هذه الجماعات إلى يهود

ولأن (الدونمة) لم يرغبوا على اعتناق الإسلام، ولأن الحاخامات قابلوا ادعاءاتهم بحرب شرسة، وأعلنوا أن ذلك منهم هرطقة وتجديف؛ لهذا وذاك كان من الصعب تقرير ما إذا كان (المارانو)، والدونمة يهوداً أم لا.

فكانت مشكلة لم يحسمها الفقه اليهودي.

ثم ازدادت المشكلات تفاقماً مع ظهور العلمانية، فقد دخلت اليهودية في الغرب مرحلة الأزمة حيث ظهر فكر حركة التنوير، وظهرت اليهودية الإصلاحية، واليهودية المحافظة، واليهودية التجديدية.. فإن اليهودية الأرثوذكسية لم تعترف باتباع هذه الفرق، ولا بحاخاماتها يهوداً.

هذا... إلى جانب انتشار نزعات الإلحاد والشك الديني بين اليهود، وظهور ما يسمى (اليهودية الإثنية) في الولايات المتحدة، وروسيا، وأوكرانيا، وغيرها.

و (اليهودية الإثنية) هي يهودية من لا يؤمنون بالعقيدة اليهودية، وإن كانوا يمارسون بعض شعائر باعتبارها شكلاً من أشكال (الفلكلور) الذي يدعم أثنيتهم وقوميتهم اليهودية.

كما ظهرت اليهودية الإنسانية التي لا تستند إلى الإيمان بالشريعة الموحى بها، وإنما الإيمان بالقيم الإنسانية العامة.

وظهرت جماعات أخرى مثل: جماعة العلماء اليهود الذين يؤمنون بأن الطب الحديث لا طائل من ورائه، وأن سر الشفاء يوجد في العهد القديم. ومثل جماعة (اليهود من أجل المسيح) وهم



المجتمع الأمريكى، ولا يمكن تخيلهم خارج هذا المحيط الثقافى .

وهذا يعنى : أن هناك هويات يهودية مختلفة متعددة بتعدد المجتمعات الى تتواجد فيها هذه الهويات، لأن انفصالها النسبى لم يؤد بالضرورة إلى ترابط الواحدة مع الأخرى .

الهوية اليهودية فى ظل العلمنة

ويواصل الدكتور المسيرى رصده للهوية اليهودية فى واقعها، فيكشف أن يهود الغرب خضعوا -بعد القرن التاسع عشر- لعملية ضخمة من العلمنة والتحديث التى لا تتبنى أية معايير دينية، أو أخلاقية للحكم على الفرد؛ إذ لا تحكم على الفرد إلا على أساس كفاءته، ومدى نفعه، وتكيفه مع قيم المجتمعات، بحيث يصبح مواطناً يتوجه ولاؤه نحو الدولة، قادراً على البيع والشراء، والبحث عن اللذة، وتعظيم الإنتاج، والإشباع، والقتال حينما يطلب منه ذلك .

ولأن هذه المجتمعات الغربية التى يعيش فيها اليهود الجدد لا تهتم كثيراً بالدين لم تعد ترى فى اليهودى قاتل المسيح، أو عدو الإله، فهى مجتمعات فقدت الاكتراث بالشعائر المسيحية، والإحساس بقيمة الأعياد المسيحية، باستثناء (الكريسماس) الذى فرغ من مضمونه الدينى، وأصبح مناسبة اجتماعية، وبدلاً من العقيدة المسيحية ظهرت مجموعة من العقائد العلمانية، مثل الوجودية، والماركسية، والنازية، والليبرالية، بل حتى الاستهلاكية يمكن أن يؤمن بها كل من يشاء .

فى هذا المجتمع العلمانى ظهرت الهوية

غربيين يسمون (الأشكناز)، ويهود شرقيين يسمون (السفارد) أحياناً برغم خطأ التسمية .

ويرى الدكتور أن هذه التقسيمات آخذة فى الاختفاء، والاندماج فى ثلاثة أقسام أساسية هى :

١ - الهوية اليهودية الجديدة التى ظهرت فى المجتمعات الغربية الحديثة بملامحها الإثنية القومية، أو الدينية، ولكن البعد اليهودى فيها هامشى، لا تأثير له فى سلوكها .

٢ - جيل (الصابرا) وهم الذين ظهرُوا داخل المستوطن الصهيونى، ولا تربطهم بأعضاء الجماعات اليهودية فى العالم سوى روابط واهية، تشبه علاقة اليونانيين المحدثين بالإغريق القدامى .

٣ - الأرثوذكس، وهم يهود متدينون، يوجد أقلية صغيرة منهم خارج إسرائيل، وأقلية كبيرة داخلها .

فنحن أمام جماعات غير متجانسة، تفصل بعضها عن بعضها الآخر هوة الخلافات، وتحدث عشرات اللغات واللهجات، وتقع ضمن تشكيلات اجتماعية وثقافية لا حصر لها، ابتداء من يهود الغرب المندمجين فى مجتمعاتهم الرأسمالية، ومروراً بيهود اليمن، وانتهاء بيهود الفلاشة فى أثيوبيا .

وهذه الهويات اليهودية المختلفة لا وجود لها خارج محيطها الحضارى، فإن فقد يهود الفلاشة الأمهرية والجفرية والشعائر الدينية المختلفة التى استقوها من محيطهم الحضارى .. فإنهم يفقدون هويتهم التى يقال لها (يهودية) .

ويسرى الشيء نفسه على يهود الولايات المتحدة؛ فخصوصيتهم نابعة من انتمائهم إلى



وهذه اليهودية الجديدة لم تفرغ الهوية اليهودية من حقيقتها الدينية فحسب، بل فرغتها كذلك من مضمونها الإثني أو القومي، حتى إنهم نحو لغتهم العبرية عن الحديث، اللهم إلا بعض المفردات التي قد ترد في ثنايا الحديث.

بل إن اليهود الجدد لا يتفاعلون مع ثقافة إسرائيل العبرية إلا باعتبارها ثقافة أجنبية، يربطهم بها اهتمام خاص.

وكان من أبرز علامات تآكل الهوية اليهودية وتهميشها:

١ - تزايد معدلات الزواج المختلط؛ فلم يعد اليهودي يتردد في الزواج من غير يهودي.

٢ - الاندماج الاقتصادي؛ فلم يعد اليهود يشكلون كتلة اقتصادية مستقلة داخل المجتمعات الغربية.

٣ - الاندماج الاجتماعي، فلم يعد يهود الغرب الجدد يعيشون في جيوتات (مقصورة عليهم، حتى اعتبر الحراك الاجتماعي من أهم أسباب تشتت اليهود الجدد وارتقائهم في سلم المجتمع في مراحل التعليم العالي).

ومن هنا... يلاحظ الدكتور المسيري أن توجهات يهود العالم الغربي السياسية لا يختلف عن الأنماط السياسية السائدة في المجتمع، حتى في تأييدهم لإسرائيل وللصهيونية.

ويلاحظ أن أزمة الهوية، والإحساس بالاغتراب قد أصابا اليهود الجدد، كما أصابا المجتمعات الغربية، فراحوا يبحثون - في دأب - عن هوية، حتى إن المؤسسة الصهيونية - وقد أدركت هذه الحاجة النفسية للأمريكيين اليهود -

اليهودية الجديدة، التي يطلق على أصحابها (اليهود الجدد)؛ لتمييزهم عن يهود ما قبل القرن التاسع عشر.

وقد ساهمت خصوصية الولايات المتحدة الأمريكية في سرعة ظهور هذه الهوية اليهودية الجديدة.

ولذلك... يمكن القول: إن الهوية اليهودية الجديدة هي ثمرة التفاعل التلقائي واليومي بين أعضاء الجماعات اليهودية ومجتمعاتهم العلمانية، والقول: إن هذا التفاعل كان ثمرة التخطيط الواعي لبعض قيادات الجماعات اليهودية الفكرية الذين أدركوا ضرورة تحديث الهوية اليهودية لتتفق مع الأوضاع الجديدة.

وقد كان متصوراً أن تحديث الهوية اليهودية هو السبيل الوحيد لاحتفاظ اليهودي بيهوديته الدينية أو القومية.

ولكن ما حدث كان عكس المتوقع؛ إذ اندمج اليهود تماماً في مجتمعاتهم. أما البعد اليهودي في هويتهم فقد أصبح هامشياً للغاية، وتأكد أن الهوية اليهودية الجديدة هوية هشّة رخوة، تنتمي إلى المظهر والعشرة، لا إلى المخبر والجوهر؛ فهذا اليهودي الجديد قد يذهب إلى المعبد، ولكنه يفعل ذلك مرة أو مرتين في السنة. أما الشعائر اليومية والأسبوعية والشهرية فقد اختفت، ولم يبق سوى بعض الشعائر السنوية، ذات الطابع الاحتفالي، والتي لا تتطلب أية عملية ضبط للذات، بل إن هذه الشعائر الاحتفالية لا تقام باعتبارها شعائر دينية، وإنما تقام باعتبارها حدثاً اجتماعياً.



اليهودى غير اليهودى واليهودى الذى يدعى اليهودية

ويضيف الدكتور المسيرى إلى تلك الإشكاليات المتراكمة والناشئة إشكالية أخرى تولد شخصية جديدة فى ظلال الصهيونية، هى شخصية (اليهودى غير اليهودى) التى تمثلت فى ذوى الأصل اليهودى الذين فقدوا إيمانهم بمنظومتهم اليهودية، وقد جعلوا همهم القضاء على ما تبقى من جيوب قومية يهودية؛ ليدمجوا اليهود فى مجتمعاتهم.

ورغم العداء الشرس من هؤلاء لليهود واليهودية... ظلت الجماهير الشعبية تصنفهم على أنهم يهود، حتى إن الثورة البلشفية كانت تدعى (الثورة اليهودية).

فهؤلاء الذين تأكل انتماؤهم اليهودى يصنفون على أنهم يهود إما من قبل ذواتهم أو من قبل الآخرين؛ أى إن يهوديتهم إما ادعاء ليس له ما يسانده فى السلوك والرؤية، وإما فرض ألصقه بهم الآخرون.

ولذلك... نرى الواحد منهم -عادة- لا يكثر ثبجوانب سلوكه أو شخصيته التى يسميها الآخرون (يهودية)، بل إنه ليحاول قدر استطاعته أن يبين أن يهوديته تلك هامشية.

ومن هنا... يمكن القول بأن كل الصهاينة (يهود غير يهود)؛ لأن المضمون اليهودى لحياة معظمهم يكاد يكون منعماً، بل إنهم ليدون إلغاء الوجود اليهودى فى العالم؛ ليحلوا محله نطقاً آخر يسمى (الإنسان العبرى الجديد).

تقوم بتعميق إحساسهم بالمخاطر -الحقيقية أو الوهمية- المحيطة بهم، والمؤامرات التى تحاك ضدهم، وتؤكد على الإبادة النازية (الهولوكوست).

وكان ثمرة ذلك... أن أصبح الشكل الأساسى للهوية المعلنة بين الأمريكين اليهود، واليهود الجدد هو إعلان الانتماء الصهيونى بشكل متشنج.

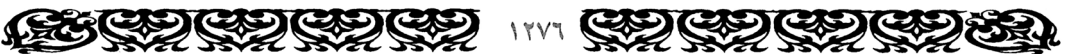
ويلاحظ الدكتور المسيرى أن هذا الانتماء الصهيونى يخبئ الكثير من التناقضات والمفارقات التى من أبرزها:

١ - أن أسطورة الصهيونية -فى محاولة التكيف مع الواقع الأمريكى- قضت على نفسها؛ فإذا كانت إسرائيل هى حقاً البلد الأصلى، فإن هذا يعنى: أنه البلد الذى هاجر المهاجر منه، لا البلد الذى يهاجر إليه.

٢ - أن هذا الانتماء الصهيونى السطحي يساعد على مزيد من الاندماج والانصهار، كما يصبح معه مضمون الحياة اليهودية الوحيد مقصوراً على دفع التبرعات إلى إسرائيل، وحضور المظاهرات التى ينصرف بعدها هذا اليهودى الجديد إلى بيته الوثير فى الضاحية.

وبذلك... نستطيع أن نصف اليهود الجدد بأنهم مقلوب (المارانو).

فإذا كان (المارانو) يطنون اليهودية، ويظهرون أى دين آخر، فإن هؤلاء اليهود الجدد يظهرون اليهودية بطريقة صاخبة يسلكون بها شتى المسالك التى تعلن عن يهوديتهم، ولكنهم -فى الوقت ذاته- يطنون العلمانية الملحدة ويباشرون الاستهلاكية الأمريكية.





ومن هنا... عرفت المحكمة الإسرائيلية العليا اليهودي بأنه من يرى نفسه يهودياً... من كل ما خلق ورطة حقيقية للمستوطن الصهيوني، فتعلت الأصوات -ولأول مرة- مطالبة بإلغاء قانون العودة.

المعالجة الصهيونية لمشكلات الهوية

وذكر الدكتور المسيري أن اضطراب اليهود في الغرب إلى الاستجابة لمطالب الدولة القومية الحديثة بالتخلص من خصوصيتهم الدينية، والقومية، والعرقية، والتخلص من تمايزهم الوظيفي، والاقتصادي... اضطرابهم إلى هذا وذاك ألجأهم إلى اصطناع «اليهودية الإصلاحية» التي فصلت الهوية الدينية عن الهوية القومية، وعرفت اليهودية تعريفاً دينياً خالصاً. ومثلت (اليهودية الإصلاحية) في ذلك، (اليهودية الأرثوذكسية).

ومع تصاعد العلمنة اضطرب هؤلاء وأولئك إلى التراجع عن البعد الديني، وإعادة تعريف الهوية اليهودية على أساس قومي علماني.

وما كان من يهود غرب أوروبا حدث مثله من يهود شرق أوروبا، ولكن تخلف أوروبا الشرقية كان وراء تأخيرهم في ذلك، ووراء اختلاف الهوية، حيث طرحت عدة تصورات للهوية اليهودية تستند إلى تجربة أعضاء الجماعات اليهودية هناك.

وإزاء تفاقم المشكلات الناجمة عن هذا التعدد المفتوح للهويات... حاول الصهيونيون العلمانيون إعادة تعريف الهوية اليهودية تعريفاً يؤكد الجانب القومي، ولا يعنى بالجانب الديني

وفي هذا الإطار الاندماجي ظهرت مقولة جديدة هي (يهودي بشكل ما).

أما اليهودي غير اليهودي الذي يتباهى باليهودية فهو نمط تماماً عن ذلك، حيث يتباهى بانتماؤه اليهودي، مع أن حياته وسلوكه وهويته خالية تماماً من أى مضمون يهودي... ديني أو قومي.

ويلاحظ أن هذا النمط المدعى قد ساد وانتشر بعد وعد (بلفور).

لقد كان التهود يعنى: الانضمام لأقلية لها طقوسها وشعائرها ووظائفها التي تعزلها عن المجتمع.

ولكن -بعد ظهور الصهيونية، وإقامة دولة إسرائيل- صار هذا المصطلح يشمل من يدعى اليهودية وليست له أية جذور يهودية، واليهودي غير اليهودي، واليهودي بشكل ما... حيث أعاد هؤلاء اكتشاف علاقتهم باليهودية؛ ليفيدوا من التسهيلات المادية، والعينية والمنح المالية التي قدمتها الحركة الصهيونية لمن يهاجر إلى إسرائيل.

فأينا اليهود المتخفين من مواطني السوفييت عادوا يؤكدون يهوديتهم... بعد أن كانوا قد سجلوا أنهم غير يهود، وانضم إليهم أعداد كبيرة لم يكونوا يهوداً من قبل، ادعوا اليهودية. وحدث مثل ذلك في (مكسيكوسيتي)، وفي أثيوبيا، فالفلاشة ليسوا يهوداً بالمعنى الحاخامي.

وقد أخذت هذه الظاهرة شكلاً حاداً في آسيا وأفريقيا، حيث بدأ أفراد بعض القبائل في آسيا وأفريقيا يعلنون يهوديتهم.



متميزاً، ولذلك فهم يرون أن التزاوج من الأجانب سيؤدى إلى تدهور العرق اليهودى، وأنه لا بد من تأسيس وطن قومى .

ولكن تم التخلّى عن هذا التعريف تماماً فى هذه الأيام؛ استجابة لما اتجه إليه الغرب من رفض النظريات العرقية .

٢ - وأما القوميون فيرون أن اليهود جماعة مترابطة، ذات تاريخ مشترك، وأن ثمة روابط تراثية بين اليهود منذ أربعة آلاف سنة . ويرون أن ما حفظ وحدة اليهود هو الدين اليهودى، لا من حيث هو عقيدة، وإنما من حيث هو إطار رمزى .

٣ - والدينيون يرون أن هوية اليهود القومية مصدرها الدين؛ إذ لا يمكن التفرقة بين القومية اليهودية، والعقيدة اليهودية، فاليهود أمة مقدسة، وكيان منعزل غريب مقدس، يكتسب هويته من علاقته الخاصة مع الرب .

فمصدر الشرعية والقداسة - فى القول الصهيونى العلمانى - هو الشعب اليهودى ذاته، أما فى القول الدينى فإن مصدر الشرعية هو الحلول الإلهى فى هذا الشعب .

والتعريف السائد الآن - فى المستوطن اليهودى - هو التعريف الصهيونى اللادينى القومى بالدرجة الأولى . ويليه التعريف الصهيونى الدينى القومى .

ويلاحظ أن التعريف الدينى أخذ فى الانتشار منذ نهاية الستينيات، وأن الصراع بين التيارين يفجر قضية الهوية التى تفرض السؤال: من هو اليهودى؟

«يتبع»

إلا بمقدار تعبيره عما يسمى (القومية اليهودية) . ويرى الدكتور المسيرى أن الصهيونية فى أحد جوانبها تعد محاولة لإعادة تعريف اليهود، فهى محاولة مثل (اليهودية الإصلاحية) و(اليهودية الأرثوذكسية)، و(قومية الدياسبورا) .

فالصهيونيون يرون أن ثمة هوية قومية يهودية واحدة متميزة متجانسة تميز اليهود من سائر الأقوام والشعوب فى كل زمان ومكان .

١ - ومنهم من يرى أن هذه الهوية صادرة بفعل الضغوط الخارجية؛ فهى مجرد رد فعل لهجمات أعداء اليهود عليهم، أو بفعل الوضع الطبقي المتميز لهم فى المجتمع الغربى، فاليهودى - بتلك الرؤية - يكتسب هويته من الغير .

٢ - ولكن معظم الاتجاهات الصهيونية ترى أن الهوية اليهودية شىء نابع من مصدر آخر، هو حركات، ما يسمى (التاريخ اليهودى) المرتبط بفلسطين .

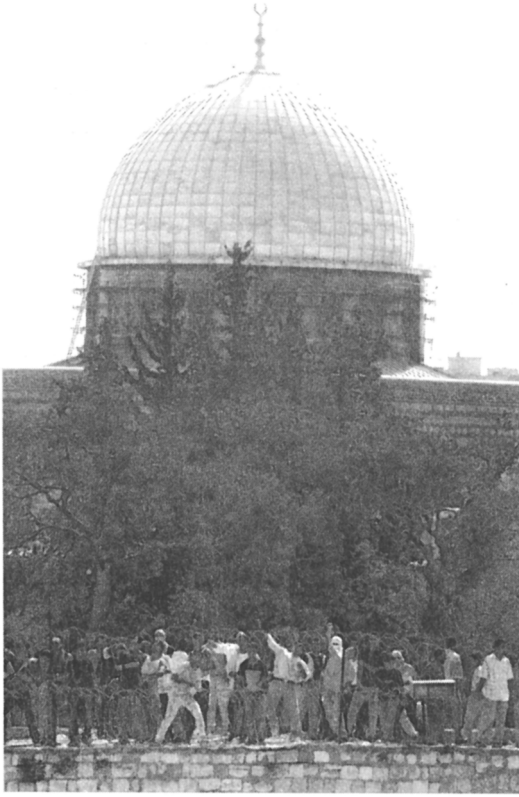
وبناء على هذا يرى الصهيونيون أن هوية يهود المنفى المندمجين إن هى إلا انحراف عن مسار هذا التاريخ .

ويرون أن تطبيع اليهود يعنى منحهم هوية يهودية جديدة سوية، هى (اليهودى مائة بالمائة) .

ولكنهم - مع هذه الرؤية الموحدة - تشعبت بهم السبل، فظهرت عدة تصورات لمصدر يهودية هذا اليهودى الخالص، كان من أبرزها: التعريف العرقى، التعريف القومى أو التراثى والتعريف الدينى .

١ - أما العرقيون فيرون اليهود عنصراً عرقياً





الاقتصاد الإسرائيلي في ظل الانتفاضة الأقصى

لمؤستاذ / صلاح عبد الرزيم محمد

يعانى الاقتصاد الإسرائيلي، فى معظم قطاعاته من أزمة اقتصادية طاحنة، منذ اندلاع انتفاضة الأقصى، التى أصابته بأضرار كبيرة، مازال يقاسى من آثارها حتى الآن خاصة قطاع السياحة الذى يعتمد عليه الكيان الصهيونى، اعتماداً أساسياً فى تمويل بنود ميزانيته العامة، فقد أدت الأخطار الأمنية للانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطينى، سواء فى مناطق السلطة الفلسطينية، أو داخل إسرائيل، إلى انخفاض عدد السائحين إلى إسرائيل، وتباطؤ الحركة السياحية، وتدنى الدخل السياحى، بالإضافة إلى الاستغناء عن كثير من العاملين فى الفنادق، والمطاعم، والإرشاد السياحى، ومؤسسات النقل السياحى، ناهيك عن إلغاء العديد من الرحلات السياحية إلى إسرائيل بواسطة شركات السياحة فى الخارج.

بالإضافة إلى ما تدفعه، في مقابل ذلك، من مبالغ طائلة:

وفي إطار التخفيف من الآثار السلبية للانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي، بذل رئيس الوزراء الإسرائيلي «أريئيل شارون» جهوداً مضنية حتى حصل على تأييد غالبية أعضاء الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) لخطة طوارئ اقتصادية تشمل خفضاً للنفقات على البرامج الاجتماعية، بقيمة ٦ مليارات شيكل، وزيادة الضرائب ٣ مليارات شيكل. وسوف أتناول بالتفصيل - بعد هذه العجالة - بيان هذه التأثيرات التي أصابت أهم قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي بأضرار فادحة نتيجة للانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطيني، ففي القطاع السياحي، كانت إسرائيل تتوقع أن يصل عدد السائحين إلى ٣,٢ مليون سائح في نهاية عام ٢٠٠٠، ولكنها فوجئت بتراجع ملحوظ في الحركة السياحية بنسبة ٥٠٪، وتوقف عدد السائحين عند ٢,٦٩ مليون سائح، وهذا ما أكدته تقرير بنك إسرائيل رقم ٩٥، فقد أشار إلى أن الانتفاضة الفلسطينية أضرت كثيراً بالاقتصاد الإسرائيلي، خاصة في قطاع السياحة. وفي هذا السياق ذكرت وزارة السياحة الإسرائيلية أنه في خلال الشهور الخمسة الأولى للانتفاضة «من أكتوبر إلى فبراير ٢٠٠١» شوهد تراجع في عدد السائحين بنسبة ٤٤٪ قياساً بالفترة المقابلة عام ٢٠٠٠، وخسارة بلغت ٣ ملايين شيكل، واستغناء عن ١٢٠٠٠ عامل في فرع الفنادق، ونحو ١٢٠٠٠ عامل في فرع خدمات الضيافة والمأكّل، وتشير الإحصاءات الصادرة عن وزارة السياحة أيضاً إلى أن انخفاضاً في الطلب على الغرف في فرع الفنادق بنسبة

ومن جهة أخرى، فإن هذه الأضرار لم تقتصر فقط على القطاع السياحي، بل امتدت آثارها أيضاً، إلى قطاع الزراعة والبناء والإسكان، فأصابته في الصميم حيث يمثل العمال الفلسطينيون ٢٥٪ من القوة العاملة في هذا القطاع، وقد رفض هؤلاء العمال الذهاب إلى أعمالهم داخل إسرائيل، رافعين شعار عدم التعاون مع العمل العبري، ومقاطعة شراء السلع الإسرائيلية، وترتب على هذا الوضع صعوبة تنفيذ مشروعات الزراعة والبناء، وتأخير الانتهاء من إتمام المشروعات القائمة في هذا القطاع، ومن ثم ارتفعت أصوات إسرائيلية تطالب بالاستعانة بالعمالة الأجنبية لإنهاء هذه المشروعات المتأخرة. ومن اللافت للنظر أن الاستثمارات الأجنبية قد نالها نصيب من هذه الأضرار، إذ انخفضت معدلاتها في إسرائيل، بسبب عزوف أصحاب رؤوس الأموال عن استثمارها في الكيان الإسرائيلي نتيجة للأخطار الأمنية. وكما هو معلوم، اقتصادياً، أن رأس المال لا يمكنه أن يتجه إلا إلى مناطق مستقرة أمنياً وسياسياً، وبالتالي فقد حرمت انتفاضة الأقصى، الاقتصاد الإسرائيلي من الاستفادة من هذه الاستثمارات الأجنبية، وكان من نتيجته تدنى معدل النمو الاقتصادي في إسرائيل، وارتفاع معدلات البطالة، وسيادة الركود الاقتصادي. لذلك فقد أبقى - خبراء الاقتصاد بشركة «ستاندرد فورس» المعنية بترتيب الدول، تبعاً لمستواها الاقتصادي - ترتيب الاقتصاد الإسرائيلي على ما هو عليه، غير أنهم هبطوا بتموجات ترتيبه من مستقر إلى سلبي. وهذا معناه في نظر هؤلاء الخبراء أن إسرائيل ستواجه صعوبات شديدة في الحصول على قروض، أو أي تسهيلات ائتمانية من الخارج،



٥٥,٤٪ قد لوحظ في الربع الأول من عام ٢٠٠١ بالقياس بالفترة المقابلة من عام ٢٠٠٠، كما بلغ عدد ليالي المبيت في الفنادق خلال نفس الفترة ١٩٤,٠٠٠ ليلة في مقابل ٢٦٧٣,٠٠٠ ليلة خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٠. وإذا كانت السياحة، بصفة عامة، تعتمد على التنظيم المسبق والتخطيط طويل الأجل، فقد أثرت الانتفاضة سلباً في خطط الشركات السياحية الكبرى العاملة في الخارج، والمعنية بتنظيم الرحلات إلى إسرائيل، وأصبح المسؤولون عن تنظيم السياحة الوافدة إلى إسرائيل قلقين على مصير السياحة في السنوات القادمة، لا سيما أن شركات التعهدات السياحية الكبرى، والمنظمات الدينية المسيحية في الخارج، المسؤولة عن تقرير وجهة السياح، هي التي تتولى وضع برامج الرحلات الخارجية مقدماً، ولعدة سنوات قادمة، وهذا ما أثار مخاوف إسرائيل على السياحة الوافدة إليها من الخارج، لذلك ترصد إدارة التسويق في وزارة السياحة الإسرائيلية ما يعادل نحو ٤٥ مليون شيكل لدعم شركات التعهدات السياحية الخارجية لتتفادى بذلك احتمالات شطب إسرائيل من برامجها السياحية. أما فيما يتعلق بالوضع السياحي الحالي في إسرائيل، فيشير مكتب الإحصاءات المركزي الإسرائيلي في أحد تقاريره أنه قد حدث تراجع في عدد السائحين الذين زاروا إسرائيل في الشهور السبعة الأولى من عام ٢٠٠٢ بنسبة ٤١٪ بالقياس بالفترة نفسها من عام ٢٠٠١، وأن عدد السائحين الذين وصلوا إلى إسرائيل في الفترة من يناير إلى يوليو ٢٠٠٢ بلغ حوالي ٤٧٣ ألف سائح مقابل ٨٠٧ آلاف سائح بالقياس بنفس الفترة من عام ٢٠٠١، وأن ٧٣٢٥

سائحاً فقط قاموا بزيارة إسرائيل في شهر يوليو ٢٠٠٢ مقابل ١٣ ألف سائح خلال الشهر نفسه من عام ٢٠٠١. ويذكر التقرير أيضاً أنه في حالة استمرار هذا المعدل في الفترة المتبقية من عام ٢٠٠٢، فستصبح السياحة في أدنى مستوياتها. ومن الثابت أيضاً في هذه الإحصاءات الإسرائيلية حدوث تراجع في دخل السياحة الإسرائيلية من ٤ مليارات دولار إلى ٢ مليار دولار، واحتمال الاستغناء عن ٧٠ ألف عامل في قطاع الفنادق والمطاعم والإرشاد السياحي. أما فيما يتعلق بقطاع الزراعة والبناء والإسكان، فإنه في أواخر مارس ٢٠٠١ قام رئيس اتحاد منظمات المزارعين في إسرائيل بتقدير الأضرار التي لحقت بقطاع الزراعة بسبب نقص العمالة الفلسطينية في هذا القطاع، منذ اندلاع الانتفاضة، فبلغت نحو ١٥٠ مليون شيكل، ولذلك طلب رئيس الاتحاد من رئيس الوزراء «شارون» جلب ٢٠٠٠ عامل زراعي من تايلاند بدلاً من العمال الفلسطينيين الذين رفضوا العمل في القطاع الزراعي في إسرائيل. وفي قطاع البناء والإسكان نجد أن العمالة الفلسطينية تشكل حوالي ٢٥٪ من قوة العمل في هذا القطاع. ومع امتناع العمال الفلسطينيين - بسبب الانتفاضة - عن التعاون مع مسؤولي البناء والإسكان، طلب المدير العام لاتحاد المقاولين الإسرائيليين من وزارة العمل التصريح لحوالي ١٤٠٠٠ عامل أجنبي ليحلوا محل العمالة الفلسطينية الرافضة، معللاً طلبه بقوله: «أن الوضع الأمني الحالي يترك قطاع البناء بلا عمل، وثمة ضرورة ملحة تستدعي استقدام ١٤٠٠٠ عامل أجنبي إضافي خشية تعرض قطاع البناء، والبنى التحتية للتوقف محلياً

سكنى فى مستعمرة «هارجوما» شمالي بيت لحم بالقرب من حى «جيلو» الاستيطاني، الذى يشمل على أكثر من ٢٠٠٠ وحدة سكنية، لا يلاقى إقبالاً من المستوطنين بسبب الأخطار الأمنية» .

وهذا يُبين بوضوح الرعب الذى يسيطر على المستوطنين اليهود ويجعلهم لا يقبلون السكن فى هذه المستوطنات التى تعاني من الأخطار الأمنية بسبب الانتفاضة الباسلة للشعب الفلسطينى . أما فيما يتصل بالاستثمارات الأجنبية فى إسرائيل فيشير الخبراء الاقتصاديون فى «دائرة العملة الصعبة» فى بنك إسرائيل إلى أن انتفاضة الأقصى قد أضرت كثيراً بتدفق الاستثمارات الأجنبية إلى إسرائيل إذ بلغ إجمالى هذه الاستثمارات فى إسرائيل ١٦ مليار دولار خلال الربع الأخير من عام ٢٠٠٠ مقابل ٣٧ مليار دولار خلال الربع الثلاثة الأولى من نفس العام، وتخشى الدوائر الاقتصادية الإسرائيلية أن تصل الأزمة إلى قطاع التكنولوجيا المتطورة الذى يشكل المحور الرئيسى فى الازدهار الاقتصادى الذى حققه الاقتصاد الإسرائيلى خلال السنوات الإثني عشرة الماضية . وفى هذا السياق، جاء تصريح مدير «دائرة العملة الصعبة» فى بنك إسرائيل بقوله : «إذا تفاقمت الحوادث الأمنية، فمن المتوقع أن يصاب القطاع المالى بضرر بليغ، يتمثل فى تراجع تدفق رؤوس الأموال لفرع التكنولوجيا المتطورة، قد ينجم عنه ضغوط على سوق العملة الصعبة، وسوق الأسهم، وانخفاض فى سعر صرف الشيكلى» . ومن جهة أخرى يُجمع رجال الاقتصاد فى إسرائيل على أنه إذا استمرت الانتفاضة الفلسطينية، وما يصاحبها من تدهور أمنى، قد يلجأ المستثمر الأجنبى إلى

خلال الفترة القادمة» . وجدير بالذكر أن الطلب على المساكن، قد أضر، أيضاً، بسبب حالة عدم اليقين الأمنى، إذ أن الأفراد الذين، كان من المقرر، أنهم يخططون لشراء مسكن فى مناطق، تفاقم فيها الخطر الأمنى فجأة، بسبب الانتفاضة، فضّلوا تأجيل الشراء إلى حين استقرار الأوضاع الأمنية . كما تأثر الطلب على المساكن أيضاً بسبب انخفاض الهجرة اليهودية الوافدة إلى إسرائيل لدواع أمنية، فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل - منذ بداية عام ٢٠٠١ وحتى يوليو من نفس العام - ٢٤٠٠٠ مهاجر يهودى فى مقابل ٣٢٠٠٠ مهاجر يهودى عام ٢٠٠٠ خلال نفس الفترة . كما تراجع النشاط فى مجال البناء والإسكان بنسبة ١٠٪ فى عدد الصفقات التى عقدت لشراء مساكن خلال الشهور السبعة الأولى من عام ٢٠٠١، قياساً بنفس الفترة من عام ٢٠٠٠ . ومن اللافت للانتباه أنه منذ أكتوبر ٢٠٠٠ وفى بداية انتفاضة الأقصى، تم إغلاق ما لا يقل عن ٢٥ فندقاً فى إسرائيل، عشرة منها فى مدينة الناصرة وحدها، بالإضافة إلى حالة الجمود التى أصابت سوق العقارات فى المناطق الخلفية من تل أبيب حيث تتمركز صناعة التكنولوجيا المتطورة .

وفى القدس، قيل أنه شوهدت الشقق السكنية الواقعة على منحدرات التلال المطلّة على مسرح المواجهات مع الفلسطينيين، خالية تماماً من ساكنيها .

ولا يفوتنى الإشارة إلى أن تأثير الانتفاضة، امتد أيضاً إلى المستعمرات اليهودية، وهذا ما ذكره «دانييل بن سيمون» فى مقاله بجريدة «هآرتس» الاسرائيلية فى ٢/ ٣/ ٢٠٠١ بقوله : «إن أول حى



السلبية على « المناطق الصناعية الحدودية » التي تقع على الحدود بين إسرائيل ومناطق السلطة الفلسطينية، لكن قسماً منها يقع في عمق المناطق الفلسطينية مثل « عطروت »، شمالي القدس، و« برقان » في منطقة نابلس، و« إيريز »، و« دكرنى » على حدود غزة، و« نفه كاليم » داخل قطاع غزة. و جدير بالذكر أن هذه المناطق الصناعية أنشئت في الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧، وقامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتوسيعها عقب اتفاق أوسلو ١٩٩٣. وترتكز هذه المناطق الصناعية على عنصرين رئيسيين: الأول استثمارات إسرائيلية، والثاني عمالة فلسطينية. ومن الملاحظ أن منطقة « عطروت » الصناعية تضم ٢٠٠ مصنع، وتستخدم ٤٠٠٠ عامل، وقد تعرضت لخسارة توازى ٣٠٠ مليون شيكل، منذ بداية الانتفاضة، بالإضافة إلى انخفاض مبيعاتها بنسبة ٥٠٪، وفوق ذلك توقف ما يزيد على ٥٠٪ من العمالة الفلسطينية المستخدمة عن العمل، وتأجيل تنفيذ استثمارات في هذه المنطقة بما يعادل ١٢٠ مليون شيكل، كانت مخصصة لإنشاء عدة مصانع جديدة، وتوسيع مناطق قائمة، وذلك لدواع أمنية.

وفي الختام يمكن القول أن الانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطيني أثرت سلباً على الاقتصاد الإسرائيلي، وأوقعته في أزمة اقتصادية حادة، يحاول خبراء الاقتصاد الإسرائيليون الخروج منها، وهذا ما أكدته «دكتور ديفيد كلاين» محافظ بنك إسرائيل في محاضرته أمام مؤتمر «قيسارية» الاقتصادي عندما ذكر أن الوضع الأمني كان سبباً في الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها إسرائيل الآن.

إعادة استثمار أمواله خارج إسرائيل. ومن هذا المنطلق تأتي الخطورة، إذ سيرتفع الطلب على العملة الصعبة، وسيرتفع سعرها، و يترتب، تبعاً لذلك، انخفاض سعر الشيكل، وحدوث موجات تضخمية متزايدة، وتصفية الاحتياطي الاسرائيلي من العملات الصعبة، بما يؤدي إلى ارتفاع في أسعار العملات الصعبة ارتفاعاً شديداً، وهذا ما يخيف الدوائر الاقتصادية في إسرائيل، ويقلقها كثيراً.

وأخيراً لن يتبقى سوى قطاع الصناعة الذي لم يفلت أيضاً من آثار الانتفاضة، إذ تشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أنه خلال الشهور الخمسة الأولى منها هبطت مبيعات الصناعة الإسرائيلية بنسبة تتراوح بين ٣٠٪ - ٥٠٪، أى ما يعادل ٣٠٠ - ٥٠٠ مليون شيكل. ويذكر رئيس الشعبة الاقتصادية في اتحاد الصناعيين «أن نسبة التراجع في النمو الصناعى بلغت ٣٤٪ خلال الربع الأخير من عام ٢٠٠٠، وأنه قُصِلَ ٤٥٠٠ عامل بنسبة ١١٪ من العاملين في الصناعة». ومن ناحية أخرى يصف المعلق الاقتصادى الإسرائيلي «إبراهيم طال» الوضع الاقتصادى المتردى لاسرائيل، وذلك بجريدة «هآرتس» الإسرائيلية بتاريخ ٢٠٠١/٣/٥، فيقول: «إن أكتوبر ونوفمبر، أول شهرين من الانتفاضة شهد انحساراً فى النشاط الاقتصادى، يمكن وصفه بالانهيار».

وليس بعد ذلك من شهادة صريحة من جانب أحد المعلقين الاقتصاديين اليهود، بمدى الانهيار الذى أصاب الاقتصاد الإسرائيلى، من جراء انتفاضة الأقصى. ومن الأهمية بمكان أن نلفت الانتباه إلى أنه كان للانتفاضة أيضاً تأثيراتها



بعد التكية

للشاعر العراقي الكبير الأستاذ
محمد بهجة الأثرى (*)

هَلْ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَبَرٍ
بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَالْبَصَرِ؟
حِينَ نَابَ الْعَفْزُ بِالْوَتْرِ

يَا أَبَا الضَّئِيمِ مِنْ مُضَرٍ
آيَةً وَلَى الزَّمَانِ بِكُمْ
غَابَ عَنِ سَمْعِي زَيْبُكُمْ

مَالَهُ فِي الْمَجْدِ مِنْ وَطَرٍ؟
حَظُّ مَغْبُونٍ مِنَ الْبَشَرِ
نَهَبَ أَوْشَابَ مِنَ الزُّمَرِ
لَعِبَ الصَّبَبِيَّانَ بِالْأَكْرِ
سَادَةَ الْبَادِينَ وَالْخَضَرِ
مِنْ ضَلَالِ النَّفْسِ مُعْتَكِرِ
عَنْ مَجَالِ الْجِدِّ وَالْخَطَرِ
وَيُجَافِي طَيْبَ السَّيْرِ

كَيْفَ يَدْنِي نُجَحِّهُ وَطَنُ
حَظُّ رَوَادِ الْعَمَلِ لَهُ
وَطَنُ بَاتَتْ مَفَارِمْهُ
لَعَبَتْ أَيْدِي الطُّغَاهِ بِهِ
وَعَثَتْ فِي النَّاسِ مُفْسِدَةٌ
وَكَلَّانَ النَّاسِ فِي عَمَمِهِ
كُلُّ مَنْ تَلَقَّاهُ مُنْتَبِذُ
يُؤْثِرُ السَّفْسَافَ مَعْجَزَةً

(*) الشيخ بهجة الأثرى من رجالات العراق وعضو المجامع العربية في القاهرة ودمشق وبغداد.

(٢) آية: في أي مكان.

(٤) مغبون: منحوس.

(٦) الأكر: جمع أكرة، وهي الكرة.

(٨) منتبذ: بعيد.

(١) مضر: والد العرب.

(٣) يدني: يقرب، وطر: مأرب.

(٥) أو شاب: أخلاط، الزمر: الجماعات.

(٧) عمه: ضلال، معتكر: مظلم.

(٩) السفساف: التافه الحفير، معجزة: ضعف.



فَإِذَا زَيْنَتْ مَكْرُمَةً
وَإِذَا جَآهَدَتْ مُنْكَرَةً
عَادَ مَذْمُومًا، بِلَا نَظَرٍ،
مَالَتِ الْأَعْنَاقُ مِنْ ضَجَرٍ
جَاءَكَ الْمَكْرُوهُ كَالْمَظَرِ
كُلُّ مُحْمُودٍ مِنَ الْفِكْرِ! (١٠)

أَيُّهَا اللَّاهُونَ فِي وَطَنِ
هَلْ أَمِنْتُمْ بَغْيِيَهُمْ سَفْهًا
جِدُّهُمْ جِدٌّ وَجِدُّكُمْ
فِي (فِلَسْطِينَ) لَكُمْ عِبْرٌ
قَطْمُورُهَا، وَهِيَ أَمْنَةٌ
رِيعَ أَهْلُوهَا، فَمُتَّصِرُوا
رُبَّ مَنْ أَبَدَى حِمَايَتَهَا
خَاذِلٌ فِي زَى مُتَّصِرٍ
أَيْنَ أَهْلُوهَا.. غَدَاؤُهَا بَدَا
يَا أَعْرَاضِ بِهَا هُتَكَتْ
يَا أَرْوَاحِ بِهَا قُتِلَتْ
أَدْهَقُوا الْكَاسَاتِ وَاصْطَبَحُوا
يَمْرَحُ الْغَاوُونَ مِنْ طَرَبٍ
وَطَنِ الْعَادِينَ بِالْغِيَرِ (١١)
وَهُمْ مِنْكُمْ مَدَى النَّظَرِ؟ (١٢)
هَزُلْ مُجَّانٍ مِنَ الْغَثَرِ (١٣)
لَوْ أَفْدَيْتُمْ حَظَّ مُعْتَبِرٍ (١٤)
مِثْلَ قَطْعِ الشَّاةِ بِالشُّفْرِ (١٥)
بَلْ لَقَدْ أَوْذُوا بِمُنْتَصِرٍ (١٦)
شَقِيتَ مِنْهُ بِذَى خَوَرٍ (١٧)
عَاجِرٌ فِي ثَوْبِ مُقْتَدِرٍ (١٨)
مَالَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَزَرٍ (١٩)
لَمْ تَجِدْ عَوْنًا عَلَى الْخَفَرِ (٢٠)
لَمْ تَجِدْ رِكَزًا لِمَزْدَجِرٍ (٢١)
طَابَتِ الدُّنْيَا لَذَى الْأَشْرِ (٢٢)
مَرَحَ الْغَادَاتِ فِي الْحَبْرِ (٢٣)

(١٠) بلا نظر: بلا عقل ورأى.

(١٢) بغيهم: اعتدواؤهم.

(١٤) عبر: عظات.

(١٦) ريع: فزع، المنتصر: من دعوته للنصرة.

(١٨) زى: هيئة.

(٢٠) خفر: حياء.

(٢٢) أدهقوا: ملئوا، اصطحبوا: شربوا الخمر في الصباح، الأشر: البطر.

(٢٣) الحبر: ملابس الحرير.

(١١) الغير: النواذب.

(١٣) الغثر: الرعاع.

(١٥) الشفرة: حد السكين.

(١٧) خور: ضعف.

(١٩) بدأ: متفرقين، وزر: ملجأ.

(٢١) ركزاً: صوتاً.



مَاعَلَيْهِمْ إِنْ هُمْ نَعِمُوا أَنْ يَعِيثَ الذَّنْبُ فِي الْحُمُرِ (٢٤)

قُلْ لِمَغْرُورِينَ قَدْ سَفَهُوا أَنْفُسًا نَامَتْ عَنِ الْعَبْرِ (٢٥)
غَدُكُمْ .. سَاعٍ عَلَى قَدَمٍ وَغَدٌ .. أَذْنَى لِنْتَظِرِ (٢٦)
إِنَّ مَنْ أَجْلَوْا عَمْرُوتَكُمْ حَاضِرُوا الْعُدُونَ وَالضَّرَرَ (٢٧)
وَلَقَدْ شَادُوا قِلَاعَهُمْ فِي تَخُومِ الْبَيْدِ وَالْمَدَرِ (٢٨)
وَأَعَدُّوا مِنْ فَوَاقِرِهِمْ كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ كَالْقَدَرِ (٢٩)
فِي جُنُودٍ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَطَى تَطْفَى عَلَى سَقَرِ (٣٠)
وَوَرَاءَ النَّارِ أَفْئِدَةٌ تَفْتَلِي بِالْحَقِّ وَالشَّرَرَ (٣١)
وَأَرَاكُمْ فِي بُلَهْنِيَّةٍ مِنْ لَذَازَاتٍ وَمِنْ سَمَمِ (٣٢)
مَالِكُمْ فِي النَّاسِ وَاقِيَّةٌ غَيْرَ الْقَابِ لِمُفْتَخِرِ (٣٣)
رُقِيَّةٌ مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ عَوْدَةٌ تَنْفَى أَذَى النَّظَرِ (٣٤)
عَلَّقَ رُوحَهَا فِي مَوَاطِنِكُمْ يَنْهَزِمُ بَاغٍ وَيَنْدَحِرُ (٣٥)
فِيمَ إِعْدَادِ الْقُورَى لِعَدٍ؟ حَسْبُكُمْ شَرْبٌ عَلَى الطَّرِ (٣٦)
رُبَّ جَامٍ فِي تَلْهَبِهِ بِالطَّلَا يَحْكِي سَنَا الدَّرِ (٣٧)
بَاتَ مَشْرُوبًا عَلَى قَمَرٍ حُسْنُهُ يُزْرَى عَلَى (القَمَرِ) (٣٨)
كَذَبَتْ أَوْهَامٌ عَيْشَكُمْ كُلُّكُمْ غَادٍ عَلَى الْخَطَرِ (٣٩)

(٢٤) يعيث: يفسد ويقتل.

(٢٦) أذنَى: أقرب.

(٢٨) المدر: الحواضر.

(٣٠) سقر: جهنم.

(٣٢) بلهنية: نعيم.

(٣٤) عودة: تعويذة لمنع الحسد.

(٣٦) الطرر: يريد الوجوه الحسان.

(٣٨) قمر: حسناء جميلة.

(٢٥) العبر: العظات.

(٢٧) عمومكم: أقاربكم الأذنون.

(٢٩) فواقهم: دواهيهم، ماضٍ: قاطع.

(٣١) الشرر: لهيب البغضاء.

(٣٣) واقية: مانعة.

(٣٥) الضمير يعود إلى الرقية والتعويذة.

(٣٧) جام: كأس، الطلا: الخمر.

(٣٩) الخطر: الشر العظيم.





يَشْحَذُ «الْجَزَارُ» شَفْرَتَهُ وَتَنَامُ الشَّاءُ فِي غَرَرٍ (٤٠)
غَافِلَاتٍ فِي حَظَائِرِهَا وَالرَّدَى دَانَ مَعَ السَّحَرِ (٤١)

يُوقِظُ السَّاهِينَ مِنْ سِنَةٍ صَوَائِحُ الْأَيَّامِ بِالنُّذْرِ (٤٢)
وَأَرَاكُم لَا يُنَبِّهُكُمْ صُورُ (إِسْرَافِيلَ) مِنْ خَدَرٍ (٤٣)
كَلَّمَا زِيدَ الْهُتَافُ بِكُمْ زَادَ فِيكُمْ عُنْصُرُ الْحَجَرِ (٤٤)
(لِلْيَهُودِ) الْيَوْمَ ذَلَّتْكُمْ وَغَدَا لَا شَكَّ (لِلنُّورِ) (٤٥)
خَبَّرُونِي.. أَيْنَ حِسْكُمْ لِأَزِيدَ الْوُخْزَ بِالْإِبْرِ؟
شَكَّكَتْ نَفْسِي مَهَانَتَكُمْ إِنَّكُمْ يَا قَوْمُ مِنْ مُضَرٍ (٤٦)

كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ وَدَعَتْ فِي زَمَانٍ صَالٍ كَالنَّمْرِ؟ (٤٧)
تَحْمِلُ الرِّيحَانُ فِي يَدِهَا وَهُوَ دَامِيَ النَّابِ وَالظَّفْرِ (٤٨)
وَتَرُودُ السَّلَمَ فِي أُمَمٍ تَتَحَرَّى مَقْتَلِ الْأَخْرِ (٤٩)
وَيَحْهَاهَا..! مَاذَا يُرَاوِدُهَا مِنْ خَايَالَاتٍ وَمِنْ سَدْرِ؟ (٥٠)
أَتُرَاهَا غَابَ مِنْ خَدَرٍ وَعُيُيْهَهَا؟ أَمْ نَامَ مِنْ سَكْرِ؟
أَمْ عَرَّتْهَا فِي تَخَبُّطِهَا ظُلْمَةٌ غَطَّتْ عَلَى الْبَصْرِ؟
ذَاكَ - وَاللَّهِ - الْغُفْبَاءُ.. إِذَا لَمْ يَكُنْ أَفْعَالُ مُنْتَحِرٍ!

(٤٠) الشفرة: حدّ المدية، غرر: غفلة.

(٤٢) سنة: نوم.

(٤٤) الهتاف: النداء.. عنصر الحجر: يريد عدم الإحساس.

(٤٦) مهانتكم: ذلتكم.

(٤٨) دامى الناب: يخبىء الخطر ويستتره.

(٥٠) سدر: غفلة.

(٤١) دان: قريب أت.

(٤٣) صور: بوق، خدر: سكر.

(٤٥) النور: الغجر.

(٤٧) ودعت: استكانت.

(٤٩) ترود: تطلب، تتحرى: تبتغي.

خطبة الجمعة

الإسلام والتفرقة العنصرية

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، أوضح الحق وحث عليه :

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

أشهد أن لا إله إلا الله، يميز الخبيث من الطيب، ويفرق بين الضلال والهدى :

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، ثبت دعائم اليقين والإيمان، وأقام دعوة العدالة والإنصاف، فعليه صلوات ربه وسلامه، وعلى آله القائمين بالحق، وأصحابه الناطقين بالصدق، وأتباعه الهادين للخلق :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣).

من الأمور الواضحة أن مبادئ الإسلام بحاجة إلى نشر بين أهله وغير أهله، بينما تنتشر في أرجاء العالم دعايات كثيرة مختلفة تجند لها الجنود، وتحشد من أجلها الحشود؛ وهناك الآن فرصة مواتية للإعلان عن عظمة الإسلام، وهي فرصة ما نسمعه ونطالعه من أخبار عن

(٢) الأنعام (١٠٤).

(١) آل عمران (١٠٤).

(٣) فصلت (٣٢).



الكعبة، وأثناء السعى بين الصفا والمروة، وفي غير ذلك من العبادات؟!

وتصل بهؤلاء شناعة التفرقة العنصرية إلى التمييز بين البيض والسود حتى فى القانون والعقاب، فهذا رجل أسود يسرق دولارين فيحكم عليه البيض بالإعدام جزاء لهذه السرقة، ونحن لسنا من أنصار السلب والنهب، ولكننا من أنصار العدالة والحياء، وهذا الحكم لا عدالة فيه، لأن قانونهم العام نفسه لا يقضى به، وليس فيه رائحة حياء، لأنه يوجد فى الغرب مئات آلاف سرقوا الملايين ولم يلاقوا الجزاء، ونهبوا الأمم وأزهقوا أرواح الشعوب وما زالوا طلقاء، ولقد دخل الرجل الأبيض أفريقيا فحمل إليها الذل والهوان، ونشر فيها تجارة الرقيق، ونهب من خيراتها ما نهب، وسلب من أجلها ما سلب، ثم بقى سالماً، وزاد فتبجح وزعم أنه حمل إلى أفريقيا المدنية والنور.

إنها نكبة يتطلب أهلها النجدة، وإنه سرطان خبيث يتفشى ويحتاج إلى الدواء والعلاج، وإنه بلاء يصيب الإنسانية فى صميمها، فتتطلع ذات اليمين وذات الشمال باحثة عن من يعيد إليها إيمانها بنفسها، وثقتها بدينها، واستقامتها على طريق ينقذها من هذا البلاء.. وهنا تنهأ الفرصة لأبناء الإسلام كى يبشروا به، ويدلوا الناس عليه، لينعموا بما شرعه من حرية وعدالة وإنصاف. ولن تكون فائدة هذا الخير مقصورة على المجال

الحوادث الدامية المخجلة التى تقع فى أمريكا وأوروبا ومستعمراتها بسبب التفرقة العنصرية بين البيض والسود، ففى القارتين الكبيرتين اللتين طال منهما الحديث عن الحرية والإخاء والمساواة، واللتين امتد منهما الادعاء بأنهما حاميتان للعدالة والإنسانية والحقوق البشرية والأخوة العالمية، تقع أحداث مخزية، لا محرك لها سوى أن الرجل الأبيض الذى يدعى أنه مؤدب ومهذب ومثقف، يضيق بلون الرجل الأسود، مهما كانت درجة ثقافته، فهو من أجل هذا يريد القضاء على مئة وخمسين مليوناً من السود فى الأرض، لا لعب فيهم، ولا لذنب جنوه، سوى أن البارئ المقتدر خلقهم بلون أسمر لا بلون أبيض.

فالبيض فى الغرب يطردون السود من الجامعات والفنادق والمطاعم. ويركلونهم فى الشوارع بالأقدام، ويطعنونهم بالمدى والخناجر، ويحرمونهم حقوقهم الطبيعية الأساسية التى جعلها الخالق العظيم حقاً مشاعاً لكل إنسان، وهم يضطهدونهم حتى فى العبادة، فالسود محرومون من الدخول إلى كنائس البيض، كأن للبيض رباً وديناً عندهم، وللأسود رباً وديناً، فأين هذا من هدى الإسلام العظيم الذى يقرر أن الرب واحد، وأن الرسول واحد، والكتاب واحد، والمسجد واحد، والخادم الفقير يقف بجوار أكبر فرد فى الأمة أثناء الصلاة، ويسير إلى جواره كتفاً بكتف أثناء الطواف حول



ولقد قال أحد الذين يدعون الانتساب إلى الأشراف لرجل آخر: لعلك تتزوج بشريفة. فقال الرجل: قد فعلت. قال المدعى للشرف: ممن؟ قال: من الذين قال الله فيهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

وهذا أبو لهب القرشي الغني المقتدر بين أهله يأتي إلى رسول الله ﷺ وهو الذي أرسله ربه للناس جميعاً، وجعله رحمة للعالمين، يأتيه أبو لهب مزهواً بحسبه وجنسه وماله ومكانته فيقول: ماذا أُعطى إن آمنت بك يا محمد؟ فيجيب الرسول في هدوء: «كما يعطى المسلمون». فيقول أبو لهب مستنكراً هذه المساواة: أما لي عليهم فضل؟ فيجيبه: «وأى شيء تبغى؟» فضايق أبو لهب بهذا الدين السمع الكريم، الذي يسوى بين الحر والعبد، والأبيض والأسود، والغنى والفقر، وعبر أبو لهب عن ضيقه وفجوره بقوله الأثيم: تبا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فكان الرد على ذلك التبجح أن نزل القرآن يقول:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ (٧).

الدينى وحده، بل سيفيدنا أعظم الفوائد فى المجالات القومية والوطنية، لأن الإسلام له تاريخه الطويل العاطر بمفاخر أجدادنا، فكأننا سننشر جوانب من مآثرنا وصفحات من ماضينا، ولأن الإسلام قارورة دواء ومضخة إطفاء، فمن اهتدى إليه على أيدينا من الحائرين فى الغرب سيعتبرنا مرشدين له هادين إياه إلى صراط المستقيم والنور المبين.

إن الإسلام حينما يعرفه أولئك الملونون الأشقياء باضطهاد البيض ويعرفون ما يدعو إليه من أخوة وتسامح ومساواة بين الناس سيكون أقوى جاذب لهم إلى رحابه وكتابه، فإن القرآن المجيد يضع قاعدة الأخوة الإنسانية الراسخة حين يهتف بالبشر جميعاً فيقول لهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٤).

كما يضع القاعدة الصريحة فى التفضيل بين الناس، فلا يجعلها قائمة على اللون أو المال أو النسب، بل يجعلها قائمة على الاستقامة والعمل الصالح فيقول:

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ (٥).
ويقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦).

(٥) الحجرات (١٣).

(٧) المسد.

(٤) النساء (١).

(٦) البينة (٧).





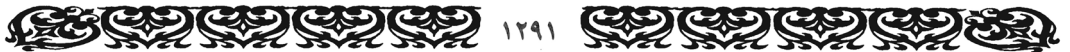
وهذا عمر بن عبدالعزيز يعرف أخوة الإسلام ويطبقها، فيأذن لزياد بن أبي زياد العبد الأسود الصالح، يأذن له والأمويون ببابه ينتظرون الدخول عليه، حتى يضح من ذلك هشام بن عبد الملك، فيقول غاضباً: أما رضى ابن عبدالعزيز أن يصنع ما يصنع، حتى أذن لعبد ابن عباس أن يتخطى رقابنا؟. وكان عمر يطلب من هذا الأسود أن يعظه وينصحه، وذات مرة نصحه زياد فقال له فيما قال وهو يذكره بتبعة الأمة فى عنقه: واللّه يا أمير المؤمنين ما هناك أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك أمام الله - تعالى - فبكى عمر بكاء شديداً، حتى تمنى أنه لم يكن قال له ذلك.

هذا هو الإسلام، وهذا تاريخ أبنائه، فإذا أردنا عز الدنيا ونعيم العقبي فلنستمسك بالعروة الوثقى: عروة الله، ولنندع إليها عباد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

ولم يفد أبا لهب شئ، لم يفده قومه ولا حسبه ولا ماله، لأن الأسباب أمام الإسلام تتقطع، والأحساب تضعيع، ولا يبقى إلا سبب الإيمان وحسب اليقين.

ولقد سمع نبي الإسلام رجلاً يقول يا ابن السوداء. فغضب محمد غضبته وقال: «طف الصاع (أى طفح الكيل) أعيرته بأمة؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح» فهل يسمع هذا الذين وقعوا وثيقة حقوق الإنسان من سنوات؟

وهذا تاريخ الإسلام يزدان بسير الأقطاب الأعلام الذين كان لونهم أسود ولكنهم بأخوة الإسلام مع كفاحهم العظيم بلغوا أرفع الدرجات بين الناس وهذا مثلاً عطاء بن أبى رباح سيد التابعين علماً وعملاً، وفقه مكة والحرم، وخليفة ابن عباس فى الإفتاء والذى كان يقال لأهل مكة عنه: كيف كان عطاء ابن أبى رباح فيكم! فيجيبون: كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد. وكان عطاء هذا أسود أعور أفتس أشل أعرج، ثم كف بصره، وكانت أمه سوداء تسمى «بركة»!



﴿ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات في الصلاة المفترضة

حكم ختام الصلاة جهراً

■ السؤال من السيد / م. ن. ع. بالجملة الكبرى:

ما حكم الشرع في ختام الصلاة جهراً؟

●● الجواب :

ختام الصلاة جهراً عقب الصلاة المكتوبة لا بأس به وجائز شرعاً. فقد روى عن علي - كرم الله وجهه - أن النبي ﷺ قال: « من قرأ آية الكرسي دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى » رواه الطبراني بإسناد حسن - وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر [صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة -

يعد باب الفتوى من الأبواب الثابتة والضرورية في «مجلة الأزهر» وتحت ظروف القاهرة حُجِبَ عن الظهور فترة وجيزة إلا أن قراء المجلة لم يحتملوا ظهورها من غير باب الفتوى، وكتبوا إلى المجلة يسألون عنه، ويلحون في طلبه، واستطاعت المجلة بعون الله أن ترضى قراءها الأعزاء، وأن تحافظ على مستواها الرفيع، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتي الجمهورية أن يتولى فضيلته إجابة السائلين، فقبل فضيلته مشكوراً، وإدارة المجلة ترى أن هذا من توفيق الله تعالى لها، ونحن إذ نحمد الله تعالى، ونشكر فضيلته على قبوله الكريم نزجى إلى القراء أننا توافقنا مع فضيلته على مشاركة أكبر تسعد القراء، وتشري المجلة بفكر ملتزم مستنير.

(مجلة الأزهر)

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى جمهورية مصر العربية وعضو مجمع البحوث الإسلامية

تغلّبت فيه شواغل الحياة على الناس فهم فى أمس الحاجة إلى تذكيرهم بالله على أنه ينبغى مراعاة التوسط والاعتدال فى ختام الصلاة جهراً حتى لا يؤدى ذلك إلى التشويش على من لم يدرك الجماعة أو على من أدركها مسبوقاً لقوله تعالى :

﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا يَخَافُ
بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

(الإسراء ١١٠)

وقد أفتى بجواز ختام الصلاة جهراً كثير من تولوا مهمة الإفتاء فى مصر، منهم : -
فضيلة الشيخ حسن مأمون - المجلد
العشرون .

وفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد
طنطاوى - المجلد الحادى والعشرون .
وفضيلة الأستاذ الدكتور / نصر فريد
واصل
والله سبحانه وتعالى أعلم .

[٩٣٩] ولا عبرة لما يقال أن النبى ﷺ أمر بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل عقب الصلاة سراً . لأنه قول بلا دليل ، فقد روى مسلم عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير . وفى رواية البخارى عن أبى معبد مولى ابن عباس - أن ابن عباس رضى الله عنهما - أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبى ﷺ . وقال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته . [صحيح البخارى - كتاب الأذان - ٧٩٦] وهذا يدل على رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة ، بل يرى بعض السلف استحباب رفع الصوت بالذكر والتهليل فى أعقاب الصلوات . قال النووى فى شرح مسلم [ج ٥ ص ٨٤] : تعقيباً على هذا الحديث : - هذا دليل لما قاله بعض السلف من أنه يُستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقب الصلاة المكتوبة ولا دليل يمنع الجهر بختام الصلاة لاسيما ونحن فى زمن



لا فرق بين بول الصبي والصبية

■ السؤال من علي . س . ي من جرجا :

قيل : إن بول الطفل الرضيع طاهر بينما بول الطفلة الرضيعة نجس ؟

وأن تطهير الأول يكون بالنضح ، وتطهير الثاني بالغسل ؟ فهل هذا صحيح ؟ ولماذا هذه التفرقة ؟

●● الجواب :

هذا السؤال ينطوى على مسألتين :

الأولى : أن بول الصبي الرضيع الذى لم يأكل الطعام طاهر بينما بول الأنثى الرضيعة نجس .

الثانية : كيفية تطهير الثوب أو الجسد منهما تختلف : بحيث يكتفى فى التطهير من بول الرضيع الذكر برش الماء ونضحه فقط ، ولا يكتفى فى بول الأنثى إلا بالغسل .

وفيما يتعلق بالمسألة الأولى ، فإن البحث الفقهي يتأدى إلى اتفاق جمهور الفقهاء على نجاسة بول الرضيع والرضيعة على السواء ، وأنه لا فرق بينهما فى حكم النجاسة والطهارة ، فكل منهما نجس . . وعليه فلا معنى للتساؤل عن العلة وراء نجاسة أحدهما وطهارة الآخر .

نعم ينسب القول بطهارة بول الصبي الرضيع فى بعض عبارات الفقهاء . إلى الإمام الشافعى ، ولكن يجب ألا نأخذ هذه الأقوال على أنها قضايا مسلمة نلزم بها مذهب الإمام الشافعى ، بهذه التفرقة بين الصبي والصبية . . ويحسن أن نستعرض هنا آراء أئمة المذاهب فى هذه المسألة :

١ - المذهب المالكي :

جاء فى المدونة (١ / ٧٥) : « وقال مالك فى الجارية والغلام بولهما سواء ، إذا أصاب بولهما رجلاً أو امرأة

غُسل ذلك ، وإن لم يأكل الطعام » وواضح من هذا النص أن الإمام مالكا لا يرى بينهما فرقا « فكل منهما نجس ، وكل منهما يجب غسله سواء بسواء ، وجاء فى كتاب التمهيد للحافظ ابن عبد البر القرطبي المالكي (١٠٨ : ٩) ما يلي : « أجمع المسلمون على أن بول كل آدمي يأكل الطعام نجس : واختلف العلماء فى بول الصبي والصبية إذا كانا مُرضعين لا يأكلان الطعام . فقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما : بول الصبي والصبية كبول الرجل (. . . .) وقال الشافعى : بول الصبي ليس بنجس » ، ولا يبين لى فرق ما بينه وبين الصبية ، ولو غُسل كان أحب إلى ويقول ابن عبد البر - أيضاً - فى كتابه : الاستذكار (٣ : ٢٥٣) : « قال الشافعى : بول الصبي الذى لم يأكل الطعام ليس بنجس » .

ويؤخذ من كلام الحافظ ابن عبد البر أمران :

الأول : أن بول الصبي والصبية (الرضيعين) نجس فى مذهب مالك وأبى حنيفة وصاحبيه .

الثانى : أن الإمام الشافعى يفرق بينهما فى طهارة بول الصبي الرضيع فى مقابل نجاسة بول الصبية الرضيعة ، وأن ابن عبد البر يرفض هذه التفرقة ، لأنه لا يظهر أى فرق بينهما يجعل هذا طاهراً وذاك نجساً .

٢ - مذهب الإمام أحمد :

جاء فى كتاب المغنى لابن قدامة (٢ : ٤٩٥ ط . هجر) « ليس معنى الكلام طهارة بول الغلام . إنما أراد أن بول الغلام الذى لم يطعم الطعام يجزىء فيه الرش وهو أن ينضح الماء عليه حتى يغمره (.) وبول الجارية يُغسل وإن لم تطعم ، وهذا قول - على رضى الله عنه - وبه قال عطاء والحسن والشافعى » .

ويفهم من هذا النص أن الإمام أحمد قال بنجاسة بول الرضيع مثل ما قال الإمام مالك وأبو حنيفة .



٣- مذهب الإمام الشافعي:

ويتضح من الرجوع إلى كتب الشافعية أنها تميل إلى القول بنجاسة بول الرضيع ونفى الطهارة عنه، وإن كان بعض علماء المذهب يصف بول الرضيع بأنه من النجاسات المخففة.. جاء في زاد المحتاج بشرح المنهاج (١: ٨٠) في ذكر الأشياء النجسة قوله: «وما تنجس ببول صبي لم يطعم غير لبن، نُضح» ويؤخذ من هذا النص أن بول الصبي الرضيع نجس وأن الموضع الذي يصيبه هذا البول ينتجس بنجاسته.. والشافعية يدفعون عن إمامهم نسبة القول إليه بطهارة بول الصبي الرضيع.

ونستطيع أن نقرر بعد استعراض هذه النصوص أن بول الصبي والصبيبة الرضيعين، نجس، ولا فرق بينهما، وأن ما ينسب إلى الإمام الشافعي من التفرقة بينهما هي أقوال غير ثابتة ولا مخصصة.

أما فيما يتعلق بكيفية الغسل فإننا نجد تفرقة واضحة تتلخص في أن مذهب الإمام مالك ومذهب الإمام أبي حنيفة لا يفرقان بينهما في وجوب غسل كل منهما فكل من البولین نجس وكل منهما يجب غسله. أما الشافعية والحنابلة فإنهما يفرقان بينهما في كيفية التطهر من كل منهما، فعندهما أن ما تنجس ببول الصبي - الرضيع - يطهر برش الماء على الموضع المتنجس من غير غسل ولا ذلك ولا عصر.. بينما الموضع المتنجس من بول الرضيعة يجب غسله ودلكه وعصره.. وقد استند المالكية والحنابلة إلى الأحاديث الواردة في عموم نجاسة البول والتي تأمر بالاستنزاه منه، وأن عامة عذاب القبر منه، وقاسوا بول الرضيع والرضيعة على بول الكبار نجاسة وغسلاً.. أما الشافعية والحنابلة فقد استندوا إلى أحاديث وردت في هذا الموضوع، منها ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت:

«أتى رسول الله ﷺ بصبي فبال على ثوبه فدعا رسول الله ﷺ بماء فأتبعه إياه» وأيضاً ما روى عن أم قيس بنت محصن من أنها «أتت بابل لها صغير، ولم يأكل الطعام، إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله»..

وقد نص الفقهاء على أن الطب لا يفرق بين بول الصبي والصبيبة على الإطلاق وفندوا قول من زعم أن بين البولین فروقاً كيميائية.. ومالوا إلى تعليل هذه التفرقة بالتيسير ورفع الحرج حيث إن العرب يميلون إلى الصبيان ويخالطونهم ويحبون حملهم ومداعبتهم أكثر من البنات ولكي لا يشق عليهم النبي ﷺ أذن لهم في رش الماء فقط على ما ينتجس من ثيابهم ببول الصبيان.

ويتبين مما سبق:

أولاً: لا فرق بين الصبي والصبيبة في أن بول كل منهما نجس.

ثانياً: لا فرق في كيفية التطهير منهما عند مالك وأبي حنيفة.

ثالثاً: من فرق في كيفية التطهر رجح الأحاديث الواردة التي ذكرنا منها حديث عائشة - رضي الله عنها - وحديث أم قيس، ومن سوى بينهما في وجوب الغسل رجح عموم الأحاديث الواردة في وجوب الغسل والتنزه من البول، وقاس بول الأطفال على بول الكبار.

وهكذا يتضح أن الخلاف منحصر فقط في كيفية التطهر، وأنه قائم على اليسر والتوسعة كشأن أحكام الشريعة الإسلامية، وأن هذا الخلاف لا يفهم منه - لا من قريب ولا بعيد - أي تفضيل للطفل الذكر على الأنثى في هذه المسألة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

حكم النقاب في الإسلام

■ وكتبت القارئة ع. س. ك من أسوان
تسأل عن حكم النقاب في الإسلام.

●● الجواب :

جمهور العلماء والفقهاء في المذاهب الأربعة متفقون على جواز كشف المرأة وجهها وكفيها وقدميها - فيما يقول الإمام أبو حنيفة - وأنه لا يجب عليها تغطيتها وقد أورد فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في فتاواه (٢ : ٣١٤ وما بعدها) النصوص التي حفلت بها كتب المذاهب الأربعة في جواز كشف وجه المرأة وكفيها، ونحن نقلها عنه كما يلي :-

١ - مذهب الأحناف:

جاء في كتاب الاختيار لتعليل المختار (٤ / ١٥٦) : « ولا ينظر إلى الحرة الأجنبية إلا إلى الوجه والكفين، إن لم يخف الشهوة. وعن أبي حنيفة : أنه زاد القدم ... » .

٢ - مذهب المالكية:

قال أبو البركات الدردير في كتابه : « الشرح الصغير » (١ / ٢٨٩ ط دار المعارف) : « وعورة الحرة مع رجل أجنبي منها، جميع البدن غير الوجه والكفين وأما هما فليس بعورة » ويعلق الإمام الصاوي في حاشيته على هذا النص بقوله : « أي فيجوز النظر لهما، لا فرق بين ظاهرهما وباطنهما، بغير قصد لذة ولا وجدانها وإلا حرم » .

٣ - مذهب الشافعية:

جاء في المهذب للشيرازي : « وأما الحرة فجميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين » .

٤ - مذهب الحنابلة:

يقول صاحب المغني : « لا يختلف المذهب في أنه يجوز للمرأة كشف وجهها في الصلاة، وأنه ليس لها كشف ماعدا وجهها وكفيها، وفي الكفين روايتان » .

ويؤخذ من هذه النصوص :

أولاً : جواز كشف وجه المرأة وكفيها، وزاد أبو حنيفة جواز كشف قدميها ..

ثانياً : هذا الجواز مشروط بقصد البراءة في النظر، فإن كان القصد منه التلذذ والاستمتاع بتقاطيع الوجه حرم النظر، لأنه نوع من الخيانة والاجترار على حرمت الله وهو من معاصي القلوب .

ثالثاً : بناء على هذه النصوص فإن النقاب ليس واجباً ولا فرضاً، ولا سنة ولا مندوباً، وقصارى أمره أن يكون أمراً مباحاً إن شاءت المرأة ووضعت على وجهها اختياراً منها فلا بأس، وإن خلعت فلا بأس أيضاً .. وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء، وهو الذي يُدرّس في مقررات الفقه في غالبية الدول الإسلامية .

وبعض العلماء المعاصرين يذهبون إلى وجوب النقاب انطلاقاً من فهم خاص لبعض النصوص الشرعية المتعلقة بالحجاب وهذه الأدلة مردود عليها بأدلة أخرى كثيرة لا تقل في قوتها عن الأدلة المعارضة .

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي : مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

شهر شعبان وضوء الرميضان

لأساذ / محمد طفي البسيوني

فهل يذكر من وفقة الله لزيارة «مسجد القبلتين» بالمدينة المنورة أن في هذا المسجد المبارك تم تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس - نصره الله بأيدينا وأيدي المؤمنين - إلى المسجد الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناء - استجابة لأمر الله - عز وجل - وكان ذلك في شهر شعبان حيث أنزل الله - سبحانه - على نبيه المصطفى ﷺ قوله العظيم:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (١).

وهو الحدث الهائل الذي أشعل جدل المشركين والمنافقين، والذي حسم فيه القرآن الكريم الموقف حسماً قاطعاً أسكت المرجفين، وأفحم المبطلين.

وكم من المسلمين الآن يذكر أن شهر شعبان الكريم هو الشهر الذي شهد انتصار الإسلام والمسلمين في غزوة بدر الآخرة، وذلك في السنة الرابعة للهجرة؟

إذ عندما أهل شعبان من تلك السنة كان ذلك موافقاً لموعد ضربه أبو سفيان بن حرب حين صاح في المسلمين صيحة الصلف والغرور بعد انقضاء غزوة أحد: «موعدنا بدر العام المقبل» وكأنه

من الأشهر الغنية والتميزة بمواطن العظة والاعتبار شهر شعبان المكرم، وهو شهر لا يكاد يقف الناس عنده كثيراً إلا إذا جرى بينهم بعض الجدل حول ليلة النصف منه، وما يرتبط بها من دعاء وابتهاال.. ليس إلا!!
ويغيب عن الكثير منا أن «شعبان» شهر ضم المواقف الرائعة الساطعة التي كان لها دورها المشهور والمشهود في تثبيت العقيدة المطهرة، كما كان لها إشاراتنا السماوية الباهرة نحو روح الإيمان لدى المسلمين الصادقين.

يهددهم ويتوعدهم . هيهات ..

وعندما حان الأجل كان الجذب قد حل بقريش، وأصبح خروجهم للقاء المسلمين لا مبرر له لأنهم لن يحضروا سوق بدر التي كانت تعقد كل عام للتجارة فى شهر شعبان لمدة ثمانية أيام.

هنالك لم يتمكن أبو سفيان من الوفاء بتهديده وتنفيذ وعيده، فأراد أن يلصق تهمة خلف الوعد بالمسلمين، وذلك بأن يفت فى عضدهم حتى يحجموا هم عن الخروج وعندئذ يذيع أبو سفيان فى صلف وتبجح أمام الناس أنه قد خرج للقاء المسلمين ولكنهم لم يجروا على لقائه ..

هنالك بعث بعملائه المرجفين ليشيعوا فى المدينة أن أبا سفيان قد قدم فى جموع عظيمة لا قبل للمسلمين بها .

ولكن النبى ﷺ المؤيد بنصر الله لم يلتفت لهذا الإرجاف، وخرج بألف وخمسمائة من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة عبدالله بن عبد الله بن أبى - رضى الله عنه - حتى إذا أتوا بدرأ لم يجدوا بها أحداً، وعرفوا أن أبا سفيان هو الذى أخلف وعده .

وهكذا خلت سوق بدر للمسلمين دون المشركين فربحت تجارتهم مع الله ومع الناس .

ولك أن تتأمل فى ذلك قول الله - عز وجل - ولا تغادر هاتين الآيتين إلا بعد أن تتغلغل فى أعماقك معانى النصر التى وردت فيهما من زيادة الإيمان ونعمة الله، وفضله، والنجاة من السوء وغير ذلك من الخير العظيم والفضل العظيم، يقول سبحانه :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۖ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاللَّهُ وَفَّى وَعْدَهُ ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْبُكُورِ وَالْآخِرِ ۚ ﴾ (٢)

وكان ذلك نصراً مؤزراً حين اهتز شأن أبى سفيان أمام قومه، وازداد شأن محمد ﷺ وجنوده قوة، ومنعة، وعزة .

ولنا فى أحداث التاريخ الغابرة والمعاصرة ما يؤكد هذه العبر التى تشير دائماً إلى أن الأمة التى يسيطر عليها الغرور وتستبد بها الأنفة الزائفة والكبرياء الكاذبة، ويصور لها تقدمها المادى فى المال والعتاد أنها وصلت لها الهيمنة على الناس والسيطرة على الشعوب دون التأمل فى قدرة الله - عز وجل - الذى هو المهيمن وحده على كل شىء والقادر وحده على كل شىء .

ولقد كان لنا فى هذا المجال عبرة فى أباطرة الروم وأكاسرة الفرس وعتاة الصليبيين، وهمج التتار، وغيرهم وغيرهم الذين كَمَّ أمهلهم الله فى

ثم هذه غزوة ذى قرد^(٣) وتسمى أحيانا « غزوة الغابة » أى الشجر الملتف الكثيف وهى الغزوة التى وقعت فى شهر شعبان من العام السادس للهجرة حيث أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا رداً على غارة عدوانية على بعض الإبل الحوامل التى كانت لرسول الله ﷺ بموقع الغابة القريب من المدينة المنورة، وكان أهل المدينة يجعلون أموالهم فى ذلك المكان .

ولقد شن هذه الغارة العدوانية الغاشمة « عيينة بن حصن الفزارى » الذى انقلب على عقبيه هو وعصابته وولوا الأدبار أمام النبى ﷺ ورجاله والمؤمنين بعد أن استعمل النبى ﷺ على المدينة المنورة أثناء ذلك عبد الله بن أم مكتوم - رضى الله عنه - الذى كرمته السماء عندما عاتب فيه الله - عز وجل - نبيه الكريم فى سورة (عبس) حتى لقد كان النبى ﷺ يقول له : « أهلاً بمن عاتبني فيه ربى » .

وبعد .. فهلا تأملت هذا التتابع البين فى الانتصارات (الشعبانية) للمسلمين على عهد النبى ﷺ ، والتى كانت خطوات مبشرة بقرب الغزوة الكبرى، وهى غزوة الفتح الأكبر الذى جاء به الحق وزهق الباطل ؟

استبدادهم بالبشر واستعلائهم على الخلق، ولكنه سبحانه لم يهملهم لأنه عز وجل يمد لعبده المستبد الذى يعيث فى الأرض عتوا وفسادا حتى إذا أخذه لم يفلته، سبحانه العزيز الجبار .

ومن مشاهد شهر شعبان المضيئة غزوة (بنى المصطلق) وهى الغزوة التى اختار الله - عز وجل - لها شهر شعبان ساحة زمنية طاهرة من السنة الخامسة للهجرة .

فلقد بلغ النبى ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشا على حرب المسلمين فى (أحد) أخذ يجمع الجموع لحرب محمد، فخرج ﷺ فى جمع كبير، وعرض عليهم الإسلام فرفضوا فى رعونة وضلال، وحينئذ حمل عليهم المسلمون حملة رجل واحد، ولم يتركوا لهم مجالا للفرار، وقتلوا فريقا منهم وأسروا الباقين مع نسائهم وذرياتهم، واستاقوا من إبلهم ألفين، ومن شياههم خمسة آلاف .

ومواقف النبى ﷺ والمسلمين إبان هذه الغزوة وبعدها من بنى المصطلق هى دروس رائعة فى الخلق العظيم والسياسة الحكيمة جديرة بالدرس الدقيق، والتأمل العميق

« وبنو المصطلق هم عرب من خزاعة، والكلمة من « الصلق » وهو : « رفع الصوت »

(٣) بفتح القاف والراء أو بضمهما أو بضم القاف وفتح الراء، ومعناها الصوف الردى، وذو قرد هذا هو شعب به ماء ناحية خيبر على مسافة من المدينة المنورة.



إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به»^(٤) صدق الله وصدق نبيه فيما بلغه عن ربه .

فما أخرى بالمسلم الصادق الذى يرجو أن يتجلى عليه ربه - عز وجل - بصوم رمضان المعظم أن يغتنم فرصة شعبان كمدرسة إيمانية تربوية يتحلى فيها المسلم بالخلق الفاضل مع نفسه ومع الناس ومع الله - عز وجل - وكأنه يتطهر مما علق به من شوائب طيلة العام ليقدّم على شهر الصوم بنية خالصة وإرادة حية طمعا فى رحمة الله ومغفرته .

ولله درّ النبي ﷺ عندما يقول : «إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها» .

وأما ليلة النصف من شعبان فإنه مما يروى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها سمعت النبي ﷺ فى هذه الليلة يدعو فى سجوده مبتهلاً :

« أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصى ثناء عليك .. أنت كما أثنيت على نفسك » ثم نصح عليه السلام عائشة قائلاً :

« تعلميهن وعلميهن فإن جبريل - عليه السلام - علمنيهن وأمرنى أن أرددنهن فى السجود »^(٥) .

ألا تستنتج من كل هذا - كما ذكرنا - أن مكانة شعبان من رمضان هى مكانة الوضوء من الصلاة طهراً ونقاءً وتزكية؟

ثم هلا تكشففت أمامك بعد كل ذلك منزلة هذا الشهر أو هذا الوعاء المطهر الذى اختاره الخالق - عز وجل - لتصب فيه هذه الأحداث الكبرى؟

إن هذه لصفحة مشرقة تضيء بشهر شعبان، وتبين لنا الحكمة فى أن الله - جلّت حكمته - جعله شهراً ترفع فيه الأعمال إليه - عز وجل - كما أخبر النبي ﷺ عندما سئل عن كثرة صومه فى هذا الشهر .. العظيم فأشار إلى أنه شهر ترفع فيه الأعمال وأنه ﷺ يرجو أن يرفع عمله وهو صائم .

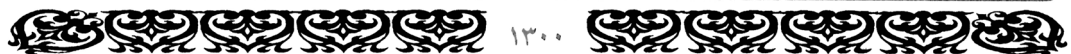
وإذا أيقنت النفوس المؤمنة أن أعمالها ترفع إلى بارئها فى شهر شعبان علمت أن هذا الشهر شهر ابتلاء وتمحيص فتصدق فى القول، وتخلص فى العمل .

وشعبان بهذا المعنى هو شهر رمضان بمثابة الوضوء من الصلاة .

وما أجمل أن نتأمل فى هذا المجال الإرشادات التربوية الرائعة حيث نرى صوم شعبان - الذى حرص عليه الأسوة الحسنة عليه الصلاة والسلام هو درجة للمسلم على استقبال فريضة الصوم فى رمضان، والنهوض بتبعاتها بضمير خالص وقلب سليم حيث يتجه المرء إلى بارئه - عز وجل - وحده واضعاً نصب عينيه الحديث القدسى الشريف « كل عمل ابن آدم له

(٥) أخرجه البيهقى .

(٤) أخرجه البخارى .



الكليات .. والأسماء الحسنى

للدكتور / على أحمد على

وبين أيدينا لذلك مقدمة سريعة مختصرة عن (مقام كل) في هذه الكليات، ليتيسر لنا متابعتها أنى كانت، إذ هي حيثما وقعت مدار (حُكم):

أ- (حُكم) عليها كقوله - تعالى -:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص - ٨٨ .

﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ الإسراء - ٨٤ أى على طريقته ومذهبه الذى ارتضاه لحاله، ثم فى النهاية:

﴿كُلُّ الْيَنَارِ جُؤُونَ﴾ الأنبياء - ٩٣ .

ب- أو حُكم كائن بها، ومنه قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّمَاعِلُ﴾ الأنعام - ٣٢ .

﴿لِكُلِّ ضَعْفٍ﴾ الأعراف ٣٨ أى لكل من المضلين ومن تبعهم من الضالين العذاب مضعفا .

ج- أو حُكم بها، إذ هي العُمدة فى الكلية، ومنه قوله - تعالى -

- يذكر لنا من حديث الرؤساء المضلين لاتباعهم الضعفاء، وهم فى النار، إذ يقول هؤلاء الضعفاء لأولئك الرؤساء المستكبرين:

﴿كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾

.. وأصحاب القارئ

إلى الفقرة الخامسة

من مقالنا السابق فى

العدد الماضى ص

(١٠٥٥) حيث استعرنا

(مجازا) جزء الجملة

(المبتدأ) لنبين أن ما

قدمناه من دراسة يقع

موقع المبتدأ من

الجملة وأن ما

سنقدمه فى هذا

المقال إنما هو بمثابة

الخبر وهذا ما أود أن

أسطره فى هذا المقال

مستعينا بالله أن

يرزقنى التوفيق فيه

عرضاً واستيعاباً،

وأيضاً لما فى هذه

الكليات من إعجاز، وما

فى أصرتها من بيان.



فيقول أولئك الرؤساء، وقد ذُلُّوا:

﴿ إِنَّا كُلُّ فِيهَا ﴾ غافر - ٤٨ - وهذا الجزء الأخير شاهداً^(١).

د- أو ملازمة للحكم مرتبطة به لاتنفك عنه كقوله - تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة - ٢٠ .

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة - ٢٨٢ .

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴾ هود - ٥٧ .

أى أن الله - سبحانه وتعالى - قدير على كل شئ، عليم بكل شئ، حفيظ لكل شئ.

هكذا نجد (كلاً) مدار الحكم فيما جاءت فيه من آيات التنزيل العزيز على نسق ما قدمناه في هذه الفقرة.



الكليات.. والأسماء الحسنى

حظيت عبارة (كل شئ)، وهى تعنى فيما نحن بصدد (الكون) كله، أقول: حظيت هذه العبارة فى التنزيل العزيز بملازمتها لاثنى عشر اسماً من أسماء الله الحسنى، أحاط بـ (الكون) أثر كل منها، فكان منها جميعاً ست وثمانون كلية من كليات القرآن الكريم. وتلك الأسماء الحسنى هى:

القدير، العليم، الشهيد، المقيت^(٢)، الحسيب، المحيط، الخالق، الوكيل، الحفيظ، المقتدر، الرقيب، البصير، سبحانه وتعالى^(٣).

والمعنى المباشر لهذه الأسماء الحسنى المسيطرة (على كل شئ).

أن الله - تعالى - الخالقُ هذا الكونَ قادرٌ

(١) انظر الفتوحات الإلهية للجمل فى إعراب الآية وتفسيرها.

(٢) هو القدير - فى أحد معنييه - انظر النساء: ٨٥.

(٣) وهذه مواقع الكليات الأربع والثمانين المختصة (بكل شئ) نستثنى منها (القدير) لتقدمنا دراسة عن مواقع هذا الاسم الجليل فى هذا المقال، ومجموع مواقع - بعامة سبعة وثلاثون، وأما بقية هذه الأسماء الجلية فمواقعها هى:

«العليم، العلم»: (البقرة) الآيات ٢٩، ٢٣١، ٢٨٢. (النساء) ٣٢، ١٧٦. (المائدة) ٩٧. (الأنعام) ٨٠، ١٠١. (الأعراف) ٨٩. (الأنفال) ٧٥. (التوبة) ١١٥. (الرعد) ٨. (طه) ٩٨. (الأنبياء) ٨١. (النور) ٣٥، ٦٤. (العنكبوت) ٦٢. (الأحزاب) ٤٠، ٥٤. (يس) ٧٩. «وهو بكل خلقٍ عليم» (الشورى) ١٢. (الفتح) ٣٦. (الحجرات) ١٦. (الحديد) ٣. (المجادلة) ٧. (التغابن) ١١.

«الشهيد»: (النساء) ٣٣. (المائدة) ١١٧. (الحج) ١٧. (سبأ) ٤٧ / (الأحزاب) ٥٥. (فصلت) ٥٣. (المجادلة) ٦. (البروج) ٩.

«الحسيب»: (النساء) ٨٦.

«المحيط»: (النساء) ١٢٦. (فصلت) ٥٤.

«الخالق»: (الأنعام) ١٠٢. (الرعد) ١٦. (الزمر) ٦٢. (غافر) ٦٢.

«الوكيل»: (الأنعام) ١٠٢. (هود) ١٢. (الزمر) ٦٢.

«الحفيظ»: (هود) ٥٧. (سبأ) ٢١.

«الرقيب»: (الأحزاب) ٥٢.

«البصير»: الملك ١٩.



﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾
أى مقتدرًا يجازى كل أحد بما عمل (٤).

●●●

وفى تفسير «القدير» قال الإمام الهروى:
والقدير والقادر بمعنى واحد (٥). ١٠
وهذا هو الحق، فإن (قدير) لا نزاع فى معناها
من حيث الاشتقاق أنها صفة مشبهة، لدالاتها
على الثبوت والدوام مثل: كريم. وشجاع.
وأمين.. الخ

ومثل ذلك -تماماً- ما جاء بوزن (فاعل) دالاً
على الثبوت والدوام:

فإذا قلنا - مثلاً: (هذا فلان «القائم» بشئون
كذا بوزارة كذا)، فليس هو ماثلاً لقولنا (هذا
رجل قائم يسلم على صديقه، ثم جلس)، فقائم
فى هذا الأخير وصف غير دائم.

ومن هنا تساوى القدير والقادر، فهما من
أسماء الله الحسنى. سبحانه وتعالى.

قال الإمام القرطبى:

«والاقتدار على الشئ: القدرة عليه، فالله -
جل وعز - قادر مقتدر قدير على كل ممكن يقبل
الوجود والعدم، فيجب على كل مكلف أن يعلم

عليه، محيط به، شهيد عليه، بصير به، متصرف
فيه، حفيظ عليه، حسيب له، رقيب عليه.

فأتى يفر هذا الملكوت الذى هو ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾
إلا إليه جلّ علاه.

إن الله على كل شئ قدير

أولى كليات القرآن الكريم، تجدها فى
ختام الآية العشرين من «البقرة»، وهى إحدى
سبع وثلاثين كلية، وردت بنص (قدرته
تعالى) حيثما كانت من الكتاب العزيز،
تنتشر فيه من «البقرة» حتى «الملك» فى
ثمان وعشرين سورة.

وهذه الكلية تأتى -دائماً- فى ختام الآية إلا
التى جاءت فى النهاية من سورة الطلاق، فقط،
وباقىها فى النهاية من الآيات، والحال كذلك مع
اسمين جليلين يدلان على القدرة دلالة مباشرة،
هما: «المقتدر» و«المقيت» فالأولى فى ختام الآية
الخامسة والأربعين من سورة الكهف، حيث يقول
- تعالى:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾

وختمت (كلية المقيت) الآية الخامسة
والثمانين من النساء، وفيها يقول - جلّ علاه:

(٤) راجع تفسير السيوطى للآية فى (الجلالين).

(٥) تفسير القرطبى ١/ ٢٧٠ ط الثالثة دار الغد العربى ١٤٠٩هـ.

سادسها : فى غنائم ما كان يتيسر للمسلمين الاستيلاء عليها لولا تيسير الله :

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ الفتح ٢١ .

سابعها : فى النهاية من سورة الطلاق حيث ذكر الله تعالى أمره المنزل بين السموات والأرضين السبع حيث قال - تعالى :

﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

هذا : وجميع كليات القدرة « جاءت خاتمة لآياتها ما عدا الواردة بسورة الطلاق هذه فقد أعقبها الختام بقوله تعالى :

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

●●●

ولكليات القدرة إعجاز يخصها، فنادراً ما يتكرر فى آياتها معنى دون زيادة تخصه، بينما جاءت كل آية منها تحمل قضية أساسية لم ترد فى غيرها من أخواتها، ونعرض للأمرين - بمشيئة الله - عز وجل - بقدر ما يسمح به « مقال » :

فالكلية الأولى وردت فى المنافقين، وجاءت خاتمة لسبع عشرة آية قبلها عنيت بوصف حال المنافقين، وما تمتعوا به من أمن فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم فى ظل إعلانهم الإسلام، وما كان متاعهم هذا إلا متاع الدنيا، وانه لقليل تعقبه

أن الله - تعالى - قادر، له قدرة بها فَعَلَ ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره^(٦) .

●●●

و« كليات القدرة » وردت جميعاً فى التنزيل العزيز جُملاً اسمية ما عدداً سبعة، مواردُها فعلية، وغيرها - وهو ثلاثون - كلها « اسمية »، والفعلية : أولاها : فى آية النسخ حيث قال - تعالى :

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

البقرة - ١٠٦

ثانيها : فى سؤال إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - ربه : كيف تحبى الموتى - جاء ختامها :

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

البقرة - ٢٥٩

ثالثها : فى آية الشفاعة بسورة النساء - ٨٥ :

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾

رابعها : فى مثل الحياة الدنيا، قال تعالى :

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾

الكهف - ٤٥

خامسها : فى تمليك الله أرض أعداء المسلمين للمؤمنين، وجاء ختامها :

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

الأحزاب - ٢٧

(٦) نفس المرجع ٢٧٠/١ .

وهي آية غنية بالتوجيه الراشد إلى الأحكام، وسياسة الأخذ بها دونما اهتمام بما يثيره المتقولون حسدا أو بغيا أو ضيقا بتجديد الأوضاع لضرب من المصلحة.

ضاق اليهود بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة، ولعلمهم الأكيد من كتابهم أن محمدا عليه الصلاة والسلام نبي حقا، وأن انصرافه والمسلمين إلى الكعبة ليس اجتهدا منه، ثاروا حسدا وطعنوا في الإسلام وقالوا: إن محمدا يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه.

يريدون خبثا منهم أن يتهموه ﷺ بـ «البداء» وهو - أي البداء - أمر يعرض للإنسان حين يقدم على عمل فيتبين له خطؤه؛ فينصرف عنه إلى غيره. وليس الأمر كذلك؛ فإن محمدا ﷺ لم يكن مشرعا لهذا الأمر، ولا لغيره والله - تعالى - يخاطبه ﷺ بقوله:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

آل عمران - ١٢٨

﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ يوسف - ٣١.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾

الأحزاب - ٣٨

﴿وَإِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

البقرة - ١١٧

حياة سرمدية في المحيم، وقد ظلوا صمًا عن الحق لا يستمعون له سماع قبول، بُكْمًا لا يتحدثون بنعمة الإسلام، عميًا لا يرون هدى ولا يرجعون عن ضلالة، قال - تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
إِنَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧).

قال القرطبي:

والمعنى: ولو شاء الله لأطلع المؤمنين عليهم، فذهب منهم عز الإسلام بالاستيلاء عليهم وقتلهم وإخراجهم من بينهم..

قال: وإنما خص هنا - تعالى - صفته التي هي القدرة بالذكر، لأنه تقدم ذكر فعل مُضْمَنُهُ الوعيد والإخافة، فكان ذكر «القدرة» مناسباً والله أعلم (٨).

يريد - والله أعلم - بالفعل قوله - تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾

ثم تتوالى كليات القدرة مع كل منها آيتها، فيها قضيتها الخاصة:

فكانت الثانية خاصة بموضوع «النسخ»؛ يقول - تعالى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا
أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

البقرة - ١٠٦

(٧) (البقرة) ٢٠.

(٨) تفسير القرطبي ١/٢٧٠.



الإسلام، مقرر في «العهد القديم» - كتاب اليهود المقدس - فإنهم يزعمون «أن الله - تعالى - قال لنوح - عليه السلام - عند خروجه من السفينة: إني جعلت كل دابة مأكلاً لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه»^(٩)، ثم قد حَرَّمَ على موسى وعلى بنى إسرائيل كثيراً من الحيوان»^(١٠) أى بعد هذا الحلّ المطلق؛ وهذا عين النسخ.

وفى كتاب «الصيام من البداية حتى الإسلام»^(١١) تفصيل بما حُرِّمَ عليهم من الحيوان وغيره وليس النسخ إلا سنة التطور، بدونه تقبّع الإنسانية فى كهف البداوة إلى أبد الأبدین وهذا عين المستحيل.

والله نرجو أن نواصل إتمام كليات القدرة فى العدد القادم، والله ولى التوفيق والرشاد.

فالناسخ هو الله - عز وجل - وإنما ينسخ الحكمة فى مقدمتها التخفيف، وهو - وحده - المشرع، ولله - عز وجل - المثل الأعلى.

ها نحن نعلم علم اليقين أنه نشأ فى أيامنا هذه تفتيت «الحصوة بالليزر» فهل كان استخراجها قبل بالجراحة بداء؟ وهل إذا كانت الحصوة عصبية على التفتيت فأجريت الجراحة، فهل فى ذلك بداء؟

وإذا أحكم قائد خطة للقضاء على كمين ونجح فى مقصوده، ثم غير الخطة فى عمل آخر: هل يعتبر ذلك بداء، أو أنه المصلحة ويُبعد النظر الذى يكلل مسعى الإنسان بالنجاح.

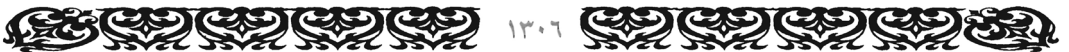
إنما البداءُ فيُمن يمارس أمراً خطأ ثم يغيّره، وحاش الله أن يكون كذلك؛ فإنه سبحانه حكيم عليم، ثم هو الذى بدأ الخلق ثم يعيده فكيف يجوز البداء عليه.

ثم هذا النسخ معروف فى الشرائع قبل

(٩) انظر العهد القديم - التكوين ٩/٣.

(١٠) تفسير القرطبي ١/٥٦٠.

(١١) للدكتور/ على الخطيب - سلسلة البحوث الإسلامية ص ١٨٢ السنة ٢٧ الكتاب الثالث، طبع الأزهر.



مِن مَعَالِي الْحِكْمَةِ

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف

للحكمة أثر كبير في نجاح واستقرار حياة الفرد والمجتمع، وهي من أهم الأسباب المعينة على سعادة الإنسان في دنياه، والمدخل إلى العمل الصالح الذي يوصل الإنسان إلى النعيم في آخره.
ولأهمية الحكمة جعلها الله - عز وجل - إحدى وظائف النبوة التي كلف الرسول ﷺ بأدائها، يقول سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

ويبين لنا الله أن من فضله ونعمه على أنبيائه ورسله وعباده الذين اصطفاهم أنه جلا وعلا آتاهم وعلمهم الحكمة، يقول الله تعالى:

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٣).

ويقول سبحانه:

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (٤).

وجعلها الله - عز وجل - ثلث الدين الذي أتى الرسول ﷺ لتبليغه إلى الناس كافة، يقول جل شأنه:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

فتزكية النفس ثلث، وتعلم الكتاب ثلث، وتعلم الحكمة ثلث، فمن تعلم الحكمة وأخذ بها فقد أخذ وحاز ثلث الدين، ومن أهملها وتركها فقد أضاع ثلث الدين.

(٢) آل عمران (١٦٤).

(٤) النساء (١١٣).

(١) الجمعة (٢).

(٣) النساء (٥٤).

ويرشدنا رسول الله ﷺ إلى طريق تعلم الحكمة فيقول ﷺ: « ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » (١١).

ودعا الحكماء إلى الأخذ بالحكمة، والحث على التمسك بها، قال زياد: أيها الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا، فإن الشاعر يقول:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي

ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

ولقد وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعاً، وسمى الله نفسه حكيماً في واحد وتسعين موضعاً، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على بيان أهمية الحكمة، والدعوة إلى تعلمها والأخذ بها.

ولكن ما هي الحكمة وما تعريفها؟ لقد وردت تعريفات كثيرة للحكمة في تفاسير القرآن الكريم، وفي كتب الحكماء والفلاسفة، وفي معاجم اللغة، منها:

هي: الإصابة في القول والفعل.

هي: العلم الذي تجل فائدته وتعظم منفعته.

هي: معرفة حقائق الأشياء.

هي: معرفة معاني الأشياء وفهمها.

هي: الحصافة في الأعمال مع المعرفة الكاملة لكل الأشياء التي يستطيع الإنسان أن يعرفها.

ويقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُخَلِّقُ النَّاسَ فِي الْأَمْهِدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ ﴾ (٥).

ويقول عز شأنه:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾ (٦).

ويكفي الحكمة شرفاً وفضلاً، ورفعة وعزة أن الله - عز وجل - أتصف بها وتسمى بها، ووصف كلامه بها فقال سبحانه:

﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ ﴾ (٧).

وجعلها الله من أجل وأعظم النعم التي يخص بها من يشاء من عباده الذين رضى عنهم، يقول تبارك وتعالى:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَٰؤُلَآئِ الْبَرِّ ۚ ﴾ (٨).

وأفعال الرسول ﷺ لم تخرج قيد أنملة عن الحكمة، وأقواله دعت إلى الحكمة وأثنت عليها وأشارت إلى ضرورة تعلمها، يقول ﷺ: « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت » (٩)، ويقول ﷺ: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » (١٠).

(٦) لقمان (١٢).

(٨) البقرة (٢٦٩).

(١٠) مسند الحميدي ص ٦٩ مع اختلاف في الألفاظ.

(٥) المائدة (١١٠).

(٧) ياسين (٢٢١).

(٩) ابن كثير ٣٥/٦، كشف الخفا ٤٣٥/١ بلفظ مختلف.

(١١) الدر المنثور ٢/٢٢٧، إتحاف السادة المتقين ٤٢/١٠.

وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتؤدة نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم. وقالوا: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالکف، ولا حسب كحسُن الخلق، ولا غنى كرضا عن الله، وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل.

وقالوا: التفكر نور والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول سابق والآخر لاحق، والسعيد من وعظ بغيره.

اجتمع عمرو بن الطرب العدواني، وحممة ابن رافع الدؤسى عند ملك من ملوك حمير، فقال الملك: تساءلا حتى أسمع ما تقولان. فقال عمرو لحممه: أين تحب أن تكون أياديك؟

قال: عند ذى الرثية العديم، وعند ذى الخلة (الحاجة) الكريم، والمعسر الغريم، والمستضعف الهضم.

- من أحق الناس بالقتل (البغض)؟
- الفقير المحتال، والضعيف الصوال، والعى (الذى فى كلامه عجز) القول.

- فمن أحق الناس بالمنع؟
- الحريص الكاند (الذى يكفر بالنعمة)، والمستמיד الحاسد، والمُلحف الواجد (الحاقد).

- من أجدر الناس بالصنعة؟
- من إذا أُعطى شكر، وإذا مُنع عذر، وإذا مُطل صبر، وإذا قُدم العهد ذكر.

- من أكرم الناس عشرة؟
- من إذا قُرب منّح، وإذا بُعد مدّح، وإذا ظلم صفح، وإذا ضُوبق سَمَح.

- من ألام الناس؟

هى: العلوم النافعة، والمعرفة الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب فى الأقوال والأفعال.

هى: وضع الأشياء مواضعها وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام فى محل الإقدام، والإحجام فى موضع الإحجام.

هى: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

هى: توخى القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، ووضع الأمور فى نصابها فى تبصر وروية وإدراك.

هى: الكلام الموافق للحق.

هى: العلم والإصابة فيه، ومعرفة الأشياء بذواتها.

هى: معرفة الحقائق على ما هى عليه، ثم العمل بمقتضاها، مع الإصابة فى القول والعمل.

وقال ابن القيم الجوزية: إن الحكمة قسمان: علمية وعملية.

فالحكمة العلمية: هى الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمرأ، قدراً وشرعاً.

والحكمة العملية: هى وضع الشئ فى موضعه. ويمكن إجمال كل ما تقدم من تعريفات للحكمة فى الآتى:

الحكمة هى فعل ما ينبغى، على الوجه الذى ينبغى، فى الوقت الذى ينبغى.

قيل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه.

قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه.

قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.



- من إذا سأل خَضَعَ، وإذا سئِلَ مَنَعَ، وإذا مَلَكَ
كَنَعَ «تقبض. ممسك بخيل»، ظاهره جَشَعَ «الجشع»
أسوأ الحرص»، وباطنه طَبَعَ «الطبع: الدُّنس».

- فمن أحلم الناس؟

- من عَفَا إذا قَدَّر، وأَجْمَلَ إذا انتصر، ولم تُطْغِه
عزة الظُّفَر.

- فمن أحزم الناس؟

- من أخذ رقاب الأمور بيديه، وجعل العواقب
نصب عينيه، وَبَذَّ التهيبَ دَبْرَ أَذْنِيهِ.

- فمن أحرَقَ الناس؟ «أحمق».

- من ركب الخطار «الهلاك»، واعتسف العثار
«ركب الزلل»، وأسرع في البدار قبل الاقتدار.

- قال: من أجود الناس؟

- قال: من بذل الموجود، ولم يَأْسَ على
المعهود.

- قال: من أبلغ الناس؟

- قال: من جَلَّى المعنى المزيب باللفظ الوجيز،
وطَبَّقَ المفصل قبل التحريز.

- قال: من أنعم الناس عيشاً؟

- قال: من تَحَلَّى بالعفاف، ورضى بالكفاف،
وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

- فمن أشقى الناس؟

- من حَسَدَ على النعم، وسَخِطَ على القِسَمِ،
واستشعر الندم على فوت ما لم يُحْتَم.

- من أغنى الناس؟

- من استشعر اليأس وأظهر التجمل للناس،
واستكثر قليل النعم، ولم يسَخِطَ على القِسَمِ.

- فمن أحكم الناس؟

- من صَمَتَ فادَّكر، ونظر فاعتبر، ووَعِظَ
فازْدَجَرَ.

- من أجهل الناس؟

- من رأى الحُرْقَ مَغْنَمًا، والتجاوز مَغْرَمًا.

وقال عمرو بن العاص: ثلاث لا أناة فيهن:

المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج
الكفاء.

وقال: ثلاثة لا يندم على ما سَلَفَ إليهم: الله -

عز وجل - فيما عَمِلَ له، والمولى الشكور فيما
أُسْدَى إليه، والأرض الكريمة فيما بُدِرَ فيها.

وقالوا: ثلاثة لا بقاء لها: ظل الغمام، وصحبة
الأشرار، والثناء الكاذب.

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: الغنى في
النفس، والشرف في التواضع، والكرم في
التقوى.

وقالوا: ثلاثة لا تُعرف إلا في ثلاثة: ذو البأس
لا يُعرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا
عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند
النوائب.

وقالوا: عليكم بثلاث جالسوا الكبراء،
وخالطوا الحكماء، وسألوا العلماء.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أخَوْفُ
ما أخاف عليكم: شُحُّ مَطَاعٍ، وهوى مُتَّبِعٍ،
وإعجاب المرء بنفسه.

واجتمع علماء العرب والعجم على أربع
كلمات: لا تحمل على ظَنِّكَ ما لا تطيق، ولا
تعمل عملاً لا ينفعك، ولا تغتَرَّ بامرأة، ولا تثق
بمال وإن كثر.

وقال أبو عمرو بن العلاء: خذ الخير من أهله.
ودع الشر لأهله.

وقالوا: إحسانُ المسئى أن يكفَّ عنك أذاه،
وإساءة المحسن أن يَمْنَعَكَ جدواه.

مصرع خبيب (*)

للأستاذ / ناجي الطنطاوي

سار الرجال صامتين، يخبون بأقدامهم على رمال الصحراء الملتهبة، لا يثنيهم عن غايتهم شيء، ولا يشغلهم عن مرامهم أمر، وكان عددهم عشرة يرأسهم فتى غض الإهاب، ذو عزم ومنة، هو عاصم بن ثابت، أرسلهم النبي ﷺ عيناً على الأعداء في بعث الرجيع^(١)، يستطلعون أخبار العدو ويتعرفون إلى عدده وعدته... كانوا يسيرون مطمئنين آمنين لا يداخل نفوسهم حذر ولا ريب، وماذا يحذرون وهم في هذه الصحراء المترامية الأطراف، نفر قليل لا يتميزون عن سواهم من العرب وليست تبدلوا عليهم أية شارة تبعث الشك في نفوس من يراهم، كانت نفوسهم تفيض ثقة بالله وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان الثابت الذي لا ترعزعه العواصف ولا توهنه النكبات، وكانوا قد وطلدوا العزم على القيام بما عهد إليهم رسول الله ﷺ مهما لاقوا في طريقهم من المصاعب والأخطار، لا يثنيهم عنه إلا الموت.

ولما مروا في طريقهم بمكان يقال له الهدأة^(٢) جاء رجل من قريش إلى بني لحيان^(٣) وأخبرهم أنه رأى نفرًا من المسلمين يجتازون بهم ولا يدرى أين يريدون، فلم يكد القوم يسمعون كلامه حتى داخلهم الشك في أمر هؤلاء، وتبادلوا النظرات، وصمتوا يفكرون، ثم ثاروا إلى نبالهم فاحتملوها وساروا يقتنفون آثار المسلمين ويجدون في طلبهم. وكانوا مائة رجل نصفهم رماة.

(*) مجلة الرسالة المجلد السابع سنة ١٩٣٩م

(١) في أواخر السنة الثالثة للهجرة. والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان.

(٢) موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان، قريب من الرجيع مكان الموقعة.

(٣) حى من هذيل.

فى تلك اللحظة الرهيبه الحاسمة، ولبثت تطلب جواباً، وفكروا قليلاً ثم اتجهوا بأبصارهم إلى رئيسهم ليسمعوا جوابه، وليعرفوا موقفه، فما لبث أن خاطبهم بقوله:

— أما أنا، والله لا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبك وانتظر المشركون قليلاً، ليعلموا أثر كلامهم فى نفوس المسلمين وليسمعوا جوابهم، ولم يطل بهم الانتظار، إذ وجهوا نبالهم إلى صدور المسلمين وأطلقوها فأصابت عاصماً وسبعة من أصحابه سقطوا شهداء فى سبيل الله، وطارت أرواحهم الطاهرة لتترف فى سماء الخلود، وتحظى بنعيم الله الأبدى، وبقي منهم ثلاثة لم يكتب لهم أن ينالوا ما نال إخوانهم من شرف الشهادة، فأرادوا أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل تجربة أحبوا أن يقوموا بها، وفى سبيل درس رغبوا أن يستفيد منه المسلمون بعدهم؟ ترى هل يفى المشركون بعهدهم ويصدقون وعدهم؟ ما دمننا على أبواب الآخرة فلنقم بهذه التجربة، ونزلوا فسلموا أنفسهم على العهد والميثاق، ولم يكذ المشركون يستمكنون منهم ويعلمون أنهم صاروا فى قبضتهم حتى أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فصاح أحد المسلمين:

— هذا أول الغدر، والله لا أصحابكم، إن لى أسوة بأصحابى الذين قتلوا.

أحس أصحاب عاصم بالخطر المداهم الذى تهددهم، ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة، فاضطربوا ووجموا وعراهم الذهول، ولكن عاصماً صاح بهم قائلاً: «لا تقفوا هكذا، أسرعوا إلى هذا الغدفة^(٤) الذى أمامكم نمتنع به قبل أن نصبح فريسة فى أيدي الأعداء»..

فأسرعوا إليه كما أمرهم،، وتحصنوا فيه، ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم.

وبأسرع من لمح البصر، كان الرماة ومن معهم محيطين بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ينظرون إليهم نظر الذئب إلى فريسته التى يخاف أن تفر من بين يديه، ووطد المسلمون العزم على استقبال الموت بثغور باسمة وقلوب مطمئنة وهم يتحرقون شوقاً إلى رؤية الجنة وما أعد الله لهم فيها من نعيم مقيم وسعادة خالدة.

— انزلوا واعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً.

سمع المسلمون هذا البلاغ، فوقفوا واجمين للمرة الثانية، وفكروا فى هذا الذى قاله المشركون،، أهو قول صدق وشرف، أم هو مئىن وخديعة؟ ومتى كان المشركون يصدقون فى أقوالهم ويوفون بعهودهم؟ وهل يجدر بالمسلم أن يركن إلى مثل هذا الوعد؟.

أسئلة متوالية، جالت فى خواطر المسلمين

(٤) الغدفة هو الرابية المشرفة.



ليجتمعن عندى فى كثير من الأحيان فيسمعن
صوته فيبكين وترق له قلوبهن، وإنى لأقول له:
هل لك من حاجة؟ فيجيبنى قائلاً: لا، إلا أن
تسقينى الماء العذب، ولا تطعمينى ما ذبح على
النصب وتخبرينى إذا أرادوا قتلى.

– أهو كثير الجزع من الموت ياماوية؟

– كثير الجزع؟ إنى لم أره ذكر الموت إلا ابتسم
وطرب، ولقد عجبت من حاله هذه فسألته عنها
فقال: أو لا يسر ويظفر طرباً وسروراً من ينتقل
من دار شقاء إلى دار نعيم وهناء؟ إنى إذا مت
انتقلت إلى جنة عرضها السموات والأرض فلم لا
أبتسم وأسر.

فحدقت المرأة فى وجه مضيفتها وقالت
متعجبة:

– عجيب أمر هذا الرجل، إننى لا أعرف رجلاً
آخر بهذه الشمائل والصفات إلا أن يكون من
أصحاب محمد.

فاقتربت ماوية منها وسارتها قائلة:

– إننى أقسم لك أننى رأيته أمس بعينى هاتين
يأكل قطعاً من عنب وهو موثق فى الحديد ولا
يدخل عليه أحد غيرى وما أراك مصدقتى فيما
أقول.

فضحكت المرأة وقالت:

كيف تريدن منى أن أصدقك ياماوية وليس

وأبى أن يسير معهم فقتلوه، وساقوا الاثنين
الباقين، وكان أحدهما يدعى خبيب بن عدى،
صمم على أن يتم التجربة التى بدأ بها مهما
كلفه ذلك من المتاعب ليرى نتيجتها، وليختم
الدرس الذى أحب أن يستفيد منه المسلمون.

– من هذا الذى أراه عندك ياماوية^(٥).

– هذا أسير لى. ألا ترين القيد فى رجليه؟

– ما اسمه؟

– إنه يدعى خبيب بن عدى الأنصارى

– وماذا جاء به إلى دارك؟

– أغار قومى على نفر من المسلمين فقتلوهم
وأسروه وابتاعه بنو الحارث بن عامر^(٦)، إذ يقال إنه
هو الذى قتل الحارث يوم بدر، وأبقوه عندى
حتى تنقضى الأشهر الحرم ليقتلوه.

– وكيف رأيت سيرته ومعاملته؟!

– أشهد أنه لمن أفضل الناس وأشرفهم ما
عهدت فيه الكذب ولا الفحش فى القول، وما
رأيت منه إلا اللطف والدعة والمعاملة الحسنة، ما
دخلت عليه فى ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته
يقوم ويقعد ويخر ساجداً، فسألته عن ذلك
فأجابنى: إنه يعبد الله ويصلى له، وهو يرتل كل
ليلة كلاماً جميلاً يسميه القرآن بصوت عذب
فتنننى وفتن كل النساء الفلاتى سمعنه وإنهن

(٥) هى ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب، أسلمت فيما بعد.

(٦) وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى إهاب.



من ذلك ياماوية، وما كنت لأفعل ذلك ما حبيت، ولكن ابنك حبا حتى وصل إليّ، وجلس على ركبتى، وكان موسى فى يدى، فلاطفته وداعبته، ولم يخطر لى أن أمسه بأذى، ولعلك ذكرت واقعة الأمس فجزعت .

- أجل ياخبيب، ذكرت مزاحك بالأمس عندما طلبت منى أن أعيرك موسى، وقلت لى عندما صار فى قبضة يدك: قد أمكن الله منك... أتدرى أنك أخفنتى بهذا المزاح؟

- إنك لم تعرفينى بعد، ولا أراك تعرفينى إلا يوم تُسلمين، فتنجلى لك إذ ذاك حقيقة المسلم. والآن دعينى وشأنى، إننى أريد أن أستعد للموت، ألم تقولى لى إنهم أزمعوا قتلى اليوم؟

- بلى

ولم تمض ساعة حتى أقبل القوم يهرولون، حاملين حرايبهم ونبالهم، وهم مستبشرون فرحون، ولما دخلوا على خبيب فكوا القيد من رجله وقالوا له:

هلم ياخبيب، استعداد للموت، إنه ليزعجننا أن تبقى حياً إلى اليوم، ولولا الأشهر الحرم لقتلناك يوم أسرك.

فرفع خبيب رأسه، ونظر إليهم طويلاً، وكانت الابتسامة لا تفارق شفثيه، ثم أطرق ولم يُجب .

ولما خرجوا به إلى ساحة الإعدام وأجمعوا على قتله التفت إليهم قائلاً:

- هل تأذنون لى أن أركع ركعتين قبل أن أموت؟

هذا أو ان العنب وما فى مكة كلها من ثمره شىء؟

- هذا ما أعجب له، وأقسم أننى غير واهمة ولا متخيلة، وما أدرى تفسير ذلك .

ونفضت ياماوية فحملت ما عندها من طعام، ودخلت به على السجين، ووضعت بين يديه، وانتظرت حتى أتمّ صلاته، فالتفت إليها وابتسم، وتناول الطعام من يدها دون أن يفوه بكلمة ولم يرق لماوية صمته فقالت له:

- هل لك من حاجة؟

فقال: لا، إلا أن تسقيني الماء العذب، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب، وتخبرينى إذا أرادوا قتلى .

ولما علمت أن جوابه لن يتبدل، طمأنته وتركته .

- ياللهول! ماذا ترى عينائى؟ أهذا جزاء إكرامى لك وثقتى بك؟

- خفضى عليك ياماوية، إننى لا أزال عند حسن ظنك بى .

- أتقول هذا، وابنى فى حضنك والموسى فى يدك؟ ليتنى لم أعرك هذا موسى .

فابتسم الأسير وأجابها قائلاً:

- لا تغضبى هكذا يا ماوية، إننى لم أطلب منك إعارتى هذا موسى لأقتل به ابنك، معاذ الله أن أفكر فى هذا العمل الشائن، إن دينى يمنعنى



فلست بمبدٍ للعدو تخشعاً
ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى
ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولم يكذب يتم الأبيات ويستغفر الله
ويذكره حتى رفعوه على الخشبة وأوثقوه بها
فقال :

- اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه
الغداة ما يُفعل بنا وبدأ المشركون يرمونه
بنبالهم ويطعنونه برماحهم، فلما بضع لحمه
وسال دمه قالوا له :

- أتحب أن محمداً مكانك؟

فأجابهم وهو يغالب نفسه من الألم :

- والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن
محمداً ﷺ شيك بشوكة .

الله أكبر، هكذا فليكن الإيمان، وهكذا
فليكن حب محمد ﷺ أما والله لو لم يكن
لخبيب إلا هذا الموقف لكفاه شرفاً وفخراً
وخلوداً، وإن رجلاً فى مثل هذا الموقف وعلى
مثل هذه الحال، بين الحياة والموت، يجيب
بمثل هذا الجواب لهو مسلم بكل ما فى كلمة
الإسلام من معنى، وبأمثال خبيب هزم
المسلمون - على قلتهم - جيوش الشرك
والطغيان والظلم وفتحوا ثلاثة أرباع العالم،
وبنوا حضارة ونشروا ديناً سيبقى لواؤه
مرفوعاً فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم
القيامة .

فنظر بعضهم إلى بعض فى دهشة وعجب
وقالوا: أتصلى وأنت على هذا الحال؟ ألا ترى
الخشبة التى سنصلبك عليها؟ ألا ترى رماحنا
ونبالنا مصلطة عليك؟ ألا تبكى وتطلب الصفح
والعفو؟ إفعل ما شئت .

فقام خبيب بين يدى الله، متوجهاً بقلبه
وجوارحه إليه وصلى صلاة كلها اطمئنان وكلها
خشوع، لم يضطرب قلبه، ولم يتلجج لسانه،
ولم يتبدل لون وجهه، وكان فى صلاته هادئاً
ساكناً آمناً ولما انتهى التفت إليهم وقال بصوت
هادىء عذب :

- والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع لزدت .
اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم
أحداً ثم أنشأ يقول :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا

قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم

وقربت من جندع طويل ممنع

إلى الله أشكو كربتى بعد غربتى

وما جمع الأحزاب لى حول مصرعى

وقد خيرونى الكفر والموت دونه

وقد ذرفت عيناى من غير مجزع

ومابى حذار الموت إنى لميت

ولكن حذارى جحيم نار ملفع

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

بعث عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - شريحا على قضاء الكوفة وقال له: «ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا، وما لم يتبين في كتاب الله فاتبع سنة رسول الله ﷺ وما لم يتبين في السنة فاجتهد رأيك».

من تلبس إبليس

اعتاد رجل أن يعتذر عن ارتكابه المعاصي، بأن رحمة الله وسعت كل شيء، فاعترضه الحسن البصرى - رضى الله عنه - وقال له: هذا من تلبس إبليس عليك، إنما الرحمة للمتقين ألم تقرأ قول الله - تعالى -:

إنها لا ترثنى

من لطائف المنقول عن المغفلين، قيل لبعضهم: عندك مال جزيل وليس لك إلا والدة عجوز، وإن مت ورثتك فأفسدت مالك فتصدق بجزء منه. فقال: إنها لا ترثنى، قيل له: وكيف ذلك، قال: لأن أبى طلقها قبل أن يموت.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكُنُّهَا الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

إن من الشعر لحكمة

ولقد أمر على اللثيم يسبنى
فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

(١) الأعراف (١٥٦).

قضاء حوائج الناس

من كثرت نعم الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يحب الله فيها عرضها للدوام، وإن لم يقم بما يحب الله فيها عرضها للزوال.

أوجع بيت هجاء

قال عبد الملك بن مروان: ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به ابن الزبير وهو:
فإن تصبك من الأيام جائحة
لم نبك منك على دنيا ولا دين



اللهم صل على محمد وآله، وارزقني سلامة الصدر من الحسد حتى لا أحسد أحداً من خلقك على شيء من فضلك، وحتى لا أرى نعمة من نعمك على أحد من خلقك - في دين أو دنيا أو عافية أو تقوى، أو سعة أو رخاء - إلا رجوت لنفسى أفضل ذلك بك، ومنك وحدك: لا شريك لك.

متوكل على القافلة

عزم جماعة من طلبة العلم علي الحج، وأحب الإمام أحمد بن حنبل أن يطمئن عليهم، ولفت انتباهه شأن أحدهم، حين استعد كل واحد من الجماعة بالزاد والنفقة إلا هذا الطالب فما جهز شيئاً.

فسأله الإمام أحمد بن حنبل عن سبب ذلك؟

فقال: إنما أنا متوكل على الله!!

فقال له الإمام أحمد: أأست مع القافلة؟

فقال الطالب: بلى، إني معهم

فقال له الإمام أحمد: أنت متوكل على

القافلة.

على قدرك

نظر رجل من الخذاق إلى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة، ويتكلم ويلحن، فقال له: تكلم على قدر ثيابك، أو البس على قدر كلامك.

من أحب الناس إليك

قيل لإبليس: من أحب الناس إليك؟ قال: عابد بخيل، قيل فمن أبغض الناس إليك؟ قال: فاسق سخي فينجيه سخاؤه.



الراحمون يرحمهم الرحمن

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

رعاية الطفولة كانت ولا زالت واحدة من أهم الموضوعات التى ناقشها ولا زال يناقشها الجهاز الإعلامى بمختلف تخصصاته واتجاهاته، واهتمت بها أجهزة الدولة فخصصت معاهد بحثية وأجهزة متخصصة لبحث ومعالجة مشكلات الطفولة فى مصر.

ومن يتابع جهاز التليفزيون المصرى يجده عامرا بمختلف البرامج المخصصة لمخاطبة الطفل وبحث ودراسة مشكلاته ورغم هذا بقيت البرامج والأبحاث عاجزة وقاصرة عن أداء مهمتها لسببين الأول أنها تخاطب طبقات ذات مستوى ثقافى غير منخفض فى أغلب الأحوال، أى أنها تخاطب فئة من المجتمع تملك الوعى الذى يؤهلها لرعاية أطفالها وماعد ذلك من فئات المجتمع لاتستفيد من هذه البرامج والأبحاث.

والثانى - وهو موضوع مقالنا - أن القائمين على التنفيذ فيما يتعلق برعاية الطفولة غير مؤهلين أو هم غير مدركين لأهمية الدور الذى يقومون به، وحديثى هنا لن يكون عن التليفزيون أو الصحافة أو الجامعات والمعاهد المتخصصة، إنما سيكون عن دور المسجد من خلال قصتين الأولى سمعتها والأخرى عايشتها.

وبدلا من أن يتوضأوا للصلاة بدأوا فى الاستحمام بعد أن تخفقوا من أثمالهم فصاروا عراة، وهم أطفال دون العاشرة، وفوجئ بهم خدام المسجد وهم يلهون بالمياه فالقى بهم خارج المسجد على عريهم وهو يدفعهم بالعصا، وألقى لهم بأثمالهم فى الشارع فأمسكوا بها بهدوء يلبسونها، وعادوا ثانية يهيمون على وجوههم.

القصة الأولى: وقعت فى يوم قائف من أيام الصيف الذى عشنه جميعا فى القاهرة تجمع عدد من الأطفال ممن يطلق عليهم اسم «أطفال الشوارع» يسيرون حفاة يرتدون أثمالا بالية ولم يجدوا مكانا يحتمون به من وهج الشمس سوى بيت من بيوت الله .. وكان الوقت وقت صلاة الظهر فدخلوا المسجد، ومنه إلى دورات المياه ملتمسين ماء يطففون به لهيب الحر،



هؤلاء الأطفال لم يجدوا داخل المسجد عدلا ولا إحسانا والله - سبحانه وتعالى - يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٢).

لم يجدوا الداعية الذى يعمل بكتاب الله:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣).

لم يجدوا من يطبق حديث رسول الله ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»^(٤).

القصة الثانية: عايشتها عن قرب، فقد كان بطلها نجل الذى لم يكن قد أكمل عامه التاسع. اعتاد حسين منذ فترة وجيزة على الذهاب للمسجد لأداء الصلاة بصحبة عدد من قرنائهم، ووجدوا المسجد يقوم بتحفيظ القرآن وتعليم العبادات من خلال عدد من الشباب.

كان الأطفال يتجمعون فى غرفة ملحقة بالمسجد، وذات يوم وأثناء الدرس ارتكب أحد الأطفال جريمة الضحك فعوقب بالطرد، وارتكب آخر جريمة السرحان فعوقب بالطرد ثم ارتكب ابنى جناية الكلام بدون إذن فعوقب بالطرد أيضا، وتكررت تلك الجرائم المنكرة من جانب هؤلاء الأطفال المتراوحة أعمارهم بين سبعة وتسعة أعوام فكان

وواصلوا السير، قال لى صديقى بعد أن روى لى هذه القصة: لقد توجهت إلى شيخ المسجد وقلت له: هل ما حدث مع هؤلاء الأطفال سلوك إسلامى؟

فرد قائلا: المسجد به عهدة يخشى عليها من السرقة أو على الأقل الإتلاف.

فقلت له: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثنى معلما ميسرا»^(١).

وما حدث مع هؤلاء الأطفال هو العنت بعينه، لقد لجأوا إلى المسجد ينشدون الظل والماء والأمان، وكان من الممكن احتضانهم داخل المسجد ساعات الصلاة وتعليمهم أمور دينهم، وكانوا سيجدون من يمد لهم يد المساعدة من أهل الخير.

جماعات التبشير فى أفريقيا وآسيا لا تغلق كنائسها فى وجه أمثال هؤلاء بل ترحب بهم وتحضنهم وتقدم لهم المسكن والملبس والطعام وبعد ذلك يبدأون فى مباشرة عملهم فما المانع فى أن نكون مقلدين لهم فى هذا، لاسيما وأن هؤلاء الأطفال لا يجدون من يعلمهم من أمر دينهم شيئا فهم هائمون على وجوههم فى الشوارع.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٠/١، ٨١ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) البقرة (٨٣)

(٣) النحل (٩٠).

(٤) أخرجه أبو داود والترمذى.



هذا هو العقاب الإسلامي للطفل إذا أهمل الصلاة، والصلاة كما قال عنها رسول الله ﷺ: «الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين».

ولكن الشيخ قال: الكلام سهل المشكلة إن العيال دى «مدلعة» ومرفهة ولا يصلح معها غير العقاب الرادع إما الضرب وإما الطرد.

والآن وبعد الفراغ من عرض القصصتين نتساءل: ما هى رسالة المسجد فى الإسلام؟ هل المسجد مجرد عهدة وأثاث فاخر يخشى عليه من التلف أو السرقة فنحجب عنه اللائذين به الآملين فى رحمة الله؟ وهل الضرب والطرد وسيلتان وحيدتان لتعليم كتاب الله للأطفال؟

الجواب نجده فى كتاب الله - عز وجل:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٦)

أقول: لا بد من الرفق واللين والرحمة، والرسول ﷺ قال: «لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقى»^(٧) وقال: «لن تؤمنوا حتى تراحموا»^(٨) بل إن الجنة وسعت بغيا سقت كلبا، ووسعت النار أخرى حبست هرة حتى ماتت.

فأين دور المسجد من برامج التليفزيون فى تربية الأطفال.

نصيبهم الطرد المتكرر وضجت زوجتى من هذا الأمر خاصة وأن حسين اتخذ قرارا بمقاطعة المسجد وعدم دخوله مطلقا لا للصلاة ولا للدرس، وعبثا حاولت معه إلا أنه أبى ولم يُجد معه النصيح.

وكان منطقته هو: الشيخ بيقول: ممنوع الضحك، وممنوع الكلام وأنا سأضحك وأتكلم بدون قصد والشيخ قال: لا تعودوا إلى الجامع.. الجامع للعاقلين وانتم مجانين.

غير أن والدته نجحت فى إقناعه بأن يذهب إلى مسجد آخر للصلاة وسماع الدرس فوافق ولكن على الصلاة فقط أما الدرس فلا!!

فقررت أن تذهب للمسجد معه للبحث عن هذا الشيخ فوجده شابا فى مقتبل العمر فلما سألتها عما جناه الطفل حتى يطرد المرة تلو الأخرى فكان الجواب المذهل: أولياء الأمور يرفضون ضرب أبنائهم، ولا بد من امتلاك وسيلة عقاب ولا يوجد أمامنا إلا الطرد، واستطرد: الحكومة ألغت الكتاتيب بحجة أنها تعتمد على الضرب كوسيلة عقابية مع المقصرين فى حفظ كتاب الله وهذا هو سبب قلة حفاظ كتاب الله اليوم.

فردت عليه زوجتى: الرسول ﷺ قال: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»^(٩).

(٦) آل عمران (١٥٩).

(٨) أخرجه الطبرانى.

(٩) أخرجه الحاكم وأبو داود.

(٧) أخرجه الترمذى وأبو داود.



صورة مُسرَّقة من الأوب (المُتعلِّمين) مع مُعلِّمهم

لأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

أدب الله رسوله ﷺ فأحسن تأديبه وعلمه فكان علمه وأدبه وحياءاً متصلاً بالسماء هدفه الرقى بالإنسان والسمو بأخلاقيات البشر وانتشالهم من حمأة الرذيلة إلى آفاق الفضيلة والسير بهم في طريق الرشاد تكريماً من الحق للخلق. ولقد تميز الإسلام الحنيف على شتى القوانين الوضعية بإعلاء قيمة الخلق الرفيع وتفضيل الأدب على العلم - لأن العلم ماله يتوج بتاج من القيم والمبادئ والمثل التي تنفخا رفعة الإنسان وجعل سلوكياته أكثر تحضراً وعدم حصرها في إطار من الماديات الضيقة - العلم بهذا المنظور يفرغ نفسه من جوهره ويحذف ذاته في إطار حسى بحث ينأى به عما خلق له.

يستوجب احترام التلميذ لأستاذه والطالب لمعلمه وهو أمر يزيد في أهميته تزامنه مع ابتداء عام دراسى جديد وانتظام البنين والبنات في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم بغية التخلق بالأدب الجم والعلم المفيد النافع.

إن خير ما تحلى به طالب العلم وإزدان به المتعلمون أدب يدفع كلاً منهم إلى الاهتمام بمعالى الأمور والبُعد عن سفسافها وبلغ صاحبه من الكمالات النفسية والعقلية والذهنية أوجهاً. إنه الأدب الذى يُبوء صاحبه حظاً من التوفيق يجعله لبنة صالحة في بناء أمتة، إنه الخلق الذى تصبح به صورة

ومن هنا قال الشاعر:

لا تحسبن العلم ينفع وحده

ما لم يتوج ربه بخلاق

وقال آخر:

وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق

فالعلم وحده ليس يجدى

وهى مسألة دقيقة تضيع وتغيب أو تُغيب في زحام الأحداث المتتابعة وتفقد محتواها وسط جلبة الضجيج الإعلامى الهادر الذى لا يعطى الكثيرين فرصة التريث والتأمل ووضع الأمور في نصابها. ومن هنا تأتى أهمية القضية المطروحة على بساط البحث وأعنى بها أولوية الخلق على العلم، الأمر الذى



القول والفعل صورة تجعل المطلع عليها يشمئز أن يكون واحداً منهم بل إنها تحفزها إلى المسارعة إلى ربط القول بالفعل والخلق بالعلم حتى يكون أهلاً لأن يتخذ قدوة تحتذى وأسوة تتبع.

وقد كان نتاج هذا الغراس الطيب الزاكي نماذج مشرقة وأمثلة مضيئة تعطى المعلم حقه من المكانة والرفعة في أمور يراها أبناء الجيل الحالى أموراً معتادة لكنها تنبئ بصدق عن أناس صاروا بحسن خلقهم عطراً شديداً تركوا به الحياة وضوءاً سنياً ينير على مدى الأيام وأحاديث طيبة تتعطر بها الألسن ولم لا وهم أزهير الدوحة النبوية والروضة المحمدية وأطيوارها الغردة التى تنشد من الألحان أعذبها وتقدم من الخصال أنجبها وأطيبها، فافتح إذن قلبك وعين بصرك وأجبنى -رعاك الله- هل هناك أدب يراعى فى تقليب صفحات الكتاب حين قراءته؟ وقبل أن تجيب هذا هو الإمام الشافعى -رحمه الله- يخبر عن حاله مع شيخه الإمام مالك -رحمه الله- حين كان يقرأ الموطأ عليه فيقول: كنت أصفح «أى أقلب الورق» بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبه له لئلا يسمع وقعها. فهل رأيت تلميذاً أكثر فى دماثة خلقه وأدبه الجم من تلميذ لا يود أن يسبب أدنى إزعاج لأستاذه حتى ولو كان مصدره صوت صفحات كتاب يقلبها

المتعلم المسلم أكثر وضاءة، وأشد سطوعاً، وأبهى معنى، وأعظم مغزى يجعله يتفوق على من سواه من المتعلمين كيف لا وهو فى كل ما يحصل من علم ويأتى من خلق يضع نصب عينيه نبراساً ينير له السبيل من قوله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(١).

ولقد اهتم أساطين الفكر الإسلامى أشد الاهتمام بهذا الموضوع وألفوا فيه من بدائع الكتب ما احتوى خالص التوجيهات التى تعد بحق إحدى مفاخر الحضارة الإنسانية ومآثر التربية الإسلامية التى تُلَى من شأن القيمة والجوهر والمضمون والمحتوى دون التقليل من أهمية الشكل وال قالب الذى ينبغى أن يكون مقبولاً مستساغاً. وليس الأمر مجرد وضع للقواعد والأصول والأطر، وإنما الأهمية الفعلية تكمن فى ارتباط القول بالفعل والتنظير بالتطبيق العملى حتى لا يقع المسلم تحت طائلة قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

لأن السلوكيات حين تصطبغ بالتطبيق العملى تصبح ذات تأثير فعال فى الواقع المعاش. والسنة النبوية رسمت فى الحديث الشريف صورة لأولئك الذين فصلوا بين





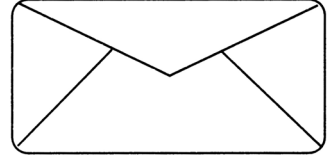
وإني لَعَبْدُ الضَّيْفِ مادام ثاوياً
وما بي شيمة بعدها تشبه العبد
فهو يخدمه ويتفانى في الترحيب به مدة
إقامته عنده لا أنه يعبده أو أنه مملوكه .
ولا يقف التكريم للعلماء عند حد التكريم
المادى بل يسمو إلى حد التكريم المعنوى، ومن
أخص خصائصه الدعاء لهم بالخير والثناء عليهم
بما هم أهل له ابتغاء رضا الله فيهم، فهذا هو
الإمام أحمد - رحمه الله - يقول لابن شيخه
الإمام الشافعى : أبوك من الخمسة الذين أدعو لهم
كل سَحَر . قال : ولم ذاك؟ قال أحمد : إن
الشافعى كان كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن
فانظر هل لهذين من خلف؟ ثم هناك نقطة
جوهريّة تحراها الأقدمون تنبيهاً للمحدثين من
خطر الخوض فيها وهى التغاضى عن عيب المعلم
والتغافل عنه إن وجد له عيب والتماس العذر، له
فقد كان بعض السلف إذا ذهب إلى معلمه
تصدق بشيء ثم قال : اللهم استر عيب معلمى
عنى ولا تذهب بركة علمه منى . فهل بعد ذلك
من تألق وحسن أدب وهل بقى فى ذاكرة الأجيال
من هذه المبادئ إلا عبقها الزكى وأريجها
الفواح؟ فياليت أبنائنا وبناتنا يستمسكون بتلك
السلوكيات التى اتخذها أقرانهم من السلف
دستوراً وشعاراً وداراً ففازوا وربحوا لأنهم صدقوا
الله فصدقهم وأخلصوا له النية فاجتباهم وعملوا
بما علموا فأكرمهم وحباهم .

بين يديه فما أجمله من إحساس رقيق! . ثم
قل لى بربك هل هناك حرج أو غضاضة فى أن
يشرب تلميذ ماءً أمام معلمه؟ ولا أقول
يدخن أو يأتى من الأفعال ما يندى له الجبين،
يجلّى لنا هذه الصورة الربيع بن سليمان -
غفر الله له- وهو تلميذ الإمام الشافعى
وأحد رواة مذهبه حين يقول : والله ما
اجترأت أن أشرب الماء والشافعى ينظر إلى
هيبة له . فما بالك بأناس يجعلون من
معلمهم مادة للسخرية والتندر! . . . وأما عن
الاعتراف بالجميل فحدث ولا حرج حتى ولو
كان علماً يسيراً فهذا هو الإمام الحافظ شعبة
بن الحجاج - رحمه الله - يقول : كنت إذا
سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً
مادام حياً . ويذكرنى ذلك القول الكريم
بأحدهم حين سمع القول المأثور : من علمنى
حرفاً صرت له عبداً . فثارت ثائرتة وقال : بل
قل من علمنى حرفاً صنت له ودأ . فقلت له
على الفور : يا أخى تحملنا مالم نقصد إليه؛
فالعبد هنا ليس معناه أنك تعبده من دون
الله أو تتخذة إلهاً والعياذ بالله فحاشى لله
أن يكون ذلك هو القصد، أو تلك هى النية،
بل المقصود صرت معترفاً بجميله، ذاكراً
لفضله غير جاحد أو منكر له، أقدم له من
الخدمات ما أحس معه أنى قد كافأته ولو
بأقل القليل ألم تسمع - هداك الله - أو تقرأ
قول الشاعر وهو يحتفى بضيفه :



رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان



باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛
فتبداً إن شاء الله برسالة الأخ رفيع عبد اللطيف النجار من دراجيل مركز الشهداء محافظة المنوفية
التي يقول فيها: عند قراءتي للآية العشرين من سورة المزمل وجدت قوله تعالى:
﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَأْتِي عَلَيْهِ كُتُبٌ ﴾^(١) في المصاحف التي تسلمها طلبة المعاهد الأزهرية بينما
هي مكتوبة في المصاحف الأخرى التي طبعت بمطابع الأزهر الشريف بهذه الصورة:
(علم أنن تحصوه فتأب عليكم) فلا أدري أهو خطأ طباعي أم لا؟ فإذا كان خطأ طباعياً فأرجو التتويه
إلى ذلك في مجلة الأزهر وإذا كانت الأخرى فأرجو توحيد الطباعات حتى لا يحدث لبس عند بعض الناس.

ونسير عليه في كتاباتنا ومطابعنا سوى
مطابع المصحف الشريف، والمراد برسم
المصحف الخط الذي كتب به في عهد عثمان
- رضى الله عنه - وهو خط متميز يختلف
بعض الشيء عن القواعد الإملائية التي
وضعها علماء اللغة بعد كتابة المصاحف

وقبل أن أجيب الأخ رفيع عن سؤاله أود
أن أشير إلى أن سؤاله يتصل بما يسمى رسم
المصحف وهو أحد علوم القرآن الكريم الذي
ما زال يدرس - بحمد الله تعالى - في
معاهد القراءات، ذلك أن خط المصحف
الشريف يخالف الخط الإملائي الذي نعرفه

(١) المزمل (٢٠).

أترى أن يغير رسمها في الصحف يعني المصحف. (قال: لا)، وقال الإمام أحمد - رضى الله عنه: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف. وقال البيهقي في شعب الإيمان: من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم^(٣).

ونأتى إلى الجزئية التى التبت على الأخ رفيع وهى قوله تعالى فى الآية العشرين من سورة الزمل: (ألن تحصوه) التى كتبت فى مصحف الإمام، الموزع على طلاب المعاهد بوصل النون مع اللام أى الإدغام وفى باقى المصاحف حتى المطبوعة فى الأزهر ﴿أَنْ لَّنْ تُحْصَوْهُ﴾ بفصل النون عن اللام وهذا يسمى فى علم رسم المصحف بالوصل والفصل.

وأطمئن الأخ السائل إلى أن المسألة ليست فيها خطأ مطبعي ولا شيء، والأمران جائزان كما قال علماء الرسم الذين قرروا أن كل موضع فيه ﴿أَنْ لَّنْ﴾ يجوز فيه الوصل والفصل إلا فى موضعين هما قوله تعالى من سورة الكهف:

العثمانية. ومن مظاهر اختلاف خط المصحف عن الخط الإملائي زيادة الألف بعد الواو المتطرفة فى نحو (ملاقوا، يعفوا) وزيادة الفتحة الممدودة واواً أو ياءً فى مثل «الصلوة، الزكوة» وما شابه ذلك مما يخالف النطق والكتابة الإملائية فى جزء يسير منه وعناية العلماء برسم المصحف ودراسته يشير إلى أى مدى بلغت عناية الأمة واهتمامها بالقرآن الكريم وهو ما قيضه الله - تعالى - لهذا الكتاب العزيز ليظل محفوظاً كما وعد سبحانه فى نطقه ورسمه وليتحقق قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

فليس الحفظ خاصاً بصوت الكلمات ونطقها بل بصورتها وشكلها كذلك».

والتزام الرسم العثمانى فى كتابة المصاحف وطبعها هو رأى جمهور العلماء.

ذكر الإمام السيوطى فى الإتقان: «سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال: (لا إلا على الكتبة الأولى) رواه الوافى فى المقنع. ثم قال: (لا مخالف له من علماء الأمة) وسئل - رضى الله عنه - مرة أخرى عن الحروف المزيدة فى الرسم المعدومه فى اللفظ فى نحو (أولوا) فالواو الأولى وكذا الألف تكتب ولا تنطق

(٢) الحجر (٩).

(٣) الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى ج٢ ص ٢٧٣ ط. المعاهد الأزهرية بتصرف يسير جداً.

يقول: وهل يوجد فرق بين أن يكون فسخ الخطبة بسبب العروس أو العريس (يقصد الخاطب والمخطوبة) ويسأل في آخر رسالته قائلاً: هل إذا خطبتُ ثانياً أكون مذنباً؟

- وبداية أقول للأخ السائل: إن الخطبة (بكسر الخاء) وعد بالزواج وتقدمة له تسبق العقد وغالباً ما يكون معها أو بعدها تقديم الهدايا والهبات وربما بعض المهر أو كله وبما أن الخطبة مجرد وعد بالزواج فيجوز لكل واحد من الطرفين الرجوع فيها وفسخها إذا رأى مصلحة في ذلك فإذا لم يكن ثمة سبب للفسخ كان ذلك من باب خلف الوعد الذي جعله الرسول ﷺ علامة من علامات النفاق؛ فقد روى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - لما حضرته الوفاة قال: «انظروا فلاناً - لرجل من قريش - فإنى قلت له فى ابنتى قولاً كشبه العدة وما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم أنى قد زوجته».

وقد جعلت الخطبة ليتعرف كل من الخاطب والمخطوبة على أخلاق بعضهما البعض وأحواله لكن ينبغي لكل منهما أن يحاول السؤال والتحرى قبل الإقدام على الخطبة وإشهارها ليكون ذلك أدعى لعدم الفسخ لأن فى الفسخ كسراً لخاطر أحدهما ومجالاً لإشاعات السوء.

﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّكَ تُجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٤).

وقوله تعالى فى سورة القيامة:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ﴾ (٥).

ففى هذين الموضعين لا يجوز الفصل:

﴿أَنْ لَّنْ﴾ بل يجب الوصل يعنى وصل النون باللام أى الإدغام.

وفى باقى المواضع ومنها آية المزمل يجوز

الأمران الوصل ﴿أَلَّنْ﴾ والفصل:

﴿أَنْ لَّنْ﴾ ذكره السيوطى فى الإتقان (٦).

هذا والله أعلم وبه التوفيق،

لمن تكون الشبكة عند فسخ الخطبة؟

● والرسالة الثانية فى هذا العدد من الأخ القارىء - تعمد ألا يذكر اسمه حتى لا يُعرف - لأنه من الريف - كما يقول - ويطلب فى رسالته الرد السريع على هذه الاستفسارات:

١ - لمن تكون الشبكة عند فسخ الخطبة؟

٢ - وكذلك المواسم النقدية والذهبية

تكون من حق من؟

٣ - وأيضا فستان الخطوبة ومحتوياته

تكون من حق من؟

٤ - تكاليف الخطبة من جاتوهات وأنوار

هل ترد إلى العريس (يقصد الخاطب)؟ ثم

(٥) القيامة (٣).

(٤) الكهف (٤٨).

(٦) الإتقان ج ٣.



شرط بغير ذلك، وهذا المذهب قريب من الواقع وارتضاه كثير من العلماء. ولا يفوتني أن أذكر أن تكاليف حفل الخطوبة من طعام وشراب وأنوار وخلافه فلا رجوع وكذا فيما اعتقد فستان الخطوبة.

هذا وإذا كان العرف قد جرى بأن الشبكة تعتبر جزءاً من المهر فقد رأينا بعض الناس يتفقون على الشبكة وحجمها ونوعها وقيمتها كالمهر سواء بسواء، فعندئذ العرف محكم ولا بد من ردها حتى ولو كان الفسخ من جهة الخاطب.

ويسأل الأخ القارىء: هل إذا فسخ خطوبته وخطب فتاة أخرى هل يكون مذنّباً؟

- والجواب: إذا كان الفسخ لمبرر فليس عليك ذنب إذا خطبت فتاة أخرى لأن المراد بالخطوبة تعرف كل واحد من الخاطب والمخطوبة على الآخر فإذا كان هذا التعرف قد أسفر عن أن هذه الفتاة لا تصلح له ففسخ الخطبة وخطب غيرها فلا ذنب عليه، أما إذا كان فسخ الخطبة لأنه رأى واحدة أجمل أو أغنى فقد ارتكب ذنباً.

هذا والله أعلم وبه التوفيق.

وإذا كان الخاطب قد قدم المهر أو بعضه ثم فسخت الخطبة فله الحق في استرداده لأنه دفعه في مقابل الزواج وعوضاً عنه والزواج لم يتم فله استرداده عند كل العلماء، أما الشبكة فقد ذهب الأحناف إلى أن الشبكة وكل الهدايا تأخذ حكم الهبة فلا يستردها الخاطب إلا إذا كانت قائمة على حالتها لم تتغير فإن لم تكن قائمة بأن فقدت أو بيعت أو كان طعاماً فأكل أو قماشاً فصار ثوباً فليس للخاطب شيء منه أو استرداد بدله، وبهذا الرأي أخذت المحاكم الشرعية في قوانين الأحوال الشخصية وعليه فهلاك الشبكة أو استهلاكها مانع من رجوعها، أما إذا كانت قائمة على حالها لم تتغير فيستردها الخاطب عند الفسخ كالأسورة والساعة والعقد والخاتم ونحو ذلك، هذا رأى الحنفية، أما المالكية فقد فصلوا فقالوا: إن كان فسخ الخطبة من جهة الخاطب لا يسترد من الشبكة أو الهدايا أو النقود في المواسم وما شاكل ذلك، أما إذا كان الفسخ من جهة المخطوبة أو وليها فيأخذ الخاطب كل شيء من ذهب ومال سواء كان باقياً على حالته أم لا، فإذا كان قد هلك أو بيع أو استعمل فيأخذ قيمته إلا إذا كان هناك

اليهود وتهمة الدم

الدكتور / محمد حسن عبد الخالق

لقد اتهم اليهود بالقتل واستعمال الدماء في طقوسهم الدينية وأعيادهم وخصوصا (عيد الفصح) الذي يقال إن خبزه المقدس يعجن بدماء الضحايا من غير اليهود وقد اخذت تهمة الدم بعدها الجاد في القرون الوسطى وأدت هذه التهمة إلى محاكمات ومذابح لليهود على مر العصور وقد حاول كثير من اليهود تنفيذ التهمة وإقناع الناس ببطلانها ولكنهم فشلوا واستمرت تهمة الدم مرتبطة ارتباطا وثيقا بصورة اليهودى طوال العصور.

لديره وكان بالقرب من بيت الولد المريض دار « داود هرارى » وكان هذا الرجل معدودا من أتقى اليهود فى الشام، وكان النصرارى يبالغون فى اعتباره وتوقيره وإكرامه، حتى إنهم كانوا يقولون عنه يهودى نصرانى صالح، وكان داود هرارى صديقا للأب توما فلما رآه مارا أمام داره استدعاه للدخول فلبى الأب دعوته ودخل فوجد هناك أخا داود وعمه واثنيين من عظماء اليهود فلما صار فى إحدى الغرف أغلق الباب، وانقض الجميع عليه كالذئاب الكاسرة، ووضعوا على فمة منديلا وربطوا يديه ورجليه ثم نقلوه إلى غرفة بعيدة عن الشارع وألقوه هناك إلى أن أظلم الليل وأخذوا فى الاستعدادات اللازمة لذبحه فلما جاء حضرة

وجرائم تهم الدم عديدة منها ما ذكره المؤرخ الفرنسى « شارل لوران » فى كتابه المثير « المسائل التاريخية عما جرى فى سوريا سنة ١٨٤٠ » عن مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار .. فى دمشق.

وقد لخص الدكتور يوسف نصرالله هذا الحادث فى مقدمة الترجمة العربية للكتاب على النحو الذى ننقله هنا بالحرف الواحد .

« وفى مساء اليوم الخامس من شهر فبراير سنة ١٨٤٠م قصد الأب توما حارة اليهود بقصد تطعيم ولد للوقاية من الجدرى فلبى الدعوة فى الحال ولما أن شاهد أن الولد المطلوب لأجله مريض وفى درجة الخطر لم ير إجراء التطعيم موافقا فرجع



طبيب والى دمشق فى ٦ فبراير، ولكنه لم يذهب فى الميعاد المحدد بسبب فقدته قبل ذلك اليوم وعدم رجوعه إلى الديار وجرى البحث عنه إذ ذاك بدون فائدة.

«أما كشف الحادثة فكان على الصورة الآتية : وهو أنه فى صباح اليوم الثانى ٦ فبراير جاء الذين كانت عاداتهم الحضور لسماع قداس الأب توما فمن حضر منهم أولا ظن أنه نائم ومن حضر أخيرا حسب أن القداس انتهى، والقسيس خرج لاشغاله مع أنه شاهد الأب توما عشيّة أمس متوجها لحارة اليهود فقلقت أفكارهم فأعلموا الباقين بالأمر فوقع بين الشعب هيجان وسار البعض إلى سراى الحكومة وطالبوا بالبحث والتدقيق عن هذا الأب».

«واشتغل قنصل فرنسا بهذه القضية وأعطاهما ما تستحقه من الأهمية فظهر أثناء التحقيق أن الحلاق اليهودى دعى ليلا عند التاجر اليهودى هرارى فنظر الأب توما مكتفا ومطروحا على الأرض، ثم جرى ما جرى كما سلف، وعند وجود الجثة عثر على قطعة من الطاقية التى كان يلبسها الراهب وهى معروفة فى كل دمشق».

واعترف إذ ذاك سبعة من المتهمين قائلين أنه قبل الواقعة بأيام أخبرهم الحاخام باشا أنه يلزم الاستحصال على دم بشرى لاستعماله فى عيد الفصح القريب فأجابه داود هرارى أنه سيتحصل

الحاخام استدعوا حلاقا يهوديا اسمه «سليمان» وأمروه بأن يذبح القسيس فخاف هذا الرجل وامتنع عن الإقدام على العمل فجاء الرجل التقى بين اليهود.. الرجل الوقور داود هرارى صديق الأب توما بنفسه فأخذ السكين ونحره»^(١).

ويمضى الدكتور يوسف نصرالله فى تلخيص الحادث المروع من واقع التحقيقات الرسمية التى قدمها المؤرخ الفرنسى فى كتابه، ويذكر كيف ارتحفت يد القاتل وهو يذبح صديقه، فتقدم أخوه هارون وأكمل الذبح، وكان سليمان الحلاق قابضا لحية الأب توما، وكان الحاضرون يتناولون الدم فى إناء ثم يضعونه فى زجاجة بيضاء أرسلت فيما بعد إلى الحاخام باشا يعقوب العنتابى، وبعد أن تمت تصفية دم الذبيح على هذه الحالة نزعوا ثيابه عن جثته وأرقوها ثم قطعوا الجسد قطعاً وسحقوا العظام بيد الهاون وطرحوا الجميع فى أحد المصارف المجاورة لمنزل الحاخام موسى أبو العافية وظنوا أنهم بهذه الوسيلة قد دفنوا الحادثة فى قبر عميق، ولكن الدم البرىء بقى يصرخ إلى الله كصرخ هابيل عندما قتله قابيل أخوه، فلما طال وقت رجوع الأب توما إلى ديره قلقت أفكار خادمه إبراهيم عمار، وبما أنه كان عالما بتوجه معلمه لحارة اليهود فقد ذهب إليها يسأل عنه فدخل دار داود هرارى وسأل من كان فيها عن سيده فأدخلوه منزل بعض المتهمين وذبحوه كما ذبحوا معلمه، وكان الأب توما دعى لوليمة عند

(١) د/ فتحي الرملى.. الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار.



حيوانات ومواش وغير ذلك مما هو موجود في المدينة أو الدولة المهزومة .

أما المعادن فتبقى وتطهر وتنقل إلى المعبد اليهودى وتودع فيه إذ هي مستثناة من التخریب .^(٣)

أليس هذا أبلغ دليل على أنهم منذ نشأتهم الأولى مبالون إلى سفك الدماء وتشريد غير اليهودى أى البشر جميعا وأحكام التلمود خير دليل على أقوالى وأنهم بفطرتهم مبالون إلى جمع الذهب والفضة والمعادن الثمينة الأخرى ونقلها إلى المعبد كى تكون فى يد كهنتهم الذين يحرمون ويحللون ما يحلوا لهم أما القتل وسفك الدماء فمن نصيب غير اليهود وقد ورد فى التلمود : « من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله » وقد اعتمد اليهود على أن التحريم هو أمر إلهى وأن إبادة المدن المهزومة تنفيذا لما جاء فى التوراة عندما أمر الرب موسى بتنفيذ التحريم فقد جاء فى التوراة « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوبا كثيرة من أمامك لاتقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم » .

ومايجرى الآن على الساحة الفلسطينية من سفك دماء تروى بها الأرض على مسمع ومرأى من العالم من اجل صنع فطيرة عيد الفصح .

على ذلك ولو كلفه من الأموال ما لا يعد . وكان المتهمون وقت اعترافهم محبوسين فى حبس الانفراد واعترافاتهم جاءت مطابقة لبعضها وبواسطتها صار الاستكشاف على الجثة وعلى بعض الملابس » .

ويختتم المترجم تلخيصه لهذه الجريمة الوحشية قائلا :

« وبعد أن تمت التحقيقات ثبتت التهمة ضد المتهمين وتوفى أثناء المحاكمة اثنان منهم، ونال العفو أربعة لأنهم أقرروا بالحقيقة، وحكم على العشرة الباقين بالإعدام » .

ولكن بعد الوسائط الفعالة صدر عفوا عن المجرمين إجابة لاسترحام عموم الشعب الإسرائيلى .^(٢)

ولنرجع إلى التعاليم الدينية اليهودية لنرى أن الدماء والإبادة لغير اليهود تعتبر عبادة :

فالتحريم فى المعنى اليهودى هو إبادة كل شىء فى مدينة مهزومة أو إهلاكها أو تخريبها تخريبا تاما ومعنى ذلك فى المفهوم اليهودى والفكر الدموى أنه إذا انتصر الجيش اليهودى على أعدائه فإن الدولة المهزومة يجب أن تهدم وتخرّب تخريبا تاما ويقتل أهلها جميعا ذكورا وإناثا أطفالا وشيوخا وكذلك كل ما فيها من

(٢) د/ فتحى الرملى .. الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ص ٧٠ - ٧٢ .

(٣) د/ حسن ظاظا، السيد محمد عاشور : شريعة الحرب عند اليهود ص ٢٠٦ .

(٤) سفر التثنية ١/٧ .



الحرب الشرسة على الإسلام

نشرت مجلة المصور في عددها الصادر في ١٣ من سبتمبر في حوار أجرته الكاتبة سناء السعيد مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي.

بدأت الكاتبة حديثها مع فضيلة الإمام الأكبر بقولها:

● الغريب أن بعض المسلمين والعرب تقبلوا الاتهام الذي ألصق بهم زورا وبهتانا وكأنما كان من المفروض عليهم المصادقة على كل ما تدعيه أمريكا.

فقال فضيلته:

●● هؤلاء بالقطع مخطئون وما كان يصح لهم أن يصادقوا على الاتهامات الموجهة بدون قرائن وأدلة ثبوتية.

● ألا ترون أن مسارعة أمريكا بإلصاق الجريمة بالمسلمين إنما يكشف عن كراهية دفينّة نحو الإسلام وأهله؟

●● لاشك أن إلصاق التهمة بالمسلمين هو لون من التسرع في الحكم الذي يجب على العقلاء أن يتنزهوا عنه. ولكن هذا لم يمنع من أن هناك قلة تحفظت وقالت نحن لا نستطيع أن نوجه التهمة إلا بعد أن تثبت لنا الجهات الرسمية المختصة الأدلة التي يمكن بواسطتها توجيه الاتهام لمن ارتكب هذه الجريمة والدولة التي ينتمى إليها، فلا يمكن أن نلقى التهم جزافا على الآخرين.

● ماذا لو أن أمريكا مضت في غيها ووجهت ضربة للعراق؟

●● قال فضيلة الإمام: هناك وسيلتان... الأولى أن القوة الظالمّة الباغية يجب ألا تقابل بمقاولة سلبية وإنما يجب على المعتدى عليه أن يقاوم والأعمار بيد الله، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

فالأجل بيد الله ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد قال تعالى:

يٰۤاَيُّهَا

الصّٰحِفٰ

و

المجّلات

اعداد الأستاذ

محمّد الفشتني



عن النفس نجده يدرج المقاومة الفلسطينية على
لائحة الإرهاب ما هي رؤيتكم؟

●● رؤيتي كروية الكثيرين وهو أن هذا ظلم
بين، وإذا كانت أمريكا تكيل بمكيالين فعلينا أن
نقنعها بالأدلة المنطقية أن هذا يخالف شريعة الله،
والعقل الإنساني السليم، ونسوق لها الأدلة التي
تدل على أن إخواننا في فلسطين يجب أن نمد لهم
العون ونقف إلى جانبهم حتى يأخذوا حقوقهم
كاملة غير منقوصة وحتى تقام لهم دولتهم المستقلة
الحرّة ويجب على أمريكا أن تدرك أن من يؤيد
المعتدى يكون ظالما ويكون مخطئا.

● أمريكا تعتزم إجراء ثورة إصلاحية في العالم
العربي والإسلامي، ويقال إن كولن باول يجهز نفسه
لهذه المهمة لطرح برنامج للإصلاح الديمقراطي في
المنطقة يتضمن عددا من البرامج للتدريب على مسائل
تعليمية وإعلامية وسياسية وأنه يعتزم القيام بجولة في
المنطقة لتحقيق هذا الهدف الذي رصد له مبدئيا ٢٥
مليون دولار والهدف هو التدريب على نمط معين
يتسق مع الغرب للتقليل من الامتعاض ضد أمريكا؟

●● هذا توجه غير سليم لأننا كمسلمين
وعرب لنا قيمنا ولسنا في حاجة إلى من يعلمنا
وإنما من أراد أن يأتي إلينا لكي يتعلم فمرحبا به،
نحن على استعداد أن نعلمه، أما من يريد أن
يأتي إلينا ليفرض علينا رأيا معيناً أو منهجا معيناً
أو يفرض علينا وصاياه، فنحن نقول له لقد
ضللت طريقك ولن نلتفت لا إلى آرائه ولا إلى
نصائحه ليحتفظوا بإصلاحاتهم لأنفسهم فلسنا
في حاجة إلى من يدرّبنا أو من يعلمنا.

﴿قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ (١).

إذن يجب ألا نقف موقفا سلبيا إزاء من أصر على
العدوان علينا واعتدى علينا فعلا، علينا أن نقاوم
على قدر استطاعتنا، هذه هي الوسيلة الأولى، أما
الوسيلة الثانية فهي أننا يجب أن نعلم بأن مصير
الباغين والظالمين والمعتدين إلى الخسران وهذه سنة
الله. على الذين يفرحون بقوتهم أن يعلموا بأن القوة
إذا استعملت في الظلم والعدوان وقتل الأبرياء، فإن
الله - عز وجل - سينتقم منهم إن عاجلا أو آجلا.

● هناك من طرح أسلوب المهادنة والتوسل مع
أمريكا بدعوى أننا أمة مغلوبة على أمرها، هل
يقبل الإسلام بهذا الطرح؟

●● هذا أسلوب لا يقبله الإسلام. ولكن إذا
كانت المسألة تخضع لتقييم السياسيين فأحيانا
أهل الخبرة تكون لهم نظرات فاحصة تختلف عن
نظرات غيرهم.

فهى مسائل تقديرية تخضع للظرف، لكنى
ومن الناحية الشرعية أعود لأقول بأن من اعتدى
على وأصر على الاعتداء ظلما وعدوانا ووصل
هذا العدوان إلى بيتى وبلدى فلا بد أن أقاوم
بالطريقة التي أملكها ثم بعد ذلك الأعمار بيد
الله - عز وجل.

● تبادت أمريكا في سياسة الكيل بمكيالين
ففى حين يطلق بوش على شارون رجل السلام
ويسمى جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين دفاعا





هل أصبح الإسلام (عدوا) في أمريكا و (مشكلة) في أوروبا ؟

أليكس فان، إنه على الرغم من جهود المسلمين للحيلولة دون اعتبار دينهم دين «الشیطان» فإن الهجمات غيرت من صورة الإسلام، ولفترة من الوقت شعر المسلمون في أمريكا بالخطر يتهدهدهم، ولا يزال كثير منهم حتى الآن يرون أنه عليهم الدفاع عن أنفسهم من الاتهامات الموجهة إلى الإسلام.. وأخيرا تجمع عدد كبير من «التحالف لحماية الحرية السياسية» في مسيرة كبيرة في ميدان الحرية في العاصمة الأمريكية.

هكذا، لم يجد المسلمون في أمريكا وسيلة للتعبير عما يلاقونه من متاعب وتحيز ضدهم سوى عقد المؤتمرات والقيام بالمسيرات، ومع ذلك استمرت الحملة على الإسلام والمسلمين ولم يشفع لهم احتفال المسلمين بذكرى هجمات سبتمبر وإقامة الصلاة على أرواح الضحايا، وكشف إستطلاع أجراه مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أن ٥٧٪ من مسلمي أمريكا تعرضوا لممارسات عانوا فيها من العنصرية والتمييز، وأن ٨٧٪ يعرفون زملاء لهم تعرضوا لهذه الممارسات، و٤٨٪ حياتهم تحولوا إلى الأسوأ، واتهم ٦٧٪ وسائل الإعلام الأمريكية بأنها أصبحت أكثر عدائية للإسلام والمسلمين.

وفي «مجلة أكتوبر» في عددها الصادر في ٨ من سبتمبر كتب الأستاذ رجب البنا رئيس التحرير مقالاً قال فيه :

في واشنطن تجمع ٣٠ ألف أمريكي مسلم ممن عانوا من المضايقات بعد الهجمات على نيويورك وواشنطن في ١١ من سبتمبر. بدأ مؤتمر الأمريكيين المسلمين يوم ٣١ أغسطس ٢٠٠٢ بمناسبة مرور عام على الحادثة واستمر أربعة أيام، وقال رئيس الجمعية الإسلامية في أمريكا الشمالية التي نظمت المؤتمر : إن هذا بلدنا، ونحن نحرص على الخير لهذا البلد ولكل إنسان، ولكننا نعاني من آثار ١١ سبتمبر على الحريات المدنية، وعلى الإسلام، وعلى الحياة السياسية في الولايات المتحدة.

وقال أمين عام الجمعية سيد سعيد : إن الجمعية تسعى جاهدة للتصدي للتشويه الذي يتعرض له الإسلام والمسلمين، وتعمل على إبراز الفرق بين الصورة الحقيقية للإسلام والصور المتطرفة منه، وفعلنا كل ما في وسعنا لتوضيح أن الإسلام لا يقدم هذا النوع من التطرف، ولكن كثيرا من المسلمين في أمريكا عانوا من أوقات صعبة، داهمت الشرطة عددا من الجمعيات الخيرية الإسلامية كما داهمت عددا كبيرا من المساجد.. وكان تعليق مراسل الإذاعة البريطانية في واشنطن،



فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى



وعلى الصفحة الثالثة من جريدة (اللواء الإسلامي) الصادرة في ٢٦ من رجب ١٤٢٣هـ كانت هذه الكلمة التي جاءت تحت عنوان «ليلة بكى فيها شارون ورفاقه»:

ماذا يقول شارون عن حرب أكتوبر؟!

شارون واحد من كبار القادة الذين عاصروا تلك الحرب، وخاضوا غمارها وبمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين للحرب، فإن شارون تحدث قليلا عن حرب أكتوبر، فكان حديثه يقطر بالمرارة والحزن، فماذا قال؟!

في البداية يؤكد أنه لم يعرف البكاء طيلة حياته العسكرية حتى استدعوه بعد تقاعده خلال الحرب الملعونة التي صبت لعنتها على إسرائيل، وقتها فقط عرفت معنى البكاء، فقد بكيت كثيراً بعدما شاهدت بنفسي مستقبل إسرائيل المظلم وحجم الضحايا من شباب إسرائيل.

ويضيف شارون: إن المصريين خدعونا بطقوسهم الدينية مرتين، مرة عندما أوهمونا أن القيادات العسكرية المصرية ستذهب لتأدية طقوس العمرة والحج، فاستكان اليهود، والمرة الأخرى عندما شنوا الحرب في شهر صومهم، ولم يكن أذكى شخص في العالم بأكمله قادر على تخيل حدوث ذلك.

ويقول شارون: إن المصريين لم يخدعونا بدينهم فحسب، ولكن بديننا ففي يوم الغفران، وجميع أفراد الجيش الإسرائيلي في حالة استرخاء والقادة العسكريون يحتسون (الخمور والكونياك الفاخر) في الغرف المكيفة كان المارد المصرى بدأ الضرب وبلا

رحمة محطماً سياج الغرور اليهودى.

ويقول شارون: إن اليأس تملكه في تلك الليلة، وظلت الهواجس والكوابيس تطارده، وتيقن أن إسرائيل في طريقها إلى هاوية سحيقة.

و «مجلة الأزهر» تكمل تصريح شارون بنشر صورة معبرة عن ذلوله، والضمادات تلف رأسه وهو يراجع الموقف العسكرى المتردى لجيش إسرائيل.

بين المجلنة.. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

أمن الأمة في الاعتصام بجبل الله

فأمريكا في الحقيقة لا تنظر إلا إلى مصالحها في المقام الأول وهي لا تجد في الدول العربية موضعها الراهن المتفكك مصالح ذات بال . وقد صرنا إلى هذا الحال برغم قول الله تعالى لنا :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٢)

وفي الآية الكريمة حث على الوحدة وتحذير من التفرق .

والوحدة الشاملة مطلب إسلامي أمرنا الله بها حماية لأفراد المجتمع وتقليلا لمطامع الدول الأقوى . ونحن مسئولون أمام الله عن تنفيذها فإن لم نستطع تنفيذها، فلا نخلى أنفسنا من صورة من صورها بحسب ما نستطيع - فالتكامل الاقتصادي والارتقاء بمستوى التعليم

إصرار متزايد من أمريكا على ضرب العراق، تنقل الصحافة العالمية أخباره بشكل متواصل، وأنباء عن تلك الضربة المتوقعة سواء بموافقة الأمم المتحدة أم بدونها!!

وفي ذات الوقت تنقل الصحافة أيضا قول ميلسيا فليمنج المتحدثة باسم الوكالة الدولية للطاقة الذرية : «إن الوكالة لم تنشر أى تقارير حول تطوير العراق للبرنامج النووي .. وكل ما صدر عن الوكالة مجرد نشرة الجمعة الماضية تؤكد أنه لا جديد بشأن هذا البرنامج» (١).

وبرغم أن إسرائيل لديها من الأسلحة ما يفوق كل ما تملكه الدول العربية مجتمعة .. بل هي تهدد أمن جيرانها إلا أن أمريكا تنظر إلى هذه الترسانة الضخمة - من السلاح بكافة أنواعه - على أنها لا تشكل خطراً .

(٢) آل عمران - ١٠٣ .

(١) جريدة الجمهورية في عددها الصادر في الاثنين ٢٠٠٢/٩/٩ .



ويزيد من قدراتنا على التحاور ويزيد من فرص إحلال السلام في المنطقة لأن أمريكا قبل أن تخطط لضرب العراق أو أية دولة عربية أخرى ستفكر حينئذ في مصالحها التي ستصبح مهددة بالخطر، نتيجة للمقاطعة العربية مثلاً!! ولكن ما ورد في الحديث السابق لرسول الله ﷺ من بشارة يتحقق في ذلك الازدهار الاقتصادي للأمة الذي يمنحنا الله - بفضل - سلاماً من عنده أفضل من ذلك السلام الذي نستجديه من أمريكا!!

وأخيراً.. وعلى طريق الحل لمشكلة العراق لماذا لا يقترح العرب أن يكونوا «هم وبعض الدولة الصديقة» ممثلين ضمن أعضاء فرق التفتيش التي يسمح العراق لها بالدخول على أن ينتهي الحصار الذي دام أكثر من عشر سنوات للشعب العراقي عانى فيها الأطفال والنساء ألواناً من الظلم والبغي.

وليس في كتاب الله آية واحدة تأمر بالبغي أو الظلم، بل أمر دائم بالعدل مقترن بالنهاي عن الظلم والبغي.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥)
«المحرر»

والبحوث دعامتان أساسيتان لتحقيق صورة من صور الوحدة الشاملة، وحسبنا قول رسولنا الكريم ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (٣).

وقوله ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا...» (٤). ومعنى سددوا أى: الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط فإن كان السداد - فى أمرنا هذا - هو الوصول الى الوحدة الشاملة فإن المقاربة هى تحقيق صورة من صورها «أى التكامل الاقتصادى».

فإذا نجح العرب فى تحقيق هذا التكامل الاقتصادى - الذى كثيراً ما نادى به مصر - لأصبحنا كتلة اقتصادية هامة فى عالم ملئ بالتكتلات، وبخاصة وقد أفاء الله على الأمة العربية بالخير الوفير الذى يتمثل فى المواد الخام من «فوسفات - حديد - منجنيز... إلخ» بالإضافة إلى البترول.

أقول: إذا نجح العرب فى تحقيق هذا التكامل فإن العرب سيكون لهم شأن آخر يدفع الآخرين - ومن بينهم أمريكا - إلى تغيير حساباتهم معنا.

وإذا اقترن هذا التكامل الاقتصادى بالارتقاء فى المستوى التعليمى والبحث العلمى فى جميع فروع الحياة: «زراعة - صناعة - طب - اقتصاد... إلخ». فإن ذلك سيؤدى إلى ارتفاع مستوى معيشتنا ويقلل من اعتمادنا على الآخرين

(٣) صحيح البخارى - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٧٢٨٨.

(٤) صحيح البخارى - كتاب الإيمان - باب الدين يسر حديث رقم ٢٩.

(٥) النحل - ٩٠.



هجمات أمريكا لن تقتصر على العراق

وأقول ما أشبه الليلة بالبارحة .. هذا الذى حدث بالفعل وتم فى مجزرة غزة بأرض فلسطين .. إذ قامت القوات الإسرائيلية - بعد إجتماع مع ولاية الأمور بأمريكا قبل وقوع المجزرة بساعات - باستخدام طائرات أمريكية تحمل قنابل أمريكية الصنع لإتمام هذه المجزرة الأليمة فى قطاع غزة .. إذ قاموا بضرب بناية سكنية مكونة من ثلاثة طوابق وهدموها على سكانها وقاطنيها فى جنح الليل .. وكانت النتيجة والمحصلة استشهاد ١٧ شهيداً مع إصابة حوالى ١٥٠ جريحاً معظمهم فى حالات حرجة واجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى ليقول بأن العملية التى حدثت فى غزة كانت ناجحة جداً .. وتحاك المهازل ضد العرب وتعلن أمريكا بأنها سوف تحقق فى مجزرة غزة والسلاح المستخدم .. وإنى أسأل ثانية أى تحقيق هذا .. وماذا يفيد بعد وقوع المجزرة .

أقول فى النهاية .. يجب أن يتنبه العرب والمسلمون فى جميع البقاع من المعمورة أنهم مستهدفون من أمريكا .. يجب أن نستيقظ ونصحو من سباتنا العميق .. قبل وقوع الطامة الكبرى التى لا تبقى ولا تذر .. ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد .

وفى نفس الاتجاه أرسل القارئ الأستاذ / إبراهيم عبدالوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة .. يقول :

« ... رسالتى إلى المجلة وبالذات إلى باب « بين المجلة والقارئ » عما يحدث اليوم على الساحة العالمية وبالذات الهجمات التى تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول الإسلام فى جميع أنحاء المعمورة .. بدعوى أن بعض الدول الإسلامية وضعت على قائمة الإرهاب ومنها بعض الدول العربية وبالذات العراق وسوريا وليبيا وفلسطين وغيرها .

وما حدث فى أفغانستان ليس ببعيد، تلك البلدة المسلمة التى عانت من كثير من الضربات الأمريكية وباستخدام الأسلحة المحرمة دولياً حتى لقد أتوا على معظم مدن هذه الدولة الضعيفة وقراها وحولوها إلى خراب ودمار لم يشهد العالم مثله منذ الحرب العالمية الثانية حتى وصل بهم الأمر أنهم حوّلوا أفراح بعض الناس إلى مآتم وأحزان إذ تناقلت وسائل الإعلام العالمية .. ضرب الطائرات الأمريكية لفرح فى إحدى القرى الأفغانية بالقنابل حتى قضى على أهل الفرحة تماماً وذلك باستخدام أشد أنواع القنابل فتكاً .. تحول الفرحة إلى مآتم وتحول جو السرور إلى موت وخراب .

وكل ما وعدوا به هو إجراء التحقيقات فى هذا الشأن ولا أدرى أى تحقيق تجريه الولايات المتحدة فى هذا الصدد؟!



عبدالله بن المبارك

استجابة لرغبة عدد من القراء أن يحتوى باب «بن المجلة والقارىء» على تعريف لأحد الصحابة. نقول: إن هذا يسعدنا جداً ونرجو أن نرى إسهامات جادة فى هذا الشأن، وحتى تصلنا مثل هذه الإسهامات نقدم هذه الكلمة التى وردت من القارىء الأستاذ/ محمد عباس عرابى الذى يقدم فيها تعريفاً بالتابعى الجليل عبدالله بن المبارك.

يقول: «فى مدينة «مرو» ببلاد فارس، ولد عبدالله ابن المبارك سنة ١٨٨ هـ، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم العربية، وحفظ أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله ﷺ ودرس الفقه. وأنعم الله عليه بذاكرة قوية منذ صغره، فقد كان سريع الحفظ، لا ينسى ما يحفظه أبداً.

✽ **رحلته فى طلب العلم:** وفى الثالثة والعشرين من عمره، رحل طلباً للعلم فسافر إلى العراق والحجاز وغيرهما، والتقى بعدد من علماء عصره كالإمام مالك، وسفيان الثورى، وأبى حنيفة النعمان.

وكان عبدالله كلما ازداد علماً، ازداد خوفاً من الله، وزهداً فى الدنيا، وكان إذا قرأ كتاباً من كتب الوعظ يذكره بالآخرة وبالجنة والنار، وبالوقوف بين يدى الله للحساب بكى بكاء شديداً، واقشعر جسمه وارتعدت فرائضه.

✽ **كرمه:** وكان عبدالله يكسب من تجارته مالاً كثيراً، وها هو ذا يعطينا درساً بليغاً فى السلوك الصحيح للمسلم، وذلك حين أتاه أحد أصدقائه واسمه أبو على، وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلاً لعبدالله: أنت تأمرنا بالزهد، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال له عبدالله بن المبارك: يا أبا على، إنما أفعل ذا لأصون وجهى، وأكرم عرضى، وأستعين به على طاعة ربه، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به.

وكان عبدالله بن المبارك كريماً، ينفق على الفقراء والمساكين فى كل سنة مائة ألف درهم. وكان ينفق على طلاب العلم بسخاء، حتى عوتب فى ذلك فقال: إننى أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، فطلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، فإن تركناهم؛ ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

وأحب عبدالله بن المبارك أحاديث رسول الله ﷺ حباً عظيماً، وكان لا يجيب أحداً يسأله عن حديث منها وهو يمشى بل يجلس، ويقول للسائل: «ليس هذا من توقير العلم».

وكان حُفَظَ الحديث فى الكوفة إذا اختلفوا حول حديث قالوا: مروا بنا إلى هذا الطبيب نسأله «يقصدون عبدالله بن المبارك».

✽ **فضائل ابن المبارك:** ولقد اجتمع نفر من أصحابه يوماً وقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم، والفقه والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحة، والزهد، والورع، والإنصاف، وقيام الليل والعبادة، والفروسية، والشجاعة، والشدة فى بدنه، وترك الكلام فى ما لا يعنيه.

✽ **وفاته:** وفى رمضان سنة ١٨١ هـ توفى ابن المبارك وهو راجع من الغزو، وكان عمره ٦٣ عاماً، ويقال: إن الرشيد لما بلغه موت عبدالله، قال: مات اليوم سيد العلماء.

✽ **رحلته فى طلب العلم:** وفى الثالثة والعشرين من عمره، رحل طلباً للعلم فسافر إلى العراق والحجاز وغيرهما، والتقى بعدد من علماء عصره كالإمام مالك، وسفيان الثورى، وأبى حنيفة النعمان.

وكان عبدالله كلما ازداد علماً، ازداد خوفاً من الله، وزهداً فى الدنيا، وكان إذا قرأ كتاباً من كتب الوعظ يذكره بالآخرة وبالجنة والنار، وبالوقوف بين يدى الله للحساب بكى بكاء شديداً، واقشعر جسمه وارتعدت فرائضه.

✽ **كرمه:** وكان عبدالله يكسب من تجارته مالاً كثيراً، وها هو ذا يعطينا درساً بليغاً فى السلوك الصحيح للمسلم، وذلك حين أتاه أحد أصدقائه واسمه أبو على، وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلاً لعبدالله: أنت تأمرنا بالزهد، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال له عبدالله بن المبارك: يا أبا على، إنما أفعل ذا لأصون وجهى، وأكرم عرضى، وأستعين به على طاعة ربه، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به.

وكان عبدالله بن المبارك كريماً، ينفق على الفقراء والمساكين فى كل سنة مائة ألف درهم. وكان ينفق على طلاب العلم بسخاء، حتى عوتب فى ذلك فقال: إننى أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، فطلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، فإن تركناهم؛ ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

وأحب عبدالله بن المبارك أحاديث رسول الله ﷺ حباً عظيماً، وكان لا يجيب أحداً يسأله عن حديث منها وهو يمشى بل يجلس، ويقول للسائل: «ليس هذا من توقير العلم».

وكان حُفَظَ الحديث فى الكوفة إذا اختلفوا حول حديث قالوا: مروا بنا إلى هذا الطبيب نسأله «يقصدون عبدالله بن المبارك».

✽ **وفاته:** وفى رمضان سنة ١٨١ هـ توفى ابن المبارك وهو راجع من الغزو، وكان عمره ٦٣ عاماً، ويقال: إن الرشيد لما بلغه موت عبدالله، قال: مات اليوم سيد العلماء.

أحسن كما أحسن الله إليك

– فالحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

الذاريات ٥٦

ولذلك نرى الإنسان المهوم بأمر دنياه فقط في هم دائم وغم وشقاء، لأنه نسى الله – تعالى – وعمل للدنيا فقط، واستخدم نعم الله الكثيرة في غير طاعته . إن السعادة الحقيقية هي أن يوازن الإنسان بين متطلبات الروح والجسد، بين الدين والدنيا، بحيث لا تغطي الدنيا على الدين، فالحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ

خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

الأنعام ٣٢

وينهى الله سبحانه وتعالى عن التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة، أما عاقبة من يفعل ذلك فالله – تعالى – يبين عاقبته فيقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ مَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

المنافقون ٩

فإذا كانت هذه هي الدنيا، وإذا كان الإنسان الحاضر قد امتلك الكثير من مقوماتها، ووسائل التمتع والرفاهية فيها، فالواجب عليه أن يشكر الله على كل هذه النعم التي لا تحصى ولا تعد، فكم من نعم كثيرة أنعم الله علينا ولم نشكره عليها، بل للأسف نستخدم هذه النعم في المعاصي والذنوب، فهل من مستجيب قبل فوات الأوان؟!

أما القارئ الشيخ / وائل على عبدالعزيز – مدرس أول علوم شرعية فينقل لنا بعض نفحات تلك الجلسة بينه وبين إخوانه فيقول :

كنت ذات يوم في جلسة إيمانية مع أحد الأخوة الأفاضل فقال لي : « إن الإنسان في عصرنا أفضل من الملوك والأباطرة السابقين » فقلت له : كيف ؟ قال : « إن إنسان العصر الحديث يمتلك من وسائل الرفاهية ما لم يملكه أعظم الملوك، فقلت له : أوضح، فقال : « إن الملوك السابقين مع ما أوتوا من قوة وجاه وسلطان إلا أنهم لم يتمتعوا بأقل المزايا التي يتمتع بها الإنسان البسيط في عصرنا .

فالإنسان العادي يستطيع أن يتحدث مع آخر يتبعد عنه آلاف الكيلو مترات بالتليفون مثلاً، فضلاً عن التقنيات الحديثة، الفاكس والتلكس والفاكسميلي، ناهيك عن الإنترنت .

فهل كان الملوك السابقون يتمتعون بمزية واحدة من هذه المزايا؟ فقلت : ولكن مع كل هذه المزايا؛ هل يتمتع الإنسان بالصحة النفسية، أو هل هو راض عن نفسه، وهل هو مطمئن وسعيد فعلاً، هنا يأتي دور الإسلام، فالإسلام يأمر بالعمل للدنيا والآخرة معاً، كما ورد في القرآن الكريم على لسان الصالحين لقارون :

﴿وَأَسْتَفِغْ فِيمَا آتَيْتُكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

القصص ٧٧

ولكن الإنسان يعمل للدنيا فقط، وينسى أمر آخرته برغم أن الدنيا كلها بما فيها وما عليها مذلة له كي يستخدمها في طاعة الله – عز وجل



رسالة إلى أطفال العالم

د. / نجاح عبدالعليم أبو الفتوح
كلية البنات الإسلامية / جامعة الأزهر

بِالْأَمْسِ كُنَّا أَسْرَةً نَرْجُو حَيَاةً هَانِيَةً أَبْتَى وَأَخْتَى وَالْعَزِيزَةَ أُمِّيَّةً بِالْأَمْسِ كُنَّا صَحْبَةً وَقُلُوبُنَا مَلَأَى بِحُبِّ حَانِيَّةً وَرَأَيْتُ مَرْيَمَ فِي الْمَنَامِ تَضْمُنُنِي وَرَأَيْتُ عِيسَى وَالنَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَرَأَيْتُ مُوسَى غَاضِبًا مُتَنَهِّدًا وَصُحُوتُ أَدْعُو رَبِّيَّةً وَسَمِعْتُ صَاعِقَةً تَهْزُ مَسَامِعِي أَصْوَاتُهَا كَرِيَا حَادٍ عَاتِيَّةً	سُكِبَ اللَّبَنُ صَمَّتَ الْقَلَمُ وَنَظَرْتُ مِنْ خَلْفِ النِّوَافِذِ كَيْ أَرَى مَاذَا جَرَى فَرَأَيْتُ أَشْبَاحًا تُحَاصِرُ بَيْتِيَّةً وَسَمِعْتُ أَجْرَاسَ الْكِنَائِثِ شَاكِيَّةً وَسَمِعْتُ أَنْثَاتِ الْمَسَاجِدِ بَاكِيَّةً وَجَنُوثُ تَحْتَ أَرِيكَتِي وَالرُّعْبُ يَمْلَأُ حِجْرَتِي وَرَأَيْتُ أَدْمَعَ قَطْطِي أَخْتِي تَلُوذُ بِأُمِّيَّةً أُمِّي تَلُوذُ بِأَخْتِيَّةً وَرَأَيْتُ فِي عَيْنِي أَبِي أَحْزَانِيَّةً غَضِبْتُ قَوَاعِدُ بَيْتِنَا	فَتَصَدَّعَتْ وَرِصَاصَةٌ قَتَلْتُ أَبِي قَتَلْتُ مَلَاذَ فُؤَادِيَّةً وَجِثَّتْ حَبِيبَةُ قَلْبِهِ لَتَلُمَّ أَشْبَاحَ الرَّدَى مِنْ فَوْقِهِ سَقَطَتْ صَرِيعةً غَدْرَهُمْ وَشَقِيقَتِي صَارَتْ شِعَاعًا بَعْدَمَا نَثَرْتُ وَرُودَ دِمَائِهَا نَارًا لَتَحْرِقَ بَغْضَهُمْ لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ أَسْرَتِي غَيْرَ الْحِجَارَةِ وَالْمَرَارَةِ وَالثَّرَى وَالْحُرِّ مِنْ كُلِّ الْوَرَى وَعَقِيدَتِي وَجِهَادِيَّةً
--	--	--

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً.





للأستاذ / محمد الشرقاوي

*رداً على قوى التطرف الغربي :

بعيداً عن الصورة النمطية السيئة التي يعتقدها الأمريكيون عن القرآن والرسول ﷺ والمسلمين.. يقع الكتاب في نحو « ٣٠٠ » صفحة ويتناول فهم « ٣٥ » سورة نزلت في بدايات الوحي، ويحاول تفسير انتشار الإسلام بين نحو - مليار و ٣٠٠ مليون مسلم - كما يناقش فهم الغرب للقرآن من خلال فهمهم لواقع المسلمين بأخطائه .

وقد رحب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية « كبير » بقرار المحكمة واعتبر المجلس الذي يعنى بحقوق المسلمين السياسية والقانونية أن السماح بتدريس مثل هذا الكتاب على طلاب الجامعة، يُعدّ زداً عملياً على قوى التطرف التي حاولت الإيحاء بأن الكتاب غير موضوعي في تناوله لقضايا الإسلام والمسلمين .

القضاء الأمريكي يوافق على تدريس كتاب « الاقتراب من القرآن »

قررت المحكمة الأمريكية بولاية « نورث كارولينا » الموافقة على تدريس كتاب « الاقتراب من القرآن » لطلاب الجامعة في الولاية، ورفضت المحكمة دعوى بعض القوى المسيحية المتطرفة التي طالبت برفض تدريس الكتاب للطلاب بزعم أنه يحمل أفكاراً متطرفة، لا يجوز لدافع الضرائب الأمريكي الاطلاع عليها .

واعتُبر قرار المحكمة هزيمة لـ « مركز اتحاد الأسر الأمريكية للقانون والسياسة » الذي تزعم الهجوم على الكتاب ومؤلفه « مايكل سيلز » وانتصاراً للاعتدال والإنصاف الذي تبناه الكتاب .

.. والكتاب يُعدّ محاولة موضوعية لفهم القرآن



تايلاند يوم الأربعاء ٢٥ من رجب ١٤٢٣ هـ الموافق ٢ من أكتوبر سنة ٢٠٠٢. ضم الوفد الزائر عدداً من المسؤولين بالجامعة وهم:

الأستاذ وان حسن وان إبراهيم مدير العلاقات الثقافية الخارجية بالجامعة، والأستاذ عبدالرشيد عبدالله، والأستاذ / يحيى ميني فيني، والأستاذ اسماعيل سامار، والأستاذ عبد العزيز سارتيج، والأستاذ كونيا لوهماء، وكان في استقبالهم فضيلة الشيخ الطاهر الحامدي مدير عام مجلة الأزهر وعدد من محرري المجلة دار الحديث حول الإسلام والمسلمين في تايلاند حيث أكد الضيوف أن نسبة المسلمين في تايلاند تبلغ ١٢٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٦٣ مليون نسمة، حيث يبلغ عدد المسلمين في تايلاند نحو سبعة ملايين مسلم، مؤكداً على أن الهدف الأول لجامعة (الشيخ داود فطاني الإسلامية) تعميق وترسيخ قيم الإسلام وتعاليمه النبيلة السمحة في نفوس مسلمي تايلاند، وشرح وبيان صحيح الدين الإسلامي وغاياته وأهدافه للمجتمع كله في عصر صار فيه الإسلام متهماً بتهم هو منها براء.

وقد عبر الزائرون عن رغبتهم في إنشاء نوع من العلاقات والتبادل الثقافي بين جامعة (الشيخ داود الفطاني) وبين (مجلة الأزهر) عملاً بقول المولى عز وجل:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (١).

وفي نهاية اللقاء شكر الوفد للقاءين على العمل بالمجلة حسن استقبالهم وتمنوا لهم التوفيق والسداد.

.. وأعلن مؤلف الكتاب أن مشكلته ليست في الكتاب، بل في فهمه، وأشار إلى أن الذهنية الأمريكية باتت أكثر استنفاراً بعد أحداث سبتمبر وعلى استعداد لتقبل مقولة أن كل ما هو إسلامي يُعد إحدى قوى «الشر».

لأن الدين الإسلامي الخفيف من عند الله - تعالى - فلا بد أن تتفق أفكار معتنقيه مع أهل الفكر المتزن الملتزم وهو ما أقره أصحاب فكر هادي بعيداً عن التشنجات، تمثّل في قرار المحكمة.

ويبدو أن القضاء أصبح هو طوق النجاة في كثير من بلاد العالم.

في لندن.. خط تليفوني للمرأة المسلمة

نجحت مجموعة من المتطوعات من الجالية المسلمة المقيمة في بريطانيا في كسب ثقة من يرغبن في الحصول على صحيح المعلومات الدينية المتعلقة بشئون المعيشة من خلال خدمة هاتفية أطلقن عليها اسم «خط المساعدة» للرد على استفسارات المرأة المسلمة في بريطانيا والدول الأوروبية حول المسائل المتعلقة بالدين والأسرة.

نود أن يكون هذا العمل بهدف نشر الثقافة والوعي الإسلامي يبتغي به وجه الله - تعالى - لا يكون المقصد منه تحقيق مكاسب مادية.

مجلة الأزهر تستقبل وفد أمن جامعة فطاني

تأكيداً على أهمية الدور الذي تقوم به (مجلة الأزهر) فقد وفد إليها وفد من جامعة (الشيخ داود الفطاني) الإسلامية بمدينة (جالا) جنوب

(١) المائدة (٢).



أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل رئيسة جمهورية أندونيسيا

بالأزهر تهتم بحفظ القرآن الكريم والتوسع فى العلوم الشرعية والعلوم العربية إلى جانب المواد الأخرى التى تدرس فى مدارس التربية والتعليم وتمتاز الدراسة بالأزهر الشريف بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة كما تدرس فى الأزهر المذاهب الإسلامية المختلفة ويأخذ الجميع فقههم من الكتاب والسنة النبوية المطهرة والأصول لا خلاف عليها وإذا وجد اختلاف فإنما هو الفروع التى تقبل الاختلاف، وكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويؤدى أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج ولا ينكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة فهو مسلم.

وقد شكرت الرئيسة فضيلة الإمام الأكبر عن حفاوة اللقاء وأجاب فضيلته عن الأسئلة والاستفسارات مؤكدا على أن الأزهر الشريف احدى مؤسسات الدولة وهو جهة حكومية ويتم تمويله من ميزانية الدولة شأنه فى ذلك شأن كل الوزارات فى مصر، وقدمت السيدة الرئيسة الدعوة الرسمية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيدة الرئيسة / ميجاواتى أحمد سوكارنو رئيسة جمهورية أندونيسيا والوفد رفيع المستوى يرافقهم معالى الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وسعادة سفير مصر فى أندونيسيا، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالرئيسة والوفد المرافق فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقة بين البلدين والتعاون المشترك فى مجال التعليم الأزهري وأشار إلى أن لأندونيسيا طالبا وطالبات يدرسون بالأزهر الشريف فى مراحل مختلفة ويبلغ تعدادهم حوالى ألفين وخمسمائة طالب وطالبة، كما تخرج فى الأزهر الشريف طلاب أندونيسيون يحتلون مناصب قيادية فى أندونيسيا، ومما يذكر أن الأزهر الشريف يستقبل طالبا وطالبات من أكثر من خمس وتسعين دولة من دول العالم يقيمون فى مدن البعثات الإسلامية، وقدم فضيلته شرحا مبسطا للتعليم بالأزهر فى مراحل المختلفة من الحضانة وحتى الجامعة مؤكدا على أن الدراسة



ال الشريف لزيارة جمهورية أندونيسيا حيث تتطلع أندونيسيا رئيسا وحكومة وشعبا لهذه الزيارة، وقد رحب فضيلته بالدعوة وسيتم تلبيتها - بإذن الله تعالى - حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وجمع من السادة علماء الأزهر الشريف وقياداته .

الإمام الأكبر يستقبل سفير تشاد

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير أمين أبا صديق سفير جمهورية تشاد بالقاهرة يرافقه الحاج فضل جمعة آدم المستشار بالسفارة، رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه في الأزهر الشريف مؤكداً على عمق العلاقة في مجال التعليم، والأزهر الشريف يقدم العون والمساعدة العلمية والتعليمية والثقافية لأبناء تشاد، ويوجد عدد كبير من طلبة دولة تشاد يدرسون بالأزهر الشريف على منح من الأزهر، كما يوفد الأزهر الشريف العلماء لدولة تشاد لتعليم أبناء دولة تشاد في المعاهد الدينية هناك وترسل المناهج والكتب المقررة، وقد شكر السيد السفير فضيلته على هذا التعاون المستمر وأبلغ فضيلته تحيات رئيس وحكومة وشعب تشاد لمصر وأزهرها الشريف على ما يقدم من مساعدات في مجالات كثيرة معرباً على أن اللغة العربية أصبحت هي اللغة الدستورية والرسمية في البلاد الآن بعد أن كانت الفرنسية هي السائدة، وطلب إمداد دولة تشاد بالكتب الدينية والثقافية واللغوية والعلمية على أن ترسل للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتشاد، كما طلب معادلة الشهادات الثانوية من مركز الفيصل الإسلامي بتشاد بشهادات الأزهر الشريف

كما طلب إلحاق الطلبة الحاصلين على الثانوية الأزهرية بالكلية العملية، وكذا إلحاق الطلبة الحاصلين على المؤهلات العليا بجامعة الأزهر بأقسام الدراسات العليا بها لاستكمال دراستهم بالماجستير والدكتوراة، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذه الطلبات تمهيدا لتبيتها، كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف السيد السفير وتدارس معه ما طلبه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

سفير بنجلاديش يؤكد:

مصر وأزهرها الشريف تفيض بكرم العطاء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير محمود حسن سفير دولة بنجلاديش بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف وأشار إلى أن الأزهر يستقبل الطلاب من بنجلاديش على منح يدرسون بالأزهر في معاهده وجامعته العريقة، كما يستقبل علماء من بنجلاديش يحضرون الدورات التدريبية التي يقيمها الأزهر كل ثلاثة أشهر لأئمة ووعاظ وعلماء العالم الإسلامي، موضحاً على أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال والسماحة، كما يستقبل الأزهر الشريف طلاباً وطالبات من خمسة وتسعين دولة يصل عددهم إلى أكثر من خمسة آلاف طالب وطالبة منهم طلاب وطالبات من بنجلاديش، والأزهر يرحب بهم ويعلمهم بجانب إخوانهم الطلاب المصريين، وبعد تخرجهم في الأزهر الشريف يؤدون رسالتهم نحو تعليم أبناء بلادهم وهم رسل الأزهر لدى شعوبهم .

فى أعناق الصفوة من عباده، وأن مهمة القاضى هى الحكم بالعدل بين الناس، والحكم ينبع من ضمير القاضى قبل أن ينبع من القوانين، ويخبرته إلى جانب الأدلة يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، والقاضى حينما يحكم بين الناس فإنما يضع الأمور فى نصابها وفى مكانها الصحيح بضمير القاضى ولا يخشى أحدا إلا الله - عز وجل - وبذلك يعيش الناس فى أمن وأمان واستقرار.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول نظام التعليم فى الأزهر الشريف وفى جامعة الأزهر، النظام الإدارى.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء، وعلى المعلومات القيمة التى استمعوا إليها لتكون نصب أعينهم فى عملهم وفى أحكامهم وطلب الوفد زيارة مكتبة الأزهر الشريف وهىئ لهم زيارة مكتبة الأزهر الشريف بمصاحبة العلاقات العامة بالمشيخة.

الإمام الأكبر:

شريعة الإسلام جاءت لتحافظ على الإنسان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد من السادة ضباط الشرطة العاملين فى مكافحة المخدرات وأمن الموانئ والمسطحات المائية والقضاء العسكرى والشرطة العسكرية وضباط حرس الحدود والسواحل ومأمورى الجمارك وأخصائى المعامل من الطب الشرعى وأطباء الصحة النفسية من مصر والدول العربية الدارسين بالدورة الثانية والثلاثين من البرنامج التدريبي العربى لمكافحة المخدرات ترافقهم الأستاذة الدكتورة نجوى أمين الفوال مديرة المركز

شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة الطيبة موضحا بأن دولة بنجلاديش دولة إسلامية تتمتع بسمات طيبة، ولدى أبناء بنجلاديش طموح عظيم للمجىء للأزهر للتعليم به، وأن مصر وأزهرها الشريف تفيض بكرم العطاء لتوفير المنح الدراسية ليحظى الطلاب بدراسة العلوم الدينية والعربية والثقافية وهو التعليم المعتدل من أقدم الجامعات وهو الأزهر الشريف، وأضاف السيد السفير أن التواصل الدائم بين بلدينا هو ما يشغلنا وخاصة فى هذه الظروف الراهنة التى يشهدها العالم الآن، وفى نهاية اللقاء دعا فضيلته للسيد السفير بالتوفيق فى عمله ولدولة بنجلاديش بدوام الأمن والاستقرار.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً من قضاة عُمان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الشيخ خليفة بن سعيد البوسعيدى قاضى المحكمة العليا ورئيس التفتيش القضائى بسلطنة عمان، ووفد قضاة المحكمة العليا ومحكمة الاستئناف بدولة عمان الشقيقة، وتأتى زيارة الوفد ضمن حضوره دورة الدراسات القضائية التى تنظمها وزارة العدل المصرية، وقد تحدث فضيلته عن العدل فى الشريعة الإسلامية، وأوضح بأنه أساس الملك وبين أن شريعة الإسلام واضحة فى عقائدها ومعاملاتها فهى تحق الحق وتبطل الباطل وتساعد المظلومين حتى يستردوا حقوقهم وأشار فضيلته إلى أن من صفات القاضى أن يكون عادلا منصفاً منزها عن المقاصد الشخصية ليحظى باحترام نفسه واحترام المجتمع له لأنه الذى يحتكم الناس إليه ليطبق شرع الله، والقضاء من الأعمال السامية التى وضعها الله - سبحانه وتعالى -



القومى للبحوث الاجتماعية والجناائية، والأستاذة نادية جمال المشرفة على الدورة .

رحب فضيلته بالسادة الحضور وتحدث عن رأى الدين فى مشكلة المخدرات وأوضح أن شريعة الإسلام جاءت لتحافظ على الإنسان فى دينه وماله ونفسه وعرضه وعقله، وأمرته باخلاص العبادة - لله عز وجل - والتحلل بمكارم الأخلاق، كما أمرت باجتنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن مؤكدا على أن العقلاء من الرجال والنساء منذ أوجد الله الكون اتفقوا على أن هناك رذائل يجب أن تجتنب كالكذب والظلم ونقض العهد والتعدى على الغير، وهناك فضائل يجب أن تعتن كالصدق والمروءة والعدل وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، وقد حرم الله قتل النفس بغير حق واعتبر العدوان على النفس الواحدة كأنه عدوان على الناس جميعا مسترشدا بآيات القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، ولكون شريعة الإسلام صانت الإنسان فى نفسه وماله فجعلت من يدافع عن نفسه أو عن ماله أو عن عرضه ويقتل فهو شهيد، ولأن شريعة الإسلام أمرت المسلم بأن يتحلل بالفضائل ويتعدى عن الرذائل فقد حرمت كل ما يضر بجسد الإنسان وعلى رأس هذه الرذائل المخدرات بكل أنواعها وأشكالها لما لها من أضرار مؤكدة على البدن وعلى صحة الإنسان وماله وعقله ليس على الفرد فقط بل على المجتمع وعلى الأمة كلها، فكل أنواع المخدرات تحت أى مسمى حرمتها الشريعة الإسلامية السمحة والقوانين الوضعية، وفى مصر وصلت العقوبة إلى حد الإعدام طبقا لجسامة الجريمة، لأنها إفساد للأمة فى عقول أبنائها وكرامتهم وتدمير لاقتصادهم ولابد من القصاص العادل، والمحاكمة تتم طبقا لجسامة الجريمة، كما أوصى فضيلته السادة الحضور بعدم التهاون أو التسرفى القبض على

مرتكب الجرائم، لأنه تهاون فى حق الأمة والمجتمع، كما أوصاهم بأن لا يخشوا فى الحق لومة لائم، فعليهم التصدى بكل حزم وقوة، كما أوضح فضيلته بأن مهمة رجال الدين هى النصح والارشاد والتوضيح ومهمة رجال الشرطة والقانون هى تنفيذ وتطبيق شريعة الله والقانون وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم فى مسائل شتى وكانت حول المعاملات البنكية المختلفة، وحول زكاة المال، وحول وسائل علاج المدمنين، إلى غير ذلك من الأسئلة التى طرحت من السادة الضيوف وعددهم خمسون دارسا .

من يدافع عن نفسه وأرضه وعرضه مجاهد فى الإسلام

● استقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا يابانيا من مجلس المستشارين اليابانى برئاسة السيد / سيكيا وزير التعمير السابق ورئيس لجنة البحوث الخاصة بالشئون الدولية يرافقه السيد / تاكايما سفير اليابان بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيوف وألقى نبذة سريعة عن التعليم بالأزهر ونوع الدراسة به من مرحلة الحضنة حتى المرحلة الجامعية، وتطرق الحديث حول صراع الحضارات ودور الأزهر تجاه ذلك، وأوضح فضيلته بأن الأزهر مع التطور الذى يخدم المجتمع بل والإنسانية كلها بما لا يتعارض مع القيم الأخلاقية موضحا أن الحضارات عند العقلاء لا تتصادم، وإنما الحضارات تتعاون فيما بينها ولكل بلد حضارته التى يعتز بها وكل حضارة تأخذ من الحضارة الأخرى مؤكدا بأن المتغيرات التى توافق عليها الأديان فنحن نرحب بها وأما إذا جاءت لتغير القيم فنحن نرفضها،

الإمام الأكبر يستقبل وفد الجامعات السويدية

● استقبال فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الجامعات السويدية برئاسة الدكتور / سامح ايجبتسون أستاذ مادة الحوار بين الأديان والحضارات بجامعة لوند بالسويد يرافقه الأستاذ الدكتور عبدالمعطي بيومى عضو مجمع البحوث الاسلامية وعميد كلية أصول الدين السابق، رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر، وأزهرها الشريف، ودار الحديث حول طرق الحوار بين الأديان، وأكد فضيلته أن الحوار بين العقلاء يؤدى إلى نتائج طيبة والحوار دائما بابه مفتوح فى الأزهر الشريف حيث توجد لجنة بالأزهر للحوار، وأشار إلى أن البشر جميعا أوجدهم الله من أب واحد وأم واحدة، وهذه الأخوة الإنسانية تستلزم منهم أن يتعاونوا على الخير لا على الشر، وقال: إنه من المتفق عليه بين العقلاء أن الخلاف فى العقيدة لا يمنع من التعاون ومن تبادل المنافع ومن المحبة والمودة والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - والعقائد لا تباع ولا تشتري ولا اكراه لأن الاكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمناققين كذابين، وقد اتفقنا على أنه لا حوار فى العقائد، وإنما الحوار فى أمور معينة، منها التعاون لمساعدة المحتاج، من أجل تقديم الخير للمحتاج وللضعيف، من أجل نصرة المظلوم سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأمم، ووظيفتنا أن نرشد وأن نوضح وأن نبين.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة الوفد واستفساراته والتي دارت حول امكانية تعاون

وحول سؤال من الضيف عما إذا كان الأزهر مؤسسة خيرية أم حكومية، أجاب فضيلته بأن الأزهر الشريف مؤسسة من مؤسسات الدولة، مؤسسة حكومية شأنه فى ذلك شأن باقى المؤسسات كالصحة والصناعة والمالية والخارجية وهو بذلك يتبع ميزانية الدولة.

وحول سؤال عما إذا كان بالأزهر دارسون من خارج مصر، أجاب فضيلته بأنه يوجد طلاب من أكثر من خمسة وتسعين دولة من دول العالم يدرسون فى الأزهر الشريف من أوروبا وآسيا وأفريقيا وأستراليا ولدينا طلاب من اليابان.

وحول سؤال عن رأى فضيلته فى العمليات الاستشهادية أجاب فضيلته بأن من يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه وماله وممتلكاته فهو مجاهد يستحق الشكر والتقدير، وأن من يقتل طفلا أو امرأة أو شيخا مسنا لا شأن لهم بالحروب فنحن ضد من يفعل ذلك، وأما من يدافع عن نفسه وعرضه وماله وأرضه وممتلكاته فهو مجاهد فى الإسلام، ومن يعتدى على أرض الغير أو ممتلكاته فهو إرهابى وقد قلنا عقب أحداث ١١ سبتمبر أن الفرق بين الإرهاب والجهاد كالفرق بين السماء والأرض.

وحول سؤال عما إذا كان عصر التكنولوجيا يتعارض مع الدين الإسلامى قال فضيلته: نحن مع التطور الذى ينفع الإنسانية والدين الإسلامى يرحب به.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ شوقى نوبجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

السلوك، وأن يؤدوا واجبهم بإخلاص وتفان على أكمل وجه، وأن يتعدوا عن الخلافات المذهبية، وأن يداوموا على القراءة والاطلاع وأن تكون دعوتهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان أن الدين الاسلامي ينشر الفضائل ويعطى كل ذي حق حقه، وينصر المظلوم، ويقف في وجه الظلم لأنه دين العدالة والطهارة والعفاف، دين يسمو بالنفس الإنسانية ويطهرها من الظلم ومن العنف والقهر، كما أوصاهم بحسن المظهر والخبر لأنهم رسل الأزهر الشريف الذي عمره الآن أكثر من ألف عام يهدى الناس إلى طريق الحق والخير والعدل كما أكد عليهم أن يحافظوا على اسم مصر وأزهرها الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ شوقي نويجي رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة العلماء وقيادات الأزهر الشريف .

إجازة نصف العام بالمعاهد الأزهرية

قرر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن تبدأ إجازة نصف العام الدراسي للعام ٢٠٠٢/٢٠٠٣ عقب دروس يوم الخميس الموافق ١٦/١/٢٠٠٣ على أن تستأنف الدراسة يوم السبت الموافق ٢٠٠٣/٢/١ وتتخذ هذه الخطوة كمبادرة للاستقرار وحتى يعلم الطلاب الجدول الزمني لمتابعة دروسهم الأمر الذي يهيء الجو النفسى للطلاب وللمدرسين ولتكون خطوة إيجابية لتنظيم الوقت للاستذكار والتحصيل وبما يعود على الجميع بالراحة والهدوء النفسى .

الإسلام والمسيحية لمقاومة الأمراض الاجتماعية وتحقيق العدالة والتعاون لما ينفع البشرية، وقد أوضح فضيلته أنه بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد استقبل وفوداً كثيرة من وسائل الإعلام المختلفة بل من كل أنحاء العالم وشرح سماحة الاسلام ووسطيته وبين الوجه الحقيقى للإسلام وفى نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما سمعوه من شرح واضح لبيان حقيقة الإسلام ووجهة نظر الأزهر من المنظور الإسلامى الذى يتبناه الأزهر فى تناوله لقضايا الساعة وللتصدى للتيارات الهدامة المعادية وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأشاروا إلى أنهم يقدرون فضيلته بوصفه أنه يمثل قمة التسامح والروح الطيبة التى تعبر عن الإسلام، كما التقى الوفد بفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الذى قام بدوره بشرح عمل لجنة الحوار والهدف منها .

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف الذين تم اختيارهم للسفر إلى دول العالم المختلفة للتدريس بالمعاهد الأزهرية الموجودة ببعض دول العالم، وإلقاء الدروس الدينية بالمساجد وخطبة الجمعة وإلقاء المحاضرات فى المناسبات المختلفة وعددهم أربعمائة عالم، وقد نصحهم فضيلته بأن عليهم واجب مقدس تجاه توضيح صورة الإسلام الصحيحة والحقيقية، والرد على الشبهات التى تثار ضد الإسلام والمسلمين، وتصحيح المفاهيم المغلوطة وبيان سماحة الإسلام ويسره ووسطيته، كما أوصاهم بأن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم ومثلاً أعلى يحتذى بهم فى



As a result, a feeling was brought into existence that religion is mind's enemy and that its principles are in contrast with sciences. The more the usurpers of spiritual superiority go far in their intransigence, the more this feeling gets stronger till it became a firm ideology.

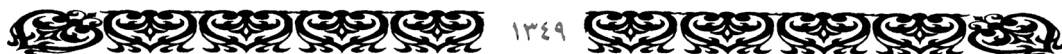
With the advent of Islam, the whole world was suffering from this appalling role; the weak was suffering from the arbitrariness of the strong. Due to its foundation on reason, mind, thinking, non-imitation, motivation for wisdom and giving freedom of thought and deduction, Islam was the light that dispersed this darkness. This resulted in harmonizing between soul's demands and mind's for the first time in the history of mankind.

At the first sight, combining between those two aspects appears confusing to those ignoring the wisdom and sublime principles on which this religion was based. Islam did not confine spiritual sublimity to observances but it generalizes it in all moral and formal deeds.

If Muslims wished to surprise humanity with their fast renaissance and restore their previous glory, they have to work according to what Allah had commanded them to reach the rank of their ancestors and be an example for others. And if the world desired to restore peace and tranquility and achieve progress and urbanization, so it has to respond to Allah's call.

﴿O you mankind, a proof has already come to you from your Lord; and We have sent down to you an evident light. So, as for the ones who believed in Allah and firmly adhered to Him, then He will soon cause them to enter into a mercy from Him, and Grace, and will guide them to Him on a straight path.﴾

[An-Nisa' (Women) : 174-175]





backwardness. Consequently, this motivated them to call for salvation and elimination of their suffering. They strove for consecutive centuries, till they accomplished their call after exerting tremendous sacrifices.

In Asia, numerous nations had lived for centuries under the yoke of restrictions alleged to be spiritual. This era continued till the nineteenth century when they were awakened by the international stimulants. When one of the governments expanded a railway in its country connecting its vast regions, it came under the fire of the extremist spiritualists who protested against this government asking for removing those tracks under the pretext that the souls of the dead buried near them will be disturbed. Consequently, the government had to comply with the demand of those controlling the minds of subjects.

One of the requirements of this alleged spiritual superiority, is to dominate over minds and sciences in order prevent any intellectual, thinker or philosopher from resorting to thinking or laying down a theory contradicting their teachings, instructions and beliefs inherited from their ancestors or invented by their own opinions; if someone dared to be indifferent to their shabby teachings and came with what is contradictory to them, they would have punished him aggressively and sentenced him to a penalty not less than life imprisonment or exile. In many cases, the trials ended in killing, burning or tying hands and legs to horses then lashing them with whips turning anyone into torn-off limbs.

This pseudo-spiritual dominance was the practice of the dictators on people's religions for several centuries. This led to narrow-mindedness, short-sight confined to temples and leaving the public in the darkness of ignorance imitating their leaders blindly as if they were only created for them.





*Harmonizing
Between soul's demands and mind's
By the great scholar : M. F. Wajdy*

Allah created man and made him a world intermediating between two different natures: spiritual and material. The spiritual one aims at alleviating man from the materialistic world to be far above falling in its repercussions. It also aims at making the abstract soul stick to its world and sail in its knowledge.

As for the material aspect, it aims at making man ease in its desires, expand in justifying its needs, get busy with materials to recognize their identity and extract their blessings. All this is to ease life and its hardships. These two instincts are of much help in maintaining, integrating and preparing human character to be Allah's successor in earth. Earth is not just a spiritual world, to survive on it with only a spiritual tendency. Man is not a soul without material so, he can't avoid it by his nature. If man is left on his matter, none of his instincts will overcome the other. However, they will agree and cooperate to continue their related common life. However, the leaders who are quarreling to rule man, made use of this spiritual nature to subjugate him to their will. They exaggerate in making him forget about his world and motivate him to renounce worldly pleasures. So, they succeeded in employing millions of people to follow their teachings. This resulted in their being living in a ossification for centuries. Europe, for example, that now fascinates us with its sciences, arts and technology stayed for more a thousand year under the reign of those curbing this spiritual view. As a result, Europe did not give birth to any thinker till Allah sent Muslims ravaging amidst their homes. So, their mingling with them was a reason behind their feeling of





man entered Paradise and was forgiven by Allah because he gave some water to a dog while a woman entered Hell as she imprisoned a cat without food or water. How great this civilization! Can anyone dare to say that it recedes? Can this religion be called a religion of terrorism? What a lie!

When the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, established this nation, he established it on belief, equity, right, spreading virtue, removing vice, peace, tolerance, commanding to beneficence, forbidding maleficence, unity, and essence of his Message that can be summarized in a single word '*mercy*'

﴿ And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds. ﴾.

[Al-Anbiya' (The Prophets) : 107].

This is our civilization and instructions of our creed that invites to forgiveness among all people as well as defending the soul of humans. So, it is not a religion of terrorism or a religion disseminated by force (sword) but by its great forgiveness, tolerance and right principles. The Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, was dealing by this forgiveness even with his enemies and the non-Muslims. He says: "*Allah refused to accept the repentance of believer's killer*".

Nowadays, our Arab and Muslim nation as well as the whole world go through a dangerous turning point. So, we have to join ranks and listen to the sound of reason in the president Mubarak's words in which he declared clearly that all the nations of the world must meet together aiming at healing the rift and cooperating to get rid of all the roots of terrorism all over the world, not through violence or force but through reason and wisdom.





﴿ And indeed you shall definitely know its tiding after a while. ﴾ [Sád : 88]

and that they will witness the secrets of the universe created by Allah, the Great Creator. Moreover, He commanded that this civilization should be based on the constant preparation of power as Allah says:

﴿ And prepare for them whatever power you can. ﴾

[Al-Anfal (The Spoils): 60]

So, the Islamic civilization was based on scientific, material and human principles in which connections and pillars are linked with Allah. Concerning this, it does not, in all its fields, transgress and the same are Muslims.

﴿ And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors. ﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 190]

Islam forbade – even in wars – transgression upon those who do not participate in war including the elderly, women and children as well as not transgressing upon establishments and fields. Moreover, the humanity of the Islamic civilization and its relation to Allah makes it achieve progress everyday. Due to these human meanings, hundreds of people embraced Islam as they saw the greatness that Islam reached; it protects and defends man's right to live as stated in Allah's Words:

﴿ And he who kills a believer premeditatedly, then his recompense is Hell, eternally (abiding) therein, and Allah will be angry with him, and will curse him, and has prepared for him a tremendous torment. ﴾

[An-Nisa' (Women): 93]

In addition to this, Islam defends the non-Muslim, birds and animals the same as the Muslim. There is a story saying that a





*The Islamic Civilization
Exceeds and never Recedes.
By : Dr. Ahmed Umar Hashem
The Director of Al-Azhar university*

Islam has established the best nation based on solid bases and formed the great Islamic civilization on stable pillars in which it did not justify by material or humane aspects but linked its civilization with Allah, the Everlasting, and His instructions stated in the Ever-Glorious Qur'an as well as with instructions of the best of humans, may the blessing and peace of Allah be upon him. As a result, the great Islamic civilization exceeded all the other civilizations. Consequently, all nations rushed to take all whatever they wish (quote) from it through translations and travel. So, the sun of the Islamic civilization lit the whole world and Allah, glory be to Him, commanded Muslims not to be satisfied by their present state and that they must always try to exceed time and He, the Al-Mighty, was motivating Muslims by letting them know what He is going to show the world of the secrets of the universe as He says:

﴿ We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the truth. ﴾

[Fussilat (Expounded) : 53].

The first verses of the Divine revelation are considered to be an invitation for reading, science, knowledge and civilization as Allah says:

﴿ Read: In the Name of your Lord Who Created. ﴾

[Al-Alaq (The Clot): 1]

The Qur'an refers to what will happen in the future and that they will know it later as Allah, the Al-Mighty says:





usual clothes carrying a bag containing the official clothes and gave it to the Khedive saying simply: "If you want the gown and caftan, here they are and if you want Hassan Al-Taweel, here I am." Then he said to his attendants: "How could I adorn myself to Tawfik with clothes I do not wear to my Lord while praying?" How admirable faith!

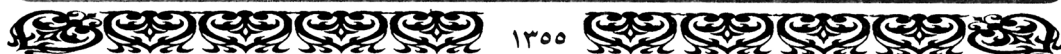
There is another example, namely, Al-Imbabi, the sheikh of Al-Azhar Mosque. Once, the lord Cromer called on him and greeted him and the sheikh greeted him back while sitting. Lord Cromer took it hard and asked him: "Don't you stand for the Khedive?" The sheikh replied: "Yes, I do as he is our ruler and he is one of us but you are not." The sheikh did not say this out flattery or seeking approach to the khedive, as he is the one who faced Tawfik and fearlessly gave a *fatwa* to depose him.

Also, the sheikh of Al-Azhar Mosque, An-Nawawi. It happened that the government of Moustafa Fahmi wanted to weaken the legal judicature in a respond to the wishes of the British Commissioner. So, the sheikh An-Nawawi took on the responsibility of defending judicature using a brief speech that compelled the government to take its project back. If this attitude was the attitude of a political leader, our (fair) press would have tackled it every now and then.

These are some of the admirable attitudes at Al-Azhar history. Unfortunately, some of the hirelings cooperate to efface and conceal these attitudes to prevent an everlasting Egyptian history from being recorded. And if they want to extinguish Allah's light, Allah will keep His light and the right will always have a tongue as Allah says in His Ever-Glorious Book:

﴿(Now), here you are! Read my book.﴾

[Al-Haqq (The Inevitable Truth) : 19].





Mohamed Ali ruled Egypt during a very difficult era. So, who dared to declare his mistakes and wrong deeds? Abd Ar-Rahman Al- Gabarty was the first to state the wrong deeds of this arbitrary ruler. He kept moving from place to another to escape from the threats of this powerful ruler. His family and people were suffering from imprisonment, insult and assassination. However, the great historian remained recording the words of right clearly for the coming generations without being stopped by terror and menaces. If he wished glory and prestige, he would have walked in the procession of hypocrisy. He was a friend of Ali (bey) Al-Keebir and Mohamed (bey) Abu Al-Dahab however, this did not drive him to bypass what he have seen of injustice so he elevated history to a high rank free from bias and inclination. Opinions differ about his death and it is more likely that he was murdered while defending right.

The honorable Imam, Hassan Al-Taweel was a man of dignity and he trusted much in Allah. Once, Riyad (pasha) entered while this Imam was lecturing his students at Dar Al-Uloun but he did not change his way of sitting. When the visitor intended to leave, the Imam said addressing him: "Why don't you appoint me as a minister with you, pasha? The visitor was astonished and replied: "Which ministry do you want?" The Imam said: "The Treasury Department so I can appropriate the money you appropriate." It was a strong painful blow directed to an aristocratic governor who was not accustomed to such criticism and sarcasm. So, he left furious and summoned Ali Mubarak as the minister of education to instigate him to fire the Imam Hassan Al-Taweel but a higher hand than Riyad's stopped him from doing this. This situation made Riyad (pasha) abstain from visiting any school or institute. There is another attitude of the Imam in which he was asked to put on special clothes to be able to meet the khedive Tawfik. However, he came wearing his





Al-Azhar Scholars' Unforgettable Attitudes

By: Dr. M.R. Al-Biomi

Many of the purposeful tend to accuse and attack Al-Azhar and its scholars. They not only accuse them with sinful accusations but they aim at attacking Islam itself hiding under a cover to reach their evil goals which they cannot declare publicly.

The outstanding accusation which they introduce using arguments and reasons is Al-Azhar's men approach to rulers including kings and ministers and following their way regardless of their injustice and wrong deeds. If we read about the great scholars of Al-Azhar in the modern history, we will find great signs in their attitudes defending right and confronting wrong. These attitudes are proofs of their fearfulness from Allah, glory be to Him.

Unfortunately, despite these numerous honorable attitudes, no one dared to state them in books or write them down in history. Fear from those who have power and authority is the reason behind this. However, the historical memory, despite this clear silence and reservation, stated a great example of a believed group of some of the outstanding scholars commanding to beneficence and forbidding maleficence.

We will state some of these great attitudes to inform the ignorant that among the scholars of Al-Azhar are those who carried the flag of right in their call to Allah. Those scholars proved that the Qur'anic soul that inspired Sa'eed Ibn Gubair, Sa'eed Ibn Al-Musayab, Amr Ibn Ubaid, Al-Awza'y, Ibn Hanbal and Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam at the past is the same strong soul that runs in the souls of Al-Azhar scholars and enabled them to face wrong with evident, honest tongue.



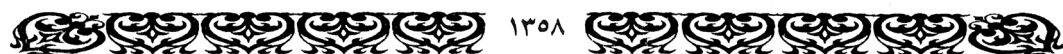
The Grace of Sha'ban

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, was practicing fast a lot in Sha'ban to the degree that he was imagined to fast the whole month. He was asked about this so, he replied: "It is a month in which deeds be ascended to Allah and I love my deeds ascend while fasting". The apparent aim of fasting a lot in Sha'ban is to prepare the soul to Ramadan, as it is an obligation. To be able to perform this obligation perfectly, one has to practice it beforehand to strengthen soul and make it able to perform this obligation without difficulty. Concerning fast in Ramadan, Muslims live in an atmosphere of faith where all Muslims share fast. So, the fasting person finds others cooperating in doing good, on the contrary to Sha'ban and hence, the reward of fast increases even it was voluntary.

Concerning the grace of the mid of Sha'ban's night, the Imam Mohamed Ibn Wadah said : "I did not recognize anyone of our scholars nor jurists pay attention to the mid of Sha'ban's night." The author of "Al-Tag Al-Gam' (The Comprehensive) of the principles in the Messenger's Hadiths" dedicated a part of the chapter of fast to show the grace of the mid of Sha'ban's night in which he stated some hadiths such as what was related on the authority of Abu Musa Al-Ash'ry, may Allah be pleased with him, that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: ***"At the mid of Sha'ban's night, Allah views all His creatures and forgives them except the disbelievers and wranglers."***

It was related by Ibn Magah and Ahmed.



**AL-AZHAR
MAGAZINE**

Sha'ban 1423 A. H.



**ENGLISH
SECTION**

Oct./ Nov 2002

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰنَا اللّٰهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

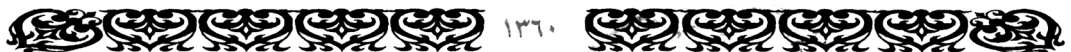
(Al A'raf 43)

**EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University**



الفهرس

- النقد الهادف لا الهدم الجارف (الافتتاحية) ١٢٠٢
- للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٢٠٢
- تفسير سورة البقرة ١٢٠٨
- لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٢٠٨
- فائحة الكتاب بين تفسيرين ١٢١٣
- للاستاذ الدكتور/ محمد العزب ١٢١٣
- السنة: أخذ الله للظالمين ١٢١٩
- لفضيلة الشيخ/ طه السாகت ١٢١٩
- من نفعات الإسراء (٢) ١٢٢٤
- لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ١٢٢٤
- مواقف إسلامية: بريرة.. وتكاليف الحرية ١٢٢٩
- للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٢٢٩
- منهج الإسلام في العبادة والعمل ١٢٣٦
- للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٢٣٦
- الإنسان والكون ١٢٤٣
- للدكتور/ عبد الحليم عويس ١٢٤٣
- معركة في كتاب: تهافت التهافت ١٢٤٧
- للدكتور/ محمد عمارة ١٢٥٧
- تعقيب على رد ١٢٥٧
- ما يقال عن الإسلام: عداوة أمريكا وصداقتها (٤) ١٢٦٠
- للاستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ١٢٦٠
- كتاب الشهر: من هو اليهودى ١٢٧١
- عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٢٧١
- الاقتصاد الإسرائيلي في ظل انتفاضة الأقصى ١٢٧٩
- للاستاذ/ صلاح عبد الرحيم ١٢٧٩
- بعد النكبة (قصيدة) ١٢٨٤
- للشاعر العراقي/ محمد الأثرى ١٢٨٤
- خطبة الجمعة: الإسلام والتفرقة العنصرية ١٢٨٨
- للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٨٨
- استفتاءات القراء ١٢٩٢
- للاستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٢٩٢
- شهر شعبان وضوء لرمضان ١٢٩٧
- للاستاذ/ محمد مصطفى البسيونى ١٢٩٧
- الكليات.. والأسماء الحسنى ١٣٠١
- للدكتور/ على أحمد على ١٣٠١
- من معانى الحكمة ١٣٠٧
- لفضيلة الشيخ/ فوزى الزقزاف ١٣٠٧
- قصة العدد: مصرع خبيب ١٣١١
- للاستاذ/ ناجى الطنطاوى ١٣١١
- طرائف.. ومواقف ١٣١٦
- للاستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٣١٦
- الراحمون يرحمهم الرحمن ١٣١٨
- للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٣١٨
- صورة مشرقة من أدب المتعلمين مع معلمهم ١٣٢١
- للاستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ١٣٢١
- رسالة... ورد ١٣٢٤
- لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٣٢٤
- اليهود وتهممة الدم ١٣٢٨
- للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ١٣٢٨
- بين الصحف والمجلات ١٣٣١
- إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٣٣١
- بين المجلة والقارىء ١٣٣٥
- للاستاذ/ عادل خفاجة ١٣٣٥
- أنباء العالم الإسلامى ١٣٤١
- للاستاذ/ محمد الشرقاوى ١٣٤١
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ١٣٤٣
- لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٣٤٣
- القسم الإنجليزى ١٣٥٩
- إشراف الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الأصيل ١٣٥٩



عدد ١٢
عقد ٢٢٢٢٦
لوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- صامت الأكوان
- للأستاذ الدكتور / محمود عمارة
- قراءة إيمانية في كتاب «الكون والحياة»
- للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
- ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟
- للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطمعي
- الإيمان طريق النصر
- للأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ ☎



الأهرام

مجلة شهريّة جامعة
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
ومصدر العدد الأول في المزم ١٣٤٩ هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في طبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ مصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رمضان ١٤٢٣ هـ - نوفمبر ٢٠٠٢ م - الجزء التاسع - السنة الخامسة والسبعون

الصوم في مرآة الغزالي

كنا في مجلس علمي نتحدث عن حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي - رضى الله عنه - وفيما من يرتفع به إلى مستوى الزعامة الفكرية في عصره. ويجيب في تدفق عن كل مأخذ يوجه إلى بعض ما كتب، وقد قال بعض الحاضرين: إن الغزالي قد تردّد في بعض آرائه، فهو في كتاب ما يتحدث عن موضوع ديني بغير ما يتحدث عنه في كتاب آخر، وضرب الأمثلة، على ذلك من واقع مؤلفات حجة الإسلام، ولكن عاشق الغزالي من أصحابنا قد عقب يقول في استفاضة: إن هذا التطور في آراء الإمام مما يحسب له، لا مما يحسب عليه، فالرجل الكبير دائم التفكير فيما يصدر من أحكام. ولا بد أن تجد له ما يصحح الخطأ أو يتم النقص، وتلك سمة العقل المتجدد! لقد تحدث أبو حامد عن العبادات من طهارة وصلاة وصيام وزكاة في بدء حياته العلمية، ثم تحدث عنها بعد استوائه على القمة الفكرية فأضاف الكثير. وحلل وعلل وفصل وفسر، وقد ظهر كتاب «إحياء علوم الدين» ليكون النموذج الكامل لمعارف الإمام، فهو في كل أبوابه يضيف من المعارف ما يعمق الفكرة ويؤيد الحكم بل إنه يضيف من خواطره الصافية ما يدل على شفافية نقية، وما يكاد يُعد به شاعراً ذا قلب، لا عالماً ذا عقل، لذلك كان كتاب «الإحياء» صورة لقلبه، ومرآة لوجدانه، مع ما يحمل من ثمار الفكر الواعي، والعقل البصير، وهنا ارتفع صوت يطلب التمثيل، فأشرق وجه صاحبي المتكلم، وقال في هدوء: ليكن موضوع الصوم عند الغزالي هو موضع التدليل!

لقد كان الإمام أستاذاً للفقهاء في المدرسة النظامية ببغداد، بل كان أول أساتذة التشريع الإسلامي بهذه المدرسة، وكان يحضر مجلس درسه ثلاثمائة عالم من الكبار، فهو أستاذ العلماء جميعاً، تشد إليه الرحال، ويستفتى في العصى من دقائق المعضلات على أنه كان يشرح أبواب الفقه بما تعرف بين الدارسين، ففي باب الصوم يتحدث عن تعريفه وواجباته وسننه وأنواعه ومبطلاته، ودواعي الإفطار التي تباح، والمبطلات التي يفسد بها الصوم،



يتحدث عن ذلك بما هو مدون في كتب السابقين، وإن زاد شيئاً ففي صحة التعليق، واستيفاء الدليل، والمقارنة بين الأحكام في مذاهب أهل السنة، وله في ذلك كله لسان فصيح، وفكر صوال، ويقظة واعية في فهم السؤال وتسديد الجواب، والرجل الكبير بعد ذلك كله عقل مستوعب دارس، يعرف أن أدوات العلم هي التفكير، والاستظهار، والارتكاز على النظر المنطقي والدليل الشرعي في التحليل والتعليل والتخريج، وإلى هنا ويقف الإمام الغزالي دون أن يخترق هذه المسافة، صاعداً إلى أفق أعلى، أما ما كتبه الغزالي عن الصوم في كتاب «الإحياء» فلا يقف عند العلم المنقول وحده، بل يضيف إليه ما توحى به البصيرة الكاشفة والقلب الذواق والوجدان الصافي، ولن أتحدث إليكم عما ذكره الغزالي في كتاب «الإحياء» في باب الصوم من المسائل المعلومة المشتهرة، فهو في هذا المجال متبع غير مجدد، ولكنني أتحدث عما ذكره الغزالي في باب الصوم مما أوحى به البصيرة الكاشفة والعقل الذواق.

أقسام الصوم

لقد قسم الإمام الغزالي الصوم إلى ثلاثة أقسام فقال - رضى الله عنه - تحت عنوان (أسرار الصوم وشروطه الباطنة) ما يمكن أن نلخصه فيما يلي:

إن الصوم ثلاث درجات: صوم للعامة، وصوم للخاصة، وصوم لخاصة الخاصة.

أما صوم العامة فهو الذائع المشتهر، الذى يمسك فيه الإنسان عن شهوة الطعام والشراب وشهوة الجنس من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقد يرتكب الصائم من الصغائر ما لا يلتفت إليه دون أن يفسد صومه، بل قد يرتكب من الكذب والنفاق والرياء ما لا يظن معه أنه ارتكب ما يبطل به الصوم فيظل طيلة يومه ممسكاً عن الطعام والشراب حتى يؤذن المغرب فيقبل على الطعام معتقداً أنه قضى يومه صائماً طائعاً ومنتظراً ثوبة الله على ما كابد من حرمان.

هذا صوم العامة؛ أما صوم الخاصة فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والجوارح عن الآثام، فالصائم في عبادة متصلة وصاحب العبادة عليه أن يحترز من المعصية إذ لا يليق به أن يمتنع عن الشراب والطعام قياماً بفريضة الصوم، وهو يسمع إلى الغيبة دون أن يكف سمعه، وينظر إلى المحارم دون أن يكف بصره، ويخوض في أعراض الناس دون أن يكف لسانه، ويغتصب مال الغير دون أن يكف يده! إنه إذا فعل ذلك فقد أخل بفريضة الصوم إذ خلط عبادته بما يهوى بها إلى حيث تضع ثمرتها المشتهاة ومثوبتها المرجاة.

فإذا انتقلنا إلى صوم خاصة الخاصة فإننا نرى الإمام الغزالي يراه في صوم القلب عن كل مسائل الدنيا وعن التفكير فيما سوى الله - عز وجل - ويحدث الفطر في هذا النوع



للسائم إذا كان من خاصة الخاصة متى فكر فى غير ربه وفى غير ما يتعلق بالحساب والجزاء والموت والبعث، حتى قال بعض أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كُتِبَتْ عليه خطيئة، لأن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله - عز وجل - وقلة اليقين بتوالى رزقه، وفيض نعمه، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين، إذ هى إقبال بجميع الهمة على الله وانصراف بالعزيمة عما سوى الله.

قال ذلك صاحبي ثم سكنت، ففاجأه بعض أصحابنا باعتراض على القسم الأخير، لأن الإمام الغزالي قد حجر واسعاً وضيق فسيحاً حين جعل الصوم فى هذا القسم وقفاً على التفكير فى ذات الله وحده، فكيف يستطيع الإنسان وهو صاحب عمل كادح أن يترك ميدان رزقه ليتفرغ طيلة الشهر للصوم الصامت! ومن أين يقطف ثمار عيشه وهو منعزل فى صمته لا يضرب فى مناكب الأرض مرتزقاً كاسباً؟ والإسلام دعوة للعمل وصيحة للكفاح وقد انتصر المسلمون فى غزوة بدر، وفى فتح مكة لدى عهد رسول الله وهم صائمون. والغزالي يقول عن القسم الأخير: إنه مرتبة الأنبياء، وسيد الأنبياء كان يناضل العدو غازياً فى شهر رمضان، وهو صائم متعبد وإذا لم يكن رسول الله من خاصة الخاصة فمن يكون إذن؟

الحق أن الاعتراض وارد على القسم الأخير من تقسيم الإمام الغزالي ولعله يقصد به جماعة لعهد قد فرغوا من الدنيا، وعكفوا فى المساجد راكعين ساجدين.

دفاع وتفنيد

لم يطق تلميذ الغزالي صبراً على ما وجه إليه من اعتراض فاندفع يقول: إن صوم الخاصة الذى ذكره الغزالي لا اعتراض عليه من أحد، بل من الواجب أن يرتفع العامة إلى مستواه، لأن الرسول ﷺ يقول: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش»^(١) وقيل فى تفسيره: «هو الذى يمسك عن الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغبية ولا يحفظ جوارحه من الآثام» ومتى التزم كل صائم بآداب الإسلام الخلقية فقد جاوز الطبقة الأولى إلى الطبقة الثانية أما الطبقة الثالثة وهى موضع الاعتراض، فإنى أرى أن الانصراف إلى الله - عز وجل - لا يمنع الإنسان من العمل الجاد، فقد يكون الصائم محارباً غازياً وربّه لا يغرب عن تفكيره، بل إنه يتقدم إلى حومة الجهاد معتقداً أن الله - عز وجل - يدخر له أجزل الثواب وأنه بمرأى ومسمع ممن يعلم السر والنجوى، فإذا كان الأنبياء يصومون ويحاربون ويناضلون، فهم مع الله فى كفاحهم الشاق، وصومهم إذن هو صوم الطبقة الثالثة! ومن

(١) أخرجه أحمد ٤٤١/٢



يسعى إلى الرزق صائماً، وهو يفكر فى طاعة الله فصومه عبادة، وإذا كان صوم رمضان تمرينا على الصفاء النفسى طيلة العام فى غير رمضان، فإن التفكير فى الله سيكون ديدن الصائم فى غير رمضان! وهنا تتحقق جدوى الصيام، إذ تمتد إلى سلوك المسلم اليومى صائماً أو غير صائم، حين ينهيه الصوم عن اقتراف الموبقات بعد أن ينقضى أمده الزمنى وتحين أيام الفطر فى غير رمضان.

العبادات الأخرى

ثم استطرد صاحبى يقول: لم يكن الصوم وحده مجال الغوص النفسى لدى الغزالي دون سائر العبادات، إذ أن حجة الإسلام قد وقف موقف التأمل الفاحص فيما عالجه من شئون الطهارة والصلاة والزكاة والحج، حيث لم يكتف بما قرره الفقهاء من أحكام، بل تغلغل إلى الباب الصميم فى فلسفة هذه الفرائض، وله مع كل فريضة نظره الكاشف وسعته الرحبية، فهو فى حديثه عن الوضوء والغسل مثلاً لا يقف عند الفعل الظاهرى، بل ينص على أن الطهارة ذات مراتب أربع: فالمرتبة الأولى هى المعروفة فى أبواب الفقه، والمرتبة الثانية هى تطهير الجوارح من الجرائم والآثام، والمرتبة الثالثة هى تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والذائل الممقوتة، والمرتبة الرابعة هى تطهير السر عما سوى الله، وهى مرتبة الأنبياء والصديقين.

يقول الغزالي: إن من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لا يفهم من الطهارة إلا مرتبة الوضوء والاغتسال وهى القشرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب، وكم رأينا من يهتم بنظافة الأيدى والأرجل والوجه دون أن يهتموا بتطهير القلوب من أقذار الحسد والنفاق والكيد، مع أن الطهارة كل لا يتجزأ.

وفى حديث الغزالي عن الصلاة يوجه اهتمامه إلى الخشوع ويراه مناط الكمال لصحة الصلاة، وإذا كان الفقهاء يفتون بصحة الصلاة لغير الخاشع فى كل صلاته فإن مقام الفتوى يتلمس الأعذار اعترافاً بقصور الإنسان وتقصيره، لأن اشتراط الخشوع فى جميع الصلاة وإحضار القلب دون شروء مما يعجز أكثر الناس، فلا بد من الخشوع فى بعض اللحظات، بالنسبة إلى العامة، أما الخاصة فعليهم أن يشمل الخشوع كل لحظة يقف فيها المصلى بين يدى ربه. ليمتد الخشوع إلى غير وقت الصلاة، فيصبح المسلم بعيداً عن المحرمات إذ نهته الصلاة عن الفحشاء والمنكر تصديقاً لقول الرسول: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً»^(٢).

(٢) مجمع الزوائد ٢٠٨/٢.



أما الزكاة فلها كالصوم ثلاث مراتب أدناها مرتبة من يقصرون على الواجب المشروع فلا يزيدون عليه، وفوقهم من ينفقون على قدر حاجاتهم، ويدفعون إلى الفقراء ما يزيد عن هذه الحاجة، أما المرتبة الأعلى فلمن صدقوا التوحيد ونزلوا عن جميع أموالهم للفقراء، وهكذا نرى الغزالي يطمح إلى مالا مزيد وراءه في هذه الفروض وتلك منزلة لا يبلغها غير الآحاد.

وفي حديث الغزالي عن الحج إفاضة في ضرورة التجرد والتنزه عن الشهوات، والاقتصار على الضرورات، وتفسير المعاني الإحرام والسعي والطواف ورمي الجمار والتلبية، بما يضمن على هذه المعاني من الروعة والسمو والصفاء ما يجعل الحاج مولوداً جديداً يستقبل الأرض بروح السماء.

عود على بدء

قلت لصاحبي: ألا ترى أن الغزالي غير واقعي في بعض ما يتحدث عنه من أمور الصوم والصلاة والزكاة؟ فقال متحمساً: لنعتبر الغزالي غير واقعي لو جعل المسلمين طبقة واحدة في العبادات، ولكنه قسم الناس مراتب، ولا شك أن فيهم آحاداً يرتفعون إلى الذروة في إخلاصهم، وهم من يتشدد معهم في بلوغ الغاية أما سواهم فقد سار معهم على سواء الطريق.

ففي باب الصوم مثلاً ذكر أن كل فرد عليه أن ينظر إلى استعداده الروحي والجسمي فمن أطاق الصوم في أكثر الأيام في غير رمضان فتلك عبادة راقية، تجدد وقودها في استعدادها الناهض، وليس لأحد أن يقوم في وجهه فيصده عن معراج يحاول أن يرتقى به، ومن أطاق الصوم في أيام خاصة تتوالى في الشهر أو تتفرق فله أن يسير مع استعدادها المناسب، ومن لم يطبق غير المفروض في شهر الصيام فله أن يلتزم به دون أن يتعده، بل إن الذي لا يطبق الصوم المفروض في رمضان لاجتماع عليه أن يفطر إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لذلك كان محمد ﷺ يصوم ويصوم حتى يقال لا يفطر، وكان يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم.

وقارئ باب الصوم في كتاب «الإحياء» يجد من الإرشادات الواقعية ما يجنبه الشطط والانهماك في الملذات فقد فطن الغزالي إلى جماعة من الصائمين يمسكون عن الطعام والشراب طيلة النهار، حتى إذا أذن المغرب انكبوا على الموائد فاستكثروا مما يجلب التخمّة والبشم وفيهم من يواصل ملذاته طيلة الليل على أبعاد متقاربة، والغاية من الصوم هي كسر الهوى واعتياد الصبر على الجوع، وراحة المعدة، وقد أخل هؤلاء النهمون بغاية الصوم



فأبطلوا فائدته، فكأنهم جمعوا ما كانوا يتناولونه في الصباح والظهيرة وكدسوه في بطونهم بين المغرب والفجر، فلم يصلوا إلى شيء من تعويد الحرمان وكسر الهوى وفاتتهم الفائدة المرتجاة من الصيام؛ يقول الإمام الغزالي: ومن جعل بين قلبه وصدره مخلة ممتلئة بالطعام والشراب. فهو عن الله محجوب لأن امتلاء البطن يقف حائلاً دون مواصلة الصلاة في التراويع، ودون التهجد في شهر العباداة، ودون مجالس الذكر وخلوات التفكير في ملكوت السماوات والأرض، مما يجب أن يكون ديدن الصائم في شهر رمضان.

إن الإنسان وسط بين الملك والحيوان، فهو بإقباله على مطالب الروح يرتفع عن إنسانيته إلى مصاف الملائكة وبانهماكه في ملذات الجسم دون التزام بحد معقول ينخفض إلى مستوى الحيوان، والصوم في منطق الغزالي إذا أدى على وجهه الصحيح يرتفع بصاحبه إلى مستوى الأطهار، ممن تخلصوا من رغائب البدن وملذات النفس، وعرفوا أن للروح ملذات أخرى حين تسعد بالتفكير الهادئ في إسعاد البشرية وهداية الناس، فإذا لم يتيسر هذا ففي سعادة المرء بنفسه ومحاولة ابتعاده عن الشرور ما يكفي، ورمضان فرصة مواتية لهذا التفكير، إذ هو عبادة تستدعي غيرها من العبادات، فالصائم متطهر مصل مذك، وقد يصوم في بعض أيام الحج فيجمع كل العبادات في وقت واحد، وهنا تكون صلته بربه قريبة دانية، وبالتالي تكون صلته بالناس وثيقة هائلة، لأن من يقوم بالفرائض على وجهها الصحيح لا بد أن يكون حسن السلوك جميل السيرة. يأخذ بالعفو، ويأمر بالعرف، ويصنع الجميل، ويفسخ الصدر لمن يقع في الزلل وتلك صفات الموحدين.

إن رمضان شهر مجاهدة، ومراتب الجهاد تتفاوت وقد أوضحها الغزالي في إسهاب شاف، وله روحانيته الصافية، وذوقه الشفاف، وعقله البصير.

د. محمد رجب البيومي

تَقْسِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢١٣﴾
وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٤﴾
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١٥﴾

الآيات : ٢٤٣ - ٢٤٥

لفضيلة الامام الاكبر شيخ الاسلام
الاستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي



من الموت هلعاً وجنباً، وتحريضهم على القتال في سبيل الله، فقد قال الله - تعالى - بعد ذلك :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وإفهامهم أن الفرار من الموت لن يؤدي إلا إلى الوقوع فيه .

وقوله : ﴿وَهُمُ الْوُفُ﴾ جملة حالية من الضمير في ﴿خَرَجُوا﴾ و ﴿أُوفُ﴾ جمع ألف والتعبير بألف يفيد أنهم كانوا كثيرون العدد، ومن شأن الكثرة أنها تدعو إلى الشجاعة ولكنهم مع هذه الكثرة قد استولى عليهم الجبن فخرجوا من ديارهم هرباً من الموت .

وقيل إن معنى ﴿وَهُمُ الْوُفُ﴾ أنهم خرجوا مؤتلفي القلوب، ولم يخرجوا عن افتراق كان منهم، ولا عن تباعد حدث بينهم . وألف على هذا القول جمع ألف مثل قاعد وقعود وشهود . قالوا : والوجه الأول أجدر بالاتباع لأن ورود الموت عليهم وهم كثرة عظيمة يفيد مزيد اعتبار بحالهم، ولأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة .

وقوله : ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ أى خرجوا لحذر الموت وخشيته، فقلوه : ﴿حَذَرَ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله . والجملة الكريمة تشير إلى أن خروجهم كان الباعث عليه الحرص على مطلق حياة، ولو كانت حياة ذل ومهانة، وأنه لم يكن هناك سبب معقول يحملهم على هذا الخروج، ولذا كانت نتيجة ذلك أن عاقبهم الله - تعالى -

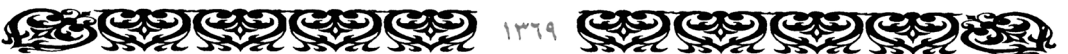
قال الآلوسی : قوله - تعالى - ﴿الْمَ تَر﴾ هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقرير والتذكير لمن علم بما يأتي - كالأخبار وأهل التواريخ - وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهر في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب، بأن شبه من «لم ير» الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه وأنه ينبغي أن يتعجب منه، ثم أجرى الكلام معه كما يجرى مع من رأى، قصداً إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب . ثم قال : والرؤية إما بمعنى الإبصار مجازاً عن النظر، وفائدة التجوز الحث على الاعتبار، لأن النظر اختياري دون الإدراك الذي بعده . وإما بمعنى الإدراك القلبي متضمناً معنى الوصول والانتهاه ولهذا تعدت - أى الرؤية - بإلى في قوله :

﴿الْمَ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ (١) .

والمعنى : قد علمت أيها الرسول الكريم أو أيها الإنسان العاقل - حال أولئك القوم الذين خرجوا من ديارهم التي ألفوها واستوطنوها، وهم أوف مؤلفة، وكثرة كاثرة، وما كان خروجهم إلا فراراً وخوفاً من الموت الذي سيلاقيهم - إن عاجلاً أو آجلاً - ومن لم يعلم حالهم فيها نحن أولاء نعلمه بها ونحيطه بما جرى لهم عن طريق هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والمقصود من هذه الآية الكريمة حض الناس جميعاً على الاعتبار والاتعاظ، وزجرهم عن الفرار

(١) تفسير الآلوسی ج ٢ صفحة ١٦٠ .





بالموت الذى هربوا منه فقال :

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ أى : فقال لهم

الله موتوا فماتوا ثم أحياهم بعد ذلك . فجملة :

﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ معطوفة على مقدر يستدعيه

المقام أى ، فماتوا ثم أحياهم . وإنما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده - تعالى - عن إرادته .

قال صاحب الكاشف : فإن قلت : ما معنى قوله :

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ قلت : معناه فأماتهم

وإنما جىء به على هذه الصورة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشئته ، وتلك ميتة خارجة عن العادة ، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوا امتثالاً من غير إباء ولا توقف كقوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢)

وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة ، وأن الموت إذا لم يكن منه بد ، ولم ينفع منه مفر ، فأولى أن يكون فى سبيل الله » (٣) .

وقال الجمل : « فإن قلت هذا يقتضى أن هؤلاء ماتوا مرتين وهو مناف للمعروف من أن موت الخلق مرة واحدة ؟ قلنا فى الجواب : لا منافاة إذ

الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل كما فى قوله فى قصة موسى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ ﴾ (٤) وثم موت

بانتهاى الأجل ، وتلخيصه : أنه - سبحانه - أماتهم قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ، وميتة العقوبة بعدها حياة - أى فى الدنيا - بخلاف ميتة الأجل - فلا حياة بعدها فى الدنيا .. » (٥) .

وبعد هذا البيان لمعنى الآية قد يقال : من هم أولئك القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت ؟ وهل الإمامة والإحياء بالنسبة لهم كانا على سبيل الحقيقة ؟

للإجابة على السؤال الأول نقول : لم يرد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يبين لنا فيه من هؤلاء القوم وفى أى زمن كانوا ، وإنما أورد بعض المفسرين عن بعض الصحابة والتابعين روايات فيها مقال ، وفيها تفصيلات نرى من الخير عدم ذكرها لضعفها . ومن هذه الروايات ما جاء عن ابن عباس أنه قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون ، حتى إذا كانوا بموضع كذا أو كذا ماتوا .. ثم أحياهم الله بدعوة دعاها نبيهم (٦) .

ومنها أنهم - قوم من بنى إسرائيل - فروا من الجهاد حين أمرهم الله به على لسان نبيهم « حزقييل » وخافوا من الموت فى الجهاد فخرجوا من

(٢) ياسين (٨٢) .

(٢) تفسير الكشاف ج ١ صفحة ٢٩٠ .

(٤) البقرة ٥٦ .

(٥) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ صفحة ١٩٧ . بتصرف يسير .

(٦) تفسير ابن كثير ج ١ صفحة ٢٩٨ بتلخيص .





وإحياء بالنسبة لهم كانا على سبيل الحقيقة -
نقول: مبلغ علمنا أن المفسرين السابقين
مجمعون على أن الموت كان موتاً حقيقياً حسيّاً
لهم، وأن إعادتهم إلى الحياة بعد ذلك كانت
إعادة حقيقية حسية .

وقد خالف الأستاذ الإمام محمد عبده إجماع
المفسرين هذا ف رأى أن المراد بالموت في الآية الموت
المعنوي بمعنى أن موت الأمم إنما هو في جنبها
وذلتها وأن حياتها إنما تكون في عزتها وحررتها
فقد قال - رحمه الله - ما ملخصه :

« .. والمتبادر من السياق أن أولئك القوم
خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم
لا من قتلهم، فقد كانوا ألوفاً أى كثيرين وإنما هو
الحذر من الموت الذى يولده الجبن فى أنفس
الجناء، فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقع من
الموت وما هو إلا سبب الموت بما يمكن الأعداء من
رقاب أهلهم، قال أبو الطيب :

يرى الجبناء أن الجبن حزم

وتلك خديعة الطبع اللئيم

ثم قال : لقد خرجوا فارين :

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ أى أماتهم
بإمكان العدو منهم .. فمعنى أولئك القوم هو أن
العدو نكل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال
أمتهم حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها،
وذهبت جامعتها، فكل ما بقى من أفرادها بقى
خاضعاً للغالبين ضائعاً فيهم، لا وجود له فى
نفسه، وإنما وجوده تابع لوجود غيره .

ديارهم فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من
الموت شىء، ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد .. »

قال القرطبي بعد أن ساق هذه الرواية : وقال
ابن عطية : وهذا القصص كله لين الأسانيد وإنما
اللازم من الآية أن الله - تعالى - أخبر نبيه محمد
ﷺ إخباراً فى عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من
البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماتهم
الله ثم أحياهم ليروا هم وكل من جاء من
بعدهم أن الإمامة إنما هى بيد الله لا بيد غيره، فلا
معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغتر . وجعل الله
هذه الآية مقدمة بين يدي أمر المؤمنين من أمة
محمد ﷺ بالجهاد . وهذا قول الطبرى وهو ظاهر
وصف الآية (٧) والذى نراه أن الرواية الثانية التى
تقول إنهم قوم من بنى إسرائيل فروا من الجهاد
حين أمرهم الله به .. معقولة المعنى، ويؤيدها
سياق الآيات، لأن الآيات تحض الناس على القتال
فى سبيل الله، وتسوق لهم قصة هؤلاء القوم لكى
يعتبروا ويتعظوا ولا يتخلفوا عن الجهاد الذى هو
باب من أبواب الجنة - كما قال الإمام على بن أبى
طالب - ولأن قوله - تعالى - :

﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ يشعر بأنهم مع كثرة عددهم قد
نكصوا على أعقابهم، وفروا من وجوه أعدائهم
وهذا شأن بنى إسرائيل فى كثير من أدوار
تاريخهم وما قاله ابن عطية يشير إليها فهو يقول :
وجعل الله هذه الآية مقدمة بين يدي أمر المؤمنين
بالجهاد . إلا أنه أثر وصفهم بأنهم قوم من البشر .
وللإجابة عن السؤال الثانى وهو - هل الإمامة

(٧) تفسير القرطبي ج٢ صفحة ٢٣٩ .



يرون أن الآية واضحة في إثبات قدرة الله، وفي صحة البعث، وفي الحظ على القتال في سبيل الله.

قال بعض العلماء: قوله - تعالى - :

﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ الآية.

« كان المشركون يستفتون اليهود في كثير من الأمور وكانت هذه القصة معلومة لليهود في أسفارهم وتواريخهم، فنزل القرآن بالإشارة إليها ليرتدع المشركون عما هم فيه من الضلال وإنكار البعث، ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورة، وأن عند اليهود منها ما لورجعوا إليهم فيه لعلموا أنه حق لا ريب فيه. وفي ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة، وتهديد لما بعد هذه الآية »^(٨).

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

أى: إن الله - تعالى - لصاحب تفضل دائم على الناس حيث أوجدهم بهذه الصورة الحسنة، وخلق لهم عقولا ليهتدوا بها إلى طريق الخير، وسخر لهم الكثير مما في هذا الكون. فمن الواجب عليهم أن يشكروه وأن يطيعوه، ولكن الذى حدث منهم أن أكثرهم لا يشكرون الله - تعالى - على ما منحهم من نعم.

ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم، ذلك أن من رحمة الله في البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديبا لهم، ومطرها لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة. أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الخوف والجبن والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها، فجمعوا كلمتهم، ووثقوا رابطتهم، حتى عادت لهم وحدتهم، فاعتزوا وكثروا حتى خرجوا من ذل العبودية التي كانوا فيها إلى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الأمم وموتها»^(٨).

فأنت ترى أن الاستاذ الإمام يرى أن الموت والحياة في الآية معنويات، بمعنى أن موت الأمم في جبنها وذلتها، وحياتها في استقلالها وحريتها.

ولعله - رحمه الله - قد اتجه هذا الاتجاه لأن الحظ على القتال في سبيل الله واضح في هذه الآيات، ولأنه يرى أن واقع العالم الإسلامي يومئذ وما أصابه من ظلم واستبداد واستلاب للحرية يدعو إلى أن يحرض المسلمين على القتال في سبيل حقهم المسلوب، وأن يحذرهم من سوء عاقبة الجبن والخنوع.

ومع أننا لا نشك في الدوافع الطيبة والبواعث الكريمة التي جعلت الأستاذ الإمام يتجه هذا الاتجاه، ألا أننا لا نتردد في اختيار ما ذهب إليه المفسرون من أن الموت والحياة في الآية حسيان حقيقيان، لأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة، ولأنه يتجه اتجاهها أعم من اتجاه الإمام محمد عبده، لأن المفسرين

(٨) راجع تفسير المنار ج ٢ ص ٤٥٧ وما بعدها.

(٩) صفوة البيان لمعاني القرآن ص ٨٠ لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.





وفى قوله :

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [إنصاف

للقلة الشاكرة منهم، ومديح لهم على استقامتهم وقوة إيمانهم .

ثم أمر الله - تعالى - عباده بالجهاد فى سبيله فقال :

﴿ وَفَلْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

والسبيل : الطريق . وسميت المجاهدة سبيلا إلى الله لأن الإنسان يسلكها فيصل إلى ما يرضى الله ، ويعلى كلمته . ويعز دينه .

أى ، قاتلوا أيها المسلمون فى سبيل إعلاء كلمة الله ، والدفاع عن دينه ، واعلموا أنه - سبحانه - عليم بكل أقوالكم صالحها وطالحها ، عليم بكل ما يدور فى نفوسكم وخواطركم ، وسيجازى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

فالآية الكريمة تحريض للمؤمنين على القتال من أجل إظهار الدين الحق ، وتحذير لهم من القعود عنه ، وحث لهم على صدق النية وإخلاص العمل لله ، فقد سئل النبى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » (١٠) .

ثم أمر الله - تعالى - عباده بأن ينفقوا أموالهم فى الأعمال الصالحة التى من أعظمها الجهاد فى سبيله فقال - تعالى - :

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

فِيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

قال القرطبي : « القرض : اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء . وأقرض فلان فلانا أى أعطاه ما يتجازه . واستقرضت من فلان أى طلبت منه القرض فأقرضنى . واقترضت منه أى أخذت القرض ، وأصل الكلمة القطع ومنه المقرض . وأقرضته أى قطعت له من مالى قطعة يجازى عليها . . ثم قال : والتعبير بالقرض فى هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه ، والله هو الغنى الحميد ، لكنه - تعالى - شبه عطاء المؤمن فى الدنيا بما يرجو به ثوابه فى الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال فى أخذ الجنة بالبيع والشرء . . » (١١) .

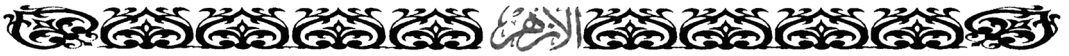
والمعنى : من هذا المؤمن القوى الإيمان الذى يقدم ماله فى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ، وفى غير ذلك من وجوه الخير كمعاونة المحتاجين ، وسد حاجة البائسين ، ومساعدة الأمة الإسلامية بما يفيدها ويعلى من شأنها :

﴿ فَيُضَاعِفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [أى : فيرد الله -

تعالى - إلى هذا الباذل المعطى المقرض بدل ما أعطى وبذل وأقرض أمثالا كثيرة لا يعلم مقدارها إلا الله أكرم الأكرمين . إذ المضاعفة معناها إعطاء الشخص أضعاف أى أمثال ما أعطى وبذل .

والاستفهام فى قوله :





والبسط معناه المد والتوسعة يقال بسط يده أى: مدها وبسط المكان القوم.. وسعهم والمعنى: والله - تعالى - بيده الإعطاء والمنع فهو يسلب تارة ويعطى أخرى، أو يسلب قوماً ويعطى آخرين، أو يضيق على بعض ويوسع على بعض حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكمة والمصلحة، وما دام الأمر كذلك فلا تبخلوا بما وسع عليكم كيلا تتبدل أحوالكم من الغنى إلى الفقر، ومن السعة إلى الضيق. وأنتم جميعاً سترجعون إليه وحده، وسيجازى - سبحانه - الأسخياء بما يستحقون من كريم الثواب والبخلاء بما هم أهله من شديد العقاب.

فأنت ترى أن فى هذه الآية الكريمة ألوان من الحظ على الإنفاق فى وجوه الخير ومن ذلك التعبير بالاستفهام، لأنه للتنبيه وبعث النفوس إلى التدبير والاستجابة. ومن ذلك - أيضاً - التعبير بقوله:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي قَرَضَ عَلَى الْبَذْلِ﴾ فقد جمع هذا التعبير بين اسم الإشارة والاسم الموصول فى الاستفهام، ولا يستفهم بتلك الطريقة إلا إذا كان المقام ذا شأن وخطر، وكان المخاطب لعظم قدره من شأنه أن يشار إليه وأن يتحدث عنه ومن ذلك تسميته ما يبذل الباذل قرضاً، ولمن هذا القرض إنه لله الذى بيده خزائن السموات والأرض والذى سيرد للباذل أضعاف ما بذل، فكأنه - سبحانه - يقول لنا: إن ما تدفعونه لن يضيع عليكم بل هو قرض منكم لى، وسأرده

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ للحض على البذل والعطاء، وللتهييج على الاتصاف بالصفات الكريمة، حتى لكأن المستفهم لا يدرك من هو الأهل لهذه الصفات ويريد أن يعرف من هو أهل لها.

و ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام مبتدأ، و ﴿ذَا﴾ اسم إشارة خبره، والذى وصلته صفة لاسم الإشارة أو بدل منه.

وقوله: ﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾ حث للناس على إخلاص النية، وتحرى الحلال فيما ينفقون، لأن الإنسان إذا تصدق بمال حرام، أو قصد بنفقته الرياء أو المباهاة لا يكون عمله مقبلاً عند الله، وإنما يتقبل الله العمل ويضاعفه لمن قصد به وجهه، وكان المتصدق به مالاً حلالاً خالصاً من الشبهات. فالله - تعالى - طيب لا يقبل إلا ما كان طيباً.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

القبض: ضد البسط يقال: قبضه بيده أى تناوله. وقبض عليه بيده أى أمسكه. ويقال لإمساك اليد عن البذل قبض ومن ذلك قوله - تعالى -:

﴿وَيَقْضُوكَ آيَاتِهِمْ﴾ (١٢) أى يمتنعون عن الإنفاق.





يده . فقال أبو الدحداح : فإنني أقرضت الله - تعالى - حائطا فيه ستمائة نخلة . ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله ، فناداها : يا أم الدحداح ، قالت : لبيك قال : أخرجني قد أقرضت ربي حائطا فيه ستمائة نخلة » (١٣) .

وفى رواية لزيد بن أسلم أن أبا الدحداح قال للنبي ﷺ إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله - تعالى - فقال رسول الله - ﷺ : « اجعل إحداهما والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك » قال : فأشهدك يا رسول أني قد جعلت خيرهما لله وهو حائط فيه ستمائة نخلة . قال : « إذا يجزيك الله به الجنة » ثم انطلق أبو الدحداح إلى زوجته وهي مع صبيانها بالحديقة تدور تحت النخل فأخبرها بما فعل . فأقبلت على صبيانها تخرج ما فى أفواههم وتنفض ما فى أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر » (١٤) .

وبهذا نرى السلف الصالح قد امتثل ما أمره الله به من إنفاق فى سبيله ومن جهاد لإعلاء كلمته فهل آن الأوان للمسلمين أن ينهجوا نهجهم لكى يسعدوا كما سعدوا ، وينالوا أشرف حياة وأعزها ؟ اللهم خذ بيدنا إلى ما يرضيك .

« يتبع »

لكم بأضعاف ما دفعتم وأعطيتهم . ومن ذلك إخفاء مرات المضاعفة ووصفها بالكثرة فى قوله :

﴿ فَيَضْعَفُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ أى لا يعلم مقدارها إلا الله .

ومن ذلك التعبير بقوله :

﴿ وَاللَّهُ يَقِصُّ وَيَبْضُطُ ﴾ لأنه مادام العطاء والمنع من الله ، فلماذا يبخل البخلاء ويقتر المقترون ؟ إن على الغنى أن يستشعر نعمة الله عليه ، وأن يتحدث بها بدون رياء وأن ينفق منها فى وجوه الخير حتى يزيده الله من فضله ، وإلا ففى قدرة الله أن يسلبها منه ، ويحاسبه على بخله حسابا عسيرا .

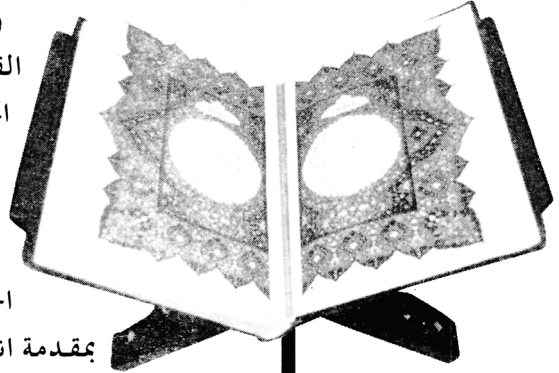
هذه بعض وجوه المبالغة التى اشتملت عليها الآية لحض الناس على الإنفاق فى الجهاد وفى وجوه الخير ، ولقد استجاب السلف الصالح لهذه التوجيهات ، وحكى لنا التاريخ أمثلة كريمة من سخائهم وبذلهم .

ومن خير الأمثلة على ذلك ما جاء عن عبد الله ابن مسعود قال : لما نزلت :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

قال أبو الدحداح : يا رسول الله أو إن الله - تعالى - يريد منا القرض ؟ قال : « نعم يا أبا الدحداح » قال أرني يدك : فناولته النبي ﷺ





فاتحة الكتاب بين تفسيرين

٢

وينفرد سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) من بين المحدثين بكونه صاحب اتجاه (جمالى) ، يستبطن في النص القرآنى علاقاته وأنساقه وتصاميمه الإبداعية التى تولد لدى المتلقى إحساساً عارماً بالجمال ثم إدراكاً عارماً لهذا الجمال .. ومن هنا فهو يقدم لتفسيره بمقدمة انطباعية تحدد منطلقاته فى فهم الظاهرة القرآنية من زوايا : إحساسه الشاهق الذى يطل منه - قارئاً للقرآن الكريم - على جاهليات الأرض، وتأمله المستغرق لعظمة التصور القرآنى الشامل النظيف للوجود، وإدراكه العميق لجمال التناسق الجميل بين حركة الإنسان وحركة الكون، وقدرته الفذه على رؤية الكون من الداخل أكبر فى حقيقته وفى تعدد جوانبه، وإيمانه الواعى بتكريم الله للإنسان فى كل الزمن التاريخى، ويقينه العيى بحكمة الحركة وحركة الحكمة فى كل مظاهر التركيب الكونى، وتطلعه فى أول الأمر وآخره إلى ضرورة العودة إلى حمى الله حتى ترشد الحركة المرتبكة، وتستنير القيادة الجاهلة، ويتوافق الإيقاع الإبداعى للإنسان مع منهج الله منشئ الإبداع ومنشئ الإنسان على السواء .

وواضح من هذا المنحنى الانطباعى فى مقدمة التفسير أن صاحبه فنان يتأمل لوحات جمالية تفيض بإشراق الألوان والأضواء والظلال، ويتوقى من هذا التأمل الجمالى إلى نوع من الإخبات الورع الذى يرى جمال الخلق الإلهى فى كل آياته ولوحاته، حتى لنحس معه بأن الطبيعة التى يجسدها النص القرآنى طبيعة مزودة بملايين الألسنة الذاكرة، وملايين الأيدى الملوحة، وملايين الإحياءات الهاتفة بوحداية الله وإعجازه فى خلقه .

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(١) فإن استهلال

الفاتحة ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ يبدو التزاماً أدبياً أوحى الله به لنبيه ﷺ، كما يبدو إقراراً حرّاً، ووهلياً بأن الله هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فإذا أضيف إلى ذلك أنه:

﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ شمل ذلك محورى:

(الوجود) و (الفيض على هذا الوجود) ولعل الإيحاء الذى تشعّه صفة ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ يؤكد وحدانية هذا الفيض، وأنه لا يستطيعه لكل هذا الكون سوى ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ بلا شريك.

ولما كان البدء باسم الله وما ينطوى عليه من توحيده والأدب معه يمثل الكلية الأولى فى التصور الإسلامى، فإن استغراق معانى الرحمة وحالاتها ومجالاتها فى صفتى:

﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ يمثل الكلية الثانية فى هذا التصور، ويقرر كنه العلائق الحميمة بين الله والمخلوقين لله.

ولأن هذا الفيض الرحمانى صدور ذاتى عن الوجود الإلهى، فإن التوجه بـ « الحمد » يصبح حتمية ضرورية يتوجه بها إلى خالقه مناط هذه الرحمة، ومخلوق هذه الواحدية الخالقة: (الإنسان)، حتى لا يُوصَم بالكنود وبطر النعمة وسوء الأدب مع واهب كل هذه الآلاء.

يؤكد ذلك أن سيد قطب فى تفسيره يتوفر كثيراً على تأمل ألوان من الغايات الجمالية المحايدة، كالقصّ القرآنى طبيعته ومضامينه وتشكيلاته، وكالتصوير الحسى القرآنى حركته ولونه وإيقاعاته، وكالبناء الفنى القرآنى تصميمه ورؤيته وأداته، إلى آخر ما يمكن رصده فى هذا الصدد مما يركز عليه فى الظلال، حتى ليوشك المتتبع لمساره هناك أن يجزم بأن منطلقه إلى التفسير وفى التفسير كان تجلية روائع الحركة الإبداعية فى النصّ القرآنى، قبل أن يكون محاولة تجلية الجوانب الروحية والفقهية والعقيدية التى ركّز عليها الغابرون فأضأوها إضاءات كافية.

وهذا إنجاز محسوب لسيد قطب بلا جدال، لأننا مطالبون ليس بارتياح الأصقاع المطروقة، وإنما بارتياح الأصقاع المجهولة، ولا يهَمّ حَجْمُ المعاناة التى تُبذل فى هذا الفعل الأخير، لأن ضريبة الكشف قد تكون آخر نبضة فى القلب، وقد تكون السقوط فى المنتصف دون الغاية المأمولة بما لا يقاس!!

وبدءاً بقرّر سيد قطب فى تفسيره (لرسالة الفاتحة) أنها تنحنى على كليات من العقيدة، وكليات من التصور الإسلامى، وكليات من المشاعر والتوجهات، وفى ذلك بعينه ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار فى كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها.

وإذا كان الله - عز وجل - قد قال لنبيه ﷺ فى أول آية نزلت من القرآن الكريم:



التدفق الشمولى الواصل: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

ليجسد كلية الاعتقاد بالآخرة، حتى يتكامل محورا اليوم واليوم الآخر، بشرط أن نفهم عن هذا النص المعجز أن التقابل هنا لا يقيم مصادمة بين المحورين بقدر ما يقيم تكاملا بينهما، حتى يخفف من سعار الانحناء على الضرورات الأرضية، ويتيح للذين لم يلحقوا بها نوعا من القرار النفسى والعقيدى إلى أنهم بالغوا هذه الآراب فى دنياهم الآخرة.

.. (ومن ثم فإن هذه الكلية تعد مفرق الطريق بين العبودية للنزوات والرغائب، والطلاقة الإنسانية اللاتقة ببنى الإنسان .. بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمها وموازينها، والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الجاهلية. مفرق الطريق بين الإنسانية فى حقيقتها العليا التى أرادها الله الرب لعباده، والصور المشوهة المنحرفة التى لم يقدر لها الكمال) .. وليت سيد قطب تأمل إطلاق (اليوم) على الآخرة، بكل ما يحمله هذا الإطلاق من جدلية الربط بين الحياتين كأنما هما امتداد لنهار واحد بلا تعديد!!

ثم ترتب السورة على هذه الكليات كلية أخرى، وهى حتمية التوجه إلى من يجب أن (يُعبد) وحده، وأن (يُستعان) به وحده:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا وقوع فى أسر العبوديات الأرضية، ولانحناء تحت راية القوى المُجَوِّفة ولا صدوف عن مواصلة تَمَتُّين العلائق بالعبادة والاستعانة، حتى يصبح (العبد) (ربانياً) بلا زُيُوف!!

ومع ذلك، فإن الله - تبارك وتعالى - يثيب عبده (الحامد) على حمده له، لأن هذا الحمد شهادة صادقة بأن هذا العبد قد وصل فى فهمه عن علاقته بربه إلى درجة الشفافية التى يدرك معها بأن الله وحده هو واهب الوجود وآلاء الوجود، ومن حقه على عبده أن يتوجه إليه بالحمد على نعمتى الخلق والرعاية .. ومن هنا جاءت صيغة: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بكل ما تشعّ من معانى الربوبية المطلقة، والتربية الحادية، ونفى كل الأرباب الآخرين، حتى تستقر فى الأرض حقيقة الواحدانية لله، ويتوارى كل ما عداها من فوضى أوهم تعدد الأرباب.

وحين تتكرر صفة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

فإن ذلك يعد مؤكداً على عمق التوجه إلى نزع الإنسان من كل جاهلياته الأرضية، وإلى ترشيد موقفه العقيدى فى تواصل حميم، لأن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التى تمثلها - كما يقول سيد قطب - لا يتجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصوّرات، والأساطير والفلسفات، وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم .. عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة، رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجابوب مع الفطرة مباشر عميق.

ولحكمة إلهية فإن المعادلة فى الإسلام ليست دُنْيَا فقط، وليست آخرة فحسب، وإنما هى عناق بين الدنيا والآخرة .. ولذلك جاء السياق بهذا



الإسلامى من خلال إيمائه إلى أن المسلم يردد هذه السورة القصيرة ذات الآيات السبع، سَبْعَ عَشْرَةَ مرةً فى كل يوم وليلة على الحد الأدنى، وأكثر من ضعف ذلك إذا هو صلى السنن، وإلى غير حد إذا هو رغب فى أن يقف بين يدى ربه متنفلاً، غير الفرائض والسنن.. وإيمائه كذلك إلى أن أية صلاة لا تقوم بغير هذه السورة الصغيرة، لما ورد فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ من حديث عبادة بن الصامت: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).. فإن سيد قطب ينهى تأملاته لسورة الفاتحة بمثل هذه الإيماءات المضئئة لدورها ومكانتها فى المنظور الإسلامى كذلك، مشيراً إلى أن هذا التركيز على فضل هذه السورة ذات الآيات السبع، يكشف عن سر من أسرار اختيار السورة ليرددها المؤمن سبع عشرة مرة فى كل يوم وليلة، أو ما شاء الله أن يرددها كلما قام يدعو فى الصلاة.

ونظن أننا لا نخطئ فى هذا المنهج ملامح الإيقاع الجمالى، الذى يتهدى إلى بواطن النص من خلال إشعاعاته الجمالية، بشرط أن نضيف أن هذا الفعل الجمالى يتم فى إطار من تسليط مقولات النص القرآنى على المضامين الحضارية بلا تخلف، وقد أتاح هذا التوجه النقدى الصوابى لسيد قطب أن يحاكم الحضارات الإنسانية جميعها فى ضوء النص القرآنى، وأن يحكم عليها بالجرح أو التعديل وفق طبيعة اقترابها أو نفاها من المنهج القرآنى وعن المنهج القرآنى جميعاً، فأرسى فى وعى المتلقى يقيناً أصولياً بمحورية هذا

وهنا يعرض موقف المسلم - كما يقول سيد قطب - من القوى الإنسانية، ومن القوى الطبيعية: (فأما القوى الإنسانية - بالقياس إلى المسلم - فهى نوعان: قوة مهتدية تؤمن بالله وتتبع منهج الله.. وهذه يجب أن يؤازرها ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح.. وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه، وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها.. وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصدقة، لا موقف التخوف والعداء، ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشئئته، محكومتان بإرادة الله ومشئئته متناسقتان متعاونتان فى الحركة والاتجاه).

ومتى صار المسلم الحقيقى يعبد ربه حتى يصبح ربانياً ويستعينه حتى يصبح أقوى من كل قوى الأرض، فإنه بحاجة مع هذا الجبروت إلى تسديد توجهاته الفاعلة فى اتجاه الحق والخير والجمال، ومن هنا حق له أن يجار بهذه الابتهالة الواضحة:

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

لأن هذا التوجه هو التطبيق العملى لمجمل الكيات الأساسية فى التصور الإسلامى، وليست الهداية فى النهاية سوى هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذى ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله فى الاتجاه إلى الله رب العالمين.

وكما بدأ سيد قطب تأملاته لسورة الفاتحة بتضوئ دورها ومكانتها فى المنظور

وجدلية، ويحاول تفسير القرآن ما أمكن بالقرآن، وبالسنة، وباجتهادات الصحابة والتابعين، ويوطئ لدخوله على السورة المفسرة بمدخل لغوى تخالطه رؤية نقليّة تضيئ مكانة السورة وفضلها الدينى ويتوفر بعد ذلك على التحليل النصي للسورة فى ضوء ما سبق من أساسيات ..

أما سيد قطب فينطلق من منطلق جمالى، ويتغيا هو الآخر غايات إنسانية وحضارية وفكرية، ويعمد إلى ألوان من الإسقاطات التى يسלט فيها إحياءات النص على الواقع التاريخى بأضلاعه المثلثة: الماضى والحاضر والمستقبل، ولا نخطئ فى تفسيره روح الداعية الذى يوظف كل اقتداره النقدى على لمح خصائص الجمال فى النص لإقناع القوى المعارضة، وتطوير المشاعر النافرة، مع حرص حريص على أن يضع النص القرآنى فى موقع وسطى تقاس به كل المسافات والأشياء والقيم والحضارات والبشر والتواريخ ويظل هو قادراً بلا توقف على محاكمتها جميعاً، والفصل بين تداخلاتها التى تُضَبَّبُ فى أحيان كثيرة وجه الحقائق، وتتنازع الحاكمية فى كثير من القضايا التى قد لا تقر لها بمشروعية هذه الحاكمية من الأساس .

من هنا نرى أنه من الصعب أن نفضل اتجاهاً قديماً على اتجاه حديث، أو اتجاهها معاصراً على اتجاه قديم، لأن لكل اتجاه منهما ظروفه التاريخية الحاكمة، ومُعْطَيَاتِهِ العقيدية الحميمة، ولكننا فقط نحدد ملامح الحركة ولامح القرار فى كل اتجاه على السواء !!

المنهج وحتمية دوران كل الحضارات حول هذه المحور الذى يضيئها بقدر ما تسعى إلى الاقتراب من وجهه، ويتركها فى أغباش التخبط بقدر ما تنأى هى عن التماس مع فيضه وتواتره .. وقد حقق هذا الاتجاه الجمالى وأيضاً الحضارى لتفسير الظلال جدلية الربط بين جمالية التعبير فى النص القرآنى، وحضارية البوح المضمونى فى هذا النص القرآنى، أى بين الشكل والمحتوى، فلم تعد (الجمالية) هنا شكلاً فارغاً بلا مضمون، ولم يعد المضمون هنا مقولات شبه تقريرية بلا شكل، وإنما انتهت المعادلة بهذه الرؤية النقدية النافذة إلى جدلية الربط بين الشكل والمضمون، وإلى تضيئ حركة النص القرآنى من المنظور الجمالى - أفقاً إبداعياً لا يُطال، وإعجازاً حضارياً لا يُضارع وتشكيلات روحية فاعمة تنضح بشلالات من الضوُع الإيمانى الذى لا يخذل فى إنسانه المسلم إمكان تعاليات الروحية المتواترة بلا حدود ولا سدود !!

بعد وقوفنا مع منهج سيد قطب فى تفسير فاتحة الكتاب نستطيع أن نوازن منهج قديم يمثله (ابن كثير) ويتكى فيه أساساً على الحس اللغوى المبطن باستشفافات فقهية وعقيدية وهذا المنهج المعاصر الذى يمثله (سيد قطب) ويتكى فيه أساساً على الحس الجمالى المبطن باستشفافات حضارية وإنسانية .. يمكن أن نجمّل أبرز ملامح هذين المنهجين: فابن كثير ينطلق من منطلق لغوى، ويتغيا غايات فقهية وعقيدية



وقد آن أن نترك مواقع الدفاع غير المسلح للأسف، إلى مواقع الفتحة المسلح الذي يرد علينا كثيراً من حقوقنا المهدورة، ويرد على الإنسانية بعض حقها في أن تنسم الهواء النقي الذي تريد، وتعتقد الدين الحقيقي الذي تنشئ وتنشئ وجه علاقات حضارية تنبع من قاع اليقين الإيمانى، وليس من قاع الافتراض الجاهلى، وتستقر في النهاية عند قناعات لا يملئها السيف الباطش، وإنما يملئها الوعى بحقائق الحق والخير والجمال وواحديّة المعبود!!

ليس التفسير المنشود إذن هو التفسير الذى يقطع الجسور الواصلة بين النص القرآنى وجدل الواقع الحضارى المعاصر، ولكنه التفسير الذى يخوض بالنص القرآنى جدل الواقع والحضارة والمعاصرة ويحبّه التحدى الثقافى الآنى بتحدّ أعرض وأعمق، ويتيح للعقائدية المسلمة نوعاً من ممارسة الحركة فى اتجاه إحلال البدائل الصوابية، ونوعاً آخر من تحصين رعاياها ضد محاولات التفتيت والتذويب والتغريب، وهو أمل ربما يكون أكبر من حجم المرحلة، ولكنه بالتأكيد ليس أكبر من حجم التكليف المنوط بكاهل المسلم، الذى حقق هذا الإنجاز الحلم فى مرحلة من مراحل التاريخ والذى نعتقد أنه قادر دائماً على تحقيقه إذا نحن حررناه من سجونته، وآزرناه فى صدامه المصيرى مع كل قوى القهر والاقتراع!!

ويمكن فى النهاية أن نؤكد حقيقتين بارزتين: الحقيقة الأولى أن التكوين الفكرى والحضارى للمفسر يشكل بالضرورة نوعيّة رؤيته للقضية التفسيرية المطروحة، ويعطف به وبها صوب توجّهات معينة، قد تكون لغوية، وقد تكون جمالية وقد تتسع لتشمل كل اللحظة الحضارية، وقد تضيق لتتأمل مجرد نص فى مجرد أمة.

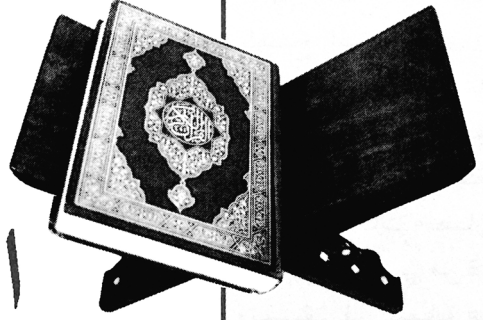
والحقيقة الثانية أن القرآن الكريم حتى فى قصار سورة يتيح للفكر المثقف فى كل أجيال التاريخ مساحات متعددة وحافلة بالكنوز، ويحرض بهذه الوضعية المتفردة فى كل البشر أروع ملكاتهم، وأعمق اجتهاداتهم وأسمى طموحاتهم، ومع ذلك كله يظل قابلاً لمزيد من الكشف وقادراً أيضاً على مزيد من إثراء المحاولة بعطاءات لا تغيض!!

ومن هنا تتحتم الحركة المعاصرة نحو تكوين جيل عقيدى مثقف، يفهم عن قرآنه بحضارية فكرية مدرّبة، ويستطيع من خلال هذا الفهم أن يعكس رؤيته للنص القرآنى من المنظور الذى هو مؤهل له، حتى يمكن فى النهاية أن نعطي لهذا القرآن الكريم من اجتهادنا المعاصر ما يجعله ثقافة العالم وليس ثقافتنا وحدها، وإيمان البشرية وليس إيماننا وحده، وبهذا نكون قد بررنا بديننا وبعصرنا معاً، لأن تبليغ الدعوة برّ حقيقى بحركة الدين، ولأن إنقاذ العصر برّ حقيقى بحركة العصر!!.





مِمَّا التربية القرآنية



للمستاذ الدكتور / مصطفى رجب

والتربية القرآنية تختلف عن التربية البشرية - مع اتحادهما في الهدف إلى حد كبير - في عدة جوانب أهمها:

أولاً: أن التربية القرآنية صياغة إلهية محكمة:

لا تقبل جدلاً، ولا يجرى عليها تغيير. وهناك فرق كبير بين كونها (محكمة) وبين كونها (جامدة) فالتربية التي لا تقبل جدلاً ولا تغييراً لا نستطيع وصفها بأنها جامدة إلا إذا كانت بشرية المصدر وصمم منتجوها على رفض التغيير، فتصبح أطروحاتهم جامدة يلفظها الزمن، ويتجاوزها التطور الإنساني الحتمي المستمر.

وأما رفض التغيير والجدل لأن منظومة التربية (محكمة) بمعنى أنها صياغة إلهية، فذلك لأنها تحمل في طياتها من الموصفات مالا ينفك - بالطبيعة - عن صفات البشر الذين هم - بطبيعتهم أيضاً - صناعة وصياغة إلهية.

فالتربية القرآنية بهذه المثابة تتماس مع الخواص النفسية المركزة في فطرة البشر، فكانها - بشكل أو بآخر - صمام أمان للسلوك الإنساني إذا ما حاول الخروج عن الفطرة (= شروط ومواصفات خلق الإنسان).

ثانياً: أن التربية القرآنية (كاملة) والتربية البشرية (متكاملة):

بمعنى أن التربية القرآنية وحدة واحدة تحمل كل مقومات البقاء والعطاء. ولا توجد بها ثغرة واحدة - منذ وجدت - فهي كاملة بحكم القدرة الإلهية المطلقة التي أوجدتها.

إن التربية القرآنية
للأفراد والجماعات
تتضمن منظومة
قيمية رفيعة المستوى،
تتناغم مفرداتها في
وحدة متسقة،
اجتماعياً، ونفسياً،
وخلقياً. ومن ثم فإنها
تسير في طريقين
متوازيين لا ينفكان
أبداً؛

أولهما: يبدأ
بالتنفيذ من
السلوكيات الشائنة
المستهجنة.

والثاني يبدأ
بالجذب إلى
السلوكيات الرشيدة
المستحسنة.



الدرجات قد تزيد أو تنقص، فالطبيعة البشرية - في القرآن - واحدة، ويقدر ارتفاع صفات وانخفاض أخرى، ترسم ملامح الإنسان، وتحدد معالم سلوكه وتتألف صورة شخصيته.

أما التربية البشرية فإنها جزئية، بمعنى أنها أنتجت لتعالج جزءاً واحداً من سلوك الإنسان فعلم النفس التربوي يدرس عقل الإنسان: قدراته وإمكاناته، ومواهبه، ومن ثم فهو يهتم بالذكاء والتحصيل، وما يعترى التحصيل المعرفي للإنسان من معوقات. ويحصر نفسه في هذا المجال، أما علم الصحة النفسية فهو يهتم بالنفس الإنسانية من حيث السواء والاضطراب، فيدرس الهوس والجنون والوسوسة والكذب والصدق وفتات اللسان وما يتصل بذلك من مشاعر داخلية كالإحساس بالذنب والقهر، تأنيب الضمير.... إلخ

وعلى الرغم من التجاور المعنوي بين (النفس) و(العقل) فإن مجالات البحث في هذين العلمين التربويين متباعدة، ولكل منهما اختباراتهما ومقاييسه وأساليبه التقييمية الخاصة.. وتبقى مساحة مثل (الخيال) أرضاً مشاعاً بين العلمين!! هذه التجزئة لا نلمسها في التربية القرآنية ولا نجد لها أثراً لأنها تقوم على (الكليات) لا على (الجزئيات).

خامساً: التربية القرآنية كونية عالمية، والتربية البشرية إقليمية محلية:

وإذا كانت التربية القرآنية مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان فإنها تتخطى حواجز المكان ولا تخضع للعوامل القومية والجغرافية والأيدولوجية التي تخضع لها نظم التربية البشرية، فالتربية

أما التربية البشرية فهي (متكاملة) بمعنى أنها لم تنشأ بوضعها الحالي، وإنما بدأت على هيئة نظريات أخلاقية، ثم تحولت إلى نظريات نفسية: سلوكية ثم عقلية، ثم معرفية. وأصبحت الآراء فيها تتقارب وتتباع، تلتقى وتفترق، وتتوازي وتتقاطع. ومن ثم فقد اعتراها الاضطراب والتناقض واحتاجت - على مدى رحلتها كعلم - إلى الترقيع والتوفيق والتلفيق من حين لآخر حتى تستطيع الاستمرار.

ثالثاً: التربية القرآنية تستغنى بنفسها عن العلوم الأخرى:

ذلك أن القرآن الكريم جاء صالحاً لكل زمان ومكان ومن ثم فإن تشريعاته - بما فيها التربية الإنسانية - لا تحتاج إلى أية مساعدة بشرية، أما التربية البشرية فهي تحتاج إلى نتائج العلوم الأخرى وتستفيد منها، فكلما حدث تغيير في مناهج علم الاجتماع أو علم النفس أو العلوم السياسية أو الاقتصاد والفلسفة، تبع ذلك تطور حتمي في مناهج البحث التربوي، أدى بالتالي إلى تغيير في نظريات التربية وافتراضاتها ووسائلها وأساليبها.

رابعاً: التربية القرآنية كلية والتربية البشرية جزئية:

والفرق الجوهرى الرابع أن التربية القرآنية (كلية) بمعنى أنها تنظم سلوك الإنسان من حيث هو إنسان ومن هنا جاء وصفها بأنها (محكمة) لا تتشابه ولا تتناقض ولا تحتاج إلى ترقيع واستكمال، فإذا وصف «الإنسان» في القرآن الكريم بصفة من الصفات (ظلم، جهول، عجول، جاحد.... إلخ) فمعنى ذلك أن كل صفة من تلك الصفات توجد في كل إنسان من جنس البشر بدرجة من

وسائط التربية القرآنية

وتستخدم التربية القرآنية وسائط متعددة في سبيل تحقيق أهدافها منها:

١- **الكلمة:** حيث نجد الكلمة في السياق القرآني تؤدي وظيفة نفسية ذات أبعاد متعددة، مثل بعد الترغيب، بعد التنفير، بعد إثارة الفزع، بعد إثارة العطف والحنو، وتتعاون تلك الأبعاد المختلفة للوظيفة النفسية فتفعل فعلها في شحن النفس بتيارات انفعالية جارفة تقوم بدور فاعل في تعديل السلوك الإنساني.

٢- **المثل:** وقد تناولت دراسات متعددة العطاء التربوي للمثل القرآني وما يفيض به من عوامل تأثير خاصة، قد يكون بعضها من خلال قصة يتضمنها المثل، وقد يكون بعضها من خلال عبارة المثل ذاتها.

٣- **القصة القرآنية:** إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيراً، وأسلسها عرضاً، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها معها ولا شك في أن أعظم سر للقصص في القرآن الكريم، وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية إلى التبصر والتأمل والتماس العبرة، ولا شك في أن قصص القرآن الكريم فيه - من الناحية الفنية - معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمن والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله من الناحية الموضوعية - أهداف كثيرة، لعل الهدف التربوي من أهمها، لما ينضوي تحته من قيم ثمينة، وعطاء سام متجرد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

البشرية تستمد مقوماتها من الدساتير والقوانين والعادات والتقاليد والأعراف بين الناس، وهي عوامل متغيرة من زمان لزمان، ومن مكان لمكان.

ففي الدولة الواحدة إذا انتقل نظام الحكم من الشمولية إلى الديمقراطية لاحظنا تغيراً تابعاً في نظم التعليم وأهداف التربية، ومناهج الدراسة، وطرق التعليم وأساليب الإدارة.

وهذه العوامل كلها تختلف من دولة إلى أخرى، ومن حضارة إلى حضارة ومن بيئة إلى بيئة، ويكون لكل منها شخصيته الثقافية الخاصة ذات السمات المختلفة عن الأخرى.

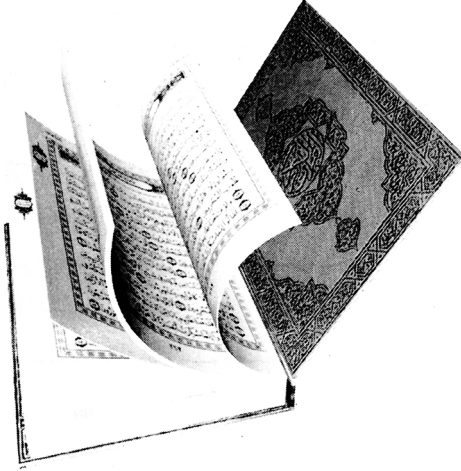
أما التربية القرآنية فهي تصلح لكل البشر مهما اختلفت دياناتهم وثقافتهم. فالتربية القرآنية حين تجرم الحسد والغيرة، والظلم، والسرقة، والكذب، والغش، والخداع، فإنها تستجيب بذلك لما يمكن أن نسميه بـ (مقومات الإنسانية الحقة) بقطع النظر عن أية عوامل أخرى يخضع لها الإنسان موضوع التربية. وإذا تحولت هذه الكليات السلوكية إلى تطبيقات عملية في الإدارة ونظم التعليم وطرق التدريس ومناهج الدراسة أصبح هذا كله لوناً من الإعجاز التربوي التشريعي الذي لا يدانيه إعجاز.

سادساً: التربية القرآنية لا تعرف العشوائية:

إن تقسيم التربية البشرية - أيًا كان مصدرها - إلى تربية مقصودة وتربية غير مقصودة Formal and Non Formal أو شكلية وغير شكلية، يجعل للممارسات التي تتم في الشارع وعبر جماعات الرفاق وضعية تربوية مقننة معترفاً بها، وهذا ليس وارداً في مجال التربية القرآنية لأنها تحسم سلفاً مصادر التوجيه السلوكي، ولا تترك الإنسان - موضوع التربية - هدفاً لأنماط سلوكية مقصودة وغير مقصودة تتقاذفه رياحها على غير هدى.



من هدى القرآن .. فى تنكر القرآن



محاورة بين السادة والأتباع

للمؤلف الدكتور / عبد الحليم مهنى

الدنيا فى صورة مجسدة محسوسة فى الآخرة، سواء أكانت بين طبقات من الكافرين كهذه المحاورة، أم بين خزنة الجنة ومن فيها من المؤمنين، أو خزنة النار ومن فيها من الكافرون، أم بين الشيطان وبعض أتباعه أم نحو ذلك.

فهذا الحوار ينقل صورة من واقع الحياة الدنيا حين يبسط السادة من أئمة الكفر وزعماء الضلال - وما أكثرهم فى كل مجالات الحياة، وفى كل مراحل البشرية من بدايتها حتى اليوم وسيظلون - حين يبسطون سلطانهم على أتباعهم بما يملكون من وسائل التأثير النفسى والمعيشى والبدنى، ليجروهم إلى الكفر والضلال عن طريق الحق والخير، فيستسلم هؤلاء

﴿ وَلَوْ رَأَوْا إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْفُوقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ الَّذِي كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾
﴿ أَسْتَضِعُّوهُ لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾
﴿ قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ أَسْتَضِعُّوهُمُ أَفَنُصَدِّدُكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِبَلَدٍ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ ﴾
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَسْتَضِعُّوهُمُ لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

الموضوع

وهو نوع معين من حوار نوعيات معينة يصورها أسلوب القرآن الكريم فى جهنم، لينقلها من واقع الحياة

(١) سورة سبأ - ٣١ - ٣٣.



يعرض هذه المعاني المجردة في مشاهد مجسدة كأنها مرئية بالعيون، مسموعة بالأذان كهذه الصورة، فهذه المشاهد من الآخرة يسوقها القرآن رمزا، لأنها لم توجد بعد، وإنما هي تصوير لما سيحدث في الآخرة، وهي لا تعبر عن أشخاص معينين، أو جماعات محددة، وإنما ترمز إلى نوعيات من النماذج المختلفة المسالك في الحياة.

طرفا الحوار

والمتحاورون في هذا الحوار طرفان يمثلان صورة متكاملة من صور الحياة

(أ) فأما الطرف الأول فهم المستضعفون الذين استطاع السادة السيطرة عليهم والإمساك بزمام قيادتهم، وهم رمز لعامة الناس الذين يمكن التأثير عليهم، ويمكن أن ينفادوا لمن يؤثر فيهم متقبلين كل ما يلقيه إليهم السادة والزعماء.

(ب) وأما الطرف الثاني في المحاورة فهم الذين استكبروا، وهم رمز للسادة والرؤساء الذين لهم تأثير في العامة بأي نوع من المؤثرات، كالسلطان أو الجاه أو المال أو نحو ذلك.

ولا ينبغي أن يفهم من كلمة (عامة الناس) الوصف بالأمية أو الجهل أو السذاجة أو نحو ذلك، فالواقع أن كل نوعية في المجتمع، وكل مهنة من مهنة، فيها عامة، وفيها خاصة وفيها قيادة ذاتية بخلاف السلطة الحاكمة العامة، فالفلاحون فيهم عامة، وفيهم خاصة، وفيهم قيادات ذاتية، والعمال كذلك، والمثقفون أيضا كذلك، وهكذا في كل نوعية أو مهنة، ويتميز العامة في كل نوع بأنهم ليست لهم مزايا خاصة أو تفوق في شخصياتهم أو تفكيرهم، ولا يهتمون كثيرا بالأموال العامة وليست لهم فيها آراء معينة، بل يغلب

الأتباع لهم ضعفا أو انخداعا أو طمعا ويظلون في عماهم أو تجاهلهم للحق والخير، حتى يفاجأوا بانتقالهم إلى دار الحساب في الآخرة، وحين يمسهم العذاب يدركون مدى بشاعة ما تورطوا فيه تحت تأثير سادتهم وزعمائهم في الحياة الدنيا، وأن ما هم فيه من عذاب لا توصف فظاعته في جهنم ليس إلا نتيجة ما تورطوا فيه من الكفر والضلال الذي طالما حذرهم منه رسل الله وبينوا لهم هذه العقوبة التي هم فيها اليوم فكذبوا الرسل وسخروا منهم كما يسخر سادتهم وزعمائهم.

عندئذ اشتعلت نفوسهم بالنقمة على هؤلاء السادة والزعماء، وأخذوا يصبون عليهم هذه النقمة لومًا وتقريعًا، على أنهم كانوا هم السبب في صرفهم عن الإيمان بالله الذي كان سيمتعهم بنعيم الجنة فأدوا بهم إلى هول هذا العذاب الذي هم فيه، ولكن السادة يصبون عليهم وابلا من التسفيه والسباب مذكرين إياهم بأنهم دون شك قد عرفوا طريق الحق والخير في الدنيا واضحة، ولكنهم آثروا الكفر والضلال تحت تأثير إيثارهم السلامة وسيطرة الأطماع والرغبات العاجلة، في مال أو جاه أو منصب كما هو واقع الحياة الدنيا، مؤثرين ذلك على مغاضبة الرؤساء والزعماء أي مؤثرين غضب الله على غضب سادتهم.

وهذا الأسلوب من إعجاز القرآن، حيث يستطيع تجسيد المعاني النظرية التي يرسلها الله إلى عباده على السنة رسله في أساليب الإرشاد والتحذير والترغيب والتذكير بما سيكون عليه في الآخرة مأل كل مسلك من مسالك الخير والشر في الحياة الدنيا، ولكن الرسل أو غيرهم من الدعاة لا يستطيعون أن يلبسوا هذه المعاني النظرية المجردة ثوب التجسيد كأنها محسوسة مشاهدة للعيان، أما أسلوب القرآن فإنه يستطيع أن



ففي أن السادة والقادة في كل العصور كانوا هم العقبة الأساس في وجه الأنبياء والدعاة إلى الإصلاح عامة، فكانوا هم العقبة أمام انتشار الدين ووصوله واضحا إلى نفوس عامة الناس، حيث يحولون بين العامة ومخالطة الأنبياء والدعاة، ويعمدون إلى تشويه ما يقوله الأنبياء ويفعلونه حتى لا يقتدى بهم العامة أو يتأثروا بهم، والقرآن الكريم حافل بما لا يكاد يحصى من هذا القبيل، وذلك أن من أبرز ما تدعو إليه الأديان السماوية المساواة بين الناس، وهذه المساواة أبغض الأشياء إلى نفوس السادة والزعماء، لأنها تهدم سيادتهم وتهدم تسلطهم على الأتباع، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى كثيرة يرون الدين فيها من وجهة نظرهم ماسا بسيادتهم وبإطلاق يدهم في جميع الأموال والمزايا ونحو ذلك، ولذلك يتصدون للوقوف في وجه الدين في كل العصور وكل المجتمعات، ويؤكد القرآن الكريم ذلك كثيرا كقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢).

والمترفون عادة هم سادة المجتمعات وقادتها.

وأما أهمية الأتباع في نظر الدين فلا أنهم بطبيعة الحال هم الأكثرية الحاشدة بالقياس إلى القيادات التي هي قلة فردية، وخطاب الدين موجه دائما إلى الناس عامة، وهؤلاء الأتباع يحملون مسئوليتين جسيمتين كان إخلالهم بهما سببا في عذابهم الذي تصوره هذه الآيات الكريمة، وإحدى المسئوليتين تفریطهم في الكرامة الآدمية التي كرمهم الله بها كقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (٣) فكل آدمي له الكرامة،

عليهم الانسياق في الاتجاه العام لطائفتهم دون نقد أو اعتراض على ما يأتيهم من جهة أعلى، كما أن الخاصة في كل نوعية أو مهنة يتميزون بأنهم قلة، ولكنهم يتمتعون بقدرات بارزة في تفكيرهم وفي قوة شخصياتهم، وبأن لديهم القدرة على النقد والتمييز غالبا بين الحسن والسيء، فيما يعرض أو يأتي من أي جهة، وهؤلاء يتاح لهم عادة الحصول على مزايا عن العامة سواء في الجاه أو المال أو المنصب والنفوذ، ولكنهم حين يجدون قبضة القيادة أو السلطة من فوقهم مستحكمة يعضون على مآلديهم من هذه المزايا، ولا يستخدمون غالبا النقد الذي يملكونه أو لا يجهرون به خوفا على مزاياهم أن تسلب منهم، وبهذا يخلو الجو لقبضة الرياسة والزعامة أن تقول ما تشاء وأن تفعل ما تشاء، بل يكون الخاصة في أغلب الأحيان قدوة للعامة في الطاعة والانقياد، فينجلي الموقف عن طرفين بارزين فقط، هما السادة والزعماء من جهة والأتباع المنقادون من جهة أخرى كما في هذه الصورة التي تبرزها هذه الآيات الكريمة.

العبارة

هذا النوع من المحاورات يمس جانبا كبيرا الأهمية في حياة كل المجتمعات، وهو جانب القيادات وعلاقة الأتباع بها، وما ينبغي أن يكون عليه كل منهما، فأما أهمية القيادات فلا أنها في حقيقتها أمر موجود بطبيعته في كل مجتمع، حيث يلحظ علماء الاجتماع أن كل مجتمع، بل حتى جماعات اللعب لدى الأطفال تبرز فيها زعامة وقيادة بصورة تلقائية.

ومن الوجهة الدينية فإن خطورة القيادات تتجلى

(٣) سورة الإسراء ٧٠.

(٢) سورة سبأ ٣٤.

ارتكاب الجرم، ولفظي ﴿عَسَى﴾ يفيد احتمال عدم عفو الله عنهم رغم عجزهم عن مقاومة السادة، وفيه إشارة ضمنية إلى أن الأولى عند الله أن يصروا على الجهر بالحق واتباعه ولو كلفهم ذلك حياتهم أو حريتهم، ومن هذا القبيل الحديث الشريف (أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر). وأسلوب القرآن يحفل دائما بقيمة الدقة في التعبير، ومن ذلك في تعبير:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

فحذف الجواب في ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ كما يقول علماء البلاغة للتسهيل لتذهب فيه النفس كل مذهب والأصل نحو لو ترى هذا لرأيت عجباً وهو لا يوصف، وتعبير:

﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني أن

السادة والأتباع مشتركون في جريمة الكفر، ولكن كلا منهما يريد إلقاء جريمة التبعية على الآخر، ولفظ «أسروا» يتجه المفسرون إلى ترجيح حمله على أنه من استعمال الأضداد، بمعنى أظهروا الندامة، ولكن الواقع أن التعبير بإسرار الندامة يمثل غاية المراد به، لأن الشيء المكبوت في النفس أشد إيلاماً لها وتأثيراً فيها، وهكذا كل انفعالات الإنسان ومشاعره، يخففها التنفيس عنها بإظهارها، ويزيدها عمقا وتأثيراً كتمها وإخفاؤها، كالغضب والحزن يخففهما إظهارهما ومحاولة التعبير عنهما والعكس بالعكس.

ولكن العبرة العامة هي لفت الأنظار إلى خطورة الانقياد الأعمى للزعامات، وتبصير الأتباع قبل فوات الأوان بسوء المصير الذي ينتظرهم حين يسلمون قيادهم بدون بصر لأن أحداً لن يغني عنهم من الله شيئاً.

ولكنهم ضيعوها حين جعلوا أنفسهم مجرد قطيع أعجم يسوقه السادة ويوجهونه إلى حيث يشاءون والمسئولية الأخرى وهى كبرى المسئوليتين أنهم صموا آذانهم عن الحق بعد إذ سمعوه، وأغلقوا عقولهم دونه، بعد إذ فهموه، فلا عذر لهم في انقيادهم وراء سادتهم بعد أن علموا الحق واضحاً فرفضوه، أو سمعوا على الأقل دعوة الداعي إلى الحق فلم يحاولوا أن يتبينوه، ولذلك يرد عليهم السادة في جهنم بتسفيه شديد:

﴿أَنخُنُّ صَدْرَكَ عَنْ هَاهُنَا﴾

بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ بِكَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ

فالذى صرفهم عن اتباع الحق واعتناقه ليس أنه لم يبلغهم، وليس أنهم جهلوه أو لم يفهموه، وإنما جاءهم واضحاً وفهموه، ولكن خوفهم وضعفهم أمام السادة هو الذى صرفهم عنه، والقرآن الكريم فى موضع آخر يؤكد لهم عدم قبول هذا العذر عند الله فى مثل قوله تعالى فى سورة النساء:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ﴾

ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنَّا مَسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَا أَوْ تَنْهَمُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ قَالُوا لَيْتَكُمَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُوَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٩﴾

فلا عذر عند الله للمستضعفين إلا إذا سدت أمامهم كل السبل، وأعيتهم كل الحيل، وهؤلاء يحملون أيضاً المسئولية، ولكن رحمة الله قد تمنحهم العفو عن الجرم بعد إذ ارتكبهوا مثل الآخرين، وأسلوب القرآن صريح فى الإشارة إلى هذا فى تعبير:

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُوَهُمْ﴾ لأن العفو إنما يكون بعد

السنة

التساؤل والاختلاف

فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

إعداد الشيخ / على ماسع عبد الرحيم

جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشئ، فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه». لهذا الحديث سبب، وهو أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١).

قام النبي ﷺ، فخطب الناس، فقال: «أيها الناس: فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقام إليه الأقرع ابن حابس، فقال: أكل عام يارسول الله؟ فسكن حتى كررها مراراً، ثم قال: «لوقلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم»^(٢)، وذكر بقية الحديث، ثم نزل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدِلَ لَكُمْ تَسْوُكُمُ﴾^(٣) الآية.

كقول بعضهم: أين ضلّت ناقتي، وكسؤالهم الآيات والاقتراحات، وسؤالهم عما أخفاه الله عن عباده، ولم يطلعهم عليه، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن أمر الروح، وسؤالهم عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون السؤال سبباً لنزول التشديد فيه، كالسؤال عن الحج، وهل يجب كل عام؟

وجاء من غير وجه أن آية: «لاتسألوا» إنما نزلت لما أكثروا سؤاله ﷺ عن أشياء كرهها، وأن منها ما كان يسوء السائل جوابه، مثل: هل أبوه في الجنة أو في النار؟ وهل أبوه من نسب إليه أو غيره؟ ومنها ما كان على وجه التعنت والعبث والاستهزاء، كما كان يفعل المنافقون والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم،

(٣) المائدة (١٠١).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(١) آل عمران (٩٧).



بذبحها، فتعنتوا، ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أى بقرة كانت، بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها، فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفاً بها إلا بقرة واحدة فاشتروها بثمن باهظ، وقيل: هم بنو إسرائيل مطلقاً، كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم كذبوهم، وقيل: هم قريش، كانوا يسألون النبي ﷺ أن يحول لهم الصفا ذهباً، وأن يبين لهم أنسابهم، فإذا أخبرهم لم يصدقوه وقالوا: ليس الأمر كذلك.

وأكثر العلماء على أن كثرة السؤال المنهى عنها فى الآية، هى السؤال عن النوازل والأغلوطنات^(٤) والتوليدات. فقد نهى الشارع عنها، وورد أنه سيكون من الأمة أناس يغالطون فقهاءهم. بعضل المسائل، وأنهم شرار الأمة. وقال الأوزاعى: إن الله - تعالى - إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً.

وقيل: المراد كثرة السؤال عن الأشياء كالبحيرة والوصيلة، والسائبة والحام، وعن الآيات، كسؤال قريش أن يجعل الصفا لهم ذهباً، وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، ونحو ذلك.

وأما ماثبت فى الأحاديث المتعددة وقوع السؤال عنه من الصحابة، فيحتمل أن يكون قبل نزول آية، لاتسألوا، ويحتمل أن النهى فى الآية لايتناول ما يحتاج إليه مما تقرر حكمه، أو ما لهم بمعرفته حاجة رادعة، كالسؤال عن الذبح بالقصب، والسؤال عن وجوب طاعة الأمراء إذا أمروا بغير الطاعة، والسؤال عن أحوال يوم القيامة، وما فيها من الملاحم والفتن،

ومن ثم غضب النبي ﷺ غضباً شديداً، وصعد المنبر وهو غضبان، وقال للناس: سلوني، فجعلوا يسألونه وهو يجيب، فلما رأى عمر بن الخطاب ما بوجه رسول الله ﷺ من الغضب، جثا على ركبتيه وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، لا تفضحننا بسرائرنا واعف عنا. عفا الله عنك، فسرى عنه ﷺ، ثم التفت الى الحائط فقال: «لم أر كاليوم فى الخير والشر، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط».



أراد النبي ﷺ أن يبين للناس فائدة ترك السؤال عن أشياء لم تقع، وضرر كثرة السؤال، لما فيه غالباً من التعنت، وخشية أن ينزل بسببها وجوب المسئول عنه أو تحرime، أو أن تقع الإجابة بأمر يستثقل قد يؤدى إلى ترك الامتثال، فتقع المخالفة، فافهمهم أنه يجمل بهم أن يتركوه بغير سؤال مدة تركه لهم بغير أمر بشئ، ولا نهى عن شئ، وألا يكثروا من الاستفصال عن مواضع لاتفيدهم، ولا من التنقيب عما يفضى بهم إلى الوقوع فيما وقع فيه غيرهم، ثم ذكر لهم سببين جوهرين من أسباب هلاك الأمم السابقة عسى أن يحذروهما، ويتقوا آثارهما الضارة.

فأما السبب الأول، فهو كثرة السؤال عما يعينهم من غير ضرورة، وقد اختلف فى المراد بالذين كانوا قبلهم، فقيل: هم قوم عيسى، سألوه إنزال المائدة، ثم كفروا بها، وقيل: هم قوم صالح، سألوه الناقة، ثم عقروها وكفروا بها، وقيل: هم قوم موسى، سألوه أن يريهم الله جهرة، وأن يبين لهم البقرة التى أمروا

(٤) صعب المسائل وشدادها.

يكثُر وقوعه، وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبية، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يُعرف إلا بالنقل الصرف، والكثير منه لم يثبت فيه شيء، فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك، ماتوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة، كحديث أبي هريرة: «لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟».

وقد انقسم العلماء إزاء كثرة السؤال إلى أقسام ثلاثة: فمنهم من سد باب التساؤل، وأحكم إيصاده، حتى قل فهمه وعلمه لحدود ما أنزل الله على رسوله، وصار حامل فقه غير فقيه.

ومنهم من فتح الباب على مصراعيه، وتوسّع في توليد المسائل، وتفريع الفروع، وأسرف في ذلك، واشتغل بتكليف الجواب عنها، وكثرة النقاش فيها، والمجدل عليها، حتى نشأ عن ذلك افتراق القلوب، واستقرار الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء فيها.

ومنهم من جعل همّه موجّهاً إلى البحث عن معاني كتاب الله، وما يفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة التابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، والتفقه فيها وفهمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة، والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريق السلف من فقهاء الأمصار من التابعين

والأسئلة التي في القرآن، كسؤالهم عن الكلالة والخمر والميسر، والقتال في الشهر الحرام واليتامى والمحيض والنساء والصيد، وغير ذلك.

وقال البغوي في شرح السنة: المسائل على وجهين: أحدهما ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين، فهو جائز، بل مأمور به. لقوله تعالى:

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ۖ ﴾ (٥) الآية، وعلى ذلك

تنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما، وثانيهما ما كان على وجه التعنت والتكلف، وهو المراد في هذا الحديث.

وقد حرر بعض الأئمة هذا الموضوع. فقال ما خلاصته: والتحقيق أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين: أحدهما أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهه، فهذا مطلوب ولا مكروه، بل ربما كان فرضاً على من تعين عليه من المجتهدين.

والثاني أن يدقق النظر في وجوه الفروق، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع، أو بالعكس، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردى مثلاً، فهذا الذي ذمه السلف، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود: «هلك المتنطعون»، فرأوا أن فيه تضییع الزمان بما لا طائل تحته، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب، ولا في السنة، ولا في الإجماع، وهي نادرة الوقوع جداً، فيصرف فيها زماناً كان صرفه في غيرها أولى، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع فيما



ﷺ: « فإذا أمرتكم بشئ، فأتوا منه ما استطعتم » فإنه - كما قال النووي - من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطاها رسول الله ﷺ، ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام، كالصلاة

بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها، أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل، غسل الممكن، وإذا وجد بعض مايكفيه من الماء لطهارته، أو لغسل النجاسة، فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات، أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم، أو نحو ذلك، وأمكنه البعض، فعل الممكن، وإذا وجد مايستر بعض عورته، أو حفظ بعض الفتحة. أتى بالممكن، وأشبه ذلك كثيرة غير منحصرة، وهي مشهورة في كتب الفقه.

والجملة الثانية قوله ﷺ: « وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه » وهي على إطلاقها في إفادة اجتناب كل منهي عنه، فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة، وشرب الخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، أو نحو ذلك، فهذا ليس منهي عنه في هذه الحال، كما تدل أيضا على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات، لأنه أطلق الاجتناب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة.

وصفوة ما يقال في هاتين الجملتين: إن من امتثل ما أمر به النبي ﷺ، وانتهى عما نهى عنه، وكان مشغلا بذلك عن غيره، حصلت له النجاة في الدنيا والآخرة، ومن خالف ذلك، واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه الرسول من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، وعدم انقيادهم، وطاعتهم لرسولهم.

فمن بعدهم، حتى حدثت الطائفة الثانية، فعارضتها الطائفة الأولى، فكثر بينهم المراء والجدال، وتولدت البغضاء، وتسموا خصوما، وهم أهل دين واحد، والتوسط والاعتدال هو الخير في كل شئ.

وأما السبب الثاني من أسباب هلاك الأمم الماضية، فهو اختلافهم على أنبيائهم، ومعارضتهم لهم، وتكذيبهم لشرائعهم، وخروجهم على وصاياهم، وانحرافهم عن مبادئهم، وإهمالهم العمل بتعاليمهم، والمراد به - على الجملة - كل اختلاف مذموم يؤدي إلى كفر أو بدعة، ويكون سببا في تفرق القلوب، وتباين الأهواء، وتعدد الجماعات، ووجود الانقسامات، وتوهين عرى الدين، وإضعاف شوكة الإسلام، كما وقع بين الخوارج قديما، فإنهم كانوا يطعن بعضهم في بعض، ويتبرأ بعضهم من بعض.

وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين، ومناظرة أهل العلم على سبيل تحقيق الفائدة، وإظهار الحق، وإعلاء كلمة الله، فغير منهي عنه، بل مأمور به، وفضيلته ظاهرة، وقد جرى العمل عليه من عهد الصحابة إلى الآن.



بعد أن أجمل النبي ﷺ هذين السببين المؤثرين في كيان الأمم ووجودها، أراد أن ينبه الناس على أن الأولى بهم، والأجدى عليهم أن يتركوا التساؤل عما لا يعينهم ولا يفيدهم، وأن يشتغلوا بالأهم الذي يحتاجون إليه عاجلا، وأن ينصرفوا عن كل ما يعوقهم عن ذلك، وهذا لا يكون إلا بالاعتصار على فعل ما يطيعونه مما يأمرهم به، واجتناب كل ما ينهاهم عنه، وقد أوضح لهم ذلك في عبارتين شاملتين، وجملتين جامعتين: الجملة الأولى قوله



الصَّيْمُ

كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

* تمهيد :

ها أنتم هؤلاء أيها المؤمنون تنادون من مكان قريب .. إذن فأنتم أحياء لأنه لا ينادى إلا الحي .. !

وإذن .. فنعمة الحياة تفرض عليكم أن تتصرفوا تصرف الأحياء .. لتكونوا أهلاً لهذا الشرف العظيم .. وعليكم أن تسألوا أنفسكم .. بم كنا أحياء ؟

والجواب : بالإيمان .. الذي اختاره تعالى وصفا لكم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ . وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١)

ولن يكون إيمان إلا بثمرته من الطاعة .. التي تتحول في كيان المسلم طاقة ترفعه إلى أعلى .. حراً طليقاً .. كأنما هو الغمامة البيضاء .. المحملة بالغيث .. يحيى الله به الموات ..

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٢)

وفي مقدمة الطاعات : الصيام .. هذا الصيام الذي لم يتكرر ذكره في القرآن الكريم كما تكرر غيره من العبادات من حيث كونه سرّاً بين العبد وربّه .. ومقياس قربه من ساحات رضوانه تعالى .. وإذا كانت

صامت الأكوان .. بما فيها الإنسان .. فمضى تصوم المدافع ؟!

للمستأذنين / محمود عمارة



منه درسا مفيدا.. ووسيلة إيضاح تكشف عن سر مكنون من أسرارہ.. يعيننا على أمر الله - تعالى - إعانة تجعل الكون نغماً منسجماً.. يتحقق به الجمال أروع الجمال.

في مملكة الحيوان

يقولون: كان صوم الحيوانات درسا جديرا بالتأمل.. تبصرة وذكرى، وكان صومها في أغلب الأحيان تعبيراً عن الألم أو الحزن.

فالحصان المريض يمتنع عن الطعام وإذا أصيبت الكلاب بكسر في عظامها تصوم فترة قد تمتد إلى عشرين يوماً، ويحملها الوفاء المغروس في جبلتها أن تصوم حزناً على فقد صاحبها، تشاركها العصافير، والحيوانات التي تمسك عن الطعام تعبيراً عن الأسى لما أصابها.

حكمة بالغة

ويلاحظ المربون أن هناك غاية عليا تستهدفها الكائنات من صومها.. وعلى الإنسان أن يستوعبها.. فهو أحق بها وأهلها.

فواقع الإنسان يقول: إن الكثرة سبيل إلى الوجود.. واستمرار هذا الوجود.. وقد يلهينا التكاثر أحيانا حتى نزور المقابر.. فخرا وبطرا.. وقد تسكرنا متعة الطعام والشراب فنحسب ذلك سبيلا إلى القوة والاستمرار.. مع أن الحكمة البازغة من دنيا الحيوان.. والطيور.. تؤكد للإنسان أن الحرمان وأن القلة.. هي السبيل إلى الوجود واستمرار هذا الوجود.. وأننا بالصوم نرقى

التقوى غايته.. والجنة جزاءه.. فلن تكون صائماً إلا إذا صرت على مستوى أهل الجنة صفاء ونقاء.

الصوم في دستور الحياة

من ملامح المنهج القرآني في الدعوة أنه يأمر.. ثم يعين المأمور على الامتثال تلطفاً به.. وشفقة عليه.. وقد أعان سبحانه المسلم على الامتثال بما قرره من قدم فريضة الصوم التي مارسها الأقدمون وهي قدرة الإنسان في كل زمان.

بل إن الصوم «مادة» أصيلة في دستور الأحياء.. في مملكة النبات.. والحيوان.. قبل الإنسان ومعه: في مملكة النبات (٣).

يقول العلماء: (لأن قدر للأشجار أن تعيش واقفة وتموت واقفة فليس للشجر أن يهبط إلى جحور أو كهوف أو مخابىء، وليس له أن ينكمش أو يلتف على نفسه.

وحين يأتي الخريف، مؤذنا بقرب الشتاء - خاصة في الشمال - حيث تتجمد المياه وتهطل الثلوج، ويلف الصقيع كل شيء، لا يجد الشجر أمامه إلا أن يتخفف حتى يكفيه القليل.. ويعبر قساوة الشتاء.. تتساقط الأوراق، حتى تتعري الفروع، ويقف الشجر في ثبات لا يريم، ومع عودة الربيع: ينتفض الشجر.. يدفع الحيوية إلى اللحاء والفروع: فيلين اللحاء، وتبزغ البراعم، ثم تنفجر الخضرة والألوان.. وكأن الشجر يفطر بفرح.. بعد صومه الطويل).

وإذا كان الخالق - سبحانه وتعالى - قد جعل لنا من الشجر الأخضر نارا.. فإنه - سبحانه - يجعل

(٣) راجع مجلة العربي، مارس ١٩٩٣.



استرخاء تأباه طبيعة الرحلة الطويلة.. إلى جانب ما يحقق الصوم من استهلاك ما تراكم عليها من شحوم.. فتكون أكثر رشاقة وحركة، فتغالب التيار بكفاءة.. وتناور الصيادين باقتدار..

﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (٤).

ومن الحيوانات والحشرات ما لا يطيق الصوم فيهاجر إلى حيث الغذاء وافر.. ومنها من يدخر من يومه لغده.. ومنها من يؤثر النوم فصل الشتاء كله.. حتى إذا جاء الربيع خرجت من جحورها محكومة بالفطرة التي لا تخطيء.. وكأنا تحكى قصة الإنسان.. على تعدد مناهجه ووسائله، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نَعْلَمُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٥).

ولم يكن الصيام مجرد إمساك عن الطعام والشراب.. لكنه كان دواء وشفاء:

أ- كان «أبقراط» طبيب اليونان يصف الصوم في أخرج لحظات المرض ثم يقول: «كل إنسان منا في داخله طبيب، وما علينا إلا أن نساعده، حتى يؤدي عمله».

ب- وقد وعى المصريون القدماء هذه الحكمة.. فكانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر ثم تخلصوا بهذا الصوم من كثير من الأمراض المتوطنة، مما حدا بالمؤرخ «هيروdot» أن يعزو سلامة أبدانهم إلى هذا الصوم.

ونسعد.. في الوقت الذي يشقينا إدخال الطعام على الطعام!

سـ فئنة الصـحراء

يمضى الجمل - سفينة الصحراء - في الهجير أياما وليالي.. فهو يقطع الصحراء - بين الحرارة والجفاف - دون أن يببت أو يتوقف.

ويمثل سنامه مخزن الشحم الذي يحترق رويدا.. فيمده على المدى الطويل بالحياة.

✽ في دنيا الأسماك:

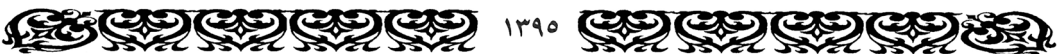
إذا قال الشاعر العربي:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبدا لأول منزل

فإن «أسماك السلمن» محكومة أيضاً وبصورة فريدة.. بهذه القاعدة الفطرية: فهي تحن أيضاً إلى منابتها الأولى ويشتد بها الحنين كلما أرادت أن تضع بيضها.. وبالذات في تلك الأماكن التي وضع أباًؤها البيض فيها.. ولكن ما حيلتها وعودتها تكلفها رحلة مضنية قد تبلغ ٦٠٠ ميل حتى تصل إلى مصبات الأنهار بالشمال.. ثم ماذا هي فاعلة أمام الموج الغلاب.. في رحلة قد تمتد لأشهر يتربص بها عدوان: صياد البشر.. وصياد الطيور الجارحة؟!

ويغلبها الحنين.. فيشتد إحساسها بالحاجة إلى العودة للوطن الأم في مصبات الأنهار.. والحاجة كما يقولون تفتق الحيلة.. وقد هدتها الحاجة إلى أن تتخذ من الصوم ركوبا إلى تحقيق غايتها، فهي لا تجد وقتا لازدراء الطعام.. وما يترتب عليه من





من الأحيان علواً على الجماد المسخر واستقلالاً عن تيار الضرورات .

الصيام بجميع درجاته وأنواعه هو أحد وسائل النفس العديدة التي تثوب إلى وجودها، وتستقل بها عما حولها، وأنه إذا ظهر في بعض جوانبه بمظهر إنكار الذات فهو في أعماق أعماقه تقرير للذات وإثبات لقيامها بنفسها واستغنائها عما هو خارج عنها، ومن أثبت إرادته، وقرر عزيمته فهو في الواقع يقرر نفسه ولا ينفىها أو ينكرها .

متى تصوم المدافع

وهكذا صام النبات .. والحيوان .. والإنسان .. فمتى تصوم المدافع؟؟!

إن كثيراً من الحكومات اليوم تنفق خمس ميزانياتها على الصحة والتعليم والعمارة، ثم ترصد أكثر من نصف ميزانياتها على الأسلحة الفتاكة .. ووسائل الدمار الشامل .

وإذا جعل الله - تعالى - بأس الكافرين بينهم شديداً .. فذاق بعضهم بأس بعض .. فكيف بالمؤمنين وقد جعلهم الله - تعالى :

﴿ أَشَدَّ أَسَدًا عَلَى الْكَافِرِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ ﴾ (٦)

لقد صام الكون .. من حولنا أيها المسلمون المتناحرون .. وصامت المعدة في كيانتنا، فمتى تصوم المدافع التي تأكل الأخضر واليابس .

فليكن رمضان فرحة للجلوس حول مائدة المفاوضات .. ولنمسك على الأبرياء حياتهم .. فلا نضيعها .. لنكن كرماء .. في شهر كريم!

جـ - وكان «أبيقور» يصوم أربعين يوماً لشحذ قواه العقلية .. وتنشيط طاقة الإبداع فيه .

د - أما سقراط فكان يصوم عشرة أيام كلما أراد أن يحسم قضية خطيرة تعترضه .

إن الطعام أثير لدى الإنسان

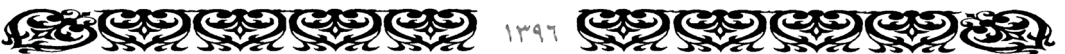
فإذا قعدت على الطعام وأنت تشتهييه .. ثم أمسكت عنه وأنت تشتهييه .. كان ذلك هو الدواء الذي لا داء معه .. يشفى جسمك من الأمراض .. ويبقى مداركك من الخمول .. فإذا الإنسان على أوفى معاني الصحة النفسية والجسمية بهذا التدريب .. بسلح الإرادة التي يصير بها سيدا .

وهكذا .. وبالإرادة الصلبة .. يأخذنا الصوم من أنفسنا الأمانة التي تمرغنا في التراب .. لنحلق في الجواء العالية .. ثم نعود إليها أخيراً بطرائف الحكمة .

ألا وإن الحياة كما يقول العقاد : بحر هائل في أحشائه من الدرر والآلئ والآف والآف فلماذا لا نطرح شبّاكنا .. بل لماذا بالإرادة لا نغوص في أعماقه لنستخرج ما قدر لنا منها :

ولن نستطيع الفوز بها إلا بطويل النفس ! ومادمنّا أحياء .. فلا بد أن ننسجم مع قانون الحياة .. الحياة المتقلبة : بين صعود وهبوط، وصحة ومرض .. وفقر وغنى .. لا بد أن نكون في وضع الاستعداد دائماً .

يقول العقاد : « الصيام بكل أنواعه وفي كل درجة من درجاته وسيلة من وسائل لا يستغنى عنه أحد في مزاوالت الحياة ولا بد لنا منه في كثير



إعجاز الكلمة في شهر القرآن

فضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

مستوى لياقة جيدة .. وكذلك أنظمة القهر والقمع، تتفنن وتتقدم لكن إلى الوراء في فن التعذيب والتنكيل، فتضع المعارضين في غرف مغلقة معدة علمياً وعن طريق التحكم في الأكسجين وتقليله عما يحتاجه الجسم فتموت خلايا الجسم فيختل البنيان الجسمي والعصبي والنفسي للإنسان دون تعذيب بدني تظهر آثاره بالعين المجردة.

أرأيت التقدم إلى الوراء .. والاستخدام المنحط للعلم والتكنولوجيا في بلاد الزعيم الأوحى؟! ...
أي زعيم، فكلهم زعماء؟! ...

مالنا ولهذا الاستطراء .. فلنلق مع القرآن في شهر القرآن .. وثمة تعبير نبوي يأسرني عن علاقة المسلم بالقرآن.

وكل حديثه ﷺ أسر - يقول حبيبي ﷺ : « من حفظ القرآن فقد استدرج النبوة، إلا أنه لا يوحى إليه »^(١) .. أرأيت إلى هذا التعبير الشفاف الآخذ، ارتقى بك إلى ما فوق حلم البشرية المجاهدة، العاملة،

ارتبط رمضان في حياة المسلمين بالقرآن، وارتبط القرآن بحياة المسلمين في كل حين.

وما أن يهل الشهر المبارك حتى ينشط المسلمون جميعاً وكأن قوى كامنة فيهم قد استيقظت بعد رقاد، فتصدهح ساحات المساجد والمنازل بآيات الكتاب المعجز في الليل والنهار.

وعلاقة المسلمين بالقرآن - في رأيي - فوق اللغة وفوق التمييز الذاتي أو الإحساس بالذات، إنها علاقة تشبه علاقة الكائن الحي بالأكسجين، فالكائن الحي - الزهرة مثلاً - تذبل وتضمحل شيئاً فشيئاً لو أنك حرمتها من الأكسجين.

كما أن علاقة الإنسان بالأكسجين - كما يقول العلماء - أقوى من الغذاء، حيث إن الغذاء لا يفيد الجسم ما لم يتحد بالأكسجين، فلا معنى لغذاء جيد في جو فاسد ملوث قليل الأكسجين.

بل إن خلايا الجسم تموت إذا قل الأكسجين، ولذلك فإن الطب الرياضي - في العالم المتمددين - يهيم صالات مغلقة لإقامة اللاعبين وعن طريق التحكم في الأكسجين يستطيع أن يصل إلى

الحديث : كل كلمة فيه دستور، وجسر لو أرادت الأمة أن تعبر عليه، وطوق نجاة لو أردنا أن ننجوا من الطوفان» . . لكن فيه كلمة وقفت حبالها زمناً، وأقول بصدق : مازلت أقف غير جازم بفحواها، وما المراد منها، وما هي العجائب التي يخبئها القرآن الكريم .

لا تقل لي علوماً وفهوماً سامية، فذلك مسلم واضح، لكنه لا ينضو بحال تحت (العجائب) بل هو من بديهيات القرآن الكريم، بل إن العلوم والفهوم السامية، هي مجاله وميدانه وعالمه، أما العجائب، فما هي؟! . . وكيف أنها لا تنقضي، أى لا تنتهى؟! .

كلها أسئلة تحتاج إلى جواب مقنع، وظلت فى ذهني حائرة، وأصبح المعنى طليماً أو قريباً من ذلك، وبقيت على ذلك زمناً حتى يسّر الله لى كتاباً أحسب أنه دلف بى إلى هذا المعنى العجيب وأنه فتح باباً للتأمل فى كتاب الله - تعالى - لا فى النظم والجمل، بل فى الكلمة المفردة، ونحن نعلم أن الخط العثماني أتى موافقاً للقراءات المتعددة بحيث إنه يوائمها جميعاً ويتسع لها فى حنوٍ معجز، إلا أن موضوع اليوم . . يخرج من هذا النطاق ليفتح مجالاً آخر .

فى هذا العصر اللاهث يجب على المسلمين أن يقرءوا القرآن على مهل ويتأملوا، لا أقول : جمّله وكلماته، بل أقول : حروفه، فسوف يجدون الأمان والرغد .

وكأنه يؤكد ما رددته زمناً ومازلت أطلب المسلمين به وهو أن يقرءوا القرآن على مهل .

لقد استخدم القرآن كلمات معينة ورسمها رسماً يغيّر الرسم الإملائي، أليس ذلك غريباً وعجيباً وملفت للنظر؟! .

الناصبة، إلى مقام النبوة فى رفق ويسر بكلمة واحدة تشى بالمعنى العبقري الفرد « النبوة » فيداعبك الحلم . وكأن مقام النبوة بين يديك وأنت مترعب فوق مقام الصديقية، لو أنك حفظت القرآن أو كنت حافظاً له . أرايت مقام النبوة العظيم الشاهق السامق، كأنه يصبح قيد المداعبة، تستدرجه أنت بحفظ القرآن!! . .

يا لحقم البشرية، بل يا ويل المسلمين إذ تنكبوا طريق القرآن وشريعة رسول الله ﷺ .

منذ الطفولة ونعومة الأظفار، والقرآن الكريم سمير وجليس وأنيس، وشعار وعلاج ومنهج، كما أنه دراسة وحياة ودستور ونظام .

وحفظت، كما حفظ المسلمون حديثاً للنبي ﷺ يرويه عنه سيدنا عليّ - رضى الله عنه وكرم وجهه - يقول : « أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا إنها ستكون فتنة . . قيل : فما المخرج منها يا رسول الله : قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشيع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا :

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ ۞ ﴾ (٢) .

من قال به صدق، ومن عمل به أجّر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم» (٣) . . أو كما قال رسول الله ﷺ : « هذا هو

يؤجر عليها المسلم، لأنها سنة وردت عن رسول الله ﷺ فليلاحظ هذا المعنى. فما سر اختلاف الرسم في بعض الكلمات؟! وما دلالة؟!..

إن هذا الاختلاف معجز؟!.. وإلا فلماذا يحافظ القرآن على كلمة معينة ترد فيه تخالف الرسم الإملائي؟!.. قد نلتبس لذلك الاختلاف معنى، لكننا سوف نبقى في نطاق الشك أو الظن والتخمين، وإلا فكيف ترى كلمة «الليل» في

المصحف كله تُكْتَب هكذا: ﴿أَلَيْلٌ﴾ بلام واحدة في القرآن كله؟ لماذا، وما السرف في ذلك؟ الأعجب من هذا أن تختلف كتابة الكلمة الواحدة، فمرة تُكْتَب برسم، ومرة أخرى تُكْتَب برسم آخر، والأشدّ عجباً أن تتكرر كلمة في المصحف مرات عدة، وتأتي في مرة واحدة برسم مختلف، فهل هذا من عند سيدنا عثمان.. ولماذا؟!..

ولنضرب لذلك أمثلة توضح الموضوع، ونرجو من المسلم في شهر القرآن أن يتتبعها في هدوء وسكينة وهو يتلو كتاب الله - تعالى - عسى الله أن يَمُنَّ عليه بسر من أسرارهِ.

فمثلاً: كلمة (الكتاب) وردت في القرآن ٢٥٥ مرة لماذا اختلفت في قوله - تعالى - :

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الرعد ٣٨.

وقوله تعالى :

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾

الحجر ٤

وقوله تعالى :

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾

الكهف ٢٧

وقوله تعالى :

بل إن قول رسول الله ﷺ : «اقرأوا القرآن، فإن لكم بكل حرف عشر حسنات، لا أقول

﴿المر﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».. أليس هذا تأكيداً وحثاً على العناية بالحروف؟!.. وأدائها كما ينبغي، فإن لكل حرف ميزانه في الحسنات، يؤجر به المسلم، حين يؤديه كما أمر الله .

ولا يلتفت الذين يستصعبون الأمر ويتهمون معلمى القرآن بأنهم يريدون أن يقصروا القراءة على مجموعة من الناس مثل بعض الكتب قبله، وتلك حجة مزيفة .

أليس فيما نحن بصددهِ من إعجاز الكلمة، فيه رد على الذين ينادون بكتابة المصحف بالخط الإملائي؟!.. مع أننا نُوَكِّل نياتهم وأهدافهم إلى الله - سبحانه وتعالى - يسألهم عليها يوم تُبْلَى السرائر، ويوم تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى منكم خافية .

إن تَمَسَّكُ المسلمين بالرسم العثماني ليس من قبيل الجمود الذى يزعمه دعاة الحداثة - وما أدراك ما الحداثة - فى رأى أن رسم المصحف هو رسم توقيفى من عند الله - تعالى - مثل نص القرآن تماماً، وإنما نُسَبَ إلى سيدنا عثمان تجاؤزاً غير قليل، على ملامح أنه أول من جمع القرآن الجمع النهائى، ووزعه على الأمصار .

أما أن يكتب سيدنا عثمان - وهو العربى - رسماً يخالف ما ألفه وما ورد عنه فى كتاباته وفى رسائله العادية.. فلماذا؟!.. ولو أن سيدنا عثمان اخترعه، كيف لم ترد رواية واحدة ولو ضعيفة على أن أحد الكتبة يومئذ عارضه فيما رآه أو ناقشه، أو استفهم عن سر تغيير ما ألفه الناس من كتابة؟ هذا دليل على أن الخط توقيفى من عند الله - سبحانه وتعالى - ولذلك لا يجوز تغييره، وملاحظة ذلك أثناء التلاوة والكتابة

وكلمة: (نشاء) وردت في القرآن الكريم (١٨ مرة) ﴿نَشَاءُ﴾ بالرسم الإملائي، ووردت مرة واحدة بصورة مختلفة ﴿نَشَوُا﴾ وذلك في قوله - تعالى - في سورة هود الآية ٨٧:

﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلُونَا أَتَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾
ثم تعال تأمل معي إلى آيتين في كتاب الله وردت إحداهما برسم والأخرى برسم مغاير، فلماذا؟! ..
تأمل قوله - تعالى - في سورة الأحزاب الآية ٥٣:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾
فهذه موافقة للرسم الإملائي، وتأمل معها قوله - تعالى - في الآية ٥١ من سورة الشورى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾

ثم لتكن هذه آخر الملاحظات، أدفعك بها إلى التأمل والقراءة على مهل .. انظر إلى كلمة: (إبراهيم) لماذا ترد في سورة البقرة ١٥ مرة برسم البقرة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، ثم ترد في القرآن كله عدا سورة البقرة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

وأرجو لك رحلة مع أبي الأنبياء في كتاب الله تحصى مواضع ذكره برسم إبراهيم في القرآن كله عدا سورة البقرة وهي (٤٥) مرة.

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٤)
في هذه المواضع الأربعة وردت كتاب بالألف .. وفي باقى القرآن كله وردت بدون ألف هكذا:

﴿الْكِتَابِ﴾ ما سر هذا الاختلاف؟! .. أرجو من المسلم أن يتتبع هذه الكلمة لعل الله أن يفتح عليه بمعنى أو يسر يقض غوامض هذه التساؤلات.
لقد أورد كتاب: (تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان) لمؤلفه المهندس / محمد شملول .. إحصاء لكثير من الكلمات وكان دقيقاً في إحصائه إلى حد كبير، أما نتائجه وتعليقاته فهي غير مسلمة وذلك جهد مشكور له يفتح الباب للمسلمين إلى تأمل سوف يؤتى ثماره لبعض عباده بإذن الله تعالى.
وهذا التأمل أسأل الله أن يكون من المسلمين جادا، وعلى مستوى كتاب الله - تعالى - فإن هذا البحث جدير بأن تعيه القلوب، فانت تجد مثلاً كلمة: (ساحر) ترد في القرآن الكريم هكذا:

﴿سَاحِرٌ﴾ ثم تختلف في آية فتأتى هكذا:
﴿سَاحِرٍ﴾ في قوله - تعالى -:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥).

والأعجب الذى لا يترك لك وهماً بأن هذا خطأ من الناسخ، أن هذه الكلمة وردت في آية واحدة مرتين مرة بالألف، ومرة بدون ألف .. اقرأ قوله - تعالى - وتدبره في الآية ٦٩ من سورة طه:

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾

هَيْلَالُكَ الصَّوْمِ

لِلأستاذ الدكتور/ عبد المنعم عبد الله حسن

وأنسام على الدنيا تهف
وبشرى يوم مقدمه تُزف
لنبتع فـلـيـك هام لا يجف
وبين ضلوعنا حب يشف
ونورك في حنايا القلب طيف
لكم بتنا شهور العام نهفو
وكم تحلو بك الدنيا وتصفو
رياحينا لها عبق وعرف
وباغى الشر في حزن يكف
فيخبو باطل، ويزول حيف
تراها عن خطاياها تعف
وتصفو لا يشوب الهدى زيف
فيحفظ منطق ويغض طرف
يفيض على وجوههم ويطفو
فما ينتابهم وهن وضعف
وإن يدع الأذان مضوا وخفوا

على الأفق البعيد سناً يرف
شعاع من هدى (رمضان) آت
فكم باتت نفوس ظامئات
وكم بتنا وفي الأعماق شوق
قضيـنا أشهر الحول ارتقاباً
فأشرق يا هلال الصوم إننا
تطيب بك الحياة على مداها
فأبواب من الجنات فاحت
وباغى الخير يقبل في سرور
وهديك يملأ الأيام خففاً
إذا ما الصوم أشرق في نفوس
وتسمو بالهدى فوق المعالي
يعف الصائمون عن الدنيا
ويرسو في قلوبهم ضياء
فوارس في نهار الصوم بسُل
فهم في رزقهم نحل دؤوب



يُضَيُّ بِهِمْ لِهَذَا اللَّيْلِ جُوف
وَإِنْ دَمَوْعُهُمْ لِلَّهِ صُورُف
يَعْمَهُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ عَطْفُ
فَفِي (بَدْر) لَجِيشِ الْحَقِّ زَحْفُ
بِهِ قَدْ حَلَّ بِالْكَفَّارِ حَتْفُ
وَحَلَّقَ فِي سَمَاءِ الْحَقِّ سَيْفُ
بِجُجُولَاتٍ لِبَدْرِ هُنَّ رَدْفُ
بِهِ دَوَى عَلَى الْأَعْدَاءِ قُصْفُ
وَتَحْتَ تَهُمُ بِكُلِّ الْأَرْضِ رَجْفُ
وَدَكِ السَّيْدِ إِرْعَادٌ وَعُصْفُ
وَلَيْسَ يَفِي بِهِ رَسْمٌ وَوُصْفُ
وَكَمْ يَحْلُو لَنَا رَى وَرَشْفُ
يَطِيبُ لَنَا مِنَ الْآيَاتِ قُطْفُ
فَكَمْ يَحْوِي مِنَ الْحَسَنَاتِ حُرْفُ
كِتَابِ اللَّهِ، إِنَّهُمْ أَلْدُوفُ
فَلَيْسَ عَلَى ذَوِي الْإِيمَانِ خُوفُ
فَكُلِّ الصَّائِمِينَ أُخْ وَإِلْفُ
فَيُكْرَمُ سَائِلٌ وَيُعْزُ ضَيْفُ
وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ يَسُودُ لُطْفُ
فَلَمْ يَعْرِفْ خِلَاقَ الصَّوْمِ عُنْفُ
فَتَسْخُو، وَالضَّمِيرُ الْحَيُّ عَفُ
فَإِنْ ثَوَابِكَ الْمُبْرُورِ ضَعْفُ
وَكَمْ رُفِعَتْ إِلَى الْعَلِيَّاءِ أَكْفُ
وَتَرْجُو اللَّهَ، عَلَّ اللَّهُ يَعْفُو
وَإِنَّا أُمَمَةُ الْإِسْلَامِ صَفُ

وَهُمْ فِي لَيْلِهِمْ بَاتُوا قِيَاماً
تَعَطَّرَ فِي سَنَا الْقُرْآنِ هَدِيَا
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ حَتَّى
هَلَالَ الصَّوْمِ، خَلْفَكَ ذِكْرِيَا
تَجَلَّى النَّصْرُ فِيهِ، وَكَانَ يَوْمًا
هُوتَ فِي الْأَرْضِ أَسْلُحَةُ الْأَعْدَا
وَفِي (رَمَضَانَ) كَمْ نَصْرٍ، وَنَصْرُ
فَهَذَا الْعَاشِرُ الْمَيِّمُونَ بَاقُ
وَفَوْقَهُمْ يَدْوِي الْأَفْقُ نَارَا
وَخَرَّ مَحْطَمًا سَدٌّ مَنِيْعُ
وَيَوْمَ عِبُورِنَا رَمَزَ كَبِيرُ
هَلَالَ الصَّوْمِ، وَالْقُرْآنُ نَبْعُ
وَأَيَّاتِ الْهَيْدَى أَحْلَى رِيَاضُ
نَرْتَلُهَا فَنَغْدِقُ بِالْعَطَايَا
وَإِنَّ الصَّوْمَ عَانَقَ فِي امْتِزَاجُ
يَفِيضُ تَقَى، وَتَقْوَى اللَّهِ أَمْنُ
هَلَالَ الصَّوْمِ يَاشْهُرُ التَّآخِي
يَعْمُ الْخَيْرُ فَيَكُ عَلَى الْبَرَايَا
وَيَنْتَشِرُ التَّرَاحُمُ وَالتَّصَافِي
إِذَا صُمْتَ ارْتَقَيْتَ وَلَنْتَ حَسَا
يَعْلَمُكَ الصِّيَامُ سَخَاءَ نَفْسُ
وَإِنْ فَطَرْتَ مِنْ صَامٍ احْتِسَابًا
هَلَالَ الصَّوْمِ كَمْ لَهَا جُتْ قُلُوبُ
تَنَاجَى بِالتَّسَابِيحِ ابْتِهَالَا
وَيَجْعَلُ رَايَةَ الْإِسْلَامِ تَعْلُو



الصوم وأنواعه

للأستاذ الدكتور / محمد بدر معبدى

حكمة الصوم

جماع الشهوات، ويكسر من حدتها يقول ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١) أى له وقاية.

ومن رحمة الله - تعالى - أن شرع فى الإنسان الضوابط التى تهذب الغرائز وتعالج أدواءها لتظل الفتنة نائمة والشهوة ساكنة وتبعد هذه الضوابط المسلم عن مغريات الحياة. وكان الصوم واحدا من أنجع السبل النائية بغرائز الإنسان لتبقى فى قرار مكين على مدى شهر كامل بعيدا عن كل حركة تغرى بالإثم أو توقظ الفتنة، وحكمة الصوم مذكورة فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

شرع الله - جل جلاله وتباركت آلاؤه - صوم شهر رمضان لنزول القرآن ووقوع ليلة القدر فيه التى هى خير من ألف شهر، فكان رياضة للأجسام وردعا للأنفس وعلاجاً لكثير من أدواء النفوس، وطباً ناجعاً لما يحل بالمجتمع من الأمراض، وإن نظرة واحدة فى حال الإنسان لترشدك إلى أنه إذا شبع تكالب على الشهوات، وانطلق إلى اللذات واحتال فى جمع المال من حلال أو حرام، لا يعمل الخير إلا مسبوقاً بقانون، ولا يجتنب الشر إلا رهبة من ذى سلطان، ولكن الصائم إذا جاع ضعفت قوته الحيوانية، وضرب بسهم وافر فى الطيبات الصالحات يكفى الناس شره ويدفع شرور آخرين، يفعل الخير لمحض الخير، ويترك الشر زهداً فى الشر، وليس أصدق من كلام الصادق الأمين ﷺ فى أن الصوم يكبح

(٢) البقرة (١٨٣).

(١) أخرجه البخارى ٤/٧، والبيهقى ١٨٤٥.



والقال والغيبة والنميمة وإلا فسد الصيام،
وصدق من يقول ناهياً المسلمين أن يشغلوا
أنفسهم بما يغضب الرحمن في شهر الصيام.

لا تجعل رمضان شهر فكاهة

دوما تقضى بالقبيح فنونه

واعلم بأنك لن تكون تصومه

حتى - أخى - تصومه وتصونه

وقد ورد أن الرسول ﷺ «مر على قبرين
فأخبر أصحابه بأن صاحبيهما يعذبان في صغير
- أى ذنب صغير - وما يعذبان في كبير، إن
أحدهما كان يمشى بين الناس بالغيبة
والنميمة والآخر كان لا يستبرئ من بوله»^(٦)،
ولكى يكون الصوم ساترا للمسلم من الذنوب
ينبغي أن يصونه من الوقوع في الرذائل يقول
ﷺ: «الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم
فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله
فليقل إني صائم إني صائم»^(٧)، أى أن الصائم
مطالب بأن يكف لسانه عن لغو الكلام، ليقوم
بدوره في صنع بيئة مسلمة يحف بها الجلال
والكمال وتثمر فيها الفريضة ثمرتها في نفسه
ثم في مجتمعه، فالصائم مسالم لا يقابل
العدوان بمثله مع إخوانه وجيرانه ومجتمعه، بل
بتذكير المعتدى بأنه صائم، تذكيرا يكفه عن
الأذى، ومن الغريب أن يصوم المسلم عن

فالتقوى غاية الصوم وثمرته، ولا يكون
للتقوى ثمرة لصوم، أى صوم، فلا بد أن
يكون الصوم بعيدا عن اللغو والرفث.

وذلك كما جاء في الحديث الشريف:
«ليس الصيام عن الأكل والشرب إنما الصيام
عن اللغو والرفث، وإن الصوم جنة»^(٣) أى
وقاية وسائر للمسلم من النار في الآخرة يقول
عليه الصلاة والسلام: «الصوم جنة أحدكم
مالم يخرقها قالوا: وبم يخرقها يا رسول الله؟
قال: بكذب أو غيبة»^(٤) فالكذب والغيبة
يفطران الصائم على حد قول بعض العلماء
وكذلك كان من وصايا سيدنا رسول الله ﷺ
لمعاذ بن جبل - رضى الله عنه - حينما سألته
وقال له: «يا رسول الله دلني على عمل
يقربني من الجنة ويبعدني عن النار. قال له
الرسول ﷺ: كف عليك هذا وأشار إلى
لسانه. قال يا رسول الله: أو إنا مؤخذون بما
تتكلم به ألسنتنا؟ قال: ثكلتك أمك يا
معاذ! وهل يكب الناس في النار على
وجوههم - أو قال على مناخرهم - شك من
الراوى - إلا حصائد ألسنتهم»^(٥) فينبغي أن
يكون لسان المسلم في الصيام رطبا بذكر الله
وتلاوة القرآن الكريم مبتعدا ومنزها نفسه -
وخاصة في هذا الشهر الفضيل - عن القيل

(٤) أخرجه البخارى ٣/٣١، ٣٤.

(٦) أخرجه البخارى ١/٦٥، ٢/١١٩، ١٢٤.

(٣) أخرجه البيهقي ٤/٢٧٠.

(٥) أخرجه أحمد ٥/٢٣١، والبيهقي ٤/٢٧٠.

(٧) أخرجه البخارى ٣/٣١، ٣٤، مسلم، الصيام ١٦٢، ١٦٣.



﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ (١٠).

و داخل أيضاً فى الحديث الذى رواه عليه السلام عن ربه - عز وجل - « ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه » (١١).

ونحاول هنا أن نلخص أنواع التطوع و ثواب كل نوع وأقوال الفقهاء التى وردت فى ذلك .

النوع الأول: صوم ستة أيام من شوال

وهو مستحب عند الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، والشافعى، وأحمد، ومحققى المالكية، وعن مالك أنه يكره صومها خوفاً من اعتقاد وجوبها .

ويستوى أن تصومها بعد رمضان مباشرة، وأن تصومها فى أى جزء من شوال متتابعة أو متفرقة . . غير أن الأفضل أن تكون بعد رمضان مباشرة بفاصل يوم العيد فقط، وأن تتابع وعدمه فى الأفضلية سواء والأصل فى صومها حديث : (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر) (١٢).

الحلال من طعامه وشرابه، ثم لا يكفه الصوم عما حرم عليه أصلاً، ومثل هذا الصوم غرم يتحملة الإنسان الذى يعذب نفسه بالجوع ثم ترتد العبادة وبالا عليه، ويرتد الصيام سلاحاً ضده، ويكون الحاصل لا شئى، ومثل هذا الصائم أيضاً ينطبق عليه الحديث الشريف الذى يقول فيه عليه السلام : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » (٨).

إن المسلم الذى يدخل أفق الصوم ثم لا يتخلص من هواياته الشخصية من الكذب واللغو وقول الزور والفحشاء فلا داعى إلى صومه البتة، لأنه حينئذ يمارس لونا من تعذيب النفس والجسم لا يرضى به الإسلام ولا يرضى به نبي الإسلام محمد عليه السلام .

إن القاعدة التى ينبغى أن ينطلق بها الصائم هى الإيمان بالله حتى يعطى حقوق الصيام كاملة ويقول عليه السلام : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (٩).

صوم التطوع وأنواعه

وصوم التطوع قربى عظيمة يتقرب بها المسلم إلى الله - تبارك وتعالى - حتى ينال رضاه ومغفرته وهو داخل فى قوله تعالى :

(٩) أخرجه البخارى ١٦/١، ٣٢/٣.

(١١) البخارى ١٣١/٨، كتاب الرقاق.

(٨) الترغيب والترهيب ١٤٨/٢.

(١٠) البقرة (١٨٤).

(١٢) أخرجه أحمد ومسلم والترمذى، وقال حسن صحيح.



النوع الثاني: الصوم فى الأشهر الحرم

والأشهر الحرم هى : ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب . ووصفت بالحرم لأنها ذات حرمة وقداسة تميزها عن غيرها، لأن القتال كان محرماً فيها فى الجاهلية وصدر الإسلام، والأصل فيها قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الْدِّينُ الْقَدِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (١٣) .

قال الإمام النووى فى زيادات الروضة .

أفضل الأشهر للصوم بعد رمضان الأشهر الحرم : ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب، وأفضلها المحرم، ويلى المحرم فى الأفضلية شعبان . فيتضح من هذا أن الصوم فى الأشهر الحرم من القربات العظيمة التى يتقرب بها العبد إلى الله - تبارك وتعالى - لعله ينال رضوان الله وغفرانه .

النوع الثالث: صوم رجب

وهو من الأشهر الحرم المرغب فى فضلها، وفى سنن أبى داود قال الحافظ مبوباً ما نصه (فى صوم الأشهر الحرم عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله ﷺ ثم انطلق فاتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته

فقال : يا رسول الله أما تعرفنى ؟ قال : فمن أنت ؟ قال : أنا الباهلى الذى جئتكَ عام الأول فقال ﷺ فما غيرك ؟ وقد كنت حسن الهيئة قال ما أكلت طعاماً إلا لبيل منذ فارقتك . فقال رسول الله - ﷺ - لم عذبت نفسك ؟ ! ثم قال ﷺ صم شهر الصبر (أى رمضان) ويوماً من كل شهر قال زدنى فإن بى قوة .. قال : صم يومين قال : زدنى قال : صم ثلاثة أيام من كل شهر قال زدنى قال : صم من الحرم واترك قالها ثلاثاً أشار ﷺ بأصابعه الثلاثة ثم أرسله) ولا شك أن رجب داخل فى الأشهر الحرم فيستحب صيام بعض أيامه .

وقال ابن حكيم سألت سعيد بن جبير عن صيام رجب وشعبان فقال : « أخبرنى ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى نقول إنه لا يفطر ويفطر حتى نقول إنه لا يصوم وما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهراً كاملاً إلا شهر رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه فى شعبان . ولا يفوتنا هنا أن صيام رجب لا يخرج عن كونه داخلياً فى الندب بالصوم فإن السنن الصحيحة مرغبة فى صوم الأيام إلا العيدين .

فقد روى الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » (١٤) .

(١٤) أخرجه الشيخان .

(١٣) التوبة (٣٦) .



النوع الرابع: صوم شعبان

اطلع الله - تعالى - إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه» (١٨). وأخرج ابن ماجة من رواية أبي موسى الأشعري بنحو اللفظ الذي أخرجه به البيهقي من رواية معاذ بن جبل قال: (يطلع الله في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن) (١٩).

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (قام رسول الله ﷺ من الليل فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: يا عائشة أو يا حميراء الوجه ظننت أن النبي قد خاس بك (أى قد غدر بك) قالت لا والله يا نبى الله ولكننى ظننت أنك قد قبضت. فقال رسول الله ﷺ: أتدريين أى ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذه ليلة النصف من شعبان يغفر الله فيها للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم) (٢٠). وعن الإمام على -كرم الله وجهه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله - تعالى - ينزل فيها لغروب الشمس لسمااء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مستزق فأرزقه ألا من مبتل فأعافيه ألا كذا كذا حتى يطلع الفجر» (٢١).

يستحب صومه كله، وإن شهر شعبان شهر اختصه الله بالبركات وهبوط النفحات ولذلك كان يحتفل به الرسول ﷺ أعظم الاحتفال ويؤثره على سائر الشهور بالصيام والقيام. وقد روى الشيخان عن عائشة -رضي الله عنها- أنه ﷺ كان يكثر صوم شعبان حتى يظن أنه من رمضان. عن أنس أنه ﷺ قال: «أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان وأفضل الصدقة صدقة في رمضان» (١٥).

(وأن النبي ﷺ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصله برمضان) (١٦).

النوع الخامس: ليلة النصف من شعبان

لهذه الليلة منزلة عظيمة ومكانة كبيرة فهي من الليالي التي اختصها الله - تبارك وتعالى - برفع الأعمال إليه وقد تراجمت الأحاديث في فضل هذه الليلة وإعطائها المنزلة اللائقة بها فقد أخرج البيهقي من رواية أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شئ إلا لرجل مشرك أو رجل في قلبه شحناء» (١٧).

كما أخرج البيهقي أيضا عن ثعلبة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان

(١٦) أخرجه أبوداود والنسائي.

(١٨) أخرجه البيهقي.

(٢٠) أخرجه البيهقي ١٣٨٨.

(١٥) أخرجه الترمذى والبيهقى.

(١٧) أخرجه البيهقى.

(١٩) أخرجه ابن ماجه.

(٢١) أخرجه البيهقى ١٣٨٨.



النوع السادس: صوم المحرم وعاشوراء

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم» (٢٢).

وكذا يسن صيام عاشوراء. وعاشوراء في الأصل صفة ليلة العاشرة ثم صار علماً على اليوم العاشر من المحرم عند الجمهور، وعاشوراء يوم معظم في الجاهلية والإسلام فكان اليهود بالمدينة يصومونه، وكانت قريش تصومه، وكانوا يعظمونه بكسوة الكعبة فيه، وكان النبي ﷺ يصومه قبل البعثة موافقة لهم، وبعد البعثة، وقبل الهجرة بالوحي، وبعد الهجرة صامه وأمر الناس أن تصومه ورغب فيه. ويستحب أن يضم إليه اليوم التاسع أو الحادى عشر مخالفة لصيام اليهود. قال رسول الله ﷺ: «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده» (٢٣) ويسن التوسعة فيه على الأهل والعيال بدون تبذير.

النوع السابع: صوم تسع من ذي

الحجة لغير الحاج:

لحديث «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعنى الأيام العشر قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله! فقال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشئ» (٢٤).

النوع الثامن: صوم يوم عرفة

وهو اليوم التاسع من ذى الحجة، ويتأكد صومه لغير الواقفين بعرفة وهم الحاج لحديث «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية» (٢٥).

النوع التاسع: صوم الاثنين والخميس

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس ف قيل له: لم تصوم هذين اليومين يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول أخرهما» (٢٦).

النوع العاشر: صوم ثلاثة أيام من

كل شهر

لحديث «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره» والأفضل أن تكون اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربى .

«أفضل الصيام صيام داود - عليه السلام - كان يصوم يوماً ويفطر يوماً» (٢٧). وفقنا الله إلى أداء هذه الطاعات والقربات حتى نظفر برضوانه وغفرانه.

(٢٢) أخرجه أحمد ومسلم والأربعة والبيهقى.

(٢٤) أخرجه أحمد ٢٢٤/١، والبيهقى ١٧٢٧.

(٢٦) أخرجه أحمد وابن ماجه.

(٢٣) أخرجه أحمد ٢٤١/١، والبيهقى ٢٨٧/٤.

(٢٥) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى.

(٢٧) أخرجه البخارى والنسائى.



خطبة الجمعة

الإيمان طريق النصر

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - هو الذى يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم، أشهد أن لا إله الا الله، جعل للحرية طلابها .. وللعزة أسبابها:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، آمن فأيقن، وجاهد فاتقن، فكان خير المنصورين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون.
يا أتباع محمد ﷺ:

هناك من يظن أن الدعوة إلى اتخاذ العقيدة والدين أساساً فى القتال والنضال إنما هى بضاعة يتعود رجل الدين تقديمها بحكم صنعته وحرفته، وهذا ضلال فى التفكير وبهتان فى التصوير، ومن أقرب الدلائل على ذلك أن ضابطاً عراقياً كبيراً أصدر كتاباً جعل عنوانه «الوجيز فى العسكرية الإسرائيلية» وهذا المؤلف هو اللواء الركن محمود شيت خطاب، وقد تحدث فيه حديث الخبير البصير عن أهداف إسرائيل التوسعية، وأنواع قواتها العسكرية من برية وبحرية وجوية، وطرق التدريب والتعبئة، والقتال عندها، وأنواع الأسلحة التى تستوردها أو تصنعها أو تحاول صنعها، ثم تحدث عن واجب الأمة العربية أمام عدوان إسرائيل ونزعتها التوسعية الإجرامية. ومع أن الكتاب بحث عسكرى فنى من رجل

(١) العنكبوت (٦٩).



الأسباب أيضاً التعاون مع المسلمين في كل مكان لإنقاذ فلسطين ثم تأتي آخر صفحة من الكتاب، وفيها يختتمه بقوله: «البشر بدون عقيدة غثاء كغثاء السيل، وللعرب عقيدة سماوية قادتهم إلى النصر، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقيدة لا مرء، ولما ضعف العرب صانتهم تلك العقيدة من التفسخ والانحلال، وهذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله: العودة إلى الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء، وحينذاك سيقول اليهود عن العرب كما قال أسلافهم من قبل:

﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾^(٤).

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥) ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾^(٥) إن هذا ليس كلام عالم من علماء الأزهر الشريف، ولكنه كلام ضابط عسكري برتبة لواء، وتزداد قيمة هذا الكلام جلالة وخطورة حين نتذكر أن الصهيونية تتخذ من دينها المحرف أساساً لتحركاتها ومحاولاتها للقضاء على أهل الدين الحق والعقيدة الباقية والكتاب الإلهي الذي لم يتطرق إليه أدنى تحريف، لم تزد الدهور والعصور إعجازه إلا ضياء وبهاء، ويا عجباً كل العجب من باطل يتوقع ويتبجح، ويتجمع ويتوسع، على حساب حق ضيعه أهلوه واستخف به جاهلوه، فهذه هي الصهيونية تسمى دولتها الأثيمة باسم نبيها «إسرائيل»، وتحبى لغتها الدينية «العبرية» بدعوى أنها لغة التوراة والدين اليهودي، وتصف فلسطين بأنها أرض الميعاد لهم استناداً إلى مزاعمهم، وتجعل من أهدافها أن تتجمع حول حائط المبكى لكي تعيد هيكل سليمان وتزيل المسجد الأقصى، وهي تجمع

عسكري متخصص نلمح فيه شواهد اليقين بأن الإيمان الديني الواعي هو الطريق إلى الفوز والنصر، فالمؤلف يفتتح كتابه بخبر عظيم من القرآن الكريم وهو قول الله - جل جلاله:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٢).

وهو يجعل إهداء الكتاب «إلى المجاهدين الذين سيرفعون راية العرب والمسلمين فوق المسجد الأقصى» وحينما يبلغ المؤلف فصل «الخاتمة» يفتتحه بشعار كريم من كلام رب العالمين، وهو قوله:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٣) . وهو

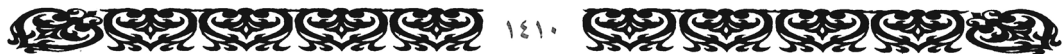
في عباب بحثه الفنى العسكري لا ينسى ما يعتقد به بقلبه وعقله ووجدانه، وما يعتقد به كل مؤمن غيور على دينه ووطنه وقومه وأمته، وهو أن العقيدة الإلهية، والإيمان الديني، وروح الجهاد المقدس، ونزعة الاستشهاد فى سبيل الله، هى مفاتيح العزة والسعادة، فيتلمس المواطن المناسبة تلمساً لكي يترجم عن هذا الاعتقاد بأقوى ما يستطيع وبأعمق ما يحس، كأن يقول مثلاً: «يجب أن نقول للشعب العربى: إن النصر لا يكتب إلا للذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله» وهو يقرر مؤكداً أن أول أسباب الانتصار على اليهود والصهيونية هو «إعادة النظر فى تربية النشئ العربى، ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف، وحضارتنا العربية الأصيلة» ومن بين هذه

(٢) الأنفال (٦٠).

(٥) الروم (٤) (٥).

(٢) المائدة (٨٢).

(٤) المائدة (٢٢).





فعند التعبئة العامة تظهر عبارة رمزية على شاشات السينما والتلفزيون، فيبادر كل مجند احتياطي بترك عمله، ويقف على الطريق العام خارج قريته، وأى سائق مدنى أو عسكري يمر عليه إلى المعسكر أو الميدان بمجرد اطلاعه على ما يثبت شخصيته، ولا يحتاج هذا الجندى إلى مجهود فى إعدادة لأداء واجبه فوراً، لأنه يتدرب كل سنة ثلاثين يوماً بعقيدة دينية صارخة تغرس فى نفسه أن هذا واجب دينى مفروض، وبذلك تظل نفسه ممتلئة بما يسمى بالحقد الإسرائيلى المقدس على العرب والمسلمين.

ويؤكد الكتاب العسكرى الفنى أن الالتجاء إلى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لن يحل قضية فلسطين ولن يرد حقوق العرب، ولن يحرر الأرض المغتصبة، وهذا يذكر بمن هتف بقومه منذ سنوات وسنوات فقال:

**فيم انتظاركم والحق حَقكم
يعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكاماً فى مجامعهم
بل استردوه قسراً فى الميادين
والمسلمون جميعاً من ورائكم
بأندونيسيا وباكستان والصين
يا أتباع محمد ﷺ :**

لقد استبان الصبح لذى عينين، وقد أجمع العقلاء والبصراء على أنه لا نصر إلا بعقيدة وإيمان، وقد تكرر الجهر بذلك مرات ومرات ولو اكتفيناً بترديد القول دون عمل، لما كانت هناك جدوى، ولاتمت فائدة، فليت بارئنا يأخذ بنواصينا إلى العمل بمقتضى ما آمنّا به ورددناه، والله يقول الحق وهو يهذى السبيل، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

فلولها من شتى أنحاء العالم وتناديهم باسم اليهودية ويعنون أنهم « شعب الله المختار » وأنهم يجب عليهم فى شريعتهم - كما يزعمون - أن يعودوا من المنفى إلى فلسطين لأن البقاء خارجها خروج على الدين، فيالله من حق يضيع بين باطل يتنمر، ويالله لهؤلاء العرب والمسلمين الذين يبذلون وكنهم لا يريدون الانتفاع بعظمت أو عبر، وما أنت بمسمع من فى القبور.

وهذا هو كتاب « الوجيز فى العسكرية الإسرائيلية » يحدثنا بالأدلة والشواهد والنصوص من كلام الأعداء أنفسهم عن سعى اليهود لإحياء الدولة اليهودية من النيل إلى الفرات، ومن شمال الموصل حتى المدينة المنورة، والتي تشمل تبوك وخيبر وأماكن أخرى حول المدينة: مدينة الرسول العربى محمد ﷺ، وكانهم بهذا لا يكتفون بإحياء ديانة حرفت وبدلت، بل يحاولون طمس المعالم البادية لدعوة الإسلام ورسالة محمد ﷺ، ويواصلون إحياء العادات الدينية القديمة بينهم حتى فى مجال الحرب، فإن إسرائيل مثلاً لا تحتفظ فى معسكراتها بصفة دائمة بعدد كبير من الجنود، بل تدرب كل أفرادها على السلاح والقتال، ثم يعودون إلى أعمالهم فى الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، وعند التعبئة يسارع الجميع بالعودة إلى الخدمة العسكرية فوراً، وتتبع إسرائيل فى ذلك طريقة تقول إنها مأخوذة من خطة حربية وضعها الملك سليمان قبل ثلاثة آلاف عام، وتتحدث عنها كتب اليهود الدينية، فتقول: إن سليمان قد بنى قلعة (مجدو) فى غرب مدينة (جنين) وتضم القلعة مخازن للطعام والشراب تكفى خمسة آلاف مقاتل، وأماكن صالحة لثلاثمائة من عجلة حربية، ولا يقيم فى هذه القلعة بصفة دائمة إلا مائة رجل فقط، فإذا ظهرت بوادر الحرب انطلق من القلعة ثلاثون فارساً على خيولهم لجمع الناس فى القلعة استعداداً للقتال، وكذلك فعلت إسرائيل الآن،

الصيام .. والصحة

للككتور / حسين عباس الأنصاري (*)

مهما فتش العالم عن وسيلة مثلى لحفظ صحة البدن وصحة النفس وصحة المجتمع، فلن يجد إلا نظاماً أوحده وضعه رب العباد وخالقهم، وهو صيام شهر كامل في العام. العلم قرر هذا والطب أثبت ذلك، وقلب المؤمن اطمأن إليه دون حاجة إلى إثبات. وحينما يضع ربنا، سبحانه وتعالى، نظاماً لبنى البشر أو يحد لهم حدوداً فإنما يكون ذلك لمصلحتهم أولاً وأخيراً، لأن الله غنى عن العالمين كما جاء في الحديث القدسي: (... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على قلب أفجر رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً...) (١) وصدق الله حيث أنزل في كتابه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ (٢).

ويقول سبحانه:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٣).

الصحة البدنية

دقيقة واحدة عن عمله، لابد أن يحتاج إلى صيانة من نوع خاص، حتى يكون متجدداً يؤدي عمله على أكمل وجه كما أراد له خالقه. فهناك المخ وهو مركز التحكم في ذلك المصنع المعجز. وهناك القلب الذي يمد الجسد بالطاقة والغذاء

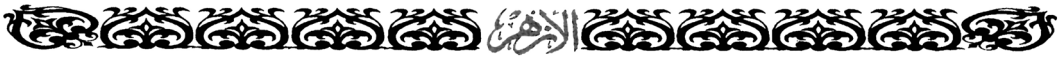
كل آلة تحتاج إلى فترة راحة وصيانة، وإلا عطبت وتوقفت عن عملها. وجسم الإنسان، ذلك المصنع المتكامل الذي ليس له مثيل منذ خلقت الدنيا بيد القدرة العليا والذي يعمل بطريقة متواصلة ولا يتوقف

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ٢٤٩، تهذيب ابن عساکر ٧/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) البقرة (١٨٥).

(*) الكاتب طبيب بوزارة الصحة.

(٣) البقرة (١٨٣).



يحتاج إليها كل جزء في الجسم ويقوم بتخزين الباقي للاستفادة منه عند الحاجة وتساعد في ذلك غدة البنكرياس والغدة الدرقية .

فاذا ما كان الحمل زائدا على هذه الجنود المجندة فإنها لاشك سترهق وتشيع في وقت أسرع ويتعرض الإنسان للعلل والأمراض .

وهناك بعض الأمراض تتحسن مع الصيام تحسنا ملحوظا ومنها على سبيل المثال :

● مرض ضغط الدم المرتفع وأمراض القلب :

تتحسن حالة مرضى ضغط الدم أثناء الصيام وكذلك مرضى القلب نتيجة لقلة السوائل في الأوعية الدموية فيقل حجم الدم الدائر فيها وبالتالي يقل الضغط ويقل الإجهاد للقلب المكلف بضخ الدم إلى سائر الجسد، كما يقل ترسب الدهون على جدران الشرايين فتصبح لينة غير متصلبة وغير مقاومة لضخ الدم القادم إليها من القلب فتستريح عضلة القلب وتحسن أنسجتها ويتجدد نشاطها ويشعر المريض براحة كبيرة ويقل احتياجه للأدوية المخفضة لضغط الدم أو تلك المقوية لعضلة القلب .

● الأمراض الجلدية : كثير من الأمراض الجلدية المزمنة تتحسن في شهر رمضان تحسنا ملحوظا، مثل الأكزيما العصبية والحزاز الجلدي ومرض الصدفية وبعض الأمراض الميكروبية، وذلك بفضل النظام الغذائي أثناء شهر الصيام والذي يعطي فرصة للجسم للتخلص من بعض السموم ومسببات التحسس ويسبب تقوية جهاز المناعة بالنفحة الروحية التي يمنحها شهر رمضان للصائمين .

● مرض البول السكري : تتحسن حالة مرضى

اللازمين لبقائه في عالم الأحياء، وهناك الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والجهاز الحركي، وعالم الغدد الصماء التي تسيطر على العمليات الحيوية في الجسد .

كل هذه الأجهزة تحتاج إلى فترة راحة من نوع خاص لايحققها إلا الصيام لمدة شهر كامل في العام على الأقل مصداقا لقوله تعالى :

﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

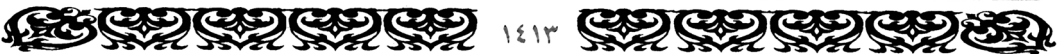
● وكما جاء في الأثر (صوموا تصحوا) .

تعالوا بنا لنرى بعض فوائد الصوم وآثاره على الفرد والمجتمع : بالنسبة للجهاز الهضمي الذي يشمل الغدة اللعابية والبلعوم والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة فإنه يعمل بطريقة لا إرادية طالما هناك طعام يدخل الجوف، حيث تقوم الغدة اللعابية بإفراز موادها التي تحتوى على الأنزيمات التي تقوم بهضم السكريات والنشويات ويقوم البلعوم بواسطة عضلاته الطولية والعرضية بتوصيل الطعام إلى تجويف المعدة حيث تقوم المعدة بإفراز العصارة المعدية التي تحتوى على المواد التي تعمل على هضم الدهون والبروتينات .

وقبل ذلك تقوم الأسنان بمضغ الطعام وتحويله إلى عجينة يسهل هضمها بما يتبع ذلك من عمل عضلات الفكين وعضلة اللسان .

ثم يأتي دور الأمعاء لامتصاص الغذاء المهضوم وتوصيله إلى تيار الدم الذى يوصله بدوره إلى جميع أجزاء الجسم وتتخلص الأمعاء الدقيقة من بقايا الطعام غير المهضوم بدفعة إلى الأمعاء الغليظة حيث تقوم الأخيرة بالتخلص منه عن طريق الإخراج

أما الطعام المهضوم فإنه يحتاج إلى مجهود الكبد حيث يعمل على تمثيله إلى العناصر التي





فلا يتجبر الكبير ولا يهون من شأن نفسه الصغير .
فالكل يفتش على مؤهلات التقوى لله في نفسه
مسترجعا قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كَرَّمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ ﴾ هذا فقط هو
القياس، فكلنا لآدم وآدم من تراب .

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٧)
وصلاة التراويح لها فوائد بدنية جمّة، حيث تعمل
على تنشيط الدورة الدموية للجسم، مما يساعد على
هضم الطعام والتغلب على التلبك المعوي الذي
يصيب الأشخاص المكثّرين من الطعام في الإفطار .
كما أنها تساعد الجهاز الحركي للجسم ليؤدي أفضل
أنواع الرياضة البدنية أثناء الركوع والسجود والقيام
وذلك بتنشيط العضلات وتحريك مفاصل الجسم
المختلفة وحمايتها من التيبس وصعوبة الحركة، مما يعاني
منه كثير من الناس بسبب قلة المشي وكثرة الجلوس أو
الوقوف .

والصلاة عموما تعمل على تقليل ضغط الدم
داخل الأوردة الدموية وتقوى جدرانها فتجنب
الشخص ظهور دوالي الساقين والتي قد ينشأ
عنها متاعب كثيرة للمصاب بها من آلام في
الساقين وظهور قرح مزمنة صعبة الالتئام،
وكذلك ظهور إكزيما دوالي الساقين والقدمين
وهي أيضا يصعب علاجها .

كما أن صلاة التراويح والقيام تعمل على تنشيط
المخ حيث يتدفق الدم إليه، بخاصة أثناء السجود
عندما يكون مستوى المخ منخفضا عن مستوى القلب

البول السكري في شهر رمضان تحسنا ملحوظا
وبخاصة من يلتزمون بالسنة النبوية في صيامهم
وإفطارهم، حيث تنخفض نسبة السكر في الدم، كما
أن غدة البنكرياس المعتلة تأخذ قسطا من الراحة
تستعيد فيه بعض نشاطها وتقلل من احتياج المريض
للدواء المخفض لسكر الدم، كما أن القرحة السكرية
والإصابات الميكروبية تقل نتيجة لانخفاض السكر
المرتفع في الدم، وكذلك مضاعفات المرض على
العينين والجهاز العصبي .

صلاة الترويح

يتميز شهر رمضان المبارك بما يسمى بصلاة
الترويح، وصلاة التراويح اسم على مسمى حيث
تستروح بها النفس وينشرح بها الصدر ويصح بها
الجسم، ويشعر الفرد من خلالها بقوة رابطة الأخوة
الإسلامية وعظمة الدين الإسلامي، حيث يقف
الجميع مترافين طالبين رضا الله وعفوه .

يقف الغني ملاصقا للفقير، والقوى ملاصقا
للضعيف، وصاحب المقام العالي في الدنيا ملاصقا
لرقيق الحال . الكل يتذكر قوله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥) .

وقوله ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط » (٦)
حينما يشعر الصائم بهذا الشعور وهو يقف بين إخوانه
في صلاة التراويح تتسامى روحه نحو معرفة حقيقته،

(٧) طه (٥٥) .

(٦) ابن عدى ١٠٩٩/٥ .

(٥) الحجرات (١٣) .





فى رمضان نظرا لكثرة أعمال البر فى هذا الشهر الكريم من إخراج للزكاة، ودفع للصدقات، وإقامة موائد الرحمن حيث يقدم الطعام الجيد للفقراء فيشعرون بالتكافل العظيم بين الصائمين جميعا فتتحسن العلاقات وتزداد روابط الأخوة ويعم الرضى جميع النفوس . نفوس من قدموا الخير، ونفوس من قدم لهم هذا الخير، وهذا يجعل المجتمع الإسلامى يعيش فى تناغم تام بين أفرادة، وهذه هى قمة الصحة النفسية للفرد والمجتمع .

كما أن الصائم يشعر بقوة الإرادة نظرا لتغلبه على شهوات نفسه التى لم يكن ليصبر عليها فى غير رمضان، فيصبح ذا عزيمة قوية، وهذه العزيمة القوية ترفع لديه قوة جهاز المناعة الداخلى فيتغلب على كثير من الآلام والأمراض المزمنة التى تحتاج إلى عزيمة للتغلب عليها .

والصوم يعلم الإنسان الصدق مع النفس، لأنه يستطيع أن يأكل ويشرب دون أن يراه أحد، لكنه موقن بأن الله يراه وهو يمتنع عن ذلك امتثالا لمرضاة الله وليس خشية من أحد فينعكس ذلك عليه فى حياته العملية فيؤدى عمله بإتقان مراقبة لله الذى يراه ويطلع على سرائره ويعود ذلك على الآخرين بالخير . والصدق هو من أسمى صفات الجمال للنفس . ومجتمع أفرادة نفوسهم راضية وقلوبهم مطمئنة هو مجتمع سعيد بكل المقاييس .

بالنسبة للجاذبية الأرضية، فيتدفق الدم إلى المخ حاملا غاز الأوكسجين والعناصر الغذائية الضرورية لنشاط المخ وأنسجته المختلفة ويخلصه من الرواسب السامة وقد ورد فى الحديث الشريف ما يفيد استحسان إطالة السجود حيث أقرب ما يكون المرء من ربه وهو ساجد فيدعو بما شاء، وكلما كثر الدعاء كلما طال زمن السجود وكلما تدفق الدم إلى المخ أكثر وأكثر .

كما أن صلاة التراويح والتهجد تعتمدان أساسا على تلاوة القرآن الكريم وتدبره، وهو أطيب الذكر وأعلاه، فى آياته الدروس والعبر ورسم الطريق الصحيح للمسلم فى حياته وآخرته :

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنُ لِلْإِنْسَانِ ظُلْمٌ ۖ ﴾ (٨)

ولهذا يتسابق المسلمون الصائمون فى كل بقعة من بقاع الأرض فى الاجتهاد فى تلاوة القرآن والاستماع إليه ودراسته وتدبره :

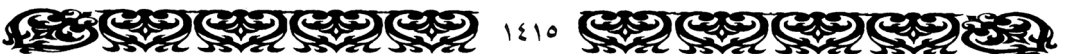
الصحة النفسية

يشعر الصائم بالقرب من الله - عز وجل - حيث يصوم نهاره ممتنعا عن ملذات الجسد، ويقوم ليله مع القائمين فى صلاة التراويح والتهجد، ذاكرا لله - سبحانه وتعالى - ساجدا راكعا يحدوه الأمل فى مغفرة الله وفضله، حيث « رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما » (٩) كما جاء فى الحديث الشريف وهذا يبعث بالأمل إلى النفس فيجعل الصائم راضيا مطمئنا وهذه من علامات الصحة النفسية .

كما أن الصائم الفقير يتحرر من الشعور بالحقد الطبقي حيث يجد الجميع متعاونوا معه

(٩) الترغيب والترهيب ١/ ٤٨٣ .

(٨) ص (٢٩) .





إشكاليات التحدى الحضارى

التحدي الحضارى بين فكرى الإسلام والمستشرقين

د. أستاذ الدكتور / محمد الهيم الفيوري

جلد ٢ ص ١٥٥٥

ترجع فكرة موضوع التحدى الحضارى بين الإسلام والغرب إلى هم قديم يندرج ضمن الإطار العربى الإسلامى بكل مشاكله وقضاياها.

وكنا نرى مسألة العلاقة بينهما، كما تبدو، دائماً كأنها تعبر عن سوء فهم كبير يغلفها ضباب كثيف لأنها لم تطرح من بابها الصحيح على مائدة البحث العلمى، كما أن دراستها لم تتركز على أسس التفاهم المشترك التى كان ينبغى أن تنهض عليها، الأمر الذى ترتب عليه ضياع الحقيقة وعدم وصولنا إلى نتائج مجدية أو حاسمة.

لذلك ومن أجل توضيح الصورة القائمة بين مثقفى العرب والاستشراق وإبراز ضرورة التعاون فى وضع أسس علاقات جديدة، نرى أن علينا معالجة سوء التفاهم المشترك وهو ما يسمى بتصفية الجو الفكرى والثقافى بين الجانبين من الضلال الثقافى الذى تغص به حلبة الصراع ولن نتحقق تلك التصفية إلا إذا كان للجانب الآخر حق الكلام موضعاً موقفه.

إن النزاهة العلمية تقتضى منا إثبات الرأى، والرأى

لذلك كان يساورنا مُعتَقَد مفاده، أن ثمة طريقاً آخر، أو طريقة أخرى أكثر فائدة بالنسبة لنا جميعاً من ذلك اللغظ وذلك الضجيج الذى تبثه أجهزة الإعلام هنا وهناك ولا يلبث أن يتكشف عن سراب. ولا نظن أن الطريق إلى التاريخ، هو أسلوب العنتریات والمواجهات المكشوفة فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى، ليس ذلك هو الذى يقودنا إلى دخول حلبة التاريخ.

إن التاريخ لا يعطى نفسه بسهولة ولن يدخله من أراد دخوله. فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى، متخذاً أسلوب المواجهات المكشوفة والأسلحة الفتاكة المدمرة، والذين يندفعون وراء هذا الأسلوب بشكل مباشر أو غير مباشر يبعثون تكسير أنفسهم وهذا هو الصراع الحضارى أما أسلوب الحكمة مهما كان طويلاً وشاقاً فهو دائماً طريق السلامة والأبقى. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، كما ورد فى الأثر الإسلامى.

● ثانياً : التهيؤ النفسى فى قبول النقد والنقد الذاتى :

إذا كانت لنا وجهة نظر فى الغرب وأدواته من الاستشراق. فلماذا لا نحاول أن نعرف رأيهم، هم، فى الموضوع. وما هى ردودهم علينا، وحججهم فى الدفاع عن أنفسهم؟.

إن النزاهة العلمية تقتضى منا إثبات الرأى والرأى المضاد لكى تتضح جوانب المناقشة الصراعية التى فرضها الغرب على الشعوب النامية. وينبغى أن نمتلك الثقة الكافية بأنفسنا لحوض هذا الصراع الفكرى حول أهم القضايا التى تخص ماضينا وحاضرنا، لقد آن الأوان أن نرتفع من مرحلة الصراع الفكرى إلى مرحلة الحوار الحضارى، وأن ننتقل من الموقف الدفاعى والتغنى بالذات أو الهجومى المتطرف إلى موقف المسئولية العقلية والنضج الثقافى.

● ثالثاً : عدم تكافؤ مستوى الخطابين الإسلامى والغربى :

إن معركة الخطابات التى تتناظر مع الرجم بالصواريخ ليست على مستوى الكفاية الثقافية بين الجهتين لأن الغرب أقوى من المسلمين وليس

الآخر، لكى تتضح قيم التفاهم المشترك حول هذا الصراع الدائر. فنحن لا نخشى آراء الآخرين ولا حتى انتقاداتهم، فلدينا من الثقة الكافية بأنفسنا لحوض الصراع الفكرى حول أهم القضايا التى تخص ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، وهى كما تبدو لنا فى عدة استفهامات تعكس فى نفس الوقت قضايا التحدى بيننا وبين الاستشراق ومن قضايا التحدى :

● أولاً : تناهد الإعلام الغربى بالإسلام والعرب :
درج الإعلام الغربى والأمريكى على تصوير الإسلام فى صورة مارى لو خرج من قُمُقمه لهدد التقدم والحضارة والمدنية.

إذ العربى فى نظر الغرب جاهل بطبيعته، والمسلم متعصب بطبيعته، فى حين أن المسيحى متسامح بطبيعته، ولا يمكننا أن نتسامح لأننا لسنا أوروبين.

وهذه الأحكام المسبقة تحولت إلى صفات ثبوتية نهائية تُلصق بالآخرين غصباً عنهم ولا فكاك لهم منها. وبالتالي فهى تهدد المجتمع دائماً بالنزيف الداخلى أو شبح الحرب الأهلية.

وتلك هى العقبة الكأداء التى تراكم عليها ثوابت التحدى الحضارى وذلك من اصطناع العرقية الغربية وبقية لوثة استعمارية لم يتخلص الغرب منها ثم حَمَلَتها أكاديمية الاستشراق. ولا صلة لمثقفى العرب فى وقف البث الهجائى الموجه لعالم الإسلام وخاصة أنها قضايا وليدة نزوات الغرب العصبية. وتلك أولى مهام تصفية الجو الثقافى، فهل يتحمل الغرب تبعه إيقاف ذلك النزيف الطافح؟.

إذا كانت التكنولوجيا صنعت تاريخاً للحضارة، حضارة الأدوات، فإن الحكمة وهى التى سَمَتْ بالمفهوم الإنسانى أن لها أن تسجل تاريخها السامى باستقرار السلام بين الشعوب.

هي مشكلة من عدة اتجاهات متغايرة ومتنوعة، بل ومتناقضة. فليسوا كلهم أعداء للمنهجية العلمية والتفكير المنطقي كما يزعم الرأي العام الغربي أو الأوساط المهيمنة فيه، وإنما ينقسمون آراء شتى واتجاهات مختلفة مثلهم في ذلك مثل بقية البشر. فهم ليسوا من صنف والآخرون من صنف آخر. فالإنسان محكوم بالتاريخ والظروف الاجتماعية والاقتصادية، وليس محكوماً بصفات وراثية أو عرقية ثابتة.

✽ والسبب في عدم تلاقي الغرب بالشرق

حضارياً هو :

إن الكثير من المثقفين لم يطلعوا بشكل كافٍ على الثورة المنهجية التي حصلت في الغرب نفسه، كذلك في المقابل لم تفد المنهجية الغربية الجديدة جديداً في مواقف بعض المستشرقين - وهو ليس بالقليل - في دراستهم للإسلام والعرب، فهل هذا يسمى قصوراً أو تقصيراً؟.

● خامساً : تأجيل البحث عن حقيقة الصراع

الحضارى :

إنه من الصعب إجراء مناقشة رزينة وهادئة حول حقيقة التحدى الحضارى في ظل صراع ثقافى وسياسى عسكرى محتدم بين الطرفين إلى درجة أنه يصعب قول أى شئ بهدوء أو بموضوعية واتزان، وبالتالي فالبحث عن الحقيقة يبدو عملية شائكة ومحفوفة بالأخطار. وبالتالي فإن تأجيل البحث عن حقيقة الصراع بحجة أن هذا الصراع يعنى تأجيله إلى ما لا نهاية، ويعنى أيضاً تأجيل البحث العلمى فى الساحة العربية إلى ما لا نهاية. وهذا ولا شك يفيد أن التوصل إلى خطاب عربى إسلامى ذكى ومرن ومتفتح، عملية ليست سهلة على الإطلاق.

بعدة ١٥٥٥

بالضرورة أن تكون الحكمة الصائبة فى جانب الأقوى الغالب، إنما يلزمه التخويف والزجر والردع وفرض السيطرة الظالمة وفقدان الحكمة.

ولهذا السبب يبدو على الخطابات الإسلامية طابع الغضب والاحتجاج والاتهام والتشكيك. شأن المغلوب، لا الغالب، والمدرّوس لا الدارس، أما خطابات الغرب فتبدو باردة هادئة متزنة، وأحياناً متغطّرة ومتعجّرة - شأن الغالب - فهو المسيطر ليس فقط اقتصادياً وتكنولوجياً، أو سياسياً وعسكرياً. وإنما منهجياً ومعرفياً.

● رابعاً : تبادل عدم الفهم لثقافة الآخر :

إن الخطابات الغربية الصادرة عن الغرب، ليست شيئاً واحداً، كما نتوهم، أو كما يشاع أحياناً فى بيئاتنا الثقافية العربية أو الإسلامية. فالغرب ليس كتلة واحدة صماء، وإنما هو مشكل من عدة تيارات ثقافية وفكرية وحساسيات عرقية، وسياسات تستبج حق الشعوب، وسيطرة شائنة الوجه على موازين القوى.

وبالتالى فموقفه ليس واحداً من الإسلام أو العرب، فالخلاف المنهجي يشرح دائماً بموقف نفسى. أو قل إنه مرتبط دائماً بموقف نفسى من الموضوع المدرّوس، سلباً أو إيجاباً، فإذا ما قلنا - على سبيل المثال - بأن التخلف العربى يعود إلى عوامل تاريخية واجتماعية واقتصادية، فإن ذلك يعنى أنه قابل للتغيير والزوال، وإذا ما قلنا بأنه بنوى مرتبط بالتركيبية الذهنية للعرب، فإن ذلك يعنى أنه خاصة أزلية لا فكاك منها. هكذا نجد أنه تترتب على الرؤيتين نتائج خطيرة.

كذلك فإن خطابات المثقفين العرب إزاء الاستشراق ليست كتلة واحدة منسجمة، وإنما



رشيد رضا ومدرسة الإحياء والتجديد

للدكتور
محمد عمارة

فى قرية «القلمون»، التابعة «لمتصرفية» طرابلس الشام،
ولد «السيد» محمد رشيد رضا [١٢٨٢-١٣٥٤هـ
١٨٦٥-١٩٣٥م] - محمد رشيد بن على رضا بن محمد
شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ضلا على خليفة..
وأسرته «شريفة» النسب، هاجرت من بغداد، واستقرت
فى «القلمون».. وكانت ولادته فى ٢٧ من جمادى الآخرة
سنة ١٢٨٢هـ ١٨ من أكتوبر سنة ١٨٦٥م.

ولقد سلك، منذ صباه، طريق التعليم الدينى، فدرس
بالمدرسة الوطنية الإسلامية - فى طرابلس - ثم درس فى
بيروت.. وحصل علوم الإسلام والعربية، على منهاج شبيه
بمنهاج الأزهر الشريف فى ذلك التاريخ.

ولقد مال - فى تكوينه الفكرى والعلمى - إلى علوم
«الرواية» و«المنقول» و«المأثورات».. ثم حدثت له نقلة
نوعية بعد أن قرأ كتاب حجة الإسلام أبو حامد الغزالى
[٤٥٠-٥٠٥هـ ١٠٥٨-١١١١م] «إحياء علوم الدين»،
فانتقل به هذا الكتاب إلى الزهد والتصوف والتنسك،
وانخرط فى سلك مريدى «الطريقة النقشبندية»..
وانخرط فى العمل الدعوى، مشغلاً بالوعظ والإرشاد -
فى قرينته والقرى المجاورة - فتمرس فى الخطابة الوعظية..
ثم طمح إلى الكتابة، فألف كتاباً عن «الحكمة الشرعية»،
ونشر مقالاً مطولاً عن الأخلاق فى إحدى الصحف..
وصاغ بعض أفكاره شعراً منظوماً.

وعقب خطبة ألقاها - اتسمت بالجرأة - فى أحد المحافل
- بحضرة والى «طرابلس» - عين عضواً فى «شعبة
المعارف» بمتصرفية الولاية العثمانية.

وفى الثامنة والعشرين من عمره [١٣١٠هـ ١٨٩٢م]
حدث له الانقلاب الأعظم فى فكره وتوجهه، وذلك بعد
أن قرأ - فى محفوظات والده - بعض أعداد مجلة [العروة
الوثقى] - التى أصدرها فى باريس [١٣٠١هـ ١٨٨٤م]



جمال الدين الأفغانى الإمام/ محمد عبده

لقد نقلته [العروة الوثقى] من زهد «الطريقة النقشبندية» فى الدنيا والإصلاح الاجتماعى والسياسى، إلى وسطية الإسلام - التى أحيتها مدرسة الأفغانى ومحمد عبده - والتى توازن بين الروح والجسد، بين الدنيا والآخرة، بين خلاص الفرد وتحرير الأمة، بين عزة الإنسان وإمامة أمته الإسلامية للعالمين.. فتعلم رشيد رضا من هذه المجلة - كما يقول هو - : «أن الإسلام ليس روحانياً أخروبياً فقط، بل هو دين روحانى جسمانى، أخروبى دنيوى، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة فى الأرض بالحق، ليكون خليفة الله فى تقرير المحبة والعدل.. ولقد أحدث لى هذا الفهم الجديد فى الإسلام رأياً فوق الذى كنت أراه فى إرشاد المسلمين، فقد كان همى قبل ذلك محصوراً فى تصحيح عقائد المسلمين، ونهيه عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم فى الدنيا.. فتعلقت نفسى بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة

جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] والإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] .. فأخذ - بعد قراءة هذه الأعداد - يبحث عن المجموعة الكاملة لأعداد هذه المجلة - الثمانية عشر - فوجدها فى مكتبة أستاذه حسين الجسر [١٢٦١ - ١٣٢٧هـ - ١٨٤٥ - ١٩٠٩م]، فنسخها، وأكب على دراستها، وفقه أسلوبها وأفكارها ومنهاجها ومقاصدها.. فتغيرت بذلك صورة الإسلام فى فكره، وتبدلت صورة المسلم النموذجى لديه، وتغيرت أولويات الإصلاح الإسلامى للواقع الذى يعيش فيه المسلمون.. ولقد وصف - هو - هذا الانقلاب الفكرى الذى حدث له، فقال: «.. ثم إنى رأيت فى محفوظات والدى بعض نسخ [العروة الوثقى]، فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء، اتصل بى فأحدث فى نفسى من الهزة والانفعال والحركة والاشتغال ما قذف بى من طور إلى طور ومن حال إلى حال.. كان الأثر الأعظم لتلك المقالات الإصلاحية الإسلامية، ويليها تأثير المقالات السياسية فى المسألة المصرية - [المنشورة بأعداد المجلة] - والذى علمته من نفسى ومن غيرى ومن التاريخ: أنه لم يوجد لكلام عربى فى هذا العصر ولا فى قرون قبله بعض ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب، والإقناع من العقل، ولا حد للبلاغة إلا هذا..»^(١).

(١) رشيد رضا [تاريخ الأستاذ الإمام] ج١ ص ٣٠٣، ٩٩٦. طبعة القاهرة سنة ١٩٣١م.

فيها من الحرية المفقودة في البلاد العثمانية...» (٣).

وحتى يقوم برحلته هذه، ادخر نفقاتها من أجرة تحريره «الحجج والعقود»، ثم تسلل إلى إحدى السفن المتجهة إلى ميناء الإسكندرية، فوصلها مساء الجمعة ٨ من رجب سنة ١٣١٥ هـ أول ديسمبر سنة ١٨٩٧ م.. وفي اليوم التالي ذهب لزيارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

المنار

ولما كانت أعداد [العروة الوثقى] - الثمانية عشر - هي التي صنعت رشيد رضا «الجديد».. فلقد كانت الرسالة التي نذر لها نفسه، والتي هاجر في سبيلها من وطنه «طرابلس» إلى مصر - التي اتخذها وطناً جديداً - .. كانت الرسالة هي إصدار مجلة [المنار]، لتكون ترجمانا لفكر هذه المدرسة الإصلاحية، التي عشق منهاجها التجديدي.. وذلك حتى تحمل [المنار] هذا المنهاج إلى أقطار عالم الإسلام.. لقد أراد للمنار أن تكون أسلاك الكهرباء التي تهز وتوقظ الأمة، كما صنعت معه هو أعداد مجلة [العروة الوثقى].

وفي لقائه بالأستاذ الإمام - ٦ من شعبان سنة ١٣١٥ هـ - ٣١ من ديسمبر سنة ١٨٩٧ م - تمت دراسة المشروع، مشروع إصدار المجلة -

إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات، وجميع مقومات الحياة. فطفقت استعداد لذلك استعداداً...» (٢).

ومنذ ذلك التاريخ، وكأثر من آثار هذا التحول العميق، تطلع رشيد رضا إلى أن يكون «مريداً» في مدرسة الجامعة الإسلامية - مدرسة الأفغانى ومحمد عبده - الداعية إلى التجديد الإسلامى والإحياء الدينى، وتجديد الدنيا بتجديد الدين.. وذلك بدلاً من موقع «المريد» فى «الطريقة» النقشبندية.. التى يسحب تدينها المريد من الدنيا إلى حد ما، ومن المدنية إلى حد كبير.. فكتب إلى الأفغانى - الذى كان يعيش فى الآستانة، حبس القفص الذهبى للسلطان عبدالحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨ م] - يثنى عليه ويتطلع للتلمذ على يديه.

فلما توفى الأفغانى [١٣١٤ هـ ١٨٩٧ م] عزم رشيد رضا على الهجرة إلى مصر، حيث الإمام محمد عبده، طامحاً إلى أن يكون موقعه من الأستاذ الإمام هو موقع محمد عبده من جمال الدين.. ومدرراً أن مناخ الحرية النسبية فى مصر ضرورى لتحقيق طموحه الجديد.. وبعبارة: «.. فلقد كنت أعتقد أن استعدادى كله يبقى ضائعاً إذا بقيت فى سورية، وأنه لا يمكن أن يظهر هذا الاستعداد بالعمل إلا فى مصر، لما

(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ٩٩٨.

(٢) المصدر السابق، ج ١ ص ٨٤، ٨٥.



«التي ستبحث في موضوع مرض الأمة وضعفها، وفي معالجتها بالتربية والتعليم، ونشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والأفكار الفاسدة، كالجبر والخرافات».

وفي تحديد منهاج المجلة، طلب الأستاذ الإمام من رشيد رضا:

١- أن لا تتحيز لحزب من الأحزاب.

٢- ولا تهتم بالرد على ذام أو منتقد.

٣- ولا تخدم أحداً ممن يسميهم الناس «كبراء».. تستخدمهم، نعم.. لكنها لا تكون في خدمتهم!

فوافق رشيد رضا، وعاهد أستاذه - الذي وصف المشروع بأنه «أشرف الأعمال وأفضلها»، معلناً استعداداه لمساعدة المجلة بكل جهده.

عاهد رشيد رضا أستاذه فقال:

- «إني أعاهدكم على أن أكون معكم كالمرید مع أستاذه - على نحو ما يقول الصوفية -.

وهكذا تمت دراسة المشروع.. وصدرت [المنار] في ٢٢ من شوال ١٣١٥هـ ١٧ من مارس ١٨٩٨م - أى بعد عام من وفاة جمال الدين الأفغانى -.. صدرت فى صورة صحيفة أسبوعية.. ثم تحولت فى سنتها الثانية إلى مجلة شهرية - لتواصل رسالة [العروة الوثقى].. التى أشرف على فكرها وسياستها الأفغانى.. وكان محمد عبده - رئيس تحريرها - المحرر الأول -.. وها هى [المنار] تصدر، وإشرافها الفكرى لمحمد

عبده، ورشيد رضا رئيس تحريرها! صدرت [المنار] لتكون ديوان فكر المدرسة الإصلاحية، ساعية إلى:

● حمل رسالة مدرسة الإحياء الدينى والتجديد الإسلامى إلى كل أقطار عالم الإسلام.

● وتركيز الخيار الإسلامى الوسطى سبيلاً للنهضة الإسلامية والشرقية، رافضة الجمود الذى يقلد، والتبعية التى تقلد الحضارة الغربية.

● وإعادة نشر مقالات [العروة الوثقى].. ومقالات الأستاذ الإمام التى سبق نشرها فى [الوقائع المصرية].

● وديوان تجديد وإبداع الإمام محمد عبده، فى تحرير العقل من قيود التقليد.

● وتنقية العقيدة من شبهات الشرك والبدع والخرافات.

● ونشر المنهاج الجديد فى تفسير القرآن الكريم.

● والدفاع عن الشريعة الإسلامية وعلومها، واللغة العربية وعلومها وفنونها.

● ونشر الفتاوى المعاصرة، التى تفقه الأحكام وتفقه الواقع الجديد، لتعقد القرآن بين فقه الواقع وفقه الأحكام.

● ولتبصير الأمة بالفروق بين الدين الإلهى وبين العادات والتقاليد والأعراف.

● والدفاع الواعى عن وحدة الأمة، والجامعة الإسلامية، التى هى جنسية الشرقيين على اختلاف قومياتهم ومللهم وأوطانهم.

● إصلاح مناهج الفكر الإسلامى، وتجديد علوم الشريعة والعربية.. والنهوض بالمؤسسات التى تصنع وتصوغ عقل الأمة.. مع النظر - فى السياسة - بمنظار عالمية الإسلام، وعالمية الأمة الإسلامية.

نعم.. صدرت [المنار] لتحمل هذه الرسالة الإصلاحية التجديدية الإحيائية إلى كل أقطار عالم الإسلام.. واستمرت فى حملها وإشاعتها نحواً من أربعين عاماً هجرياً [١٣١٥ - ١٣٥٤هـ - ١٨٩٨ - ١٩٣٥م] فكانت ديوان النهضة الإسلامية طوال ذلك التاريخ.

ولأنها «ديوان» مدرسة فكرية وليست منبراً يتوقف عطاؤه بوفاة صاحبه.. فلقد عاود الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ - ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] - الذى حضر بعض دروس رشيد رضا - إصدار [المنار] بحجمه.. وشكله.. وتسلسل أعداده ومجلداته وأجزائه - بعد وفاة رشيد رضا - وذلك فى غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ ١٨ من يوليو سنة ١٩٣٩م.. واستمرت تصدر أربعة عشر شهراً.. بل إن الشيخ البنا، عندما شرع فى تفسير القرآن الكريم، بدأ من حيث انتهى رشيد رضا، الذى سبق وبدأ هو أيضاً من حيث انتهى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - وهو التفسير الذى اشتهر - لنشره فى المجلة - بـ [تفسير المنار] -..

بعن ص ١٥٧٩

● والتأييد - البصير.. والناقد - للدولة الإسلامية الجامعة - يومئذ - وهى الدولة العثمانية.. مع الدعوة إلى إصلاح مفاسدها، وتلافى عيوب إدارتها.. وشد أزرها فى مواجهة أعدائها.

● والتحذير من تقليد الحضارة الغربية الغازية.. مع الدعوة إلى تعلم علوم الغرب، وخبراته فى التقدم.

● والدعوة إلى الإصلاح الاقتصادى، الذى يحرر اقتصاديات المسلمين والشرقيين من النهب الاستعماري الغربى، وذلك ليكون الاقتصاد المتحرر دعامة للاستقلال الحضارى والسياسى.

● ومحاربة التنصير، ومطاردة دعائه وادعاءاته عبر عالم الإسلام.. وتسليح المسلمين بأدوات مقاومة شبهاته ومفترياته.

● والدعوة إلى إقامة الجمعيات والمؤسسات - العلمية.. والخيرية.. والاجتماعية - لتكون جهود الأمة فى الإصلاح أفعال وأجدى وأدوم.

● والتأكيد على منهج التدرج فى الإصلاح، لأن صياغة الإنسان صياغة إسلامية، وتكوين صفوة العلماء والمفكرين، وتهيئة الواقع لتقبل المنهاج الإسلامى، لابد فيها من التدرج.

● وإبلاء السياسة - الخاصة بالحكم والدولة - القدر الأقل.. والتركيز على

قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للمستاذ الدكتور

أحمد فؤاد باشا^(١)

مواقع النجوم

قال تعالى :

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(١).

يشير القرآن الكريم هنا إلى عظمة السرّ

المودع في مواقع النجوم التي هي مواضعها

بالنسبة لبعضها البعض في السماء، وبالنسبة لمن يراها أو يرصدها من أى مكان في الكون، ويشمل ذلك ما يفصل بينهما من مسافات شاسعة، بالإضافة إلى تحركاتها المقدرة لها في أفلاكها وعظمة القسم إن كانت وصفاً من الله - سبحانه وتعالى - كان تقبيرها حق قدرها فوق مقدور البشر، لكن الله - سبحانه وتعالى - ينبهنا إلى أن إدراك بعض جوانب وأسرار هذا القسم العظيم لا يتم إلا بإعمال العقل وتحصيل العلم.

والحديث عن مواقع النجوم من الناحية العلمية يتطلب التعامل مع مسافات فلكية أكبر كثيراً من

تلك التي نعتاد قياسها على الأرض بوحدات المتر والكيلومتر. وكان بعض القدماء يقدرّون المسافات على أساس عدد الأيام اللازمة لقطع المسافة سيراً على الأقدام أو ركوباً على الخيل أو الجمال. لكن الأمر يختلف عند قياس أبعاد الكواكب والنجوم، حيث اتفق العلماء على وحدة جديدة للقياس هي «السنة الضوئية» أي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة أرضية كاملة (٣٦٥ يوماً). وإذا كانت سرعة الضوء من الثوابت الكونية المعروفة وتساوي ثلاثمائة ألف (٣٠٠٠٠٠) كيلومتر في الثانية، فإنه بعملية حسابية بسيطة تكون السنة الضوئية مساوية لحوالى

(١) سورة الواقعة: (٧٥ - ٧٦).

(*) الكاتب نائب رئيس جامعة القاهرة.

التصوير الفوتوغرافي والإلكتروني، ويستطيع أن يستقبل الضوء غير المرئي المنبعث من مجرات تبعد عنا أكثر من بليون (ألف مليون) سنة ضوئية. ولقد ساعدت المراصد الفلكية حديثاً على اكتشاف نجوم ومجرات وأشياء نجوم تبعد عنا أكثر من عشرة بلايين سنة ضوئية، وهذا يعني أن ما نرصده الآن من هذه النجوم قد حدث وتم فعلاً منذ بلايين السنين، وأن الله وحده هو العليم بشأنها وحالها اليوم، فلم يكن الإنسان قد وجد بعد على الأرض عندما انبعث الضوء من هذه النجوم منذ عشرة بلايين سنة ضوئية.

ويزداد العقل دهشة عندما يعلم أن كل هذه النجوم تتحرك بسرعات هائلة لا ندرکها نظراً لبعدها الهائل عنا. فالشمس - على سبيل المثال - تجرى بسرعة ١٩ كيلو متراً في الثانية، وتدور حول نفسها مرة كل ٢٧ يوماً في المتوسط، ويجرى مع الشمس مجموعتها الشمسية بسرعة فائقة تبلغ ٢٢٠ كيلو متراً في الثانية منتمية لمجرتنا المعروفة باسم «الطريق اللبني» أو «درب التبانة»، وهذه المجرة تدور حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون سنة. وكل النجوم الأخرى تدور حول نفسها وحول المجرة التي تنتمي إليها، وتتباعد المجرات عن بعضها البعض في فضاء الكون السحيق، وتتغير مواقع النجوم فيها دون أن نشعر بذلك على الأرض، ولا يزال العلم عاجزاً عن كشف الكثير من أسرار هذه المواقع التي أقسم الله بها..

﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ﴾ (٢).

٩,٥ مليون مليون كيلو متر، أي أن السنة الضوئية في حقيقة الأمر وحدة طولية لقياس المسافات الشاسعة في الفضاء الكوني. فبدلاً من أن نقول: إن الشمس هي أقرب النجوم إلينا وتبعد عنا مسافة ١٥٠ مليون كيلو متر، وهذه المسافة يقطعها الضوء في ثمان دقائق وثلث، فإنه يمكن القول بأن المسافة بيننا وبين الشمس تساوي ٨,٣ دقيقة ضوئية.

وعلى هذا الأساس يكون أقرب النجوم إلينا بعد الشمس هو النجم الخافت الذي يسمى (ألفا قنطورس) ويبعد عنا مسافة ٤,٤ سنة ضوئية، أي ما يعادل ٤٢ مليون مليون كيلو متر تقريباً.. وهذا يعني أن الناظر إلى نجم (ألفا قنطورس) يرى الضوء الذي انبعث منه منذ ٤,٤ سنة بعد أن قطع مسافة ٤٢ مليون مليون كيلو متر تقريباً، أي أن الناظر الآن إلى هذا النجم يراه بحالته التي كان عليها منذ ٤,٤ سنة. فالحاضر هنا على الأرض يكون ماضياً هناك بسبب البعد الشاسع للنجوم.

وإذا كان هذا شيئاً يفوق الخيال بالنسبة لنجم «ألفا قنطورس» الذي هو أقرب النجوم إلينا بعد الشمس، فكيف نتخيل مواقع النجوم الأخرى التي تبعد عنا وعن بعضها البعض بلايين السنين الضوئية، ولا نرى منها إلا النذر اليسير في صفحة السماء الصافية. فعلى سبيل المثال هناك نجم الشعري اليمانية، وهو أسطع النجوم التي نراها في السماء، ولكنه ليس أقربها. يقع هذا النجم على بعد ٩ سنوات ضوئية.

وعندما يمتد البصر ولا يرى شيئاً، فإنه يستعين بالمقاريب (أجهزة التلسكوب) المزودة بكاميرات

من آيات الله في الأنفس

لا تقتصر معجزات الخلق الإلهي على نوع أو آخر من المخلوقات التي نراها كل يوم حولنا، بل تمتد إلى الإنسان نفسه، ليكون الدليل قائما بينا وواضحا تحت أبصارنا في كل حين. فجسم الإنسان الذي نراه كل يوم في أنفسنا أو فيمن هم حولنا من البشر هو بناء عجيب على أكبر جانب من الدقة وحسن المظهر وجمال التنسيق.

وقد أراد الله - سبحانه وتعال - أن يلفت أنظارنا إلى هذا البناء الدقيق لنقف على حقيقة واضحة تدلنا على عظمة الخالق وجمال الخلق، فقال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣).

وقال:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤).

فإذا اعتبرنا نعمة «اللسان» التي امتن الله بها على الإنسان في صورة استفهام تقريرى لكى يعتبر ويتعظ ويتأمل في أسرارها، وذلك في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهٗ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (٥).

نجد أن العلم الحديث قد ساعد على تجلية بعض الجوانب الإعجازية في تركيب اللسان والإحساس بالذوق. فالإنسان يتناول في حياته اليومية عدداً من الأطعمة المختلفة والمشروبات المتنوعة، وهو في تذوقه لها يعتمد على اللسان في الإحساس بالذوق ومعرفة ما إذا كان الطعام أو الشراب به ملح قليل أو

كثير، أو أنه حلو بدرجة مقبولة أو شديد الحلاوة. كما أننا إذا تناولنا أى نوع من الأدوية ندرك على الفور أن هذا الدواء مر أو أنه شديد المرارة. ومعنى هذا أن الإنسان يستطيع عن طريق اللسان أن يميز بين مختلف المواد الموجودة فيما يتناوله من طعام أو شراب، لا من حيث نوعية هذه المواد فقط، بل أيضاً من حيث تركيزها في الطعام والشراب.

ويعزى العلماء قدرة اللسان على تذوق المواد والتعرف على خصائصها وتركيزاتها إلى «البراعم الذوقية» المنتشرة على سطح اللسان وجوانبه، ويوجد منها ما يقرب من العشرة آلاف برعم تستقر بين خلايا الغشاء المخاطي الذى يغلف اللسان، ويتكون كل برعم ذوقى من مجموعة من «الخلايا الحسية» الخاصة التى تتجمع معها على هيئة المغزل، وتخرج من أطرافها الداخلية «النهايات العصبية» التى تحمل الإحساس إلى المخ.

وهناك أربعة أنواع من الإحساسات بالذوق عند الإنسان، هى: الحلاوة والملوحة والمرارة والحموضة، فهو يستطيع التعرف عليها وإدراك وجودها في سهولة تامة ولا يتم مثل هذا الإحساس إلا إذا كانت المادة المذاقة قابلة للذوبان في الماء، أما المواد غير القابلة للذوبان - كالطباشير مثلاً - فإنها تكون عديمة الطعم.

وهكذا فإن المواد التى نتناولها لا نحس بطعمها عند وصولها إلى الفم إلا بعد ذوبانها في اللعاب، لأن النهايات العصبية المرتبطة ببراعم الذوق تتأثر بالتغيرات الكيميائية، ولذلك يطلق على حاسة الذوق أحياناً أنها «حاسة كيميائية».



تشير هذه الآية الكريمة بأسلوب معجز إلى مراحل تكوين المطر، بدءاً من عملية السحاب التى يشير إليها القرآن الكريم فى هذه الآية بكلمة «فتشير»، وهى تعنى أن الرياح التى يرسلها الله - سبحانه - ويطلقها هى التى تظهر السحاب وتجعله واضحاً للعين بعد أن كان بخاراً شفافاً لا يرى فى الهواء الجوى .

ومن فضل الله على عباده أن جعل دورة تبخير المياه من الأرض والتكثيف فى السحاب مستمرة دون طلب منا، وجعل الرياح مسخرة لأداء هذا الدور بإذنه تعالى، فالريح هى التى تظهر السحاب فعلاً بعد خفائه، ثم يبسطه الله بعد ذلك فى السماء كيف يشاء، أى ينشره فى السماء بأحد الأشكال التى توجد عليها السحب المعروفة، وهى السحب البساطية الممتدة كالسائط، أو السحب المتراكمة أو الركامية التى تنمو رأسياً إلى ارتفاع ما بين ١٥ إلى ٢٠ كيلو متراً، ويجعل الله السحاب بعد ذلك كسفاً، أى قطعاً كبيرة يخرج من خلالها الودق، أى المطر، وعندئذ يستبشر الناس فرحاً بهذا المطر .

ومما يلفت النظر فى الآية الكريمة أن الله - سبحانه وتعالى - نسب إرسال الرياح، وسوق السحاب لنفسه، فهذان مظهران لإرادته - سبحانه - يدلان الإنسان مهما أوتى من العلم على أن وراء هذا الكون إلهاً حكيماً قادراً مدبراً .
فتبارك الله أحكم الحاكمين
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والواقع أن الأجزاء المختلفة من اللسان لها تخصصات مختلفة فيما يتعلق بإحساسات الذوق، فبراعم الذوق التى تتأثر بالمواد الحلوة توجد بصفة رئيسية عند طرف اللسان - وتوجد البراعم التى تتأثر بالملوحة على جانبى اللسان وطرفه، بينما تتركز البراعم الخاصة بالإحساس بالمرارة على السطح العلوى لمؤخرة اللسان، ولذلك فإن الإنسان عندما يتناول قرصاً من «الأسبرين» المر مثلاً، فإنه لا يحس بمرارته عند ابتلاعه بسرعة، أما إذا تباطأ فى ابتلاعه فسرعان ما يذوب جزء منه فى اللعاب، ويتم الإحساس بهذه المرارة عند وصول القرص إلى نهاية اللسان .

ونجد القرآن الكريم لم يقتصر على ذكر «الذوق المادى» كما فى قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا ذَاقُوا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمْ سَوْءُهُمَا ۖ ﴾ (٦)

بل إنه تطرق إلى «الذوق المعنوى» أو المجازى كما فى قوله تعالى :

﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۖ ﴾ (٧)

وقوله سبحانه :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ﴾ (٨) .

من آيات المطر

قال الله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابٍ فَيَبْسُطُهُ ۖ

فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى

الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ۚ

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۖ ﴾ (٩) .

(٩) الروم: (٤٨) .

(٨) العنكبوت: (٥٧) .

(٧) الأنفال: (٣٥) .

(٦) الأعراف: (٢٢) .

عالمية الأدب الإسلامي في فكر بديع الزمان (النورسي)

للدكتور / عبد الحليم عويس

الأدب الإسلامي الملتزم هو - وحده - الأدب الذي يمثل الإيمان والوجدان اللذين يعدان قلب الحضارات، كما يمثل العلم بمنجزاته المتعددة عقل الحضارات والمادة بثقلها وضغطها تمثل جسد الحضارة - وعلى النقيض من تأثير هذا الأدب الإسلامي، تتوارى وتختفى في عصور الهيام بالمادة وهيمنتها على العقل والوجدان بواعث الإيمان ومظاهره في النفس والمجتمع، ويصبح العقل خادما لاسيدا..

وفي ظل فلسفة المادة هذه يتخلى الإيمان والعقل عن دورهما الهام في قيادة النفس والمجتمع، والسيطرة على ميادين الحياة بعدما أضحت الحياة نفسها (مأساة وملهة) حين أمسكت فلسفة المادة بكل الخيوط، وأضحت مفاهيمها هي التي توجه مسيرة الحياة والأحياء.

وتلك هي معاناة مدنية الغرب التي بدأت تتآكل من داخلها بجراثيم الوضاعة والمعصية والكوكايين والهيروين والأيدز^(١).

في البداية - على سبيل التخلية - كما يقولون - يدحض النورسي الآداب المادية واللا دينية والعنصرية ثم يقوم بعد رفضه لهذه الآداب الأوروبية وفضح أسسها وبيان طبيعة بنائها الفكرى وأهدافها اللا دينية، وبعد رفضه للتيارات الأدبية التركية وغير التركية في المحيط الإسلامى، والتي تعتمد على التيارات الأوروبية وتسعى إلى أن تكون مجرد رشح لها، ومتأورية مثلها، دون غريزة أو تمحيص أو مراعاة لطبيعة الإنسان الشرقى المسلم وبيئته مهبط الرسالات السماوية.

بعد هذا كله يصرح النورسي بأنه لا بديل للمسلمين - ولا لغير المسلمين - من الأدب الإسلامى القائم على الأسس العقيدية والفكرية والإنسانية الربانية، والسعى إلى أهداف سامية تليق بالإنسان، والذي يعتمد آليات وأجناسا تقوم على الصدق والوضوح والارتفاع بالنفس الإنسانية والوجدان وتهذيبهما وصولا بهما إلى الانسجام مع الكون الذى يسبح كله بحمد الله - سبحانه وتعالى - وإن هذا

(١) إبراهيم أبو محمد ص ٥٦ نشر سوزلر القاهرة ط ١ سنة ٢٠٠٢.

فالأشياء في حد ذاتها مادية، ولكن النظر إليها بعين المسلم والفنان تضيء عليها بعدا آخر، وحسا جديدا، وما كان الوجدان يستشعره ويحس به لولا إحسان الرؤية، وإحسان الرؤية هنا مبعثه النظر إلى فلسفة الأشياء لا إلى الأشياء نفسها، فالصور الجامدة لاتبقى جامدة في تصور الذين ينظرون إليها نظرة تفكر وتأمل، وإنما تبدو من خلفها حكمة عليا، وإرادة تتسم بالدقة والإحكام، وعلم يحيط بالأشياء من كل جانب، ويلحظ الرباط القوى بين النسب والأحجام والكتل والأوزان^(٤).

ومن هنا كانت رؤية النورسي لوظيفة الأدب، في إطار إنسانيته وإسلاميته رؤية قادرة على توجيه الأدب وجهة علمية إيجابية بناءة تقود إلى الخير العام والانسجام الإنساني.

لقد فهم تلامذة بديع الزمان المباشرون من طلاب النور هذا التوظيف النورسي للأدب، فلهذا أشاروا إليه في مقدمتهم لبعض منظومات النورسي (اللوامع) التي تشبه الشعر وتأخذ بعض قوالبه وماهى بالشعر، وماقصده هو أن تكون شعرا وإنما أرادها خواطر تأخذ أجمل ما فى الشعر وأجمل ما فى النشر.

لقد ذكر تلامذته (صنغور، ومحمد فيضى، وخسرو) أن هذا الديوان المرسوم (باللوامع) لايجرى مجرى الدواوين الأخرى على نمط واحد متناولا عددا من المواضيع وذلك لأنه كتب على أسلوب النشر، زد على ذلك أنه لايجنح إلى الخيالات والانطلاق من أحاسيس غير موزونة كما هو فى سائر الدواوين، فلا يضم هذا الديوان بين دفتيه إلا ما هو موزون بميزان

وفى مقابل الرؤية المادية الجزئية لرسالة الأدب - كانت واقعية الإسلام العظيم - وعالميته أيضا - حين جمع فى منهجه بين الدنيا والآخرة، وعالم الغيب وعالم الشهادة، والمادة والروح، والملك والملكوت، والعقل والقلب، والسيف والقلم، والحرية والانضباط، والفن والأدب، والالتزام الداخلى.. وهو تكامل لا يصلح الوجود الإنسانى إلا به، ولا ترتقى الحياة وتزدان بدونه، حتى يطغى جانب على آخر، ولايشعب جانب ويجوع آخر، فيتم التركيز على الأدب والفن والوجدان، ويهمل العقل أو المادة.. لكن بهذا التكامل يتوازن الإنسان مع ذاته أولا، مع البيئة من حوله، ومع الوجود كله باعتباره جزءا من هذا الوجود وعنصر من عناصره المؤثرة فيه والمتأثرة به^(٢).

ويلفت بديع الزمان سعيد النورسي نظرنا بشدة إلى هذه الحقيقة فيقول: «إن الذين يبحثون عن كل شىء فى المادة عقولهم فى عيونهم، والعين لا تبصر المعنويات».. بينما قد يمزج النورسي فى رؤيته بين جمال الفكر وروعته، وبين متع الحياة ولذاتها فى داخل النفس، وهو الجانب الذى يقوم الأدب الإسلامى بتحقيقه من خلال استخدامه لأجناس الأدب ورؤيته الجمالية والنورانية التى يجمع فيها بين عمق الرؤية الإسلامية وبين شروط الأدب التى لاخلاف حولها.

يقول النورسي: «من أحسن رويته حسنت رؤيته وجمل فكره، ومن جمل فكره تمتع بالحياة والتذ بها»^(٣) والنورسي هنا - كما يقول الدكتور كمال أبو محمد - قد جمع أبرز القيم الرعوية المعنوية التى يحققها الأدب الصحيح وهى إحسان الرؤية للأشياء،

(٣) الكلمات ص ٦٠٦.

(٢) المكان السابق.

(٤) إبراهيم أبو محمد: المرجع السابق ٥٩، ٦٠.



المنطق وحقائق القرآن والإيمان .

ولقد اقتدى أستاذنا واستفاض من نور :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾^(٥) فما كان له ميل إلى

النظم والشعر ولم يشغل نفسه بهما أبدا وقد تم تأليف هذا الديوان الشبيه بالمنظوم خلال عشرين يوما ومع وروده فطريا وطبعه كما ورد دون أن يطرأ عليه تصحيح أو تشذيب أو تدقيق يجعلنا نراه خارقة من خوارق رسائل النور، فلا نعلم ديوان شعر مثل هذا يسهل قراءته نثرا دون تكلف .

وفي مقدمة الديوان وتحت عنوان (تنبيه) يؤكد النورسى رؤيته للشعر المنضبط بالآلام فيقول :

ولم أشأ قط تغيير صورة الحقيقة لتوافق هواء القافية نظير التضحية بصافية فداء القافية .

[وهى قصة امرأة تركية طلقها زوجها لتستقيم له القافية] ولأجل هذا فقد ألبست أسمى الحقائق أردأ الملابس فى هذا الكتاب الخالى من القافية والنظم، وذلك :

أولاً : لأننى لا أعلم أفضل من هذا فكنت أحصر فكرى فى المعنى وحده، دون اللفظ .

ثانياً : أردت أن أبين بهذا الأسلوب نقدى لأولئك الشعراء الذين ينحتون الجسد ليوافق اللباس .

ثالثاً : أردت إشغال النفس أيضاً بالحقائق العالية مع انشغال القلب بها فى هذا الشهر المبارك شهر رمضان .

وعن الأسلوب الشعرى فى رسائل النور، يقول شريف ماردين : إن اللهجة الأدبية لبديع الزمان تنطوى على أسلوب إيمانى غنى بالمجازات، لذا فهذا الأسلوب المغلق الذى يهز المشاعر اكتسب قوة ساحرة .

(٥) ياسين (٦٩) .

ويشبه « جميل مريج » رسائل النور بالريح العاصفة أما « سزائى قارافوج » عندما يؤكد على تأثير هذه المؤلفات بإيقاعات كلماتها وأسلوبها يقول : إن رسائل النور هى كليات ثقافة إسلامية وحدها، وهاتان جملتان من رسائل النور : إن الكرة الأرضية مأورة وموظفة من الفرد الواحد - سبحانه - وهى كالجندى المطيع لله الواحد الأحد فحينما، تستلم الأمر الواحد، الصادر من أمرها الأحد، تهب منتشية بأمر مولاهما وتنغمر فى جذبات وظيفتها فى شوق عارم، وتدور كالمرید المولوى العاشق - عند قيامه للسماع - فتكون وسيلة لحصول المواسم الأربعة .

ثم إن الإيمان قد بصرنى بعلم اليقين، إن ما يبدو بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التى هى فوق شجرة العمر على شكل نعلش وجنزة . إنها ليست كذلك، وإنما هى انطلاق من الروح - التى هى أهل للحياة الأبدية ومرشحة للسعادة الأبدية من وكرها القديم إلى حيث آفاق النجوم للسباحة والارتياح^(٦) .

لقد رفض النورسى أن يكون خياله الشعرى خيالا هائما جامحا .

وكان النورسى عندما ألزم نفسه هذا المنهاج فى الشعر أو فى النثر الفنى الذى يتشبه بالشعر - إنما أراد أن يقدم لنا خلاصة رؤيته للأدب الإسلامى الذى يجب أن تكون رسالته عالمية وإنسانية معبرة عن المفاهيم القرآنية وغاياتها . . . وكأنه - أيضاً - يقول للشعراء المسلمين : هكذا يجب أن يكون الخيال الإسلامى . . . فحتى وهو فى قمة جنوحه وعطائه الخيالى يجب أن يستشعر رسالته ومسئوليته .

(٦) محسن قاليشيم: الميزة الشعرية لرسائل النور، المؤتمر العالمى، بديع الزمان سعيد النورسى من ٢٤/٢٦/٩٩٥٠ - ٦٨٤ - ٦٨٥ .

مَكَانَةُ الشُّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

د. أستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

لا يقدم على الشهادة في سبيل الله إلا كل مؤمن صادق الإيمان، قوى اليقين، متصل بربه - سبحانه وتعالى -

ينظر إلى الدنيا على أنها طريق للآخرة، وأنها فانية ولا بقاء فيها ولا خلود، وينظر إلى الآخرة على أنها دار الخلد والبقاء، ويوقن أن الجهاد في سبيل الله لا يقصر الأجل، وأن الجبن والخوف وعدم الجهاد لا يطيل الأجل فكل نفس ميقات أجل لا تستأخر عنه ساعة ولا تستقدم عنه أخرى.

عن زيد بن ثابت - رضى الله عنه - قال : بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع - رضى الله عنه - وقال : « إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجددك؟ » قال : فجعلت أطوف بين القتلى، فوجدته وهو فى آخر رمق وبه سبعون ضربة، مابين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم فقلت له : ياسعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك : أخبرنى كيف تجددك؟

قال : « على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له : يارسول الله أجدنى أجدر ربح الجنة، وقل لقومى الأنصار : « لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى رسول الله ﷺ شئ يكرهه وفيكم عين تطرف ».

ومن هنا تبرز قيمة العهد والعقد الذى تم بين الله - تعالى - وبين المؤمنين، إنه عهد يقدم فيه الإنسان المؤمن نفسه وماله فى سبيل الله، قال الله - تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا فالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْفُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

وإن هذا الفوز العظيم يستشعره المؤمن قبيل الشهادة فى سبيل الله حيث تتجلى له البشريات، ويشم رائحة الجنة.



مالى أراك منكسا مهتما؟ قلت: يارسول الله: استشهد أبى وترك عيالا وعليه دين فقال: ألا أبشرك بما لقي الله - عز وجل - به أباك؟ قلت: بلى يارسول الله، قال: إن الله أحيا أباك، وكلمه كفاحا [أى مواجهة] - وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب، فقال له: يا عبد الله تئن أعطك قال: يارب أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب - تبارك وتعالى: إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون، قال يارب فأبلغ من ورائى فأنزل الله:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣).

ولقد وعى سلفنا منزلة الشهادة فى سبيل الله، وعرفوا مكانة الشهداء، وكرامتهم عند الله - سبحانه وتعالى - وفى الدار الآخرة، ومن أجل ذلك كانوا يتسابقون على الجهاد ويتشوقون إلى الشهادة فى سبيل الله، ويخفون لداعى المعركة، ومنادى الجهاد، فها هو ذا حنظلة بن أبى عامر - رضى الله عنه - لما دخل على زوجته أول ما دخل بها فنودى بالجهاد إلى غزوة «أحد» من ليلته فخرج مسرعا إلى الجهاد، حتى أتاها سهم مفاجىء فاستشهد وبعد انتهاء المعركة قال رسول الله ﷺ:

«لقد رأيت حنظلة بن أبى عامر، تغسله الملائكة بماء المزن، فى صحاف الفضة، بين السماء والارض».

وفى هذا الحديث إشارة إلى أن الشهيد قبل أن تفيض روحه إلى بارئها يبشر بالجنة ويشم رائحتها كما قال سعد - رضى الله عنه: «أجدنى أجد ريح الجنة».

وقد وضع القرآن الكريم مكانة الشهداء، ومنزلة الشهادة فى سبيل الله - تعالى - حيث بين أنهم أحياء عند ربهم يرزقون قال سبحانه:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

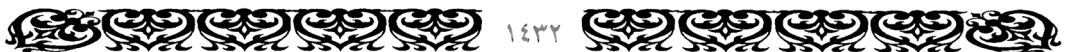
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٣١﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

وروى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة،

عن ابن عباس - رضى الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم»، فأنزل الله:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ

الآية، وروى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة - أيضا - أن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه قال - : لقينى رسول الله ﷺ فقال: «يا جابر



إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» (٤).

ومن تكريم الله - تعالى - للشهيد أن الملائكة تظلمه، عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: جرى بأبى إلى رسول الله ﷺ، قد مثل به، فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهانى قومي، فسمع صوت صائحة، فقيل: ابنه عمرو أواخت عمرو فقال:

«لم تبكى؟ أولا تبكى، مازالت الملائكة تظلمه بأجنحتها» (٥).

وأعظم بشرى للشهداء، أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تمنى الشهادة عدة مرات، وبين ذلك موضعاً أهميتها ومنزلتها حيث قال فيما رواه أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل» (٦).

وواضح أن مقام الرسالة والنبوة أعلى المقامات وأن منزلة خاتم المرسلين عند رب العالمين أعلى المنازل وأنه خير خلق الله، ومع هذا فإنه تمنى أن يغزو ويقتل عدة مرات لما يعلمه من فضل الشهادة فى سبيل الله.

ومن أجل هذا كان يحث أصحابه رضوان الله - تعالى - عليهم أجمعين، ويحث المسلمين قاطبة على الجهاد والاستشهاد

فذهب الصحابة إليه وهو فى القتلى فوجدوا شعره يقطر ماء، فقالوا لرسول الله ﷺ ذلك فقال:

«اذهبوا إلى زوجته فاسألوها» فذهبوا إليها فقالت: «إنه أعرس بى أول ليلة فقط، ولما سمع الداعى إلى الجهاد خرج مسرعاً وهو جنب» فرجعوا إلى النبى ﷺ فأخبروه فقال: «من أجل ذلك غسلته الملائكة».

وحين يعلم الشهيد مكانته يزداد شوقه إلى الشهادة، وخاصة عندما يبشر بها ويشم رائحة الجنة وهو على ظهر الدنيا.

كما أن أهله حين يعلمون منزلته لا يكون عليه، بل يزداد إيمانهم بما وعد الله - تعالى - به عباده المجاهدين فى سبيله.

روى أن حارثة بن سراقة لما استشهد فى غزوة بدر أتت أمه وهى بنت البراء إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء فقال ﷺ: «يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

ولا يعلم أحد فى الدنيا ما أعد للشهيد، إنه لا يعلم بمنزلته فى الجنة، وإكرام الله - تعالى - له أحد، لا يعلم بذلك إلا الله - تعالى - ولا يطلع على هذا إلا الشهيد نفسه، عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع

(٥) أخرجه البخارى ومسلم.

(٤) أخرجه البخارى ومسلم.

(٦) رواه مسلم.



الله - تعالى - فهم يضحون بأغلى مايمتلكون، ويبذلون أرواحهم فداء لدينهم وأوطانهم، والجود بالنفس أغلى وأقصى غاية الجود، إن ديننا يحثنا على الجهاد وعلى إعداد العدة وأن نكون أقوياء حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وحتى ننصر دين الله فينصرنا الله :

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾^(٨) وما أحوج أمتنا إلى روح الجهاد والشهادة والبذل والدفاع عن الأقليات الإسلامية، والمستضعفين في الأرض، ومن أجل أن ندرأ عن الإنسانية المعذبة ظلم الظالمين والمستعمرين، والملاحدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. وما أحوجنا إلى أن نمضى على قلب رجل واحد، ونكون يدا واحدة، وأمة واحدة، وواضح أن المسلمين في الأرض أكثر عدداً، وأكثر عدداً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وموارد بشرية واقتصادية لو تجمعت وتكاملت وتوحدت لأصبحت أكبر قوة ضارية على ظهر الأرض إذا ماسرت فيها روح الجهاد والاستشهاد وأقدمت على تحرير أوطانها، ودرء الخطر والإرهاب الذى يتهدد الأوطان، ولا يتم ذلك إلا بروح الإيمان الصادق الذى لا يتزعزع، والذى يقدم المخلصون فيه على جهاد أعدائهم بروح يتسابقون معها إلى الشهادة فى سبيل الله .

وكان تعبيره النبوى فى ذلك بليغاً كل البلاغة، دقيقاً كل الدقة، فما كان أحياناً حين يدعوهم إلى الجهاد أن يقول لهم: «جاهدوا..» بل كان يقول لهم «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» كما حدث هذا فى يوم غزة بدر الكبرى .

عن أنس رضى الله عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ :

« لا يقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام الأنصارى رضى الله عنه: يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول: بخ بخ، قال: لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه، إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمرات، ثم قاتلهم حتى قتل»^(٧) .

وهكذا كان الرعيل الأول من المسلمين يتسابقون إلى الجهاد والاستشهاد، لما يعلمون علم اليقين من مكانة ومنزلة الشهداء عند





من هو اليهودي؟!

تأليف

د/ عبدالوهاب المسيري



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض





ولكن الصهيونيين الدينيين كانوا قانعين بدورهم الثانوى فى الحركة الصهيونية، ولكنهم كانوا يتحينون الفرصة ليفرضوا تعريفهم القومى الدينى الأرثوذكسى .

ولما أعلن قيام الدولة الصهيونية أعلن باعتبار تلك الدولة دولة يهودية، للشعب اليهودى بأسره، داخل فلسطين وخارجها، وعلى أن يهوديتها هو مصدر شرعية وجودها . ومن هنا ... كانت حتمية الوقوف على تعريف الهوية اليهودية!

الأمر الذى استلزم ظهور التناقضات الكامنة . ولما أصدرت الدولة الصهيونية قانون (العودة) الذى يعطى كل يهودى الحق فى الهجرة إلى إسرائيل أين كان .. وأتبعته بقانون (المواطنة) الذى يمنح الجنسية الإسرائيلية لكل المهاجرين اليهود .

لما أصدرت هذين القانونين أصدرتهما دون تعريف للهوية اليهودية .

وفى قانون (تسجيل المواطنين) جعلت الهوية تشمل الجنسية، والديانة، والقومية، فالجنسية: إسرائيلى، والديانة: يهودى أو مسلم أو مسيحى . أما القومية: فهى عربى بالنسبة للإسرائيليين العرب المسلمين والمسيحيين، وهى: يهودى بالنسبة للإسرائيليين اليهود .

فكان -بذلك- قيام الدولة الصهيونية منبعاً فياضاً لتفاقم التناقضات التى ظهرت فى شتى مناحى الحياة هناك .

١ - وأبرز هذه التناقضات ما بدا بين الدينيين واللا دينيين من اليهود ... بحيث أصبح

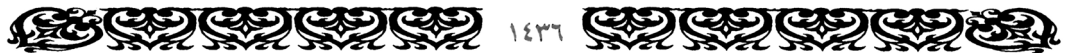
فى تلك الدراسة الجادة العميقة .. أوضح الدكتور عبد الوهاب المسيرى: أن الهوية اليهودية - فى تعددها المتعارض، غير المحدود - تاريخياً ودينياً لا أساس لها، ولا ثبات، فهى هوية أسطورية، تصنعها الأهواء، وتتطور بها المصالح الطارئة والممتدة عبر الأماكن والأزمان .

وأوضح : أن هذه الضبابية التى تغلف كلمة (يهودى) قد لازمت تلك الكلمة منذ آلاف السنين، على اختلاف فى طبيعة هذا الضباب، وكثافته، وأشكاله، ومصادره، والدوافع إليه .

كما أوضح : أن (الصهيونية) تعد أحدث مصادر هذه الضبابية؛ فقد أرادت أن تنحى جانباً كل مصادر التعدد فى الهوية اليهودية التى سبقت، وأن تصطنع هوية أخرى تمنح اليهود تلاحماً وتوافقاً، وتحقق فى الوقت ذاته مقاصدها الاستيطانية الاستعمارية؛ فاخترعت مصدراً جديداً للهوية؛ مفاده: أن الشعب اليهودى ذاته هو مصدر الشرعية والقداسة، ظناً من هؤلاء الصهيونيين أنهم بهذا التفتل يتفادون أسباب التعارض والتباين فأوقعت اليهود فيما أبعد من ذلك وأعمق فى الخلاف .

التناقض بين الرؤية والممارسة

ويلاحظ الدكتور المسيرى : أن الصهيونيين اللا دينيين حتى عام ١٩٤٨ كانوا يتحدثون بحرية شديدة عن الشعب اليهودى الواحد . وبالتالي يتحدثون عن الهوية اليهودية الواحدة التى يقضون بها على هذا التعدد المطلق المتنافر، حيث كانت كل جماعة يهودية تمارس تجربتها التاريخية، والدينية، والقومية بمعزل عن الجماعات الأخرى، كما وضع فيما تقدم .





(السفارد)، وفي الوقت نفسه... ما زالت الدولة تخضع لتوجه (الإشكناز)، وتحاول القضاء على الأشكال الحضارية التي جاء بها الشرقيون؛ فالنخبة الحاكمة في إسرائيل -بوجه عام- غربية، وبالدرجة الأولى (إشكنازية).

وهكذا كانت الممارسة الصهيونية نقضاً جذرياً لما قامت عليه الشرعية الصهيونية، التي تزعم أنها حركة الشعب اليهودي بأسره.

٣ - ومن تلك التناقضات... ما كان بين الدينيين من اختلاف، على ما وضع فيما تقدم.

فالأرثوذكس لا يعترفون بيهودية الحاخامات الإصلاحيين، ولا الحاخامات المحافظين، ولا المتهودين على أيدي هؤلاء الحاخامات؛ لعدم التزامهم بما تفرضه الشريعة على المتهود.

٤ - ومن تلك التناقضات... موقف حاخامات الإشكناز والسفارد من يهود الهند المعروفين باسم (بنى إسرائيل)، حيث لم يعترفوا بهم يهوداً؛ لممارستهم الزواج المختلط، وعدم معرفتهم التلمود.

وقد وقفوا هذا الموقف نفسه تجاه يهود (الفلاشاه)، حتى إنهم لم يشجعوا هجرتهم طيلة الأعوام الثلاثين الماضية لأسباب كثيرة، منها عدم معرفتهم التلمود.

٥ - ما ينشب من صراع حين يتم التزاوج المختلط بين أحد القرائين أو السامريين، وبين آخر ينتمي إلى الحاخاميين.

وعلى الرغم من حدة هذا الصراع لم تأخذ المؤسسة السياسية موقفاً حاسماً تجاه تلك القضية، وتركها لتصرف المؤسسة الدينية.

من المستحيل تعريف اليهودي الملحد، أو اليهودي القومي، أو اليهودي غير اليهودي.

وقد وضع ذلك التناقض في موقف (العاهرات)، وتجار (الرقيق الأبيض)، (القوادين) من أعضاء الجماعات اليهودية الذين تركزوا في (الأرجنتين)، وكونوا قطاعاً اقتصادياً كبيراً، وجماعة ضغط مؤثرة؛ فقد أصر هؤلاء على انتمائهم وهويتهم اليهودية، فكانت لهم معابدهم الخاصة، وحاخاماتهم الذين يلبون احتياجاتهم الروحية.

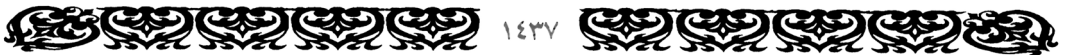
٢ - ومن هذه التناقضات ذات الخطر الكبير: ما بدا بين (السفارد) و(الإشكناز).

وذلك لأن الممارسة الصهيونية قامت على: أن اليهودي هو اليهودي الأبيض؛ لتتسق مع إطارها الاستعماري الاستيطاني الغربي... حتى لقد بذل (آرثر روبين) أحد علماء الاجتماع الصهيوني جهداً علمياً فائقاً لإثبات أن اليهودي هو (الإشكناز) وحده، وأن الشرقيين ليسوا يهوداً.

فالتباين بين (الإشكناز)، و(السفارد) تباين عميق، ذو طابع ديني، كما أنه ذو طابع طبقي، وقومي.

وقد وضع هذا التباين من خلال تنوع الأحزاب الإسرائيلية، وبنيتها، وأنماط التصويت في الانتخابات التي تجري في المستوطن الصهيوني.

ومع هجرة اليهود الشرقيين من العالم العربي. والعالم الإسلامي، وغير ذلك من بلاد الشرق... أصبح الشرقيون أغلبية؛ مما ألجأ المؤسسة الحاكمة إلى إخفاء تعريف الهوية اليهودية، والكف عن إطلاق التصريحات العنصرية ضد اليهود





فالصهيونية ترى أن الهوية اليهودية خارج المستوطن الصهيونى هوية ناقصة مريضة، يجب إلغاؤها... وهذا ما يسمى (نفى الدياسبورا)؛ أى تصفية الجماعات اليهودية، أو استغلالها. وأعضاء الجماعات اليهودية يرون أن هوياتهم اليهودية ليست مريضة، وإنما هى جديرة بالحفاظ عليها.

١ - وانطلاقاً من المفهوم الصهيونى للهوية اليهودية تتصرف الدولة الصهيونية أحياناً بطريقة لا تخدم صالح أعضاء الجماعات اليهودية، وإنما تخدم مصالحها على حسابهم.

٢ - عندما ينظر يهود العالم -خصوصاً المتدينون منهم- إلى الدولة الصهيونية يكتشفون أن هويتها وهوية سكانها ليست يهودية على الإطلاق.

٣ - كما يكتشفون أن ممارساتها فى علاقاتها بالآخرين لا صلة لها بالأخلاق اليهودية.

٤ - برغم علمنة يهود العالم، وابتعاد المتدينين عن الأرثوذكسية... ظل البعد الدينى أكثر أهمية بالنسبة إليهم من أهميته بالنسبة إلى الإسرائيليين.

٥ - ما زالت الجماعات اليهودية الدينية إما معادية للصهيونية، وإما غير صهيونية، وغير ممثلة فى المنظمة الصهيونية.

فالأزمة التى تعتمل داخل الدولة الصهيونية، وفى صفوف الجماعات اليهودية فى العالم نتيجة لمحاولة تبني التعريف الدينى أو التعريف اللا دينى الصهيونى للهوية... هذه الأزمة تعد أمراً طبيعياً ومتوقعاً؛ لأن أعضاء هذه الجماعات حين

ومع محاولات السلطات الحاكمة إخفاء هذه الصراعات، أو حصرها فى دائرة ضيقة... فإنها لم تستطع ذلك -فيما يقرره الدكتور المسيرى معتمداً على ما قدمه من أحداث شبت بين الأفراد والجماعات، والمحاكم المختلفة، ولم تستطع السلطة حسمها - بل اضطرت فى الغالب إلى إصدار الوعود تلو الوعود بالبحث عن حل يرضى الجميع... دون جدوى.

ولما ثارت مشكلة الهوية بحددة سنة ١٩٨٨ طرح لها حل صهيونى، معتبراً أن قانون العودة قانون سياسى صهيونى لمن يشاء، وقانون دينى لمن يشاء، ويمكن لكل فريق أن يفسره بالطريقة التى يراها.

ولا ريب فى أن مثل تلك الحلول المائعة الغائمة لا تحسم مشكلة، وإن كانت قد تؤجل الصراع بعض الوقت، لتثور من جديد أشد عنفاً، وأعمق بُعداً... مما يتهدد الدولة بالتقويض والانهيار المفاجئ، ويجعل منها هيكلاً أجوف، ينخر السوس فى جذوره؛ لأن الهوية اليهودية قضية محورية -وليس هامشية- فالدولة الصهيونية تكتسب شرعيتها -أمام نفسها، وأمام الكثيرين، من ادعائها أنها دولة يهودية.!

الصراع بين الجماعات اليهودية والمستوطن الصهيونى

ومن ادعاء الدولة الصهيونية أنها دولة يهودية تولدت قضية صراعية أخرى، حول تعريف هوية الصهيونى: هل هو اليهودى الذى يهاجر إلى إسرائيل، أم اليهودى الذى يدعم المستوطن الصهيونى، دون أن يهاجر؟!



اليهود يضطلعون بدور الجماعة الوظيفية التي تعزل نفسها عن المجتمع لتلعب دورها المحايد، ولكن مع ظهور الدولة القومية التي ترى نفسها مطلقاً، لا تقبل مرجعية متجاوزة لها... أصبح من الصعب أن تتعايش نقطتان مطلقتان داخل المجتمع الواحد.

من هنا... حاول أعضاء الجماعات اليهودية التخلص من هذه المشكلة، فتوصلوا إلى صيغة حديثة لليهودية يمكنها التعايش مع الدولة القومية الحديثة المطلقة مع إصرارها على أن يعيد اليهودى صياغة ذاته ورؤيته، حتى يدين لها وحدها بالولاء.

وحاولت اليهودية الإصلاحية والمحافظة حل إشكالية الشعب المقدس عن طريق تبني الحل الغربى للمشكلة، وهو أن يكون الحلول الإلهى فى نقطة ما فى الطبيعة، أو فى الإنسان، أو فى التاريخ.... بحيث يشكل المطلق ركيزة نهائية كامنة فى هذه النقطة، وغير متجاوزة لها.

وبذلك... تخلصت من آثار الحلولية الحادة والجامدة التى كانت تدور فى فلكها اليهودية الحاخامية التى عزلت اليهود عن اليهود وعن مجتمعاتهم، وجعلت معتقداتهم الدينية عبئاً، ينوءون بحمله، وجعلت تعايشهم مع المطلق الجديد مستحيلاً.

كما حاول الإصلاحيون تأكيد الجانب العقائدى والأخلاقي، على حساب الجانب الشعائرى؛ فهم يرون أن اليهودية الحاخامية - بشعائرها المرتبطة بالدولة والهيكل - لم يعد لها أية فعالية أو شرعية.

يستوطنون فلسطين يحملون معهم انتماءاتهم، وتجاربهم التاريخية.. شاءوا أم أبوا.

وحين يتبنون تعريفاً صهيونياً لهويتهم.. تنفجر الأزمة؛ إذ تكتشف أغلبيتهم العظمى أنهم ليسوا يهوداً، أو أن يهوديتهم مشكوك فيها، بل ومرفوضة، كما حدث لليهود الهند، والفلاشاه.

تطورات جديدة فى الكيان الصهيونى

وقد أضاف الدكتور المسيرى - فى الطبعة الثانية للكتاب - مبحثين آخرين، رصد فيهما ما جدَّ على الدولة الإسرائيلية فى داخلها من صراع نشأ عن العلاقة بين الملتزمين بالفكر الأرثوذكسى، والملتزمين بالفكر الإصلاحي والمحافظ.

وقد تمثل هذا الصراع فيما أطلقه الحاخام الأرثوذكسى الإسرائيلى (تسفى هليير شتاين) على اليهود الإصلاحيين من أنهم كفر، أخرجوا أنفسهم عن الدين اليهودى، وأصبحوا خارج السياج المحيط بشعب إسرائيل، وليست لهم حصّة فى أرض إسرائيل؛ فهم طابور خامس، خطره أكبر من خطر التنازل عن أرض إسرائيل للعرب، حتى إنه يفضل أن يعطى الأرض للعرب على أن يساوم عليها فى علاقته باليهودى الإصلاحي والمحافظ.

١ - ويشترك الإصلاحيون والمحافظون فى أنهما يحاولان حل إشكالية الحلول الإلهى فى الشعب اليهودى ومؤسساته القومية، بما يجعل منهم شعباً مقدساً، ملتفاً حول نفسه، يشير إلى ذاته، دون الإشارة إلى شىء خارجه.

وقد كانت هذه المحاولة مقبولة حينما كان





بالشعب والأرض، ويتساوى معهما، وتميل الكفة - داخل النسق الحلولى بالتدرج - لصالح الشعب، على حساب الإله حتى يصبح الشعب وتراثه مصدر القداسة، لا الإله.

ومن هنا... عرّف المحافظون أهدافهم بأنها الإصرار على وحدة إسرائيل والكاثوليكية العالمية، والإصرار على المحافظ على استمرار التراث اليهودى، والاهتمام بالدراسات اليهودية.

ويلاحظ الدكتور: أن الفكر الصهيونى يشبه - فى كثير من الوجوه - فكر اليهودية المحافظة؛ فكلاهما يتبنى مقولات اليهودية الأرثوذكسية الحلولية بعد أن علّمها كل منهم على طريقته؛ فبينما يؤكد الأرثوذكس الأصول المقدسة الربانية للتراث اليهودى، يرى المحافظون: أنه تراث مقدس. وبينما يصر الأرثوذكس على مقولة: (إن الدين اليهودى هو القومية اليهودية)... يحاول المحافظون تمويه هذه الحقيقة بالحديث عن الروح المقدسة للشعب، وجعلها مصدر القداسة، بدلاً من الإله.

ويدعم الدكتور هذه الملاحظة بذلك القرار الذى أصدرته الجمعية الأمريكية للحاخامات بانضمام المعابد اليهودية المحافظة إلى المنظمة الصهيونية العالمية بشكل جماعى.

ومن هنا... بدأت اليهودية المحافظة تحقق نجاحاً ملحوظاً فى إسرائيل، ثم بدأت محاولات جادة لتوسيع نطاق الحركة، ليشمل التجمع الصهيونى كله.

٣ - وترى اليهودية الأرثوذكسية - وهى اليهودية الحاخامية التلمودية - : أن الإله أوحى إلى موسى

وهكذا... انتهى الأمر بالإصلاحيين إلى خلع النسبية على كل العقائد، ونزع القداسة عن كل شىء، حتى إنهم أنكروا فكرة البعث، واللجنة والنار، وأحلوا محلها فكرة خلود الروح... إلى غير ذلك من الأفكار التى ذكر الدكتور المسيرى طرفاً منها، والتى انتهت بهم إلى رفض الصهيونية، ورفض وعد (بلفور)، وكل المحاولات التى تنطلق من فكرة (الشعب اليهودى).

ولكن ارتباط المصالح الغربية بالصهيونية، فرض على اليهودية الإصلاحية أن تتخلى عن رؤاها، وأن تعود إلى فكرة القومية اليهودية الصهيونية، والأرض المقدسة.

ومع ازدياد النفوذ الصهيونى داخل الإصلاحيين، بدأ الإصلاحيون - من منتصف سبعينيات القرن العشرين - يساهمون فى الحركة الصهيونية.

٢ - ومع هذا التوافق بين الإصلاحيين والمحافظين فى الجذور الفكرية... وقفت اليهودية المحافظة ضد التيار الإصلاحى؛ فنادوا بأن يكون أى تطوير نابعاً من أعماق الروح اليهودية، لا من خارجها، ورأوا أن الشريعة ملزمة لليهودى؛ فمثّل اليهودى العليا يتم تفسيرها من خلال الشريعة، على أن تظل الشريعة مرنة مرونة كافية، بحيث تترك مجالات للتغيير والتعددية الفكرية التى تجعلها قادرة على مواكبة العصر الحديث.

وبذلك... عادت اليهودية المحافظة إلى واحدة من أهم الطبقات فى التركيب الجيولوجى اليهودى، وهى الطبقة الحلولية التى أدت إلى واقع أن الإله لم يتمتع قط بالمركزية التى يتمتع بها داخل الأنساق الدينية التوحيدية؛ فهو يمتزج

اليهود الإصلاحيين، ومع هذا يصب معظمها في المؤسسات الأرثوذكسية.

ويؤكدون مركزية الدياسبورا (الجماعات اليهودية خارج فلسطين) مقابل مركزية إسرائيل، كما يحاولون تغليب الجانب الديني على الجانب القومي.

تجسيهم جميعاً وقلوبهم شتى

وتحت عنوان : (من هو اليهودى عام ١٩٩٨م) قدم الدكتور المسيرى المبحث الثانى المضاف إلى الطبعة الثانية من الكتاب، وفيه استعرض المقصود بكلمة (أصولي) التى أطلقت على الأرثوذكس الذين يرفضون كلاً من الإصلاحيين، والمحافظين، منبهاً إلى أنها استخدمت فى سياقات عديدة، قد يباين بعضها البعض، ومصرحاً بأن الأصولية اليهودية تستخدم فى الخطاب السياسى العربى والغربى للإشارة إلى شكل من أشكال التطرف الدينى المتمثل فى الأرثوذكس، وبأن هذه الأصولية أصبح بمقدورها التحكم فى رئاسة الحكومة، وإسقاط الحكومات، وأن أعضاءها يستأثرون بوزارات المستقبل (التعليم - الإسكان - الأراضى - المهاجرين - الأديان).

وأن الأطروحات الأساسية لهذه الأصولية كما يلي :

١ - أن إنشاء دولة إسرائيل هو تجسيد للحلم التوراتى اليهودى القديم - وإن كانت الحركة الصهيونية التى أسهمت فى إنشائها لم تكن حركة دينية، وإنما كانت فكرة سياسية علمانية - فتلك الدولة - وعد دينى يتحقق على يد علمانيين.

التوراة فوق جبل سيناء؛ فالتوراة كلام الإله، كتبها حرفاً، حرفاً. وعلى الشعب اليهودى اتباع هذا الكتاب المقدس، إلى أن يأتى وحى جديد.

ومع هذا... يلاحظ : أن الأرثوذكس يختلفون - فيما بينهم - حول تحديد أى أجزاء من التوراة هى التى أوحى بها الإله مباشرة، وحول تفسير التوراة، وحول أزلية التشريعات، وعدم أزليتها.

ثم هم يتمسكون بالتعريف الحاخامى لليهودى : بأنه من ولد لأم يهودية، أو تهود على يد حاخام أرثوذكسى.

ويعتقدون اعتقاداً حرفياً بصحة العقائد اليهودية الحلولية، مثل : الإيمان بالعودة الشخصية للماشح، وبالعودة إلى فلسطين، وبأن اليهود هم الشعب المختار.

ولذلك... يحاول الأرثوذكس الانفصال عن بقية الفرق اليهودية الأخرى، حتى يمكنهم الحفاظ على جوهر اليهودية الحقيقى.

أى إن الفكر الأرثوذكسى يعادى الصهيونية تماماً. ولكن هذه الأرثوذكسية تمت صهينتها على يد بعض الحاخامات الأرثوذكس خصوصاً بعد سنة ١٩٩٧م.

والمؤسسة الأرثوذكسية فى إسرائيل لا تعترف باليهودية الإصلاحية، ولا باليهودية المحافظة، ولا بحاخاماتها، ولا بالزيجات التى يعقدونها، ولا بمراسيم التهود التى يقومون بها.

ويدعو زعماء اليهودية الإصلاحية : إلى أن تكون المساعدات التى تخصص للمؤسسات الإصلاحية فى إسرائيل متناسبة مع حجم تبرعات



٢ - أنه لا يمكن الثقة في الأغيار بأى شكل، وأرض إسرائيل الكبرى هي أرض يهودية، ولا بد للدولة اليهودية أن تعتمد على نفسها وحسب، رغم كل المساعدات الخارجية التى تصب فيها؛ فهم يستقبلون كل هذه المساعدات من الغير، ولكنهم لا يقبلون شيئاً من الموازنات الدولية.

ثم إن هذه المقولات ليست -بالضرورة- مقولات دينية؛ إذ يمكن لأى حزب علمانى أن يتبناها؛ فاليمين المؤيد (لنتينياو) يضم متدينين قوميين، مثل (حزب المجدال، وشاس، وديجيل هاتوراه) إلى جانب (أحزاب موليديت، وكاخ، وإسرائيل بعاليه، وتسوميت) الصهيونية غير الدينية.

وهذا يلفت النظر إلى أن إطلاق كلمة (أصولية) -بمعنى التطرف الدينى- على أصحاب هذه المقولات... لا علاقة له بالواقع؛ فالخاصية الجيولوجية التراكمية لليهود تبرر الشئ ونقيضه.

ومع هيمنة الأرثوذكس على الحكومة الإسرائيلية... بدأ عدد اليهود الإصلاحيين، والمحافظين يتزايد فيها، كما تزايد فى أمريكا، حتى أصبح يمثل ٨٥٪ من يهود أمريكا المتدينين. ومع هذا وذاك : فإن اليهود الملحدين، وكثيراً من المتدينين فى أمريكا يصرون على فصل الدين عن الدولة.

أما الملحدون فى إسرائيل فلا يكثرثون بالدين، ولذلك فهم لا يمانعون فى أن يسيطر الأرثوذكس على جميع مناحى الحياة.

من كل ما أدى إلى فقدان الاتزان على مستوى

يهود العالم؛ فبينما ترى المنظمة الصهيونية ضرورة فصل الدين عن الدولة. تحاول المؤسسة الأرثوذكسية أن يلعب الدين دوراً أساسياً فى الحياة الخاصة والعامة، وأن تقوم هى بتعريف من هو اليهودى. حتى إن تلك المؤسسة لا تعترف بمراسم التهود والزواج التى يجريها حاخامات إصلاحيون أو محافظون؛ مما يعنى أن كثيراً من الزيجات التى تمت خارج إسرائيل غير شرعية، وأن الأطفال ثمرة تلك الزيجات غير شرعيين.

فلما نجح هؤلاء فى تمرير قانون فى (الكنيست) يلغى الاعتراف بهذه الزيجات، غضب الإصلاحيون والمحافظون بشدة، حتى اضطر (نتينياو) إلى تقرير إقامة لجنة تضم المسؤولين من كل التيارات الدينية للنظر فى الموضوع، والبحث عن حل يرضى جميع الأطراف.

ولكن هذه اللجنة لم تصل إلى ذلك الحل، حتى قرر رئيس الحركة المحافظة أن رفض المتشددین للتسوية بمنزلة إعلان حرب ضد الشعب اليهودى.

ولما تم انتخاب امرأة من التيار الإصلاحي عضواً فى المجلس الدينى لمدينة (نتانيا) ثار جنون الأرثوذكس؛ لأن اليهودية الأرثوذكسية لا تقبل اشتراك النساء فى صلاة الجماعة فى المعبد، ولا تقبل حاخامات إنثاء. فلم يكن أمامها إلا اللجوء إلى المحكمة العليا، لاستصدار أمر يجيز تعيينها، ويؤكد قانونيته، ويأمر وزير الأديان بالمصادقة عليه.

وحتى لا تواجه المحكمة برفض وزير الأديان... اضطر (نتينياو) إلى الاتفاق مع قيادة (شاس) على إقالة الوزير، على أن يأخذ هو صلاحية وزير



سبيل ذلك عناء واضحاً، وبذل جهداً مضنياً، حيث توغل وراء تلك الهوية فى أعماق التاريخ، وشرق ورائها وغرب، فتتبع الجماعات اليهودية وتفكيرها، ومعتقداتها، وسلوكياتها فى شتى قارات العالم.

وعلى الرغم من محاولة الدكتور تقديم بحثه فى الهيئة الميسرة.. نراه قد وقع فريسة التشعب، والتشابه، والتعارض بين تلك الهويات، التى انعكست على فصول الكتاب، ففرضت على المتلقى أن يستصحب الوعى واليقظة مع كل عبارة، حتى يتنبه إلى ما اضطر إليه الدكتور من تكرار يكاد يشمل كل مباحث الكتاب.

ولعل عذر الدكتور المسيرى فى ذلك... أنه يتعامل مع هويات عجيبة، تقبل الشئ ونقيضه؛ فلكل منها - فى كل موقع- وجود. والأمانة العلمية تقتضى أن لا يغفل الدارس هاجسه قد تضيف إلى الصورة معلماً، أو يلقي على إحدى الزوايا ضوءاً موضحاً، وأنه يقدم تلك الصورة الموسوعية فى تلك الصفحات المحدودة.

أياً ما كان الأمر... فإن ما يحصله المتلقى من هذا الكتاب كفيل بأن يبدد أثر ما يصيبه من إرهاق ومشقة، ويعين على ذلك: ما امتازت به عبارة الدكتور من دقة، ووضوح، وصحة.

وأياً ما كان الأمر... فإن الصورة التى يقدمها هذا الكتاب ترينا اليهود كياناً هشاً، متناقضاً مع نفسه ومع غيره، على الرغم مما يحاول أن يتظاهر به أو يعلنه.

الأديان لمدة ساعة، يوقع بنفسه خلالها على كتاب التعيين، ثم يعيد الوزارة إليه.

ولكن هذا الحل لم يرض الأرثوذكس، فراحوا بهاجمون (نتينيا هو)، وقرروا مقاطعة كل مجلس دينى يضم امرأة، أو يضم حاخاماً إصلاحياً أو محافظاً.

وبعد...

فأرى أن الدكتور عبد الوهاب المسيرى ما أراد أن يقف المتلقى على هوية اليهودى فحسب، ولا قصد أن يكشف ما يكتنف تلك الهوية من ضباب، وما يلف شيوعها وكثرتها من تناقض وتعارض فحسب كذلك.

وإنما عمل على أن يقدم صورة واضحة المعالم لليهود عبر العصور الممتدة ذات العمق التاريخى، وفى شتى مواقع الأرض.

وكأنى بالدكتور المسيرى يقدم تفسيراً من الواقع الحى لقول الله - تعالى - فى وصفهم:

﴿لَا يُغْنِيٰلَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١).

وقد حرص الدكتور المسيرى -بمنهجه العلمى المحايد- على أن تجمع هذه الصورة بين الانعكاسات التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، حتى تكون تصويراً صادقاً دقيقاً، يتناسب مع صدق الوصف القرآنى ودقته؛ لذلك نرى الدكتور تجشم فى

بعد القرار الأمريكي بتكويد القدس

ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟

للسيد الدكتور / عبد العظيم الطعنى

كامل فى كل النزاعات التى كان، وما يزال العالم الإسلامى، يعانى منها عناء شديداً. والواقع أن هذا الكلام ما هو إلا خداع منا لأنفسنا، والإنسان - أى إنسان - إذا وصل إلى استمرار خداع نفسه فبطن الأرض أستر له من ظهرها، لأنه لا يستحق الحياة.

إن ترك مواجهة جرائم الصديق العدو تؤدى إلى زيادة تماديه فى الإساءة، وإلى استخفافه بمن يسيء هو إليه، وإلى رميه بالغفلة أو إلى وصفه بالبلالة أو الجبن، أو السفاهة التى لا يميز الموصوف بها بين الإساءة والإحسان وهذا ما تفعله معنا - أعنى العرب و المسلمين - أمريكا الآن.

فهى تتعامل مع قضايانا ومصالحنا بمعيار الاستخفاف بنا، وتعامل مع قضايا غيرنا بمعيار الموضوعية والاحترام، بل بمعيار التعصب إلى أقصى درجة ممكنة.

وحتى لا يكون كلامنا دعاوى بغير دليل. نذكر بعض مواقف أمريكا المزدوجة التى تؤكد

من أفدح الأخطاء التى يقع فيها الإنسان، أفراداً أو جماعات، أن يتغاضى عن جرائم أعدائه نحوه، أو يهون من شأنها، وبخاصة إذا كان هؤلاء الأعداء يظهرون فى صورة الصديق؟

وهذا الخطأ يقع فيه العالم العربى والإسلامى فى العصر الحديث أمام الولايات المتحدة الأمريكية، خلال النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى، وما يزال الخطأ مستمراً فعلى كثرة ما ارتكبت الإدارات الأمريكية المتتابة من جرائم نحو العالم العربى والإسلامى، لم نجد صوتاً واحداً يرتفع، ولو مرة واحدة، لمواجهة أمريكا بأخطائها المتعمدة نحونا، بل جرائمها البشعة، التى لم يكدهم يخلو منها يوم ما من الأيام. فأمرىكا تتركب ما تتركب من جرائم وحماقات ضد القضايا العربية والإسلامية، ولا تجد منا إلا صمتاً وغضباً للأبصار. والأدهى والأمر أنها تجد منا فى كل الأحوال احتراماً وتقديراً، ثم ثناء عطراً على قوة العلاقات بيننا وبينها، وأنها دولة صديقة مخلصه؟!

وفى فترة قريبة من الزمن، كنا نعلن صباح مساء أن حل مشكلة، أو مشكلات الشرق الأوسط ٩٩٪ منها بيد أمريكا، أو هى شريك



ضد إسرائيل؟ هذا هو السؤال . أما الجواب فلا يكاد يخفى على أحد فباكستان مسلمة، فكيف تتحرك أمريكا لحمايتها؟ ومصر دولة عربية مسلمة، فكيف تسمح لها أمريكا بالانتصار على إسرائيل؟

وما يقال عن أمريكا يقال عن روسيا كذلك . لقد نشطت روسيا لمساندة الهند، لأنها تحارب دولة مسلمة ونامت عن مساندة مصر في حربها مع إسرائيل، لأن مصر دولة مسلمة؟ وكلتا الدولتين روسيا وأمريكا تعاديان الاسلام، ولماذا؟ لأنه الاسلام وكفى .



وكما تجلّى العداء الأمريكى السافر ضدنا، تجلّى أيضاً فى مشكلة تيمور الشرقية مع تيمور الغربية، وهما إقليمان كانا خاضعين لسيادة أندونيسيا، الدولة الإسلامية العريقة، تلك المشكلة، هى بمقاييس الفقه الدولى، ومواثيق هيئة الأمم، مشكلة، داخلية بحثة، من اختصاص أندونيسيا، لكن لما كان أحد طرفى المشكلة، مسلماً، والآخر غير مسلم هاجت أمريكا، وأقامت الدنيا ولم تقعد، لان الطرف المسلم كان متفوقاً فى الممارك على الطرف غير المسلم . فماذا فعلت أمريكا برياسة بل كلينتون؟ فى أربع وعشرين ساعة جندت أمريكا قوات دولية تابعة لهيئة الأمم، وجنوداً خاصة، وأسّـرعت تلك القوات لتأخذ مكانها فى بؤرة الأحداث، وتحمى غير المسلم من المسلم، حدث هذا فى سرعة مذهلة . هذا بالنسبة للجهود العسكرية .

أن ما نقوله واقع ملموس، لا ادعاء قائم على غير دليل .

فى سنة ١٩٧١م نشبت حرب الهند بزعامه أنديرا غاندى ضد الباكستان، وكانت روسيا حليفة الهند، وأمريكا حليفة الباكستان . فما الذى حدث من كل من الحليفين تجاه حليفه؟

ساندت روسيا الهند بكل ما استطاعت . أما أمريكا فأخذت تغط فى نوم عميق، وأتاحت الفرصة للدب الهندى أن يجثم على صدر الباكستان، وأن تنقسم الباكستان دولتين، ثانيتهما بنجلاديش .

وفى عام ١٩٧٣م نشبت الحرب بين مصر، وبين إسرائيل وكانت روسيا حليفة مصر، وأمريكا حليفة إسرائيل وحقق الجيش المصرى البطل فى الأيام الأولى للحرب نصراً مذهلاً للعالم كله . ثم ماذا صنع كل من الحليفين تجاه حليفه . نامت روسيا ولم تساند مصر، أما أمريكا فقد جُنَّ جنونها، وارتعدت فرائصها، ثم فتحت مخازن أسلحتها لإسرائيل لتستطيع أن توقف الزحف المصرى، وقال وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت هنرى كيسنجر: لن نسمح للسلاح الروسى أن ينتصر على السلاح الأمريكى فى الشرق الأوسط ! وأمدت أمريكا إسرائيل بكل ما احتاجت، ووقع عبور جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وقتذاك، إلى غرب قناة السويس ووجهت خطاباً للعالم من الزيتية لتقول أمريكا على لسانها: عبور بعبور، والبادئ أظلم؟!

ونسأل: لماذا اختلف موقف أمريكا فى حرب الهند ضد باكستان عن موقفها فى حرب مصر



دامت قرابة خمس سنوات، وكانت أمريكا وقوى الغرب تتوقع أن ينتصر الصرب على مسلمي البوسنة، ولكن مسلمي البوسنة صمدوا صموداً أذهل أمريكا وحلفاءها، وخشيت أمريكا أحد أمرين كانت تتوقع واحداً منها.

الأمر الأول: أن ينتصر المسلمون على الصرب، وهذا ما لا تسمح به أمريكا، لأن ذلك الانتصار الذي كان متوقعا، كان - لو حدث - سينسب إلى الإسلام، وتلك هي الطامة الكبرى التي كانت ستعكر صفو أمريكا، وتصيبها في أقتل مقاتلتها.

أما الأمر الثاني: فهو استمرار صمود مسلمي البوسنة إلى ما لا نهاية وهذا بدوره كان سيكون له وقع سيئ جدا عند أمريكا، لأنه - كذلك - كان سينسب إلى الإسلام، الذي تضمهر له أمريكا محاولة محوه من الوجود، أو تهيمش دوره في الحياة. ومنعاً لهذه التوقعات، حشدت أمريكا وحلفاؤها بعض قواتها لحسم الصراع، ليقال: إن أمريكا هي التي قضت على تلك المشكلة.

اذن، فلولا يأس أمريكا من هزيمة مسلمي البوسنة ومن انتصار الصرب عليهم، ما تحركت خطوة واحدة نحو ذلك الصراع الطويل. وكأن لسان حالها كان يقول: بيدى أنا انتهى الصراع، لا بيد الإسلام.

ومما يؤكد هذا - أعنى عدااء أمريكا للإسلام - أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وجاء دور إعادة إعمار ما دمرته الحرب، كانت أمريكا هي الدولة المانحة الوحيدة، التي اشترطت شروطاً على مسلمي البوسنة قبل أن تدفع لهم ما تقرر

أما في المجال السياسي، فقد اتخذت أمريكا إجراءات صارمة في التضيق على أندونيسيا نفسها، وجندت ضدها كل المنظمات الفعالة، الخاضعة لهيئة الأمم سياسية ومالية وغيرهما، حتى حققت أهدافها بالطريقة التي تريدها في حسم النزاع.

أما بالنسبة لمشكلات أخرى أحد طرفيها إسلامي والآخر غير إسلامي فقد اختلفت المواقف تماماً فقد لزمت أمريكا الصمت أمام ما قامت به روسيا ضد مسلمي الشيشان، في حربها الضروس التي استهدفت أمرين:

● القضاء على المجاهدين الشيشان المطالبين بحقهم في الاستقلال عن الحكم الروسي، كما حدث لغيرهم من شعوب آسيا وغيرها التي كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي قبل سقوطه.

● إحكام السيطرة على العاصمة «جروزني» ومع تفاوت القوتين في الكفاءة، لم تحرك جرائم روسيا شعرة واحدة عند أمريكا أو غيرها من القوى الكبرى وإذا سألت عن السبب كان الجواب: هو الإسلام ولو كان الشيشان غير مسلمين لكان لأمريكا شأن آخر.

لا يقال: إن أمريكا وقوات «الناتو» تدخلت لوقف الصراع الذي دار بين مسلمي البوسنة والهرسك، وبين الصرب. فحسمت ذلك الصراع بالقوة المسلحة، والبوسنة والهرسك مسلمون؟

إن هذا الذي حدث من أمريكا ليس حبا في سواد عيون المسلمين، بل له بواعث أخرى، فحرب الصرب لمسلمي البوسنة، والهرسك

ما ذكرناه، وهو قليل من كثير، كاف في الكشف عن الحقد الذي تضره أمريكا ضد الإسلام والمسلمين ولكن إذا عرجنا على مواقف أمريكا من الصراع العربي الإسرائيلي، ولو في الوقت الراهن، تحول الكشف عن نيات أمريكا إلى يقين، تزول الجبال ولا يزول، أن ما تقوم به إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني المسلم منذ أكثر من عامين، جرائم لا يحيط بها الوصف، جرائم وحشية بشعة غادرة قذرة، لم يسبق لها مثيل في التاريخ، والعالم كله يقف موقف المتفرج، ولم يقتصر عدم المبالاة على العالم غير الإسلامي. بل العالم الإسلامي ضالع في هذه «الامبالاة» من أخمص قدميه حتى «النخاع» وكل ما يطفو على السطح لقاءات ومشاورات بين القادة العرب، لا ندري ماذا يدور فيها، وليس من الحكمة أن نطلب منهم الإعلان التفصيلي عنها. وكل ما نتمناه أن يأتي الوقت المناسب، الذي يظهر فيه ما خفى عنا منها، ويكون فيه عزاء لشعوب الأمة من الآلام القاتلة، التي يعاني منها كل فرد فيها.

أما موقف أمريكا بالذات مما تقوم به إسرائيل بقيادة «الفيل الضخم» شارون، فهو موقف عدائي سافر، لا لشعب فلسطين وحده، ولكن للشعوب العربية والإسلامية جميعا.

فكم من مرة تمنع أمريكا إرسال قوات دولية لحماية الشيوخ والنساء والأطفال في فلسطين من البطش الهمجي الذي يقوم به في كل لحظة جنود الاحتلال.

تجريف، هدم مساكن على من فيها. غارات جوية بالصواريخ والطائرات القاذفة، أرتال من الدبابات تقصف بمدافعها كل قائم على وجه

منحه إياهم، من تلك الشروط أن تخفض حكومة البوسنة تسعين ألفا من جيشها، وحولت المنحة إلى محنة، وكان هدف أمريكا هو إضعاف قدرة البوسنة في المجال العسكري، حتى لا يتكرر ذلك الصمود مرة أخرى؟!



ولا يقال كذلك إن أمريكا كانت قائدة الحملة العسكرية ضد يوجوسلافيا في اعتداءاتها على البانيا بعد توقف الحرب البوسنية بقليل، وألبانيا دولة مسلمة خضعت للغزو الشيوعي ردحا من الزمن.

لأن حملة أمريكا وحلفائها العسكرية لم تكن لحماية مسلمي ألبانيا، وإنما كان سبب تلك الحملة أن يوجوسلافيا كانت من قلاع الشيوعية قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، كانت هي العدو اللدود للغرب الرأسمالي، فإذا التهمت يوجوسلافيا دولة البانيا كان معنى هذا أن الشيوعية تطل على الغرب من جديد، وبخاصة أن البانيا دولة أوروبية لذلك تحركت أمريكا لوقف العدوان. وحماية البانيا من الدب الشيوعي، لا يتعارض مع المصالح الغربية لأنها دولة أو دويلة صغيرة، ليس لها وزن في موازين القوى الكبرى.

من هذا يتضح لنا أن ما تقوم به أمريكا سلبا وإيجابا، إنما تقوم لبواعث وأهداف لا صلة لها بإحسان إلى الإسلام أو المسلمين، لأنها تأخذ باليمين ما تعطيه مضطرة بالشمال.





الكونجرس «الأمريكي اليهودي» بجعل القدس عاصمة موحدة لإسرائيل؟! ووقع «بوش» هذا القرار في وضح النهار، غير عابئ بغضب من يغضب، ما دامت أمريكا الصغرى «إسرائيل» راضية وكل خطر في حب إسرائيل يهون؟!!

هذا القرار يمثل قمة الاستخفاف بالعالم الإسلامي كله، عربا وغير عرب.

فماذا ينتظر العرب والمسلمون من أمريكا بعد هذا القرار القاضى بتهويد القدس إلى الأبد؟ بوش والكونجرس يعلمون ماذا تعنى القدس بالنسبة للعالم الإسلامي.

القدس ليس غزوة ولا رام الله ولا جنين، ولا ولا ولا.

القدس هي نبض الحياة عند المسلمين، بمن فيهم شعب فلسطين نفسه.

هذا القرار ينبغي أن ينقلنا فورا من السلبية والبلادة وعدم الإحساس إلى كتلة، واحدة قوية على قلب رجل واحد.

كما ينبغي علينا أن نواجه أمريكا بكل صراحة أننا بدءا من اليوم لسنا كما كنا بالأمس، فإما أن تعدل أمريكا عن مواقفها المعادية لنا، الموالية ١٠٠٪ لإسرائيل.

وإلا فإننا سنتحد - هذا ما ينبغي أن نقوله لأمريكا. سنقوم فورا بالخطوات الآتية:

- استدعاء سفرائنا من أمريكا للتشاور
- قطع العلاقات تماما معها إذا لم يحدث تراجع من سياساتها المعمول بها الآن ضدنا.
- سحب رؤوس الأموال العربية العاملة في أمريكا.

الأرض في فلسطين - اعتقالات بلا ضوابط، فرض حصار محكم على السكان في بيوتهم - حبس الرئيس عرفات. هدم المساجد والمدارس والمنشآت. منع الناس من تأدية صلاة الجمعة. مجازر جماعية بشعة الخ.

ترى، لو كانت هذه الجرائم ترتكب ضد غير المسلمين هل كانت أمريكا تقف مكتوفة الأيدي؟ أم كانت تقيم الدنيا ولا تقعد لها.

إن مجرد أوهام عند بوش بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل، جعلت «بوش» يلهث كما تلهث (...) للحصول على تأييد أو تحالف دولي نحو العراق من الوجود؟

أما ما تقوم به إسرائيل فعلا، وترساناتها مليئة بأسلحة الدمار الشامل، فهذا عند بوش عمل برئ مؤيد باسم «الرب» إله إسرائيل. وموقف أمريكا من العراق من أعجب العجب، بوش مصمم على ضرب العراق حتى لو أسفر التفتيش الدولي، عن خلوه من أسلحة الدمار، وحجة بوش حماية جيران صدام من صدام؟

وجيران صدام لم يطلبوا من بوش حمايتهم منه، فبأى مبرر يتشبث بوش بهذه الدعوى الخائبة. وكل العالم يدرك أن «بوش» يهدف من ضربه للعراق أمرين:

- حماية إسرائيل «أمريكا الصغرى».
 - ثم الاستيلاء على منابع البترول العربية.
- كل هذا ونحن صامتون على مواجهة أمريكا بأخطائها وجرائمها. وهذا ما أغرى «بوش» على التماذى في إظهار عدائه للعرب والمسلمين جميعا. حتى وصل الأمر إلى إصدار قرار من



وحدها . وهذا هو مكمّن الخطر الذى لا يستساغ السكوت أمامه .

لذلك كان من الواجب عقد مؤتمر قمة عربى أو عربى إسلامى ، لإعلان العرب والمسلمين رفضهم القاطع لهذا القرار الخطير ، ويلوح فيه بقطع العلاقات إذا لم يحدث رجوع فى السياسة الأمريكية عن مشكلة القدس الشرقية ، التى كانت من نصيب فلسطين فى قرار التقسيم المتفق عليه دوليا عام ١٩٤٧م يجب أن نتحرك بسرعة قبل وقوع الكارثة الكبرى ومن الخطأ أن ننتظر نقل أمريكا سفارتها من تل أبيب إلى القدس . لأن فى هذا التراخى فواتا لفرص النجاح .

إن الأمر جاد للغاية لا هزل فيه . والوقاية خير من العلاج .

وإذا لم نفعل شيئا ذابال أمام الخطر الأمريكى فإن قصة الثيران الثلاثة التى أكلها الأسد واحدا بعد واحد ، بعد أن استعمل أسلوب الخداع معها هذه القصة سوف تتحول من قصة خيالية صاغها الإمام على بن أبى طالب - رضى الله - لمعنى أراد توضيحه ، إلى قصة واقعية ، لكن الثيران لن تكون ثلاثة فى هذه المرة ، بل ستكون ثيرانا كثيرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومرة أخرى ، إذا لم يتحرك العرب والمسلمون بعد القرار الأمريكى الأخير ، مضموما إليه تنفيذ تهديدها بضرب العراق ، فيحق لأمرىكا بوش أن تفعل بنا ما تشاء ، لأن الأمر كما قال الشاعر .

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يُضْرَسْ بأنياب ويوطأ بمنسم
وكما قال الآخر :
من يحصن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

● إذا تحفظت أمريكا على تلك الأموال تحفظنا على ما لأمرىكا من ممتلكات فى العالم العربى والإسلامى .

● ترحيل سفراء أمريكا لدينا بصفة أنهم غير مرغوب فيهم .

● وقف ضخ البترول العربى لأمرىكا ، ووقف التعامل تدريجيا بالدولار الأمريكى وإحلال « اليورو » الأوروبى محله .

وليس هذا إسرافاً منا فى الخيال ، لأنه السلاح الوحيد الفعال الذى نملكه ، ولا حرج علينا فى استعماله أمام الإصرار العنيد الذى تقوم به أمريكا لخونا من الوجود ، أو لنكون أرقاء لها لا نملك أن نخالف لها أمراً أو نهياً .

فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتى اعتبرتنا أمريكا العدو اللدود لها ، وصرح بعض رؤسائها بأن العالم الإسلامى أصبح - الآن - هو الخطر الوحيد أمام الغرب الرأسمالى وحضارته فيما أن نحتويه وإما أن نقضى عليه والرئيس بوش لا هم له الآن ولا تفكير إلا فى القضاء على العالم الإسلامى أو السيطرة الكاملة عليه .

فهل نقف مكتوفى الأيدى مكممى الأفواه أمام هذه النذر الفاجعة .

ونعود فنطالب قادتنا العرب بتنفيذ ما اتخذوه فى مؤتمر بيروت فى أوائل هذا العام ، وهو القرار القاضى بقطع علاقات العرب بأى دولة تنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس .

فقد فعلت أمريكا ما هو أخطر من نقل سفارتها إلى القدس . وذلك فى القرار الذى أصدره الكونجرس أخيراً ووقع عليه الرئيس بوش ، لأن هذا القرار يؤذن لكل دول الغرب بنقل سفاراتها إلى القدس وليست سفارة أمريكا





جَوَابُكَ لَشَهِيدِكَ

(تحية للاستشهاديين الأبطال)

شعر د. محمد عبد المنعم العربي

أَأَنْتَ فَتَى لَا تُحِبُّ الْحَيَاةَ؟
أَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَرُومُ النَّجَاةَ؟
وَتَأْبَى الرَّفَاةَ؟
وَتَبْغِي الْوَفَاةَ؟
عَهْدُكَ فِينَا سَلِيمُ الْحَصَاةِ (٢) !
رَقِيقَ الْحَوَاشِي، عَظِيمَ الْأَنَاةِ (٣) !
وَسَمَحَ الْعَشِيِّ، كَرِيمَ الْغَدَاةِ !
تُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ !

لِمَاذَا لِمَاذَا؟ وَمَا سِرُّ هَذَا؟
أَجِبْنَا بِرَبِّكَ أَجِبْنَا بِرَبِّكَ !
وَعَنْ أَمْرِ صَاحِبِكَ !
وَمَكْنُونِ قَلْبِكَ !

وَقَالُوا: لِمَاذَا تُفَجِّرُ نَفْسَكَ؟
لِمَاذَا تُبْعِثُ فِي الْجَوِّ رَمْسَكَ؟ (١)
وَتَتْرُكُ أَنْفَكَ؟
وَتَهْجُرُ عُرْسَكَ؟
وَتُطْفِئُ شَمْسَكَ؟

لِمَاذَا زَهَدْتَ نَعِيمَ الشَّبَابِ؟
وَعُضَّ الْإِهَابِ؟ وَعَزَّ الصَّحَابِ؟
وَسَكُنَى الْقَبَابِ؟
وَحُلِمَ (الرَّيَابِ)؟
لِمَاذَا رَحَلْتَ كَضْرَاءَ الشَّهَابِ
كَلَمَحَ الْبُرُوقِ؟ كَهْدَرِ الْعُبَابِ؟

(٢) الحصاة: العقل والرأي.

(١) الرمس: القبر.

(٣) الأناة: الحلم والوقار.



وَعَنْ هَمٍّ شَعْبِكَ !

وَعَنْ فَيْضِ حُبِّكَ !

لَأَنْى رَأَيْتُ قَطِيعَ الذَّنَابِ

وَجَيْشِ الْكِلَابِ ، وَبُومِ الْخِرَابِ

يَعِثُّ بِسَهْلَى ! وَيَجْتَاحُ حَقْلَى !

يُسَمِّ بَثْرَى ! وَيَسْرِقُ نَهْرَى !

يُشَتَّتْ شِمْلَى !

وَيَطْرُدُ أَهْلَى !

وَيُهْلِكُ بِالْبَغْيِ حَرَثَى وَنَسْلَى !

وَيَغْتَالُ بِالْغَدْرِ أُمَى وَطِفْلَى !

لَأَنْى رَأَيْتُ الْفَشْئُومَ الظُّلُومَ

يُحَطِّمُ بَابَى ! وَيَحْرِقُ غَابَى !

يَمَزُقُ عِرْضَى ! وَيَحْتَلُّ أَرْضَى !

وَيَمَحُو مِنَ الْكُونِ فِرْضَى وَنَفْلَى !

يُدْنَسُ سَاحَى بِأَخْبَثِ غَرَسِ !

وَيَمْلَأُ أَفْقَى بِإِفْكَ وَرَجَسِ !

وَيَسْعَى حَيْثَا لِيَهْدِمَ «قُدْسَى» !

وَيَجْتَثُّ جَنْسَى ! وَيَوْمَى وَأُمْسَى !

لَقَدْ صَنَعْتَهُمْ يَدُ الْإِثْمِينَا !

رَكِيزَةً شَرًّا تُعْرِبِدُ فِينَا !

وَقَدْ سَلَحُوهُمْ وَقَدْ جَرَّدُونَا وَقَدْ مَكَّنُوهُمْ وَقَدْ كَبَّلُونَا !

بِلَا تَرَةٍ (٤) لَهُمُو : قَتَلُونَا وَمِنْ أَرْضِ آبَائِنَا شَرَّدُونَا !

بِرَابِرَةِ رَوْعُوا الْآمِنِينَ وَعَاثُوا فُسَادًا وَجَنُّوا جُنُونًا !

أَلَمْ يَطَّيِّرُوا مَسْجِدَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ !

أَلَمْ يَصْرَعُوا الرُّكْعَ السَّاجِدِينَ ؟ !

أَذَاقُوا الضَّعَافَ عَذَابًا وَهُونًا !

وَلَمْ يَرْحَمُوا مُرْضِعًا أَوْ جَنِينًا !

وَشَيْخًا كَبِيرًا يَتْنُ أَنْيْنَا ! !

فَهَلْ يَقْبَلُ الْحُرُّ تِلْكَ الْمَهَانَةَ ؟

وَهَلْ يَرْضَى الْحُرُّ هَذِي الْمَجَانَةَ ؟

لَبِئْسَ الْخِيَانَةَ ! .. وَبِئْسَ الْبَطَانَةَ !

وَأَيُّنَ الْأَمَانَةَ ؟

وَأَيُّنَ الصَّيَانَةَ ؟

سِنِينَ طَوَالاً نَشَدْتُ (٥) الْعَدَالَةَ !

فَلَمْ أَلْقَ يَا قُلُومَ إِلَّا النَّدَالَهَ !

وَقَدْ خَيَّمِ الْيَأْسُ فِي كُلِّ حَالِهِ !

وَأَحْبَطَنِي لُؤْمُ أَهْلِ السَّفَالَةِ !

فَثُثِرْتُ أَحَارِبُ جُنْدِ الضَّلَالَةِ !

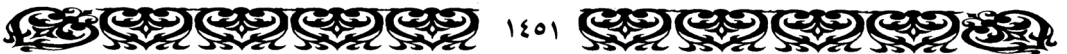
بِنَفْسِي وَرُوحِي بَعْدَ الْحَجَارَةِ !

وَمَا بِيَدِي غَيْرُهَا وَالْمَرَارَةَ !

وَالْأَلْفِدَاءَ ، وَالْأَلْجَسَارَةَ !

(٥) نشدتُ: طلبتُ .

(٤) التَّرَة: الثَّار .





وَالْأَفْوَادُ مَلَّتْ أَصْطَبَارُهُ!
وَالْأَدَمُ قَدْ نَذَرَتْ أَنَّهُمْ مَارَهُ!

فَبِاللَّهِ لَوْ كُنْتَ أَنْتَ مَكَانِي!
وَذُقْتَ هَوَانِي!
وَعَانَيْتَ فِي مِحْنَتِي مَا أَعَانِي!
فَهَلْ كُنْتَ تَقْبَلُ؟ وَهَلْ كُنْتَ تَبْخُلُ؟
أَمَا كُنْتَ مِثْلِي تَفْقِدُ وَتَبْذُلُ؟؟
أَمَا كُنْتَ تَفْعَلُ!؟
بِقَلْبِ رَضِيٍّ، وَوَجْهِهِ تَهْلُلُ؟؟

سَأَفْعَلُ شَيْئاً قَبِيلَ انْتِقَالِي
لِسَاحَةِ رَبِّ الْهُدَى وَالْجَلَالِ!
سَأَدْرِكُ ثَاراً لِأَهْلِي وَمَالِي
وَأُحْيَا لِمَجْدِ بِلَادِي عِلَامَةً!
تُبَشِّرُ بِالنَّصْرِ بَعْدَ الْقِتَامَةِ^(٦)
وَتَهْتِفُ بِالْحَقِّ حَتَّى الْقِيَامَةِ!

وَلَيْسَ انْتِحَاراً ، وَلَيْسَ اغْتِرَاراً
سَأَفْقِدُ الدِّيَارَ ، وَأُمَحِّقُ عَاراً
أَرْدُ اعْتِبَاراً ، وَأُمَحْوِ شَنَاراً
لَأَجْلِ الْأَسَارَى ، لِأَجْلِ الْعَذَارَى
سَأَجْعَلُ شِلْوِي^(٧) نُوراً وَنَاراً!!

فَنُوراً لِشُعْبِي يُعْلَى الْمَنَارَ

وَنَاراً تَبْدُدُ حُلُمَ السُّكَارَى
وَلَيْسَ انْتِحَاراً وَلَيْسَ انْتِحَاراً..

فَلَسْطِينُ أُمِّي، فَلَسْطِينُ هَمِّي فَلَسْطِينُ حُلُمِي أَرَاهُ جَلِيّاً
سَامِضِي شَهِيداً شَرِيفاً قَوِيّاً نَذِيراً وَصَوْتِي يَدْوِي دَوِيّاً

دَمِي لَنْ يَضِيعَ - وَرَبِّي - هَبَاءَ
سَيْثَمُرٍ عِزّاً، سَيَغْدُو شِفَاءَ
سَيَرَوِي التَّحَرُّرَ، يَغْدُو الْإِبَاءَ
وَيَشْرَعُ لِلْمَاجِدِينَ الْوَفَاءَ

وَلَمَّا بَدَأَتْ بِنَفْسِي أَجُودُ
وَسَارَ عَلَى الدَّرَبِ مِنْ أَسْوَدُ
وَحَلَّ النَّكَالُ وَخَابَتْ «ثَمُودُ»
وَحَقَّ عَلَى الْمُجْرِمِينَ الْوَعِيدُ
وَجَاءَ الْقِصَاصُ وَعَدْلُ أَكِيدُ
يَقُولُ الْجَحُودُ وَيَهْذِي الْكُنُودُ!
وَيَنْفِي الْعَدُوَّ وَاللَّدُودُ الْحَقُودُ!
وَإِنِّي عَلَى رَغْمِهِمْ لِلشَّهِيدُ

طَرِيقِي سَدِيدٌ وَرَأْيِي رَشِيدٌ وَدَرْبِي فَرِيدٌ وَعِزْمِي مَبِيدٌ
كَفَاحِي مُجِيدٌ وَقَلْبِي حَدِيدٌ فَدَائِي عَتِيدٌ وَبَأْسِي شَدِيدٌ
جَزَائِي خُلُودٌ وَإِنِّي سَعِيدٌ
وَرَبِّي الشَّهِيدُ بِأَنِّي شَهِيدٌ

(٧) الشَّلْوُ: العضو.

(٦) القِتَامَةُ: السَّوَادُ.



النشاط العلمي في إسرائيل

د. ساذ / صلاح عبد الرحيم محمد

حينما بدأ، «هرتزل»، مؤسس الصهيونية، دعوته لإقامة دولة لليهود في فلسطين العربية، لم تدخر الصهيونية العالمية وسعاً في انتهاج العلم سبيلاً لغزوها، فبادر اليهود الصهيونيون بالتخطيط للنشاط العلمي، وأنشأوا الجامعة العبرية في القدس عام ١٩١٨، وتلاها إقامة كل من معهد «وايزمان»^(١)، ومعهد «التخنيون». وواصلت إسرائيل نهجها العلمي ببناء هيئة الطاقة الذرية عقب قيامها عام ١٩٤٨ بثلاثة أشهر، وأضافت إلى هذه الصروح العلمية جامعتين جديدتين، إحداهما في تل أبيب، والأخرى في بارايلان. كما شيدت العديد من المعاهد والمراكز العلمية، منها ٦٨ مركزاً للأبحاث المتخصصة في العلوم الطبيعية، موزعة بين العلوم الزراعية، والأسماك، والصحة، ومصادر المياه، والبتروك، والتحليل النفسى، والطقس، وعلوم الفضاء، والطاقة الذرية، و٥٢ مركزاً آخر للبحوث والتطوير في المجال الصناعى، موزعة على سبعة تخصصات في صناعة الإلكترونيات، والصناعة، والطب، والملاحة الجوية، ومعدات الإنذار والإشارة، والأجهزة العلمية، وصناعة الطيران. ومن ناحية أخرى ساهمت الهجرة من الاتحاد السوفيتى السابق في توفير عدد من العلميين اليهود في إسرائيل، فتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أن عدد اليهود الروس الذين هاجروا إلى إسرائيل منذ عام ١٩٨٩ وحتى نهاية عام ١٩٩٩ يبلغ حوالى ٧٠٠,٠٠٠ يهودى، منهم أكثر من ٧٠ ألفاً من المهندسين، وما يقرب من ٢٠ ألفاً من الأطباء والمرضى، ونحو ٤٠ ألفاً من المدرسين. ومن ثم أدت هذه الموجة من المهاجرين الروس إلى تصاعد رصيد إسرائيل من العلميين، والمهندسين، حاملين معهم منظومة من المعارف العلمية، وأسرارها في مختلف فروع البحوث العلمية، والتطوير التقنى. ومن هذا المنطلق توفرت لإسرائيل القدرات العلمية لبناء قاعدة علمية راسخة، صارت لها ظهيراً قوياً، وسنداً داعماً للحفاظ على وجودها في قلب المنطقة العربية.

(١) وايزمان هو أستاذ علم الكيمياء اليهودى الذى تسمى المعهد باسمه وهو أول رئيس لإسرائيل.



بعضه بالبحوث العلمية البحتة، إذ تصل هذه البحوث إلى أرفع مستويات البحث العلمي دون تقيد بظروف المجال الذى تجرى فيه، ويترك للباحت اختيار موضوع البحث الأساسى الذى يرغب العمل فيه، وإذا أراد باحث فائق فى مجاله - من أى بلد فى العالم - الحضور إلى إسرائيل لإجراء بحث ما، مع توفر الإمكانيات اللازمة لهذا البحث، فإن الجامعة تنشئ له وحدة جديدة للبحث الأساسى، وبذلك تطلق إسرائيل الحرية للبحث العلمى مهما كان مصدره، تحقيقاً لمبدأ عالمية العلم. وبالإضافة إلى ذلك فإن المؤسسات والمراكز العلمية الإسرائيلية تقوم بتشجيع الموهوبين من صغار العلماء، لتنمية مواهبهم بفتح المجالات المناسبة لممارسة نشاطهم العلمى، حتى لا تتسرب هذه العقول العلمية إلى الخارج. هذا وقد عكفت إسرائيل، منذ قيامها، على توفير العلماء من مختلف التخصصات العلمية بوسيلتين: الأولى: بوضع برنامج لتشجيع هجرة العلماء إلى دولة الكيان الصهيونى، واستغلال فكرة الولاء المزدوج لعلماء اليهود فى جميع بلاد العالم لكسب تعاونهم فى النشاط العلمى. والثانية بحرصها على التواجد الفعال فى أغلب المؤتمرات العلمية التى تعقد فى الخارج، ودعوة العلماء فى الخارج لحضور مؤتمراتها للاستفادة من خبراتهم، وآرائهم العلمية، وإغراء البعض منهم للعمل فى إسرائيل.

وفى هذا الإطار حرصت إسرائيل على تقديم نفسها فى صورتين مختلفتين إلى رأى العام الأوروبى والأمريكى، الصورة الأولى بوصفها دولة صغيرة تعيش فى محيط عربى معادٍ، وصورت العرب بأنهم مصدر خطر وتهديد للحضارة الغربية، والصورة الثانية حرصت فيها إسرائيل على تسريب بعض المعلومات عن قدراتها العلمية خاصة فى مجال البحوث النووية لتحقيق عدة أهداف، أهمها كسب عطف رأى العام الأوروبى والأمريكى، وتأييده لمساندة إسرائيل، ولتبرير سياستها العدوانية ضد الشعب الفلسطينى، وأيضاً لردع صانع القرار العربى، وإخافته من القوة النووية الإسرائيلية بصفة خاصة، والقدرات العلمية والتكنولوجية بصفة عامة، حتى لا يفكر العرب فى شن حرب ضدها. ومن جهة أخرى حرصت إسرائيل على ربط البحث العلمى بنظام التعليم الذى تطبقه، والنشاط الذى تمارسه المعاهد والمؤسسات العلمية، وأيضاً الجمع بين البحث العلمى الأساسى، والبحث العلمى التطبيقى، كما وضعت المناهج الحديثة لتعليم الرياضيات والفيزياء، والكيمياء، وعلم الحياة، وأدخلت منهاجاً جديداً لتعليم الحاسب الآلى، الذى ذاع استخدامه فى جميع المؤسسات العلمية والتربوية. والجدير بالذكر أن الجامعات فى إسرائيل، تتمتع بحرية أكاديمية واسعة، فلا يستطيع أحد أن يتدخل فى منهاجها، ولا فى الأسلوب الذى تطبقه، وهى توجه جهودها إلى البحث العلمى بصفة أساسية. كما أن النشاط العلمى فى هذه الجامعات يتعلق



- كثرة علماء اليهود في جامعات أمريكا وأوروبا، المشتغلين في مجال علوم الإنسانية، مثل اللسانيات، وعلم الاجتماع، وعلم الآثار، ووفرة المؤلفات لكثير من رواد الفكر والعلم والثقافة من اليهود، أمثال «إميل دور كايم» مؤسس علم الاجتماع الحديث، و«جاك دريدا» رائد الفكر الفلسفي، و«نعوم تشومسكي» صاحب أكبر مدرسة في علم اللسانيات الحديث.

- توفر رصيد من علاقات التبادل العلمي والثقافي، وقيام إسرائيل بإنشاء العديد من جمعيات الصداقة من اليابان إلى البرازيل، ومن بولندا حتى جنوب إفريقيا.

وما يجب التأكيد عليه أن إسرائيل تحاول التحرش بالثقافة العربية والإسلامية من خلال الإنترنت، فقد أفلحت في بناء شبكة من التحالف العلمي والثقافي، لإثارة الخصومة ضد العرب، والمسلمين، كما تستغل تكنولوجيا المعلومات لتشويه التراث الحضاري العربي والإسلامي، فلا ينسى أحد ما قامت به إسرائيل مؤخراً بتمصير أفلام الإباحية الجنسية العالمية، باستخدام أحدث وسائل المونتاج الإلكتروني الرقمي، فعن طريقه استطاعت إحلال صور أوجه بعض الممثلين المصريين، والممثلات المصريات، محل أوجه الممثلين والممثلات الأصليين الأجانب، وما ذكرناه ما هو إلا مثل لهذا التزييف الرقمي، الذي يعتبر من أخطر أساليب التشويه الثقافي والحضاري.

وانطلاقاً من حرص إسرائيل على تنمية النشاط العلمي، وضعت خطة لتوفير الحواسب الآلية في المدارس، وبدأ تنفيذها عام ١٩٩٣، بتخصيص حاسوب لكل روضة أطفال إذ يوجد في إسرائيل حوالي ٤٠٠٠ روضة، وتوفير جهاز طرفي الحاسوب لكل عشرة أطفال في المدارس، ويبلغ عدد التلاميذ في إسرائيل حوالي ١,٢ مليون تلميذاً. واللافت للنظر أنه في غضون ثلاث سنوات من بدء هذه الخطة تم تدبير أكثر من ٢٥٪ من الحواسب اللازمة، وهي عبارة عن ٣٣٤٠٠ حاسوباً طرفياً، و١١٦٠ حاسوباً.

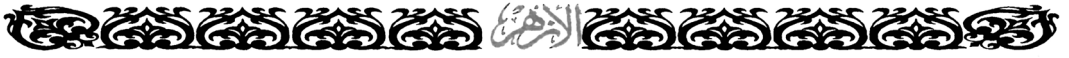
وتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى تصاعد مؤشرات تفوق إسرائيل علي العرب - نسبة إلى عدد السكان - عشر مرات في الأفراد العلميين، وأكثر من ثلاثين مرة في الإنفاق على البحث العلمي والتطوير، وأكثر من خمسين مرة في وصلات الإنترنت، ونحو ألف مرة في تسجيل براءات الاختراع. ويجدر ذكره أن إسرائيل تتمتع بمقومات أساسية تشكل منها خصماً ثقافياً وعلمياً قوياً نتناول بعضها فيما يلي:

- تعدد اللغات داخل الكيان الصهيوني، وخاصة اللغة الروسية إذ تسمح بميزة تنافسية ثقافية تتمثل في إمكان الاتصال المباشر مع الجمهوريات الإسلامية المنشقة عن الاتحاد السوفيتي السابق من أجل التعاون العلمي، وتبادل الخبرات العلمية لاسيما أنها تتكلم اللغة الروسية.



إلى أن حجم الطاقة البشرية العلمية في إسرائيل قد تضاعف عددها، في خلال العقود الثلاثة الأخيرة، أكثر من ٢٠ مرة، إذ أن نسب القوى البشرية المؤهلة في قطاع البحث العلمي الإسرائيلي هي ١٣٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، بينما في الولايات المتحدة الأمريكية هي ٨٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، وفي اليابان ٦٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، كما تصاعد عدد المهندسين والتقنيين في عام ١٩٩٦ إلى نحو ١٨٣ ألف مهندس بنسبة تربو على ٣٪ من إجمالي سكان إسرائيل. ومن الملاحظ أن العلماء اليهود المقيمين في مختلف بلاد العالم يمثلون إحتياطياً إستراتيجياً للنهوض بالنشاط العلمي والتكنولوجيا في إسرائيل، كما تأتي هذه الدولة الصهيونية في المرتبة الأولى في مجال نشر المقالات العلمية في الدوريات العلمية الدولية بنسبة ١١٠ مقال لكل ١٠ آلاف نسمة، وهي كما ترى من أعلى نسب النشر في العالم. وفي إطار التعاون الدولي فإن علاقات إسرائيل الدولية علي الصعيد العلمي والتقني تتمثل في ثلاثة محاور أساسية: الأول يتعلق بعقد المؤتمرات والندوات الدولية التي تفسح المجال لتبادل المعلومات، وتطوير الخبرات العلمية والتقنية. والمحور الثاني يتصل بتمويل الأبحاث في إسرائيل من خلال صناديق أبحاث خارجية، يوجد منها حوالي ٣٠٠ صندوق بحث، وعشرات المؤسسات الأجنبية التي تمول برامج

ونعود مرة أخرى إلى الإحصاءات الإسرائيلية، فتشير إلى أن إسرائيل تحتل المرتبة الثانية بعد الدانمرك في معدل نشر الكتب، وقيامها بحركة ترجمة ضخمة إلى العبرية من الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والروسية، والبولندية، والعربية، إثراءً للمكتبة العلمية في إسرائيل، كما أن لديها ما يزيد على ١٢٠ متحفاً يتم تمويل بعضها من متاحف صديقة في الخارج، خاصة من نيويورك، وترتبط متاحف إسرائيل بشبكة المتاحف اليهودية في معظم العواصم الأوروبية، والمدن الأمريكية برباط وثيق: وتذكر أحد التقارير الصادرة من المكتب المركزي للإحصاء الإسرائيلي أن الإنفاق العام على البحث العلمي وتطويره بلغ في عام ٢٠٠٠ حوالي ٢٠ مليون شيكل - أي ما يعادل ٥ ملايين دولار أمريكي - بمعدل نمو سنوي قدره ١٦٪ بالقياس بالعام السابق، بينما بلغت نسبة نصيب الإنفاق القومي على البحوث العلمية ٤,٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي الذي بلغ ١٢٠ مليار دولار، وهذه النسبة تتجاوز معدل الإنفاق على البحوث العلمية والتطوير في دولة صناعية متقدمة مثل السويد (٣,٥٪)، وفنلندا (٣,١٪)، واليابان (٣٪). ويجدر ذكره أنه يوجد في إسرائيل، اليوم، نحو ٧٠ شركة خاصة، و٥٠ صندوق استثمار خاص تقوم بضخ ما قيمته مليار دولار في السنة، على البحث العلمي وتشير بعض المعطيات الإحصائية الإسرائيلية



على البحث العلمى والتطوير فى إسرائيل من ٣٪ عام ١٩٩٣ إلى أقل من ١,٨٪ عام ١٩٩٩ بسبب توجيه جزء كبير من الناتج القومى الإجمالى لاستيعاب المهاجرين، وإعادة تأهيلهم، وفوق ذلك فإن ارتباط البعد الأمنى بخدمة تطوير العلم فى إسرائيل كان له تأثير سلبى على كثير من الشركات التى كانت تستفيد من قاعدة الأبحاث العلمية التى تولى تطويرها النخبة العسكرية الإسرائيلية فى فترة الثمانينات، ومن ثم صارت هذه الشركات تواجه صعوبة فى تطوير الجيل المقبل من منتجاتها التكنولوجية الفائقة، ناهيك عن تزايد معدلات الهجرة العكسية للعلماء من إسرائيل إلى أوروبا وأمريكا للاستفادة من الإمكانات العلمية المتاحة لهم هناك.

وفى الختام يمكن القول إن الهدف الذى أبغيه من تناول موضوع «النشاط العلمى فى إسرائيل» هو التعريف بما يدور على الصعيد العلمى داخل دولة الكيان الصهيونى، خاصة أن الصراع العربى الإسرائيلى، هو صراع حضارى فى الدرجة الأولى، يقتضى وضع إسرائيل تحت مجهر الواقع حتى يمكن رؤيتها فى حجمها الطبيعى بدون تهوين، ولا تهويل، وحتى يمكن للعرب بناء استراتيجية شاملة للنهوض بالنشاط العلمى والتقنى على الصعيد العربى لمواجهة خصم ثقافى عنيد، يسعى إلى التفوق العلمى، والسبق التقنى على العرب كافة.

البحث العلمى والتطوير فى إسرائيل، والتى تزايدت على ٢٠٠٠ مشروع بحثى تبلغ تكلفتها السنوية ٧٠ مليون دولار. أما المحور الثالث فيرتبط بتوقيع الاتفاقيات بينها وبين الدول بما فيها انعقاد الندوات، والمؤتمرات المشتركة، وتطوير برامج بحثية ثنائية، وتأتى على رأس هذه الاتفاقيات «الاتفاقية الإسرائيلية الأمريكية للبحث والتطوير» (AIRD) الموقعة عام ١٩٧٧، و«الاتفاقية الإسرائيلية الكندية للبحث والتطوير» (CIIRDF) الموقعة عام ١٩٩٤، و«الاتفاقية الإسرائيلية البريطانية للتكنولوجيا» (BRITECH) الموقعة عام ١٩٩٩، والاتفاقيات الثنائية فى المجال العلمى والتقنى مع الهند، وسنغافورة، والصين، واليابان، وكوريا الجنوبية، كما حصلت إسرائيل على عضوية كاملة فى البرنامج الأوروبى للبحث العلمى والتطوير. ويرى بعض المحللين فى إسرائيل أن ثمة سلبيات عديدة تبدو على الصعيدين العلمى والتقنى، منها الإسهام المحدود لهجرة العلماء الروس فى النشاط العلمى، فمن بين ١٣٢٥٠ عالماً روسياً وفدوا إلى إسرائيل فى الفترة من ١٩٨٩ - ١٩٩٦، نجح منهم فقط ١٥٧ عالماً فى الالتحاق بالعمل الأكاديمى فى الجامعات الإسرائيلية، بينما فشل ٧٠٠ منهم فى الاحتفاظ بوظائفهم التى حصلوا عليها فى بداية عملهم. ومن ناحية أخرى فقد أدت هذه الهجرة الروسية إلى تراجع معدلات الإنفاق

الصوم في الديانة اليهودية

الدكتور / محمد حسن عبد الحاق

لقد فرض الله سبحانه وتعالى الصوم على الناس جميعاً منذ القدم وكان ملازماً لكافة الشرائع السماوية قبل الإسلام.

والصيام في الديانة اليهودية أحد الطقوس التي يمارسها اليهود والتي يعتبرونها جزءاً من ديانته، وقد أمرتهم التوراة بالصيام من خلال ما جاء على لسان بعض أنبيائهم، أما توراة موسى عليه السلام فلم تذكر شيئاً عن الصيام أو الأسباب الموجبة له.

فقد ورد في سفر الخروج «ومكث موسى في حضرة الرب أربعين يوماً وأربعين ليلة، لم يأكل فيها خبزاً، ولم يشرب ماء. فدون على اللوحين كلمات العهد. أي الوصايا العشر»^(١).

«إنكم في اليوم العاشر من الشهر السابع (أيلول سبتمبر) تتذللون ولا تقومون بأى عمل»^(٢).

ويمتنع اليهود عن الشراب والأكل وارتداء الأحذية لمدة ٢٥ ساعة من غروب الشمس في اليوم السابق حتى غروب الشمس في يوم الصيام وفي الماضي كان الصائمون يرتدون الخيش ويضعون الرماد على رؤوسهم تعبيراً عن الحزن، وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق، ويعتبر

وقد وردت في التوراة كلمتان استخدمهما اليهود للدلالة على معنى الصوم وهما «صوم» و«تَعْنَيْت» بمعنى تذليل النفس، ولم تأت كلمة «صوم» في أسفار موسى الخمسة «تكوين. خروج. لاويين. عدد. تثنية» والصيام الواجب عند اليهود هو صيام يوم كيبور^(٣) ومدته يوم واحد، كما يجب على كل يهودي ألا يقوم بعمل ما أثناء هذا الصوم، فقد جاء في سفر اللاويين:

(٢) سفر اللاويين: ٢٩/١٦.

(١) سفر الخروج ٢٤ : ٢٨.

(٣) يوم عيد الغفران.



«وعندما حارب الفلسطينيون بنى إسرائيل على جبل جلبوع... مات شاول ورجاله، هب كل المحاربين.. وصاموا سبعة أيام^(٧)».

وهناك صوم أحلام السوء «تعنيت حلوم» يفرضه اليهودى المتدين على نفسه بعد رؤية حلم سيئ.

وقد فرضت الديانة اليهودية الصوم على الولد بعد بلوغه سن التكليف «برميتسيفاه» أى بلوغه الثالثة عشر من عمره. والبنت إذا بلغت سن الحادية عشر من عمرها، والمرأة مالم تكن حائض. وقد ذكرت التوراة الحيض فى سفر اللاويين:

«إذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دما فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء وفى حالة الولادة فإن المرأة لا تصوم ولا تصلى لمدة سبعة أيام إذا أنجبت ولداً ذكراً بينما إذا أنجبت أنثى فتكون مدة امتناعها عن الصوم والصلاة أربعة عشر يوماً» أما حالات الرضاع والنفاس فقد اختلف فيها حاخاماتهم.

والآن وضع المرأة عموماً متدن فى الشريعة اليهودية التى بين أيديهم، فإن الشريعة تعطى للأب والزوج سلطة منع فرض من فروض الله.

أقدس يوم فى السنة، ويطلق عليه سبت الأسباب، وكان كبير الكهنة فى الماضى يذهب إلى قدس الأقداس، ويتفوه باسم الخالق «يهوه» - كما يعتقدون - والذى يحرم نطقه تماماً إلا فى هذه المناسبة^(٤) ومن ينطقه من اليهود فقد كفر.

وصوم يوم كيبور فقط يعتبر إجبارياً بينما أنواع الصيام الأخرى يطلق عليها «تعنيت» بمعنى تذليل، وقد تحدث عنها التلمود.

وهناك أنواع أخرى من الصيام الاختيارى أو المستحب أو الخاص وكذلك الصوم المقنن مثل يوم كيبور، والتاسع من شهر أغسطس وهو يوم حزن بسبب تخريب بيت المقدس وحرق الهيكل الأول والثانى.

وكذلك يوم السابع عشر من تموز بسبب تحطيم حوائط أورشلين.

وهناك يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع يستحب فيها الصوم وصوم اليوم الأخير من كل شهر. وهناك من يصوم لذكرى خاصة به ك وفاة عزيز لديه^(٥).

وقد عرف العرب فى زمن الجاهلية هذا النوع من الصيام ومارسوه، وكان يطلق عليه عندهم اسم «الضرس» وهو صمّت يوم إلى الليل^(٦).

وقد يصوم اليهود حزناً على موتاهم

(٤) د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٧٨.

(٥) السيد محمد عاشور: الصوم فى الشريعة اليهودية. ص ٢٤.

(٦) د. على عبد الواحد وافى: بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٤٥.

(٧) شاول يصبح أول ملك على إسرائيل ١٠٥٠ ق. م.





ويقول السفر: « فلما رأى الملك إستير واقفة في الدار نالت نعمة في عينيه . . . فقال الملك لإستير عند شرب الخمر ما هو سؤالك فيعطى لك وما هي طلبتك، إلى نصف المملكة تقضى . . فأجابت إستير وقالت :

إن سؤالي وطلبتى إن نلت نعمة في عيني الملك . . . أن يعطى سؤالي ويقضى طلبى .

وبعد أن يحضر الملك الوليمة ويشرب الخمر تخبره أنها تطلب رأس هامان ويذهب الملك إلى الحديقة ليفكر وينتهى الأمر بصلب هامان .

« وبعد ذلك أعطى الملك إذنا لليهود أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويقوموا بإبادة قوة كل شعب حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم .

وخرج اليهود حتى أن « كثيرا من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم .

وأخذ اليهود في الانتقام يساعدهم في ذلك رؤساء البلدان فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف . . ثم قتلوا بعد ذلك ٣٠٠ رجل ثم خمسة وسبعين ألفا (إستير ٩ / ١٦) .

ثم استراح اليهود وجعلوا اليوم الخامس عشر من الانتقام يوم فرح يقرأ فيه سفر استير بأكمله في المعابد اليهودية وهو العيد الذى يحتفل فيه اليهود بنجاتهم من مؤامرة هامان

ومن يدرى فقد يأتى اليوم الذى يصوم فيه اليهود (صيام شارون) ويمجده صقور وحمائم أمريكا وغربان تل أبيب .

فإذا نذرت الزوجة صوماً وعلم زوجها بذلك فله أن يمنعها من تنفيذ هذا النذر إذا علم بذلك، وإذا سكت فإن سكوته يعتبر رضا منه، ويمكن لمن نذر منهم أيا كان نوعه أن يتحلل من نذره إذا أفتهاه رجل دين له ثقله أو ثلاثة من اليهود العاديين .

وحرم الصوم فى اليهودية فى الحالات التالية :

(١) أيام السبت، ما عدا السبت الذى يقع فيه يوم كبير .

(٢) أيام الأعياد .

(٣) الحائض .

(٤) أعفى حاخامات اليهود أنفسهم لاشتغالهم بالبحث الدينى من الصيام التطوعى . وسوف تلقى الضوء على تعנית استير، أو صوم إستير .

وهناك سفر فى التوراة يسمى سفر إستير .

وملخص السفر أن ملك فارس « أحشو يروس » تمردت زوجته عليه، فنصحته مردخاى اليهودى بطردها وإحضار أجمل فتيات المملكة إلى قصر الحريم وأحضر ابنة أخيه « إستير » التى كانت تتمتع بجمال فائق إلى القصر، وراقت فى عين الملك .

وكان هامان ثانى شخصية بعد الملك، نجح فى استصدار مرسوم بالقضاء على اليهود بالمملكة . ويعلم مردخاى بالأمر فيبلغ ابنة أخيه إستير بما حدث ويطلب منها التدخل لدى الملك لإنقاذ شعبها .



صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ

قصة
العدد

بقلم / عابر سبيل

جلس الإمام رضى الدين القزوينى رئيس الشافعية بالمدرسة النظامية قبيلا صلاة العصر بمسجد بغداد، ليوم الناس كعادته، ثم ينصرف إلى درس الأصول بالنظامية، فوجد رجلا يسعى إليه باكيا مستغفرا، ويقول: إن رئيس الشرطة ببغداد أرسله كي يتوب على يده فى المسجد الجامع، وكان رضى الدين يعقد مجلس التوبة عصر كل جمعة، وليس اليوم يوم الجمعة، وهذا ما يعرفه غانم الكرخى رئيس الشرطة، فكيف تعجل بإرسال هذا التائب فى غير موعد، وشاهد نفر من المصلين قدوم الرجل إلى الإمام، وسمعوا منه ما يروونه، فتظن الشيخ رضى الدين إليهم مبتسما، وأجلس الزائر جانبا حتى أذن العصر فنهض للإمامة، ونهض الناس من خلفه - فلما فرغ من الصلاة، تحلق القوم من حوله، فقال لهم ليس اليوم مجلسنا للوعظ، ثم لقاء التائبين، ولكن الله يقبل التوبة عن عباده فى كل وقت، وسنسمع قصة هذا الرجل، وإن له شأننا جعل غانم الكرخى يهتم به، وفى أمثاله عبرة عملية تغنى غناء الدرس اللفظى، ثم توجه إلى الزائر فقال له: قل حديثك يا بنى.. وكان فى الزائر شجاعة وصلابة، على رغم ذلة نفسه، وبكاء عينه، فقال بصوت قوى دوى بالمسجد فسمعه الحاضرون وكأنه واعظ يلقي موعظة، لا مذنوب يشرح جريرته، قال الرجل: أنا محمد بن واسط البغدادى، وقد شاء حظى أن انتظم منذ عشرين عاما فى عصابة ابن واصل الكردى، لأقطع الطريق مع الشطار، دون أن أحس فى عملى ما يشين، لأن جمعنا يقترب هذه المهنة، وكأنها وظيفة معلومة، وفى يوم ما منذ خمسة عشر عاما، وقع فى أيدينا غانم الكرخى قبل أن يصبح رئيس الشرطة، وكنت أتولى تفتيش الضحية لأنهب ما معها، فمددت يدي إلى جيب غانم، فرأيت مصحفا شريفا تلمسه كفى، فأخذتني رهبة لا أعهداها من نفسى.

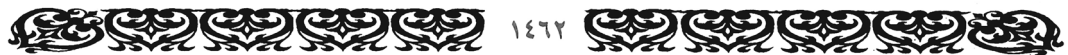


هو أن كثيرا من الناس يظنون أن جزاء المعروف أخروى فقط، ولكن الأيام تثبت أن الجزاء دنيوى وأخروى، لأن عين الله لا تغفل، ولن يذهب العرف بين الله والناس، فالخير لا يعدم جوازيه، وقد شرحت لكم من قبل حديث الصخرة، وهو يؤكد أن الطاعات تفرج الكربات فى الحياة الدنيا، قبل أن ينال الطائع ثوابها فى الآخرة وأنتم تعلمون!.

قال المذنب، سيدى لا أعلم حديث الصخرة، وأحب أن أسمعنه لأزاد يقينا، فقال رضى الدين: هو حديث نبوى مشتهر، ولن أرويه أنا، كيلا أنشئ مجلس وعظ هذا اليوم، لأن المجلس لغيرى بعد صلاة المغرب، فلا اعتداء ولن أحرملك الآن من سماعه، فليتقدم أحد التلاميذ ليرويه، وأشار إلى جبار له، فاتخذ سميت المتحدث، وانطلق يقول: روى البخارى عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا غارا فى جبل، فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلبه، فأجيء بالحلاب فأتى به أبوى فيشربان، ثم أسقى الصبية وأهلى وامراتى، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلى، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله عنهم، وقال الآخر: اللهم إن

ووقع فى خاطرى أن كلام الله يتشفع لهذا المنكوب، فوقفت دون حراك، مع أنى أزاول هذا الأمر ولم استشعر قط ما شعرت به ساعتئذ، فقلت لأصحابى، انصرفوا عن الرجل، فهو فى حمايتى ولن أسلبه شيئا، ونحن نستجيب إذا بسط أحدنا حمايته لأحد، فانصرف قومى، ونظر غائم إلى نظرة الشاكر وسمعته يقول: وما دمت قد احترمت كتاب الله، فلم تزاول قطع الطريق، فقلت له كانت زلات لى لم أحسب حسابها، ولو فارقت القوم تائبا، لبعثوا من يقتلنى من شياطينهم كيلا أشى بأماكنهم ومنازل أهليهم، وتركته يمضى، ثم قدمنا بالأمس ليلا لنهب متجر بغدادى قيل إنه بعيد عن الحرس، فما كدنا نهم بما نريد حتى دهمنا غائم برجاله، وكلهم مسلح مدجج وهم أكثر منا عددا وعددا، فقبض علينا وساقنا مكبلين بالأغلال، ورأيت ينظر إلى فاحصا، فعرفنى وعرفته، فابتسم ونزع عنى القيد وقال: أتذكر قولك إني أخاف الشياطين من أصحابى، لا خوف عليك الآن فستكون فى جماعتى بشرطة بغداد، وعليك أن تحلق رأسك، وتغتسل ثم تذهب اليوم إلى المسجد الجامع، فتعلن توبتك، وتأخذ الإمام رضى الدين القزوينى عهد الله عليك أن تتطهر من الإثم ولا تعود، ففرحت وكأنى ولدت من جديد، وهانذا قدمت ضارعا أتوسل.

قال رضى الدين وقد أشرق وجهه: إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار، وقد صدق من قال: إن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وقد سبقت من الرجل صنيعة قدمها لغائم فوقته اليوم وخامة العاقبة، أقول ذلك، لأؤكد معنى مهما،





فقال رضى الدين: وقد تعمدت أن أسمع القوم حديث الصخرة، لأعلمهم أن جزاء المعروف ليس وقفا على الآخرة وحدها، لكنه يثمر فى الدنيا والآخرة معا، وقد صنع هذا التائب معروفا أدرك ثمرته اليوم قبل أن ينتقل إلى جوار ربه، فماذا يرى شيخنا ابن الجوزى؟

قال الشيخ: لقد جئت الآن لأخلو بنفسى، حتى تحين صلاة المغرب، فأؤدى الدرس، ولكنى آنس فى روحى انطلاقا لا عهد لى به من قبل، لأن فرحتى بتوبة العبد المؤمن، تذهب عنى بوادر الكسل، وما قرره الإمام القزوينى من أن ثواب المعروف يتحقق فى العاجلة والآجلة معا مما لا شك فيه، وقد أحصيت عدة وقائع صحيحة تثبت هذا الرأى القاطع، وسردها الآن متعذرا، وسأسجلها فى كتاب يتداوله الناس.

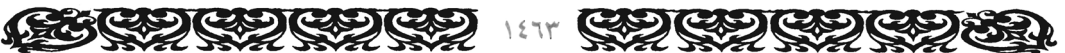
قال صدر الدين: ما هذا يا ابن الجوزى، تحضر مجلس التوبة، ويتجمع الناس معتبرين، ويكون لديك من القصص ما يؤكد حقيقة اجتماعية نود أن تذيب بين الناس، ثم تقول إنك ستدون القصص فى كتاب، لا بد أن نستمع إلى قصة تنهض دليلا جديدا، فهيا، وأسعف يا رجل.

قال رضى الدين: وهأنذا أرى التلاميذ ينظرون فى شوق وارتقاب! فلا تهمل رغبة الجميع يا أخى، وهذه ساعة رضا، ولحظة قبول.

قال ابن الجوزى: لقد جاءنى اليوم كتاب «الاعتبار» للأمير أسامة بن منقذ، وهو ممن عرفت وصاحبت، فقرأت فيه مدهشات من الغرائب العجائب، ومنها ما يصلح دليلا على ما يؤكد الإمام القزوينى من وقوع المثوبة فى الدنيا

كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منى حتى تعطينى مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجلها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقممت وتركتها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيرا بفرق من ذرة، فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبدالله أعطنى حقى، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، قال: أتستهزئ بى، فقلت: ما أستهزئ بك، ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم.

سمع المذنب حديث الصخرة، فأكب على يد الشيخ الإمام مقبلا، فاستتابه، وردد أقوال التوبة خلفه ورددها الحاضرون، وصادف أن قدم إلى المسجد الإمام أبو الفرج عبدالرحمن الجوزى، والإمام صدر الدين الخجندى، وكلاهما من زملاء رضى الدين فى المدرسة النظامية فابتسم ابن الجوزى حين رأى حلقة الدرس، وقال مداعبا رضى الدين: اليوم لى يا شيخنا، وسأعظ بعد الغروب، فقال الشيخ، وأنا لم أتحدث، وإنما روى الطالب حديث رسول الله ﷺ لمناسبة استدعته، ثم أوجز ما كان من أمر التائب، فتهلل وجه ابن الجوزى، وقال: جزى الله صاحب الشرطة خيرا، فهو لا يزال يبعث إلينا بمن يسعد الناس بتوبته النصوح.





مع الآخرة، وسأذكر مما قرأت به هذه النادرة:

قال القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي الأنصاري: بينما كنت أحج بيت الله، وجدت عقدا من اللؤلؤ فشددته في طرف حزامي، وبعد ساعة سمعت إنسانا ينشده في الحرم، وجعل لمن يرده عشرين دينارا، فسألته علامة له، فأخبرني بها، فتسلمه، وقال لي: تجيء إلى منزلي لأدفع إليك الجعل، فقلت: ما لي حاجة إلى مالك، وأنا من الله في خير كثير، فقال: أكان صنيعةك لله - عز وجل - قلت: نعم، فقال: استقبل بنا بناء الكعبة، وأمن على دعائي، فاستقبلنا الكعبة، فقال: اللهم اغفر له وارزقني مكافأته، ثم اتفق لي أن سافرت من مكة إلى ديار مصر، فركبت في البحر متوجها إلى المغرب، فكنت المركب في أيدي الروم، وأخذت أسيرا، فكنت من نصيب بعض القسوس، ولم أزل أخدمه حتى مات، وكان قد أوصى بإطلاقي بعد موته، فحررت، وخرجت من أرض الروم إلى بعض بلاد المغرب، فجلست أكتب على دكان خباز بأجر يومي، وكنت أكتب بخطي ورق الحساب لمن يعاملهم الخباز من أعيان المدينة، فجاءه بعض الوجهاء، وقال للخباز، تتنازل عن هذا الكاتب لأجلي، لأن معرفته بالحساب والخط تعينني على إدارة أملاكى، فوافق الخباز لمنافع يرجوها من الرجل، وانتقلت إلى منزله، فإذا نعمة سابغة، وجاه مديد، فأوقفني على ما يرغب منى، فكنت أؤديه كأحسن ما يكون الأداء حتى اطمأن لي، فلما مضت مدة قال لي: لماذا لا تتزوج، قلت: سيدي، وهل أملك ما أكل به وحدي حتى أضم إلى زوجة تأتي بأطفال!

فقال: سأتكفل بكل ما تحتاج، فقلت: إذن لا أمتنع، فقال: يا ولدي إن التي ستزوجها ابنتي وهي دميمة غير مقبولة، قلت: رضيت ما دامت ابنتك، فلما كان بعد أيام قال لي: تهيا لدخول منزلك، ثم أمر لي بكسوة فاخرة، ودار تعادل داره بهاء وسعة، وذهبت بعد اجتماع القوم للعروس، فوجدتها أجمل فتاة وقعت عليها عيناى، فخرجت هاربا من الدار، فلقيني والدها، وقال: ما شأنك، قلت: ليست هذه الزوجة التي وصفتها وذكرت من عيوبها الكثير، فتبسم وقال: هي زوجتك، وليس لي سواها، وقد قلت لك ذلك لتستقل ما ستره ابتداء، فإذا اطلعت قنعت.

فلما كان من الغد، جعلت أتأمل ما لدى من الحلى والجواهر التي حملتها العروس معها، فرأيت من بينها العقد الذى وجدته بمكة من قبل، فعجبت كثيرا، وجاء والدها يزورها، فرأى على شفتى كلاما، فقال: ما خطبك؟ قلت: هذا العقد، رأيته بمكة مفقودا لإنسان مغربي وأعطيته إياه، فقال: أنت صاحبة بمكة؟ قلت: نعم، قال: وقد دعوت الله أن يغفر لك ويرزقني مكافأتك، وأنت تؤمن! قال: نعم، قال: أبشر بمغفرة الله، لأن نصف الدعوة تحقق، وستحقق النصف الثاني! وقد سلمت إليك مالى وابنتي وهى كل أقاربي، فأصبح كل شيء لك، وأوصيك بها!.

غمر الوجوه سرور مضى، وقال الإمام القزويني: من أين كنا سنعثر على هذه النادرة، لو لم يقدم شيخنا عبدالرحمن؟ فقال صدر الدين: ومن ببغداد مثل الإمام ابن



بالسوء ولن يكون المتاب إلا بتوفيق من الله، قال ابن يزيد: فاستحسن جوابه، وقلت له: كم يكفيك، إلى منزلك؟ فقال: دينار، فدفعت له إليه، وقلت له: إذا حدثتك نفسك بقطع الطريق فلا تطعها، وابعث إليّ فسأكفيك، فما مضى شهر حتى اضطربت نواحي البهنسا بتسلط رجل من اللصوص في جمع حاشد من أتباعه، وكانت لي أموال وأثمان زروع فخرجت لتحصيلها هناك مع جماعة من التجار، وما كدنا نلم بالبهنسا حتى داهمنا اللصوص بأسلحتهم المهددة، وفيهم فتى تأملته فإذا هو مسافر صاحب النصيحة التي وجهتها إليه من قبل، فلما عرفني أكب على رأسي مقبلاً، واحتفى بمن معي من أجلّي وقال لأصحابه: أخطأ والله ظنكم، هذا سيدى ولن نزعجه مع جماعته فى شيء، ثم قال لى: أعلم أنك ستلومنى إذ خالفت نصيحتك، ولكن النفس أمارة بالسوء، فاذهب إلى سبيلك مع جماعتك، وأملى أن أراك فى رجوعك من هذا الطريق لأحرسك حتى تصل إلى الأمان! فلما وصلنا إلى أهناس، شاع خبر اللصوص، وجاء المتقلد لها من أصحاب ابن طولون يستطلع الخبر، فأعلمته بشأن مسافر معى، فقال والله: إنه رئيس القوم، وقد بذلت الجهد فى استمالاته إلى الرشيد فعييت، وأنا أسألك أن تسفر بينى وبينه، فإذا أجاب وأجاب مع عصابته، فإنى سأؤمّنه وأكرمه، وأقلده صيانة الأمن فى الإقليم، فرجعت إلى مسافر، ولى أمر فى احتوائه، فقال يا سيدى: أعلم أنك دليل الخير، ثم نهض إلى أصحابه صارخاً: من يساعدنى على التوبة،

الجوزى، فى سعة اطلاعه، وشمول معرفته، على أننى أضيف شيئاً صغيراً، فأذكر أن أحمد بن يوسف الكاتب ألف سفرًا سماه «المكافأة» ملأه بالأقاصيص الدالة على أن صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وقال فى مقدمته ما معناه: إن قصص الكرام المشتهرة، تذكر فعالهم المجيدة، وقلما تشير إلى عقبى هذه الفعال من مكرمات تتحقق لأصحاب الفضل من الناس، فأردت أن أثبت ما لقيه هؤلاء من جميل العقبى فى الحياة، ليكون ذلك دافعا حثيثا للمكرمات! ثم ذكر من القصص الجميلة ما وقع من نفسى موقع الارتياح، وأذكر أنى قرأت كتاب ابن يوسف عدة مرات.

قال ابن الجوزى: وهذا كتاب لم أقرأه، وقد ذكر شيخنا الصدر عن سعة الاطلاع، وشمول المعرفة، فمن الجدير بهذين الوصفين سواه؟ نرجو أن تتكرم بذكر قصة مما علق بذهنك من كتاب المكافأة، فإن النفوس على استعداد وليكن اليوم، يوم الاحتفال بالفضل والفضلاء من ذوى المكارم، وسيرتهم جديرة بالدرس، لأنها تطبق ما يدعو إليه الإسلام من المحامد، فهى درس من أمتع الدروس، هيا يا صدرالدين.

قال الصدر: نقل ابن يوسف عن محمد بن يزيد من أصحاب البريد لعهد، أن ابن طولون قد أطلق من حبسه جماعة من اللصوص ومنهم فتى تظهر عليه ملامح الشراسة، فأراد ابن يزيد أن يثنى من شره بالتى هى أحسن، فهناه بالسلامة من الحبس، وأوصاه أن يتقى الله فى أموره فلا يشارك بعد الآن فى قطع الطريق، فقال الفتى واسمه مسافر: يا سيدى إن النفس أمارة



أحد سواه، فذهبت لحارس الأمن أسأله عن قصته فقال: إنه خنّاق شرير، فقلت بصوت مرتفع: ماحقه غير الإحراق بالنار، وسأكتب فيه للسلطان، فاحبسوه ليأتى الأمر بقتله ففرح الناس، ورفعوا أيديهم بالدعاء لى، وما قلت ذلك إلا لأصرف العامة مخافة أن يحدث الهياج إذا أطلقته فلما صليت العشاء بعثت فى استدعاء هذا الخنّاق، فإذا شاب ظاهر القسوة بآدى اللؤم، فقلت له: أما تتقى الله فى أمك، وقد كانت بين الموت والحياة وهى تستشفع بى، فقال يا سيدى، أعطيك عهد الله على أن أتوب ولا أعود، فأوصيته بخير، وأمرت من يخرج من البلد إلى مكان قاص كيلا يهيج عليه أحد.

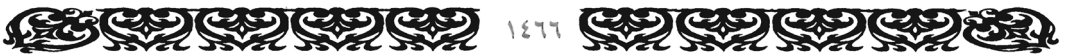
قال إسماعيل، وقد مرت سنون، وتغيرت أحوالنا، إذ قدم من دار الخلافة من أشخصنى إلى بغداد مخفورا لذنوب لم نرتكبها، وحين وصلت إلى دار الوزير طالبنى بأموال زعم الواشون أنى اختلستها من الناس، واشتد فى خشونة أرهبتنى، ثم نادى رجلا غليظ الطبع أقام على بعض أمره، فقال له: استخرج منه مائة ألف دينار اليوم، وإلا فعذبه حتى يقر، فأيقنت بالهلكة، ولكن صاحبنى الذى سرت معه، أخذ ينظر فى وجهى ثم سأل عن اسمى، فحين أجبته سكن فوره، وهدأ غضبه، وقال: ألا تعرفنى يا سيدى، أنا الخنّاق الشرير الذى أطلقتنى من مصر، والله ما خنقت أحدا بعدها، ولكن الوزير رأى شدة بأسى حين قدمت إلى بغداد فاخترانى لأستخرج الأموال بالتعذيب، ثم صحبنى إلى حجرته بقصر الوزير، وأخرج صندوقا يحمله غلامان، وقال: فى هذا المال ما نكتفى به جميعا

والالتزام بأدب الدين، فقالوا جميعهم: نحن معك، فسار مسافر وأتباعه من خلفه، وقد وضع فى عنقه وأعناقهم الحبال، وقال: ادخل بى فى زى الأسرى ليعلم الناس صدق التوبة، وجعلت أثنيه فأصر، فلما أتينا إهناس خرج الناس للقائنا فى دهشة بالغلة لقيادتى نفرا من شياطين الإنس، وعجبت، كيف لشيخ ضعيف مثلى أن يقوم بما أعجز رجال الدولة هناك؟! فاستبشر المتقلد بتوبة من أزعجوه وأقلقوه، ثم طلب مسافر أن يرحل إلى الحج فى القافلة تائب، فاستجبنا له، وعرف ابن طولون الخبر، فقال لى: لم يضع دينارك يا ابن يزيد.

قال الإمام المقرئى: هذه لؤلؤة، ولن نكتفى بها، فعليك بأختها يا صدر الدين.

قال الصدر: لم يحك الإمام ابن الجوزى إلا قصة واحدة، فإن عاد عدت، فصاح ابن الجوزى: بالله إلا استرسلت، فأتنا إلى هذه الفرائد أحوج، لأن دروس الوعظ ببغداد لا تجد صداها لدى العامة إلا بهذه الطرائف وسأنقلها عنك.

قال الصدر: ولدى نادرة من هذا الوادى بطلها شرير تاب الله عليه لمناسبة كمناسبة مسافر، وقد عاد النفع بها على من تقدم بحسن الصنيع! إذا ذكر ابن يوسف عمن يسمى بإسماعيل بن ساباط أنه قال: كانت لى دار للخليل أفد إليها بين الحين والحين على ضفاف الصحراء، فقصدتها ذات صباح فرأيت حشدا من العامة ضاقت بهم الأرض على سعتها، ومعهم حارس الأمن، فاستقبلتنى امرأة هائجة تلطم وتقول: يا سيدى وحيدى وكافلى يُعرض الساعة للقتل، فالله الله فىّ، وأنا أمه ولا يعولنى





ثم صاح برضى الدين: قل يا أخى فقد اشتاقت الآذان، وقد بدأت فأتمم.

قال القزويني: جميع ما سمعناه من النوادر يدل على تحقق المكافأة لمسدى الجميل فى حياته، ولكن ما سأرويه الآن سيتقدم خطوة تالية فتعطى المكافأة فى الحياة أيضا، ولكن لورثة صاحب الصنيع، وهذا ما نطق به صحائف التاريخ، فقد ذكر الرواة أن أبا عبدالله محمد بن على بن العباس أبا الخلفاء أتى هشام ابن عبدالله بالرصافة، فأخر الإذن عليه أياما، حتى شكا لأخيه مسلمة بن عبدالله فصاح هشام، أتشفع فى رجل لو طawعت شيطانى لقتلته الآن، إنه يحلم بالخلافة ويسمى ابنه عبدالله وعبدالله، والله لولا انتقاد الناس لسال دمه الآن، فخرج مسلمة إلى أبى عبدالله، وقال له: إنى يئست من هشام، وما حملت معى إلا ألفا وثلاثمائة دينار هى لك، وسيصلك غيرها.. مات مسلمة ومات أبو عبدالله، وسهر هارون الرشيد ذات ليلة مع ندمائه، فجرى ذكر هذه الحادثة، فقال الرشيد: والله لا أمكث حتى أجزى أبناء مسلمة ذكورا وإنائا بما يقر عين جدهم فى قبره، مكافأة على صنيعه بجدى، ثم احصى الأبناء فوجدهم أربعين فأعطاهم أربعين ألف دينار لكل واحد ألف...!

قال ابن الجوزى هذه نادرة النوادر، وجزى الله الحطيئة خيرا حين قال:

من يصنع الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس
ونهب الأساتذة، فنهض التلاميذ.

إذا هربنا من بغداد، قلت: وكيف نعمل إذا تنبه الوزير وساق خلفنا من يردنا مقهورين، قال: معك الحق، ثم انكفأ إلى الوزير فجعل يبكى بين يديه، ويقول: عاشرت بمصر فعرفت أمانته، فقال الوزير: أصدقك لأنى لا أعرف فيك ميلا للرافة إلا عن اقتناع، وقد أعفيت، فاعمل على رجوعه سالما، فكاد الخناق يشق ثوبه من الفرح، وقال لى: أحمد الله فقد قدرت على رد الجميل، وأعد لى سفرا مريحا مع قافلة ذات شوكة وسلاح، قال ابن الجوزى، لن أترك الصدر حتى يعيرنى كتاب المكافأة هذا، فقد أحسست برغبة فى استظهاره، فضحك الصدر قائلا: ستكون أعجوبة بين الناس حين يعرفون أن ابن الجوزى يستعير كتابا من الصدر، وهم يعلمون أن عبدالرحمن ما ترك مصنفا دون استيعاب.

فقال ابن الجوزى، سأعلمهم أنك قرأت ما لم نقرأ، ليلتفوا حولك إن سرت، فنستريح وقتا للقراءة والتصنيف، وتطلع ابن الجوزى إلى الإمام القزويني فقال له: على وجهك كلام يا رضى الدين، وقد جاء دورك، ولا بد من طرفة. قال رضى الدين: ألم أذكر حديث الصخرة يا أخى، وحديث رسول الله أشرف الحديث! فقال ابن الجوزى: متى يا رجل؟ قال: قبل أن تجيء!.

فابتسم ابن الجوزى قائلا: لا تهرب، فأحاديث رسول الله ذائعة مشتهرة، نريد أن تأتينا فى هذا المنحى بطرفة نعتز بها، وكل الصيد لديك! والتفت ابن الجوزى إلى الطلاب فقال: إنه مجلس نادر يا قوم! لقد أغناكم عن مجلس المغرب، فلا وعظ الليلة لتستمعوا هذه الفرائد قبل أن تضيع.





﴿ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استنفاء آداب القرآن

الآداب الواجبة في شهر رمضان

● السؤال من السيد علي مراد - الباجور: ما

هي الآداب الواجبة في شهر رمضان ؟

●● الجواب :

صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له ان يتحفظ كافر ما قبله» فيجب على الصائم أن يتأدب بآداب الإسلام فيعمل بما أمر الله ويتجنب ما نهى عنه وأن يكف لسانه عن فضول الكلام وأن يبتعد عن كل ما يثير النزاع بينه وبين غيره وأن يحسن معاملة الناس وأن يبتعد عن إساءتهم وأن يغفر لهم زلاتهم وأن يحسن عشرتهم وأن يكون فعالاً للخير بعيداً عن النقائص والشر وأن يصون لسانه عن الغيبة والنميمة وأن تصوم يده فلا تمتد إلى أحد بالإيذاء قال رسول الله ﷺ : « ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث » وقال ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

فجدير بالصائم أن يتحلى بالآداب الإسلامية وأن يجعلها نصب عينيه دائماً .
والله سبحانه وتعالى أعلم

الغاية من صوم رمضان هي : « تقوى الله » تعالى ، وله حكمة وفوائد - عظيمة روحية وجسمية وخلقية واجتماعية فالصوم مطهر للجوارح من فعل الخرمات مهذب للنفوس بالتوارع عن الشبهات مربى خلق الأمانة كابع لجماح الشهوات مقوى للإرادة قانع لفاحش النزوات وللصوم جمال تذوقه الأرواح وللصوم سر تعرفه القلوب وللصوم نفحات ترفع العبد إلى أعلى الدرجات ولكن أى صوم هذا الذى يرفعنا إلى هذه الدرجة ويورثنا هذه الخشية إنه الصوم الذى نعرف حدوده ونلتزم آدابه ونؤدى شروطه روى ابن حبان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

زكاة الفطر

● السؤال من السيد محمد عبدالمعبود -
المنصورة: ماهو حكم زكاة الفطر وكيف
تؤدى؟

●● الجواب :

زكاة الفطر واجبة وتصرف إلى الأصناف
الثمانية المذكورة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمَوْلَىةَ قُلُوبِهِمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠١ ﴾ (١).

مع تقديم الفقراء والمساكين عن غيرهم
من باقى الأصناف المذكورة فى الآية لأنهم
أولى الأصناف ولأنه كان من هديه ﷺ :
« تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »
ويجوز إخراج زكاة الفطر من أول يوم من

أيام رمضان على ما رآه الشافعية، ويجوز
أن تؤدى قبل العيد بيوم أو يومين عند
بعض الأئمة، بل يجوز ذلك قبل رمضان .
ولايجوز تأخيرها عن يوم العيد
والأفضل إخراجها قبل صلاة العيد لما رواه
البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ أمر
بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس
للصلاة، قال ابن عباس رضى الله عنهما :
« فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة
ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من
الصدقات ».

والواجب فى صدقة الفطر صاع من
القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو
الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر غالب قوت
البلد، وجوز أبوحنيفة إخراج القيمة وقال :
إذا أخرج المزكى من القمح فإنه يجزئ
نصف الصاع والمقرر شرعا أن تراعى
مصلحة الفقراء والمساكين أولا وأخيرا فى

(١) التوبة (٦٠).

النساء من أكل شيء قليل جداً أو شرب بعض السوائل ثم الإمساك بقية اليوم مخالف للشرع، والمطلوب من المرأة أن تفطر بشكل طبيعي ولا حرج ولا لوم عليها، لأنها ستقضى هذه الأيام حسبما جاء في حديث السيدة عائشة رضى الله عنها: [كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة...]

أما استعمال الحبوب التي تؤخر «الدورة الشهرية» إلى ما بعد رمضان، والتي تتيح للنساء أن يكملن صوم الشهر كله بغير انقطاع فلا بأس منه، ويجوز اللجوء إلى هذه الوسيلة ويصح معها الصوم، ولكن بشرط أن يقرر الأطباء أن استعمال هذه الحبوب لا يترتب عليها ما يضر بصحة المرأة عاجلاً أو آجلاً، فإن ترتب على استعمالها ضرر فهي ممنوعة، ليس بسبب الصوم أو الفطر في رمضان، ولكن بسبب قاعدة أخرى يحرس عليها الإسلام أشد الحرص وهي تحريم كل ما يضر بصحة الإنسان، ومن المعلوم أن «حفظ الصحة» مقصد ضرورى من مقاصد الشريعة في هذا الدين الحنيف.

والله سبحانه وتعالى أعلم

إخراج الزكاة ومما لاشك فيه أن إخراج النقود فيه فوائد كثيرة كما أنه أكثر نفعا للمحتاجين ويحقق بذلك مصلحة الفقراء والمساكين أكثر مما لو كان حبوباً.

وعلى ذلك فدار الإفتاء تميل إلى الأخذ برأى الإمام أبى حنيفة فى إخراج زكاة الفطر بالنقود بدلا من الحبوب تيسيرا على الفقراء فى قضاء حاجاتهم ومطالبهم كما أنها تحدد هذه القيمة كل عام عن كل فرد فى الوقت المناسب لذلك.

حبوب منع الحيض

● بعض النساء يسألن: هل يجوز استعمال حبوب منع الحيض لتأخيره حتى انتهاء شهر رمضان علماً بأن هذه الحبوب قمنا بتجربتها ولم يحدث منها ضرر؟

●● الجواب :

من الأحكام الثابتة فى الشرع أن المسلمة يجب عليها الفطر فى رمضان إذا جاءتها الدورة الشهرية... إذ الفطر هو الأنسب والأوجب فى حالات الإعياء والاضطرابات الجسدية التى تصاحب هذه الحالة هذا تخفيف من الله - تعالى - ورحمة بعباده والإفطار هنا واجب، وما يفعله كثير من

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالي:

مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

كليات القدرة تصحب خوابنا

للدكتور / على أحمد على

ومعا، بمشيئة الله تعالى، إلى صدر الفقرة
الخامسة من العدد الماضي من مجلتنا الطيبة.
مجلة الأزهر ص ١٣٠٤، لنقرأ سطورا ثلاثة
هي منهج بحثنا في هذا المقال، قلت؛
«ولكليات القدرة إعجاز يخصها؛ فنادرًا
ما يتكرر في آياتها معنى دون زيادة تخصه،
بينما جاءت كل آية منها تحمل قضية أساسية
لم ترد في غيرها من أخواتها. ونعرض
للأمرين، بمشيئة الله، عز وجل - بقدر
ما يسمح به «مقال» أهـ.

وهناك صحبنا الآيتين الكريمتين؛ الأولى
والثانية من آيات كليات القدرة؛ فكانت الأولى
ختامًا لوصف الحال المضطربة لنفسية
المنافقين، وكانت الثانية في قضية «النسخ»
وبها انتهى المقال الثاني لهذا البحث.

ونمضي - في مقالنا هذا - مع كليات القدرة: الخمس وثلاثين الباقية لنرى إعجازها إلى جانب
ما أحاطت به المسلمين من علم، ليس إلا الله - وحده - مصدره؛ ثم إلى ما شاء الله - تعالى - مما ادخره في
هذه الآيات: وهذه هي الكلية الثالثة تقدم للمسلمين - بجلاء سافر - ما يمتناه أهل الكتاب لهم من كفر
بعد إيمان، قال - تعالى:

﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ
مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ مِّنَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

وفى الآية تهوين أمرهم على المسلمين؛ فلا ينشغلوا بما في قلوب هذا الصنف من أهل الكتاب من
غل وحسد، فإن أمر الله - تعالى - بإزهاقهم آت لا ريب فيه، وربنا - سبحانه - على كل شيء قدير؛ ففضوا

(١) البقرة (١٠٩).



الصور فيقوم الخلق أجمعون، يستقبلون حشرا وحسابا... لا.

إنه بعث خاص تناول إنسانا بعينه، قضى الله - عز وجل - عليه أن يموت مائة عام فقط ثم يحيا ليستأنف حياة عُمُرِهِ الذى قدره الله - تعالى - له فى الأزل.

وإنما أماته الله - تعالى - تلك المدة لعبرة وتبصرة، وهى عبرة - للأسف - لا يعتبر بها إلا المؤمنون بالله - وحده - الذين يُقرون بقدرته - تعالى - على كل شىء.

وسواء علينا: آمنوا بها أم لم يؤمنوا، فإنها تخنع رقاب الذين طنطنوا وهزأوا بالرسول، وسخروا من إرشاد أنبيائهم إلى البعث بعد الموت لحياة أخرى: إما نعيم أبدا أو جحيم أبدا، وقالوا - لرسولهم:

﴿ فَأَنؤُا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣).

ها هو البعث بعد الموت أوقعه الله - عز وجل - فى الحياة الدنيا.

وهذا البعث - بهذا الوضع - كانت له حالات أخر، أوعبت «البقرة» منها خمس حالات (٤)، ولقد يكون فى التنزيل العزيز غيرها، وله ميدانه إن شاء الله.

والحالات الخمس بسورة البقرة تناولت «أفرادا» بأعيانها، أو «جماعات» قضى الله - تعالى - عليها بموت مؤقت عبرة، أو عقوبة، أو عبرة وعقوبة معا - إلا حالة واحدة منها، أحيا الله - تعالى - فيها قتيلا قد انتهى عمر؛ ليدل - فقط -

أنفسكم عن الاشتغال بأمرهم، ودعوهم لما فى قلوبهم؛ فإنه كفيف بتنغيص حياتهم.

وتحيطنا الكلية الرابعة من كليات القدرة - علما بأن «لكل ملة قبلة» هم عليها عاكفون. وقد أرشدكم الله - تعالى - أيها المسلمون - إلى القبلة الحق، فإليها تتجهون، وتسارعون إلى ممارسة الطاعات، وبخاصة: الصلاة أول وقتها؛ فإنما كانت القبلة من أجل الصلاة، وحساب الخلق على الله - عز وجل - وهو - وحده - جامعهم يوم القيامة، فإنه على كل شىء قدير. قال تعالى:

﴿ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُومُؤَلِّهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمْ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

أى أن الله - تعالى - العليم بكل شىء الحكيم فى ملكه قد اختار لكم القبلة الحق وصرفكم إليها فالزموها، وليمت غيظا وحنقا من كفر من أهل الكتاب، فما هم بضارينكم من شىء.

ونلاحظ أن الكليات: الثانية والثالثة والرابعة، كل جاءت فيمن كفر من أهل الكتاب، وسلط هواه وحققه على المسلمين، وعُنت كل آية من الثلاث بإبراز لون بعينه من هذه البغضاء، ولا ننس أن رسول الله ﷺ قد جرّعهم غصص بغضائهم هذه فى خبير وقريظة وغيرهما.

و«البعث بعد الموت» هو القضية التى حملتها الكلية الخامسة من كليات القدرة لكن: أى بعث هو...؟ إنه ليس بعث القيامة الشامل الذى يُنفخ له فى

(٣) الدخان (٣٦).

(٢) البقرة (١٤٨).

(٤) انظر الآيات الكريمة من البقرة: ٥٦، ٧٢، ٧٣، ٢٤٣، ٢٥٩، ٢٦٠.





– على قاتليه فما عاش إلا لحظات الدلالة^(٥).

ونعود إلى صاحبنا في كليته الخامسة: ^(٦)

لنراه مؤمناً^(٧) صالحاً خافتاً خاشعاً لله – عز وجل –
قانعاً من حياته بأدنى ما يكفيه من لباس وزاد يسوق
حماره، وفي إحدى يديه غذاؤه، ها هو يمر على قرية
فيستوقفه حالها الكئيب إذ يراها على خراب تام،
راكدة بلا حياة ولا أحياء، قد انهار فيها كل ما تُقيم
الحياة من معالم ورواء؛ فهذه قصورها وبيوتها قد
سقطت سقوفها على أعمدتها فناءت بما حملت
فاستوت بالأرض، وتلك حقولها جرداء لا تنبع بها
خُضرة، ويبست أشجارها، فليس على أغصانها ثمرة،
ثم جفاف طوق أرجاءها وأعدمها الحياة.

ولابد كانت يوماً مدينة زاهية، مفعمة بالحياة
والأحياء والروعة والجمال؛ فإن أعمدة قصورها
ومنازلها تحمل من النحت وبراعة الفن النصيب
الوافر... ثم ها هي قد فُتيت، فتردد – في نفسه وحاله
هذا السؤال – تعجباً مما يرى:

﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾...؟

إنه مؤمن بقدرته الله على إحيائها؛ فالله على كل
شيء قدير، ولكن نفسه تتشوف إلى معرفة كيف يتم
هذا الإحياء...؟

وما أن أطلق لنفسه سجيته فتساءلت هذا السؤال
حتى قبض الله – عز وجل – روحه، وأماته، وأمات

حماره مائة عام، وأخفاه وحماره وطعامه عن خلق
سوف يعمرون القرية بعد حين.

وإذ مضت السنون المائة بعثه الله، وردّ عليه روحه،
فقام ينظر حوله – وهو في النهاية من الدهشة لحاله ولما
يرى من حوله – وسُئل:

(كم لبثت) في رقدتك هذه...؟

« قال : لبثت يوماً أو بعض يوم... قد يكون سبب
قوله هذا رؤياه طعامه وشرابه لم يفسدا.

فأجيب: (بل لبثت) مئتي في رقدتك هذه (مائة
عام)، فانظر في أمرك وتدبير فيما حولك واعتبر،
وسوف ترى شيئاً مما طمحت إليه نفسك سريعاً:

انظر إلى طعامك لتعلم أن الذي أثر في حفظه
هو الله – تعالى – بقدرته ولطفه، ولو ترك
للأسباب المعروفة لفسد وأنتن وما صلح – بعد –
طعاماً لبشر، لكنه تعالى حفظه ناضجاً صالحاً مائة
سنة بفصولها وأغيارها الجوية حتى تأكله – أيها
المؤمن – هنئاً مريئاً مستوعباً للحكمة الربانية.

وهذا حمارك وكنت تود أن ترى كيفية إعادة
الخلق، ها هو حمارك أمامك عظاماً نخرة، تفرقت
أوصالها، فانظر إليه ها هي القدرة الإلهية تأمر فيجتمع
بعضها إلى بعض أمامك، ويحل كل جزء منها بمكانه
متصلاً بما قبله وبعده، وها هو يعلوه اللحم – كما ترى،
ثم ها هي الروح تنفخ فيه، فيعود كما كان جسماً

(٦) هي من البقرة الآية رقم: (٢٥٩).

(٥) الآيتين: ٧٢، ٧٣.

(٧) جرى بعض المفسرين على اعتبار أن الرجل هو (عُزَيْر) والبعض جعله «نَحْمِيًا»، وبالرجوع إلى أسفار العهد القديم لم نجد ذكراً لهذه الواقعة في كلا السفرين، لذا كان أحسن اتجاه في التفسير هو ما رآه مجاهد بن جبر أنه رجل من المؤمنين، وأن القرية المذكورة ليست القدس؛ فلا دليل بين أيدينا يدل على صحة شيء من هذا أو ذاك. وخير ما قيل في ذلك ما سجله مفسر هذه الآية بالتفسير الوسيط إذا قال: لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ما يعين صاحب هذه القصة ولا اسم القرية، لأن العبرة هنا في إحياء موتاه لا في اسمها، و [لا] اسم من مر عليها... قال: ونحن نفوض الأمر – في علمها – وعلم أهلها إلى علام الغيوب – عز وجل – ونسكت عما سكنت عنه القرآن الكريم، ولم تشر إليه السنة المطهرة.

وصورة وحركة وصوتا، وهكذا تعرف قدرة الله - تعالى - على إحياء الموتى، وإحياء هذه القرية، وإحياء الخلق جميعا يوم يبعثون .

وها أنت نفسك قد حييت، وصرت آية للناس دالة بذاتها على قدرة الله - تعالى - على البعث، يستدل بها المعاصرون لك، والمؤمنون من بعدهم (٨).

وهكذا ازداد المؤمن إيمانا . قال - تعالى :

﴿ أَوَكَلَّيْ مَرَّ

عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الظُّلُمِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحُمَامَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٩).

ونصحب كلية القدرة الأخيرة بسورة البقرة،

وفيها قوله - تعالى :

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠).

فالآية الكريمة تعنى ببيان سلطان الله - عز

وجل - على خلقه فى السموات والأرض وما بينهما، وعلمه التام بما فى نفوس خلقه من خواطر، على ما هى عليه، يقول - سبحانه :

﴿ قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١١)

عَلَّمَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وحساب على كل شىء، ورحمته - سبحانه - قائمة دائمة، وسعت كل شىء، وهى للذين يتقون، يتجاوز الله - تعالى - عنهم، ويغفر لهم فضلا، ويعذب الكافرين عدلا .

قال الإمام الخازن - فى آية البقرة، التى نحن بصدد الحديث عنها شرحا لقوله تعالى : « يحاسبكم به الله » هذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب، ولا يتمكن من دفعها، والمؤاخذه بها تجرى مجرى تكليف مالا يطاق . قال : وأجيب عن هذا :

بأن الخواطر الحاصلة على القلب على قسمين : أ - فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه، ويعزم على إظهاره إلى الوجود [أى يمارس العمل به] فهذا مما يؤاخذ الإنسان به .

ب - والقسم الثانى : ما يخطر بالبال، ولا يمكن دفعه عن نفسه، لكن يكرهه، ولا يعزم على فعله ولا إظهاره إلى الوجود فهذا مغفوع عنه بدليل قوله تعالى :

﴿ لَهُمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (١٢).

قال ابن كثير - فى الآية :

وقد ثبت بما رواه الجماعة فى كتبهم الستة من طريق قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل به » (١٣).

صدق رسول الله ﷺ .

(١٠) البقرة (٢٨٤).

(٩) البقرة (٢٥٩).

(٨) انظر فى الآية التفسير الوسيط ص ٤٤١ - ٤٤٥.

(١٣) تفسير ابن كثير (١/٣٣٩).

(١٢) البقرة (٢٨٥).

(١١) آل عمران (٢٩).



وأثرها في إصلاح النفوس

موضوعات الحسنة

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف



النفس الإنسانية هي محور اهتمام رسالات السماء، ومركز انطلاقها، وميدان نشاطها، منذ أن خلق الله أبانا آدم - عليه السلام - إلى أن بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ.

والرسالات السماوية كلها اعتبرت النفس الإنسانية الصالحة هي الأساس والركيزة لكل إصلاح في المجتمع الإنساني، وهي القاعدة المتينة التي يبنى عليها الأمن والأمان، والإخاء والتعاون، والحب والسلام في المجتمع.

كما اعتبرت الرسالات السماوية النفس الإنسانية المختلة هي التي تثير الفوضى في النظام الاجتماعي، وهي التي تسبب الخلل والاضطراب، والحدق والكراهية، والبغض والقطيعة في المجتمع.

يقول الله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ﴾ (١).

فالنفس الإنسانية خلقها الله وسواها في أحسن تقويم:



(١) الشمس (٧ : ١٠).

الخير والطاعات، واجتناب المعاصي والمحرمات...، وعندها أيضاً الاستعداد للغواية والضلال، والميل والانحراف، وفعل الشر وارتكاب المعاصي والمحرمات.

وفى الوقت نفسه يقف إبليس وجنوده للنفس البشرية بالمرصاد، يعمل جاهداً على إفسادها وإغوائها، وإبعادها عن الخير، وإغراقها فى الشر، مستغلاً ضعف النفس البشرية أمام هواها، وميلها بل واندفاعها إلى الرغبة فى إشباع غرائزها، ومستخدماً زينة الحياة الدنيا، وحب النفس الإنسانية للشهوات فى تحقيق هدفه وغايته:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ﴾ (٤).

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

إِنَّمَا يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ لِيُكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٥).

عن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ليكون بعيداً عن رجم الناس له بالحوقة والاستعاذة» ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٢)، وبين

لها: طريق الهدى والرشاد، وطريق الغواية والضلال، وجعلها مستعدة لتلقى ما يكملها ويصلها، ومنحها القوى الكثيرة المتنوعة التى توصلها إلى حسن المعرفة، والتمييز بين الخير والشر، والنفع والضرر، والهدى والضلال، وألهمها وأفهمها معنى الفجور وهو: ما يؤدى إلى الخسران والشقاء، ومعنى التقوى: وهى الإتيان بالأقوال والأفعال التى ترضى الله، وتصون الإنسان، وبيّن لها حالهما، ووضح لها ما ينبغى أن تفعله، وما ينبغى لها أن تتركه من خير أو شر، ومن طاعة أو معصية، بحيث يتميز عندها الرشيد من الغى، والطيب من الخبيث.. وقد أفلح وفاز وظفر برضا الله، ونجا من المكروه ومن غضب الله من طهر نفسه من الذنوب والمعاصى، وقد خاب وخسر نفسه وأوقعها فى التهلكة من نقصها وأخفاها، وحال بينها وبين فعل الخير، بسبب ارتكاب الموبقات والشرور.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت النبى ﷺ يقرأ:

﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: «اللهم

آت نفس تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها» (٣).

فالنفس الإنسانية عندها الاستعداد للصالح والتقوى، والخوف من الله، وفعل

(٣) أخرجه أحمد ٣٧١/٤.

(٥) فاطر (٦).

(٢) التين (٤).

(٤) آل عمران (١٤).

له ضراط «صوت» حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة، أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه «يوسوس له» يقول له: اذكر كذا واذكر كذا مما لم يكن يذكر من قبل، حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى.

والإسلام في علاجه للنفس البشرية ابتغاء إصلاحها، وهدايتها إلى الخير، والسير بها على الصراط المستقيم. ينظر إليها من ناحيتين:

الأولى: أن في النفس البشرية فطراً طيبة صالحة، تهبوا إلى الخير، وتسعد بفعله، وتسرع بإتيانه، وتتقبل النصح والإرشاد، والتوجيه إلى الصواب، وتأس للشر، وتحزن من ارتكابه، وترى في معرفة الحق والاستمسك به والسير على مقتضاه، وجودها وسلامة حياتها، وتعتبر أن التمسك بالفضائل، والالتزام بتطبيقها مع ذاتها ومع الناس هو بلوغ مرتبة الكمال العالية.

الثانية: أن في النفس البشرية - إلى جوار ذلك - ميولاً جانحة إلى الشر - ونزعات طائشة إلى ارتكاب الإثم، تنتحى بها عن الطريق السوى والصراط المستقيم، وتزين لها حب الشهوات والانغماس في اللذات، والغوص بها في مستنقعات الفساد والذلل، وفعل كل ما يعود عليها بالضرر، ويهوى بها إلى منحدر سحق.

فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه ويقول: نعم أنت^(٦).

وعنه - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»^(٧).

روى أن النبي ﷺ كان في المسجد وعنده أزواجه، فرحن، فقال لصفية بنت حيى: لا تعجلى حتى أنصرف معك، وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها، فلقيه رجлан من الأنصار، فنظر إلى النبي ﷺ ثم أجازا، فقال لهما النبي ﷺ: «تعاليا، إنها صفية بنت حيى»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله!، قال: «إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، وإنى خشيت أن يلقي فى أنفسكما شيئاً»^(٨).

والشيطان يظل ملازماً للإنسان لا يفارقه، يوسوس له بالشر، ويغويه بالمعصية، ويحرص على أن يشغله عن أداء العبادات على وجهها الصحيح، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان

(٧) أخرجه أحمد ٣/٢٨٢.

(٦) أحمد ٣/٢١٤.

(٨) البخارى ٦٥/٣.



غير أنه لابد وأن نراعى التفريق بين أهواء النفس المحرمة وبين مطالبها المعقولة المقررة المباحة، فإن كثيراً من المتدينين يخلط خلطاً سيئاً بين الأمرين، غير مدرك للعواقب السيئة لهذا الخلط الخطأ.

وذلك أن الإنسان إذا كانت له مطالب من متاع الحياة الدنيا وسعتها التي لا حرج فيها، ورغبات في الاستمتاع الحلال بزینتها، والحصول على الطيبات من رزق الله، فأفهم خطأ أن هذه المطالب من الرذائل المحظورة والزينة المحرمة، فستكون النتيجة أن يقبل هذا الإنسان على هذه المطالب المحتومة بفكر ونظر ورأى من يستبيح الحرام، ويرتكب المعاصي.. وهو في الحقيقة ضحية خطأ في الرأي والتوجيه، وبعد عن الفهم الصحيح لتوجيهات الإسلام، وجهل ببيان ما أحله الله وما حرمه.

ثم يتفاهم الوضع والتصرف بالنسبة لهذا الإنسان، فيرى أنه ما دام قد أصبح سيئاً، وأن الرذيلة قد صارت جزءاً من حياته وسلوكه، وأنه ضائع ضائع، وهالك هالك، فيفعل إذن ما يشاء.. وينتقل من فعل تلك الأفعال إلى ارتكاب منكرات أشد، وفواحش أكبر.

وقد لاحظ القرآن الكريم هذه الناحية.

«يتبع»

ص ١٦١٢

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض هذه الطباع بقوله: «يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل»^(٩)، وقوله ﷺ: «شر ما في الإنسان: جبن هالع، وشح خالع»^(١٠).

وخطب ابن الزبير - رضى الله عنهما - على منبر مكة فقال: أيها الناس إن النبي ﷺ كان يقول: «لو أن ابن آدم أعطى وادياً ملآن من ذهب أحب إليه ثانياً، ولو أعطى ثانياً أحب إليه ثالثاً، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

وأول ما يلفت الإسلام نظر المريد إليه. أن الجرى مع الهوى، والانصياع مع رغباته التي لا تنقضى، لن يشبع النفس، ولن يرضى الحق.

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تقنع

فالنفس كلما ألفت موطناً لشهوتها أحبت التغيير والانتقال منه إلى موطن آخر.. وهى فى رتعها الدائم، وانحطاطها المتردى، لا تبالي بارتكاب الآثام واقتراف السيئات، ومن ثم حذر القرآن الكريم من اتباع هذه الأهواء المحرمة، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الدِّينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(١١)

(١٠) البيهقي ٩/ ١٧٠.

(٩) لسان الميزان ٦/ ٢٦٥.

(١١) ص (٢٦).



دعوة للأدباء

للسّاذ / مجدى عبدالمجيد بشير

وحتى لا يضيع الطريق من أقدامنا دعونا نعود إلى النقطة التي بدأنا بها الحديث ألا وهى الإشادة بالأدباء الملتزمين الحريصين على السير فى الطريق المستقيم ينشرون الفضائل ويحيونها بين الناس ويحثونهم على اتباع سبيلها فى مقابلة فئات من الناس يزينون الشر ويجعلون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وربما كان لنصيحة يزجها أديب ملتزم فى شكل قصة أو قصيدة تأثير فى أيام معتادة لكن هذا التأثير يصبح فعلاً وتزداد إيجابيته حينما يصدر عنه فى شهر رمضان المعظم التى يعد بحق مضماراً يتسابق فيه الكل لنيل رضا الرحمن الذى يعود بالنفع العميم على كل بنى الإنسان .

والعمل الذى أضعه بين يدي المتلقى الكريم مقطوعة شعرية ملهمة، أثر صاحبها أن يضعها فى قالب أدبي جذاب كاد يلم بالموضوع المثار من كل أطرافه فى نصح غير مباشر يضع المحاسن والعيوب فى كفتى الميزان ويترك للقارئ المنصف حرية الحكم الذى سيحالفه التوفيق إن اقتنص فرصة الشهر الكريم وأصر على أن يتخذ منه دافعاً وحافزاً تقوى به إرادته وتعلو فيه همته ويشتد عزمه فكلنا يعلم أضرار التدخين الصحية والمادية والاجتماعية التى يعتبر الخوض فيها من نافلة القول ولذا يبدأ شاعرنا بنداء يحس منه سامعه أنه وصمة عار أو لنقل عيب يود لو تخلص منه ونودى بسواه . يقول الشاعر:

يا شارب التّبّاك ما أجراك

من ذا الذى فى شرّبه أفتاك

كثيراً ما نسمع عن مصطلح «الأدب الملتزم» فتطرب له أرواحنا، وتسعد به نفوسنا، لكننا سرعان ما نضيق على الحقيقة المرة التى تنبؤنا عن ندرة ذلك الأدب وسط هذا الكم الهائل من الكلام الغث شعرًا كان أو نثرًا حينما نستمع إليه كأنك تسمع طبلًا أجوف يصيب رأسك بالدوار ولا يزيد العقل إلا تشويشاً وخبالاً. أقول هذا وديننا الإسلامى الخفيف يحثنا ليل نهار على استخدام كل ما أعطينا من نعم واستثمار كل ما أغدق الله علينا من مواهب ومهارات فى نشر الخير وتوسيع دائرته وجعل الفضائل نسيماً يحيى موات القلوب وعبيراً يغرى الإنسان بشكل عام بالانطلاق فى الحياة يبنّيها ويعمرها على أسس واسعة من الحق والخير والجمال.



والظاهر والباطن ومنبها إلى أن الفتى الذى يهتم بمظهره وإثبات رجولته أشد الاهتمام، هذا الفتى نفسه يسىء من حيث لا يدري إلى ذاته حين تنبعث منه روائح كريهة تنفر منه لداته وقرنائه وهو يذكره كذلك فى كلمات قلائل بحديث فذ لرسول الله ﷺ حين قال: « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير » فحامل المسك إما أن يحذبك وإما أن تبْتَاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما تجد منه ريحاً منتنة .

ثم ينبه الناظم سامعه إلى مضار صحية أثبتها الأطباء فلا مجال للجدال فيها تضاف إلى ما سبق فيقول:

وفتور جسم وارتخاء مفاصل

مع ضيق أنفاس وضعف قواك

وهى أمور كثيراً ما كانت سبباً لرفع قضايا فى المحاكم على كبرى شركات التبغ فى أمريكا حيث استطاعت شاكية أن تحصل على مبالغ مالية طائلة نظراً لما تذرعت به من فشل تلك الشركة فى تنبيهها إلى المضار الصحية الخطيرة لتلك العادة المرذولة .

ثم ينتقل بنا الشاعر إلى المضار المالية فيقول:

وضياع مال لا تجد عوضاً له

إلا دخاناً قد حشا أحشاك

ورضيت فيه أن تكون مبذراً

وأخو المبذر لم يكن يحناك

وهو يذكرنا هنا بقول الله عز وجل:

وأرى أنه لو قال: « يا شارب الدخان » لكان المعنى أشد وقعاً . وهو فى هذا البيت يلمح ولا يصرح برأى وهو يفتى بحرمة شرب الدخان وهو رأى لانقره ولانعترض عليه وإنما يرجع فيه لأهل الذكر الذين قدموا من أسباب التحريم ما يستشفه القارئ عبر السطور . أما المجوزون فإنهم يقدمون وجهة نظر جدير بنا أن نلتفت إليها فهم يقولون إن الجواز حتى ولو مع الكراهية يوحى بأن فى ديننا فسحة وأنه لم يقيد حرية أتباعه تقييداً مطلقاً يحرمهم من بعض ما يتوهمونه متعة وهو فى حقيقته أذى وضرر وهى النقطة التى ينطلق منها الناظم حيث يطرح السؤال الثانى على مستمعيه ثم يتبعه بثالث لا يجد عنه المتلقى جواباً - إن كان جاداً - إلا أن ينصاع لما يسمع فيقول الشاعر:

أتظن أن شرايه مستعذب

أم هل ترجى أن فيه غذاك

ولأن الشاعر واثق من أن الدخان لا يمثل طعاماً ولا شرباً ولا يسمن ولا يغنى من جوع فإنه ينتقل حثيثاً إلى سؤال معنوى يستنهض فى الآدمى عقله وفكره ثم يجيبه جواباً شافياً لا لبس فيه فيقول:

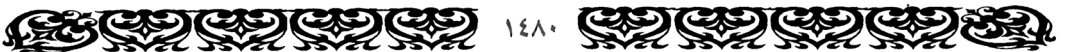
هل فيه نفع ظاهر لك يافتى

كلا فلا فيه سوى إيذاك

ومضرة تبدو وخبت روائح

مكروهة تؤذى بها جلساك

وهو فى هذين البيتين يزجر سامعه فينهره عن أن يدخن مؤكداً الضرر الحسى والمعنوى





﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿١﴾.

والشاعر فيما قال يذكركنى بمنظر لا أنساه ما
حييت يريك كيف يتضامن العالم المخلص فى
إيضاح الحق وتعريف الخلق به . ولهم عليه المنظر
كان ذلك فى ندوة حضرها فضيلة المرحوم الشيخ
إسماعيل صادق العدوى - الذى تحل ذكره فى
العشر الأواخر من الشهر الكريم - فقد جادله
أحدهم فى حرمة السجائر فما كان من الشيخ
الجليل إلا أن أخرج من جيبه عملة ورقية وكاد
يشعل فيها عود ثقاب ليقنع المجادل أن التدخين
ما هو إلا حرق لمال وذره فى الهواء هباء منثور .
فرحم الله ذلك الداعية الكبير وأسكنه فسيح
جناته .

ثم يعاود شاعرنا مشكوراً الكرة لعله يظفر من
سامعيه بأذان مصغية وقلوب واعية فيقول :

فإذا حضرت بمجلس واستنشقوا

من فيك ريحاً يكرهون لقاءك

يكفيك ذماً فيه أن جميع من

قد كان يشربه يود فكاك

وهو لعمري محق لو التفت إلى تنفير
الرسول ﷺ لا أقول من المدخنين بل من أكل
الثوم والبصل غير المطهى وإلزامه له بأن يعتزل
مجالس المؤمنين أو مساجدهم فما بالك بمن
يشعل السيجارة من أختها، ثم يختم الشاعر

بالإشفاق على المدخنين داعياً لهم أن يرفقوا
بأنفسهم وأهليهم والأجنة فى بطون أمهاتهم
وأصدقائهم . فالمدخن لا يؤذى نفسه فقط بل
يحرم أخاه من حقه الذى كفله الله له فى
استنشاق الهواء النقى والمعروف عندنا
بالتدخين السلبى فيقول :

فارفق بنفسك واتبع آثار من

أهداك لا من فيه قد أرداك

إن كنت شهماً فاجتنبه ولا تكن

فى حبه مستتبعا لهراك

إنى نصحتك فاستمع لنصيحتى

ونهيته فاتبع قول من ينهاك

وبذلت قولى مخلصاً لك يا أخى

فعساك نيل ما أقول عساك

وهو هنا يذكركنا بسنة كادت تموت بين
المسلمين وهى سنة الأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر التى يمكن التعبير عنها بلغة العصر الحديث
بأنها النقد الاجتماعى الذى هدفه الأول والأخير
هو الإصلاح ابتغاء وجه الله . لقد كانت الأبيات
السابقة منبراً دعوياً عظيماً مس فيه الشاعر وترأ
حساساً فاخرج منه أعذب النغمات التى تتغيا
الصالح العام وتنزي بثوب الإسلام الفضفاض الذى
وسع الدنيا وما فيها وعلى الشاعر والأديب بشكل
عام أن يوظف أدبه فى خدمة قضايا مجتمعه فلا
يجعل منه معول هدم وإنما يكون أداة للبناء ترتقى
بالمجتمع إلى آفاق الفضيلة والأمة الرائدة .



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقيقة

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضى الله عنه -: إنما أعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركوا إليها، وإن الدنيا فانية والآخرة باقية، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية.

استغفار ابن مسعود

دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - المسجد فى آخر الليل فسمع من يقول: «اللهم دعوتنى فأجبت، وأمرتنى فأطعت، وهذا السحر فاغفر لى».

قال: فاستمعت للصوت فإذا هو عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - فسألته عن ذلك الدعاء! فقال: إن يعقوب - عليه السلام - آخر بنى إلى السحر بقوله:

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّي﴾^(١) وقد قال الله - تعالى -: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٢).

كيف كان بر ابنك بك؟

قيل لعمر بن ذر: كيف كان بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رقى سطحا وأنا تحته.

من أنت؟

وقف أعرابى على قوم يسألهم، فقالوا: من أنت؟ قال: إن سوء الاكتساب يمنعنى الانتساب.

حق النعمة

أن تحسن لباسها، وتنسبها إلى وليها، وتذكر ما تناسى عندك منها.

(٢) آل عمران ١٧.

(١) يوسف ٩٨.

ما أحسن هذه الكناية

وقفت عجوز على قيس بن سعد، فقالت:
أشكو إليك قلة الجرذان، قال: ما أحسن هذه
الكناية! املئوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وقمراً.

حكمة

قال الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه
الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين،
وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف، واكتفى
بالعفاف.



اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت،
وعليك توكلت، وبك آمنت، ذهب الظمأ وابتلت
العروق، وثبت الأجر، يا واسع الفضل اغفر لي،
الحمد لله الذي أعانني فصمت، ورزقني
فأفطرت، وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم.

أنواع الناس

يقول الشاعر:

لا أشتكى زمني هذا وأظلمه
وإنما أشتكى من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التي تحت الشياح فلا
تكن إلى أحد منهم بمؤمن
وقال آخر:

إنى بلوت الناس أطلب منهم
أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أرفيما ساءنى غير شامت
ولم أرفيما سرنى غير حاسد

أصدق الناس فراسة

أصدق الناس فراسة ثلاثة:
العزیز فی قوله لامرأته عن سيدنا يوسف -
عليه السلام -:

﴿أَكْرَمِي مَثْوَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ (٣).

والتي قالت لأبيها عن سيدنا موسى - عليه
السلام -:

﴿يَتَأَبَّتْ أَسْتَعِجْرُهُ إِنَّكَ خَيْرَ

مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ (٤).

وسيدنا أبوبكر - رضى الله عنه - فى الوصية
بخلافة سيدنا عمر - رضى الله عنه -.

تأملات في منهج الدعوة الإسلامية

للدكتور / أحمد السيد فقي الدين

الأزهر - ورابطة العالم الإسلامي .. صحيح توجد هيئات ومؤسسات أخرى تعمل في مجال الدعوة الإسلامية، ولكن يبقى الأزهر دائماً على القمة بما يملكه من رصيد ضخم يتمثل بشكل رئيسي في استضافة الطلاب المسلمين من مختلف دول العالم لتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف .. يستضيفهم من مرحلة التعليم الابتدائي حتى الدكتوراه، وهذا بلا شك له مردود قوى عندما يعود هؤلاء إلى بلادهم وقد صاروا حملة للرسالة يبلغونها لذويهم ويبصرونهم بها في بلادهم.

الأزهر ورابطة العالم الإسلامي هما أكثر الجهات التي تقوم بإيفاد الدعاة إلى مختلف بلاد العالم، وإن شئت الدقة إلى معظم بلاد العالم، ولكنني سأحصر حديثي معك عن المجتمع الذي أعيش فيه .. المجتمع الإفريقي، وقبل أن أحدثك عن عمل الهيئات الإسلامية أحدثك أولاً عن عمل مؤسسات التنصير.

عمل هذه المؤسسات التنصيرية يتميز بالتنظيم الشديد والدقة في تنفيذ المهام، فالبعثة التبشيرية عندما تذهب لدولة ما تقوم أولاً بعمل مسح

الدعوة الإسلامية كانت ولا زالت الحديث الدائم والشغل الشاغل ليس على مستوى المنظمات والهيئات الإسلامية بل على مستوى الشعوب فالكل يسعى نحو الأفضل وينشد الاقتراب من مستوى الكمال.

فجئني خير قرأته بإحدى الصحف يقول: إن الدول العربية البترولية تحتفظ في بنوك الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بأرصدة تتراوح ما بين سبعمائة إلى ألف ومائتين مليار دولار. نحيت الصحيفة وأمسكت بغيرها ففجعت ثانية بتصريح لمسئول في إحدى المنظمات الإسلامية المنتسبة لتلك الدول البترولية يشكو قلة المال اللازم لتمويل نشاط الدعوة الإسلامية.

تذكرت حينها لقاء جمعني بصديق من الأخوة الوافدين الدارسين بجامعة الأزهر، ودار بيننا حديث عن حال الإسلام والمسلمين في بلاده، سألته أولاً: أنت اليوم داعية من دعاة الإسلام في بلادك، أو هكذا ينبغي أن تكون، هل ترى أن الهيئات الإسلامية سواء في بلادك من حيث معاشتك لها أو في العالم من خلال أجهزة الإعلام، هل ترى أن هذه الهيئات الإسلامية تعمل بشكل جيد ينتج ثمرة طيبة؟

قال: بداية أنا لا أعرف من بين الهيئات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة الإسلامية غير

آبار المياه، ويصل هذا الفريق ويبدأ العمل بأجهزة ومعدات وإمكانات ضخمة تحمل كلها شعارات التنصير يقرأون عبارات وترانيم وهم يزاولون أعمالهم على مرأى ومسمع من أهل هذه القرية الصغيرة الفقيرة البائسة والناس يراقبونهم ذاهلين بما يفعلون وبعد أيام تتدفق المياه من باطن الأرض لتروى عطش الظالمين وتنسال بين شقوق الأرض الجافة لتعيد إليها وجه الحياة وبعد أشهر قليلة تكتسى تلك الأرض بالخضرة، فيندفع الأهالي يعانون هؤلاء الذين جرى الخير على أيديهم عندها ينسب هؤلاء المهندسون عملهم إلى ما قرأوه من عبارات وما كتبوه من جمل على أجهزتهم، فيطلب الأهالي معرفة هذه الجمل والعبارات فتكون بداية العمل الحقيقي .

إنهم يعملون بشكل يبدو طبيعياً، غير مفتعل، وينجحون في عملهم إلى أبعد مدى، وبعد أن يتنصر الناس تبدأ البعثات التبشيرية في العمل بشكل مباشر فيتدفق رجال الدين وتُشيد الكنائس الضخمة وسط دعم وترحيب شعبي هائل .

سألته: ولكنك لم تجبني بعد عن سؤالى: ما هو تقييمك لعمل الدعاة المسلمين في بلادك .

نظر لى مستنكراً سؤالى وقال: أجب عن سؤالك بنفسك .

عندها تذكرت المليارات العربية الهائلة المودعة بالبنوك الأمريكية لتزيد انتعاش الاقتصاد الأمريكى وقلت فى نفسى أين هذه المليارات؟ ألم يكن الأجداد توجيه ولو مقدار ضئيل منها إلى خدمة الدعوة الإسلامية وما أصدق قول من قال قديماً: «إلراف هناك ولتُشِير هنا» .

جغرافى وسكانى وبيئى وطبى لكل أقاليم هذه الدولة، ثم تبدأ فى إعداد مواصفات وشروط ينبغي أن تتوفر فيمن يتم تكليفه بالعمل بالتبشير فى كل قرية مهما كان صغر مساحتها، فهم أولاً يجوبون البلاد طولاً وعرضاً، ثم يضعون خطط العمل ثم يبدأون فى التنفيذ .

فإذا كانت هناك قرية تتفشى فيها الأمراض والأوبئة يتم إعداد فريق من الأطباء فى التخصصات التى تحتاجها هذه القرية الصغيرة، بل ولعلها تكون متناهية فى الصغر وغير واضحة على الخريطة .

أعضاء هذا الفريق الطبى وبكامله منصرون هدفهم الرئيسى تنصير هذه القرية عن بكرة أبيها . يبدأون عملهم بمخاطبة المرضى بجمل وعبارات من الإنجيل ويطلبون منهم ترديد ما زاعمين أنها بداية طريق الشفاء . يقدمون لهم الأناجيل يطلبون منهم وضعها تحت سائدهم لأن فيها الشفاء وذلك مع تقديم العلاج الطبى والأدوية بالجمان، فعندما يشفى هؤلاء المرضى الذين يعيشون أصلاً فى مجتمع يؤمن بالسحر تأبى عقولهم أن تصدق أن الأدوية التى تعاطوها هى التى تسببت فى شفائهم، ويعلقون الشفاء بالعبارات والترانيم التى رددوها خلف طاقم العلاج الطبى، وبالكتاب الذى وضعوه تحت الوسادة . وبالتالي ينجح هذا الفريق التنصيرى فى أداء عمله على الوجه الأكمل .

وإذا كانت هناك قرية ما تعاني من الجفاف ونُدرة الطعام وقلة مياه الشرب، فإن البعثة المركزية للتبشير على الفور تقوم بإعداد فريق عمل من المهندسين المتخصصين فى زراعة الأراضى وحفر



الاعلان وقيم المجتمع

كتب الأستاذ محمد نجار الفارسي في جريدة الوفد معبراً عن رأى ملايين المسلمين وغير المسلمين فى الإعلانات التى تخذش الحياء قائلا:

لاشك أن الإعلان - ولاسيما فى التلفزيون - عن المنتج هو أحد دعائم نجاح ترويجه، بل يقوم بالدور الأكبر، لذلك أضحى فى عصرنا الراهن علماً يدرس أكاديمياً لحساسية الدور الذى يضطلع به، واعتباره حلقة من منظومة الارتقاء الاقتصادى فى عالمنا الحديث.

ولا أحب أن أدخل فى استطرادات عن دور الإعلان ولكن نحن بصدد هذا الإسفاف المرئى - بدعوى الإعلان - الذى لطمنا لطمة قوية كادت تخرس وتشل جسدى، وجعل أسئلة كثيرة هاجت كالعاصفة فى نفسى: هل هذا الابتذال والغمز واللمز والعرى هو الإعلان العلمى الذى يدرس أكاديمياً ليرتقى بالاقتصاد الوطنى؟ أين ذهبت القيم - والدين - والرقيب، هذه الفتاة التى تغمض وتفتح فى عينيها وتلقى برأسها الى الخلف مع زم شفيتها لتعلن عن منتج، هل أصبح الإعلان لدينا لايهمه سوى جنى الأموال ولو كانت على حساب قيم وتقاليده المجتمع؟!

أننى لا أشك بأن لهذه الإعلانات المبتذلة خلفية إعلانية أخرى وقد وقع التلفزيون فى الفخ دون قصد وأصبح شريكاً فى الإطاحة بقيم المجتمع، إننى لا أعمم ولكن مايشاهد من أفعال يؤكد ما أقول.

لغتنا الجميلة .. ياتليفزيون يا!!

اما جريدة عقيدتى فقد طالعنا فيها تحت عنوان كلمة لابد منها للأستاذ ممدوح العشرى فى عددها الصادر فى ٢٩/١٠/٢٠٠٢ هذه الكلمة:

كان اهتمام الأجهزة المرئية والمسموعة فى الماضى باللغة العربية على أعلى مستوى.. وكانت اختبارات المذيعين

بين الصحف



المجلات

اعداد الأستاذ

محمود الفشتى

الإباحية فى مناقشة القضايا الجنسية مجاهرة بالعصية

وفى جريدة اللواء الإسلامى تحليلًا لهذا الموضوع من الناحية الشرعية إجاب محمد الشندويلى وزكريا الشناوى وخالد السيد فى تحقيق جرى فى عددها الصادر فى ٢٤/١٠/٢٠٠٢ منها

قالت الدكتورة لىلى عبدالمجيد عميدة كلية الإعلام بجامعة ٦ أكتوبر بشكل عام هناك أخلاق إعلامية لابد أن يتبعها الإعلامى فالفضائيات ليس هدفها تقديم ثقافة التجريح أو خدش الحياء. وأشارت إلى أن ماقدمته قناة دريم هو حرية مفرطة مبالغ فيها وكان ينبغى أن نراعى حق المشاهد وخاصة أننا فى دولة لها قيمها الدينية.

ويعتبر الدكتور جمال النجار رئيس قسم الصحافة بكلية البنات جامعة الأزهر أن الإسراف فى تناول هذه القضايا بشكل علنى فيه إخلال بقيم المجتمع وترويج لعادات ليست من صميم الإسلام وأخلاقه.

وقد ثبت علمياً خطورة مثل هذه العادات المحرمة على عقل وأخلاق الشباب.

ويحذر الدكتور جمال من مقولات تدريس الثقافة الجنسية من خلال قنوات خاصة أو على شاكلة الكتب الجنسية على الأرصفة فليست هذه هى رسالة الإعلام فى المجتمع.

وطالب الدكتور النجار فى ظل وجود قنوات فضائية مخلة بوجود ميثاق شرف وهدف علمى وتربوى وثقافى تعمل فى ظله هذه القنوات.

والمذيعات فى اللغة العربية من أصعب الامتحانات .. واجتياز هذه الاختبارات كانت تحتاج الى المذيعين والمذيعات السوبر فى اللغة العربية .. لذلك كانت الإذاعة والتلفزيون مدرسة تعلمنا منها .. وكان هذا الاهتمام له أسبابه .. فاللغة العربية هى لغة القرآن الكريم .. وهى لغة الضاد التى تجمع العرب .. والمحافظة على هذه اللغة واجب مقدس دينى وقومى .. فهى لسان القرآن .. وهى التى تحافظ على هويتنا أمام عولمة إعلامية ضخمة واردة من الخارج .. تحاول تدمير حضارتنا التاريخية العربية الإسلامية حتى نضيع ونتشت داخل حضارات أخرى .. فنصبح مسخاً لا تاريخ لنا ولا حضارة ولا قومية .. وواجبنا جميعاً أن نتكاتف للمحافظة على لغتنا العربية أمام هذه الهجمة .. وعلىنا أن نفهم جيداً أن لغتنا العربية من أهم العوامل الأساسية التى تحافظ على منظومتنا العربية والتى من خلالها تظهر قوتنا .. لأنها تجمعنا على قلب رجل واحد .. من هنا فإننى أناشد أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة أن تحافظ على لغتنا من خلال برامجها .. واللغة العربية سهلة ويستطيع أن يفهمها الجميع .. وهذه أمانة أحملها لجميع العاملين بالإذاعة والتلفزيون وخاصة التلفزيون لأن الإذاعة لازالت إلى حد كبير تحافظ على اللغة العربية، أما التلفزيون فحدث ولا حرج .. وبدلاً من الأوامر التى تطالب المذيعين والمذيعات بالحديث باللغة العامية خاصة فى الفضائيات .. كنت أنتظر اهتماماً أكبر بلغتنا الجميلة .. ولا أعلم مغزى هذا القرار الذى أتمنى أن يكون إشاعة.

أمن الأمة وضرورة التكامل

تحدثنا في العدد الماضي عن التكامل الاقتصادي بين الشعوب العربية، وأشرنا إلى أهمية الرقي بالمستوى التعليمي والبحثي في كافة مجالات الحياة المختلفة للوصول إلى ذلك التكامل المنشود كخطوة أساسية لإقامة الوحدة الشاملة بين المسلمين تنفيذاً لأمر الله - تعالى - للمؤمنين في غير ما آية أن يتحدوا ولا يتفرقوا قال تعالى :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

وقال ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا... »^(٢) . وقال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً »^(٣).

وهو قولٌ صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والتعاقد في غير إثم ولا مكروه .

ولعله من الضروري إذا كنا ننشد هذه الوحدة أن نبدأ في توحيد المناهج الدراسية في المدارس والجامعات العربية أو على الأقل تماثلها.. بحيث تكون الشهادات في دولة عربية ما مناظرة لمثيلاتها في الدول العربية الأخرى، وإن كان الاهتمام بالكم شيئاً ضرورياً، فإن الاهتمام بالكيف أكثر ضرورة؛ لذلك يجب الاهتمام بالوسائل التعليمية والتركيز على المناهج التي تُفتِّق طاقات التفكير والاستنتاج أى التي تركز على الفهم أكثر من تلك التي تهتم بالحفظ والتلقين .

وهذا يتطلب منا التركيز على :

١ (إدخال العلوم الحديثة (التي تتفق مع العصر) في مراحل التعليم المختلفة .

(١) آل عمران / ١٠٣ . (٢) صحيح مسلم - كتاب الأقضية - حديث رقم ٣٢٣٦ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة - حديث رقم ٤٦٨٤ .

ي

المجلة

و

القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة



٢) الارتقاء بطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم.

٣) خفض عدد التلاميذ في الفصل الواحد بحيث يتوافق مع طاقة المدرس الذي يقوم بتلك العملية التعليمية.

٤) الارتقاء بالمستوى المادى للمعلم، لكي يتمكن من التفرغ لأداء تلك الرسالة المقدسة ومواجهة أعباء الحياة دون اللجوء إلى الدروس الخصوصية التي تعد أولى آفات التعليم في بلدنا.

فمن غير المعقول أن تنفق الدولة كل هذه المليارات من الجنيهات على التعليم، وتستمر الشكوى من تدنى مستوى الخريجين بصفة عامة.

هذا عن العملية التعليمية، أما عن البحوث العلمية وأعنى بها: بحوث المستوى الجامعى وما بعده.. فلدينا والحمد لله فى العالم العربى كم لا بأس به من البحوث فى جميع المجالات قام بها نخبة طيبة من العلماء والباحثين، ولكن يبقى لنا أن نقوم بتفعيل هذه الأبحاث بما ينفع هذه الأمة، وأمام أعيننا وملء أسماعنا قول الرسول الكريم: «اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع»^(٤).

بل يجب أن يكون المبدأ الأساسى فى اختيار هذه الأبحاث قبل البدء فيها أن تمس حاجة المجتمع.

ومن هنا يجب توفير المناخ المناسب لإجراء تلك البحوث على المستوى عالمى وتحشد لذلك الإمكانيات اللازمة من توفير المراجع والمجلات

العلمية وإنشاء المعامل ذات المستوى المتقدم وإمدادها بالمواد اللازمة لها بشكل دائم والعمل على تحديثها كلما لزم الأمر ذلك.

فإذا قام كل بلد من بلدان الوطن العربى بإنشاء مركز بحثى متقدم وتم التكامل فيما بين هذه المراكز جميعاً، لكان لها شأن عظيم فى البحث عن حلول لجميع المشكلات التى تواجه التنمية والإنتاج فى كل المجالات: (الزراعية - والصناعية - والاقتصادية - والطبية - والدينية.. إلخ....).

رجال الأعمال ومسئولية البدء :

ويا حبذا لو حقق رجال الأعمال خطوة البدء فتقدموا بمشكلاتهم إلى المعاهد البحثية، على أن يقوموا بتمويل تلك الأبحاث بدلاً من الاستعانة بمن يطلق عليهم الخبراء الأجانب، وما يستلزمه ذلك من نفقات باهظة.

ولا شك أن هذه الخطوة الأولى من رجال الأعمال إذا أثمرت ستكون نواة حقيقية لربط تلك المعاهد فى بلدان العالم العربى جميعاً، بغرض الاستفادة المتبادلة بينها وبين رجال الأعمال فى الوطن العربى، مما يزيد الانتماء إلى وطننا العربى العزيز.

ومن الأعمدة الرئيسية - أيضاً - لتحقيق تلك الوحدة النهوض بالمستوى الإعلامى أعنى النهوض بوسائل الإعلام من: (كتاب - جريدة - إذاعة - تليفزيون - «انترنت» دور العرض السينمائية إلخ....) بحيث يكون دورها الأول تشقيف المواطن العربى، وزيادة الوعى بين أفراد الأمة

(٤) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء - حديث ٤٨٩٩.

وبعد... فإنه لا بد لنا - نحن العرب - أن نسمو فوق خلافتنا ويجب أن نتحلى بالإيثار فنؤثر إخواننا على أنفسنا عملاً بقوله - تعالى -:

﴿وَتُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٥)

فإذا كان سعينا للوحدة إرضاءً لله تعالى أصبحنا أمة مؤمنة قوية لا يؤثر فيها تغير المصالح. لا بد أن نتكاتف من أجل الجماعة، فيد الله مع الجماعة، لا بد أن نعمل بجِدٍّ ومثابرة وصبر حتى نحقق أمل أمتنا في إنجاز تلك الوحدة وبناء أعمدتها الراسخة في عالم أصبحت الغلبة فيه لمن يحوز قصب السبق العلمي.

وأصبحت الدول المتقدمة علمياً تتحكم في غيرها من الدول النامية لتبقيها في جهل دائم، بل وتسعى إلى صرفها عن طريق العلم، إذا حاولت ولوجه.

لقد كنا في عهود سابقة أهلاً للريادة العلمية وإن في إعادة افتتاح مكتبة الإسكندرية خير دليل على ذلك العصر السالف المجيد.

فإذا كنا أصحاب ريادة علمية فات زمانها، فلا يجب أن نكتفى بالقول «كنا» ولكن يجب علينا البحث والعمل الجاد لاستعادة ذلك المجد العلمي مرة أخرى.

وبذلك نكون قد مهدنا الطريق لأبنائنا والأجيال القادمة لتعيش عيشة حرة كريمة.

نسأل الله التوفيق

عادل خفاجة

العربية ومناقشة قضايا الأمة بطريقة جيدة بالإضافة للإمتاع الذي يبتغيه القارئ والمشاهد والسامع.

وهذا يتطلب التنسيق بين أجهزة الإعلام في هذه الدول العربية جميعاً وتبادل الخبرات فيما بينها.

وعلينا أن نضع نصب أعيننا أن هذه الوسائل الإعلامية لو أتيح لها التنسيق الجيد لأدى ذلك إلى زيادة الترابط والانتماء بين شعوب المنطقة، ولا شك أنه إذا نجح الإعلام العربي في تشكيل رأى موحد لقضايانا المختلفة فإن ذلك سيؤدى إلى قوة الموقف العربي، ونكسب معه مناصرة الأصدقاء.

وعلينا أن نتأمل مواقف من حولنا ونراجع مواقفنا!!!..

نعم.. علينا أن نتأمل الموقف الأوروبي وما وصل إليه من وحدة بلغت حدّاً من النجاح حتى وصلت إلى وحدة العملة النقدية.

برغم ما لكل شعبٍ من لغةٍ تخصه وتاريخ يختلف عن جيرانه.

وعلينا أن نراجع مواقفنا - نحن العرب - برغم تاريخنا الواحد ولغتنا الواحدة التي نعترف بها وأن ما يجمعنا أكثر كثيراً مما زرعه الاستعمار ليفرقنا - وبرغم أن العرب قاموا بإنشاء الجامعة العربية كخطوة على الوحدة قبل أن يفكر الأوروبيون في إنشاء وحدتهم.

علينا أن نتأمل أنهم يجنون ثمار وحدتهم في حين أننا مازلنا بعيدين عنها.

والى وسائل القراء

أول مرة أشرف فيها بمراسلة المجلة من خلال بابكم الكريم (بين المجلة والقارئ) بعد أن قرأت في العدد الأخير فتح صدوركم لإسهامات القراء في مجال الكتابة عن الصحابة رضى الله عنهم، وأطمع فى كرمكم فى قبول إسهامى هذا عن سيدنا (المقداد بن عمرو) رضى الله عنه، وفقكم المولى عز وجل لخدمة الدين ورفع راية التوحيد .
أخوكم / عبدالفتاح آدم على الطيب
موجه التربية الإسلامية واللغة العربية
بإدارة كوم أمبو التعليمية - أسوان
● اخبر: بل نحن نشكر للقارئ الكريم لسرعة الاستجابة

الرسالة الأولى من الأستاذ عبدالفتاح آدم على الطيب يقول فيها :
أستاذنا الكريم / عادل خفاجة
وكل أساتذتنا الكرام فى مجلة الأزهر
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته
شئ عظيم أن تفتحوا أبوابكم لقرائكم، ومريدكم، ومنذ خمسة عشر عاماً وأنا أواظب على اقتناء مجلة الأزهر، ولا أرى الآن إلا أنها فى تطور ملحوظ، وارتقاء لا يُنكر، وشئ عظيم أن نرى قراءكم يتجاوبون معكم مما يثبت تلاقى أحباب مجلة الأزهر فى شتى بقاع الأرض . وهذه

المقداد بن عمرو رضى الله عنه

من أذى وضراء قريش ما لا تقوى الجبال على حمله، وكان رجلاً أظهرت المواقف عظمته، وكشفت الأحداث عن شموخه، حتى تمنى عظماء الصحابة أن يقفوا موقفه، يقول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه :
«لقد شهدت من المقداد مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إلى مما فى الأرض جميعاً»
ويقصد عبدالله مشهد المقداد وموقفه يوم بدر، حين طلب النبي ﷺ المشورة من أصحابه فى شأن هؤلاء الذين أقبلوا بعداوتهم وعددهم وعدتهم، وأراد النبي ﷺ أن يبلى

رجل من خيار صحابة المصطفى ﷺ ومن العظماء الذين صدق فيهم قول ربنا عز وجل :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

(الأحزاب) ٢٣

حقاً كان المقداد من هؤلاء الذين لم يسمحوا للشيطان أن يداخل قلوبهم بريبة أو شك أو تبديل، إنه من السابقين فى الإسلام، كان سابع سبعة جاھروا بإسلامهم، متلقين



يا رسول الله لما أردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب صدق في اللقاء...».

والتقى الجمعان، ولم يزد الفرسان فيهم عن ثلاثة، منهم المقداد بن عمرو، وكان بقية الصحابة إما مشاة أو راكبين إبلاً، وحدث ما حدث في غزوة بدر مما لا يخفى على أحد.

ومن جوانب عظمة المقداد أنه كان صريحاً مع نفسه إلى أبعد حد، سأل النبي ﷺ: «كيف وجدت الإمارة؟ فأجاب في صدق: لقد جعلتني أنظر إلى نفسي كما لو كنت فوق الناس وهم جميعاً دوني، والذي بعثك بالحق لا أأمرن على اثنين بعد اليوم أبداً.

رضى الله عن المقداد وعن صحابة النبي أجمعين، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

نفوس أصحابه بهذه المشورة، ويرى استعدادهم لملاقاة أعداء الله، فهم المقداد أن يتكلم بما نطق به الفؤاد، ولكن تكلم أبوبكر الصديق قبله، فاطمأن المقداد، وتكلم عمر الفاروق فازداد المقداد اطمئناناً، ثم تقدم وقال: «يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك، وعن يسارك، وبين يديك، ومن خلفك حتى يفتح الله لك». فتهلل وجه النبي ﷺ وامتن الله على المقداد بدعاء النبي له، وألهبت كلمات المقداد حماس الصحابة حتى هبَّ سعد زعيم الأنصار - رضى الله عنهم - وقال كلمات كان من بينها: «... فامض

إدراك معنى العقيدة

ولا تقبل الأعمال والأقوال إلا إذا صدرت عن عقيدة سليمة وصحيحة كمال قال - المولى - جل جلاله - «وهو أصدق القائلين».

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾

المائدة الآية رقم ٥

وهذه الكلمة أرسل بها الشيخ / خيرى محمد أبو الروس / كفر الجرايدة بيلا.
يقول فيها:

لأبد للمؤمن الموحد بالله تعالى أن يدرك معنى العقيدة الصحيحة التي هي أصل الدين والتي هي الركن الركين والتي هي أساس الملة.

وقوله - جل جلاله - وهو أصدق القائلين :

وقال - تعالى - فى قرآنه وهو أصدق

القائلين :

﴿يَتَأَيَّنَا

الَّذِينَ آمَنُوا بِآلِهَةِ رَسُولِهِمْ وَالَّذِينَ نَزَّلَ
عَلَى رَسُولِهِمْ وَالَّذِينَ نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِآلِهَةِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

النساء / ١٣٦

أما الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه
الأصول الستة فكثيرة جداً ومن ذلك .
الحديث المشهور الذى رواه الإمام مسلم فى
صحيحه من حديث أمير المؤمنين - عمر بن
الخطاب - رضى الله عنه - أن جبريل عليه
السلام - سأل - النبى ﷺ عن الإيمان فقال
له : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره
وشره» وهذه الأصول الستة يتفرع عنها
جميع ما يجب على المسلم اعتقاده فى حق
- الله سبحانه وتعالى - وفى أمر المعاد
وغير ذلك من أمور الغيب .

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الزمر الآية رقم ٦٥

وقد دلّ كتاب رب العالمين وسنة رسوله
الأمين على أن العقيدة الصحيحة تتلخص
فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله
واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره فهذه
الأصول الستة هى أصول العقيدة الإسلامية
الصحيحة . ويتفرع عن هذه الأصول كل ما
يجب الإيمان به من أمور الغيب وجميع ما
أخبر الله به رسوله سيدنا محمد ﷺ وأدلة
هذه الأصول الستة فى الكتاب والسنة
كثيرة جداً . فمن ذلك - قوله - سبحانه
وتعالى - وهو أصدق :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ﴾

سورة البقرة الآية رقم ١٧٧

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن
من القراء . ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر
لديها . كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً .



للأستاذ / محمد الشرقاوى

اجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية

« حقيقة الحجاب وحجية الحديث » تأليف /
محمد سعيد عشاوى .

كما وافق المجلس - بعد الفحص والدراسة - على
نشر وتداول بعض المؤلفات الصادرة باللغة الإنجليزية
عن الإسلام وذلك لبعدها عن التعصب وتشويه
صورة الإسلام بما ليس فيه، ومنها: « الإسلام
والمسيحية فى العالم المعاصر » تأليف مونتجمرى
وات، ترجمة الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ .
« عقيدة الشيعة » تأليف محمد رضا المظفر
(باللغة الإنجليزية) .

ووافق المجلس - بعد الفحص والدراسة - على
حجب وعدم تداول بعض المؤلفات التى تعرض
بالإسلام، وتسعى إلى أصوله الثابتة ومنها
« الربانى عيسى » تأليف بربوس شلتون وهو يسيء

عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية أولى
جلساته فى دورته التاسعة والثلاثين يوم الخميس
١٩ من رجب سنة ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٦ من
سبتمبر سنة ٢٠٠٢م وذلك برئاسة فضيلة الإمام
الأكبر الأستاذ الدكتور . محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر ورئيس المجمع وقد ناقش المجلس عددا
من الموضوعات وعلى رأسها .

١- مؤلفات صادرة باللغة العربية عن الإسلام
وقضاياها المختلفة وردت إلى الأزهر من جهات
مختلفة لبيان رأى الشرعى فيما تحويه وقد عهد
المجلس بفحصها إلى عدد من السادة العلماء
أعضاء المجلس ومن تلك المؤلفات :

« ودخلنا التشيع سجدا » تأليف / محمد على
المتوكل .

تحرير القرآن الكريم] ليكون موضوعها الرئيسي خلال الدورة.

عرض على اللجنة موضوع بعنوان [البرهان على تحرير القرآن] نشر على أحد مواقع الإنترنت وقد نافشت اللجنة الموضوع وعهدت إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتي الجمهورية وعضو اللجنة بدراسة الموضوع.

لجنة التعريف بالإسلام

كما عقدت لجنة التعريف بالإسلام جلستها برئاسة فضيلة الشيخ فوزى الزفراف حيث قررت اختيار بعض الكتب والمصنفات التى تعرف بالإسلام مما كتبه رجال التراث وعلماء الأزهر للنظر فى نشرها.

كما قامت اللجنة بتحديد عدد من الموضوعات التى يكتب فيها للتعريف بالإسلام على ضوء التقارير التى سبق تدارسها فى اللجنة.

لجنة القدس والجهد والأقليات الإسلامية

كما عقدت لجنة القدس والجهد والأقليات جلستها برئاسة فضيلة الشيخ فوزى الزفراف حيث أكدت على أهمية دور الأزهر والهيئات الإسلامية العالمية فى توحيد الصف الإسلامى والعربى ودراسة الموضوعات الخاصة بالقضية الفلسطينية ومتابعة أحوال الأقليات الإسلامية فى البلدان غير الإسلامية، وكذلك ضرورة المساهمة فى حل النزاعات بين الدول والمنظمات الإسلامية من جهة وبين الدول غير الإسلامية من جهة أخرى بالطرق السلمية عن طريق الحوار المفتوح والذى يعكس الصورة المشرفة للإسلام وتعاليمه السامية.

إلى الكتب المقدسة عامة والعقيدة الإسلامية خاصة.

« كنوز الإسلام » تأليف فيصل عبد الحميد شهوان، وفيه اعتداء صارخ على ثوابت العقيدة الإسلامية.

« الله الواحد الحق » تأليف وندى استارك وفيه دعاية يهودية خبيثة ضد الإسلام والمسيحية معا.

وفى مجال التسجيلات المسموعة والمرئية:

وافق المجلس على السماح بتداول بعض التسجيلات التى تتناول موضوعات إسلامية وذلك بعد فحصها من السادة العلماء ومنها:

« بستانى الإسلام » إصدار هيئة الإذاعة البريطانية « B.B.C »؛ فيما حظر المجلس نشر وتداول بعض تلك الأعمال لمساسها بالعقيدة ومنها شريط بعنوان « أحد اللقاءات الدينية » لكارم السباعى مرشد الطريقة البرهانية.

فى مجال الأعمال المرئية: رفض المجلس - بعد المشاهدة والدراسة - سيناريو عن قصة سيدنا موسى عليه السلام إنتاج شبكة « B.B.C » وذلك لما يحويه من أخطاء صارخة، ونيات خبيثة تسيء إلى الإسلام وقد أوصى المجمع بعدم إخراجها أو عرضه بأية صورة فى مصر وخارجها.

هذا وقد عقدت اللجان العلمية للمجمع أولى جلساتها المختلفة فى دورتها التاسعة والثلاثين:

لجنة بحوث القرآن الكريم

حيث عقدت لجنة بحوث القرآن الكريم جلستها الثلاثين برئاسة فضيلة الشيخ محمد الراوى وقد اختارت اللجنة موضوع [أكذوبة

لجنة التعاون بين جامعة الأزهر

ومجمع البحوث الإسلامية

وعقدت اللجنة التعاون بين جامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية جلستها برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبي العدوى حيث قررت أن تكون خطة عمل اللجنة خلال هذه الدورة هي: علاقة التعاون بين المجمع والجامعة في ضوء المادة (١٥) من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م مع وضع الضوابط اللازمة والكفيلة بتطبيقها.

ودراسة اقتراح فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبي العدوى بشأن تدريس مادة الحاسوب لطلاب جامعة الأزهر.

ودراسة موضوع تعريب العلوم بالكلية العملية بجامعة الأزهر.

أول مجمع فقهي في الولايات المتحدة الأمريكية

نجح المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية في تأسيس أول مجمع فقهي يضم خمسين من أبرز فقهاء العالم الإسلامي وذلك خلال مؤتمريهم الأول الذي عقد لهذا الغرض.

يهدف المجمع إلى الإجابة عن أي أسئلة فقهية في القضايا المستحدثة ورسم خطة الوجود الإسلامي في أمريكا في ضوء المتغيرات بعد أحداث سبتمبر واعداد بحوث فقهية عن ما يتعلق بآمال وآلام الأمة عامة والأقلية الإسلامية في الولايات المتحدة خاصة.

وانتخب المؤتمر الدكتور حسين حامد عثمان رئيساً له ويتولى الأمانة العامة للمجمع الدكتور صلاح الصاوي رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة بأمريكا

لجنة إحياء التراث الإسلامي

وعقدت لجنة إحياء التراث الإسلامي جلستها برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم حيث رأت اللجنة أن تكون خطة عملها خلال الدورة الجديدة الاستمرار في تحقيق كتب التراث والتي ترى اللجنة جداتها بالتحقيق والنشر من ذخائر التراث الإسلامي وكنوزه وقررت كذلك اختيار بعض كتب التراث التي تعالج قضايا معاصرة مثارة حالياً على الساحة المحلية والعالمية والعمل على تحقيق هذه الكتب ونشرها.

لجنة العقيدة والفلسفة

وعقدت لجنة العقيدة والفلسفة جلستها برئاسة فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله حجازي حيث قررت اللجنة أن تكون خطة عملها خلال هذه الدورة هي: بحث ما يمس العقيدة الإسلامية من تيارات معاصرة وبحث كل ما ينشر في المجلات والصحف ووسائل النشر المختلفة متعلقاً بالإسلام والرد عليه.

لجنة السنة والسيرة

كما عقدت لجنة بحوث السنة والسيرة جلستها برئاسة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم حيث قررت النظر في مراجعة موسوعة السنة الخاصة بالحديث والرجال ودراسة تشكيل وتشغيل مركز السنة والسيرة والنظر في تحقيق بعض كتب التراث والنظر في ترشيح بعض بحوث رسائل الماجستير والدكتوراه للطبع والنشر والنظر في طبع ونشر بعض البحوث والكتب الموجزة لعلاج بعض القضايا المعاصرة في ضوء السنة.



مخطوط متكرر ونحو ٢٥٠ ألف كتاب في مختلف العلوم الشرعية والإنسانية.

البيت الأبيض يرفض انتقاد رجال دين أساءوا للإسلام

رفض المتحدث باسم البيت الأبيض «آرى فلايشر» توجيه نقد مباشر إلى عدد من رجال الدين المسيحي البارزين في الولايات المتحدة عقب تطاولهم على الإسلام والرسول ﷺ وذلك على الرغم من مشاعر الغضب المتزايد بين المسلمين تجاه هؤلاء الأشخاص وقال «فلاشر» ردا على سؤال بشأن موقف الرئيس بوش من تصريحات ثلاثة من رجال الدين البروتستانت والتي تسيء إلى شخص النبي محمد ﷺ : «لقد أعلن الرئيس بوش في العديد من المناسبات وأثناء زيارته للمساجد ولقاءاته مع الزعماء المسلمين أن الإسلام هو دين سلام وتلك إشارة هامة على انفتاح أمريكا على المسلمين وترحيبها بهم».

قناة أمريكية تتطاول على الرسول ﷺ

استنكرت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة تطاول البرنامج الأمريكي «هانيتي آند كولمز» الذي تبثه قناة «فوكس» التليفزيونية على شخص رسول الله ﷺ.

وقد أصدر الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بيانا أعرب فيه عن استياء الشعوب والأقليات الإسلامية في العالم من تطاول هذا البرنامج على الإسلام بالإساءة إلى شخص رسول الله ﷺ واتهامه بالكذب والجنون وابتداع الرسالة وأكد البيان أن الافتراء على الإسلام والهجوم على رسوله ﷺ دليل على ازدياد الاقبال عليه.

ونائبان للرئيس هما الدكتور على السالوس والدكتور وهبة الزحيلي وشارك في عضوية اللجنة الفقهية من مصر كل من الدكتور محمد رأفت عثمان العميد السابق لكلية الشريعة والقانون وعضو مجمع البحوث الإسلامية والدكتور أحمد طه ريان أستاذ الفقه بكلية الشريعة والدكتور يوسف قاسم الأستاذ بحقوق القاهرة وقرر المجمع استخدام كل الوسائل التكنولوجية وفي مقدمتها الدوائر التليفزيونية عبر الأقمار الصناعية للربط بين الراغبين في السؤال وأى عضو فى المجمع فى الدولة التى يقيم فيها.

مسح ضوئى لمكتبة الأزهر

أعلن فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر أن سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دى وزير الدفاع الإماراتى تكفل بإجراء مسح ضوئى لمكتبة الأزهر، وأن سموه كلف إحدى الشركات المتخصصة لإجراء هذا المسح. جاء ذلك عقب لقاء سمو ولى العهد أثناء زيارة وكيل الأزهر للإمارات.

أوضح وكيل الأزهر أن مشروع المسح الضوئى لمكتبة الأزهر سيجعل لمكتبة الأزهر موقعا الكترونيا يستفيد منه جميع الباحثين والعلماء وطلاب العلم.

وأضاف : إن تكلفة هذا المشروع تقدر بنحو ٥ ملايين دولار وهذا المشروع هو أحد المشاريع الخيرية والتعليمية التى يتبناها ويرعاها سمو ولى العهد للنهوض برسالة الأزهر ومساعدته على أداء رسالته الإسلامية والإنسانية.

وقال وكيل الأزهر: إن مكتبة الأزهر تحتوى على تسعة آلاف مخطوط نادر و«٤٢» ألف

أبناء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

مكتبة الإسكندرية، واعتبر أن هذا عمل رائع تحت قيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، يجدر بالذكر أن الرئيس المالديفى من خريجي الأزهر الشريف، وقد وجه فخامته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة المالديف على رأس وفد من العلماء لما لتلك الزيارة من أهمية بالغة لدى حكومة وشعب المالديف. حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

سوار الذهب يطلب تدريس

مناهج الأزهر بالسودان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد المشير / عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب رئيس جمهورية السودان الأسبق ونائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وقد رحب فضيلته بالسيد المشير فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على عمق العلاقة الطيبة بين مصر والسودان ومن جانبه أكد السيد المشير على أنه يعتبر السودان الجزء الجنوبى لمصر والعلاقة بين البلدين قوية ومتينة وتزداد قوة

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية المالديف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فخامة الرئيس / مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف والوفد المرافق لفخامته، وتأتى هذه الزيارة فى إطار زيارته لجمهورية مصر العربية لحضور افتتاح مكتبة الإسكندرية، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالضيف والوفد المرافق وأشاد بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف وجمهورية المالديف.

والأزهر الشريف يقدم كل عون ومساعدة لأبناء العالم الإسلامى وخاصة أبناء المالديف الذين يدرسون بالأزهر الشريف، وقدم رئيس المالديف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر من مجهود فى استقبال أبناء المالديف وتلقيهم العلوم الدينية بالأزهر الشريف وكذا استقبال الأزهر للعلماء الذين يحضرون من المالديف لحضور الدورات التدريبية التى تعقد كل ثلاثة أشهر مع علماء ووعاظ العالم الإسلامى أيضا قدم الشكر على البعثات العالمية من العلماء الذين يحضرون من الأزهر للمالديف لتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم، كما أشاد الضيف بمجهودات مصر فى كل المجالات وخاصة افتتاح



الجامعية وليستعين بها أبناء تايلاند في معرفة أمور دينهم، كما قدموا الشكر لفضيلته على تعليم أبناء تايلاند في الأزهر الشريف، وقد تخرج في الأزهر أعداد كثيرة من أبناء تايلاند، يكونون للأزهر وللمصر كل محبة واعتزاز وتقدير وقد وافق فضيلته على تلبية طلبهم.

سفير إيران باليونسكو يؤكد على أهمية دور الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور/ أحمد جلالى سفير إيران باليونسكو الذى حضر لمصر لحضور حفل افتتاح مكتبة الإسكندرية، حيث رحب فضيلته بالضيف الكريم مشيدا بالأخوة الصادقة التى تجمع بين الشعبين المصرى والإيراني، ومن جانبه أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف ومكانته العلمية والعالمية لدى شعوب العالم أجمع حيث يستقبل الطلاب من معظم دول العالم ليدرس لهم الإسلام الصحيح، وأوضح أنه لشرف عظيم لكل أبناء إيران أن يحظوا بمنح دراسية بالأزهر الشريف، وناشد الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف القيام بالتنسيق من أجل توحيد الكلمة بين المسلمين والمسيحيين للتصدي لمن يسىء للإسلام والأنبياء، وعلى الإخوة المسيحيين أن يوجهوا كلمات تحت فيها القيادات المسيحية للتصدي لمثل هذه الادعاءات، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن العالم كله مسلمين ومسيحيين ويهود وغيرهم فيهم العقلاء وفيهم السفهاء، والعقلاء هم الذين يقرأون ويكتبون بدون إثارة للفتن، أما غيرهم فهم يسمعون

وارتباطا كما طلب موافقة الأزهر الشريف على قيام مؤسسة تعليمية تدرس المنهج الأزهرى بالسودان، ويقوم الأزهر بالإشراف على هذه المؤسسة وإمدادها بالمناهج والكتب والمدرسين وتشمل المراحل الدراسية الابتدائية والإعدادية والثانوية والمرحلة الجامعية، وأعرب سيادته أن هذه الخطوة تعبر عن رغبة الكثير من أبناء السودان لتدريس مناهج الأزهر الشريف التى تمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة لأنها تستمد تعاليمها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر وأبدى الاستعداد التام للوقوف إلى جانب أبناء السودان وتحقيق هذه الرغبة والتعاون من أجل تنفيذها حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة داود الفطانى الإسلامية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من جامعة الشيخ داود الفطانى الإسلامية - بدولة تايلاند برياسة الشيخ/ وان حسن وان إبراهيم، حيث رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على أن الأزهر دائما فى خدمة أبناء المسلمين فى كل بلاد العالم ولا يدخر وسعا فى تلبية طلبات المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة، وأكد على أن أبواب الأزهر الشريف مفتوحة لطلبات المسلمين فى أى وقت.

شكر الحضور فضيلته على حسن اللقاء وعلى سعة صدر فضيلته، وطلب الحضور تزويدهم بالكتب والمراجع التى تعين الباحثين فى أبحاثهم

والإسكندرية، وقدم السيد السفير الشكر لمصر وللأزهر الشريف ولشيخه وعلمائه على ما يقدمه للإسلام وللمسلمين في شتى أنحاء العالم ومنهم دولة موزمبيق وطلب الضيف زيادة عدد المنح الدراسية من الأزهر الشريف، كذا فتح الباب أمام تعليم أبناء بلاده اللغة العربية حيث إن موزمبيق عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي، وأن تعليم اللغة العربية يساعد على ترجمة الموضوعات في كافة الأنشطة والمجالات التي تخدم دولة موزمبيق، وقد رحب فضيلته بدراسة طلبات السيد السفير تمهيدا لتلقيتها.

الإمام الأكبر يؤكد:

لا يصح أن تعتدي دولة كبرى على أخرى صغرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / بيتر هولينجورث حاكم عام استراليا والوفد المرافق لسيادته، رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالعلاقة الطيبة التي تربط مصر ودولة استراليا منذ أمد بعيد، وأوضح فضيلته أن الناس جميعا من أصل واحد وهي الحقيقة التي أكدتها جميع الأديان السماوية، وأن اختلاف العقائد بين الناس لا يمنع التعاون فيما بينهم، ونحن في مصر مسلمين ومسيحيين نعيش إخوة متحابين وكل له عقيدته، ونتزاور في الأعياد وفي المناسبات المختلفة، ونعمل سويا جنبا إلى جنب لتحقيق صالح الوطن، وأنا كشخص للأزهر لدى رسالة دينية أقوم بها في شرح وتوضيح المفاهيم والأمور الدينية لدى عامة المسلمين في مصر وغيرها، ودراستنا في

ويقرأون ولا يبحثون عن الحقائق، فيكتبون بما لا يعرفون أو بما يسمعون بعيدا عن الحقيقة فالمسائل تحتاج إلى موازنة، وعلينا أن نتفهم الحقائق ونبحث عنها في الكتب والمراجع الأصلية، لتكون كتاباتنا بعيدة عن الجهل، ونكتب من واقع المعرفة، ونحن والحمد لله نرد على تلك الادعاءات والافتراءات التي تثار ضد الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ودون تجريح لأحد، كما طلب الضيف من فضيلة شيخ الأزهر الشريف تنسيق الجهود مع المملكة العربية السعودية لتنظيم الحج من خلال وسائل الإعلام، ويلتزم جميع الحجاج من كل البلاد بأسلوب فيه التعاون حفاظا على أرواح الحجاج وفي نهاية اللقاء شكر الضيف على حسن اللقاء والخفاوة.

سفير موزمبيق يطلب زيادة عدد المنح الدراسية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / دانيال إدوارد موندلان سفير موزمبيق بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف الذي عمره الآن أكثر من ألف عام يؤدي رسالته في خدمة المسلمين ويفتح أبوابه لطلاب العالم للدراسة به، وبه طلاب من موزمبيق يدرسون بمراحله المختلفة ويقومون بمدينة البعث الإسلامية وعددهم عشرون طالبا يتلقون العلوم الدينية والعربية جنبا إلى جنب مع إخوانهم من طلاب العالم ومصر، والأزهر لا يدخر وسعا في تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين، ومدينة البعث الإسلامية بها طلاب وطالبات من خمس وتسعين دولة في القاهرة



وكذلك الحضارات الأخرى تأخذ من حضارتنا ما يناسبها وذلك من أجل بناء حياة جديدة لصالح البشرية من أجل نفعها وليس من أجل ضررها، ننتفع بالماضى ونسلك طريق العدل والكرامة الإنسانية، من أجل مستقبل يبشر بالخير والعدل والسلام ويعود ذلك بالخير على البشرية بدل الحروب والخراب والدمار، ووظيفتنا كرجال دين وحكام أن نعلم ونصح ونبين المفاهيم حتى يكثر عدد الحكماء عن طريق نشر العدل والفضائل ليزداد الأمان والرخاء، ونحن نؤمن بالتخصص فرجل الدين يتخصص فى الأمور الدينية والشرعية، ورجل السياسة له تخصصه ولا يمنع أن تكون المعرفة بجميع الأمور واضحة وتعاون ونتعلم من بعضنا البعض.

قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما سمعه من كلام مفيد، وقال: إنه كان رجل دين قبل أن يعين حاكما عاما لأستراليا منذ عام ولذلك هو يقدر كلام فضيلة الإمام الأكبر بكل احترام وتقدير ورغم أنه رجل سياسة إلا أنه قد انجذب لهذا الحديث فى الجوانب الدينية وإعجابه الشديد بسلاسة الحديث، وقد وجد أن الأفكار متطابقة، والتعاليم الدينية واحد. وقال: إننا فى أستراليا نفتح الأبواب أمام الحريات والعبادات للجنسيات المختلفة ليمارسوها بكل حرية وقد قام هو وقادة القساوسة بزيارة أماكن تحت رعاية مسيحية ويقوم بالتدريس فيها مسلمون والتعاون معهم قائم على أكمل وجه وفى نهاية اللقاء تمنى فضيلته للضيف إقامة طيبة.

الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط وإعطاء كل ذى حق حقه، ونرفض الظلم والاستغلال والاستعباد، واغتصاب الأرض وهدم المنازل وقتل الأمنين، وكان للأزهر الشريف دور بارز ونشط عقب أحداث ١١ سبتمبر المؤلمة، حيث أعلن الأزهر الشريف للعالم كله أن هذه الأحداث هى جرائم بشعة بكل المقاييس الدينية والقانونية والاجتماعية، وقلنا: إن من حق الدولة التى وقع اعتداء على أرضها أن تبحث عن المجرمين وتقدمهم للمحاكمة العادلة عن طريق الهيئات القضائية لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقد شهد بذلك السيد الرئيس الأمريكى، وأرسل للأزهر خطاب شكر ودائما نقول: نحن ضد الإرهاب بكل صوره وأشكاله وألوانه، ونحن ضد من يفسر الإرهاب على هواه ونؤكد: أن الإرهاب هو العدوان على الغير واحتلال أرضه وحصاره وقتل النساء والأطفال والشيوخ أما من يدافع عن أرضه وعرضه وكرامته الإنسانية، وحرية ليس إرهابيا ونحن نؤيده ونقف بجانبه حتى يظفر بحريته، ونحن فى عصر نالت فيه كل دولة حريتها واستقلالها، ولا يصح أن تعتدى دولة كبرى على أخرى صغرى، ويجب على العالم كله أن ينطق بكلمة الحق ويقف بجانبه ويسانده، وأكرر بأننا نحترم جميع الأديان، ولدينا فى الأزهر الشريف لجنة دائمة للحوار تجتمع شهريا، لأننا نؤمن بتعاون الحضارات ولا نؤمن بصدام الحضارات، والعقلاء يؤمنون ويؤيدون تعاون الحضارات فيما بينها، ونحن نأخذ من الحضارات فى العالم ما يصلح لنا،



شعب مصر أسرة واحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة الدكتور / ماريان ماكليز مديرة العلاقات الدولية للكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية والوفد المرافق لها يرافقهم الدكتور / صفوت البياضى رئيس الطائفة الإنجيلية بالقاهرة، وما يذكر أن الكنيسة المشيخية من أكبر الكنائس فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تؤيد القضية الفلسطينية والشعب العراقى هذا ما جاء على لسان رئيسة الوفد .

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية الجهود الاجتماعية الموفقة للكنيسة المشيخية، كما أعرب فضيلته عن أن شعب مصر يعيش أسرة واحدة مسلمين ومسيحيين لأننا جميعا من أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء – عليهما السلام –، ونحن نتكاتف من أجل نشر السلام والأمان والرخاء والتراحم من أجل الأمة كلها، والأديان السماوية كلها تدعو إلى التسامح والتواصل والتعاون وأن يكون الإنسان أخ للإنسان، كما أعربت رئيسة الوفد عن سعادتها بهذا اللقاء مشيدة بعمق العلاقة والمحبة بين الإنجليين الذين يهتمون بحب مصر منذ قرن ونصف القرن، كما أشادت بالنموذج الطيب المتسامح الذى يجمع بين المسلمين والمسيحيين فى مصر معلنة عن رغبتها فى أن يطبق هذا النموذج الطيب فى بلادها بالولايات المتحدة الأمريكية التى هى فى أمس الحاجة لمثل هذا النموذج الفريد، مشيدة أيضا بزيارة فضيلة الإمام الأكبر لأمريكا والتى أعطتهم

غطاء للتسامح والتعايش بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق، وأوضح أنها زارت فلسطين وشاهدت الوضع هناك وقالت إنها حقاً أوضاع مأساوية وأن الكنيسة المشيخية لها وقفة معروفة فى حق تقرير المصير، وأعلنت الكنيسة حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم وتهتم الكنيسة بالاتجاه السياسى المزعج الذى تتجه إليه حكومتها نحو العراق، لأن الشعب العراقى ظل يعاني من الحصار منذ فترة طويلة، والآن هو يتعرض لهجمة شرسة لم يبدها العراق وأشادت بجهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتأييده لحقوق المرأة ووضعها فى المجتمع، مؤكدة على التعاون بين المسلمين والكنيسة الإنجيلية والكنائس الإنجيلية الأخرى فى مصر برئاسة الدكتور / صفوت البياض قائمة على المحبة والتراور، ونحن نكن له كل محبة وتقدير واحترام، وأشاد فضيلة الإمام الأكبر بموقف الكنيسة المشيخية المعتدل الحكيم فى الولايات المتحدة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية والشعب العراقى .

الإمام الأكبر:

الأديان السماوية كلها ضد العدوان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / ريتشارد هاس مدير إدارة تخطيط السياسات بالخارجية الأمريكية يرافقه السيد السفير / ديفيد ولش سفير أمريكا بالقاهرة والوفد المرافق .

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف قائلا: إن القيادات الدينية



وفيما يخص العراق فأقول للحرب أهوال ليست سهلة وعندما تحل الأمور بالعدل وبالحق وبالطرق القانونية فهذا أفضل، وأرى أن توجيه ضربة عسكرية للعراق أمر لا نوافق عليه، ونحن نقرأ ونسمع أن الحكومة العراقية قد وافقت على دخول المفتشين الدوليين إلى أراضيها للفتيش فليس هناك داع لضرب العراق، ونحن ضد ضرب المدنيين والعدوان على الأطفال والنساء، والإسلام يمنع ذلك، والرسول ﷺ حينما كان يهيم جيشا للدفاع كان يوصيهم لا تقتلوا طفلا أو شيخا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرا ولا تقلعوا زرا وما يحدث لإخواننا في فلسطين من قتل ومن هدم لبيوتهم ومحاصرتهم ومحاصرة رئيسهم وعدم تمكينهم من القيام بمعيشتهم حيث أصبحوا في شلل تام وأرضهم مغتصبة، فماذا يفعل من هدم بيته؟ وبعيدا عن السياسة أقول من يتحمل كل هذا؟ إذن لابد من وجود قوة دولية حازمة للفصل بينهما ثم تحل المسائل بعد ذلك وكما قلت دائما إن هناك العقلاء وهناك السفهاء، فيأتي السفهاء يعطلون ما يقول العقلاء، وتظل الأمور هكذا معلقة وتزداد إلى أسوأ، وكما سمعت منكم بأن الرئيس الأمريكي أخذ على عاتقه مسئولية إقامة دولة فلسطينية طبقا لحدود ٦٧ في خلال ثلاث سنوات بشرط تخلى الطرفين عن العنف، إذا كان الامر كذلك فهذا يحتاج إلى قوة تقوم بالتنفيذ وأكرر أنه لابد من وجود قوة دولية للفصل بينهما، وفي نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلة الشيخ الأزهر على ما سمعوه وطلب السيد ريتشارد من فضيلة الإمام الأكبر زيارة أمريكا لشرح وتحديد المفاهيم الإسلامية للشعب الأمريكي، وأنه سيقوم بالتنسيق لهذه الزيارة.

والأديان السماوية كلها ضد العدوان، فالأديان السماوية تدعو إلى التراحم والتعاون والحب والسلام بين الناس جميعا والعقلاء في كل مكان مهما اختلفت عقائدهم يعرفون ذلك ويدعون إليه، ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا الحديث الطيب المتزن الحكيم، وأوضح أن زيارته جاءت في إطار جولته للسعودية وقطر والبحرين، لاهتمامه بالسياسات الخارجية بصفة عامة وبالمنطقة العربية بصفة خاصة، وأنه يقدم مشورته لوزير الخارجية الأمريكي، وأعرب عن رغبته في معرفة رأى فضيلة الإمام الأكبر تجاه الموقف بين الفلسطينيين والإسرائيليين، كذا التوتر الذي يسود المنطقة في الموقف من الجانب العراقي، وتأثير ذلك من الناحية الدينية على العالم العربي والعالم الإسلامي مقدرا رأى فضيلته لاحتواء هذا التوتر، وقد أوضح فضيلته بأن حديثه سيكون من منطلق الجانب الديني وليس من الجانب السياسي، أنا كإنسان أرى أن ما يحدث في الأراضي الفلسطينية من الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين أمر مرفوض، مستحيل أن تستمر الأمور على هذه الطريقة من هدم للمنازل وقتل للأبرياء وتجريف للأراضي وهدم للبنية الأساسية، لا حل بالنسبة للطرفين إلا بوجود قوة دولية رادعة تفصل بينهما وتمنع أى اعتداء من أى جانب من الطرفين، ثم بعد ذلك يجلس الطرفان ويحلوا قضاياهم، وإذا أراد أحد الطرفين بعض المعاونة من المسؤولين من دول أخرى فهذا يرجع لهم، واستمرار الموقف على هذا الوضع القائم سيجعل الطرفان خاسرين.



الدورة التدريبية لأئمة ووعاظ العالم العربي

والسداد وقال: إن مصر وأزهرها الشريف قلوبها وأبوابها مفتوحة، وتلبى احتياجات المسلمين في كل مكان من أرض الله، شارك في هذه الدورة علماء من دول: جامبيا، كوت ديفوار، موريتانيا، أوغندا، الجزائر وعددهم ٢٥ طالبا وفي نهاية الحفل قام بتوزيع شهادات التخرج والكتب الدينية على العلماء، كما أعلن فضيلته عن افتتاح الدورة ٥٩ من العلماء والأئمة والدعاة من دول: الصين، والجزائر، بنين، والفلبين، وألبانيا، والكونغو برازافيل وعددهم ٢١ إماما وواعظا. حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وعدد من سفراء الدول.

الإمام الأكبر يستقبل وفد أمناء الجالية

الإسلامية بهـونج كونج

استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفدا من أعضاء أمناء الجالية الإسلامية بهونج كونج برئاسة السيد / سعد الدين رئيس الاتحاد الباكستاني ورئيس الجمعية الإسلامية الدولية، ودار الحديث حول سبل دعم الصين بالكتب العلمية والمراجع الدينية ليستفيد منها أبناء الجاليات الإسلامية بالصين كذا تمثيل الأئمة والوعاظ في الدورات التدريبية التي يعقدها الأزهر الشريف وكذا زيادة المنح الدراسية لأبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف، وقد وجه فضيلته بتلبية طلباتهم فوراً خدمة لمسلمي الصين ومما يذكر أن طلاب الصين الذين يدرسون في الأزهر الشريف عددهم ٧٢ طالبا.

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي رقم ٥٨ الذين استضافهم الأزهر لمدة ثلاثة أشهر بمدينة البعوث الإسلامية تلقوا خلالها العلوم والمعارف والثقافة الإسلامية على أيدي علماء الأزهر الشريف ومن الأساتذة المتخصصين، وعلى رأسهم فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة وكيل الأزهر وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف وقد تحدث أحد الأئمة فشكر مصر والأزهر الشريف والسادة العلماء على حسن استقبالهم وعلى ما قدمه الأزهر لهم من رعاية وعناية في جميع النواحي العلمية والصحية والاجتماعية وعلى التزود بالعلم النافع من شيوخ الأزهر وعلمائه.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة وجههم فيها إلى أن يبينوا للناس شريعة الإسلام التي تقوم على الحق والعدل واليسر والسماحة، وأن تكون دعوتهم لوجه الله - تعالى - ولخدمة الدين والأمة وأوصاهم باستمرار التواصل بينهم وبين الأزهر الشريف، وأن يقرأوا كثيرا حتى يستطيعوا أن يردوا على الأفكار الخاطئة التي تنشر عن الإسلام والمسلمين، وأن يبلغوا رسالة الإسلام السمحة إلى إخوانهم وأبنائهم وأهلهم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن ينبذوا العنف والعدوان، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق، وأن تكون فتاويهم معتدلة وأن ييسروا على الناس أمور دينهم ودنياهم ودعا لهم بالتوفيق



The ones who closely follow the Messenger, the Prophet, the illiterate one, whom they find written down in their presence in the Tawrah and the Injil, commanding them to beneficence, and forbidding them maleficence.

[Al-A'raf (The Battlements) :157].

It is suffice for him that Jesus (Isa), Maryam's son, gave tiding about him as The Al-Mighty said:

And as Isa, son of Maryam, said, "O Seeds of Isra'il, surely I am the Messenger of Allah to you sincerely (verifying) that which is before me of the Tawrah, and a constant bearer of good tidings of a Messenger who shall come up even after me, whose name is Ahmad" Then, as soon as he came to them with the clear evidences, they said, "This is evident sorcery".

[As-Saff (The Ranks) : 6].

In reply to what Jerry Falwell has stated that : Moses has given a good example, Jesus good tiding but Muhammad acted contrary to that, we say that the distinction between the Messengers, concerning love and respect, cannot be said by anyone except by someone who has untrue creed, bad nature, ignore the manifest facts and interested in abusing and contradicting what came in the Heavenly Laws calling for the honoring, love and respect of all the prophets, peace be upon them all.

Allah guides whomsoever He decides to a straight path.





The Islamic Law decisively prohibited distinction between any of the prophets, concerning faith, amicability and respect, and warned whoever does this that he will be among the losers as Allah stated in His Ever-Glorious Qur'an;

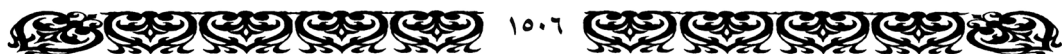
Surely the ones who disbelieve in Allah and His Messengers and would make a distinction between Allah and His Messengers, and say, "We believe in some, and disbelieve in some (others)," and would take themselves a way in-between. Those are truly the disbelievers; and We have readied for the disbelievers a degrading torment.

[An-Nisa' (Women) : 150 : 151].

When Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, came, he showed respect to the prophets preceding him and forbade being favored or distinguished by his followers as all the prophets came with the same Message involving being loyal to Allah, The Ever-Lasting, in worship and being endowed with the best honorable manners.

Honorable Messengers including Muhammad are the best good-mannered among mankind as they are considered the sun that lit minds and guides to virtues and what benefits man. *They are made of living stars casting their bright light everywhere, although they were but men. They illuminating around as lamps.*

It is suffice for Muhammad that the Heavenly Books, the Old Testament (**Tawrah**) and the New Testament (**Bible**) gave tidings about his coming as Allah said:





them and their messages is considered as an essential pillar of faith. Allah said:

Messengers (who are) constant bearers of good tidings, and constant warners lest mankind should have argument against Allah after the Messengers.

[An-Nisa' (Women) :165].

Moses was praised in many verses as Allah, The Ever-Lasting, said:

And mention in the Book Musa; surely he was ever-faithful and he was a Messenger, a Prophet. [Maryam (Mary) : 51].

And Jesus (Isa), peace be upon him, as well as his mother, Mary, as Allah said:

And We made Maryam's son and his mother a sign, and gave an abode to (both of) them upon a mound, with a (refreshing) residence and a profuse (spring).

[Al-Mu'minun (The Believers) :50].

Islam commanded us to believe in all the Messengers as Allah said:

The Messenger has believed in what has been sent down to him from his Lord, and the believers; everyone (of them) has believed in Allah, and His Angels and His Books, and His Messengers; we make no distinction between any of His Messengers.

[Al-Baqarah (The Cow) : 285].





And recite to them the tiding of the two sons of Adam with the truth as they offered a sacrifice, (and) it was (graciously) accepted of one of them and not (graciously) accepted of the other. One (of them) said "Indeed, I shall definitely kill you". (The other) said, "Surely Allah (graciously) accepts only of the pious. [Al-Ma'idah (The Table) : 27].

Many people, from different ages and lands did not feel satisfaction with their Creator and livelihood for that some of them associated other Gods with Allah.

On contrary to the mindful people, priest, Jerry Falwell ignored these crystal-clear facts when he said that the Prophet Muhammad was a terrorist, upon viewing Muslims' and non-Muslims' books and that he was a man of war not peace. Among the evidences that prove his ignorance and non-objectivity is that if some writers wrote abusive writings about the Prophet Muhammad, there are so many mindful writers, Europeans, Americans and others, who wrote objectively about his true features and aspects. He can read, for example, the book written by the very well known writer, *La Martin* in which he praised the Messenger, Muhammad and also, the book written by the American writer, *Michael Hart* entitled "*The hundred immortals and Muhammad is their greatest*".

Concerning the fourth fact, the Islamic Law, topping all the Divine Laws, honored and respected all the prophets and commanded us to honor, dignify, love and respect them although some with spoiled nature disagreed. Moreover, the Islamic Law praised all the prophets and stated that believing in





And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility.

[Al-Ma'idah (The Table) :2].

And He, the Al-Mighty, said:

Allah does not forbid you, (as regards) the ones who have not fought on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them; surely Allah loves the equitable ones. [Al-Mumtahanah (The Women Tested) : 8].

War, in the Islamic Law, is not the only solution except for defending soul, money, honor, home, human freedom or dignity as Allah said:

And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors.

[Al-Baqarah (The Cow) : 190].

If some of the Muslims do not apply these sublime principles, there are other non-Muslims squander and fail to make use of them and base their behavior on injustice not equity, on aggression not peace and on desire not straightness.

As for the third fact, since the creation of man in this universe, there are different kinds of people: the mindful and the foolish, the good and the bad. When there was one family that represented mankind namely, Adam and his wife, one brother killed the other and this is a fact stated in all the Divine Books and in the Ever-Glorious Qur'an as Allah, The Most High, said:





The word ***“Salam”*** or ***“Peace”*** is one of Allah’s names and the Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, is the holder of the flag of Peace as he came to all mankind with guidance, mercy and good. He says: ***“I’m nothing but a granted mercy.”*** Allah described him saying: **And in no way have We sent you except a mercy to the worlds.** [Al-Anbiya’ (The Prophets): 107].

“Peace be upon you” is the greeting chosen by the Islamic Creed to its followers. The Messenger of Allah said: ***“Allah made the word peace a greeting to our nation and a tranquility to the people of other religions who live among us.”***

Allah’s greeting to His bondsmen who believed and did good is Peace as He said:

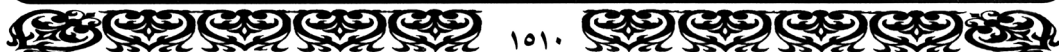
Their greeting, on the Day when they shall meet Him will be “Peace”! [Al-Ahzab (The Allied Parties) :44].

And the Angels’ greeting to the truthful believers is Peace as Allah, The Al-Mighty, said:

And the angels shall enter to them from every gate. “Peace be upon you, for that you endured patiently”.

[Ar-Ra’d (Thunder) : 23 : 24].

To sum up, Peace in the Islamic Law which Muhammad came with is the deep-rooted principle and pillar as people’s dealings should be based on peace and cooperation and it does not matter to what extent creeds are different as Allah, Glory be to Him, said:





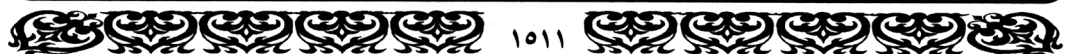
dissemination of peace among people as he called his followers to feel the spirit of peace in their souls and in dealing with others; not to harm or encroach upon. Concerning this, he was saying: ***“Peace is Islam”, “The Muslim is the one who does not harm others”, “Spread Peace among you” and “Do not ever wish to fight and ask Allah to grant you (good) health”.*** He used to invoke Allah a lot saying: ***“O, my Lord, You are The Peace and we draw peace from You. O, Allah, greet us with peace.”*** So, the mindful will see that the Messenger’s life was built on peace not war and on cooperation in doing good and piety not wrongdoing nor aggression.

In brief, if the virtue of peace were a tangible perceptible thing, it would be a part of his soul, nature, manners and behavior. And that which have been said by the priest ***Jerry Falwell*** that he thought that the Prophet was a terrorist is considered to be a false accusation uttered by someone who does not relate to a sound creed nor a straight nature.

As for the second fact, peace is one of the Islamic principles. The word ***“Islam”*** which is considered the title of this creed is derived from the word ***“Salam”*** meaning peace and they both mean security and tranquility to mankind who relate to one father and one mother as Allah, Glory be to Him, Says:

O you mankind, be pious to your Lord, Who created you of one self, and created from it its spouse, and from the two disseminated many men and women.

[An-Nisa’ (Women) : 1].





and invocation saying: "*O, my Lord, guide my people as they do not know.*"

After his migration to Medina and after establishing his strong nation, the Messenger's slogan, concerning his call, was to spread Islam and security. It did not happen that he, may the blessing and peace of Allah be upon him, use his sword or fight except against the aggressors and that all his battles were directed to defend self and money. For example, the Battle of ***Badr*** in which the Messenger achieved victory over his enemies was for the sake of helping the weak Muslims who could not migrate and were wronged by the disbelievers, who came very close to Al-Medina.

As for the Battle of ***Uhud***, the disbelievers were those who came to the superb of Al-Medina to fight Muslims so, Muslims had to fight back to defend their souls and money.

Concerning the Battle of ***Al-Ahzab (The Allied Parties)***, the disbelievers and their allied surrounded Al-Medina aiming at harming and killing the Prophet and his followers so, the Prophet and his followers had to defend their land, money and honor. Moreover, the aim behind the ***opening of Mecca*** was to help and support the weak and wronged Muslims. However, the Messenger avoided shedding the blood of his enemies and called for peace. After ***Mecca's Conquest***, he said to its people who caused him a lot of suffering: "*Go, you are free*", and he forgave them all.

During his life, the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, was the most one caring for the





what he has mentioned, and guide him to the right and make him able to find out the unquestionable truth. *As for the first fact*, terrorist means the one who transgresses upon others' lives, money, honor, freedom and human dignity. A terrorist is the one who encroaches upon the lives of the peaceful, houses, and livelihood and destroys whatever he faces. Moreover, he is described by being an arrogant who does not accept advice as he walks on Satan's way. Furthermore, he is the one who compels others to injustice and humiliation, coerces others to submission and resorts to all the different means to make them give up their rights, freedom and dignity. These are some of the terrorist's features.

Since his birth till his death, Muhammad, the Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, knew nothing about injustice or terrorism as he was a man of peace in his soul, manners, dealings and nature. Before his mission, the Messenger was called, among his people, as the *truthful* and *honest*. Moreover, he was beloved by all whomsoever knew him for his pure soul, beauty of reason and care for disseminating love, amicability and peace. After his mission, the Messenger, stayed at Mecca for 13 years calling people to be loyal to Allah and have good manners.

The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, suffered the most bitter means of torture, persecution, terrifying and boycott on the hands of the disbelievers. Nevertheless, he did not resort to sword against the transgressors but he met their wrongdoing and harming with patience, peace





A Message to the one who offended
The Seal of Prophets and Messengers, Muhammad (P.B.U.H)
By: The Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyid Tantawy,
The Grand Sheikh of Al-Azhar.

I viewed what has been published in the Egyptian and international mass media, regarding to what was broadcasted in the news channel **CBS** in its program **"60 Minutes"** on 6/10/2002. The interviewer hosted seven speakers among them was the priest, Jerry Falwell, one of the American Christian Coalition Leaders. After stating each of their opinions in different matters, priest Jerry Falwell resumed talking commenting on the confrontation between Jews and Christians on one side and Muslims on the other side as he said that he thought that the Prophet Muhammad was a terrorist according to what he has read of Muslims' and non-Muslims' writings and that he was a man of war not a man of peace. Then, the interviewer asked the priest saying: "Moses was a good example to Jews and Jesus (Isa) was a good example to Christians so, does Muhammad represent the same to Muslims?" Falwell replied: "Jesus propagated and came with peace but Muhammad did not."

These are some of what has been published in the Egyptian and international mass media concerning what came in CBS news channel and its weekly popular program **"60 Minutes"**.

Aiming at answering priest Falwell, I would like to state some facts that might motivate him to apologize, concerning



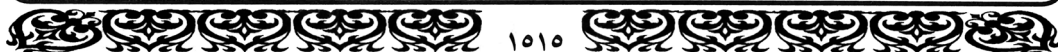


At the Pre-Islamic period, Arabs were magnifying this month and considering it one of the prohibiting months. When Islam came, its honoring and prohibition increased. Before his mission, the Messenger of Allah was worshipping Allah in that month, at the cave of Hiraa.

Whosoever resorts to the Sunna of the Prophet will find that he, may the prayers and peace of Allah be upon him, stated many traditions, showing the advantages of this month as he indicated the following:

- I. Fasting this month is one of the pillars of Islam, and whosoever pays attention to it will be among the winners.
- II. In the month of Ramadan the gates of Heavens open and the gates of Hell close as it is related by Ahmad, An-Nasa'y and Al-Bukhary on the authority of Abu Hurayrah that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: *"A blessed month wherein (along its days), Allah prescribes for you the Fast and makes gates of Heavens open, gates of Hell close and Devils fasten. In that month a night that is better than a thousand months. He who would not have of its good and blessing, he would be the true deprived."*
- III. The Messenger of Allah (May the prayers and peace of Allah be upon him) says: *"Whosoever fasts Ramadan, making no sins and seeking only for Allah's mercy, satisfaction and forgiveness, he will be forgiven of all his previous sins"*.

Lastly, Fasting is a secret between a believer and his Lord. Moreover, it is a good chance that we should make use of its advantages to protect ourselves from odious deeds and Hell.





magnify Allah for having guided you and that possibly you would thank (Him).

[Al-Baqarah (The Cow): 185].

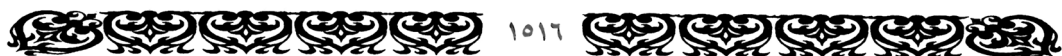
Concerning the Prophet's Sunna, its obligation is prescribed in many traditions (Hadiths), among them what was related by Al-Bukhary and Muslim on the authority of Ibn Umar, may Allah be satisfied with them both, who said: I heard the Messenger of Allah (May the prayers and peace of Allah be upon him) say: ***"Islam has been built on five [pillars]: testifying that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah, performing the prayers ,paying the Zakat, making the pilgrimage to the House, and fasting on Ramadan"***.

Allah's wisdom stated that He prefers some people to others and some prophets to others as He, the Al-Mighty, says: **«Those are the Messengers; We have graced some of them over some others; of them (there are some) to whom Allah spoke, and some He raised in degrees.»**

[Surat Al-Baqarah (The Cow): 253].

Moreover, Allah, Glory be to Him, preferred some places to others and times to others as He favored and distinguished some days and months with Divine fragrance; whosoever regards them will be one of the winners and whosoever disregards and neglects them will be among the losers. The Messenger of Allah, may the prayers and peace of Allah be upon him, said: ***"Allah distinguished some days with Divine fragrance, so, do your best in worship, because He who shall do righteousness, it may possibly that he will face difficulty no more."***

Ramadan is the most preferred month by Allah, Glory be to Him, so, if people realize how much good, mercy and blessings in it, they will wish all the months of the year be Ramadan.





The Acceptable Fasting (As-Saumul Maqbool)

***By: The Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawi,
The Grand Sheikh of Al-Azhar.***

Fasting means “**Refraining**”. For example, it is said that someone fasted from talking which means that he stopped talking. Allah, Glory be to Him, says about Maryam:

﴿Surely I have vowed a fast to the All-Merciful; so I shall never speak today to any human being.﴾

[Surat Maryam (Mary): 26].

This verse means that she made a vow to stop talking about her son Isa, may the peace of Allah be upon him.

In terms of jurisprudence, Fasting means “refraining from eating, drinking and whatever causes breaking of fast (sins), beginning with clear dawn and ending at sunset with the presence of intention.”

Fasting was enjoined on Muslims in the month of Sha’ban, in the second year A.H. Its obligation is prescribed by the Glorious Qur’an, it can be seen clearly in Allah’s saying:

﴿O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were even before you, that possibly you would be pious.﴾

[Surat Al-Baqarah (The Cow):183]

And also

﴿The month of Ramadan (is the month) wherein the Qur’an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion; so, whosoever of you is present at the month, then he should fast it; and whosoever is sick or on a journey, then a (fixed) number of other days; Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you; and that you should complete the (fixed) number and





The Admonition of Present Ramadan

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

This year, Ramadan came involving a great pressing admonition that we have to mention as Allah, the Al-Mighty, says:

﴿And remind; then surely reminding profits the believers.﴾

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 55].

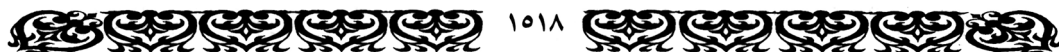
Muslims all over the world are ordained, by Allah's command, to fast Ramadan. This spreading of astonishment unity concerning fasting makes others feel the power of Muslims. What would happen if this unity shed its verdant shadows on Muslims' social and political life for good and made them stand like impenetrable barricade in the face of covetous craving and running after the wealth of the Islamic Nation using all the possible means to crack its unity, defame its Islamic faith and attack its Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, as the two of the American Evangelist group, Pat Robertson and Jerry* Falwell did. What would happen if the Islamic Nation joined ranks and stood against all these evils without weakness or fear of the power of the others? Only by the power of faith and certitude in Allah, the Al-Mighty, Muslims' forefathers won their battles against their enemies not by their equivalence in numbers and counterments.

﴿And do not feeble, neither grieve; and you are the most exalted, in case you be believers.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran) : 139].

In fact, being "*in one boat*", Muslims have to work together for reaching the shore safely, otherwise, Allah forbids, they will be ruined.

* Read (in this section) the most decisive essay, written by the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawy, the Grand shickh of Al - Azhar, refuting the falwell's atrocities .





**AL-AZHAR
MAGAZINE**

Ramadan 1423 A. H.



**ENGLISH
SECTION**

Nov/ Dec 2002

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰىنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰىنَا اللّٰهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

(Al A'raf 43)

**EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University**



الفهرس

- الصوم في مرآة الغزالي (افتتاحية العدد) ١٣٦٢
 للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي
- تفسير سورة البقرة ١٣٦٨
 لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- فاتحة الكتاب بين تفسيري (٢) ١٣٧٦
 للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
- سمات التربية القرآنية ١٣٨٢
 للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب
- محاوره بين السادة والأتباع ١٣٨٥
 للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى
- السنة: التساؤل والإختلاف ١٣٨٩
 لفضيلة الشيخ/ فكرى ياسين
- صامت الأكوان بما فيها الإنسان فتمنى تصوم المدافع ١٣٩٣
 للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
- إعجاز الكلمة في شهر القرآن ١٣٩٧
 لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى
- هلال الصوم (قصيدة) ١٤٠١
 للأستاذ الدكتور/ عبد المنعم عبد الله
- الصوم وأنواعه ١٤٠٣
 للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى
- خطبة الجمعة: الإيمان طريق النصر ١٤٠٩
 للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى
- الصيام والصحة ١٤١٢
 للدكتور/ حسين الأنصارى
- التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين ١٤١٦
 للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى
- رشيد رضا ومدرسة الإحياء والتجديد ١٤١٩
 للدكتور/ محمد عمارة
- قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة ١٤٢٤
 للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
- عالمية الأدب الإسلامى فى فكر بلديع الزمان النورسى ١٤٢٨
 للدكتور/ عبد الحليم عويس
- مكانة الشهداء فى سبيل الله ١٤٣١
 للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
- كتاب الشهر: من هو اليهودى؟ ١٤٣٥
 عرض وتقديم / أ.د. إبراهيم عوضين
- ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟ ١٤٤٤
 للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى
- جواب الشهيد (قصيدة) ١٤٥٠
 للدكتور/ محمد عبد المنعم العربى
- النشاط العلمى فى إسرائيل ١٤٥٣
 للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم
- الصوم فى الديانة اليهودية ١٤٥٨
 للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق
- صنائع المعروف ١٤٦١
 بقلم/ عابر سبيل
- إستفتاءات القراء ١٤٦٨
 للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب
- كليات القدرة تصحب خواطرنا ١٤٧١
 للدكتور/ على أحمد على
- الموعظة الحسنة وأثرها فى إصلاح النفوس ١٤٧٥
 لفضيلة الشيخ/ فوزى الزقزاف
- دعوة للأدباء ١٤٧٩
 للأستاذ/ مجدى بشير
- طرائف ومواقف ١٤٨٢
 للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
- تأملات فى منهج الدعوة الإسلامية ١٤٨٤
 للأستاذ/ احمد السيد تقى الدين
- بين الصحف والمجلات ١٤٨٦
 للأستاذ/ محمود الفشنى
- بين المجلة والقارئ ١٤٨٨
 للأستاذ/ عادل خفاجة
- أنباء العالم الإسلامى ١٤٩٤
 للأستاذ/ محمد الشرقاوى
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٤٩٨
 للشيخ/ عمر البسطويسى
- القسم الإنجليزى ١٥١٩
 إشراف أ.د. إبراهيم الأصيل



الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
ومصدر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في طبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ مصر

ت: ٥٩٩٨٦٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- المنهج الإسلامي في الحوار
- لفضيلة الشيخ / محمود عاشور
- واجبات المسلمين في غير أوطانهم
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- الإسلام قضية عادلة في يد مجام فاشل!
- للأستاذ الدكتور / عبد العظيم الطعنى
- التحدي الحضاري بين مفكري الإسلام والمستشرقين (٢)
- للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ ☎

شوال ١٤٢٣هـ - ديسمبر ٢٠٠٢م - الجزء العاشر - السنة الخامسة والسبعون

فى
عالم النفس

كيف تتغلب على الأحزان

تقابل الفقير المحروم فتجده متأففاً متضجراً، يحمل أكْداً من الغم والشجن وتسمع إليه يفيض فى وصف ما ابتلى به من المحن والنوائب، فتأس لمصابه، وتنفطر لبلواه، وتُقابل ثرياً مُترفاً يتقلب فى أعطاف النعيم، فتعتقد أنه ناعم البال، هادئ النفس، ولكنك تنصت إليه فتجده ينوء بأعباء ثقيلة من الهم، فله من وساوسه المتلاحقة غيوم داكنة تخيم على نفسه، فتطرد عنه الصفاء والدعة، وإذ ذاك تعلم أن الحزن ديمقراطى النزعة، يدب إلى الأكواخ المتضائلة، كما يتسلق إلى القصور الشماء دون حذر أو مبالاة.

ولكل إنسان فى الحياة رغائب ينشدها، وآمالٌ يكدح فى سبيل تحقيقها، فالفقير والغنى معاً يحلمان بحياة غير الحياة التى يواجهانها أمام الناس، وكثيراً ما يسرفان فى الأمل، ويجهدان فى السعى، وقد يكون الأمل عزيزاً بعيد المنال، فمهما أحنَّ السير وراءه فلن يصلا إليه، وهُنا تكون الحسرة اللاذعة، والهمُّ الناصب، والحُزن المُقيم.

وكأن القدر - والحال كذلك - قد جعلَ من هموم الأغنياء عزاً للفقراء، فإذا نظر البائس المكدود إلى الغنى المترف فوجده يقاسمه الكدر والضيق، خفف من حزنه، وجفف من دموعه، وهان عليه ما يكابد، وللحُزن دواعٍ مختلفة، بل إنها تتناقض فى بعض الأحيان، فقد يفرح زيدٌ لما يبكى له عمرو، ومن هنا اشترك الغنى والفقير فى اللوعة برغم اختلاف الآلام والآمال.



وأنت تشاهد الحزونين فتأسى لوجوههم الشاحبة، ورؤوسهم المطرقة، ونفوسهم الكسيرة، وكل إنسان فى الحياة قد طاف به وقتٌ كربه أذاقه مرارة اللوعة والأسف، فاكثأب خاطره، وممر الطعام الهنىء فى حلقه، وغامت الدنيا فى وجهه، ولو امتد به الحال على ذلك لضاقت به الحياة ولكن الله لطيف بعباده، يجعل من الضيق سعة، ويُعقب الظلام الدامس بالصباح الوضىء.

وللحزن زواياه المختلفة ولن تعدم فيها زاوية حيوية تدفع إلى العمل المنتج والسعى الدءوب، فكم من نفوس صهرها الحزن والألم فذهبت تتلمس النجاة والخلاص، وحشدت مواهبها للنضال والصيال حتى تفتقت عن عبقریات ملهمة، وإذا الألم يكشف عن نبوغ مقنع وذكاء تكمن جذواته تحت الرماد، واقرأ معى تراجم العباقرة فى مختلف الأجيال، فستجد من الألم والحرمان والاضطهاد أسباباً قوية، مهدت لهؤلاء النوايغ سبيل التألق والسطوع ولو خلت حياتهم مما يكدر ويؤلم، ما سطع عليهم الإلهام فى بيان يُردّد أو اختراع يُفيد!!

ولكن هل استفاد جميع الحزونين من أشجانهم الثائرة؟. فقطفوا الثمرة المشتهاة، وأبرزوا ما استتر لديهم من مكنون المواهب والكفاءات؟. لو كان الأمر كذلك لأصبحت الأحزان أمانى غالبية يحرص على تحقيقها الناس ولكن السواد الأعظم من الحزونين قد ناءوا تحت أثقالهم المرهقة، وهم فى حاجة ماسة إلى بلسم ناجع يبرى أدواءهم الناعرة، ولن يكون ذلك إلا بفهم الحياة واستكناه حقائقها الخافية، والنظرة إليها نظرة واقعية، فقد طبع فى أذهان كثير من الناس أن صفاء الدنيا وخلوصها من الشوائب أصل ثابت تستقيم عليه الأمور، وأن ما يطرأ من الكوارث والخير شذوذ يخالف القاعدة الأصلية، فحقّ عليهم أن يجزعوا لغير ما يتوقعون، ولا أدرى من أين أتى لهم ذلك، وهم يلمسون النوائب تتراحم فى كل زمان ومكان، حتى ليصح أن يكون الكدر طبيعة لا زمة للحياة ومتى استقام لأذهاننا هذا الفهم العملى الصحيح، فلنوطن نفوسنا على قبول المكاره والأحداث، فلا نفزع لخطب ملم أو خطر يكرث، ولنسنا بذلك ندعو إلى الاستكانة والخضوع، أمام الكوارث الحازبة، بل نعتبر وجودها أمراً طبيعياً فقط، فعلى الإنسان أن يحتاط جهده لنفسه فيسلك السبيل السوى ويأخذ الحذر من المكروه، فإذا دهمه الخطب بعد الحيلة، تقبله راضياً قانعاً، وعلم أنه سنة لازمة من سنن الحياة ذات الخير والشر، والإعسار والإيسار.

وَمُكَلِّفَ الْأَيَّامِ ضِدَّ طَبَاعِهَا

مُتَطَلِّبٌ فِى الْمَاءِ جَذْوَةٌ نَارٍ

وقد يكون من المفيد أن نضرب مثلاً واضحاً، يرسل بعض الأضواء الكاشفة، فنقول: أنت فى الحياة مُعرض للأمراض الجسيمة القاتلة، فعليك أولاً أن تُعنى بالقواعد الصحية



عناية تامة وتجتهد في تطبيقها تطبيقاً واعياً مستنيراً كما لا تنس في الوقت نفسه أن المرض الجسمي سُنَّة من سُنن الحياة فأنت معرض له مهما توقيت، بل ربما جاءك من باب خافٍ لا تظنن إليه، ومن الذى يعصم نفسه من الاصطدام بسيارة أو الوقوع فى حفرة مهما أخذ الحذر والانتباه، فإذا أفرغ العاقل جهده فى التوقى والحيطه ودهمه المرض بعد ذلك من أحد طرقه فلا يليق به أن يجزع لأمر طبيعى يتوقعه الجميع، بل عليه أن يكافحه بما يستأصله من أفانين الدواء، فإذا قدر الله الشفاء فقد بلغ ما يريد، وإن كانت الآخرة فهذه سُنَّة الحياة، فلا يجوز لك أن تسترسل فى الهلع المرعب، فتسقط صريع الأسى فى حياة يلاحقها الفناء.

وليس المرض أو الموت كل شىء فى مصائب الدنيا، فالتاجر الذى يفاجئه السوق، بما يبدد أمواله بعد أن أخذ الأهبة، وصاحب المصنع الذى تلتهم النار أدواته لأمر خارج عن إرادته، والتلميذ الذى يكيو فى مادة درسها واستوعبها ثم خانتها الذاكرة، هؤلاء وأمثالهم يُلغون عقولهم إذا استسلموا لليأس والقنوط، بل عليهم أن يواصلوا السير من جديد، فقد بذلوا أقصى ما يدخرون من اليقظة والكدح ثم جاءت الريح أخيراً بما لا تشتهى السفن، وحسبهم أن ترتاح ضمائرهم فلا توخرهم بتأنيب مرير.

هذا الفهم البصير قادرٌ على أن ينقذ المحزونين من ظلماتهم الدامسة، فمتى توقع الإنسان الخير والشر معاً، فقد استعد لقبولهما، فلا يخرج عن الاعتدال فى همٍّ أو سرور، ثم إن مجال الأسوة فسيحٌ للبائسين، فالمهموم لا يقف وحده فى ميدان غائم عبوس، بل يجد حشداً زاخراً من زملائه الملتاعين، ولو سألت كل إنسان عن مآسيه، لتعذر عليك أن تجد القانع السعيد، ولئن وجدته وتَبَطَّنَتْ دَخَائِلُ نفسه، ثم وازنَتْها بميزان الناس، فستطلع على دفائن مستورة، خفيت عنه حُسْنُ حظه، فبات بنصيب من السعادة والهدوء، بينما غرق الجميع فى طوفان رهيب.

أجل إن ميدان الأسوة فسيحٌ مديد، وما من الناس إلا مَنْ رُزِيَ فى نفسه أو ماله أو ذويه، وقد رُويت عن الإسكندر قصة إن فاتها صِدْقُ الواقع، فلن يفوتها مغزى الأسطورة، وإيحائها السحرى، فقد ذكروا أن الفاتح المقدونى أوصى والدته أن تدعو الناس بعد وفاته ليومٍ يجتمعون فيه على الطعام والشراب والسرور، ليكون ماتم الإسكندر بهيجاً مرحاً على غير عادة الناس، على ألا يوافيها للعزاء أحدٌ أصابته مصيبة، فيكدر الصفو ويطفئ الأنس، فلما هلك النجل، ونفذت الأم الوصية، لم تجد أحداً أمٌ ساحتها، فسألت مندهشة: ما بال الناس تخلفوا عنا مع ما قدمنا؟. فقليل لها: إنك أمرت ألا يوافيك أحدٌ أصابته مصيبة، وكُلُّ الناس مصابون!! فعرفت أن الإسكندر أحسن تعزيتها بما أوصى به. لينحسر عن عينها الغطاء!!.



ولن يغفل الملتاع ما أعدّه الله للصّابرين من جزاء، فقد بوأهم أحسن الدرجات في مقعد صدق، بل إنه عز شأنه قد جعل من المحن ابتلاءً صادقاً يمتحن به المؤمنين المخلصين.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ شَيْئًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (١).

وفي الأثر أن أبا بكر - رضي الله عنه - سأل رسول الله ﷺ عن قول الله:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ﴾ (٢) قال: فكل سوء عملنا سنجزى به، فكيف الخلاص يا رسول الله؟.. فقال النبي ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألسنت تحزن؟ ألسنت تنصب؟ فهذا ما تجزون به، وإن ذاك بذاك» (٣).

وقد أثبت التحليل النفسي أن أكثر الأمراض العقلية يرجع إلى هموم متراكمة، تجمعت شيئاً فشيئاً، ثم اندفعت إلى العقل الباطن تنفث السموم، وتستدعي إليها غيرها مما ينخرط معها في سلك الشقاء وفي النهاية تتألب على صاحبها المسكين، فتثقله صوابه الراشد، وتخرج به عن نطاق العقلاء، ومن الخير للمحزونين - ومأساتهم تلك - أن ينفسوا عن صدورهم بالبحث والإعلان لمن يثقون في مروءتهم وإخلاصهم، حتى تتبخر رواسيهم المدمرة شيئاً فشيئاً وعلى هؤلاء أن يفسحوا لهم سبيل الإذاعة والتنفيس، وأن يجدوا لهم بعض الأدوية الناجعة في توجيهه سديد، أو معونة صادقة، دون سخرية واستهزاء، على ألا يكون المريض شكاً متباكياً، فاللجاجة وحدها مرض خبيث يتطلب العلاج، ولكن أين من يرحم المحزون في دنيا تشابكت فيها المطاعم، وتدابرت بها العواطف والأهواء.

أَسَاءَ جِسْمِكَ شَيْئًا حِينَ تَطْلُبُهُمْ

فَمَنْ لِرَوْحِكَ بِالنِّطْسِ الْمَدَاوِينَا

د. محمد رجب البيومي

(٢) النساء (١٥٣).

(١) البقرة (١٥٥ - ١٥٧).

(٣) أحمد ١/ ١١.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنَافِثُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

الآيات : ٢٤٦ : ٢٤٧

لفضيلة الامام الاكبر شيخ الانهر
الاسناذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

فكانت النتيجة أن انتصرت الفئة القليلة المؤمنة بقيادة طالوت على الفئة الكثيرة الكافرة بقيادة جالوت. هذا تلخيص لتلك القصة العامرة بالعظات، ولعل من الخير قبل أن نبدأ فى تفسير آياتها أن نقرأها بتدبر وتأمل كما صورها القرآن بأسلوبه البليغ المؤثر.

وقوله - تعالى - :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾
إلخ استئناف ثان بعد قوله قبل ذلك :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾^(٣)
وقد سبق هذا الاستئناف مساق الاستدلال لقوله - تعالى - :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٤) حتى تشجع النفوس على الجهاد، وتهون عليها المصاعب فى سبيل حياة العزة والكرامة.

﴿ الْمَلَأِ ﴾ الأشراف من الناس. وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه. وإنما سمي الأشراف بذلك لأن هيبتهم تملأ الصدور، أو لأنهم يتمثلون أى يتعاونون فى شئونهم، وأصل الباب الاجتماع بما لا يحتمل المزيد.

والمعنى : كما سبق أن بينا فى قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ﴾. قد علمت أيها العاقل حال أولئك القوم من بنى إسرائيل

ثم ساق القرآن قصة من قصص بنى إسرائيل مع أنبيائهم، فيها العظات والعبر، وملخص هذه القصة : أن قوما من بنى إسرائيل كانوا قد انهزموا أمام أعدائهم هزيمة منكرة جعلتهم يولون الأدبار تاركين ديارهم وأبناءهم، فقالوا للنبي لهم بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة : أبعث لنا ملكا يقودنا للقتال فى سبيل الله، فقال لهم نبيهم بعد أن حذرهم من عاقبة الجبن والكذب :

﴿ إِنْ أَلَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

فاعترضوا على هذا الاختيار، ونقصوا من شأن من اختاره الله قائدا لهم، ولكن نبيهم ساق لهم من الحجج التى تدل على صلاحية طالوت لهذا المنصب ما أخرس ألسنتهم... ثم سار طالوت بجنوده لقتال أعدائه، وفى الطريق قال لمن معه :

﴿ إِنْ أَلَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾^(١).

ثم بعد هذه المخالفة جبن أكثرهم عن قتال أعدائهم وقالوا :

﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾^(٢)

ولكن الفئة القليلة المؤمنة منهم استطاعت أن تنتصر على كل عقبة فى طريقها، وأن تقاتل أعداءها بشجاعة وصبر واعتماد على الله،

(١) البقرة (٢٤٩).

(٢) البقرة (٢٤٩).

(٣) البقرة (٢٤٣).

(٤) البقرة (١٩٠).

فلاستفهام للتقرير والتحذير. أى إني أتوقع عدم قتالكم إذا فرض عليكم القتال، فراجعوا أنفسكم وقوتكم قبل أن تطلبوا هذا الطلب، لأنه إذا فرض عليكم ثم نكصتم على أعقابكم فإن عاقبتكم ستكون شراً لاشك فى ذلك.

وعسى هنا بمعنى التوقع والمقاربة، والجملة استئناف بياني.

قال صاحب الكشاف؛ والمعنى: هل قاربتم ألا تقاتلوا؟ يعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم ألا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل ﴿هَلْ﴾ مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب فى توقعه. وخبر ﴿عَسَيْتُمْ﴾:

﴿أَلَا نُقَاتِلُ﴾ «والشرط فاصل بينهما»^(٥).

ثم حكى القرآن ردهم على نبيهم فقال:

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾

أى قال الملأ من بنى إسرائيل على سبيل الإنكار والتعجب مما قاله نبيهم: وأى صارف يصرفنا عن القتال وحالنا كما ترى؟ إننا قد أخرجنا من ديارنا وحيل بيننا وبين أبنائنا وفلذات قلوبنا فكيف لا نقاتل مع أن الدواعى موجودة، والبواعث متوفرة، والأسباب مهيجة؟ فأنت تراهم فى إجابتهم هذه يستنكرون ما توقعه نبيهم

الذين كانوا بعد وفاة موسى - عليه السلام - إذ قالوا لنبي لهم أقم لنا أميرا لكى نقاتل معه فى سبيل الله. ومن لم يعلم فيها نحن أولاء نعلمه بحالهم فعليه أن يعتبر ويتعظ.

ف قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ بيان للزمن الذى كان يعيش فيه أولئك الملأ من بنى إسرائيل والمراد بالنبي الذى قالوا له:

﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

على الراجح - «شمويل بن حنة» وكان السبب فى طلبهم هذا من نبيهم أن العمالقة أتباع جالوت كانوا قد أخرجوهم من ديارهم، وأنزلوا بهم هزائم شديدة، فطلبوا منه ذلك لكى يستردوا مجدهم الضائع، وعزهم المسلوب، على يد هذا القائد المختار من جهة نبيهم.

وفى الإتيان بلفظ هذا النبى بصيغة التنكير إشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبى وإنما المقصود معرفة حال أولئك القوم، وما جرى لهم مع نبيهم من أحداث من شأنها أن تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ. وهذه طريقة القرآن فى سرد القصص لا يهتم بالأشخاص والأزمان إلا بالقدر الذى يستدعيه المقام. أما الاهتمام الأكبر فيجعله لما اشتملت عليه القصة من وجوه العظات والعبر. ويبدو أنه كان يتوجس منهم خيفة لأنه أعرف بطبيعتهم، فنراه يقول لهم كما حكى القرآن عنه:

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾

(٥) تفسير الكشاف (٢٩١/١).



أمرهم الله به بعد أن عاهدوه على عدم الترك .
ثم بين القرآن ما أخبرهم به نبيهم ليحملهم
على الطاعة والامتثال فقال - تعالى - :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ
لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

أى وقال لهم بعد أن أوحى إليه بما يوحى :
إن الله - تعالى - وهو العليم الخبير بأحوال
عباده قد بعث لكم من أجل مصلحتكم
طالوت ليكون ملكاً عليكم، وقائدا لكم فى
قتالكم لأعدائكم، فأطيعوه واتبعوا ما يأمركم
به .

و ﴿ طَالُوتَ ﴾ اسم أعجمى قيل : هو
المسمى فى التوراة باسم « شاول » وقيل : إن هذا
الاسم لقب له من الطول كملكوت من الملك ،
لأن طالوت كان طويلاً جسيماً .

ولقد كان الذى يقتضيه العقل أن يطيعوا أمر
نبيهم، ولكنهم لجوا فى جدالهم وطغيانهم وقالوا
لنبيهم معترضين على من اختاره الله قائداً لهم :

﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يَأْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ ﴾

﴿ أَنَّى ﴾ أداة استفهام بمعنى كيف، والاستفهام
هنا للتعجب من جعل طالوت ملكاً عليهم . أى
قالوا لنبيهم منكربين ومتعجبين من اختيار طالوت
ملكاً عليهم : كيف يكون له الملك علينا والحال

منهم، ويجزمون بأن الطريق الوحيد لعزتهم إنما هو
القتال وأن هذا الأمر لا مراجعة فيه ولا جدال .
وهكذا شأن الجبناء والمغرورين فى كل زمان
ومكان يرحبون بالمعارك قبل قدومها فإذا ما جد
الجد كذبت أعمالهم أقوالهم، وأعطوا أديبارهم
لأعدائهم !

ثم حكى القرآن أن نبيهم كان صادقاً فيما
توقعه منهم من جبن وكذب، وأنهم قوم يقولون
بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فقال - تعالى :

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾
أى : فحين فرض عليهم القتال بعد أن أُلحوا
فى طلبه، أعرضوا عنه، ونفروا منه إلا عدداً قليلاً
منهم فإنه ثبت على الحق، ووفى بعهده .

قال الآلوسى : وقوله :

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ وهم الذين جاوزوا النهر
وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر على ما
أخرجه البخارى عن البراء - رضى الله عنه -
والقلة إضافية فلا يرد وصف هذا العدد أحياناً بأنه
جم غفير (٦) .

ثم ختم الله - تعالى - الآية بقوله :

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ لإفادة الوعيد
الشديد لهؤلاء الذين نقضوا عهودهم، ونكصوا
عن القتال عندما فرض عليهم، ولكل من يفعل
فعلهم، وسار على طريقهم .

أى : والله - تعالى - عليم بالظالمين الذى
يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك الجهاد، وبترك ما

(٦) تفسير الآلوسى (١٦٦/٢) .





أى قال لهم نبيهم مدللاً على أحقية طالوت بالقيادة: إن الله - تعالى: أولاً:

﴿أَصْطَفَنَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أى اختاره وفضله عليكم واختياره يجب أن يقابل بالإذعان والتسليم. وثانياً: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾ أى أن الله - تعالى - منحه سعة فى العلم والمعرفة والعقل والإحكام فى التفكير المستقيم لم يمنحها لكم، وثالثاً: فى ﴿الْجِسْمِ﴾ بأن أعطاه جسماً قوياً ضخماً مهيباً. وهذه الصفات ما وجدت فى شخص إلا وكان أهلاً للقيادة والريادة وفضلاً عن كل ذلك فمالك الملك هو الذى اختاره فكيف تعترضون يا من تدعون أنكم تريدون القتال فى سبيل الله؟ لذا نراه - سبحانه - يضيف الملك الحقيقى إليه فيقول:

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

أى: يعطى ملكه لمن يشاء من عباده لحكمة يعلمها. فلا يجوز لأحد أن يعترض على اختياره، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الفضل والعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾.

«يتبع»

أنا أحق بالملك منه لأننا أشرف منه نسباً، إذ منا من هو من نسل الملوك أما طالوت فليس من نسلهم، وفضلاً عن ذلك فهو لا يملك من المال ما يملكه بعضنا فكيف يكون هذا الشخص ملكاً علينا؟

فأنت تراهم - لانعدام المقاييس الصحيحة عندهم - ظنوا أن المؤهلات الحقيقية لاستحقاق الملك والقيادة إنما تكون بالنسب وكثرة المال أما الكفاءة العقلية، والقوة البدنية، والقدرة الشخصية فلا قيمة لها عندهم لانطماس بصيرتهم، وسوء تفكيرهم.

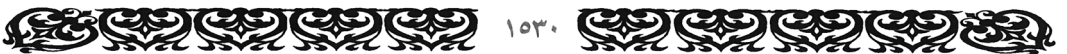
قال بعضهم: «وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بنى إسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب، وسبط المملكة بسبط يهوذا، ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين» والواو فى قوله:

﴿وَمَحْنُ أَحَقُّ﴾ للحال، والواو الثانية فى قوله: ﴿وَلَمْ يُوْتَّ﴾ عاطفة جامعة للجملتين فى الحكم (٧).

ثم حكى القرآن ما رد به نبيهم عليهم فقال:

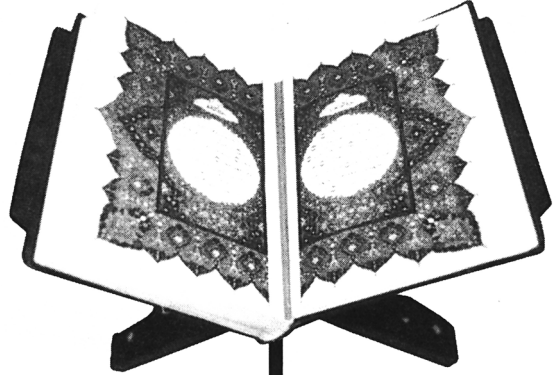
﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(٧) حاشية الجمل على الجلالين (٢٠١/١).



يوم الناقور

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة



قال تعالى في سورة المدثر :

﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ

عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (١).

جاءت هذه الآيات الثلاث في سورة المدثر، أوائل ما نزل من القرآن الكريم. وفيها إثارة للحس، وإعمال للخيال، في تصور مقدم يوم القيامة، بهوله الفزع، ورهبته القوية التي تذهل الإنسان عن نفسه. جاءت هذه الآيات، وقبلها قوله تعالى :

﴿يَأْتِيهَا الْمَدْدَنُ ۝١ قُرْآنًا نَّذِيرٌ ۝٢ وَرَبِّكَ عَظِيمٌ ۝٣ وَيُنَادِيكَ فَطَهُرٌ ۝٤

وَالرَّجْزُ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَسْأَلُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (٢).

وبعدها جاء قوله تعالى :

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَمْ مَأْلًا

مَمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُمْ شُهُودًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ

أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا ابْنَيْنَا عَيْنِدَا ۝١٦ سَاءُ رِهْقُهُمْ صُعُودًا ۝١٧﴾ (٣).

(٢) المدثر (١:٧).

(١) المدثر (٨:١٠).

(٣) المدثر (١١:١٧).

من الإعجاز
البياني
في
القرآن
الكريم

جاءت هذه الآيات بعد النداء العلوى، الصادر من الله - تعالى - لرسوله ﷺ بإلقاء الدثار، الذى تدثر به، وإلقاء الخوف. والحزن عن كاهله الشريف، والتهيب لما سوف يكلفه به الوحي من الدعوة إلى الله العلى القادر، مما يلزم لإتمامه والنجاح فى تحصيله التطهر التام وإنكار الذات والصبر على المشاق.

ولما كانت هذه الدعوة المباركة - شأن الدعوات السماوية الكبرى - سوف تقابل عاجلا وآجلا بالإنكار الشديد، والحرب التى لاهوادة فيها، من جانب فئة باغية كافرة، لاترى للحساب على ما قدمت دليلا فى مرآة نفسها المظلمة، واليوم القيامة علامة واضحة فى ضميرها القاحل.. لما كانت هذه الدعوة كذلك - حسبما سبق فى علم الله تعالى - كان لابد من هز هذه الضمائر الخربة، والمشاعر الصلدة، بتصوير مقدم هذا اليوم العظيم. تصويرا يحمل من الظلال والألوان ما يغمر القلب.. ويوقظ الحس.. ويضعهما فى المواجهة الحية أمام هذا الحدث الهائل، وهما مايزالان - بعد - يتنسман - عبير الحياة، عليهما يفيقان من غفوتهما، ويثوبان إلى الطريق.

قلنا كان لابد من تصوير مقدم هذا اليوم.. وذلك قبل أن يدخل النص الكريم فى مواجهة مباشرة مع واحد من رموز الشرك والضلال^(٤) يصل به إلى قرار سحيق إلى ﴿سَقَرَ﴾^(٥) التى ﴿لَا بُقَىٰ وَلَا نَذْرٌ﴾^(٦) ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾^(٧).

فكيف تم تصوير مقدم هذا اليوم؟ وبأى الألوان كان هذا التصوير؟ وما الظلال التى ألقته هذه الصورة فى النفس؟ وما العوامل المؤثرة فى بنائها؟ ذلك موضوع محاولتنا مع هذه الآيات. اهتمت الصورة بإلقاء الضوء على اللحظات المبكرة فى وقوع هذا الهول الرهيب الرعب وهى لحظة النفخ الأول فى الصور، حيث ركزت على إطلاق النقرة الأولى، التى تؤذن بانقلاب الأرض لتصير غير الأرض التى نعرفها، وانقلاب حال السماء لتصير غير السماء التى نعهداها. فهاهو ذا الملك الموكل بالناقور^(٧)، قد التقم الناقور فى فمه، وهاهو ذا قد حنى جبهته، استعدادا للأمر الأعلى^(٨) الذى يوشك أن يصدر من لدن الحق - تبارك وتعالى.

فالموقف قد تخطى مرحلة الإعداد والاستعداد، وحددت ساعة الصفر، التى لايعرفها إلا عالم

(٤) هو الوليد بن المغيرة المخزومي، وتمت مناقشة صورته ضمن فصل «صور ساخرة».

(٥) المدثر (٢٦).

(٦) المدثر (٢٨، ٢٩).

(٧) الناقور: هو القرن الذى ينفخ فيه إيزانا بفناء العالم. جاء فى «الجامع، لأحكام القرآن»: «الناقور فاعول من النقر، كأنه الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت، النقر فى كلام العرب الصوت.. وهم يقولون: نقر باسم الرجل إذا دعاه، مختصا له بدعائه. وقال مجاهد وغيره: هو كهينة البوق».

(٨) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ؟».

﴿يَوْمَ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (٩)

فلا يتخلله يسر، «ولا يفصل أمر هذا العسر، بل يدعه مجملاً مجهلاً يوحى بالاختناق والكرب والضيق..» (١٠) لتذهب فيه النفس كل مذهب، وينطلق فيه التصور أنى شاء.. وكيفما شاء. وهى طريقة مشهورة فى القرآن الكريم عند التعبير عن مثل هذه المعانى الكبيرة، التى لا يحتويها فكر بشر ولا تصوره.

وإن من يتصور هذه الصورة الفنية.. يرى أنه لا يستطيع أن يحدد فيها لونا بعينه، فلونها أنها لا لون لها، فالصورة تبدأ بصوت رهيب رعب، بعدها تختلط كل ألوان الموجودات، إذ لا أرض.. ولا سماء.. ولا نجوم.. ولانبات.. ولا ماء.. ولا شيء مما نعرف لونه.. كل مافى الصورة

﴿يَوْمَ عَسِيرٌ﴾ لا يسر فيه، واليوم لا لون له. ولكن هل معنى هذا أنها لا تلقى ظلا على النفس البشرية؟! كلا.. إنها تلقى عليها ظلا من الخوف والفرع، الذى يقع فى الروح عندما يسمع المرء لفظة ﴿فَإِذَا﴾ التى تحمل فى طيها بطانة من الوعيد الشديد، والذى يستولى على الإنسان حينما يسمع فجأة، وبلا مقدمات هذا الصوت الذى تصطك منه الآذان، وتنقلب له كل موازين الوجود، وهو لا يدري مصدره، ولا يدري من الذى أطلقه، فمصدر هذا الظل المخيف، إنما هو توالى المجهولات بعد الوعيد الشديد الذى تضمنته ﴿فَإِذَا﴾ فمصدر النقر مجهول.. ويومه

الغيب والشهادة وليس هناك إلا أن يصدر الأمر بالنقرة الأولى والحق أن النقر قد لوحظ فيه معنى الدقّ فالنقر له دوى فى الآذان. يقول الشهيد سيد قطب «فى ظلال القرآن»: «والنقر فى الناقور، هو ما يعبر عنه فى مواضع أخرى بالنفخ فى الصور. ولكن التعبير هنا أشد إحياء بشدة الصوت ورنينه، كأنه نقر يصوت ويدوى. والصوت الذى ينقر الآذان أشد وقعا من الصوت الذى تسمعه الآذان».

فما أن يُنقر فى الناقور، إلا ويكون اليوم الشديد العصيب.. الذى لا يعرف لحظة من لحظات اليسر والاستقرار. فالأرض أصبحت غير الأرض، والسموات أصبحت غير السموات.. ولم يعد هناك إلا الفرع والرعب، الذى يحيط بالمرء من كل جانب، وأنى توجه.

ولكن ماحقيقة مفهوم اليوم الذى ذكرته الآية المباركة؟! إنه يوم من لا كأيام الدنيا!! وهو غاية ما يقال فيه، فلقد نقر فى الناقور، وانقلبت الحال، واختلف مفهوم الزمان، كما اختلف معنى المكان.. فلم يعد اليوم هو تلك الفترة التى تدور فيها الكرة الأرضية دورتها فى مواجهة قرص الشمس، فهو يوم لا يشترك مع يوم الناس الذى تعارفوا عليه إلا فى الاسم فقط أما حقيقته.. أما مقداره.. فقد خضعت لمقياس آخر، ليس لنا أن نتعرف عليه، لأنه ليس فى مقدورنا أن نتعرف عليه. ويكفى أن نعرف أن معيار الزمن الذى عرفناه، لم يعد له وجود، بمجرد أن نقر فى الناقور..!! لكن كل ما يمكن أن يعرف عن هذا اليوم أنه:

(١٠) سيد قطب «فى ظلال القرآن».

(٩) المدثر (٩، ١٠).

فحينما تأتي صورة النقر فى الناقور، ومايتلوها من أحداث جسام وسط هذه الأهوال تكون أشد تأثيرا فى النفس وأوقع فى الضمير.

ثانياً: اختيار ﴿فَإِذَا﴾ كأداة شرط تفيد التحقق من وقوع الشرط، كما تفيد سرعة ماسيق بعده: فالنقر فى الناقور لامحالة واقع، وسيتبعه فوراً وبلا إبطاء وقوع هذا اليوم العسير، مما يوحي بهول الموقف وشدته، فضلاً عما فيه من إطلاق معنى العسر.. ونفى اليسر. يضاف إلى كل ذلك هذا الربط القوى بين ما قبلها وما بعدها فى سلسلة متصلة الحلقات متتابعة الأحداث عن طريق الفاء.

ثالثاً: بناء الفعل للمجهول:

﴿نُقْرِفِى النَّاقُورِ﴾ مما يوحي بالرهبة والفرع، لأنه نقر قوى يصك الآذان، فجأة ودون أن يعرف مصدره، ودون أن يعرف فاعله. فماهو إلا طلقة قوية، أو صوت رعيب.. وبعده يكون اليوم العسير.. يضاف إلى ذلك تعريف **﴿النَّاقُورِ﴾** بال التى للعهد. وهى تلقى فى النفس ظلاً من الرهبة والرعب، فهو ناقور معروف فى الضمير البشرى، وإن لم يسبق له ذكر صريح. فهو مسلط على رأس الحياة وقد التقمه صاحبه الموكل به، وحنى عنقه فى انتظار لحظة الأمر الإلهى الأعلى. وكل الخلائق يعرفونه، وكأنهم يرونه رأى العين.

ولا يظن ظان أن هذه القضايا - ومعظمها يقوم على التحليل اللغوى، فى مفاد الألفاظ والعبارات، والتحليل البلاغى الفنى للأساليب وجوها الشعورى العام - لا يحس معطياتها، أو يفعل لها إلا من درب

مجهول.. ولون الأرض بعدها مجهول.. ولون السماء مجهول.. ومن هذه المجهولات التى تنطلق فى الآفاق، لتحيط بالإنسان وتكتنفه فى كل أقطار نفسه ومشاعره وتصوراته.. يتكون فى النفس ظل هذه الصورة الفنية. ولكل من النفس المؤمنة والنفس الكافرة أن تشعر بما شاء الله لها أن تشعر..!!

وإن من يتأمل هذه الصورة الفنية، يرى أنها بلغت الغاية فى القوة والتأثير وذلك للعوامل الآتية:

أولاً: أنها جاءت وسط جو كله شدة، وكله كرب، وكله تبعات جسام، وكله يؤذن بأن هناك شيئاً عظيماً يوشك أن يحدث، سواء على مستوى الوجود كله، أو على مستوى الأفراد. فهاهو ذا رسول الله ﷺ يؤمر فى حزم بالنهوض من رقدته. والاستعداد لمقابلة هذا الأمر الجلل:

﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝ فَمَا يَذَرُ ۝ وَرَبِّكَ عَكْبَرُ ۝ وَيَأْتِيكَ فَطِيرُ ۝ وَالرَّجْرُ فَاهْجُرُ ۝ وَلَا تَمْنَنَّ تَسْكُرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصِيرُ ۝﴾

وهو سوف يقابل بالغلظة والإنكار من فئة كافرة باغية طاغية.. وهاهو ذا أحد نماذج البغى، والطغيان، والوليد بن المغيرة، ومايتهده به الله - تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝﴾

وهاهى ذى **﴿سَقَرٍ﴾** التى سيصلاها هذا الكفور وأضرابه، وقد جاء فى ذكر أوصافها ماجاء



قراءة القرآن من أجلها، وأبحث عنها - كلما قرأت - فى ثناياه .

تلك أيام - ولا يزال الكلام للشهيد - ولقد مضت بذكرياتها الحلوة، وبخيالاتها الساذجة، ثم تلتها أيام، ودخلت المعاهد العلمية، فقرأت تفسير القرآن فى كتب التفسير، وسمعت تفسيره من الأساتذة ولكننى لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك القرآن اللذيذ الجميل، الذى كنت أجده فى الطفولة والصبا .

وأأسفاه! لقد طمست كل معالم الجمال فيه، وخلا من اللذة والتشويق.. ترى هما قرآنان؟ أم إنها جنائية الطريقة المتبعة فى التفسير؟

وعدت إلى القرآن أقرأه فى المصحف لا فى كتب التفسير. وعدت أجد قرأتى الجميل الحبيب، وأجد صورى المشوقة اللذيذة، إنها ليست فى سذاجتها التى كانت هناك. لقد تغير فهمى لها فعدت الآن أجد مراميها وأغراضها وأعرف أنها مثل يضرب، لحدث يقع .

ولكن سحرها ما يزال . وجاذبيتها ما تزال والحمد لله . لقد وجدت القرآن! «(١٢)

فالفهم الأولى المؤثر للصورة الفنية فى القرآن، لا يترتب على الدراسة المتعمقة أو المتخصصة، ولا يتوقف عليها، وإنما يسبقها، ولكن تأتى هذه الدراسة لتحلل وتعلل ما استقر فى النفس وترسخت صورته فى الشعور .

على تحليل العبارة تحليلًا يعتمد على الدراسة الفنية المتعمقة.. لأن هذه الدراسة لم تكن إلا نتيجة لما كان يحسه العربى عند الاستعمال، فالدراسة والتحليل نتائج، وليست مقدمات. ولعل فى هذا ما يفسر انطباعاتنا الأولية التى ترسبت فى عقولنا ومشاعرنا وتصوراتنا، فى بواكير حياتنا أيام أن كنا نقرأ هذه الآيات ونحن أطفال فى الكتاتيب . ومما يؤكد هذه الحقيقة رواية الشهيد سيد قطب عن قصته مع القرآن فى كتابه «التصوير الفنى فى القرآن»، نورد هنا للاستئناس بها، ولنتبين من خلالها أن شعورنا بروعة الصورة الفنية فى القرآن، يسبق دراستنا الفنية المتخصصة، ولا يترتب عليها. قال الشهيد - رحمه الله تعالى: «.. ومن تلك الصور الساذجة صورة كانت تتمثل لى كلما قرأت هذه الآية:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشأ منها فٱتبعه الشيطان فكَانَ مِنَ ٱلضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ ٱخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَث ۚ﴾ (١١)

ولم أكن أدرك من معانى هذه الآية شيئا - والكلام للشهيد - ولا من مراميها، ولكن صورة كانت تشخص فى مخيلتى. صورة رجل. فاغر الفم، متدلى اللسان يلهث ويلهث، ولا أجرؤ على الدنو منه!

وصور من هذه شتى، كانت ترتسم لخيالى الصغير، وكنت ألتذ التأمل فيها، وأشتاق

(١٢) التصوير الفنى فى القرآن ص ٧، ٨ ط الشروق.

(١١) الأعراف (١٧٥، ١٧٦).



الحُداء

لفضيلة الأستاذ الشيخ / فكري ياسين



إعداد الشيخ / على حامد عبد الرصيم

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ في مسير له،
فحد الحادي، فقال النبي ﷺ: «ارفق يا أنجشة - ويحك - بالقوارير!»

جرت عادة الإبل أنها إذا سمعت الحداء استهوتها أنغامه، وهزتها
ألحانه، وتأثرت به تأثراً تستخف معه الأحمال الثقيلة، وتستقصر في
سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيها من النشاط والقوة والشوق والحنين
ما يسكرها ويولهبها، فتراها حتى ولو طالت عليها البوادي، واعتراها
الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال - تمد أعناقها، وتنصب آذانها
مصغية إلى صوت الحادي، ومنصته إلى نغمات الحداء، وهي مسرعة في
خطوها وجادة في سيرها، وربما تتلف نفسها من شدة السير وثقل الحمل،
وهي لا تشعر، تأثراً بما ملأها من طرب وهيام، كما أنه قد ينشأ عن كثرة
اهتزازها، وتلاحق خطواتها ما يزعج الراكب، ويتعبه، وما لا يؤمن معه
على النساء والضعفاء من السقوط.

مختارات من مجلة الأزهر - المجلد الحادي والعشرون - ١٣٦٩هـ، ص ٣٩٣.



والسقوط، ولأنه إذا تمهلت المطايا، ومشت رويدا، اطمأن النساء في رحالهن، وأمن مما يصيبهن من أذى ومكروه. وقال أصحاب هذا القول: إن هذا من الاستعارة البديعة، لأن القوارير أسرع شئ تكسيرا، فأفادت الكناية بالقوارير عن النساء من الحظ على الرفق بهن في السير ما لم تفده الحقيقة، فيما لو قال: ارفق بالنساء. قال في الكواكب: هذه استعارة لطيفة بليغة، فلم تعاب؟ ثم قال: ولعل أبا قلابة نظر إلى أن شرط الاستعارة أن يكون وجه الشبه جليا بين الأقوام، وليس بين القارورة والمرأة وجه شبه ظاهر عندهم. والحق أنه كلام في غاية الحسن، والسلامة من العيوب، ولا يلزم في الاستعارة أن يكون جلاء وجه الشبه من حيث ذاتهما، بل يكفي الجلاء الحاصل من القرائن، وهو هنا كذلك.

وقيل: إن أبا قلابة قال هذا لأهل العراق، لما كان عندهم من التكلف، ومعارضة الحق بالباطل. وقيل: إن قصده من كلامه أن هذه الاستعارة تحسن من مثل رسول الله ﷺ في البلاغة، ولو صدرت من غيره ممن لا بلاغة له لعبتموها.

الحداء: سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، وهو من حدا الإبل، وحدا بها: ساقها، والحادي: المتغنى عند السوق. ويقال: إن أول من حدا الإبل عبدالمضر بن نزار ابن معد بن عدنان، كان في إبل مضر، فقصر، فضره مضر على يده فأوجعه، فجعل يتألم ويقول: يا يداه، يا يداه! وكان حسن الصوت، فأسمرت الإبل في السير لما سمعته، فكان ذلك مبدءا للحدا.

وكان النبي ﷺ في بعض أسفاره، ومعه نساؤه وسواق يسوق بهن ويحدو، يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له ﷺ: «أرفق يا أنجشة بالقوارير». وقد سمي النساء قوارير، لضعف عزائمهن، تشبيها لهن بالقوارير من الزجاج في رقتها وضعفها وإسراع الانكسار إليها، والنساء يُشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية، وقيل: شبههن بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا، وقلة دوامهن على الوفاء؛ كالقوارير يسرع إليها الكسر، ولا تقبل الجبر.

واختلف في المراد من هذه التسمية على قولين: فأصحهما أن أنجشة كان حسن الصوت، وكان يحدو بهن وينشد شيئا من القريض والرجز، وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن، ويقع في قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك؛ وهذا هو الأشبه بمقصوده ﷺ، وبمقتضى اللفظ، وبما يدل عليه كلام أبي قلابة المذكور في رواية أخرى، إذ يقول: تكلم رسول الله ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضهم لعبتموها عليه، يريد قوله في تلك الرواية: سوقك بالقوارير.

والقول الثاني: أن المراد من تسمية النساء بالقوارير: الرفق في السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحدا، اشتدت في المشي، واستلذته، فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك، وطلب إليه أن يتطلف في سوقه بهن، كتطلفه في السوق، بالقوارير لو كانت محمولة على الإبل؛ لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة، ويخاف عليهن الضرر



والقوارير: جمع قارورة، وهى الزجاجية، وسميت بذلك لاستقرار الشراب فيها.

نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، وفى كلام بعض الحنابلة ما يشعر بوجود خلاف فيه، والمانعون له محجوجون بالنصوص الكثيرة المفيدة لمدح الصوت الحسن، ومشروعية الحداء، وذلك مثل قوله تعالى فى معرض الامتنان على عباده:

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾^(١)، فقل إنه هو الصوت الحسن، وقوله:

﴿إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٢).

فإنه يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن؛ ومثل خبر: «مابعث الله نبياً إلا حسن الصوت»، وخبر أبى موسى الأشعرى فى معرض المدح: «لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود» ومثل حديث أنس: «أن النبى ﷺ كان يحدى له فى السفر، وأن أنجشة كان يحدو بالنساء، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال». وقال أهل العلم: لم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله ﷺ، وزمان الصحابة - رضى الله عنهم - وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال، وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم

وأرفق: من الرفق، وهو اللطف وحسن الصنيع، يقال: رفق به وعليه رفقا، وأرفقه: رفق به ونفعه. وترفق به: رفق، والرفيق: ضد الآخر.

وأنجشة - بفتح الهمزة، وسكون النون، وفتح الجيم، ووقع فى بعض الروايات أنجش بالترخيم - هو غلام أسود للنبى ﷺ، وكان حبشياً يكنى أبا مارية، وذكره فى الصحابة، وذكر أبو عمر فى الاستيعاب أنه كان يسوق أو يقود بنساء النبى ﷺ فى عام حجة الوداع، وكان حسن الصوت، وكان إذا حدا أعنقت الإبل، وأخرج الطبرانى أنه كان ممن نفاهم النبى ﷺ من المخنثين.

ويحك: كلمة ترحم وتوجع، وهو منصوب على المصدرية، وقد ترفع وتضاف، ولا تضاف، يقال: ويح زيد، ويحا له، ويوح له. وقال سيبويه: ويل: كلمة تقال لمن وقع فى هلكة، ويوح: زجر لمن أشرف على الوقوع فى هلكة، وقال الفراء: ويل ويوح وييس بمعنى، وقيل: ويح: كلمة لمن وقع فى هلكة لا يستحقها، فيرثى له، ويترحم عليه، ويويل: ضده. وقال بعض أهل اللغة: لا يراد بهذه الألفاظ حقيقة الدعاء، وإنما يراد بها المدح والتعجب وجاء فى القاموس أن ويح أصلها وى، فوصلت بحاء مرة، فقيل: ويح، وبلاد مرة، فقيل: ويل، وباء مرة، فقيل: ويب، وبسين مرة، فقيل: ويس.



مستلذ، مؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة.

وألحقوا بالحداء فى الحكم غناء الحجيح، وهو المشتمل على التشويق إلى حج بيت الله - تعالى - بذكر الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر الكريمة، والمشاهد العظيمة، ووصف البادية وغيرها، ووصف الثواب على ذلك، والغناء الذى يحرض به أهل الجهاد على الغزو، إذا كان الغرض منه تشجيع النفوس، وتحريك النشاط على القتال، والتمدح بالبسالة والنجدة، وإثارة الهمة والحمية، وغناء الأم لتسكيت ولدها فى المهد، والغناء فى أوقات السرور إن كان ذلك السرور مباحا، كالغناء فى أيام العيد وفى العرس، وفى وقت قدوم الغائب، وفى وقت الوليمة والعقيقة، وعند ولادة المولود، وعند ختانه، وعند حفظه القرآن العزيز.

واستدل بجواز الحداء على جواز غناء الركبان المسمى النصب، وهو ضرب من النشيد بصوت فيه تمطيط، واستدل به قوم على جواز الغناء مطلقا بالألحان التى تشتمل عليه الموسيقى. وقال الماوردى: اختلف فيه، فأباحه قوم مطلقا، وكرهه قوم مطلقا، وكرهه مالك والشافعى فى أصح القولين. ونقل عن أبى حنيفة المنع، وكذا أكثر الحنابلة. ونقل ابن طاهر فى «كتاب السماع» الجواز عن كثير من الصحابة. وقال ابن عبد البر: الغناء

المنوع ما فيه تمطيط، وإفساد لوزن الشعر، طلبا للطرب، وخروجا من مذاهب العرب، وإنما وردت الرخصة فى الضرب الأول دون ألحان العجم، وهو الضرب الذى لم يزل يرخص فيه البعض من غير تكثير، إلا فى حالتين: أن يكثّر منه جدا، وأن يصحبه ما يمنع منه.

واحتج المبيحون له بأن فيه ترويحاً للنفس، فإن فعله صاحبه ليقوى على الطاعة فهو مطيع، وإن فعله ليقوى على المعصية فهو عاص، وإلا فهو مثل التنزه فى البستان، والتفرج على المارة.

وقال الغزالى: الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها، ثم عن مجموعها، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى، محرك للقلب، فالوصف الأعم أنه صوت طيب، ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات، وسائر الحيوانات؛ أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب، فلا ينبغى أن يحرم، بل هو حلال بالنص والقياس، ثم أخذ فى بيان ذلك، وبيان شروط الإباحة وظروفها، وأوقاتها ودرجاتها وملاساتها، وأطال بما لا يتسع المجال لذكره هنا، فلينظر هناك.

النهج

الإسلامي

في

الحوار

لفضيلة الشيخ

محمود عبد الغنى عاشور

وكيل الأزهر الشريف

لقد أسس الإسلام منهجا متكاملا للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة فقد قرر اختلاف الناس، والأجناس وقن هذا الاختلاف وربط المسلمين مع سائر البشر على اختلاف انتماءاتهم الحضارية برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشرى، وألزم المسلمين بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم ونشر الخير بين الجميع ومع الجميع بصرف النظر عن دينه، أو جنسه، أو لونه. فقال سبحانه عز من قائل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (١).

فالحوار بالنسبة للمسلمين فريضة واجبة وضرورة شرعية فرسالة الإسلام ودعوته عالمية لا تختص بجنس، أو لون، أو عرق، ولا بلد بعينه، والخطاب القرآنى يتوجه فى الكثير من آياته إلى البشر جميعا. يؤكد على الإخاء الإنسانى والتعايش السلمى ويستهدف خير الإنسانية وتقدمها وغناها. وينطلق هذا من وحدة الأخوة الإنسانية ويتأكد فى قول المولى سبحانه :

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسٰى وَعِيسٰى وَالنَّبِيُّوْنَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

فالإسلام يفرض التواد والتعارف والعدل مع المختلفين معه فى الدين طالما هم يسالمون المسلمين ويعيشون معهم فى حوار طيب يقول الله - تعالى :

(٢) آل عمران (٨٤).

(١) الحجرات (١٣).

بدعوة التوحيد . ونادوا بالإيمان بالله وبعبادته وحده لا شريك له وإلى الإيمان بوجود الملائكة وبالأنبياء السابقين . ودعوا الناس إلى فعل الخيرات وترك المنكرات واجتناب الشرور والتمسك بالقيم الفاضلة وهذا كله ما تضمنته كلمة « سواء » التى دعا إليها القرآن الكريم فى قول الله سبحانه :

﴿ قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ۖ ﴾ (٥) .

فمبدأ الحوار مع الآخر قد أمر به القرآن الكريم كما نصت هذه الآية الكريمة على سبيل الوجوب أحيانا إذا كان يتصل بواجب شرعى فيكون من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد يكون على سبيل النذب أحيانا أخرى كوسيلة من وسائل التعرف على الغير ومدخل من مداخل الدعوة إلى الله .

وقد تحقق ذلك فعلا وواقعا فى حياة الرسول ﷺ على المستوى النظرى الوارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . كما تحقق على مستوى التطبيق العملى على يد الرسول ﷺ وبأمره لصحابته .

فعلى المستوى النظرى نجد القرآن الكريم يأمرنا بالحوار مع أهل الكتاب وفتح الجسور معهم خلال الحوار الهادف إلى بيان الحق وتوضيحه ودعوتهم إليه حرصا على تحقيق الخير النافع للإنسان كما ورد فى الآية السابقة .

وفى مستوى تعليمى من مستويات الحوار يقول لهم :

﴿ لَا يَهْدِيكُمْ اللَّهُ عَنْ الدِّينِ لَمْ يَقُولُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۖ ﴾ (٦) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا لَكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۖ ﴾ (٣)

فالناس جميعا أمام شرع الله سواء، فلم يفرق الإسلام بين مسلم وغير مسلم فى مجال المعاملات وبالذات فيما يختص بالعقوبة المترتبة على الجرائم، والقاعدة العظيمة التى نادى بها الإسلام فى التعامل مع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى هى : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » . ويقول سبحانه فى شأن المعاملات التجارية :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ ﴾ (٤)

فهذا النهى عن أكل أموال الناس بالباطل عام يشمل المسلمين وغير المسلمين .

وإن دينا هذا شأنه يعطى للآخر حقوقا مثل ما لأتباعه، بل إن الآخر له حقوق مقدسة مصونة فى مجتمع الإسلام وبين المؤمنين به، لهو دين يدعو إلى الحوار والوصول إلى تفاهم مشترك وتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فهو يؤكد أن دعوة الأنبياء جميعا واحدة، وأنهم جميعا جاءوا

(٤) البقرة (١٨٨) .

(٣) المتحنة (٨، ٩) .

(٥) آل عمران (٦٤) .



﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٦).

ومن المعلوم تاريخيا أن التوراة والإنجيل إنما نزلتا بعد إبراهيم - عليه السلام - فليس من المتصور عقلا أن يكون عند اليهود علم يقيني عن إبراهيم فيعتقدون صحته أو خطئه فكيف يجادلون في أمر ليس لهم به علم؟

وقال تعالى:

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٧).

ثم يأمرنا القرآن الكريم بمراعاة المستوى العقلي والحضاري للحوار مع الآخر فليس الهدف منه مجرد إقناع الخصم أو التغلب عليه وإنما هو حوار بالحكمة والموعظة الحسنة. وجدال بالتي هي أحسن وينهى القرآن بأسلوب صريح واضح لا يحتمل التأويل بألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن. وإلا تحمل الإنسان كرها على اعتقاد أمر لا يقوم دليل على صحته ولا برهان على صدقه فلا إكراه في الدين. وروح القرآن الكريم تسرى بين آياته على هذا النحو في أسلوب الحوار ومقاصده وأهدافه. ولا بد أن يكون ذلك مشمولاً ومحروساً بقلب لين هين ولسان

رطب عذب الكلمات حتى يؤتي الحوار ثمرته ويصل إلى تحقيق مقاصده ويجسد القرآن الكريم هذا المعنى في خطابه للرسول ﷺ في قوله:

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَقُصُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٨).

وفي هذا المستوى التعليمي ينبهنا القرآن الكريم إلى قضية على جانب كبير من الأهمية في ترقيق القلوب وترويض العقول. فلا نغمر أصحاب الحقوق حقهم حتى ولو كانوا يدينون بغير ملتنا ذلك أن الحق أحق أن يتبع، وأولى الناس بذلك أصحاب الدعوات والمبادئ فالقرآن الكريم في حديثه عن أهل الكتاب يفرق بين نوعين منهم فإذا كان فيهم الظالم والمكابر والمعاند فإن فيهم أيضا المنصف والعادل وأصحاب المروءة والحريص على الوفاء بالوعد فلا ينبغي أن تصدر حكما عاما يشمل الظالم والعادل والمنصف وصاحب الهوى.

قال تعالى:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۚ مِمَّنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١٣ يَوْمِنُوكَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَا أَمْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٩).

(٧) سورة الكافرون.

(٦) آل عمران (٦٥).

(٩) آل عمران (١١٣، ١١٤).

(٨) آل عمران (١٥٩).





وقال في آية أخرى:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُودِعْ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِعْ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ (١٠)

هذه آيات نتعلم منها معالم المنهج القرآنى فى الحوار مع الآخر فلان غمطهم حقهم إذا كان لهم حق فى ذلك كما قال سبحانه:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ تَتَّخِذُوا أَعْدِلُوهُ أَوْ قُرْبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (١١).

هذه معالم عامة ترشدنا إليها آيات القرآن الكريم لنتخذها مبادئ حوارنا مع الآخر على مستوى الفكر والكلمة.

أما على المستوى التطبيقي العملى نجد أن حياة الرسول ﷺ كانت المثل والقُدوة فى رسم معالم هذا المنهج فى التعامل مع الآخر نصرانياً كان أو يهودياً أو مجوسياً.

حيث كان ﷺ يوضح فى أمره أو نهيه أو فعله المعنى المقصود لأصحابه والهدف المنشود من التعامل مع الآخر والحوار معه ومن الثابت تاريخياً أن أول هجرة للمسلمين من مكة طلباً للحماية وأملاً فى الجوار الآمن كانت إلى الحبشة وكان ملكها النجاشى نصرانياً وأوضح الرسول ﷺ لصحابته المعنى النبيل الذى اختار الهجرة الى الحبشة على أساسه فقال لصحابته إذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، فإن العدل

الذى افتقده المسلمون الأوائل فى مكة جعلهم يطلبونه عند النجاشى النصرانى هرباً من الظلم الذى حاق بهم.

هذا الموقف يعد نموذجاً لكيفية التعامل مع الآخر لأن الطرفين كان الحق رائدهما والهدف النبيل غاية لهما.

ومن الثابت تاريخياً أن الرسول ﷺ قد اتخذ له دليلاً فى هجرته إلى المدينة هو عبد الله بن أريقط ولم يكن مسلماً.

وأنة قبل هدية المقوقس عظيم القبط فى مصر وكانت هذه الهدية هى «مارية القبطية» ولم يرفض الرسول هذه الهدية بدعوى أنها جاءت من غير مسلم بل تقبلها قبولاً حسناً وأوصى بأقباط مصر خيراً.

إذن فالحوار كما أسلفنا إما أن يكون عملياً كما حدث مع الرسول ﷺ وإما أن يكون نظرياً كما جاء به القرآن أو حوار يعتمد على التعرف على الثقافات والحضارات الأخرى من خلال الدراسات والبحوث والكتب المعتمدة، وفى الوقت الذى كانت فيه حروب سميت خطأ الحروب الصليبية كان هناك حوار ثقافى لم ينقطع. وقد كانت الأندلس هى حلقة الوصل بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية وأسهمت إسهاماً عظيماً فى توصيل الحضارة الإسلامية إلى الغرب.

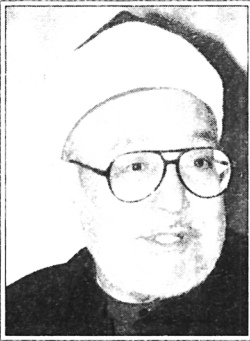
وفقنا الله وإياكم لما فيه خير الإنسانية وسعادتها.



الإسلام قضية عادلة في يد محام فاضل والمدعون عليه مزورون

للمستاذ الدكتور / عبد العظيم الطعنى

١



للصلاة خلفه وسماع خطبه القيّمة. وأقسم بالله أن بعضنا كان يسير عدة كيلومترات على قدميه ذاهبا إلى المسجد - أى مسجد - يكون خطيب الجمعة فيه هو الشيخ محمد الغزالي الداعية

المخلص، الغزير العلم، الصادق القول، الأدبى الأسلوب، القوى الحجة، الرفيع البيان.

ولم يكن همنا أن نسمعه متحدثا فحسب، بل أن نراه وهو يتحدث، ونرى إشاراته وتوزيع نظرتة على جمهور المصلين.

ولذلك كنا نذهب إلى المساجد التي يخطب فيها مبكرين لم يدخلها أحد قبلنا، فنجلس أمام المنبر، حتى لا يكون بيننا وبينه أحد، وكنا نجد متعة روحية، نتخذ منها زاداً لقلوبنا طيلة الأسبوع، لما فى خطبه من غذاء يثلج الصدر، وله

شيخنا الجليل الإمام محمد الغزالي - رحمه الله - كان داعية ملهما، استل قلمه ولم يخمدته فى خدمة الدعوة حتى أتاه اليقين. وقدّر الله - ونعم ما قدّر - أن تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها، وهو يناصر الإسلام ويرد زيف المتطاولين عليه، من الكارهين لما أنزل الله وأن مثواه فى مدينة «النور» مع النبی ﷺ والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

وكنا - ونحن طلاب صغار - فى الأزهر الشريف، فى الخمسينيات من القرن العشرين الميلادى. كنا شديدي الحرص على سماع خطبه ومحاضراته العامة، وعلى قراءة مقالاته وكتبه، لا يفوتنا منها شئ، حتى فى الأجازات الصيفية حين يعود الكثير منا إلى مسقط رأسه فى القرى، كنا نكلف المقيمين منا فى القاهرة، أن يكتبوا لنا ملخصات وافية عن موضوعات خطبه ومحاضراته، وأن يبعثوا بها إلينا ونحن ناءون عن القاهرة. وكان يوم الجمعة من أحب الأيام إلينا



بحة صوت شجية أسرة للأسماع. إنه -رحمه الله- كان حسنة من حسنات القدر الإلهي الحكيم.

وكان له -رحمه الله- عبارات حكيمة، تبدر منه، وهو يخطب أو يحاضر، تبدر منه تلقائياً، ومن تلك العبارات ما نحفظه كما سمعناه منه مباشرة حتى الآن، منها عبارة قالها وهو يخطب فوق منبر مسجد «الثورة» في الزمالك، وكان موضوع الخطبة - فيما أذكر- أن يعامل المسلمون خصومهم بالمثل. قال يخاطب أولئك الخصوم الذين كانوا يناصرون الإسلام العداء في الغرب:

«اعترف لي بحقي في الحياة.. أعترف لك بذلك الحق، أُمْنِي على حاضري ومستقبلي لا أجدُ باعثاً على معاداتك».

ومنها عبارة قالها في ظاهرة الإعراض عن التفقه في الدين.

«لو قرأ المسلمون في فقه دينهم مثلما يقرأون الصحف السيارة، والمجلات، لكانوا في مصاف الأئمة الأربعة الكبار، أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد».

ومنها العبارة التي اخترناها عنواناً لهذا الحديث، وهي:

«الإسلام قضية عادلة، في يد محامٍ فاشل» وهي عبارة ذات مغزى عميق، صادرة عن تجارب مريرة، ناتجة عن أوضاع المسلمين في هذا العصر.

أما العبارة الثانية: «والمدعون عليه مزورون» فقد أضفناها من عندنا، مبالغة في فشل المحامي الذي أُبتلى به الإسلام، ليكون مدافعاً عن قضيته وهو عاجز عن الدفاع عنه، مع عدالة القضية وتزوير المتهمين لها.

الشيخ الغزالي قال هذه العبارة منذ زمن وعلى طول هذا الزمن، فإن المحامي عن قضية الإسلام يزداد فشلاً يوماً بعد يوم، ولم يطرأ على قدراته أى تحسن للأسف الشديد.

والمقصود بـ «المحامي الفاشل» في عبارة الشيخ الغزالي هو العالم الإسلامي كله -عرباً وغير عرب- فهو لا يريد فرداً ولا أفراداً معينين، لا علماء ولا أمراء بل يريد الأمة كلها، بكل شرائحها وشعوبها، وأجناسها وبيئاتها.

تُرى: هل كان الشيخ الغزالي مبالغاً في هذه العبارة، أو ظالماً لأمته، متحاملاً عليها؟ أم هو صورّ الواقع كما هو، بدون «رتوش» ولا «خدوش»؟

وفي التمهيد للحكم على عبارة الشيخ الغزالي نذكر أنه لم يكن «أوحدياً» في إدانة العالم الإسلامي في إساءاته للإسلام بوجه عام، فقد سبقه بعض كبار الدعاة إلى إعلان هذه الإدانة: فالإمام جمال الدين الأفغاني له عبارة مأثورة في هذا المجال، قال فيها:

«إن أكبر خدمة يقدمها المسلمون للإسلام، هي أن يبرهنوا للغرب أنهم ليسوا مسلمين».

يريد: أن انتساء المسلمين للإسلام، مع ترك العمل به، إساءة بالغة للإسلام. وقد صدق رحمه الله، فالغرب -الآن- يعزو ضعف المسلمين وتخلّفهم للإسلام نفسه؟

وللشيخ محمد عبده -تلميذ جمال الدين الأفغاني- عبارة مأثورة تقرّر ما قاله جمال الدين. قالها حين سافر إلى الغرب فرأى النظام الباهر، والعمل الدؤوب، والحرص على استثمار المتاح من





ذكرنا من قبل، فجاء تشبيهه للأمة في خذلانها لدينها بالحامى الفاشل أو الخائب، الذى لم يستفد فى دفاعه عن قضية الإسلام بقوة عدالة هذه القضية، مضموماً إلى عدالتها أن خصومها الذين رفعوا دعاوهم ضدها مزورون كذبة، كما نلمح فى هذا التشبيه البليغ معنى آخر قصده الشيخ - رحمه الله - ليحدد - بكل دقة - ما يريده من عبارته الحكيمه.

فالحامى طبيعة عمله أن يكون فى ساحات القضاء وسلاحه هو «الكلمة» القائمة على قوة الحجة وقطع البرهان، وغايته هى الزام العقل وإقناعه بالحق الذى يدافع عنه.

ثم بيان ما فى دعوى الخصوم من زيف وبطلان وليست مهمة «الحامى» هى حمل السلاح المادى من أى نوع كان.

هذا ما كان يتصوره الشيخ الغزالي وهو يصوغ هذه العبارة الحكيمه، فهو إذن لم يرد ضعف الأمة العسكرية فى ميادين القتال؛ لأن الأمة قد يلتبس لها ألف عذر وعذر فى ترك المواجعة العسكرية، وليس لها مثقال ذرة من عذر فى تركها الدفاع عن الإسلام بوضوح الدليل، وقوة البرهان، لأن وضوح الأدلة، وقوة البراهين أمور هى من صنع الله - عز وجل - أودعها فى كتابه، وفى قيم دينه ومبادئه ومقاصده، ساحقة لكل باطل، قاهرة لكل عناد ومكابرة.

أما السلاح المادى المعروف فهو من صنع البشر «الأمة» يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها، بقدر ما تكون صلتها بالإسلام.

الطاقات، ومنها المحافظة على الوقت. تقول تلك العبارة:

«جئت من الشرق، وتركت فيه مسلمين بلا إسلام، وحللت فى الغرب، ووجدت فيه إسلاماً بلا مسلمين»!

يريد أن الناس فى الشرق ينتسبون إلى الإسلام انتماء اسمياً «صورياً» لا واقعياً يبدو على أقوالهم وسلوكياتهم.

أما المجتمع الغربى - وإن لم تكن عقيدته ونظمه إسلامية فعمله وسلوكه فى فقه الدنيا، عمل إسلامى.

والعبارات التى قالها الأئمة الثلاثة شكوى مرة من إعراض المسلمين عن العمل بمبادئ دينهم وتوجيهاته، على المستوى الفردى، والمستوى الجماعى، إلا من عصم الله، حتى صارت أوضاعهم فتنة لغير المسلمين، تدعوهم إلى وصف الإسلام بكل النقائص والعيوب. والسبب هو حال المسلمين، فى عدم انتفاعهم بالإسلام، مع قرب الإسلام منهم، وعليهم يصدق قول الشاعر:

كالعيس فى الصحراء يهلكها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

والمعنى الذى أراده جمال الدين فى عبارته مستمد من القرآن الكريم، وهو من دعاء أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١)

وبعد هذا التمهيد أتوقع موافقة القراء على أن شيخنا الغزالي لم يتجاوز الحقيقة فى عبارته التى

(١) للمتحنة (٥).



الأول : حسنات للإسلام سلبها خصومه عنه، ونسبوها إلى حضارتهم زوراً وبهتاناً مع أن الإسلام هو الذى جاء بها، فى كتاب الله العزيز، وفى سنة رسوله الكريم ﷺ، وفيما انبثق عن هذين المصدرين من قيم ومبادئ، وتوجيهات وإرشادات، هى واقع الإسلام كله :

عقائد، وعبادات، وتشريعات، ومعاملات وأخلاق تنتظم كل أنشطة الحياة الراقية المهدبة .

الثانى : مساوئ وعيوب نسبوها للإسلام . والإسلام برىء منها، براءة الشمس من لون السواد .

فمن محاسن الإسلام الخالدة، التى استلبتها الحضارة الغربية، ونسبتها إلى منجزاتها المعاصرة، تحرير الرقيق، وتقرير الحريات الشخصية، وأن الإنسان ليس له سيد إلا الله - عز وجل .

هذا المبدأ أقره الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وحين أقر الإسلام هذا المبدأ العظيم لم يكن للغرب، ولا لحضارته وجود . وكان الإسلام حكيماً كل الحكمة فى مواجهة هذه الظاهرة البغيضة لأنه واجهها على مراحل، وبالتدريج، فلم تنزل آية، أو آيات، تحرم استمرار « الرق » دفعة واحدة، لأنه لو حدث هذا لوقعت أضراراً جسيمة بالكي العبيد، حيث كانت هذه الظاهرة تمثل ركناً عظيماً فى النظام الاقتصادى، والموارد المالية فى حياة الناس، لذلك هادنها الإسلام فى أول الأمر، ثم أصدر تشريعات على مراحل تعمل على تصفية تلك الظاهرة، شيئاً فشيئاً، حتى

فالمسلمون لم يصنعوا الإسلام، ولكن الإسلام « صنع الله » وصانه - باعتباره قيماً ومبادئ ومقاصد - من أى هزيمة تلحق به، أليس هو القائل فى وصف دينه :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ ﴾ (٢) .

والإظهار هو الانتصار، فليس الإسلام عرضة للهزيمة ولو تصدت له كل النظم والأيدىولوجيات أياً كان منزعها . بل هو قادر على دحرها وإظهار ما فيها من « زيوف » فلا يبقى أمامه منها شىء ولو خاصمه من فى الأرض جميعاً، وكان بعضهم لبعض ظهيراً .

ضعف الأمة فى مناصرة الإسلام بـ « الكلمة » هو ما كان يعنيه الشيخ الغزالي بعبارته تلك . وإن كان ضعفها فى الدفاع عنه وعن حرمانه فى ميادين القتال، لم يغيب عنه - رحمه الله - باعتبار أن هذا الضعف، سمة من سمات فشل الأمة، التى شبهها الشيخ بالمخامى الفاشل .

وها نحن أولاء نقصر حديثنا على هذا الجانب الذى أراده شيخنا - رحمه الله - لأن الأمة ليس لها عذر مقبول فى هذا الفشل المتعلق بهذا الجانب .

ونحدد - أولاً - المجالين اللذين أصاب الأمة الفشل فيهما، فى الدفاع عن الإسلام بالكلمة ونصاعة الدليل، وقوة البرهان . وذانك المجالين هما :

(٢) التوبة (٣٢)، الفتح (٢٨)، الصف (٩) .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ (٤)

جعل عتق الرقاب صورة من صور كفارة الظهار، كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ (٥).

● جعل عتق الرقاب إحدى صور كفارة اليمين بالله. وفي ذلك نزل قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُ بِهِ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (٦).

جعل عتق الرقاب من فضائل الأعمال التي تنفع صاحبها في الدار الآخرة، ترى ذلك في قوله تعالى:

﴿فَلَا أَقْنَمُ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (١٢) ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾ (٧).

● جعل عتق الرقاب إحدى صور كفارة من أفطر عمداً في نهار رمضان كما جاء في حديث الذي واقع أهله وهو صائم (٨).

● إذا وطئ المالك أُمته فولدت منه حُرْم عليه الإسلام بيعها. وتصبح حرة بعد وفاته.

لأضرار طرف على آخر من ملاك العبيد والإماء، فلم يهملها الإسلام كل الإهمال، ولم يصدر تشريعاً دفعه واحدة لاجتثاث هذه الظاهرة من الوجود.

لأنه لو حدث الأول (الإهمال) لأضر بحقوق المملوكين. ولو حدث الثاني (الاجتثاث السريع) لأضر بحقوق مالكي العبيد ولأحدث خللاً فظيعاً في الاستقرار الاقتصادي المالي، والمال عصب الحياة كما يقولون.

لم يفعل الإسلام هذا ولا ذاك، لما في كل منهما من أضرار وإنما نهج نهجاً هو العدل كله، والحكمة كلها. الذي فعله الإسلام هو تصريف ما تراكم من هذه الظاهرة، ثم إحصاء الأبواب في وجوها ولم يسمح بتجدد أية حالة منها.

● فقد جعل الإسلام لتحرير الرقاب سهماً من أسهم الزكاة الثمانية. والزكاة ركن مالى عملى من أركان الإسلام:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُفَةُ فُلُوبِهِمْ فِي الرِّقَابِ﴾ (٣).

أى على ولى أمر المسلمين، أن يخصص جزءاً من ثمانية أجزاء، يوظفه فى شراء العبيد من مالكيهم ثم يرسلهم أحراراً.

● جعل عتق الرقاب إحدى صور كفارة القتل الخطأ وتكرر ذلك مرات فى قوله تعالى:

(٤) النساء (٩٢).

(٦) المائدة (٨٩).

(٨) رواه الشيخان.

(٣) التوبة (٦٠).

(٥) المجادلة (٣).

(٧) البلد (١١:١٣).

وما صنعتته منظمة الدول المتحدة انتصار للإسلام على كل الحضارات والأيدولوجيات، وليس قدحاً فيه لأن في ذلك اعتراف ضمنى من حضارات الغرب بالإسلام وتشريعاته، حيث نادى هذه الحضارات وأقرت ما قرره الإسلام منذ مئات السنين. وكون مفكرى الغرب وسياسييه وكتابه ينسبون هذا «الرقى» إلى حضاراتهم فهذه سرقة بالإكراه وسلب لمحاسن الإسلام ومزاياه.

وقد عجزت الأمة «المحامى الفاشل» عن استرداد هذا الحق الإسلامى من مخالب ناهبييه، مع سهولة إجراءات استرداده، وسكتوا عنه تفريطاً فيه واستهانة به.

وكان من الممكن إلزام حضارة الغرب، ومجتمعاته بصدق الإسلام وعلو مصدره، لو تحولت الأمة إلى «محام ناجح» وطريق هذا التحول ميسور؛ فالإسلام سلاح لا يُهزم من يستعمله بكفاءة وبصيرة. فهُزموا وهم قادرون على أن يكونوا منتصرين. وهذا عيب قبيح، وكأننى أقول: إن الشاعر القديم كان يعنيه بقوله:

ولم أرفى عيوب الناس عيباً

كنقص القادرين على التمام

«يتبع»

● حث القرآن القادرين من المسلمين على مساعدة العبيد فى تحرير رقابهم من مالكيهم، وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ﴾ (٩).

إلى غير هذا من الإجراءات والمنافذ، التى شرعها لتصفية ظاهرة الرق والاستعباد، والإسلام غير مسئول عن وجود ظاهرة الرق ولا عن نموها وانتشارها، لأنه جاء والظاهرة موجودة بكثرة فى الحياة، فرسم المنهج القويم للتخلص منها وإعدامها تماماً.

حدث هذا من القرن الأول الهجرى السابع الميلادى.

ولم يسمح الإسلام بنشوء حالة واحدة من الرق. لكن ضعف المسلمين -بعد القرون الأولى- لم يمكنهم من منع استمرارها بين الناس بقرار تنفيذى «إدارى» حاسم.

أما ما فعلته منظمة الأمم المتحدة فهو المنع بقوة القانون، ولا دخل لها ببعد النظر فى تحريم الظاهرة، ولا فى سبب تحريمها أصلاً، ولا فى حكمة التشريع فيها، فهذا كله عمل إسلامى خالص، لم يشاركه فيه أى نظام وضعى، أو نظام له أصل واهٍ، بوحي السماء.

واجبات المسلمين في غير أوطانهم

د. أيمن محمد الدكتور أحمد عمر هاشم

الإسلام دين عالمي، اشتملت تعاليمه على قوانين السعادة دنيًا وأخرى.

وأريد أن أوضح أهم واجبات المسلمين في خارج أوطانهم، حيث يوجدون في بلاد غريبة أو أجنبية عن بلادهم الإسلامية ويطالعون في أولويات واجباتهم إن كانوا صورة مشرفة لدينهم.

إذ أن غير المسلمين في المجتمعات الأوروبية والأجنبية لهم نظرتهم لما يأتيه الإنسان تخالف نظرة الإنسان المسلم أو المسلمين في مجتمعاتهم. فعلى سبيل المثال، لو أخطأ إنسان في بلده الإسلامي مثلاً، يقولون فلان بن فلان فعل كذا، ولكنه حين يخطئ خارج وطنه أو يأتي أمراً غير كريم لا يقولون فلان ولا يعرفون اسمه، ولكن يقولون هذا مسلم، هؤلاء هم المسلمون، فمن أجل ذلك كان سلوكنا في أوطان غير إسلامية معبراً عن ديننا وعقيدتنا.

ولا تتمثل هذه الصورة الكريمة إلا بالسلوك الكريم وبخلق العظيم الذي حثنا عليه الإسلام والذي دعانا إليه، وطالما ترامت بعض الأخبار في الصحف أو في الكتب، أو في أحاديث الناس في المجتمعات الأجنبية، وانتشرت دعاوى عن الإسلام لا يقولون إن المسلمين متشددون أو مخالفون لعقيدتهم، ولكن يقولون إن الإسلام دين متشدد، دين دموي، كيف؟ لأنهم شاهدوا بعض ممارسات من بعض أشخاص لا يمثلون الإسلام يحكمون بها على الإسلام.

أبداً العكس صحيح، فالإسلام دين رحمة وجوهر رسالته الرحمة نقد لخص الله - تعالى - وركز وأوجز رسالة سيدنا محمد ﷺ في كلمة واحد، حينما قال:

فمن الواجب أن نتحمل الصعرة المثلى، فإن الإسلام قد انتشر في مجاهل الأرض وأفريقيا لا بالكلام ولا بالوعظ ولا بالإرشاد فحسب وإنما انتشر بالسلوك والقُدوة الحسنة.

وتأثير الإنسان الواحد بسلوكه في مائة

أبداً العكس صحيح، فالإسلام دين رحمة وجوهر رسالته الرحمة نقد لخص الله - تعالى - وركز وأوجز رسالة سيدنا محمد ﷺ في كلمة واحد، حينما قال:

ولم تكن وسائل المواصلات سوى الرواحل والأنعام والدواب فحين قال :

﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

لا كانت السيارة ولا الطائرة ولا الصاروخ، ولكنه قال :

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

واتضح هذا بعد حين.

ويظل قوله : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

يتلوها أولادنا وأحفادنا وأحفاد أحفادنا، فيكتشفون الجديد في الحياة وتطالع عالمنا بالجديد والجديد مصداقاً لقول الحق ومصدقا لنبوءة أشرف الخلق ﷺ.

إنه ليس دينا دمويا ولا يقر عنفاً ولا إرهاباً ولا قتلاً ولا عدواناً على النفس الإنسانية بأى حال من الأحوال حتى فى القصاص، لقد جعله الإسلام فى يد ولى الأمر حتى لا تكون الحياة فوضى ولننظر إلى رسولنا ﷺ وهو يطوف بالكعبة المشرفة قائلاً « ما أعظمك وما أعظم حرمتك وما أطيبك وما أطيب ريحك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك دمه وماله وعرضه » (٦).

وحين ترمى إليه نبال الصحابي الذى قتل

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

فكيف يدعى على دين جوهر رسالته الرحمة وما بعث رسوله إلا لينشر الرحمة فى ربوع الدنيا بأسرها، كيف يقال إنه دين متشدد وأنه دين غير حضارى وأنه دين يخالف العلم، وأولى آيات الوحي الإلهي التي صافحت قلب خاتم الأنبياء والمرسلين هي دعوة للعلم والحضارة :

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٢).

دعوة للعلم والقراءة والحضارة والتقدم، من أجل ذلك كان علينا أن نتمثل فى سلوكنا وفى تصرفاتنا وفى أقوالنا وفى أفعالنا الصورة المثلى لديننا الخفيف حتى لا نظلم هذا الدين وحتى لا يحكم عليه من خلال سلوك البعض ممن أخطأ فيحكم بذلك على الإسلام نفسه ويقال إنه دين غير حضارى أو إنه دين متشدد وإنه دين عنف، وكل هذا لا يمثل الدين فى شيء والعكس هو الصحيح.

فهو الدين الذى دعا إلى التقدم الحضارى وهو الدين الذى قال :

﴿سَرُّهُمْ أَيْتَنَّا فِي الْأَفَاقِ وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٣).

وهو الدين الذى تنزلت آياته يوم تنزلت،

(٢) العلق (١).

(٤) النحل (٨).

(٦) اتحاف السادة المتقين ١٧٩/٩، ابن كثير ٣٥٧/٧.

(١) الأنبياء (١٠٧).

(٣) فصلت (٥٣).

(٥) النحل (٨).

ومفيد . لا ، فلنأخذ ما يفيدنا ولنطرح ما يسئ إلينا فالرسول ﷺ نبهنا إلى ذلك .

فليس معنى استقلال الشخصية ألا نأخذ المفيد من المجتمعات البشرية فلنأخذ المفيد ، ولنأخذ التقدم الحضارى ولنأخذ بأحدث أسباب التكنولوجيا الحديثة ولكن لا نذوب أخلاقياً ولا عقائدياً ونقع فريسة التقاليد العمياء التى نأسرنا فى ضلالها ، بل علينا أن نحافظ على أخلاقنا وعلى أبنائنا وعلى بناتنا وعلى هويتنا لأن سيدنا المصطفى ﷺ قال : « لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم » (٩) .

هذه هى تعاليم ديننا الحنيف التى تأخذ بأيدينا إلى كل تقدم حضارى وإلى كل جديد ، هذه هى تعاليم ديننا الحنيف التى تأخذ بأيدينا إلى كل تقدم حضارى ، وألا نذوب وسط عادات ورذائل لا تقع تحت حصر ، وألا نقع فريسة التبعية لأى فكر أو حضارة من الحضارات فلدينا من ديننا وحضارتنا ما انتفع به العالم وقبست من نوره الدنيا بأسرها قبل أن تقوم هذه الحضارات .

أما الواجب الثالث على المسلمين فى غير أوطانهم من المسلمين ، فهو ألا يتنافروا وألا يتخاصموا وألا يختلفوا .

فى إحدى السرايا ، إنسانا نطق بالشهادة وسأل عنه فقال : ما نطق بها إلا تمودا من السيف يارسول الله ، فقال : « هل فتشت عن قلبه ؟ وماذا تفعل بـ لا إله إلا الله يوم القيامة أقتلته ؟ بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ وظل يقول : وماذا تفعل بـ لا إله إلا الله يوم القيامة ؟ » حتى قال : وددت أن أمى لم تكن ولدتنى بعد (٧) .

إنه الدين الذى يصون الدماء ولو كان أصحابها مشركين قال تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ (٨) .

إنه دين يحمى الدماء والأموال والأعراض على هذا النحو ، دين كانت أولى كلماته اقرأ ، دين تلخصت دعوته فى الرحمة ، كيف ويساء فهمه بهذه الصورة ؟!

هذا أول واجبات المسلمين فى غير أوطانهم ، أن يكونوا صورة مشرفة لدينهم .

أما الواجب الثانى الذى أختاره ، من بين هذه الواجبات الكثيرة فهو استقلال شخصية المسلم ، ألا يذوب فى ركسام العادات والتقاليد ، ألا يقع فريسة الحضارات والتبعية ، فعليه أن يستقل بشخصيته ، وليس معنى الاستقلال ألا يستفيد من كل ما هو جديد

(٨) التوبة (٦) .

(٧) البخارى ١٨٣/٥ .

(٩) مجمع الزوائد ١٨٠/١ .



البناء الإسلامي، وإنما كانوا مع اختلافهم في الرأي لا يتخاصمون، فالاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

ها هو الإمام مالك، حين كلفه الخليفة بأن يقوم بتأليف وتدوين كتاب في السنن والأحكام يكون وسطاً ويجمع الناس عليه، وقال له: تجنب شذائد عبدالله بن عمر ورخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، وأقصد إلى أواسط العلم ودون كتابه النفيس «الموطأ» وعرضه على شيوخ عصره فوافقوه.

فسماه الموطأ فلما أعجب به الخليفة ورأى فيه الوسطية بأسمى صورها، أراد أن يلزم كل الأقطار الإسلامية به وأن يعلقه في الكعبة، وحين عرض على مالك - وما أحب أن يعرض على أى مؤلف أن يكون كتابه معمولاً به في العالم - حين عرض هذا الرأي على مالك خرج إلى الخليفة، وقال له: لا يا أمير المؤمنين، لا ألزم الناس بقولي، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الأمصار الإسلامية وتفرقوا في الأقطار الإسلامية، وعند بعضهم من الأحاديث ما ليس عند الآخر ول بعضهم من الفهم ما ليس عند الآخر، فاترك الناس وما اختاروا ما داموا لم يصادموا نصاً من كتاب الله ولا حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ.

ثم قال مالك - رحمه الله - مالكا فاترك الناس وما اختاروا مما يناسب عصرهم ومصرهم، ثم قال بالحرف الواحد: (إن اختلاف العلماء رحمة الله بهذه الأمة، كل

لقد زرت العديد من المراكز الإسلامية في الخارج وكنت أرى، ويا أسفى لما أرى من خصومات واختلافات ولقد كان من الممكن أن يكون المسلمون قوة واحدة في هدوء وسلام.

ولكننا نرى البعض في خلافات وفرقه، بسبب أشياء، ليست فريضة ولا سنة، وأذكر ما قاله أحد الدعاة المخلصين المصلحين، يوم أن اختلف الناس في صلاة التراويح من يقول إنها ثمانية ومن يقول إنها عشرون ووقف وقالوا له أنقذ المسلمين فإنهم يقتتلون، قال: لماذا يكادون يقتتلون؟ قالوا في صلاة التراويح منهم من يريد أن يصليها ثمانية ومنهم من يريد أن يصليها عشرين فقال: فلتصلوها ما شئتم فصلاة التراويح سنة، ولكن وحدة المسلمين فريضة.

إن وحدة الصف أمر واجب علينا فكلنا موحدون والحمد لله، نؤمن بالله رباً وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً، لماذا الفرقة والتنافر، لماذا الاختلاف؟ قد نختلف في الرأي، كما اختلف من قبلنا من الصحابة أنفسهم في فهم النصوص، ولقد اختلف الأئمة الكبار العظماء، ولكن كانوا يقولون رأبى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، وإذا خالف الرأي كلام الله وسنة رسول الله ﷺ، فاضربوا بالقول عرض الحائط! انظروا إلى المسلمين الكبار، وإلى الأئمة العظام، الذين ما سمحوا للخلاف يدب في صفوفهم ولا الخلاف ولا التصدع في

ونشجب، ولكن نريد قبل أن تقع الواقعة أن نبعث وكم بعثنا إلى المنظمات الدولية لتقف ولتكن لها وقفة جادة مع أولئك الذين يعيشون في الأرض فسادا، لا نريد أن نكون غثاء كغثاء السيل.

لقد رجا الرسول ﷺ بالقرآن أن يكون أكثر الأمم تابعا يوم القيامة حيث قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»^(١١) وقد أصبح أكثر الناس تابعا يوم القيامة، وأصبح المسلمون يمثلون أكثر من خمس سكان العالم، لو توحدت صفوفهم لكانوا أصحاب القرار الضاغط والمؤثر في كل الأرض ولكن يا أسفاه إن تفرقهم وتمزقهم هو الذي جعلهم غثاء كغثاء السيل كما حذرنا رسولنا ﷺ: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: أمتن نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلبكم عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)^(١٢).

وبالله التوفيق

ما يرى ما صح به عنده ووكّل على هدى، وكل يريد وجه الله) انظروا إلى الدعوة وإلى وحدة الصف.

إننا نعيش الآن عالم الكيانات الكبرى والتكتلات الدولية، فما بال المسلمين يتفرقون في الحياة وما بالهم يتصدع بناؤهم بددا في الحياة، إن الدعوة إلى وحدة الصف أمر هام، إن على الذين يقيمون في غير أوطانهم أن يوحدوا صفوفهم، وأن يكونوا على قلب رجل واحد وأن يعذر بعضهم بعضا، إذا رأى شيئا لا يعجبه ولا يروقه، وأن ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نتصافح وأن نتسامح وأن نعفو عن إخواننا فسيّدنا المصطفى ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة ناد مناد، أين الذين أجّروهم على الله فلا يقوم إلا من عفا»، فلنعف عن إخواننا، فلنصفح، فلنتسامح، لنستجب لدعوة رسولنا ﷺ «لا تحسبوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»^(١٠).

إن المسلمين اليوم واجبههم أن يكونوا يدا واحدة، واجبههم أن يشعروا بما يشعر به إخوانهم، وإذا كانت بعض الأقليات تعاني اليوم من سياسة الإبادة والتصفية والتنكيل في كوسوفا وفي غيرها من الأقليات الإسلامية، ولا نريد أن نقول نريد أن ندين



إشكاليات التحدى الحضارى ٢

التحدي الحضارى بين فكرى الإسلام والمستشرقين

لأستاذ الدكتور / محمد الهيم الفيوى

سادساً: هل يدرس الاستشراق : الشرق : وفق مفاهيم الغرب أو الشرق أو ماذا؟

أصبحت الآن من قبل التطور للفكر البشرى، جزءاً لا يتجزأ من التراث البشرى العام وهى ذات قيمة تاريخية، فالواقع يجبرنا على الاعتراف بأننا لا نجد للشرق المعاصر أى مساهمة فى بلورة المفاهيم الحديثة والأفكار الأساسية والتأويلات الحديثة للتاريخ والحياة، إنه لم يساهم طيلة القرون الأخيرة بأى شئ منها، ونحن لا نزال ننتظر منه أن ينهض ويقول لنا العكس ويكذب رأينا.

ولكن مادام الشرق فى نظر الاستشراق لم ينجح حتى الآن فى كسر هذه العقدة، عقدة الظنون والاشتباه والضعيفة تجاهه والتى تسيء إلى تعاونه الصادق مع الغرب فسوف يظل الخلاف قائماً.. لكننا نرى أن الشرق ليس بهذه الصورة القائمة، إنما الشرق علم وثقافة ومنهج.

يرى الغرب : أنه منذ أربعة قرون قام ببلورة المفاهيم الأساسية للبحث، وفى الغرب وحده، تبلورت مفاهيم التاريخ والتجريب والتنمية والتقدم أى كل ما يشكل الميراث الفكرى للإنسان الحديث.. ويرى الغرب أن الشرق لم يساهم فى الميراث الحديث طيلة تلك الفترة وتلك مفخرة يحسبها الغرب لنفسه.. لذلك يرى الغرب أن من أغرب الغرائب أن يطلبوا - أى أهل الثقافات المدروسة - من الغرب التراجع عن مفاهيمه وتصورات ومنهجياته عندما يدرس حضارات الشرق لمجرد إرضاء الشرق.. والأشد غرابه كما يرى الاستشراق : أن يطلب منه تبني مفاهيم الشرق وتصورات فى عملية الدراسة، لا ريب فى أن هذه المفاهيم والتصورات ذات قيمة تاريخية عظيمة، بل وعظيمة جداً ولكنها

يكن المسئول الأول، عن الشرور التي أصابت الشعوب الشرقية من جراء الاستعمار، غير أن المستشرقين يرون أن هذا الاتهام قد ضخّم وبولغ فيه، أما اعتزازهم بالجانب الآخر، وهو الاستشكاف العلمي للحضارات في التاريخ العام للبشرية وقيمة هذه المساهمة، فإن هذه المساهمة وهي من مفاخر الاستشراق ينظر إليها على أنها ساعدت أوروبا على تغلغلها الاقتصادي والسياسي في الشرق الحديث من أجل استعباده واستغلاله وهذا لا ينكر.

ولكن الاستشراق يرى من العدل والإنصاف ألا تعمم هذه الحالات والأحداث الخاصة حتى تشمل الإدانة كل بحوث الاستشراق ومثل هذا التعميم وهو من أخطاء المنهج نتيجة خلط الأمور، إذ من الخطأ والمغالطة في نظر الاستشراق المعاصر أن يكون الباعث الوحيد والأساسي لاهتمام أوروبا بالعالم الشرقي من النواحي التاريخية واللغوية والأدبية كان مرتبطاً بالمخططات السياسية والاقتصادية للاستعمار.

ويعترف الاستشراق المعاصر بأخطاء الرعيل الأول من المستشرقين الذين أقاموا في كنف الاستعمار لكنه يرى أنه إذا ما تجاوز الشرق هذا الموقف المغلوط ضد الاستشراق وارتفع مستوى التطور التاريخي للبحث العلمي وابتعد عن الانخراط في المباحكات الجدلية سوف يصبح الجو الثقافي خالصاً من المغالطات الثقافية وتحقق المزيد من التقدم والتطور.

أما إذا وقف الطرفان عند قوة الظنون والاشتباه والضغينة تجاه بعضهما ساء الأمر منقلباً.

وإذا كنا مقبلين على طريق عمل مشترك ومتقابلين على ورقة تحمل صيغة ثقافية مشتركة، فعلياً متآزرين أن نتفق على قواعد منهجية يقوم عليها الحوار المشترك وتكون مرجعية معيارية دون التلويح بالتناوب والإثارة.

لقد كان الاستشراق أولاً أحد الجوانب المتفرعة من عصر التنوير ثم الوضعية والمادية التاريخية الأوروبية، وهو يحمل رؤيته الأوروبية إلى خارج نطاق الغرب للحضارة والتاريخ والسياسة والدين، وللمجتمع والبشر، وقد اعتبر في البداية كعلم واحد متكامل ثم سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الأفريقي والأسوي، كل هذه التخصصات راحت تحمل اسم التسمية العامة: «الاستشراق» وأصبحت هذه التسمية هي القاسم المشترك بينها.

غير أن الاستشراق اتهم من قبل بأنه المساعد والحليف للتغلغل الاستعماري الأوروبي في أرض الإسلام وحاكم الشرق على أصوله ومقاصده ومناهجه ونتائجه وتلك مرحلة خلت حكم فيها الشرق وحاكمه واستبد بآرائه وكان وفق مناهجه، هو، فكيف يطلب من الشرق أن يسلم قيادته مرة ثانية، بل وعليه أن يعلن وصاية الغرب على نفسه، إن الاستشراق من خلال تاريخه في نظر الشرق متهم بأنه كان دائماً إما المستكشف الطليعي الذي يسبق الاستعمار ويمهد له الطريق، وإما الحليف والمستشار التقني للتاجر الأوروبي أو للسياسي الأوروبي، أو للمستغل الغربي، إنه أحد المسئولين، إن لم

سابعاً: تجديد مناهج الإسلاميين:

إن تأخر المجتمعات الشرقية منذ بضعة قرون بالقياس إلى المجتمعات الغربية قد أدى إلى عدم تمكنها، حتى وقت قريب، من إنتاج العلماء والباحثين القادرين على إنتاج البحث العلمى. أقصد عدم تمكنهم من الاستفادة من تقدم العلم التاريخى وتطبيقه على تاريخهم الخاص بذلك. ومن المعلوم أن تطبيق النقد التاريخى على كل الثقافات والشعوب شئ ضرورى ولا يمكن التراجع عنه إنه يمثل حركة التاريخ.

إن دخول الزملاء المسلمين إلى ساحة البحث العلمى مؤخراً سوف يتيح إعادة التوازن هذه وسوف يعين على تقديم صورة مدروسة دراسة علمية واضحة عن تلك المجتمعات المعنية من الداخل لا من الخارج فقط.

ونأمل أن يتم ذلك بروح التعاون والأخوة الصادقة بينهم جميعاً وذلك هو الواجب الثقافى.

هناك فرق ولا بد أن يكون هناك فرق، بين الطريقة التى يدرس بها المسلم المعاصر تاريخه والطريقة التى يدرس بها المستشرقون، وبعض هذه الاختلافات يعود إلى تعلق بعض المسلمين بالمناهج القديمة لثقافتهم فقط. وبعضها الآخر يعود إلى بعض العلماء الغربيين وتمسكهم بمناهج معادية لدراسة الدين وبرغم ذلك فإننا نجد أن هؤلاء العلماء قد اختاروا موضوع دراستهم ووجهوا أبحاثهم طبقاً لحاجيات البيئات الاجتماعية التى ينتمون إليها وآن الأوان أن يقوم المفكرون الإسلاميون بعبء رسالتهم -

وهى مشروع قومى دينى - بتوضيح أنفسهم وشعوبهم وكيفية مواكبة العصر أو ملاحقته.

ثامناً: الدعوة إلى إنشاء علم الاستغراب:

يرى المستشرقون: أن نقطة اللقاء بين المستشرقين والشرقيين تتركز حول تعلم المسلمين المناهج الحديثة فى البحث العلمى وهم بذلك يكملون مناهج الاستشراق فى البحث وقد يصححونها.

ويرى الإسلاميون: أن نقطة اللقاء بينهم تتركز حول عدم اقحام المناهج المعادية للدين وإن استجاب الاستشراق لذلك كملت حلقات التلاقى.

وإذا كان الإسلاميون ينزعجون من تطفلنا على مجال دراستهم وأنهم أولى بذلك منا فإنه ينبغى أن يعرفوا أيضاً أن الاستشراق الأوروبى هو الذى أخذ المبادرة فى العصور الحديثة لدراسة تاريخهم الخاص، وأنه لولاه لكانوا عاجزين عن أن يقولوا عن ماضيهم نصف ما يستطيعون قوله اليوم، بطريقتهم الخاصة.

فنحن لا نزال نمتلك حتى الآن الميزة المتفوقة التالية: أننا قادرون على الاهتمام بتاريخ شعوب العالم وليس فقط بتاريخنا الخاص.

بمعنى آخر: فإننا نقدم لدراسة كل من هذه الشعوب حساً تاريخياً عاماً ولا يستطيع الشرقيون أن يمتلكوا ما يوازيه ماداموا عاجزين عن توليد علماء الاستغراب» وهكذا يتقاذفن سهام النقد الجدلى عن قوس خاب بارية.

يطرح فرانسيسكو جبرائيل سؤالاً - كثيراً ما يردده الشرقيون على سمع المستشرقين - وهو:

حلبة البحث العلمى . وأصبحت ذاتا فاعلة على مسرح التاريخ وليس فقط ذاتا سلبية منفعة تدار أمورها من الخارج تستطيع أن تناقش قضاياها والقضايا المشتركة بهدوء وتعقل .

يقول كلود كاهين : إننى أعترف بأن المستشرقين كانوا قد ركزوا اهتمامهم أكثر مما يجب - وفى غالب الأحيان - على بعض الفترات التاريخية أكثر من غيرها، وهى الفترات التى بدت لهم أكثر إشعاعا وإشراقا من غيرها، وهكذا أهملوا فترات تاريخية أخرى أكثر حداثة من حيث الزمن، وهى لا تقل أهمية من أجل فهم العالم الحديث للشعوب العربية والإسلامية إذا ما نظر إليها من وجهه نظر معينة أو من زاوية أخرى . ولن ينبغى أن لا تقع فى التطرف المعاكس فلا تهتم إلا بالتاريخ الحديث وتهمل القديم . فلكى ننمى الوعى القومى لشعب ما، ولكى نساهم فى انطلاقة ثقافته الجديدة، فإن أفضل وسيلة ليست بالضرورة استخدام تاريخه الحديث وإنما تاريخه القديم والمنسى .

وهذا التحدى يرتهن علاجه بالنظر فى المناهج الجامعية وفتح أقسام علمية تتابع بعمق وبجدارة العلاقات الثقافية بين الإسلام والغرب وعلى الأزهر أن يطور من نفسه ليتحمل عبء تلك الرسالة بمنهج ناضج رشيد ولا أدرى إن قلت : عليه متابعة التواصل الثقافى للشعوب جميعها، هل أكون واهماً؟ .

على فرض أن لكم بعض الفضل فى دراسة ماضينا . فماذا تفعلوا بحاضرنا؟

فحاضرنا يطرح عليكم همه ومشكلته منذ الآن فصاعداً ويفتح بيننا وبينكم أزمة أنه يشكل أزمة، فهذا الشرق يريد أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه أنه يريد أن يخرج من هامشيته، وهذا الشرق المنبعث الآن يقف أمامكم بكل مشاكله وحاجياته ورغبته العميقة فى تذوق ملذات هذا العالم وأطاييه . وهو رغبة لم تشبع بعد كما حصل عندكم فما هى نوعية اهتمامكم به؟ وما هى الوسيلة التى ستستخدمونها لدراسته ومساعدته بعد أن قضى على قمعكم البشع واستعماركم؟

وكيف يمكنكم أن تطمعوا بعد الآن فى كتابة تاريخنا وتحليل مشاعرنا وآمالنا عن طريق منهجيتكم القديمة المصبوغة بالعرقية المركزية الأوروبية؟

ومن المعروف أن هذه المنهجية، أو ذلك التصور هو الذى أتاح لكم أن تعتبروا أوروبا محور التاريخ العالمى ومركزه، هذا مع العلم أنها قد أصبحت الآن فى طريق الانحطاط العرقى تلك التى أخرجت قضية العلاقات الثقافية بين الإسلام والاستشراق عن الموضوعية إلى المناظرة والمساجلات الجدلية .

إن هذه التساؤلات والاحتجاجات الغاضبة تعكس أسلوب الهياج الصارخ والعواطف الغاضبة التى حكمت لغة حوار ذميم وقع فيه الطرفان .. لكن بعد دخول المفكرين الإسلاميين



انتشار الإسلام بحد السيف

بين الحقيقة والافتراء

تأليف

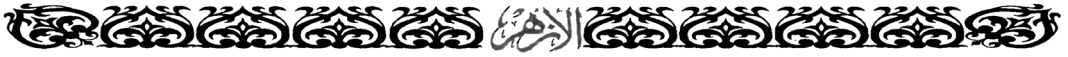
د/ نبيل لوقا بباوى



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين





الجماهير الأوروبية، وحضهم على النفور لغزو بلاد المسلمين؛ درءاً لما يتهددهم بالإسلام، وفتحاً لآفاق جديدة تشبع حاجاتهم، وتخفف من حدة فقرهم وعوزهم؛ ناسباً تلك الدعوة إلى الرب بترديده عبارة (Deuslo Volt . أى : الرب يريدنا . تلك العبارة التى أصبحت فيما بعد شعاراً يردده الصليبيون، حيث تطورت تلك الحرب - بعد نحو قرن ونصف - ليصبح اسمها (الحرب الصليبية) بعد أن كانت تحمل اسم (الحملة، والرحلة إلى الأرض المقدسة، والحملة العامة، ومشروع يسوع المسيح)، حتى إن كثيراً من قادة الغرب ومفكره اليوم يتداعون إلى استئناف حرب صليبية جديدة، يستعيدون بها تسلطهم على بلاد المسلمين .

وما رددته هؤلاء اليوم، ورددته أولئك الأسلاف منذ القرن الحادى عشر إن هو إلا صورة لما رددته من ناهضوا الإسلام، منذ بزوغ فجر الإسلام، من مشركين وثنيين، ويهود، وأروام مسيحيين، وفرس مجوسيين، على الرغم من اختلاف مشاربهم، وتباين مواطنهم، وتنوع مقاصدهم؛ فقد توحدوا جميعاً تحت مقصد واحد، هو القضاء على المد الإسلامى، والاطمئنان على ما حاز كلٌّ من سلطة وسلطان .

وإذا كان من بين المنصفين ومحققى الحق فى الطورين الأول والثانى من نهض يدفع تلك المزاعم والمفتريات، سالكاً طريق الحوار والجدل، فإن من بينهم من نهض فى العصر الحديث، يدحض تلك المزاعم، بعد طول أناة وريث، أوقفاه على حقيقة الإسلام التى شاء هؤلاء وأولئك أن يخفوها عن عامة الناس .

مازال الخلاف بين المتأدبين والمفكرين قائماً حول صدق مقولة (التاريخ يعيد نفسه) ولكل أدلته وتعليلاته وتفسيراته .

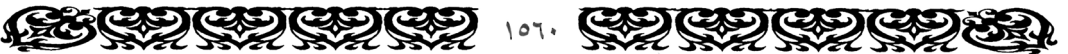
ولكن ما تردده أجهزة الإعلام الغربية اليوم من صيحات محمومة، وادعاءات صارخة تعتمد على تصريحات زعمائه وقادته لتخويف الشعوب من الإسلام وتغييرها منه .. حين شعرت أن هناك من هذه الشعوب توجهاً لقبول الإسلام ديناً حضارياً يلائم الفطرة الإنسانية؛ فنهض هؤلاء القادة والزعماء صائحين فى كل مناسبة، يرددون : إن الإسلام يعادى الحضارات، ويدعو إلى الإرهاب، ولا يعرف إلا الحرب؛ مستغلين - فى ذلك - بعض النصوص القرآنية المبتسرة، مثل قوله تعالى :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

أقول : إن ما تردده أجهزة الإعلام الغربية اليوم من ادعاءات وافتراءات إن هو إلا تأكيد لهذه المقولة؛ إذ هو فى مجمله وتفصيله تكرار لما ادعاه أجدادهم من قبل وما افتروه على الإسلام - إزاء مده وانتشاره - بين كل الفئات لينفروا شعوبهم من الإسلام، ويقدموه إليهم مشوهاً، كريهاً، بغيضاً، مفزعاً .

فما يردده اليوم زعماء أمريكا وأوروبا من أوصاف ينعتون بها الإسلام ليصرفوا شعوبهم عنه من جهة، وليبرروا غزوهم بلاد المسلمين من جهة أخرى، إن هو إلا صدى لما رددته زعماء الغرب فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى، وما تضمنته خطبة البابا (أربان الثانى) من إثارة

(١) البقرة (١٩٠).



صوت الواقع أوضح من صوت الفكر

ولعل من أبرز من سعوا وراء الحقيقة الإسلامية من معاصرينا الأستاذ الدكتور نبيل لوقا بباوى الذى تحمل عناء الرجوع الواعى إلى شتى المراجع والمصادر، بعد أن جرد فكره من الفرض المسبق، وخلع عن عقله ركام التعصب الأسود البغيض، وهياً نفسه لتحمل ما قد ينتظره من إعنات وضيق. ثم قدم خلاصة ما أوصله إليه مسعاه هذا فى كتاب قدمه تحت عنوان (انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء).

أما الدكتور فمما عرّف به نفسه فى ظهر كتابه أنه حاصل على الدكتوراه فى القانون. ودكتوراه فى الاقتصاد، ويعد الدكتوراه فى الشريعة الإسلامية، وأنه عضو جماعة الإخاء الدينى، وعضو المجالس القومية المتخصصة، وعضو اللجنة الاقتصادية بالحزب الوطنى، وأنه أستاذ القانون بكلية الشرطة والحقوق. ورئيس مجلس إدارة مجموعة شركات البباوى.

مما يرمى إلى أن الدكتور ذو فكر علمى متوثب، وأنه ذو حس اجتماعى متطور، وأنه أستاذ قانونى مجتهد، وأنه قد أوتى من المال ما يمنعه من احتمالات الشبهات والشكوك.

وأما الكتاب فيقع فى ثنتين وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم خمسة أبواب، تشتمل على خمسة عشر فصلاً، طبع فى مطابع الأهرام بمصر، ونشرته دار البباوى للنشر بمصر سنة ٢٠٠٢م.

وحرصاً من الدكتور نبيل - فيما يبدو - على أن يغلق أمام المتلقين باب الجدل الذى لا ينتج سوى

الطنطنة، جمع فى كتابه بين منهجى التأمل الفكرى، ووصف الواقع، حيث رأى أن المنهجين يكفلان له الوقوف على الحقيقة التى عمل على طمسها أعداء النور فى أجيال متلاحقة، وقرون متطاولة.

وإذا كان واقع الدكتور نبيل - بشهاداته العلمية، ومكانته الاجتماعية، وممارسته العملية - يحميه من دعوى أنه مأجور، فإن تصريحه الحاسم فى مقدمته يقيه من زعم أنه ارتد عن دينه، واعتنق الإسلام؛ فقد قال فى مقدمة كتابه: «ورغم أننى قبطى أرثوذكسى أعتز بمسيحيتى، إلا أننى وجدت من واجبى الوطنى أن أبين الحقيقة فيما يدعيه بعض المستشرقين الغربيين من أن الإسلام انتشر بحد السيف».

ومن هنا.. سلك الدكتور - فى كتابه - نهجاً قد يمتاز به عن غيره، وذلك أنه تناول كل مبحث من وجهتين؛ أولاهما: العرض التاريخى المستقى من مختلف المراجع والمصادر. وثانيهما: تقديم ثمرة رؤيته المتفحصنة المتأملّة.

هل ينسب إلى المسيحية تعصب الكاثوليك؟!

وفى المقدمة يبدأ الدكتور دراسته باستعراض مجمل لما شب من حروب دامية بين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين البروتستانت إثر قيام الراهب (مارتن لوتر) بإنشاء مذهب (البروتستانتية) بعد أن فاض به الكيل من صكوك الغفران التى كانت تمنح للبعض من أجل جمع الأموال، بعد أن أصبحت تلك الصكوك تجارة رابحة للكهنة؛ مما أضعف الإحساس بالندم الذى يجب أن يشعر به مرتكب الخطيئة، ومما جعل الخطيئة



أصوله، وإلى المسلمين في عمومهم . داعياً إياهم إلى أن يرجعوا إلى ما قاله السيد المسيح في إنجيل لوقا: (إصحاح ٦ آية ٤١):

« أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك »

انتشار الإسلام في عهد الرسول ﷺ

وعقد الدكتور الباب الأول لتتبع بدء الدعوة إلى الإسلام، وكيفية انتشاره في أول أمره؛ فمهد لذلك بالحديث في الفصل الأول عن مولد الرسول ﷺ؛ مستعرضاً في ذلك وصف طبيعة البيئة المكانية التي استقبلت مولد محمد ﷺ وطبيعة البيئة الزمانية كذلك، مشيراً بذلك إلى أن البيئتين ساعدتا على انتشار الإسلام ذلك الانتشار المحدود الذى يلائم طبائع الأشياء مع البدء وما يناسبها .

وقد اعتمد الدكتور في وصف هاتين البيئتين على ما التقت عليه المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية العامة والخاصة؛ منبهاً إلى ما ووجهت به الدعوة - منذ لحظة الجهر بها - من صد وكيد وعدوان . اضطر إزاءه الرسول ﷺ إلى الإذن للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم الهجرة العامة إلى يثرب - التى أصبح اسمها المدينة المنورة - ليواجه هناك مكر اليهود وتدابيرهم، ويضطر هو والمسلمون إلى مواجهات لم تكن فى الحسبان .

ففى الفصل الثانى (الدفاع عن الدعوة وموقف اليهود) قدم عجالة تاريخية، تحكى سيرته ﷺ فى المدينة بعد أن تتابع وصول المسلمين، واستقر جمعهم فى المدينة، وأشار إلى عقد التآخى بين المسلمين - المكيين والمدنيين - وعقد الأمان بين المسلمين واليهود .

تبدو أمراً تافهاً، يمكن تسويته ودياً بعد صفقة مع تاجر يتاجر فى صكوك الغفران .

لذلك .. قام (لوثر) بثورته الدينية بعد أن تعلم أصول الديانة المسيحية فى دير (أوغسطين) بمدينة (فنتبرج) بألمانيا؛ فأصدر (ليو) العاشر البابا الكاثوليكي أمراً بأن تحرق علناً كل مؤلفات (مارتن لوثر) وكتبه فى عام ١٥٢٠م، بعد بدء انتشار (البروتستانتية) .

ثم صبت ألوان العذاب على معتنقى البروتستانتية؛ فشدت أطراف بعضهم حتى اختلعت، وأحرق بعضهم حتى غدت أجسادهم رماداً، وشوى لحم بعضهم فوق الأعمدة، أو مزقوا إرباً بكماشات ملتعبة، وشنق آخرون فوق الأشجار، وقذف بالكثيرين منهم فى غياهب السجون .

وقد ذكر (ول ديورانت) طرفاً من ألوان هذا العذاب فى كتابه (قصة الحضارة) فى المجلد الثانى عشر .

وأوماً الدكتور إلى أن هذه الحرب التى شنها المسيحيون (الكاثوليك) على المسيحيين (البروتستانت) منذ مطلع القرن السادس عشر لم يخمد أوارها إلى اليوم، فمازالت مشتعلة بين الطائفتين فى (أيرلندا) .

وتساءل الدكتور: أهذا الذى يصنعه المسيحيون (الكاثوليك) يمكن أن ينسب إلى المسيحية السمحة، أو ينسب إلى المسيحيين جميعاً، أم أنه ينسب إلى أصحابه فقط؟!

ثم سأل بعض المستشرقين الذين يتصيدون أخطاء بعض المسلمين، وينسبونهم إلى الإسلام فى



عن الإجبار على اعتناق الإسلام. وذلك قوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢)

وما يرد في القرآن لا يجوز للرسول ولا للمسلمين مخالفته.

تداعى القوى لفرض الحرب على محمد ﷺ

١ - ووقف الدكتور نبيل مع الرسول ﷺ في المدينة المنورة، بعد أن وضحت العلاقة بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين المسلمين واليهود من جهة أخرى.. وقف الدكتور معه ﷺ في أناة الناقد المحايد البصير أمام أربعة من أبرز الأحداث، فرآه ﷺ في أول مواجهاته مع قوى الشرك المعادية في موقعة بدر - وتعد الموقعة الحربية الأولى بينه وبين مشركى مكة - محاولة لاسترداد بعض ما اغتصبه القرشيون في مكة من أموال المسلمين ومنازلهم عند مهاجرهم، حيث نهض ﷺ على رأس نحو ثلاثمائة مسلم لاعتراض القافلة التجارية القرشية في طريق عودتها من الشام، فتمكن أبو سفيان من تهريب القافلة بعيداً عن طريق المسلمين، وأرسل إلى قريش مستنجداً، فأرسلوا له جيشاً فى نحو ألف مقاتل، أملاً فى القضاء على المسلمين، ولكن عقيدة الإيمان منحت المسلمين قوة فوق قوتهم، فتمكنوا بعون الله من هزيمة قريش، وتحقيق أعز نصر وأخطره، فقد ارتفع به شأن المسلمين فى نظر القوى المجاورة - على اختلاف مشاربها - وتضاءلت هيبة قريش، وضعفت شوكة اليهود

ثم خلص من ذلك لتقديم هذين العقدين، وتبيان دورهما فى إشاعة الأمن والسلام بين طوائف المدينة الثلاثة؛ طائفة الأنصار، وطائفة المهاجرين، وطائفة اليهود، فذكر:

أن أبرز ما يقوم عليه عقد التحالف بين المهاجرين والأنصار يتمثل فى الجمع بين جميع المسلمين على اختلاف قبائلهم فى رابطة واحدة، جعلتهم أمة واحدة، يلتزمون فيها بالتعاون فيما بينهم على الباغى والظالم منهم، حتى لو كان والد أحدهم أو ابنه، وتحمل كل طائفة فداء أسيرها بالمعروف والقسط والعدل بين المؤمنين.

وأن أبرز ما يقوم عليه عقد الأمان مع اليهود يتمثل فى: تأمين اليهود على حياتهم، ودينهم، وأموالهم، وتساويهم مع المسلمين فى المصلحة العامة، والتمتع بما للمسلمين من حقوق، والتخيير الكامل لليهود المقيمين بالمدينة بين البقاء على دينهم وممارسة شعائهم فى حرية تامة، وبين الدخول فى الإسلام، إذا رغبوا فى ذلك.

وأعقب الدكتور ذلك بتساؤل صارخ: أين هو الإجبار إذن على الدخول فى الإسلام؟! وأين هو حد السيف الذى انتشر به الإسلام!؟

وأتابع هذين التساؤلين بقوله: لقد كان فى مقدور محمد ﷺ أن لا يعطى لليهود حق الاختيار الحر، وكان يستطيع أن يفرض الإسلام بحد السيف؛ لأن عدد المسلمين - أنصار أو مهاجرين - كان أضعاف عدد اليهود الموجودين فى المدينة، ولكن النص القرآنى صريح فى النهى



٣- وتأمل في أبعاد واقعة الخندق (الأحزاب)، وما واكبها من أحداث، وما لابسها من ظروف .. فلاحظ أن اليهود كانوا هم المحرضين الأساسيين عليها؛ حيث أغروا قريشاً بالتحالف مع قبائل العرب، والانقضاض على محمد ومن معه في المدينة، وسعوا إلى قبيلتي غطفان وبنى مرة ليتحالفوا مع قريش، ثم دعموا ذلك بتحريض قبائل سليم، وأشجع، وفزارة، وسعد، وأسد؛ لينهضوا مع قريش في معركتهم مع محمد ﷺ، وانفقوا مع هؤلاء الأحزاب المتحالفين من العرب على أن يقوموا هم بدورهم في المعركة، فيطبقوا على المسلمين من الجهة الأخرى، فتكون الضربة القاصمة، وبذلك يتحقق للجميع مأربهم ويقضى على القوة الإسلامية والدعوة الإسلامية في آن واحد.

ولم يكن أمام الرسول ﷺ إلا أن يستجيب لرأى سلمان الفارسي بحفر خندق من الجهة الشمالية لمنع الأحزاب من دخول المدينة.

ولما وجد يهود المدينة - بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة - ضخامة جيش الأحزاب، وأدركوا أن ما أصاب المسلمين في المدينة من ضوائق مع طول الحصار .. يعنى انتصار الأحزاب، والقضاء الباتر على المسلمين .. عندئذ تنصلوا جميعاً مما كان بينهم وبين محمد ﷺ من عهود ومواثيق، واتصلوا بقيادات الأحزاب لتنسيق عملية الهجوم على المدينة.

ولكن عون الله كان أقوى من تدبيرهم، فأرسل عاصفة شديدة، اقتلعت خيام الأحزاب، وألقت الرعب في قلوبهم، فقرر أبو سفيان فك الحصار والعودة إلى مكة بجيوشه، فذاع صيت محمد ﷺ والمسلمين بين العرب جميعاً، ورأوا فيما حدث نصراً للإسلام مؤزراً.

داخل المدينة. أمام الامتزاج العضوى والمعنوى بين المهاجرين والأنصار.

وانتهى الدكتور تأملاته تلك بتقرير صريح حاسم، مفاده: أن معركة بدر لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف، بل كانت تعرضاً لقافلة تجار مكة ليأخذ المسلمون جزءاً من أموالهم التي اغتصبها المكيون منهم عند هجرتهم.

٢- ووقف الدكتور هذه الوقفة الناقدة المتأملة المحايدة مع الرسول ﷺ مرة ثانية في موقعة أحد، فوجد أن قريشاً بقيادة أبى سفيان أرادوا الثأر لهزيمتهم في موقعة بدر، واستعادة ما أهدر من هيبتهم، وتأمين طريق تجارتهم إلى الشام، ومحاولة القضاء على الدعوة الإسلامية في مهدها، قبل أن تشتد قوتها، وتكسب أرضاً جديدة في شبه الجزيرة العربية .. فأعدوا جيشاً ضخماً بلغ أربعة أضعاف قوة المسلمين، نزل عند جبل أحد بالقرب من المدينة لغزوها، ومهاجمة المسلمين في بيوتهم.

وقد بلغ الحقد والكراهية بالقرشيين درجة فاقت كل تصور، حيث اندفعت هند بنت عتبة، زوج أبى سفيان، فبقرت بطن حمزة بن عبدالمطلب حين قتل، وانتزعت قطعة من كبده أخذت تلوكها في فمها، واندفع وراءها الآخرون يمثلون بجثث المصابين بطريقة وحشية.

ومن هنا .. قرر الدكتور أن موقعة أحد كانت دفاعاً لعدوان مهاجم؛ فكانت دفاعاً عن النفس، ودفاعاً عن الدعوة الإسلامية في الوقت ذاته، وأن محمداً وصحبه ألقوا إلى الحرب على غير رغبة منهم.



القادم، فكان عهد الحديبية الذى أظهر بعد نظر محمد ﷺ وحكمته وحنكته، السياسية، حتى أظهر - بمرونته - قريشا أمام العرب فى هيئة المعتدى الذى يمنع زيارة البيت الحرام وأظهر الإسلام ديناً سمحاً، وكسب للإسلام مناصرين فى كل قبيلة، حتى شعر القرشيون أنه سوف ينتشر، فأسرع كثير من قادة قريش إلى اعتناق الإسلام. ثم ختم الدكتور تأملاته تلك بتساؤله: فأين هو حد السيف فى انتشار الإسلام. وإقبال قادة قريش على اعتناقه؟!!

وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله

وانتقل الدكتور نبيل مصطحباً تأملاته إلى المدينة المنورة ثانية، لينظر فيما آل إليه عهد الأمان بين محمد ﷺ وبين يهود المدينة فتوقف أمام ما كان من يهود بنى قينقاع من نقض عهد السلم مع المسلمين الذى أعطاهم الأمان على شعائهم وأموالهم، ولهم مثل حقوق المسلمين، وكان من أهم بنوده قيام حلف عسكري بين المسلمين واليهود لرد الاعتداء على المدينة وأن يشترك الطرفان فى نفقات الحرب، شرط أن تكون الحرب مشروعة، وأن يتشاورا قبل أن يدخل الحرب أى طرف.

ولكن يهود بنى قينقاع نقضوا هذا العهد - كما نقضه جميع يهود المدينة - وأخذوا يثيرون الشكوك حول النبى ﷺ ويطعنون فى الإسلام بقيادة شاس بن عدى، وشاس بن قيس، ورافع بن أبى رافع.

وحاولوا إثارة الحقد والكراهية بث الفتن بين الأوس والخزرج، حيث أوعز شاش بن قيس إلى

وخرج الدكتور نبيل من تأملاته تلك ليقرر أن موقعة الخندق - بما حققته من كسب للإسلام - لم تكن من تدبير محمد ﷺ وأنه ما قام فيها إلا بتدابير الدفاع عن النفس، والدفاع عن الدعوة الإسلامية.

٤- وختم الدكتور نبيل تأملاته تلك بالنظر فى صلح الحديبية، فرأى أن هذا الصلح فى ذاته يعلن صراحة أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، وأن محمد ﷺ لا ينطوى على رغبة فى الحرب، ولكنه يجنح دائماً إلى السلم، حتى تفرض الحرب عليه فرضاً.

فقد رأى أن رسول الله ﷺ أراد أن يظهر لعرب الجزيرة تعظيم الحج والعمر، حتى يعرفوا جوهر الإسلام الذى اعتبر الكعبة المشرفة قبلة الصلاة، فتوجه ومعه ألف وأربعمائة من رجاله إلى مكة لأداء العمرة، وليس للحرب ولا لفرض الإسلام عليهم بالقوة، كما يدعى المدعون.

ولقد كان فى مقدوره ﷺ - حين منعه القرشيون من دخول مكة - أن يدخلها عنوة، ولكنه ﷺ جنح إلى السلم، وأرسل إليهم عثمان ابن عفان رضى الله عنه لمكانته فيهم، حتى يقوم بدور السفارة بينه وبين قريش، ويوضح لهم أنه ما جاء محارباً، فاحتجزوه أسيراً.

وعندما شاع بين المسلمين أن قريشا قتلوا عثمان دعا النبى ﷺ إلى مبايعته على قتال قريش ثأراً لعثمان، فبايعه المسلمون تحت شجرة فى الوادى، فلما علمت قريش بذلك أعلنت أن عثمان لم يمس بسوء، وأوفدت رسولاً من قبلها يطلب من محمد ﷺ التصالح مع قريش، وإرجاء العمرة إلى العام



مار جليوث

بالتجسس عليه
لحساب أعدائه، لما
قالوا ما قالوه عن
محمد ﷺ، بل إنه
لو قتلهم جميعا -
كما رأى بعض
الصحابة - لما كان فى
تصرفه أى تجاوز،
فهذا ما تفعله كل
الدول المتحضرة فى هذا العصر الحديث.

ولكنه ﷺ وافق على ما طلبه عبدالله بن أبى
ابن سلول: أن يغادروا المدينة أحياء إلى منطقة
أذرعات فى شمال الحجاز، على حدود بلاد
الشام، دون أن يمسه أحد.

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

ولما تأمل الدكتور نبيل تصرفات يهود بنى
النضير مع محمد ﷺ - وهم ممن عاهدوا محمداً
على الأمان والتعاون - وجد أنهم تجاهلوا ذلك
العهد، وانضموا إلى جبهة مشركى مكة بالعون
والمناصرة، ورفضوا الاشتراك مع رسول الله ﷺ
فى موقعة أحد بحجة أن القتال يدور يوم السبت،
وأن العهد ينص على المشاركة فى الدفاع عن
المدينة، وأحد يقع خارج المدينة، متجاهلين أن
موقعة أحد كانت لمنع قريش من دخول المدينة.

ووجد الدكتور أن يهود بنى النضير لما علموا
بخروج محمد ﷺ فى عشرة من كبار الصحابة
إلى منطقة قريبة من قباء لدفع دية أسيرين من
المسلمين، حاول يهود بنى النضير اغتيال الرسول
ﷺ بأن يلقي عمرو بن جحاش صخرة عليه من

أحد فتية اليهود فجلس مع جماعة من الأوس
والخزرج، وأخذ يذكركم بما كان بينهم من حروب
ونزاع، حتى رفع بعضهم السلاح فى وجه البعض
الآخر، وكادوا يقتتلون لولا تدخل الرسول ﷺ
فى الوقت المناسب، فألقوا السلاح، وعادوا إلى
بعضهم.

وكانوا دائمى التهجم على الله - سبحانه
وتعالى -، والسخرية من القرآن الكريم والرسول
ﷺ، حتى إن أبا بكر الصديق لم يتمالك نفسه،
فضرب وجه فئحاص اليهودى، حين قال له:
«والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا
لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه
لأغنياء، ولو كان غنيا عنا ما استقرضنا أموالنا،
كما يزعم صاحبكم؛ ينهانا عن الربا ويعطيناه،
ولو كان غنيا عنا ما أعطانا».

وأنهم لعبوا دورا كبيرا فى شن الحرب النفسية
على المسلمين لهزيمتهم فى موقعة أحد للنيل من
عزيمة المسلمين، كما قاموا بتحريض قريش على
محمد ﷺ، فكان أبو عقل اليهودى ينشد الشعر
طعنا فى المسلمين، وتحريضا لقريش عليهم،
وقاموا بانتهاك حرمة المسلمين ظنا منهم أنهم
فى منعة، واستغلالا منهم لجنوح محمد إلى
السلام.

لذلك.. كان على الرسول ﷺ أن يؤمن
جبهته الداخلية، فيرحل اليهود عن المدينة؛ فلم
يكن غرضه ﷺ الحصول على الغنائم، كما يقول
بعض المستشرقين، وعلى رأسهم «مرجليوث».

ولو سأل هؤلاء المستشرقون أنفسهم: ما الذى
يصنعه أى حاكم فى أى دولة متقدمة الآن مع من
يعملون على تخريب جبهته الداخلية ويقومون



الإسلام ينتشر، ويرون أن المدينة كادت تخلص للمسلمين بعد خروج من خانوا العهد من إخوانهم.

وتبين أنهم أخذوا يدعون القبائل المختلفة للنهوض مع قريش في جيش يقضى على محمد وصحبه، واعددين إياهم بمناصرتهم وتآليب المنافقين في داخل المدينة للانقضاض من الداخل على المسلمين، فلا يستطيعون الخلاص، ولا يجدون لهم مهربا.

وتبين أن المسلمين لما حفرُوا الخندق، وحاصرت جيوش الأحزاب المدينة من الشمال والجنوب، نقض بنو قريظة عهدهم مع محمد ﷺ، فمنعوا عنهم الطعام والمؤن، وظاهروا المشركين، وتعاونوا معهم؛ فجعلوا من أنفسهم عيوناً على المسلمين يكشفون عوراتهم للعدو، مكونين مع المنافقين في داخل المدينة جيشاً آخر ليعضوا المسلمين بين فكي كماشة.

ولما انقضت جيوش المشركين، وعادت كل قبيلة أدراجها، كان على محمد أن يعود إلى بنى قريظة ليصفى حساباته معهم.

وكان في مقدوره أن يقتلهم جميعاً ليتخلص منهم ومن مكائدهم وخياناتهم، ولكنه جنح إلى السلم - كذلك - واستجاب لرغبتهم ووافق على أن يختاروا من شاءوا ليحكم فيهم، فاختاروا بكامل إرادتهم سعد بن معاذ ليحكم بينهم.

وبعد استماع سعد لوجهة نظر اليهود فيما كان، وسماع وجهة نظر المسلمين، حكم سعد بقتل الرجال، وسبى النساء، وتقسيم الأموال. وبتنفيذ هذا الحكم قضى على شوكة اليهود،

أعلى جدار، رتبوا أن يجلس بجواره، ولكن الرسول ﷺ فضح مؤامرتهم، وغادر المكان عائداً إلى المدينة، فأنكشت التي تعلن - مع ما جرى اليوم تحت سمعنا وبصرنا - أن الغدر صناعة يهودية منذ أربعة عشر قرناً.

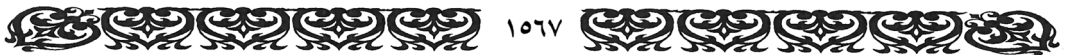
وقد كان في مقدور الرسول ﷺ - إزاء ذلك كله - أن يقتل جميع بنى النضير، ويتخلص من غدرهم ومكرهم. ولكنه ﷺ أذرهم بالجلأ عن حصونهم خلال عشرة أيام، فرفضوا الإنذار، وأخذوا يستعدون للقتال، فرموا حصونهم وأقاموا متاريسهم، وأمدوها بالسلاح، وزودوها بمؤن تكفى أشهراً طويلة، فحاصره الرسول ﷺ حتى استسلموا ووافقوا على الجلاء عن المدينة، كما شرط عليهم أن يخرجوا بكل شيء يريدون حمليه من أملاكهم، على أن لا يحملوا معهم أى سلاح فخرجوا يرقصون ابتهاجاً وسروراً بما توصلوا إليه؛ لأنهم يدركون مدى ما حاولوا الكيد به للإسلام والمسلمين.

وقد كان في مقدوره ﷺ ورجاله أن يتخلصوا من جميع بنى النضير بالقتل ويريحوا أنفسهم من مكرهم وغدرهم ويغنموا كل أملاكهم ولكن الرسول ﷺ وعدهم بعدم التعرض لهم، وأوفى بوعده ..

فما كان داعياً للإسلام بقوة السلاح، ولا كان في مسلكه كارها لليهود، ولا ساعياً وراء مغنم.

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم

ومن تأمل الدكتور نبيل ما كان من يهود بنى قريظة الذين بقوا في حصونهم على حدود المدينة، تبين أنهم لم يهدأ لهم بال وهم يرون





استكمالا لحماية الدولة الإسلامية الناشئة من خيانة اليهود المتواصلة، على نحو ما قدره الواقع، وصورة القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦١﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٦٢﴾.

فالتخلص من يهود المدينة لم يكن طمعا في أموالهم، ولا فرضا للإسلام عليهم، ولكنه كان دفاعا عن النفس لتأمين مستقبلهم وحماية للدعوة الإسلامية من مكائد اليهود التي لا تنتهى .

أما يهود خيبر المقيمون في حصونهم المنيعة في مسافة نحو ثمانين ميلا شمالى المدينة، والذين انضم إليهم يهود بنى النضير بعد جلائهم عن المدينة، فقد رأى الدكتور نبيل كيف سعوا إلى بنى عمهم اليهود من تيماء، وفدك، ووادى القرى للتأهل للإغارة على المدينة والقضاء على الإسلام، وعلى الرسول ﷺ في معقله .

ورأى أن النبي ﷺ عندما علم بذلك قرر معاجلتهم، والتوجه إليهم بقواته، لأن الهجوم خير وسيلة للدفاع عن المدينة .

ورأى كذب ما ادعاه بعض المستشرقين من أمثال «مرجليوث» أن المسلمين لم يهاجموا خيبر إلا رغبة

في الحصول على أموالهم؛ لأنهم لو كانوا كذلك لاستولوا على أرضهم، ولما سمحوا لهم بزراعتها .

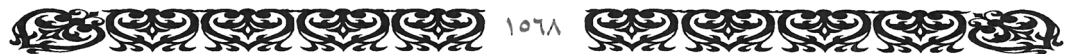
فالحقيقة التي لا جدال فيها: أن محمدا ﷺ إنما هاجم خيبر لأنها أصبحت أكثر المناطق عدا للرسول، وأشدّها خطرا على المسلمين، بعد أن لجأ إليها معظم اليهود الذين أجلوا عن المدينة .

وكانت قوات المسلمين أضعاف قوات خيبر، ومع ذلك نراه ﷺ - بعد انتصاره على الحارث بن أبى زينب زعيم خيبر ورجاله - يرفض أن يستمر في القتال لقتل جميع المقيمين في خيبر، ولكنه وافق على أن يدفعوا الجزية مقابل بقائهم على دينهم، وإقامتهم في منازلهم، وتركهم يمارسون حياتهم، وزراعة أرضهم؛ من كل ما يؤكد أن هذه الموقعة - كذلك - لم تكن لفرض الإسلام بحد السيف، كما يزعم المستشرقون .

ويقرر الدكتور نبيل: أن سماحة الإسلام هى التى جعلته ﷺ يرد إليهم صحائف التوراة التى غنمها المسلمون حين طلبها اليهود لمباشرة عقائدهم الدينية .

وبعد هذه الجولة التأملية فيما كان من يهود المدينة من خيانة ونقض عهود .. امتدت تأملاته لتربط بين اليهود فى عصر الرسول ﷺ، واليهود فى هذا العصر الحديث؛ مقرأ أن خيانة العهد خاصية ينفرد بها اليهود فى كل زمان ومكان حتى يبدو أنها جزء من شخصيتهم، فما كان من اليهود مع المسلمين أيام الرسول ﷺ هو كائن اليوم منهم مع عرب فلسطين .

« يتبع »





تأسيس منهجية البحث العلمى

العطاء
العلمى
للحضارة
الإسلامية

دُرستاز الدكتور / أحمد فؤاد باشا^(*)

« ويشهد استقرار تاريخ الفكر البشرى بأن علماء الحضارة الإسلامية كانوا أسبق من الغربيين إلى نقض منطق أرسطو النظرى واتباع المنهج التجريبي قبل «بيكون» بعدة قرون، فقد استطاعوا أن يميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة، والظواهر المادية الحسية من جهة أخرى، وفطنوا إلى أن الوسيلة أو الأداة التى تستخدم فى هذه الظواهر يجب أن تناسب طبيعة كل منها، ويعتبر شيخ الإسلام «ابن تيمية» من أوائل العلماء المسلمين الذين نقدوا منطق أرسطو الصورى، حيث هاجمه بعنف فى كتابه «نقض المنطق» ودعا إلى الاستقرار الحسى الذى يصلح للبحث فى الظواهر الكونية ويوصل إلى معارف جديدة.

« واتجه علماء الحضارة الإسلامية إلى المنهج التجريبي الاستقرارى عن خبرة ودراية بأصوله وقواعده، وأحرزوا على أساسه تقدماً ملموساً فى حركة التطوير العلمى والتقنى.. فهذا هو الحسن بن

« إن البحث العلمى واحد من أوجه النشاط المعقدة التى يمارسها العلماء باستقصاء منهجى فى سبيل زيادة مجموع المعرفة العلمية وتقنياتها، ويطلق على العلم المعنى بطرائق وأساليب البحث فى العلوم الكونية للوصول إلى الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها اسم «علم مناهج البحث» Methodology كما يطلق على منهج البحث فى العلوم الكونية التى تبحث فى الظواهر الجزئية للكون والحياة اسم «المنهج التجريبي الاستقرارى» ويقصد به منهج استخراج القاعدة العامة «النظرية العلمية» أو القانون العلمى من مفردات الوقائع استناداً إلى الملاحظة والتجربة.

وينسب الكثير من المؤرخين وعلماء المناهج الفضل فى اكتشاف هذا المنهج إلى العالم الإنجليزى «فرنسيس بيكون» الذى وضع إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة كتابه المشهور «الأورجانون الجديد» ويعنى به منهج البحث التجريبي، ليعارض به أرسطو فى كتابه «الأورجانون القديم».

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ونائب رئيس جامعة القاهرة.



التجريبي ومقومات نجاح البحث العلمي التي افتقدها كل من المنطق الأرسطي والمنهج البيكوني، وتوضح المقارنة أن التجريبية خطوة مقصودة في أسلوب البحث العلمي عند علماء المسلمين.

* من ناحية أخرى، يتضح من القراءة المتأنية للنصوص العلمية في التراث الإسلامي أن الفضل في اكتشاف المنهج العلمي «التجريبي الاستقرائي» لا ينسب إلى عالم إسلامي بعينه، على غرار ما يقال عادة عن منهج أرسطو أو بيكون أو ديكارت، بل إنه يعزى إلى علماء كثيرين مهروا في مختلف فروع العلم. فهذا هو جابر بن حيان يلقي مزيداً من الضوء على خصائص المنهج التجريبي الذي اتبعه، فيؤكد أن «لكل صنعة أساليبها الفنية». ويحذر من الإفراط في الثقة بنتائج تجاربه بالرغم من موضوعيته في البحث العلمي فيقول: «إنا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناها فقط - دون ما سمعناها أو قيل لنا أو قرأناه - بعد أن امتحناها وجربناها، وما استخرجناه نحن قايسناه على أقوال هؤلاء» ويقول أيضاً: «ليس لأحد أن يدعى بالحق أنه ليس في الغائب إلا مثل ما شاهد، أو في الماضي والمستقبل إلا مثل ما في الآن» ونجد في مؤلفات: الرازي، والبيروني، والبتاني، والبوزجاني، والتيفاشي، والحازني، وابن النفيس، وابن يونس، وغيرهم ما يؤكد إيمانهم بالمنهج الجديد في تحصيل الحقيقة العلمية، وممارستهم لهذا المنهج عن إدراك وفهم دقيق لكل مسلماته وأدواته وخصائصه وغاياته. وفي هذه الحقيقة الهامة يكمن السر والدافع وراء نجاح هذا المنهج ومواكبته لحركة التقدم العلمي التي حثت عليها تعاليم الإسلام الحنيف ومبادئه السامية، متمثلة في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي تكرم العلم والعلماء وتحث على إعمال العقل ومداومة البحث في ملكوت السموات

الهيثم - على سبيل المثال لا الحصر - يصف ملامح المنهج التجريبي الاستقرائي الذي اتبعه في بحث ظاهرة الإبصار بقوله: «رأينا أن نصراف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان، ونخلص العناية به ونوقع الجدل في البحث عن حقيقته ونستأنف النظر في مبادية ومقدماته، ونبتدئ باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس.. ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتفاء المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء.. فلعلنا ننتهي بهذه الطريقة إلى الحق الذي به يثلج الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتحسم بها مواد الشبهات.. وما نحن، من جميع ذلك، براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية، ولكننا نجتهد بقدر مالنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمد العون في جميع الأمور».

ويوضح هذا النص - المقتبس من كتاب «المنظر» لابن الهيثم - بما لا يدع مجالاً للشك أن القواعد العامة التي وضعها ابن الهيثم لمنهج الاستقراء تتميز عن قواعد المنهج البيكوني بأنها ليست مجموعة من التعليمات والإرشادات التي تلتزم ترتيباً محدداً لا ينبغي تجاوزه، مما يضيف عليها قدراً كافياً من المرونة يحول دون جمودها أمام حركة العلم وتطوره، كذلك تعكس عبارات ابن الهيثم كثيراً من خصائص العلم

* ولقد استند علماء الحضارة الإسلامية على اختلاف تخصصاتهم - في ممارستهم للمنهج العلمي - إلى مبادئ أساسية استمدوها من تعاليم دينهم الحنيف ويمكن إيجازها فيما يلي :

١- عقيدة التوحيد الإسلامي هي نقطة الانطلاق في رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الوجود .. قال تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ (١) ﴾

فأله - سبحانه وتعالى - هو الحق المطلق، وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التي أمرنا بالبحث عنها واستقرائها في عالم الشهادة، باعتبارها مصدراً للثقة واليقين، وليست ظلالاً أو أشباحاً كما نظرت إليها الثقافة اليونانية قال تعالى :

﴿ سَرُّهُمْ إِيَّاكَ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۝ (٢) ﴾

٢- الإيمان بوحداية الله - سبحانه وتعالى - يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شيء في هذا الوجود إلى الخالق الحكيم الذي أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، وأخضعه لقوانين ثابتة لا يحيد عنها، وحفظ تناسقه وترابطه في توازن محكم بين عوالم الكائنات. وقد شاءت إرادته تعالى أن تبين لنا

والأرض، وتحرر التفكير من القيود والأوهام المعوقة للكشف والإبداع وتحارب التنجيم والتنبؤ العشوائي والتعصب للعرق والعرف، وتحذر من الاطمئنان إلى كل ما هو شائع أو موروث من آراء ونظريات ولا شك أن هذا كله أوسع وأشمل مما يعرف بأوهام الكهف والسوق والمسرح والجنس، وهي الأوهام الأربعة المنسوبة لبيكون، والتي كثيراً ما يباهي بها فلاسفة العلم وشرح المنهج العلمي.

* وتدلنا قراءة التراث الإسلامي على أن المسلك الذي اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث في الوصول إلى الصحيح من الوقائع والأخبار، والأقوال قد انسحب على أسلوب التفكير والتجريب في البحث العلمي، فنرى - على سبيل المثال - أن الحسن بن الهيثم يستعمل لفظ «الاعتبار» وهو «لفظ قرآني» ليدل على الاستقراء التجريبي أو الاستنباط العقلي، ويستخدم قياس الشبه في شرحه لتفسير عملية الابصار وإدراك المرئيات .. كذلك نجد أبا بكر الرازي يستخدم الأصول الثلاثة: الإجماع والاستقراء والقياس في تعامله مع المجهول، فهو يقول : «إنا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل عجيبة لا تبلغ عقولنا معرفة سببها الكامل لم نر أن نطرح كل شيء لا تدركه ولا تبلغه عقولنا، لأن في ذلك سقوط جل المنافع عنا، بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به، ولا نحل شيئاً من ذلك محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له .. ما اجتمع عليه الأطباء وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فليكن أمامك».



أجل أسلمة طرق التفكير العلمي، طبقا لخصائص
التصور الإسلامي ومقوماته.

إن إسلامية المعرفة بعامة، والمعرفة بخاصة، يجب
أن تكون من الروافد الأساسية للصحة الإسلامية
المنشودة.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين؛

وليس هناك من شك في أن الحضارة الإسلامية في
العصور الوسطى تعتبر حلقة هامة في تاريخ العلم
والحضارة بما قدمه علماءها من تأسيس لمنهج علمي
سليم ساعد على تطوير معارف جديدة. لكننا في
عالمنا الإسلامي لانزال بحاجة ماسة إلى إعادة قراءة
تراثنا بأسلوب العصر ومصطلحاته، ليس فقط من
أجل تحديث الثقافة العلمية الإسلامية، بل أيضا من

أهم المراجع

- (١) مصطفى نظيف، الحسن بن الهيثم - بحوثه وكشوفه البصرية. مطبعة نوري بمصر، ١٩٤٢ م.
- (٢) د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- (٣) د. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- (٤) د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي - دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- (٥) د. أحمد فؤاد باشا، نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٥٥، ١٩٨٩ م.
- (٦) د. أحمد فؤاد باشا، في فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٧ م.
- (٧) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- (٨) د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي الإسلامي - شيء من الماضي أم زاد للآتي، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٢ م.
- (٩) المستشار عبدالحليم الجندي، القرآن والمنهج العلمي المعاصر، دار المعارف، ١٩٨٤ م.
- (١٠) سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق ١٩٨٦ م.
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، ١٩٨٧ م.
- (11) I.R. Al-Faruqi; Tawhid: Its Implications for thought and Life, International Institute of the Islamic thought, 1402 AH/1982 AC.
- (12) J.R Hayes (Editor); The Genius of Arab Civilization, Source of Renaissance, 2nd edition; London 1983.

الأندلس في القرن الرابع عشر

للشاعر العربي الكبير الأмир / شبيب أرسلان

في وقفة له يوم ١٧ من صفر سنة ١٣٤٩ هـ أمام معجزات الفن العربي في قرطبة

لَكَ اللَّهُ إِنْ شِئْتَ الصَّبُوحَ فَبَكَّرَ ** بكأسٍ دهاقٍ مِنْ حُمَيَّا التَذَكُّرِ
وَعَنْ عَلَى ذِكْرَى اللَّيَالِي الَّتِي خَلَتْ ** قصائدٍ إِنْ تُنْشَدُ عَلَى الْمَيْتِ يُنْشَرِ
فَقَدْ تَعَذَّبُ الذِّكْرَى وَلَوْ لَفَجِيعَةٍ ** وَيَشْفَى أَوَارِ الصَّدْرِ فَرَطُ التَّحَسُّرِ
وَلَوْلَا الْمَرَاثِي وَالْمَاقِي وَرَاءَهَا ** لأَفْنَى الرُّورَى حَرُّ الْأَسَى الْمَتَسَقَّرِ
تَقَصَّتْ لُبَانَاتُ الرِّجَالِ مِنَ الْجَوَى ** بِتَذْكَارِ مَاضٍ أَوْ إِثَارَةٍ مُضْمَرِ
لَعَمْرُكَ لَا يُرْجَى لِنَشْأَةٍ مُقْبَلٍ ** وَمُسْتَقْبَلٍ مَنْ لَمْ يَفْكُرْ بِمَدْبَرِ
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى مُتَقَدِّمٍ ** يُكَوِّرُ تَجْدِيداً عَلَى مُتَأَخَّرِ
أَدْرَهَا تَرْدُ الرُّشْدِ فِي عَقْلِ ذَاهِبٍ ** وَتُذْهِبُ عَقْلَ الرَّاشِدِ الْمَتَبَصَّرِ
وَتُحْيِي لَنَا عَهْداً يَصُوبُ عَهْدُهُ ** مَنَازِلَ قَلْبٍ مِنْ هَوَى الذِّكْرِ مُقْفَرِ
وَكَائِنَةٍ لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ أَخْتَهَا ** وَلَا حَدَّثَتْ عَنْ مَثَلِهَا كِتَابُ مَخْبَرِ
يَكَادُ الَّذِي يَقْرَأُ غَرِيبَ حَدِيثِهَا ** يَظُنُّ خَيْالاً أَوْ أَحَادِيثَ مُفْتَرَى
يَقُولُونَ: كَانَتْ أُمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ ** بِأَنْدَلُسٍ سَادَتْ بِهَا جَمٌّ أَعْصَرِ
وَقَدْ عَمَرَتْ أَقْطَارَ أَنْدَلُسٍ بِهِمْ ** فَكَمْ بِلَدٍ فُخْمٍ وَمِصْرٍ مُمَصَّرِ
وَكَمْ أَرْبَعٍ خُضِرَ وَحَرْتُ مُطْبَقٍ ** وَفَاكِهَةٍ رَغْدٍ وَزَهْرٍ مَنْوَرِ

وكم قائِدٍ قَرْمٍ وَجَنَدٍ مَدْرَبٍ ** وكم سائِسٍ فَحْلٍ . وأمر مُدَبِّرٍ
وكم بطلٍ إن تارَ نَقَعٍ رَأَيْتَهُ ** يَبِيعُ بِأَسْوَاقِ الْمَنَايا وَيَشْتَرِي
وَمَا شِئْتَ مِنْ عِلْمٍ وَرَأْيٍ وَحَكْمَةٍ ** وَدَرَسٍ وَتَحْقِيقٍ وَقَوْلٍ مُحَرَّرٍ
إِلَى شَمَمٍ جَمٍّ وَمَجْدٍ مُؤْتَلٍ ** وَفِي عِزَّةٍ قَعَسَا وَوَفَّرٍ مُوَفَّرٍ
نَعَم . كَانَ فِيهَا مِنْ نَزَارٍ وَيَعْرُبٍ ** جُمُوعٌ تَحِيلُ الْأَرْضَ فِي يَوْمٍ مُحْشَرٍ
فَرَاخَتْ كَأَنَّ لَمْ تُغْنِ بِالْأَمْسِ ، وَانْقَضَى ** لَهُمْ كُلُّ رَكْزٍ غَيْرُ ذِكْرِ مُعْطَرٍ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونَ إِلَى الصَّفَا ** أَنْيْسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ هُنَاكَ وَيَسْهَرِ
كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ فِي أَرْضِ أُنْدَلَسٍ لَنَا ** جَحَافِلُ إِنْ تَحْمِلُ عَلَى الدَّهْرِ يَذْعُرُ
فَمَاذَا الَّذِي أَخْنَى عَلَيْهَا ، وَمَا الَّذِي ** رَمَاهَا بِهِذَا الْخُسْفِ بَعْدَ التَّصَدُّرِ ؟
إِذَا أَعْمَلَ الْمَرْءُ الْبَصِيرَةَ لَمْ يَجِدْ ** لَهَا عِلَّةً غَيْرَ الْخِلَافِ الْمَتَبَّرِ
خِلَافَانِ : هَذَا بَيْنَ قَيْسٍ وَيَعْرُبٍ ** مَقِيمٌ ، وَهَذَا بَيْنَ عُرْبٍ وَبَرْبِ
وَلَا شَرٌّ يَحْكِي شَرَّ حَرْبٍ إِذَا التَّقَتْ ** صَنَادِيدُ قَيْسٍ مَعَ غَطَارِيفِ حَمِيرِ
لَعَمْرُكَ لَوْ لَا الْخُلْفُ لَمْ يَكُ مُشْرِقٌ ** وَلَا مَغْرِبٌ يَعْصِي عَلَيْهِمْ وَيَجْتَرِي
لَقَدْ عَصَفَتْ فِي شُقَّةِ الْغَرْبِ رِيحُهُمْ ** فَسَادَتْ ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ رِيحُ صَرَصَرِ
فَقَدْ أَتَلُّوا فِي أَرْضِهَا مَدْنِيَّةٌ ** تَرَى الْخِصَمَ فِي عَلِيَائِهَا لَيْسَ يَمْتَرِي
وَسَوَّوْا جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بَعْدَهُمْ ** وَمَنْ يَتِمَسَّكُ بِالسَّوِيَةِ يَعْمُرُ
وَلَا عَارِضُوا فِي دِينِهِ غَيْرَ مُسْلِمٍ ** وَلَا عَامِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِمَنْكَرِ
وَلَا نَصَبُوا دِيْوَانَ تَفْتِيْشِهِمْ عَلَى ** عَقَائِدِ أَقْوَامِ تَجْوُسٍ وَتَفْتَرِي
وَلَا أَحْرَقُوا بِالنَّارِ مَنْ قِيلَ إِنَّهُ ** عَلَى صِلَةٍ مَعَ دِينِهِ بِالتَّسْتَرِ
بِذَلِكَ هَاتِيكَ الْمَالِكُ أَصْبَحَتْ ** مِثَالًا قَوِيْمًا لِلْعُلَى وَالتَّحْضُرِ
وَقَدْ صَارَ نَهْرُ الرُّوْنِ ثَغَرُ بِلَادِهِمْ ** وَكَمْ صَبَّغُوهُ فِي الْجِهَادِ بِأَحْمَرِ
وَشَكُّوا لِوَاهِمٍ فِي ذُرَى قَرْقَشَنَةٍ ** وَسَلَّوْا عَلَيَّ تَرْبُولَةَ كُلِّ أَبْتَرِ
وَدَانَتْ لَهُمْ صَيْدُ الْجَلَالِقَةِ الْأَلَى ** بَلَا مَنَّهُمُ الرُّومَانُ كُلُّ غَضَنْفَرِ



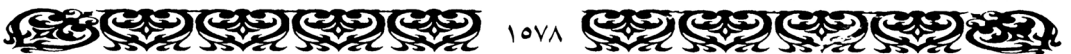
ولم يَقِفْ البَشْكَنسُ فِي وَجْهِ زَحْفِهِمْ ** ولا أوطأوا الجُرْمانَ تُغْرَةَ مُعُورٍ
وإن يَكْ لَأَقَى الغافِقَى حَمَامَهُ ** ومحص في يوم البَلاطِ المَقْدَرُ
فقد لبثتُ من بَعْدِ ذاكَ جِيوشَهُمْ ** تَعْرِضُ دَهْرًا لِلْفَرَجِ وَتَنْبَرِي
يقول الأَلَى قد شَاهَدُوا غَزَواتِهِمْ: ** هُمُ العَرَبُ فُوقَ الخَيْلِ، أَمْ جِنُّ عَبَقَرٍ؟
وصقِرُ قَرِيشٍ حينَ جاءَ مَشْرَدًا ** فَأَنْشَبَ فِيهِمْ أَى ظَفَرٍ مَظْفَرٍ
وشادَ بِهاتِيكَ القِواصِي إِمارَةً ** لَهَا أَجْفَلُ المَنْصُورِ وَالذُّجَعْفَرِ
وخَلَّفَ أَمْلَكا سَمَوا وَخَلائِفًا ** أَسودَ عَرِينٍ مِنْهُمُ كُلُّ مُخْدَرِ
كفى بِالإِمَامِ الناصرِ الفَذْلُ عاهِلا ** كَسا أُمَّةَ الإِسلامِ حُلَّةً مَفْخَرِ
تُقبَلُ أَمْلَكا الفَرَنْجَةُ كَفَّهُ ** وَيَقْصِدُ عالى بابِهِ وَفدُ قِيصَرِ
غُدَاةٌ تَجَلَّى لِلخِلافَةِ رَونِقٌ ** بِهِ ظَهَرَ الإِسلامُ أروَعَ مَظْهَرِ
وأُضحتْ بِها «الزَهْرا» تَمِيدُ جُموعُها ** فَيالِكَ مِنْ يَومٍ أَغْرَ مَشْهَرِ
تَلْعَثُ فِيهِ كُلُّ رَبٍّ فَصاحَةٍ ** فَعَيَّوا سِوى قاضِي الجِماعَةِ مُنْذِرِ
ولا تُهْمَلِ المِستَنصِرَ الحَكَمَ الَّذِي ** تَلاهُ، وَمَنْ يَسْتَنْصِرِ اللَّهَ يُنصَرِ
غَدَتْ قِبَةَ الإِسلامِ قَرطِبَةُ العُلَى ** وَسارَقَتِ الزُوراءُ لَحْظَةَ أَزُورِ
وبارَى بَنى العِباسِ فِيها أُمِيَّةٌ ** وَجَرُوا عَلِيَّ بِغَدادِ ذَيْلِ التَبَخُّرِ
وكانَ بِها العِمْرانُ يَزْخَرُ مِثْلَما ** تَلاطَمُ أَمْواجُ الخِصَمِ المَهْدَرِ
ولما رَأيتُ المَسْجِدَ الجامِعَ الَّذِي ** بِقَرطِبَةٍ مِنْ فُوقِ فُوقِ التَّصَوُّرِ
عَضَضْتُ عَلَيَّ كَفِي بِكُلِّ نَواجِذِي ** وَقُلْتُ لَعِينِي: اليَومَ دُورُكَ فَاهْمِرِي
هو الجامِعُ الطامِي العُبابُ بوقِتهِ ** يَحَاكِي بِهِ عُمارةَ لُجٍّ أَبْحَرُ
ظَلَلْتُ بِهِ بَيْنَ الأَساطِينِ سائِحًا ** بِفِكْرِي حَتَّى غابَ عَنِّي مَحْضَرِي
تَخَيَّلْتُهُ - وَالذِّكْرُ يُتَلَى خِلالَهُ - ** نَظِيرَ دَوَى النَحْلِ مِنْ كُلِّ مَصْدَرِ
تأملُ خَليلِي كَمَ هَنا مِنْ مَهْلُلٍ ** إِلَيَّ رِبِهِ صَلَّي، وَكَمَ مِنْ مَكبَّرِ
وَكَمَ أَزْهَرَتْ فِيهِ أَلُوفُ مَصابِحِ ** وَكَمَ أوقَدَتْ أَرْطالُ عَودٍ وَعَنْبَرِ
وَكَمَ قارِءٌ بِالسَّبْعِ فِي وَسْطِ حَلْقَةٍ، ** وَكَمَ خاطِبٌ بِالسَّجْعِ مِنْ فُوقِهِ مَنبَرِ

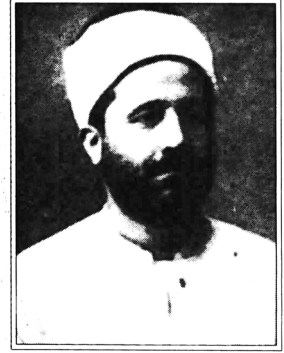


وكم عالم يُلقى على الجمع دَرَسَه * * * وكم واعظٍ يمرى مدامعَ مُحجر
وكم ملكٍ ضخمٍ، وكم من خليفةٍ * * * هنا كان يجثو عن جبينٍ معفر
تسدُّ فجاجَ المغربينَ جيوشهُ * * * ويبدو هنا في ثوبٍ أشعثٍ أغبر
خليلى تأملْ - كالعرائس تنجلي - * * * أساطينَ قد تحصى بألفٍ وأكثر
أساطينُ من صُمِّ الجمادِ موائِلُ * * * يذوبُ لها قلبُ الحنيفِ المفكر
تراها صفوفا قائماتٍ كأنها * * * حدائقُ نُصتْ من جمادٍ مُشجر
من العَمَدِ الأسنى فكلُّ يتيمةٍ * * * لها نسبٌ من مقطعٍ مُتخير
أجادتْ تحريها قُرومُ أميةٍ * * * معادن شتى من فلزٍ وممرمر
نبت دونها زرقُ الفئوس وأصبحتُ * * * لدى الفرى تهزأ بالحديدِ المعصر
ولكنْ لفضلِ الفنِ أَلقتْ قيادها * * * فصالتُ بها الصنّاعَ صولةً عنتر
فبينا هى الصمُّ الصلادُ إذ انثنتُ * * * مقاطعَ جينٍ أو قوالبِ سكر
عرائسُ للتخريمِ فوق رءوسها * * * أكاليلُ دُرِّ فى قلائدِ جَـوهر
ووجَّهْ إلى المخرابِ طرفك ينسرح * * * من الصخرِ فى مثل الطرازِ الخبر
وحدقْ بهاتيكِ النقوشِ وزهوها * * * كأن فاتها صنّاعها منذ أشهر
وبالقبةِ العليا يبدو شعاعها * * * بأبلغ من زهرِ النجومِ وأزهر
لو أن الثريا فى سماها تعرضتُ * * * لظلتُ تحدى للثريا وتزدرى
أقول لخصمٍ يبخسُ العربَ حقهم: * * * أجاهدْ نورَ الشمسِ، دُونكَ فانظر!
ويا سائحاً يبغى مآثرَ قومهِ * * * وينشُدُها فى كلِّ سهلٍ وموعر
تطوِّفْ فلا تلقاكِ غيرُ بدائعٍ * * * يميلُ لديمها كلُّ عطفٍ مخصر
تطلّعْ فلا تلقاكِ غيرُ روائعٍ * * * لها الليثُ يرنو عن لواحظٍ جَوذر
خليلى، فما فحصُ السرادقِ نائياً * * * وهذا برأسِ الطودِ حصنُ المدور
وهذى رسومٌ للمنيفِ ومؤنسٍ * * * وقصرِ السرورِ الدارسِ المتبعثر
وكان هنا قصرُ الدمشقِ وإنه * * * يطاولُ علياً بعلبكٍ وتدمر
وزاهرة المنصورِ لا شك جنةٌ * * * تمُدُّ من الوادى الكبيرِ بكوثر



وسائلُ عن المنصورِ نجلِ ابنِ عامرٍ ** يُجاوبك عنه كلُّ قوسٍ مُؤترٍ
غزا في العدى ستاً وخمسين غزوةً ** وأضُّ بها طراً بنصرٍ مُؤزَّرٍ
خليلي، وعرج بالبهورِ فإنه ** تَقطُّعُ عن أمثالِه كلُّ أبهرٍ
وهذي التي كانت تسمَّى شَقْنَدَةً ** وتدخلُ في التخطيطِ ضمنَ المسورِ
وفيها جرى ذاك العراكُ الذي جرى ** وروى ثراها بالدمِ المتفجَّرِ
وقائعُ قيسٍ واليمانى، وكلها ** مصائبُ إن تُذكرَ لنا نتفطرُ
وزرُّ ضُفَّةِ الوادى الكبيرِ وسُحْبها ** وعرجُ علي الجسرِ الطويلِ المقنطرِ
وهذي الطواحينِ الشهيرةُ لم تزل ** كأنَّ تركوها أمس لم تتغيَّرِ
قصورُ نبا عنها قصورُ مُشيدٍ ** وعلياء لم تعلمْ مشيدٌ مقصَّرِ
وأقنيةٌ تحكى الجنانَ نضارةً ** وأقنيةٌ تجرى على كلِّ أخضرِ
وشمُّ حصون لا تُعدُّ، ودونها ** مقاصِفُ إن تُذكرَ نُهزَّ ونسكرِ
علي هَمِّ دَلَّتْ لهم وقرائحُ ** ويُعرِفُ بالآثارِ قِدرُ المؤثرِ
فأخنى على تلكِ الخاسنِ كلُّها ** غرامهمُ بالانقسامِ المشطرِ
محا الخلفُ من أوضاعهم كلِّ نافعٍ ** وصوحُ من أعمالهم كلِّ مثمرِ
ولم يستفيدوا من تقاطُعِ بينهم ** سوى عيشٍ ذلٌّ تحتَ نَقْمَةِ مُوترِ
فكلُّ الذى قد شَيِّدوه بحزمهم ** أضاعوه حقاً بالشقاقِ المدمرِ
ولم يبقَ في هذى الديارِ لنا سوى ** ممالكٍ فكرٍ من حُرُوفِ وأسطرِ
ممالكُ لا تقوى عليها كتائبُ ** ولا سالبُ تاريخها زحفُ عسكرِ
إذا حضرتْ آثارُ قومي، وإن خَلَوْا ** فإننى منها فى قبيلٍ ومَعرِ
وأشعرُ أنى فى بلادى كأنما ** تخاطبنى الأرواحُ من كلِّ مقبرِ
وإنى أرى بالعينِ ما لم أكن أرى ** حقيقتهِ فى وصفِ طرسٍ ومزبرِ
لعل الذى قد كان منه بوارنا ** يعودُ علينا خيرَ وعظٍ ومزجرِ





منار الإحياء والنهضة والتجديد



للدكتور
محمد عمارة

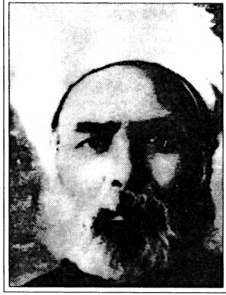
لقد كان رشيد رضا هو «ترجمان» أفكار الأستاذ الإمام.. وقادح زناد اجتهاداته، والمبدع لما في خواطره.. ولقد عبر الشيخ محمد عبده عن هذه الحقيقة عندما قال: «إن الله بعث إلى بهذا الشاب ليكون مدداً لحياتي، ومزيداً في عمري. إن في نفسي أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة، وقد ابتليت بما شغلني عنها، وهو يقوم ببيانها الآن كما أعتقد وأريد، وإذا ذكرت له موضوعاً يكتب فيه، فإنه يكتبه كما أحب، ويقول ما كنت أريد أن أقول، وإذا قلت له شيئاً مجملاً بسطه بما أرتضيه من البيان والتفصيل، فهو يتم ما بدأت، ويفصل ما أجملت..»^(١)

أما عن (المنار).. فلقد قال الأستاذ الإمام: «إن الحق يظهر في (المنار) عربانياً في الغالب، ليس عليه شيء من الحلي والحلل التي تجذب إليه أنظار من لم يألفوا الحق لذاته!»

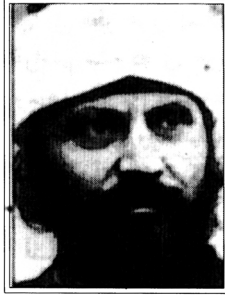
ولقد قاومت الحكومة العثمانية هذه المجلة عند صدورها، وحرمت علي رعاياها تلقيها - كما سبق وصنعت السلطات الإنجليزية مع (العروة الوثقى)! - .. ورد أغلب المصريين الذين أرسلت إليهم أعداده بالبريد - مجاناً - .. ردوها إلى رشيد رضا!!.. ولم يبدأ رواجه، وتعلق الناس به إلا بعد خمس سنوات من صدوره!.. فكان استمراره درساً في الصمود والجهاد.. ذلك أن صاحبه قد نظر إليه نظرته إلى أداء الفريضة الإلهية الاجتماعية - فريضة الكفاية - التي يقع الإثم بتخلفها على الأمة جمعاء.. وعن هذه الحقيقة كتب يقول: «إنني لم أنشئ (المنار) ابتغاء ثروة أتأثلها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الأقران، وأباري به أعلیاء الشان، بل لأنه فرض من الفروض يرجي النفع من إقامته، وتأثم الأمة كلها بتركه، فلم أكن أبالي بشيء إلا قول الحق والدعوة إلى الخير، والأمر

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» ج ٣ ص ١٣٥.. دراسة وتحقيق: دكتور محمد

عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م



الإمام محمد عبده



جمال الدين الأفغانى

ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه، ولا يمكن التخلص من وضمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق. وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا - من حيث الرقى والأخذ بأسباب التمدن - هو عين التقهقر والانحطاط، لأننا فى تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوروبية، وهو تقليد يجبرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب، والاستكانة لهم، والرضى بسلطانهم علينا، وبذلك تتحول صبغة الإسلام، التى من شأنها رفع راية السلطة والغلب إلى صبغة خمول وضعه واستئناس لحكم الأجنبي.. إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها وفيه سر سعادتها، وعليه مدارها.. وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان»^(٢).

وإلى نفس المرجعية الإسلامية فى النهضة دعا محمد عبده فقال: «إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح فى المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء

بالمعروف والنهى عن المنكر، فكنت إن أصبت بحسب علمى فسيان رضى الناس أم سخطوا، مدحوا أم ذموا، قبلوا (المنار) أم رفضوا..»^(٢)

لقد صابر الإمام رشيد رضا.. وصمد (المنار).. حتى غدا «ديوان» مدرسة التجديد والإصلاح الاجتماعى، وغدت أعدداده دليل عمل النهضة الإسلامية لأكثر من أربعين عاما.. وأخذت أعدداده - ولاتزال - يعاد طبعها.. بل وتستخرج من بطونها الكتب والمجلدات فى مختلف ميادين الفكر التجديدى والإصلاحى.

مجالة.. وم شروع للنهضة

ولما كانت هذه المدرسة الفكرية.. التى أصبح (المنار) لسانها - قد تجاوزت نطاق «التجديد الفكرى» إلى ميدان «تجديد الواقع»، أى أن مقاصدها كانت «تجديد الدنيا بالدين»، فلقد دعت إلى نهضة حضارية مؤسسة على المرجعية الإسلامية، وذلك فى مواجهة الخيار الغربى فى التقدم، مع الرفض لخيار الجمود والتقليد للسلف والتراث، ذلك الذى يفتح - بالعجز والقصور - أبواب الواقع الإسلامى لخيار التغريب.

فالأفغانى قد دعا إلى هذا الخيار الحضارى الإسلامى، عندما قال: «إنا معشر المسلمين، إذا لم يؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد

(٢) مقدمة رشيد رضا للطبعة الثانية لمجلدات «المنار» ص ٢، ٣ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧هـ

(٣) «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى» ص ٣٢٧، ٣٢٨، ١٣١، ١٧٣ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م



مقومات الإصلاح الدينى: الإصلاح السياسى المدنى، على أن الإصلاحين متلازمان فى الأمة الإسلامية، لا يقوم أحدهما حق القيام إلا بالآخر، والشريعة الإسلامية هادية للإصلاحين، إذ كل خير وصلاح للعباد يتعلق بالمعاش والمعاد قد قرره الإسلام..»^(٦).

والاجتهاد هو الشرط الأول لبقاء الشريعة الإسلامية وافية بمتطلبات هذا الإصلاح لأن هذه الشريعة هى خاتمة الشرائع الإلهية وحكمة ذلك أن الله - تعالى - قد أكمل بها الدين الحق، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد، ومنح الأمة حق الاجتهاد والاستنباط وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر فى كل زمان ومكان»^(٧).

● وهذا المشروع النهضوى الإسلامى، المتسلح بالتجديد الدينى، إنما يحارب فى جبهتين:

أ- جبهة الجمود المذهبى عند غلاة المقلدين لأفكار السلف، كما هو الحال عند «حماة تقليد الكتب المدونة فى المذاهب» المتبعة، من سنية وشيعة زيدية وشيعية إمامية وإباضية، وحجتهم أن علوم الشريعة المودعة فى الكتاب والسنة إجمالاً وتفصيلاً قد انحصرت فيها، فمن لم يأخذ بمذهب منها فليس على ملة الإسلام».

بناءً جديد، ليس عنده من مواده شئ ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحداً وإذا كان الدين كافلاً بتهديب الأخلاق وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم فى غيره وهو حاضر لديهم، والعناء فى إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!..»^(٤)

ولقد حمل [المنار] رسالة البلورة لمعالم هذا المشروع الحضارى الإسلامى إلى كل أقطار العالم الإسلامى. «لأن التاريخ قد علمنا أنه لم تقم مدنية فى الأرض من المدنات التى وعها وعرفها إلا على أساس.. الدين، حتى مدنات الأمم الوثنية، كقدماء المصريين والكلدان واليونانيين وعلمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير من الله - عز وجل - لهدايتها، فنحن بهذا نرى أن تلك الديانات الوثنية كان لها أصل إلهى، ثم سرت الوثنية إلى أهلها حتى غلبت على أصلها.. وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظاً تاماً إلا الديانة الإسلامية.. فاتباع الرسل وهداة الدين أساس كل مدنية لأن الارتقاء المعنوى هو الذى يبعث على الارتقاء المدنى»^(٥).

وذلك لأن الشريعة الإسلامية جامعة للإصلاح الدينى والسياسى كليهما. «فمن

(٤) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج ٣ ص ٢٤٨.

(٥) رشد رضا «تفسير القرآن» ج ٤ ص ٤٢٩ طبعة دار المعرفة بيروت.. بدون تاريخ

(٧) المصدر السابق. مجلد ١٩ ج ٢ ص ١٠٥

(٦) «المنار» مجلد ١ ج ٣٩ ص ٧٩٥.

بالانحراف عن الدين، ومن تفريق الحكم شملهم، ولذلك لم يكن لهم ظهور إلا حيث يضعف علم الدين وحكمته..»^(٩).

● والتميز الإسلامى فى المشروع الحضارى، لايبنى القطيعة مع الحضارات الأخرى، وفى مقدمتها الحضارة الغربية المعاصرة.. وإنما يعنى هذا التميز: الانفتاح الحضارى، والتفاعل الفكرى، واستلهاهم المشترك الإنسانى فى المعارف والعلوم، مع الاحتفاظ بسمات وقسمات الخصوصية الحضارية الإسلامية.. فنحن فى حاجة إلى التعلم من الغرب علوم التمدن المدنى، لترقية الواقع المادى مع الاحتفاظ بتميزنا فى العقائد والفلسفات والشرائع واللغات والآداب. وفى ميادين الخصوصية الثقافية والحضارية، نحن مدعوون إلى التعلم من الغرب خبرات أممه وشعوبه فى تطوير وترقية خصوصياتها الثقافية والحضارية.. «إننا فى أشد الحاجة إلى الصناعات الإفرنجية، وما تتوقف عليه من العلوم والفنون العملية، وإلى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم، ولكن يجب أن يقوم باقتباس ذلك جماعاتنا منا يجمعون بينه وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا، وأركانها: اللغة. والدين، والشرعية، والآداب فمن فقد شيئاً من هذه الأشياء فقد فقد جزءاً من نفسه، لايمكن أن يستغنى عنه بمثله من غيره، كما أنه لايستغنى بعقل غيره عن عقله ولايجسم

ب- وجبهة التقليد للحضارة الغربية، الداعين للانسلاخ عن الموروث، من «دعاة الحضارة العصرية» والنظم المدنية، والقوانين الوضعية، الذين يقولون: إن هذه الشريعة المدونة لاتصلح لهذا الزمان، ولايمكن أن تصلح بها حكومة، ولاتستقيم بها مصالح أمة، فيجب تركها واستبدال قوانين الإفرنج بها، أو استقلال كل قوم وشعب من المسلمين كغيرهم بتشريع جديد يوافق مصالحهم، وإلا كانوا من الهالكين»^(٨).

● والتبشير بشمولية الإسلام للدين والدولة.. للشرع والسياسة، لايبنى - كما يفهم المتغربون - الكهانة التى عرفتها أوروبا عندما جمعت كنيسة السلطة الزمنية إلى السلطة الدينية.. لأن الإسلام ينكر هذه السلطة الدينية - بهذا المعنى - ويحاربها.. وحتى السلطة الروحية للتصوف - فى التجربة الإسلامية - لم تبلغ ما بلغته كهانة الأكليروس فى التاريخ الأوروبى.. «ولو كان الإسلام شرع هذه السلطة المعروفة فى الملل السابقة عليه، من البوذيين والبراهمة والإسرائيليين والنصارى، أو أجازها، لوجد لها فى المسلمين نظام ورؤساء، ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد، وإنما وجدت طائفة منهم تصدت للتربية والإرشاد، ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات، ولم تكن لهم سلطة على أحد، وإنما يتبعهم من شاء باختياره، ولم يسلموا مع ذلك من رمى الفقهاء لهم

(٩) المصدر السابق.. مجلد ٥ ج ٢٢ ص ٧٤٨.

(٨) المصدر السابق مجلد ٢٩ ج ١، ص ٦٦.

تدعو جميع البشر إلى التعارف والتآلف في ظل حمايتها، وإنه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شيء إلا محاولة إزالته أو إزالة فائدته للناس، وهى دفع الشر والأذى عنهم، وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم فى أديانهم وأعمالهم...!!^(١١)

على صفحات [المنار] تم بسط الحديث عن معالم المشروع الحضارى النهضوى، الذى دعت إليه مدرسة الإحياء والتجديد: المرجعية الإسلامية للنهضة.. وشمول الشريعة الإسلامية للإصلاح الدينى والإصلاح السياسى كليهما.. وضرورة الاجتهاد والتجديد دونما انغلاق على تجارب السلف، أو قطيعة مع التراث توقع أصحابها فى تقليد الحضارة الوافدة والغازية.. والاعتصام بالشرع الإسلامى دون الوقوع فى شرك الكهانة والسلطة الدينية - بالمعنى الكنسى الغربى - تلك التى يرفضها الإسلام والتى برىء منها تاريخنا الحضارى.. والانفتاح على الحضارات المختلفة، والتفاعل مع كل المعارف والعلوم التى تمدن الواقع، مع الاحتفاظ بخصوصيتنا الحضارية، وهويتنا الثقافية، وشخصيتنا التى تتميز باللغة والدين والشريعة، والآداب.. والتعلق برابطة الجامعة الإسلامية، التى تستوعب شعوب الأمة وأجناسها ولغاتها وأوطانها ومللها،

سواه عن جسمه، وإنما نستفيد من العبرة بحالهم، كيف نرقى لغاتنا كما رقوا لغاتهم، وكيف ننشر ديننا كما ينشرون دينهم، وكيف نسهل طرق العلم بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم...»^(١٠).

● وإذا كان التقليد للغرب قد جاءنا - ضمن ما جاءنا - بالنزعات القومية العنصرية المتعصبة، التى تمزق وحدة الأمة - التى هى فريضة إسلامية - فإن الجامعة الإسلامية هى إطار الوحدة والانتماء لشعوب الأمة الإسلامية « ذلك أن أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة فى النسب والوطن واللغة والدين والحكومة، بأن يقصد بها الخير للجميع، للمساواة فى الحقوق وتمكينهم من الرقى إلى ما أعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعى. وإنها الجنسية يتحسر عليها نوابغ الحكماء وهى موجودة فى الملة الإسلامية. وإن كان المسلمون من أبعد الناس عنها!.. فالملة الإسلامية تساوى بين المختلفين فى الأنساب والأوطان والأديان، وتسمح لمن يحل فى حكمها، وهو على دينه أن ينشئ فى بلاده محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته، فلا تلزمه بأحكامها إلزاماً، فإن هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه وبين أقرب الناس من بنيتها أو أعلى أفرادها مكانة فيها، فهى

(١٠) المصدر السابق... مجلد ١٧ ج ١ ص ١٠.

(١١) المصدر السابق... مجلد ٨ ج ١٩ ص ٧٨٦، ٧٨٧ «فى نصوص» «المنار» رجعنا إلى «فلسفة المشروع الحضارى» الدكتور أحمد جاد طيبة المعهد العالمى للفكر الإسلامى - بأمريكا - سنة ١٩٩٥ م.



كذلك وجدنا (المنار) وصاحبه من دعاة الإصلاح الدستوري للدولة العثمانية، يزور الشام، ويخطب للإصلاح من فوق منبر الجامع الأموى بدمشق عقب إعلان الدستور العثماني (١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م)، حتى لقد فجرت خطبه الصراع بين أعداء الإصلاح وأنصاره، الأمر الذي اضطره للعودة إلى مصر:

كما رأينا رحلاته إلى الحجاز، والعراق، والهند، والكويت.. الخ. وثيقة الصلة بالإصلاح السياسي، ممزوجة بالإصلاح والإحياء الديني.. ناهيك بعلاقاته الوثيقة بالحركة الوهابية والملك عبدالعزيز بن سعود (١٢٩٧ - ١٣٧٢ هـ - ١٨٨٠ - ١٩٥٣ م)

لقد برز الطابع السياسي في الدعوة الإصلاحية - على يدى رشيد رضا بعد وفاة الأستاذ الإمام - وأخذت السياسة الدولية بصراعاتها وتوازنات قواها، تجدد لها مكانا بارزا على صفحات (المنار).. من الثورة البلشفية.. إلى المسألة الليبية.. مروراً بالهند، ومراكش، والحجاز.. إلخ. ولقد عبر الشيخ رشيد عن هذا التحول فى افتتاحية المجلد الثانى عشر من (المنار) - أى بعد أربع سنوات من وفاة الأستاذ الإمام - فقال: «لقد سالمنا السياسة فساورت وواثبت؟ وأسلسنا لها فجمعت وتقحمت: وكنا نهم بها فى بعض الأحيان، فيصدق بها عنا الأستاذ الإمام ولم نل منها ما نهواه، إلا بعد أن اصطفاها الله...!!» (١٢).

حذرا من ضيق التعصب القومى والعصبية الإقليمية.. وغير ذلك من قسمات هذا المشروع النهضوى الذى بشر به هذا التيار.

وإذا كان [المنار] قد اقتصر - أثناء حياة الشيخ محمد عبده - فى السياسة وممارساتها ومعاركها وتياراتها، فلقد زادت اهتماماته بهذا الميدان بعد وفاة الأستاذ الإمام (١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) فأفاض [المنار] فى معالجة قضايا «الخلافة» و«علاقة العرب بالأتراك» و«المسألة الشرقية» و«التدخل الاستعماري الغربى فى الشرق العربى والإسلامى»، كما كان له موقف بصير من «الخطر الصهيونى» على فلسطين والوطن العربى.

وفى الممارسة السياسية وجدنا صاحب [المنار] قطبا من أقطاب [حزب اللامركزية] الذى تألف من مجاهدى الشرق العربى لإبراز الكيان العربى فى الإطار العثمانى - وهو الحزب الذى تألف فى القاهرة (١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م) ووجدنا العلاقة الوثيقة بينه وبين حركة الشريف حسين [١٢٧٢ - ١٣٥٠ هـ - ١٨٥٦ - ١٩٣١ م] لتأسيس دولة عربية مستقلة عن العثمانيين، حتى لقد ذهب إلى سوريا عندما أعلن أهلها استقلالها تحت حكم الملك فيصل بن الحسين [١٣٠٠ - ١٣٥٢ هـ - ١٨٨٣ - ١٩٣٣ م] وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى فيها، ولم يغادرها إلا عندما أجهض الاحتلال الفرنسى هذا الكيان العربى [١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م].

(١٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» ج ١ ص ١٠٢٣.



وبذلك استوى (المنار) ديوان الإصلاح الإسلامي، دينيا وسياسيا على امتداد أربعين عاما من عمر المدرسة الإصلاحية الإسلامية.. وفيها تأسست معالم المشروع النهضوي للشرق الإسلامي، وطالعت الأمة على صفحات (المنار) .

وكما كان (المنار) هو الامتداد المتطور لصحافة هذا التيار التجديدي- وخاصة (العروة الوثقى) و(الوقائع المصرية) عندما رأس تحريرها الشيخ محمد عبده- فلقد غدا الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة الأستاذ الإمام هو إمام هذا التيار الفكري.. فمنذ السنوات الأخيرة في حياة محمد عبده، كانت قد رسخت في الأذهان حقيقة سلم بها الجميع، وهي: أن مكانة الشيخ رشيد من الأستاذ الإمام هي مكانة الإمام من أستاذه الأفغانى، وأنه هو رأس حركة الإصلاح الدينى من بعده وأبرز تلاميذه العاملين فى هذا الميدان.. بل لقد عبر الأستاذ الإمام، تلميحا يشبه التصريح، عن هذه الحقيقة فى الأبيات الشعرية التى نظمها وهو على فراش الموت، عندما صور رسالته الإصلاحية ومكان الشيخ رشيد فيها ومنها، وهو مكان « المرشد » فى هذا التيار!.. الذى يأمل الإمام

منه مواصلة السير على طريق الإصلاح.. عبر عن هذه « الوصية ».. وهذا « الأمل ».. فقال:

ولست أبالى أن يقال محمد

أبل أو اكتظت عليه المآثم

ولكن ديناً قد أردت صلاحه

أحاذر أن تقضى عليه العمائم

وللناس آمال يرجون نيلها

إذا مت ماتت واضمحلت عزائم

فيارب إن قدت رجعى قرية

إلى عالم الأرواح وانفض خاتم

فبارك على الإسلام وارزقه مرشدا

رشيدا يضئ النهج والليل قاتم

يمائلنى نطقاً وعلماً وحكمة

ويشبه منى السيف والسيف صارم! (١٣)

ولقد شاء الله أن يحقق آمال الأستاذ الإمام فى تلميذه الشيخ رشيد رضا، فتبوأ الرجل قيادة وإمامة المدرسة الإصلاحية بعد وفاة أستاذه.. ومضت « المنار » ساحة وديوانا لمعالم هذا الإصلاح، الذى ارتاد ميدانه جمال الدين الأفغانى.. ومثل فيه محمد عبده أبرز العقول المبدعة فى ميادين الفكرية.. رحمهم الله جميعا. وهى لنا منارا جديدا يخلف ويجدد ويطور رسالة « المنار »!

(١٣) المصدر السابق.. ج ١ ص ١٠٢٦، ١٠٢٧.

يُن الأمس واليوم

كيف نصبح خير أمة أخرجت للناس؟

للدكتور / محمد فتوح والحي

القول لمن حوله «أنا مع من؟» لا يخطر بباله يوماً أن يقول «مَنْ معي؟» إنها حالة من الإحساس بالهوان والدونية عبر عنها نبينا ﷺ عندما وصف صاحبها بالإمعة، وحذر منها أصحابه وكره ﷺ أن تكون صفة لأتباعه فقال محذراً: «لا يكن أحدكم إمعة». يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أسوأ أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أسوأ أن تجتنبوا إساءتهم^(١).

إنها غيرة من رسول الله ﷺ على أمته أن ترى خفيفة الوزن ضائعة الهيبة فاقدة الهوية، مهينة الجناح وكأنني بالمرارة تعتصر قلب رسول الله ﷺ وهو ينظر بعين الغيب فيرى أبناء هذه الأمة اليوم على كثرة عددهم أذلاء وعلى وفرة أموالهم فقراء. إن أصدق وصف لحالهم هو أنهم كما وصفهم نبينا

كثيرة هي الأمراض التي تصيب بدن الإنسان فتسقمه، وماتزال به حتى تنخر كيانه وتهدمه، وأكثر منها ما يصيب فكر الإنسان فيفسده، وما يصيب عقله فيفقده الإدراك، ويحرمه صحة النظر، ودقة الحكم على الأشياء. وصدق القائل:

يقضى على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وبرغم خطورة أمراض الفكر والروح، فإن أمراض البدن على ضآلة خطرهما، ومحدودية أثرها، تلقى من اهتمام الإنسان أضعاف أضعاف ماتلقاه أمراض الفكر والروح، وذلك دليل آخر، وآفة جديدة من آفات الحكم على الأشياء.

ويكمن خطر الأمراض التي تصيب الفكر، في قدرتها على إصابة العقل بالشلل، وتكبيله بقيود من العجز والقهر والخور، فإذا صاحبها دائم الإحساس بالتبعية، مفتقر إلى من يقوده، دائم

(١) مجمع الزوائد ١/ ١٨٠.



ونظريات علمته منذ القديم كيف يكون حوار الحضارات. هذا الحوار الذى ازدهر فى الأندلس، واكتمل فى غرناطة، وأثمر فى قرطبة وأشبيلية، وطليلة و فى صقلية، وجنوب إيطاليا وشمالها، بالإضافة إلى مدارس القيروان، والقاهرة وبغداد والكوفة وبلخ ونيسابور، وسمرقند.

إنها الأمة الوحيدة التى تولى الله -عز وجل- حفظ كتابها، وصيانة شريعته، وسلامة نصوصها، عندما عجز علماؤها، وضعف أبناؤها، وانفردت عقدها.

ولك أن تتساءل.. ما الغاية من وراء حفظ الكتاب وصيانة الشريعة وسلامة النصوص، إلا لأن الله -سبحانه وتعالى- يدخرها لدور عظيم ستؤديه، ونظام عالمى جديد ستبنيه. فאלله لا يحفظ شيئاً عبثاً ولا يترك أمر الناس سدى.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣).

إن الأمة الإسلامية التى حباها الله سلامة الفطرة، والوهية المنهج، وصحة المعتقد، وربانية القيادة، ماتزال هى المؤهلة للقيادة، والمنتدبة للسيادة، والمفضلة على العالمين بالرغم مما تعانيه من ضعف قوتها، وقلة حيلتها، وهوانها على الناس.

ومن منا لا يذكر جيوش الغرب الصليبي، وكيف جاءت غازية باغية، فرجعت منهزمة عسكرياً، لكنها عادت بزاد روحى، ومدد حضارى، وفكر جديد.

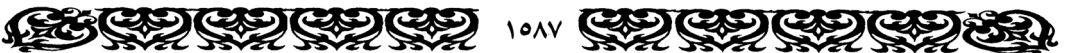
عليه السلام: «كثير، ولكنهم غثاء كغثاء السيل» (٢). إنهم لم يؤتوا من قلة عددهم ولكن من خفة وزنهم، وغياب وعيهم وهوان أمرهم إنها كثرة لا يجمعها هدف، ولا يحكمها منهج، ولا يضمها كيان وماذا تجدى الكثرة فى أناس فقدوا القدرة على إدراك الغاية من وجودهم، وعجزوا عن إحسان السير فى الأرض، سيراً يحفظ كيانهم، ويصون حقوقهم، ويعلى شأنهم ويؤكد هيبته؟

وماذا تجدى ملايين الأصفار إن وضعت على يسار الواحد الصحيح، ولم ترزق القدرة على احتلال مكانها عن يمينه؟

إن الأمة اليوم بحاجة إلى معجزة لتنقل هذا الرقم الصحيح على يسار تلك الأصفار، لكى تغدو بهذا الواحد كيانا يخشى ومقاماً يهاب.

وإن الأمة التى قهرت كسروية الفرس، وقيصرية الروم، وامتدت تنشر أشعة الهداية إلى هضاب أوربا، ومجاهل آسيا، وأدغال أفريقيا، وجبال الهند والصين، هى نفسها الأمة التى قهرت الشرك فى جزيرة العرب، وغسلت منه أدمغة الناس فى شرق العالم وغربه، وشماله وجنوبه وهى نفسها التى استشعرت خطر الصليبية، فأصاحت سمعها للقائد الربانى المسلم عماد الدين زنكى، ومن بعده ولده الشهيد السلطان «نور الدين محمود» هذا الرجل الذى صنع فى بلاطه وبين يديه بطل الإسلام العظيم، الناصر صلاح الدين الأيوبي.

إن الأمة التى صنعت حضارة العالم الحديث بما قدمته إليه من إنجازات، وما أهده إليه من معارف



أن تمر من مصر. وأدركت الأمة بحسها الإيماني، إخلاص القيادة وتجردها فهيرت من خلفها هادرة قادرة، فاستطاعت برغم جراحها السياسية، أن تذوب تلك الجيوش الجرارة في تيار حضارتها، وأن تصهرها في بوتقة عقيدتها، وأن تضيف مكتسبات الغزاة ومواهبهم إلى تراثها وأصالتها. وهذا ما يجعلنا نستشعر جسامة الجريمة وفداحة الجنائية، من فةة من المستغربين، ممن أداروا ظهورهم لمنهج الإسلام القويم، وراحوا يشككون أبناء أمتهم في تراثها العظيم، وقد يمموا وجوههم شطر حضارة الغرب، يرجون من نارها رياء لقلوبهم الظمأى وأرواحهم الشكلى ورعوسهم الجوفاء.

ولا أدري ماذا عند أهل الغرب من خير يرجى أو نفع يرام، وهم الذين لم تعرف جباههم لذة السجود لله ولم تخفق قلوبهم بخشيتة، رغبة في ثوابه، أو رهبة من عقابه، أو حياء من وجهه الكريم، فأبأؤهم عندما تدينوا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأما أبناءؤهم وأحفادهم، فقد ازدروا الأديان جملة، واتخذ كل واحد منهم إلهه هواه. فعبدوا القوة واللذة والشهوة ووسائل الإنتاج. يقول المفكر النمساوي «ليبولد فايس» الذي اعتنق الإسلام: «إن الاتجاه الديني مبني دائما على الاعتقاد بأن هناك قانونا إلهيا مطلقا شاملا، وأننا نحن البشر مطالبون بأن نخضع أنفسنا لمقتضياته. ولكن المدنية الغربية الحديثة لاتقر الحاجة الى خضوع ما إلا لمقتضيات اقتصادية، أو اجتماعية، أو قومية. إن معبودها الحقيقي ليس من نوع روحاني، ولكن الرفاهية.

وكلنا يذكر كيف جاء التتار مدمرين مخربين، حتى إذا عاينوا حضارة الإسلام وعایشوها، رأيناهم يذوبون في الكيان الأقوى، والعقيدة الأقوم، عقيدة الإسلام ورأينا منهم صناديد راسخة، وهامات شامخة، انكسرت على أيديهم جحافل الشرك، وعبداء الأوثان، حتى من التتار أنفسهم، ومن هؤلاء القادة: سيف الدين قطز، وركن الدين بيبرس، والمنصور قلاوون وغيرهم.

والذي يلفت النظر ويسترعى الانتباه، أن الأمة الإسلامية قد أدت هذا الدور الحضاري، فهزمت الغرب الصليبي، وسحقت الخطر التتري، بالرغم مما كانت تعانيه يومها من فقر ومجاعات، وتشردم وصراعات. لكن قوة العقيدة وسلامة الفطرة، وربانية القيادة، كانت دائما أسلحة ماضية في يد المخلصين من أبناء هذه الأمة، فقد استطاع هؤلاء المخلصون تجاوز هذه الانكسارات، والقضاء على تلك الصراعات، عندما نجح صلاح الدين الأيوبي في استثمار انتصارات أستاذة نور الدين محمود على الصليبيين، كما انتهز فرصة النزاع الدائر في مصر بين الوزيرين المتنافسين: شاور، وضرغام، واستطاع أن يحسم النزاع لصالح مستقبل الأمة وسيادتها، وأن يصل إلى مصر فاتحا، ليضع حدا لمهاترات هذين الوزيرين اللذين شقيت بهما مصر في ظل الخليفة الفاطمي العاضد، الذي تحول في أيديهما إلى دمية يحركونها كيف يشاؤون. (٤)

لقد أدرك صلاح الدين الأيوبي بحسه السياسي الملمه أنه لاغنى لمصر عن الشام، ولاغنى للشام عن مصر، وأن المعركة المرتقبة لتحرير بيت المقدس لابد

(٤) انظر: الأيوبيون والمماليك د. قاسم عبده قاسم - دار المعارف - سنة ١٩٩٥ ص ٢٣.



في أرضهم رسالة ولا شهدت سماؤهم آيات
الوحي المقدس .. « وجبريل رَوَّاح بها غداء » .

فإذا غلبتهم الوثنية على أمرهم، وصرعتهم ضرباتها
القاسية فغدوا عبيد تلك الأهواء، وأسرى تلك
الشهوات . فما الذى نملكه نحن من أعذار، وكتاب
الله بين أيدينا، وسنة رسول الله ﷺ محفوظة فينا .
ورصيد الفطرة الكامن في أعماق الناس يستحثنا،
ورصيد التجربة لهذا المنهج على مدى التاريخ
الإسلامي يستنهضنا، ولا يبقى إلا أن نخرج من حالة
الذهول عن الذات، تلك الحالة التي طالت حتى
أثارت عجب الدنيا كلها وأن نتقدم للدنيا بهذا المنهج
الإلهي الذى يمثله الإسلام في صورته النهائية، كما
جاء بها محمد ﷺ منقذين مرشدين، على أن يكون
واضحا لدينا جيدا، أن هذا المنهج الإلهي، لا يتحقق فى
الأرض، وفى دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله،
ولا يتحقق بكلمة « كن » الإلهية مباشرة لحظة تنزله .
ولا يتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه، ولا يتحقق بالقهر
الإلهي على نحو ما يمتضى ناموسه فى دورة الفلك
وسير الكواكب، إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من
البشر . تؤمن به إيمانا كاملا، وتستقيم عليه - بقدر
طاقاتها- وتجتهد لتحقيقه فى قلوب الآخرين وفى
حياتهم كذلك وتجاهد لهذه الغاية بكل ماتملك،
مستشعرين معنى قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨) .

وإن فلسفتها الحقيقية المعاصرة إنما تجد قوة التعبير
عن نفسها عن طريق الرغبة فى القوة، وكلا هذين
موروث عن المدنية الرومانية القديمة . (٥)

استسمح القارئ أن يتوقف معى أمام تلك
العبرة : « إنما تجد قوة التعبير عن نفسها عن طريق
الرغبة فى القوة » ثم انظر الى ما تفعله أمريكا
بالمستضعفين فى العالم، وإصرارها على مواصلة
التهديد بالإفناء والتدمير لكل من يخالفها، أو
يفكر فى العيش مستقلا عن إرادتها أو متحرراً
عن سلطانها .

ألا ما أشقى العالم ! وما تعس البشرية ! إذا
كان كل حظها من العيش، ماتجود به تلك
القلوب القاسية، أو مايتبقى من فرائس تلك
الحباب الدامية .

وما ظنك بقوم، اجتمع عقلاؤهم، واتفقت
آراؤهم، فى أعلى المجامع التشريعية لديهم، على إباحة
جريمة الشذوذ، واستصدروا لها قانونا ينظم زواج
الرجل بالرجل . وهو أمر تعافه البهائم وتنفر منه طباع
الحيوانات (٦) وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ
وَالَّذِي خَبِثُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (٧) .

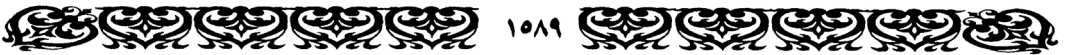
وإذا كان الغرب قد اختار لنفسه هذا المنهج،
وارتضى لذويه هذا المصير، انطلقا من إرثه
الرومانى الوثنى، فعذر هؤلاء القوم أنهم لم يعرفوا

(٥) الإسلام على مقترب الطرق - محمد أسد - ترجمة عمرو فروخ ص ٣٥ .

(٦) انظر تفصيل ذلك فى كتاب: المرأة والأسرة فى الحضارة الغربية الحديثة - محمد عطية خميس - دار الاعتصام ص ١٩٧٩ م ص ٣٥ وما بعدها .

(٨) العنكبوت (٦٩) .

(٧) سورة الاعراف آية: ٥٨ .





الفاروق عمر رضي الله عنه الْحَاكِمُ الْإِنْسَانُ

للمؤلف الدكتور / محمود عمارة

مثل الهرمزان بين يدي عمر - رضي الله عنه - لتنفيذ حكم الإعدام فيه .. فطلب منه عمر أن يسلم ..

فقال : لا أرغب . قال عمر : إذن .. تضرب بالسيف

فطلب شربة ماء .. قائلا : يا أمير المؤمنين ، أنا آمن حتى أشربها ؟ قال : نعم .. فرمى بالماء ثم قال : الوفاء .. يا أمير المؤمنين !! فقال عمر : صدقت .. حتى أنظر في أمرك !

ثم أسلم الهرمزان ، فقال له عمر : أسلمت أحسن إسلام .. فلماذا لجأت إلى هذا ؟ قال : خشيت أن تقول أسلم خوفا ؟ فقال عمر : إن للفرس عقولا استحقوا بها ما كانوا فيه من ملك .

وإذن .. فقد كانت بذرة الإيمان جاهزة في قلب القائد الفارسي فلماذا ، بالعنف فلماذا نقتل الجنين قبل أن يتخلق !!؟

ولقد أحسن عمر مثوبة الرجل .. فكان خير دعاية للإسلام .. الذي يغزو القلوب لا بمعسول القول ..

وإنما بالقدوة التي تمثلها عمر - رضي الله عنه - بوفائه بوعده .. وفي الموقف الحرج ..

إن عمر - رضي الله عنه - والذي كان يملك ويحكم لم يفرض

رأيه .. صادرا عن روح القرآن القائل :



﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ (١)

انه يعرضها .. ولا يفرضها .. إن فى ذلك لعبرة
لأهل زمان ذهب فيه الرجال .. وبقي الجدال !!
لقد ذهب الرجال الذين كانوا يجادلون
بالحسنى .. بالمنطق الأسنى ..
لا يدعون احتكار الحقيقة .. وإنما الحقيقة ملك
للجميع .. لا يقابلون التجريح بمثله .. وشعار
أحدهم ما يحكيه واحد منهم: أن تفرض إرادتك
على الآخرين .. فهذه قوة.
وأن تفرضها على نفسك .. فأنت أقوى ..
يقول أحدهم:

لا أريد الإهانة بمثلها .. فلا أحد يستطيع أن
ينقص من شأنى، ولكنى أنا وحدى الذى أستطيع
أن أنقص من شأن نفسى، ومن أراد أن ينقص من
كرامتى .. فلن يستطيع، لن يستطيع، لا بالنفاق،
ولا بالتهديد، ولو كان عاصفة. فلن أنحنى لها،
سأركبها سأطوعها لإرادتى بدل أن تحتوينى وفى
هذا الموقف الصعب وقف رئيس الدولة كالطود
الأشم .. أمام منطق العدو الماكر .. ولم يجد إلا
القيمة .. إلا خلق الوفاء يكسب به الرجل .. الرجل
الذى كسبته الدعوة وكسب هو حياته.

إن الناس يستطيعون أن يقتلونا .. لكنهم لا
يستطيعون أن يأكلونا .. ربما تسقط .. غدرا .. أو
حيلة .. أما أن تسلم نفسك هذا ليأكلك الآخرون
وأنت ساكت فلا !!.

لقد كان الفاروق - رضى الله عنه - كالعهد
به دائما: رجلا عظيما، فمقياس العظمة أن يكون

الرجل أكبر من شهوته، وأن يكون الحق أكبر
منه !!.

ولقد كان عمر كذلك .. وفى كل المواقف:
رجاعا إلى الحق ..

لقد أخرجته سلمان يوما .. وعلى الملاء فى
المسجد الجامع لما رأى الخليفة يلبس ثوبين بينما
كان نصيب الفرد غيره ثوبا واحدا ولم يتبرم
واعتصم بضبط النفس حتى كسب القضية ..
وهو هو نفسه الذى طرحه امرأة جادلت فى شأن
المهور .. بينما هو أولا: عمر .. وثانيا هو
الخليفة .. لكنه عاد إلى الحق لما ظهر.

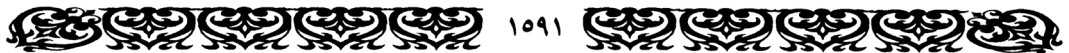
وهو فى موقفه هنا مع العدو «الهرمزان» كان فى
قمته حين قدر .. لكنه عفا .. فصار عفوه بابا مفتوحا
أمام الناس يدخلون منه إلى دين الله أفواجا.

عمر .. مع القاعدة الشعبية

عرفنا تقدير عمر - رضى الله عنه - لأهل
الحل والعقد حتى من الأعداء .. فكيف كانت
معاملته للقاعدة الشعبية من البسطاء، والأيتام
والضعفاء؟

إنه من الصعب على المتأمل النزول إلى أعماق
نفس عمر - رضى الله عنه - ومن ثم فهو عاجز
عن وصف النفس فى كل أطوارها: فى رضاها ..
وغضبها، فى ألمها، وأملها، فإذا تعلق الأمر بنفس
عبرى كعمر - رضى الله عنه - كانت المهمة
أصعب .. وكل ما نستطيع أن نفعله .. إنما هو
حبات السكر نلتقطها من أفواه النمل !!.

ولكننا - وبجهد المقل - نحاول الاقتراب من





بعناصر العافية يسرى فى عروقهم دما .. وتلك
هى الخطة السريعة .. إلى جانب خطة طويلة الأمد
هى هذا الراتب الشهري .

وقبل هذا .. كان هذا التحقيق السريع .. أو
التحقق من أسباب ما رأى وما سمع .. فى بيت
أغلب الظن أنه بلا عائل ..

(٤)

وكان من حيلة المرأة أنها تعاملت مع الظروف
القاسية بالحيلة .. بالنار .. والحصى .. والماء ..
لكن الجوع كان أعلى صوتا من حيلتها .. فضج
البيت بصراخ الصغار ولاحظ من أدبها انها لم
تشتم عمر .. ولكنها تشكو منه فقط .. وحين
ترشح صاحب النجدة للخلافة .. كم أسعدها أن
يكون هو عمر نفسه .. والذى أعاد بالنجدة ثقة
هو أحق بها وأهلها .

وعاد الخليفة إلى بيته .. فحمل دقيقا ..
وسمنا .. وعسلا ثم جلس يساعدها فى الإعداد
والدخان يتخلل من لحيته ! ثم قرر راتبها شهريا
لأسرة . ولم يغادر الدار « حتى سمع الأطفال
يتضاحكون » .

وقالت له المرأة : جزاك الله خيرا . أنت أولى
بهذا الأمر - تعنى الخلافة - من عمر !!

أما بعد :

فقد قالوا : إن عدل السلطان أنفع للرعية من
خصب الزمان ، ولقد كان الفاروق - رضى الله
عنه - ذلك السلطان .. الذى نفع الله به الأمة ...
وكما يرسل الله الرياح بشرا بين يدي رحمته ..
فقد كان - رضى الله عنه - من حراس الأرض الذين
ثبت الله بهم دعائم الدين وأغاظ به الكافرين .

الرجل .. لنسد .. ونقارب .. لنعود من الرحلة
المباركة .. بما يفيد .

خرج عمر - رضى الله عنه - فى جولة تفتيشية ..
وخرج هذه المرة متنكرا .. ثم طرق بابا .. ففتحت له ربة
البيت . فسلم عليها .. ثم قال : ما بال هؤلاء الصبية
يكون ؟ قالت : إنهم جياع وليس عندى ما أطعمهم به .
فقال لها : وما هذا الذى توقدين عليه فى القدر ؟ فقالت :
ماء ... وحصى .. ألهيهم به . حتى يناموا . الله بيننا وبين
عمر !! فقال : وما يدري عمر بكم يا أختاه ؟!! قالت :
عجبا !! يتولى أمرنا ثم يغفل عنا !!

من دروس الموقف

(١)

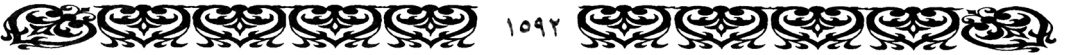
خرج رضى الله عنه متنكرا .. لماذا ؟
ليرى الأمور على طبيعتها .. وليتوفر عنصر
المفاجأة الذى لا يتيح للمهمل فرصة الاستعداد
خوفا وطمعا . وهو بذلك يوفر على بيت المال
نفقات استقبال المسؤل الكبير .. والتى تشكل
عبئا على ميزانية الدولة .

(٢)

عندما سمع الحاكم أنات الشعب متمثلة فى
هؤلاء الصغار .. اتخذ القرار الفورى .. والذى حمى
به الصبية من الضياع .. والمرأة من الانحراف .. لأن
بكاء الصبية يعنى هما كبيرا .. قد يكون : غياب
الزوج .. أو مرض الصبي .. أو جوعه ..

(٣)

لم تكن النجدة العمرية ملهاة تسكت
الصبيان .. ولا تشبعهم .. وإنما كانت غداء غنيا





من فقه عمر في تغيير المنكر

أتعاقبني؟

قال: لا.

فقال الرجل: لو شربت ماء أتعاقبني؟

قال: لا

فقال: لماذا تعاقبني على نبيذ التمر وهو: تمر،

وماء؟!

فقال له إياس: لو رميتك بقبضة من تراب، هل

تتألم؟

قال الرجل: لا.

فقال: لو صببت عليك ماء، هل ينكسر عضو

لك؟

قال: لا.

فقال إياس القاضي الذكي: لكني لو

مزجتهم، فصنعت منهما قالباً من الطوب،

كسرت به رأسك!!

فبهت الذي سأل!!

مسئولية المحكوم

فلندع فلسفة الشاربين الكاذبة، لنرى كيف

تعاون المجتمع كله على التصدي للانحراف، كل

فيما يخصه.

فماذا في موقف اليوم من دروس؟

الشعب هنا مفتاح العين، يلاحق الانحراف في

مظانه.

وها هم أولاء صحابة رسول الله ينصحون

الشارب أولاً بالطرق السلمية، حتى لا يرفعوا أمره

إلى الحاكم.

فلما «تابع» الرجل الشرب وأصم أذنيه عن

مهما كانت مسؤولية الحاكم عن ملاحقة الانحراف والتصدي له، فإن ذلك لا يسقط مسؤولية المحكوم عن الوقوف إلى جانبه، بالكشف عن المنحرفين، وتقديمهم إلى ساحة القصاص.

قيل لعمر - رضى الله عنه - إن فلانا يتابع الشراب، فكتب إليه: إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

فلم يزل الرجل يرددها، ويبكى، حتى تاب، وصحت توبته. وبلغت توبته عمر - رضى الله عنه - فقال لمن حوله: هكذا فاصنعوا:

إذا رأيتم أحاكم قد زل: فسدوده، ووقفوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه.

لا يتناول الحيوان طعاماً يؤذيه.. ولا يأكل من العشب إلا القدر الذي يكفي حاجته ولا يزيد. والنبات أيضاً، لا يمتص من الضوء أكثر من حاجته ولا أقل منها، مقتصر على ما يكفيه مما يحقق توازنه.

ولكن الإنسان وهو المأمور بالاعتدال.. يتأبى.. فلا يقتصر على ما يفيد، بل يطعم ويشرب مما يحل، ولا يحل.. واضعاً أصابعه في أذنيه فلا يسمع نداء الطب، ولا نداء الفطرة!.

ومن هنا يشرب الخمر.. ضارباً صفحاً من عمره الذي يخربه بهذا الداء العضال، بل إنه لخصيم مبين يحاول فلسفة الشراب الوالغ فيه تسويقاً لمواقفه.

قال رجل لإياس بن معاوية: لو أكلت تمرأ



تسفر فى النهاية عن توبة نصوح بقدر ما ستؤدى إلى مهاترة فسجن، ثم خروج من السجن إلى الحانة من جديد؟!

إن توحيد العقوبة مع اختلاف الملابسات منهج خاطئ لا يقتلع الداء من جذوره، والحكمة قاضية بالدراسة المستأنية الواصلة إلى قلب المذنب، حتى إذا ظهرت ملامح الداء كان الدواء.

وهذا ما فعله عمر - رضى الله عنه - حين استثنى هذا الشارب من القاعدة العامة، فصحت توبته.

بل إنه أى الرجل الذى كان يردد الآية وكأنما يسمعها لأول مرة، فتحدرت دموعه الصاعدة بتوبته الشاهدة بما تفعله الموعظة الحسنة من آثار، وما تحطه من آصار.

منهج فى الإصلاح

ولم يشأ عمر - رضى الله عنه - أن يترك الموقف يمر دون أن يتخذ منه معلماً بارزاً للهداية والإرشاد.

لقد نبه قومه إلى ما يمكن عمله فى مثل هذا الموقف:

أ - إذا زل أخوكم، فاعلموا أنه ما زال مع خطئه.. أخاكم.. وتفرض الأخوة عليكم أن تنصحوه لا أن ترجموه.

ب - حولوا وجهته ليسير معكم فى الاتجاه الصحيح.. «سددوه».

ج - ثم «وفقوه» مصاحبين له فى رحلة الطهر حتى يستقيم على الخط القاصد.

نصح الناصحين، كان لابد من القبض عليه وتسليمه إلى جهة الاختصاص، وتنتهى مسئولية المحكوم بالإبلاغ.

ثم تبدأ مسئولية الحاكم، بالحساب، ثم العقاب.

وهذا ما فعله عمر - رضى الله عنه - بدأ على الفور يباشر سلطاته فأرسل للرجل هذه الرسالة الرقيقة المؤثرة. ذكره بحمد الله الذى لا يُحمد على مكروه سواه والذى شرع التوبة خروجاً من الأزمة، ثم لقنه درساً فى التربية الراشدة حين جمع له بين عنصر الترغيب «غافر الذنب» وعنصر التهيب «شديد العقاب» مؤكداً له أن المصير فى النهاية إليه تعالى وحده.. وعليه أن يستعد للموقف الرهيب.

من ثم ثمرات الحكمة

وقد سألت نفسى: أين «عصا» عمر هنا؟ لماذا لم يضرب هذا الرجل؟

ثم.. ألم يتصور عمر الجدار يوماً وراء شباب يحتسون الخمر ليفاجئهم فى عقر دارهم؟

لماذا يتخلى اليوم عن صرامته المعهودة؟!

إنها الحكمة التى تدرس الواقعة، وتضع المذنب فى نقطة الضوء، كشفها لكل ملابسات الذنب.

فلما رآه مدمناً، غارقاً إلى الأذقان فى شرابه، لم تكن العصا هى الحل الأمثل، وإنما الكلمة البليغة المؤثرة، والآية القرآنية تمسك بخناق الرجل، فى محاولة لانتشاله من غفلته.

وإلا.. فإن منازل الخمر المدمن بالقوة، لن



د - ومع دوركم البشرى، اسألوا الله أن يعينه
ليستمر مثلكم صالحاً.
هـ - واعلموا أن الشيطان واقف لكم بالمرصاد،
فناظر كيف تعملون حتى يضرب ضربته، فكونوا
مع أخيكم ضد عدوكم المشترك: الشيطان.

لقد وصل سمعه إلى الحاكم الذى أسرع
فأصدر توجيهاته بإطعامه، فاستجاب المأمور
فوراً. فماذا بعد الشعب إلا أن يكون تاجراً؟

إنه يتاجر فى كرامته، ومع سبق الترصد
والإصرار.

وإذن فلا ينفع فيه إلا العصا:

العبد يقرع بالعصا

والحر تكفيه المقالة

وما أصدق ما قاله الشاعر الحر معبراً عن ذل
السؤال. لاسيما إذا كان المسئول لفيما.

فقد سأل اعرابى رجلاً موسراً، فلم ينل منه،
فقال شعراً:

والله والله ——— رتين

لحفر بئر بإرتين

ولكنس مصر بريشتين

وغسل عبيدين أسودين

حتى يحولوا أبيضين

وحمل ثورين باليدين

ونزع طودين راسيين

ونقل بحررين زاخرين

على صعيد بمنخلين

ولا وقوفى على لئيم

يضيع منه حياء عيني

ولماذا الدرة هذه المرة؟

ونقلب الصفحة لنرى عمر - رضى الله عنه -
فى موقف آخر يهوى بالدرة على رأس مذنّب
آخر، فما هو السر، بل ما هى القصة؟.

سمع عمر سائلاً يسأل بعد المغرب، فقال
لرجل فى مجلسه: قم عش الرجل.

فقام الرجل، فاصطحب السائل فعشاه.

ثم سمع ابن الخطاب السائل يسأل ثانية. فقال
لرجل: ألم أقل لك قم عش الرجل؟

فقال الرجل لابن الخطاب: قد عشيت.

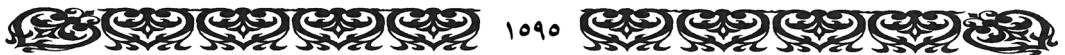
حينئذ نظر عمر فإذا تحت إبط الرجل مخلاة
مملوءة خبزاً، فناده عمر وقال له: لست سائلاً،
ولكنك تاجر.

ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى أهل الصدقة،
وضربه بالدرة وقال له: لا تعد لمثلها.

إن بين الموقفين فرقا كبيراً:

فقد تسوّقك أقدارك فإذا أنت فى مجلس
شراب، وقد يغريك رفقاء السوء فتقع فى المستنقع
الأسن مكرها، وقد كنت من قبل ملاكاً، وإذن
فمن الحكمة إنقاذك برفق، لأن الشخصية حينئذ
قابلة للكسر!.

وربما كان فى أعماقك ندم يقض مضجعك،





نور في سيرة النورسي

التكاملية بين الديني والدنيوي في الرؤية الإسلامية

لم يفصل المصلح والمجدد والداعية الإسلامي التركي «بديع الزمان سعيد النورسي» (١٢٩٠ - ١٣٧٩ هـ) (١٨٧٣ - ١٩٦٠ م) - بين ما هو ديني، وما هو دنيوي، وبين ما هو متصل بالعقيدة (التوحيد ومقتضياته الكونية والعبادية) وما هو عقل متصل بالشرعية وما هو وجدان متصل بالقلب والأدب والفن، وما هو أخلاق ونظرة للإنسان والكون والحياة، فكل دين موصول ومتكامل كما يعلمنا القرآن نفسه. وفي موسوعة رسائل النور، التي كتبها النورسي انطلاقاً من المنهجية القرآنية لا تجد فواصل قاطعة، ولا تجد منهجية مدرسية أو أكاديمية تقدم لك المعارف أو القضايا عبر سلسلة أو حلقات من الأبواب والفصول والمباحث بل تجد إنسياً هنا يلتقي مع انسياب هناك، قد يكون التركيز في جانب إبراز عقيدة التوحيد، لكن الاعتماد في تأكيد هذه الرؤية الإيمانية القرآنية النورسية يقوم على حقائق الكون والإنسان.

الأنا الإنسانية التي تمثل مرآة أسماء الله الحسنى ونقطة تجلياتها. ولأن الاعتماد في الرؤية الإيمانية يقوم على أساس هذه النظرة الشمولية غير التقليدية، فإنه بالتالي يعتمد في عرضه على أسلوب لا يمكن أن يكون رياضياً أو علمياً خالياً من الروح والفكر الروحي الموصول بالقلب، وبالكيان كله.....!!

وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يكون أسلوباً أدبياً بلاغياً إنشائياً حسبه أن يقرع الأذن، ويحرك العاطفة، ثم لا يترك أثراً في توجيه الصياغة السلوكية الفردية أو الاجتماعية في الحياة، وكأنه أقرب إلى الشعر بمفهومه عند أكثر المحدثين والحداثيين..

للدكتور / عبد الحليم عويس

وكل ما يتعلّق بها باطناً وظاهراً، والمعرفة الإلهية التي ترتبط بوجود الله وتوحيده وربوبيته وتجليات أسمائه الحسنی فی خلقه وفی كونه ..

-ومن حقنا - بل من واجبنا - أن ننّه إلى التكاملية فی الرؤية النورسية بین العقل والعلم - من جانب - والأدب والوجدانيات .. من جانب آخر، كما أنه من حقنا أن نشير إلى التكاملية فی (نظرية المعرفة النورسية) إلى التكامل بین ما هو كوني يعتمد على العقل والعلم، وإنساني يعتمد على القلب والروح وأدوات الأدب والفنّ، وإلهی مصدره الوحي، يقود الجانبين السابقين إلى تحقيق السعادة الحقّة للإنسان الفرد والإنسان المجموع صانع الحضارة، ويمكن الإنسان من أن يكون إنسانياً وربانياً مترجماً من خلال الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان ... (بالأنا) - أي بالشعور بالوجود والإرادة، وبالقدرة على تمثّل معظم أسماء الله الحسنی فی الكون .. كما تمثّل المرأة الكائنات التي تظهر أُمّامها .

- وفي ضوء هذا تتعاشق المعارف الثلاث فيما بينها (الكونية والإنسانية والإلهية) كما تتعاشق زوايا مثلث الأضلاع، تقوم قاعدته فی أحد طرفيها على المعرفة الكونية، وعلى المعرفة الإنسانية فی طرفها الآخر، بينما تعلو قمته (المعرفة الإلهية)^(١) ... ولعلنا - من خلال هذه الرؤية التكاملية نعرف موقع الأدب ورسالته فی فكر النورسى ... ونعرف - أيضاً - طبيعة الرؤية النورسية الشمولية القرآنية .

- إن (الأدب) - انطلاقاً من المنهجية القرآنية التي انطلق منها النورسى ... يجب أن يكون (كالعلم) فی انضباطه بالحق، وفی توظيفه توظيفاً يتكامل مع (العقل) - أو مع العلم - فی خدمة الدين والحق والحياة الإنسانية الكريمة اللائقة بإنسانية الإنسان . ولئن كان العقل والعلم يخاطبان جانباً ضرورياً ومهماً فی كيان الإنسان، فإن الأدب والوجدانيات يخاطبان كذلك الجانب الآخر المتمّ للحقيقة الإنسانية ..

- وقد دفعت حضارة المسلمين فی قرونها الأخيرة ثمناً غالياً عندما فقدت التكامل بین الجانبين، وأهملت جانب العقل والعلم ومقتضياتهما، ولسوف تدفع الحضارة المادية (الأورو - أمريكية) الحديثة ثمناً باهظاً لإهمالها دور الأدب والوجدان والروح بطريقة أخلاقية توازنية إيجابية إنسانية ..

- ولئن كانت المنظومات الحضارية اللائقة بالإنسان والضامنة لسلامة مستقبله الحضارى تقتضى التكامل بین لغتى العلم والأدب، و بین قضاياهما، وآلياتهما فی الحدود المقبولة منهجياً - وأهدافهما الوظيفية الإنسانية والكونية والإلهية .. كما ترى الرؤية النورسية التي عبّرت عنها بتفصيل ووضوح رسائل النور ..

- لئن كان الأمر كذلك فإن المعرفة الحقّة الصحيحة الكفيلة بتحقيق سعادة جنس الإنسان لن تتحقق - كذلك - إلا من خلال الترابط والتكامل بین المعرفة الكونية، الشاملة للوعى بالانواميس والعلوم الطبيعية وتسخيرها، والمعرفة الإنسانية المعبرة عن مفردات الكينونة الإنسانية،

(١) أديب إبراهيم الدباغ: نظرية المعرفة عند النورسى ص ٧٥: ضمن أعمال المؤتمر العالمى الثالث حول تجديد الفكر الإسلامى فی القرن

العشرين عند النورسى ط تركيا ١٩٩٦ .



الإنسان (المشاهد) (بكسر الهاء)، وبين إبداع الله في الكون (المشاهد) (بفتحة الهاء) فيقول: «من الحقائق المستقرة الثابتة أن كل ذي جمال فائق يحب أن يشاهد جماله بنظره وينظر غيره، وينظر إلى محسّانه بالذات وبالواسطة، ويشتاّق إلى مرآة فيها جلوة جماله المحبوب، وإلى مشتاق فيه مقاييس درجات حسنه المرغوب فالحسن والجمال يقتضيان الشهود والإشهاد، وهما يقتضيان وجود مستحسنين متنزهين في مناظرهما، ووجود مشتاقين متحيرين في لطائفهما»^(٣).

- وعن هذا الإيمان الذي تؤكده المعرفة، والمعرفة التي يقويها الإيمان، وعن التجاذب بين المشاهد والمشاهد، وبين ما هو عقلي علمي، وما هو وجداني أدبي - يحدثنا أحد طلاب رسائل النور قائلاً: «كنت أحسُّ فراغاً كبيراً في نفسي، وفي روحي، وبينما كنت أبحث عن كتاب لأقرأه وجدت رسائل النور التي ما إن قرأتها حتى علمت بأنني لن أستطيع بعد مفارقتها، إذ أحسست بأنها هي التي تسدُّ هذه الحاجة القلبية لدى، لأنني وجدتُ فيها البراهين والأدلة العقلية والإيمانية المنقذة من الشبه العلمية والإيمانية، وتخلصت بذلك من القلق، ومن الضيق الذي كانت الشبهات تحدّثه وتولده فيّ. وأدركتُ من هذه الحقائق أن رسائل النور كتبت لإنسان هذا العصر.

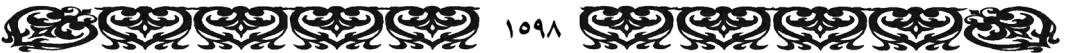
- وقد أحسست أن إيماني يقوى كلما قرأتها، وهذا أنقذني من السقوط في هوة الضلالة، وأنقذني من العدول عن ديني الجامع لكل جوانب الحق والحقيقة.

- ولكي يتعامل المسلم مع الكون والحياة - في الرؤية النورسية - لا بد له من تحريك طاقاته كلها، أي كيانه كله، أي ملكاته العقلية والروحية والوجدانية. فإنَّ تحريك طاقة العقل وحده بالعلم، أو القلب وحده بالأدب والفن، لن تحقّق الرؤية الصحيحة القادرة على النفاذ إلى أعماق الكون، فمن الضروري أن تتحقّق الرؤية الشمولية التي لا تمنع اعتماد السببية في شؤون الحياة، ولا تمنع كذلك من نفاذ الرؤية الإيمانية بعيداً عن قفص السببية في محاولة لاختراق الجدران الصلبة للسببية انطلاقاً إلى الأبد اللامحدود، ذلك الذي نسمع قوانين إيقاعه في جنبات الروح والوجدان حيث تعجز السببية عنه وتنكفي عنه... ولهذا فإن (النورسي) لا يرى في عالم «الشهادة» الكثيف معضلة ما تفقد بصيرته الروحية قدرتها على النفاذ إلى «عالم الغيب» وراء هذا الكون، بل إن عالم الشهادة يشكل في حسّه لوحة إعجازية خارقة في إعجازيتها، رسّمتها وأبدعت فيها يد المبدع البارئ القدير جلّ جلاله، غير أنه - أي عالم الشهادة - يظل رمزاً وإيماء وظلاً يدل، بشبّحيته وظلّه على عالم أجمل وأقدس وأروع، أبدى لانهائي ينتظر عيون المؤمنين الوالهة الشغوفة بالجمال^(٢).

- وبقدر ما في نفوسنا من توق وحنين فطري إلى مشاهدة الجمال والأنس به، كذلك فإن الجمال نفسه يبادلنا هذا الشوق، ويطلب لنفسه صفوة من المشاهدين الذواقين الذين يحسنون المشاهدة. ويوضح (النورسي) هذه العلاقة التبادلية بين

(٢) أديب الدباغ المرجع السابق ص ٧٩

(٣) بديع الزمان النورسي - المثنوي العربي النوري ص ٩٢ ط ١٤١٥ هـ - مصر - ترجمة إحسان الصالحى نشر دار سوزلر للنشر بالقاهرة.



﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥).

ويقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٦)

- فعلى المسلمين مهما كانت أجناسهم أو أوطانهم أن ينتبھوا إلى أنهم حملة الراية بعد أستاذهم ومعلمهم محمد ﷺ وعليهم أن ينتبھوا إلى أن الأمانة التي ائتمنهم الله عليها، وهى (البلاغ للناس بالقرآن) إنما هى نور للناس جميعاً، إذا آمنوا بها، لا فرق بين أسود وأبيض.. يقول الله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا

كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُمُ

سَبِيلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧)

فالمهم - لكى يتحقق النور - أن يتبعه

الناس...!!

- وعندما عَرَضَ سعيد النورسى - من خلال

رسائل النور - للرؤية القرآنية فى حلّ مشكلات

العصر الحديث، ولم يعرضها لتحل المشكلات فى

الدائرة الإسلامية أو التركية أو العربية وحدها،

وإنما عرضها ليحلّ - من خلالها - مشكلات

الحضارة الإنسانية كلها...!!

- وهما أسس أرقى مدنية - وأنقذنى من أن أكون لقمة سائغة يلتهمها الوحش الأحمر (٤).

- إننا نرى هنا - فى أسلوب تلميذ النورسى - رشحاً لأسلوب النورسى نفسه، فهو أسلوب علمى أدبى - عقلى روحى ووجدانى فى نسيج واحد.

- لقد كان من بديهيات الأمور - ولابدّ - أن يكون خطاب النورسى عالمياً بطبيعته؛ لأنه مادام قد وهب نفسه لخدمة الكلمة القرآنية والحقيقة القرآنية والبيان القرآنى، فلا بدّ - بالتالى - أن يكون خطابه عالمياً... عالمياً فى فكره... وعالمياً فى أسلوبه وأدواته البحثية، وعالمياً فى جانبه العقلى والعلمى، وعالمياً فى خطابه الأدبى وأساليب تعبيراته وتخييلاته الأدبية والفنية..

- كان النورسى ينفر من التحزّب والفرقية والطرقية، فقد ابتعته الله - كما ابتعث كثيراً من المجددين والمصلحين - لينقذ حقيقة إنسانية عالمية وهى الحقيقة الإيمانية.

- فحتى لو كان خطابه للأتراك أو للعرب أو للفرس أو الأكراد، فإنه إنما كان يخاطبهم لينبّهم إلى طبيعة رسالتهم التى ارتضوها حين ارتضوا الإسلام ديناً، والقرآن منهجاً، ومحمداً ﷺ نبياً ورسولاً.

- إنها الطبيعة العالمية الإنسانية الإسلامية..

- أليس الله قد خاطب نبيه محمداً بقوله:

(٤) بديع الزمان النورسى - الشعاعات - ص ٥٩٠ - ٥٩١ ط ١٤١٤ هـ مصر - ترجمة إحسان الصالحى - نشر دار سوزلر للنشر بالقاهرة.

(٧) المائدة (١٥ - ١٦).

(٦) سبأ (٢٨).

(٥) الأنبياء (١٠٧).

﴿ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استنفاء أرت القراء

حيث إننى لم أعط لأبنائى الذكور مثل البنات
واقتصرت على إعطائهن من مبلغ الـ
٥٠.٠٠٠ ر. جنيه الأولى. ويطلب السائل بيان
الحكم الشرعى؟

●● الجواب :

إن ما يريد أن يقوم به السائل من تقسيم نصف
مكافأة نهاية الخدمة على أولاده وزوجتيه على أن
يكون للذكر من أولاده مثل حظ الأنثيين فهو جائز
شرعاً على ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل من
جواز تقسيم العطية أو الهبة قسمة الميراث.

وذهب جمهور الفقهاء مالك والشافعى وأبو
حنيفة وابن المبارك إلى استحباب المساواة بين
الأبناء فى العطية بمعنى إعطاء الذكر مثل ما يعطى
الأنثى لأن النبى ﷺ قال للبشير بن سعد «سو
بينهم»^(١) والابن كالبنت فى استحقاق برها
فكذلك فى عطيتها.

اطلعنا على الطلب المقدم من الأستاذ / الطاهر
محمد أحمد الطاهر - مدير تحرير مجلة الأزهر
المقيد برقم ١٣٥٨ لسنة ٢٠٠٢م المتضمن:

● السؤال : من المواطنى .ى من القاهرة :-
والمرسل على مجلة الأزهر الشريف :-

حصلت على مبلغ نظير بلوغى سن المعاش
مقداره ١٠٠.٠٠٠ ر. جنيه «مائة ألف جنيه»
وضعت منه مبلغ ٥٠.٠٠٠ ر. جنيه «خمسین ألف
جنيه» لشخصى فى البنك لأننى مسئول عن
أسرتين. والنصف الباقي ٥٠.٠٠٠ ر. جنيه «خمسون
ألف جنيه» قررت أن أقسمه وفقاً للشرعية
الإسلامية للذكر مثل حظ الأنثيين ويوضع لكل
واحد نصيبه فى البنك وللزوجتين كذلك.

فهل لو أعطيت من المبلغ المخصص لى جزءاً
وليكن ١٠.٠٠٠ ر. جنيه «عشرة آلاف جنيه» لكل
بنت مساهمة فى الجهاز هل فى هذا وزر أو حرمة

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

وتطلب الجهة السائلة بيان الحكم الشرعي
في ذلك .

●● الجواب :

قال الله تعالى :

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْ مَسَاكُ
يَعْرِفُ أَوْ تَسْرِيحٌ يَأْخُذُ﴾ (٢).

أى أن الطلاق المشروع يكون مرة يعقبها
رجعة، ثم مرة ثانية يعقبها رجعة كذلك ثم أن
المطلق بعد ذلك له الخيار، بين أن يمسكها
بمعروف، أو يفارقها بإحسان، والطلاق قد يكون
سنياً وقد يكون بدعياً .

الطلاق السننى : وهو الموصوف بكونه واقعاً
على المنهج الذى عليه سنة التشريع الإسلامى
وسنة النبى ﷺ .

والطلاق البدعى : وهو المخالف لسنة النبى ﷺ .

ويجوز للشخص أن يفاضل بين أولاده إذا كانت
له أسباب ومبررات شرعية تقتضى المفاضلة .

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ومما ذكر

يعلم الجواب .

والله سبحانه وتعالى أعلم

الطلاق يقع سواء كانت الزوجة على طهر

أو غير طهر

● السيدة / س.ر.ك.ش أقامت دعوى إبطال

إشهار الطلاق المؤرخ فى

١٩٩٩ / ١٠ / ٢٨ لأن زوجها طلقها وهى

حائض أمام محكمة الجيزة الكلية للأحوال

الشخصية أمام الدائرة ١٥ شرعى كلى جنوب .

وبجلسة ٢٠٠٢ / ١ / ٢١ طلبت المحكمة

رأى دار الإفتاء فى هذا الطلاق الذى تم أثناء

الحيض وهل هو واقع أم لا ؟

وإن كان مع الإثم، وهو قول أصحاب المذاهب
الفقهية الأربعة المشهورة، وهو قول أهل العلم،
ولهذا قال ابن المنذر وابن عبد البر لم يخالف
فى ذلك إلا أهل البدع والضلال [الاختيار ٣ /
١٧٣، ومغنى المحتاج ٣ / ٣٠٧، حاشية
الدسوقي ٣ / ٣٦١، والمغنى ٧ / ٩٩].

والفريق الآخر وهم الشيعة الإمامية وابن تيمية وابن
القيم يقولون: إن الطلاق البدعى لا يقع ولا يعتد به
شرعاً وحجتهم فى ذلك الآثار وأقوال الصحابة
والتابعين، فقد سئل عبدالله بن عمر فى رجل طلق
امراته وهى حائض فأجاب بأنه لا يعتد به.

كما استدلو بما روى أن عبدالله بن مسعود كان
يقول: «من أتى الأمر على وجهه، فقد بين الله له وإلا
فوالله ما لنا طاقة بكل ما تحدثون» المغنى ٧ / ١٠٠.

وقال ابن القيم: إن الطلاق البدعى منهى عنه
والنهى يقتضى الفساد والحكم بالصحة يقتضى
المنافضة لأن الله يحكم بالصحة ونحن نحكم
بالفساد والواجب حكم الله لا حكم البشر.
المغنى (٤ / ٤٤).

والجمهور يستدلون لمذهبهم بما روى من حديث
ابن عمر - رضى الله عنه - أنه طلق امرأته وهى
حائض فأمره النبى ﷺ بمراجعتها على أن يطلقها إن
أراد فى طهر لم يقربها فيه وقال له: فتلك العدة التى
أمر الله أن يطلق لها النساء أى فى قوله تعالى:

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٢). أى مستقبلات

لعدتهن.

ويوصف الطلاق بأنه سنى إذا وقع بعد الدخول أو
الخلوة الشرعية الصحيحة فى طهر ولم يجامع فيه
ويكون طلاقاً واحدة. فإن جاء على غير ذلك وصف
بأنه بدعى أى غير موافق للسنة النبوية ويتحقق
البدعى إما بالطلاق أثناء الحيض وأما بطلاق تم فى
طهر جومع فيه وإما بلفظ جاء فيه أكثر من طلاق
سواء كان ذلك فى حيض أو فى طهر.

وهذا عند الجمهور من الفقهاء، ولكن الحنفية
يعتبرون طلاق السنة بالنسبة للعدة مرتين إحداهما
الأحسن، ويكون بواحدة فقط لا يتجاوزها حتى
تنتهى العدة والأخرى الحسن وهو الذى يتكرر فيه
ثلاثة أطهار وحجة الحنفية فى اعتبار القسم الأخير
من السنة أنه ورد فى بعض الروايات أن النبى ﷺ
قال لابن عمر: «أن من السنة أن تستقبل الطهر
استقبالاً، تطلقها لكل طهر تطليقة»^(٣).

ولا توصف الزوجة غير المدخول بها بأن طلاقها
سنى أو بدعى بالنسبة للطهر وإنما يكون من جهة
العدة فقط، فإذا ما طلقها واحدة فقط ولو فى
حيض كان طلاقاً للسنة لأنه يكون بائناً فى جميع
الحالات أى سواء كانت فى حيض أو طهر لأنه بعد
الطلاق لا يحل له رجوعها إلا بعقد ومهر جديدين
لأنها قد بانت بينونة صغرى عند الفقهاء [المغنى ٧ /
٩٨ وما بعدها والاختيار ٣ / ١٧٣] ويتفق
الفقهاء على أن من يطلق طلاق البدعة فهو آثم
ولكنهم اختلفوا فى وقوعه وصحته حيث صححه
البعض ولم يعتبره البعض الآخر.

وجمهور الفقهاء يرون وقوع الطلاق البدعى

إلا بهذه الوسيلة، وأن يتم ذلك على يد طبيب حاذق مؤتمن في تعامله.

ثانياً : أما استئجار الأرحام فإنه محرم وممنوع شرعاً، وقد صدر قرار مجمع البحوث الإسلامية رقم (١) بجلسته بتاريخ ٢٩/٣/٢٠٠١ بتحريم تأجير الأرحام. وكذلك أجمع الفقهاء المعاصرون أثناء بحث هذه المسألة (في إحدى ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) على حرمتها، لأن هنا طرفاً ثالثاً غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل: فهل الأحق به صاحبة البويضة التي تخلق منها الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذي تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنيناً مكتملاً؟... والطفل الذي يأتى بين والدتين لا يدرى من أمه على سبيل القطع والتأكد، سيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك... وهذا من الأسباب التي حملت الفقهاء على أن استئجار الأرحام محرم شرعاً.

وبناءً على ما سبق يتضح :-

أولاً : جواز أطفال الأنابيب بشرط أن يكون الماء من الزوج والبويضة من زوجته. وإعادة البويضة الملقحة مرة أخرى في رحم ذات الزوجة التي أخذت منها البويضة ومع مراعاة بقية الشروط المنوه عنها سابقاً.

ثانياً : تحريم ما يسمى باستئجار الأرحام تحريماً قطعياً للعلل المذكورة سابقاً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

والرجعة لا تكون إلا بعد طلاق وما دام النبي ﷺ قد أمر ابن عمر بأن يراجع زوجته فهذا دليل على إقرار النبي ﷺ بوقوع الطلاق من ابن عمر وإن خالف طريق السنة في وقوعه وقد أمره النبي ﷺ أمر نذب لا أمر إيجاب بالمراجعة لالتزام السنة في أمر الطلاق عند أحد الصحابة الذين كانوا دائماً يحرصون ويتلمسون - وبخاصة ابن عمر - طريق السنة التماساً، فالأمر بالمراجعة للإرشاد والندب لا للإلزام والوجوب [المغنى ٧ / ١٠٠].

ودار الإفتاء تميل للأخذ بقول جمهور الفقهاء من أن الطلاق يقع ويلحق الزوجة سواء كانت الزوجة على طهر أو غير طهر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

استئجار الأرحام حرام

● السؤال من الأستاذ / أ.أ. يقول : ما موقف الشريعة الإسلامية من أطفال الأنابيب؟ وما الفرق في الحكم بين هذه الحالة وبين استئجار الأرحام؟

●● الجواب :

أولاً : بالنسبة للإنجاب بوضع لقاح الزوج والزوجة خارج الرحم ثم إعادة نقله إلى رحم الزوجة لا مانع منه شرعاً إذا ثبت قطعاً أن البويضة من الزوجة والحيوان المنوى من زوجها وتم تفاعلهما وإخصابهما خارج رحم هذه الزوجة - أنابيب - وأعيدت البويضة ملقحة إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمنى إنسان آخر، وكانت هناك ضرورة طبية داعية إلى ذلك كمرض بالزوجة أو الزوج يمنع ذلك، أو أن الزوجة لا تحمل

خطبة الجمعة

آداب الأعياد

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١).

أشهد أن لا إله إلا الله، يأخذ المنحرفين بالتأديب حتى يردهم عن غيهم وهواهم: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُونَهُمْ﴾ (٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، معلم الخير والبر، وناشر الإيمان والإحسان، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى الطيبين من آل بيته، والمقربين من أهل صحبته، والمؤمنين برسالته ودعوته:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَثَابٍ﴾ (٣).

يا أتباع محمد ﷺ! ...!

الأعياد أيام معلومة، تمر على الأمة فتتلقاها لقاء خاصاً، لارتباطها بما تحبه وتجله، من ذكريات عزيزة أو عقائد كريمة، فإذا مر بالأمة عيد من هذه الأعياد تحركت عواطفها، وانبعثت مشاعرها،

(٢) محمد (١٧).

(١) الفتح (٤).

(٣) الرعد (٢٩).

ومعنى هذا أن المسلم من شأنه أن يعمل، فإذا استوفى حظه وجهده من العمل وقف وقفة الراحة والاستجمام، ليأخذ نصيبه من الهدوء والرضى، ثم يعاود العمل، فإذا قطع مرحلة أخذ فترة راحة، ثم عاود العمل. وهكذا يدأب المسلم على ذلك دون أن يسرف في العمل فيهرق نفسه أو يزهقها، ودون أن يسرف في فرح فيوهن دعائم التماسك والنضال فيها:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٦).

ومن الشائع لدى العامة أن الأعياد مواسم يعبون فيها من اللهو عبا، ويشربون خلالها من الأهواء بأوفى المكاييل، بلا تحرز من حرام، أو تباعد عن باطل، وهذا ضلال في الاعتقاد، وانحراف في الاتجاه، فما كانت الأعياد في الإسلام إلا أاحة فيحاء يجد المسلم عندها وارف الظل ونمير الماء ورقيق الهواء وطهور المتاع. ومن الجدير بالمسلم أن يحسن المزج في الأعياد بين اللهو الطيب والتعبد الحميد، وبين الإقبال على الراحة وعدم الغفلة عن واهب النعم ومصدر الكرم جل جلاله، ولذا ذكر أن رسوله قد قال في هذا المقام: «من أحيأ ليلتي الفطر والأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» (٧). وقال الإمام الشافعي: «بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: أول ليلة في رجب، وليلة نصف شعبان، وليلتي العيد، وليلة الجمعة». وقال سهل التستري عن هذه الأعياد: «إنها أيام يرجى فيها الفضل من الله، فإذا انشغلت فيها بهواك، ومتعت

وأحست بهزة تنال عطفها، وانتفاضة تشمل حسها ونفسها، ومن طبيعة الأعياد أن تتسم بالفرح والسرور، لأنها تأتي في أعقاب نصر وفوز، وتكون خاتمة لمرحلة من مراحل التوفيق في أمر من أمور الدين أو أمور الدنيا، ولا عيب على المسلم إذا أخذ حظه من الفرحة في مواطن البهجة، أو أبدى سروره في مقامات السرور؛ والله - عز وجل - قد جعل السرور من خير الثواب الذي يلقي به عباده يوم الجزاء:

﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شِرْذَنَكَ الْيَوْمَ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ (٨) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (٩).

ولكن الذي يحسن بالمسلم هو أن يكون قاصداً معتدلاً في فرحه وسروره، فلا يسرف ولا يشتط، بل يتوسط ويقارب، لأنه من الأمة الوسط، وفي القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (١٠) أى الذين يكثرون الفرحة بزخارف الدنيا. وليذكر المسلم هنا أن عيد الفطر يأتي عقب جهاد هو الصوم، وما يكاد المسلم يأخذ حظه من الراحة والاستجمام حتى يعود إلى جهاده الحسى والروحي، ويستعد لموسم الحج؛ وعيد الأضحى يأتي عقب رحلة الحج التي يبذل فيها المسلم ما يبذل من جهده وجهاده، وما يكاد يعود إلى بلده عقب الحج حتى تطل عليه أضواء عام هجرى جديد تدعوه إلى أخذ الأهبة للبدء في مرحلة جديدة من مراحل العمل لخير الذات، وخير الجماعة المسلمة وخير الناس كلهم..

(٥) القصص (٧٦).

(٧) اتحاف السادة المتقين ٤١٠/٣ ٢٠٦/٥ مجمع الزوائد.

(٤) الإنسان (١١، ١٢).

(٦) الإسراء (٢٩).

يجزى عنه؟. فاعتبر مسلمة بذلك، وأخذ يحمل نفسه على الاقتصاد فى الطعام.

ومن آداب الأعياد وملازمها الأساسية الإحسان ومعونة الناس، لأن الأعياد أفراح ومسرات، وخير مسرة هى التى تعم الجميع، والرجل الأصيل يميل إلى الأفراد بما يهمه أو يحزنه، فإذا شملته نعمة أسعده أن يجد الذين حوله يشاركونه فيها، ويقاسمون بهجتها ومسرتها، ولذلك كان العيدان الرئيسيان فى الإسلام يومين من أيام التوسعة على الفقراء والمحتاجين، وفى عيد الفطر يخرج المسلم زكاة الفطر، وفى عيد الأضحى يضحي المسلم بذبيحة يأكل منها، ويهدى إلى أحبائه وأصدقائه، ويحسن منها إلى الذين لا يجدون سعة فى هذا اليوم الكريم....

يا أتباع محمد ﷺ! ...

فلننذكر جيداً أنه ليس من آداب الأعياد فى شئ زيارة القبور، أو إتيان الفجور، أو شرب الخمر، أو الاختلاط الفاحش بين الرجل والنساء، أو بيات النساء فى المقابر، أو تلك المهازل التى يرتكب فيها المتحللون مختلف الآثام والمنكرات، ويصفونها بأنها احتفال أو ابتهاج بالأعياد، فتلك أيام مجيدة مشهودة، مجموع لها الناس، فيجب أن تنتزه عما لا يليق بالعقلاء والفضلاء، واللّه يقول الحق وهو يهدى السبيل.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٩).

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٠).

ففيها النفس بالشهوات، فمتى ترجو الفضل والمزيد؟. ولقد خطب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز فى عيد فطر فقال: «أندرون ما مخرجكم هذا؟ صمتم ثلاثين يوماً، وقمتم ثلاثين ليلة، ثم خرجتم تسألون ربكم أن يتقبل منكم». ولا شك أن من خرج إلى ربه يرجو ثواب عمله، يكون فى خشوع وخضوع، وأدب ووقار، حتى لا يريد الله عمله، وحتى لا يحرمه ثوابه.

ومن الشائع كذلك أن الأعياد فرصة للإسراف فى ألوان الطعام وكمياته إلى حد التخمّة، من أن دستور المسلم فى ذلك هو قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨)

وهذا الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز يعطينا درساً بليغاً فى الاقتصاد فى الطعام. فقد كان ابن عمه مسلمة بن عبد الملك شراً نهماً مسرفاً فى الطعام، يجمع الألوان من الأطعمة ويكثر منها فى نهم وتوسع، فأراد عمر أن يعطيه درساً، فدعاه إلى بيته مبكراً، وانتظر عمر حتى جاع مسلمة، وأراد أن يستأذن فاستبقاه عمر، وأمر أهل بيته بأن يعدوا ثريد عدس وحده، وأن يعدوا ألواناً شهية أخرى من الطعام فلما امتد الوقت، واشتد الجوع بمسلمة أمر عمر بطعام العدس فأخذ مسلمة يأكل منه فى رغبة قوية وشهوة بادية، حتى شبع، ثم أمر عمر بتقديم الألوان الأخرى، فلم يمد إليها مسلمة يداً، فقال له عمر: كل. فأجاب: قد شبعتم ولم يبق عندى ميل للطعام. قال عمر: فلماذا السرف فى الطعام والتحم فى النار، وهذا

الأسرة من المنظور الإسلامي

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

إليهم»^(١). «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله - عز وجل - خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»^(٢).

«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»^(٣) «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»^(٤).. «تنكح المرأة على إحدى خصال: لجمالها ومالهها وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك»^(٥).

«أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكِر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسها ولا ماله»^(٦).

هذه التوجيهات الراشدة والحاسمة معاً تفرض بالضرورة على المسلم أن يصحح من منظوره في اختيار شريكة الحياة، وتضعه أمام مرحلة الاختيار في منطقة الوعي بأن المال عرض وبأن الجمال عارية، وبأن الحسب مقياس ترابي، وبأن الدين وحده هو الأساس الحقيقي

١ تنطلق نظرية الإسلام في بناء الأسرة المسلمة من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة.

- مستوى كونها احتمالاً لم يتحقق بعد.

- ومستوى كونها فعلاً يتحقق الآن.

- ومستوى كونها فعلاً قد تحقق.

- ومستوى كونها فعلاً استقر على قاعدة صلبة أو تعرض لرياح القلق والاهتزاز.

٢ من المنظور الأول: (كون الأسرة احتمالاً

لم يتحقق بعد) .. يحرض الإسلام على تخير نوعية المرأة التي ستصير زوجة للرجل، وأما للأبناء ومصنعاً لتخريج جيل من الشبيبة المسلمة، وغموضاً لنصف الأمة المسلمة، وفي هذا الصدد يوجه الإسلام إلى ضرورة التريث وضرورة الانتخاب حتى يقوم بناء الأسرة على منطق الحب وليس على منطق الصفقة، ولعل في حديث النبي ﷺ ما يؤكد هذه الوضعية الراشدة.

«تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا

(٢) أخرجه ابن ماجه.

(٤) أخرجه أبو داود.

(٦) أخرجه الطبراني والبيهقي.

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم.

(٣) أخرجه مسلم.

(٥) أخرجه أحمد.

المصطلح الإسلامي بالكفاءة المادية والكفاءة الروحية والكفاءة الفكرية فإن ذلك أعون بالضرورة على خلق المناخ الصالح لتبادل الرأي والمشورة وتبادل الحب والنجوى وتبادل البذل والعطاء وليس في هذه النظرة الإسلامية ما يشي بحس طبقى كما يزعم الخابطون ولكنها نظرة موضوعية تضع كل شئ في نصابه الطبيعى حتى لا يفقد أى من الطرفين طبيعة الأرض المشتركة التى يقف فيها إلى جوار صاحبه يبادله العطف والفكر والكدح وتوجيه أمواج الحركة الحياتية فى اتجاه شاطئ القرار .

على أن هذه (الكفاءة) محكومة بنظرة كل من الطرفين إلى الآخر وسكونه إليه، ولو كانا من نوعيتى تركيب اجتماعى متفاوت فى موازين العرف والمال والاجتماع .

٤ ومن المنظور الثالث (كون الأسرة فعلاً قد تحقق بالفعل) يحرض الإسلام على التزام نوعيات محددة من الحقوق والواجبات فللزوج حقوق على زوجته وعليه واجبات حيالها . وللزوجة حقوق على زوجها وعليها واجبات حياله، وللوالدين جميعاً حقوق على أولادهما وعليهما جميعاً حقوق على أولادهما وللأبناء حقوق على الوالدين وعليهم واجبات حيال هذين الوالدين - ولحكمة ما، لم يترك الإسلام هذه الحقوق وهذه الواجبات سدى استناداً إلى وشائج الدم والحب التى تربط بين أولئك وهؤلاء ولكنه حدد الحقوق والواجبات وجسد نوعية العلاقات بين الجميع فى ظل الوفاء بهذه الأطر وفى ظل نقضها جميعاً .

وإن كان الإسلام قد حرص على شئ قبل هذه العلاقات وبعد هذه العلاقات فهو حريص على بر الوالدين حتى فى لحظات الانشقاق العقائدى ..

الذى يمكن أن تقاس به درجة القبول والرفض لأنه هو الأساس الحقيقى الذى يعصم المرأة من أن تصبح شريكة بالمال فى حياة تستهدف السكن والحب ودفء العلاقات أو شريكة بالانتماء العائلى فى حياة عقيدية يمكن أن يضحي المرء فى سبيلها بكل الانتماءات إذا تعارضت مع سمته العقائدى ويبقى الدين وحده جامعاً لا يتعرض للتفتت، وجامعة لا تتعرض للانفكك .

٣ ومن المنظور الثانى (كون الأسرة فعلاً يتحقق لحظة القبول) يحرض الإسلام على التعرف الكامل من جانب كل من الشريكين على الآخر، لأن ذلك أدعى إلى تمتين أواصر الحب وأخلق ببناء الهرم الاجتماعى المسلم الصغير على قاعدة الاستبصار وليس على عشوائية الربط بين النقيضين - إن من حق الرجل والمرأة على السواء أن يعرف كلاهما الآخر، وأن يرى كلاهما الآخر فى حيطة الأسرة ورعاية المناخ العائلى .. ومن حق الرجل والمرأة على السواء كذلك أن يرضى كلاهما بالآخر، وأن يوافق كلاهما على الآخر حتى تبدأ الرحلة الحياتية بكلمة الحب لتنتهى إلى حب دائم يظل مسافات الحياة، وقد أقر النبى ﷺ هذه الوضعية الصوابية فى حادثة الفتاة المسلمة التى وفدت على عائشة - رضى الله عنها - تشكو إليها أن أباه زوجها من ابن أخيه ليرفع بها خسيسته، وحين يدخل الرسول ﷺ يبعث بمن يستقدم له أباه ويلومه على ما فعل، ويترك للفتاة حرية القبول والرفض .. فتقول الفتاة (يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شئ) .. ليس ذلك فحسب ولكن الإسلام أعطى كلا من الرجل والمرأة على السواء كذلك حق أن تتعادل كفتاهما فى هذا اللقاء، وهو ما عبر عنه



والاخضرار، وإلا فإن بتر الداء في بواكيره أجدى من تركه ليراكم أعطابه في كل اتجاه.

وهكذا.. يلوح - بلا ادعاء - أن نظرية الإسلام في بناء الأسرة المسلمة تنطلق من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة فهو ينظر إليها من مستوى كونها احتمالاً لم يتحقق بعد فيحرض على ضرورة الاختيار والانتقاء.

وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً قد تحقق الآن، فيحرص على التعرف والرؤية والرضى. وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً قد تحقق بالفعل يحرص على تحديد العلاقة القائمة في رحاب الحق والواجب.

وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً تحقق ثم تعرض للاهتزاز، فيحرض على تأجيل كلمة الفصل ومراجعة الذات حتى ينقشع غيم الكراهة الطارئة ويومض في الأعماق فجر الحب والتواصل من جديد.

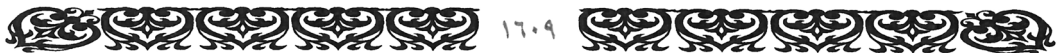
إن هذه النظرية الإسلامية لا تنهض على جانب عاطفى مبتوت الصلة بتعقيل الأشياء والعلاقات وهي لا تنهض كذلك على جانب عقلى مبتور الشائخ بتنمية عواطف الحب والرحمة، ولكنها تنهض على فلسفة يتعانق فيها الجانب العقلى والجانب العاطفى حتى تستطيع أن تحتفظ في لفظ الجدل الوجودى لنفسها بقيمة التوازن الراشد وتظل على الدوام عاملة في مجال التحقق الإنسانى بكل ما ينحنى عليه هذا التحقق الإنسانى من عواطف الخير وخير العواطف وتعقيل كل أولئك في تناغم طبيعى يتواتر على حركة البقاء في انسياب وجودى حميم!!

صحيح أنه حذر الأبناء من متابعة الآباء في قضية الشرك بالله، والكفر بواهب الحياة ولكنه حذرهم كذلك من التخلي عن أب ضل أو أم حادت، ويكفى أن لا نطيعهما في قضية الشرك، ولنصاحبهما بعد ذلك في الدنيا معروفاً... إن الحقوق والواجبات تبدأ - في الوجهة الإسلامية - من حسن المعاشرة إلى كفالة الحق المادى والحق المعنوى، إلى تبادل الرأى وطرح الاستبداد، إلى تحديد مناطق النفوذ فى البيت، إلى تأصيل دعائم الصون والاحترام فى علاقة كل بكل وبهذا يستحيل البيت المسلم إلى جنة خضراء من جهة وإلى مملكة محروسة التخوم من جهة أخرى.

٥ ومن المنظور الرابع (كون الأسرة فعلاً تحقق ثم تعرض بعد للقلق أو بداية الاهتزاز) يحرص الإسلام على تحكيم العقل وتوطين النفس على مصابرة الخلافات.. وقد مرر علاقة الرجل بالمرأة - مع بداية الانشقاق فى جدار الحب بينهما - فى مراحل الوعظ الرفيق والهجر اللاذع، والزجر المستأنى، فإذا لم تفلح هذه العلاجات الأولية لجأ الطرفان إلى التحكيم فيما بينهما، حكم من أهله وحكم من أهلها، وشرط فى الحكمين أن يكونا على نية البناء وليس على نية الهدم.

﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (٧).

فإرادة الإصلاح فى الحكمين أولية لازمة بينهما فإذا لم تفلح هذه العلاجات كذلك، فإن الإسلام يعطى مساحة زمنية لمراجعة النفس (بعد الطلاق) وبكلمة واحدة أو بملازمة مسترجعة تعود المياه إلى التدفق وتعود إلى الشفاه اليابسة بسمه الحب



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقيقة

حكى الأصمعي قال : مر أعرابي سائلا . فقلت له : كيف حالك ؟ قال : أسأل الناس إلحافا فيعطوني كرها فلا يؤجرون على ما يعطوني ، ولا يبارك لي فيما آخذ .

فيم تكذبان ؟

نظر رجل إلى اثنين يتحدثان . فقال : فيم تكذبان ؟ فقالا : في مدحك

صفة مالك بن أنس رحمته الله

قيل في مالك بن أنس -رضي الله عنه- :
يأبى الجواب فما يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى ، وعز سلطان التقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان

أضحكني وأبكاني

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه- : أضحكني ثلاث ، وأبكاني ثلاث :
أضحكني : مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل ولا يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط ربه أم راض .
وأبكاني : هول المطمع ، وانقطاع العمل ، وموقفى بين يدي الله لا أدرى أيا أمر بي إلى الجنة أم إلى النار .

يتمنون ما نحن فيه

روى سعيد بن بشر عن أبيه أن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، قال حين ثقل ، وقد رأى غسلاً يلوى ثوبا بيده :
وددت لو كنت غسلاً لا أعيش إلا مما اكتسب يوما بيوم .
فذكر ذلك لأبي حازم ، فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه !!

حق العلم

إن عليك في علمك حقا كما أن عليك في مالك حقا:

لا تحدث العلم غير أهله فتجهل، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك، ولقد أحسن القائل:

قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم:

ما طول صمتي عن عي ولا خرس

لكنه أحمد الأشياء عاقبة

عندي وأيسره من منطق شكس

أنشر البز فيمن ليس يعرفه

أم أنثر الدر بين العمى في الغلس

ولقد أحسن صالح بن عبدالقدوس في قوله:

وإذا حملت إلى سفيه حكمة

فلقد حملت بضاعة لا تنفق

الظلم على ثلاثة أوجه

قال بعض الحكماء: الظلم على ثلاثة أوجه، ظلم لا يغفره الله، وظلم لا يتركه الله، وظلم لا يعبأ الله به شيئا، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك بالله، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا، وأما الظلم الذي لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى.

قالوا...

● إن أعظم الحسرات يوم القيامة، حسرة رجل كسب ما لا في غير طاعة الله، فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله - سبحانه - فدخل به الجنة، ودخل الأول به النار.

● الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

● إذا كنت في إدار، والموت في إقبال فما أسرع الملتقى.

● إذا أقبلت الدنيا على حد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه.

● إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكرا للمقدرة عليه.

أعلم التابعين

قال بعض العلماء: كان أعلم التابعين «بالطلاق» سعيد بن المسيب، «وبالحج»: عطاء، «وبالحلال والحرام»: طاووس، «وبالتفسير»: مجاهد، وأجمعهم لذلك كله: سعيد بن جبير - رضى الله عن الجميع.

دعاء

اللهم افتح مسامع قلبي لذكرك، وارزقني طاعتك وطاعة رسولك، وعملا بكتابك.



وأثرها في إصلاح النفوس

مجموعة من

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

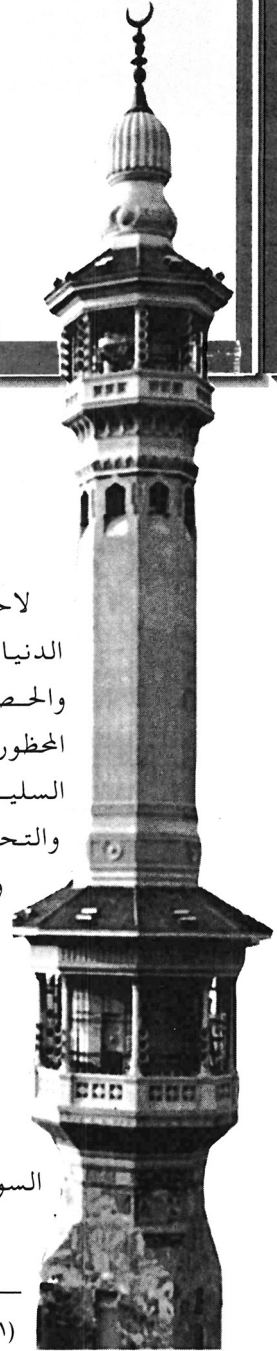
٢

لاحظ القرآن الكريم الإنسان الذي يقع ضحية فهم خاطيء لمتاع الحياة الدنيا وزينتها، فأفهم أن الاستمتاع الحلال بمتاع الحياة الدنيا وزينتها، والحصول على الطيبات من رزق الله من الأفعال المذمومة والردائل المحظورة. فنص القرآن الكريم في صراحة ووضوح على إباحة الرغائب السليمة للنفس، وترك لها فرصة التوسع الطيب، وعدّ التدخل بالحظر والتحريم والتضييق على النفس - في هذه الدائرة - قرينا لعمل السوء والفحشاء، لأنه موصل إلى عمل السوء والفحشاء، قال الله تعالى :

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

أجل : إن حظر الحلال الطيب، قول على الله بلا علم، وهو أخو السوء والفحشاء اللذين يأمر بهما الشيطان .
ويقول الله تعالى :

(١) البقرة (١٦٨، ١٦٩).



والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام . هل ترك الإسلام هذه النفس الإنسانية التى انحرفت عن الخير ومالت إلى الشر، وتغلبت نزعاتها الطائشة بارتكابها الآثام على فطرتها الصالحة التى تهفو إلى فعل الصالحات؟ هل ترك الإسلام هذه النفس الإنسانية بلا علاج؟؟

لقد وضع الإسلام فى منهجه الإصلاحى علاجاً لهذه النفس، حرصاً منه على هدايتها إلى الخير وعودتها إلى الطريق المستقيم، ورغبة منه فى أن يصرف عنها غواية الشيطان ووساوسه وتحريضه لها على ارتكاب المعاصى والذنوب، ومحافظة منه على سلامتها ونقاها وصفائها الفطرى .

يقول الله جل شأنه :

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّبَعْنَا الذِّكْرَى ۙ سَيَذَكِّرُنَا بَعْضُنَا ۚ وَنَجِّنَا الْأَشْقَى ۚ الَّذِى يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ۚ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۚ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۚ بَلْ تُؤْخِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ إِنَّ هَذَا لَفِ الصُّحُفِ الْأُولَى ۚ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۚ ۝٥﴾ .

لقد أمر الله - سبحانه وتعالى - الرسول ﷺ بتذكير الناس بالهدى ودين الحق، بدون إبطاء أو انقطاع أو يأس، وتنبيه النفس البشرية على أن تخضع لتصريف العقل

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣﴾ .

ويقول الله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ .

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ؟ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً، وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال : « أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله وإنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى : أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وقال ﷺ : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه، كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة » (٤) .

(٣) الأعراف (٣٢) .

(٥) الأعلى (٩ : ١٩) .

(٢) البقرة (١٧٢) .

(٤) كشف الخفا ٢/٢٣٨ .



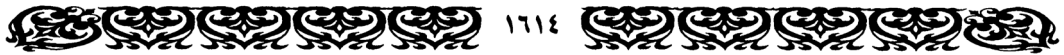
والرشد، ومنطق الفطرة السليمة، وتذكيرها بالإيمان بالله، والتصديق بما جاءت به الرسالة السماوية، والالتزام بتنفيذ الأخلاق الكريمة التي دعت إليها، وحذرنا من الاستمرار في غيها، والابتعاد عن الاستماع إلى الموعظة، ومجانبة النصيحة، وبيان لها جزاء من يستمع إلى الموعظة والنصيحة، وهو: الفوز والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، كما بين لها عاقبة من يرفض التذكرة، ويصم أذنيه عن النصيحة والموعظة، وهى: الشقاء والتعاسة، ودخول جهنم الذى يلقي فى أشد طبقاتها عذاب السعير والحريق، وأوضح لها أن ما يقوله الرسول ﷺ من التذكير والوعظ والنصيحة ليس جديدا بل هو ثابت ومذكور فى صحف إبراهيم وموسى - عليهما السلام - التى سبق أن أنزلها الله على هذين النبيين الكريمين. ويقول سبحانه وتعالى فى موضع آخر:

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْنَا الْقُرْآنَ مِنْ خِيفَةٍ وَعَيْدٍ ۖ ﴾ (٧).

أى نحن - أيها الرسول الكريم - أعلم بما يقول هؤلاء المشركون فى شأنك وفى شأن رسالتك وفى شأن دعوتك، وسنجازيهم على ذلك بما يستحقونه من عقاب، فاستمر أنت فى أداء وظيفتك، وهى: التذكير والتبليغ والموعظة، لأن هذه هى مهمتك، واصبر على أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، وبلغ رسالة ربك دون أن تخشى أحدا سواه، ودون أن تيأس أو يصيبك قنوط، فأنت لست بمسلط عليهم لتجبرهم على اتباعك، وتقههم على اتباع الحق، وإنما وظيفتك هى التذكير بهذا

﴿ ذَكَرْنَا أَنْتَ مَذْكُورٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۖ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَعَذَابُ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ۖ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ ﴾ (٦).

يدعو الله - تعالى - فى هذه الآيات الكريمة - رسوله الكريم ﷺ إلى الاستمرار والدوام فى دعوة الناس إلى الحق، وتذكيرهم بالإيمان بالله « بعد أن بين الله فى الآيات الكريمة التى سبقت هذه الآيات قدرته



سبيل الاستفهام التعجبي من أقوالهم وأحوالهم: هل أوصت الأقوام السابقة الأقوام اللاحقة بأن يقولوا لكل رسول يأتيهم من ربهم: أنت - أيها الرسول - ساحر أو مجنون؟ كلا لم يوص بعضهم بعضا بذلك لأنهم لم يتلاقوا، وإنما تشابهت قلوبهم في المعصية والكفر فاتحدت ألسنتهم في النطق بهذا القول المنكر.

ثم يضيف الله - سبحانه وتعالى - تسليية ثالثة، فيطلب من الرسول الكريم أن يعرض عن هؤلاء الجاحدين الكافرين، وعن الرد عليهم وجدالهم، وأن يسير في الطريق الذي حدده الله ورسمه له.. وعندما يفعل ذلك فلن يقع عليه لوم أو عتاب على ترك مجادلتهم.

غير أنه يجب عليك أيها الرسول الكريم أن تداوم وتستمر في أداء وظيفتك وهي: التذكير والتبليغ والموعظة مهما تقول المتقولون.. فإن التذكير بما أوحيناه إليك من هدايات سامية، وآداب حكيمة، وأخلاق كريمة ينفع المؤمنين ولا ينفع غيرهم من الجاحدين المعاندين..

لقد أكد الله - سبحانه وتعالى - وظيفة الرسول ﷺ، وهي: التبليغ والموعظة والتذكير.. في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، يقول الله تعالى:

القرآن وبما فيه من دعوة إلى الصراط المستقيم، وبما فيه من نصح وإرشاد للإنسان أن يؤمن بالله، ويلتزم بالهدى، ويخشى عذابه، ويخاف وعيده.

وحتى يستمر الرسول ﷺ في أداء وظيفته، وهي: التذكير والتبليغ والموعظة، يصدر ربح وقلب منشرح، حكى سبحانه وتعالى للرسول سلوك الأمم السابقة مع رسلهم، فقال جل شأنه:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أَلَّاوْا سِحْرًا مُجْنَوْنًا ۝ أَوْ أَصَوَابَ بَلَغَ لَهُمْ طَاعُونَ ۝ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨).

هذه الآيات الكريمة فيها أكثر من تسليية للرسول ﷺ، وفيها أمر من الله للرسول بأن يستمر في أداء وظيفته.

والمعنى أن ما سمعته وتسمعه - أيها الرسول الكريم - من قومك حين تدعوهم إلى الإيمان بالله وطاعته، فيصفونك بأنك: ساحر أو مجنون، ليس جديدا ولا غريبا بالنسبة للرسول.. فإنه ما أتى الأقوام الذين قبل قومك من رسول يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته، إلا وقالوا له - كما قال قومك في شأنك - هو: ساحر أو مجنون.

ثم يضيف الله - سبحانه وتعالى - إلى هذه التسليية تسليية أخرى، فيقول سبحانه على



﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَقَامُونَ ﴿٢٧﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ الْمُبِينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٩﴾

كانوا رجالاً من البشر، ولم يكونوا من
الملائكة، وقد أرسلهم الله مؤيدين بالمعجزات
وبالكتب العظيمة المشتملة على العقائد
السليمة، والتشريعات الحكيمة، والأخلاق
الكريمة التي تسعد الناس في دينهم
ودنياهم ..

ثم بينت الآية الكريمة وظيفة الرسول،
وبعض الحكم التي من أجلها أنزل الله -
تعالى - القرآن الكريم على الرسول وهي :

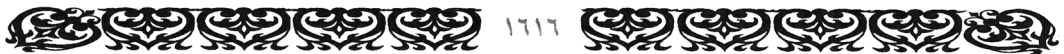
- تفسير ما اشتمل عليه القرآن الكريم من
آيات خفي معناها على المسلمين بأن يوضح
ويفسر لهم ما أجمله القرآن من آيات
وتشريعات وأحكام .

- دعوة الناس إلى التفكير والتدبر في
آيات القرآن الكريم، والاتعاظ والتذكر بها،
والعمل بمقتضاها .

والرسول ﷺ في أدائه لوظيفته التي كلفه
الله - سبحانه تعالى - بها وهي : التبليغ
والتذكير والموعظة اتبع الأسلوب والمنهج
الذي حدده الله له .

عندما أنكر الكافرون أن يكون محمد ﷺ
رسولاً لأنه من البشر، والله - في تفكيرهم
ومنطقهم - أعظم من أن يرسل رسوله بشراً ..
أنزل الله أكثر من آية في القرآن الكريم - منها
هذه الآية - مؤكداً أن الرسل جميعاً - عليهم
الصلاة والسلام - دائماً من البشر وأن الله
أرسلهم لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق،
فهم رجال مثلك يا محمد، وقد أوحينا إليهم
بما يبلغونه إلى أقوامهم من عبادات
وتشريعات، ونصائح وإرشادات، مثل ما
أوحينا إليك ..

وقد اقتضت حكمة الله أن يكون الرسول
من البشر في كل زمان ومكان، فإن كنتم
أيها الكافرون في شك من ذلك فاسألوا
علماء أهل الكتاب السابقة من اليهود
والنصارى، فسيجيئونكم بأن الرسل جميعاً



القدرة... والكون... والمصير

للدكتور/ على أحمد على

من قلب القرآن الكريم جاء قوله تعالى :

﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[يس - ٨٣]

الكون كله ملك له - تعالى - فكما ليس له شريك في خلقه، له ما شاء في ملكه، ملك - سبحانه وتعالى - هذا الكون : سماواته وأرضه... وما في سماواته وأرضه... وما بين سماواته وأرضه... وما فوق سماواته وما تحت الثرى من أرضه.

كل هذا الملك نص عليه في التنزيل العزيز إجمالاً وتفصيلاً، وفي «كليات القدرة» كما في غيرها من الآيات جاء الذكر الحكيم بهذا الإجمال والتفصيل

ونحن - المؤمنون - حين نقرأ قوله تعالى :

﴿لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

موقنون أنه - تعالى - مالك لكل السموات والأرض، ومالك للكون كله، غير أن حكمته - تعالى - اقتضت أن ينص على هذه الملكية تفصيلاً يزداد به المؤمن إيماناً، ويطبع به على قلوب الجاحدين إلحاداً، وهو من فوق ذلك - سبحانه - الشهيد القادر العليم.

ونذكر - بين يدي هذا المقال - قوله - تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعٍ يَرْيِدُ الْخَلْقَ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[فاطر - ١]

● فاطر السموات والأرض : بدأ خلقهما - جميعاً - على غير مثال سابق؛ فهو - سبحانه - وتعالى - بدعهما، فلم تكن من سماوات ولا أراض قبل أن يخلقا، والكون كله كذلك.

قال ابن عباس : كنت لا أدري : « ما فاطر السموات والأرض » حتى أتاني أعرابيَان يختصمان في بئر، فقال أحدهما : أنا فطرْتُها. أى أنا ابتدأتها ١ هـ القرطبي في الآية.

● جاعل الملائكة رُسلاً : بينه - تعالى - وبين خلقه، يُرْسِلُ بها إليهم بما شاء من مقادير، لاتبديل لكلماته، ولا مانع لقضائه.

● أُولَى أَجْنَحَةٍ مِّثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبْعٍ : زوَّدهم - سبحانه - وتعالى - بها إلى ما أعطاهم من قُوى يؤدون بها واجبههم كلمح البصر بين السموات..



وجل - للكون جملة وتفصيلاً؛ قال - تعالى :

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران - ١٨٩]

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[المائدة - ١٢٠]

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[المائدة - ١٧]

فالسماوات والأرض، وما في السموات والأرض، وما بين السموات والأرض.. كُلُّ مُلْكٍ له - تعالى :-

﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[الملك - ١]

وَخَلَقَهُ - تعالى - منبث في كل ملكه لا يحصيه إلا هو، منه ما نعلم - مشاهدة أو إخباراً منه تعالى - ومنه ما لا نعلم :

فسماء الدنيا مزينة بالنجوم أكاداسا ووحداناً، مفعمة بالكواكب وأقمارها أحجاماً وأشكالاً فوق متنها سماوات ست عليها من الملائكة والخلق جماعات وأقواماً، ثم خَلَقَ فوقهن، نعلم منه «الكرسى» يعلوه «العرش»^(٢).

ثم هو - سبحانه - المالك لما بين السماء والأرض، وما على سطح الأرض إلى ما تحت الثرى.

وبينها وبين الأرض على ما يشاء ربنا - عز وجل .

● يزيد في الخلق ما يشاء : أى في خلق الملائكة وغيرهم من آدمى وغيره؛ فليس في لفظ

﴿الْخَلْقِ﴾ في الآية دليل على أن (ال) فيها

للعهد؛ لينصرف ﴿الْخَلْقِ﴾ إلى مخلوق بعينه،

محدودٍ مخصوص، فاعتبارها (ال) الجنسية قائم،

وتكون زيادة المولى في خلقه شاملة لكل مخلوق وللإمام الطبرى -رحمة الله عليه- فَضْلُ السَّبْقِ

لهذا المعنى الجليل؛ إذ قال -بعد أن ذكر الزيادة في أجنحة الملائكة- وَفَّقَ مَا يَرِيدُهُ - عز وجل :

وكذلك (ذلك) في جميع خلقه، يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر، وله القدرة والسلطان :

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

فأن يتسع الكون فيزداد امتداداً أمرٌ واردٌ لا نقض فيه، بل أن تتبدل الأرض والسموات قَدَرٌ مقرر لاشك فيه، قال -تعالى- في أَحَدِ شُئُونِ القيامة :

﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ

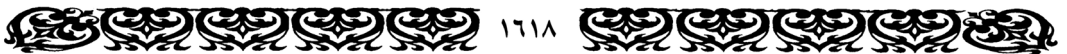
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

[إبراهيم ٤٨]



وتتوالى كليات القدرة تسجل امتلاكه - عز

(٢) العرش: الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بها، سُمي بالعرش لارتفاعه. ا هـ انظر الفتوحات الإلهية ١٤٩/٢، والبيضاوى ٣٥١/١.





﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾

[النساء - ١٢٦]

وكما أحاطت كليات القدرة بالحديث عن ملكه الشامل -جلّ علاه- شاركت آيات أخرى فى الحديث تفصيلا عنه، يقول -سبحانه وتعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

[النمل - ٢٦]

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٣).

[البقرة - ٢٥٥]

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾

[طه - ٦]

﴿فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾

[المعارج - ٤٠]

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾

[النحل - ١٢]

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ

عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾

[يس - ٣٩]

وتنتقل بنا كليات القدرة إلى أمر آخر: إلى علاقة ذوات هذا الكون بربها -عز وجل- لتذكر لنا عبادتها لله -سبحانه وتعالى-، وفى وضعها هذا دلالة على ما أشرنا إليه فى صدر هذا البحث من أن كل كلية من كليات القدرة، وردت بالقرآن الكريم لها موضوع يخصها -فيما سيقت له- بجانب ما جاء فيها من أمر أو أمور أخرى؛ فلا بد من جديد.

وتسهم - فى بيان هذه العبادة وأنواعها آيات كريمة وأحاديث شريفة أخرى - إلى جانب «كليات القدرة» فتجتمع لنا كل أشكال هذه العبادة التى نعلم بعض كیفياتها دون بعض، فمنها (غَيْبٌ) لا يعلمه إلا الله -عز سبحانه وجل-:

إِذَا، ذَوَاتُ هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ وَأَجْرَائِهِ مِنْ: سَمَاءٍ وَأَرْضٍ، وَمَا عَمَرَ السَّمَاءَ مِنْ خَلْقٍ وَمَلَكٍ، وَمَادَبٌ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ سَبَحٌ فِى مَائِهَا بِبَحْرِ أَوْ نَهَرٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ كَوْكَبٍ وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ، وَمَا عَلَا الْأَرْضَ نَبَاتٌ وَشَجَرٌ، وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ مُخْلِصًا مِنْ جَنْ وَبَشَرٍ، كُلٌّ أُولَئِكَ لِلَّهِ قَانِتُونَ عَابِدُونَ، قَالَ -تعالى-

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ

الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[التغابن - ١]

(٣) لا يؤوده حفظهما: لا يشق عليه - سبحانه - حفظهما: فهو القادر على كل شيء.

﴿نُسِجَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسِجُ حِمْدَهُ وَلَكِنْ لَا تَنْفَعُهُمْ نَسِيجُهُمْ﴾ (٤).

وتقول الملائكة:

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (٥).

[البقرة- ٣٠]

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (٦) ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ

الصَّافُونَ﴾ (٦٥) ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾

[الصافات- ١٦٤ : ١٦٦]

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[الشورى- ٥]

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾

[الرعد- ١٣]

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾

[نهاية الأعراف]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ

صَفَّتِ كُلُّ قَدْعَةٍ صَلَاتُهُمْ وَسُبْحُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

[النور- ٤١]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُهُمْ ظِلَالُهُمْ عَنِ

الْيَمِينِ وَالسَّمَاءِ لِيَسْجُدَ لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾

[النحل ٤٨]

أى ألم ير هذا الخلق - وفى مقدمته أولئك

الماكرون بالسيئات - أنه ما من جسم له ظل

كشجرة أو جبل تتمايل ظلالة يميننا وشمالا -

أن تمايلها هو سجودها لله عابدة خاضعة

صاغرة .

(عن القرطبي فى الآية)

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ إِذْ أَلَيْنَاهُ أَوَابٌ﴾ (١٣)

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٤) ﴿وَالطَّيْرَ

تَحْسُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ﴾

[ص- ١٧ : ١٩]

وكما نص التنزيل العزيز- فى إطار عبادة

الكون لله- على كائنات تتعبد لربها، نص

كذلك الحديث الشريف على شىء منها، ففى

الصحيح برواية مسلم والبخارى عنه ﷺ :

«أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء، فأمرَ

بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه : أفى

أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم

تُسَبِّحُ» (٧) اللفظ لمسلم ٤٥٢/٧ .

وعن أبى الدرداء عنه ﷺ :

(٤) (الإسراء ٤٤).

(٥) (نسبح أى نقول: سبحانك اللهم وبحمدك وننزهك عما لا يليق بك. (من تفسير السيوطى- الجلالين)

(٦) أى نحن الملائكة الصافون أقدامنا فى الصلاة- المحلى (الجلالين).

(٧) يرى بعض العلماء أنه يكره قتل النمل إلا أن يؤذى... ولكن لا تحرق بالنار. نفس المرجع لِشُرَاح مسلم ٤٥٣/٧



وجاءت آية الحج جامعة فاصلة في هذه العبادة، وفي المؤمنين والجاحدين، قال -تعالى:

﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ

يَسْجُدُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَعَالُ الْيَمْرِ مُكْرِمٌ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾

[الحج- ١٨]

هذا، ونحن البشر على علم بعبادتنا من قيام وركوع وسجود، وغيرها؛ فأما كيفية هذه العبادة في تلك الكائنات فغيب يعلمه الله:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ

أَحَدًا﴾ [٦٦] إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ ﴿

[الجن- ٢٦، ٢٧]

وشاء - سبحانه - أن يُطلع يوسف -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- على سجود الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا، قال -تعالى- حاكيا عنه قوله لأبيه يعقوب:

﴿يَتَابَتُ إِلَيَّ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آتَيْنَهُمْ لِيُسْجُدُوا

[يوسف- ٤]

فكيف سجدت...؟ أمر يعلمه الله، لم

... وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء»^(٨).

وهذا قُبَيْصَةُ بن المخارق ذهب يطلب علما من رسول الله ﷺ:

«فقال لي: يا قُبَيْصَةُ ما جاء بك؟

قلت: كبرت سني ورق عظمي؛ فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله -عز وجل- به.!

قال: يا قُبَيْصَةُ، ما مررت بحجر ولا شجر ولا مَدْرَ^(٩) إِلَّا استغفر لك...».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«المؤذن يغفر له مدى صوته، ويستغفر له كل رطب ويابس»^(١٠).



هكذا قدمت لنا الآيات: كليات القدرة وغيرها، والأحاديث الشريفة- بيانا واضحا عن علاقة هذا الكون كله، بربه، فإذا هو (ذلول) لله في طاعته، يتعبد له: بالصلاة والتسبيح، والحمد، والاستغفار، والسجود، مع الدوام على ذلك بالعشى والإشراق وما شذ عن ذلك إلا فريق كبير من الجن والإنس يستكبرون عن عبادة ربهم، وقد ورد فيهم قوله -تعالى-:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

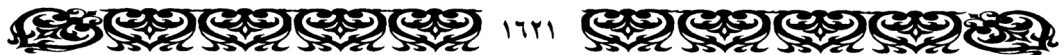
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

[غافر- ٦٠]

(٨) رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد، وهو من الصحيح، واللفظ الذي أثبتناه لابن ماجه في سننه ٨١/١ من المقدمة

(٩) المدر: الطين اللزج المتماسك

(١٠) سنن ابن ماجه ٢٤٠/١، ومثله عن ابن عمر- مسند أحمد ١٣٦/٢.





يحدثنا المفسرون عنه... .. فحسبنا اللفظ،
أعنى أنها قد سجدت له . قال الإمام الخازن :
« رأى يوسف فى منامه كأن أحد عشر
كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس
والقمر فسجدوا له » . ١ . هـ

هذا هو الكون، وتلك هى ذواته .. من
أدق ذرات الثرى إلى العرش المحيط ... لها لله
تسبيح وتحميد وصلاة وتمجيد يدور فى
الفلك كله خشوعا وتقى وإخلاصا وهدى ..
فليحذر امرؤ أشركه الله فى حكمه فاتاه
مُلُكا أن يدخل فيه الظلم، فينزعه - سبحانه -
منه، ويلعنه هذا الفلك بمن فيه حتى ينفلق
من تحت قدميه جسر جهنم، ويهوى إلى أسوأ
قيعانها بؤسا وشقاء :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ
مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران - ٢٦]



وتأتى كليات القدرة إلى المصير:

﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۖ ﴾ (١١)

فيبدأ الكون خلقا آخر:

﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَمَنْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ
أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٢)

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٣)

﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٤)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ

اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٥)

وبعد : فهذه كليات القدرة، جمعت
فأوعت، وحدت إجمالا وتفصيلا، عن الكون
والإنسان نشأة ومصيرا، نسال الله - تعالى - أن
يلهمنا بها وعيا وسلوكا .

(١٢) النحل (٧٧).

(١٤) هود (٤).

(١١) إبراهيم (٤٨).

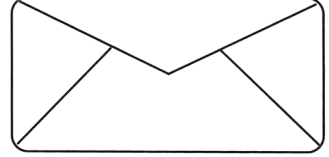
(١٣) الشورى (٩).

(١٥) العنكبوت (٢٠).



رِسَالَةٌ .. وَ .. رَدٌّ

لفضيلة الشيخ /عبد الفتح سيد جمعان



الرسالة الأولى [في هذا العدد] وردت من القارىء س. ع. ف. من طنطا يقول فيها: تلبّست زوجتي روح شيطانية يهودية زعمت أن عمرها ١٤٠٠ سنة وأن اسمه ميخائيل وأنه جاء إليها بتكليف سحر ليقطع في ذراعها ووسطها وظهرها، والمصيبة أن السحر من أهلها كما تقول. وقد استطاعت هذه الروح أن تسيطر على عقل زوجتي فأوهمها أنه جاء لمساعدتها على إخراج جان من المنزل وحماية أولادها من أعمال سحرية تعمل لهم من طليقتي السابقة عليها محاولاً بهذا صرف النظر عنه واتهام طليقتي. وقد استجاب الشيخ المعالج لطلبات هذا الجان وقد أصبحت زوجتي وأمست لا تردد إلا اسم طليقتي هذه.

السابقة التي كانت تتسم بالعقلانية والتدين والبعد عن الخرافات لكنني أحترم رغبته في عدم كتابة اسمه ولعله استشعر ما تورط فيه بالنسبة لموضوع الرسالة فلم يشأ أن يعرفه الناس به، خاصة المقربين إليه الذين يعرفونه مثلي وأسأل الأخ (س) ماذا دهك حتى تنساق بل تنجرف وراء هذه الخرافات وبالنسبة لموضوع السؤال أقول:

- جاء في كتاب «بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة» لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق الإمام الأكبر السابق ما خلاصته: «إن

والطامة أنى وقعت في المخطور وذهبت بزوجتي إلى راعى كنيسة عن طريق أحد الشمامسة ليصرفه عنها وفعلاً أحضروه في ساحة الكنيسة واعترف أنه يضحك عليها لتبقيها معها، وقال لراعى الكنيسة إنه شيطان رجيم فطلب منه الخروج من جسمها فهدد بقتلها إن أجبر على ذلك فخاف راعى الكنيسة وتركه وأنا يا سيدي في حيرة من أمرى لأن زوجتي مثقفة وتعمل بالتعليم لكنها صارت عبدة لهذا الجان وحوّلت البيت إلى ضنك وجحيم لى وللأولاد.

- وبداية أوجه للأخ السائل صرخة عتاب «لا همسة» لأنى أعرفه جيداً من خلال رسائله

الروح سرها عجيب لا يدرك الإنسان منه إلا قليلاً. قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

والأرواح لثلاثة أصناف من العوالم: الملائكة والجن والإنس ومعهم الحيوانات والطيور وكل ما يدب ويسعى ويزحف على الأرض.

أما الملائكة فهم خلق معصومون ولا يستطيع أى مخلوق أن يتسلط على أرواحهم ولا أن يستعين بهم. وأما الإنسان فإذا فارقت روحه جسده فلا يعرف مكانها إلا الله - سبحانه وتعالى - وستظل فى أماكنها التي لا يعلمها إلا الله إلى يوم البعث والنشور وبناءً على ذلك فلا يستطيع أى بشر أن يتسلط على روح الميت ويحضرها ويتحدث إليها ولكن قد يحدث اتصال بها فى الرؤى والأحلام دون أن يتسلط عليها.

وقد صح أن كل واحد من بنى آدم له قرين يلازمه من يوم مولده إلى أن يموت، روى مسلم عن النبى ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمّه» ثم قال أبو هريرة راوى الحديث: «اقرعوا إن شئتم:

﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَيْكِ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٢).

وفى رواية مسلم لهذا الحديث أن الصحابة - رضى الله عنهم - قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم» أى دخل الإسلام، أو أسلم أنا من أذى القرين، هذا ويمكن لبعض الناس تحضير روح القرين فيقلد صوت قرينه الإنسان وربما تشكل بشكله وقد يكون هذا القرين روح شريرة فيحصل البلاء كما فى حالة الأخ السائل لكن القرين فى كل الأحوال لا يعلم الغيب، أما الجن فهم أرواح عاقلة مكلفة مجردون من المادة مستترون ولهم قدرة على التشكل، مخلوقون من نار السموم. وقد عرفنا كل ذلك عنهم عن طريق الوحي. وقد سخر الله الجن لسيدنا سليمان ولم يحدث ذلك لغيره، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكننى الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ (٣)

قال أحد رواة الحديث: فرده الله عن النبى خاسئاً.

هذا.. وتحضير الأرواح -إذا وقع فعلاً- هو استحضار لأرواح الجن وليس لأرواح الملائكة أو البشر ولا يجوز الاعتماد على ما تخبر به هذه الأرواح فقد تكون صادقة وقد تكون كاذبة وهذا هو الغالب وفى كل الأحوال فالجن أو أرواحهم أو

(٢) آل عمران (٣٦).

(١) الإسراء (٨٥).

(٣) ص (٣٥).

خنقه لأن برد لسان الشيطان دليل على أنه انتقل من العنصر الناري إلى عنصر آخر^(٩).

ويتبين مما نقلناه عن هذين العالمين الكبيرين إمكان اقتران الأرواح الشريرة بالإنسان لكنها ليست أرواح الجن أنفسهم بل أرواح القرناء وأن ما تقوله هذه الأرواح خليط من الصدق والكذب وإن كان أكثره كذباً.

وأضيف أن الذى يقوم بتحضير هذه الأرواح ينبغي أن يكون من الصالحين ومن حملة كتاب الله -تبارك وتعالى- وألا يكون محترفاً أى متكسباً بهذا العمل فأغلب هؤلاء من الدجالين الذين لا يؤمن جانبهم. وأعيذك يا أخ (س) أن تكون من هؤلاء الذين ينخدعون بالدجالين مهما قالوا. والله أعلم.

والرسالة الثانية من الأخ القارئ أحمد على أحمد معوض من شارع على ريحان شرق السكة الحديد -كوتسيكا بالمعادي - يقول فى رسالته: طالعت فى مجلة الأزهر عدد رجب ١٤٢٣هـ - سبتمبر ٢٠٠٢م خطبة الجمعة لفضيلة الدكتور أحمد الشرباصى وقد ذكر فضيلته وصف البراق الذى ركبهُ الرسول ﷺ فى الإسراء فقال إنه أبيض اللون وفى فخذه جناحان يحفز بهما رجله ويخطو الخطوة فإذا حافره يقع عند نهاية بصره، لكن سيادته لم يذكر الحديث الذى وصف فيه الرسول ﷺ هذا الوصف ولا ذكر رواية من من الصحابة رضوان الله عليهم فى حين أن الحديث

القرناء لا يعلمون الغيب. قال تعالى عن جن سليمان بعد موته:

﴿فَلَمَّا خَرَّ تِينَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (٤).

وقال عز من قائل:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٥)، (٦).

ويقول فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر إن التزاوج بين الإنس والجن ممكن حدوثه وقد أثبتته الجمهور مستدلين بقوله تعالى لإبليس:

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (٧) وما

روى أن النبى ﷺ قال: «إذا جامع الرجل امرأته ولم يُسم انطوى الشيطان فى إحليله فيجامع معه» (٨).

ويرد العلماء المشتبون على أدلة المنكرين بأن الجن خلقوا من النار والإنس خلقوا من تراب أو من طين وهذا مانع من التزاوج يردون بأن الذى خلق من نار أبوالجن (إبليس) والذى خلق من تراب أو من طين أبوالبشر آدم -عليه السلام- أما ذرية كل منهما فليست مخلوقة مما خلق منه أبوهما يؤيد ذلك أن الرسول ﷺ أخبر أنه وجد برد لسان الشيطان الذى عرض له فى صلاته لما

(٤) سبأ (١٤).

(٥) النمل (٦٥).

(٦) بحوث وفتاوى إسلامية لفضيلة الشيخ جاد الحق المجلد الرابع ص ٣١٤ وما بعدها بتصرف واختصار.

(٧) تخريج (٨).

(٩) الإسراء (٦٤).

(٩) أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام - المجلد الثانى ص ٢٦٥ وما بعدها بتصرف.



حديث الحسن -رضى الله عنه- . قال ابن اسحاق وحُدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت إلى مضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت إلى مضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدى معه فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذه جناحان يحفز -أى يدفع بهما- رجله يضع يده عند منتهى طرفه -أى بصره- فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته^(١١) .

وها أنتذا ترى يا أخى أن وجود جناحين في فخذ البراق ثابت في كثير من الروايات ولم يذكر أستاذنا الدكتور الشرباصى ذلك في خطبته (ملامح القوة في الإسراء والمعراج) لأنه لم يكن غرضه منها سرد الروايات بل كان غرضه الإشارة إلى عناصر القوة في هذا الحادث المعجز القوة في الإيمان والقوة في الأخلاق والقوة في العتاد والجهاد وقوة الأوطان والمواطنين على وجه العموم كما صرح فضيلته بذلك كى يتحقق في المسلمين قول ربهم تبارك وتعالى :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١٢) .

هذا والله أعلم وبه التوفيق .

يقول إن البراق دابة، وحدد لونه فقال أبيض، وحدد شكله وصفته، فقال فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ولم يذكر في الحديث أن له أجنحة أو نحو ذلك فأرجو التوضيح وجزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين .

● وبإدىء ذى بدء أقول للأخ القارىء إن فضيلة الشيخ الدكتور الشرباصى ذكر حديث البراق ضمن خطبة ولم يذكره في مقام حديث حتى يذكر بلفظه ثم كلمة براق فيها إشارة إلى البرق . وكما يقول شيخنا الغزالي -رحمه الله- أن كلمة براق يشير اشتقاقها إلى البرق .

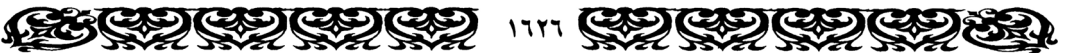
أما عن وصف البراق فبعض الأحاديث ذكرت أن للبراق جناحين يحفز بهما -أى يدفع بهما- رجله، وبعضها لم يذكر ذلك لأن حديث البراق روى بعدة طرق فحديث أنس -رضى الله عنه- الذى فى البخارى لم يذكر الجناحين ونصه : (عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه . قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس . قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء، قال : ثم دخلت المسجد فضليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل -عليه السلام- بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل ﷺ : اخترت الفطرة ثم عرج بي إلى السماء... إلخ » (١٠) .

أما الأحاديث التى ذكرت جناحي البراق فمنها

(١٠) فتح البارى ج ٨ ص ٦٣٢ نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم ج ١ ص ٥٢٦ ط . دار الوسيلة .

(١١) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص ٢، ٤ دار البيان المكتبة التوفيقية .

(١٢) الفتح (٢٩) .



نقاش صريح :

رفع مَفرَياتِ هَوْلِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحيدري

لسيدات البيت النبوي الكريم مكانة مرموقة عند المسلمين، والحديث عنهن لا بد أن يكون صحيحاً ينقل عن الواقع دون افتئات لذلك كان من العجب أن يتحدث بعض المتدفعين في إحدى القنوات الفضائية حديثاً لاصحة له ولا يتركز إلى أدنى دليل، فيقول: إن السيدة نفيسة، رضى الله عنها، ليست صاحبة المشهد الموجود في مسجد لها وإنما هي السيدة نفيسة المرادية زوجة مراد بك، وقد غلط العامة فتسبوا الصريح للسيدة نفيسة وشاع هذا الوهم، ثم يعلن أن الأستاذ إحسان عبد القدوس قد قرر ذلك من زمن بعيد. وأنا أعلم أن الأستاذ إحسان عبد القدوس، رحمه الله، قصاص وروائي ويكتب أحياناً في السياسة ولا صلة له بالبحوث التاريخية فكيف قرر ذلك ومتى؟ ومضت مدة شهرين وأنا أطيل البحث عن المقال المشار إليه، وأسأل من أتوسم فيه الاطلاع حتى أخبرني أحد الأستادة الأجلاء بأن لديه المقال الذي نشره الأستاذ إحسان عبد القدوس إذا احتفظ به منذ قرأه في مجلة الإثنين بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧م وقد سارعت بالاطلاع عليه فوجدته يقول:

«إن صاحبة الصريح المعروف باسمها والذي يحج إليه آلاف المصريين يتمسحون بجدرانها ويقرعون الفاتحة أمام الجثمان الطاهر طالبين من صاحبته أن تشفع لهم عند الله، السيدة نفيسة صاحبة هذا الصريح ليست من سلالة النبي محمد كما يظن الكثيرون، ولم تكن في حياتها من المتفرعات لشئون الدين، ولكنها زوجة مراد بك أحد زعمي المماليك اللذين حاولا صدنا بليون، والتجما مع جيشه في موقعة إمبابية. هذا ما ذكره الأستاذ إحسان عبد القدوس وقد أخبرني الأستاذ الفاضل صاحب هذه القصاصة أنها أحدثت استكثاراً وقد رد عليها الباحثون في حينها بما يثبت خطأها الصريح واعتذر الأستاذ إحسان عن خطئه فإذا كان هذا ما وقع فعلاً فلماذا يحاول هذا المتحدث على الشاشة أن يعيد الخطأ من جديد؟ وإذا كان يتحدث عن خرافات بعض العامة الخاصة بزيارة الأضرحة والتبرك بها فما صلة السيدة نفيسة بهذه الخرافات حتى يأتي اسمها وتاريخها على لسانه في حديث مليء بالأخطاء وبما أن بعض السامعين للحديث قد يكونون على غير دراية بخطأ المتحدث فأنأحاول أن أقوم برد حاسم يكشف الزيف الصريح.

تاريخ السيدة نفيسة

إليها، وصلت عليه في دارها وكانت موضع مشهدها اليوم ولم تزل به إلى أن توفيت في رمضان سنة ٢٠٨ هـ، ولما ماتت عزم زوجها إسحق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة لتدفن هناك، فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت في الموضع المعروف الآن بين القاهرة ومصر وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب -رضى الله عنها- وقد زاد شمس الدين محمد الزيات مؤلف كتاب الكواكب السيارة وهو من علماء القرن التاسع الهجري فقال في ص ٣١ وما بعدها ما ملخصه: «مما لم يذكره ابن خلكان هي السيدة العالية القدر الرئيسة ابنة الإمام الحسن الأنور ابن زيد ابن الإمام الحسن السبط وهناك إجماع على أنها ولدت في مكة ونشأت بالمدينة وكانت لها صحبة بكثير من النساء اللاتي عشن مع الصحابييات أو سمعن عنهن أو تلقين العلم عن طريقهن» وقد قالت خادمتها السيدة زينب بنت يحيى المتوج «خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتهما تنام الليل وكانت تحفظ القرآن وتفسره»

كلام مؤرخ معاصر

أما الأستاذ أحمد رمزي بك صاحب كتاب «مناداة الماضي» فقد قال عن السيدة نفيسة: «كان الإمام الشافعي يؤم صفوف الناس في الصلاة بالمسجد العتيق وكانت السيدة نفيسة تحضر صلاته في شهر رمضان وتقف وراء الصفوف لتصلي خلفه وحين انتقل الإمام إلى جوار ربه حزنت مصر جميعها عليه وسارت

ليست حياة السيدة نفيسة -رضى الله عنها- بالجهولة حتى نفتري عليها الأقاويل ولكن عشرات الكتب التاريخية تحدثت عنها، وندع الكتب الصوفية جانباً الآن ونشير إلى الكتب التاريخية الصادقة ذات الثقل العلمي لدى الباحثين فنذكر أن كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب فوات الوفيات لابن شاکر الكتبي، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب الكواكب السيارة لابن الزيات، وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، وكتاب حسن المحاضرة للسيوطي، وكتاب شذرات الذهب لابن العماد، هذه الكتب جميعها افاضت في حديثها فأوضحت كيف نشأت بالمدينة وانتقلت إلى مصر فاستقبلت أحسن استقبال ثم دفنت في قرارها القائم الآن بالحى المشهور باسمها، وبما أن ابن خلكان هو أقدم هؤلاء جميعاً، وكلهم قد ورد مورده واستقى من مائه فإننى أنقل هنا ما قاله في الجزء الخامس ص ٥٦، ط سنة ١٩٤٩ عن الطبعة التى قام بنشرها وتحقيقها شيخنا الأستاذ محمد محبى الدين عبد الحميد.

نص ابن خلكان ببعض التلخيص

دخلت السيدة مصر مع زوجها إسحق بن جعفر الصادق -رضى الله عنه- وهى من النساء الصالحات التقيات ويروى أن الإمام الشافعي -رضى الله عنه- لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد كبير ولما توفى الإمام الشافعي -رضى الله عنه- أدخلت جنازته



ستأتى مدحتى الحسن بن زيد
وتشهد لى بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها
أبو الحسن تعاديهما الدهور
قبور لو بأحمد أو على
يلوذ مجيرها حمى الجير
هما أبواك من وضعا فضعه
وأنت برفع من رفعا جدير
فتبسم الحسن وقال له : حياك الله ، ويسط له
رداءه وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ،
فهذه الساحة التى بدت من الحسن مع هاجيه
وثالبه انتقلت إلى كريمته السيدة نفيسة ، وهذا
الجود بالمال الكثير ورثته عنه أيضا إذ تحدث
أصحاب المناقب عن مآثر خالدة لها فى هذا
المضمار وهى بعد هاشمية نبوية علوية .

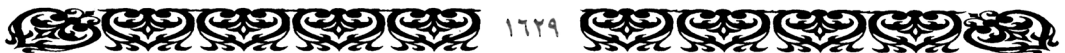
علم وسلوك

كانت السيدة نفيسة عالمة فقيهة تسأل فى
الأمر الدينية فيما يتعلق بالرجال والنساء معا ،
فتجيب إجابة شافية ، وقد كان الوالى يقع فى
بعض المظالم فيشتكى إليها الناس فتتعرض له فى
موكبهِ حين يذهب لصلاة الجمعة وقد سعى
الساعون عليها فى بيت الخلافة فصدورت أموالها
فى مصر وأراد أحد المومنين أن يعوضها فرفضت
رفضاً صريحا وقالت : « نحن من معشر لانقبل
الهبة والصدقة ولو كانتا فى مظهر المودة الخالصة
اتقاء للشبهات » ولما أحست بدنو أجلها بنت

جنازته من المسجد العتيق مسجد سيدنا عمرو
ابن العاص فمرت بالمنزل الذى كانت تقيم به
السيدة نفيسة فصلت عليه ثم سارت جنازته إلى
المكان الذى دفن فيه » وقد كانت ذات مال وجاه
فأخذت تواسى الناس وتشملهم ببرها وعطفها ،
وكانت عابدة وزاهدة وقد زار مشهدها الرحالة
ابن جبير وتحدث عنها كما زار مشهدها الرحالة
ابن بطوطة ، وتحدث عنها ، وتعرض الأستاذ رمزى
إلى بناء مسجدها فذكر أن الولاة تعهدوه بالرعاية
حتى جاء السلطان المنصور سيف الدين قلاوون
فأنشأ قبة عالية فوق الضريح وعين أشهر علماء
مصر للخطابة فى المسجد ابتداء من سنة ٧١٤ هـ
وحضر الاحتفال به الخليفة المستكفى بالله وكثير
من الأمراء .

والد السيدة نفيسة

أمّا الإمام الحسن بن زيد والد السيدة التى
نشأت فى حجره الكريم فقد كان واليا على المدينة
من قبل أبى جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة
خمس سنين ثم غضب عليه المنصور فعزله
واستصفى كل شئ له وحبسه فى بغداد فلم يزل
محبوسا حتى مات المنصور وولى ابنه المهدي
مكانه فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شئ
ذهب له وكان الحسن عطوفا محسنا يتجاوز عن
السيئات ، ويعفو عمن هجاه طمعا فى صلاح
حال خصومه ومن هؤلاء أبو عاصم الأسلمى فقد
قال فى الإمام ما يكره ثم وفد عليه متنكرا فى زى
الأعراب فأنشده قصيدة قال فيها :



قبرها بيدها في درب السباع وهو مكان المسجد الآن وأخذت تنزل فيه كل يوم وتقرأ جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، ثم فاضت روحها الكريمة في أوائل شهر رمضان فاجتمع الناس لتشيعها في محفل كبير وتقدم الوالى المشيعين وجعلوا يقرءون القرآن مترحمين .

السيدة نفيسة المرادية

أما السيدة نفيسة المرادية التى ذكر الأستاذ إحسان عبدالقدوس أن الضريح ضريحها فتاريخها معروف، رواه الجبرتي بإفاضة، لأنها كانت زوجة الحاكم مراد بك ومن ثم سميت بالمرادية، وقد لخص الأستاذ محمود الشرقاوى ما كتبه الجبرتي فى الجزء الأول من كتابه (مصر فى القرن التاسع عشر) ونقل هنا ما قاله الأستاذ الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر الأسبق فى كتابه القيم حيث قال ص ١٦٦ من الطبعة الأولى ما ملخصه :

« كانت السيدة نفيسة المرادية من جوارى الجراكسة وذاع صيتها حينما اختارها مراد بك من الجوارى لتكون موضع رعايته الخاصة فأصبحت زوجة حرة وكانت تعرف القراءة والكتابة على غير عادة الجوارى فى هذا العصر ولما دخل نابليون القاهرة غازياً تحدث الناس بمكانتها لديهم فلم يشأ أن يصادر أموالها ودعا إلى احترام حياتها الخاصة وأهداها ساعة ذهبية ثم لاحظ تعاطفها مع أبناء الشعب المعارضين لسياسته فاضطر إلى مصادرة أموالها واعتقلها وفرض عليها الضرائب الفادحة، وكانت هى الوحيدة التى تعارض زوجها مراد بك فيما يأتى من المظالم الفادحة وخاصة

مصادرة أموال المصريين، وقد فرض الفرنسيون على نساء البكوات من الأمراء نصف مليون فرنك فقدمت السيدة نفيسة الساعة الذهبية التى أهداها لها نابليون عند نزوله القاهرة استرضاء لها كى لا تؤلب عليه الجماهير قدمت الساعة كبعض ما فرضه من الغرامة فقدرت بأربعة وعشرين ألف فرنك وقد تأثر نابليون بشخصيتها الجريئة حتى إنه بعث بعد خروجه من مصر وبعد أن أصبح إمبراطوراً إلى قنصل فرنسا بمصر يوصيه أن يبذل جهده فى حمايتها من الوالى التركى الذى شاء أن يستصفى أموالها وكان أحمد باشا خوشيد أشد الولاة الأتراك قسوة عليها ولكنها لم تدعن لأمره ووقفت صامدة فى وجهه وقد جابهته بقولها: « إن الفرنسيين وهم أعداء البلاد لم يمسوها بسوء فكيف يعاقبها دون جريرة » وقد ذهب إليه عمر مكرم والشيخ السادات والشيخ الأمير للشفاعة فى أمرها وخاطبه الشيخ الأمير خطاباً شديداً ونفر من مجلسه غاضباً فتخوف رشيد من ثورة العلماء وأذن للسيدة أن تبقى فى منزل الشيخ السادات مكرمة دون أن تحبس فى مكان خاص وجاء محمد على فواصل الاضطهاد واستأصل أموالها فماتت عجوزاً فقيرة بعد أن كانت ملكة مصر وكانت وفاتها فى آخر أبريل سنة ١٨١٦ ودفنت فى مكان غير معروف للآن . وواضح من سيرتها الكريمة أنها لا تمت بسبب إلى السيدة نفيسة وأن دفنها بالمسجد أسطورة لا ندرى كيف اخترعها أو قبلها الأستاذ إحسان عبدالقدوس . إن الحق حق ويجب على الذين يتحدثون عن الفضلاء ألا يرجموا بالغيب وألا يكرروا ما ثبت بطلانه من الأراجيف .

د. أساذ الدكتور / عفيفي محمود عفيفي

تحریم أكل الميتة وأخواتها فى ضوء العلم الحديث

التسليم المطلق هو آية صدق الخضوع للدستور: «إفعل... ولا تفعل»، الذى كثيراً ما يصطدم بأهواء النفس البشرية وفى مقدمتها اشتهااء الطعام، وقد تميز الإسلام عن الأديان السابقة بوضع الحدود العامة للمباح وغير المباح فأحل لأتباعه الطيبات وحرم عليهم الخبائث.. ولله فيما حرم علينا حكمة عليا شاء أن تظل بالنسبة لمداركنا مثل جبل الجليد العائم فى المحيط: لا يبدو لأنظارنا منه إلا جزء صغير قد لا يتجاوز العشر هو الذى نعمل عقولنا فى دراسته على ضوء معطيات العلم الحديث، أما الأعشار التسعة الباقية - وهى الغائصة تحت السطح.. فتمثل الجانب التعبدى الذى تتوقف أفهامنا أمامه عاجزة، وكل ما نملكه هو الاحتراس من أن ترتطم به سفينة الفكر فتتعطل عن مواصلة رحلتها فى بحر المعرفة...

تعريف علمى موجز

● تتصدر الميتة قائمة الخبائث التى حرم الله أكلها على الإنسان، ونصت عليها آيات قرآنية عديدة أشملها ما جاء فى سورة المائدة التى يستهلها الحكيم العليم بقوله:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَعْنِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ (١).

ومقارنة هذه الآية بنظائرها يتضح أنها تنفرد بذكر خمس محرمات هى: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطحية، وما أكل السبع وتجمعهن بالميتة طبيعة بيولوجية مشتركة دعت إلى اعتبارهن



هنا: الشروع فيه، فإن بدأ فالمقصود توقفه قبل قتل الفريسة.

اجتماع السكتتين والموت الشرعى

إلى وقت قريب كان الطب يعتمد فى تشخيص حالات الوفاة على علامات ظاهرة مثل سكون النبض وبرودة الجلد وانعدام الحس والعجز عن الحركة وعن البلع والتنفس، ثم حدث تقدم فى هذا المجال واستحدثت معايير تشخيصية دقيقة تعتمد على تحليل رسم نبض القلب Cardiograph، ورسم نشاط العضلات Myograph ونشاط الدماغ (المخ) Cephalograph ولكل هذه المعايير أهميتها التشخيصية فى الحكم -إكلينيكيًا- بوقوع الوفاة (أو النفوق).

● ومهما بلغ علمنا بالأسباب المؤدية إلى الموت فإن سببه المباشر -وهو مفارقة الروح الجسد- سيظل سرًا مغلقًا يستعصى فهم كنهه علينا، وغاية ما يمكن لعلم البيولوجيا قوله: إن الموت مقرون بتزامن العجز الوظيفى الشامل لكل أعضاء الجسم مع اجتماع حدوث السكتة القلبية والسكتة الدماغية، بصرف النظر عن الترتيب لأن كلاً منهما تؤدي إلى الأخرى فوراً، فلو كان البدء بالسكتة القلبية لحُرمت كل أعضاء الجسم من وصول الدم إليها حاملاً المواد النافعة، ومن مغادرتها بعد غسلها من المواد الضارة، وأسرع الأعضاء تأثراً بهذا الحرمان هو المخ أو الدماغ الذى يتوقف بمجرد توقف القلب وهكذا تجتمع السكتتان؛ ولو كان البدء بالسكتة الدماغية لتوقف الدماغ عن بث الومضات العصبية اللازمة لحفز أى عضو لممارسة وظيفته، وأسرع الأعضاء تأثراً بهذا هو القلب الذى يتوقف فوراً بمجرد توقف الدماغ وهكذا تجتمع السكتتان أيضاً... وأيا ما كانت السكتة

أخوات لها، واتخاذهن موضوعاً لدراسة مستقلة تهتم -فى المحل الأول- بتوضيح أحد جوانب الحكمة من تحريمها وهو تجنب ما يعود على أكلها من ضرر، قد يعين على فهمه هذا التعريف البيولوجى الموجز:

● **الميتة:** هى ما فارقت روحها جسمها قبل أن يسيل منه الدم، وهى فى ذلك تختلف عن الذبيحة وعن صيد البر حيث يكون الإدماء سابقاً لخروج الروح أى سبباً للموت.

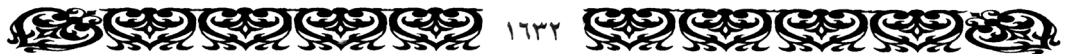
● **المنخنقة:** هى التى تحرم من مواصلة التنفس بأن يحبس عنها الأكسجين سواء بسد منافذ دخوله جسمها، أو بحبسها فى مكان غير متجدد الهواء إلى أن ينفد ما به من أكسجين أو يتشبع بهواء زفيرها، وهذا ينطبق أيضاً على الأحياء المائية إذا ركد الماء الذى تعيش فيه أو زاد تركيز الملوثات فيه متجاوزاً حدود الأمان.

● **الموقوذة:** هى المضروبة بأداة غليظة أو ثقيلة وغير حادة بحيث لا تجرح، وبخاصة فى المواضع القليلة اللحم حيث يؤدي الضرب إلى احتباس الدم الوريدي الفاسد، وعلامة ذلك حدوث كدمات يكتسب الجلد فيها لوناً أزرق يتحول إلى الطوبى المحروق.

● **المتردية:** التى تسقط من مرتفع وهى لا تحسن الطيران فيرتطم جسمها بسطح صلب، وهذا يؤدي إلى حدوث السكتة (القلبية أو الدماغية)

● **النطيحة:** التى تشرف على الموت بعد معركة مع غريم من ذوات القرن، والنطح أشد صور الوقذ

● **ما أكل السبع:** السبع هو كل حيوان مفترس (أى يأكل اللحم حياً)، وتندرج تحته أنواع الطيور الكواسر كالصقور، أما ما يأكل الجيفة (لحم الميتة) فليس من السباع ولو كان ذا أنياب، والمقصود بالأكل





مواد ضارة (مصدرها غسل الأنسجة التي سبق المرور عليها) .. يفرغها في الألياف العضلية، فتتراكم فيها -وفيما بينها- هذه المخلفات بدرجة متزايدة تصل إلى درجة السُمِّية Toxicity

● وتمتد الآثار الضارة لتشمل مادة الخلية نفسها، وهي السيتوبلازم المكون من المغذيات الأساسية التي كانت طوال حياة الخلية محصنة ضد الفساد الكيميائي والميكروبي بفعل ما كان يتكون في تيار الدم الجارى وفي السيتوبلازم من مواد واقية ومضادات للميكروبات يتوقف تكوينها بعد الموت فتتحول مكونات السيتوبلازم من مواد نافعة كغذاء للإنسان إلى مواد لا تصلح إلا غذاء للميكروبات الضارة التي تنمو وتتكاثر بمعدلات رهيبية، وتزايد إفرازاتها السامة وتسرى في كل أنسجة جسم الميتة -وفي مقدمتها اللحم، وضررها لا ينفع معه الطهو الذي ثبت أنه يقتل الميكروبات ولكنه لا يبطل سُمِّية إفرازاتها.

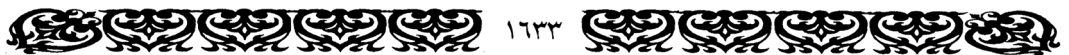
● وهنا قد يثور سؤال: إذا كان خبث لحم الميتة سببه موتها فلماذا لا يعد من الخبائث أيضاً لحم الذبيحة علماً بأنها -هي أيضاً- تفارقها الروح قبل إعدادها للطعام؟ والجواب عن هذا التساؤل هو: أن السبب المباشر للموت (وهو اجتماع السكتة القلبية مع السكتة الدماغية) في حالة الذبيحة لا يقع إلا بعد الجرح والإدماة بفترة زمنية يواصل فيها الدم غسل الأنسجة (ومن بينها اللحم) حاملاً أدرانها في اتجاه مكان قطع الأوردة، كما تظل العضلات قادرة على الاختلاج والتقلص وهذا يعمل على «اعتصار» الشعيرات الدموية التي تتخلل اللحم وتصفيتها من بقايا الدم الوريدي (وهو أول مصادر الفساد)، وبهذا تتم تذكية البهيمة على النحو الذي سيأتى شرحه بعد قليل.

القادمة منهما على أختها فإن اجتماعهما يؤدي في لحظات إلى العجز الشمولى لكل أعضاء الجسم، وهو الذى يعول عليه الطب الشرعى فى الحكم بحدوث الوفاة بالنسبة للإنسان والنفوق بالنسبة للبهائم.

طبيعة فساد لحم الميتة

● أهم ما يستهدفه الطاعم من جسم البهيمة هو لحمها، وأية قطعة لحم تتألف من حزم من الألياف العضلية التي هي في الحقيقة خلايا حية من نوع خاص يؤهلها كبر حجمها وانسياب طولها ومتانة غشائها الحسى أداء مهمتها في حمل ثقل الجسم وتحريكه.. وهي وظيفة شاقة تحتاج إلى طاقة كبيرة وبخاصة في الحيوانات البرية الكبيرة الحجم... ولهذا فإن لحوم هذه الحيوانات -وبخاصة القطع الحمراء في الأفراد الكبيرة السن- تتخللها الشعيرات الدموية بغزارة أكثر من غيرها، وذلك لإمدادها، بما يكفيها من المواد الغذائية البانية والمولدة للطاقة ومن الأكسجين اللازم لإطلاق الطاقة منها... وكذلك ليتمكن تيار الدم من غسل هذه الخلايا مما يتولد فيها.. نتيجة لنشاطها الزائد -من مواد ضارة في مقدمتها البولينا وحمض اللكتيك وثانى أكسيد الكربون.

● وعندما تموت البهيمة يحتبس الدم في الشعيرات فيتوقف إمداد الخلايا -بما فيها الألياف العضلية بالمواد النافعة كما يتوقف تصريف ما تتولد فيها من المواد الضارة.. ويزداد الأمر سوءاً بفقد أغشية الشعيرات الدموية وأغشية الخلايا قدرتها على التعرف على هوية الجزيئات الملامسة لها، وبهذا تعجز عن التحكم في مرورها بين الدم والخلايا في الاتجاه الصحيح الذى يحقق مصلحة الخلية.. ونتيجة لهذه «الفوضى المرورية» يفرغ الدم ما به من





المنخقة وأخطار نقص الأكسجين

● لا يجهل أحد أن استمرار الحياة متوقف على مواصلة التنفس، ولكن علينا ألا ننسى أن التنفس الفعلي إنما هو عملية كيميائية حيوية تجري داخل الخلايا، وأنها لا تتم على وجهها الصحيح إلا بالأكسدة الكاملة، لعنصر الكربون (الموجود في جزيئات المواد الغذائية)، أي تحويله إلى ثاني أكسيد الكربون الذي يسر الله على كل الأعضاء سبيل التخلص منه أولاً بأول.

● ولكن في حالة الاختناق (يرجى مراجعة التعريف في صدر المقال) تنقص كمية الأكسجين في هواء الشهيق ويتأخر وصوله إلى الخلايا، وهذا يؤدي إلى وقوع سلسلة من الأحداث المتصاعدة الأخطار هي في مجملها:

١- تناقص إمكانية استفادة الخلايا من الطاقة الكامنة فيما يدخلها من مواد غذائية نتيجة لتوقف أكسدتها عند مرحلة أول أكسيد الكربون، وهو غاز يصعب على الجسم التخلص منه، بل إنه يلتحم بمجرد تكوينه بمادة هيموجلوبين الدم فتضعف قدرتها على اقتناص الأكسجين من هواء الشهيق، فتزداد حدة الاختناق زيادة مطردة إلى أن تتلاشى إمكانية إطلاق الطاقة.

٢- والخطر الثاني لنقص الأكسجين هو تحلل مادة الخلية (السيوبلازم) عن طريق الهضم الذاتي Autolysis، فقد كشف المجهر الإلكتروني عن أن في كل خلية عدداً مناسباً من الحويصلات الدقاق (تسمى الـ «ليزوزومات Lysosomes») وأثبت علماء بيولوجيا الخلية أن وظيفتها هي هضم المواد الغذائية التي تدخل الخلية كخطوة تمهيدية لإطلاق ما بها من طاقة

عن طريق الأكسدة، وقد أودع الله سبحانه - في أغشية هذه الحويصلات خاصية التعرف على «هوية» ما يلامسها من جزيئات المواد، وبهذا تفرز الحويصلة المختصة ما بداخلها من إنزيم نوعي بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب، وتظل الأمور سائرة على الوجه الصحيح مادام إمداد الخلايا بالأكسجين يتم بانتظام... أما عند الانخناق فإن أغشية الليزوزومات تفقد قدرتها على التحكم في إطلاق ما بداخلها من إنزيمات، ويلى ذلك انفجارها بصورة جماعية، وبذلك تزيد كمية الإنزيمات في السيوبلازم فجأة على ما فيه من مواد غذائية، فلا تجد الإنزيمات الزائدة أمامها ما تهضمه إلا مادة الخلية نفسها، وتكون هذه هي بداية تحلل الجسم بفعل الميكروبات، وبخاصة البكتيريا اللاهوائية التي تبدأ مزاوله نشاطها في تحليل المواد الكربوهيدراتية بعد غياب الأكسجين الذي هو العدو الأكبر لهذه البكتيريا.

٣- والخطر الثالث هو تكوين الخمر في أنسجة جسم البهيمة نتيجة لاستمرار عملية تحليل الكربوهيدرات لا هوائياً إلى آخر مراحلها حيث يتكون الكحول؛ فإذا لم نبادر بإسعافها بالتهوية الجيدة (ثم بتذكيته قبل موتها) سرت هذه المادة المسكرة في كل جسمها واجتمعت في لحمها حرمة الخمر إلى حرمة الميتة.

وباقى الأخوات على أعتاب الموت

● بعد المنخقة ترد في الآية الثالثة من سورة المائدة أربع محرمات أخر: هن الموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع (يرجى مراجعة التعريف في صدر المقال)... ولحوم هذه البهائم عرضة



ظواهر سلوكية تبدأ بحرف « ف » هي : الفزع، والفرار والفتك .

● هذه الأخطار - بالإضافة إلى ما سبق ذكره في حالة المنخقة - هي أهم دواعي فساد لحم البهيمة على النحو الذى سبق توضيحه في حالة الميتة، مع فارق دقيق هو أن الفساد في حالة الميتة يكون قد بلغ غايته التى عندها وجب تحريم لحمها... أما المنخقة وباقي الأخوات الواقفات على أعتاب الموت فإن الأمل فى درء فساد لحومهن مازال قائماً مادامت أنفاس البهيمة تتردد وقلبها ينبض، وذلك بالتذكية التى تمنع عبورها ذلك الخط الدقيق المؤدى إلى دائرة التحريم .

التذكية: ميقاتها وأركانها وآدابها

● التذكية - كالتزكية - لفظ متعدد وجوه المعنى، والوجه الرئيسى لمعناه : التطهير من الخبث؛ والخبث هنا هو الدم الذى يأتى ذكره بعد الميتة مباشرة فى جميع النصوص القرآنية الخاصة بالأطعمة المحرمة، وأشهر هذه النصوص الآية الثالثة من سورة المائدة؛ والذى يتدبر هذه الآية يتبين أن الكلام عن التذكية منصب على خمس محرمات هن : المنخقة، والموقوذة، والمتردية، والنطحية، وما أكل السبع، وبالرجوع إلى التعريف العلمى فى صدر المقال يتضح أن الحالة الخامسة تحتاج إلى توضيح إضافى : هو أن معظم الحيوانات المفترسة تخاف الإنسان بدليل أنها إذا رأتته مقبلاً عليها (وبخاصة إذا كان يحمل سلاحاً) فرّت هاربة تاركة فريستها بين الحياة

للفساد المؤدى إلى التحريم من عدة مصادر نذكر منها:

١- احتباس الدم الوريدى فى مواضع الكدمات وتجلط ما يسيل من الدم الشريانى فى حالة حدوث نزيف داخلى (وقد سبق شرح طبيعة الفساد الناتج عن ذلك) .

٢- اختلال عمليات الأيض والتمثيل الغذائى، والنتيجة هى حدوث تغيرات كيميائية^(٢) فى المواد الغذائية الأساسية الموجودة فى اللحم، وتحولها من مواد نافعة لأكلها إلى مركبات يصل ضررها إلى درجة السُمِّية .

٣- التلوث الميكروبي وقد سبق التعريف بمصادره الداخلية عند الحديث عن فساد لحم الميتة والمنخقة، ويضاف هنا المصدر الخارجى، وهو وارد فى الحالات الثلاث الأولى من هذه المجموعة إذا حدثت فى الجلد تمزقات من أى نوع، بل هو مؤكد فى الحالة الرابعة نتيجة لإنشاب السبع مخالفه، وأنيابه فى جسم الفريسة، ويزداد التلوث باستمرار تعرضها للعراء .

● والأمر الجدير بالبيان هو أن معظم التغيرات المؤدية إلى فساد اللحم فى هذه الحالات الأربع إنما تحدث نتيجة لاختلال التوازن الهرمونى المصاحب لحالة المعاناة التى تسيطر على البهيمة، وأوضح مظاهر هذا الاختلال هو الارتفاع المفاجئ والكبير فى منسوب هرمون ال «أدرينالين» الذى أطلق عليه اسم «هرمون الفئات الثلاث» لارتباط زيادة إفرازه بثلاث

(٢) أهم هذه التغيرات: ال «نزمنة» Deamination (بالنسبة للبروتينات) والتزنخ Roncidity (بالنسبة للدهون) والتخمير الكحولى Alco- holic Fermentation (بالنسبة للكربوهيدرات).

أفضل)، وعدم وضع القدم عليها لمنعها من الإفلات، ولا شك في أن الالتزام بهذه الآداب يوفر للبهيمة من الطمأنينة ما يجعلها تستسلم دون أدنى مقاومة، كما يجنبها أسباب الذعر الذى تتعرض له المتردية والنطيحة وباقي أخواتهما، وفي ذلك محافظة على التوازن الهرمونى الذى أشرنا إليه، وإغلاق لأهم أبواب التلوث الكيميائى لأنسجة الجسم ومنها اللحم.

استثناءان من تحريم الميتة

أولهما: السمك والجراد، وذلك بنص الحديث النبوى الصحيح: «أحل لأمتى ميتتان ودمان: سمك وجراد، وكبد وطحال».

وهذا الاستثناء ليس بإباحة مشروطة بالاضطرار، وإنما هو حل مطلق نابع من طبيعة الحالة المستثناة، وفي الوقت ذاته لا يتعارض مع المبدأ الإسلامى العام وهو: تحريم الخبائث.

● **فالسّمك** - بحكم كونه حيواناً مائياً - لا يستطيع التنفس فى الهواء الجوى، بل إنه يختنق بمجرد خروجه من الماء ولا يلبث أن يموت بعد وقت قصير لا يكفى لمجرد نقله إلى حيث يتم حفظه أو إعداده للأكل.. ومن هنا فلا مفر من أكله ميتاً.. ولا ضرر فى ذلك إذا تم قبل أن يدركه الفساد، ومصدره الأول هنا خارجى (خلافًا لما ذكرناه عن الميتة وأخواتها من حيوانات البر وهو أن فساد لحومها يبدأ من داخل أجسامها وبالأخص من الدم الجارى فى عروقها).

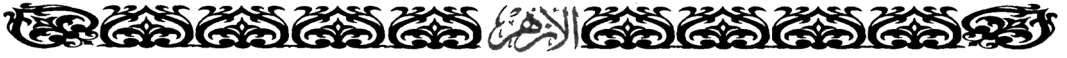
والموت،... وهكذا تبقى الفرصة سانحة لتذكيته.. أما إذا أجهز عليها الوحش فإن فرصة تذكيته تنعدم لأنها صارت ميتة مقطوعاً بتحريمها.

● **وميات التذكية** هو قبل حدوث السكتة القلبية ولو بدقائق، ويمكن التأكد من صحة الميات بعلامات محسوسة أسهلها اختباراً: تردد أنفاس البهيمة.. والحرص على دقة الميات واجب لأن استمرار نبض القلب ضرورى لمنع احتباس الدم، فهذا الاحتباس - يحول دون إمكان أداء التذكية على وجهها الصحيح.

● **والركن الأعظم للتذكية** هو إراقة دم البهيمة، ولأدائه تجب المبادرة، بقطع أحد أوردها الرئيسية^(٢) على أن يكون ذلك مقرونًا (أو مسبقاً) بذكر اسم الله (ويفضل بصوت مسموع)... وقد يسر الله هذا الأمر بأن جعل هذه الأوردة ممتدة فى مكان سطحي ظاهر على جانبي الرقبة (تحت الجلد مباشرة)، ويساعد فى انبثاق الدم منهما تدليك جسم البهيمة بدءاً من موضع القلب وفى اتجاه مكان الجرح إلى أن يتوقف تقاطر الدم، مع الحرص على غسل ما يتجمد أولاً بأول كيلا يسد الجرح (وحبذا غسل سائر بدن الذبيحة بعد سلخها).

● **وللتذكية آداب** كان نبي الإسلام ﷺ يحرص عليها ويوصى أصحابه بالالتزام بها ومنها: التلطف فى إبعاد البهيمة عن رفيقاتها، وتحاشي شحذ السكين على مرأى منها (بل ولا على مسمع منها)؛ وإراحتها على جنبها (والأيمن

(٢) نوصى المستزيد بمراجعة مقال «الذبح والنحر» المنشور فى عدد ذى الحجة ١٤٢٢ من مجلة الأزهر.



الشعيرات الدموية للسמكة تتمركز في خياشيمها وهي جزء غير مرغوب فيه كطعام، ويسهل نزعها مع الرأس واستبعادهما (وحبذا أن يتم ذلك قبل تغليب الأسماك أو حفظها بالتجميد ونحوه).

● والميته الثانية المستثناة من التحريم: هي الجراد، والمقصود على الأرجح هو تلك الحشرة الكبيرة الأصبعية الشكل التي كثيراً ما نشاهدها تنتقل بين المزروعات قفزاً وبين الحقول طيراناً، ومطعمها طيب فهي لا تأكل إلا المواد النباتية، ومنها أنواع تتجمع موسمياً في أسراب كبيرة العدد، وتطير عابرة البحار أياماً عديدة متصلة إلى أن يغلبها الإعياء فتساقط وهي بين الحياة والموت، فيجمعها البدو ويأكلونها مشوية، فهي بذلك تسد فجوة نقص البروتين الحيواني في بقاع ينذر فيها الكلاً لرعى الماشية، وتكاد تخلو من المسطحات المائية الصالحة لتكاثر الأسماك.. ودم الجراد لا يتجاوز بضع قطرات تكاد تكون محصورة في أنبوب دقيق ممتد بطول الظهر ينفصل عن الجسم بكل سهولة عند نزع قشرته الخارجية.

● إن في إباحة أكل الأحياء المائية والجراد بعد موتها لدليلاً على رحمة الله بعباده، وقد نوه القرآن عن بعض جوانبها، ثم كشفت عن المزيد منها سنة نبي الإسلام عندما صرح لاتباعه بما علمه الله الذي أسبغ عليه اثنتين من صفاته هما الرأفة والرحمة، وشهد له بأنه لا ينطق عن الهوى:

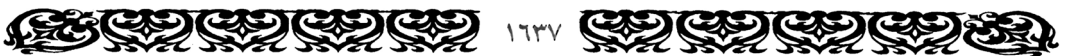
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٥).

● وإباحة أكل السمك ميتاً تنسحب على سائر أنواع الحيوانات البحرية من غير ذوات الرئتين، ويمكن الاستدلال على ذلك من قوله تعالى في سورة فاطر:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (٤).

● وإشادة الله في قرآنه بطراوة لحوم صيد البحر نابعة من علمه - وهو الذي خلقها - بأفضليتها على لحوم صيد البر، وهي أفضلية لا تقتصر على سهولة طهوها ومضغها وهضمها، بل تتجاوز ذلك إلى زيادة محتواها من العناصر المفيدة وفي مقدمتها الفوسفور اللازم لسلامة الأعصاب، والبيود اللازم لإتمام عمليات التمثيل الغذائي، يضاف إلى ذلك قلة محتواها من مادة الـ «كولستيرول» المسببة لتصلب الشرايين ومن مادتي البوليما وحمض اللكتيك اللتين تتراكمان في لحوم الماشية نتيجة للجهد العضلي الكبير في تحريك الجسم ضد اتجاه الجاذبية الأرضية، بينما في حالة أحياء البحر تكون قوة دفع الماء إلى أعلى وتياره إلى الأمام عاملاً مهماً في تخفيف العبء عن العضلات، ولهذا فإن لحومها لا يتخللها الدم الذي هو المصدر الرئيسي للتلوث الداخلي في الحيوانات البرية كما عرفنا.

● وإذا كان الحديث النبوي الشريف لم يذكر من الأحياء المائية إلا السمك فذلك لكونه أكثرها تداولاً كطعام، فضلاً عن كونه نموذجاً جيداً لتوضيح الحكمة في الاستثناء من التحريم: ذلك أن شبكة



محمد عبد الرحمن صافي الدين في رباب الله

لأستاذ / أحمد مصطفى مازن



بل زاد إيماناً، واسترسالاً
في إبداع أرق الأشعار،
في تمجيد الإسلام،
ومناجاة الحياة والناس، بل
والطيور أيضاً، التي تخيل
أن حاله من حالها، حينما
لمح بعضها منها في إطلالة
له من نافذة غرفته يغلب
عليه السكون والصمت
العميق، فقال

لم لا تغنى يا طيور
لم لا تطيرى فى البكور؟
مالي أراك قد انطويت
فلارفيف ولا حبور
ولا يلبث إلا قليلاً، ثم يتولى هو الإجابة
بنفسه عن هذه التساؤلات التي تضع النقاط على
الحروف، بقوله:

مثلما ينداح لألاء القمر
فى محاق .. ليس يبقى أو يذر
مثلما تصفر أوراق الشجر
كهشيم .. بيد الريح انتثر
مثلما يرفض عقْدُ للدُّرر
شع إشراقاً .. وولى واندثر
.. هكذا يمضى «صفى» للحفر
دون ريث أو أناة .. تُنتظر

هكذا شاءت رحمة الله - تعالى - أن تستأثر
بالشاعر الإسلامي الكبير محمد عبد الرحمن صان
الدين، فى صباح يوم الإثنين الموافق الخامس من
شعبان - الثانى والعشرين من أكتوبر سنة ٢٠٠١م،
بعد رحلة معاناة شديدة، مع المرض الويل، الذى
ألزمه الفراش لسنوات عديدة، وجعله غير قادر على
الحراك إلا بصعوبة بالغة، وهو فى أواخر السبعينيات
وأوصابها، ولكنه - رغم ذلك - ما اشتكى أمره،



ويختتم أبيات قصيدته تلك - وهى بعنوان
«سأشكو» - بهذا البيت :

أنا فى دوحه الدنيا هزار
وهل يحيا الهزار.. بلا أغان؟!
ومهما يكن من شئ، فإن الشاعر صان الدين،
كان لا يبدع شعرا أو نثرا، إلا من منطلق عقيدته
الدينية الراسخة، التى جعلته يجار بالدعاء
والابتهال إلى مولاه، قائلا:

أغسل كل أخطائي الدموع
ويمحوها التبتل والخشوع؟
إذا ما الليل ران على الروابى
وغاصت فى دياجره الربوع



وقد عمل هذا الشاعر، بعد تخرجه فى الأزهر
الشريف، بالمعاهد الدينية المختلفة، إلى أن استقر
به المقام بالقاهرة، ثم أعير للعمل بالكفرة بليبيا،
لمدة أربع سنوات، عانى خلالها من آلام الغربة،
بعيدا عن أرض الوطن، ففاضت عبراته، مع أبياته
التي يقول فيها:

تعج بقلبي ضرور الجوى
ويهفو بروحى حنين النوى
كأنى فطيم - قبيل الفطام -
جفته المراضع حتى ذوى
إلى أن يقول فى مخاطبة مصر:
فلأنعم بأرضك يا مصر.. حتى

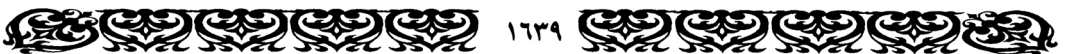
ولو غالى منك.. ناب الطوى!
ويحدث، فى أثناء ذلك، أن يقوم أحد
الليبيين بزيارة لمصر، ثم يعود بعدها، ليتحدث

الروض صوح أيكه والماء غاض من الغدير
والجو قد ملكته أسراب الجوارح والصقور
والعيش تحكمه قوا نين الخالب والغرور
وفى هذه الأبيات الرمزية، شبه إفصاح عما
لافاه الشاعر، فى حياته الحافلة، المفعمة بالإحباط،
الأمر الذى دفعه إلى تمزيق ما تجمع لديه من شعره
الخاص، فى أربعينيات حياته.. وانقطع تماما، بعد
ذلك، عن قول الشعر، لفترة طويلة، تقرب من
عشرين عاما، كانت كفيلة بإنضاب ينابيعه فى
مخيلته.. إلا أنه اندفع ذات يوم، فجأة - كما
أخبرنى - مترنما بالشعر العميق، وكأنه النهر الذى
تدفق مزبدا، ليكتسح ما اعترض مجراه، من
صخور وجنادل، قائلا:

أفصيح أم أموت بما أعانى
وأمضى بين تيار الزمان
وفى قلبى أناشيد عذاب
وفى الوجدان أبكار المعانى
وأطمر تحت أنقاض الليالى
عديم الذكر.. مجهول المكان؟

وكان هذا متوقعا من شاعر موهوب مثله،
لازالت ملكة الشعر تهدر فى كيانه، وتثور فى
وجدانه.. وإن بدا «السطح» هادئا، يقول:

وكم فى القاع من در يتيم
خفى.. لم تلامسه يدان
كتمت روائع الأنغام دهرا
وقيدت الشوارد فى جنانى
وعشت كما يعيش العمر حيناً
حليف الصمت، معتقل اللسان





مبهورا، عما شاهده فيها، بمسمع من الشاعر،
فيثير كوامن أشجانه وحنينه لوطنه، فينطلق
قائلا:

يا قادمنا من أرض مصر بلادى

حياك قلب فى الجوانح صاد

فتدان منى، قد فديتك، إننى

أستاف منك أريج عرف بلادى!

إلى أن يطلق الزفرة الحارة، المتمثلة فى قوله:

أواه يا مصر الحبيبة إننى

مذ بنت عنك، حرمت طول رقادى

تا الله ما فتر الحنين بمهجتى

كلا.. ولا أغفت عيون فؤادى

هل كنت إلا قطعة من أرضها

أبدأ تحن لأصلها، وتنادى

وبعد انتهاء فترة الإغارة، عاد إلى مصر، ثم
خرج إلى المعاش، مختارا عام ١٩٨١م، للتخلص
من قيود الوظيفة، والتفرغ للإبداع الأدبى، الذى
ملك عليه لبه.. والطريف فى الأمر، أنه بدأ فى
نشر شعره الإسلامى، لأول مرة فى حياته ينشر فيها
شعره، فى مجلة «الأزهر» بصفة خاصة،
ومجلات: منبر الإسلام والوعى الإسلامى، ومنار
الإسلام، والأمة، والهلال، والجديد، وغيرها من
المجلات الإسلامية والثقافية بمصر، والعالم
الإسلامى، حينما وجد نفسه، واستطاع أن يلتقط
أنفاسه اللاهثة، فى خضم الحياة، والخروج من عزلته
الفكرية، وغريته الروحية، التى يصورها بقوله:

إننى أحيا غريبا

وسط أقرانى وقومى

ذاهل عنهم بحسى

حاضر فيهم.. بجسمى

وإذا خاطبه أحد فى طول اضطباره، وعمق

إيمانه، رغم ما يلقي من جحود، أجاب:

مثمر الأشجار يرمى كل آن.. بالرجام

هل نجا المرموق بين الناس.. من رمى السهام

إلى أن يقول، بذات القصيدة التى تحمل

عنوان «الخير يبتلى»، مع تغيير القافية، كل

خمس أبيات منها:

لكن الأقدار تحمى من أعاصير الغوائل

وترد الفضل أضعا.. إلى أهل الفضائل

ثم يختتم هذه القصيدة، بهذا النداء، أو

الرجاء:

يا أولى النعماء كونوا - حيث كنتم - أهل جود

لا تكفوا عن فعال الخير.. حتى.. لكنود

فزفير الزهر عطر.. هكذا طبع الورود



وفى قصيدة أخرى له، بعنوان: «خذها كما

هى» تتبدى لنا حنكته وخبرته بالحياة، التى ذاق

حلوها ومرها طوال عمره المديد «٧٨ عاما»،

وكأنه يعزينا - سلفا - عن فقدنا له، حينما

اخترمته المنون، فى وقته المعلوم.. ويستهلها

بقوله:

الأرض تنبت والحدايق تثمر

والظل يورف، والنسائم تخطر

والماء يجرى فى الجداول سلسلا

والزن يعقد فى السماء ويمطر





وهكذا تسلس له القافية قيادها، وتتابع
الصور، بعفوية ويسر، فيقول مؤكداً على ما
يذهب إليه، بثاقب فكره، وسعة خبرته،
وتدفعه:

لا الحسن يبقى في نضارة حسنة كلا ولا قبح يظل ينفر
تتقلب الأمواج في بحر الحياة، وفي نهاية أمرها.. تنكسر
والصور المتحركة، والخواطر المترابطة في
هذه الأبيات، تذكرنا بقول كولردج: «ليست
الصورة وحدها - مهما بلغ جمالها، ومهما
كانت مطابقتها للواقع، ومهما عبر الشاعر
بدقة -.. هي الشيء الوحيد الذي يميز
الشاعر الصادق.. وإنما تصبح الصور معياراً
للعبقرية الأصلية، حين تشكلها عاطفة
سائدة، أو مجموعة من الأفكار، والصور
المترابطة، وحينما تتحول منها الكثرة إلى
الوحدة، والتتالي إلى لحظة واحدة.. وحينما
يضيف الشاعر من روحه حياة إنسانية
وفكرية»^(١).

وهذا ما تحقق إلى حد كبير لصان الدين
في أبيات قصيدته تلك، دون مرأى وليس
المجال اليوم مجال الدراسة المتعمقة لشاعرية
صان الدين، فإن مصيبتنا فيه لم تهدأ بعد،
خاص وأن قوله في استقبال الموت، مازال
راسخاً في الذاكرة، وكأنه كان يتبعه خطوة
خطوة:

والأرض - إن حجب الغمام غياثها -

فعميونا بنميرها تتفجر
والليل - إن أرخى السدول - فإنه

يبدى مصابيح النجوم ويقمر
كل هذا جميل، ووصف بديع لدورة الحياة..
ولكنه يمهّد به السبيل، لغايته يتوخاها.. ويدخل
في صميم الموضوع، حينما يستتلي قائلاً:

والرزق للأحياء يأتي غامراً
من حيث لا تدري، ولا تتدبر
فعلام يا إنسان تركض لاهثاً

بين الوعور، بظلمة.. تتعثر
تسطو على أرزاق غيرك عنوة

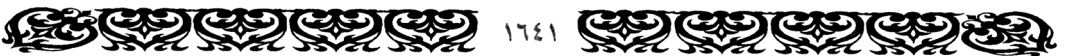
وتظن أنك بالغنائم أجدر!
ثم ينتهي إلى نتيجة أخرى حتمية، نستشعر
وقدها ولواعجها، حينما صدمتنا منيته المباغته،
إذ يقول بعد ذلك:

هل أنت في هذى الحياة مخلد
تحيا على بسط النعيم وتخطر
أم أنت مثل الخلق تخفق برهة

حتى يوافيك الحمام فتقبر؟
ثم يعطينا الأمثلة الحية الواقعية، التي تمثل
فلسفة الحياة والموت لديه، بقوله مستطرداً:

يا ناكما ماذا تريد من الحياة، وأنت فيها قطرة تتبخر؟
أتريدها صفواً كما تهوى فلا تتابها سحب ولا تنكدر؟
ذاك الذي ما ناله إنس، ولا جن.. له عرض الحياة مسخر

(١) انظر كتاب «دراسات في الشعر والمسرح» للدكتور مصطفى بدوي ط. دار المعرفة سنة ١٩٦٠ ص ٢٧.





يا برزخ الأرواح إننى قــــادم

كدحا إليك، وقد شددت رحالى
أواه من عمر تسرب من يدي

أواه من وزرى ومن أثقــــالى
وسفينة الموت اختتم قد دنت

وشراعها المنشور صار حيالى
فى غمضة أو شهقة، أغدو بها

فى الراحلين.. أجرفى أسمالى
إلى أن يخاطب «برزخ الأرواح» بقلقى

وخشية، وتأرجح بين اليأس والرجاء، بقوله:
أترى مقرى فيك جذب قائظ

أم أنه.. فى روضة وظلال
أىكون من فوق الأرائك مضجعى

أم فوق جمر محرق وصلال؟
وأحل فى أنس يسكن روعتى

أم فى ظلال جـائش الأهوال؟
.. ويلى إذا دنت المنون وقصرت

بى عن صعود المرتقى أعمالى
●●●

وكما يتفق أحيانا نوع من الجلاء البصرى
أو السمعى، فقد اتفق لشاعرنا نوع من
«الجلاء الحدسى» - إن صح التعبير - حينما
قال مستشرفا آفاق مرحلة ما بعد الموت،
بقوله فى إحدى خماسيات ديوانه: «أصداء
الحياة»، وكأنه قد عاش تجربة الموت، وهو

مازال حيا بين ظهرانينا:

كنت فى جسمى أسيرا
بيد الأهوال أمــــرى

صرت حرا دون قيد
حين فك الله أســــرى

كنت لا أدرى فصرت اليوم بالمستور أدرى
وانجلي عنى الذى غشى فؤادى طول عمرى

وإذا أردنا أن نقف على رحلة حياة
الشاعر، بإيجاز، أدركنا ذلك، من

«خماسيته» التالية:

عشت عمرى فى طريق الـ عيش.. أمضى فى استواء
فوق أرض الناس أقدا مى، ورأسى فى السماء

لم أداهن أى جبا ر، لخوف أو رجاء
أو أنافق، لنوال رب جـاه أو ثراء

حسب نفسى: ما تأتى من لقيمات.. وماء
إلى أن يقول فى خماسية أخرى:

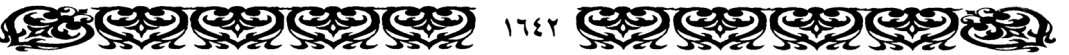
إننى فى الأرض أحيا وفق وجدانى ودينى
كل أقوالى وأفعالى بوحي من يقينى

لست أعدو خلف أوهام ورجم بالظنون
أو بريق المال فى دنيا التباهى يستبينى

إننى عن كل زيف أو خنى.. أغضى جفونى
وهكذا، يتبين لنا أن شاعرنا صان الدين -

رحمه الله - ولد مفطورا على حب الإسلام،
وازداد فهما ووعيا بقيمه وآدابه، ونواحى

إعجازه، حينما التحق بالأزهر.. فارتشف من





بالإدارة العامة للنشر بالهيئة المصرية العامة
للكتاب، ولم ير النور بعد .. وعدد قصائده
٦٤ قصيدة، تتغلغل فيها الروح الإيمانية،
التي سبغ الشاعر بها في بحار الكون^(٤)
ليكشف عن إعجاز الخالق في الخلق، والإبداع
في التصوير.

وخير ما نختم به كلمة اليوم، هو ترديد
قول صان الدين، في مناجاة روح طيبة،
وروحه هو أيضا:

طيرى بآفاق الضياء وحلقى

وإلى ربا الفردوس خفى واسبقى

رفافة كالنور في هالاته

نشوى بغفران الإله المغدق

رحم الله شاعرنا محمد عبدالرحمن صان
الدين رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

حياضه رحيق الثقافة الإسلامية: نقية صافية،
فجاء أدبه، بصفة عامة، و«خماسياته» بصفة
خاصة، ترفرف فيها الروح الإسلامية،
وينساب فيها غير الإسلام سيالا متدفقا^(٢).

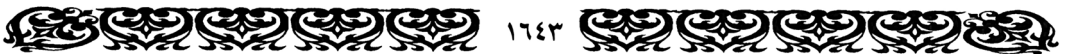
هذا بالإضافة إلى أن خماسياته - بجزئيتها
- تعد عملا فريدا في أدبنا العربي .. فوحدة
الوزن، مع فلسفة الإسلام التي تسرى في
جميع جنباتها - على الرغم من تعدد
موضوعاتها - جعلها أطول قصيدة في
الشعر العربي، قديمه وحديثه. إذ يقع الجزء
الأول منها في ٢١٠٤ بيتا، وطبع ونشر بدار
المعلمي بالرياض عام ١٩٩٣م^(٣) أما الجزء
الثاني، ويحمل عنوان «أصداء الحياة» فتقع
أبياته في ٢٢٠٥ بيتاً.

وبقى بعد ذلك من آثار شاعرنا مخطوط
ديوانه الذي يحمل عنوان «في بحار الكون»،
الذي أودعه الشاعر منذ ست سنوات،

(٢) أنظر كتاب الدكتور غانم السعيد، الذي يحمل عنوان: القضايا الفكرية والخصائص الفنية في خماسيات صان الدين ط سنة ١٩٩٨ م
ص ٢٣٧.

(٣) طبع بعنوان: «الإنسان في الميزان».

(٤) أنظر كتاب الدكتور غانم «القضايا الفكرية» سالف الذكر.



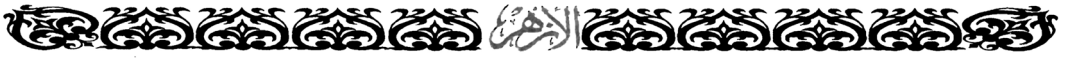
أطماع إسرائيل في المياه العربية

للمستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

– جهودا مضنية لكسب تأييدهم لدعم توسيع رقعة فلسطين لتضم الأراضي التي تجرى فيها وتنبع روافد نهر الأردن، ليتوفر لليهود السيطرة الكاملة على النهر بكامله. ومن هنا تواصلت جهودهم، لوضع أيديهم على مصادر المياه اللازمة لإحياء الكيان اليهودي القادم، ففي عام ١٩٢٦ تمكن قادة اليهود من الحصول على امتياز لمدة ٧٠ عاما من الحكومة البريطانية لاستغلال مياه نهر الأردن، ونهر اليرموك في توليد الطاقة الكهربائية. وفي هذا السياق، ومنذ عام ١٩٣٨، تم تكليف عدد من خبراء المياه اليهود لإجراء الدراسات والبحوث المائية، التي أكدت نتائجها ضرورة سحب المياه من شمال فلسطين، وتحويلها إلى صحراء النقب لريها وجدير بالذكر أن ثمة عديدا من المشروعات المائية اليهودية،

لا أبالغ حينما أقول إن أحد أهداف إسرائيل الحيوية هو الوصول إلى أحواض الأنهار العربية، خاصة أنها تعاني من أزمة مياه خطيرة بسبب مواردها المائية المحدودة، وفتحها باب الهجرة اليهودية إليها بموجب قانون العودة مما يضاعف من حدة أزمتها المائية – ولما كانت الهجرة اليهودية تمثل جوهر المشروع الصهيوني، فقد أدرك الصهاينة الأوائل – قبل تحويل الفكرة الصهيونية إلى دولة لليهود – أهمية تأمين موارد المياه اللازمة لها – ومن ثم بدأت طلائع اليهود، في بداية القرن الماضي، تخطط للهجرة إلى فلسطين العربية، وهي تضع مسألة المياه، وضرورة توفيرها، في مقدمة أولوياتها، على أساس أن توفير المياه وتأمينها يعنى المزيد من المهاجرين اليهود إلى الأرض المأمولة.

وفي هذا الإطار، بذل كبار اليهود الصهيونيين مع زعماء العالم – أثناء مؤتمر الصلح عام ١٩١٩

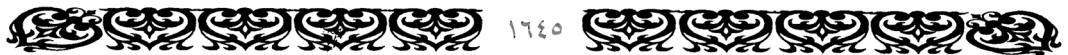


وفى عهد حكومة الليكود الإسرائيلية عام ١٩٧٧، شرع البروفيسور الإسرائيلي «يوفال نعمان» فى دراسة مشروع مائى باسم «مشروع قناة البحار» لربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت من خلال قناة تمتد من خليج حيفا إلى وادى نهر الأردن بالقرب من بيسان. وقد ظل هذا المشروع تحت الدراسة حتى عام ١٩٨٤ حيث جرى تجميده فى ولاية حكومة «شيمون بيريز»، غير أن فكرة هذا المشروع لاتزال تراود أحلام إسرائيل الآن. ولا يفوتنى أن أنوه عن الفترة من يناير إلى مايو عام ١٩٦٣، حينما حاولت إسرائيل ضخ المياه من نهر الأردن لتحويلها لرى صحراء النقب، مما اضطر الدول العربية أن تمنع تدفق رافدين من الروافد المغذية لنهر الأردن، هما نهر الحاصبانى فى لبنان، ونهر بانياس فى سوريا، بتحويل مياههما إلى الجنوب - خلال الأراضي السورية والأردنية - لتعاود الالتقاء بالنهر، جنوب بحيرة طبرية، داخل الأردن. وإزاء ذلك هددت إسرائيل بشن الحرب، وعدم السكوت على مثل هذه التصرفات ويجدر ذكره أنه فى ١٧/٣/١٩٦٥ وجه رئيس الوزراء الإسرائيلي «ليفى أشكول»، حينذاك، تهديداً إلى الدول العربية ضد تحويل الروافد العليا لنهر الأردن، بقوله: «إن أية محاولة لحرمان إسرائيل من المياه، نالت فيها حقاً قانونياً بموجب مشروع جونستون» فإنه يعد عملاً عدوانياً.

وفى إطار الصراع الإسرائيلي حول المياه، واصلت إسرائيل جهودها لتحويل مياه نهر الأردن، ببناء محطة الرافع القومى فى الجزء الشمالى لبحيرة طبرية لضخ المياه من خلال

استطاع خبراء المياه اليهود القيام بها - قبل قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ - بهدف استغلال موارد المياه العربية فى فلسطين، نذكر منها مشروع «أيونيدس» عام ١٩٣٠ لاستغلال مياه نهر اليرموك، ونهر الأردن، ومشروع «لاودر - ميلك» عام ١٩٤٤ للاستفادة من مياه نهر الأردن، ومشروع «جيمس هيس» عام ١٩٤٧، وهو امتداد للمشروع السابق. وما كاد يأتى عام ١٩٥١، حتى شرعت إسرائيل فى تنفيذ مخططاتها لتحويل نهر الأردن، غير أن العرب تصدوا، بقوة لهذه الفكرة الإسرائيلية.

وامتداداً للأطماع الإسرائيلية فى المياه العربية تفاجئنا إسرائيل بإنشاء مشروع «جون كوتون» عام ١٩٥٤ لاستغلال مياه نهر الأردن بهدف إدخال مياه نهر الليطاني فى قائمة تقسيم المياه بين إسرائيل والدول العربية، كما ظهر على الساحة المائية مشروع «جون كوتون»، المعروف باسم «مشروع الحامل القومى» أو «مشروع الناقل القطرى»، وقد تدرج تنفيذه على مراحل ثلاث: الأولى من ١٩٥١ - ١٩٥٣ بهدف تجفيف بحيرة الحولة، والثانية من ١٩٥٣ - ١٩٥٥ بهدف إنشاء القنوات الثلاثة: الشرقية والغربية والشمالية، والثالثة من ١٩٥٥ - ١٩٥٧ بهدف نقل المياه السطحية إلى قنوات نهر الأردن، وتحويل ١٢ مليون متر مكعب من بحيرة الحولة إلى نهر الأردن. وتلا ذلك مشروع «إريك جونستون» بهدف تحويل نهر الأردن عام ١٩٥٦، لكن العرب رفضوا هذا المشروع، فى أول مؤتمر قمة عربى بالقاهرة عام ١٩٦٤ بوصفه سطوا على المياه العربية، واعتداء على المصالح العربية.



أن إجمالي كمية المياه اللبنانية التي تنساب إلى إسرائيل بالسيلان السطحي، والانسحاب الجوفي لا تقل عن ٣٤٠ مليون متر مكعب سنوياً، وهي توازي تقريباً ما يتبقى للجنوب اللبناني من مياه تبلغ حوالى ٣٦٥ مليون متر مكعب سنوياً. وتقسم هذه الدراسة كمية المياه العابرة للحدود في اتجاه إسرائيل إلى قسمين: الأول مياه مناسبة سطحية تبلغ حوالى ١٤٥ مليون متر مكعب، والثاني مياه عابرة بالانسحاب الجوفى تبلغ حوالى ١٩٥ مليون متر مكعب، ووفقاً لهذه الدراسة، فإن كمية المياه التي يفقدها لبنان بالتسرب الجوفى إلى البحر هي ١٧٥ مليون متر مكعب سنوياً، وبذلك تصبح كمية المياه التي يفقدها لبنان من هذه المصادر ٥١٥ مليون متر مكعب، وهي عبارة عن ٣٤٠ مليون متر مكعب، مناسبة إلى إسرائيل، و١٧٥ مليون متر مكعب مناسبة إلى البحر. وانطلاقاً من الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية، لا ينسى أحد أنه حينما غزت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢، كان في طليعة أهدافها الوصول إلى نهر الليطاني اللبناني، وبالفعل تمكنت إسرائيل من السيطرة على منطقة بطول ٣٠ كيلو متراً من مجرى النهر، استغلته لصالح المستوطنين اليهود في شمال إسرائيل، وهذا ما أشار إليه الوفد اللبناني في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في مارس ١٩٩٠ بقوله: «إن إسرائيل تستغل مياه الأنهار اللبنانية استغلالاً كاملاً، فهي تستولى من نهري الحاصباني والوزاني على حوالى ١٤٠ مليون متر مكعب سنوياً». ومنذ الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٧٨ وحتى مايو ٢٠٠٠. أنشأ

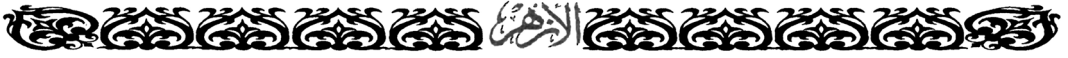
الأنابيب، والقنوات إلى تل أبيب، وصحراء النقب. وكان رد الفعل الأردني، هو شق القناة الرئيسية للغور الشرقي في وادي الأردن، باستخدام مياه نهر اليرموك، وبناء سد الملك طلال على نهر الزرقاء. وما يجب التأكيد عليه أنه إذا نظرنا إلى خريطة الموارد المائية الإسرائيلية نجد أن إسرائيل تعتمد على مصادر مائية عديدة تأتي في صدارتها بحيرة طبرية التي تمد إسرائيل بحوالى ٦٦٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً، وتمثل هذه الكمية المنسوب السنوى لنهر الأردن الذي تتولى إسرائيل سحبه من هذا النهر إلى هذه البحيرة، مقابل التزام إسرائيل بمد الأردن ٥٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً بموجب اتفاقية السلام الإسرائيلية الأردنية، ويلى ذلك المياه الجوفية التي تتمثل في خزانين جوفيين: الأول الخزان الجوفى الساحلى، الذى يمتد من جبل الكرمل شمالاً حتى قطاع غزة جنوباً، ويوفر لإسرائيل حوالى ٧٠٠ مليون متر مكعب سنوياً، والثاني الخزان الجوفى بالضفة الغربية، ويمدها بحوالى ٧٤٠ مليون متر مكعب سنوياً، وتحتل مياه السيول المرتبة الأخيرة فى خريطة إسرائيل المائية، وتوفر حوالى ٤٠ مليون متر مكعب سنوياً. ومن ناحية أخرى تشكل مياح نهري الحاصباني والوزاني، والتي تبلغ حوالى ١٣٨ مليون متر مكعب، أكثر من نصف كمية المياه اللبنانية الجنوبية، التي تنساب خارج الحدود في اتجاه إسرائيل، ففي دراسة أعدها «المهندس حسين رمال»، رئيس المصلحة الفنية فى الهيئة الوطنية لنهر الليطاني، حول المياه السطحية والجوفية فى جنوب لبنان، ذكر فيها

إلى أحواض الأنهار العربية، بالإضافة إلى سعيها في تحريض دول الجوار غير العربية المسيطرة على منابع الأنهار الكبرى، وإشعارها أن العرب يسيغون استخدام الموارد المائية، ويسرفون في استعمالها، وحرصها على التلويح لهم بورقة الهاجس الأمنى فى مواجهة الدول العربية المشاركة فى أحواض الأنهار، خاصة إذا علمنا أن ما يربو على ٦٦٪ من موارد المياه العربية تأتى من أراض غير عربية، وهذا ما شدد عليه رئيس الوزراء الأسبق «ديفيد بن جوريون» فى وصيته بالاهتمام بالبعد الثالث فى الصراع العربى الإسرائيلى، والذى يتمثل فى دول الجوار الاستراتيجى المشترك فى أحواض الأنهار الكبرى مثل تركيا، وأثيوبيا، وأوغندا، وزائير، ورواندا وكينيا. واللافت للانتباه أيضا أن ثمة ورقة أعدها «مركز غزة للحقوق والقانون» تحت عنوان: «المياه فى الأراضى الفلسطينية» ذكر فيها أنه فى الوقت الذى يحصل فيه المواطن الإسرائيلى على ٣٥٧ كوبا سنويا، فإن المواطن الفلسطينى لايزيد ما يحصل عليه عن ٨٥ كوبا فى السنة، وضرب مثالا على ذلك بمستعمرة «كريات أربع» الموجودة فى محيط مدينة الخليل، فذكر أن هذه المستعمرة الإسرائيلية يبلغ عدد سكان حوالى خمسة آلاف مواطن، وتحصل يوميا على ستة آلاف متر مكعب من المياه، بينما سكان الخليل الفلسطينيون - والبالغ عددهم حوالى مائة ألف مواطن لا تزيد حصتهم اليومية من المياه على سبعة آلاف متر مكعب، هذا فى مجال مياه الشرب، أما فى مجال الرى والزراعة

الاحتلال الإسرائيلى، محطة لضخ المياه على نهر الوزانى تغذى بلدة الغجر بمياه الشفه، ومازالت هذه المحطة تعمل بعد- تحرير الجنوب اللبنانى عام ٢٠٠٠.

وعلى الرغم من انسحاب إسرائيل من الجنوب اللبنانى، فإنها لاتزال تطمع فى مياه الحصبانى ورافده الوزانى، وتهدد - من خلال أبواقها الإعلامية على لسان شارون - بشن حرب على لبنان، فى محاولة لمنع من إقامة محطة على نبع الوزانى، تقوم بضخ مياهه لتغذية ٦٠ قرية وبلدة فى الجنوب اللبنانى. ومن جهة أخرى فإن إسرائيل تستولى على حوالى ١٠٠ مليون متر مكعب سنويا من مياه نهر اليرموك، الذى يعتبر الرافد الرئيسى لنهر الأردن والفصل بين إسرائيل والأردن من جهة، وسوريا والأردن من جهة أخرى.

ونظرا لحاجة الأردن إلى مليار متر مكعب من المياه، فقد اتفقت سوريا والأردن على بناء سد على نهر اليرموك، لحجز حوالى ٢٢٠ مليون متر مكعب، بهدف تنظيم الاستفادة من مياهه. ومن المعروف أن مياه بحيرة طبرية التى تشكل ٤٠٪ من احتياجات إسرائيل المائية تأتى من منابع نهر الحصبانى فى لبنان، ونهرى بانياس والدان فى سوريا، ولعل أحد أسباب حرب ١٩٦٧، كان الاستيلاء على منابع نهري بانياس والدان فى سوريا، خاصة بعد محاولة سوريا تحويل مياه نهر بانياس بعيدا عن إسرائيل ليصب فى حوض نهر اليرموك. وما يجب لفت الأنظار إليه أن من أهداف استراتيجية الأمن المائى الإسرائيلى هو محاولة إسرائيل الوصول



فتبلغ نسبة استهلاك الإسرائيليين ٢٢٨ كوباً سنوياً، بينما يصل نصيب الفلسطينيين إلى ٥٦٥ كوباً سنوياً. وفي هذا السياق أصدرت إسرائيل العديد من الأوامر العسكرية بهدف استنزاف المياه الفلسطينية، نذكر منها الأمر العسكري رقم ٩٢ الذى يخول الحاكم العسكري السلطة المطلقة فى تحديد كميات المياه التى يحق للعرب استخدامها، وفرض العقوبات والغرامات على المخالفين لهذا الأمر، وأيضاً الأمر العسكري رقم ٩٤٨ الذى يلزم كل مواطن فى قطاع غزة الحصول على موافقة الحاكم العسكري فى حالة رغبته إقامة أى مشروع يتعلق بالمياه. وفى إطار سعى إسرائيل إلى تأمين مواردها المائية، يذكر أحد الباحثين أن إسرائيل تطمح فى أن يوفر لها العالم العربى مصادر جديدة للمياه، خاصة فى ظل الوضع المائى فى المنطقة، واحتمالات عدم كفاية مواردها المائية فى الأعوام القادمة، وأن إسرائيل أعدت العديد من الخطط الجاهزة للاستفادة من المياه العربية على أساس المبادلة بتنفيذ مشروعات زراعية ضخمة فى سيناء تعتمد على وسائل الري الحديثة مقابل توصيل مياه النيل إلى صحراء النقب، وإقامة مشروعات زراعية أخرى فى الأردن وسوريا ولبنان مقابل الانتفاع بحصة من مياه منابع نهر الأردن، ونهر

اليرموك، ونهر بانياس، ونهر الحصبانى، ونهر الليطانى، بالإضافة إلى مشروع «أنابيب السلام» لنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل. وفى الختام لا يسعنى إلا التأكيد على أن إسرائيل، بسبب أزمتها المائية، تحاول، بوسيلة أو بأخرى، وضع يدها على أى مورد مائى، سواء بالتهديد والوعيد، أو بالسعى لعقد اتفاقيات منفردة مع أى جانب عربى فى المنطقة، ومن ثم فهى لا تتوقف عن أطماعها التوسعية فى المياه العربية، خاصة بعد إعلانها حالة الطوارئ فى مرفق المياه الإسرائيلى منذ عدة سنوات، بهدف تأمين مواردها المائية حتى لو اقتضى الأمر الاستيلاء بالقوة على مصادر مائية جديدة من خارج حدودها. ولم تزل فكرة الانقضاء على المياه اللبنانية أحد أهداف إسرائيل الرئيسية التى لن تتوانى فى سبيل تحقيقها، وما مسألة مياه نبع الوزانى^(١) ببعيدة. وفى ضوء ذلك أرى أنه من الضروري وضع استراتيجية عربية مشتركة فى مجال تنظيم الاستغلال الكامل للمياه العربية، تراعى فيها المصالح العليا للأمة العربية، وحثمية وجود آلية عربية - ولتكن تحت إشراف الجامعة العربية - لتنفيذ الحد الأدنى المتفق عليه عربياً، حتى يمكن تحقيق عامل الردع ضد مخاطر السطو على المياه العربية.

(١) يبلغ حجم المنسوب المائى لنهر الحصبانى ونبع الوزانى حوالى ١٤٠ مليون متر مكعب سنوياً تستولى منه إسرائيل على ١٢٣ مليون متر مكعب سنوياً، بينما تحصل لبنان فقط على ٧ ملايين متر مكعب سنوياً، رغم أن حصتها المتفق عليها هى ٨٠ مليون متر مكعب سنوياً وتبتلع إسرائيل هذا الفرق، غير أن لبنان بعد افتتاحه محطة ضخ المياه على نبع الوزانى فى ١٦/١٠/٢٠٠٢ سوف يرتفع ما يحصل عليه إلى ٩ ملايين متر مكعب سنوياً وهذا هو سبب تهديد إسرائيل بشن حرب على لبنان مؤخراً.



التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق: (٢)

قبل عقد الزواج

لأستاذ الدكتور / محمد الدسوقي

إذا كان كل أمر مهم يحتاج قبل الإقدام عليه إلى التأنى والتروى، والنظر فيه حتى يتم وفق رغبة صادقة وإرادة رشيدة فإن عقد الزواج لأهميته وخطورته وضعت له الشريعة قبل الإقدام عليه بعض القواعد والضوابط، وقاية له من أسباب الشقاق والتفريق بين الزوجين، وحتى يحكم العلاقة بينهما الوئام والمودة والسكن والستر المشترك. وأهم هذه القواعد والضوابط ما يلي:-

أ - حسن الاختيار:

هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال :
« تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها
ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »^(١).

يبين الرسول الكريم فى هذا الحديث تباين
الرغبات فى اختيار المرأة زوجة، وأمر بالظفر بذات
الدين، وحذر من الزواج بغيرها، فمن يتزوج غير
متدينة بسبب مالها أو حسبها أو جمالها فقد
عرض نفسه للمذلة والهوان، وهذا ما تشير إليه
كلمة « تربت يداك »^(٢).

تدعو الشريعة الغراء كلا من الرجل والمرأة إلى
الحرص على أن يكون اختيار شريك العمر فى رحلة
الحياة مناطه الاعتصام بالدين والخلق، فذلك وحده هو
السبيل المستقيم لبناء أسرة قوية لا تعرف التفكك،
وأن تعرف الترابط الحميم، والتعاون على الخير والبر..
والنصوص التى تحض على حسن الاختيار،
وتحذر من الاهتمام بالأعراض الزائلة دون الحرص
على القيم الخالدة كثيرة، ومنها ما روى عن أبى

(١) رواه الشيخان.

(٢) يدل المعنى اللغوى للفعل ترب على التراب والفقر، وقال ترب المكان، إذا كثرت ترابه، وترب فلان: إذا افتقر، ويقال فى الدعاء تربت يداه: خسر أو افتقر «وانظر المعجم الوسيط مادة ترب».

وقد روى أن أبا الأسود الدؤلى «ت: ٦٩هـ» امتن على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق، إذ قال لهم: لقد أحسنت إليكم صغارا، وكبارا وقبل أن تولدوا، فقالوا: كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون^(٥) بها، وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء:

وأول إحسانى إليكم تخيرى

لما جدة الأعراق باد عفافها

وقد حذر ﷺ من نكاح المرأة التى لا تتمتع بالدين والخلق، وإن كانت جميلة، لأنها نشأت فى بيئة فاسدة، قال: «إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء»^(٦).

إن الزوجة إذا كانت قد نشأت فى بيئة فاسدة فإنها لا تكون حميدة الطباع وتبذر فى بيتها بذور الفساد، وتزود أهلها للحياة بأسوأ زاد، ولذا كان تحذير الرسول ﷺ من مثل هذه المرأة، لأنها لا تصلح زوجا وأما، ولأنها تسيء إلى بعلها وإلى أولادها.

قال الشاعر:

وأول خبث الماء خبث ترابه

وأول خبث القوم خبث المناكح^(٧)

ويستحب أن تكون المرأة مع تمتعها بكل تلك الخلال الطيبة، ولودا، ويعرف ذلك غالبا من أحوال النساء فى أهلها كأمها وأختها وخالتها، روى معقل بن يسار أن رجلا جاء إلى النبی ﷺ

ويتحدث الرسول ﷺ عن صفات المرأة التى ينبغى أن يظفر بها الرجل فيقول: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك وإن غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك»^(٨).

والصفات التى اشتمل عليها هذا الحديث، وبها تكون المرأة خير النساء هى: أن تكون فى نظر زوجها جميلة، فهى تسره إذا نظر إليها، والجمال أمر نسبى، فرب امرأة تكون فى نظر إنسان دميمة تكون بالنسبة لغيره جميلة يأنس إليها، ويسعد بلقائها.

وأن تكون المرأة مع هذا مطيعة لزوجها، فلا تعصى له أمرا اللهم إلا إذا كان معصية، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وأن تعين زوجها على الخير، وأن تكون أمينة على نفسها ومال زوجها وبيته إن غاب عنها.

إن مثل هذه المرأة التى تتوافر فيها هذه الصفات تكون كنزا ينبغى على الرجل أن يظفر به ويحرص عليه.

كذلك حث الرسول ﷺ أن يختار المرء زوجته من بيئة صالحة طاهرة، لأن العرق دساس، قال ﷺ: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء»^(٩). فالزوجة إذا كانت كريمة العنصر طيبة الأرومة، نشأت فى بيئة صالحة فإنها تملأ بيتها بأسباب السعادة، وتبث فى أولادها كل خلق حميد، وتجنهم كل خلق قبيح.

(٣) رواه النسائي.

(٤) رواه البخارى.

(٥) المرأة فى الشعر الجاهلى للدكتور أحمد الحوفى ص ١١٨ ط القاهرة.

(٦) أنظر عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٤ ص ٢ ط دار الكتب المصرية.

(٧) رواه الدارقطنى.



أن ينبذ المال والجمال وما إليهما، فالمال نعمة والجمال نعمة ولكن الإسلام يجعل الدين والخلق الشرط الأساسى لقيام علاقة زوجية، لأن ما سوى ذلك لا يدوم، ولا يمثل عنصراً جوهرياً فى الحياة، وقد يكون الحرص عليه على حساب ما يجب أن يكون من الدين والخلق، فتصبح العلاقة بين الزوجين مادية شكلية تفتقر أو تنتهى بزوال هذا المتاع الزائل.

الكفاءة بين الزوجين

يقتضى الحديث عن حسن الاختيار وما يتمتع به كل من الزوجين من الدين والخلق ودعوة الرسول ﷺ إلى الحرص على زواج الولود الإشارة إلى موضوع الكفاءة وما صدر عن الفقهاء من آراء فيها، فلهذا الموضوع صلة وثيقة بحسن الاختيار وآثاره فى الحياة الزوجية.

والحديث عن الكفاءة لن يعرض لكل أقوال الفقهاء فيها وإنما يشير إلى أهم ما يخدم قضية التوافق بين الزوجين، فيدخل طوعاً لهذا فى باب التدبير الوقائى قبل العقد.

وتعرف الكفاءة لغة بأنها المماثلة والمساواة، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» أى تتساوى دماؤهم فى الدية والقصاص فلا فرق بين غنى وصعلوك، وذوى حسب ومن لا حسب له.

وهذا المعنى اللغوى للكفاءة يلتقى مع أحد معانى الزواج، حيث يقصد به التماثل والتناظر، كما فى قوله تعالى:

فقال: «إنى أصبت امرأة ذات جمال وحسن، وأنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاء، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإننى مكاثركم الأم يوم القيامة»^(٨).

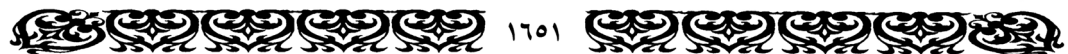
ودعوة الرسول ﷺ إلى الحرص على زواج الولود لا يعنى عدم الزواج بغيرها، وأن العقيم قد كتب عليها أن تعيش حياتها بغير بعل، وإنما هى إشارة إلى أن المسلم لا يتزوج استجابة للرغبة الجنسية فحسب، وإنما يتزوج استجابة للفطرة السوية فى حب الإنجاب والذرية ولهذا كم فرق العقم بين زوجين على الرغم مما قد يكون بينهما من حب ووثام، فعاطفة الأبوة أو الأمومة تنتصر على كل ما يحول دون إشباعها أو تحقيق أشواقها.

وكما وردت الآثار الكثيرة التى تدعو إلى أن يكون اختيار المرأة مناطه الاعتصام بحبل الله، والتخلق بأخلاق القرآن، وردت آثار كثيرة أيضاً تدعو إلى أن يقاس الرجل بهذا المقياس الصحيح، مقياس الإيمان والتقوى، والخلق الكريم، ومن هذه الآثار قول الرسول ﷺ: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض^(٩) فهذا الحديث الشريف يوضح للمسلمين أن الرجل إذا كان ذا دين وخلق فهو زوج صالح، فإن لم يزوج لاعتبارات أخرى لا تقيم لها الشريعة وزناً كبيراً كالمال والجاه كان هذا فتنة وضلاً مبيناً.

ولا يفهم من أحد أن دعوة الإسلام لأن يكون مرجع الاختيار إلى القيم الثابتة والفضائل السامية

(٨) رواه أبوداود وابن ماجه.

(٩) رواه ابن ماجه.





هذه سنة كونية أومأت إليها بعض الآيات
القرآنية ومنها قوله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَبْلُوكُمْ
فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (١٣).

فهذه الآية تبين أن الحق - تبارك وتعالى - جعل
الناس يعمرون الأرض خلافاً، أى جيلاً بعد جيل،
وقرناً بعد قرن، وأنه سبحانه رفع بعضهم فوق بعض
درجات، أى فوت بينهم فى المواهب والطاقات
والأرزاق، وأن هذا التفاوت للابتلاء والاختبار.

وهؤلاء الفقهاء الذين قالوا بالكفاءة فى الزواج قد
اختلفوا اختلافاً واسع المدى فى الأمور التى تعتبر فيها
الكفاءة، كما تعددت الروايات التى نقلت عن
بعضهم فى هذا الموضوع، ولكن أقوالهم مع هذا
تلتقى عند التأكيد على أن الدين والخلق والإصلاح
والتقوى أساس الكفاءة بين الزوجين، وأن ما سوى
هذا من الحرفة والمال والحسب لا يراد بها التفريق بين
الناس، والحكم عليهم بأنهم طبقات اجتماعية لكل
منهما منزلتها الخاصة، وإنما يراد بها أن يكون بين
الزوجين قدر من التقارب فى المستوى الاجتماعى
والمالى، وحبذا لو تحقق هذا التقارب فى السن أيضاً،
فلذلك أنفى للشقاق وأحفظ للمودة وأدعى للوفاق
والوئام، وأجدر أن يجعل من الزواج خير علاقة توثق
عرى المصاهرة، وتوسع دائرة الأسرة^(١٤).

﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (١٠)

فأزواجهم فى الآية بمعنى أنواعهم أو
أشباههم، وقيل للرجل والمرأة زوجان، لأنهما
قد تناسبا بعقد الزواج.

وتستعمل الكفاءة لغة - وإن كان
استعمالاً مولداً^(١١) - بمعنى القدرة على
العمل وحسن تصريفه، وأما الكفاءة فى
اصطلاح الفقهاء فتعنى مساواة الرجل للمرأة
فى أمور مخصوصة يعتبر الاخلال بها مفسدة
للحياة الزوجية، أو سببا لأن تعير الزوجة أو
أولياؤها بالزوج^(١٢).

وينقسم الفقهاء بالنسبة لاعتبار الكفاءة
بين الزوجين إلى فريقين :

الأول : يرى أن الكفاءة لا اعتبار لها أصلاً
فى الزواج، فالناس سواسية كأسنان المشط، ولا
تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، وإن
من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

ويمثل الفريق الثانى جمهور الفقهاء الذى
اعتبر الكفاءة شرطاً فى الزواج، وقد رد على
الفريق الأول بأن الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية التى تتحدث عن المساواة تبين أن
معيار التفاضل هو التقوى تشير إلى أن الناس
كافة متساوون فى الحقوق والواجبات لا فى
المنازل والدرجات الدنيوية، فالتفاوت فى

(١٠) الصفات (٢٢).

(١١) المولد من الكلام: كل لفظ كان عربى الأصل، ثم تغير فى الاستعمال، وهو أيضاً اللفظ العربى الذى يستعمله الناس بعد عصر الرواية.

(١٢) انظر أحكام الشريعة فى الأحوال الشخصية للشيخ عمر عبدالله ص ٢٥٤ ط الإسكندرية.

(١٤) انظر الزواج فى الشريعة الإسلامية ص ١٢٢.

(١٣) الانعام (١٦٥).



المرأة إذا ما تزوجت من دونها منزلة، فهي وإن رضيت به لا تسلم من نظرات النقد والتعبير، فتضيق بحياتها مع هذا الزوج، وتبدأ مرحلة النفور منه وعدم النزول على مقتضى قوامته وسلطانه، فتضطرب الحياة ويسود الشقاق ويقع التفريق.

على أن شرط الكفاءة ليس من شروط صحة العقد، وإنما هو شرط لزوم، وشرط اللزوم يعطى لمن له حق الاعتراض أن يطالب بفسخ العقد، فالعقد بدون هذا الشرط يقع صحيحاً نافذاً، ولكنه قابل للفسخ، إذ يجوز لولى المرأة أن يرفع الأمر إلى القاضى ليفسخ العقد لعدم الكفاءة، والقاضى يجيبه إلى طلبه بشرط ألا تكون المرأة قد حملت أو ولدت، محافظة على الولد.

الخطبة

للفقهاء فى الخطبة حديث ذو شجون، والذي يعيننا من هذا الحديث الجانب الذى يتعلق بالغاية من تشريع الخطبة، وما يحل بها للرجل والمرأة.

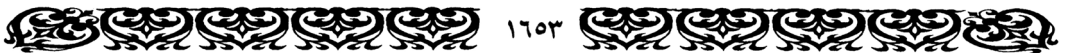
وتعرف الخطبة بأنها طلب الرجل يد امرأة معينة للزواج بها، فإذا أحييت رغبته بالقبول من المرأة، أو من له النيابة الشرعية عنها تمت الخطبة، فالخطبة لا تأخذ حكم عقد الزواج، وهى ليست إلا طلباً له، أو مرحلة تمهيدية تسبق هذا العقد.

والخطبة لدى جمهور الفقهاء مباحة فمن الفقهاء من يراها مستحبة غير أن رأى الجمهور هو الأرجح والمعول عليه، فليس بلازم أن يسبق كل عقد للزواج خطبة، وذلك إذا كان كل من

صحيح أن من الناس من تجاوز حد القصد والاعتدال فى مفهوم الكفاءة، وكان لهم كما يقول الإمام الصنعانى «لناس فى هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل من غير الكبرياء والترفع، ولا إله إلا الله كم حرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء واستعظامهم أنفسهم، اللهم إنا نبرأ إليك من شرط ولده الهوى وولده الكبرياء»^(١٥)، ولكن سلوك هؤلاء لا يطعن فى أن الغاية من الكفاءة وما يعتبر فيها من الأمور هو حماية العلاقة الزوجية وكفالة حياة المودة والاستقرار لها، وأن الفهم الصحيح للكفاءة لا يخرج بها عن الغاية منها، ومن ثم لا يتخذها الناس وسيلة لإحياء النعرات الجاهلية أو الأهواء الطبقية.

وجملة القول إن الفقهاء فى حديثهم عن المعانى المعتبرة فى الكفاءة لم يكونوا فى غفلة عن أن الإسلام دين الأخوة والمساواة، وأن التفاضل بين الناس فى هذا الدين مناطه الاعتصام بحبل الله، كما أنهم فيما أفاضوا فيه عن الأمور المعتبرة فى الكفاءة كانوا يحرصون أبلغ الحرص على أن يظل عقد الزواج - وهو عقد مؤبد فى أصل إنشائه - معبراً تعبيراً صحيحاً عن حسن العشرة، وقوة الألفة والمودة بين الزوجين، حتى لا ينتهى هذا العقد إلا بوفاة أحد الطرفين أو كليهما، وهم إلى هذا نظروا إلى أن العلاقة الزوجية ليست علاقة بين فردين فحسب، ولكنها علاقة أيضاً بين أسرتين، فهم فيما صدر عنهم توخوا مصلحة الأسرة، وحماية صلة المصاهرة، وراعوا مشاعر

(١٥) أنظر سبل السلام للصنعانى ج ٣ ص ١٦٩ ط القاهرة.





أيضا، ويتعارض مع النصوص التي رويت في هذا، ومنها ما روى أنه ﷺ قال لبعض الصحابة حينما خطب امرأة: «هل نظرت إليها، فقال: لا، قال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^(١٧)، أى أن يكون سببا لاستقرار الحياة واستمرارها بينكما.

وللمرأة كما للرجل جواز أن تنظر إلى من تقدم يرغب في البناء بها، فالنساء شقائق الرجال، لهن حق الاختيار والرضا، ومن وسائل ذلك أن ترى المرأة الرجل الذى جاء خاطبا، وأن تطمئن إلى رجاحة عقله وحسن تصرفه، كما يطمئن هو أيضا إلى هذا.

إن تشريع الخطبة يحقق للمقدمين على الزواج حرية الاختيار، وفرصة التعارف والتآلف، والاطمئنان إلى أن شريك العمر ورفيق الدرب سيكون خير شريك ترجى معه العشرة الطيبة، والحياة الآمنة والسعادة المنشودة.

ولا شك في أن أسرة تؤسس على القيم الخالدة، قيم الدين والخلق والفضيلة، كما يراعى في بنائها التقارب بين الزوجين فى المستوى الاجتماعى والثقافى والعمرى، ويتحقق لها قبل عقد الزواج الرؤية الواضحة والرغبة المتبادلة ستكون أسرة سعيدة، يسود حياتها الاطمئنان والأمان، ولا تهب عليها رياح القلق والاضطراب، فلا يعرف الشقاق سبيلا إليها، وتظل العلاقة بين الزوجين، وبينهما وبين الأولاد علاقة ود ورحمة وعطف وحنان ومحبة، ولهذا كان حسن الاختيار، ومرحلة الخطبة تدبيرا وقائيا مهما يحمى الأسرة من التمزق أو التفرق.

الرجل والمرأة يعرف أحدهما الآخر معرفة لا تحتاج إلى فرصة للتروى والبحث والفحص وغالبا ما يكون هذا فى داخل الأسرة بمفهومها الواسع بين أبناء الأعمام والعمات والخال والخالات، أو فى التجمعات السكانية المحدودة كالقرى الصغيرة، فأهلها - وإن لم يجمع بينهم نسب أو رحم - يعيشون كأسرة واحدة، يتعاطفون ويتعاونون، ويعرف كل منهم عن غيره ما يغنيه عن السؤال عنه إن رغب فى أن يصهر إليه.

ولا خلاف بين الفقهاء فى أن المرأة فى فترة الخطبة أجنبية عمن تقدم يطلب الزواج منها، ولهذا يحرم عليه أن يختلى بها، أو يسافر وحده معها وإنما يجوز لهما أن يلتقيا فى محضر من أهل المرأة ومحارمها لقاء مهذبا، فيعرف الجل من أخلاق المرأة وعقلها وحسن تصرفها ما يرغبه فيها، كما تعرف المرأة من الرجل ما يدعوها إلى قبوله زوجا ورفيق عشرة وحياة.

أما ما يفعله بعض الناس من إعطاء الخطيبين حرية اللقاء والتنقل وحدهما بحجة أنهما فى حكم الزوجين، وأن هذه الحرية تيسر لهما أن يدرس كل منهما الآخر دراسة وافية خطأ فادح، ويجر إلى مفاسد كثيرة، ويؤدى غالبا إلى عدم إتمام الزواج.

وإذا كان منح الخطيبين حرية اللقاء دون رقيب خطأ فادحا فإن ما يراه بعض الناس من أن رؤية الخاطب لمخطوبته أمر لا يسمح به شرف العائلات ولا الغيرة على الكرامة والعرض^(١٦) خطأ فادح

(١٦) انظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ١٦٨ ط القاهرة.

(١٧) رواه النسائي.



لا تنقضى عجائبه

إعجاز العلم الأعجمي في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

تروى كتب السنة حديثاً لرسول الله ﷺ يقول فيه: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل. فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»^(١) وفي هذا حث على إحسان القراءة. وتجويد الأداء. وتعزى الدقة وكان يعجبه ﷺ من يؤدي الأداء الجيد. وكان يستمع إليه.

أتخيل مسجده ﷺ بالمدينة كخليفة نحل لا تهدأ. أصوات القراءة تتجاوب فيه ليل نهار. وذات سحر. أذن النبي ﷺ لقارئ يشدو سحراً بكتاب الله. فجلس في بيته يستمع إليه. حتى قارب الفجر فخرج فعرف أن القارئ الشاذي بالقرآن أبا موسى الأشعري فقال له مانحاً إياه وساماً لم ينله سواه، قال: «لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود»^(٢). فقال أبو موسى - حيث إنه لم يكن يعرف أن رسول الله ﷺ كان يسمعه قال: لو أعلم أنك تسمعون لزينته لك تزييناً وحبرته لك تحبيراً، فالنبي كان يسمع القرآن من أصحابه وهم يشدون به.

إقرأ على. قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمع من غيري^(٤).

وورد - أيضاً - أنه كان يطلب من أحدهم أن يقرأ ويسمع هو. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ:

(٢) أذن: تسمع.

(١) سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة، حديث رقم ٤٦٦٠.

(٤) البخاري، فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، حديث رقم ٤٦٦٨.

ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت». ثم
تلى قول الله تعالى :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ
مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى
عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً﴾ (٥)

يقول عمر، والله لكأنى أسمع هذه الآية
لأول مرة.

فالقُرآن كلما قرأته أو سمعته أشرق في
قلبك معنى لم يكن يخطر لك وذلك من
إعجاز القرآن ومن عجائبه التي لا تنقضى
ولو عرفت أن كاتباً كتب كتاباً بعنوان
«القلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن»
والكتاب مؤلف من جزئين، الجزء لا يقل
عن ٣٠٠ صفحة. والعجيب في ذلك أن
المؤلف لم يؤلف قبل الكتاب شيئاً وأظن أنه
لم يؤلف بعده، وأنه كتب كتابه بعد
تقاعده في ديسمبر ١٩٨٨م وبدأ حياته
العملية بإحدى شركات التأمين ثم عمل
مترجماً بإحدى مؤسسات الأمم المتحدة
بجنيف. وبعد أن تقاعد ورجع إلى بلده
الإسكندرية. وهو على علم بأكثر من لغة
غير العربية خصوصاً اللغات القديمة. كان
يستمتع إلى الآية فيها علم من الأعلام
الأعجمية فيرى أن الآية أوردت ترجمة
العلم الأعجمي في سياقها وكانت المفاجأة

وكما أن في التلاوة من المصحف تعطير
للنظر، وفي التلاوة من الحفظ تحصين
للاذكرة. فإن في السماع إعمالاً للفكر،
والتأمل لأن السامع لا يشغله شيء عن التفرغ
الكامل لما يسمع. وفيه اقتداء برسول الله
ﷺ حيث إنه كان يستمع إلى القرآن من
صحابته وما هذا البحث إلا نتاج سماع
وتأمل، والتأمل مع الإصغاء مطية الإلهام،
وأنت ترى من نفسك عجباً، فقد تتلو الآية أو
السورة في صلاتك أو قد تسمعها في غدوك
أو رواحك وتمر عليها مرأً ثم تتلوها نفسها أو
تسمعها في ساعة أخرى من ساعاتك، فإذا
هي تهزك من الأعماق هزاً. وتملأ كل
جوانحك بهجة وضياء وتتفجر في قلبك
أنهار من الحكمة والإلهام والهدى لم يكن لك
بها عهد وربما تعجب كيف غيبَ عنك هذا
الخير. وتوشك أن تقسم وكأنك لم تسمع
هذه الآية من قبل وصدق رسول الله ﷺ حيث
قال «لا يخلق من كثرة الرد. ولا تنقضى
عجائبه».

وما موقف الفاروق عمر بغائب عنك فبعد
انتقال الحبيب إلى الرفيق الأعلى فزع الناس
حتى قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
من قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه. فقام
الصديق - رجل المواقف الصعبة - فقال: «أيها
الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات



إحكاماً لتعبر عنه فما نزل القرآن إلا وقد تهيأ لها هذا كله ضد منطق التاريخ ومنطق الحضارة.

ثم يقول: على أن في [اللغة] العربية خصائص لغوية وبيانية وموسيقية قل أن تجتمع لسواها، إنها لغة الإيجاز البليغ والسلم الموسيقي الكامل، لغة اجتمعت لها كل الحروف، وصحت انخارج لا تندغم في الخلق ولا تتآكل على أطراف اللسان.. لغة غنيت حروفاً فغنيت جذوراً، لا تعرف اللواحق من رواكب وروادف.

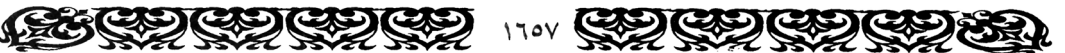
وبعد أن تحدث عن ضعف اللغة وضعف المثقفين وأن الضعف أصبح متبادلاً قال: «تلك كبوة حضارية عابرة ليست القاصمة وكم صادف أهل القرآن كلما تنكبوا صراط القرآن كبوات.. ثم يصف هيمنة القرآن على أساطين الكفر واللغة وأنهم رغم كراحتهم للقرآن لم يستطيعوا أن يسبوا القرآن بسوء، بل لو وجدوا في القرآن مغمزاً لما عفوا. ولكن القرآن أعجزهم أن ينالوه بسوء. ولو ادعوا عليه العجمة لافتضحوا بين العرب».

وسوف أضرب لك أمثلة من أعلام أوردوها القرآن، أورد ترجمتها كما هي في لغاتها الأصلية دون إدخال بالسياق والجمال والروعة والبيان خذ مثلاً كلمة «اسحاق» وهو علم أعجمي، ما معناه؟ هل تعرف أنه في لغته الأصلية «الضحاك» فيورد القرآن هذا التفسير لمعنى الاسم الأعجمي بأسلوب معجز لا تكاد

أن هذه الترجمة تطرد في القرآن الكريم كله. لا يكاد يخلو علم أعجمي في القرآن من النص على ترجمة معناه في سياق الآية ترجمة دقيقة مطابقة. ولكنك تمر عليها دون أن تفتن لها. لأن العبارة التي تعطيك معنى الاسم الأعجمي كلام من نسيج الآية معناها مطلوب لذات الآية والترجمة إضافة تظنها جاءت عرضاً. وهي دليل العلم والقدرة.

يقول المؤلف: وأما كيف هداني الله إلى موضوع هذا البحث فهي بارقة إلهام ليس لي فيها من فضل، إنما الفضل كله لله - سبحانه وتعالى - ثم يقول: وهو بحث ليس في وجوه إعجاز القرآن، فوجوه إعجاز القرآن بحر لا يدرك ساحله. وإنما هو بحث وجد في وجه من وجوه إعجاز القرآن جديد لم أقع عليه فيما كتبه المفسرون. إنه العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن.

والقرآن، بفعل هذا غير مسبوق. لأنه يفسر ما يسفره عن علم وغيره يخطيء وقد يصيب... وقبل أن أسرد لك أمثلة من هذا الإعجاز الإلهي أنقل لك بعض حديث المؤلف محمود رؤوف عبد الحميد أبو سعده، عن اللغة العربية وكيف أنها وسعت القرآن بإعجازه حيث ضاقت عنه اللغات الأخرى يقول: «الحق أن اللغة العربية هيئت تهيئة لتلقى القرآن وزينت تزييناً لتليق به. وأنضجت إنضاجاً لتكون وعاءه وأحكمت



ولاحظه ولا يخل بالعرض الجيد المعجز يقول

المؤلف : ولأن النسيج القرآني نسيج محكم

بالمعنى الإيجاز بربى من الحشو والافتعال كل لفظ فيه موزون بميزان ، معناه مطلوب لذات معنى الآية واللفظ أو العبارة المفسرة لمعنى الاسم العلم جزء من هذا البيان المتضام المتكامل . أو أداة لتصوير الحدث نفسه لا لتفسير الاسم فلا تفتن إن كنت لا تعرف لغة الاسم لوجه التناسب بين المفسر والمفسر به كما لا تفتن لوجه المشاكلة بين هذا وذاك ، كما تجدد في تفسير اسم اسحاق بقوله عز وجل :

﴿وَأَمْرَآتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ (٦).

وكان الملائكة قالت «ضحكت يا أم الضحاك ، تسمية من الملائكة للمولود المبشر به . لأنك لا تفتن لوجه التناسب بين «ضحكت» و«اسحاق» لأنك لا تعلم أن معنى «إسحاق» هو «ضحاك» كما قد لا تفتن لوجه المشاكلة في عبارة مثل «أحسننت يا حسن» إن قيلت لك بالإنجليزية أو بأى لغة غير العربية .

لكن هذا الذى لا تلتفت إليه - أى تفسير الاسم العلم - يتواتر فى كل علم أعجمى مذكور باسمه أو بكنيته فى القرآن الكريم فتساءل : أمقصود هو ، أم غير مقصود أم أنه الإعجاز البيانى الذى يؤلف بين الألفاظ

والصور على هذا النسق المتناغم المتجانس ؟ ذات مرة كان يسمع المؤلف سورة مريم :

﴿كَهَيَّعَ ۙ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٧).

وكان معنى اسم زكريا فى العبرانية «ذاكر الله» فتأمل تلك الترجمة التى جاءت فى هذا التجانس الجميل بين زكريا ذاكر الله .

كما نرى ذلك فى اسم جبريل فإنه ورد ثلاث مرات بلفظه ، ثلاث مرات فى الآية ٩٧ ، ٩٨ من سورة البقرة ، وآية ٤ التحريم ، وورد فى سورة النجم ١ - ١٠ وسورة التكويد ٩ - ٢٣ محذوفاً لدلالة السياق عليه الذى يدل على معناه فى لغته وهو القوى الشديد أو ذو القوة وليس ذلك فحسب بل إن القرآن يصوب ما أخطأت فيه الكتب السابقة حيث إنهم فسروه بأنه عبدالله وليس ذلك بشئ هذه عظمة القرآن وأنت بإزاء عظمة هذا الكتاب المعجز بين أمرين لا ثالث لهما إما أن تصدق محمداً - ﷺ فى دعواه ، والوحى ، وأنه نبي ، أو أن نقول إنه إله ، ولكنك إن ألهمته معاذ الله - فقد كذبت به - تلك هى المعضلة الكبرى أمام خصائص هذا القرآن المعجز وهى بذاتها وجه من وجوه إعجاز القرآن . . ولله الحجة البالغة .

وَلَا تَفَرَّقُوا

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

والعالم كله يتهمكم على المسلمين الذين عجزوا عن وضع تقويم موحد لبدايات الشهور الهجرية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعقيدتهم، على عكس التقويم الميلادى الذى له صفة الثبات ولا يمكن أن يتغير إلا فى نطاق ضيق جداً معلوما سلفاً.

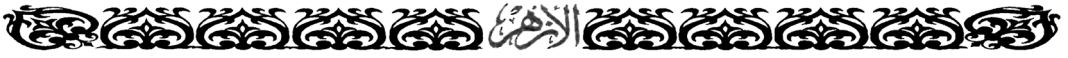
والمشكلة تزداد عمقاً واتساعاً لدى مجتمع الأقليات الإسلامية، فهل يصدق أحد أن أقلية تعيش فى دولة واحدة تختلف فيما بينها حول تحديد مطالع الشهور الهجرية، بل قد يحدث هذا الخلاف بين سكان الحى الواحد، فتجد طائفة من سكانه تصلى صلاة عيد الفطر، وطائفة أخرى من نفس الحى تصلى صلاة العيد فى اليوم التالى، وقد يكون هناك من لا يزال صائماً رمضان ولم ير هلال شوال بعد، وكل طائفة منهم تتشبث برأيها وترى أنه هو الصواب، بل قد تحاول كل طائفة فرض رأيها على غيرها من الطوائف بالقوة الأمر الذى تضطر معه الشرطة للتدخل.

ولا يوجد مجال للحديث عن خلافات مذهبية لأن هذه الخلافات تحدث بين أهل مذهب

سؤال له وجاهته .. طرحه عدد من الإخوة المسلمين الذين يعيشون خارج نطاق الدول الإسلامية.

السؤال يقول: لماذا لا يتم توحيد مطالع الشهور الهجرية؟

ويجيبون أنفسهم: صحيح أن الفقهاء قديماً وحديثاً أيضاً قالوا: لكل إقليم مطالعه .. ولكن هناك اليوم مصلحة مهمة أو مصالح تتحقق للمسلمين لو أمكن توحيد مطالع الشهور الهجرية، وأعظم هذه المصالح على الإطلاق زرع الأمل فى النفوس بإمكانية توحيد الأمة الإسلامية، خصوصاً وأن وسائل الإعلام الدولية مقروءة ومسموعة ومرئية تتناقل أنباء الخلافات القائمة بين سائر الدول الإسلامية حول تحديد بدايات الشهور الهجرية، بل إن إحدى الصحف نشرت خبراً حول دولة عربية حددت بداية لشهر رمضان، ورفض مالك إحدى الصحف اليومية الاعتراف بهذه البداية وصدرت الصحيفة تحمل تاريخاً هجرياً مغايراً لما اعتمدته الدولة التى تصدر فيها تلك الصحيفة.



الحرام وفى شهره الحرام، ماداموا قد التزموا بها لمدة شهر واحد فما المانع إذا أن يلتزموا بها طوال أشهر السنة، وهناك بالفعل أقليات إسلامية طبقت هذا المفهوم، وهى تلك التى تعيش فى بلاد تتجاوز ساعات النهار فيها الـ ٢٠ ساعة وفرصتهم تكون محدودة جداً لرؤية الهلال ولذلك فهم يلتزمون بالرؤية الشرعية لمكة المكرمة ويصومون ويفطرون تبعاً لفجر ومغرب مكة ومنهم من يصومون تبعاً لرؤية أقرب بلد إسلامى ولكن هذا لا يتجاوز مستوى جماعات داخل الأقليات التى تعيش فى الدولة الواحدة.

بمعنى أن هناك من يصوم بالفعل ٢٠ ساعة يومياً، وهناك من لا يصوم أصلاً لأنه لا يطبق صيام ٢٠ ساعة يومياً، ولا ترتاح نفسه للصيام وفق رؤية وتوقيت بلد يبعد عنه مئات الآلاف من الأميال، وبالتالي فلا بد من تدخل يحفظ للمسلمين فى كل مكان فريضتهم.

أخذت أفكر فيما سمعت وقلت لنفسى: ما معنى قول الله تعالى:

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (٣)

الآية خاصة بتحويل القبلة ولكن هل القبلة مخصصة فقط للصلاة، أى أنها أمر وتوجيه إلهى للأمة بأن تكون مكة هى قبلة الصلاة فقط؟ لا أعتقد هذا بل الذى أراه - فى ظل عدم ذكر كلمة الصلاة فى الآية - أن المسلمين مأمورون بأن

واحد وهو السنة بمفهومها الواسع فالناس هناك لم يتبحروا فى المذاهب، فلم يدرسوا الفقه الحنفى ولا الشافعى، ولا المالكى، ولا الحنبلى والله سبحانه وتعالى - قال فى تعليق رسالة نبيه ﷺ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

والرحمة تتضمن رعاية مصالح العباد ودرء المفسد عنهم (٢).

وطرح الإخوة - وهم عدد من المسلمين المغتربين الذين يعيشون فى مدينة أوتاوا الكندية - طرحوا ما يعتبرونه حلاً معقولاً وهو:

● الإسلام بُنى على خمس فرائض، وهى:

- شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

- إقام الصلاة « وفيها نولى وجهنا شطر مكة ».

- إيتاء الزكاة.

- صوم رمضان.

- حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

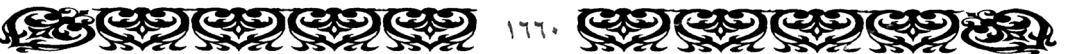
الفريضة الأخيرة، وهى الحج يتحد المسلمون جميعاً فى ميقات شهرها، شهر ذى الحجة، لأن الجميع يلتزم برؤية هلال مكة المكرمة والتقويم الهجرى فى سائر بلاد العالم يلتزم فى هذا الشهر بهلال مكة المكرمة.

ألا يعنى هذا أن أبناء الأمة جميعاً مطالبون بالالتزام بالرؤية الشرعية التى تتم فى بلد الله

(١) الأنبياء (١٠٧).

(٢) عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٤٦ ط دار عمر بن الخطاب - الاسكندرية.

(٣) البقرة (١٤٤).



﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ لَهُمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدَرِ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٧)

وقد أثبت الفقهاء أن عمر -رضي الله عنه- لم يخالف القرآن، ولا سنة رسول الله ﷺ في فعله هذا، وإنما كان يتبعها ويحكم بها، حيث رأى أن المؤلفه قلوبهم لا يستحقون العطاء إلا إذا كانوا محتاجين إليه. وذلك ما يمكن أن نطبقه -بعد بحث ودراسة مستفيضة- على الأهلة، وأتساءل: إذا كان هناك من يصبر ويتمسك بالتطبيق الحرفي للعبارة الفقهية « لكل إقليم مطلعته » وهو أمر لا نشك في سلامته، ولكنه كان قديماً يحقق مصالح الأمة، أما اليوم فهو لا يحققها بعد أن صار العراق إقليماً، والكويت إقليماً وقطر إقليماً، وكذلك البحرين والإمارات وعمان، وقديماً كانت كلها إقليم واحد له مطلع واحد.

الأمر ليس مجرد تحديد مطالع الشهور وتوحيدها فقط، إنما الأمر يتجاوز هذا بكثير.. إنه وجودنا في عالم لم يعد يعرف إلا لغة القوة، ونحن لن نصبح أبداً أقوياء إلا إذا سعينا نحو تحقيق الوحدة الإسلامية، والوحدة ليست أبداً مجرد إلغاء للحدود السياسية كما يتوهم البعض، بل يجب أن تكون رغبة كامنة في القلب.. ونحن إذا نجحنا في توحيد مظاهر حياتنا مادياً ومعنوياً نكون قد نجحنا في تحقيق الوحدة المنشودة فلنبداً بتلمس مظاهر وحدتنا من ديننا الخفيف من قواعده التي بُنى عليها عسى الله أن يهيء لنا من أمرنا رشداً.

يتوجهوا إلى مكة ويجعلوا كعبتها في قلوبهم ويجعلوها حكماً فيما يشجر بينهم من خلاف سعيًا وراء التوحد وعدم التفرق تنفيذاً لأمر الله عز وجل بالألا نتفرق في قوله:

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٤)

«والشريعة الإسلامية ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء مفسد أو جلب مصالح» (٥).

والفقه الإسلامي ليس إلا وجهها من وجوه الفهم والتفسير والبيان لنصوص الشريعة وأحكامها وتطبيقاً لمبادئها وقواعدها على جزئيات الوقائع والأحداث حسب الأمكنة والأزمنة ومصالح الناس (٦) والمصلحة الآن تقتضي أن يجلس فقهاء الأمة وعلماءها في الجغرافيا والفلك لدراسة نصوص الكتاب والسنة، والبحث في إمكانية توحيد مطالع الشهور الهجرية وإمكانية ربطها باستطلاع هلال قبلة المسلمين.. مكة المكرمة.

ونحن عندما نطرح مثل هذه القضية للنقاش فإننا لا نبتدع -وقانا الله شر البدع- وإنما نقتدى بسلفنا الصالح -رضي الله عنهم أجمعين- فقد منع سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- المؤلفه قلوبهم نصيبهم من الزكاة، وقد كان لهم فيها حق نص عليه المولى -عز وجل- في كتابه الكريم بقوله:

(٤) آل عمران (١٠٣).

(٥) عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٤٦، نقلاً عن: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (٩/١).

(٦) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٦٧. (٧) التوبة: (٦٠).

سَفِينَةُ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ

لِلرَّسَّازِ / مَجْدِي عَبْدِ الْمَحْمِدِ بَشِيرِ

فى رىاض الأخلاق الحسنة والخلال الطيبة
والخصال الكريمة، يبدأ المؤمن المسير بإعمال العقل
فى معناه الواسع الرحب الذى يجعل من الذهن

المتوقد والبصيرة النيرة نبراساً يهتدى به كل ذى لب حائر، ويعدل فى حكمه كل حاكم جائر، والعقل هنا
يجعل من شكر النعمة أساساً يدفعه للعناية الشديدة والرعاية الأكيدة لكل من ابتلى بإعاقه ذهنية سلم الله
منها الأصحاء . وأما الأساس الذى يلى العقل فهو الدين الحنيف الذى يزداد به شرفاً لكل شريف .

وتكتمل أضلاع مثلث التقدم والازدهار بالعلم النافع المفيد الذى يبنى ويشيد .. وهذا المثلث - أعنى
العقل والدين والعلم - لا يمكن فصل أحد أضلاعه عن الآخر خصوصاً إذا كان الهدف الفعلى هو
حضارة أمة ومدنية دولة .

وفى دنيا المعالى لا بد للمترىض فيها أن يتحلى بخلق هام، اكتسبه من الصيام واتخذة دستوراً له فى
التعامل مع الآنام، إنه الحلم الذى نوه بأهميته الجوهريّة النبى مُحَمَّد خیر البرية وأزكى البشرية ﷺ .
حين قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فىك خصلتين يحبهما الله ورسوله .. الحلم والأناة» وصدق ﷺ
فيما قال إذ الحلم هو الطريق الفطرى الموصل لأس الكارم، وأساسها المتين . ألا وهو الجود والكرم الذى
يعد من أسمى أخلاق رسولنا العظيم ﷺ فى رمضان، فقد كان جبريل - عليه السلام - يلقيه فى كل ليلة
من رمضان فيدارسه القرآن، وكان ﷺ حينها أجود بالخير من الريح المرسلة .

والكرم والسخاء، طبع أصيل مركز فى هذه الأمة الرائدة . ولقد ضُربَ المثل بحاتم الطائي فى هذا
الباب وسجل التاريخ له ولأمثاله صحائف بيضاء من نور ظلت على مدى الأجيال مناراً للبركات، وقد
أوصى الطائي زوجته وصية قليلة الكلمات، عميقة العظات، فقال فى أسلوب خلاب :-

أماوى إن المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكر

نعم، فالذكر الحسن للإنسان عمر يضاف إلى عمره، وفى سعيه الدؤوب وراء المحاسن والمكارم يتوقف المؤمن
المحتسب أمام العرف الذى قدمه رسول الله ﷺ لكل مسلم عنقوداً شهى الطعم لذيق المذاق حينما نزل عليه
أمين الوحي جبريل - عليه السلام - بقول الله - عز وجل :- «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» .

فلما استفسر عن معناها أخبره جبريل جواباً من رب الأرض والسماء فقال: «أن تعطى من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وتحلم عمن جهل عليك وتحسن إلى من أساء إليك» . إنها ببساطة الترقى فى سلم
الفضائل من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان، إنها المعنى الدقيق لقوله - جل وعلا:-



﴿وَلَا تَسُواْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ . وإذا كان هذا هو الإطار الذى يفترض أن يعيش فيه من صان أخلاقه فى رمضان فلم يشهد زوراً، ولم يغش فجوراً، وقضى نهاره فى طاعة، وأنفق ليله فى ضراعة منتظراً فى يوم الدين من الصيام والقرآن شفاعته، فإن رمضان يفتح له باب البر على مصراعيه . وليس البر مجرد عبادات شكلية وإنما هو طريق طويل ومنهل عذب، فالبر كما صورته آية البر فى سورة البقرة، إيمان بكل ما للإيمان من حلاوة وطلاوة وبذل للمال وتحسينه بالنفس والنفيس على الرغم من الحب التلقائى الفطرى للحياة والمال حب يدفع صاحبه ويحفزه إلى أن يواسى بماله ونفسه كل محتاج ويأسو بهما جراح المعوزين، ويسد خلة كل محتاج اقتضت مشيئة البارئ أن يمتحن فيما هو عصب الحياة وطاقتها المحركة ويلى الإيمان والبذل عبادتى الصلاة والزكاة أو لنقل : إن البذل والعطاء توسط ركنى الإيمان والصلاة تماماً كما توسط ركن الزكاة وهو العبادة المالمية بين الصلاة وفضائل الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، فهل هناك سياحة إيمانية فى عالم الفضيلة أطيب من الإبحار فى موج البر على متن سفينة التقوى والإيمان وصولاً إلى شاطئ المحبة والوئام، وابتعاداً عن اللجاج، ونأياً عن الخصام . . ولا يفوت من يعيش أفراح العيد بعد أن صام وقام لله أن يذكر أن الحياة كل الحياة، تدور بين أمدنين، إما نعمة يشكر الله على أن اختصه بها، وإما بلية يحمد الله على أن ألهمه الصبر عليها، ويختتم هذا التطواف فى رياض الصالحين وبساتين المفلحين بأن يعى المؤمن يقيناً ويدرك حقاً القانون العام الذى نبه رسول الله ﷺ إليه أم المؤمنين عائشة حين قال : « ما كان الرفق فى شئ إلا زانه، وما نزع من شئ إلا شانه » . . كما لا ننسى قوله : « إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » . . ولا يغيب عن بال دعاء دعاه فقال ﷺ : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فَرَّقَ بهم فارقه به » . . وليس معنى اللين والرفق أبداً التهاون مع النفس بعد انقضاء رمضان، فجهاد النفس والهوى والشيطان والدنيا ومغرياتهما، دأب المتقين لا ينفك كل منهم يمارسه فى رمضان وفى كل شهور العام .

أيها الأخ الكريم : إن العيد فرصة طيبة لكنها لا تطيب ولا تنهأ إلا بمصافاة الأهل والإخوان والتودد والتحبب إليهم بالزيارة وصلة الرحم غرساً للألفة وبذراً للوئام، فزارع المعروف وبازل الخير لن يجنى إلا الخير حتى وإن تأخر موسم الحصاد . وفى منظومة جميلة تصور كل تلك المعانى يقول الإمام على - كرم الله وجهه - :

إن المكارم أخلاق مطهرة	فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها	والجود خامسها والعرف سادها
والبر سابعها والصبر ثامنها	والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها	ولست أرشد إلا حين أعصيها

فما أبلغ أبيات الإمام، تلك الأبيات العبقريّة التى قدمت الفضائل وكأنها طاقات من الفلّ والياسمين، تُرصّع جبين الزمن وترزين صدر الأيام فى لفظ جميل أخذ يستخدم فيما يستخدم بمهارة منقطعة النظير أمراً نحوياً يكاد ينساه أهل النحو واللغة، ألا وهو (الترخيم) أى حذف الحرف الأخير فى قوله : (سادها - عاشيها) . . وإن شئنا البحث التطبيقى لبعض تلك الشمائل، فلن نجد بحق من يطبقها خيراً من السلف الصالح .

ضلال أو تضليل: «الإسلام والإرهاب»

كتب الأستاذ فكرى مكرم عبید فى جريدة الأهرام تحت عنوان قضايا وآراء فى عددها الصادر فى ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٢ يقول:

مخطئ من يتخيل أن اتهام الإسلام بالإرهاب جاء وليد جهل أو خطأ، بل تدبير آثم، جريمة مكتملة العناصر والأركان، من فعل وقصد جنائيين، أرفتها وخاطت رسومها عقول واعية شريرة رمت إلى هدف ذى شقين، أولهما التخلص من هذا الوزر، وثانيهما إلصاقه بعدو عنيد، تلك هى عقول الصهيونية العالمية.

لسنا نلقى هذا القول على عواهنه، ولا هى اتهامات عاطفية ناشئة عما نعانیه من إسرائيل والإسرائيليين، بل هو الواقع الذى عاشه العالم كما يدل عليه تسلسل الواقع التاريخى وتحليله الموضوعى.

قبل نشأة إسرائيل لم يكن العالم قد سمع بتعبير «الإرهاب» بالمعنى المتعارف عليه حديثاً، فهى قامت أول ما قامت على عصابات إرهابية مثل «الهاجاناه» و «إرجون زفاى ليومى» «شيترن» التى بدأت نشاطها بإرهاب الجيش البريطانى عن طريق خطف رجاله وتعليقهم من أرجلهم كالحراف، ثم إلى إرهاب السكان الأصليين العرب الذين كانوا قد قاوموا إغراء الذهب اليهودى ورفضوا بيع أراضيهم بأى ثمن، وكان هذا البيع يتم بأثمان مرتفعة تدفع إلى أصحاب الأرض فى الصباح ويستردونها منهم فى المساء فى ملاهى تل أبيب ومواخيرها، وإزاء رفض وامتناع غالبية العرب عن البيع، عمدت العصابات اليهودية إلى الاستيلاء عليها قوة وعنوة بإرهاب أصحابها تزهيدا لهم فى بلدهم.

سمعنا بعد ذلك عن الإرهاب اليهودى المنظم، فاغتالوا لورد موين الوسيط الإنجليزى فى رائعة النهار فى القاهرة فوق كوبرى الزمالك، ثم اغتيال الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة السويدى

ين الصحف

و

المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشتى



المسالمة، ثم اغتيال داج همرشولد أمين عام الأمم المتحدة، ثم جريمة قتل ليفون في الإسكندرية وما ترتب عليها.

لم يقتصر إرهاب الجماعات اليهودية على غير اليهود، بل شمل أبناء جلدتهم، فكانوا يرهبون ويبتزون أغنياء اليهود وثراتهم، يفرضون عليهم «فردة» مقدرة بنسبة مئوية من رءوس أموالهم، مهددين من يمتنع عن الدفع لا بالقتل فحسب، بل باختطاف أولاده، وحصلوا بهذه الطريقة على مئات الملايين من الدولارات ليستخدموها - بعد نهب نصفها لأنفسهم - في تمويل عمليات الإرهاب المتتالية.

ومن المعروف أن في أمريكا عصابات «المافيا» المكونة من أمريكيين من أصل إيطالي، تنافسها في أنشطتها الإجرامية مافيا اليهود، والمعروف أن للمافيا ما يطلقون عليه العائلات، وهي خمس، يرأس إحداها إرهابي يهودي اسمه كمينسكي ينافس بل يبز آل كابوني وديلنجر.

حرص اليهود في ذكائهم الشرير مستخدمين أموالهم وتسلطهم على وسائل الإعلام والدعاية، وحتى ينسى الناس إجرامهم، على أن يلصقوا تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين، مستغلين جهل الأمريكان والأوروبيين بحقيقة الأمور ومستغلين انتفاضة الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال، وهي حق شرعى ومشروع سبقهم إليه كل من احتلت بلاده أمثال المقاومة الفرنسية بقيادة ديغول، وحرب تحرير أمريكا بقيادة واشنطن، ونسبة الإرهاب إلى المقاومة الفلسطينية، وهي نسبة كاذبة، فعملوا بمهارة الإجرام على أن يتصلوا

من جرائمهم بإلصاقها بسواهم.

هذا هو الإرهاب اليهودى كما عرفناه وأقمنا عليه الدليل، ومع أسفى للحديث عن أهل «دين سماوى» بهذا المقت والكرهية، لكن ما حيلتى بعد أن أعلن اليهود أنفسهم وأطلقوا على إسرائيل - وهى الدولة التى اغتصبوها سفاحا - أنها الدولة اليهودية Jewish State.

عالمية الإسلام لكل زمان ومكان

فى جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ٢٤/١١/٢٠٠٢ نشرت وقائع ندوة عالمية للإسلام لكل زمان ومكان.

تحدث الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قائلاً: إن الإسلام به ثواب ومتغيرات وهذا أمر ليس جديداً، وربما كان حوار النبى ﷺ مع معاذ بن جبل وهو يرسله إلى اليمن هو الدليل الدامغ على ذلك خاصة عندما قال له: «فإن لم تجد فى كتاب الله وسنة نبيه؟ فقال معاذ: «أجتهد رأيى ولا آلو» فالثواب تتضح فيما قاله معاذ فى النصوص الصريحة فى القرآن والسنة ثم هناك المتغيرات التى تخضع للظروف الطارئة التى أشار إليها معاذ بقوله: «أجتهد رأيى ولا آلو» فالاجتهاد هو الآلية التى اعتمدها الإسلام لمواجهة كل المتغيرات.

وأضاف: إن المتغيرات لا تتعارض أبداً مع الثواب فالمرونة فى الأحكام لا تتعلق بالثواب وإنما بالأشياء القابلة للتغيير وهو ما نسميه اجتهاداً كما أن عدم الاجتهاد يعد ذنباً لأن الاجتهاد استخدام العقل وقد جرم القرآن عدم استخدام



العقل بقوله تعالى :

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

﴿۱۰﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْحًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿۱۱﴾.

وأكد أن الدعوة الإسلامية أصلاً قائمة على منطق الاختيار الحر فهي بلاغ ثم اختيار مطلق :

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢).

وقال : إن بناء الإنسان هو أصعب ما يواجه الأمم لأنه لا يتحقق من قبل جهة واحدة وإنما تتضافر فيه جهود كثيرة ومتكاملة من الأسرة إلى المدرسة إلى الإعلام إلى الشارع إلى كل ما يلقاه الإنسان ويتعامل معه بشكل يومي فإذا وجد منهجاً إيمانياً فى كل ما يراه نشأ مستقيماً ثابتاً لا تهزه الرياح العاتية أما إذا اجتهدت جهة دون جهة فإن ما تبنيه الأسرة مثلاً يفسده الإعلام أو المدرسة أو الشارع فلا يتحقق البناء .

أما الدكتور سوزان القلبنى مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس فأكدت أن تطوير الخطاب الدينى خاصة فيما نتوجه به إلى الغرب يحتاج إلى إعادة تأهيل الدعاة وإعدادهم إعداداً جديداً يتناسب مع الهدف المرجو منهم لأن كل دعوة تعتمد على الداعية فقد تكون الدعوة واضحة وعظيمة وتحمل للناس خيراً كثيراً لكن الذى يقوم بعرضها لا يقدمها بالشكل الذى تستحقه وبالتالي لا يقبل عليها الناس ، وقد تكون دعوة لا تقف على حق واضح لكنها تقوم بتزيين لباطلها وإظهاره وكأنه حق فيقبل عليها بعض الناس ومن هنا فلا بد من إعادة إعداد الدعاة .

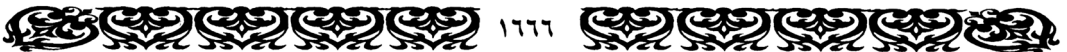
وأشار إلى أن استهداف المسلمين والتآمر عليهم حقيقة لا جدال فيها لكن هناك بعداً غائباً فى الموضوع وهو مسئولية المسلمين فيما يحدث لهم فالمسلمون هم المسئول الأول عما يحدث لهم وعليهم أن يعالجوا أسباب التخلف عندهم أولاً ثم يقفوا بعد ذلك فى وجه الاستهداف وسوف يكون الأمر سهلاً .

وقال الإعلامى أمين بسيونى رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون السابق : إن محاولة حماية المجتمعات الإسلامية من التدفق الثقافى المغاير لثقافتنا وهويتنا لا يمكن أن يتحقق بمحاولة منع التدفق الإعلامى والثقافى من كل من حولنا عبر الفضائيات ومن يفكر فى ذلك فهو كمن يحاول حجب ضوء الشمس بغربال .

وأضاف أنه ليس أمام العالم الإسلامى لمواجهة الثقافات المغايرة إلا أن يتجه إلى إعادة بناء الإنسان ، بناء يحفظ عليه هويته وثقافته ويجعله يختار ما يفيد وينفعه ويرفض ما يضره ولا يضيف إليه شيئاً وبالتالي فإن منطق الاختيار المطلق أو الحرية المطلقة يجب أن يتعامل معه إنسان واع بثقافته وحضارته وقيمه وما ينفعه وما يضره .

(٢) الكهف (٢٩).

(١) الملك (١٠ ، ١١).



دراسة الغزوات من بدر إلى العراق

في جريدة الجمهورية كتب الأستاذ عبداللطيف فايد يوم ١٩/١١/٢٠٠٢ يقول: الغزوات الإسلامية تتطلب من المسلمين دراسة وافية تشمل ظروفها وأحداثها ونتائجها وعوامل النصر فيها، وشخصيات المجاهدين في معاركها، وارتباطها كلها بالالتزام وتنفيذ أوامر القادة فيها وخاصة في عهد رسول الله ﷺ فقد يخفى الهدف من أمر من الأمور على منفذيه من الجنود ولكن له فائدة استراتيجية كبيرة يتوقف عليها النصر، فإذا اختل تنفيذ هذا الأمر فإن الهزيمة أو ما يشبهها تنزل بالجيش كله، والدرس معروف من غزوة أحد التي تتطلب وحدها دراسة مستقلة في هذا الشأن، كذلك دراسة الهدف الذي يجمع هذه الغزوات كلها، وهو هدف دفاعي في المقام الأول لا يعتدى على الآخرين، ولا ينشر الدين بالسيف، وإنما ينشره بالحكمة والموعظة الحسنة والقُدوة في الأخلاق السلوكية.

وأكثر بلاد الأمة الإسلامية انتشر فيها الإسلام بالقُدوة، وهذا واضح في انتشاره الآن بالبلاد الأوروبية وأمريكا، وقد انتشر في أفريقيا وآسيا بالأسلوب ذاته عن طريق العلاقات التجارية والنشاط الاقتصادي للأفراد حتى أن كبرى البلاد الإسلامية وهي أندونيسيا لم يرفع فيها سيف لنشر الإسلام، وإنما انتشر فيها إيماناً من أهلها بقيم هذا الدين التي حملها التجار المسلمون إليها، وهي الدولة التي تتعرض للحملات التي تسمى بالتبشيرية لاقتلاع الإسلام منها بالإضافة إلى جهود الاستعمار لتفكيك وحدتها باسم الاستقلال وحريات الشعوب.

كذلك كانت الحملات الإسلامية تهدف إلى رفع الظلم عن المظلومين فيها وتمتع أهلها بالحرية المفقودة في اختيار الدين أو المذهب الديني الذي يريدون اعتقاده بالإضافة إلى تأمين الدولة الإسلامية من الإغارات العدوانية، وهذا واضح في فتح مصر والشام وغزوة تبوك، وهناك هدف آخر وهو استخلاص الحقوق الضائعة خلال الفترة التي سبقت الهجرة من مكة إلى المدينة، وهذا واضح في الأسباب التي سبقت غزوة بدر، وهو يعطى الدلالة على الحق المشروع في القتال لاستخلاص ما ضاع بقوة الأعداء.

هناك أيضاً سرية العمل والحفاظ على القوة التي تتمتع بها الدولة واستخدامها في مواضعها، لأن التجربة أفادت أن استخدام هذه القوة في العدوان على الآخرين مسلمين أو غير مسلمين لا تفيد الدولة القوية، وإنما تبدد قوتها وتجعلها نهياً للآخرين وهدفاً لعدوانهم وضرب المسلمين جميعاً، وبخاصة في فترات ضعفهم وتفكك وحدتهم، والمثل قائم الآن في العراق الذي دخل معارك مع إيران سالت فيها دماء الطرفين ثماني سنوات، فلما وضعت الحرب أوزارها بينهما اتجهت العراق لغزو الكويت، فكان ما كان مما يعاني منه شعب العراق حتى الآن، وكان سبب هاتين الحربين حيلة استعمارية لتبديد القوة الإسلامية في المال والرجال، ودليل ذلك أن أمريكا هي التي دفعت العراق لحرب إيران وكانت تغذيها بالمال والسلاح، ثم هي التي نصبت الفخ للعراق في ضرب الكويت فوقعت فيه قيادتها، والآن يعاني العراق وتعاني الدول الإسلامية وخاصة في المنطقة العربية من نتائج ذلك، لأن الدول الإسلامية لا تملك القدرة على رد العدوان الأمريكي على العراق والمتمثل في الأمم المتحدة التي تتخذها أمريكا ستاراً لأهدافها العدوانية على المسلمين.

بين المجلد .. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

تلقيت بمزيد من الاعتزاز والتقدير دعوة سمو الشيخ / محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي .. وزير الدفاع بدولة الإمارات العربية لحضور المؤتمر الصحفي الخاص بمشروع حفظ مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف .

بدأ المؤتمر بكلمة للأستاذ جمال خلفان الحويرب المدير العام لشركة الشيخ محمد التكنولوجية WWW Sheikh mohamed.co.ae الذي أوضح الاهتمام البالغ لصاحب السمو ولي عهد دبي بالمخطوطات بصفة عامة وبمخطوطات مكتبة الأزهر الشريف بصفة خاصة لما تضمه من تراث نادر . وقد أبانت كلمة الأستاذ جمال الحويرب عن دراية الرجل بالمخطوطات وأهميتها وأنواعها المختلفة من حيث كونها كتبت بخط المؤلف، أو بخط أحد تلامذته وسمعها المؤلف، أو تحمّل تعليقات من أحد الشيوخ الكبار .. إلخ.

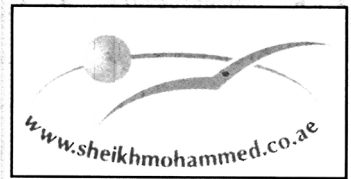
وفى الواقع فإنني لاحظت أن الرجل محب للتراث عاشق للمخطوطات فجزاه الله خير الجزاء .

ثم جاءت كلمة السيد صاحب الفضيلة الشيخ / أحمد خليفة وكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لشئون المكتبات الأزهرية .. الذى أفاض فى شرح تاريخ مكتبة الأزهر، فكان مما قاله : « إن الأزهر كان به قديماً نظام الأروقة، والرواق عبارة عن بناء يسكنه الطلبة من الجنسيات المختلفة، وقد بلغ عدد الأروقة سبعا وعشرين رواقاً، وكانت هذه الأروقة تضم العديد من الكتب، غير أنها لم تكن تخضع لنظام المكتبات الحديثة .



WWW. alazharonline.org

مشروع سمو
الشيخ محمد بن
راشد آل مكتوم
لحفظ
مخطوطات
الأزهر ونشرها
على الإنترنت



نقلة حضارية تضع التراث الإسلامي في متناول الأجيال



وقد تعرضت هذه الكتب للضياع بأيدي الذين لا يعرفون قدرها، الأمر الذي جعل الأستاذ الشيخ / محمد عبده .. مفتي الديار المصرية آنذاك يفكر في إنشاء المكتبة الحديثة وتم التنفيذ في أول المحرم سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م. وقد تم نقل كتب الأروقة إلى الأماكن التي خصصت لها، وقد لاقى المشاركون للتنفيذ صعوبات في ترميم الكتب وإصلاحها، ولم يكن بها من كتاب سليم إلا النذر اليسير^(١).

بُدئ في فهرسة الكتب وتبويبها وتسجيلها أثناء تولي الشيخ أبو الوفا المراغي^(٢) العمل بها. أما المكتبة في شكلها الحالي .. فقد بدأ

العمل في إنشاء مبناها الحديث عام ١٩٨٢م. في عهد الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق تغمده الله برحمته، وتم الافتتاح في عهد فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الحالي أطال الله في عمره.

وقد تبرع السلطان حسن بليقية .. سلطان بروناي بمبلغ خمسة ملايين دولار خصصت لتحديث المكتبة الأزهرية وإنشاء معهدين لطلاب الأزهر.

وهذا التبرع الذي قدمه سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي ويبلغ خمسة ملايين دولار أمريكي خصصت جميعاً لمشروع المسح الضوئي لمكتبة الأزهر وتخصيص موقع إلكتروني. أما المهندس معين مكي - المدير الفني للمشروع فقد قال كلمة يُستفاد منها ما يلي:

(١) أنه تم استقدام عشر ماسحات ضوئية خاصة بتصوير الوثائق والمخطوطات بتقنية متقدمة

(١) يمكن لمن يريد الاستزادة الرجوع إلى: اللوحات الشذية عن المكتبة الأزهرية - بقلم فضيلة الشيخ/ أحمد خليفة - الأزهر - مطبعة المصحف.

(٢) فهو - غفر الله له - الذي قام بهذا المجهود، وعالج في الحديث عن كل كتاب ذكر شيء من مقدمته، ثم تلاها بذكر طبعاته - إن كانت له أكثر من طبعة، أو كان لم يُطبع وظل مخطوطاً... كان جهداً ليس له إلا الله - سبحانه - الذي نضرع إليه أن يثيب هذا العالم الجليل على ما فعل، فلولاً ما قام به من حصر لمقتنيات هذه المكتبة ومشاركة الشيوخ حسن حسين ومحمد أحمد الشحات.. عملاً، وإشرافاً، لكانت الخسارة فيها أكثر وأكثر، ولولا إخلاص رافق عملهم جميعاً لما هب الله لهذا العمل كل هذا الانتشار العالي - فليرحمهم الله جميعاً رحمة واسعة..



بالكامل فى المكتبة كما أنه توجد لدى المكتبة مقتنيات أخرى غير الكتب وهى مثبتة أيضاً فى دفاتر وسجلات خاصة.

مثل: (المزولة، أدوات رصد النجوم، حبة قمح مكتوب عليها سورة لإيلاف قريش بالكامل... إلخ).
أما ما تم أثناء الحملة الفرنسية من اختلاس وسرقة لبعض الكتب، فإن ذلك من دأب الاستعماريين الذين نهبوا آثار البلاد التى استعمروها سواء مصر أو غير مصر، وذلك تم قبل التسجيل فى السجلات الخاصة بالمكتبة، وإلا لأمكننا المطالبة بها.

وعن مجلة الأزهر باعتبارها واحدة من أهم ما تحتويه مكتبة الأزهر وما تحويه المجلة من فتاوى كبار العلماء وما قدمته على مدى خمسة وسبعين عاماً دفاعاً عن الإسلام، كان سؤالى عن وضع المجلة من ذلك المشروع، وهل سيتم وضع المجلة بالكامل على الإنترنت أم سيكتفى بالأعداد التى تصدر حديثاً؟...
وقد جاءت الإجابة من الأستاذ جمال الحويرب ثلج الصدور، حيث قال:

«إننا ننظر إلى مجلة الأزهر كأفضل المجلات الإسلامية، وسنبداً فى وضع الأعداد الثلاثة الأخيرة من مجلة الأزهر على موقع WWW ALAzhar Online. Org.

أما بقية الأعداد الماضية فستأخذ طريقها مع بقية محتويات المكتبة بمشيئة الله - تعالى - حيث هى جزء من محتويات الموقع الذى يضم: موضوعات إسلامية تهم جميع المسلمين مثل: الفقه، والفتوى، والحضارة الإسلامية، ومجلات الأزهر، ومحاضرات المؤتمرات الأزهرية.

جداً أنتجت خصيصاً لمكتبة الأزهر الشريف من قبل I.B.M بحيث لا تؤثر على المخطوطات المصورة وتعطى صورة طبق الأصل من المخطوط.

(٢) كذلك مائة جهاز حاسب آلى موزعة بين مكتبة الأزهر الشريف للباحثين وبين الإدارة العامة.

(٣) نظام Rs/6000 Sp2 الذى يقوم بمهام كثيرة منها: حفظ ما يقرب من ستة ملايين صفحة رقمية من المخطوطات.

(٤) برمجيات بحلول عالية الأداء من I.B.M.

(٥) نظام Web Sphere . I.B.M.

(٦) جهاز I.B.M 3995 C66 Optical Librar- ies Storag.

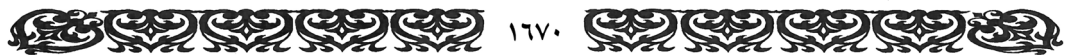
(٧) جهاز I.B.M 3583 Tape Storag.

وسيتم التنفيذ وفقاً للمراحل التالية:
تركيب الكابلات والتشبيك / تركيب الأجهزة وتصميم الموقع على الإنترنت / تشغيل البرامج / تخزين الصور / المرحلة النهائية..
ويتم الافتتاح فى كل من دى والقاهرة ونيويورك ولندن.

.. وعن سؤال عن ضياع بعض المخطوطات: قال الشيخ أحمد خليفة:

بفضل الله - تعالى - لم يُفقد كتاب واحد أو مخطوط منذ تم فهرسة المكتبة أيام الشيخ المراغى، حيث كان عدد المخطوطات بها سبعة آلاف وتسعة مخطوطات، بلغ الآن اثنين وأربعين ألف مخطوط من بينها تسعة آلاف مخطوط نادر لا يوجد إلا فى مكتبة الأزهر فقط.

كما تضم المكتبة الآن ١٢٥ ألف كتاب وجميع هذه الكتب والمخطوطات مثبتة وموجودة



وكم أتمنى أن يضع القائمون على هذا العمل المتميز فى اعتبارهم ما يلى :

(١) توجيه الدعوة الكريمة لكل من يحتفظ بمخطوطات إسلامية نادرة كبعض العلماء والأثرياء الذين اقتنوا أو ورثوا مثل هذه المخطوطات ليستقدموا بها إلى الأزهر لضمها إلى المكتبة أو على الأقل لتصويرها وإعادة نشرها لأصحابها مرى أخرى؛ حتى لا تضيع هذه الكنوز مع مرور الزمن من أيدي أحفاد قد لا يقدرونها حق قدرها.

(٢) أما عن بث بعض محتويات المكتبة باللغات المختلفة، فإننى أرى واجباً على وبخاصة أن هذه النصوص ستضم - بالضرورة - فى استشهاداتها الكثير من الآيات القرآنية وأحاديث الرسول الكريم ﷺ أرى واجباً أن أقول: إنه يجب أن يختار لهذا العمل، العالم الأزهرى المتمكن من أمور الدين واللغة المراد الترجمة إليها، والمترجم الكفاء الذى يتقن اللغة كأهلها، ولا تغيب عنه أمور الفقه ومصطلحات علوم الدين: كالحديث والتفسير... إلخ... ليشكلاً معاً فريق عمل للتصديق لترجمة تحمل صحيح الدين فى أفضل صياغة؛ ليشرق بها ديننا الإسلامى الحنيف على العالم الغربى.

ونسأل الله التوفيق والسداد لكل من أسهم فى نشر ذلك الدين القيم.

وعلى الله قصد السبيل.

بالإضافة إلى أكثر من اثنين وأربعين ألف مخطوط ومائة وخمسة وعشرين ألف كتاب، سيصبح كل هذا الإرث العلمى والكنوز الإسلامية بصيغتها الإلكترونية متوفرة للجميع لأول مرة.. وذلك للتعريف بقيم العالم الإسلامى وسماحة الإسلام وانفتاحه.

ونستخلص من الحديث الذى دار بين الحضور أن :

(١) المشروع ينتهى بإذن الله - تعالى - بعد سبع سنوات .. ويحمل عنوان : WWW ALAzhar .Online. Org

(٢) المرحلة الأولى للمشروع تنتهى سنة ٢٠٠٣م. مع نهاية الاعتماد المالى الذى يقدر بنحو خمسة ملايين دولار أمريكى هى مقدار التبرع الذى قدمه صاحب السمو ولى عهد دى لهذا الغرض.

(٣) الدلائل تشير إلى أن اهتمام صاحب السمو بمكتبة الأزهر لن يتوقف عند حد المرحلة الأولى، بل سيستكمل المشروع بإذن الله - تعالى - حتى النهاية.

(٤) المشروع يتيح الاطلاع على محتويات مكتبة الأزهر بالجمان، باستثناء رسم بسيط للباحثين الذين يودون الاطلاع على المخطوطات.

(٥) سيتم إنشاء شبكة اتصالات داخلية للربط بين المعاهد الأزهرية الرئيسية.

(٦) سيتم اختيار بعض الكتب لترجمتها وبثها بعدة لغات من خلال موقع الأزهر على الشبكة.

عادل خفاجة



وإلى رسائل القراء:

جاءنا من الأستاذ / محمد يس عبد الرحيم فتوح - الموجه العام للتربية الدينية واللغة العربية بقنا (سابقاً) تعقيب على قصة (واثنياء) التي نشرت بعدد صفر ١٤٢٣ هـ مايو ٢٠٠٢ .
وفحوى النقد هو اختلاف الرواية بشأن استدعاء المثنى بأمر عمر بن الخطاب أم بأمر أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ونقول للنقاد الفاضل : إن الروايات في هذه الناحية وفي غيرها مختلفة وإذا ذهب العقاد إلى رواية فهذا لا يمنع الاعتماد على رواية أخرى ، لا سيما والمجال مجال قصة تحليلية وليس مجال نقد تاريخي .

الأستاذ/ زكي المهندس

من أعلامنا المنسيين

كما ألف - أيضاً - في مجال التربية: « التربية العلمية » و« تاريخ التربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر » و« إلى المجد » . هذا إلى جانب البحوث والمقالات العديدة التي نشرت في الصحافة والإذاعة .
تم اختياره عام ١٩٤٦ عضواً بجمع اللغة العربية بالقاهرة حيث شارك في كثير من لجان المجمع مثل لجنة الأدب، ولجنة نشر التراث القديم، ولجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية، ولجنة تيسير الكتابة .. وغيرها .

أشرف أيضاً على مجلة المجمع بعد وفاة الأديب الكبير على الجارم، وفي سنة ١٩٦٤ تم انتخابه نائباً لرئيس المجمع .

يذكر أيضاً أنه والد الفنان الكبير فؤاد المهندس والإذاعية صفية المهندس .

● المحرر: ما أجمل الوفاء، وكم هو جميل أن نعترف بفضل وجهود هؤلاء الرواد الذين مهدوا الطريق في شتى صنوف المعرفة، وكم أتمنى أن يتناول القراء الكرام بأقلامهم في كل عدد شخصية من هؤلاء الرواد .

على درب الوفاء كانت كلمة القارئ فرج مجاهد عبد الوهاب - من شرين دقهلية - عضو اتحاد الكتاب وعضو نادي القصة، ليذكر القراء بأحد الرواد الأوائل من كانت لهم آثار واضحة في حياتنا الأدبية، حيث يقول:

الأستاذ / زكي المهندس من علماء التربية والتعليم وأحد الرواد الأوائل الذين أسهموا في وضع أسس جديدة للتربية والتعليم منذ عام ١٩٢٥ .

ولد في عام ١٨٨٧ وتخرج في كلية دار العلوم ١٩١٠ ثم أتم دراسته بانجلترا كما حصل على دبلوم التربية والآداب وشهادة تخصص في علم النفس كان من أوائل من درسوا بكلية دار العلوم مادتي التربية والفلسفة ثم اختير وكيلاً ثم عميداً لكلية حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٧ .

ألف وترجم وراجع الكثير من الكتب المدرسية ومن أشهرها: « تهذيب البنين » و« أخلاق الفتى » و« النحو المصور » و« رجل القرن العشرين » و« أحلام اليقظة » و« المراهقة » و« رسالة المعلم » .



حقوق المرأة المسلمة.. بقلم غربية منصفة

الأول - المحرم ١٤٢٣ هـ - السنة الثامنة والعشرون -
أقدمه لبنى قومي المخدوعين بالحضارة الغربية قبل أن
أقدمه لخصوم الإسلام وكما يقول فضيلة الشيخ /
الطاهر الحامدي [حتى لا يُروَّج لهذه الأباطيل في
بنى قومي فإن كثيراً منهم إما غرَّ ساذج مخدوع
بدعايات الغرب وزخرف المدينة الغربية أو صنّعة
للقوم تربوا على موائدهم واستأنسوا تحت أقدامهم
يروجون لأفكارهم. لا تنتهمهم بالعمالة وإن كانوا لا
يتنزهون عنها فنحن لا نبغى إلا المحافظة على الشباب
الغر الساذج نجلو له الحق ونبين له وجه الصواب
وأثناء ذلك ومن قبله ومن بعده ندعو بالهداية
للجميع] (١).

- والكاتبة تصف في مقالها بإجمال الرحلة
التي قامت بها إلى الجزيرة العربية في النصف
الأول من القرن العشرين حيث تقول الكاتبة [في
الجزيرة العربية تحتل المرأة منزلة عالية فالمعنى
الأصلي لكلمة (حريم) هو (الشرف) أو
(الحرمة) إذ تدعى الزوجة (الحرمة عائشة)
(الحرمة فاطمة) وهكذا. والمرأة خارج منزلها
محجبة تتسوق وتزور صديقاتها، وتذهب إلى
المكان الذي تريد بسلام دون خوف من أن
يكشف حجابها أحد].

فهل يعي أحد ممن ينصبون أنفسهم أوصياء
على المرأة بدعوى المطالبة بحقوقها وهم إنما
يريدونها في الحقيقة سافرة وثائرة على دينها.

والرسالة الأخيرة وردت من القارئ أحمد
محمد خلف من سمالوط بالمنيا يقول فيها :

- يثير خصوم الإسلام كثيراً من الشبهات الباطلة
والمضللة حول بعض الأحكام الإسلامية. وقد دأب
العلماء على تفنيد هذه المزاعم والأباطيل والرد
عليها، وللأسف الشديد فإن بعضاً من أبناء الأمة
الإسلامية يؤيدون هذه الدعاوى ويحاولون نشرها
وترويجها - وللأسف الشديد - أيضاً - فإنهم
يجدون أبواقاً يثثون من خلالها سمومهم وبالرغم
من أنها شبهات بالية - عفا عليها الزمن - إلا أنهم
لا يجدون في أنفسهم حرجاً ولا خجلاً من كثرة
ترديدها وإثارتها وذلك كالشبهات التي تثار حول
الحدود في الإسلام وحق المرأة في العمل ونصيب
المرأة في الميراث..... إلخ.

- وقد سئمت شخصياً من كثرة ما أراه في
الصحف والمجلات من أمثال هذه الشبهات والرد
عليها وكأنه كما قال الشاعر: [لا حياة لمن
تنادى].

- وأود أن أذكر في هذا المقال مقتطفات عن
حقوق المرأة من مقال نشر باللغة الإنجليزية في مجلة
«العالم العربي» بقلم الكاتبة «نورة تويتشل» -

Norah Twicthell - في عام ١٩٤٤م تحت عنوان
«بلاد العرب» وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور /
محمد بن منصور أباحسين - جامعة الملك سعود -
ونشرت الترجمة بمجلة «الدار» السعودية - العدد

(١) انظر مقال الشيخ/ الطاهر الحامدي «هامش على كلمة الدكتور أسامة الباز» مجلة «الزهر» عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ ص ٨٩٧، ٨٩٨.

وضع المرأة في الشرق، ومع أن وجهة نظرنا الغربية ترى أن حريتهن محدودة، فإنهن في الواقع يعاملن باحترام وفروسية واعتباراً].

– وقارنت الكاتبة مقارنة منصفة بين العرب والغربيين حين قالت عن العرب [شجعان أشداء، وربما قساة، ولكن فيهم رقة لا توصف فلم أسمع بحالة عنف موجهة ضد امرأة أو طفل، ولا يمكننا أن نقول ذلك في أوروبا وأمريكا].

– بعد ذلك أقول: هذا هو الفضل – في ديننا – وقد شهدت به كاتبة غربية منصفة وكأني بالشاعر الكبير / محمود غنيم وهو يقول: (٣)

يترسمون الغرب حتى يوشكوا

أن يعبدوه عبادة الأصنام

للغرب عادات مسممة، سرت

في الشرق مسرى الداء في الأجسام

لا تأمنوا المستعمرين؛ فكم لهم

حرب تقنع وجهها بسلام

والشعب إن سلمت له أخلاقه

ولسانه، لم يخش قطع الهام

إنى أعيد الشرق من متمسح

بالأجنبي لقوموه هدام

إن الكاتبة الغربية أعطت من يتشددون بحرية المرأة درساً في هذا الأمر حينما ذكرت معنى كلمة «حريم» على أنها «الشرف» أو «الحرمة» وحينما أثبتت أن حجاب المرأة بجانب أنه يستر عورتها فإنه يكون حجاباً لها أيضاً من الاعتداء. وهؤلاء الأوصياء الذين يرددون كالببغاوات عبارات «زمن الحريم»، «حجاب المرأة تخلف عن ركب المدنية والتطور»... إلخ عليهم أن يروا ما قالتها الكاتبة المنصفة، بدلاً من ترديد عبارات يعرف القاصي والداني أنها عبارات مضللة وراءها أغراض أخرى غير الحقوق والحريات.

– وعن معاملة الرجل للزوجة ومكانة المرأة في الجزيرة العربية تقول الكاتبة [لا تختلط – أي الزوجة – بأصدقاء زوجها في المناسبات الاجتماعية، ولكنه يحترم ذكاءها ويقدره، ويستشيرها في جميع الأوقات وحينما يسافر الزوج مع زوجته وليس لديهما سوى حمار أو بغل فإن الزوجة تركب الزوج يمشى إلى جانبها، وبعبارة أخرى فالزوج والزوجة في الجزيرة العربية شركاء حقاً. والمرأة في منزلها ملكة.]

– وعن فكرة الغربيين عن المرأة الشرقية تقول: [وعلى العموم فإن لدى الغربيين فكرة خاطئة عن

(٢) د. محمد عمار: شبهات وإجابات حول القرآن الكريم. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. سلسلة: دراسات إسلامية (٧١). ص ٧١.

(٣) انظر قصيدته «قومي بين الشرق والغرب» والمنشورة بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ص ٩١٦.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.



من أخبار مجمع البحوث الإسلامية

عود حميد

عاد السادة العلماء الذين تم إيفادهم من قبل الأزهر الشريف للقيام بواجب الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية في مختلف دول العالم خلال شهر رمضان المعظم وأفاد الأستاذ / توفيق رواش مدير عام الإدارة العامة للبعوث بمجمع البحوث الإسلامية بأن قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بابتعاث العلماء قد شمل عدد (٥٣) عالماً من علماء الأزهر الشريف إلى كل من:

السودان- النرويج- كندا- استراليا- الجابون- فرنسا- فنزويلا- روما- نيوزيلندا- المكسيك- هولندا- سويسرا- المالديف- المجر- بلجيكا- أسبانيا- الدنمارك- البرازيل- جواتيمالا- العراق- فنلندا. وقد عادوا في أول شهر شوال المبارك.

الموافقة على تحديد نسبة الربح مقدماً

صرح فضيلة الشيخ / سيد وفا أبو عجور - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية- بأن مجلس المجمع قد عقد جلسته الثانية في الدورة التاسعة والثلاثين بتاريخ ٣١/١٠/٢٠٠٢م- برئاسة فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية.

وقد استعرض المجلس الكتاب الوارد من ا. د / حسين عباس زكي عضو المجمع ورئيس بنك الشركة المصرفية العربية الدولية بشأن الحكم الشرعي عن المعاملات المصرفية بالبنك، وبعد مناقشة الموضوع ودراسته قرر المجلس:

الموافقة على تحديد نسبة الربح مقدماً بأغلبية الأعضاء- الحاضرين- ماعداً عضو واحد.



من العطاء الإنساني

وهذه الزهرة نقطفها من بستان العطاء الإنساني لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف . حيث كفل فضيلته طابعتين يتيمتين من دولة « داغستان » بعد أن فقدتا الأب والأم، وبعد عرض قصتهما على فضيلته أمر على الفور بأن يتم وضعهما على منح الأزهر المخصصة لفضيلته وأن يرعاهما طوال سنوات الدراسة وبكفالتهم على حسابه الخاص .

والطالبتان هما : فالكوفا فاطم محمد ، وعمرها عشر سنوات . فالكوفا غازي محمد ، وعمرها ثماني سنوات .

وقد أحست الطالبتان بالأمان وهما تواصلان مسيرة الدراسة بالأزهر الشريف بفضل الله ونعمته . والمجلة تشكر فضيلة الإمام الأكبر على هذا العطاء الطيب وتسال الله أن يكون هذا العمل قدوة للموسرين من أهل الفضل .

الأزهر قبلة العالم العلمية

انتهت أعمال التنسيق للطلاب الوافدين من مختلف دول العالم للالتحاق بجامعة الأزهر الشريف وبلغ عدد الطلاب المتقدمين حوالى (٢٥٠٠) طالب وطالبة وافدين على منح الأزهر وغيرهم .

كما تم الانتهاء خلال شهر نوفمبر الماضى من أعمال امتحانات تحديد المستوى للطلاب المتقدمين من مختلف دول العالم للالتحاق بالمعاهد الأزهرية للعام الدراسي ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ وبلغ عدد الطلاب حوالى ثلاثة آلاف طالب وطالبة .

وأضاف الأستاذ شوقي السبكي مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين بأن الإدارة العامة للوافدين انتهت من أعمال تجديد المنح لجميع الطلاب الوافدين .

البحوث والتأليف والترجمة

توافق على تداول عدد من الكتب

صرح فضيلة الشيخ / سيد مصباح مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بأنه تم الموافقة على تداول مجموعة جديدة من الكتب وهى :

- « مدخل إلى الدين الإسلامى » باللغة الألمانية تأليف « ريتشارد هارتمان » أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة برلين .

- « انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء » تأليف / نبيل لوقا بباوى .

- موسوعة « سنريهم آياتنا فى الآفاق » .

- كتاب « الذين يحبهم الله والذين لا يحبهم » .

- موسوعة « شعيرة الحج » .

- كتاب « كيف تجعل الدعاء سلاحاً خطيراً يغير مجرى حياتك » .

- كتاب « الإسلام ضد الإرهاب » .

طريق الدعوة

أصدرت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية كتاب « طريق الدعوة » لفضيلة الشيخ / محمود عاشور - وكيل الأزهر - أفاد بذلك الأستاذ / فؤاد الشريف مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية



أتياء عالمية

منظمة «هيومن رايتس واتش» لحقوق الإنسان - فى طشقند- أن المتدينين من المسلمين يتعرضون للاضطهاد والتعذيب. مضيفة أن «التعذيب منتشر بدرجة كبيرة، إنهم يعاقبون على الصوم والصلاة».

حملة ضد المنظمات الإسلامية فى البوسنة

استأنفت الحكومة البوسنية حملتها الموجهة دولياً ضد المنظمات الخيرية الإسلامية العاملة فى بلادها فيما أثار هذا الإجراء استياءً شديداً فى صفوف المسلمين المحليين. وذكرت مصادر مطلعة من «سراييفو» أن الشرطة ختمت بالشمع الأحمر مقر كل من مؤسستى «الحرمين» و«الفرقان» الإسلاميتين للإغاثة، إضافة إلى «جمعية الشباب المسلم» البوسنية التى اتهمت بالتطرف الدينى وإقامة ارتباط مع جهات خارجية تسعى إلى نشر الأصولية فى البوسنة- على حد زعم السلطان هناك. وأشارت المصادر إلى أن الحكومة البوسنية تذرعت بقرارها لإغلاق مؤسستى الإغاثة بأنهما تعملان بصورة غير شرعية بسبب عدم وجود ترخيص قانونى لهما للعمل فى البوسنة لكن الحقيقة أنها تنفذ مطالب جهات دولية تعتبر أن صفة الإغاثة هى غطاء لتمرير سعى هذه المنظمات إلى إقامة قواعد أصولية بين المسلمين البوسنيين.

مراقبة مساجد ماليزيا بالفيديو

قررت حكومة ماليزيا تسجيل خطب أئمة المساجد الذين ينتقدون الحكومة بالصوت والصورة وتسجيل خطب الأئمة الآخرين بالصوت فقط لمراقبة تحركات المعارضة الإسلامية.

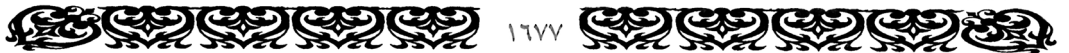
استجواب المسلمين بالولايات المتحدة

أعلنت وزارة العدل الأمريكية أنها سوف تبدأ فى تطبيق برنامج يقضى بإخضاع الآلاف من مواطنى خمس دول إسلامية يقيمون بالولايات المتحدة إقامة مؤقتة لنظام أخذ البصمات والتصوير والاستجواب فيما وصف بأنه خطوة جديدة تتسم بالتمييز ضد العرب والمسلمين، تعرض وزير العدل الأمريكى «جون أشكروفت» المعروف بتوجهاته اليمينية لموجة انتقادات لاذعة.

فى أوزبكستان السجن للصائمين والمصلين

تأثرت الحرية الدينية والسياسية فى «أوزبكستان» الواقعة فى وسط آسيا على الحدود مع أفغانستان بأحداث الحادى عشر من سبتمبر.

فبعد أن كانت حكوماتها حريصة على مر العصور على تجنب الاضطهاد الدينى أو السياسى بدأت فى الدخول إلى دائرة انتهاك حقوق الإنسان. وذكرت «ماتيلدا بوجنر» من



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

أتمنى أن يحكم العالم العقلاء!

الأزهر الشريف، وقد أعلن السيد السفير استعداداه شخصياً لتذليل أية عقبات تحول دون سفر السادة علماء الأزهر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير على تلك الزيارة مؤكداً أن شريعة الإسلام تحرص على أن يعامل الإنسان معاملة كريمة وقد ظهر ذلك فى خطاب السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، الذى حيا فيه ذكرى إسحاق رابين لا فى حياته فقط بل بعد مماته، وذلك لمواقفه الإيجابية نحو السير لتحقيق السلام، مما يدل على أن القيادة السياسية فى مصر تتعامل مع المواقف بحكمة وموضوعية، وأتمنى أن يحكم العالم العقلاء ويكثر عددهم ويقل عدد الجهلاء حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / ديفيد وولش سفير الولايات المتحدة بالقاهرة حيث قدم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم، والتطلع إلى مزيد من العلاقات الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف والولايات المتحدة الأمريكية، كما أبلغ السيد السفير التهنئة لأصحاب الفضيلة علماء الأزهر وقياداته الدينية والعاملين به مؤكداً على أن تلك العلاقات الطيبة تمثل أهمية قصوى لدى أمريكا ونتطلع إلى تقويتها، كما قدم سعادة السفير شكر وتقدير السيد ريتشارد هاس مدير التخطيط للسياسات الخارجية الأمريكية الذى استقبله فضيلة الإمام الأكبر وقد سعد بهذه الزيارة لما كانت تحتويه من آراء طيبة وحكيمة لفضيلة شيخ

الإمام الأكبر يؤكّد :

الدول التي تطالب بإلغاء الإعدام لا تعترم حقوق الإنسان

أن يعيش فى أمان وأن يعبر عما يراه مناسباً، وفى الوقت نفسه هذا الإنسان عليه واجبات منها عدم الاعتداء على غيره سواء أكان فرداً أم دولة، فلا تحتل دولة أرض دولة أخرى أو تهدم بيوتها أو تصادر أموالها أو تعتدى على أطفالها ونسائها وشيوخها أو تحاصرها اقتصادياً لأنه فى هذه الحالة تكون هذه الدولة معتدية وإرهابية، والواجب على الإنسان أن يطيع خالقه - عز وجل - وأن يعتنق الفضائل وينبذ الرذائل وأن يحترم أباه وأمه، وأن يعرّى أبناءه، ويربّيهم تربية حسنة وأن يعامل زوجته بالحسنى، وعلى الزوجة أن تصون زوجها وتحافظ عليه وعلى أبنائه، وعلى الإنسان أن يحافظ على جاره وأن يتعاون معه ويساعده على الخير سواء أكان مسلماً أم غير ذلك، وعلى الإنسان أن يكون إيجابياً نحو مجتمعه الذى يعيش فيه، يبنى ولا يهدم، يعمر ولا يخرب يصلح ولا يفسد يؤدى ما عليه من واجبات قبل أن يطلب ما له من حقوق، وأن يكون أميناً فى عمله، وبذلك تسعد الدول بأبنائها العقلاء الذى يحافظون على المال العام ويؤدون واجبهم بأمانة فيحولون الأرض الصحراء إلى أرض خضراء.

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور / مجمل الفونسو مارتينيز (دبلوماسى كوبي الجنسية) المقرر الخاص للجنة الفرعية لحقوق الإنسان، فى إطار جولة يقوم خلالها بزيارة عدد من الدول الإفريقية والآسيوية، يرافقه السيد / لويس مارييس فيجورد وسفير كوبا بالقاهرة، والسيد / أرماندو فيرجارا المستشار بالسفارة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مؤكداً على أن الشرائع السماوية جميعها تكرم الإنسان وتعطيه حقوقه كاملة، لأنه خليفة الله فى الأرض، مثل حقه فى الحرية وفى طلب العلم وأن يعيش آمناً مطمئناً على ماله وعرضه وكرامته وعلى كل ما يتعلق به من حقوق مستدلاً على ذلك بآيات من القرآن الكريم، ومشيراً إلى أنه لا يجوز أن يعتدى عليه أحد بأى صورة من الصور، وشريعة الإسلام اعتبرت أن من يعتدى على إنسان فكأنما اعتدى على البشر جميعاً، فمن حق الإنسان أن يعيش حياته مكرماً وأن يحصل على الضروريات التى يحتاج إليها ليعيش ومن حقه أيضاً الحصول على العمل الشريف الذى يجعله لا يمد يده للغير ليعيش حياة كريمة ويصون نفسه، كما أكد على حق الإنسان فى



والتكنولوجيا بدولة النيجر يرافقه السيد السفير / إيلامنكسو سفير النيجر بالقاهرة، والسيد / عثمان عبدالقادر مدير التعليم العربى والسيد / عبدالعزيز عيسى مدير عام التعليم والوفد المرافق.

وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بعمق العلاقة بين البلدين موضعاً بأن الأزهر الشريف به حوالى ١٢٠ طالباً على منح يدرسون بجانب إخوانهم المصريين، وقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتقدم لهم كل الإمكانيات، وتوفر لهم سبل الراحة، لكى يتفوقوا فى دراستهم ثم يعودون إلى بلادهم بالعلم النافع الذى تعلموه ودرسوه فى الأزهر الشريف وهى الرسالة التى تحملها الأزهر الشريف منذ مئات السنين.

شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما تقدمه مصر وأزهرها الشريف لأبناء العالم بصفة عامة وما تقدمه لأبناء النيجر بوجه خاص، مشيداً بالدور الرائد والمكانة العالية المرموقة لمصر وأزهرها الشريف حيث إن التعاون المثمر القائم بين البلدين ممتد منذ عام ١٩٦٢م وحتى الآن وهو فى تزايد مستمر ومطرّد فى مجالات شتى مثل التعاون فى الزراعة وفى الاقتصاد وفى الطب وفى السياسة، كذا البعثات من الأزهر الشريف التى تصل إلى النيجر كل عام والتى تشمل الأساتذة والدعاة والمنح الدراسية للطلاب،

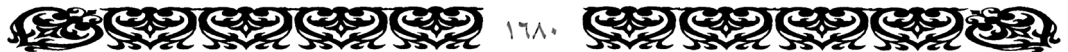
وقال فضيلته: إن الدول التى تطالب بإلغاء عقوبة الإعدام هى دول لا تحترم حقوق الإنسان ولا تعرف العدل أو الحق لأنها تناقض الظالم وتعتدى على المظلوم.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام على سماعه لأنه عين الحق وأنه يعرف مكانة فضيلة الإمام الأكبر العالمية قبل أن يراه وسوف يردد ما سمعه حينما يعود لبلاده لأنه كلام مفيد، وسوف يقدم تقريراً عن نتائج زيارته للدول الإفريقية والآسيوية ولقاءاته بزعمائها الدينيين والتى اختتمها بمصر، حيث يلقي الضوء على وجهة النظر الإسلامية، كما قدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على الحديث عن حقوق الإنسان، لأن الكل يتحدث عن الحقوق متجاهلاً الواجبات، وقال: إنه منذ ثلاثين عاماً وهو يحمل نفس تفكير فضيلة الإمام الأكبر فى كل ما قاله، وأن من يأخذ الحقوق ولا يؤدى الواجبات فهو أنانى، وقال: إنه مع الشعب الفلسطينى ليسترد حقوقه وأكد على أن الصهيونية مساوية للنازية، كما أعرب السيد السفير عن أن ما سمعه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف هو ما تسير عليه حكومة كوبا وهى تناصر الشعب الفلسطينى.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

النيجر تطلب زيادة عدد المنح الدراسية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير حابى محمد ثالث وزير التعليم الثانوى والعالى والبحث العلمى





الأخرى وذلك لما يشتمل عليه من اعتدال ووسطية وبُعد عن المغالاة والتشدد، لأن الإسلام يدعو إلى الاعتدال والسماحة واليسر، ومن جانبه أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الأزهر الشريف دائماً يقدم العون والمساعدة لأبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض، لأن هذه هى رسالته التى يقوم بها ووعد فضيلته بتلبية طلباته.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً إيرانياً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / خسرو شاهى سفير دولة إيران بالقاهرة يرافقه سماحة الشيخ / محمد السعيد نعمانى مساعد وزير الثقافة الإيرانى والمستشار الإعلامى للتقريب بين المذاهب لمجمع آية الله تسخيرى بجمهورية إيران، وقد رحب فضيلته بالضيفين فى الأزهر الشريف وقد أشاد الضيف بالأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء والمواقف التى تحمل فى طياتها العقل والبراعة والاعتدال فى تناول القضايا الإسلامية الهامة، مما يعطى العالم كله صورة صحيحة للإسلام، كما أبلغ تحيات حكومة وشعب ومشايخ إيران لفضيلة شيخ الأزهر الشريف ولعلمائه، مشيداً بوفد علماء الأزهر الشريف رفيع المستوى الذى زار إيران فى العام الماضى برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وقد تركت هذه الزيارة آثاراً طيبة فى قلوب المسؤولين الإيرانيين، ومن جانبه أوضح فضيلة الإمام

وأعرب الوزير عن سعادته لمجيئه لمصر وذلك لتوقيع اتفاقية التعاون العلمى المشترك بين النيجر ووزارة التعليم العالى بمصر وزيارته للأزهر الشريف، وقد طلب الوزير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر زيادة المنح الدراسية المخصصة لأبناء النيجر، وإقامة دورات تأهيلية لمدرسى اللغة العربية والتربية الإسلامية، وزيادة عدد الأئمة والوعاظ الذى يحضرون إلى الأزهر لحضور الدورات التدريبية مع أئمة ووعاظ العالم الإسلامى والتى تعقد فى الأزهر الشريف كل ثلاثة شهور، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بدراسة كل الطلبات تمهيداً لتبليتها.

الإمام الأكبر يستقبل مدير المؤسسة الإسلامية للتعليم بأستراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور القاضى / اشفاق أحمد مدير المؤسسة الإسلامية للتعليم والتربية بأستراليا، ودار الحديث من جانب الضيف عن أحوال المسلمين فى أستراليا بصفة عامة، وعن رغبته فى الحصول على مساندة الأزهر الشريف للمؤسسة الإسلامية وذلك بإرسال مدرسين مؤهلين يجيدون تدريس اللغة العربية والإنجليزية معاً، وذلك لتعلم أبناء المسلمين فى أستراليا اللغة العربية لمن لا يعرفها، كذا يعلمون اللغة الإنجليزية لمن لا يتحدث بها، وقد أوضح الضيف أن منهج الأزهر الشريف فى التعليم يحتل المكانة المثلى بمقارنته بالمنهج

الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن الحياة علمتنا أن نكون عقلاء في تصرفاتنا وأن نكون معتدلين لأنه في النهاية سيكون النجاح، وعلى أهل الحكمة والاعتدال أن يصبروا وأن يتعاونوا على الخير حتى يكون الرخاء والمحبة بين الناس، ونحن في الأزهر الشريف ندرس العلوم الشرعية والعربية بوسطية واعتدال، وعلى المسلم العاقل ألا يختلف مع زميله في أى مسألة من الأصول، ولكن قد يختلف في بعض الفروع - وخلافات الفروع موجودة منذ القدم - مادام الغرض الوصول إلى الحق والحقيقة وإلى ما يرضى الله - عز وجل - فيكون خلافاً ينتهى بالوفاق، وقد قدم السيد السفير طلباً بتقديم خمس منح دراسية للطلبة المصريين للدراسات العليا بوزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا بالجمهورية الإيرانية.

الإمام الأكبر يستقبل ولى عهد ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نائب السلطان وولى العهد الماليزي فائز الدين بوترا بن سيد سراج جمال الليل، وداتوتن سري شهيدان بن قاسم كبير وزراء ولاية برليس الماليزية، وفضيلة الشيخ مت يحيى بن حسين مفتى الولاية والسيد عمر عيسى بن سابو عضو المجلس التشريعى بالولاية وحاج رسل مدي مكنب التنمية بالولاية، وحاج شكرى سكرتير نائب السلطان، والشيخ عمر بن محمد السقاف مدير المعهد الدينى، وقد رحب فضيلته

بالوفد الكريم فى الأزهر الشريف موضعاً بأن أعداداً كبيرة من أبناء ماليزيا يدرسون فى الأزهر الشريف ويمثلون النسبة الكبرى من الطلبة الذين يدرسون فى الأزهر من خمس وتسعين دولة من دول العالم، كما أن أبناء ماليزيا الذين درسوا بالأزهر الشريف وتخرجوا فيه بعد حصولهم على الشهادات وبعضهم حصل على الدكتوراه يحتلون المراكز الكبرى فى بلدهم ماليزيا، وأوضح أن طلاب ماليزيا يمتازون بحسن الخلق وبالإخلاص فى طلب العلم والاستقامة، ونحن نعلم أن دولة ماليزيا الشقيقة على رأس الدول الإسلامية التى تخدم الإسلام وتقدر العلماء، وتفهم الإسلام فهماً صحيحاً وسليماً، وقدم فضيلته التحية والتقدير لجلالة ملك وحكومة وشعب ماليزيا، مؤكداً على أن الأزهر الشريف فى خدمة دولة ماليزيا ويقدم كل العون والمساعدة لأبناء ماليزيا والتى تربطنا بهم أقوى الروابط، ومن جانبه شكر نائب السلطان وولى العهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر من دور تعليمى هام لأبناء العالم الإسلامى مشيداً بعمق العلاقات القوية والمتينة والقديمة التى تربط ماليزيا بالأزهر الشريف وأيضاً على الإشراف على المعاهد الدينية فى دولة ماليزيا، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك لحضور المؤتمر الدولى الذى سيعقد بماليزيا

فالعقوبات فى الإسلام شرعت من أجل حماية أمن الناس ومن أجل حماية حقوقهم والذين يقولون بإلغاء عقوبة القصاص أو عقوبة الإعدام للقاتل لغيره ظلماً وعدواناً، هؤلاء الذين يزعمون بأنهم يحمون حقوق الإنسان، هم أول من يعتدى على حقوق الإسلام وحقوق الإنسان، لأنهم يحمون حقوق المعتدى، ولا يحمون حقوق المعتدى عليه المظلوم، فآين حقوق أولاده الذين تركهم وآين حقوق زوجته وورثته، فلا بد من إقامة العقوبة العادلة على المعتدى وإلا فسد المجتمع وعمه الإضطراب والفوضى.

كما تحدث عن دور الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام وأنه يؤكد فى دراسته على حفظ القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية المطهرة، موضحاً بأن الدراسة فى الأزهر الشريف تقوم على التوسط والاعتدال وتمتاز شريعة الإسلام بالسماحة واليسر، كما تتمتاز الدراسة بالمحافظة على قواعد وأساليب اللغة العربية، وأكد فضيلته على أهمية تعليم اللغة العربية لمن أراد أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً وسليماً حتى يقف على فهم المعانى والألفاظ، لأن الترجمات أحياناً لا تعبر عن الحقيقة تعبيراً تاماً، وقال فضيلته إن الأزهر الشريف على استعداد للتعاون على نشر اللغة العربية لدى الأجيال الجديدة حتى ينشأ جيل عارف للغة العربية وأساليبها وذلك من أجل بيان محاسن الشريعة الإسلامية، وقد أوضح بأنه يوجد بعثة كبيرة من علماء الأزهر فى دولة باكستان لتعليم أبناء المسلمين هناك.

تحت عنوان [العلماء ورثة الأنبياء]. وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة، كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف الوفد ودار الحديث حول تنسيق التعاون بين الأزهر وماليزيا فى مجال التعليم والعلوم والثقافة وأسلوب إشراف الأزهر على المعاهد الدينية بماليزيا.

ويستقبل وفد قضاة باكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً من قضاة باكستان حيث رحب بهم فى الأزهر الشريف وأوضح فضيلته بأن شريعة الإسلام تأمرنا بأن نتحرى العدل فى كل شأن من شئون حياتنا مع الأغنياء والفقراء مع الأقرباء ومع الأعداء مشيراً إلى أن شريعة الإسلام تتمتاز بالوضوح فى عقائدها لأنها تدعو الناس إلى عبادة إله واحد، وتدعو الناس إلى الصلاة والصيام والزكاة والحج وكلها عبادات تطهر النفس الإنسانية، وأن شريعة الإسلام واضحة فى معاملاتها حيث يكون التراضى بين الناس وفى حدود ما أحله الله - عز وجل - وطالما تقوم على الحق والعدل.

وشريعة الإسلام واضحة فى نظمها القضائية فهى تجعل لكل جريمة العقوبة التى تناسبها فكلما عظمت الجريمة عظمت العقوبة، والعقوبات ليست ظلماً للناس وإنما هى من أجل أمن المجتمع، وإذا لم تطبق العقوبات على المعتدى، يفسد المجتمع وتضيع الحريات والحقوق،



ملتقى الفكر الإسلامى

كما تحدث فضيلته فى الذكرى الثلاثين لنصر
العاشر من رمضان مشيراً إلى أهمية هذا اليوم فى
تاريخ مصر والأمة العربية والإسلامية، حيث خرج
أبناء مصر وفى طليعتهم أبناء القوات المسلحة
ليدكوا حصون الأعداء الظالمين ويستعيدوا
الأرض المغتصبة والحقوق السليبة وهم يهتفون
الله أكبر بروح معنوية عالية وإيمان عميق - بالله
تعالى - مصممين على تحقيق إحدى الحسنيين:
النصر أو الشهادة، وقال فضيلته: ولأن جنودنا
استوعبوا الدرس، وبذلوا الجهد والعرق، وأخلصوا
لله النية، ولأن الأمة وقفت خلفهم وقفة رجل
واحد، فقد منّ الله علينا بالنصر المبين، واليوم
وأمتنا تمر بهذا المنعطف الخطير فى تاريخها، ما
أحوجنا إلى استلهم روح العاشر من رمضان
واستيعاب الدروس المستفادة منه فى الوقوف
بجانب إخواننا فى فلسطين نمدّهم بكل ما
يحتاجون إليه ونقف إلى جانبهم ونساندهم
وندعو لهم ونؤيدهم بكل ألوان التأييد والمساعدة
والمعاونة حتى يستردوا أرضهم ومقدساتهم
ويحصلوا على حقوقهم وحريتهم كاملة غير
منقوصة، وعلينا أن نتمسك بديننا ونوحد
صفوفنا حتى ينصرنا الله عز وجل:

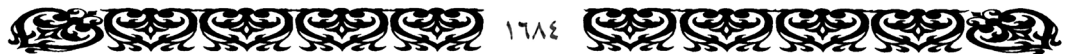
﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢)

ألقى فضيلة الإمام الأكبر محاضرة فى إطار
ندوات ملتقى الفكر الإسلامى الذى نظمتها
وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون
الإسلامية، بالاشتراك مع الأزهر الشريف
ورئاسة الجمهورية طوال شهر رمضان المعظم
أمام مسجد الإمام الحسين - رضى الله عنه -
حيث حضر علماء الأزهر والأوقاف والطلاب
وجماهير المسلمين وكثير من الوزراء
والمسؤولين.

قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الشريف إنه لا سبيل لتحقيق تقدم الأمة
ونهضتها إلا من خلال التمسك بكتاب الله -
عز وجل - وسنة نبيه ﷺ والتزود بالعلم النافع
والمعرفة فى شتى مجالات الحياة حتى تتبوأ
الأمة مكانتها بين الأمم وتكون كما أرادها
الله:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (١)، مشيراً إلى

ضرورة توحيد صفوف الأمة الإسلامية لمواجهة
الأخطار المحدقة بها، مؤكداً على ضرورة أن
ينتهاز المسلمون فرصة شهر رمضان المعظم
الذى خصّ الله به أمة الإسلام فيشملون عن
ساعد الجد ويؤدون الصيام كما أراد الله - عز
وجل - بعزيمة قوية.





1. Islam stated that there is only one religion sent down from Allah to His first Messenger then to the following messengers in other eras to restore its first revealed edition. Allah, the Al-Mighty, says:

«He has legislated for you as the religion what He enjoined on Nuh, and that which We have revealed to you, and what We have enjoined on Ibrahim and Musa and Isa (saying) "Keep up the religion, and do not be disunited therein." Greatly (detested) to the associators is that to which you call them. Allah selects to Himself whomsoever He decides, and guides to Himself whosoever turns penitent.»

[Ash-Shura (Counsel): 13]

2. Religion is a Divine instinct planted by Allah in the human nature as He, Glory be to Him, says:

«So set your face upright to the religion, unswervingly upright, the original (innateness) of Allah upon which He originated mankind. There is no exchange for the creation of Allah. That is the most upright religion, but most of mankind do not know.»

[Ar-Rum (The Romans): 30]

3. Set the comprehensive mind as a guide that can be referred to, concerning any dispute, under the light of the Divine Revelation.
4. Every dispute arises among people regarding religion, is the result of injustice, negligence of mind and blind imitation as The Ever-Lasting says:

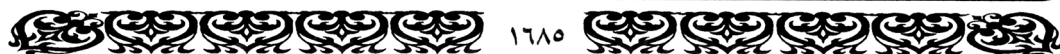
«And in no way were they disunited, except ever after knowledge had come to them, being inequitable among themselves.»

[Ash-Shura (Counsel) : 14]

5. Islam is the first religion revealed to the Seal of Messengers, Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him. This religion was sent down to all mankind, by Messengers, to inform them about these facts and to eliminate disputes among them as Allah, The Ever-Lasting, says:

«"Do they then (inequitable) seek other than the religion of Allah, and to Him has surrendered whosoever is in the heavens and the earth, willingly and unwillingly, and to Him they shall be returned?"»

[Al-Imran (The Householdz of Imran): 83]





Islam Calls For Unity Of The Religious Creed, As The Origin Of All Religions Is One

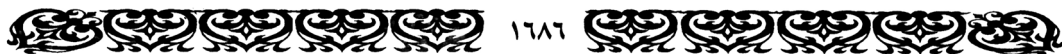
By: The Great Scholar Muhammad Farid Wajdi

The call to the religious unity – as all religions are derived from one source but they differed due to addition, omission and distortion that occurred to the first religion – is one of the major human issues that made Islam be perceived as an everlasting continuous religion.

Due to the all-out differences among religions, this call was considered one of the inconceivable matters. For those concerned with social affairs, not acquainted with Islam, it is still seen as one of the far-reached wishes because of the mingling of religions with the national affairs and racial traditions. So, they directed their efforts to isolate them all from the field of material dealings and invalidate their effects in shaping societies in order to achieve public peace and mutual knowledge without being stopped by any obstacles or barriers. However, if those concerned with human affairs looked deeply into the bases on which Islam established its call and the historical facts supporting it, they would realize that it is the fastest mean of gathering nations together compared to any other means.

Concerning this, an oppose may refuse saying that civilized nations today do not pay the least attention to religious matters and if we suppose that they responded to Islam's call and followed one religion, the economic matters might overwhelm them causing them to fight each other. So, he says, what could be the effect of our call aiming at uniting religions in contrary to the fact that it is affected by the social facts?

We answer him saying: "Alright. But do not you see that these nations have realized that wars became odious means and that they have destructive consequences on both the victorious and the defeated? So, would not it be beneficial and serviceable for them and for the whole world if these countries exert their efforts in an approach to spread the idea of one religion among them? Let's consider the bases on which Islam based its call and view the historical facts that support this call.



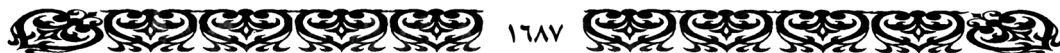


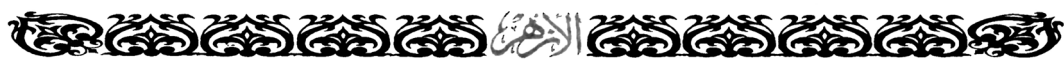
All organisms are an organized complementary system

All organisms complement each other in their roles on earth and perform their functions with harmony and enthusiasm according to the law of attraction between positive and negative or male and female in all things. Even the relationship between man himself and the universe, even though it is a relationship in which the universe serves man, yet it is not a demeaning relationship but a loving and generous one. For example, the Prophet Muhammad loved the mountain of *Uhud* and the trunk of a certain tree used to bend lovingly towards the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him.

In any case, things around us are one of three categories: One is like water as it is seen and felt but cannot be held within fingers. In this material type, we cannot resort to imagination but only to science in order to reveal the hidden miracles that indicate the existence of a Great Creator. The second is like air as it is felt but cannot be seen or held. It is partly physical and partly moral. It requires both science and insight to reveal the greatness of the Ever-Merciful. The third type is like light as it can be seen but not sensed. It cannot be held or taken so it requires all the human senses like feelings of heart and soul. This requires clear thinking and great inner vision to realize the greatness of the Ever-Wise.

However, the first thing that can be realized is that this world cannot exist without a Generous Creator that arranges and controls everything. From two perspectives, everything in existence necessitates the presence of an Al-Mighty Creator. As for the first one, all things are made of particles that perform great functions that exceed its limited abilities. This serves to prove the existence of Allah. Concerning the second, every organism lives according to a universal arrangement to maintain a balance between all the organisms. This leads to harmony and understanding resulting from the existence of an All-Knowing Powerful Creator.





The earth and what is above it is an indication of the Great Creator

When we look on earth, we see the animals and we see flights of birds between the earth and the sky that fly across oceans with a computerized memories that do not mistake their way home.

When man meditates deeply, using his conscious mind, on the worlds of birds and animals, he finds that they speak in thousands of distinct sounds and languages. Moreover, he will find three important facts that prove the existence of a one and only God and these are:

Firstly, the fact that these creatures were created and given life. Secondly, the fact that they each have a unique beauty that distinguishes each one from the other. Thirdly, the fact that all these distinct creatures came out of eggs that share the same features. Did all this happen by coincidence? What coincidence could result in this ingenious miracle that can cause distinction between members of the same species?

If we move from talking about the sky, outer space, water, wind and rain and turn our attention to the earth we walk on with our feet and sleep on with our bodies, we may imagine that it is flat, stable and hard. While actually it moves just like the clouds and rotates around just like the hands of a clock. Yet, we find on it hills and mountains that act as huge posts to balance it. What's strange is that when we meditate and think about this world of mountains and deserts we find that the usefulness of the mountains is very confusing to the mind; the rise of mountains from the earth actually slows down the earth's raging movement and decreases the effect of the internal unrest in its core. This helps to avoid destructive earthquakes. So, mountains are actually anchors to help keep the earth steady. In addition, they contain springs, metals and other useful substances mercifully buried within it.

﴿And the mountains as bulwarks?﴾

[An-Naba' (The Tiding) : 7]

﴿And the earth—We have extended it and cast on it anchorages.﴾

[Al-Hijr:19].





making any noise or fault. The sky is full of thousands of lighted lanterns that help people to see their way. They are lighted without oil or electricity and they decorate the sky making it looking so beautiful to any on-looker.

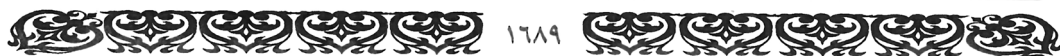
With all the tremendous advances in science, the sky remains a rich field for investigations. What is known so far is so little compared to could be found out. Yet, a lot of signs are clear to whoever looks up at the sky with sense and insight. Moreover, whoever looks up at the sky would realize that the sky and everything in it is controlled and employed to serve in an ordered universe. Who could have such an enormous ability and power but Allah, the One and Only.

When we look at space, we find that it is a panorama of strange wonders. It contains clouds that hang between earth and sky and serve to give the earth water which is the basis for life. Who controls and orders these clouds to pour their water but Allah, The Al-Mighty. And the air that fills the space around us is made up of particles that obey a divine command ; it is breathed in by all the living organisms and it transfers sound, temperature, light and electricity. In addition to many other functions, it is a means of pollinating plants. How did it become so organized and useful?! Look at the rain that the All-Merciful pours on earth to act as a means of revival for all living creatures; plants and animals. How did it become so useful and serving to man?

Are all these gifts only coincidental? How did this coincidence last for millions of years? Or is it actually the creation of an Al-Mighty Creator Who is Merciful and All-Knowing and Who has all the secrets that are known to no one else. He controls the rain and distributes His mercy on the earth and skies.

﴿Have you then seen the water you drink? Is it you who have sent it down from the rainy clouds or are We even The (Ones) Who sent it down? If We had (so) decided, We would have made it bitter; so had you only thanked (Us).﴾

[Al-Waqi'ah (The Inevitable Truth) : 68 :70]





****Man and the Universe between Scientific Belief and
Superstitious Atheism***

By : Dr. Abdul Halim Owais

Order of the universe indicating a Great Creator

The universe is an open book full of miracles of divine creations that prove the existence of a one and only God having great power and supremacy. There are many Qur'anic verses dealing with the universe and mentioning its different worlds whether seen or unseen, known or unknown.

﴿Yet no, I swear by whatever you behold and whatever you do not behold.﴾ [Al-Haqqah (The Inevitable Truth) : 38: 39]

﴿The no! I swear by the sites of the stars, and surely it is indeed a tremendous oath, if you only knew (it).﴾

[Al-Waqi'ah (The Event) : 75 :76]

Many of the verses mention different forms of divine creations ; in plant life, animal life and the world of nature and man.

﴿We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is the Ever-Present Witness over everything?﴾

[Fussilat (Expounded) :53].

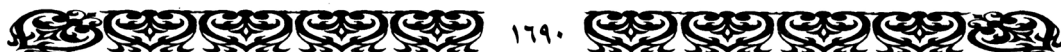
Moreover, many of the verses discuss the minute details of elements of the universe. In general, we find that the Ever-Glorious Qur'an is full of great verses that draw our attention to this amazing universe in which we live. This allows us to see how it is arranged with great care and order which indicates that this universe belongs to a great Creator who created it with such magnificent precision.

﴿The seven heavens and the earth and whosoever in them, is hymn to Him.﴾

[Al-Isra' (The Night Journey) : 44].

The sky is the surface of a beautiful painting that indicates the inevitable presence of a Creator and symbolizes His Greatness. The countless heavenly bodies; some of which are a thousand times bigger than our earth and move with the speed of a missile. All of these bodies move in space without colliding with each other or

**An article published (In Arabic) at Al-Azhar Magazine.*





Concerning the lessons of interpretation delivered by the Grand Sheikh, Mustafa during his post as the Grand Sheikh of Al-Azhar, he mentioned the texts of the great interpreters like At-Tabary, Az-Zamakhshary, Al-Fakhr Ar-Razy and Imam Muhammad Abdou to compare them with each other moderately to give preponderance to the best. Scholars found out that these lessons require brilliant minds that can perceive and understand them without difficulty.

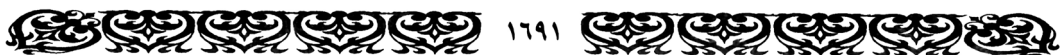
During his post as the Grand Sheikh of Al-Azhar, Sheikh, Mustafa worked out a regulation to organize the Magazine of Al-Azhar.

He made this Magazine aim at spreading the researches supporting the rules and laws of Islam that abrogate the suspicions of atheism and following the right principles in the methods of research in the Islamic sciences specially and literature, science, arts and sociology generally.

Also, publishing books in different languages related to Islam as well as answering whatever needs to be answered. Moreover, spreading the outstanding topics in the field of religious and social reformation as well as providing readers with information and reports about Al-Azhar's colleges and Institutions and the scientific missions.

The magazine was of many benefits to its readers as it came with every useful, new and important pieces of news.

The great Ustaz Ahmad Hassan Az-Zayyat wrote about him, saying that he took a great part in reforming constitution and fighting for freedom, exerting self and money, seeking no personal gains. Moreover, he participated in culturing mind and soul seeking no fame.





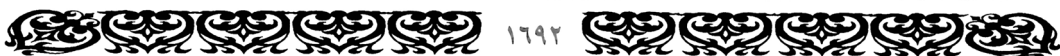
theology and Muslim's true sufism. In order to explain this, the Grand Sheikh of Al-Azhar wrote down many rich chapters concerning the gradual development of the Islamic jurisprudence.

So, he tackled this topic deeply exceeding all the other previous studies. He, may Allah rest his soul, wrote a detailed study regarding the sources of the Islamic legislation, clarifying the stages of its development one by one.

Moreover, he wrote explaining the aspects of agreement and disagreement between the four popular schools. Then he talked mentioning briefly the theme of theology. The aim of the Sheikh Mustafa Abdur-Razeq regarding all his studies about the revelation, religion, Islam, and the Arab philosophers, was to increase the amount of texts to bring them close to the minds of his students.

In fact, one chapter of what he has written about Al-Faraby, Al-Kennedy or Ibn Taymia is considered to be a comprehensive material fits to be a separate book; the ideas of each chapter are rich and brief that result in many other ideas that can be perceived by those concerned with scientific research. All the Sheikh's scientific results need a careful study as they concentrate on the pure cores of the issues of science and philosophy.

They also concentrate on gathering all the different views to be able to distinguish between evil and good in a quiet peaceful atmosphere filled with the spirit of tolerance that criticizes the opposite opinion smoothly. The philosopher's manner of the Sheikh obligated him to appreciate the efforts of his opponents exerted in his study and research to reach his results whatever they are.





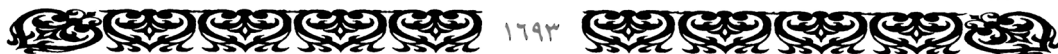
Sheikh Mustafa Abdur-Razeq
The former Grand Sheikh of Al-Azhar
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

The delusions of the orientalist about the Islamic philosophy spread as they wrote pages and pages filled with their false opinions. All this urged the Grand Imam, Mustafa Abdur-Razeq, to face all these false attitudes and refute them in his great book entitled "An Introduction towards the Islamic philosophy". It is a comprehensive book of the Islamic philosophy not just an introduction.

This book is of great benefits not only to the students of the Islamic philosophy but it also extends to the students of jurisprudence, monotheism and Sufism. The Grand Sheikh perceived that sciences are based on deep-rooted principles extracted from the Islamic philosophy. This proves that this philosophy is of independent roots that have nothing to do with the Greek's as some of the western writers continued to look down upon this philosophy as they claim that it is a distorted excerpt of the Greek philosophy.

Amongst those philosophers is *Ernest Rennin* who affirmed in his book entitled "History of religions" and "Articles and lectures" that the Islamic philosophy is nothing but a weak imitation, in Arabic, of the Greeks that was not understood by the Arabs as Islam, he claimed, does not permit the freedom of thought, etc.

The great Imam proved, undoubtedly, that the Islamic philosophy is not based on the Greek theories embraced by *Ibn Sina*, *Ibn Rushd*, *Al-Faraby* and their likes but it can be seen clearly in the principles of the Islamic jurisprudence, scholastic





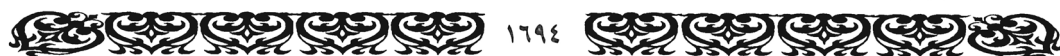
Day of Islam's Decisive Ones

By : Dr. Ibrahim Al-Assil.

When the Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, joined the Highest Companion – without a bequest stating the coming caliph – leaving a great gap among Muslims, *Al-Ansar* (*Aws* and *Khazrag*) rushed to hold a meeting at *Bani Sa'idah's* roofed gallery wishing to nominate *Saad Ibn Ubadah*, the chief of *Al-Khazrag* (the biggest of the two tribes). When *Abu Bakr*, *Umar* and other companions knew about this, they rushed to the *Thaqifah* and *Umar* wanted to begin but *Abu Bakr* told him to keep still. Then *Abu Bakr* talked mentioning the fact of the immigrants' precedence as well as thanking *Al-Ansar* greatly. After that he related the Messenger's saying: "Muslims' leaders have to be from *Quraysh*."

So, people were convinced and satisfied by his opinion and this motivated *Abu Bakr* to address *Umar* saying: "Raise your hand and we will pledge allegiance to you." *Umar* answered: "You are better than me." *Abu Bakr* said: "But you are stronger than me." *Umar* said: "Besides your goodness, my strength will support you." And he took *Abu Bakr's* hand pledging allegiance and people followed. Concerning this, *Ali Ibn Abi Taleb*, may Allah grant him honor, thought that he is the one who deserves to be the leader of Muslims so, he lingered pledging allegiance then he did.

In conclusion, a very dark cloud loomed large on Islam's Nation was removed. Consequently, a flood of faith ran and branched that led to the existence of the true human civilization that is being denied by the west today.



AL-AZHAR
MAGAZINE

Shawwal 1423 A. H.



ENGLISH
SECTION

Dec. Jan 2002

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰنَا اللّٰهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهرس

- في عالم النفس: كيف نتغلب على الأحزان
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٥٢٢
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٥٢٦
- يوم الناقور
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطه ١٥٣١
- السنة: الجداء
لفضيلة الشيخ/ فكري ياسين ١٥٣٦
- المنهج الإسلامي في الحوار
لفضيلة الشيخ/ محمود عاشور ١٥٤٠
- الإسلام قضية عادلة في يد محام فاضل!
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٥٤٤
- واجبات المسلمين في غير أوطانهم
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٥٥٠
- التحدى الحضارى بين مكرى الإسلام والمستشرقين (٢)
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ١٥٥٥
- كتاب الشهر: انتشار الإسلام بعد السيف
عرض وتحليل أد/ إبراهيم عوضين ١٥٥٩
- العطاء العلمى للحضارة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٥٦٩
- الأندلسية (قصيدة)
للشاعر العربى الكبير/ شكيب أرسلان ١٥٧٤
- منار الإحياء والنهضة والتجديد
للدكتور/ محمد عمارة ١٥٧٩
- كيف نصبح خير أمة أخرجت للناس؟
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٥٨٦
- مواقف إسلامية: الفاروق عمر الحاكم الإنسان
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٥٩٠
- النكاملية بين الدنى والدنىوى فى الرؤية الإسلامية
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٥٩٦
- استفتاءات القراء
يجيب عنها أد/ أحمد الطيب ١٦٠٠
- خطبة الجمعة: آداب الأعياد
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٦٠٤
- الأسرة من المنظور الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٦٠٧
- طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٦١٠
- الموعظة الحسنة
للشيخ/ فوزى الزفزاف ١٦١٢
- القدرة.. والكون.. والمصير
للدكتور/ على أحمد على ١٦١٧
- رسالة.. و..رد
للشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٦٢٣
- دفع مفتريات حول السيدة نفيسة
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحيدى ١٦٢٧
- تحريم أكل الميتة وأخواتها فى ضوء العلم الحديث
للأستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى ١٦٣١
- الشاعر الإسلامى محمد عبد الرحمن صان الدين
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١٦٣٨
- أطماع إسرائيل فى المياه العربية
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ١٦٤٤
- التدايير الوقائية قبل عقد الزواج
للأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقي ١٦٤٩
- إعجاز العلم الأعجمى فى القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٦٥٥
- ولا تفرقوا
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٦٥٩
- سفينة التقوى والإيمان
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ١٦٦٢
- بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ١٦٦٤
- بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٦٦٨
- أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٦٧٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٦٧٨
- القسم الإنجليزى
إعداد وإشراف أد/ إبراهيم الأصيل ١٦٩٥

١٤
٢٠٠٢
٢٠٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر
- الخدمة الأساسية المطلوبة للسنة النبوية.
- للمستشار الدكتور / محمد نوقى الفنجري
- من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة
- للأستاذة الدكتورة / زينب الأوج
- رؤية إسلامية للتعددية الفكرية
- للدكتور / محمد عمارة
- قيم التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية
- للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باضا

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ ☎



الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في طبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جيب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢٠٢

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير ٢٠٠٢م - الجزء الحادى عشر - السنة الخامسة والسبعون

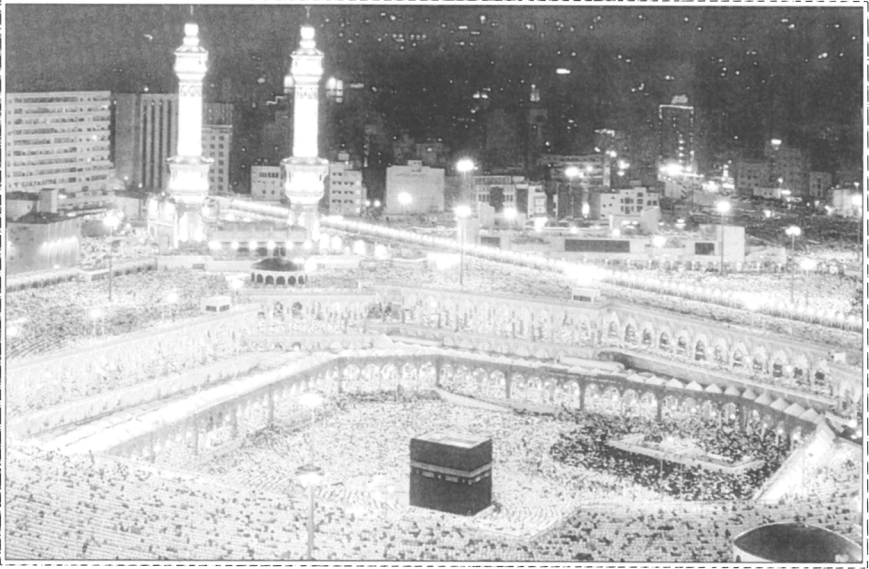
الحج ارتقاء خلقًا

يحتاج الإنسان إلى أن يُروِّحَ عن نفسه برحلة صيفية أو شتوية يتركُّ بها مكان إقامته الدائم نازحاً إلى مصيف أو مَشْتَى مدة أسبوع أو أسبوعين ليرجعَ إلى مكانه الأول وقد اكتسبته الرحلة راحةً سعيدة في تبدُّل المكان، ولقاء من لا يعرف من الناس، وكم يطيب له أن يتحدث عند عودته مع معارفه عما شاهد من الجديد في رحلته، حديث المغتبط السعيد، وقد يُوطد العزم على أن يستأنف الكرة في عامه المقبل، لما آتسَ من تجدد النشاط، وامتداد النظر إلى ما لم يره من قبل، واكتساب الخبرة ذات المهارة النافعة في مزاوله أمور الحياة.

هذه الرحلة التي تحدث عنها، وأشرتُ إلى بعض ثمارها، رحلةً دنيويةً خالصة، ليست لها أبعاد روحية ترتفع بصاحبها من ضيق الأرض إلى رحابة السماء، فليس بها استشرافٌ إلى عالم علوى يفيض بالرحمة، ويكافئ على المعروف، ويفتح باب الأمل لمن قام جدار اليأس حائلاً دون سعادته! ومع ذلك كله فهي رحلة منتظرة يترقبها بعض الناس في شوق، ويسأل أحدهم الآخر: أين ستقضى أجازتك السنوية، وكأنه يحدثه عن أمل منشود، ومطمع يحوطه الرجاء.

فإذا انتقلنا من هذه الرحلة المحبوبة المشتهاة إلى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، فإننا سنجد الفرق الشاسع بين الرحلتين فرق ما بين السموات والأرض من أبعاد! إن كل ما يكسبه الراحل في سفره الدنيوي إلى مكان الاصطياف أو المشتى، متحقق متهيأ في رحلة الحج، ولكن وراء ذلك كله تأتي معجزة الإنقاذ فعلاً حين يتأكد صاحب الرحلة أنه سيكسب مغنماً هائلاً رفيع الدرجات حين يعلم أن عين الله تحرسه وترعاه، وأن خطواته المخلصة ذات جزاء أخروي يُدخَّر له حين لا تُغنى نفس عن نفس شيئاً، والأمر يومئذ لله. أول ما يكسبه الحاج من المغام، أنه سيتطهر من ذنوبه السالفة، وأنه سيرجع إلى موطنه

سي وظهارة نفسية



كيوم ولدته أمّه، حين يُسلم وجهه لله ملتصقاً هُداة، بعيداً عن موبقات الرجس، بريئاً من هواجس الإثم، إنّ لكل إنسان مؤمن نفساً لوأمة تحصى عليه سيئاته، وتُجسّد له ما اقترف من السيئات، وكأنه تمثالٌ ناهضٌ بين عينيه يسد عليه منافذ الطريق، ويُحاول أن يتحاشى رؤيته فلا يستطيع، وفي بعض الأديان ما يُسمى بالاعتراف، حين يلجأ المنتسب إلى هذا الدين لكاهنٍ يجلس بين يديه، فيفصح له عن ذات نفسه، ويكشف ما توارى من آثامٍ فادحة قد تبلغ خطورتها مبلغاً يدعو إلى اليأس من النجاة! فإذا أفرغَ ما في نفسه اعتقد أنّه باعترافه قد تخلّى عن آثامه، فاستشعر بعض الهدوء، ولكن دين الإسلام قد جعل البشر سواء إذ لا وساطة بين العبد وربّه، فبدل أن يجثو الإنسان أمام شخص مثله يبته بلواه، وهو



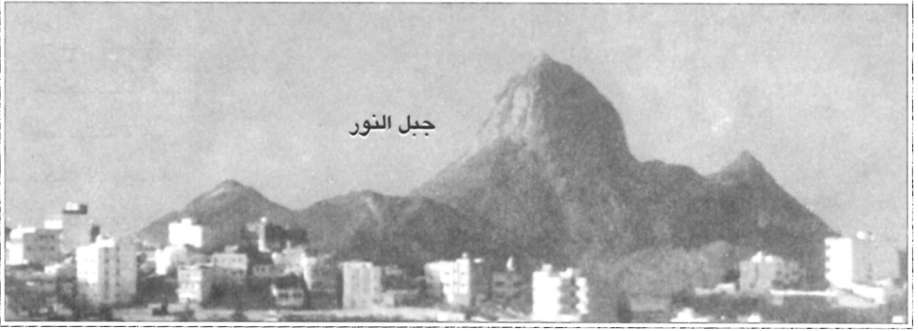
لا يملك من أمر نفسه شيئاً، فوق أن يملك منح الغفران لمن اعترف له، بدل ذلك فإن اللجوء إلى باري السموات والأرض في مناجاة تائبة نائبة، تحقق هذا الاطمئنان النفسى دون أن يعلم أحد من الناس سر أحد، فإذا كانت هذه المناجاة فى موسم الحج، وقد سافر المسلم إلى بيت الله تائباً نائباً، وكلما توجه إلى مشعرٍ من المشاعر دُبَّ دبيبُ إيمانه، فصدع بالتلبية والتكبير ثم خلا بنفسه إلى المناجاة الإلهية مستغفراً من ذنبه، مُصمماً على التوبة النصوح دون عود إلى المعصية! ففى هذا الجو الروحى الذى لا يُمكن أن تكون السماء أقرب إلى الأرض فى موضع سواه تنكشف الهواجس عن صاحب النفس اللوامة شيئاً فشيئاً، فيحس بنسيم مُنعش يراوح صفحة وجهه، ويدب إلى رثيته فيشرح صدره! فإذا آتس ذلك كله، أحس أن طوداً ثقيلاً كان يجثم على صدره أخذ يتزحزح شيئاً فشيئاً، وبمواصلة التضرع خيفة وخشية يتخفف الداعى من أثقاله، حتى إذا انشرح صدره وثب من مكانه ظافراً، وقد ارتاح من عبء ثَقِيل، لأن الله رحيم بعباده، وقد قال فى محكم كتابه:

﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١). هذا الشعور بالراحة النفسية لا يجده أى رَحالة فى أى مكان من الأرض شرقاً وغرباً، أقوى ما يكون تحققاً، وأصح ما يتم كائناً إلا فى بيت الله، وفى مناسك الحج حين ينتقل من البيت إلى عرفات إلى المزدلفة إلى منى! فإذا رمى الجمرات، فقد طرد عن نفسه هواجس الشيطان، وتهياً لاستقبال عهد جديد.

ومما يكسبه الحاج حين يطأ بقدمه منازل الوحي الكريم أنه يزداد إيماناً بنبِيِّه، إذ يرى بعينيه الربوع الطاهرة التى مسّها قدمه الشريف، وكانت مسرحاً لغدواته وروحاته فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية بين المشركين، فرؤية الصفا الذى صعد عليه الرسول ليلبغ دعوة ربه حين أذن الله له بالجهر بها بعد أن مكثت سريةً ثلاث سنوات، ورؤية حراء العظيم الذى كان مجالاً للتأمل النبوى الصامت بعض الوقت، حتى نزل الوحي به أول ما نزل، ورؤية عرفات، هذا الجبل الممتد الذى شهد حجة الوداع، وبه نطق الرسول أبلغ خطبة حفظت حقوق الإنسان قبل أن يعرفها الغربيون بأكثر من ألف عام، كل هذه الأماكن ما ذكرت منها ومالم أذكر تزيد المسلم إيماناً ويقيناً، حدثنى صديقى المسلم المجرى الكبير الأستاذ عبدالكريم جرمانوس أنه أثناء قيامه بشعيرة الحج المبارك قد دُهِش دهشاً عظيماً حين زار جبل حراء، ورأى من صعوبة مرقاه ما جعله يتعجب كيف كان الرسول ﷺ يقطع فى هذا المكان الموحش الليالى ذوات العدد وحده دون أنيس، لقد كان الحاج عبدالكريم فى قوة

(١) غافر (٦٠).





شبابه، وريعان صحته يحاول أن يصعد إلى قمة الجبل حتى يرى الغار بعينه، فكان يصعد متشجعاً ثم يحس التعب المجهّد في ارتياد هذا الجبل الشاهق، ويهم بالرجوع حين يسيل عرقه فيشجعه من معه من الشباب، وكل منهم يبذل غاية جهده كيلاً يُحرم من رؤية الغار! هذا وقد قدم إلى الجبل راكباً السيارة المريحة فلم يتحمل من قبل عناء الطريق كما كان يتحمّله محمد ﷺ حين يخرج من منزله وحيداً بعد أن تُودعه السيدة خديجة وتشد من أزره فلا ينتهي إلى الغار إلا بعد عناء الطريق ليستأنف عناءً أشق وأطول هو عناء الصعود إلى الجبل، والمكان حار، جاف الهواء، وكلما صعد الدكتور جرمانوس درجة ازداد الجفاف وتساقط العرق، ثم بلغ الدكتور موضع الغار بعد خمسة وأربعين دقيقة قطعها في العناء المتواصل، فما كاد ينتهي إلى أربه، حتى سقط إعياء!! وحتى وجد ثيابه تكاد تُعصر عصراً مما غسلها من العرق! ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ وهو بشرٌ محدود القوة كان مؤيداً ببأس قوى من روح الله! أضف إلى ذلك تلك الوحشة القابضة في ظلام الليل بأكناف الجبل، وهو بانعزاله وتفردّه ملجأً للوحوش، وقد يدبُّ إلى الغار بعض الأفاعي القاتلة فيهرب الإنسان أن يجلس به ساعة واحدة فضلاً عن الليالي ذوات العدد!! إن في رؤية حراء، والصعود إليه ومشاهدة الغار ما يؤكّد صدق هذا النبي المناضل في سبيل ما ألهمه الله إياه من الاعتزال، ولا أنسى قول الدكتور جرمانوس: هذه معجزة لرسول الله ﷺ، لا أدري لماذا لا يسجلها المؤرخون مع سائر المعجزات! والالتفات إليها كان ثمرةً من ثمار حج بيت الله الحرام التي قطعها مسلم أوروبى جاء من بودابست حيث يعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة المجر.

وأكبر كسب للحاج في رحلته الإيمانية هو شعوره الحقيقي بالأخوة الإسلامية الممتدة إلى القارات الخمس، فالمسلم في وطنه الصغير يظن أنه محدود بمواطنيه الذين يألفهم ويألفونه فإذا اتسع تفكيره إلى سواهم فإلى إخوانه في البلاد العربية وحدهم، ولكنه في



غار حراء على
قمة جبل النور

موسم الحج
يجد شيئاً
عجبا لم
يعهده من
قبل، يجد
المسلمين من
شتى بقاع
العالم،
مختلفى
اللغات
والألوان

والأجناس يجد الأندونيسى والماليزى والصينى واليابانى والهندى والباكستانى والإيرانى والأفغانى والتركى والألبانى والغانى والنيجيرى والصومالى والمالديفى والبرناوى .

بل يجد القادم من أمكنة لم يسمع بها من قبل وكلهم متجرد من ثيابه رافع كفيه إلى السماء مبتهلاً مكبراً، هذه الشعوب المختلفة تجذبها الشعور الفردى لكل إنسان منها مكتسحاً فرديته الضيقة إلى حيث الفضاء الشامل لأكثر مناحى الكرة الأرضية، وإذ ذاك يشعر المسلم أنه أخو المسلم فى كل مكان، وأن أخوته الممتدة هذه قد منحتهم قوة تدفعه إلى الاتحاد، إذ يجد أن العالم الإسلامى فى القارات الخمس هو عالمه الكبير، وأن المسلم بها للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً وكالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه بالمرض تداعى له جميع الأعضاء بالسهر والحمى! هذا النور ينقل الحاج من نفق ضيق إلى فضاء فسيح، وقد شاهدت بعينى من رجع من حجه ليحدثنا عن أحوال إخوانه الحاج، وقد عرف عنهم ما كان يجهل، لذلك أقول إن الحج هو الخطوة الأولى للتعارف الإسلامى، ولتكوين وحدة إسلامية إن لم تخضع لسياسة واحدة فإن من الواجب أن تخضع لمبادئ مقررّة أكدها القرآن وفرضتها الشريعة! والإسلام هو الوطن الحقيقى للمسلم، فليست هذه الحدود الجغرافية المصطنعة بملغية ما يحسّه فى أعماقه من أخوته الصادقة لأبناء دينه، وقد يما قال الشاعر العربى صادقاً:

أبى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

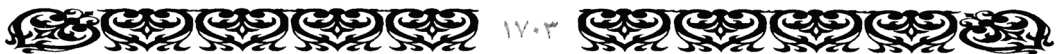
وقد عرفنا فى تاريخنا المعاصر بلاء القوميات وما جرته على شعوبها من هزائم منكرة تقهقرت بها إلى الوراء مئات السنين، فمتى نفيق!



وأبلغ أثر للحج في نفس المؤمن التائب، أنه بعد عودته الخاشعة، سيحاسب نفسه حساباً شديداً؛ سيقول في خواطره الصامته إذا حدثه الشيطان بسوء: أنت اليوم غيرك بالأمس، إنك لا تدري أتعيش لعام قادم أو لا تعيش، ففرصة الحج التي سنحت من قبل قد لا تعود، وعليك أن تحاذر الخطيئة بعد أن تطهرت مما سلف، ومثلما يصير الشاب كهلاً، ويحاسب نفسه على هفوات الشباب، كذلك تماماً حال الحاج حين يرجع إلى أهله، إنه يحس بفواصل قوى بين حاضره وماضيه، هذا الفاصل يحتم عليه أن يتقدم إلى الأمام لا أن ينحدر للوراء! كما أن نظرة المجتمع إليه بعد عودته غيرها قبل أن يرحل إلى الحج، هذه النظرة تصبح عاملاً مساعداً على التقوى، لأن الحرص على السمعة الخارجية ليس رياءً كما يتوهم بعض الناس، ولكنه مبالغة في التقية، وهذا الحرص لا يناقض الوازع الداخلي ولكنه يعمل على تقويته وتأكيد، فهو سلاح آخر يُضاف إلى النازع المستتر المستكن! ولستُ أفترض القولَ افتراضاً، ولكنى أتحدث عن واقع لمستته بين الكثيرين ممن كان الحج حداً فاصلاً في حياتهم بين اتجاهين مختلفين، ولا أنكر أن بعض الناس لا يسعده التوفيق الإلهي فيستمر بعد عودته على سلوكه الآبق، وهؤلاء قلة قليلة تصلح أن تكون استثناء من قاعدة مطردة! والشاذ لا يقاس عليه بحال.

لقد قلت: إن الحج تطهير للنفس، وهو تطهير حقيقى لا اختلاف عليه، وآية ذلك أن نرى بعض الحجاج يُصرون على تكرار الرحلة مهما كانت العوائق، حيث لمسوا في ضلوعهم أشواقاً ملتهبة يريدون إطفاءها برؤية هذه الربوع الطاهرة، وهم يذرفون الدموع أسفاً، حين يُحال بينهم وبين ما يريدون لأمر تنظيمية، يفرضها القائمون على التوجيه، ولعل عزاءهم الشافى أنهم يقيمون على العهد، إذ يجتنبون الرذائل، ويتلمسون الصراط القويم.

د. محمد رجب البيومي





ثم حكى القرآن أن نبيهم لم يكتف بهذه الدلائل الدالة على صلاحية طالوت للقيادة، وإنما ساق لهم بعد ذلك من العلامات التي تشهد بحقيقته بهذا المنصب ما يثبت قلوبهم، ويزيل شكهم ويشرح نفوسهم.

﴿التَّابُوتُ﴾: بوزن فعلوت - من التوب وهو الرجوع، وتأؤه مزيدة لغير التأنيث كجبروت، والمراد به صندوق التوراة وكانوا إذا حاربوا حمله جماعة منهم ويتقدمون به أمام الجيش فيكون ذلك سبب نصرهم. وكان عهدهم به قد طال فذكروهم بمآثره ترغيباً فيه وحملًا على الانقياد لطالوت^(١).

﴿سَكِينَةٌ﴾: من السكون وهو ثبوت الشيء بعد التحرك: أو من السكن - بالتحريك - وهو كل شيء سكنت إليه النفس وهدأت. والمعنى: وقال لهم نبيهم ليقنعهم بأن طالوت جدير بالملك ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ أى علامة ملكه وأنه من الله - تعالى -:

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ﴾ أى أن يرد عليكم التابوت الذى سلب منكم:

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى فى إتيانه سكون لنفوسكم وطمانينة لها أو مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة:

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ من آثار تعتزون بها، وترون فيها صلة بين

ماضيكم وحاضركم وقوله:

﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حال من التابوت.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾

هى رفاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة. وكان رفعه الله - تعالى - بعد موسى - عليه السلام - فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه، فكان ذلك آية لاصطفائه لطالوت.

فإن قلت: من هم ﴿آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾

قلت: الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما^(٢).

وقال ابن كثير: قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون^(٣).

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

أى: إن فى ذلك الذى أتاكم به طالوت آية عظيمة وعلامة ظاهرة لكم تدل على أحقية طالوت بالملك والقيادة إن كنتم مؤمنين بآيات الله وبالحق الذى جاء به أنبيأؤه.

وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد حكى لنا أن هؤلاء القوم من بنى إسرائيل قد جاءهم نبيهم

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٩٣.

(١) تفسير القاسمى ج ١ ص ٦٤٦.

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٠١.



بأنصع الحجج، وأوضح الأدلة، وأثبت البراهين التي تؤيده فيما يدعوهم إليه.

ثم بين - سبحانه - ما دار بين طالوت وجنوده فقال:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾

﴿فَصَلَ﴾ بمعنى الفصل. قال الزمخشري:

فصل عن موضع كذا: إذا انفصل عنه وجاوزه.

وأصله فصل نفسه. ثم كثر: حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدى كأنفصل. وقيل: فصل عن البلد فصولاً. ويجوز أن يكون فصله فصلاً، وفصل فصولاً كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده^(٤).

(و) (النهر) بالفتح والسكون - : المجرى الذي يجرى فيه الماء مأخوذ من نهر الأرض بمعنى شقها.

أى: فلما انفصل بهم عن المكان الذى كانوا يقيمون فيه، وتوجهوا معه لقتال جالوت وجنوده، قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾

أى مختبركم وممتحنكم بنهر، وكان طالوت قد سار بهم فى أرض قفرة فأصابهم عطش شديد. وفى هذا الابتداء اختبار لعزيمتهم، وامتحان لصبرهم على المتاعب حتى يتميز من يصبر على الحرب ممن لا يصبر، ومن شأن القواد الأقوياء العقلاء أنهم يختبرون جنودهم قبل اقتحام المعارك حتى يكونوا على بينة من أمرهم. ثم بين لهم موضع الاختبار فقال:

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾

﴿يَطْعَمُهُ﴾ أى يذقه من طعم الشئ يطعمه إذا ذاقه مأكولاً أو مشروباً.

﴿غُرْفَةً﴾ - بالضم - اسم للشئ المغترف وجمعه غراف. وأما الغرفة - بالفتح - فهى اسم للمرة الواحدة من الغرف وقيل: هما لغتان بمعنى واحد.

أى قال لهم طالوت: من شرب من هذا النهر فليس من شيعتى، فعليه أن يتركنى ولا يصاحبنى فى خوض هذه المعركة لأنه ثبت ضعفه وخوره، ومن لم يذقه أصلاً فإنه من شيعتى وحزبى الذى سيكون معى فى هذه المعركة الخطيرة. ثم أباح لهم أن يغترفوا من النهر غرفة يخفون بها من عطشهم فقال:

﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فإنه لا يخرج بذلك عن كونه منى.

وفى هذه الجملة الكريمة قدم - سبحانه - جواب الشرط على الاستثناء من الشرط فقد قال (ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده) والتأليف المعهود للناس أن يقال:

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ولكن الآية الكريمة جاءت بتقديم الجواب على الاستثناء لحكمة بليغة، وهى المسارعة إلى بيان الحكم، وإثبات أن أساس الصلة التى تربطهم بنبيهم أن يمتثلوا أمره وألا يشربوا من النهر، ثم رخص لهم بعد ذلك فى الاغتراف باليد غرفة واحدة.

وقد أشار صاحب الكشف إلى هذا المعنى فقال: فإن قلت: هم استثنى قوله:

(٤) تفسير الكشف ج ١ ص ٢٩٤.



﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾؟ قلت: من قوله:

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ والجملتان الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية.. ومعناه: الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع^(٥).

ثم ختم - سبحانه - ما كان من بنى إسرائيل نتيجة لهذا الامتحان فقال:

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

أى: فشربوا من النهر حتى امتلأت بطونهم مخالفين بذلك أمر قائدهم في وقت تعظم فيه المخالفة لأنه وقت إقدام على الحرب، إلا عدداً قليلاً منهم فإنهم لم يشربوا إلا كما رخص لهم قائدهم. وعلى هذا التفسير - الذى قال به جمهور المفسرين - يكون جميع الذين مع طالوت قد شربوا من النهر إلا أن كثيراً منهم قد شربوا حتى امتلأت بطونهم مخالفين أمر قائدهم، وقلة منهم شربت غرفة واحدة وهى التى رخص لهم قائدهم فى شربها.

وبعض المفسرين يقسم أتباع طالوت ثلاثة أقسام: قسم شرب كثيراً مخالفاً أمر طالوت.

وقسم شرب غرفة واحدة بيده كما رخص له قائده. وقسم لم يشرب أصلاً لا قليلاً ولا كثيراً مؤثراً العزيمة على الرخصة وهذا القسم هو الذى اعتمد عليه طالوت اعتماداً كبيراً فى تناوله لأعدائه.

ومن ذكر هذا التقسيم من المفسرين الإمام القرطبى فقد قال: «قال ابن عباس: شربوا على قدر يقينهم، فشرب الكفار شرب الهيم^(٦)،

وبقى بعض المؤمنين لم يشرب شيئاً، وأخذ بعضهم الغرفة، فأما من شرب فلم يرو بل برح به العطش، وأما من ترك الماء فحسنت حاله وكان أجلد ممن أخذ الغرفة^(٧).

ثم بين - سبحانه - ما كان من أتباع طالوت بعد اجتيازهم للنهر معه فقال:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾.

أى: فلما جاوز طالوت ومن معه النهر وتخطوه، وشاهدوا كثرة جند جالوت، قال بعض الذين مع طالوت لبعض بقلق ووجل: لا قدرة لنا اليوم على محاربة أعدائنا ومقاومتهم فهم أكثر منا عدداً، وأوفر عدداً.

والضمير ﴿هُوَ﴾ فى قوله:

﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ مؤكد للضمير

المستكن فى جاوز. والقائلون، هذا القول هم بعض المؤمنين الذين عبروا معه النهر، ولم يقولوا ذلك هروباً أو نكوصاً عن القتال، وإنما قالوه كمظهر من مظاهر الوجل الذى يعترى بعض النفوس عند الاستعداد للقتال، لأن الذين عصوا الله وخالفوا طالوت بشربهم من النهر جنبوا عن لقاء العدو ولم يسيروا معه لقتالهم. أما المؤمنون الصادقون الذين اتصلت قلوبهم بالله، والذين أذعنوا أنه لا نصر إلا منه ولا اعتماد إلا عليه، فقد حكى القرآن موقفهم المشرف فقال:

(٦) الهيم: الإبل التى يصيبها داء فلا تروى من الماء واحدها أهيم والأنثى هيماء.

(٥) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٩٥.

(٧) تفسير القرطبى ج ٣ ص ٢٥٤.





﴿قَالَ الَّذِينَ

يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْتَقُوا اللَّهَ كَم مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ
عَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

أى : قال الذين يتيقنون أنهم ملاقوا الله يوم القيامة فيحاسبهم على أفعالهم . قالوا مشجعين لإخوانهم الذين تهيّبوا قتال أعدائهم : كم من جماعة قليلة بإيمانها وصبرها تغلبت بإذن الله وتيسيره على جماعة كثيرة بسبب كفرها وجبنها وتفككها، والله - تعالى - بعونه وتأييده مع الصابرين .

وعلى هذا التفسير يكون المراد بلقاء الله الحشر إليه بعد الموت، ومجازاة الناس على ما قدموا من عمل، ويكون المراد بالظن اليقين لأن كل مؤمن متيقن بأن البعث حق .

ويجوز أن يكون المراد بلقاء الله قريبهم من رضاه يوم القيامة، وإثباتهم على جهادهم بالجنة، وعليه يكون الظن على معناه الحقيقي وهو الاعتقاد الراجح، لأن خواتيم الحياة لا يعلمها كيف تكون سوى علام الغيوب .

و ﴿كَم﴾ فى قولهم : ﴿كَم مِّنْ فِتْنَةٍ﴾

خبرية للتكثير، وفى هذا التعبير الذى حكاه القرآن عنهم دليل على قوة إيمانهم وصفاء نفوسهم وثقتهم فى نصر الله ثقة لا تحد، لأنهم أتوا بصيغة التكثير حتى لكأنما أن القاعدة العامة هى انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة الكافرة .

وفى تعليقهم النصر على إذن الله للإشعار بأنهم

لم يعتمدوا على قوتهم وثباتهم وشجاعتهم فحسب وإنما جعلوا اعتمادهم الأكبر على تأييد الله لهم . وهذا شأن العقلاء يبذلون أقصى جهدهم فى بلوغ غايتهم مستعينين على ذلك بتأييد الله وتوفيقه .

ورحم الله الإمام القرطبى الذى عاصر دولة الإسلام فى الأندلس وهى تسير فى طريق الضعف والتدهور فقد قال فى ختام تفسيره لهذه الآية : قلت : هكذا يجب علينا أن نفعل ؟ لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة، منعت من ذلك حتى انكسر العدد الكبير من أمام البسير من العدو وكما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا ! وفى البخارى : وقال أبو الدرداء : إنما تقاتلون بأعمالكم . وفى البخارى - أيضاً - أن النبى ﷺ قال : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » فالأعمال فاسدة والضعفاء مهملون والصبر قليل، والاعتماد ضعيف، والتقوى زائلة !! قال - تعالى - :

﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٨) .

وقال : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ (٩) وقال :

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٠)

وقال : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ (١١) .

وقال :

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٢) .

فهذه أسباب النصر وشروطه وهى معدومة عندنا غير موجودة فىنا، فإننا لله وإننا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا» (١٣) .

(١٠) النحل (١٢٨) .

(٩) المائدة (٢٣) .

(٨) آل عمران (٢٠٠) .

(١٣) تفسير القرطبى ج ٣ صفحة ٢٥٤ .

(١٢) الأنفال (٤٥) .

(١١) الحج (٤٠) .



الحدود الشرعية



لأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيري
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر (•)



إعداد الشيخ / على عباس عبد الرحيم

عن عائشة رضي الله عنها : « أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: « يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله! » ثم قام فاختطب فقال: « إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ». رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

• تحدث الفقيه الكبير الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري عن الحدود الشرعية حديثا جامعا مستوعبا، وقد رأينا تخفيفا على القارئ أن ننشره في أربع حلقات لنفعه الجليل «الحرر».

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧ هـ



يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) بيان معناها

(٢) بيان الحدود الشرعية وما فى معناها
وحكمة مشروعيتهما

(٣) إذا لم يوجد فى الشريعة نص على حكم
من الأحكام فماذا يكون العمل؟

(١) معنى هذا الحديث ظاهر، وهو أن امرأة
من عليّة القوم اسمها فاطمة غلبت عليها رذيلة
خلقية مرة واحدة فى حياتها، وهى سرقة شئ
يستوجب إقامة الحد عليها بقطع يدها، فعز على
قريش أمرها لما لها من علو المنزلة، ولكنهم كانوا
يعلمون شدة استمسك الرسول صلوات الله عليه
بإقامة حدود الله وتنفيذها على العظيم
والضعيف، والغنى والفقير، بنسبة واحدة، فوقفوا
بإزاء ذلك حائرين، ولكنهم ظنوا أن أسامة بن
زيد يستطيع أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ،
لأنه كان محبوباً عند الرسول كما كان أبوه زيد
من قبل، ولذا كان يلقب بالحب ابن الحب.
فأجابهم أسامة إلى طلبهم، ومضى إلى رسول الله
وسأله العفو عن السارقة فأنكر عليه الرسول هذه
الشفاعة، وقال له: «أتشفع فى حد من حدود
الله!» أى ما كان يليق بك أن تجرؤ على هذا.

ويظهر من هذا أن أسامة كان يعلم أنه لا تصح
الشفاعة فى حدود الله بعد أن يصل أمر الجريمة
إلى ولى الأمر، ولهذا أنكر عليه النبى ﷺ، ولو
كان يجهل الحكم لعلمه بإياه. ولعل اعتقاد أسامة
فى فاطمة المخزومية من كون هذه الخلّة ليست
عادة لها وأنها زلة قد لا تعود إليها، هو الذى
دفعه إلى الشفاعة فيها.

والواقع أن فاطمة هذه قد أصبحت بعد تنفيذ
الحد عليها من الصالحات، فلم تؤثر عنها أية
رذيلة خلقية بعد.

على أن الرسول صلوات الله عليه لم يقتصر
على الإنكار على أسامة، بل جمع الناس وخطب
فيهم مبيناً لهم أن الاستهانة بمعاقة الجناة إذا كانوا
من العظماء، والتشدد فى معاقة الضعفاء، لا
نتيجة له إلا هلاك الأمة وفناؤها، وقد هلك بسببه
بعض الأمم الذين خلوا من قبل. وأقسم لهم أنه لا
يتأخر عن تنفيذ حدود الله على بنته نفسها.
وذلك حق لا ريب فيه، إذا لا معنى لهذا إلا إبطال
القانون، والقضاء على العدل والنظام، فلو لم ينفذ
القانون على القوى والضعيف بنسبة واحدة كان
ذلك تحريضاً للقوى على انتهاك حرمت الضعيف،
والعدوان عليه وهو آمن من العقاب، فإذا فرض
وقوى الضعيف كان من حقه أن ينتقم لنفسه وهو
آمن من العقاب، ويعتدى على غيره وهو آمن أيضاً،
وهلم جراً، وهذا هو عين الفوضى المقوضة لدعائم
ال عمران، الموجبة لهلاك الأمم وفنائها.

ويؤخذ من هذا الحديث أنه لا يحل لحاكم أن
يقبل الشفاعة فى حد من حدود الله الآتى ببيانها،
كما لا يحل لأحد أن يشفع عن مجرم فى حد
وصل الى الحاكم. وهذا مما لا خلاف فيه. أما قبل
وصول الأمر الى الحاكم فإن الشفاعة تصح كما
يصح العفو، بشرط أن يكون مستحق العقوبة غير
معروف بالجرائم، أما إذا كان من المعتادين على
إيذاء الناس، أو كان من الأشرار الذين لا يصلحهم
العفو، فإنه يجب أن يرفع أمره الى الحاكم ليوقع
عليه الحد الذى يجره عن ارتكاب الجريمة. فإذا
سرق شخص من آخر ولم تكن هذه عادة له من



ونحن الآن بصدد بيان الحدود الشرعية بمعنى العقوبات وما في معنى الحدود من قصاص وتعزير. فإليك البيان:

إن الشريعة الإسلامية قد قسمت العقوبات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحدود. وقد عرف الفقهاء الحد بأنه عقوبة مقدرة حقا لله - تعالى - فمتى علم الحاكم بمجرم استحق عقوبة الحد فإنه يجب عليه التنفيذ ولا يملك العفو. والجرائم التي تستوجب الحد هي: الزنا. ومثله اللواط - على خلاف ستعرفه - السرقة، القذف، شرب الخمر - على خلاف ستعرفه - أما حد الذين يسعون في الأرض فسادا فلا يخرج عن حد السرقة أو القصاص أو التعزير.

القسم الثاني: القصاص. وهو معاملة الجاني بمثل اعتدائه، فإن القصاص معناه الماثلة، ومنه قص الحديث إذا أتى به على وجهه. ولا يسمى القصاص حدا لأنه حق للعبد له أن يعفو عنه كما يأتي.

القسم الثالث: التعزير. وهو تأديب على ذنب لا حد فيه ولا كفارة له كما ستعرفه بعد. ثم إن المتفق عليه من الحدود ثلاثة: حد الزنا، وإن قال بعضهم إنه لا رجم، حد القذف، حد السرقة. أما حد شرب الخمر فجمهور الأئمة والعلماء على أنه حد. وبعضهم قال إنه من باب التعزير. ومع ذلك فقد اختلفوا في مقداره.

فالمالكية والحنفية والحنابلة يقولون إنه ثمانون جلدة، لأن عمر قدره بثمانين جلدة، ووافقه عليه الصحابة.

قبل، وظن الشفيع أن العفو عنه لا يغريه، فإن له أن يشفع فيه، وللمعتدى عليه أن يعفو عنه، وإلا فلا يحل له العفو. وقد وردت أحاديث بهذا المعنى. منها ما رواه الدار قطنى «اشفعوا مالم يصل إلى الوالى فإذا وصل إلى الوالى فعفا فلا عفا الله عنه» هذا فى الحدود.

أما فى القصاص فإن الشفاعة فيه تجوز، لأنه حق العبد، وله أن يعفو على أى حال. وأما فى التعزير، فقد قال الفقهاء: إن الشفاعة تحل فيه. ولكن الظاهر المعقول أن عقوبة التعزير إن توقف عليها تأديب الجناة والمحافظة على النظام العام، فإن الشفاعة لا تحل فيه، كما لا يحل للحاكم أن يعفو، وإلا فإن العفو يصح والشفاعة تجوز. وذلك لأن الشريعة الإسلامية مبنية على جلب المصلحة ودرء المفسدة، فعلى الحاكم أن ينظر فى هذا إلى ما فيه المصلحة ودفع المفسدة.

(٢) أما الجواب عن الثانى فهو أن أصل معنى الحد فى اللغة: المنع، ويطلق على العقوبة التى وضعها الشارع لمرتكب الجريمة. وذلك لأنها سبب فى منع مرتكب الجريمة من العودة إليها، وسبب فى منع من له ميل إلى الجريمة عن ارتكابها. وكذلك يطلق على المعاصى، ومنه قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾^(١) أى تلك المعاصى التى نهى الله عنها فلا يحل لكم قربانها، ويطلق أيضا على ما حده الله وقدره من أحكام، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾^(٢).

(٢) الطلاق «١».

(١) البقرة «١٨٧».



بعضهم بعضاً من جراء ذلك . ولذا نجد القوانين في كل الشرائع قد رفعت القصاص عن قاتل الزاني بامرأته، لأنها ترى أن هذه الجناية تستوجب قتل مرتكبها .

أما غير المتزوج فقد قدرت له مائة جلدة، لما عرفت من أنه لم يعرف معنى الغيرة على الزوجة، فكان له حق في التخفيف .

ولم يخالف في هذا الحد إلا بعض المعتزلة والحوارج، فإنهم قالوا : إن عقوبة الرجم كانت موجودة في صدر الإسلام ثم نسخت بقوله تعالى :

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (٣)

فالزانيان يستحقان الجلد مطلقاً سواء كانا محصنين أو لا . ولكن دليلهم هذا لا يتم إلا إذا ثبت أن النبي ﷺ لم يرجم أحداً بعد نزول هذه الآية .

ولكن الجمهور قالوا : إن رسول الله قد رجم بعد نزول هذه الآية، بدليل أن أباهريرة حضر الرجم وهو لم يسلم إلا سنة سبع، وسورة النور نزلت سنة ست أو خمس . وقد رجم الخلفاء بعد النبي ﷺ وصرحوا بأن الرجم حد .

وقد نازع هؤلاء بأن الكتاب لا يصح نسخه بالسنة، وأجيب بأن السنة المشهورة تخصص بلا خلاف، وهنا خصصت السنة الزاني بغير المحصن . وهذا الخلاف لا يترتب عليه كبير فائدة عملية، لأن حد الزنا منوط في الواقع

والشافعية يقولون إنه أربعون جلدة، لأنه هو الثابت عن النبي ﷺ، فقد روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه : « كان النبي يضرب في الخمر بالجريد والنعال أربعين » .

ويكفي هذا الحد ولو تكرر منه الشرب، أما ما فعله عمر فقد كان من باب التعزير حيث رأى أن الخمرة قد فشلت في بعض الجهات فشدد العقوبة لرجز الشاربين، فالزيادة ليست من الحد، وإنما هي تعزير للإمام أن يفعله .

وقد اختلف العلماء في آلة الضرب : فبعضهم قال : إنهم كانوا يضربون في عهد النبي بالجريد والنعل وأطراف الثياب والأيدي، وعلى هذا فلا يصح الخروج عن هذه الآلات . والجمهور على أنه يصح بهذه الآلات كما يصح بالسوط . وبعضهم يرى أنه لا يصح بالسوط إلا إذا كان الشارب متمرداً فاجراً لا يؤثر فيه ضرب اليد أو الجريدة . هذا هو حد الشرب المختلف فيه . فلنرجع إلى الكلام في الحدود المتفق عليها :

فأما حد الزنا فقد فرقت الشريعة فيه بين الذي تزوج والذي لم يتزوج، فشددت العقوبة على الأول، لأنه عرف معنى الزوجية، وقدر قيمة العدوان على العرض حق قدره، فكان جزاؤه الإعدام، ولا ريب في أنه جزاء يناسب هذه الجريمة مناسبة تامة، لأن العدوان على العرض بهذه الصورة الشنيعة كالعدوان على النفس، بل ربما فضل الغيور قتله على الزنا بحليلته أو محرمه، وكثيراً ما نرى الناس يقتل



والجواب : أن هذه الجريمة الشنعة والفاحشة المنكرة، لم يقتصر ضررها على الزانية والزاني وحدهما، بل يتعداهما إلى الأسرة بتمامها، فتهدم شرف قوم غافلين لا ذنب لهم، وتعرضهم للمهانة والعار، وتسقطهم عن مرتبتهم المحترمة بين الناس . فحرصا على كرامة الأسر وصيانة لأعراض الناس شددت الشريعة الإسلامية في إثبات هذه الجريمة كي لا يجروا الناس على اتهام بعضهم بعضا بدون مبالاة . وفي الوقت نفسه جعل لها أقصى عقوبة (إذا كان فاعلها محصنا) تقديرا لفظاعتها وإشعارا للناس بأنها تساوى جريمة القتل . وبذلك يزدجر المؤمنون الذين يخافون الله ويخشون غضبه وبطشه، ويحسبون لغيرته على عباده حسابا . فالمؤمن الذي يقرأ قول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٤).

ويعلم أن حد الزنا يساوى حد القتل، فإنه يدرك عظم المسؤولية إذا أفلت من عقوبة الزنا . ولهذا ذهب بعض المؤمنين حقا إلى الرسول واعترف بجريمة الزنا الموجبة للقتل لينجو من عذاب الآخرة بالحد الدنيوى .

« يتبع »

بإقرار الزاني، فإذا لم يقر فإنه لا يمكن إثباته عليه بالبينة، لأنه لا يثبت إلا بأربعة شهود يرون الإيلاج بالفعل، وذلك إن لم يكن محالا فهو متعذر . ومن يتتبع أحاديث الرجم الذى وقع فى زمن النبى ﷺ وزمن الخلفاء فإنه يجد أن مرتكب الجريمة هو الذى كان يذهب بنفسه ويعترف بأنه زنى، وكان مع هذا يناقش مناقشة تدل على عدم الرغبة فى توقيع هذه العقوبة . فكانت هذه العقوبة لا تنفذ إلا على من أراد أن يطهر نفسه من هذه الفاحشة، ومن إثم الاعتداء على عرض غيره . على أنه إذا وجد مع امرأة لا زوج لها فإن له أن يدعى أنه تزوجها، وذلك شبهة تدرأ الحد فى بعض المذاهب .

ولعل قائلًا يقول : إن هذا لا يجعل للحد كبير فائدة، لأن إثباته منوط بأربعة شهداء والشهود الذين يعلمون أن من ورائهم حد القذف وهو ثمانون جلدة إذا قصر واحد فى أداء الشهادة، لا يقدمون على الشهادة . وهل ترى أنه إذا وجد الزوج أجنبيا مع امرأته يتركهما على هذه الحالة ويخرج يتلمس الشهود حتى إذا جاءوا وجدوا الرجل قضى وطره، وضاع حق الزوج !

السنة النبوية وهل خدمت

مصطلح السنة

السنة لغة هي السيرة حسنة أو قبيحة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

وفي الاصطلاح الشرعي هي كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أما القول فهي أحاديثه ﷺ التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات كقوله: (لا ضرر ولا ضرار)^(٢) وقوله (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)^(٣)، وقوله (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)^(٤)، وقوله (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله إلى الخير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)^(٥).

وأما الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة مثل وضوئه ﷺ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وكيفية أدائه مناسك الحج... إلخ.

الخدمة الأساسية المطلوبة للسنة النبوية

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري

(٢) متفق عليه.

(٤) صحيح مسلم.

(١) صحيح مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٥) صحيح مسلم.

والسنة مع القرآن على وجهين

أولهما: بيان وتفسير ما جاء مجملاً في القرآن كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها، وتحديد نصاب الزكاة، وكيفية أداء مناسك الحج.... إلخ. **ثانيهما:** إضافة أحكام جديدة لم يرد بها نص من القرآن كإثبات الشفاعة، وجواز خيار الشرط، وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وتوريث الجدة.... إلخ.

تدوين السنة

(أ) في عهد الرسول:

في أول عهد الإسلام كان الرسول ﷺ ينهى عن كتابة الحديث مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن، فكان يقول: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) (٩). حتى إذا شاع القرآن بين المسلمين وأصبحوا يتلونه آتاء الليل وأطراف النهار ويميزونه عن الحديث، سمح الرسول بكتابة الحديث. من ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال للرسول: يا رسول الله إني أسمع منك الشيء فأكتبه، قال: نعم قال عبد الله: في الغضب والرضا، قال ﷺ (نعم فإني لا أقول إلا حقاً) (١٠).

ولذلك عرف في عهد الرسول ﷺ مدونات أخرجها بعض الصحابة كابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبد الله الأنصاري،

وأما التقرير فهو ما أقره ﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أفعال وأقوال: سواء بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار تأييده... فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار كأنه صدر عن الرسول، ومن قبيل ذلك إقراره في الأعياد على مثل غناء الجاريتين، ومثل لعب الحبشة بالحرب في المسجد، وإقراره لطريقة معاذ بن جبل في القضاء حين بعثه على اليمن إذ قال له (كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله) (٦).

منزلة السنة في الإسلام

والسنة النبوية هي أحد مصادر التشريع الإسلامي، إذ هي وحى بمنزلة القرآن لقوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٧)

ويجب العمل بها لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٨)

والسنة تلي القرآن في المرتبة، لأن القرآن هو الأصل، والسنة جاءت شارحة مبينة له. فضلاً عن أن القرآن مقطوع به جملة وتفصيلاً، بخلاف السنة فمقطوع بها على الجملة لا على التفصيل.

(٧) النجم (٣، ٤).

(٩) صحيح مسلم.

(٦) سنن أبي داود.

(٨) النساء (٥٩).

(١٠) سنن أبي داود.



لا سيما وقد اتفق رأى الصحابة حينئذ بأنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءة القرآن وحفظه كله أو أكثره، حتى روى أن عمر بن الخطاب فكر فى تدوين السنة غير أنه عدل بقوله: (إنى كنت أريد أن أكتب السنن، وأنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبداً) (١٣).

وبالرغم من ذلك فقد ثبت عن أبى بكر كتابة شئ من السنة، وكذلك عن عمر بن الخطاب، وذلك حين أمنوا حفظ القرآن (١٤) إلا أن ما دون فى عهدهم من السنة، كان أيضاً محدوداً وذلك لشدة ورعهم وتقواهم ودقتهم فى الرواية عن الرسول (فالذى يحدث إنما يدخل بين الله وبين عباده). فكانوا لا يروون الحديث إلا عند الحاجة، وهذا ما يفسر لنا إنكار عمر بن الخطاب على الصحابى أبى هريرة الإكثار من رواية الحديث. كما أنهم حين يروون الحديث كانوا يتحرون الدقة، وهذا ما يفسر لنا رفض عمر رواية للصحابى أبى موسى الأشعرى إلا بعد أن أيدته فيها صحابى آخر قائلاً له: أما أنى لم اتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ (١٥).

وكان أشهرها صحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو ضمت ألف حديث، وقد سماها كذلك بقوله (هذه الصادقة فيها ما سمعته عن رسول الله ﷺ وليس بينى وبينه فيها أحد) (١١). هذا فضلاً عن أنه كان بين الرسول ﷺ وكثير من بطون العرب وطوائف اليهود والنصارى وغيرهم، كتب ومعاهدات مدونة. كما كان الرسول يكتب إلى أمراءه وعماله وقواد جيوشه، وكذا إلى ملوك وأمراء الدول الجاورة، فيما يتعلق بالدعوة إلى الإسلام وبيان أحكامه (١٢).

غير أن هذه المدونات كانت قليلة ومحدودة الأحاديث، إذ كان الصحابة يؤثرون حفظ الحديث عن كتابته تثبيتاً لأنفسهم، وكما عبر أنس بن مالك (كنا نكون عند النبى ﷺ فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه).

(ب) فى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين:

كان همهم الأول، المحافظة على القرآن حيث جمع فى عهد الصديق، ونسخ فى عهد عثمان وبعث به إلى الآفاق. فلم يحرصوا على تدوين السنة خشية أن يشغل المسلمون بكتابتها ويدعوا القرآن، وهو المصدر الأساسى للتشريع الإسلامى.

(١١) انظر طبقات ابن سعد جزء ٧، ص ١٨٩.

(١٢) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى، للدكتور محمد حميد الله حيدر آبادى، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨.

وانظر أيضاً سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام، ويتحقق محمد محبى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٦/١٩٣٧.

(١٣) انظر طبقات ابن سعد جزء ٣، ص ٢٠٦.

(١٤) انظر مسند الإمام بن حنبل.

(١٥) انظر الموطأ للإمام مالك جزء ٢، ص ٩٦٤ من طبعة عيسى البابى الحلبي بمصر سنة ١٣٧٠هـ. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وانظر أيضاً الرسالة للإمام الشافعى ص ٤٣٥ من طبعة مصطفى البابى الحلبي الطبعة الأولى ١٣٥٨/١٩٤٠م بتحقيق أحمد محمد شاكر.





(ج) - فى عهد التابعين:

عزف التابعون كالصحابة عن كتابة الحديث فى كراريس خشية أن يشتبه بالمصاحف، ولأنهم مثلهم كانوا يفضلون الحفاظ على الحديث بالرواية لا الكتابة، باعتبار أن فى الكتابة إضعاف للذاكرة وانصراف عن العمل به مرددين قولهم (لا تكتبوا فتتكلوا) ذاكرين أن أهل الحديث هم الذين يحفظونه بذاكرتهم فيكون جزءا من حديث أنفسهم وفكر قلوبهم وضابط سلوكهم، وذلك لأن الحفاظ لا الكتابة هو سبيل التفقه والخشية حتى أثر عنهم (استعن بحفظ القرآن والحديث للعمل به)، وأنه ليس العلم ما جمع ودون، ولكن العلم ما حفظ ووعى) وكانوا يفخرون بحفظ الحديث، ويقول الواحد منهم: (ما كتبت حديثاً قط)، وينقل عن عامر الشعبي (١٧ - ١٠٣هـ) عبارته (ما كتبت سوداء فى بيضاء، ولا سمعت من رجل حديثاً فأردت أن يعيده على) . وقد عبر عن هذا الأسلوب مؤيدا الإمام الأوزاعى (توفى سنة ١٥٧هـ) بقوله (كان هذا العلم - يعنى الحديث - شيئا شريفا إذا كان من أفواه الرجال يتلقونه ويتذاكرونه، فلما صار فى الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله) (١٦).

وقد ازدادت كراهية التابعين للكتابة، عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث فيدخله الالتباس (١٧).

وبالرغم من ذلك فقد أثر عن بعض التابعين مدونات حديثة أشهرها الصحيفة الصحيحة

لهمام بن منبه (٤٠ - ١٣١هـ) وهى تضم ١٣٨ حديثا نقلها عن الصحابى أبى هريرة، وقد أسماها الصحيحة على مثال الصحيفة الصادقة لعبدالله بن عمرو بن العاص وقد نقلها بتمامها الإمام أحمد فى مسنده، كما نقل الإمام البخارى عددا كبيرا من أحاديثها فى صحيحه فى أبواب شتى .

(د) فى عهد عمر بن عبدالعزيز وبداية التدوين الرسمى:

وفى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١هـ) بدأ التدوين الرسمى للحديث وقد عبر عن ذلك ابن شهاب الزهرى بقوله (أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا) (١٨).

وقد كان هذا التدوين الرسمى لأول مرة لسببين: أولهما: انتشار الإسلام واتساع رقعته وما استتبعه من تفرق الصحابة والتابعين ومجالس العلم، وهو ما عبر عنه الخليفة عمر بن عبدالعزيز فى كتبه إلى الأمصار خاصة أهل المدينة (انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب أهله) (١٩).

ثانيهما: ظهور الوضع بسبب الخلافات السياسية والمذهبية، وهو ما عبر عنه ابن شهاب الزهرى بقوله (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها، ما كتبت حديثا، ولا أذنت فى كتابته) (٢٠).

(١٦) انظر جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبدالبر، جزء ١ ص ٦٨ طبع بمصر المطبعة المنيرية.

(١٧) انظر أصول الحديث، للدكتور محمد حجاج الخطيب، ص ١٦٧ من الطبعة الثانية سنة ١٩٧١ لناشره دار الفكر ببيروت.

(١٨) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، المرجع السابق ص ٧٦.

(١٩) انظر صحيح البخارى فى كتاب العلم، وسنن الدارمى جزء ١ ص ١٢٦.

(٢٠) انظر أصول الحديث، للدكتور محمد عجاج الخطيب - مرجع سابق، ص ١٧٧.





عمالقة، أصحاب طاقات ضخمة، يقفون حياتهم كلها على طلب السنة والرحلة من أجل جمعها وتحقيقها. فعرفت الكتب الستة المشهورة وهي:

١- صحيح البخارى (١٩٢-٢٥٦هـ)، والذي أمضى فى إعدادة ستة عشر عاما، سمع خلالها من نحو ألف شيخ وجمع نحو ٦٠٠٠٠٠ جم ستمائة ألف حديث، وأخرج منها بعد التحقيق الدقيق بضوابط شديدة التزمها، نحو ٤٦٠٠ أربعة آلاف وستمائة حديثا بغير المكرر ونحو ٩١٠٠ تسعة آلاف ومائة حديث بالمكرر واختلاف الروايات.

٢- صحيح مسلم (٢٠٤/٢٦١هـ)، تضمن بغير المكرر نحو ٤٠٠٠ أربعة آلاف حديث صحيح، وبالمكرر نحو ٧٣٠٠ سبعة آلاف وثلاثمائة حديث، أخرجها بعد التحقيق من بين ٣٠٠٠٠٠ ثلاثمائة ألف حديث مسموعة متحريرا فى الرجال والمتون.

٣- سنن أبى داود (٢٠٢/٢٧٥هـ) تضمنت نحو ٤٨٠٠ أربعة آلاف وثمانمائة حديث، لم يقتصر فيه على إخراج الصحيح فقط بل منه الصحيح والحسن، وما دون ذلك اختارها من بين ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة ألف حديث.

٤- سنن النسائى (٢١٥/٣٠٣هـ)، وهى فى مرتبة سنن أبى داود وأقل السنن حديثا ضعيفا.

٥- سنن الترمذى (٢٠٩/٢٧٩هـ)، ويعتبر من أجمع كتب الحديث إذ شمل الصحيح والحسن والضعيف، كما ذكر المنكر وبين وجه إنكاره.

وقد أعقب ذلك اهتمام العلماء بجمع الأحاديث والتدقيق فى تحقيقها حتى روى عن أبى العالية قوله: (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم^(٢١)). وكانوا يتحققون من الرواية فلا يكتفون بالصلاح والأمانة، بل يشترطون الحفظ والضبط والإتقان، ويتشددون فى السؤال عن الراوية وسلوكه وأحواله، حتى يقال لهم: أتريدون أن تتزوجوه، وذلك شعورا منهم بقدر المسؤولية وهو ما عبروا عنه بقولهم: (الحديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم).

وقد أسفر القرن الهجرى الثامن عن ظهور مدونات حديثة فى مختلف بلدان العالم الإسلامى، مرتبة أسانيدھا فى أبواب مع فتاوى الصحابة والتابعين. ومن قبيل ذلك موطأ أنس بن مالك فى المدينة (٩٣-١٧٩هـ)، ومصنفات سفيان الثورى بالكوفة (٩٧-١٦١هـ) وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى بالشام (٨٨-١٥٧هـ)، وعبد الله بن المبارك بخراسان (١١٨-١٨١هـ).... إلخ.

علوم السنة

ولم يمض القرن الثالث الهجرى إلا وقد ظهرت المدونات المستقلة فى الحديث سواء من حيث الرواية (أى إخراج الأحاديث بأسانيدھا)، أو من حيث الدراسة (أى تحقيق الأحاديث من حيث السند ومن حيث المتن).

ويعتبر هذا القرن هو العصر الذهبى لخدمة السنة، حيث وجدنا جهابذة أفذاذا وعلماء

(٢١) المرجع السابق، ص ١٣١.





ذلك جهود علماء المسلمين في خدمة الحديث رواية ودراية، حتى نشأت حول الحديث علوم كثيرة لم يحظ مثلها علم من العلوم.

إلا أن أكثر هذه المؤلفات والتي تعدو الآلاف قد جعلت مهمة الباحث اليوم جد عسيرة. ويزيد الأمر صعوبة أن من الأحاديث ما صحت متونه ولم تصح أسانيده، كما أن منها ما أشكلت متونه وإن سلم من الطعن روايته. كما أنه في مجالات المعاملات مازال يختلط الأمر بين ما قاله الرسول اجتهادا خاصا يحتمل الخطأ كالنهي عن تأبير النخل والفصل في الخصومات، وبين ما قاله رأيا وإرشادا على سبيل النذب لا للتشريع والوجوب كحديث (احفوا الشارب واعفوا اللحى) وبين ما قاله تشريعا ملزما.

وهو الكثير الغالب، وهل هو تشريع خاص مرهون بظروف معينة كحديث (من كان له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يكربها)، أم هو تشريع عام يلتزم به جميع المسلمين في جميع العصور والأمكنة كحديث (من ترك ضياعا فإلى وعلى).

وإننا نجد في كتب الفقه في المذاهب المختلفة لاسيما كتب الحنفية المالكية فالشافعية مئات من المسائل المخالفة للأحاديث المتفق على صحتها مما ورد بصحيح البخاري ومسلم ولا يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين^(٢٤).

٦- سنن ابن ماجه (٢٠٧/٢٧٣هـ) وقد ضمه العلماء إلى الكتب الستة لكثرة زياداته، واشتماله على أحاديث لم تخرج في الصحيحين والسنن.

وقد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج عليها من قبل العلماء الذين جاءوا بعدهم. فعرفت في مجال رواية الحديث الجوامع، والمسانيد، والسنن، والمستدركات، والمستخرجات، والمعاجم، والفهارس... إلخ^(٢٣).

وعرفت في مجال تحقيق الحديث علوم الجرح والتعديل، وعلم تاريخ الرواة، وعلم أصول الحديث، وعلم علل الحديث، وعلم أسباب ورود الحديث وعلم الناسخ والمنسوخ من الحديث... إلخ، حتى لقد أثر عن علماء الحديث قولهم (إن علوم الحديث تشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة، كل نوع منها علم مستقل، لو أنفق الطالب فيه عمره ما أدرك نهايته)^(٢٣).

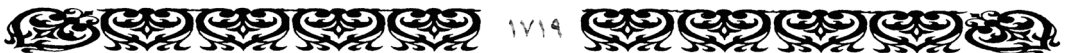
الموقف اليوم

نخلص مما سبق أن السنة باعتبارها المصدر الثاني للإسلام، قد لقيت عناية واهتماما كبيرا على مر الأجيال سواء من حيث الرواية أو من حيث الدراية. فقد ثبت لنا أن جانباً من الحديث قد دون في عهد الرسول ﷺ وبإذنه ثم دون أكثره في عهد الصحابة والتابعين. ثم تضافرت بعد

(٢٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب الحديث النبوي (مصطلحه وكتبه) لفضيلة الشيخ محمد الصباغ، منشورات المكتب الإسلامي ببيروت، طبعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٢٣) انظر تدريب الراوي لجلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩/١٩٥٩، ص ١٤.

(٢٤) انظر فتاوى الشيخ رشيد رضا، تحقيق الدكتور/صلاح الدين المنجد، طبعة بيروت ١٣٩٠/١٩٧٠، صفحة ٢٠٧٢.



أعقبه فريق من المستشرقين بوضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى)، جمعوا فيه كافة الأحاديث النبوية التى وردت بمختلف كتب السنة المعتمدة، ورتبوها حسب الحروف الأبجدية مما يسهل الرجوع إلى أى حديث بمصادره متى عرف أحد ألفاظه، وهو عمل جليل كان أجدى أن يقوم بمثله جماعة من العلماء المسلمين .

وأيا كان الأمر، فإن السلف أحسن الله إليهم، قد قاموا بخدمة السنة وتركوا لنا تراثا ضخما غزيرا يتمثل فى ألوف المجلدات سواء فى مجال الرواية أو مجال الدراية والمطلوب اليوم الاستفادة من هذا التراث بتيسيره لكل طالب .

المطلوب اليوم

وخلاصة القول : إننا نحتاج اليوم إلى صحيح جامع مانع، يجمع كافة الأحاديث الصحيحة .

كما نرجو فى نفس الوقت أن تبوب كافة الأحاديث الصحيحة فى تقسيمات علمية عصرية سواء بحسب الموضوعات أو بحسب الحروف الأبجدية، مع أقرانها بشروح مبسطة متفق عليها، وأخرى مفصلة تعرض مختلف الاجتهادات .

كذلك ثمة أمر جوهري، لم يتم حتى الآن رغم أهميته القصوى، وهو أن ترقم الأحاديث النبوية بحيث يصير لكل منها رقم تعرف به شأن الآيات القرآنية، وذلك تسهيلا للاستفادة والرجوع إليها .

إنه فى مجال الوقوف على السنة، يشير جمهور العلماء بالاكْتفاء بالصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم) . ولكن من المتفق عليه أن الصحيحين لا يحويان كل الأحاديث الصحيحة، فإن فى دواوين السنة العديدة الكثير من الصحاح التى لم ترد بصحيح البخارى أو مسلم هذا إلى أنه من المعروف أن صحيح البخارى ومسلم وإن كانا فيما أوردها هما أصح كتاب بعد كتاب الله، إلا أنهما ليسا معصومين هما وروايتهما من الخطأ ولقد انتقد بعض علماء الحديث كالدارقطنى بعض أحاديث الصحيحين وجرحوا بعض روايتهما، والأحاديث المنتقدة فى البخارى نحو ١١٠ مائة وعشرة منها ما انفرد به ومنها ما أخرجه مسلم أيضا، وما انتقد من أفراد مسلم أكثر مما انتقد من أفراد البخارى (٢٥) .

لقد وضع المستشرق فنسلك بالإنجليزية مؤلفه المشهور (مفتاح كنوز السنة)، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى، وذلك للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب أربعة عشر أمماً فى السّنة وهم البخارى، ومسلم وأبوداود، والنسائى، والترمذى، وابن ماجه، ومالك، وأحمد بن حنبل، والدارمى، وزيد بن على، وأبوداود الطيالسى، وابن سعد، وابن هشام، والواقدى . وقد كتب السيد رشيد رضا فى مقدمة ترجمته (لو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث، لوفر على أكثر من نصف عمرى الذى انفقته فى المراجعة) . كما

(٢٥) انظر فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد الطبعة الأولى ١٣٩٠/١٩٧٠، الناشر دار الكتاب الجديد ببغداد، الجزء الثالث الفتوى رقم ٧٢٩ ص ٢٠٢٨ .

عن النهج الإسلامى مثل القاديانية والبهائية ومزاعم بعض المستشرقين ومن هنا نحوهم من افتراءات وأضاليل حول السيرة والسنة النبوية .

وقد كانت هذه المؤتمرات العالمية للسيرة والسنة النبوية، مبادرات مدروسة للرد على الأفكار الدخيلة التى تندس بالذات فى مراكز الأقليات الإسلامية بالعالم والبعيدة عن مراكز الدعوة الرئيسية كالأزهر بمصر ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . كما كانت هذه المؤتمرات ردا على من كان يدعو إلى الاكتفاء بالقرآن، متناسيا أن السنة النبوية تشكل عمادا أساسيا للمسلمين فهى الشارحة للقرآن والقضايا التى طرحتها آياته وتشكل المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن . كما كانت ردا على من كان يطعن فى الراوى الأول للحديث الصحابى أبوهريرة، توصلا إلى الطعن فى كتب السنة الصحيحة التى أخذت عنه .

وأيا كان الأمر، فقد انتهى المؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبوية المنعقد بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٨٥، إلى ضرورة تشكيل فريق عمل من كبار المحدثين فى العالم الإسلامى تحت إشراف الأزهر الشريف، تكون مهمته إعداد موسوعة جديدة للحديث النبوى تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن أن يعتمد عليها، مع تبويبها وشرحها على الوجه الذى ييسر الاستفادة منها والعمل بموجبها .

خاتمة وتلخيص

إن القضية كما عانىها كباحث فى الاقتصاد الإسلامى . ويعانىها كل باحث فى الجوانب الإسلامية الأخرى المتعددة تلخص فيما يلى :

ومن المعلوم أن ما تقدم لا يتم إلا بعد الاتفاق على كافة الأحاديث الصحيحة سواء من حيث الرواية (السند) أو من حيث الدراية (المتن) .

ولا شك أن هذا العمل الجوهري الذى نطرحه بمختلف أبعاده وضروبه، لا يمكن أن يقوم به فرد، وإنما يوكل إلى لجنة تشكل من أئمة الحديث فى العالم الإسلامى توضع تحت تصرفها كافة الإمكانيات المادية والمعنوية، فهل من دولة إسلامية أو مركز بحوث إسلامى، أو رابطة أو هيئة إسلامية، تتولى هذا المشروع خدمة للمصدر الثانى بعد القرآن، وتيسيرا لنشره وحفظه، وتمكيننا للعمل به .

مؤتمرات عالمية

وهذا الذى نعرض له من حيث الحاجة الملحة إلى موسوعة جديدة للسنة النبوية الشريفة تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن الاعتماد عليها والعمل بمقتضاها دون اختلاف أو تضارب أقوال، كان محل توصية أربعة مؤتمرات عالمية حديثة للسيرة والسنة النبوية . وأولها الذى عقد فى إسلام آباد بباكستان سنة ١٩٧٦ وثانيها فى استانبول بتركيا سنة ١٩٧٧ وثالثها فى الدوحة بقطر سنة ١٩٧٩ وأخرها فى القاهرة بمصر ممثلا فى المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الذى انعقد فى أول نوفمبر سنة ١٩٨٥ فى رحاب الأزهر الشريف وتحت رعاية رئيس جمهورية مصر .

ولقد بدأت فكرة عقد المؤتمرات سالف الذكر، عندما وجد علماء المسلمين أن الدعوة الإسلامية بصفة عامة والسنة النبوية بصفة خاصة تواجه الكثير من الأخطار، لا سيما من الطوائف الخارجة



الشريفة المدونة في كتب أربعة عشر إماماً في السنة كما أعقبه فريق من المستشرقين بوضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي)، جمعوا فيه كافة الأحاديث النبوية التي وردت بمختلف كتب السنة المعتمدة، ورتبوها حسب الحروف الأبجدية بما يسهل الرجوع إلى أى حديث بمصادره متى عرف أحد ألفاظه.

رابعاً: إن ثمة أمراً جوهرياً لم يتم حتى الآن رغم أهميته القصوى، وهو أن ترقم الأحاديث النبوية بحيث يصير لكل منها رقم تعرف به شأنها شأن الآيات القرآنية، وذلك تسهيلاً للاستفادة والرجوع إليها بيسر.

ومن المعلوم أن مثل ذلك لا يتم إلا بعد الاتفاق على كافة الأحاديث الصحيحة سواء من حيث الرواية أو من حيث الدراية.

خامساً: إن إعداد مرجع جامع مانع للسنة النبوية على الوجه الذى أطرحه بمختلف أبعاده وضروبه لا يمكن أن يقوم به فرد، وإنما يוכל إلى لجنة تشكل من أئمة الحديث فى العالم الإسلامى، توضح تحت تصرفها كافة الإمكانات المادية والمعنوية.

حقاً لقد خدمت السنة النبوية فى مختلف العصور وبذل فى سبيلها أجل وأضنى الجهود. ولكنها اليوم تحتاج إلى خدمة أخرى أجل، هى جماع ما سبق بذله من جهود، وهى فى المحصلة اقتطاف ثمرة هذا التراث الخالد العظيم وتيسير الرجوع إليه للخاصة والعامة.

فهل من مجيب؟!

أولاً: أن صحیحى البخارى ومسلم وهما المرجعان الأساسيان للسنة النبوية ولا يحويان كافة الأحاديث الصحيحة بل لأبد من الرجوع إلى مدونات السنة الأخرى من السنن والمسانيد، المستدرکات، والمستخرجات، والمعاجم... إلخ.

ثانياً: إن السنة باعتبارها المصدر الثانى للإسلام. لقد لقيت عناية واهتماماً كبيراً على مر الأجيال سواء من حيث الرواية «السند» أو من حيث الدراية «المتن»، حتى نشأت حول الحديث علوم كثيرة لم يحظ بمثلها علم من العلوم.

إلا أن كثرة هذه المؤلفات التى تعدو الآن الآلاف، قد جعلت مهمة الباحث الإسلامى المتخصص فى غير مجال السنة، جد عسيرة. ويزيد الأمر صعوبة أن من الأحاديث ما صحت متونه ولم تصح أسانيده، كما أن منها ما أشكلت متونه وأن سلم من الطعن رواته.

ثالثاً: إننا لم نبذل جهداً كافياً فى مجال تيسير الرجوع إلى كنوز السنة، وذلك بفهرستها وتبويبها فى تقسيمات علمية عصرية سواء بحسب الموضوعات أو بحسب الحروف الأبجدية مع أقرانها بشروح مبسطة متفق عليها، وأخرى مفصلة تعرض مختلف الاجتهادات.

لقد وضع المستشرق فنسك بالإنجليزية مؤلفه المشهور «مفتاح كنوز السنة»، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى وذلك للكشف عن الأحاديث النبوية



شَهْرُ الصَّيْفِ فِي أَمْسِ تَرَدُّدٍ

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

الحمد لله على نعمة الإسلام وأكرم بها نعمة، الحمد لله على نعمة الإسلام وأكرم بها نعمة، الحمد لله على نعمة الإسلام وأكرم بها نعمة.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

عندما تطأ قدمك أوروبا وترى أهلها وشوارعها بعيون مسلم صادق لا تملك نفسك قلباً ولساناً من ترديد هذه الكلمات تتذوقها وتتلفذ بها حتى في ساعات الضعف البشري وإحساسى بالتفوق الغربي والعجز والتخلف الشرقي كان قلبي يرددتها وعقلي يستوعبها وأحس كأنها تحتويني ألود بها في غدوى ورواحي . كم كان البرد قارساً ومزعجاً لكنني أعجب من حالي كيف أحتمله وأنا القادم من جنوب مصر بل كنت في بعض الأحيان أضيّق بما أتدثر به من الملابس الثقيلة كيف ؟

الحق أني كنت أغلى من هذا التناقض المزعج الذي يمزق عقلي وأحاول أن أجده له تفسيراً فلا أستطيع . تناقض هنا في هولندا وتناقض هناك في مصر أشاهد في أمستردام وألمس الصدق والأمانة والنظافة والنظام والهدوء نعم نعمة الهدوء كأنهم يهمسون وهم يتحركون أو كأن أديبنا العملاق أبو العلاء المعري كان يوجه كلامه إليهم حين أطلق بيته المشهور :

سر إن استطعت في الهواء رويداً

لا اختيالاً على رفاة العباد



قالها أبو العلاء وسمعوها واستجابوا لها ولم نسمعها كأن في آذاننا
وقرا! لم نعباً

وأقول بحق إن هؤلاء الناس سمعوها ووعوها، لا أقول حفظوها أو
نفذوها ولكني أقول كأنهم خلقوا لها.

كنا نقيم في منزل يقع في شارع السوق يسمونه سوق «١٦» وحتى
تتخيل المكان لن أصف لك وأطيل في الوصف باختصار شديد أقول كأنك
في منطقة العتبة وأول شارع الموسكى قلت لرفيقي تخيل لو أننا كنا نقطن
في ميدان العتبة هل يمكن أن يسمع أحدنا صاحبه ونحن نتحدث، وهل
يمكن أن نتقل إلى محل إقامتنا ليلاً بعد نهاية النهار وانصراف الباعة دون
أن نعثر في أكوام القمامة وهل من الممكن أن نتنفس دون أن نستنشق ما
يزكم الأنوف...

السوق هنا يتم تركيبه في نهر الشارع تركيباً محكماً كل محل عبارة
عن خيمة صممت بعناية.. وحتى تحفظ ما بداخلها مع الوضع في الاعتبار
ظروف الطقس السيء وفي المساء في ساعة محددة تماماً يتم رفع الخيام ويتم
غسل الشارع بالمياه ويفتح لمرور السيارات في ساعة محددة كأنك على
موعد لإقلاع طائرة أو تحرك قطار.

دون أن تقصد تتم المقارنة ولا بد أن يرتفع ضغط دمك رغماً عنك لمجرد
أنك إنسان لك عقل مفكر وقلب يدق بل بمجرد أن تهبط من الطائرة
وتدلف إلى المطار تدرك أنك إنسان لك قيمة لمجرد أنك إنسان، وأن كل
شيء منضبط ونظيف، ولا بد أن تسأل نفسك لماذا نحن متخلفون؟ ولماذا
هم لا يسلمون؟.

وأبسط شيء للإجابة بل أصدق شيء في الإجابة أن هناك خللاً في
الغرب والشرق، خلل في الغرب المتقدم مادياً الصادق في المعاملات
التجارية الذي لم يفكر في الذي خلقه لأي شيء خلقه ولماذا خلقه؟

وخلل في الشرق المتخلف مادياً الكاذب المناق في تعاملاته، الغربي
رغم عقله وصدقه بعيد عن الإسلام يرفضه بل يعاديه ويحاربه والشرق
مسلم رغم فشله، واستمرائه الفشل والنفاق والتخلف والخمبول هذا





التناقض المزعج ذكرني على الفور مقالة العلاء بن الحضرمي مبعوث رسول الله ﷺ للمندر بن ساوى أمير البحرين حيث قال رضى الله عنه كأنه اخترق ببصيرته حجب السنين والأعوام كأنه يخاطب الإنسان الغربى فى صلفه وغروره وعمايته وضلاله قال :

يا منذر إنك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة.... إلى أن يقول : «ولست بعديم عقل ولا رأى» فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب فى الدنيا ألا تصدقه ومن لا يخون ألا تأمنه ومن لا يخلف ألا تثق به هذا هو النبى الأمى الذى والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به ينهى عنه، أوليت ما نهى عنه يأمر به، أوليته زاد فى عفوه أو نقص فى عقابه إذ كان ذلك على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر .

تذكرت هذه المقولة الواعية المستنيرة وأنا أتجول فى أمستردام وأدركت على الفور أنا نحن الكارثة التى حلت بالإسلام فليس للإسلام عيب إلا المسلمين، لم نقدم ديننا كما ينبغى له وكما يتناسب مع قيمه ومثله، قدمته فى أحسن حالاتنا كخطب وميكروفونات، ولم نقدمه كسلوك متميز وسيرة حسنة، وخلق كريم .

وفى كثير من الأحيان كان تقديمنا للإسلام يحمل صفة التشردم التى يعانى منها المسلمون فقد مزقناه وجعلنا منه إسلاماً سعودياً وآخر مصرى وآخر شيعياً وهكذا بتعدد دويلات المسلمين مزقنا عالميته وأفقدناه جلاله وشموله، إن الإسلام انتشر فى آسيا وبلاد السند والهند عن طريق معاملات التجار الأمناء الصادقين، ولم تقم حرب، فالسلوك والقدوة هما الأساس ولم تقم حرب واحدة فى إفريقيا السوداء التى انتشر فيها هيناً لدينا وادعاً عن طريق رجالات التصوف والتجار الصادقين أيضاً، بل إن أوروبا وأمريكا ينتشر فيها الإسلام رغم هزيمة المسلمين الحربية والصلف الغربى، فإن الطريق مفتوح أمام الإسلام ليروى الظمأ الروحى الذى يعانى منه المجتمع الغربى فإن الحياة المادية الخالية من كل قيمة والتى مزقت روابط الأسرة تدفع الناس دفعاً إلى أحضان الإسلام لولا حماقات البعض





وشطحاتهم من المسلمين وحقد الإعلام الغربى وعدائه لكن الإسلام بوحدانيته ومبادئه وتواصله قادم بإذن الله فلم تعد الكنائس تقدم للإنسان الغربى ما يروى ظمأه للدين ويشفى غلته للإيمان ويجب علينا أن نتعامل مع الغرب كأطباء نفسيين يتعاملون مع مرضى لا بد من علاجهم مما شوه فطرتهم ومسخهم .

إن ما نراه فى شوارع أمستردام يجعلك تسأل سؤالاً مباشراً - وأرجو أن يسمعه كل مدعى الحضارة ممن يمارس هذا العمل ويروج للإباحية مستتراً أو معلناً بلا حياء أو خجل .

أسأل نفسك ما هو الفارق بين أن تشاهد مجموعة من الحيوانات الأليفة والظريفة تنزو بعضها على بعض فى وداعة وانسجام وبين مجموعة من البشر فى أى شارع من شوارع أوروبا يتهاشون جنسياً هذا التهارش المقيت ويسمونونه حباً هل تجد فارقاً بين الجماعتين؟ كيف بالله؟ ألا توجد وسيلة للتعبير عن الحب غير هذا التهارش القبيح لماذا هم يمارسونه بلا غضاضة أو استهجان .

عجيب أمر هؤلاء الناس كيف هم على هذه الدرجة من الوعى والنظام والأمانة فى تعاملاتهم المادية ، والتخلف الردىء فى الحياة الروحية ، وهذا التناقض جعلهم يتناقضون مع أنفسهم فى كثير من أحكامهم ، والعجيب أن مجموعة القردة المقلدين لهم من بنى جلدتنا يرددون معهم هذا التناقض ، مثلاً يشنون حملة على زواج الصغيرات - ونحن لا نمانع - بشرط أن يكون الحكم متوازناً لكن العجب أن التليفزيون الهولندى فيما بلغنى يوجه نداءً وتحذيراً إلى أمهات القاصرات بأن يذكرن بناتهن بأخذ الواقى الذكرى معهن حتى لا تعود الإبنة حاملاً لن نكلمهم عن الحلال والحرام فإنه يزعجهم ، لكن أسأل جمعيات الدفاع عن المرأة وحقوق الإنسان لماذا تهاجمون زواج القاصرات فى البلاد الإسلامية وتجعلونه جريمة؟ لأنه حلال مسلم؟ ولو أنه تم فى الحرام لكان حضارياً مقبولاً ما هذا الخبل أليست الصبية قاصرة فى الحالتين؟! إن هذا تشويه للفطرة الإنسانية واتباع للشهوات ؛ بل وصل الأمر إلى حد إباحة الزواج مع اتحاد الجنس رجل برجل وأنثى بأنثى! إن هذا تدمير للخلقة السوية

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هلى تحسون فيها من جدعاء»^(٢).

أى كما تلد البهيمة بهيمة كاملة الأعضاء غير ناقصة، سليمة غير مشوهة ثم يحدث التشوه بفعل الإنسان، لقد عميت البصائر وطمست القلوب، لقد توهم الغرب أنه بهذا المنهج الإباحي وصل إلى غايته. لا، إن ما أسماه حرية وخيل إليه أنه سوف يهنأ بها طويلاً فهو مخدوع، الواقع أن النهاية قريبة وسوف ينهار من الداخل ما لم يتداركه العقلاء منهم وعلينا أن نبادر ونجاهد ونسعى حثيثاً فى عرض الإسلام عرضاً مناسباً للإسلام يخالف واقع المسلمين الآن لقد سيطرت الأنانية على الأفراد فى الغرب وحذف الإنسان الغربى من قاموسه كل غاية أخلاقية أو روحية من حياته وأصبح يستهزئ ويسخر بكل ما ليس ربحاً مادياً أو صفقات تجارية.

يوجد فى أمستردام أكثر من ستين مسجداً قام على إنشاءها وعمارتها جالية هولندية مغربية الأصل وجالية تركية والمساجد تذر بالمصلين فى رمضان ويتردد فى جنباتها التهليل والتكبير وقراءة القرآن لكنهم جميعاً - أى المسلمين - عمروا هذه المساجد وملأوها بتشرذمهم واختلافاتهم الثقافية واختلافهم الردىء كأن كل منهم صنع له إسلاماً خاصاً، ولذلك قلت فاعليتهم واستعذبوا التشرذم والخلافات البيزنطية العقيمة تسمع أسئلة عقب الدروس تكاد تجزم بأنها لتزجية الفراغ وسوف نعود لهذا فى مقال آخر إن سمحت ظروف النشر.

وعلى المسلمين أن يتركوا هذا التشرذم والانغلاق الخائف المذعور، ويعلموا أنهم حملة رسالة، وأصحاب دين، وأنهم مطالبون بالعمل الجاد مسئولون عن البلاغ، والبلاغ هداية تنبع من سلوك وليست خطباً ولا عبارات محفوظة تزعجك أكثر مما تأخذ بيدك، وتنفرك أكثر مما تهديك وتبلبل أفكارك أكثر مما ترشدك.

(٢) البخارى ١٢٥/٢، أبو داود (٤٧١٤، ٤٧١٦)، مسند أحمد ٢/٢٣٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣٩٣.

مثلاً قام خطيب في أحد المساجد على المنبر تخيل ما الذى يشغله وأراد أن يشرحه للناس هل هو الحل الإسلامى لمشكلات العالم العربى فى نظره؟ أبداً؛ أو هو تناول مشكلة تخص بنى جلدته من العرب والمسلمين؟ لا، لكن الخطيب أعلن فقال: إذا طلب الرجل زوجته فلا بد أن تطيعه وله إرغامها إذا أبت بالإكراه! هل هذا كل ما يشغل بال الشيخ. وتصور أنه يهم جماعة المسلمين؟! إن الرجل بكل بساطة واستهتار حثا التراب على تراث الإسلام كله فى العلاقة بين الرجل والمرأة بهذه الكلمة! ألم يجد ما يتحدث فيه عن وجوب الطاعة وأنها تبادلية فى البيت للمرأة رأى وللرجل القرار؟ ألم يجد الشيخ فى البيت إلا هذا الجانب القبيح يعالجه وبهذا الأسلوب الفج؟ إن هذا يهدم أكثر مما يبنى. لقد عرف العلماء البلاغة بأنها مراعاة مقتضى الحال، فهل راعى الشيخ الحال ومقتضاها؟ وكيف تسربت هذه العقلية إلى أوروبا؟ بل كيف أنها لم تتأثر بما حولها ومن حولها إن كانت تريد أن تبلغ الدعوة غضة ندية.

ولا أجد ما أقوله لهذا الخطيب إلا أننى أستأذن رسول الله ﷺ وأستعير منه عبارته لما نزل قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (٣).

فقد جاء أحدهم بخيط أبيض وآخر أسود واستمر يأكل ويشرب وهو ينظر إلى الخيطين عله يستبين الأبيض من الأسود حتى أوشك النهار أن يبين وكادت الشمس أن تشرق فلما أخبر المصطفى ﷺ بهذا قال كلمة فيها من البلاغة والتعبير النقى الصادق الرحيم المعبر عن اعتساف صاحبنا للأدلة والقياس والفهم المستقيم قال ﷺ له «إنك لعريض القفا».

ظهر صاحبى تعلوه ابتسامة مأكرة فيها من العتاب والرجاء قائلاً: لم تحدثنا عن هولندا! قلت لماذا ترى النصف الفارغ من الكوب يا صاحبى، أليس فيما قلت حديثاً عن هولندا؟ وعلى أى حال لك هذا فى اللقاء القادم إن شاء الله.



من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة

لأستاذة الدكتور/ زينب صالح الأشوح

بعض الأقلام تنادى بتحجيم الأعداد فى الحج، وتشتد نبرة النداء ويعلو الصوت عندما تنادى بتحجيم العمرة ولا تعدم أن تقدم مزاعم يحسبها الغافل حججا قوية، وأهم هذه المزاعم أن حجم إنفاق المعتمرين يتجاوز المليارات، والاقتصاد المصرى الوطنى فى حاجة إلى هذه المبالغ. ونحن نسلم بأن الاقتصاد الوطنى فى حاجة ماسة إلى ما هو أقل من هذا. لكن من حقنا أن نسأل، هل نفقات العمرة هى الوجه الوحيد الذى يمثل الإسراف، أم أن هناك وجوها أخرى كثيرة تمثل سرفاً وتبذيراً وإتلافاً وتحتاج إلى ترشيد بصورة ماسة، نحن نعتقد أن المسألة خارجة عن التبريرات الاقتصادية، أو عن الدوافع الاقتصادية، إنما هو نوع من تحجيم المساحة الدينية حتى على المستوى الشخصى. وما المسألة الاقتصادية إلا وسيلة لتبرير النقاش وطرح الموضوع.

ومجلة الأزهر تقدم مقال الأستاذة الدكتورة زينب
الأشوح أستاذ الاقتصاد الإسلامى بجامعة
الأزهر يتسم بالرؤية الاقتصادية المستنيرة
لمن يريدون رأى أهل التخصص أو
أهل الذكر ماداموا لا يعلمون.
المجلة



رؤية الكعبة والطواف بها والإتيان إليها من سائر الجهات والأقطار، حتى إن كان ذلك بدون سابق رؤية أو تجربة

﴿فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢).

وفى تفسير ابن كثير، قال الله سبحانه: «من الناس» ليختص به المسلمين فقط، فلو قال (أفئدة الناس) بدون «من» التبعية لازدحم على البيت الحرام فارس والروم واليهود والنصارى وكل الناس.

ويلاحظ أن الحج الذى يعنى قصد البيت الحرام وزيارته عبادة قديمة ظهرت قبل ظهور الإسلام، إلا أنه بعد ظهور الرسالة الإسلامية المحمدية أصبح يأخذ وضعاً أكثر تحديداً فى نطاق المكلف بالقيام به وفى توضيح ما يجب أن يتم من شعائر لإتمامه. وأصبح الحج إلى بيت الله ممثلاً للركن الرابع لدعائم الإسلام الخمسة وذلك كما أوضح الحديث الشريف «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» (٣).

وعلى الرغم من ربط أداء فريضة الحج بالاستطاعة، إلا أنه لا يجوز إنكار تلك الفريضة أو الاستهانة بها أو بأدائها حال تحقق تلك الاستطاعة.

يعتبر الحج إحدى المعجزات التى حظى بها أبو الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام. فقد تمكن بأمر من الله وبفضله وبعبادته من بناء الكعبة التى أصبحت تمثل بيت الله الحرام فى أرض البشر، كما مكنه الله - سبحانه - من دعوة جميع البشر لزيارة ذلك البيت المقدس وهو واقف فى مكان محدد بدون الحاجة للانتقال إلى كل فرد من البشر لتبليغهم تلك الدعوة لا على المستوى المكانى (حيث بلغ دعوته من نقطة مكانية محددة) ولا على المستوى الزمنى (حيث لم تتكرر تلك الدعوة للبشر عبر القرون المتتابعة من الزمان)، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَلَا عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (١).

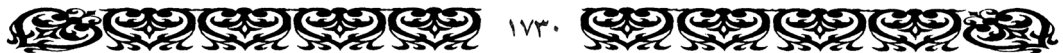
أى ناد فى الناس داعياً لهم إلى الحج إلى البيت الذى أمرناك ببنائه. وقد ذكر أنه قال: يارب كيف أبلغ وصوتى لا ينفذهم؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ. فقام من مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبى قبيس (جبل مكة) وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه. فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب وأجاب كل شئ سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (تفسير ابن كثير).

ونتيجة لتلك الدعوة اللحظية فى المكان والزمان، أصبح كل المسلمين فى حنين دائم إلى

(٢) إبراهيم (٢٧).

(١) الحج (٢٧).

(٣) صحيح الجامع ٢٨٤٠.





﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

وتعتبر العمرة عبادة لصيقة بالحج وسنة لا يمكن إهمال أدائها لكل مسلم رشيد أثناء رحلة الحج أو في رحلة منفصلة عنه. فكل من الحج والعمرة يمثل دعوة من الله لزيارته - سبحانه - في بيته الحرام «الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم» (٥). ومما يدل على الأهمية البالغة للعمرة أنها يمكن أن تعدل (حجة) إذا ما تم تأديتها في وقت معين هو شهر رمضان وذلك كما أوضح الحديث الشريف «عمرة في رمضان تعدل حجة» (٦).

ويتضمن الحج والعمرة منفعة مزدوجة مؤكدة يتمثل أحد جانبيها في المنفعة الروحية ويتمثل الجانب الآخر في المنفعة المادية.

فيما يتعلق بالمنفعة الروحية لأداء الحج والعمرة والمداومة عليهما، توطيد الصلة بالله - عز وجل - والشعور بمزيد من الاقتراب النفسى من الخالق مع تدعيم الجانب التفاؤلى للإنسان من خلال الأدعية التى وعد الله سبحانه وتعالى أن تكون مستجابة فى مكان الحج الطاهر «الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم».

ومن الثمار الروحية العظيمة للحج والعمرة تكفير ذنوب من يقوم بتأديتهما «أديموا الحج

والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد» (٧) ويلاحظ أن الحديث الشريف هنا يتضمن منفعة اقتصادية أيضاً ستم الإشارة إليها فيما بعد.

كما أن أداء الحج والعمرة والمداومة عليهما يمثلان وسيلة واقية من التخطى فى بحور الشرور والغرق فى بحور الآثام خاصة إذا ما امتدت بطوفانها إلى غالبية المجتمع وفى نفس الوقت فهما يعتبران علاجاً مقوياً لضعاف النفوس والإرادة أمام إغراءات الحياة ومساعداً لمن يداوم على إقامتهما على النجاح فى مقاومة تلك الإغراءات الدنيوية والثبات بمزيد من القوة والجدية على الطريق المستقيم. وتؤكد تلك المعانى والمنافع من قول الرسول ﷺ: «الحج جهاد كل ضعيف» (٨)، وذلك قوله - ﷺ: «عبادة فى الهرج والفتنة كهجرة إلى» (٩). فالمسلم الحريص على إرضاء ربه، يهرع إلى بيت الله من وقت لآخر لائذاً بذلك المكان المقدس الطاهر فى محاولة لإعادة شحن (طاقته الروحية) وتقوية نفسه البشرية على اجتياز بحور المفاسد والفتن المحيطة بسلام.

والواقع أن الإنسان الطبيعى هو من يتمتع بتوازن فى الجوانب الروحية والمادية المكونة له، بل إن تعاضد الجانب الروحى لديه يتيح له فرصة السمو إلى عالم المثاليات الذى يكسبه حب الله والناس أيضاً حيث إن الهدف الأساسى من خلق الإنسان هو أن يعبد الله:

(٥) صحيح الجامع (٣١٧٣).

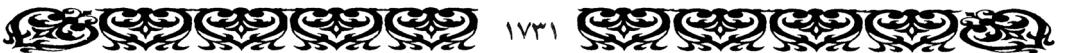
(٧) صحيح الجامع (٢٥٣).

(٩) صحيح الجامع (٣٩٧٤ - ١٤٧١).

(٤) آل عمران (٩٧).

(٦) صحيح الجامع (٤٠٩٧).

(٨) صحيح الجامع (٣١٧١).



﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١٠).

ومن ثم، يعتبر الحاج والمُعتمر مستهلكاً رشيداً لأنه يوجه جزءاً من نفقاته للوفاء باحتياجاته الروحية - التي تمثل إحدى الحاجات الأساسية لبقائه الإيجابي الفعّال في الحياة - كما أنه ينجح في تعظيم المنفعة التي يحصل عليها من أدائه للحج وللعمرة برضوان ربه والفوز بالجنة الخالدة «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (١١)، مع التخلص من كثير من الأمراض النفسية والاجتماعية وإعادة الشحن الروحي للبشرية، الذي يساعد أيضاً في التخلص من كثير من الأمراض البدنية أيضاً، والتي غالباً ما ترتبط بالأمراض النفسية. وكل هذا سيساعد على زيادة الإنتاجية والإنتاج لكل حاج ومُعتمر مما سيعود على المجتمع ككل بزيادات تراكمية في الإنتاج والدخل لمجموع مواطني المجتمع من هؤلاء الحاج والمُعتمرين وكل من يرتبط اقتصادياً بهم حتى من غير الحاج والمُعتمرين.. كل هذا، بنفقات يسيرة نسبياً وأقل كثيراً مما يتم الحصول عليه من منافع تراكمية متعددة لأداء العبادة المذكورة. ومن هنا نجد أنفسنا متواجدين - تلقائياً - في ميدان المنافع الاقتصادية للحج والعمرة.

وتستقبلنا أول بشرى اقتصادية لكل فرد يحرص على أداء الحج والعمرة والمداومة عليهما وهي وعد - الله سبحانه وتعالى - له بتخليصه من مشكلة الفقر إذا كان يعاني منها حيث يؤكد

على ذلك الحديث الشريف الذي سبقت الإشارة إليه وهو «أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». ويمكن من ذلك الحديث أن نلتقط درساً آخر مستفاد يكمن بين المعاني والكلمات وهو أن الإنفاق على تلك الرحلات المقدسة لا يمكن أن تتسبب في نقصان ما يمتلك مؤديها من أموال كما هو الحال عند التصديق «ما نقصت صدقة من مال...» (١٢)، بل إن أداء تلك العبادات تعتبر في الواقع وسائل وأسباب لزيادة ما يمتلكه مؤدوها من أموال وغيرها طالما أن أدائها يكون لوجه الله وفي سبيل تدعيم الصلة به - سبحانه - وصدق الله العظيم في وعده الذي جاء بذلك المعنى حيث قال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣).

ولأن مكة (البلد الحرام) لا توجد فيها زروع ولا أشجار مثمرة لطبيعة أرضها الجدباء، فقد جعل الله - سبحانه وتعالى - رحلات الحج والعمرة وسيلة لجلب الثمرات من كل بلدان العالم (الوافد منها الحاج والمُعتمرون)، وضمن الله - سبحانه وتعالى - استمرارية ذلك الخير على مكة بأن جعل أفئدة الناس من المسلمين تتعلق دائماً بالبيت الحرام ويتوق أصحابها لزيارته على الدوام:

(١١) صحيح الجامع (٣١٧٠).

(١٢) البقرة (٢٦١).

(١٠) الذاريات (٥٦).

(١٢) صحيح الجامع (٥٨٠٩).



﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ

وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الشَّعْرِتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (١٤).

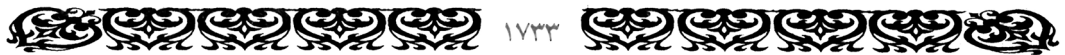
موجبة إلى الدخل القومي من ناحية، وتخفيفاً
لبعض أعباء الدولة والتزاماتها تجاه الفقراء.

وما من شك في أن تخفيف حدة الفقر
والأمراض الاجتماعية سوف يساهم في
التخفيف من حدة الصراعات داخل المجتمع
الواحد مما سيساعد - بدوره - على الإقبال على
العمل التكملي والنشاط المهني المنتج بمزيد من
الفعالية والجدية.. والانتعاش، مما ينعكس بدوره
على تحسين جديد في أحوال الأفراد ثم أحوال
المجتمع وبالتالي يصبح المجتمع الذي كان أسيراً
لحلقات الفقر المفرغة، في وضع مضاد إيجابي
ينقله إلى القدرة على السير في حركة اقتصادية
دائرية إيجابية.

وبتصويب نظرة اقتصادية أكثر تعمقاً
لرحلات الحج والعمرة يمكن أن يتضح أن
تلك الرحلات يمكن - إذا ما أحسن
استغلالها - أن تصبح وسيلة للنهوض
بالمجتمع الإسلامي ككل ونقله إلى مصاف
الريادة الدولية والدخول بثقل تكتلي أكبر
وأقوى في سوق العالم التنافسية. ففي ظل
العولمة والتكتلات الاقتصادية الكبرى
والمنذرة بالتهام اقتصاديات الدول الضعيفة،
ومع حدوث تلك الحروب البغيضة التي
تستهدف المجتمع الإسلامي في كل بقاع
الأرض، تبرز أهمية رحلات الحج والعمرة
كملتقى إسلامي ضخم بين المسلمين من
جميع جنسيات العالم وبقاعها، حيث يعتبر
كل وفد سفيراً لبلاده وممثلاً لها كما تضم

وبناء على ما تقدم، فإن رحلات الحج والعمرة
تعم بفوائدها الأفراد القائمين بها، والبلد
والوافدين إليها، كما أن هناك منافع اجتماعية
تعود على مجتمعات الحجاج والمعتمرين أيضاً
حيث تلك المجتمعات - كغيرها من دول العالم
الأخرى - أصبحت تئن وتتوجع من الأمراض
الاجتماعية والأخلاقية المتفاقمة التي تهدد أمن
تلك المجتمعات واستقرارها الاقتصادي والسياسي
والاجتماعي (مثل أمراض الإدمان وسرقة الأموال
العامة والبلطجة والقتل اللامبرر حتى لأفراد
الأسرة)، فإن الحج والعمرة يساعدان على القضاء
على مثل تلك الأمراض التي قد يكون بعض
الحجاج أو المعتمرين قد أصيب بها، وذلك
يساعد ليس فقط على اتقاء شرورهم وتجنب
أذيتهم لمجتمعاتهم، بل إنهم قد يصبحوا دعاة
صالحين وفعالين للخير مما يمكن أن يساعد على
هداية كثيرين آخرين في مجتمعات هؤلاء
الحجاج والمعتمرين.. فإن الخير ينتشر بين الناس
من خلال النصح والإرشاد والرغبة في الاقتداء
والاستفادة من التجارب العلاجية الفعالة لبعض
نظرائهم!

كما أن تخلص حجاج ومعتمرى كل مجتمع
(وفقاً لوعد الله - سبحانه - الذي أوضحناه في
الحديث الصحيح السابق الإشارة إليه)، يعني زيادة
دخولهم التي تمثل في إجمالها - وبدورها - إضافة





من خلال الوفود
المرسلة من قبلها
وذلك من خلال
سوق تجارى منظم
يتم إلحاقه والعمل به
بعد الانتهاء من
المراسم التعبدية
للحج والعمرة وذلك
قياساً على السعى
الاقتصادى الذى

دعا إليه الإسلام
بعد صلاة الجمعة

من الذى يمكنه أن يمنع مثل هذا الرجل من الاستمتاع باداء فريضة الحج والعمرة؟!

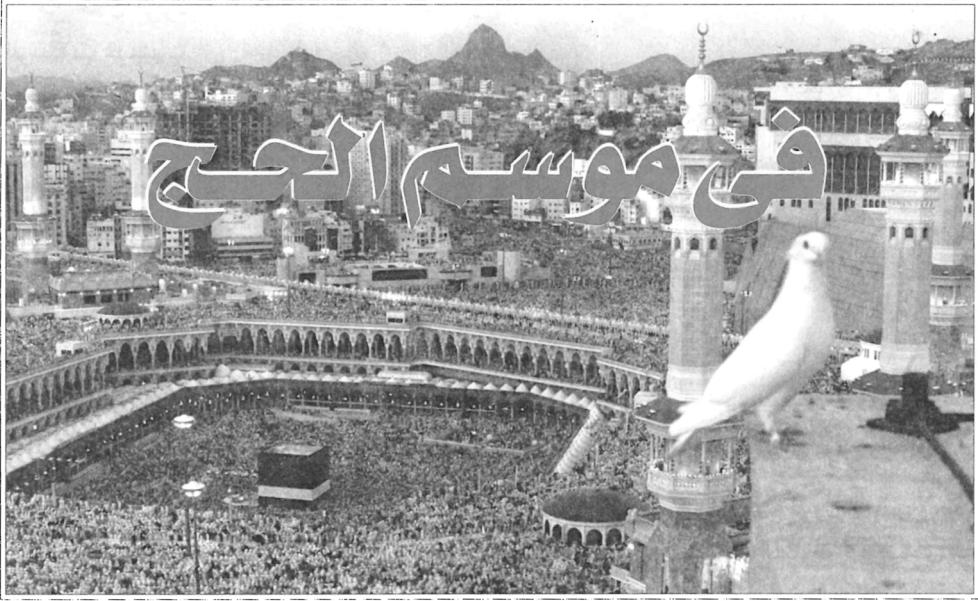
بالروابط الأخوية والروحية لدول العالم الإسلامى،
ولكنها بدافع المصلحة والسلوك الاقتصادى الرشيد
العقلانى قامت بإنشاء تلك العملة، ونجحت فى
التعامل الفعلى بها كوسيلة دفاعية ضد افتراس
الدولار، وأيضاً كوسيلة إنمائية لقوتها (التكتلية)
الاقتصادية والاجتماعية، وفرض هيمنتها - هى
الأخرى - وهويتها الذاتية ككتلة متوحدة المصالح
فى عالم التنافسية المفترس .

من كل ما سبق، تتأكد أهمية تنشيط رحلات
الحج والعمرة والتوسع فيها باعتبارها وسيلة فعالة
للتنمية البشرية، ولتوجيه مزيد من الاهتمام
لاستثمار وتنمية الجوانب الاقتصادية الاستراتيجية
لتلك الرحلات والتى قد تكمن فيها إحدى وسائل
إنقاذ العالم الإسلامى من الفكاك المختلفة - كل
هذا، مع مزيد من التخطيط والتنظيم والترشيد
العلمى المدروس بدقّة والمتناسق بين الدول
الإسلامية محل الاهتمام والاعتبار .

(التى تمثل - بدورها - إحدى صور التجمعات
البشرية الإسلامية التعبدية بل والاقتصادية أيضاً ولكن
على المستوى المحلى) وذلك كما قال سبحانه :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا
فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (١٧) .

وبذلك يمكن للحج والعمرة المساهمة فى
إنعاش سوق السلع والخدمات المعروضة من قبل
العالم الإسلامى مع زيادة حركة العملات الإسلامية
لبلدانه مما يساعد - بالتالى - على مداواة بعض
العملات الإسلامية الهزيلة والتمهيد لخلق عملة
إسلامية موحدة وقوية يمكنها الوقوف - بثبات -
أمام العملات الشرسة المفترسة مثل الدولار
الأمريكى المستخدم كأحد أدوات الهيمنة الرئيسية
على العالم مما أدى إلى تفشى ظاهرة (الدولار) ،
وال يورو الأوروبى الذى يمثل صورة مشرفة لتعاون
عدد كبير من دول لا ترتبط لغوياً ولا تتمتع



فى موسم الحج

للأستاذ / محمود غنيم

نظم الشاعر هذه القصيدة عند
أدائه فريضة الحج سنة ١٩٦٨ .

باب النبى وبابه لا يقـفل * * * إن النبى مدى الزمان مـبـجـل
المؤمنون بكل أرض إخـوة * * * وينصـرهم نطق الكـتاب المنـزل
إن كان حاضـرهم تجهم حـقبة * * * فلهم بـفضل الوحـدة المـستـقبـل^(١)
سيسود آخرنا بـفضل وقوفنا * * * صفـاً، كما سار الرـعـيل الأوـل
ويقيننا فى الله خير عـتـادنا * * * وعليه فى قهر العـدا نـتـوكل
وسلاحنا الماضى وسيلة نصـرنا * * * لسنـا بغير سـلاحنا نـتـوسـل
لاتبسطوا للغرب، يا قومى، يداً * * * للغرب طرف فى السـياسـة أحـول^(٢)

(١) تجهم: عيس وكشر.

(٢) طرف أحول: يكنى به عن النظر غير المستقيم؛ لخداع الشعوب.



إِنَّا لَنُشْهِدُ أَهْلَ بَدْرِ أَنَّنَا ** فِي النُّصْرَةِ أَوْ نِيلِ الشَّهَادَةِ نَأْمُلُ
 وَيَقُولُ قَائِلُنَا لَدَى اسْتِشْهَادِهِ : ** يَالْيَتَنَى فِي كُلِّ يَوْمٍ أَقْتُلُ !
 جَسَدُ الشَّهِيدِ إِلَى جِوَارِ اللَّهِ فِي ** عَدَنَ، عَلَى أَيْدِي الْمَلَائِكَةِ يُحْمَلُ
 رَجُلُ الْعَرُوبَةِ مِنْ قَدِيمٍ فِي الْوَعَى ** أَسَدٌ، وَأَنْشَاهَا لِبَاءً مُشْبِلٌ (٣)
 أَسْلَفْنَا فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ لَهُمْ ** تَارِيخُ مَجْدٍ بِالدِّمَاءِ مُسَجَّلُ
 لَسْنَا بِأَمْجَادِ الْأَوَائِلِ نَكْتَفِي ** لَكِنْ كَمَا فَعَلَ الْأَوَائِلُ نَفْعِلُ (٤)
 عَنْ ثَالِثِ الْحَرَمِينَ نَدْفَعُ عُصْبَةً ** دَخَلَتْهُ كَالْمَكْرُوبِ إِذْ يَتَسَلَّلُ
 وَعَرَوْقُنَا تَغْلَى بِهِنَّ دِمَاؤُنَا ** فَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ عَرَقٍ مَرَجَلُ
 هُمْ أَشْعَلُوا فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى اللَّطَى ** فَلْيَحْتَرِقْ بِشُؤَاطِهَا مَنْ أَشْعَلُوا
 شَعْبٌ تَحَامَتَهُ الشُّعُوبُ، يَكَادُ إِنْ ** حَمَلَتْهُ أَرْضٌ تَحْتَهُ تَتَزَلْزَلُ
 مُتَفَرِّقٌ فِي الْخَزَايَا، مَعْرُوقٌ ** رَكَبَ الْحَضَارَةَ، لِلْفَسَادِ مُسَبِّلُ
 حَصَادُ مَالِ الْعَالَمِينَ بِكُلِّ مَا ** يُنْدَى الْجَبِينُ، كَأَنَّمَا هُوَ مِنْجَلُ
 سَلْ أَرْضَ يَثْرِبَ عَنْ يَهُودِ قَرِيطَةَ ** وَبَنَى النُّضِيرَ، يُجِبِّكَ كَيْفَ اسْتَوْصَلُوا
 عَرَفَ الْيَهُودَ مُحَمَّدٌ؛ فَأَبَادَهُمْ ** مَا ضَرُّ لَوْ بِمُحَمَّدٍ نَتَمَثَّلُ ؟
 وَلَسَوْفَ نُسْأَلُ عَنْ تَرَاثِ مُحَمَّدٍ ** مَاذَا يَكُونُ جَوَابُنَا إِذْ نُسْأَلُ ؟

(٣) اللبابة: لغة في اللبوة بسكون الباء ويفتح اللام وكسرهما، وقد تهمن، وتضم الباء أيضاً، وفيها اللبنة واللب: الأسد.

(٤) تأثر غنيم في هذا البيت بقول أحد القدماء:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرِمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَكَلَّمُ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي، وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا



يَأْمَنُ بَبَيْتِ اللَّهِ طَافُوا سَبْعَةً ** وَتَنَسَّكُوا فِيهِ، وَفِيهِ تَبَتَّلُوا
 أَعْلَمْتُمَا - وَقَدْ اسْتَبِيحَتْ أَرْضَكُمْ - ** أَنْ الْجِهَادَ مِنَ التَّهَجُّدِ أَفْضَلُ؟
 قُولُوا لِقَوْمِي: إِنَّ ذُؤْيَانَ الْفَلَاحِ ** عَبَثَتْ بِهِمْ فَعَلَامَ قَوْمِي عَجَلُوا؟
 الْيَوْمَ قَدْ دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَنَا ** وَغَدًا عَلَيْنَا فِي الْخِطَابِ يَدْخُلُ
 إِنِّي لِأُطْلِقُهَا بِمَكَّةَ صَرْخَةً ** مَشْبُوبَةً، فِي الْمَشْرِقَيْنِ تُجْلَجَلُ
 حَمْلُ السِّلَاحِ الْيَوْمَ صَارَ فَرِيضَةً ** وَالزَّحْفُ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ مُكْمَلُ
 مَنْ رَاحَ يَبْذُلُ نَفْسَهُ أَوْ مَالَهُ ** فَلَدِينَهُ وَلِعَرْضَهُ مَا يَبْذُلُ
 لَا كَـلَّـنَ مَنْ أَمِنَ عَلَى أَوْطَانِهِ ** بِأَعَزِّ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ يَبْخُلُ
 لَا كَـلَّـنَ مَنْ أُمِرَ لَا يَرْتَدِي ** بِمَلَابِسِ الْمِيدَانِ إِذْ يَتَحَلَّلُ
 لَا كَـلَّـنَ مَنْ أَمَّ أَوْ أَبَ ** أَوْ طِفْلَةٍ فِي مَهْدِهَا يَتَعَلَّلُ
 لَا كَـلَّـنَ مَنْ أَبْنَاءَ يَعْرِبُ مِنْ يَنَى ** وَيَقُولُ إِنِّي عَاجِزٌ أَوْ أَعَزَّلُ
 مَنْ لَا يُغَيِّرُ بِمَدْفَعٍ، وَذَخِيرَةٍ ** تَكْفِيهِ فَأَسْ إِذْ يُغَيِّرُ وَمَعُولُ
 لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيُّ مَعْنَى الْيَأْسِ فِي ** خُطْبٍ وَلَا هُوَ فِي الشَّدَائِدِ يُعْمَلُ
 إِنْ كَانَ يَجْمَلُ فِي الْحُرُوبِ صَمُودُهُ ** فَصَمُودُهُ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ أَجْمَلُ
 إِنْ مَرَّ بِالْعَرَبِيِّ يَوْمٌ عَابِسٌ ** فَأَمَامَهُ: يَوْمٌ، أَغْرُ، مُحَجَّلُ



مواقف
إسلامية

غزوة بنى المصطلق.. وتربيتها للأمة بالهداية

للمستاذ الدكتور / محمود عمارة

بعد غزوة الأحزاب .. ظهرت قوة المسلمين بهذه الانتصارات المتعاقبة .. على قريش .. ثم على التحالف

الباغي بينها وبين القبائل .. إلى جانب ما كان من إجلاء يهود بنى النضير.

وتأكد لأعداء الإسلام أن السيف لن يحسم المعركة مع المسلمين. فغيروا خطتهم ولجأوا إلى الحرب النفسية سبيلاً إلى النيل من الإسلام والمسلمين. وذلك:

أ - بالتفرقة العنصرية، وإثارة النعرة القبلية.

ب - الإساءة إلى مقام الرسول ﷺ.

ج - زعزعة الأسرة المسلمة التي هي ركيزة القوة.

و كانت غزوة بنى المصطلق مسرحاً لهذه الحرب النفسية الماكرة.

نظرة عامة على الغزوة

لم تكن غزوة بنى المصطلق ساخنة المواجهة كغيرها من الغزوات السابقة. ولكنها كانت معركة من لون آخر.. كشفت للمسلمين أسلحة أخرى في حوزة أعدائهم لا تقل خطراً عن السلاح الأبيض إن لم تكن أشد منه خطراً.

إثارة العصبية القبلية

بعد هزيمة بنى المصطلق .. حدث أن أجيرا لعمر بن الخطاب من بنى غفار اقتتل مع حليف للخزرج من جهينة. فصرخ الجهنى:



فرد عليه ﷺ قائلا:

« لا.. فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.. ولكن أذن بالرحيل ».

معنى الإذن بالرحيل

مشى الرسول بالناس يومهم ذلك . حتى أمسى . وليلتهم حتى أصبح . وصدر يومهم ذلك . حتى آذتهم الشمس .. ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقفوا نياما .

لقد كانت الشقة بعيدة .. ووقدة الحر تلسع الوجوه .. ومن ثم فلم يكن هو الوقت المعتاد للسفر . لكنه ﷺ أراد إسكاتهم عن الخوض فيما لا يفيد .. فرارا بهم من كيد الشيطان .

وكانت لفتة تربوية نبوية شغل بها النفوس بما يفيد .. ليصرفها عما لا يفيد .. لأن النفس لا بد مشغولة بأمر ما .. فإذا لم نشغلها بالحق شغلت بالباطل . وذلك قوله تعالى :

﴿ فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ (٣)

وما أكثر ما نرى اليوم فى صفوف شبابنا .. وكيف ساعدهم الفراغ والزهد فى العمل على القيل والقال .. ولو شغلناهم .. لكفيناهم .

الآيات تحسم القضية

ونزل قوله تعالى :

يا معشر الأنصار . وصرخ الأجير يا معشر المهاجرين . وبدأت المؤامرة عندما غضب عبدالله بن أبى بن سلول فقال : أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ليس الأمر إلا كما قيل « سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ » . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم : أحللتموهم بلادكم . وقاسمتموهم أموالكم . أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم» (١) .

وهكذا تحرك الحقد القديم فى قلب ابن سلول .. وبلغ به الغرور حد الاستعلاء على المؤمنين .. بل على شخص الرسول ﷺ . ثم بلغ به الحسد أن أشار على قومه بقطع المعونة الاقتصادية عن المسلمين وفرض العزلة عليهم حتى ينفضوا .. محركا بذلك كله حمية الجاهلية فى صدور أتباعه .

موقف الرسول ﷺ

أثرت كلمة ابن سلول فى القوم الذين أسرعوا بسيوفهم . وكادوا يقتتلون .. وكل فريق يدعو بدعوى الجاهلية . وأسرع ﷺ فصاح فى الناس : « دعوا هذه الكلمة .. إنها منتنة » (٢) .

واستجاب الناس لرسول الله ﷺ .. لكن تمادى ابن سلول أثار حفيظة المسلمين وعلى رأسهم عمر -رضى الله عنه- الذى اقترح عليه ﷺ أن يقتله جزاء مقالاته الآنفه وقال :

« يا رسول الله مُرَّ عباد بن بشر فليقتله وليأتك برأسه » .

(٢) رواه البخارى .

(١) راجع السيرة النبوية للندوى ٢٠٣ وما بعدها .

(٣) يونس (٣٢) .



وفى تعليل ذلك يقول الابن:

فوالله ما علمت الخرج ما كان لها من رجل أبر
بوالده منى . وإنى أخشى أن تأمر غيرى فيقتله فلا
تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس
فأقتله . فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار» .

فقال ﷺ : « دعه . فلعمري لنحسن صحبتته
ما دام بين أظهرنا »

ونلمح عاطفة النبوة التى لا تتنكر بحال إلى
من كان سببا فى وجودها .. وهو الأب .. ولا
تقطع الصلة نهائيا .

فعلى رغم أن عبدالله الابن يحتفظ بولائه
لدينه الذى رجع على أبيه .. إلا أن وشيجة
القربى ما زالت تعمل فى قلبه .. وها هو ذا
يخشى إذا قُتل أبوه بيد غيره أن تدفعه تلك
الصلة إلى العدوان .. ثم الكفران .. وإذا قرر
الإسلام أن يكون ولاية المسلم لدينه أولا ..
سأنه يحتفظ للوالدين بحقهما فى البر الذى
يبقى موصولا .. وإن بقيا على الكفر .

من ناحية أخرى فقد كان موقف الابن أقوى رد
على والد أراد أن يقطع اليد التى امتدت إليه
بالإحسان .. ولا يهز الشجرة إلا فرع منها . وهكذا
تفعل الحكمة الهادية ما لا تفعله الجيوش الجاراة .
وقد ظهر ذلك فيما روى أن النبى ﷺ قال لعمر
ابن الخطاب -رضى الله عنه- بعد أن انكسرت
شوكة ابن سلول وضاعت هيئته بين قومه :
« كيف ترى الآن يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم
قلت لى اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم
بقتله لقتلته .

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّقُونَ قَالُوا أَتَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبِعْكُمْ فَاجْنَنْ أَجْسَامَهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا فَتَنَّا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤْفِكُونَا ﴿٤﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاهُ وَرَأَوْهُمُ
وَرَأَتْهُمُ ابْنُ صُدُونَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ
خَرَّائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ
مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

عندما نحقق بالبين ما لا نحقق بالشدة

أتت الحكمة النبوية أكلها، حين تكفل عبدالله بن
عبدالله بن سلول -وكان مسلما- بعقاب والده المنافق،
كان عبدالله هذا من خيرة صحابة رسول الله فلما سمع
بما حدث من أبيه تبرأ منه . ثم وقف له على باب المدينة .
واستل سيفه . فلما جاء أبوه قال له : والله لا تجوز من هنا
حتى يأذن لك رسول الله ﷺ . فإنه العزيز وأنت الذليل .
فلما جاء النبى ﷺ . أذن له فخلى سبيله . وكان ابنه قد
قال : يا رسول الله : إن أردت قتله فمرنى بذلك فأنا والله
أحمل إليك رأسه» (٥) .



فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري» (٦).

تأملات في الآيات الكريمة

تركز الآيات الكريمة على كشف خبيثة الطابور الخامس من المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون.. تحذيرا للمسلمين من مكرهم وردعا لهم عن الوقوع في حبالهم.

إنهم يضمرون كفرا اختلط بدمائهم فطبعوا عليه.. فلا رجاء فيهم.. وظلمة القلب بهذا اللون الموغلى في النكران حائل بين العقل وبين الفهم والاستنباط.

ومن ثم فقد احتاطوا لأنفسهم حتى لا ينكشفوا. فاتخذوا من الإيمان المؤكدة.. ومن حسن المظهر.. ومعسول الكلام ستارا يحميهم من افتضاح أمرهم.

ومفروض على أمة الإسلام ألا تنخدع بالآيمان ولا بحسن الشارة الخادعة.. فإن الأمر على ما يقول سبحانه:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ (٧).

سر التشبيه بالخشب المسندة

يتساءل الرازي قائلاً: «لِمَ شَبَّهَهُم بِالْخَشْبِ المسندة لا غيرها من الأشياء المنتفع بها؟»

ثم أجاب نقول: لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد في الغير:

الأولى: قال في الكشف: شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب

المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع بها كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع.

وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط. فشبهوا به في عدم الانتفاع.

الثانية: الخشب المسندة كانت في الأصل غصنا طريا يصلح لأن يكون من الأشياء المنتفع بها. ثم تصير غليظة يابسة. والكافر المنافق كذلك: كان في الأصل صالحا لكذا وكذا. ثم يخرج عن تلك الصلاحية.

الثالثة: الكفرة من جنس الإنس حطب. كما قال تعالى:

﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (٨).

والخشب المسندة حطب أيضاً.

الرابعة: أن الخشب المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة والآخر إلى جهة أخرى. والمنافقون كذلك. لأن المنافق أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة أهل الكفر. والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام.

إذن فلا قيمة لهؤلاء المنافقين.. فلا يغرنك قولهم.. واعلم -والأمة معك- أن هذه الأجسام التي تزحم الأفق لو وضعت على محك الاختبار في ساحة المعركة فهم الجبناء الفارون عند كل صيحة.. ولو لم تكن الصيحة عليهم.

وهم بهذه المواصفات لا يصلحون لعمل.. فلا أمل في أن يكونوا معك.. فمحاولة الاستغفار لهم غير مجدية، مهما استغفرت لهم حرصاً منك على هدايتهم.

(٨) الجن (١٥).

(٧) المنافقون (٤).

(٦) راجع كتب السيرة.





شهادة الواقع

والواقع شاهد بهذه الحقيقة مؤكد لها: فهم الذين اقترحوا قطع المعونة الاقتصادية عنكم حتى تجوعوا.. وهم الذين تبجحوا فى شخص رئيسهم ابن سلول الذى زعم أنه الأعز وحده.. مع أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وهكذا ربى الله - تعالى - أمته بالأحداث الحية المباشرة.. ثم يلقنهم دروسا عن أثر الحكمة والسماحة فى صنع المواقف العظيمة.

هذه الحكمة التى تجلت فى موقف الابن من أبيه.. الذى تطوع بقتله فى بيئة كانت العلاقة الأسرية فيها قوية راسخة.. ولكن الإيمان.. جعل البنية للإيمان.. لا للسيف.

خاتمة

يقول صاحب الظلال:

« وننظر مرة إلى الأحداث . ومرة إلى الرجال . ومرة إلى النص القرآنى ، فنجد مع السيرة ، ومع المنهج التربوى الإلهى ، ومع قدر الله العجيب فى تصريف الأمور :

فهذا هو الصف المسلم يندس فيه المنافقون .. ويعيشون فيه - فى حياة الرسول ﷺ - قرابة عشر سنوات .

والرسول ﷺ لا يخرجهم من الصف . ولا يعرفهم الله له بأسمائهم وأعيانهم إلا قبيل وفاته . وإن كان يعرفهم فى لحن القول . بالالتواء والمداورة . ويعرفهم بسيماهم وما يبدوا فيها من آثار الانفعالات والانطباعات .

ذلك كى لا يكمل الله - تعالى - قلوب الناس إلى الناس فالقلوب له وحده . وهو الذى يعلم ما فيها ويحاسب عليه .

فأما الناس فلهم ظاهر الأمر ، كى لا يأخذوا الناس بالظنة . وكى لا يقضوا فى أمورهم بالفراسة ، وحتى حينما عرف الله نبيه ﷺ بالنفر الذين ظلوا على نفاقهم إلى أواخر حياته ، فإنه لم يطردهم من الجماعة ، وهم يظهرون الإسلام ويؤدون فرائضه .

إنما عرفهم وعرف بهم واحدا فقط من رجاله هو حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - ولم يشع ذلك بين المسلمين .

حتى إن عمر - رضى الله عنه - كان يأتى حذيفة ليطمئن منه على نفسه أن الرسول ﷺ لم يسمه له من المنافقين !!؟

وكان حذيفة يقول له :

يا عمر: لست منهم . ولا يزيد !!

وكان رسول الله ﷺ قد أمر ألا يصلى على أحد منهم مات بدا . فكان أصحابه يعرفون عندما يرون الرسول لا يصلى على ميت . فلما قبض ﷺ كان حذيفة لا يصلى على من عرف أنه منهم .

وكان عمر لا ينهض للصلاة على ميت حتى ينظر . فإن رأى حذيفة هناك علم أنه ليس من المجموعة . وإلا لم يصل هو الآخر ولم يقل شيئا .

وهكذا كانت تجرى الأحداث - كما يرسمها القدر - لحكمتها ولغايتها . للتربية والعبرة وبناء الأخلاق والنظم والآداب (٩) .

(٩) الظلال: سورة المنافقون.

وَأَجِبْ لِمُنَّانِي الْمَرْحَلَةَ الرَّابِعَةَ

د. أساذ الكتور / أحمد عمرهاشم

فى هذا المنعطف الخطير الذى تمر به أمتنا، لا يوجد إنسان على ظهر الأرض إلا ويدين هذا العدوان الوحشى على الشعب الفلسطينى.

وقد أدنت هذا العدوان ودعونا الأمة الإسلامية والعربية والعالم المعاصر بأسره وسائر المنظمات العالمية لردع العدوان الإسرائيلى ودحره. ووقوف الجميع على قلب رجل واحد لمواجهة هذا الظلم والظفان. وفى إحدى لقاءاتى فى خطبة الجمعة بالأزهر وضحت الرأى الشرعى فى الأحداث المأساوية التى تمر بها الأرض المحتلة وأن واجب الأمة أن تنهض لردع الظالم ودحره.

وأن الله - تعالى - ينصر الفئة المؤمنة وإن قل عددها وعدها، فعلىنا أن نوثق صلتنا بالله تعالى، ودعوت المجتمع الدولى والمنظمات العالمية وسائر الدول والشعوب للوقوف بجانب الحق، وعندئذ تنادت بعض أصوات تريد الحرب والجهد.. وتمت خطبة الجمعة وصلاة الجمعة بحمد الله - تعالى - ولكن للأسف الشديد طالعنا بعض الصحف المعروفة بالاثارة وبعض القنوات الفضائية لتدعى ما ليس صحيحاً، وتصوغ كلاماً كله من صناعة أصحابه ولم يحدث ولا أساس له من الصحة شكلاً وموضوعاً.

وكان الواجب على الجميع فى مواجهة الفتن التى تموج بها الساحة من جراء التكتل الصهيونى أن يواجه هذا بوحدة فى الصف واجتماع لكلمة الأمة، وألا ينبرى بعض الناس للافتراء على غيرهم، وبدل أن يصوبوا سهام الافتراء إلى العلماء ودعاة الوحدة والجهد، يصوبونه إلى العدو الصهيونى إلى أعداء الأمة لكن للأسف فى أيام المحن تظهر معادن الرجال المخلصين، وتظهر أيضاً ضحالة البلهاء والسفهاء ممن يريدون تفريق الأمة وزعزعة الاستقرار.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، والله يحكم بعده بين الجميع فيما قالوه.. لقد قلت قديماً على لسان المسجد الأقصى:

فلا تطلبوا بالبين حقاً مضياً
فيا أمتى إن لم تذودوا وتدفعوا
فليس بغير النصر ترعى كراماتى
فلا كنتمو أهلاً لتلك الرسالات



عدد المسلمين أقل من الكافرين، وبين أن الكثرة لا تغني عن الإيمان وتوثيق الصلة بالله -تعالى .
فالتمسك بقانون النصر الإلهي، بنصر دين الله -تعالى- يثمر النصر على العدو في المعركة المصرية .

وقد وضع الله -تعالى- موقف رسول الله ﷺ والمؤمنين عندما همّ المشركون بإطلاق الشائعات في صفوفهم لتضعفهم، لقد كان موقف الرسول ﷺ والمؤمنين أنهم واجهوا الشائعات المثبّطة والمغرضة بإيمان لا يتزعزع بالله -سبحانه وتعالى- فحين سمعوا أنهم جمعوا جموعهم قالوا من قلوبهم: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت النتيجة ما أخبر الله -تعالى- عنه في قوله سبحانه:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى ديارِهِمْ لَمَّا نَصَرُوا ۚ وَاللَّهُ دُفُّوا قُرْآنَهُمْ ۚ فَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا مَسْمُوعًا ۚ﴾ (٥)

إنه لا يصح لإنسان يؤمن بالله، أو يدرك ما تمر به الأمة من محن أن يترك ميدان الجهاد والجد إلى العبث والكيد للناس والافتراء عليهم خاصة علماء الإسلام والدعاة .

إننا في مرحلة نحتاج فيها إلى وحدة الصف لا إلى التفرقة، فكلنا نواجه عدواً واحداً فهل يليق بنا أن نتفرق، وأن نعادي بعضنا حتى مع

وإنني أقرر اليوم أن رب العزة -سبحانه وتعالى وضع لنا حقيقة لا مرية فيها وهي أننا لا نخشى من أعدائنا مهما كان عددهم ومهما كانت عدتهم ومهما كان سبقهم التكنولوجي والعسكري، فإنهم لا يعجزون الله القادر على كل شيء قال الله -تعالى:

﴿وَلَا يَحْصِبُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاسْبِقُوا إِلَهُمْ لِأَيُّكُمْ لَا يَعْجِزُونَ﴾ (١)
أي أنهم مهما سبقوا في التقدم العلمي والتحدى الحضاري، فإنهم لن يعجزوا الله القادر المدبر وعلينا حين نقوى معنوياتنا بهذه البشرية القرآنية أن نعلم بأن الله -تعالى- أمرنا بعدها مباشرة أن نعدّ العدة لمواجهة أعدائنا حيث قال سبحانه:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢)

وقد وضع الله -تعالى- لنا قانون النصر الذي لا يتخلف وهو أن نصر دين الله وتعاليم الإسلام فينصرنا الله سبحانه حيث قال جل شأنه:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ﴾ (٣) وقال سبحانه:
﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٤)

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة رائعة للمؤمنين الذين نصرهم الله في غزوة بدر وكان

(٢) الأنفال (٦٠).

(٤) محمد (٧).

(١) الأنفال (٥٩).

(٣) الحج (٤٠).

(٥) آل عمران (١٧٣ - ١٧٤).





ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما تموج به الساحة العالمية من غضبة عارمة على إسرائيل ومن وراء إسرائيل؟!

ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما قدمه شهداء الانتفاضة من عمليات استشهادية؟!

فهل قدموا دعماً للانتفاضة؟ أو خدموا القضية بما قدموه من هزل أو بما افتروه من أكاذيب علينا وعلى غيرنا؟!

ألم يعرفوا أن الجهاد - حين تداس أرض الإسلام - يصبح فرض عين على الجميع وهذا ما أعلنه أكثر من مرة؟

ألم يعلموا أن واجب الأمة مواجهة عدوان إسرائيل المغتصبة؟ إن إسرائيل مارست أبشع صور الإرهاب والقتل الجماعي، والمقابر الجماعية ودفن الأحياء واقترفت من المجازر البشرية ما يندى له جبين الدنيا والتاريخ.

ألا يجب على هؤلاء وأولئك أن ينهضوا بدعوة الأمة كما دعونها إلى الجهاد بالنفس والمال، إننا ندعوهم بمنهج الإسلام الذي يقول:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجِدْ لَهُم مَّا يَنْتَهِى عَنْهُم مِّنَ الْحَرَامِ وَأَنذِرْهُم بِآيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٨).

وتقول لهم لا وقت لهذا الشغب الذي لا يستفيد منه إلا الأعداء، ثوبوا إلى رشدكم وتوبوا إلى ربكم، فما نزل بلاء بالأمة إلا بذنب، ولا يكشف إلا بالتوبة، وعلى الله قصد السبيل، وبالله التوفيق.

الكلمة في العدوان على الناس ومحاولة شحن نفوس الشباب بالتشكيك في وطنه وفي علمائه ورموزه.. ولن ينالوا منا ولا من دين الله، ولا من علماء الإسلام، ولا من مصر الأزهر التي حمت دين الله بأزهرها الشريف أكثر من ألف عام.

إن مصر خاضت أربع حروب وضحت بأكثر من مائة وعشرين ألف شهيد من أجل القدس الشريف وفلسطين، وإن مصر ظلت قبلة العلوم الإسلامية يفد إلى أزهرها الشريف الملايين وستظل ولن يستطيع أعداء الحق أن يطفئوا نور الله بأفواههم، إن إحدى الصحف في بلادنا العربية التي تمثل رمز الإسلام طالعتنا بكاتب يفترى علينا أكاذيب وأباطيل أتعفف عن ذكر الصحيفة والكاتب، وأدع حسابه لله - تعالى - ثم للقانون الدولي الذي يتعامل مع أمثال هؤلاء.

هل هذا يصح؟ ماذا أصاب الناس كتاب عرب ومسلمون يتراشقون بكم من الأقاويل التي لا أساس لها من الصحة، وقنوات فضائية تمطر المجتمعات بالهزل والأفلام الخارجة وتدع قضية القدس وفلسطين، وتنال من العلماء والدعاة بافتراءات تقتنص بعض أكاذيبها ممن يختلقون الإفك والبهتان ما هذا العبث؟ ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما تمر به أمتنا الإسلامية والعربية من موقف جاد تجاه العدوان الوحشي على الأرض المحتلة؟!





انتشار الإسلام بعد السيف بين الحقيقة والافتراء

تأليف
د/ نبيل لوقا بياوي



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين





التوجه بالدعوة خارج الجزيرة

بعد تلك المرحلة الأولى من الجولة التأملية، انتقل الدكتور نبيل بتأملاته ليصحب الرسول ﷺ بعد أن اطمأن إلى أنه لم يعد بين العرب من يخشى منه عدواناً، ولم يعد من اليهود من يتخفى وراء يهوديته - مستغلاً عهد الأمان الذي عقده مع محمد - ويدبر المكائد للمسلمين، ويسعى لاستعداد الآخرين عليهم.

فكشفت له تأملاته أن محمداً ﷺ ما إن فرغ من تلك الحروب المتوالية التي فرضت عليه من أعداء الحق، حتى نهض يباشر واجبات الدعوة إلى الإسلام في نطاق الالتزام الإسلامي بعدم الإكراه على الدخول في الدين، وبالتوسل - في الدعوة - بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فلم يكن أمامه إلا بث الرسل المناسبين والرسائل الملائمة إلى من في مشرق الأرض ومغربها، استجابة لأمره:

﴿قُرْآنًا ذِكْرًا﴾^(١) فأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة، ودحية الكلبي إلى عظيم بصرى - وكانت خاضعة للدولة البيزنطية - وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس في مصر - وكانت كذلك تابعة للروم - وعبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وشجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث أمير غسان، وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي أمير اليمامة، والمهاجر بن أمية الخزومي إلى الحارث الحميري ملك اليمن، وعمرو بن العاص السهمي

بعد تلك المرحلة الأولى من الجولة التأملية المجردة، التي تحمل أعباءها الدكتور نبيل، فصحب الرسول ﷺ منذ مبعثه، مستعرضاً ما قام في وجهه ﷺ من عقبات دبرها المشركون العرب، ثم اشترك في تدبيرها مع المشركين اليهود المقيمون في شبه الجزيرة العربية - خصوصاً في مدينة يثرب - حيث فرضوا عليه المواجهات الحربية، دفعاً لأذاهم، ووقاية من تحزبهم وتدابيرهم، فاضطروه ﷺ إلى أن يشغل عن الدعوة بالمنهج الإسلامي القائم على الموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

فأوضح الدكتور - من هذا الاستعراض - أن مانشب من حرب بينه وبين مشركي مكة، وما نشب من حرب بينه وبين الأحزاب العربية، وما نشب من حرب بينه وبين يهود بني النضير، وبني قريظة، وبني قينقاع في المدينة، وما نشب من حرب بينه وبين يهود خيبر... لم يكن ﷺ في أي حرب من تلك الحروب ساعياً للإكراه على الدخول في الإسلام، ولكنه كان مدافعاً عن النفس، أو مدافعاً عن الدولة، أو حامياً الداعين إلى الإسلام بالحسنى من التعدي عليهم، أو حامياً حرمت المسلمين والمسلمات من الانتهاك، مقررًا بذلك أنه ﷺ - على مدى أكثر من عشرين عاماً الأولى - لم يكره واحداً على اعتناق الإسلام، ولم يشهر سيفه ليقهر أحداً على الدخول في الإسلام، وأن الإسلام - مع ذلك - انتشر في شتى أرجاء الجزيرة العربية.

(١) اللذر (٢).





لم ينتشر إلا بحد السيف، ويؤكد أن وسيلة الرسول ﷺ في الدعوة إلى الإسلام كانت قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة التي انشרכת لها قلوب الكثيرين ممن تسلموا رسائله، ولم يرفض دعوته إلا متعصب، أو حاقد متكبر.

بين السلام والاستسلام

ومن تأملات الدكتور نبيل فيما لابس فتح مكة، وإسلام أهل الطائف تبين أموراً، كان من أبرزها:

أن الرسول ﷺ خرج في السنة السابعة للهجرة ومعه ألفان من المسلمين إلى مكة لأداء العمرة، كما يقضى اتفاق الحديبية في العام السابق، لا يحملون سلاحاً سوى السيوف في أغمادها.

وأن أهل قريش خرجوا من مكة ليدخلها المسلمون لمدة ثلاثة أيام، فطاف المسلمون بالكعبة، ثم سعوا بين الصفا والمروة وفي اليوم التالي صعد بلال إلى سقف الكعبة، وأذن لصلاة الظهر، وصلى الرسول ﷺ بالمسلمين، وبعد ثلاثة أيام غادر المسلمون مكة، عائدين إلى المدينة.

وأن هذه العمرة تركت أثراً بالغاً في نفوس القرشيين، فكانت سبيلاً لدخول كثير من القرشيين في الإسلام، وفي مقدمتهم أشد القرشيين قسوة على المسلمين، مثل خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعثمان بن طلحة الذين توجهوا إلى المدينة، ليعلنوا إسلامهم بإرادتهم الحرة، دون أدنى إكراه، حتى يمكن القول: أن هدنة الحديبية هيأت الفرصة أمام

إلى ملك عُمان، والعلاء الحضرمي إلى المنذر العبدى أمير البحرين.

ومن تأمل الدكتور نبيل في مضامين تلك الرسائل، وما استقبلت به، وما ترتب عليها.. تبين له أمور، من أهمها:

أن جميع الرسائل كتبت بتواضع شديد، يبدى فيها رغبته في اعتناقهم الإسلام بكامل إرادتهم، وعن اقتناع لا تشويه شائبة إجبار أو إكراه، فكان يخيرهم بين اعتناق الإسلام أو الدخول في تعاهد سلام وذمة مع المسلمين يلزمهم دفع مقابل مالى زهيد (الجزية) عن كل فرد يستطيع حمل السلاح، نظير ما تتحمله الدولة الإسلامية من تأمين لهم ولذويهم، ويعفى منه الصبيان والأطفال، والشيوخ، والنساء، والرهبان، وذوو العاهات، والفقراء، والمساكين.

وأن بعض المرسل إليهم ردوا بطريقة مؤدبة، وبعضهم استجاب واعتنق الإسلام عقب تسلمه الرسالة، وبعضهم ردوا رداً فاحشاً غير مهذب، على الرغم من أنه ﷺ لم يتجاوز في رسائله كلها حدود الحكمة والموعظة الحسنة، دون تهديد أو وعيد.

وإن حالة واحدة هي التي اضطر فيها الرسول ﷺ إلى الحرب. وذلك أن شرحبيل بن عمرو الغساني، أمير مؤتة اعترض الحارث بن عمير الأزدي رسول محمد ﷺ إلى أمير بصرى، فقتله، فاضطر ﷺ إلى تجريد حملة لمعاوية أمير مؤتة على فعلته الإجرامية.

وأن هذه الرسائل وما لابسها دليل واضح يدفع مزاعم المستشرقين، ويكذب ادعاءهم أن الإسلام

إن نطق بعبارته السائرة الحازمة « اذهبوا فأنتم الطلقاء » - بما تحمله من كرم خلق، وسماحة نفس، وجنوح إلى السلم - حتى أقدم القرشيون مجتمعين على الدخول في الإسلام، فلم يكن للسيف وحده وجود أو أثر في إقدام القرشيين على الدخول في الإسلام.

وأن فتح مكة، ودخول المسلمين البيت الحرام بدون حرب، وإقبال القرشيين على الإسلام كان من أكبر العوامل التي ساعدت على نجاح الدعوة الإسلامية، وإقبال كثير من القبائل العربية على الإسلام؛ لتيقنهم أن عناية إلهية تقف بجانب المسلمين.

وأن حقد بعض القبائل العربية - وهي هوازن، وثقيف، ونصر، وجشم، وسعد - دفعهم إلى التجمع في الطائف تحت قيادة مالك بن عوف النصرى، ومعالجة المسلمين ومهاجمتهم في مكة قبل أن يصيبهم ما أصاب أهل مكة، فنزل بقواته في وادي حنين شرقي مكة، ليصنع كميناً للمسلمين؛ فلما علم الرسول ﷺ بذلك نهض بجيشه مضافاً إليه ألفان ممن أسلموا من قريش لمقابلة جيوش المشركين، ودفعهم عن مهاجمة مكة والمسلمين، فلما انتصر المسلمون عليهم فروا مع قائدهم إلى الطائف، فتابعهم الرسول ﷺ وقوات المسلمين، وحاصروا الطائف لمدة شهر تقريباً؛ إرهاباً لهم، حتى لا يعودوا لمثلها، ثم فك الحصار، وعاد إلى المدينة.

وقد كان في مقدور الرسول ﷺ أن يطيل الحصار حتى يضطروهم إلى الاستسلام، ولكن لأن غايته كانت رد العدوان فحسب، ولم تكن إكراها على الإسلام، ولا رغبة في الحصول على

هؤلاء القرشيين ليفتحوا عيونهم وقلوبهم على حقيقة الإسلام بعيداً عن ضلال التعصب، وعمى الحقد والبغضاء.

وأن إسلام هؤلاء القرشيين فتح الباب لدخول كثير من القبائل العربية في تحالف مع الرسول ﷺ.

وأن كفار قريش نقضوا اتفاق الحديبية فحرضوا بنى بكر حلفاءهم على قتال بنى خزاعة حلفاء الرسول ﷺ، وأمدوهم بالمال والسلاح والرجال، وسمحوا لهم بانتهاك حرمة مكة التي احتوى فيها بنو خزاعة، وقتل كبيرهم منية الخزاعي.

وأن عمرو بن سالم الخزاعي توجه إلى المدينة مستنجداً برسول الله ﷺ، وطالبا منه مناصرة قومه المحاصرين بمكة والمحتمين بها، كما يقتضى ما بين خزاعة ومحمد ﷺ من عهد، فلم يكن أمامه ﷺ إلا أن يجمع قواته، ويتجه بها صوب مكة ليعاون حلفاءه.

وأن العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ لما توسط بين محمد وزعماء قريش، وعلى رأسهم أبوسفیان، قبل الرسول ﷺ الوساطة، وجنح إلى السلم، فأجاب أبا سفيان إلى طلباته بأن يدخل المسلمون مكة بدون عنف، وأثر التسامح، ونسيان جرائم الماضي، فهو لما يأت لفرض الإسلام بالقوة، ولا للعدوان على القرشيين، ولكن لنجدة حلفائه، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأن حكمة الرسول ﷺ في تعامله مع القرشيين، وعفوه عنهم بدءاً ماران على صدور القرشيين من ظلام وحقد، وركام التعصب، فما



الغنائم ... لم يُدِم الحصار، وعاد أدراجه .

وأن هذا السلوك الحكيم من محمد ﷺ كان دافعا لدخول الكثيرين في الإسلام بكامل إرادتهم، بعد أن لمسوا جنوحه ﷺ إلى السلم رغم ما تحقق له من قوة .

بعد عودة الرسول ﷺ إلى المدينة أدرك أهل الطائف أن جميع القبائل العربية قد أسلمت، ولم يبق على الوثنية سواهم فقرروا الدخول في مفاوضات مع الرسول ﷺ، وأرسلوا إليه عارضين عليه أن يسلموا بشرط أن يترك لهم طاغوتهم (اللات)، فلما رفض إلا الإسلام بدون شروط، استجابوا له، مقررين أن يهدموا طاغوتهم بأيديهم؛ فأرسل معهم عثمان بن أبي العاصي ليعلمهم أمور الدين .

وهذا مما يقرر أن إسلام أهل الطائف وحلفائهم لم يكن لقهر السيف دخل فيه، ولكنهم أسلموا بكامل إرادتهم، ومطلق جريتهم .

فزع الروم من انتشار الإسلام الكاسح

ومن تأمل الدكتور نبيل، والبحث عن الأسباب التي كانت وراء نشوب الحرب بين الروم ومحمد ﷺ، تبين له : أن ذلك بدأ عندما خرجت بعض القبائل العربية من تبعيتهم لهرقل قيصر الروم، ودخلت في الإسلام، فتنبه إلى خطر الإسلام على دولته القائمة على التوسع الاستعماري في بلاد العرب، فقرر التحرك لمواجهة المسلمين، وحشد جيشا كبيرا في بلاد الشام، وذهب به إلى تبوك، حيث انضمت إليه بعض القبائل العربية هناك، فلما علم الرسول بذلك خرج بجيش ضخم من المسلمين لمواجهة الروم

قبل أن يصلوا إلى المدينة، فاضطر الروم بقيادة هرقل إلى الانسحاب ليختفوا داخل الحصون في جنوب الشام، فأقام الرسول ﷺ عشرين يوما في تبوك داعيا القبائل المجاورة للشام إلى الإسلام، معتمدا على الخيارات الثلاثة : الإسلام، أو الجزية مع الدخول في الذمة والأمان، أو الحرب .

وأن والى أيلة (يوحنا بن روية) عقد مع الرسول ﷺ عقد أمان، يلتزم المسلمون فيه لهم ولمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن بحماية أموالهم وأنفسهم، والدفاع عنهم . وتركهم أحرارا يمارسون شعائهم الدينية في مقابل جزية مقدارها ثلاثمائة دينار كل عام .

وصنع أهل جرباء، وأهل أذرح مثل ماصنعه والى أيلة، فعقدوا مع الرسول ﷺ عقد الذمة والأمان، في مقابل جزية قدرها مائة دينار فقط .

وأن الرسول ﷺ - بتلك المعاهدات والمخالفات - تمكن من تأمين الحدود الفاصلة بين المدينة المنورة وبلاد الشام التي فر إليها الروم وتحصنوا بها . . ولكنه - مع ذلك - أدرك أن دومة الجندل المجاورة للشام مازالت مصدر خطر، يتهدد المسلمين، وأن أميرها أكيدر بن عبد الملك الكندي لا يؤمن غدره وتعاونيه مع قيصر ورجاله لمعاودة غزو المدينة، أو التعدي على حلفاء المسلمين، فوجه إليه خالد بن الوليد على رأس قوة من خمسمائة فارس، فلما عاد به أسيرا أعلن إسلامه، وتعهده بأن يكون حليفا للمسلمين، وعونا لهم .

عندئذ اطمأن المسلمون إلى تأمين تلك الجبهة من غارات الروم ومفاجأتهم، فعاد الرسول ﷺ بجيشه إلى المدينة، ليفرغ للدعوة، وتنظيم شئون الدولة الناشئة في أمن وسلام، حيث كانت موقعة





لتمويل النفقات العامة في الدولة الإسلامية، ومن بينها الإنفاق على الجيش الإسلامي .

ولا أدل على ذلك من أن قيمة الجزية لم تكن ثابتة في كل الأحوال، ولكنها تختلف باختلاف الإمكانات المالية لمن تفرض عليهم، ويرجع في تقديرها إلى طاقة الدافعين وقدرتهم، بحيث لا يرهقون، في حدود المصلحة العامة للأمة؛ فكانت جزية أهل جرباء وأذرح مائة دينار مراعاة لفقرهم، بينما التزم أهل أيلة بثلاثمائة دينار .

وأنه ﷺ في عهده مع يهود المدينة اكتفى بالنص على التزام الطرفين - اليهود والمسلمين - بالاشتراك في نفقات الحرب المشروعة .

ومن هذا الفهم للجزية كتب خالد بن الوليد في عقد الأمان لغير المسلمين: «إن منعناكم - أي حميناكم - فلنا الجزية، وإلا فلا» ولذلك رأينا أبا عبيدة بن الجراح يأمر نوابه في مدن الشام برد الجزية لمن أخذت منهم عندما أبلغه نوابه في الشام أنهم غير قادرين على صد قوات الروم والدفاع عن أهل الذمة، وأمرهم أن يعلنوا ذلك .

وأن الجزية كانت تفرض على كل من يستطيع المشاركة في الحرب، فلا جزية على طفل، ولا على امرأة، ولا على شيخ مُسنٍّ، ولا على مريض، ولا على راهب في صومعته، حتى إنه إذا اشترك غير المسلم مع المسلمين في الحرب سقطت عنه الجزية، كما نُصَّ على ذلك في عقود الأمان التي أبرمها الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده .

وقد تنبه بعض المستشرقين لحقيقة الجزية، مثل (آدم ميتز) الذي يقول: «كان أهل الذمة - بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين

تبوك آخر الوقائع التي اضطر ﷺ إلى خوضها لدفع شرور المعتدين من هنا ومن هناك .

ولو كان الرسول ﷺ يحارب رغبة في الحرب، أو لنشر الإسلام بالقوة، أو للحصول على الغنائم، لاندفع وراء انتصاراته تلك، ولأغراه انسحاب قيص الروم مع جيوشه بمواصلة الزحف إلى بلاد الشام، ومحاصرة الجيوش الرومية هناك، ولكنه - وقد دفع المعتدى عن أرضه واطمأن إلى تأمين الدعوة - اكتفى بذلك ليتفرغ للحياة العامة العادية .

الجزية لم تكن عقاباً ولا تعسفاً

ووقف الدكتور نبيل مع تأملاته الجادة المحايدة أمام مزاعم بعض المستشرقين أن الجزية كانت تُفرض عقاباً على من يبقى على دينه ويرفض الدخول في الإسلام ممن يعاهدهم محمد ﷺ، فخرج من تلك التأملات بعدة حقائق توجز في:

أن هؤلاء المستشرقين انساقوا بزعمهم هذا وراء أهوائهم المضللة، فلم يروا الحقيقة في صورتها الوضيئة؛ فهذه الجزية لم تكن عقوبة تُوقع على من لا يدخل الإسلام، ولكنها - في حقيقتها - ضريبة للمشاركة في نفقات الجيوش الإسلامية التي تلتزم بالدفاع عنهم بموجب عقد الأمان؛ فليس من المعقول أن تدافع الجيوش الإسلامية عمن تعاهدهم، دون أن يساهموا في نفقات الجيوش، وليس من العدالة ولا من السماحة أن يجبر غير المسلم على الانضمام إلى الجيش الإسلامي الذي يتحرك لأهداف إسلامية، وهم لا يدينون بالإسلام .

يضاف إلى هذا أن المسلم ملزم كذلك بالزكاة



وهنا.. ينبرى الدكتور نبيل سائلاً - فى استنكار - أولئك المستشرقين الذين يصرون على زعمهم أن الإسلام انتشر بحد السيف: أين هو انتشار الإسلام بحد السيف فى عام الوفود، وما هى الوفود من القبائل على رأسها زعماء القبائل وسادتها يأتون طوعية إلى المدينة المنورة، ويتحملون عبء السفر، رغم وعورة الطرق فى ذلك الوقت، وتوجههم فور دخولهم المدينة لمقابلة الرسول ﷺ بإرادتهم الحرة. يعلنون إسلامهم باسم قبائلهم؟!

ثم يسأل المستشرقين... أيهما أفضل للإنسان: أن يعيش كافراً بأسلوب الجاهلية، أم أن ينضم إلى دين سماوى يهذب السلوك ويعترف بالله واليوم الآخر؟!

فلو أن هؤلاء المستشرقين لم يتبينوا الحقيقة فيما كان قبل عام الوفود، فأى عذر لهم فى غفلتهم عن تلك الحقيقة فى عام الوفود؟!

الرسالة الحمديّة عالمية عامة

ومن تأملات الدكتور نبيل المتأنية المحايدة فى حجة الوداع التى ختم بها الرسول ﷺ حياته.. لاحظ أموراً منها: أن كثرة عدد المسلمين الذين صحبوا الرسول ﷺ - وقد تجاوزوا مائة ألف - دليل واضح حاسم على ما وصل إليه انتشار الإسلام فى أواخر أيام محمد ﷺ بالإرادة الحرة؛ لأنه لا يتصور أحد أن يتوجه أكثر من مائة ألف مسلم لأداء مناسك الحج بدون إرادتهم.

وحمايتهم لهم - يدفعون الجزية كل حسب قدرته، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطنى، فكان لا يدفعها إلا الرجال القادرون على حمل السلاح.

يدخلون فى دين الله أفواجا

وأن إسلام من أسلم لم يكن خوفاً من سيف محمد، ولا فراراً من قيمة الجزية، ولكن جميع من اعتنق الإسلام قد اعتنقه بكامل إرادته الحرة.

وأن جميع المعارك التى فرض على محمد ﷺ أن يخوضها - والتى فرضها على منائوه - كانت سبيلاً إلى التعرف على الإسلام من قرب، والافتناع بأنه الدين الأصلى، وأنه مؤيد من قوة عليا؛ حتى إن فتح مكة وإسلام قريش وغيرهم، وفرار قيصر الروم بقواته الأسطورية.. دفع سائر العرب فى شبه الجزيرة للدخول فى الإسلام أفواجا؛ فما إن وقف العرب فى شتى أنحاء الجزيرة العربية على قوة المسلمين، وانتصاراتهم المتوالية فى جميع المواقع، حتى سارعت كل قبيلة برسالة وفد يمثلها إلى المدينة المنورة ليعلن دخول قبيلته فى الإسلام، وذلك فى أعقاب عودته ﷺ من تبوك فى العام التاسع للهجرة سنة ٦٣٠م، حتى سمي هذا العام عام الوفود، وامتن الله - سبحانه وتعالى - على رسوله أمراً إياه بشكره وحمده على ذلك فى قوله:

﴿ إِذْ أَجَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانَ نَوَّابًا ۝ ﴾ (٢).

(٢) النصر.





بعث برسائل كثيرة إلى الملوك والأمراء في خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الإسلام؛ فأرسل إلى كسرى ملك الفرس، وإلى قيصر إمبراطور الروم، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وإلى النجاشي في الحبشة.. إلى غير كل أولئك.

ووجد أن محمداً ﷺ في رسائله تلك - لم يكن مدفوعاً بحماسة جوفاء، كما يزعم بعض المستشرقين، مثل (سيرتوماس أرنولد)، ولكنه ﷺ أرسلها استجابة لأمر الله - تعالى - في نحو قوله عز وجل:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٣).

وقوله عز شأنه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

وأن ما زعمه المستشرق (وليم مور) من أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف غير الجزيرة العربية فقط، وأنه لذلك لم يفكر في تعميم رسالته ولا عالميتها.. ووجد أن ما زعمه هذا المستشرق لا يمت إلى الحقيقة الثابتة بصلة؛ لأن الرسول ﷺ كان دائم الأسفار للتجارة خارج شبه الجزيرة العربية؛ فقد سافر أكثر من مرة مع عمه بتجارته، ثم بتجارة خديجة بنت خويلد لبلاد الشام وهي خاضعة لقيصر الروم، وظل يشتغل بهذه التجارة حتى نزل عليه الوحي.

وأن عالمية الإسلام تظهر واضحة جلية في فرضه على المسلمين جميعاً أن يلتزموا بالتسامح مع كل

ومن تأمله في تصديق محمد ﷺ في اليوم السابق لوفاته بكل أمواله التي لم تزد على سبعة دنانير.. لاحظ أن في ذلك أبلغ الرد على من يزعمون أن الغرض الأساسي من معارك الرسول ﷺ هو الحصول على الغنائم؛ فإذا كان دافعه ﷺ إلى الحروب هو الغنائم فأين هي تلك الغنائم التي حصل عليها، وقد مات ولم يترك سوى سلاحه وبغلته وتلك الدنانير السبعة؟!

ومن تأمله فيما آل إليه أمر المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية.. لاحظ أن الرابطة القبلية التي كان يقوم عليها المجتمع - بما تنطوي عليه من عصبية عمياء وصراع دائم - قد ضعفت، وحل محلها رابطة الإسلام؛ حيث زالت الحزازات التي كانت تمزق شملهم، واعتصم الجميع برابطة واحدة، فصار المسلمون أمة واحدة، تنتمي إلى دين واحد، وتأتمر بأمر واحد - سواء كان بطريق مباشر، أو عن طريق الولاة - وتخضع لدستور واحد يكفل المساواة بين الجميع، بعد أن كانوا يدينون لرؤساء متفرقين، كل منهم يسير وفق هواه، فأصبحت جميع القبائل ترى في الإسلام رمز وحدتها.

ومن تأمله فيما زعمه بعض المستشرقين مثل (وليم مور) أن عالمية الرسالة المحمدية لم يذكرها محمد ﷺ نفسه، وأن تفكير الرسول ﷺ كان مقصوراً على إسلام القبائل العربية فحسب.. من تأمل الدكتور نبيل في هذا الزعم على ضوء الواقع الحي وجد: أن كلام (وليم مور) يعتمد على التضليل، وخلط الأوراق؛ لأن واقع التاريخ يرفض هذا المنطق؛ ولا أدل على ذلك من أن الرسول ﷺ

(٤) سبأ (٢٨).

(٢) الفرقان (١).





إنسان - مسلم وغير مسلم - لأن دستور المسلمين يأمرهم بأن ينظروا إلى الإنسان بتقديره كائنا مكرما، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، كما فى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٥)

﴿وَأِنْ حَادُّ لَوْكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦).

فلكل إنسان كرامته واحترامه، كما وضع من استجابة الرسول ﷺ لأمر ربه فيما رواه البخارى من أن جنازة مرت على رسول الله ﷺ، فقام لها واقفا، فقيل له: يا رسول الله إنها جنازة يهودى، فقال ﷺ: «أليست نفسا» (٦).

ومن هذا المنطلق كان الرسول ﷺ يعامل غير المسلمين من اليهود والنصارى معاملة حسنة، فكان يبرهم ويكرمهم ويحسن إليهم، ويزور مرضاهم، ويتعامل معهم، فيأخذ منهم ويعطيهم، ويقترض منهم، على ما رواه البخارى من أن الرسول ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله، وقد كان فى وسع محمد ﷺ أن يقترض من أحد أصحابه، ولكنه ﷺ أراد أن يعلم الأمة الإسلامية فيقتدوا به.

كما تظهر تلك العالمية فى نظرة الإسلام المتحضرة إلى مختلف الأديان، حيث يرى أن الاختلاف من فطرة البشر التى فطر الله الناس عليها جميعا، فترك كل إنسان يختار ما يشاء، حتى لو اختار الكفر؛ لأن كل إنسان يتحمل مسؤولية اختياره، وما على الرسول إلا أن يقول الحق، كما فى قوله تعالى:

ولذلك.. وجدنا المسلم الحقيقى الذى يؤمن بمشيئة الله لا يجبر الناس أن يكونوا كلهم مسلمين؛ لإيمانه أن الله لو شاء ذلك لفعل، كما يصرح به سبحانه وتعالى فى قوله:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ (٧).

وقوله عز وجل:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الْأُونُ حُتْلِفِينَ﴾ (٨).

فأين مزاعم المستشرقين من كل تلك الحقائق والأدلة الواضحة على عالمية الإسلام؟!

(٦) أخرجه البخارى.

(٥) الإسراء (٧٠).

(٨) هود (١١٨).

(٧) الكهف (٢٩).

(١٠) يونس (٩٩).

(٩) الحج (٦٨، ٦٩).



الإسلام هو المنقذ

للكَـتَـوَر / صمدى فتوح والى

مصادمة المناهج المادية للفطرة، والتوائها، واستعصائها على القبول، أدركنا سر صمود الإسلام أمام عقائد أهل الأرض جميعاً على مدى تاريخه كله، على كثرة ما لاقى من عقائد الأمم المفتوحة من مكائد ومؤامرات، خرج منها جميعاً بانتصار ساحق وزاد عظيم. ولم تلبث تلك العقائد والنحل أن ذابت، ودخل أصحابها فى دين الله أفواجاً.

لكننا مع علمنا ذلك، وبقيننا، أن الله - سبحانه وتعالى - حافظ دينه، ومتم نوره، ندرك على الجانب الآخر أن لله - سبحانه وتعالى - فى كونه أسباباً وضعها لعباده، بها يتحقق نصرهم، ويتم تمكينهم، من أخذ بها سلم، ومن تركها أهمل وهزم. وهذا العلم بالأسباب، والأخذ بالنواميس الإلهية، هو الذى ضمن لسلفنا الكرام هذا الامتداد المبارك على مساحة الأرض كلها، وما كان لصحة المنهج واستقامته مع الفطرة وحدها أن تنهض بإملائه على الغير، إذا لم تجد من يؤمن به عقيدة، ويطبقه شريعة، ويقىمه نظاماً، ويحملة إلى عباد الله كامل الملامح، واضح السمات. حتى

نعلم أن الموجة الغربية المادية طاغية، وندرك أنها تختلف عن كل الموجات السابقة بخبثها وشراستها، واستكمال أدواتها وأسلحتها.

ونعلم أن أخطر أسلحتها على الإطلاق هو خاؤنا الفكرى وضعفنا العقدى والروحى، هذا الخواء الذى هيا الفرصة لتلك الموجة الخبيثة كى تمتد فى داخلنا وتحتل مساحة واسعة فى رءوس أبنائنا، مما يشكل نوعاً من الغزو الفكرى، الذى يثمر تبعية مهنية، واستذلالاً رخيصاً.

«ونحن نعرف أن هناك جهوداً جبارة تبذل منذ قرون لحصر الإسلام فى دائرة الاعتقاد الوجدانى، والشعائر التعبدية، وكفّه عن التدخل فى نظام الحياة الواقعية، ومنعه من الهيمنة الكاملة على كل نشاط واقعى للحياة البشرية كما هى طبيعته، وكما هى حقيقته، وكما هى وظيفته. ولكننا برغم علمنا بهذا كله، وبرغم إدراكنا بمخاطره، لا نشعر بالخوف على كياناتنا الروحى، وتميزنا العقائدى، لما نعلمه من اتساق منهجنا الإسلامى الإلهى مع حاجات الفطرة الإنسانية التى هى من صنع الله - سبحانه وتعالى - مما يضمن لهذا المنهج حالة من العناق الحميم بينه وبين الفطرة، فإذا أضفنا إلى ذلك



ينهضوا ليدافعوه:

﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (٣)

وعندئذ تصبح تلك المدافعة فريضة على أهل الحق، وضرورة لكى يصلوا بدين الله إلى الناس:

﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤).

وحين يقوم المسلمون بواجبهم تجاه دينهم، إيماناً به، وتطبيقاً لشرائعه، وإقامة لنظامه، سيعظمون فى عين ربهم وتقع مهابتهم فى قلوب أعدائهم، فينصرون بالرعب كما نصر أسلافهم، ويومها لن نحتاج كثير جهد كى نقنع الدنيا بمنهج الإسلام، لأن الفطرة المركوزة فى ضمائر البشر جميعاً تحن له وتنجذب إليه، ولأن الفطرة والمنهج كليهما من صنع حكيم خبير. ويومها لن يملك الغرب بعضلاته وحديده، أن يضاول الإسلام فى معركة ميدانها الفطرة، ومجالها الروح، إذ لن يجد له نصيراً من العقل أو القلب، بينما سينساب الإسلام إلى القلوب انسياباً، ويمتد فيها امتداداً، ويتجذر فيها بقوة، ويضرب فى تربتها بعمق وسنجد من أهل الغرب أنفسهم جنوداً يسبقوننا إلى حمل تلك الدعوة، والجهاد لتوصيل هذا الدين بعد أن يكونوا هم قد غدوا أصحابه والمنافحين عنه والساعين إلى نشره فى العالمين.

يتسنى لهم الاختيار بينه وبين غيره، من مناهج البشر الأخرى. أما قبل ذلك فإنه لا يعقل أن ينتمى إليه أحد، أو أن يبحث عنه من يتلبسون بغيره من نحل الأرض ومللها، التى صنعت مع أصحابها حالة من المعاشية والألفة، لا يسهل فصلها أو تركها إلا بنوع من إيقاظ العقل وتحريره من سيطرة العادة وسلطان الموروث.. وهذا ما سيجعل سدنة الباطل يحرصون على بقاءه، ويقابلون محاولات الإيقاظ والتحرير، بكل ما يملكون من وسائل القمع والإرهاب إبقاءً لسلطانهم، وحرصاً على تألههم فى الأرض من دون الله، وعند ذلك لا مفر من وقوع صدام بين من يحملون أمانة الله وينشرون هديه، وبين من يمتنعون وصول هذا النور للناس. وهذا ما عناه الإسلام بقانون التدافع القائم على الجهاد فى قوله سبحانه:

﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ

ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وهو أمر يتطلب من أهل الحق قوة، تصون حقهم، وتفسح الطريق أمامه، لكى يصل إلى عباد الله ثم للناس بعدها أن يختاروا:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٢).

أما أن تقوم قوة فى الأرض لتحول بين نور الله وبين الناس، فهذا ما ينبغى على أهل الحق أن

(٢) الكهف (٢٩).

(٤) سورة العنكبوت آية ٦٩.

(١) البقرة (٢٥١).

(٣) سورة البقرة ١٩٣.





ثم يطرح الرجل سؤالاً نيابة عن المسلمين جميعاً فيقول: «أين يجب على المسلمين إذن أن يبحثوا عن الباعث الروحي والعقلي الذي هم اليوم في أشد الحاجة إليه؟ ثم يقدم هو الجواب قائلاً:

«إن الجواب على ذلك سهل سهولة السؤال، عنه، بل إنه متضمن في السؤال نفسه. أن الإسلام ليس اعتقاداً بالجنان فقط، ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية... ثم يضيف الكاتب النمساوي المسلم قائلاً: «وفي هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة أو التيارات الثقافية المتعارضة، لا يستطيع الإسلام أن يظل شكلاً أجوف. لقد انقضى نومه السحري الذي دام أجيالاً فيجب أن ينهض أو أن يموت. إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل إلى مفترق طرق. إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه، ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعاً، وهو يستطيع أن يختار الطريقة التي تحمل فوقها هذا العنوان: «نحو المدنية الغربية» ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد، أو أنه يستطيع أن يختار الطريقة التي كتب عليها: «إلى حقيقة الإسلام». إن هذه الطريقة وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حي» (٦).

ولن يكون غريباً يوماً أن يخرج من أمريكا من يصنف لنا أحاديث المصطفى ﷺ ويحفظها بأحدث الأجهزة وأدق التفنيات، كما خرج من روسيا من قبل أمثال الإمام البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

وما بالنا نبعد كثيراً، أفليس الكاتب المسلم الغيور محمد أسد هو نفسه «ليبولد فايس» النمساوي النصراني من قبل؟ ألم يتحول إلى منافح عن الإسلام، داعٍ إليه، عامل له، مبلغ لتعاليمه مؤمن بمستقبله في كل ما يكتب ويتكلم، وعندما سئل عن أي الجوانب كانت أكثر جذباً له إلى الإسلام قال: «لا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوانى أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي، بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليم بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هنالك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها، وهو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي» (٥).

أما عن رأيه في إنقاذ البشرية مما ارتكست فيه، أو انحدرت إليه فهو لا يرى لها منقذاً في غير الإسلام فيقول: «إن المدنية الغربية لا يمكن أن تكون الوسيلة الصحيحة لإيقاظ العالم الإسلامي من سباته العقلي والاجتماعي، ذلك السبات الذي أدى إلى انحلال مظاهر الدين حتى أصبحت عادة مجردة لا حياة لها، ولا باعث أخلاقياً فيها».

(٥) من مقدمة كتاب: الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد ص ١٥.

(٦) الإسلام على مفترق الطرق ص ٨٥، ٨٦.





تُرى لو كانت الأنظمة القائمة على مقاليد بلاد المسلمين أنظمة عقائدية صادقة، أكان يفلت من يدها هؤلاء العلماء المتميزون في مجالات الذرة والفلك والفضاء والطيران. ويتركونهم ليعرضوا عقولهم لتستأجر بالمال الإسلامي لمصالح يهودية وغربية.

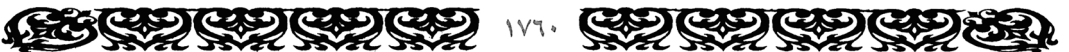
إن العالم الغربي أحوج ما يكون إلى تصور رباني يعيد له توازنه النفسى، ويحدد له علائقه بمن حوله ممن يشاركونه سكنى هذا الكوكب، بل هو بحاجة أشد إلى تحديد علاقته بخالقه وخالق هذا الكون، ولن يجد ذلك إلا فى الإسلام، ولأن السعى لإدراك تلك الغاية سعى حثيث فطرى ومصرى لدى الإنسان، فإنه لن يهدأ حتى يصل إلى هذا التصور الربانى الصحيح كى يهدأ ويستريح. وهذا يعنى أن شوق الفطرة البشرية الظامىء إلى الأمان والهدوء والتوازن النفسى سيظل مشبوحاً ولن يهدأ أو يستريح حتى يستقر على مرافىء هذا الدين القويم.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ
يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾.

هذه الدعوة الهادفة الحارة، التى يحملها إلينا مسلم غربى تؤكد أن الإسلام لا يعرف الحدود الجغرافية، ولا التمييز العنصرى على أساس الجنس أو اللون أو اللغة، وإنما هو رسالة الله إلى العالمين - رسالة مصدرها الله، وميدانها الأرض ومجالها الإنسان كل الإنسان.

إن عنايتنا بالفكرة الإسلامية، والسعى الدءوب إلى تبليغها وتيسير وسائل نقلها، وتوظيف أحدث التقنيات لنشرها، هو مهمة العقلاء فى زماننا هذا، لأنهم بتعهم فى هذا الميدان يكسبون للإسلام كوادراً علمية مدربة وجاهزة ويضيفون إلى العقلية الإسلامية أقوى العقلیات البشرية، عندما تتوجه إلى الإسلام.

ولنا أن نتصور كم كنا سنحقق من المكاسب فى هذا العصر لو كنا مهئين روحياً وسياسياً وعالمياً لورثة دول الاتحاد السوفيتى، واحتواء ما خلفته وراءها من عقول مبدعة منتجة. ينتسب معظمهم أو كثير منهم إلى الإسلام - وهذا يعنى أن الجهد المبذول معهم لن يكون بقدر الجهد الذى تبذله اليهودية وهى تتقدم لتستميلهم وتستوعبهم، وتهىء لهم جميع الأسباب. لثرت أبناء المسلمين وأحفاد البخارى ومسلم.



حَتَّى نَهْزِلَ الْيَأْسَ فِي رَأْيِنَا الْمَعَامِرَ

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

وليس تحت راية اليأس، لأمكن أن يصبحوا جنوداً في طليعة المقاتلين من أجل حياتهم وحياة الآخرين، ولأمكن لهم أن يطلوا على العالم، من خلال نوعية من النواخذ المضيفة، وليس من خلال ثقب من الجدران، التي لا تفضي في النهاية إلى رؤية متكاملة، أو حتى متفائلة.

وليت هؤلاء اليائسين، حين تحصنوا هكذا باليأس الراض، كانوا رافضين لما في الحياة من حولهم من ركاكة وتسطيع، إذن لتجاوزوا الواقع الهش الذي يعيشونه، إلى واقع يرفض الهشاشة، ويكون الرفض فيه حينذاك تمرداً على كافة الجوانب السالبة، وأيضاً على القعود أو إسلام الحياة لنوع من الرخاوة السهلة، المفضية في النهاية إلى عبث فارغ من المضمون.

ولكن القانطين يحيون في أبد الخمول، ويتوقون إلى حياة مثالية، تعطى بلا معاناة، ومن هنا، فهم يحاولون فلسفة يأسهم الهارب، وتبرير هزائمهم المتوالية، وإدانة الأمل لا اليأس، زاعمين أن الأمل سراب ووهم، وأن اليأس هو منطق العقل، في مواجهة قوانين الأشياء، التي لا

١ تحدد المعاجم اللغوية اليأس، بكونه قيمة سالبة ترفض الوقوف والمواجهة، وتتدثر باللون من الانسحاب، والقنوط، ورفض الرجاء، ومخاصمة الأمل، وتخيب التطلع.. فإذا سددت المعاجم اليأس في اتجاه معنى العلم فإن هذا العلم لا يقصد به مطلق المعرفة، ولا ظمأ الطموح إلى فض أية مغاليق، وإنما يقصد به معنى تحديد الدائرة وانتهاء التشوف، فلا تنفذ منه إلى آفاق التطوح واستقراء مطالب الأسرار.

واليائسون الذين نصادفهم في هذه الحياة كثيرون، وأكثر منهم هذه الكلمات التي تتناثر على شفاههم يائسة وقانطة وسوداء، بحيث يلوح هؤلاء، قطيعاً سائماً بلا هدف يحققه، أو مجموعاً تائها بلا قيم تعصمه، أو قبلاً حائراً بلا مصابيح من الأمل، يمكن أن تبدد ما يتراكم على حياته من ظلمات، وهذا هو حجم القضية الخفيف، الذي ينبغي أن يستنفر جهودنا بلا ملال.

ومن العجيب حقاً، أن هؤلاء اليائسين يرفعون شعارات الاستسلام واللا جدوى، ويبعدون - تحت راية الهزيمة - كما لو كانوا مستعدين للدفاع عنها حتى الموت، ولو أنهم بذلوا هذا العناء الهائل، تحت راية الإيجاب وليس تحت راية السلب، نعننى تحت راية الأمل،

الفاهمة، وإلى نوعية من الثقافة الجادة وإلى استمرار المحاولة، حتى يعثر علي اتجاهه، الذي يجيد فيه العطاء والابتكار، فإن فعل فقد وجد طريقه، المفضية به إلى حتمية التوفيق، وعبر كثيراً من المزالق، التي قد تصيبه بارتباك الرؤية وضلال الاتجاه، ولعل ذلك بعض حكمة الوحي الألهي في القرآن الكريم:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١) فإن الدعوة هنا موجهة إلى قوة الوعي بخالق الخلق، وأيضاً إلى قوة الوعي بمكامن الطاقة، في تكوين إنسانية الإنسان!! وبهاتين القوتين، يتوقى الإنسان مزالق اليأس، ويفتح أبواباً لديمومة الرجاء!!

ولأن اليائسين يعيشون في تلبد نفسي غائم، نتيجة الإحباط المستمر، فهم يشكلون خطراً على البناء الاجتماعي، بما يشيعونه من فلسفات يائسة متشائمة، قد تتسرب ببريقها اللا مسئول، إلى جيل الشباب الطالع، فتطفئ في عيونهم بريق الأمل، وتشل في جوارحهم طاقة العمل، وتوجههم إلى مزيد من عناصر التخلي، واللا مسئولية والهروب.. ومن هنا يستحيل هذا القطيع اليائس، ليس إلى مجرد يأس مغلق على ذاته، وإنما إلى مصدر من مصادر تفريخ الشر، الذي ينقل غلاظة آثاره المدمرة إلى الآخرين، فيصيب الحياة بنوع من السقوط، وتدلى المحاولات، ولعلنا لا نهمل حقيقة أن تقليد التخلي، أكثر شيوعاً من تقليد المواجهة، وهذه

تأبه بمنطق ولا بعقل، وتلك واحدة من أغاليطهم الغليظة!!

إن هؤلاء اليائسين في حاجة شديدة إلى تعديل سلوكهم الهابط، وتسديد تفكيرهم الركيك، وتسليح ذواتهم بمنطق الحياة، لا بمنطق الموت، ودفعهم إلى مواجهة تجارب الوجود، مرة بعد مرة، ليذوقوا من خلال هذه المواجهات، قساوة الفشل، وحلاوة النجاح، فرمما رفعوا - في النهاية - راية الرفض في وجه الفشل، وربما نشأ بينهم وبين النجاح، نوع من التجاوب، المفضي إلى استمرارية النجاح.

قد لا ننكر أن بعض هؤلاء اليائسين، ضحايا قصور معين، عن بلوغ غاية معينة، ولكننا لا نستطيع أن ننكر كذلك، أن في أعماق كل إنسان طاقات لا حدود لها، من القدرة على العمل، ومن القدرة كذلك على التكيف، وتحقيق الذات في مجال آخر، غير المجال الذي لم تستطع تحقيق ذاتها فيه.. فقد لا يفلح إنسان ما، في أن يكون طبيباً مثلاً، ولكنه بالتأكيد، مؤهل لكي يكون مهندساً، أو عالم ذرة، أو شاعراً، أو رجل فكر اجتماعي، أو واحداً غير هؤلاء، شيء واحد ينقص الإنسان، هو أن يكتشف نفسه، وأن يعرف طبيعة قدراته، وأن يتوجه إلى ما يجيد، فإن الطريق إلى اكتشاف حقيقة الذات، هو أول الطريق إلى تحقيق نجاحات بلا حدود مع التسليم بأن اكتشاف حقيقة الذات، يحتاج إلى كثير من المعاناة



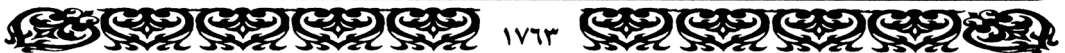
واحدة من بوائق هذا النمط السلوكي، الجانح إلى صفائر الأمور، والناقل عدواه إلى غيره بلا حدود!!

وقد يخيل إلينا.. أن معاقرة الانحراف تبدأ من هذه المنطلقات، من اليأس الذاتي، أو اليأس الغيرى.. الفردى أو الجماعى، التى تندفع كلها فى اتجاه تعويض متخيل، أو هروب يظنون أنه يريحهم لحظة هنا ولحظات هناك.

إن رتل الانحرافات ينبعث بعضه من تجارب ذاتية مزلزلة، وينبعث سائره من تجارب غيرية منقولة أو مقلدة، فإدمان المخدر والمسكر، تبتدئ طريقه الوبيلة من إغراءات غيرية، يزين بها طائفة من الجانحين لغيرهم عوالم الغياب واللا وعى، وما تثمره هذه العوالم فى زعمهم من رؤى ملونة، وانعتاق يحلق فوق حدود الضرورة الواقعية الغليظة.. حتى فى الفكر الأدبى نجد من يؤلف داعياً إلى حتمية المخدر فى تشكيل تجربة فنية رائعة، لأن الإبداع - كما يدعى - غياب عن شروط الواقع الضامر، وتدمير لمنطق الأشياء فى سوائها الطبيعى.. وحتى فى العلاقات بين الجنسين، نجد من يلون للآخرين فعل المخدر والمسكر، وكيف تنقلهم هذه التجربة إلى عوالم من النشوة لا يستطيعونها بغير هذا الفعل.. وهكذا يتواتر مد هذه الظاهرة من مجرد دائرة إلى الانسياب فى دوائر بلا حدود.. ولو أننا أحسنا التعامل مع هذه الظاهرة وهؤلاء الجانحين، لعرفنا كيف نؤكد لهم أن الغياب قد يعطى راحة آتية، ولكنه بالتأكيد يعقب تدميراً فى كل الآناء.. فإن تخدر فى لذادة عارضة عن مواجهة مصيرية فليس معنى ذلك أن

المواجهة انتهت إلى حل، وإنما معناها أننى نسيت حلها للحظات فحسب، وأن حجمها فى هذه اللحظات قد تنامى وربما تضاعف.. وليتنا نستطيع تفهيم من يظن أن الإبداع غياب، حتمية أن الغياب مشروط بالحضور وليس النقيض، أى أننى أغيب عن الوعى المحدد إلى محاولة استكناه حقائق غير محددة، وليس هذا الغياب الداهل حتى عن كونه الخاص.. وليتنا نستطيع كذلك تفهيم من يظن أن المخدر مدخل إلى لقاء جنسى مثير، إنه قد يكون كذلك فى جولة أو حتى فى جولات، ولكنه بالتأكيد يصيب الطاقة كلها فى النهاية بالعجز والتشتت وحتمية القصور.. وإذن فلو أننا أحسنا التعامل مع هذه الظاهرة ومع هؤلاء الجانحين، لعرفنا كيف نؤكد لهم أن هذه الإغراءات مدخل إلى دمار ذاتى وجمعى، وأن هوة يأس كونى يمكن أن تكون نهاية رحلة حياة يمثل هذا التسطيع!!

ولعلنا لو تأملنا حقائق الفرق، بين جوهر الوجود الإنسانى، وجواهر الوجودات الأخرى لأدركنا أن الوجود الإنسانى يمتاز بكونه موقفاً، وعلامة تحول، بينما الأشياء وجود يابس، لا يحقق لذاته أى موقف، ولا يصير إلى غير ما هو على الإطلاق.. وهذا وحده، كفيل بأن يعقد بين الإنسان والمستقبل، صداقة حميمة وجادة.. وبأن يسلحه ضد اليأس، فلا يناله اليأس، حتى فى أحلك مآزق التاريخ - نعى: أن الإنسان وحده، يفكر فى ذاته، ويستطيع بهذا التفكير فى الذات، أن يصير إلى أفضل مما هو بكثير.. أى أنه: على موعد دائم مع المستقبل، لا يبيح





له وأد آماله بمزيد من التشاؤم القانط، واليأس المدمر؛ ولا انتحار البطئ أو السريع إلا إذا كان مستلب الوعي والضمير؟

والإنسان المسلم بالذات، مرشح لفهم هذه القضية، أكثر من عداه، لأن الإسلام، لا يخاطب المستقبل الزمنى وحده، ولكن يتجاوز حدود الزمن الوجودى، إلى ما وراء الوجود من أزمان .. نعى إلى الزمن الأبقى من الزمن، إن صح هذا التعبير، وهو الزمن الأخرى، فتتفسح بذلك أبعاد الأمل، أمام كل البشر فلا يعقد بهم يأس، ولا يستبد بخطواتهم كلال، نابع من إحساسهم الجارف، بعبثية وجودهم فى الوجود .. كما تذهب إلى ذلك، بعض الفلاسفات المعاصرة، التى تحاصر شبابنا فيما يشاهدون للأسف، وفيما يقرأون .

والإسلام يتعامل مع هؤلاء البائسين تعاملًا شجاعًا بلا حدود، فهو يرفضهم، ويتهددهم، ويدينهم إلى حد التكفير .. عاقداً بين يأسهم الحياتى ويأسهم العقيدى، ما يشبه الصلة العضوية .
فالقُرآن الكريم يقول :

﴿يَبْقَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ
وَلَا تَأْتِسُّوْا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ
مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

ويقول :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ
يَسْأَوْنَ مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

والإسلام يضع الإنسان فى موضعه الطبيعى، على خريطة الواقع، فهو مستهدف للخير والشر، ولليسر والعسر، وللوفرة والفقد .. ومن هنا .. ينبغى أن يكون مؤهلاً للاحتفاظ بإنسانية، فى هذه وتلك، حتى لا يفقد ذروة التكريم، الذى منحته إياه السماء .. فالقرآن الكريم يقول :

﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا
لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ (٤)

ويقول :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٥)

والإسلام لا يغلق الدائرة على اليائسين مع بأسهم، داعياً إلى شجاعة الصبر، ثم لا شئ .. ولكن يفتح لهم عديداً من نوافذ الأمل، حتى ففى أحلك ساعات الظلام ..
فالقُرآن الكريم يقول :

﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦).

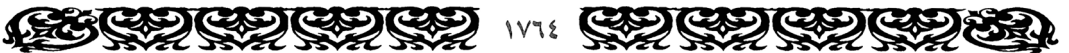
(٣) العنكبوت (٢٣).

(٥) البقرة (١٥٥).

(٢) يوسف (٨٧).

(٤) آل عمران (١٤٦).

(٦) الشورى (٢٨).



ويقول:

﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْضَرُونَ الرَّحِيمُ﴾ (٧).

ويقول:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٣﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٨).

ومن المؤكد .. أن صوت النبوة -

في محاربة اليأس، والتمهيد لحضارة
الأمل - كان صوتاً مكملًا للنداءات
القرآنية الجليلة، التي طاردت اليأس، ومكنت
الأمل، ودعت إلى حياة إنسانية، تتواتر فيها
فتوحات الجهد البشري، وتتوالى فيها
انتصارات هذا الجهد بلا حدود.

والرائع .. أن أحاديث النبي ﷺ في هذا
الصدد، تضيء جوانب هذه الظاهرة، من كل
الاتجاهات .. فهي تحاول أن تمسح على جراح
الشخصية الإنسانية، التي انحرفت عن الجادة،
حتى لا تلج هذه الشخصية في تعشق الجنوح،
فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول
الله ﷺ قال: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين
التوابون» (٩) .. من هنا: تستيقظ المحاولة في
المتردى ولا يستبد به يأس الانحدار إلى الهاوية.

والنبي ﷺ، يرفض أن يتخلى عن الذى
حاول وسقط .. فعن أبي سعيد الخدرى -
رضى الله عنه - قال: «أصيب رجل فى عهد
رسول الله ﷺ، فى ثمار ابتاعها، فكثر دينه
فأفلس فقال رسول الله ﷺ: «تصدقوا عليه»،
فتصدق الناس عليه، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه،
فقال رسول الله ﷺ لغرامائه: خذوا ما
وجدتم، وليس لكم إلا ذلك» (١٠)!! فهنا
محاولة نبوية لإقالة عشرة العثائر، حتى لا
يستبد به يأس مدمر، ولا يرفض المحاولة
الشجاعة من جديد.

والنبي ﷺ، يحرص فينا طاقات الفعل
الحياتي، حتى لا نفاجأ بالعجز عن هذا الفعل
فنسقط فى برائن اليأس والإحباط. فعنه ﷺ
أنه قال: «ابن آدم. اغتتم خمسا قبل خمس:
شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك،
وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك،
وغناك قبل فقرك» (١١) فهنا دعوة إلى الامتلاء،
قبل حلول مواعيد الذبول!!

ويلوح النبي ﷺ، بقيمة الإيجاب والفعل
فى قوله: «إن قامت الساعة، وبيد أحدكم
فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها،
فليغرسها، فله بذلك أجر» (١٢) فهنا رفض
للتخلى، ورمز لحتمية أن نزرع، حتى ولو
تأكدنا أن الرحيل قبل مواسم الحصاد!!

(٨) آل عمران (١٣٩ ، ١٤٠).

(١٠) ابن ماجه رقم ٢٤٦٩.

(١٢) أحمد ١٩١/٣.

(٧) الزمر (٥٣).

(٩) ابن ماجه ج ٢، رقم ٤٢٥١.

(١١) فتح الباري ١١/٣٥٠.



حاكمت، فاعفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(١٥).. هنا تستحيل الأشياء إلى مجرد إطار يعيش داخله إنسان هذه الوضعية، ويستحيل هذا الإنسان الكونى إلى زخم عقيدى، يتحرك بالله ويحرك فى اتجاهه كل محاور الأشياء.

ويعنق النبى ﷺ فى خلد المسلم إحساسه بمسؤولية الإنسان المثال، الذى لا يستسلم، لأن مسؤوليته تتجاوز السطوح العابرة إلى الدخول فى أبهاء سرائر الأشياء، فيقول ﷺ: «أوصانى ربى بتسع أوصيتكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السر والعلمانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكرا ونظرى عبرا».

وهكذا.. يتردد الصوت النبوى الكريم، بين هدهدة الجراح، وإقالة العثرة، والدعوة إلى الإيجاب والتحريض على الفعل، والتخدير من الجنوح، والاستفادة من الرحلة الحياتية، والتوجه إلى الله بالعباد من كل ما يُقعد ويشل، واللباد به والابتعاد عمن سواه، وديمومة التصدى للطاء حتى ولو شهبوا فى وجوهنا كل خناجر حقدهم الأسود.. وفى ذلك تلويح مضى، بأن الوجود الإنسانى

ويحاول ﷺ، أن يلفتنا إلى ما فىنا من قدرة على الفعل. وإلى ضآلة المسافة، المنوط بنا قطعها فيقول: «الجنة أقرب إلى أحدكم، من شراك نعله، والنار مثل ذلك»^(١٦) وهنا دفع بالإنسان إلى صراط دقيق، قد يميل به هنا، وقد يميل هناك، ولكن المهم أننا نستطيع اجتياز الجنة بيسر إذا أردناها!!

وإذا كانت الحياة، هي أطلع الفعل الإنسانى، الذى يقترب به من تحقيق وجوده على السواء.. فإن النبى ﷺ، يهيب بنا، أن نتعشقها، ما دمنا قادرين على الفعل من خلالها، فإن عجزنا.. كان الموت أغدق رحمة، اللهم أحيى ما كانت الحياة خيرا لى.. وتوفى إذا كانت الوفاة خيرا لى -

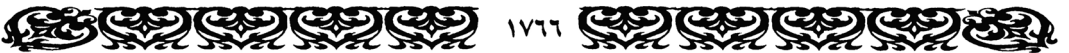
ولأن النبى ﷺ كان هذا القائد المقاتل، الراض لكل عناصر الترهل والعجز، فقد كان دعاؤه الأثير: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وضلع الدين، وغلبة الرجال»^(١٧).

ويؤسس النبى ﷺ لإنسان تاريخى جدير بإنسانيته وتاريخه معا.. أى جدير بحمل أمانة الفعل الذى ينقل الحياة من مجرد الصيرورة، إلى رشاد التوجه فى هذه الصيرورة. فيقول فى دعائه الحميم: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك

(١٤) البخارى ٢٨/٤.

(١٣) البخارى ١٢٧/٨.

(١٥) البخارى ٨٦/٨.



تصيبهم بنوع من التراجع، أو حتى بنوع من التوقف عن مواصلة الزحف.. ولكن ذلك كله، لم يقعد بهم عن المحاولة المجددة، واستئناف التوجه إلى ضرب معاقل الشرك، والتمكن لحضارة التوحيد.. فكان هذا التحقيق التاريخي المسلم، الذي فرض إيقاعه على الزمن، في شتى العصور، وما يزال.

وما أحوجنا نحن الآن، ونحن نخوض أقصى معارك التحدى، ومحاولات التدويب، أن نسترجع هذا الصمود التاريخي المسلم، حتى نستعيد ذواتنا المفقودة، وحتى نرفض الهزائم الداخلية والهزائم الخارجية كذلك وحتى نمتلك أقدارنا، على أصالة الفعل، وحتى نتعالى على منطق الهروب اليائس من شتى المواجهات، في شتى المجالات!!

ونحن بعد، مطالبون دائماً ببناء حضارة إسلامية، خالية من التهدم الشائه، أو التفلت الممرور.. نحن مطالبون بإصلاح مناهج التربية، فنمिल بها إلى شاطئ الفعل، وليس إلى مجرد الشرثرة.. مطالبون بالكف عن الإرهاب، فى الفكر، وفى السياسة، وفى الاجتماع.. حتى نستطيع بناء جيل سوى، ينطلق من قناعات مؤمنة، وليس من خوف مشئت.. مطالبون بتنمية روح الجماعة فى الأفراد، حتى لا ينغلق كل على ذاته، فيعجز عن تحقيق أى فعل تاريخي، فيصاب بالإحباط والارتباك.. مطالبون بفتح مصحات نفسية شعبية لليائسين، والهاربين، والانسحابيين، حتى لا نتركهم فريسة لهذا السلب المدمر،

للأمل، وليس لليأس، ولمزيد من الفعل، وليس لمزيد من الهروب، ولديمومة الرحلة. وليس إلى معالجة الموت قبل الموت، فقد تهدد الإسلام كل من يقترب من هدم الإنسان، لأن هذا الإنسان بنیان الله فى الأرض، وملعون من هدم بنيانه!!

وإذا قلنا: إن القرآن الكريم.. يستنقذ الملكة الإنسانية، من مخالب اليأس والقنوط، ويدفعها فى اتجاه التحقيق والفعل الإبداعي.. وإذا قلنا كذلك: إن السنة النبوية، ترسى فى وعى الإنسان المسلم أنه للإيجاب وليس للسلب، وأن وجوده مساحة لتحقيق التقدم، وليس لتحقيق الدمار.. فإننا نستطيع أن نقول كذلك: إن تاريخ الحركة الإسلامية، كان تصديقاً جديلاً، لهذا الاتجاه القرآنى والنبوى.. فالمسلمون فى مطالع الدعوة واجهوا ألواناً من الاضطهادات الفادحة، التى كان يمكن أن تقتلع الجذور من ترابها، ولكن أصالة الوعى الإيمانى، وفدائية الحركة المسلمة، ربطت على قلب هذا الرعيل الأول، فرفض أن يستسلم لليأس وقاتل كل التحديات الباهظة، واستطاع أن يخرج من مأزق المواجهة، أكثر صميمية، وأرسخ يقينا بالمستقبل المنشود.

ولقد واجه المسلمون عديداً من الهزائم المادية، فى معارك القتال مرة.. وفى ارتداد بعض من آمن مرة أخرى.. وفى اكتشاف عناصر منافقة فى صفوفهم مرة ثالثة.. إلى غير ذلك وأولئك من كوارث، كان يمكن أن



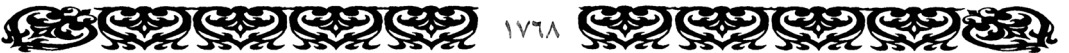
والطموح قد تصيب المجموع المستعمر فيياس
من الخلاص وقد تصيب المجموع الجاهل .

فيتقاعد عن الثقيف .. وقد تصيب المجموع
المتخلف فيقنط من طلاب الحضارة .. وقد
تصيب المجموع المتفكك فلا يرى مستقبلاً
للتلاحم والتوحد .. وقد تصيب المجموع
الهازل فيهرب من مسؤولية الالتزام .. وقد
تصيب المجموع الطاغى فيخاف من زحف
العدالة .. وقد تصيب المجموع الفقير فيهرب
من مجرد التفكير في الوفرة .. إلى آخر ما هناك
من مستويات التوجه الجمعى فى هذا الاتجاه
الوبيل .. وإذن فالياس قضية جمعية كما هو
قضية فردية .. وفى هذا تكمن خطورته
كظاهرة تصيب قنيصتها بالشلل، وتترك
أعطابها فى كل ما تلامسه، فإذا هو بوار
مخيف!! ولو أننا تعمقنا قليلاً لرأينا كيف أن
ظواهر الوجود تعلمنا درس الأمل: فالصغير
يكبر، والواحد يتكثر، والقاحل يخضر، وتلك
كلها دعوات مفتوحة إلى أمل حميم .

نحن مطالبون إذن بهزيمة اليأس فينا وفى
الآخرين .. وبالتمهيد لحضارة أولها يبدأ من
الأمل .. وآخرها لا ينتهى بانتهاء كل الآمال -
فالإنسان المسلم - كما أراد الله - محاولة
مستمرة، ومستقبل يولد من مستقبل، وصيحة
رجاء تملأ جوانح الكون بعقب الجنة، حتى وإن
كان زفير جهنم يدمدم من حوله فى كل
اتجاه!!!!

فنخسر بهم عناصر، يمكن أن تكون صفا فى
جيش المواجهة المحتومة .. مطالبون بدفع
موجات عارمة، من الاعتزاز بقيمنا .. وتراثنا ..
وأصالة انتمائنا العقيدى .. مع الحرص الحريص
على أن يتم كل أولئك فى غير مصادمة لا مع
الحاضر، ولا مع المستقبل، فنحن مؤهلون أكثر
من غيرنا للقاء المستقبل بلا هروب .. مطالبون
بأن نزرع فى وعى الأجيال قيم التطلع إلى
الممكن والمتاح، لا إلى قيم المستحيل والخارق،
فإن وعى الأجيال بهذه الإمكانية يتيح لها
مزيداً من الأمل، ويبعدها عن مزيد من مزالق
اليأس، إن الطالب فى مراحل الدراسة الأولى
ينبغى أن يتوجه إلى المراحل التالية، وليس إلى
المرحلة القمة هكذا فجأة .. وكذلك المريض
ينبغى أن يتطلع إلى عافية محدودة أولاً ثم إلى
تمام العافية آخر الأمر .. وكذلك الزارع ..
ينبغى أن يحرس بالأمل بذاره، ثم سنابله، ثم
حصاده .. وهكذا فى كل قطاعات المجتمع
الإسلامى .. لأن التطلع البدئى إلى كمالات
غائبة قد يصيب صاحبه بنوع من الإحباط
المستمر .. وقد فطن علماء التربية الإسلامية
إلى هذه الحقائق فأكدوا على عدم إلقاء
الغايات فى البدايات، وأوصوا بالتدرج العاقل،
الذى لا يصيب المتلقى بنوع من تشاؤم اليأس،
أو يأس التشاؤم، بلا تبرير ..

ولا يظن ظان أن اليأس قضية فردية تصيب
بوبالها آحاداً من الناس فحسب، ولكنها قد
تصيب المجموع، فتتيسر فيه روح التطلع



رؤية إسلامية للتعددية الفكرية

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

واللغات والأوطان .. مع اجتماعها في
رابطة الحضارة الواحدة وجامعتها .

والتعددية، ككل الظواهر والمذاهب
الفكرية، لها «وسط - عدل - متوازن»،
ولها طرفا «غلو»، أحدهما «إفراط» والآخر
«تفريط» - و«وسطها - العدل - المتوازن»
هو الذى يراعى العلاقة بين «التمييز ..
والتنوع .. والتعدد» وبين «الجامع ..
والرابط .. والوحدة»، بينما يمثل التشردم
«غلو القطيعة والتنافر» الذى لا جامع له ..
كما تمثل «الوحدة» المنكرة للخصوصية،
«غلو القهر» المانع من تميز الفرقاء
واختصاصها .

وإذا كانت الرؤية الإسلامية قد قصرت
«الوحدة»، التى لا تتركب فيها ولا تعدد لها
على الذات الإلهية وحدها، دون كل
المخلوقات والأحداث والموجودات، فى كل
ميادين الخلق المادية والحيوانية والإنسانية
والفكرية، تلك التى قامت جميعها على
التعدد والتزاوج والتركيب والارتفاق .

«التعددية» تنوع، مؤسس على «تمييز ..
وخصوصية» .. ولذلك، فهى لا يمكن أن
توجد وتتأتى بل ولا حتى تتصور .. إلا فى
إطار «الوحدة .. والجامع» .. ولذلك لا
يمكن إطلاق «التعددية» على «التشردم»
و«القطيعة» اللذين لا جامع لأحادهما، ولا
على «التمزق» الذى انعدمت العلاقة بين
وحداته .. وأيضاً لا يمكن إطلاق
«التعددية» على «الواحدة» التى لا أجزاء
لها .

فبدون الوحدة الجامعة لا يتصور تنوع
وخصوصية وتميز، ومن ثم تعددية ..

وللتعددية مستويات، يحددها «الجامع ..
الرابط» الذى يجمع ويوحد أجزاءها ..
بفضل المستوى العالى، مثلاً هناك تعددية
الحضارات المتميزة، والقوميات المختلفة،
المؤسسة على تعدد الشرائع والمناهج
والفلسفات واللغات والثقافات، وبينها
جميعاً جامع الاشتراك فى الإنسانية التى لا
تمايز فيها ولا اختلاف ..

وعلى مستوى كل حضارة من
الحضارات، هناك تعددية فى المذاهب
ومدارس الفكر وفلسفاتها، وتيارات
السياسة وتنظيماتها، وقد تكون .. فى
بعض الحضارات تعددية فى القوميات

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٣).

لا تعدد فيها ولا افتراق .. أما فيما هو فروع وموضوعات للاجتهادات، فإن التعددية فيها واردة، يجمع فرقائها ومدارسها واجتهاداتها وتياراتها الوحدة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة من العقيدة والشريعة والمبادئ والأركان .. ف نطاق «الوحدة» بمثابة أصل الشجرة الطيبة .. والتعددية هي فروع هذا الأصل لهذه الشجرة الطيبة .. وهذه الفروع - التعددية - لا تكون فروعاً حقيقية إلا إذا ارتوت من الأصل - الوحدة - وسرت فيها جميعها روح الأصل ومزاجه وصبغته التي بها يتميز عن الأصول الأخرى للمعتقدات.

بهذا المنظار والمنهاج يكون طريق النظر الإسلامي إلى قضية التعددية .. فيراها قانون التنوع الإسلامي في إطار الوحدة الإسلامية.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ميادين حكمت فيها السنة الإلهية بـ «التعددية» في إطار «الوحدة» ففي «القوميات والأجناس» تعددية يتحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها «آية» من آيات الله في الاجتماع الإنساني، فيقول:

﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَاهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ
السِّنِينَ وَالْوَنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤)

فإن هذه الرؤية الإسلامية تكون، بهذا الموقف الثابت - ثبات الاعتقاد الديني - قد جعلت من التعددية في كل الظواهر المخلوقة «سنة» من سنن الله، - سبحانه وتعالى -، في الخلق والمخلوقات جميعاً، و«آية» من الآيات التي لا تبديل لها ولا تحويل.

إنها «القانون» الإلهي، و«السنة» الإلهية .. الأزلية الأبدية .. في ميادين الكون المادي، والاجتماع الإنساني، وشئون العمران وميادينه .. وبها تتميز عوالم «الخلق المتعددة» عن ذات «الحق» الواحدة. وإذا كانت «الوسطية الجامعة»، في التصور الإسلامي، هي خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١)

وهي وسطية العدل المتوازن «الوسط العدل» .. جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا (٢) .. فإن التعددية الموزونة بميزان الإسلام، لا بد وأن تكون تميزاً لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعاً لمذاهب وتيارات تظللها جميعاً وتحكمها مرجعية التصور الإسلامي الجامع، وخصوصيات متعددة في إطار ثوابت الوحدة الإسلامية .. فوحدة الأمة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة - أي فيما يدركه الكافة بالفطرة، دون نظر، وبلا خلاف فيه - هي فريضة إلهية:

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٤) الروم: ٢٢.

(١) البقرة: ١٤٣.

(٣) الأنبياء: ٩٢.



وهي تعددية فى إطار « جامع : الإنسان » ..

وفى « الشعوب والقبائل » هناك تعددية،
تثمر التمايز الذى يدعو القرآن إلى توظيفه
فى إقامة علاقات « التعارف » بين الفرقاء
المتمايزين :

﴿ يَأْتِيَا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ (٥) ۝ ﴾

فتعددية التمايز إلى شعوب وقبائل، قائمة
فى إطار « جوامع : التعارف » بين بنى
الإنسان .. أى التفاعل فيما هو معروف وما هو
متعارف عليه .

وفى « الشرائع والمناهج » ومن ثم فى
« الحضارات »، هناك تعددية يراها القرآن الكريم
الأصل الدائم والقاعدة الأبدية، والسنة الإلهية،
التي هى الحافز للتنافس فى الخيرات، والاستباق
فى الطيبات، والسبب فى التدافع الذى يقوم
ويرشد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم
والارتقاء .. فهى المصدر والباعث على حيوية
الإبداع والتجديد الذى لا سبيل إليه إذا غاب
التمايز وطمست الخصوصيات بين الحضارات :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ ۝ (١٨) ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۝ (٦) ۝ ﴾

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
ءَاتَيْتُكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِيَنبِتُ لَكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ (٧) ۝ ﴾

فالتعددية هى الحافز على امتحانات وابتلاءات
المنافسة والاستباق فى ميادين الإبداع والتجديد
بين الفرقاء المتمايزين فى الشرائع والمناهج
والحضارات .

وفى هذا الإطار أيضا، إطار « وحدة الدين »
و « تعددية الشرائع » جاء القرآن الكريم بتقرير هذه
الحقيقة :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۝ (٨) ۝ ﴾

على حين تتعدد شرائع الأنبياء ومناهج أمم
الرسالات، فى إطار جامع : الدين الواحد،
وعلى النحو الذى صورته الحديث النبوى
الشريف « الأنبياء إخوة لعلات - [أى أمهات
متعددات]، دينهم واحد وأمهاتهم
شتى » (٩) .

● وفى « رعية » الدولة الإسلامية الأولى -
دولة المدينة، على عهد رسول الله ﷺ كانت
هناك « تعددية » فى إطار « وحدة الأمة » -

(٦) هود: ١١٨، ١١٩ .

(٨) الشورى: ١٣ .

(٥) الحجرات: ١٣ .

(٧) المائدة: ٤٨ .

(٩) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والإمام أحمد .



« وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله » (١٠).

ففى إطار جامع الأمة الواحدة، والدولة الواحدة، ذات المرجعية الواحدة، تعددت الانتماءات القبلية والدينية، ونظم الدستور علاقات فرقاء هذا الانتماء.

● بل لقد وسعت «وحدة الأمة الإسلامية» ألوانا من التعددية بلغت تناقضاتها الداخلية حد الصراعات المسلحة، لأن فرقاء هذه التعددية، برغم صراعهم، قد ظلوا على ولائهم «للدولة الواحدة».. فحافظوا على «الجامع السياسى».. وعلى ولائهم «للدين الواحد».. فحافظوا على «الجامع الدينى».. فكان القتال بينهم على «التأويل» لا على «التنزيل».

وكانوا جميعا، رغم القتال، على ولاء لوحدة الدولة ووحدة الدين.. ولقد كانت صراعات الفتنة الكبرى، زمن الراشدين فى هذا الإطار، الذى وسعت فيه «وحدة الأمة» فرقاء هذه الفتنة وذلك الصراع.. فلم يكن اقتتالهم بالخرخ لأى منهم من «الأمة» ولا من «الملة» ولا من «الدولة».

وفى موقعة «صفين» [٣٧ هـ ٦٥٧م]، التى مثلت قمة صراعات تلك الفتنة،

تحدث عنها تفصيلا «دستور» تلك الدولة - المسمى فى تراثنا وفى صلب الدستور بـ «الصحيفة» و«الكتاب».. فالقبائل غدت لبنات متعددة.. تحدثت «الصحيفة» عنها وعن أحلافها وحقوقها وواجباتها.. فى إطار «وحدة الأمة».. والمهاجرون والأنصار، مثلوا جوامع فرعية، أشارت إليهم «الصحيفة» فى إطار الجامع الإسلامى الواحد، والأمة الإسلامية الواحدة.. والتعددية بين جماعة المؤمنين وجماعة يهود، تحدثت عنها «الصحيفة».. ونظمت أطر وآفاق تعدديتها فى نطاق جامع الرعية ووحدة الأمة بالمعنى السياسى والدستورى والقانونى.

وعن هذه «التعددية»، وفى إطار «الوحدة» نصت مواد «الدستور» - «الصحيفة».. فقالت: «المؤمنون والمسلمون، من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس».. «وأن يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

«وأن يهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين. وأن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».

(١٠) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ٥-٢٠ تحقيق: محمد حميد الله الحيدري أبادى. طبعة القاهرة سنة



والشبه والتأويل، فإذا طمعنا فى خصلة يلّم الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا، رغبتنا فيها، وأمسكنا عما سواها»^(١٣).
وعندما سئل عن رؤية فى «آخرة» قتلى الفريقيين؟!.. أجاب «وإنى أرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه منا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة»^(١٤).
هكذا وسعت وحدة الملة والدولة التعددية، حتى عندما بلغت الفتنة بين فرقائها درجة الاقتتال.. الأمر الذى لا نعتقد أن له نظيرا خارج منهاج الإسلام!.

هكذا انفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام تيارات الفكر الإسلامى، فى إطار «وحدة وجامع التصديق» بما جاء به الدين، مما هو معلوم منه بالضرورة.. فظل «الجامع الإسلامى» الذى وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام.. ظلل التعددية فى اللغات والأقوام.. وفى الثقافات الفرعية... وفى الأوطان والأقاليم المتميزة وفى الفرق الإسلامية السياسية.. وفى المذاهب الفقهية.. وفى التيارات الفكرية.. فازدهرت تعددية الاجتهادات البشرية فى إطار الجامع الثابت الخالد الذى تمثل فيما علم بالضرورة من أصول الدين.

يتحدث الإمام على بن أبى طالب عن «الجامع الدينى» الموحد لفرقاء القتال، وكذلك عن «جامع الدولة» فيقول: «لقد التقينا، وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»^(١١).

«فالدين واحد» و«جامع..» و«الأمر واحد» و«جامع..» والخلاف فى «دم عثمان» رضى الله عنه، فقط.

كما يرد الإمام على على شبهة الخوارج وتأويلهم الفاسد، الذى كفروا به معاوية وأهل الشام، فيقول: «إننا، والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء»- [الخوارج] - من التكفير والفراق فى الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة - [أى الجماعة السياسية] - وإنهم لإخواننا فى الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم»^(١٢).

ثم يؤكد الإمام على - كرم الله وجهه -، على أن مصادر النزاع هى «شبهات» أثمرها «التأويل»، فهى لا تُخَرِّج من «أخوة الإسلام» فيقول: «لقد أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام على ما دخل فيه من الزيف والاعوجاج

(١١) ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة) ج ١٧ ص ١٤١ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.

(١٢) الباقلانى (التمهيد) ص ٢٣٧، ٢٣٨ تحقيق: محمود محمد الخضيرى، د. محمد عبد الهادى أبو ريدة. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

(١٣) (نهج البلاغة) ص ١٤٧، ١٤٨ طبعة دار الشعب القاهرة.

(١٤) الباقلانى (التمهيد) ص ١٣٧.



مكسيم رودنسون

وكتابه : جاذبية الإسلام

دكتور / محاضر في الفقه الإسلامي

تبناها «مكسيم رودنسون» وأنا أطلع كتاب «الاستشراق بين دعائه وخصومه» اختار أبحاثه وترجمها ووجد بين موضوعاته من بين بحوث لكبار المستشرقين وهم :

محمد أركون، مكسيم رودنسون، آلان روبنسون، بيرنارد لويس، فرانسيسكو غابرييلي، كلود كاهين. وقام بإعدادها وترجمتها هاشم صالح. وتحدث عن الدافع الذي دفعه إلى القيام بهذا الجهد العلمي الرائع الذي يتحدث بجدارة عن متابعة ثقافية تعالج هما من هموم دارنا العقلية. ومازلنا ننقسم حول قضية الاستشراق ماله وما عليه. ويرى صاحب الكتاب أن قضية الاستشراق حولها سوء فهم، وخلل في الرؤية، ربما كان مرد ذلك إلى أن المسألة لم تطرح من بابها السليم ولم تركز على الأسس التي ينبغي أن تركز عليها وبالتالي فلم نستطع أن نصل إلى نتائج مجدية أو حاسمة.

حين كتبت كتابي «تأملات في أزمة العقل العربي» وصدر ١٩٨١ وقر في ذهني آنئذ أن المشكلة الأساسية التي وراء أزمة العقل العربي هي غياب «الحوار» الفكري عن متابعة رحلة اللقاء بين العرب والعرب، والعرب والعالم الإسلامي ثم بينهم جميعاً والغرب.

وراعني، في غياب الحوار، افتقادنا إياه على كافة المستويات، فالغرب كما قدمنا يرى أولوية نموذج الأوروبي وتفوقه، وعنصريته وعرقيته وتلك هي في نظره أولويات أساسية وعليها يبنى أهداف الحوار. والشرق موصوم لديه بالدونية وبلادة الذهن والبداءة وعدم التحضر. وعلى هذا التصور تكون ظواهر الأزمة واضحة، وقائمة، يختلف أهل الرأي في تفسيرها من مستشرقين وغيرهم من العرب.

لذلك كانت مسألة التفاهم تحتاج إلى أسس منهجية تطرح عليها القضية من جديد. من هنا وجدت ثمة محاولة جديدة للحوار

وقد أصبح على مدار الثلاثين سنة الماضية غنياً عن التعريف بالنسبة للقارئ العربي . فقد ترجمت معظم كتبه إلى لغتنا ودعى إلى مختلف العواصم للمحاضرة فى جامعاتنا والالتقاء بمثقفىها إن لم نقل وسياسيها . من أشهر كتبه : الإسلام والرأسمالية « ١٩٦٦ » ، الماركسية والعالم الإسلامى « ١٩٧٢ » محمد « ١٩٧٩ » الطبعة الأولى تعود إلى « ١٩٦١ » ، العرب « ١٩٧٩ » ، جاذبية الإسلام « ١٩٨٠ » ، ١٩٨٩ » هذا بالإضافة إلى مقالات عديدة ومهمة فى مختلف المجالات الاختصاصية من فرنسية والإنجليزية . وكنا أخذنا عليه حين كتب عن الرسول مبكراً عدم الموضوعية التاريخية والتطاول المستفز على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصفه بـ « النبى المسلح » « على اليهود العزل » ثم بعد رحلة طويلة مع الإسلام والعرب جعلته يعيد النظر فيما كتب ثم أفرغها فى كتابه : جاذبية الإسلام .

يعرض مكسيم رودنسون فى كتابه : « جاذبية الإسلام » لقضية اللقاء بين الاستشراق والإسلام ومن خلال دراساته إلى تحديد مناهج الخلاف – كما يقول الفقهاء – فيعرض للأزمة وظواهرها وقد لخصناها لعرضها وتقويمها وهى ولا شك رؤية جديرة بالنظر إليها من المثقفين العرب وهى كما يراها .

٢ - ظواهر الأزمة :

يحكم عمل المستشرقين نوعان من المناهج ويقعان على طرفى النقيض ويثيران بينهما

وكما قلنا سابقاً لا ينبغى أن نظن أن التاريخ يعطى نفسه بسهولة ، ولا ريب فى أن العنترىات والمواجهات المكشوفة فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى هى آخر ما يقودنا إلى دخول حلبة التاريخ . وربما كان أعداء الحوارات العلمية هم الذين يدفعوننا بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تلك المناطقة . لذلك يقول الأستاذ هاشم صالح : إنه من أجل توضيح الصورة « رأيت أن من الضروري أن يكون للجهة الأخرى – أى المستشرقين – حق الكلام ، لقد آن الآوان للانتقال من الموقف الدفاعى التسجىلى أو الهجومى المتطرف إلى موقف المسئولية العقلية والنضج الثقافى ولذا قمت بعملية اختيار لبعض نصوص المستشرقين وجمعتها بعد أن ترجمتها وقدمت لها وأوضحت حيثياتها وسياقها » .

ومما لفت نظرى من تلك الأبحاث : محاولة مكسيم رودنسون فى تبنى رؤية جديدة تتحرى الدقة الموضوعية فى تقييم وضع الاستشراق المختص بالدراسات الإسلامية : مكتسباته ومشاكله وما عليها من خلال استعراضه لتاريخ الدراسات المتراكمة لدى الاستشراق عن الشرق والإسلام فى الغرب من خلال كتابه : « جاذبية الإسلام » .

أزمة اللقاء بين الاستشراق والإسلام

فى نظر مكسيم رودنسون

١ - مكسيم رودنسون

يعتبر مكسيم رودنسون واحداً من أهم المستعربين إن لم نقل المستشرقين فى فرنسا ،



أزمة كبرى فى ساحة الاستشراق، أو فى ساحة الدراسات الإسلامية والعربية لديهم.

● هناك نوع من المستشرقين الذين يأخذون بالمناهج العقلية الجديدة التى تتحرى الدراسة الموضوعية والتيارات الجديدة للأفكار ويقفون من الدراسات الإسلامية موقفاً عادلاً منصفاً.

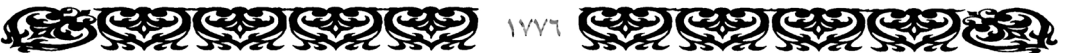
● وهناك نوع آخر منهم يقف عند المناهج العقلية القديمة التى كانت تسير الاستعمار ولم يزل يقف من الدراسات الإسلامية موقفاً عدائياً، وهذا ما يقيم فجوة بين الصنفين من الاستشراق الغربى. ويقف بين تخاصم المنهجين: القدماء والمحدثين من المستشرقين صنف آخر، وهو دخول المتخصصين الذين ينتمون إلى البلاد المدروسة، تلك التى عانت من الاستعمار أشد المعاناة، واشتد سخطها عليه فهم له كارهون، إلى ساحة البحث العلمى الأوروبى لأول مرة بعد استقلال بلادهم وسفر أبنائها إلى الغرب للدراسة. بعضهم جرفتهم أضواء الحضارة الأوروبية ومالوا إليها كل الميل غير عابئين بقضيتهم الوطنية فلم يفرقوا بين مطلبهم العلمى، ومطلبهم الوطنى. وقبلوا مناهج الاستشراق بما له وبما عليه.

وبعض آخر، جرفتهم نزعتهم الراضية للاستعمار إلى رفضهم مناهج الاستشراق سواء الذى واكب الاستعمار أو الذى لم يواكبه بل رفض كل مكتسب علمى باعتباره

من وجهة نظرهم، ملوثاً بالعقلية المركزية الأوروبية والعقلية الاستعمارية. وتحت ضغط تاريخ الاستعمار الأشد حلقة من الليل تشدد الحدة وتشدد الأزمة وتتجمد بنوع من المقاومة العمياء والتحجر العقلى بين الطرفين.

غير أننا نرى - أى مكسيم رودنسون - أن السبب فى عدم التفاهم بين الطرفين يرجع إلى أمور عارضة فى التاريخ السياسى والتاريخ الثقافى، فأصحاب البلاد المدروسة كانوا قد تكونوا علمياً على مناهج الاستشراق القديم، فعمموا كراهيتهم لغطرسة الاستعمار وأحكامه الظالمة على الشعوب وتراثها، ومساعدة الاستشراق القديم له، وتعميم أحكام التاريخ السياسى وهو التخلف والفقر والجهل، على التاريخ الثقافى، وهو غير التاريخ السياسى، إزدهار فكرى ونضوج فلسفى وعلمى وحضارى نراه قد عمم حكمه السياسى ووصفها هى الأخرى بالهمجية والتخلف فخلف لدى الشعوب وأبنائها كرها له وسخطاً عليه.

ومما يحسب للاستشراق الحديث، كما يرى مكسيم رودنسون، أنه هو الذى رفع رايات النقد والمعارضة وأثار الشكوك والشبهات حول منازع الاستشراق القديم ومناهجه ووصفه بأنه غير جدى فى بحوثه وغير جدير بلقبه العلمى، غير أن بعض الدارسين القوميين من البلاد المدروسة كانوا دائماً ينظرون بارتياح كبير تجاه مناهج





المنصفون من المستشرقين الذين أنصفوا أنفسهم ودراستهم واتسمت مواقفهم بالموضوعية.

يُضاف إلى ذلك - كما يرى - أن الارتياح الأسود جرف أهل البلاد المدروسة فلم يعد يشككهم في الاستشراق القديم وحسب بل تجاوزوه إلى « قضية الاستشراق » بينما هم في الغالب لم يتخلصوا بعد من تأثير المناهج البالية، وكان عليهم أن يتخلصوا منها قبل لينظروا من جديد نظرة إنصاف وعدل وعلى أساسها يكون حكمهم. من هنا يكون الخلاف الواقع ليس حول الأبحاث العلمية بقدر ما هو خلاف حول رؤى استثنائية وكتب فترات تاريخية استثنائية مازال بعض من المستشرقين غرقى فيها، وفي المقابل نرى خط الدفاع الإسلامى يقود ثورات الغضب فيه ضد الغرب الذين لا يزالون متأثرين بتاريخ الاستعمار الكريه الأسود.

ويرى مكسيم: وهؤلاء هم الذين يقدمون أنفسهم، تجاوزا الناطقين الرسميين باسمه أى باسم شعوب العالم الثالث وبخاصة الشعوب العربية والإسلامية. وهم أحياناً عبارة عن مجرد مغامرين ثقافيين يعرفون كيف يستغلون المنعطف التاريخي المضاد للاستعمار لصالحهم. فى هذا الجو المشحون بالغضب لا نستطيع التعرف على الدعوة الجامعة بين الشهود العدول من الطرفين وتلك هى مشكلة المصالحة.

الاستشراق ولم يتجروا الدقة فى تمييز مواقف مدارس المستشرقين وهى مواقف ينبغى المكوث عندها بأناة حتى يتميز الخبيث من الطيب. فبعض منهم مازال يحتقر المنهجيات الجديدة والمكتسبات العلمية الجديدة وقد تركبهم عصبيتهم فتزيدهم نفوراً فى مواقفهم، ولا يترثون حتى يميزوا بين الخبيث والطيب ابتغاء إحقاق الحق فى فرز أعمال المستشرقين قبل أن يسيؤا فهمها ويحتقرونها ويقعون تحت سطوة الأحكام العامة.

٣ - إشكالية المصالحة:

وسط هذه العصبيات الفكرية تجاه دراية الغرب بالإسلام والمواقف المشحونة بالمزايدات الانفعالية من قبل مفكرى الإسلام يقدم « مكسيم رودنسون » وجهة نظره، هدفها التواصل الثقافى بين الغرب والإسلام، التى تقوم على الحوار الفكرى الموضوعى من غير انفعال يشوبه، وهو طريق صعب شقه وسط مصاعب وأشواك بين فعل العرقية الأوروبية ذات التاريخ الاستعماري الكريه وبين رد فعل القوميين أصحاب البلاد المدروسة الذين يرفضون مناهج الاستشراق رفضاً تاماً أو الذين ارتقوا فى حُسن الاستشراق، كذلك ينبغى علينا من أجل نجاح الحوار ويأخذ شكله الجدى الموضوعى بين الغرب والإسلام علينا أن نتصافى ونصفى الجو الفكرى من وباء العصبيات وردود الأفعال المتشنجة، إذ هى تعوق أصحابه من التعرف على المكتسب العلمى الذى خلفه



٤ - منازع الاستشراق فى دراسة الإسلام:

إن دراسة النظام الإسلامى مازالت تلقى جدلاً بين المستشرقين فهناك من يدرسه بروح المودة والتعاطف، ولا تزال تلك النزعة متواصلة فى أوروبا من قبل علماء ينتمون إلى مختلف الاتجاهات الروحية، بما فيهم العلماء المسيحيون الذين يطبقون العقلانية من أمثال «لويس غارديه»، وجورج قنوتى، هنرى لاوست جاك بيرك، فهؤلاء العلماء بسبب تكوينهم العلمى والدينى وبسبب تخصصهم ميالون بطبيعة الحال إلى تبنى الرؤيا العقدية فى نظرتهم لمختلف أنواع الظواهر ويزداد هذا التوجه رسوخاً إذا ما علمنا أن حياتهم الدينية الخاصة هى ذاتها موجهة نحو هيمنة الروحانية الدينية أو حتى الصوفية عليهم. ولكن كما يقول مكسيم رودنسون على الرغم من ذلك فإن الجزء الأكبر من بحوثهم وتحليلاتهم يمكن أن يقبل حتى من قبل الباحثين ذوى التوجه الفكرى المختلف تماماً عنهم، أما الشئ الذى ننتقده بشكل أكثر فى أعمالهم، فهو محاولتهم نشر وتعميم إشكالياتهم ورؤياهم لكى تشمل الإسلام وظواهر أخرى دينية بالمعنى الحرفى للكلمة، بينما الإسلام نظام

مختلف عن النظم الأخرى يتشابه معها فى أشياء ويفترق عنها فى أكثرها.

ومازالت تلك النزعة سائدة وتشمل قطاعاً واسعاً ومهماً من المستشرقين، وهى وإن كانت تمثل التيار المضاد للاستعمار وللعرقية المركزية. كما تمثل الاتجاهات المسكونية للمسيحيين «الذين يشعرون بالذنب بسبب الأضرار القديمة التى سببوها للمسلمين» أقول - آى رودنسون - إن هذه الموجة السائدة حالياً وهى سيادة الأدبيات التبجيلية الإسلامية حالياً قد جعلت أى نفوذ للعقائد أو للشعائر الإسلامية «الممارسات الدنيوية للمجتمع الإسلامى» بمثابة السقوط فى حمأة الموقف الاستعمارى، أى موقف الهيمنة والاحتقار الذى كان سائداً فى المرحلة الاستعمارية السابقة. وقد زاد من هذه الظاهرة، ذلك التراجع العلمى عن بعض قضايا إسلامية توصل إليها مستشرقو المرحلة السابقة عن «التاريخ المقدس» الإسلامى وعن كيفية جمع القرآن بالدرجة الأولى كانت تعتبر سابقاً بمثابة المكتسبات النهائية للعلم ولكنها أصبحت الآن عرضة للتشكيك فى الغالب وخضعت لتعليقات جديدة وفق مصادر جديدة.

الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل! والمدَّعون عليه مُزورون

للمُستأذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى

٢

المسئول عن انتشار ظاهرة «الرق» وكون الإنسان أصبح فيها سلعة تباع وتشترى كما تباع الأبقار والحمير والبغال والنعاج والخراف؟

وفشل المسلمون عن إنصاف الإسلام في هذه الظاهرة وصمة عار في تاريخهم الحديث. وإن كان قليل منهم قد أجاد وأحسن في إنصاف الإسلام في هذه الدعوى وغيرها، مثل الأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافي رحمه الإسلام في كتابه القيم «حقوق الإنسان في الإسلام» والأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه المعروف «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه».

ومع جودة ما كتبه فإنه لم يقض على ما قرَّ في أوهام الناس من تصديق الفرية الأوروبية، التي يناصرها ويروج كثيرون من حملة الأعلام منا - نحن العرب والمسلمين - إما جهلاً بالإسلام، وإما تجاهلاً وتحاملاً عليه، لحاجة في نفس يعقوب.

وأشدَّ ضرراً من فشل مسلمي العصر - الحامى الفاشل - في هذا المجال، فشلهم في مجال آخر أوسع نطاقاً من ظاهرة «الرق» وأقوى سلطاناً.

رأينا في المقال السابق، كيف فشل المسلمون المعاصرون، الذين شبههم الشيخ محمد الغزالي باغامى الفاشل في عجزهم عن الدفاع عن الإسلام رأينا كيف فشلوا في مجال ظاهرة «الرق» والقضاء على هذه الظاهرة على يد الإسلام بما أنزل الله في كتابه العزيز من آيات حكميات، عالج فيها تلك الظاهرة علاجاً حكيماً، ثم جاء الغرب في العصر الحديث، وعزا القضاء على ظاهرة «عبودية البشر للبشر» إلى الحضارة الغربية الحديثة، متمثلة في وثيقة حقوق الإنسان، التي أصدرتها منظمة هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

ولم يقف دور خصوم الإسلام عند حد هذه الفرية: فرية أن حضارة أوروبا الحديثة، بعد قيام الثورة الفرنسية، وهي صاحبة هذا الفضل على الإنسانية وليس الإسلام.

لم يقفوا عند هذا الحد، بل إن كثيراً من كتاب الغرب ومفكره ادعوا أن الإسلام نفسه هو



نظام يصنعونه هم، ويكون الذى يختارونه هو المسئول عن تطبيقه على كل الناس فإذا انحرف عزلوه، ونصبوا من هو أصلح منه هذا الوهم هو أصل النظام أو الفكرة «الديمقراطية» فى العرف السياسى المعاصر، حتى فى المجتمعات العربية والإسلامية. وفى أوروبا يطلقون على نظرية جان جاك روسو مصطلح:

«إنجيل الثوار» أى الذين قاموا بالثورة منذ أكثر من مائتى سنة بقليل.

وسلمنا نحن -العرب والمسلمين- لأوروبا بصحة هذه الدعوى، وأن «الديمقراطية» هى صناعة أوروبية خالصة. وهى أساس العدالة المطلقة فى الحياة!!

كذلك لم يقف الافتراء على الإسلام عند هذا الحد: أنه لم يعرف شيئا عن عدالة نظم الحكم «الديمقراطية» بل أضافوا إلى ذلك أن نظام الحكم فى الإسلام نظام شمولى مضطرب، وعزف على هذا الوتر كثير من العلمانيين والحداثيين فى البلاد العربية والإسلامية وما يزالون يرددون هذه الافتراءات حتى هذه الآونة، والله -وحده- يعلم ما يحمل هؤلاء فى طواياهم من حقد وعناد للإسلام، أو جهل أو جهالة، والرأى العام العربى والإسلامى وقع ضحية لهذه الفرية، وفى الاحتفال بمرور مائتى عام على الثورة الفرنسية من يصف «باريس» بأنها «مدينة النور» هكذا، ومن قال هذا مسئولون كبار فى الوطن العربى.

ومن شأن هذا الإجلال «الأعمى» أن يطمس الحقيقة فلا يكاد يراها أو يسمع بها أحد، وخاصة قطاعات الشباب؟

إنه مجال عدالة نظام الحكم، أو «الديمقراطية» أوروبا بعد الثورة الفرنسية، التى قضت على استبداد الحكم فى الغرب، ممثلا فى سلطة رجال الدين فى المجال الروحى، وعلى سلطة الملوك والإقطاعيين، والثنائية التى نتجت عنهما:

● رجال الدين يملكون روح الإنسان وقلبه.

● والملوك يملكون جسد الإنسان وعقله وعرقه، هذه الثنائية هى أخطر محنة تعرض لها الإنسان الأوروبى فى القرون الوسطى، حتى منتصف القرن الثامن عشر، حين حلت الفلسفة العقلية محل سيطرة النصوص الدينية المخرفة التى كانت تحميها الكنيسة وتباركها، ثم حلت الفلسفة الوضعية المادية على يد أوجست كُنت، ثم تبنّاها مشعلوا الثورة الفرنسية، وأخرجوها من حيز النظر والفكر المجرد، إلى مجال التنفيذ والتطبيق العملى، ولهذا كان شعارهم الذى يرددونه وهم يواجهون سلطتى رجال الدين والملوك:

أشنعوا آخر ملك، بأمعاء آخر قسيس.



منذ ذلك الوقت اعتقدت أوروبا الحديثة أن عدالة نظم الحكم أو «الديمقراطية» صناعة أوروبية خالصة، نظريا وعمليا، فقها وتطبيقا، وتدعم دعواها هذه بنظرية جان جاك روسو، التى تقوم على مجرد وَهْم توهمه، وخلاصة نظريته:

إن الفوضى والظلم كانت سائدة فى المجتمعات البدائية بين الناس، فالقوى يبطش بالضعيف، والكثير يظلم القليل، ولم تستطع الأديان، حتى الصحيح منها أن تحل هذه المشكلات، فاهتدى الناس إلى أن يختاروا واحدا منهم يسوسهم على



أما فى إمبراطوريتى الفرس والروم فكان الملك وأقرباؤه لا يرون للرعية أية حقوق عليهم . أما هم فلهم على الرعية كل الحقوق ، وكانت الشعوب أشبه ما يكونون بعمال السخرة ، يقومون بكل الأعمال التى تحقق السعادة لأسيادهم من العائلات الحاكمة .

وكان الناس ينقسمون طبقات عليا ودنيا ومتوسطة فالطبقة العليا التى تستبد بشئون الحياة وهى طبقة الحكام وأسرهـم ، والطبقة المتوسطة هم القائمون على توفير السعادة للملوك وعائلاتهم .

أما الطبقة الدنيا فهم عامة الشعب الكادحون ، الذين يعملون فى فلاحـة الأرض وما اتصل بها من أنشطة لتدر فى قصور ومرافق الحياة للأسر الحاكمة .

وقد أفاض الدكتور على عبدالواحد وافي فى مقدمة كتابه « حقوق الإنسان فى الإسلام » فى وصف هذه الطبقات ومدى ما أصاب الطبقة الدنيا من أضرار ، وانعدام لصفاتهم الإنسانية التى فطرهم الله عليها . وحرهم منها الأكاسرة والقيصرة والأباطرة . حتى أحيـلت حياتهم إلى قهر واضطهاد يذبيان الصخور .

لقد مورس النظام الديمقراطى منذ فجر الإسلام المبكر فى حياة صاحب الدعوة ﷺ كما أرسى قواعد ذلك النظام القرآن الكريم ومما هو معروف الآن أن النظم الديمقراطية تقوم على مبدأ هو الأساس الأعظم فيها ، وهو مبدأ الشورى فى غير مجالات التبليغ عن الله . وفى ذلك قال الله لرسوله الكريم :

وهذا كله تزوير لا أساس له ، فالإسلام هو صاحب الفضل فيما فى النظام الديمقراطى من محاسن مع براءته الجلية مما فى النظام أو النظم الديمقراطية المعاصرة من مساوئ وعيوب ترتب عليها خلل جسيم فى واقعيـات النظم الديمقراطية المعاصرة ، فى المناهج النظرية ، وفى التطبيقات العملية فى الشرق والغرب على حد سواء . إلا ما شاء الله له العصمة . وقليل ما هم .

وكما نعلم أن جوهر الديمقراطية هو حكم الشعب للشعب . وهذه العبارة مأخوذة من عبارة اليونان القدماء وهى :

« ديمو - كريت » أى حكم الشعب للشعب . أى أن الشعب هو الذى يحكم نفسه ، لا حكما مباشراً ، بل بمعونـة النواب الذين يختارهم الشعب عن إرادته الحرة المباشرة .

إن ما فى النظم الديمقراطية من محاسن قد سبق إليه الإسلام سبقا غير قابل للنزاع والجدل ، ولا يقدح فى ذلك أن اليونان القدماء قد عرفوا هذا النظام قبل الإسلام ، فإن اشراك الشعب فى الحكم عند اليونان كان صوريا ومخادعة ، فهم كانوا يختارون أفراداً من رؤساء العشائر والطبقات إرضاء لمن يرأسونهم كما يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « الديمقراطية فى الإسلام » مع بذل العطاء لأولئك الرؤساء المختارين ، ولم يكن لدى اليونان مبدأ دستورى يحترم العدالة ، ويتوخى الوسائل المحققة لها بين جميع الطبقات .

ولما جاء الإسلام كانت نظم الحكم فى شبه الجزيرة العربية والأطراف المتاخمة ، وفى إمبراطوريتى الفرس والروم ترجع إلى رؤساء القبائل والعشائر فى شبه جزيرة العرب .



﴿وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١)

كما وصف الرعيل الأول من المسلمين، وكل من نهج نهجهم من بعدهم فقال:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (٢)

وقرن امتداحه إياهم على تمسكهم بالشورى بثلاثة أمور هي أساس الإيمان والإسلام، وهي:

● الاستجابة لله.

● إقامة الصلاة.

● الإنفاق الواجب (الزكاة) وغير الواجب طاعة لله ورسوله:

«والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، وفثيما رزقناه ينفقون».

كما كرر القرآن الحث على تحقيق العدالة بين الناس مهما تفاوتت أوضاعهم، حتى لو كانوا خصوما شديدي العداء للمسلمين، ودعا إلى عدم التأثر بالحب أو البغض تجاه الخصوم في إصدار الأحكام.

واعتبر أعمال العاطفة أو الهوى ضلالا يستحق صاحبه سواء المصير.

ففي مجال الفصل بين الأفراد أنزل الله الضوابط الصارمة الآتية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٤).

والشَنَاَن هو البغض والكرهية

أما في مجال جماعات الخصوم، المعادين للإسلام، بل المحاربين له فعلا، المتربصين به الدوائر، فقد شدد القرآن في إنصافهم وإعطائهم حقوقهم والأصل في ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (٥).

أى لا يحملنكم عداؤهم إياكم أن تظلموهم وتعتدوا عليهم.

أما التطبيق العلمى في حياة النبي ﷺ فمنه:

● استشارة النبي أصحابه في التصرف في أسرى غزوة بدر، قبل أن ينزل في شأن الأسرى- عموما- حكم في القرآن الكريم.

(١) آل عمران (١٥٩).

(٢) النساء (١٣٥).

(٥) المائدة (٢).

(٢) الشورى (٣٨).

(٤) المائدة (٨).



وكان اجتماع سقيفة بنى ساعدة أول عمل ديمقراطى بعد حياة صاحب الرسالة . وقد برزت فى هذا الاجتماع ثلاث نظريات سياسية :

- أن يكون الخليفة من المهاجرين .
- أن يكون الخليفة من الأنصار .
- أن تكون الخلافة بين المهاجرين والأنصار ، أمير من الهاجرين وأمير من الأنصار .

ثم سرعان ما استبعدوا نظرية الانقسام وأجمعوا أن يكون الخليفة واحدا لا اثنين . كذلك أجمعوا بإرادة حرة على أن يكون الخليفة من المهاجرين .

ثم رشحوا لها ثلاثة من كبار المهاجرين : أبوبكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، الذى وصفه الرسول بأنه « أمين هذه الأمة » لكنه تنازل عن ترشيحه ، فبقى الأمر بين أبى بكر وعمر ، وأخذ كل منهما يفضل الآخر على نفسه . فأنحصر الترشيح فى أبى بكر فأسرع الناس إلى مبايعته ، وكان أولهم عمر بن الخطاب -رضى الله عنه .

وكانت مبايعة الصحابة لأبى بكر علنية ، لم يتخلف منهم أحد إلا سعد بن عباد ، لأنه كان يرى أنه أحق من غيره بها ولكن لم يبايعه أحد ، حتى قدمه الأنصار .



● استشارة النبى أصحابه فى الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة فى غزوة أحد ، أو البقاء فيها يدافعون عنها من الداخل .

● العمل برأى أحد الصحابة فى المكان الذى عسكر فيه المسلمون لملاقاة المشركين فى غزوة بدر ، وكان هذا رأى يختلف عن رأى رسول الله ﷺ ، لكنه ﷺ عمل به لما رآه أكثر نفعا من رأى الذى رآه هو ﷺ . عرض الأمر على أصحابه فى التعرض لعير قريش قبل العزم على التصدى لقريش فى غزوة بدر نفسها .

● كثرة ما كان يقول ﷺ لأصحابه « اشيروا على أيها الناس » .

وهذا كان فى غير أمور التبليغ والتشريع ، فهما ليسا من مجالات الشورى لقوله عز وجل :

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (٦) .

وهكذا سلك أصحابه من بعده ، فما كان يستبد بإدارة شئون المسلمين فرد واحد قط . وقد تجلت ممارسة الديمقراطية عقيب وفاة النبى ﷺ ، وبرز الوعى الفطرى بها عند الصحابة -رضوان الله عليهم- فقد هرعوا إلى اختيار وال لشئونهم قبل أن يواروا الجثمان الطاهر فى مثواه الأخير ، ولأهمية هذا الاختيار وجثمانه الطاهر مايزال بين أيديهم .





وهذا هو ما يسمى فى العرف السياسى
الوضعى الحديث بـ «نزع الثقة» عن القادة
الكبار إذا انحرفوا عن أداء الأمانة أو عجزوا
عن تحقيق مصالح الأمة العليا أو جاروا
وظلموا ظلما لا يحتمل.

● إذا عزلت الأمة واليا فهى صاحبة الحق
وجدها فى تنصيب من هو صالح للأمة العظمى
(رياسة الدولة).

وهذا هو السند فى قولهم : الأمة مصدر
السلطات فهل -ياترى- فى النظم الديمقراطية
الوضعية الحديثة إجراءات أكثر مما ذهب إليه
فقهاء الشريعة الإسلامية قديما وحديثا أكثر مما
أقره الإسلام فى نصوصه التشريعية وتطبيقاته
العملية عبر العصور؟

قد يقول قائل: نعم، فليس فى ما ذكرت
منسوبا إلى نظام الحكم فى الإسلام أحزاب
ولا معارضة، كما هو معروف فى النظم
الديمقراطية الوضعية المعاصرة والإجابة على
هذا ملخصها فى الآتى :

إن المعارضة كانت معروفة حتى فى حياة
صاحب الرسالة ﷺ، وقد ذكرنا نماذج منها
فيما تقدم ونضيف إليه نماذج أخرى من عصر
الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم .

● فبعد وفاة الرسول مباشرة حدثت المعارضة
لنظرية انقسام أمر المسلمين إلى خليفتين لما فى
ذلك من إضرار بمصالح الأمة . كما حدثت
المعارضة لجعل الخلافة فى الأنصار دون المهاجرين .
وحدثت المعارضة لأبى بكر رضى الله عنه
فى شأن عزمه على محاربة المرتدين وكان

وقد رسم أبوبكر فى خطابه للأمة فور
اختياره خليفة لرسول الله ﷺ .. حيث بين
فى ذلك الخطاب :

● أنه وكلى على الأمة وهو فرد منهم وليس
له خيرية على أحد منهم :

«إنى وليت عليكم ولست بخيركم» .

● إنصاف الضعفاء من ظالمهم الأقوياء
«الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق
له . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ
الحق منه» .

● وجوب طاعته إذا أطاع هو الله
ورسوله، فإذا لم يطع الله ورسوله فلا
طاعة له عليهم .

وكان هذا البيان مع سلوكه فى إدارة شئون
المسلمين وسلوك عمر من بعده . ثم عثمان -
رضى الله عنه- والإمام على من بعده،
مصدرا لما استقر عليه فقه الإمامة الدستورى
الإسلامى .

● إن تعيين الإمام الأعظم (رئيس الدولة)
لا يكون إلا بالإرادة الحرة من أبناء الأمة .

● إن الإمام الأعظم هو وكيل فعلى للأمة .

● إن من حق الأمة مراقبة الإمام الأعظم
فى ممارسته لمهام الإمامة، وهى حراسة الدين،
وسياسة الدنيا .

إن من حق الإمامة تقديم النصيح للإمام
الأعظم .

● إن من حق الأمة عزل الإمام الأعظم إذا
ارتكب أخطاء جسيمة، ولم يستجب لنصح
الأمة .



فإن الحق الأبلج تسلبه أوروبا من الإسلام -
ونحن أربابه- ثم تعجز الأمة- المحامي الفاشل-
الآن عن الجهر بحق الإسلام، وتسلم وهي
مقهورة أو عاجزة لخصومها بشمولية نظام
الحكم فى الإسلام واضطرابه وعشوائيته .



هذا الفشل الفكرى الأدبى، الذى تسبب
فيه «المحامي الفاشل» عن الإسلام «الأمة»
أوقع العالم الإسلامى -الآن- فى مخالب
الغرب الصليبي، ومنح الغرب فرصا ذهبية
لفرض الحضارة الغربية المادية على واقع الحياة
فى الشرق أو الجنوب الإسلامى، الذى بدأه
الغرب أو الشمال الصليبي منذ احتلال الهند
من قبل الإنجليز. عام ١٨٥٧م واحتلالهم مصر
عام ١٨٨٢م.

ولكنه الآن دخل مرحلة الفرض بالسلاح
الأمريكى الأخضر «الدولار» فإن لم يفلح
السلاح الأخضر، فلا مناص من استعمال
السلاح الأحمر.. الحرب المسلحة.. وفى إطار
هذا الاتجاه أعلن كولن باول وزير خارجية
أمريكا مشروع الولايات المتحدة لإجراء
إصلاحات ديمقراطية فى دول الشرق الأوسط
(العرب) تشمل هذه المجالات: السياسية-
الاقتصادية- التعليمية- الثقافية-
العقائدية.

بالسلاح الأخضر أولا. وبالسلاح الأحمر
ثانيا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

أشدهم معارضة له عمر بن الخطاب -رضى
الله عنه- ثم حُسم الأمر لما بين لهم أبو بكر
-رضى الله عنه- سلامة ما عزم عليه، وذكر
لهم فى ذلك حديثا عن رسول الله ﷺ وما
لبث الصحابة جميعا طويلا حتى أجمعوا
على رأى أبى بكر -رضى الله عنه .

كما حدثت المعارضة لأبى بكر لما جعل
أسامة بن زيد قائدا لجيش كان قد أعده
رسول الله ﷺ لمواجهة الروم، وكان أسامة
أصغر سنا (١٨ عاما) .

وقد تمسك أبوبكر -رضى الله عنه- بأن
رسول الله هو الذى عين أسامة قائدا قبل
وفاته فكيف يعزل أبوبكر مَنْ وُلّاه رسول
الله .. وأنفذ أبوبكر بذلك أمر الرسول بدون
خلاف .

فالمعارضة مشروعة فى الإسلام، والحجة
فيها تقارن بالحجة أما العمل فيكون
بالصواب أو الأصوب وهناك فرق واضح بين
المعارضة فى نظام الإسلام وبين المعارضة فى
النظم الوضعية الحديثة، فالمعارضة فى نظام
الإسلام لم يكن فيها أحزاب تبحث العيوب،
أو تفتريها إذا لم تجدها بقصد التشهير .

والمعارضة فى الإسلام كانت تريد أن تصل
إلى ما هو حق وصواب فإذا تبين الحق
والصواب فالجميع مؤيدون مناصرون .

فالإسلام هو أبو النظم العادلة، أقر هذه
العدالة قبل أن يولد الغرب وحضاراته ومع هذا



قيم التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية

للمستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

الإنسان حضاريا وبين انتمائه فكريا وعقديا . وتدلنا حقائق الواقع المعاش وتجارب الخبرة الإنسانية على أن المجتمع القادر على تحقيق التوافق والانسجام بين حركة الحياة الواقعية وبين النسق الفكري الموجّه لهذه الحركة هو القادر في ذات الوقت على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضاريا بما يحقق الخير والتقدم، سواء كانت هذه الفكرة في مجال العلم أو التقنية أو الاجتماع أو الاقتصاد أو غير ذلك من مجالات النشاط الإنساني .

وهكذا أصبح في حكم المؤكد والثابت أن هناك أعمدة رئيسية يقوم عليها بنية الحضارة . . . ويضاء بها قنديل التقدم، ألا وهي منظومة القيم التي تؤثر في حياة البشر وسلوكياتهم، وتحدد شكل العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل الإنساني . وهي صمام الأمان داخل التجمعات البشرية . وتمثل هذه القيم أدوات الضبط الاجتماعي ومحركات السلوك، وتفرز آليات الاستقرار والتوازن في المجتمعات البشرية . وإذا تعرضت هذه المنظومة القيمية إلى هزات أو تحولات، أو انتابها نوع من الخلل، تدهورت أحوال البشر وعم الفساد في الأرض، وشعر الناس

من يستقرئ التاريخ الإنساني في مساره الطويل، منذ آلاف السنين، منذ كان الإنسان يقدح حجر الصوان لاستخراج الشرر، حتى وصوله إلى تفجير الطاقة من الذرة، واكتشافه أثناء ذلك أن فكرة « التقدم » تعنى أن يكون الحاضر أفضل من الماضي، وأن يكون المستقبل أفضل من الحاضر، سوف يجد أن حصاد هذه المسيرة الوعرة لم يكن ليتحقق إلا بعثوره على « كلمة السر » المتمثلة في منهج النظر السليم، سواء في مجال التفكير العلمي، أو في مجال الحياة على نطاقها الواسع . وكان هذا المنهج العلمي الذي دلت عليه تعاليم الإسلام الحنيف بمثابة حجر الزاوية في منظومة القيم التي بنى عليها الإنسان ثقافته ورسمت له خطى التقدم والتطور . فمنها يستبصر آفاق النجاح، وعنهما تتفرع أغصان الحضارة . بل إن استمرار حضارة ما أو اندثارها إنما يتوقف على جانب القيم وجانب الأفكار السائدة التي لها قوة التوجيه والدفع إلى الأمام، والتي تحدد العلاقة الوثيقة بين تنمية الإنسان وانتتمائه . . إذ النماء والانتماء صنوان، فهما بمثابة السبب ونتيجته . ولطالما أكد علماء التربية على وجود هذه العلاقة الوثيقة بين تنمية



ممكنة من علومه التى جاءت ثمرة لنشاطات العقل فى مختلف مجالات المعرفة، ولو لم يفتن أيضا بفطرته النقية إلى العلاقة المتبادلة بين العلم والقيم التى لها هى أيضا قوة الدفع نحو الأنفع، وأنها - شأنها شأن النماء والانتماء - بمثابة السبب ونتيجته، لولا هذا كله لتعثرت مسيرة الحضارة، ولضل الإنسان طريقه نحو الارتقاء والتطوير واستبصار آفاق النجاح على مراحل تاريخية متعاقبة.

وإلى جانب المنهجية العلمية السليمة فى النظر والتفكير، كعنصر أساسى فى منظومة قيم التقدم، تأتى قيمة «الهدف الأسمى» لمعرفة الحق والحقيقة فى أعماق النفس الإنسانية وفى آفاق الوجود، وللوقوف على طبيعة العلاقة العضوية بين الذات والموضوع أو بين عالم الأفكار وعالم الأشياء. ففى غياب «هدف أسمى» يتجمد عالم الأفكار وعالم الأشياء، ويفقد كل منهما فاعليته الحضارية فى الإفادة من الملكات التى منحها الله - تعالى - للإنسان، والثروات التى سخرها جل وعلا لخدمة الإنسان ومنفعته فى هذا الكون. ومرة أخرى، عندما تختل العلاقة السليمة بين الأفكار والأشياء، أو بين الذات والموضوع، أو بين الإنسان والكون، كما أرادها الله - سبحانه وتعالى - فإن هذا لا يثمر مردودا حضاريا فاعلا يحقق ارتقاء الإنسان فكريا وعمليا. وهذه هى السمة الغالية للأمم فى عصور التخلف والانحطاط، حيث يكون للناس آذان لا يسمعون بها، وعيون لا يبصرون بها، وقلوب لا يفقهون بها، فيعرضون عن تأمل مشاهد الكون وآياته، ويصبح الاتصال بين الإنسان والأشياء اتصالا

بفقدان التوازن وعدم الثقة وضياع الرؤى، وانتابت المجتمعات البشرية حالات من الإحباط والعجز والقلق والتوتر وعدم الرضى، وشاعت بين الناس حالات من التردى والوهن، وسادت الفوضى الأخلاقية والسلوكية، وفقد النظام الاجتماعى قدرته على الاستمرار، وظهرت حالة من «اللامعيارية» يضيع معها الشعور بالإنتماء، ومن ثم تتعطل معها حركة التنمية والنماء، وتظهر أنماط معاكسة من القيم السلبية المتمثلة فى صور التقليد الأعمى والتعاون السلبي والحوار التصادمى (ثقافة العنف) وافتقاد مقومات الدقة والإتقان والأمانة وغيرها.

وإذا كانت القيم السائدة فى مجتمع ما هى جزء لا يتجزأ من ثقافة هذا المجتمع، وهى التى تحدد للإنسان ما يجوز له فعله بالمعلومات التى يجمعها والقوانين العلمية التى يتوصل إليها، مثلما تحدد معايير السلوك فى تعامل الناس مع بعضهم البعض فإن هذا يعنى أن صياغة معنى «الثقافة» ومعاييرها لا تكتمل إلا بوجود قيم الحق والخير والجمال، وفى هذه الحصيلة تكمن القوة الدافعة للفكر الإنسانى بأن يفعل شيئا معيناً ويحجم عن فعل شيء آخر. ولو لم يدرك الإنسان - منذ خرج إلى نور التاريخ - أن فكرة «التقدم» وثيقة الارتباط بمدى فهمه لحقائق الكون والحياة بالقدر الذى يتناسب مع ما يكتسبه من خبرات وما يحصله من معارف، وبالصورة التى تلائم قدرته على التكيف مع ما يحيط به من ظروف خلال المرحلة التى يمر بها من تاريخه المحدود فى هذا الوجود، ولو لم يكن مدركا قبل هذا كله دور القيم الإيجابية الفاعلة فى تحقيق أقصى فائدة





جميعا على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هي نفسها - أى الأديان - موقف قيمي صريح لأنها تحدد ما ينبغي للإنسان أن يقوم بعمله إزاء هذا الكون.. حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج فى المنزل، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة. ومن شأن هذا التدرج القيمي أن يسلم إلى قيمة أعلى تكون منبع القيم جميعا، ومصدر السلطة والإلزام، وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز فى الدنيا والآخرة مصحوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية والإخذ بما تأمر به واجتناب ما تنهى عنه.

ومن فضل الله علينا - نحن أبناء الأمة العربية والإسلامية - أن أمدنا بمنهاج إسلامي قويم، وأمرنا بالسعى فى ظله إلى تحصيل العلم وفهمه ونقده وتمحيصه دون أى قيد، ثم علينا أن نعرضه على قيمنا وحاجتنا، فيكون لنا من بعد ذلك فيه رأى واختيار، على ضوء ما جاء فى شريعتنا الإسلامية الغراء.

وفى الإسلام، يعتبر الخطاب الإلهي والبيان النبوي هما الفيصل فى الحكم على الحسن والقبح، وعلى المباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبح ما خالف الشرع ويترتب عليه العقاب فى الآخرة.. والله يغفر لمن يشاء.

ولقد قدمت الحضارة الإسلامية نموذجا رائعا لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين عناصر ثلاثية «القيم والدين والعلم»، فقد نقلت حضارات

سطحيا، فهو لا يرى من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها.. وهى حالة لا تؤدى مطلقا إلى إثارة الأسئلة عن الأسباب والعلل، ولا تسفر أبدا عن قضايا ومشكلات تتطلب أحكاما وحلولا.. والتقدم العلمى والتقنى لا يتحقق إلا بمثل هذه الأسئلة والمشكلات.

وتكتسب «قضية القيم» عموما أهمية خاصة فى عصرنا بعد أن بدأ تيار «العولمة» يخترق الحدود والخصوصيات من خلال الفضائيات والشبكة الدولية للاتصالات (الإنترنت)، وأصبح الجميع مطالبين على وجه السرعة بتدارس إمكانية التعامل مع هذه العولمة ومواجهة ألتها الطائشة والعمل على ترشيد وجهتها بإعادة التوازن الطبيعى لقطبية الكوكب الذى نعيش عليه من أجل الحفاظ على ماهية الإنسان وإنجازاته الحضارية. وإذا كان الحديث عن الجانب القيمي والأخلاقي قد فرضته خلال العقود الأخيرة مشكلات عديدة أفرزتها ثورة العلوم الفيزيائية والبيولوجية المتطورة، وفجرتها تقنيات المعلومات والاتصال، فعلى قدر ما تضيف هذه العلوم والتقنيات إلى حصيلتنا المعرفية، وتزيد من قدرتنا على التحكم بالأشياء وتتيح لنا خيارات جديدة على الدوام، نجدها تثير أيضا قضايا جديدة تدور حول ما هو صواب وما هو خطأ. أما المعايير التى تحدد صواب الأمور أو خطأها فإنها تنبع من مصادر متباينة بشأن المبدأ الأخلاقي والموقف القيمي.

عند هذه النقطة تبرز واضحة جليلة أهمية الدين فى حياة الإنسان. وتتفق الأديان



الأقدمين وتفاعلت معها - دون مانع من جنس أو لون أو عقيدة - ولخصتها وتمثلتها وطورتها وقدمتها علما عالميا موحدا، وثيق الارتباط بمبادئ الدين والخلق القويم .. واستهداء بقوله سبحانه:

﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١).

ولا يمكن أن نجد مفهوما مقنعا للحقيقة إلا في إطار الثقافة الإسلامية، حيث سمى الله نفسه في القرآن الكريم بالحق، وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ (٢).

وقوله: ﴿فَذَلِكُمُّرَادُ اللَّهِ رَبِّكُمْ الْحَقُّ﴾ (٣). ولكن الله - جل وعلا-، بالإضافة إلى أنه الحق، فهو مصدر ما نراه في هذه الدنيا من حق أو حقيقة، لأنه هو الذى خلق بالحق، وهو الذى يقضى بالحق ويهدى به، يقول تعالى:

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٤)، ويقول:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (٥).

ويقول:

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٦).

ويقول:

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ (٧).

وأول سمات الحقيقة فى الثقافة الإسلامية هو أن البحث عنها لا يفصل بين النظرية والتطبيق، فلا يعقل أبدا أن تكون الهداية إلى الحقيقة مجرد هداية إلى الفكرة الصائبة وحدها، بل لابد أن تتعدى ذلك فتصبح هداية إلى السلوك السليم أيضا. إذ لا فصل بين النظر والعمل فى عرف الإسلام، ولا خير فى علم عنده إلا إذا كان معه عمل نافع، فإن البحث عن الحقيقة بمنظور إسلامى لا يمكن أن يكون مجرد بحث معرفى فقط، بل لابد أن يمتزج بالبحث عن قواعد أسلوك القويم من الناحية الأخلاقية. وليس من سبيل الصدفة أن توضع كلمة الباطل فى مقابل كلمة الحق فى المنهج الإسلامى، وذلك لأن الحق فى هذا المنهج لا يعنى مجرد الصحة أو السلامة فى التفكير المنطقى النظرى، بل يشير فى معناه إلى دائرة أكثر شمولاً واتساعاً تتداخل بطريقة أو بأخرى مع دائرة الخير. كما أن كلمة الباطل لا تعنى فقط الفساد فى التفكير، بل تشير فى معناها إلى دائرة أكثر شمولاً واتساعاً تتداخل على نحو أو آخر مع دائرة أخرى هى دائرة الشر.

(٢) الأنعام (٦٢)

(٤) يونس (٥).

(٦) غافر (٢٠).

(١) فصلت (٥٣).

(٣) يونس (٣٢).

(٥) الأنعام (٧٣).

(٧) يونس (٣٥).





كذلك يتسم البحث عن الحقيقة في الثقافة الإسلامية بتحديد مركز الإنسان من العالم الذي يعيش فيه . ويشير القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وهو الذي حمل الأمانة بعد أن عرضها الله - تعالى - على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وهو الذي سخر الله له ما في السموات وما في الأرض . كما يشير القرآن الكريم في آيات أخرى إلى الوجه الآخر من حقيقة الإنسان وحدوده، ويظهره على أن الكون أكبر منه، وعلى أن مركز الثقل في بحثه عن الحقيقة لا يوجد في عقله ونفسه فقط، بل يوجد أيضا في الكون من حوله، فيقول الله تعالى :

﴿عَٰنَتْكُمْ أَسْوَءُ خَلْقٍ أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا﴾ (٨).

ويقول :

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ

خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩).

كما يشير القرآن الكريم إلى الأصل الترابي للإنسان وتسويته من مادة قبل أن ينفخ الله فيه من روحه، وذلك في قوله تعالى :

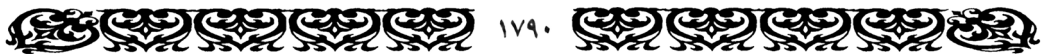
﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (١٠).

ومعنى هذا كله أن الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى هي ارتباطه بالعالم، لا يمثّل فيه مجرد جزء منه فقط، بل ليرتبط بتاريخه أيضا، ويكون أهلا للبحث عن الحقيقة وحمل الأمانة .

وعندما غاب هذا الهدف الأسمى للحقيقة وسماتها، كما عرفتھا الثقافة الإسلامية، في العلاقة بين الإنسان والكون أو بين العلم والدين، حدث الانفصام بين الفكرة والشيء، ولم تعد للمرء سيطرة فاعلة لا على الأفكار ولا على الأشياء، فهو يلمّ بالأفكار بعض إلام دون أن يستوعبها، ويمر بظواهر الأشياء دون أن يتصل بكياناتها ليستنتقها .. ومنذ حدث ذلك عند المسلمين أفلت حضارتهم وظهرت شمسها عند أناس غيرهم عرفوا كيف يستنتقون التفاحة قبل أن يفكروا في التهامها .. وعرفوا من خلال ذلك كيف يخلعون على الأفكار وعلى الأشياء في أن معا قيمتها المعرفية وفاعليتها الحضارية .. لكنهم - بتخليهم عن الهدف الأسمى الحقيقي الذي قدمه المنهج الإسلامي الرشيد - إنما يحفرون قبرا لدفن حضارتهم المادية المهتدة بالفناء بين لحظة وأخرى .

وهكذا يقودنا تحليل مجرى التاريخ الإنساني وفهم مسيرة التقدم الحضارى على أن معنى « الثقافة » يجب تحديده بحيث تعنى رصيد الفاعليات الإنسانية متجلية في السلوك العملى والفعلى والروحي، وأن عناصر « الثقافة الإنسانية، هي العلوم بقوانينها وتقنياتها، والقيم بتأثيرها وتوجيهها، والفكر بتاريخه ومنهج، والمجتمع الذى تنشأ فيه بنظمه وسلوكياته . ويمكن لثقافتنا الإسلامية أن تقدم ما هو أكثر من عناصرها المادية والفكرية لبناء المجتمع المتوازن الذى يتجه أبناؤه بحمية وحماس إلى الابتكار والإنتاج بعزيمة وإيمان لثقتهم فى قدرة هذا المجتمع المتوازن على احتضان الأفكار الصائبة ورعايتها واستثمارها حضاريا .



شجاعة

العلماء

في إساءة

النصيحة

إلى

الخلفاء

والأمراء

١

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

يقول الله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (١).

أى : إنما يخاف الله - تعالى - ويخشاه، العالمون بما يليق بذاته وصفاته، من تقديس وطاعة، وإخلاص في العبادة .. وكفى بهذه الجملة الكريمة مدحا للعلماء، وتشريفا لهم، حيث قصر - سبحانه - خشيته عليهم .. فالعلماء الصادقون لا يخشون إلا الله، وهذه الخشية من الله جعلتهم لا يهابون أحدا من خلق الله مهما كانت منزلته، ومهما كانت سطوته وقوته وجبروته، ولا يخشون في الحق لومة لائم، وأعطتهم هذه الخشية ثقة في أنفسهم، وعزة في موقفهم، وشجاعة في قول الحق، فنطقوا به ناصحين، وقالوه غير مترددين وجابهوا به الخلفاء والأمراء والحكام غير خائفين ..

ومن الخلفاء والولاة والحكام من عرفوا قدر العلماء ومنزلتهم وإخلاصهم في النصيحة فاستمعوا إليهم، وأنصتوا لهم، وأفسحوا صدورهم لما يستمعون، حتى ولو كانت النصيحة موجهة إليهم في صراحة وقسوة.

فقد قدم سليمان بن عبد الملك إلى المدينة وهو يريد مكة، فأرسل إلى أبي حازم فدعاه. فلما دخل عليه قال له سليمان : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟

فقال أبو حازم : لأنكم خربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .

فقال سليمان : يا أبا حازم كيف القدوم على الله ؟

قال : يا أمير المؤمنين : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيئ فكلاّبق يقدم على مولاه .

فبكى سليمان وقال : ليت شعري مالى عند الله ؟



قال أبو حازم: أعرض نفسك على كتاب الله - تعالى - حيث قال:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال: قريب من المحسنين.

ثم قال سليمان: يا أبا حازم أيّ عباد الله أكرم؟

قال: أهل البر والتقوى.

قال: فأى الأعمال أفضل؟

قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال: فأى الكلام أسمع؟

قال: قول الحق عند من تخاف وترجو.

قال: فأى المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها.

قال: فأى المؤمنين أخسر؟

قال: رجل خطا فى هوى أخيه وهو ظالم فباع

آخرته بدنياه غيره

قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟

قال: أو تعفنى؟

قال سليمان: لا بد فإنها نصيحة تلقىها إلى.

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين: إن آباءك قهروا الناس

بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من

المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة

عظيمة وقد ارتحلوا، فلو شعرت مما قالوا وما قيل لهم؟

فقال له رجل من جلسائه: بعسما قلت!

قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على

العلماء ليُبيننه للناس ولا يكتُمونه.

قال سليمان: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟

قال: أن تأخذه من حله فتضعه فى حقه.

فقال سليمان: ومن يقدر على ذلك؟

قال: من يطلب الجنة ويخاف من النار

فقال سليمان: ادع لى.

فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك

فيسره لخيرى الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ

بناصيته إلى ما تحب وترضى.

فقال سليمان: أوصنى.

فقال: أوصيك وأوجز. عظم ربك ونزهه أن

يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

● وقال عمر بن عبدالعزيز لأبى حازم: عظمى.

فقال أبو حازم: اضطجع ثم أجعل الموت عند

رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك

الساعة فخذ به الآن، وما تكره فيك تلك الساعة

فدعه الآن، فعمل تلك الساعة قريبة.

● قدم هشام بن عبد الملك حاجاً إلى مكة،

فلما دخلها قال: أئتوني برجل من الصحابة،

فقل له: يا أمير المؤمنين قد تفانوا، فقال: من

التابعين، فأتى بطاوس اليماني، فلما دخل عليه

خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بإمرة

المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم

يُكنّه، وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام غضباً شديداً حتى همّ بقتله، فقل

له: أنت فى حرم الله وحرم رسوله، ولا يمكن ذلك.

فقال هشام: يا طاوس ما الذى حملك على ما

صنعت؟

قال طاوس: وما الذى صنعت؟

فازداد هشام غضباً وغيطاً، ثم قال: خلعت



وأوصل حقوقهم. فطأ رأسه ثم رفع فقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت: حج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً، وأرى ههنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها. وخرج.

● ودخل ابن أبي شميعة على عبد الملك بن مروان فقال له: تكلم، فقال له: إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومرارتها ومعينة الردى فيها إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه، فبكي عبد الملك. وقال: لأجعلن هذه الكلمة مثلاً نصب عيني ما عشت.

● ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال: أيها الأمير: قرأت في بعض الكتب أن الله -تعالى- يقول: ما أحق من سلطان، وما أجهل من عصاني!! وَمَنْ أَعَزَّ مِنْ اعْتَزَبِي؟ أيها الراعي السوء دفعت إليك غنماً سماناً صحاحاً فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركته عظاماً تتقعقع فقال له والي البصرة: أتدرى ما الذي يُجَرِّك علينا ويَجْنِبنا عنك؟ قال: لا، قال: قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما في أيدينا.

● وحكى أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية، واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك، وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ومن الآخرة إلا قرباً، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علماً لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم، وما أوشك ما يلحق بك الطالب، وإنا نحن فيه زائل، وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.. ما أحوجنا الآن إلى أن نهتدي بهديهم وإلى أن نسلك طريقهم، وإلى أن نتبع خطاهم.

نعليك بحاشية بساطي، ولم تُقبَل يدي، ولم تُسلم على بإمرة المؤمنين، ولم تكني، وجلست بإزائي بغير إذن، وقلت: كيف أنت يا هشام؟ قال طاوس: أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليّ، وأما قولك: لم تُقبَل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين على ابن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول: لا يحل لرجل أن يُقبَل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، أما قولك: لم تُسلم على بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك: لم تكني فإن الله -تعالى- سمي أنبياءه وأوليائه فقال: يا يحيى يا عيسى. وكنت أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٣)، وأما قولك: جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علياً -رضي الله عنه- يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال له هشام: عظني.

فقال طاوس: سمعت من أمير المؤمنين على رضي الله عنه يقول: إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام وهرب.

● وعن سفيان الثوري -رضي الله عنه- قال: أدخلت على أبي جعفر المنصور بمنى فقال لي: أرفع إلينا حاجتك. فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً، قال: فطأ رأسه ثم رفعه فقال: أرفع إلينا حاجتك. فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار. وأبناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقا

وما شيء أحب إلى سفيهه
إذا سب الكريم من الجواب
متاركة السففيه بلا جواب
أشد على السففيه من الجواب

نصيحة

إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك وجه
الجمهور، فارجع إلى العقلاء وافزع إلى استشارة
العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف
من الاستعداد، فلأن تسأل وتسلم، خير لك من
أن تستبد وتندم.

كذاب

من قال: إن الشر يطفأ بالشر، فإن كان صادقا
فليوقد نارين، ثم ينظر هل تطفئ إحدىاهما الأخرى،
وإنما يطفئ الخير الشر، كما يطفئ الماء النار.

اسأل الله - تعالى - من فضله

قال حكيم لابنه: يا بني، أكلت الحنظل،
وذقت الصبر، فلم أر شيئا أمر من الفقر، فإن
افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينقصوك،
ولكن اسأل الله - تعالى - من فضله فمن ذا
الذي سأل الله فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو
تضرع إليه فلم يكشف ما به.

أنا أعرف نفسي

كان يزيد بن المهلب مسافراً بصحبة ابنه
معاوية فمرا بامرأة بدوية فاستضافتهما،
وذبحت لهما عنزا، فلما أكلا، قال يزيد
لابنه: ما معك من النفقة؟ قال: مائة دينار
فقال: يزيد: أعطها إياها، فقال له ابنه: هذه
امرأة فقيرة، يرضيها القليل وهي لا تعرفك،
فقال يزيد: إن كان يرضيها القليل فأنا لا
يرضيني إلا الكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا
أعرف نفسي.



أرد بثلاث على ثلاث

سئل قائد لجيش كيف استطعت أن تولد الثقة في نفوس أفراد جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث من قال: لا أقدر، قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرب.

فرح.. وحرز

تزوج مغن بنائحة، فسمعها تقول: اللهم أوسع لنا في رزقنا.
فقال لها: إنما الدنيا فرح وحرز، وقد أخذنا بطرفي ذلك، فإن كان فرحاً دعوني وإن كان حزناً دعوك.

يسير الكلام

النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام، وفيه قيل:
من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

دعاء

اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبك أصبحت وأمست، ذنوبى بين يديك، وأستغفرك وأتوب إليك فلا حول ولا قوة إلا بك.

يا أمير المؤمنين.. تذكرنى بالراعى

روى أن بعض وزراء هارون الرشيد، قال له: وقد رآه ينفق أموالاً طائلة على العيون والجواسيس: إنك يا أمير المؤمنين تذكرنى بالراعى الذى خاف على غنمه من الذئاب فاصطحب كثيراً من الكلاب، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى ذبح نصف قطيعه لإطعامها.

حقيقة

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقير خير من غنى يطغيها وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

قالوا...

المرأة تخاف الرجل الذى يمضى مع غضبه، وتخاف أكثر من الرجل الذى يملك غضبه، ونخاف أكثر من هذا وذاك الرجل الذى يملك غضب الآخرين ويسيطر عليهم وهم غاضبون.

حتى لا يتأذى بها غيرى

تزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق، فكان يصبر عليها، فقيل له: لم لا تطلقها؟ فقال: أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها، فيتأذى بها.

زات النطاقين

للإستاذ / محمود محمد شاكر



الفجر، فيتقدم ابن الزبير فيصلي بنا أتم صلاة، ثم يستأذن الناس ممن بقى من أصحابه أن يؤدع أمه «أسماء بنت أبي بكر الصديق» فأنطلق وراءه وما أكاد أراه مما احتشد الناس في المسجد، وقد ماجوا وماج بهم يتذاكرون ويحضضون ويحرضون، وزاحمت الناس بالناكب أرجو ألا يفوتني مشهد أسماء تستقبل ولدها وتودعه ولقد تعلم أنه مقتول لا محالة، فما أكاد أدركه إلا وقد انصرف من دارها يريد المسجد، وإذا امرأة ضخمة عجوز عمياء طوالة كأن سرحة في ثيابها، قد أمسكت بعضادتي الباب تصرف وجهها إليه حيثما انتقل، فوالله لكانها تثبته وتبصره، وقد برقت أسرة وجهها تحت الليل برق العارض المتهلل، ثم تنادى بأرفع صوت وأحنه وألينه، قد اجتمعت فيه قوة إيمانها وحنين قلبها: «يا عبد الله أيأ بنى، إني أملك التي حملتك، وإني احتسبتك فلا تنهن ولا تجزع. يا بنى ابذل مهجة نفسك، ولا تبعد إلا من النار.. يا عبد الله لا تبعد إلا من النار، أستودعك الله يا بنى!» ثم تدور لتلج الدار فكأنها شرع قد طوى.

قال عمر بن أبي ربيعة بعقب حديثه: .. فوالله لقد جهدنا البلاء - يا أهل مكة - ولقد صبرنا على حصار الحجاج سبعة أشهر أو تزيد في غير حصن ولا منعة، وإن ألدنا ليرى وقد لحقت بطنه بظهره من الجوع والطوى، ولولا بركة تلك العين (يعنى زمزم) لقضينا، وصدق رسول الله ﷺ «إنها مباركة، إنها طعام طعم» لقد أشبعنا ماؤها كأشد ما نشبع من الطعام، وما ندري ما يفعل بنا منذ اليوم. فلقد خذل «ابن الزبير» أصحابه خذلانا شديداً، وما من ساعة تمضى حتى يخرج من أهل مكة من يخرج إلى الحجاج في طلب الأمان. ألا شاهدت وجوه قوم زعموا أن سينصرونه، يحمون «البيت» أن يلحد فيه، ثم ينكشفون عنه انكشافاً كما تتفرق هذه الحمام عن مجثمها على الرّوع.

وخرجت، ومكة كأنها تحت السحر خلية نحل مما يدوى في أرجائها من صوت داع ومكبر وقارئ، وصمدت أريد المسجد فأسمع أذان «سعد» مؤذن ابن الزبير فأصلى ركعتي



عنى فإنى فى الرِّعيل الأول»... ثم يدفع فى صدور أهل الشام دفعة عند باب بنى شيبة كأنه صاعقة، وكأنه أسد فى أجمة، ويحيص أصحاب الحجاج حيصه فى منازلهم من الرُّعب، فلقد رأيته يقف ما يدنو منه أحد، حتى ظننت أنه لا يقتل، حتى إذا كان بين الركن والمقام رمى بحجر فأصاب وجهه فبلغ منه حتى دمي، وسال دمه على لحيته، وأرعشت يده.. وغشيه أصحاب الحجاج من كل ناحية وتغاووا عليه، وهو يقاتلهم جاثما أشد قتال حتى قُتل.

وارحمنا لك يا بنت أبى بكر!! أى كبد هى أشد لوعة من كبك! لقد والله رحمت رحمة إذ كف الله منك البصر، لكن لم تكونى تجزعين لموته، لقد كنت جزعت لما مثّلوا به وحزوا رأسه، ورفعوه على خشبة منكسا مصلوبا...

وما كدت حتى أقبلت أسماء بين يديها كفن قد أعدته ودخنته، والناس ينفرجون عن طريقها فى أعينهم البكاء، وفى قلوبهم الحزن والرعب، قد انتسفت وجوههم كأنما نشروا من قبورهم لساعتهم، وسكنت الأوصال، وجالت الأحداق فى محاجرها وكأنها همت تخرج، وتمشى أسماء صامدة إلى الخشبة صمدا وكأنها ترى ابنها المصلوب، وكأنها تستروح رائحة دمه، حتى إذا بلغته - وقد وجم الناس وتعلقت بها أبصارهم ورجفت بهم قلوبهم - وقفت، وقد وجدت رائحة المسك تحت ظلاله فقالت: «يا بنى طبت حيا وميتا، ولا والله ما أجزع

رحمة الله عليكم يا آل أبى بكر، لأنتم أصلب الناس أعوادا وألينهم قلوبا. وأحسن الله عزاءك يا ذات النطاقين، فلقد تجملت بالصبر حتى لقد أنسيت أنك أم يجزع قلبها أن يهلك عليها ولدها فيتقطع عليه حشاها.

وانصرفت عنها بهمى، أسعى فوالله ما رأيت كالיום أكسب لعجب وأجد لحزن من أم تكلى يحيا ظاهرها كأنه سراج يزهر، ويموت باطنها كأنه ذبالة توشك أن تنطفئ، وذهبت ألتمس الوجوه وأحزانها، فما أرى وجومها وقطوبها وانكسارها ورهقها وصفرتها إلا ذلة النفس وخضوعها واستكانتها وضعفها وعلتها، وأن المؤمن حين يحضره الهم أشعث أغبر يرده إيمانه - حين يؤمن - أبلج يتوقد، ليكون البرهان على أن الإيمان صقل الحياة الدنيا، ينفى خبثها ويجلو صداها، فإما ركبتها من ذلك شيء، عاد عليها يحادثها ويصقلها حتى يتركها بيضاء نقية...

وما بلغت المسجد حتى رأيت ابن ذات النطاقين قائما بين الناس كأنه عمود من طوله واجتماعه ووثاقة بنائه؛ وحضرته وهو يقول: «أيها الناس، عجلوا الوقاع، ولا يرعكم وقع السيوف، وصونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، فلينظر رجل كيف يضرب، لا تخطئوا مضاربكم فتكسروها، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه كان أعزل أعضب يؤخذ أخذا كما تؤخذ المرأة، ليشغل كل امرئ قرنه، ولا يلهيكم السؤال عني: أين عبد الله بن الزبير؟ ألا من كان سائلا



مُبْلَغُ الْحَجَّاجِ أَنَّ الْمُثَلَّةَ سَبَّةً لِلْحَيِّ وَمَا تَضُرُّ
الْمَيِّتَ، أَلَا مَنْ يُبْلَغُ الْحَجَّاجُ عَنِّي أَنَّ الشَّاةَ إِذَا
ذُبِحَتْ لَمْ تَأْلَمْ السَّلَخَ».

وحامتُ أَسْمَاءُ وَطافت بين الناس وبين
هذه الخشبة ساكنة صابرة، لا يرى إلا بريق
وجهها يومضُ كأنه سيف صَقِيل، ثم طففت
تردد «يا بني، أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟
أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ يا بني ليستأذن
أحدكم حَجَّاجَكُمْ هذا أن يدفع إلي هذه
العظام، أدوا عني، يرحم الله من أدى عني».

فيجيء الرسول من قبل الحجَّاج يأبى
عليها أن تدفع إليها عظام ابنها المصلوب،
ويجيء على أثره موكلون قد وكلهم بجثته
يقومون عليها يحرسونها، كأنما خشي أن
يحيى ميت قد حُز رأسه أن تمسه أمه. فوالله
لقد سمعتُ أَسْمَاءَ وَخُبِرْتُ فما زادت على
أن ولَّت عنهم كما جاءت ما تقطر من
عينيها قطرة دمع، وما تجاوز قوماً إلا
جاوزتهم كأنهم فسطاط يتقوَّض، حتى
ولجت بابها وغلقت عليها.

وانطلقت أنفض الناس بعيني، فرأيتُ
أخي الحارث (ابن عبد الله بن أبي ربيعة)
وابن أبي عتيق (هو عبد الله بن محمد بن
عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق) ما في
وجهيهما رائحة دم من الحزن والفرق.
فقلت: ما هذا أو أن جزع؛ انطلقوا بنا -
يرحمكم الله- إلى دارها نواسيها ونترفقُ
لها، فوالله لقد تخوفتُ أن يذهب بها الحزن
عليه، وإنه لفالق كبدها ما لقيته. ويطرق
الباب ابن أبي عتيق. فيجيب الصوت من

لفراقك يا عبد الله، فمن يك قُتل على باطل
فقد قُتل على حق، والله لأننين عليك
بعلمي: لقد قتلوك يا بني مُسلماً محرماً
ظمآن الهواجر مصلياً في ليلك ونهارك».

ثم أقبلت وجهها السماء ومدت يديها
تدعو: «اللهم إني قد سلَّمته لأمرِك فيه
ورضيت بما قضيت له، فأثبني في عبد الله
ثواب الشاكرين الصابرين، اللهم ارحم طول
ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك
النحيب، وبره بأبيه وبى».

ووجم الناس وجمة واحدة، وخشعوا
خشعة لكان السماء والأرض صارتا رتقا فما
يتنفس من تنفس إلا من تحت الهمم والجهد
والبلاء، وكأن مكة بيت قد غلقت عليه
أبوابه لا ينفذ إليه أحد ولا يبرحه أحد،
وكان الناس قد نزعت أرواحهم وقامت
أبدانهم وشخصت أبصارهم، وبدت أَسْمَاءُ
بينهم وكان وجهها سراج قد نص على
سارية، لا يزال يزهر ويتلألأ، ثم تلتفت كأنما
تتطلع في وجوه هذه الأبدان الخوالد، وأضاء
ثغرها عن ابتسامة، والله لقد بلغت من
العمر وما سقطت لها سن، وما زال ثغرها
ترف غروبه ثم قالت: «يا بني، لشد ما
أحببتم الحياة وأثرتم دنياكم، فخذلتم
أخاكم، وفررتم عن مثل مصرعه، يا بني يغفر
الله لكم جزاكم الله عن صاحبكم خيراً».

وأطرقت أَسْمَاءُ إطراقة ثم رفعت رأسها
تومي إلى الخشبة فوالله لقد رعدت فرائصي
حتى تزايلت أوصالي، وصر الناس كأنما
تقصفت أصلابهم، وإذا هي تقول: «ألا من



إلا كما احتسبت نطاقى ذا كم. وأعود إلى دار
أبى بكر ويأتى نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل
فوقفوا ببابها، فأخرج إليهم فيقولون: أين
أبوك يا بنت أبى بكر؟ فأقول: لا أدري والله
أين أبى؛ فيرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً
خيثاً - فيلطم خدى لطمه يطرح منها قرطى،
فتقول بى الأرض الفضاء، فوالله لما لقيت من
حجاجكم هذا أهون عندى مما لقيت من لطمه
أبى جهل وأنا بعبد الله حاملٌ مُمّ. يا بنى إنى
آخر المهاجرين والمهاجرات، لم يبق على
ظهرها بعد عبد الله منهم غيرى؛ فلا والله ما
حسن أن يجزّع من هاجر - وإن شأن الهجرة
لشديد - وما حسن أن يجزّع من شهد المشاهد
مع رسول الله ﷺ، وكيف وقد أريت على
المائة؟

«يا بنى جزاكم الله عنى وعن أخيكم خيراً،
قوموا لشأنكم وذرونى وشأنى يرحمكم الله».
وودّعنا وانصرفنا، ولا والله ما نجد لأسماء
فى الرجال ضرباً، فأين فى النساء؟ ولكنها
كانت تصبر صبر المهاجرين الأولين على
الجهد والبلاء.

وما كان صُبح خامسة من مقتل ولدها
حتى استجابت لدعوة ربّها - رضى الله عنها
وأرضاه - وهى أمٌ حنّت تكتّم حنينها،
ولكأنه عجل بها موته فقطع نياطها وصدع
فؤادها، وفلق كبدها عليه حينها إليه.

* الرسالة، العدد الممتاز،
السنة السابعة سنة
١٩٣٩م.

داخل: قد أسمعت فمه. فيقول: أنا ابن أبى
عتيق يا أمّاه. ويؤذن لنا فندخل دارها تجف
قلوبنا من الروع والرّهبة، ونأخذ مجلسنا
عند بنت أبى بكر الصديق خليفة رسول الله
ﷺ وزوج حوارية عليه السلام، وكان قد
تركنا الدنيا وراءنا وأقبلنا على الآخرة.

استضحكت أسماء حتى بدت نواجذها
وقالت: «مرحباً بكم يا بنى، جئتم من خلل
الناس تعزّون أمكم فى عبد الله. يرحم الله
أحاكم لقد كان صواماً قواماً ما علمت.
وكان ابن أبيه الزبير أول رجل سل سيفه فى
الله، وكان أشبه الناس بأبى بكر.

يا بنى، والله لقد حملته على عُسرة،
والمسلمون يومئذ قليل مستضعفون فى الأرض
يخافون أن يتخطفهم الناس، ولقد سعت به
جنيهاً بين بيت أبى بكر وغار ثور بأسفل مكة
فى هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبى بكر -
رضى الله عنه - آتيهما تحت الليل بما
يصلحهما من الطعام؛ ويسكن الطلب عن
رسول الله ﷺ، فأتيتهما بسفرتهم
وسقائهما ونسيت أن أتخذ لهما عصاماً؛
فلما ارتحلا ذهبت أعلّق السفرّة فإذا ليس لها
عصام، فوالله ما أجد ما أعلقهما به، ووالله
ما أجد إلا نطاقى وإذا أنا حبلى مُمّ. فيقول
أبو بكر: يا أسماء شقيّه بائنين؛ فأشقه فأربط
بواحد منهما السقاء وبالأخر السفرّة؛ فلذلك
ما سمّانى رسول الله ﷺ «ذات النطاقين»
يعنى فى الجنة وأعود بعبد الله يرتكض فى
أحشائى، قد احتسبت نطاقى فى سبيل الله
فوالله ما أجدنى احتسبت بنى عبد الله اليوم



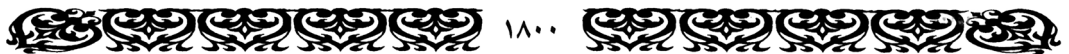
الأزهر في عيده الألفي

لشاعر الأزهر الأستاذ الدكتور حسن جاد حسن

أرأيت كيف طوى القرون الأزهرُ * * وأدال عمر الدهر وهو معمور؟
مرت عليه الألف لم توهن له * * عزمًا ولا أوهت قواه الأعصر
وأشباب ناصية الزمان ولم يزل * * وأهابه غض الشباب منضر
الله ناط به الكتاب وهديه * * حفظًا، فلا يبلى ولا يتغير
وحبا كنانته به فأحلها * * شرفًا تطول به السماء وتظهر
هرم من الأهرام إلا أنه * * حرم يلم به الحجيج ومشعر
أبدا تشد له الرحال حثيثة * * ويؤم بعد المسجدين ويذكر
يسعون من كل الفجاج ليأخذوا * * من يصح القول عنه ويؤثر
لا تغترر يوما بصرح شاده * * وهم على عقل البناء مسيطر
ليس الذي يبنى الحجارة مثل من * * يبنى العقول النيرات ويعمر
ما شاد بان في الكنانة مثلما * * شاد المعز الفاطمي وجوهر



يامعهدا عم المشارق نوره * * فمشى على أضوائه المتحير
واستنهض الدنيا فرجع شرقها * * عنه وجاوب غربها المتحضر
ووعى علوم الدين والدنيا معا * * متوثب الخطوات لا يتعثر
وحمى الشريعة وهو حصن كتابها * * وبه يفيض نعيمها المتفجر
وتعهد الفصحى فكان لسانها * * وعليه ألوية البلاغة تنشر



كم أطلعت آفاقه من أنجم ** زهر، وكم تنساب منه أبحر
 من كل ركن في الشريعة يستبى ** في العلم أفذاذ العقول ويسحر
 من كان يلتمس الحقيقة حرة ** فلدية جوهر لبها المتخير
 كم في رحاب الأرض من طلابها ** حجوا إليه خاشعين وكبروا
 ما ضر لو سلك الشباب سبيله ** في الحق واستهدوا به واستبصروا
 طلبوا الهدى من غيره فتطرفوا ** وتخططوا في الوهم حتى كفروا
 ولو استبانوا الرشد لم يتشددوا ** فالدين أسمح في الأمور وأيسر
 علل النفوس خطيرة لكنما ** علل التدين والعقيدة أخطر
 من ذا سواه يروض جمح نفوسهم ** بهداه وهو على الرياضة أقدر؟
 كم ذا رماه بالتخلف مفرض ** فهل الأصالة رجعة وتأخر؟!
 حسبوا الحفاظ على التراث تحجرا ** فهل الحفاظ على التراث تحجر؟
 إفك تورط فيه كل مضلل ** لما تولى كبره المستعمر
 من لم يؤسس بالقديم جديده ** فجديده واهي الأساس مزور



مرت عليه الحادثات فجازها ** متجلدا حينا، وحينا يزأر
 كم قاد ثورات النضال وشبها ** نارا على المستعمرين تُسعر
 وجرى زكيا من بواكيه دم ** عبق بأنفاس الخلود معطر
 وإذا استضيم الشعب أو ريع الحمى ** صرخت مآذنه وضج المنبر
 من أشعل الحرية الحمراء في ** ساحاته نورا ونارا تصهر؟
 وملاحم يجهشوا لها تاريخه ** غمرا بأقلام الخلود تسطر
 من بث روح الوعى حمرا لم يزل ** بلد البطولات التي لا تقهر؟
 إن الموكل بالحنيف وهديه ** أخرى وأخلق بالجهاد وأجدر

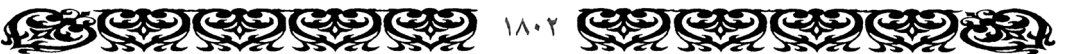




يا أزهـر الماضـى الجـيـد تحـيـة ** النـد فـوح أريـجـهـا ، والعـنـبر
غـراء يـوجـبـهـا الوـفـاء وذمـة ** تـرعى الحـقـوق ، ومـنة لك تشـكر
أنا من غـراس يـديـك فـرع خـمـيلة ** كـرمت مـنابتـهـا وطاب العنـصر
يـجـرى البـيان الحـق فى أعـراقـهـا ** عـذبا فـتـطـلع نابـهـيـه ، وتـثـمر
تـتـفـيأ الفـصـحـى ظـلـيل ظـلالـهـا ** وغـصـونـهـا للـعـبـقـريـة مزهـر
مـاض عـلـيـه من الجـلال مـهـابة ** يـعـنـو لـهـا اغـتـال ، والمتـجـبـر
أنـى لأذـكـره فـيـهـر خـاطـرى ** والمـجـد حـقا ما يـروع ويـبـهر



لبـيك شـيخ الجـامـعات ومن به مصر على الدنـيا تـتيـه وتـفـخر
كنت السـماء تـرفـعـا ومـكانة ** طـلع الشـيـوخ بهـا نجـوما تـزهـر
كـانوا مـلوـكا لـلمـلوـك وكـلهم ** فى وـجـه طـغـيان المـلوـك غـضـنـفر
لم يـغـرهم جـاه ولا أـزرت بهـم ** دنـيا ولا اسـتـهـواهمـو ما يـنـكر
من مـد فى وـجـه الخـديـوى رـجلـه ** زهـدا ، وضـم يـديـه وهـو المـقـتـر؟
من صـير الأمـراء فى سـوق الحـمى ** سـلـعا تـقـوم قـبل أن يـتـأمـروا؟
والراسـخ الإيـمان لـيس يـخـيفـه ** من دهره إلا العـلى الأكـبـر
والعـلم كان مـنا هـلا يـروى الصـدى ** ظمـآنـه مـنـهـا ، وعـنـهـا يـصـدر
حـلقـاته الغـراء حـول شـيـوخـه ** هـالات أقـمـار سـناها أقـمـر
كـانت خـلايا النـحل عـند دويـهـا ** وبـهـا جـناها ، والـرحـيق السـكر
ويـسـاحـهـا شـتى المـذاهب تـلتـقى ** فالـسـاح حـشد والأئـمة حـضر
تغـشى مـجالسـهـا المـلائك خـشـعا ** ويـحـفـهـا مـد السـماء النـير





وتعمها النفحات من أنفاسها ** وكأنها المسك الفتيق الأنفر
فالعلم قصد الطالبين لذاته ** لا يبتغي جاه به، أو مظهر
يا أزهر الماضي وكم فى النفس من ** ذكرى يؤججها أسى وتحسر
عقدت لسانك عجمة ولطالما ** قد كان باللغة الفصيحة يهدر
جيل - لعمرك - ما يصحح آية ** حتى غدت منه المنابر تسخر
من أهمل القرآن حفظاً نماله ** عى اللسان الأعجمى فيحصر
نفثات أشجان زحمن مشاعرى ** ومن الشجون مقيد ومحزر
أشدو وفى عيني وبين جوانحى ** دمع يجول ومهجة تتفطر
لكننى فى عيىـدك الألفى لا ** أنسى الرجاء قرب كسر يجبر
مهما نظمت لك الوفاء وصفته ** درا فإنى فى الوفاء مقصر
يكفيك أنك أنت مصر ومجدها ** يوم الفخار وأن مصر الأزهر

اقرأ فى هدية

عدد شهر ذى الحجة

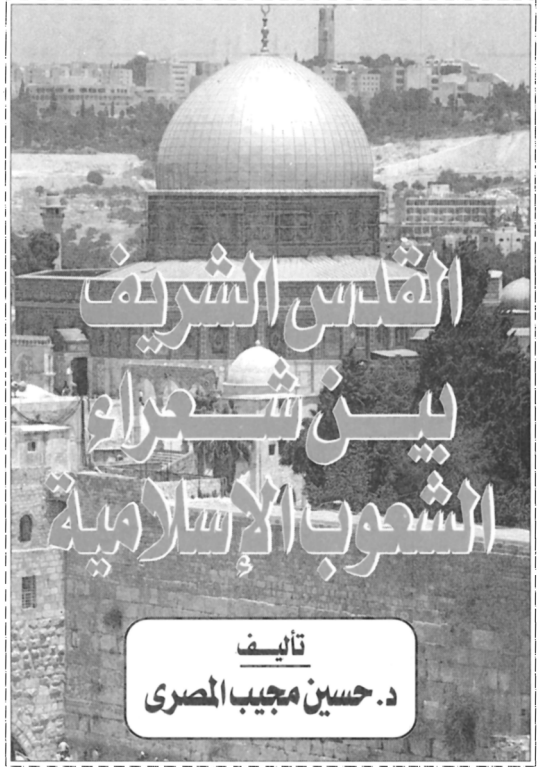
**الجزء الرابع من بهجة النفوس شرح مختصر
صحيح البخارى لابن أبى جمرة الأندلسى**

- ولهذا - ألزم الكاتب نفسه - كما يقول - منذ مايربو على أعوام خمسين بالتعريف بآداب وتواريخ الشعوب الإسلامية، ليعلم قارئ العربية ما لم يكن يعلم من تراثه الإسلامى . مخافة أن يظن بعضهم أن هذا التراث المجيد ليس إلا فى العربية وكفى .

- ومع أن عدد الصفحات التى تضمنت (أشعار العرب) حول القدس الشريف أكثر بكثير من الصفحات التى تضمنت شعر غيرهم، إلا أن ما لا يدرك كله، لا يترك جله، وجهد المقل غير القليل، وأن القليل أمانة على الكثير - كما يقول المؤلف الفاضل .

- وفى البداية - وفى نحو (٤٥ صفحة) يقدم الباحث دراسة تحت عنوان (القدس فى تاريخها) ... لكن يبدو أنه ركز على تاريخها الإسلامى فحسب ...

- وبعد أن يستعرض المؤلف بعض النصوص الواردة فى معاجم البلدان ينتهى إلى أن القدس تقع على خط عرض ٣٥، ٤٦، ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٥، ١٣، ٢٥ شرق جرينيتش، وهى هضبة غير مستوية تتراوح فى ارتفاعها بين ٢١٣٠ و ٢٤٦٩ . أما جوها فهو قارى صحراوى، والتفاوت كبير فى الحرارة بين ليلها ونهارها، وليس بها أنهار بل تحيط بها عينون، وتندفع من بعضها جداول عند هبوط الأمطار،



عرض وتحليل

دكتور/ عبد الحليم عويس

- فى مقدمة بحثه يؤكد المؤلف والأديب الكبير الدكتور حسين مجيب المصرى على أنه لا حاجة إلى دليل قاطع ولا برهان ساطع ندعم به مانذهب إليه من أن (القدس) أصبحت أمراً ذا بال يشغل المتقين والمتفكرين، فى كل أرض تقول لا إله إلا الله، وبذا جرت الأقلام وفاضت القرائح بعدما فعل الصهاينة من أفاعيل وكان لهم مالهم من أهاويل خصباً ... !!



● وفي شعبان على رأس ستة عشر شهراً، وقيل على رأس سبعة عشر شهراً حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وقبل ذلك كانت القدس أولى القبلتين.

● وقيل إن سليمان - عليه السلام - هو الذى بنى المسجد فى القدس، وكان داود - عليه السلام - شاء أن يبنيه، فأوحى الله - تعالى - إليه: أن هذا بيت المقدس وأنت صبغت يدك فى الدماء فلست ببانيه، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء (وهذا من أكاذيب التوراة!!).

● وفى العام الثالث عشر للهجرة وهو العام الذى توفى فيه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - شرع عمر فى تجهيز جيوش المسلمين إلى الشام، فحشد جيشاً عظيماً قسمه أقساماً، وجعل على كل قسم منه أميراً عين له البلد الذى يفتحه.

● ومضى عمر - رضى الله عنه - إلى الشام، وقيل إن سبب قدومه الشام أن أبا عبيدة لما حاصر بيت المقدس قال له أهلها أن يصلحهم على صلح أهل مدن الشام وأن يكون من يتولى العقد عمر بن الخطاب فكتبه وقدمه إليهم.

٢ وبعد أن يستعرض المؤلف تاريخ القدس فى العهد الإسلامى مروراً بصلاح الدين وحتى العصر الحديث ومافعله اليهود... يقول: (إن تلك المدينة الجريحة أقدم الأماكن فى التاريخ لها مالها من رفعة المكانة عند

وموقعها على هضبة يجعلها فى موقع حصين، لأن العدو لا يراها من بعيد بينما تستطيع حاميتها رؤية من يهاجمها. ومن أهم جبالها (جبل الزيتون) وهو من الناحية التاريخية من أهم الجبال المحيطة بتلك المدينة، وجبل موريا أو (جبل بيت المقدس)، وقد ورد اسم هذا الجبل فى التوراة فى قصة الذبيح الذى قدمه ابراهيم - عليه السلام - قرباناً.

● والقدس القديمة تتألف من أربعة أحياء هى: حى المسلمين فى الشمال الشرقى، وفى الجنوب الشرقى حى اليهود الفرنجة الروم فى الشمال الغربى، وفى الجنوب الغربى حى الأرمن، أما الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود فأقيم بينها جدران، وثمة أرض واسعة مساحتها ٤٨٠ X ٣٠٠ ثلاثمائة متر فى أربعمائة وثمانون متراً على أرض مرتفعة، وهذه ماتسمى بالحرم الشريف، وشوارع القدس ضيقة، والمنازل مبنية بالحجر ولها أفنية.

● واسم هذه المدينة (إيلياء) وهى كلمة سريانية فى اللغة السريانية، وينسب إليها أحد الأنبياء، وهى كذلك اسم (بيت المقدس)، كما يقال إن هذا الاسم هو اسم الخضر - عليه السلام - ومعناه الصديق الأكبر. وقال لنا من له علم بالسريانية أن الرومان هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم عند فتحها... (هكذا يقول المؤلف الكبير - رحمه الله).



الثالث (القدس في الشعر التركي)
الصفحات من ١٨٣ - إلى - ١٩٧ - أى ثلاث
عشرة صفحة فقط، ويحتل الموضوع الرابع
(القدس في الشعر الأردى) مساحة ثلاث
وعشرين صفحة (١٩٨ - ٢٢١)...

وبهذا الموضوع ينتهى الكتاب «مؤكداً
صدق مؤلفه مع نفسه حين قال فى صدره:
«وجدت مادة - عن القدس - سخية فى الشعر
العربى، ولكنها شحيحة فى شعر اللغات
الأخرى» [ص ٥] وهو أمر يوجب استمرارية
البحث عن أصداء (القدس) فى اللغات
الإسلامية الأخرى، بواسطة تلامذة الدكتور
حسين مجيب المصرى المنتشرين فى أقسام
اللغات الشرقية فى الجامعات المصرية
والعربية، وحبذا أن يتمكن بعضهم من
ترجمة البحوث التى كتبها أبناء هذه اللغات
أنفسهم عن (القدس الشريف) ... ولربما
وجدت رسائل علمية قدمت فى جامعاتهم،
وإذا لم يكن ذلك قد تحقق فلا مانع من إعداد
رسائل حول (القدس الشريف) فى اللغات
الإسلامية هذه ... كدراسات مستقلة بكل
لغة على حدة، أو دراسات تعتمد منهج
النقد الأدبى المقارن!!

ومع ملاحظة الإطالة فى الجانب التاريخى
والشعر العربى، فى مقابل الإيجاز الشديد
(اضطراباً لعدم وجود مادة كما اعترف
المؤلف الفاضل) فى الشعر الفارسى والتركى

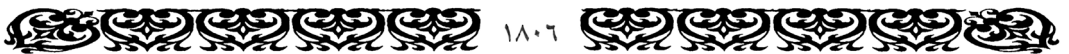
أصحاب الديانات السماوية، ولذا كانت
محط نظر الدول التى تحرص على التوسع،
وتسعى إلى السيطرة على مناطق الجذب فى
العالم.

ولا ينسى التاريخ ولن ينسى مافعل
الصهاينة بالعرب من أفاعيل وأهاويل،
ونسوق المثل لذلك (مذابح صابرا وشاتيلا)
التي قيل فيها إن التقتيل والتذبيح دام فيها
أربعين ساعة متوالية، وقُتل فيها أكثر من
ثلاثة آلاف شخص، كما قُتل فى مسجد
الخليل فى فجر رمضان من المسلمين من كانوا
يؤدون صلاة الفجر.

كما قُتل من قُتل فى النفق بالقدس، وذكر
الحديث عن تلك البشاعات والشناعات
طويل طويل. والقليل أمارة على
الكثير.. (!)

وإذا كان تاريخ القدس ... أو (القدس فى
تاريخها) - حسب تعبیر المؤلف - قد شغل
هذا الحيز الممتد إلى ص ٥٢ مع أن الكتاب
عن (القدس الشريف بين شعراء الشعوب
الإسلامية).

- فإن (القدس فى الشعر العربى) قد امتد
من ص ٥٣ وحتى ص ١٧٢ - أى أنه استغرق
مساحة تزيد على (١٢٠ صفحة) بينما
يحتل الموضوع الثانى (القدس فى الشعر
الفارسى) الصفحات من ١٧٣ - إلى - ١٨٢ -
أى عشر صفحات فقط، ويحتل الموضوع





كان يقدمها فى سياق عرض أدبى، مع قيامه بتحليل بعضها، وبالتعليق عليها، وشرح بعض اللفات الموجودة فيها والمقتضية للشرح، بالإضافة إلى جهده غير العادى الذى بذله فى الوصول إلى النصوص الخاصة بالقدس من بين قصائد طوال وأشعار كثيرة ربما لا علاقة بموضوعاتها بالقدس.. إلا عرضاً.

وبعض هذه الأشعار كانت الإشارة فيه إلى القدس تلميحاً وتصريحاً.. ومع ذلك نجح الكاتب فى اصطباذ هذه الإشارات، والقيام بتوضيح دلالاتها الحقيقية المتصلة بالقدس - كما أن الباحث - رحمه الله - التزم السياق التاريخى فى تتبع الأشعار المتصلة بالقدس خلال العصور: الجاهلى، ثم الأموى، ثم العباسى.. وحتى العصر الحديث. وبالطبع، فإن لنا أن نتوقع أن يكون صدى الشعر فى العصر الحديث (عصر نكبة فلسطين) هو الأكثر، وهو الأقرب إلى الوجدان، لأنه ينطلق من معاشة واقعية مأساوية يعيشها الشعراء، ويعبرون عنها، من موقع الشعور بالعجز والقهر...

- والشعور - كذلك - بالأمل - فى تغيير الواقع المأساوى...

● وعندما يورد المؤلف أبيات (شوقى) فى القدس، وهى الأبيات التى يقول فيها:

بيت على أرض الهدى وسمائه

الحق حائطه وأس بنائه

والأردى... مع هذين الملحقين اللذين خضع لهما المؤلف (اضطراباً) كما أشرنا... إلا أن المؤلف الكبير - مع ذلك - قد قدم عدداً لا بأس به من نتاج الشعراء فى حديثهم الشعرى عن القدس، ويكفى أن نذكر أنه عرض لأشعار أكثر من سبعين شاعراً، منهم أربعة عشر شاعراً غير عربى.

- وكان من أبرز من عرض لأشعارهم من العرب (الأعشى - وامرؤ القيس - والفرزدق - وعمر بن أبى ربيعة - وأبو العلا المعرى، والعماد الأصفهاني، وابن حسان الأندلسى، والعماد الكاتب، وأحمد شوقى، و خليل مطران، وصالح جودت (وحتى نزار قباني له شعر فى القدس أيضاً...!!!) ومحمود حسن إسماعيل، ومحمد التهامى، وأحمد سويلم، وحسن عبدالله القرشى، ومحمود مفلح، وفاروق جويده، وعلى هاشم رشيد... وغيرهم.

- أما من الشعراء الفرس والترك والهنود (الأوردية) فقد عرض لأشعار محمد عاكف، ويونس أمره، ويحيى بك، ونفعى، وغاننى زادة ندىرى، وبازجى أوغلو، ونشاطى، وأسرار ده ده، وسزائى قراقوج، ورمضان آلتين طاش، وعمر لطفى، وطوران قوج، وفيض أحمد فيض، ونبيلة إسحاق إبراهيم. [ولم يقدم المؤلف من الشعر الفارسى إلا شعراً له شخصياً كتبه بالفارسية!!]

● ولم يكن المؤلف مجرد مقدم للأشعار على طريقة (الاختيارات) أو (المختارات) بل



الفتح من أعلامه، والظهر من

أوصافه، والقدس من أسمائه

تحنو مناكبه على شعب الهدى

وتطل سدته على سينائه

نراه يعلق على هذه الأبيات الرائعة قائلاً:

هذه أبيات جياذ أصابت صفة القدس على الحقيقة لا نجد لها مثيلاً فيما أوردنا من نصوص الشعر القديم ونعني به التي قيلت في الإسلام إنه يبدع في قوله إنها مدينة أقيمت على أرض الهدى وسماؤه وفي هذا إشارة لامحة إلى تلك السماء التي عرج فيها سيدنا محمد ﷺ كما فيه إشارة إلى أرضها الطاهرة (ص ٦٢) وعندما تقترب مع الزمن إلى الماضي القريب، أي بعد أن استولى الإسرائيليون على القدس نجد الشاعر (حسين عرب) وزير الحج والأوقاف الأسبق بالملكة العربية السعودية يقول:

القدس يامسرى النبى

ومنارة الحق الأبى

ياأخت مكة والمدينة

فى التـراث الطيب

هتف الجـهاد بنا إليك

فجـاهدى وترقبى

اليوم يوم الثأر من

أعدائنا فتأهبى

المسلمون توافدوا

من مشرق أو مغرب

المسجد الأقصى لنا

ديهم لعزّ المطلب

رايات أحمد أقبلت

تحمى حماك فرحى

- ونحن نسوق هذه الأبيات .. لا لدلالاتها

الرائعة فحسب، بل لأننا فى حاجة إلى هذه الأبيات اليوم ... أكثر من أى يوم مضى .

● فمن أجل ألا تضيع (القدس) وأن

ينشغل المسلمون عنها، يشعل اليهود حروباً بين أمريكا والعالم الإسلامى، ويدفعونها دفعاً فى عمليات مجنونة لتهاجم شعباً فقيراً أعزل مثل الشعب الأفغانى ... وقد يدفعونها - وهى كالثور الهائج الأرعن - إلى مزيد من الحروب على بلدان أخرى مجاورة - فى بحر قزوين وآسيا الإسلامية .. لتكون - بحق - حرباً صليبية، كما أعلن بوش، وحرباً عالمية على الإسلام كما هى فى حقيقة الأمر ... منذ حرب الخليج، ومنذ الإعلان العالمى بالحرب على الإسلام الذى أصدره (المفكر العسكرى - وليس الاستراتيجى) . (صمويل هنتنجتون) فى كتابه: صدام الحضارات !!

- والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس

لا يعلمون .



النشاط التقني الصناعي في إسرائيل

تدرك إسرائيل، منذ قيامها، أهمية تفوقها التكنولوجي على العرب كافة، لتأمين وجودها قوية، وتحرص، في نفس الوقت، على تعميق «الفجوة التكنولوجية» بينها وبين الدول العربية لصالحها، وتسعى إلى جعل هذا الفارق التقني في طليعة أهدافها القومية التي تحظى من جانب النخبة الحاكمة بمحل الاهتمام الأول. والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن إسرائيل منذ اغتصابها فلسطين التاريخية، تولي عناية فائقة بدعم جهود البحث والتطوير في مختلف مجالاتها الإنتاجية، بهدف تحقيق تقدم تكنولوجي يكفل لها السيادة، والهيمنة على المنطقة العربية، خاصة أن لدى الكيان الصهيوني العديد من المؤسسات البحثية، والمعاهد العلمية، التي تسهم في النهوض بتكنولوجيا راقية النوعية في مجالات المعلومات، والفضاء، والصناعات العسكرية، والطاقة النووية، وفي مجال تكنولوجيا المعلومات أحرزت إسرائيل نجاحاً باهراً في تأمين مواقع متقدمة لها في معظم فروع هذه التكنولوجيا، فقد تنوعت مجالاتها من البرمجيات التعليمية، وبرمجيات صناعة السياحة، إلى تطبيقات البحث في الإنترنت، والنشر من خلالها. فعلى صعيد شبكة الإنترنت تحتل إسرائيل المرتبة العشرين على المستوى الدولي فيما يتعلق بعدد المواقع الإسرائيلية على الإنترنت (٣٢٣: ٢٥٢ موقع) ويكاد يعادل عدد المواقع الإسرائيلية على الإنترنت، عدد مواقع الدول العربية مجتمعة، ومن جهة أخرى، فإن إسرائيل أولت اهتماماً خاصاً بتطبيقات المعالجة الآلية للغات بواسطة الكمبيوتر، وعلى رأسها اللغة العربية، وتأتي نظم الترجمة الآلية في مقدمة قائمة هذه التطبيقات، فقد تقدمت إسرائيل إلى منظمة الوحدة الأوروبية لتطوير نظم للترجمة الآلية من لغات دول السوق الأوروبية المشتركة إلى اللغة العربية، وجدير بالذكر أن الشركات الإسرائيلية المعنية بتطوير البرامج تحاول عرض خدماتها على الشركات العالمية لتعريب نظمها، وبرامجها، لتأهيلها لاختراق السوق العربية، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن معظم الشركات العالمية الرائدة في مجال تكنولوجيا

المستأذ
مدرع عبد الرحيم محمد

فى إسرائيل، من ٤٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٢ إلى ٢,٤ مليار دولار عام ١٩٩٦، وإلى ٣,٧ مليار دولار عام ١٩٩٧. وفى إطار الصادرات التكنولوجية الإسرائيلية، تذكر الإحصاءات أنها زادت إلى نحو ٦٠٪ من إجمالي الصادرات الصناعية عام ١٩٩٨ بالمقارنة بعام ١٩٩١ حيث لم تتجاوز الصادرات التكنولوجية ٢٣٪ من إجمالي الصادرات الصناعية، أو بلغة الأرقام فقد ارتفعت هذه الصادرات التكنولوجية من ٣,٢٥ مليار دولار عام ١٩٩١ إلى نحو ١٠ مليارات دولار عام ١٩٩٨، وارتفعت أيضاً مبيعات البرمجيات وحدها من ٤٥٠ مليون دولار عام ١٩٩٠ إلى نحو ٣ مليارات دولار عام ١٩٩٩. أما بالنسبة لصادرات إسرائيل من المنتجات الالكترونية، فقد تصاعدت من حوالى مليار دولار عام ١٩٨٦ إلى نحو ٦ مليارات دولار عام ١٩٩٩. ومن ثم فقد أفضى النمو فى صادرات التكنولوجيا المتطورة الإسرائيلية إلى دعم جهود البحث والتطوير فى مختلف مجالات التكنولوجيا بوجه عام، كان من نتيجته تحقيق تطور نوعى، لافت للانتباه، فى الناتج التقنى فى عدة مجالات حيوية، منها مجال الزراعة الذى تستخدم فيه إسرائيل نظام الري بالتنقيط والرش لترشيد استغلال المياه، وحققت أيضاً نجاحاً ملحوظاً فى إدخال الحواسيب الآلية لضبط العمليات الزراعية، وتهجين السلالات النباتية والحيوانية لتنمية الثروة الغذائية، بالإضافة إلى استخدام أساليب جديدة لزراعة الصحراء،

المعلومات لها فروع داخل الكيان الإسرائيلى مثل شركة «آى. بى. إم»، رائدة صناعة الشرائح الإلكترونية عالمياً، وشركة «مايكرو سوفت» رائدة تطوير البرمجيات عالمياً، وشركة «جى. تى. إى» وهى من كبرى شركات الاتصالات فى العالم. ولاشك أن إسرائيل تستفيد كثيراً من وجود هذه الشركات الرائدة، داخلها، وتسعى إلى خطب ودها لعقد اتفاقات شراكة معها. وفى هذا الإطار ترصد إسرائيل منذ عقد الثمانينات ٤٠٠ مليون دولار سنوياً للإسهام فى تأسيس «بدايات شركات» Start Ups فى قطاع التكنولوجيا المتقدمة، لتقوم من جانبها، بتمويل برامج «الحاضنات التكنولوجية» التى تساند وتدعم الشركات الوليدة لتأخذ بيدها، أثناء عبورها مرحلة المخاض، وقد شهدت سنة ١٩٩٩ ميلاد ١٥٠٠ شركة جديدة تعمل فى مجال التكنولوجيا المتقدمة، أسهمت بدورها فى زيادة الاستثمارات إلى حوالى مليار دولار سنوياً وتؤكد أحد التقارير أن إسرائيل أصبحت أحد المنافسين البارزين فى ميدان التكنولوجيا، فهى تملك ١٧٠ من شركات التكنولوجيا المتطورة، وهى مسجلة فى بورصة نيويورك «ناسداك» وقد ارتفعت حصتها فيها فى الفترة من ١٩٩٢ - ١٩٩٧ إلى نحو ٣,٥ مليار دولار، وتحتل إسرائيل الآن المرتبة الثانية بعد بريطانيا فيما تملك من أسهم فى بورصة لندن، كما تشير التقارير إلى ارتفاع الاستثمارات الأجنبية فى مجالات التكنولوجيا



الفلكية وكل مايتعلق بالهندسة الفضائية، وتشغيل الصواريخ، ومن ناحية أخرى فإنه فى إطار التعاون الدولى، استطاعت الوكالة الإسرائيلية لاستغلال الفضاء (سالا) أن تبنى علاقات وثيقة، من خلال التعاون التقنى والأكاديمى، مع كل من وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) ووكالة الفضاء الأوروبية (أيا) والمركز القومى الفرنسى لأبحاث الفضاء (سينس) ومركز الفضاء الألمانى الغربى، ووكالة الفضاء اليابانية. ومايجب التأكيد عليه فى هذا السياق أن إسرائيل قامت بتطوير برنامج لإطلاق الأقمار الصناعية، مثل القمر الصناعى «أوفيك - ١» الذى أطلق فى ١٩/٩/١٩٨٨، و«أوفيك - ٢» الذى أطلق فى ٣/٤/١٩٩٠، و«أوفيك - ٣» الذى أطلق فى ٥/٤/١٩٩٥ ومهمته هى التجسس على المنطقة العربية، و«أوفيك - ٤» الذى أطلق فى ٢٣/١/١٩٩٨، ومهمته التجسس على إيران والعراق وسوريا، و«أوفيك - ٥» الذى أطلق فى ٢٨/٥/٢٠٠٢ وهو من أقمار التجسس أيضاً، كما قامت إسرائيل بإنتاج وتطوير قمر صناعى آخر باسم «عاموس»، أطلقت لأول مرة فى نوفمبر ١٩٩٥، ويغضى إرساله المنطقة الممتدة من إيران شرقاً إلى ليبيا غرباً، ومن أوكرانيا شمالاً إلى السودان جنوباً، ويغضى هذا الإرسال أيضاً مصر وسوريا والأردن ولبنان وإسرائيل ومنطقة الخليج، ومهمته بث الإرسال التليفزيونى، والمكالمات الهاتفية، وتغطية المؤتمرات على الهواء مباشرة، ونقل المعلومات

ومكافحة الآفات الزراعية، وفى مجال الطب، تعتبر إسرائيل من طليعة الدول التى استخدمت الليزر فى العمليات الجراحية، من الثمانينات، وفى علاج سرطان الجلد، كما استخدمت الحواسيب فى تشخيص الحالات المرضية، وفى مجال البرمجيات نجح «معهد وايزمان» فى ابتكار حاسوب إلكترونى باسم «ويزاك» فى عام ١٩٥٤، كما قامت شركة «إيليت» بتطوير حاسوب صغير للأغراض العسكرية، وبدأت شركة «إكسنت للبرمجيات» Accent Soft Ware تنتج برنامج «الإنترنت بلكنة» للتجول فى شبكة المعلومات بأكثر من ٣٠ لغة عام ١٩٩٢، وقيام شركة «ميرابليس» بابتكار برنامج باسم «أنا أبحث عنك» I Seek You فى نهاية عام ١٩٩٦، الذى يسمح لمستخدم الإنترنت بعمل قائمة بعناوين أشخاص، وتوجيه رسالة لأى عضو فى القائمة، فور دخوله على الإنترنت والاتصال به كما تتمتع إسرائيل بمكانة متميزة فى مجال تأمين شبكات المعلومات، وتأمين المرور خلالها، ومجال معالجة الكلمات المتعددة اللغات، وابتكار المحافظ الالكترونية، لتحويل الأموال إلكترونياً، وفى مجال تكنولوجيا الفضاء يشير البروفيسور «زامير» إلى أن أبحاث الفضاء تتركز فى جامعة تل أبيب، خاصة فى دائرة الجغرافية الفيزيائية، والعلوم الفلكية، وتجرى دراسة المناخ الجوى، المنخفض فى الجامعة العبرية فى القدس، بينما يتولى «معهد التخنيون» دراسة الفيزياء



خاصة أن العراق يمتلك حوالى ٥٠ صاروخاً من طراز «الحسين» ويضيف محذراً بقوله: إنه مع استمرار «صدام حسين» فى الحكم، سوف يسعى العراق إلى تطوير الصواريخ لتصبح بعيدة المدى، وفى هذا تهديد خطير لإسرائيل». ولعل ذلك أحد الأسباب، إلى جانب هدف الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية، التى تكمن خلف الإصرار الأمريكى على ضرب العراق، وتغيير نظام الحكم فيها، بإيعاز من إسرائيل، وبضغط متواصل من اللبى الصهيونى الأمريكى، أما فى مجال تكنولوجيا الطاقة النووية فى إسرائيل فيكفى دليلاً على تطويرها ما لدى الكيان الصهيونى من عدة مفاعلات نووية، منها مفاعل «ريشون لينسيون» الذى أقيم فى عام ١٩٥٤، وهو أمريكى الصنع، ومفاعل «ناحال سوريك» الذى أنشئ فى عام ١٩٥٧، وهو أيضاً أمريكى الصنع، ومفاعل «ديمونا» الذى بُنى عام ١٩٦٥، وهو فرنسى الصنع، ومفاعل «بنى روبين» الذى شُيد فى عام ١٩٦٥، وهو أمريكى الصنع، وقد سبق هذه المفاعلات النووية الأربعة تشكيل أول لجنة للطاقة النووية فى عام ١٩٥٢. وتتوزع الأسلحة النووية التى تنتجها هذه المفاعلات على العديد من المواقع الإسرائيلية على النحو التالى:

– موقع بالميكيم: وهو يقع شمال مفاعل «ناحال سوريك» وهو مخصص لإجراء التجارب على الصواريخ النووية مثل صاروخ «أريحا-٤».

من أجهزة الكمبيوتر، ونقل الخرائط والمخططات المصورة، وفى هذا الإطار طورت إسرائيل الصاروخ «هوك» أرض – جو بتحويله إلى صاروخ مضاد للطائرات، وتطوير ٢٤٠ صاروخ «حوما» المضاد للطائرات، وإنتاج وتطوير الصاروخ «أرو» أى السهم، المضاد للطائرات بمعونة تكنولوجية أمريكية. كما نجحت إسرائيل فى تطوير نظام تسليح إشعاعى محمول جواً قادر على اعتراض الصاروخ المعادى وتدميره فى الجو، بالإضافة إلى تطوير نظام يعتمد على تزويد «طائرات بدون طيار» بمواد متفجرة، وتوجيهها نحو مواقع الصواريخ المعادية لتدميرها، وتبلغ تكاليف هذا النظام حوالى ٤٠٠ مليون دولار، وتشير الإحصاءات إلى أنه فى غضون اثنى عشر عاماً أنفقت إسرائيل ما يزيد على ١,٣ مليار دولار على تطوير الصاروخ «جيتس» لمطاردة وتعقب الصواريخ المعادية لتدميرها. ويذكر «عوزى روبين» وهو أحد المتخصصين فى مجال تكنولوجيا الصناعات العسكرية «أن هناك حوالى ٥٠٠ صاروخ بعيد المدى تهدد إسرائيل فى الوقت الحاضر». ويضيف محذراً بقوله: «إنه بعد عدة سنوات قادمة سوف يتزايد هذا التهديد، ويصبح لدى سوريا، وليبيا، والعراق، وإيران حوالى ١١٠٠ صاروخ، يبلغ مداها ما بين ٣٠٠ و ٢٠٠٠ كيلو متر» ويواصل «عوزى روبين» حديثه منبهاً بقوله: «أنه إذا لم يكن هناك نظام رقابة صارمة على العراق، فسوف تمثل أكبر تهديد موجه إلى إسرائيل،



للسلاح النووي في المنطقة العربية، لا يشاركها أحد من الدول العربية في ذلك، وتركز سياسة الاحتكار الإسرائيلي للسلاح النووي على ثلاثة ركائز، الأولى رفض إسرائيل الانضمام إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، والثانية لاتعترف إسرائيل حتى الآن بامتلاك السلاح النووي، والثالثة لاتوافق إسرائيل على وضع منشآتها النووية تحت الرقابة الدولية، وذلك كما نرى خروج من جانب إسرائيل على القانون الدولي، واستثناء من الرقابة الدولية، تساندها في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الختام يمكن القول بأن التقدم التكنولوجي الذي أحرزته إسرائيل في العديد من المجالات الحيوية التي عرضناها سلفاً كان محصلة تفاعل عاملين رئيسيين: الأول تواجد قاعدة علمية قادرة على الإبداع والابتكار، والثاني تواجد قاعدة صناعية متقدمة مرتبطة بالبحوث التطبيقية القادرة على تحويل الإنجاز العلمي إلى واقع عملي ملموس، وما يجب التأكيد عليه أنه على الرغم من «الفجوة التكنولوجية» التي أفرزها هذا التقدم التقني في إسرائيل لصالحها، فلا يجب أن يكون ذلك مبرراً لجلد الذات العربية، وتهويناً من شأنها خاصة أن لدى العرب رصيداً ضخماً من الموارد البشرية، المؤهلة تأهيلاً علمياً وتقنياً ومجموعة متميزة من مؤسسات البحث العلمي والتكنولوجيا التي تكفل للأمة العربية احتلال مركز الصدارة في مختلف ميادين التكنولوجيا الفائقة.

- موقع يوديفات: وهو المكان الذي يتم فيه تجميع الأسلحة النووية وتفكيكها.

- موقع بعري يعقوب: وهو المصنع الذي يجري فيه بناء صواريخ «أريحا-3».

- موقع كفار زكريا: وهو عبارة عن قاعدة للصواريخ النووية، وبه ملاجئ لتخزين القنابل النووية الخاصة بقاعدة «تل نوف» الجوية.

- موقع عيلبون: وهو يقع شرق منطقة الجليل، وهو المكان الذي يتم فيه تخزين الأسلحة النووية التكتيكية.

وعلى الرغم من مخطط التعتيم الإسرائيلي حول قدرات إسرائيل النووية، فإن ما كُشف النقاب عنه، في السنوات القليلة الماضية، هو أن إسرائيل تحتل المرتبة السادسة بالنسبة للدول المنتجة للسلاح النووي، فذكر المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بلندن، في أحد تقاريره أن إسرائيل تمتلك ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ رأس نووي. ومن جهة أخرى تسربت أنباء من وزارة الدفاع الأمريكية (البنطاجون) تفيد امتلاك إسرائيل نحو ٤٠٠ سلاح نووي متنوعة القدرات، من قنابل تكتيكية ونيوتروجينية، وهيدروجينية، وهذا ما أكدته الكولونيل المتقاعد في الجيش الأمريكي «ورنر فارد» في مقال له بقوله: «إن إسرائيل، كانت عشية حرب ١٩٦٧، تمتلك ١٥ رأساً نووياً، ارتفعت في بداية الثمانينات إلى ٢٠٠ رأس نووي، وتضاعفت بعد ذلك إلى ٤٠٠ قنبلة نووية مختلفة الأحجام». وفي ضوء ذلك أصبحت إسرائيل في الحقيقة هي المحتكرة الوحيدة



الأطفال.. أضحيتهم أوقرابين

للدكتور / على أحمد على

والإملاق، وإما خوفاً من السبى والاسترقاق.. قال ابن عباس -رضي الله عنهما: «كانت المرأة في الجاهلية إذا حَمَلَتْ حَفَرَتْ حَفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسته» اهـ. «أى لم تعد» ولم يكن ذلك عرفاً عاماً في كل العرب، والحمد لله.

ومن وأد من الرجال قيس بن عاصم - وله صحبة - رضي الله عنه: جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى وأدت ثمان بنات كن لى فى الجاهلية. قال - عليه الصلاة والسلام: فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة» (١).

وكتب ابن الأثير أبو الحسن بن على بن محمد الجزرى - فى ترجمته لكبيرة - أو كثيرة - بنت سفيان الخزاعية - أو الثقفية، وكانت - رضى الله عنها - من المبيعات. قالت:

قلت: يا رسول الله، إنى وأدت أربع بنين لى فى الجاهلية؟!

قال - عليه الصلاة والسلام: أعتقى أربع رقاب. أ. هـ. (٢)

للعُدوان على الأطفال: ذُبْحاً وقرباناً وتضحيةً، تاريخٌ تَبَرُّأ منه السماء، نبت فى أحضان الوثنية على هوى من أساطينها، ضلُّوا بها، وأضلُّوا، وما كانوا مهتدين فى وثنيتهم بأثارة من علم أمين، أو دين راشد حكيم.

ولهذا التاريخ اتجاهان:

(أ) اتجاه اجتماعى: لا صلة له بعقيدة مطلقاً، يندفع فيه الآباء، والأمهات إلى قتل أولادهم ذكوراً أو إناثاً خيفة الجوع أو العار، وكثرت ضحايا هذا اللون بين الأمم الجاهلية، ومنهم العرب، وفى هذا اللون جاء قوله - تعالى - فى واحدة من الوصايا:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ

إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

الأنعام - ١٥١

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

التكوير ٨، ٩

فكان قتلُ الأطفال عاماً فى الذكور، والوَأْدُ عاماً فى البنات، وهو دَفْنُهُنَّ أحياء، وذلك إمَّا مخافة الحاجة

(١) القرطبي المجلد العاشر ص ٧٢٦٩ فى تفسير أيتى التكوير.

(٢) أسد الغابة المجلد السابع ص ٢٥٠ نشر الشعب.



ولما اشتعلت الفتنة بهذه القرابين عصر الخليل إبراهيم- على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- أراد- سبحانه- أن يبين للمؤمنين براءة السماء من هذا الخبث، وتلك الجريمة، وطبقا لسنته- تعالى- التي لا تبدل فيها ولا تحويل، كان المنع بـ (حادثة) فريدة .
قال الخليل- عليه السلام- لولده إسماعيل:

﴿يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ

اِنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾^١

قال إسماعيل- لإدراكه أن رؤيا الأنبياء وحى:

﴿يَتَأْتِىْ اَفْعَلْ مَا تَوْمَرُ سَجْدَتِيْ اِنْ

شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا اَسْلَمَا﴾

أى استسلما طائعين أمر الله، وهما موقنان بوجوب الذبح ولا رادَّ له ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ﴾^٢ أى أُنَامَهُ على أحد جنبيه وَهُمْ بِالذَّبْحِ طَاعَةٌ لِلَّهِ- تعالى- نَزَلَ بَيَانُهُ- سبحانه بالمنع من الذبح وبالفداء معا، قال تعالى:

﴿وَنَدَيْنَاهُ اَنْ يَّتَابِرْ اِبْرَاهِيْمُ ﴿١٠٤﴾ فَذَصَقْتُ الرُّءْيَا﴾^٣

أى قد فعلت ما أريتك إياه فى منامك «أ. هـ» فلم يقع ذبح إطلاقا، ولكن هاك فداء تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ وعينا إسماعيل وعينا والدته:

﴿اِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٠٥﴾ اِنَّ هَذَا لَهُوَ

الْبَلَوُ الْمُئِيْنُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيْحٍ عَظِيْمٍ﴾^(٣)

كذا «أربع بنين» وتذكير «أربع» فى الخبر يرجح أنهم بنات لا بنين؛ فإن الوأد كان فيهن، والله أعلم

(ب) وتاريخ ديني: يكشف عن اندفاع آباء وأمّهات إلى تقديم أبنائهم وبناتهم طُعمَةً للنار، ضحايا لأوثانهم قانعين مغتبطين بتشريع كهانهم هذا الوضع، فَيُعْبَرُ بالطفل والطفلة فوق النار فيسقطان فيها. وفيهم .. وفى ألوان هذا النوع وأشكاله يقول تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ

لِكَثِيْرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ قَتْلَ اَوْلَادِهِمْ
شُرَكَآءُهُمْ لِيُرْزَوْهُمْ وَلِيَلْسِنُوْا عَلَيْنَهُمْ دِيْنَهُمْ﴾

الأنعام (١٣٧)

والآية واضحة المراد بذكر «المشركين» و«شركاؤهم» و«دينهم» فحديثها يعنى هذا البلاء من التَّعَبُّدِ الذى يحدثه رؤساء هذه الأديان وكهانهم، وإن شملت عامة قتل البنين والبنات.

قال الفراء والزجاج: شركاؤهم ها هنا هم الذين كانوا يخدمون الأوثان. «أ. هـ»

وفى الحق أن السَّدَنَةَ: أعنى خُدَّامَ الأوثان أحد طبقات القائمين عليها. وهم جميعا يأمرّون هؤلاء الأتباع بتلك المراسيم ويرغبونهم فيها ويخلطون عليهم دينهم فلا يتبينون فيه رشدا ولا صلاحا.

وما كان هذا اللون من الضحايا والقرابين بالأطفال إلا نتاج هذه الوثنية المحضة.



(٣) الآيات بسورة الصافات ١٠٢-١٠٩



وَاسْتَوْنِ فَرِيقَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّهُ لَفَرِيقٌ كَبِيرٌ^(٥)،
وَقَدَّمُوا أَبْنَاءَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ لِلذَّبْحِ وَالنَّارِ، وَإِنَّهَا لَوَثْنِيَّةٌ
عَجَبِيَّةٌ. وَذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ مُؤْمِنٌ، فَهَمَّ:
ذَرَارَى الْأَنْبِيَاءِ - عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ
الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ،

وَعَاشَتْ فِيهِمْ شَرِيعَةٌ لَا تَزَالُ مُسْطَوْرَةٌ فِي
«الْعَهْدِ الْقَدِيمِ» أَعْنَى التَّوْرَةِ الْمُتَبَادَلَةِ بِأَيْدِيهِمْ،
وَعَاشَ إِلَى جَوَارِ الشَّرِيعَةِ أَنْبِيَاءٌ، ظَلَمُوا
مُتَدَارِكِينَ حَتَّى وَلَادَةَ الْمَسِيحِ - عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

فَأَتَى كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِ الْمُؤْمِنِ، وَفِيهِمْ هَذِهِ
الثَّلَاثُ أَنَّهُمْ مَغْرَمُونَ بِالْوَثْنِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ ائْتَفَعُوا إِلَيْهَا
أَثْنَاءَ غِيَابِ مُوسَى لِيَتَلَقَى التَّوْرَةَ.

وَلَمْ يَقْصُ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ
أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ مُوسَى آمَنَ مَعَ نَبِيِّهِ ثُمَّ ارْتَدَّ
إِلَّا هَذَا الْفَرِيقَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبْدُوا الْعَجَلَ - فِي
غِيَابِ مُوسَى - وَفِيهِمْ نَزَلَ «حُكْمُ الرَّدَّةِ» الَّتِي لَمْ
تَكُنْ فِي مُؤْمِنِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ، وَكَانَ الْحُكْمُ
قَتْلَ الْمُرْتَدِّينَ، قَالَ - تَعَالَى -:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَّبِعُونَ إِيَّاكُمْ تَلَمَّظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
يَاتِّخِذُكُمْ الْعَجَلُ فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمُ
خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُمْ هُمُ النَّوَابِغُ الرَّجِيمَةُ﴾

البقرة - ٥٤

وَعَلَى نَفْسِ الطَّرِيقَةِ أَعْنَى ب - (حَادِثَةٌ) كَانَ
بَيَانُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي بَرَاءَةِ السَّمَاءِ مِنْ كُلِّ
عَرَفٍ أَوْ تَقْلِيدٍ فَاسِدٍ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ هَذَا اللَّوْنُ مِنْ
الْبَيَانِ الْعَمَلِيِّ الَّذِي يُسَاقُ فِي حَادِثَةٍ عَلَى كَيْفِيَّةٍ
تَنْتَهَى بِبَيَانِ فُسَادِ هَذَا الْعُرْفِ، وَحَسْبُكَ فِي ذَلِكَ
إِطْبَالُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِلتَّبْنِيِّ وَبَيَانُهُ حُلَّ زَوْاجٍ
مِنْ كَانَ مُتَبْنِيًّا - لَزَوْجٍ مِنْ كَانَ تَبْنَاهُ .. الْخ.



وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَمُرَّ بِأَحْكَامِ الْأَبْنَاءِ وَحَقِّهِمْ عَلَى
الْآبَاءِ فِي شَرِيعَةِ السَّمَاءِ لَوَجَدْنَا الرَّحْمَةَ الْمَصْفَاةَ؛
فَهُمْ ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الْكَهْفُ - ٤٦، يَنْبَغِي
اخْتِيَارَ أَحَبِّ الْأَسْمَاءِ لَهُمْ، وَتَرْبِيَّتَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ
حَالٍ مُسْتَطَاعٍ، وَعَدَمِ الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ، قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى
أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خُدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا
عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تَوَافَقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً إِجَابَةً
فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ^(٤). أَى فِيهِلْكَ مَنْ دَعَوْتُمْ عَلَيْهِ
مِنْ وَلَدٍ أَوْ مَالٍ .. الْخ.

وَهَلْ بَعْدَ أَنْ أَقْرَتِ الشَّرِيعَةُ إِعْطَاءَ الْوَلَدِ الْعَاقِ
حَقَّهُ مِنَ الْمِيرَاثِ كَلِمَةً فِي هَذَا الْمَقَامِ؟

أَسَاءَ مَا أَسَاءَ إِلَى وَالِدَيْهِ، وَكَفَّ اللَّهُ -
سُبْحَانَهُ - أَيْدِيَهُمَا عَنْهُ؛ فَمَا اسْتَطَاعَا حَرَمَانَهُ مِنْ
مِيرَاثِهِمَا.



(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ خُزَيْمَةَ.

(٥) يَدُلُّ عَلَى كِبَرِهِ هَاتَانِ الْآيَتَانِ الْكَرِيمَتَانِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٩) وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴿

وَمِنَ الْآيَتَيْنِ نَتَّبِعُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ نِسْبَةَ الصَّلَاحِ إِلَى الْفُسَادِ فِيهِمْ هِيَ (١: ١١) ذَلِكَ أَنَّهُمْ اثْنَتَا عَشْرَةَ سِبْطًا أُمَمًا، مِنْهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ تَهْدِي
بِالْحَقِّ وَتَرْضَى بِهِ.



نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام - فاتهموه بأنه صنع لهم الأوثان ووضعها بأعلى المرتفعات وذبح لها^(٦)، ورد الله - سبحانه - ذلك كله بأبسط عبارة، فقال - جل علاه:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ البقرة - ١٠٢ .

ويشاء الله أن يقع كاتبو سفر الملوك فيما وقع فيه إخوانهم الذين اتهموا (هرون)، فإذا نفس الكتبة - فى نفس السفر يكتبون أن سليمان - عليه السلام - طلب «يَرْبَعَامَ بْنَ نَابَاطَ» ليقتله، فقد كان هذا اليربعام وراء الأوثان، بل صنع عجولين من ذهب فيما بعد وفاة سليمان ليصرف بنى إسرائيل عن الاتجاه إلى (بيت الرب) بأورشليم وهرب يربعام يوم طلبه سليمان إلى «شيشق» ملك مصر، وظل بها حتى مات سليمان^(٧).



ولا تنفك الوثنية قائمة فى بنى إسرائيل وما يتبعها من طقوس كذبح الأطفال أو إلقائهم فى النار؛ فهى فى مد وجزر بينهم من بعد موسى حيث قام فيهم «قضاة» يتولون أمرهم، ثم «ملوك» من بعد القضاة، ثم تستمر الوثنية فيهم إلى عهد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.



انتهى القرن الخامس عشر من قبل الميلاد، ولحق موسى - عليه السلام - بالرفيق الأعلى، نبيا كريما فى منازل الصديقين والشهداء، وكان هرون - عليه السلام - قد مات قبله.

أى: يقوم فريق من الذين لم يرتدوا بقتل المرتدين، ونفذ الحكم.

وسجله العهد القديم فى سفر «الخروج» الإصحاح رقم (٣٢) النصوص: ٢٧-٢٩.

قال موسى: قال الرب إله إسرائيل: «ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سِيفَهُ عَلَى فَخْذِهِ.. واقتلوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيْبِهِ. ففعل بنو لَأَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى، وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَلْفٍ رَجُلٍ. ١-هـ

ومن السَّفَه السافل أن بنى إسرائيل تلصق عبادة العجل - فى هذه الفترة - بِهَرُونَ - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ويكتمون ذكر «السامرى» صانع العجل، ويقع كتبة هذا السفر فى تناقض رهيب؛ فلو كان هرون صانع العجل لكان من عُبَادِهِ. ولقتله موسى قولا واحدا، لكن موسى لم يقتل هرون، ولم يذكر «العهد» ان موسى تقدم لهرون باتهام بالكفر، وبرأ الله هرون، فقد قال لهم - وقد هموا بالعجل صناعة وعبادة:

﴿يَقُولُ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنْ رَكِبْتُمْ الرِّحْلَ فَأَنْتُمْ عَوِيٌّ وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى

طه - ٩٠، ٩١

وما الحيلة مع قوم يقتلون أنبياءهم، أفلا يكون يسيراً عليهم تكفيرهم!؟

وما فعلوه مع هرون فعلوه مع «سليمان» على

(٦) راجع العهد القديم الملوك الأول ١١/٤، وما بعدها

(٧) راجع العهد القديم الملوك الأول ١١/٤٠



﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا مِلْكًا نُقَاتِلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

البقرة - ٢٤٦ - ٢٤٧

فكان طالوت أول ملوكهم^(١٠) بأرض كنعان

وعاش بنو إسرائيل من بعدهما وعليهم « يوشع ابن نون » فتى موسى - عليه السلام - وهو « يشوع ابن نون » فى العهد، حتى إذا قضى يوشع تولى الأمر فيهم قضاة إلى أن طلبوا إلى - نبي فى بنى إسرائيل، يذكر « العهد » أنه « صموئيل »^(٨). أن يكون لهم ملك، يجمعهم على وحدة جامعة شاملة لكل الأسباط، ذلك أن القضاة لم يكونوا - فى الواقع - أكثر من أبطال ليس لهم من سياسة الحكم نصيب^(٩)، وفى التنزيل العزيز مصداق ذلك، قال - تعالى :

(٨) صموئيل أول ٢٢/٨

(٩) وما هم قضاة بنى إسرائيل من بعد يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام:

أ - يهوذا بن يوشع (يشوع)، ب - عثئيل بن قناز، ج - أهود بن جيرار، د - شمجربن عناة، هـ - جدعون بن يوش، و - أبيمالك بن جدعون، ز - تولع بن فوأة، ح - يائير الطلعاى، ط - يفتاح بن يائير الطلعاى، ي - إيصان من بيت لحم، ك - إيلون الزبولونى، ل - عبّون بن هليل، م - شمشون بن منوح، راجع سفر القضاة.
(١٠) وما هم ملوكهم:

١ ملوك الشمال (إسرائيل) من بعد سليمان:

١ - يربعام الأول (٩٢٢ ٩٠١ ق.م)، ٢ - ناداب بن يربعام (٩٠١ ٩٠٠ ق.م)، ٣ - بعشا بن أخيا (٩٠٠ ٨٧٧ ق.م)، ٤ - أيله بن بعشا (٨٧٧ ٨٧٦ ق.م)، ٥ - زمرى وفيه غموض مات منتحرا، ٦ - عمرى (٨٧٦ ٨٤٢ ق.م)، ٧ - أخاب بن عمرى (٨٤٢ ٨٢٠ ق.م)، ٨ - أخزيا بن أخاب (حكم عامين)، ٩ - يهورام بن أخاب، ١٠ - ياهو، ١١ - ياهو أهاز (٨١٥ ٨٠١ ق.م)، ١٢ - يهو أش ابنه (٨٠١ ٧٨٦ ق.م)، ١٣ - يربعام الثانى حكم أربعين سنة، ١٤ - زكريا بن يربعام حكم ستة أشهر ثلاثاً، ١٥ - شلوم بن يابيش (٧٤٥) مغتصب عرش زكريا، ١٦ - منحيم بن جادى (٧٤٥ ٧٣٦ ق.م)، ١٧ - فقحيا بن منحيم (٧٣٦ ٧٣٥ ق.م)، ١٨ - فقح بن رمليا. اضطراب فى مدة حكمه، ١٩ - هوشع بن أيلة (٧٣٢ ٧٢٤ ق.م)، ثم سقطت إسرائيل. [راجع سفر الملوك].
ود/محمود بيومى مهران دراسات فى الشرق الأدنى إسرائيل ص ٤٩٥.. الخ مطبعة الأمانة.

ب ملوك الجنوب (يهودا) من بعد سليمان

١ - رجبام بن سليمان (٩٢٢ ٩١٧ ق.م)، ٢ - أبيام بن رجبام (٩١٥ ٩١٣ ق.م)، ٣ - أسا ابن أوخو أبيام (٩١٣ ٨٧٣ ق.م)، ٤ - يهو شافط بن أسا (٨٧٣ ٨٤٩ ق.م)، ٥ - يهورام بن شافط (٨٤٩ ٨٠٠ سنوات)، ٦ - أخزيا بن يهورام (٨٤٣)، ٧ - عثليا أم أخزيا (٨٤٣ ٨٣٧ ق.م)، ٨ - يهوشافط (٨٣٧ لمدة أربعين أو ٣٧ عاماً)، ٩ - أمصيا بن يهوشافط (٨٠٠ ٧٨٣ ق.م)، ١٠ - عزريا بن أمصيا (٧٨٣ ٧٤٢ ق.م)، ١١ - يوثام بن عزريا (٧٤٢ ٧٣٥ ق.م)، ١٢ - أهاز (٧٣٥ ٧١٥ ق.م)، ١٣ - حزقيا بن أهاز (٧١٥ ٦٨٧ ق.م)، ١٤ - منسى (٦٨٧ ٦٤٢ ق.م)، ١٥ - أمون بن منسى (٦٤٢ ٦٤٠ ق.م)، ١٦ - يوشيا بن أمون (٦٤٠ ٦٠٩ ق.م)، ١٧ - يهو أهاز بن يوشيا حكم ثلاثة أشهر، ١٨ - يهوياقيم (٦٠٩ ٥٩٨ ق.م)، وقع أسيرا بأيدى البابليين، وعين نبوخذ نصر، ١٩ - متنيا عمه حاكما ليهودا، وأسماه صديقاً، ثم قضى على يهوذا عام ٥٨٦.



«وَعَبَدَ الشَّعْبُ الرَّبَّ كُلَّ أَيَّامِ يَشُوعَ، وَكُلَّ أَيَّامِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ بَعْدَ يَشُوعَ الَّذِينَ رَأَوْا كُلَّ عَمَلِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الَّذِي عَمِلَ لِإِسْرَائِيلَ، وَمَاتَ يَشُوعُ... وَكُلَّ ذَلِكَ الْجِيلِ أَيْضًا، وَقَامَ بَعْدَهُمْ جِيلٌ آخَرٌ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ وَلَا الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ لِإِسْرَائِيلَ، وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ.. وَعَبَدُوا «الْبَعْلِيمَ»... وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ وَسَجَدُوا لَهَا.. وَعَبَدُوا «الْبَعْلَ» وَ«عَشْتَارُوتَ»... وَلَقَضَاتِهِمْ لَمْ يَسْمَعُوا بَلْ زَنَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى... وَعِنْدَ مَوْتِ الْقَاضِي كَانُوا يَرْجِعُونَ وَيُفْسِدُونَ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِهِمْ» قضاة - ٢ .

ولنترك القضاة إلى ملوكهم من بعد داود وسليمان - عليهما السلام: وقد علمنا انقسام الدولة إلى شطرين: إسرائيل في الشمال، ويهوذا في الجنوب، وكانت «أورشليم» في أرض يهوذا، وهنا نجد كتبة سفرى الملوك يَصْمُونُ ملوك الشمال جميعا بالوثنية، بينما يندر الملك الوثنى في الجنوب، ولنا في ذلك تعقيب قريب .

سجد بنو إسرائيل للأوثان: ما اصطنعوه منها لأنفسهم، وما كان من أوثان للأوطان من حولهم كما عبدوا أيضا ملوكا لآدم أخرى، مثل: «كوشان رشعتايم» ملك آرام النهرين، و«عجلون» ملك موباب .

وهذه طائفة من أوثانهم تضاف إلى ما تقدم، وشيء من تَقْدِمَاتِهِمْ لَهَا:

التي سموها (إسرائيل) وطالوت هو شاول في العهد القديم، تولى الملك الفترة (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م).

وباختصار شديد قويت الدولة هذه في عهد طالوت، ثم داود - عليه السلام - (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) من بعده، ثم سليمان عليه السلام - (٩٦٠ - ٩٢٢ ق.م) حتى إذا مات سليمان تقسمت الدولة من بعده إلى (إسرائيل) في الشمال، وإلى (يهوذا في الجنوب) .

وضعت كلتا الدولتين حتى إذا كان عام (٧٢٢ ق.م) قضى «سرجون الآشورى» على إسرائيل في الشمال، ثم قضى «نبوخذ نصر» على «يهوذا» في الجنوب عام (٥٨٦ ق.م) وانتهت الدولة إلى الأبد بمشيئة الله تعالى .



إن بين يدي القارئ ثَبَتًا بالقضاة والملوك، بَلَغَ القضاة فيه ثلاثة عشر قاضيا، وبلغ ملوكهم ثمانية وثلاثين ملكاً. يأبى كتبة أسفار القضاة والملوك إلا أن ينصوا على استمرار الوثنية بين بنى إسرائيل خاصة طيلة حكم الملوك، اللهم إلا من نذر قليل بين هؤلاء وهؤلاء تمكن فيه بعض القضاة والملوك من كبح جماحها وإخمادها، فما كانت تخمد إلا لأجل قليل، ثم تعود فتبسط نفوذها من جديد، خذ مثلاً هذا النص - باختصار مع الحفاظ التام على اللفظ كما هو:

أن نمسك بتؤدة عن ذكر الكتبة لأشخاص بأعينهم، نظرنا لما سَبَقُوا إليه من اتهام لهرود وسليمان - عليهما السلام - من ناحية، ولفقدنا لمصادر دقيقة أخرى إسرائيلية يمكن على مادتها عَمَلْ مقارنة ومقابلة نستنتج على ضوء كل منها الوضع الصحيح .

فأما الكثير جداً من عامتهم فقد صحب الوثنية من فجر طويل .. من أيام موسى - عليه السلام - كما مرَّ، أضف إلى ذلك: أن اهتمام كل ملوك الشمال والجنوب بالحرب فيما بينهما كان فرصة ليعمل بنو إسرائيل ما يريدون فكانت تلك الوثنية التي أورثتهم لعنة الله - تعالى - إلى الأبد، وقضت على الكاهن، واندثر الهيكل، فلا كاهن ولا هيكل لترتفع عنهم اللعنة؛ فهي قابضة لن تزول لقد قضى الله بالحق وأقام شرعة السلام .

أَدَرَ مَلِك، عَنَمَلَك، بعل زَبُوب، ثيران يصطنعونها بجانب البعل، رفع أوثنان على المرتفعات « وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعَبَرُوا بنيهم وبناتهم في النار » ملوك ثان ١٧/١٦ .

وتبعوا الوثنيين من الممالك المجاورة الذين حرقوا بنيهم بالنار لـ « أدرملك » و« عنملك » ٢١/١٧ وكتبوا عن مَنَسَى ملك يهوذا أَنَّهُ: « سجد لكل جند السماء وعبدها ... وعَبَّر ابنه في النار » ملوك ثان ٢١/٤ ، ٥ .

وفى نص آخر: « وعَبَّر بنيه في النار » أخبار الأيام الثاني ٢٣/٦ « وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا .. دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان »^(١١) مزامير ١٠٦ ص ٩٠٨ .

وبعد: فلسنا نشك في اندفاع كثير إلى الوثنية، وأدائهم لطقوسها . غير أننا ينبغي

(١١) انظر في إلقاء الأبناء في النار صفحات العهد القديم: ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ .

«إسرائيل للدكتور محمد بيومي مهران».

الأعياد اليهودية

الدكتور / محمد حسن عبد الحاق

والتقويم المسيحي يبدأ بميلاد المسيح - عليه السلام - وهي أزمان تاريخية معينة، أما التقويم اليهودي فيجعل نقطة بدايته لحظة كونية لا تاريخية، هي خلق العالم، كما أن نهاية التاريخ حسب تصورهم هي عودة المسيح المنتظر اليهودي في سبت التاريخ.

وقد حدد حاخامات اليهود بدء الخليقة على أساس التواريخ التوراتية التي بين أيديهم بعام ٣٧٦٠ ق.م وبذلك يصبح عام ٢٠٠٢ ميلادية لديهم $٣٧٦٠ + ٢٠٠٢ = ٥٧٦٢$ م.

وقد تصدى حاخامات اليهود لأية محاولة لإدخال بعض التعديلات على التقويم، كي لا يمس يوم السبت لديهم.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الأعياد. فكل سبت عيد عند اليهود والسبت بالعبرية «شبات» بمعنى راحة، وقد وردت قدسية هذا اليوم في مواضع متعددة من العهد القديم فقد ورد في سفر الخروج:

«اذكر يوم السبت لتقدس، ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع فهو سبت للرب الهك» [خروج ٢٠ / ١١]

إذا أردنا إلقاء الضوء على الأعياد اليهودية، والتي تقوم أساساً على التقويم العبري، سنجد أن التقويم العبري معقد للغاية، لأن شهور السنة العبرية تتبع الشهور القمرية، والشهور اليهودية مكونة إما من ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً، وبذلك تصبح السنة عند ٣٤٥ يوماً، والفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية أحد عشر يوماً، وقد تحايل اليهود على ذلك بإدخال تعديلات معقدة على تقويمهم بحيث يتطابق التقويمان تمام المطابقة مرة كل عشرين عاماً، فأقحموا شهراً مدته ثلاثون يوماً في كل عام ثالث وسادس وثامن وحادي عشر ورابع عشر وسابع عشر وتاسع عشر من هذه الدورة العشرينية وأسموه آزار الثاني (أواخر فبراير - مارس).

أما السبب الثاني لتعقيد التقويم اليهودي فهو سبب طقوسي بحث، فمثلاً لا ينبغي أن يقع عيد الغفران يوم جمعة أو أحد، كذلك لا يجوز أن يكون اليوم السابع من عيد المظال يوم السبت.

وغريب أمر هؤلاء القوم، فقد خالفوا أمم العالم قاطبة في نظرتهم للكون، الذي يعتقدون أن الله قد خلقه لأجلهم بوصفهم شعب الله المختار وأضافوا القداسة على الأرض والشعب واللغة وكل ما يتعلق بهم فنرى التقويم الإسلامي يبدأ بالهجرة «هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وأفضل السلام».

يكن لديهم الوقت ولا الفراغ للتأق في الخبز والانتظار على العجين حتى يختمر.^(١)

عيد الغفران

وبالعبرية (يوم كيبور) وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق وأقدس يوم في السنة ويطلق عليه سبت الأسبات.

يصوم اليهود خلاله ليلا ونهارا ولا يقومون بأى شىء سوى التعبّد وقد أضيفت إليه ذكرى انتصار القوات المصرية فى العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هـ الموافق ٥٧٣٣ يهودية.

عيد رأس السنة؛ وبالعبرية (روش هسانا)

ويحتفل بهذا العيد أول وثانى يوم من شهر تشرى (سبتمبر - أكتوبر) وهو عيد ليس له ذكرى تاريخية، ولكن حاخامات اليهود أضفوا عليه القداسة - وقد ذكر فى «المشنا» أن هذا اليوم هو اليوم الذى بدأ الله فيه خلق العالم، وهو أيضا يوم الحساب السنوى، وهو أول أيام التكفير العشرة التى تنتهى بيوم الغفران، وهناك تقاليد غريبة تتعلق بالأكل والشرب كى يتطهروا من ذنوبهم ويحتفل به يومين على التوالى.

عيد المظال

بالعبرية «السوكوت» ومدته سبعة أيام والمناسبة التاريخية هى إحياء ذكرى خيمة السعف التى آوت أبناء إسرائيل فى العراء.

ويقول موشيه صديق: أما وقت الحلاقة فقد كانوا يجتهدون لتأجيله حتى يوافق عيد المظال، وفى ذلك اليوم يدخلون به إلى المعبد فى احتفال

ورود أيضا فى سفر التثنية:

«احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك» [تثنية ٥/١٥].

كما احتل مكانة كبرى فى التلمود، وخصص له باب فى قسم الأعياد كما تحدثوا عنه فى كتب التفسير (المشنا والجمارا) باتساع ويذكر القاموس العبرى بالعديد من أسماء يوم السبت فهناك سبت الخليفة ويقرأ فيه سفر التكوين (أى خلق العالم) والسبت الكبير ويقع قبل عيد الفصح مباشرة.. إلخ وكل مناسبة دينية هناك اسم خاص للسبت الذى يسبقها.

والسبت هو الذى جمعهم طوال الشتات، وكان الرمز الوحيد الذى يذكّهم بيهوديتهم. ولم يكن عند اليهود خطيئة تفوق عدم حفظ شعائر السبت إلا عبادة الأوثان. ويبدأ الاحتفال به بدخوله مساء يوم الجمعة والحقيقة أنه يوم أسبوعى يعقد فيه اللقاءات وتحاك المؤامرات، وهو همزة الوصل قريبة المدى بينهم.

عيد الفصح - عيد الربيع

من الأعياد المهمة لديهم، فهو أول عيد، وقد ورد ذكره فى التوراة، وكلمة «أفيف» بالعبرية تعنى الربيع، وأصل معنى الكلمة القديم هو المرور والعبور، وهو إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون ويسمونه أيضا (عيد الفطير) وبالعبرية «حَجَّ مَتْسوت» لأن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطرى لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيرا بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم

(١) د.حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ٢١٩/٢/٨.



كبير، ومنذ ذلك الوقت يتأقن الولد بالضعف،
يموجها بسرور ويرى فيها علامة لبلوغه. (٢)

عيد الأسابيع

بالعبرية (شافوعوت) ومدته يومان ويعتبر
عيد الحصاد حيث كان الفلاحون اليهود يأخذون
أولى ثمار الحصاد إلى الهيكل والآن يأخذونه إلى
الصندوق القومي اليهودي.

وله مناسبة تاريخية راسخة في عقولهم وهي
نزول التوراة - الوصايا العشر على موسى - عليه
السلام - فوق جبل سيناء.

ويقولون حاشا لله: هو عيد زواج الله
بالشعب. يزينون المعابد وقيمون حفل زفاف
للتوراة تماما كأنها عروس تزف إلى الله.

التاسع من آب

بالعبرية (تیشاع بآب) وهو يوم صوم وحداد
عند اليهود في ذكرى سقوط أورشليم وتخريب
الهيكل، وتربط التقاليد اليهودية بين هذا التاريخ
وكوارث يهودية أخرى يقال إنها وقعت في هذا
اليوم مثل خروج اليهود من أسبانيا وغيره. (٣)

عيد الاستقلال: حج هاعستموت

وكما ذكرنا أن بداية أعيادهم هو عيد الفصح
وخروجهم من مصر فإن آخر أعيادهم، كما يسموه عيد
الاستقلال أي عيد إنشاء الدولة الصهيونية، والمقصود
عيد الاحتلال واغتصاب أراضي الغير وأهم مظاهر
الاحتفال هو استعراض القوة الغاشمة من أحدث الآليات
العسكرية التي تستخدم في قتل الأبرياء من الشعب
الفلسطيني الأعزل بمباركة وتمويل أمريكي.

عيد الحانوكّة

في الخامس والعشرين من شهر كسلو العبري الذي
يقابل ديسمبر وأيام عيد الحانوكّة «عيد التدشين» هي
أيام فرح ويستمر العيد ثمانية أيام، والعيد بحكم
توقيتته يمكن اليهود من الاحتفال بعيد يهودي في
نفس الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد.

عيد البوريم «عيد النصيب»

وكان الكتاب العرب يسمونه «عيد المسخرة» أو
عيد المساخر.. والسبب في ذلك ما يحدث في هذا
العيد من مهازل حيث كانوا يسرفون في شرب الخمر
والشكر ولبس الأقنعة والملابس التنكرية. وهذا العيد
لا يمت بصلة إلى رسول الله موسى - عليه السلام -
ولا إلى شريعته، بل هو احتفال تذكارى متصل
بملابسات ممهدة للعودة من السبي البابلي في القرن
الخامس ق.م وهو احتفال أشد التصاقا بالسياسة منه
بالدين ولهذا فإن هذا الاحتفال يحظى في ظل
الصهيونية الحديثة باهتمام خاص.

واسم بوريم جاء من كلمة «بور» في اللغة الفارسية
وتعني «قرعه» وجمعها «بوريم» بالعبرية، فقد أقسم
الوزير «هامان» أن يقطع دابر اليهود من بلاده وأجرى
قرعه لاختيار يوم مذبحه اليهود وأسفرت القرعه من
تحديد يوم الثالث عشر من آذار موعدا لتنفيذ العملية،
حتى قامت استير بمهمتها المعروفة.

(٢) موشيه صدوق: يهودي تيمان - يهود اليمن (مصدر عبري) ص ١٤٦.

(٣) موسوعة المفاهيم ص ١٢٩.

من جرائم اليهود الصهاينة

**لفضيلة الشيخ / عبد الخالق نصير
الأمين العام المساعد للثقافة**

يعتمد اليهود اليوم على العنصرية والعدوانية بلا شفقة ولا رحمة كما فعل أسلافهم من قبل، ولهم من الجرائم والفظائع ما لا يكاد يحصى، والإرهاب ملازم لليهود منذ قدم التاريخ وهم لا

يعرفون معنى السلام والرحمة، فالسلام في نظرهم يعنى العدوان والقسوة ضد غيرهم والتاريخ بين لنا ذلك، ولندكر على سبيل المثال لا الحصر بعضاً من جرائم اليهود حتى نعرف حقيقة أعدائنا الذين هم في نفس الوقت أعداء العالم كله ويضعون جميع العراقيين أمام السلام في كل زمان ومكان، يقول التاريخ: (كما جاء في كتاب الجمعة - للشيخ كمال الدين الطائي ط بغداد سنة ١٩٧٥ م)

١- كان أهل قبرص والقيروان يعاملون اليهود بالعطف والرحمة عندما كانوا يسكنون تلك البلاد وذلك في عهد الإمبراطور (تراجان) عام (١١٧ - ٩٨) ق.م، فتآمر لليهود وثاروا على أهل هذه البلاد، وأخذوا يفتكون بهم بدلاً من أن يقابلوا هذا العطف بالولاء والحب وأبدوا من الهمجية والقسوة ما لا يكاد يصدق أحد، حيث كانوا يأكلون لحوم قتلاهم، ويشربون دمهم، ويتخذون من أمعائهم أحزمة، ويلتفون بجلودهم، وقد شطروا الكثير منهم من أعلى رؤوسهم إلى أسفل، وأرغموا كثيرين على قتل بعضهم بعضاً، وروى أنهم قتلوا من أهل قبرص (مائتين وأربعين ألفاً)، وقتلوا من أهل ليبيا والقيروان (مائتين وعشرين ألفاً) فأى جرم بعد هذا؟!!

٢- وفي أوائل القرن السابع الميلادي وفي مدينة (أنطاكية) أعلن اليهود العصيان وهجموا على المسيحيين وقتلوا بطريقهم، وحرقوا المنازل، وقتلوا أهلها، فأرسل إليهم القيصر جيشاً لقتلهم وتشريدهم.

٣- عندما غزا الفرس بلاد الشام عام ٦١٥ م وأسروا من أسروا من النصارى واشترى اليهود عدداً كبيراً منهم يتراوح بين ثمانين وتسعين ألفاً ثم ذبحوهم عن آخرهم وأشعلوا النار في جميع كنائس النصارى حتى كنيسة القيامة، فالذين يعطفون على اليهود الصهاينة اليوم سيلقون الغدر والتنكيل منهم غداً كما فعل بأشباعهم من قبل.

٤- وفي عام (١٣٢١ م) قام اليهود بسرقة أولاد المسيحيين وإلقاء السم في الآبار في أواسط فرنسا، فهاج عليهم الفرنسيون وذبحوا منهم جماعة وحرقوا البعض ونفى من بقى منهم خارج فرنسا.

٥- وفي عهد (لويس التاسع) أصدر أمراً بإلغاء ثلث ما كان لليهود على رعاياه المسيحيين من الدين، تراكم بسبب الربا والاستغلال.

٦- وفي عهد الملك هنرى الثالث عام (١٢٣٠ م) أصدر أمراً بأن يدفع اليهود إلى خزينة البلاد في بريطانيا



الطفل الشهيد
محمد الدرة



الطفلة الشهيدة
إيمان حجو

– ثلث أموالهم بسبب التعامل بالربا والاحتكار
ثم نصحهم بترك الربا لتحسن الأحوال وتنتهى
كراهيتهم التى عمت البلاد، ولكنهم لم
يستجيبوا للنصائح لأنهم طبعوا على امتصاص
أموال الشعوب فقام الإنجليز بالثورة عليهم فى
عام ١٢٩٠ م حتى أخرجوا من إنجلترا.

٧- وفى ألمانيا تمداد اليهود فى استغلال
الشعب والاستيلاء على ثروته إلى أن طردوا من
البلاد بحيث لم يبق أحد منهم فى ألمانيا، ثم
أذن لهم بالعودة إليها بعد أن ألغت الحكومة –
الدين – الذى كان على الشعب بسبب الربا، ثم
سيطر اليهود على البلاد اقتصادياً وسياسياً
وأصبحوا جواسيس لأعداء ألمانيا فاضطهدهم
(النازيون) وقتلوا كثيراً منهم وأبعدوهم عن
بلادهم.

٨- وفى أسبانيا – وهى آخر دولة أوروبية
تعترف بإسرائيل، والتى أقيمت فى عاصمتها
(مدريد) – الجولة الأولى من محادثات السلام

بين العرب وإسرائيل – قام اليهود بالسيطرة على منابع
الثروة وأصبحت الغالبية من أملاك (الأسبان) مرهونة
عندهم وتزايد نفوذهم وأوشكوا على القضاء على
الشعب الأسباني وعلى أملاكه بالإذلال والاستغلال،
فقام الشعب الأسباني بالثورة على اليهود وقتلهم
وحرق الألوف منهم، وفى عام ١٤٩٢ م تم طرد من
بقي من اليهود بعد أن استولت أسبانيا على ثرواتهم.

٩- وعن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- قال:
« قتل بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار، وأقاموا
سوقاً لبقلمهم من آخره » (رواه ابن أبى خاتم).

١٠- وفى الحديث الشريف قال رسول الله
ﷺ: « يا أبا عبيدة: قتل بنو إسرائيل ثلاثة

وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة، فقام
مائة وسبعون رجلاً من بنى إسرائيل يأمرؤنهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً فى
آخر النهار من ذلك اليوم » وهم الذين نزل فيهم
قول الله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ

الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(سورة آل عمران - ٢١) تفسير ابن كثير ج ١.

فنسأل الله أن يحفظ المسلمين من جرائمهم
وأن ينصرنا عليهم.



﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسئفنا وارت القراء

أحكام فى الحج

« الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده »

اطلعنا على سؤال القارىء م. ع. س: يطلب بيان رأى شرعى فى بعض الأمور الخاصة بالحج وهى:-

س ١: ماهو حكم الذهاب لمنى يوم التروية. وهل هناك دم أو وزر على من لم يحضر يوم التروية؟

س ٢: هل يجوز عدم المبيت بمزدلفة للحجاج الأصحاء أم لا؟ وهل هناك دم على من لم يبيت بمزدلفة سواء أصحاء أم مرضى أم لا؟ وما هو وقت الانتظار بمزدلفة، هل هو جزء من الليل أم بعد منتصف الليل؟ أم مقدار صلاة المغرب والعشاء وجمع الحصى؟

س ٣: ماهو وقت طواف الإفاضة خاصة لأصحاب الأعذار والمرضى والنساء الذين

ذهبوا إلى مكة مباشرة ووكلوا غيرهم فى رمى جمرة العقبة الكبرى وهل هناك مخالفة عليهم إذا طافوا طواف الإفاضة قبل منتصف ليلة العيد أم لا؟ وهل يعاد طوافهم مرة أخرى أم لا؟

وماهو الحكم لمن قضوا جزءاً من الليل بمزدلفة وتحركوا قبل منتصف الليل إلى منى، وقاموا برمى جمرة العقبة الكبرى ثم ذهبوا إلى مكة لطواف الإفاضة قبل منتصف الليل حرصاً منهم على تجنب الزحام الشديد أثناء الرمي وطواف الإفاضة؟

س ٤: متى يبدأ رمى الجمرات أيام التشريق - هل بعد منتصف ليلة ثانى أيام العيد؟ أم بعد صلاة الفجر لليوم التالى؟ أم بعد الزوال فى اليوم الثانى؟ وما الحكم لمن قام برمى الجمرات بعد منتصف ليلة ثانى أيام وليلة ثالث أيام العيد تجنباً للزحام؟ ويطلب السائل الحكم الشرعى فى ذلك؟



يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى جمهورية مصر العربية وعضو مجمع البحوث الإسلامية

●● الجواب :

ج ١ : بالنسبة لحكم الذهاب إلى منى يوم التروية فنفيد بالآتى :-

حكم الذهاب إلى منى يوم التروية - سنة - ومن السنة أن يتوجه فى هذا اليوم إلى منى فإن كان الحاج مفرداً أو قارناً ذهب إليه بإحرامه، وإن كان متمتعاً أحرم بالحج من الموضع الذى هو موجود به - فإن كان موجوداً بمكة أحرم منها - وإن كان موجوداً فى غيرها أحرم من مكانه مادام داخل المواقيت المكانية.

فإن ترك الحاج شيئاً من ذلك فقد ترك السنة. ولكن ليس عليه دم، لأن السنة هى ما يثاب المرء على فعلها ولا يعاقب على تركها.

ج ٢ : بالنسبة للمبيت بالمزدلفة نفيد بالآتى :-
قال تعالى فى كتابه العزيز :

﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (١).

وقد سمي هذا المكان بالمزدلفة لقربه من منى وقد سمي بالمشعر الحرام ويسمى أيضاً جمع لاجتماع الناس فيه.

وأما حكم المبيت بالمزدلفة فهو كالآتى :-

يرى الحنابلة : أن المبيت بالمزدلفة واجب لغير أصحاب الأعدار كالرعاة والسقاة، ويرى غيرهم أن المبيت بها ليس واجباً وإنما الواجب هو الوقوف بها لفترة غير محددة.

والمقصود بالوقوف هو الوجود على أية صورة سواء كان واقفاً أو قاعداً أو سائراً أو نائماً.

ويرى المالكية : أن الواجب هو النزول بالمزدلفة ليلاً قبل الفجر بمقدار ما يحيط رحله وهو سائر من عرفة إلى منى مالم يكن له عذر.

وقال الشافعية : إن الواجب هو الوجود بالمزدلفة فى النصف الثانى من ليلة يوم النحر بعد الوقوف بعرفة. ولا يشترط المكث فيها بل يكفى المرور بها.



ويرى المالكية: أن وقت طواف الإفاضة من فجر يوم النحر ولا بأس بتأخيره إلى أيام التشريق وتعجيله أفضل ويمتد وقته إلى آخر شهر ذي الحجة، فإن أخره عن ذلك لزمه دم وحجه صحيح لأن جميع ذي الحجة عنده من أشهر الحج ويستحب تعجيله بالنسبة للنساء خوفاً من أن تفاجئهن الدورة الشهرية وكانت السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - تأمر النساء بأداء طواف الإفاضة في يوم النحر خشية الحيض.

وبناء على ذلك: إذا طاف الحاج طواف الإفاضة قبل النصف الثاني من ليلة العيد وبعد الوقوف بعرفة فلا يصح طوافه؛ لأنه إذا طاف قبل النصف الثاني من ليلة العيد فلا يصح طوافه لطوافه قبل وقته المحدد له شرعاً ويجب عليه الإعادة في أي يوم من أيام النحر في هذه السنة أو في آخر أيام التشريق أو في آخر يوم في ذي الحجة. فإن تأخر عن ذلك وفعله لزمه دم عند الإمام مالك لأن « ذي الحجة » عنده من أشهر الحج.

أما بالنسبة لرمي جمرة العقبة الكبرى قبل منتصف ليلة النحر وكذا الطواف طواف الإفاضة قبل منتصف ليلة النحر فالرمي غير صحيح وطوافه غير صحيح أيضاً وذلك لوقوعهما قبل وقتها المحدد لهما شرعاً.

بالنسبة لرمي الجمرات أيام التشريق: رمي الجمرات واجب عند عامة الفقهاء ويلزم بتركه دم ويبدأ رمي الجمرات في أيام التشريق الثلاثة وهي

وقال الأحناف: إن الواجب هو الحضور إلى المزدلفة قبل فجر يوم النحر، فلو ترك الحضور بدون عذر لزمه دم، أما إذا كان معذوراً ولم يحضر فلا شيء عليه حينئذ، وأفضل مكان للوقوف بالمزدلفة يكون عند المشعر الحرام وهو جبل صغير يسمى قرح.

ج ٢: بالنسبة لطواف الإفاضة نفيد بالآتي:-

أجمع المسلمون على أن طواف الإفاضة ركن من أركان الحج وأن الحاج إذا لم يفعله بطل حجه لقوله تعالى:

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢).

وقت طواف الإفاضة: يرى الشافعية والحنابلة: أن أول وقت طواف الإفاضة يبدأ من النصف الثاني من ليلة النحر بالنسبة لشهر ذي الحجة ولا يجب على الحاج دم إذا أخره عن أيام التشريق وإن كان يكره له ذلك.

ويرى الأحناف: أن وقت طواف الإفاضة من فجر يوم النحر إلى آخر العمر بعد الوقوف بعرفة ويشترط أن يطوف في أشهر الحج المعلومة وهي شوال. وذو القعدة وذو الحجة. فإذا وقف بعرفة في شهر ذي الحجة ولم يطف طواف الإفاضة حتى فرغ ذلك الشهر كان عليه أن يطوف في هذه الأشهر في سنة أخرى. أما إذا لم يقف بعرفة في زمنه قبل طواف الإفاضة لم يصح طوافه، وكذا لو سعى أو طاف قبل أشهر الحج فلا يصح طوافه.



صحيح شرعاً لوقوعه في غير وقته المشروع ويلزمه دم وحجه صحيح .

أما بالنسبة لوقت الرمي يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذى الحجة فنفيد بالأتي :-

يرى الشافعية والحنابلة أن وقت رمي جمره العقبة يبدأ بحلول النصف الثاني من ليلة النحر لحديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ أرسل أم سلمه ليلة النحر فرمت قبل الفجر وأجمع الفقهاء على أنه لا يجوز الرمي قبل منتصف ليلة النحر . وأن الوقت المختار للرمي في يوم النحر من وقت الضحى في يوم العيد أى بعد طلوع الشمس وذلك لقول ابن عباس -رضي الله عنهما- قال رسول الله ﷺ : « لا ترموا جمره العقبة حتى تطلع الشمس » رواه الترمذى وصححه . فإن أخر بعض الحجاج رمي جمره العقبة إلى آخر النهار من يوم النحر فلا بأس وجاز ذلك .

وإذا كان فيه عذر يمنع الرمي نهائياً جاز تأخير الرمي إلى الليل لحديث ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يسأل يوم النحر بمنى فقال رجل : رميت بعدما أمسيت فقال ﷺ : « لا حرج » أما إذا لم يكن فيه عذر يحمل على تأخير الرمي في نهار يوم النحر فإنه يكره تأخير الرمي إلى الليل . والله سبحانه وتعالى أعلم

الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من شهر ذى الحجة فيبدأ الرمي في هذه الأيام بعد زوال الشمس إلى الغروب وأجاز بعض الفقهاء رمي الجمار قبل الزوال ولكن بدءاً من الفجر لا قبله .

وقال فضيلة الشيخ عبدالعزيز عيسى في كتابه كيف تعتمر وتحتج س ٣٧ ما نصه : (ولك أن ترمي هذه الجمرات من الزوال إلى الغروب وبعده أيضاً وهو عقب الزوال أفضل لموافقة فعل الرسول ﷺ متى تيسر ذلك دون حرج) .

وقال الإمام أبو حنيفة : (أحب إلى أن لا يرمى الحاج في اليوم الثانى والثالث حتى تزول الشمس فإن رمى قبل ذلك أجزأه) :

﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣) .

وقرر الإمام الشافعى أن رمي الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام التشريق الثلاثة التى هى عقب يوم النحر ويدخل وقت الرمي بانتصاف ليلة النحر بشرط تقدم الوقوف ويمتد وقته إلى آخر أيام التشريق ولا يلجأ الحاج إلى الرمي قبل الزوال في أيام التشريق الثلاثة إلا للضرورة القصوى . وتجوز الإنابة في رمي الجمرات لغير القادر على ذلك ولأصحاب الأعذار .

فإذا أخر الحاج إلى الليل لوجود عذر يمنعه من الرمي بعد الزوال جاز له ذلك مع الكراهه . أما إذا لم يوجد عذر ضرورى ورمى بالليل فالرمي غير

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى : مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر



بيت الله الحرام

للمُستأذِن / عبدالسلام ناصف

أول بيت وضع للناس يؤدون فيه عبادتهم على وجهها الصحيح، ولقد حظى البيت من عهد قديم بالتكريم والتقدّيس وزاد رفعة وقدسية على يدى إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وجاءه الخلق من كل مكان وفج عميق، وترسخت قدسيته فى الإسلام - وزاد مهابة وإجلالاً وتكريماً وتشريفاً.. وطلب من كل حاج أو معتمر أو زائر أن يدعوا له كلما دخله بالتكريم والتشريف والإجلال والتعظيم والمهابة فدعى له هذا الدعاء بكل لسان حاج للبيت.

والبيت هو الكعبة نفسها، والحرم ماحولها، ويتسع الحرم فيشمل أرض مكة كلها ثم يتجاوزها من كل جهاتها إلى مسافات بعينها، حددت بعلامات منصوبة حديثاً فالحرم الشريف أوسع من مكة، ومن أحكامه الفقهية ألا يدخله حاج أو معتمر إلا محرماً، فإن دخله غير محرم وجب عليه دم.

١- ولقد شهد الحرم المكي العديد من التوسعات، وأعمال العمارة والترميم اختلفت فى الحجم والمساحة والميزانية رغبة فى إعمارهِ فقد شهد أكثر من عشر توسعات

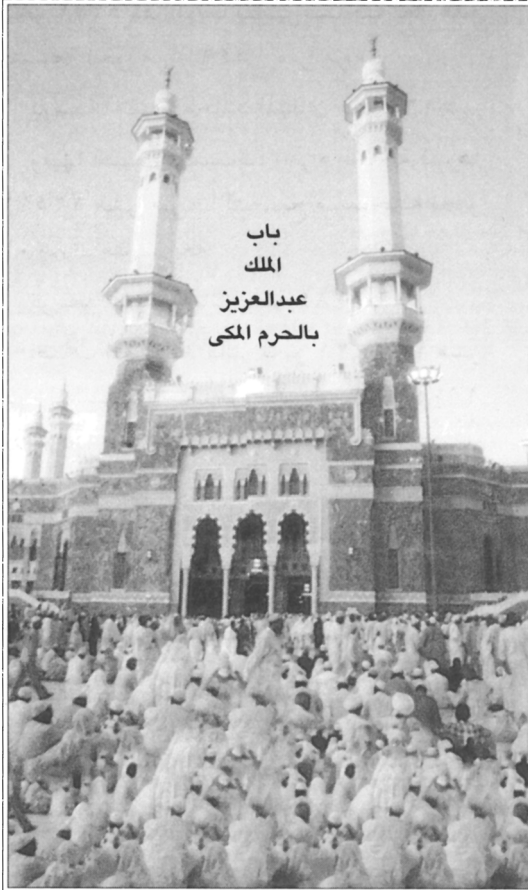
يمثل الحرمان الشريفان: البيت الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة مكان الصدارة فى حب المؤمنين لله - تعالى - ولرسوله ﷺ ومامن مؤمن ولأئمة كتبه الله لهما أداء حج أو عمرة إلا أحسّاً برضا الله - تعالى - عنهما وحبهما لهما.

لذا صار للحرمين الشريفين جلال التعرف إلى الله - عز وجل - ثم رسوله ﷺ ولقد سبق لنا الحديث عن المسجد النبوى الشريف على صفحات هذه المجلة المباركة (١) وآن أن نتحدث عن البيت الحرام، ملاذ التائب وأمان الخائف، وعصمة المستجير.

فى هذا البيت وفى رحابه وعلى امتداد مناسكه إلى عرفات يهرع المؤمنون ملبين بالنداء الخالد: «لبيك اللهم لبيك» مؤدين النسك، داعين ربهم أن يظهر دينه، وأن يعلى كلمته، وينصر أمته، فإنه لأكرم بقاع أوت إليها أفئدة المؤمنين والمؤمنات، وفاضت على أرضه همسات تسبيحهم وتهليلهم من عهد عتيق.

جاء بمسند الإمام الشافعى - رضى الله عنه - (أن الملائكة التقت بآدم - عليه السلام - بعد حجه وقالت له: بر نسكك آدم، لقد حججنا قبلك بألفى عام).

هذا هو البيت الحرام.. البيت العتيق..



منذ كانت سن رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة حين شارك بنفسه فى وضع الحجر الأسود فى ثوب يحمله رؤساء وشيوخ القبائل المختلفين ووضعه فى مكانه الحالى فحسم بذلك ما بينهم من خلاف .
وحينذاك لم تكن مساحة المسجد تزيد على ٢١٢٦ متراً مربعاً تقريباً، وتلك التوسعة كانت تعرف بتوسعة قريش التى كانت بيوتها تحدها .

توسعة الفاروق عمر - رضى الله عنه
سنة ١٧ هـ .

اشترى الخليفة عمر بن الخطاب البيوت التى كانت تحدها مبنى المسجد الحرام وهدمها وأضاف أرضها لمساحة المسجد فأصبحت مساحته نحو ٣٦١٣ متراً مربعاً أى أنه - رضى الله - عنه اشترى مساحة تقدر بنحو ١٤٨٧ متراً مربعاً وهذه هى التوسعة الأولى فى عصر الإسلام وفيها تم وضع مقام الخليل إبراهيم - عليه السلام - فى موضعه الحالى .

توسعة الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - سنة ٢٦ هـ .

وفيها أضيفت للحرم الشريف مساحة تقدر بنحو ٨٦٩ متراً مربعاً لتصبح مساحة ٤٤٨٢ متر مربع .

توسعة عبدالله بن الزبير سنة ٦٥ هـ

فقد أضاف عبدالله بن الزبير ٢٩٨٢,٩٦ متر مربع فاتسعت مساحته إلى ٧٤٦٤,٩٦ متر مربع .

توسعة الوليد بن عبد الملك سنة ٩١ هـ .

قام الوليد بن عبد الملك بعمل توسعة للمسجد الحرام فأضاف إليه مساحة نحو ٢٨٠٥,٠٤ متر مربع لتصبح مساحة الحرم ١٠٢٧٠ متراً مربعاً .

توسعة الخليفة أبى جعفر المنصور سنة ١٣٧ هـ .

قام خليفة المسلمين أبو جعفر المنصور بعمل توسعة للمسجد الحرام، فأضاف مساحة تقدر



بنحو ٥٢٢١ متراً مربعاً لتصير مساحته بعد هذه التوسعة نحواً من ١٥٤٩١ متراً مربعاً.

توسعة الخليفة محمد المهدي سنة ١٦٦هـ.

وفيها أضيف للمسجد الحرام مساحة قدرها ١٢٥١٢ متراً مربعاً لتصبح مساحته نحو ٢٨٠٠٣ أمتار مربعة

توسعة المعتضد بالله سنة ٢٨٤هـ.

أضاف المعتضد بالله نحو ١٣٣٩,٣١ متر مربع لتصير مساحة الحرم الشريف ٢٩٣٤٢,٣١ متر مربع.

توسعة الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣٠٦هـ.

أمر الخليفة العباسي المقتدر بالله عام ٣٠٦هـ بإضافة مساحة تقدر بنحو ٧١٤,٨٥ متر مربع فصارت مساحة المسجد الحرام نحو ٣٠٠٥٦,١٦ متر مربع.

توسعة الملك عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٧٥هـ.

أما توسعة الملك عبدالعزيز آل سعود فهي التوسعة التي أعطت للمسجد الحرام ما يصبو إليه المسلمون من توسعة بعد طول انتظار، فقد وفقه الله - سبحانه وتعالى - فأمر بإضافة نحو ١٣٠١١١,٨٤ متراً مربعاً على ثلاث مراحل نفذها أولاده وأحفاده من بعده ففي عهد المغفور له جلالة الملك فيصل والملك خالد أضحى الحرم على مساحة ١٦٠١٦٨ متراً مربعاً علاوة على التجهيزات الفنية الحديثة.. إلى أن جاءت التوسعة الأخيرة.

توسعة خادم الحرمين الشريفين سنة ١٤٠٩هـ

الملك فهد بن عبدالعزيز - أمد الله في عمره وامتعه بالصحة والعافية أضاف لمساحة المسجد الحرام ما يزيد على ٢٠٦ آلاف متر مربع - ولم تكن الزيادة في المساحة فقط، وإنما كانت عمراً وتعميراً وتحديثاً وتطويراً لم يشهده البيت منذ تأسيسه من حيث العمارة والزخرفة وتهئية وسائل الراحة بأسلوب (تقني) رفيع المستوى فقد أضاف في الناحية الغربية من المسجد في منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبدالعزيز مبنى غاية في الأناقة والجمال وتحقيق الراحة والهدوء لكل من يدخله على مساحة تقدر بنحو ٧٦ ألف متر مربع مكون من ثلاثة طوابق عبارة عن قبو (بدروم) ودور أرضي ودور أول تتسع لنحو ١٩٠ ألف مصلى.

إضافة إلى تجهيز عديد من الساحات الخارجية في الجهة الغربية والجهة الشرقية أمام أبواب المسعى الستة عشر بمساحة إجمالية تزيد على ٥٩ ألف متر مربع تتسع لنحو ١٣٠ ألف مصلى في وقت واحد.

وهو بهذا قد سهل الصلاة لنحو مليون مصلى في وقت واحد خاصة في أيام شهر رمضان والحج، وقد أضاف للمبنى معذنتين بارتفاع ٨٩ متراً على نسق المآذن السبعة الأخرى، كما أنشأ سلمين كهربيين ليسهل للمصلين الصعود للدور الأول وللسطح من كل جهات المسجد فطاقة السلم الكهربى تحمل أكثر من خمسة عشر ألف مصلى في الساعة الواحدة إذ أضاف سلمين كهربيين للسلاسل السبعة المنتشرة حول المسجد.





الطاقة الكهربائية

يستخدم الحرم طاقة عالية جباره من الكهرباء تستمدّها من مصادر ثلاثة :

١- أربع مغذيات رئيسية من كهرباء المنطقة الغربية التي تغذى مكة كلها فوق جبل أبى قبيس وجبل حارة الباب وهي مغذيات دائمة العطاء بسخاء .

٢- مصدر تغذية احتياطي يعتمد على ثمانى محطات توليد كهربية تبعد عن الحرم نحو ثلاثة كيلو مترات ونصف الكيلو بطاقة تفوق المصدر الرئيسى .

٣- مصدر تغذية احتياطي يعتمد على البطاريات يتحمل تغذية كهربية الحرم الشريف لنحو ثلاثين دقيقة على الأقل فى حال انقطاع التيار الرئيسى والاحتياطي - وذلك فى النادر .

التهوية

تعتمد التهوية على أكثر من ألف ونصف مروحة بالسقف ومثلها على الأعمدة إضافة إلى نظام فريد فى التبريد (التكييف) المندفع من فوهات سداسية الشكل على قمة الأعمدة فى حين تستقبل فتحات دائرية بأسفلها لسحب الهواء الساخن وطرده إلى محطات التبريد العملاقة الموجودة فى منطقة (كدى) التى تبعد عن الحرم بنحو أربعة كيلو مترات وتضم أحدث نظم التبريد فى العالم كله بطاقة ٤٥ ألف طن من الهواء البارد فى الساعة من خلال ٣٢ وحدة تبريد حديثة تنتقل عبر أنابيب عملاقة تحمل الهواء

وقد أنشئ هذا المبنى على ٤٩٢ عاموداً فى كل دور من الأدوار الثلاثة إضافة إلى كونها معتمدة فوق (خوازيق) مزروعة فى الأرض - وقائمة على هيكل خرسانى مسلح - وارتفاع القبو ٤,٣٠ متر، وارتفاع الدور الارضى ٩,٨٠ م، والدور الاول ٩,٦٤ م ، كما أنشئت ثلاث قباب ترتكز كل منها على أربعة أعمدة خرسانية .

ولقد أمر جلالة الملك خادم الحرمين بإنشاء مصنع لتصنيع الأعمدة والأسقف بالقرب من مكة المكرمة ولعمل الخزارف والحليات والنقوش الرائعة على أعلى مستوى من التقنية الفنية الهندسية الحديثة التى تليق بالمسجد الحرام بواسطة عمالة مدربة بقيادة فنية ماهرة .

الأبواب

استحدثت التوسعة مدخلاً رئيسياً من الجهة الغربية باسم الملك فهد عبارة عن ثلاث فتحات متجاورة - كما استحدثت ثمانية عشر باباً- وقد تم تصنيع الأبواب الخشبية فى بريطانيا من خشب الساج بعد معالجته وتجفيفه فى أفران خاصة بواسطة الحواسيب الآلية لمدة تزيد على ستة أشهر ثم نقلت الأخشاب إلى (برشلونة) فى أسبانيا لتصنيعها بطريقة حديثة لا يستخدم فيها المسامير وإنما تعتمد على مايعرف فى لغة النجارين بالحشو (عاشق ومعشوق) أما الأشكال الهندسية الزخرفية النحاسية المطلية بالذهب فقد أعدت خصيصاً فى مدينة (رواه) بفرنسا لتثبيتها على الأبواب .





أنشئت دورات مياه حديثة ومطورة مكونة من دورين تحت سطح الساحة القبليّة بطول المسجد الحرام إضافة إلى دورات أخرى تحد الساحة الشرقيّة بطول حدها الشماليّ مكونة من ثلاثة أدوار تحوي كل منها ١٤٤٠ دورة ألف وأربعمائة وأربعون دورة و١٠٩١ صنبوراً للوضوء و١٦٢ صنبور مياه للشرب من ماء زمزم المبرد. علاوة على الدورات الثلاثة القديمة، إضافة إلى دورة مخصصة للسيدات قبالة حى القشاسية تجاه الغزة.

وقد تكلف المشروع بدءاً من شراء الأراضي وتعويض ملاك البيوت التي نزعّت ملكيتها منهم مبلغاً وقدره ١٨١,٧٧٥,١٧٨,٣ ثلاثة مليارات ومائة وثمانية وسبعين مليوناً ومائة وواحد وثمانين ألفاً وسبعمئة وخمسة وسبعين ريالاً سعودياً، خلافاً لم تم صرفه على تطوير مناطق منى ومزدلفة وعرفات التي تساعد الحجيج على أداء مناسكهم فى يسر وسهولة، ودون عناء تطبيقاً لشعار المملكة الذى أطلقه خادم الحرمين الشريفين (خدمة الحاج شرف لنا).

والله سبحانه القائل :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١).

الساخن لإعادة تبريده بطريقة دائرية- وقد روعى ألا تزعج أصوات الماكينات رواد المسجد الحرام بفنية حديثة متقدمة ومتطورة.

الإنارة

جهزت إنارة التوسعة بطريقة حديثة توفر أعلى قدر من الإضاءة وتناسب مع الشكل المعماري المميز للحرم الشريف فقد زودت بشرائط غاية فى الأنافة والجمال مستديرة الشكل محلاة بالزخارف النحاسية والذهبية.

الإذاعة

تم تنفيذ شبكة إذاعة داخلية تتناسب ومساحة التوسعة وعمارتها - وقد تم دمجها مع شبكة الحرم الحالية بفنية وتقنية حديثة عالية المستوى بكفاءة وعلاوة على أنها تتصل بالإذاعة والتليفزيون السعودى .

الأنفاق

لقد استدعت أعمال التوسعة منع مرور السيارات حول الحرم فأنشئت الأنفاق تحت الساحات الخارجية بصورة تحجب أصوات السيارات وضجيجها حتى لا تؤذى مشاعر المصلين بالحرم وبالساحات وتأميناً لهم من حوادثها وتسهيلاً لسيل المرور ومنع أى اختناقات مرورية وقد تطلب الأمر عمل أربعة جسور على تلك الأنفاق زيادة لتسهيل المرور الآمن ودورات المياه.

فى الحج

للشاعر / عبدالفتاح سالم

وطف بالببيت والحجر
بدنيا حَالَهَا يُغْرِى
ترى خيراً على خير
على الأحباب بالظفر
بأكفان كما تدرى
وخطاب مالك الأمر
قبول العذر بالنظر
يجيبك سابل الستر
سقام القلب من غدر
فزد فى الشرب والطهر
وليتك ساعياً تدرى
يدق القلب فى الصدر
تراءت نسمة الفجر
وينعى تعسة الدهر
حمدنا الله بالنحر
وحزنا فرحة العمر
وما أحلاه من قدر
يبدد ظلمة القبر
ويغنى كل ذى فقر
بمال الحل والطهر
بكل الفضل والخير
وحاز الغنم بالشكر

أفق شمعى من السكر
وخل القلب من شغل
تحلى بالتقى دوماً
تجلى الله خالقنا
لذا أحرمت فى خوف
فطف سبباً وكن وجلاً
خطاب الصدق منتظراً
ولب الله فى صدق
فزمزم ماؤها يشفى
قد قال الأمين لنا
وعجل للصفا سعيًا
فعدد المروة الكبرى
أيا عرقات بارينا
وراح عدونا يبكى
رجمناه وقعد ولى
قعدنا نرتجى فضلاً
توجهنا إلى طه
هنيئاً سادتى حج
ويمحو كل معصية
ومن كانت وسيلته
فإن الله بشيره
فطوبى للذى لبى

تأملات في خلق الإبل

للمستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

أجل إن الأسطر التالية سيتمحور الحديث فيها حول الإبل وتتناول في تفصيل غير ممل إن شاء الله بعض الحقائق العلمية التى تدور كلها حول الجمال وكيف أن القدرة الإلهية الباهرة أهلته ليؤدى مهمته فى يسر وسهولة وجعلت منه آية عظمى يلفت ربنا سبحانه وتعالى عباداه إليها فيقول:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (١).

فالجمال سفينة الصحراء كبير الجسم هائل المنظر ذو حاسة شم قوية. وهو من الحيوانات المجترة التى تتمتع بخاصية ربما لا تتوافر إلا للإنسان ألا وهى الحياء والمزاج الذى يكون أحيانا معتدلاً رائقاً ويكون سيئاً فى أحيان أخرى.

إنه يستطيع العمل الدؤوب فى الأرض غير الممهدة والمناطق القاحلة والأجواء الحارة التى يتحملها بصبر وثبات. وهو كذلك من الدواب التى أحل الله - عز وجل - لحومها وألبانها وهو وسيلة النقل الوحيدة تقريبا التى استطاعت قبائل البدو والرحل استئناسها منذ ألفى عام قبل الميلاد وذلك قبل استئناس الكثير من الأنعام. ولقد كان للجمال عظيم الأثر فى مساعدة الأمريكان فى اكتشاف أراضيهم التى تقع وراء المحيط الأطلسى فى الغرب. ترى إذن ما الخصائص التى مكنت الجمال من العمل بجلد من المناخات الجافة والسير لمسافات طويلة حاملة على ظهورها أحمالاً ثقلاً لا طاقة للإنسان بحملها إلا بشق الأنفس، كما أوضح ذلك القرآن الكريم؟ إنها خصائص عديدة جاءت فى كتاب عنوانه «الجمال أو الإبل» لمؤلفين غربيين

كلما أطلت أشهر
الحج المباركة وأخذت
مواكب الحجاج تملأ
الدنيا بهجة ونوراً
وعطراً روحانياً كلما
تذكرت أزماناً لم يكن
يتوفر لمن أراد أداء
فريضة العمر إلا وسائل
محدودة بصل عن
طريقها إلى الرحاب
القدسة، وقفز إلى ذهني
على الفور صورة ذلك
الخلوق الحميم الذى كان
عليه ذات يوم العبء
الأكبر فى إيصال الناس
إلى مكان هو لكل مؤمن
مرفأ الروح وطمأنينة
النفس وسعادة القلب
ويغمرنى إحساس عارم
بالأهمية القصوى التى
كان يمثلها ذلك الحيوان
فى البيئة العربية.



الماء. كما أن أرجل الجمل الطويلة تجعل بمقدوره أن يسير في مناطق شاسعة، ويتجول بحثاً عن الغذاء. وبث الله في الجمل من الذكاء ما يجعلها لا تركز في غذائها على التهام عشب واحد بعينه ومن هنا تكتمل وجبتها الغذائية لتنوع الأعشاب التي تأكلها. كما أنها تمكن العشب نفسه من أن ينمو من جديد أما فم الجمل فبه من القوة ما يستطيع بواسطته مضغ أقوى الجذور النباتية ذات الأشواك الحادة التي لا طاقة لغيره من الحيوانات بمجرد التفكير فيها أما رقبة الجمل الطويلة فتمكّنه من الوصول للعشب مهما كان ارتفاع الشجرة الموجود بها ذلك العشب وجهازه الهضمي بارع في استخلاص الماء من نباتات شح فيها الماء أصلاً. وذاكرة الجمل قوية تنطبع فيها بشدة أماكن توافر الغذاء وآبار الماء وعبونه الثرة حتى ولو كانت على بعد أميال عديدة.

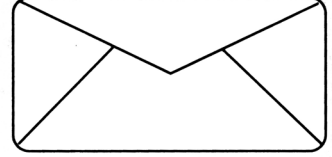
أما عن حاسة الشم لدى الجمل فحدث ولا حرج، إنها قوية مرهفة تستقصى منابع الماء وأماكن هطول الأمطار ولو كانت على مسافات بعيدة.. كما تستطيع الجمل التعرف على بعضها البعض ولو على بعد ستة أميال. وللجمل القدرة على السير بسهولة على رمال الصحراء غير الثابتة لأن أقدامه تكون من ظلفين كبيرين ضخمين لكل منهما طرف ناعم يمكنه من حفظ توازنه فوق الرمال الملساء أما الشكل المنحني لظهر الجمل هو الذي يمكنه من حمل الأعباء الثقيلة تماماً كالدعامة في المبنى، ويستطيع الجمل أن يحمل أكثر من نصف طن أي ٥٥٠ كيلو جرام وهو حمل ثقيل قد لا تتقبله العقول أو تتصوره ودليل على لك أن البدو يعتبرون أن ٦٠٠ رطل هي الحمولة القصوى أو ٣٠٠ رطل إذا كانت المسافة أقصر وهي على أية حال مسألة نسبية.

نجتزىء بعضها حتى تعم الفائدة وحتى نوفى ذلك المخلوق المهضوم بعض حقه شكرًا لله على سابغ نعمه. وأولى الخصائص قدرة الإبل الفائقة على اختزان الماء ولها في ذلك أساليب وطرق منها قلة بولها وجفاف روثها وهي لا تختزن الماء في سنامها على خلاف المعتقد الشائع بين الناس، إنها تختزن في سنامها الدهن وتقوم عبر العمليات الهضمية المختلفة بتحويل ذلك الدهن إلى طاقة تستخدمها عند الحاجة إليها. وسر احتفاظ الجمل بالدهن في سنامها بدلاً من توزيعها وتفريقه في شتى أجزاء جسمها وهو تمكين الصفائح الدموية من الوصول إلى سطح الجلد، الأمر الذي يمكن الجمل من الإحساس بجو لطيف حيث تتبدد الحرارة بسرعة في هذه الحال. أما تكيفه مع ضوء شمس الصحراء الساطعة فإن حدقتي عينيه بهما من الزوائد التي تقى عيني الإنسان العين وتسمح لكميات ضئيلة ومناسبة من الضوء للوصول لشبكية العين. كما أن لعيني الجمل أيضاً أهداباً طويلاً تصد عنه ما يهب من العواصف الرملية. أما فتحتي الأنف التي هما أشبه شيء بفتحات حصالات النقود الضيقة فيمكن الجمل إغلاقها لمنع دخول الرمال فيها.. بينما تقوم التجاويف الداخلية للأنف بترطيب الهواء الذي يستنشقه البعير وتبريد الهواء الخارج في عملية الزفير.. كل ذلك بهدف وحيد هو التقليل من الماء المفقود في التنفس، أما وبر الجمل فهو يحميه من الحر الزائد إذ تحت ذلك الوبر توجد غدد عرقية لترطيب الجسم عند اللزوم.

وللجمل قدرة خارقة على تحمل الجفاف فهو يفقد ٤٠٪ من وزنه بسبب الجفاف بينما يمكن أن يموت الإنسان بعد فقدان ١٢٪ فقط من حجمه أما عادات الجمل الغذائية فتمكّنه من الصمود في الأرض التي لا يتوافر فيها إلا الأعشاب الجافة النادرة والقليل من موارد

رسالة.. و.. رد

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد جمعان



● رسالة من الأخ القارىء «ج.ع» يقول فى رسالته:

أثناء قراءتى للآية رقم ٢٤٧ من سورة البقرة جال بخاطرى السؤال التالى:

هل يجب أن يتصف رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بالبسطة فى العلم والجسم أم هذه الصفات فقط للقائد المحارب؟ جزاكم الله خيراً.

الآية التى يشير إليها الأخ السائل هى قوله تعالى:

﴿وَقَالَ

لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية ٢٤٧ - البقرة

والآية جاءت فى سياق قصة الملا من بنى إسرائيل من بعد موسى الذين قالوا لنبيهم صموئيل أقم لنا أميراً يقودنا فى الحرب لنسترد ما سلب منا ونستعيد مجدنا وعزنا بعد أن ذلنا العمالة واستولوا على تابوت الرب الذى به التوارة وكانوا قد خرجوا من ديارهم وأبنائهم واحتاجوا لقتال العادين عليهم واسترجاع ديارهم واستعدوا للقتال غاية وسعهم وقالوا لنبيهم ما قالوا فأجابهم نبيهم: أخشى إن كتب عليكم القتال أن تعودوا إلى طبيعتكم فى الجبن والنكوص على الأعقاب فقالوا له: أى شىء يجعلنا جبناء بعد أن صرنا إلى ما ترى من الاحتلال والاستعباد والطرده من البلاد:

﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (١).



ولم يكن داود يومئذ ذا قوة جسمية لأنه كما جاء فى القصة كان صغير السن ذا جسم عادى وكان راعى غنم وراعى الغنم من صفاته نحالة الجسم لما يبذله من الجرى هنا وهناك خلف الغنم وحولها ليلم شعثها ويمنع عنها عاديّات الذئب ولذا وصف الشاعر راعى الغنم بقوله :

دقيق العصا بادی العروق ترى له

عليها إذا ما أجذب الدهر أصبعا

والخلاصة أن بسطة الجسم وقوة البدن ليست شرطاً فى الرؤساء والوزراء والساسة لكنها لو وجدت يكون خيراً على اعتبار أن «العقل السليم فى الجسم السليم» لكن الشيء المهم فى هؤلاء أن يكونوا ذوى عقول راجحة وعلم يعينهم على تدبير شئون الرعية وتسيير أمور الدولة والإقليم الذى يتولون حكمه .

أما المال فليس بـلازم على الإطلاق، على أن الرئيس أو الوزير لو كان غنياً يكون ذلك خيراً على اعتبار أن يساره يجعله لا يمد عينيه إلى أموال الدولة أو الرعية ولو كان فقيراً ومتعففاً ونظيف اليد مع العلم الذى ذكرنا لاستوفى كل الخير وحاز كل الفضل .

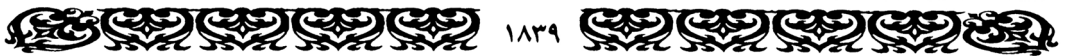
والله أعلم

فقال لهم نبيهم إني قد أقمت لكم بأمر الله، طالوت ملكاً عليكم يقودكم فى المعارك فقالوا: كيف يكون له الملك علينا وليس من سلائل النبوة ولا سلائل الملوك وليس من الأغنياء.. فأجابهم أن الله هو الذى اختاره ملكاً وقائداً لما فيه من الاستعداد الفطرى للقيادة وسعة العلم وبسطة الجسم وقوة البدن .

وقد بدا لك أخى السائل أن سعة العلم وبسطة الجسم كانا من أسباب اختيار الله - تعالى - لهذا الملك القائد لأن قيادة الجيوش تقتضى العلم بفنون الحرب وقوة البدن لتحمل أعباء الحرب والتصرف فيها كراً و فرأ وهجوماً وتراجعاً .

وعليه فليس بـلازم أن يكون رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء من ذوى الأجسام الفارهة وإن كان لابد أن يكونا من ذوى العلم الذى يحتاج إليه فى تدبير الرعية وسياسة الحكم وقد حكى لنا التاريخ القديم والحديث عن رؤساء جمهوريات ووزراء كانوا فقراء ومن أصحاب الأجسام العادية وقد جاء فى القصة نفسها أن داود - عليه السلام - قتل جالوت ملك العمالقة وقائدهم :

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (٢)





الدروس الخصوصية حرام

● والرسالة الثانية من القارىء المدرس مصطفى حسنى مصطفى من التل الكبير بالإسماعيلية يقول فى رسالته : هل الدروس الخصوصية حرام أم حلال ؟ وهل إذا كانت بأجر زهيد تصير مشروعة ؟

وبداية نقول إن هذه الرسالة أثارت قضية شغلت رأى العام هذه الأيام وكثر الحديث عنها فى وسائل الإعلام وسنت الحكومة من التشريعات ما يحدها أو يقضى عليها دون جدوى .

والدروس الخصوصية حرام فى حالات منها :

١- إذا كان المدرس لا يؤدى واجبه فى الفصل كما ينبغى حتى يلجأ التلاميذ إليه فى الدروس الخصوصية لأنهم لا يستفيدون منه فى الفصل .

٢- إذا أجبر المدرس التلاميذ على هذه الدروس عن طريق درجات أعمال السنة أو التهديد بالرسوب آخر العام أو ماشاكل ذلك لأنه فى هذه الحالة يأخذ المدرس الخصوصية رغم أنفه ومضطر ويكون الأجر حينئذ بسيف الحياء وهو حرام .

٣- إذا صرح أو لمح للتلاميذ بأن عنده مزيداً من المعلومات لا يتسع وقت المدرسة لها لضيق الوقت أو كثرة التلاميذ فيرغب بعضهم فى التعرف على هذه المعلومات الزائدة عن طريق الدرس الخصوصية .

وتكون حلالاً فيما عدا هذه الحالات بأن يرغب التلميذ أو ولى أمره فى الدرس الخصوصية بلا ضغوط من أى طريق، وأدى المدرس واجبه فى الفصل على الوجه الأكمل ولم يألُ جهداً فيه وأدى كذلك واجبه فى الدرس الخصوصية فإن ذلك يعتبر أجراً نظير عمل سواء كان الأجر زهيداً أو غير زهيد .

وقد يقول قائل إذا أدى المدرس واجبه فى الفصل فلن يحتاج التلميذ إلى درس خصوصى، وأقول إن هذا غير صحيح فالتلاميذ كشأن كل الناس متفاوتون فى قدراتهم العقلية وطاقاتهم لكن ذلك يكون بنسبة قليلة لا تشكل ظاهرة على الإطلاق .

أما ما نراه الآن فإن الدروس الخصوصية تزيد على نسبة تسعين فى المائة ومعنى هذا أنها ظاهرة خطيرة وليس سببها تخلف بعض التلاميذ عقلياً بل هى بسبب الضغط بل قل الإكراه فهى لذلك حرام قل الأجر أو كثر .

هذا والله أعلم وبه التوفيق



حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له

للأستاذ / أحمد السيد فقي الدين

يضع نصب عينيه أن الشريعة الإسلامية ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد، وها هو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عندما قيل له: فلان يعاقر الخمر. كتب إليه قائلاً: «إني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذى الطول، لا إله إلا هو إليه المصير».

فلم يزل الرجل يردد لها ويبكى حتى تاب وصحت توبته، وعلم عمر بذلك فقال لأصحابه: «هكذا فاصنعوا.. إذا رأيتم أحاكم قد ذل فسددوه ووقفوه، وأدعو الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه».

فعمر لم يسارع إلى جلد الرجل وفضحه بل بذل له النصيح، وهذا فهم كامل لمقاصد الشريعة الإسلامية التى تهدف أكثر ما تهدف إلى جلب المصالح ودرء المفساد.

فالفقه الإسلامى يمتاز بمرونته وقابليته للبقاء بسبب وفائه بحاجات الناس

الإفتاء واحد من أدق الأمور المتعلقة بعمل الداعية المسلم، والمسلمون فى كل زمان ومكان لديهم دائماً ما يسألون عنه مما يتعلق بفقه المعاملات، وفقه العبادات، وفقه الأحوال الشخصية واليوم لا توجد صحيفة أو مجلة يومية أو أسبوعية أو شهرية إلا وتجدها قد خصصت باباً للإفتاء، وكذلك الحال فى سائر وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون، بل وعبر شبكات الإنترنت، وبالتليفون أيضاً.

أن يسأل الناس عن أمور دينهم سعياً وراء تطبيق منهج الإسلام فى حياتهم ومعيشتهم أمر جميل جداً، بل هو رائع.

ولا ننكر أن من حق من حفظ كتاب الله - عز وجل - ووعى عن علم ودراسة بآيات الأحكام، ودرس السنة دراسة فهم واستيعاب، مثل هذا يكون من حقه أن يتصدى لتوضيح ما غمض عن الناس من أمور ثابتة فى الكتاب والسنة، على أن



لشباب منذ فترة ولم يتزوجا وقد وقعت بينهما أمور لا تتجاوز اللهو والعبث - هكذا قالت - فيماذا أجابها ذلك الشيخ؟ أجابها قائلاً: إنه لا تثريب عليها فيما فعلت وذلك من اللّم! فهل هناك جهل وفساد أكثر من ذلك؟!

واقعة أخرى سمعتها من أبطالها، وهما زوج وزوجة، وكلاهما تجاوزا الخمسين من العمر شجر بينهما خلاف فطلق الزوج زوجته ولم يراجعها في شهور العدة، ثم عقد عليها بعقد ومهر جديدين، ولكنها شرطت أن تكون [العصمة] بيدها فوافق الزوج.. ثم وقع بينهما الطلاق الثاني في حياتهما معاً ومرت شهور العدة، فعقد عليها الرجل مرة ثالثة بعقد ومهر جديدين، واحتفظ الزوج بالعصمة في يده، في حين طلبت الزوجة من المأذون أن يجعل العصمة لها في العقد، فما كان منه (المأذون) إلا أن حرر قسيمة زواج لكل منهما جعل العصمة في النسخة الخاصة بالزوج للزوج، والنسخة الخاصة بالزوجة كانت العصمة فيها للزوجة.

ثم قامت الزوجة بتطليق الزوج فلم يعترف الزوج بهذا الطلاق لأنه لم يتنازل عن العصمة وتمسكت الزوجة بقرارها، ووضعوا المشكلة أمام متصد للإفتاء فأفتاهم بوقوع التطليقات الثلاث وأوعز إليهما بفكرة (المخل) فوجد الطليقان ضالتهما

ومصالحهم المشروعة اعتماداً على الفهم والتفسير والبيان لنصوص الشريعة وأحكامها وتطبيقاً لمبادئها وقواعدها على جزئيات الوقائع والأحداث حسب الأزمنة والأمكنة ومصالح الناس.

وكل هذا لا يكون إلا بدراسة واعية متعمقة ومقدرة على فهم آيات الأحكام والعلم بالناسخ والمنسوخ بما يؤدي إلى مقدرة واعية من المتصدى للإفتاء على الاجتهاد والقياس والاستنباط فيما لم يرد فيه نص.

هذا هو رأيي وأعتقد أن به على الأقل شيئاً من الصواب، خاصة وأن هناك حالياً من يقول بأن الإفتاء حق لكل مسلم يحفظ القرآن أو لديه القدرة على قراءته والرجوع إلى كتب التفسير والحديث والفقه وصاحب هذا الرأي يزعم أن الإفتاء ليس حكراً على من درس دراسة دينية فقط، بحجة أن الرعيل الأول من السلف الصالح لم يدرس كتباً وإنما كان لديه فقط الكتاب والسنة يقيس ويجتهد في إطارهما.

وصاحب هذا الرأي تحديداً لم يدرس أى دراسة دينية، وإنما جاءت دراسته وثقافته كلها عسكرية صرفة، فلما أحيل للتقاعد لم يجد له وظيفة يقوم بها سوى الإفتاء، وصار يحمل لقب شيخ - بين أعضاء أحد الأندية - هذا الشيخ سألته فتاة من منطلق أنه شيخ يتحدث في الدين: أنها مخطوبة





يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة».

ولكن المشكلة أن القانون لم يمنع أحداً من أن يتصدى للإفتاء فالباب مفتوح على مصراعيه لمن يريد، والناس دائماً يعجبهم من يحسن الكلام وتنميته ويحقق لهم مآربهم أيأ كانت.

أعتقد أننا وكما نحرص على النصح للناس بضرورة تنظيم النسل من خلال حملات إعلامية ضخمة ينبغي أن نحرص على توعيتهم وإرشادهم فيما يتعلق بالحصول على فتاوى تتفق وصحيح الدين، وحصص الجهات المخولة بإصدار هذه الفتاوى في هيئات وأفراد بعينهم يختارهم أولو الأمر والاختصاص، وإصدار قانون ينظم هذا الأمر حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له.

في ابن أخ الزوج الذي وافق على القيام بدور (المحلل) فعقد على طليقة عمه واختفى رافضاً التطليق، فرفع الرجل دعوى على ابن أخيه فخرسها وأسقط في أيديهما معا.

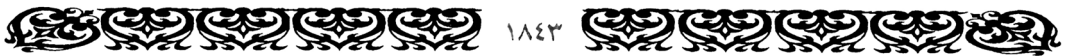
بالتأكيد هما يتحملان جزءاً كبيراً مما حدث لهما، عندما التمس الفتوى والمشورة، حيث إنهما لم يلتمساها في مظانها عند أهلها فضلاً الطريق.

وظهر من أفتى بجواز زراعة المخدرات لتصديرها إلى الدول الغير مسلمة. ومؤخراً أفتى أحدهم بأن مشاهدة الأفلام الإباحية مكروه وليس بمحرم.

وغير ذلك من أمور كثيرة لم يرد بشأنها نص صريح كانت مرتعاً لكل ناعق.

هذا لون من ألوان الفتاوى المتعلقة بالحياة اليومية والتي اعتقد أن لها نظيراً في شتى جوانب الإفتاء في العقيدة والفقه والمعاملات، فكيف يمكن كبح جماح من عندهم شره للفتوى دون علم؟

الدولة قررت في القانون (١٠٣) لسنة ١٩٦١ وتعديلاته أن: «مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، وتقوم بالدراسة في كل ما



● أكد المفكرون الإسلاميون أن العداء الغربى للإسلام أصبح سافرا وغاشما، خاصة بعد أحداث سبتمبر وحذروا من خطورة تصديق القيادات الغربية وخاصة الولايات المتحدة لأكاذيب وافتراءات الإعلام الصهيونى الذى يقبل الحقائق ويشغل نار الصراع الحضارى بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى.

المحرر

الغرب يعادى شريعتنا بالوراثة

فى تحقيق عرضته جريدة عقيدتى فى ١٧/١٢/٢٠٠٢ يتناول عداء الغرب للشريعة الإسلامية أسبابه ودوافعه.

كانت البداية مع الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وأحد المفكرين الإسلاميين الذين زاروا كل الدول الغربية والتقى بمفكرىها ورصد أسباب العداء الغربى للإسلام والمسلمين قائلا: يرجع ذلك للعصر الأندلسى ومواجهة أوروبا مع الإسلام والمسلمين وانتشار الإسلام بصورة فائقة والعداء بدأ منذ الحروب الصليبية ودخول الأوربيين فى مواجهة مع العثمانيين ثم زاد الكلام فى الربع الأخير من القرن العشرين عن صراع الحضارات وأول من روج له المستشرق الأمريكى برنارد لويس وتحذيره للغرب من الإسلام وسرعة انتشار الإسلام وحضارته.

ثم أشار الدكتور محمد أبوليلة رئيس قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية وهو من علماء الأزهر الذين عاشوا فترة طويلة فى الغرب وترجم أمهات الكتب الإسلامية للإنجليزية إلى أن هذا العداء ضد المسلمين والحملة الظالمة على الإسلام ترجع إلى توافد المسلمين على الدول الغربية ونقل الإسلام بصورة عملية إلى الغرب وانتشار الإسلام فى أوروبا بصورة كبيرة وازدياد المسلمين المستمر ففى أمريكا أكثر من عشرة ملايين مسلم، و٢٠٠٠ مسجد ومركز إسلامى، كما يوجد ٤ ملايين مسلم فى ألمانيا وفى فرنسا ٦ ملايين، ١٦٠٠ مسجد ومركز إسلامى.

بين

الصحف

و

المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشتى

بوش متهم بالاعتداء على حقوق العرب والمسلمين

وفى صفحة آراء وأخبار فى جريدة الأخبار فى
عددتها الصادر فى ١١/١٢/٢٠٠٢.

أكدت جماعات حماية الحريات المدنية فى
الولايات المتحدة أن الأرقام المخيفة التى كشف
عنها التقرير السنوى لمكتب التحقيقات الفيدرالى
حول جرائم الكراهية العنصرية ضد العرب
والمسلمين فى الولايات المتحدة أقل كثيراً عن
الواقع حيث يتغاضى العديد من العرب والمسلمين
الذين يتعرضون لهذه الاعتداءات العنصرية عن
الإبلاغ عنها.

وكان تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالى قد
كشف عن أن جرائم الكراهية العنصرية ضد
العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة قد زادت
من ٢٨ جريمة عام ٢٠٠٠ إلى ١٧٠٠ جريمة عام
٢٠٠٢.

وفى الوقت الذى أشادت فيه جمعية
«هيومان راتيس ووتش» لحقوق الإنسان فى
معرض تعليقها على التقرير بالرئيس بوش
وكبار المسؤولين فى إدارته على إدانتهم لمثل
هذه الحوادث لكنها فى الوقت نفسه اتهمت
الرئيس وإدارته بالازدواجية ففى الوقت الذى
صدرت عنه هذه الإدانات لجرائم الكراهية
العنصرية ضد العرب والمسلمين قام مكتب
التحقيقات الفيدرالى ومكتب الهجرة
والجنسية باحتجاز والتحقيق مع عشرات
الآلاف من العرب والمسلمين الذين يعيشون
داخل الولايات المتحدة.

وحول أوهام الغربيين قال د. محمد شامة
الأستاذ بجامعة الأزهر ومستشار وزير الأوقاف
وهو من العلماء الذين ساهموا فى نشر الدعوة
فى الغرب حيث قال: إن هذا العداء بدأ منذ
ظهور الإسلام وهو مستمر حتى قيام الساعة
وذلك لخوفهم على مناصبهم وأموالهم
وتجارتهم وقد نبه كتاب (الإسلام قوة الغد
العالمية) منذ ١٩٣٩ وشخص عدة عوامل
أهمها الموقع الجغرافى للمسلمين والمواد الخام
الموجودة فى أرض المسلمين.

وأكد الدكتور محمد السيد الأستاذ
بكلية دار العلوم بأن هناك أسبابا تاريخية
لهذا العداء، ذلك أن الغرب لم يستطع أن
يتخلص من موروثة العقيدة الصليبية التى
قامت من أجلها الحروب الصليبية فى العصور
الوسطى وفق فكرة محورية فى الحضارة
الأوروبية وهى مركزية الحضارة الأوروبية
ومحاولة سيطرتها على العالم العربى
والإسلامى، لأن الحضارة الإسلامية هى
الوحيدة التى تحتوى على عناصر المقاومة بين
الحضارات السائدة الآن.

وأشار الدكتور محمد أبوحطب أستاذ
اللغة الألمانية بجامعة الأزهر والعميد الأسبق
لكلية اللغات والترجمة والذى قضى فترة فى
ألمانيا إلى أن هذا العداء تقليدى ويحمل
أسبابه فى انتشار الإسلام بصورة سريعة بين
شعوب مختلفة العقائد والتقاليد ثم وصول
الإسلام إلى أوروبا عن طريق الأتراك
والمسلمين فى الأندلس، وبلاد الشمال
الأفريقى.



النظام ضرورة حضارية

حينما تحرك مترو الأنفاق لأول مرة فى مصر، شعرت أن قاطرات المترو تحمل معها ذلك التاريخ التليد وتلك الحضارة المجددة لمصرنا الحبيبة، لتنقلها سريعاً الى المكان اللائق بها بين الدول المتقدمة.

لم يكن هذا مجرد عربات جديدة أو عربات تسيير تحت أو فوق سطح الأرض، وإنما كان ذلك الانطباع حين وجدت خطرات الانسان المصرى قد ازدادت ثقة وسرعة ونظاماً.

وهو ما يؤكد أن الانسان المصرى لديه مقدرة عالية للتعامل والتوافق السريع مع كل ماهو عصرى، حيث استوعب ذلك الأسلوب الجديد ونجح بصورة مبهرة!

غير أن هذه الصورة لم تلبث أن تبدلت وتغيرت بعد عدة سنوات وبخاصة فى ساعات الذروة، ليحل محلها صورة يرفضها كل مصرى يحب بلاده، لأنها صورة تفتقد إلى النظام، ذلك أنك إذا أردت اليوم أن تستخدم ذلك المشروع الحضارى الذى نفخر به، فجمعت بأموال من البشر لا يحكمها نظام لا حال نزول ولا صعود، وهم لا يعرفون ولا يميزون بين باب للصعود وبين آخر للنزول. فجميع الأبواب صعود ونزول فى آن واحد، وهذا أبعد ما يكون عن النظام - الذى حثنا إسلامنا على اتباعه، وإذا كان من المسلم به أن تُترك الفرصة للنازل، ثم بعد ذلك يركب من يشاء، فإن من يخالف ذلك النظام إنما يُظهر نوعاً من الأنانية؛ حين يركب سريعاً دون أن يترك فرصة لنزول غيره وهو فى نفس الوقت

دين

المجلة

و

القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة



﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١)

إن ترك السلوكيات الخاطئة بلا توجيه أو نقد إنما هو بمثابة ترك الفرصة لحب الذات، واللامبالاة لتثمر تلك الثمار البغيضة من فقدان للذوق العام، وترسيخ لقبول الفوضى واستساغتها، والترحيب بها، لتحل محل القيم والأخلاق النبيلة التي يسعى لتحقيقها المصلحون.
وإذا كنا نرصد مثل هذه السلوكيات الخاطئة في مثل :

١ - الصعود والهبوط من المترو وسيارات الأوتوبيس والقطارات.

٢ - الحصول على تذكرة أمام شباك التذاكر

٣ - الحصول على بعض الاحتياجات اليومية التي تحتاج إلى دور مثل : الخبز..... الخ

وهي أمور لا تحتاج إلا إلى بعض النظام كزيادة منافذ التوزيع مثلاً.

فإننا - أيضاً - نقر بوجود صور مشرفة للنظام في مثل :

١ - بعض البنوك : حيث يوجد نظام حفظ «الدور» بالرقم.

٢ - الأوتوبيس المكيف : حيث لا تراحم.

٣ - قسم الجوازات بالمطار : حيث يوجد «دور» وتوجد مسافة بينيه تقارب

ينسى أنه بعد قليل سيحتاج إلى النزول وإلى فرصة لم يتركها هو لغيره من قبل !!
ولذلك نقول : لماذا لاتحدد الأبواب بألوان وعلامات واضحة من الداخل ومن الخارج وعبارات : (نزول) أو (ممنوع النزول) و(صعود) أو (ممنوع الصعود) مع وضع غرامات مناسبة لمن يصعد أو ينزل من غير الأبواب المخصصة لذلك !! مع موالاة المتابعة حتى يصبح ذلك سلوكاً مطبوعاً لدى الأفراد حتى يعود لذلك المشروع الكبير سمته الحضارية.

ولا يخفى عن فطنة القارئ ما للنظام من أثر في الحفاظ على الوقت، بالإضافة الى منع حدوث مشاكل اجتماعية جمة قد تنشأ نتيجة شعور الانسان أن أخاه سلبه حقه، مهما كان هذا الحق بسيطاً.

مثال فقدان النظام أيضاً :

عند الذهاب للحصول على تذكرة المترو أو القطار، فإنك تجد عشر أياد من عدة اتجاهات مختلفة الكل يود الحصول على تذكرة وينصرف قبل غيره بغض النظر عن هذا الغير، هل جاء قبله أم بعده؟ وهذا لا يخرج عن كونه منطق حب الذات، أى : «نفسى وما بعدى الطوفان» والسؤال : لماذا يتفشى بيننا هذا المنطق الأعوج، وعندنا قول الحق تبارك وتعالى :

(١) الحشر (٩).





أى : كل واحد من الشمس والقمر والنجوم (يجرى فى الفضاء فى فلك خاص به، وفلكه خط سيره على شكل دائرى) ولنتأمل - أيضا - قوله تعالى :

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٥).

إن هذه الآيات ومثلاتها فى كتاب الله العزيز يجب أن تدفعنا للتفكر فى ذلك النظام الذى أَرَادَهُ الله أن يحكم سير هذه الأجرام؛ لأن لكل واحد منها مسلكا لا يمكن أحدهما من الدخول على الآخر، ولكل واحد وقته، ولا يسبقه صاحبه.

ولنتأمل هذا النظام الذى ينتظم أفراد الجماعة فى صلواتنا صباح مساء.

وبعد.. فهذا هو إسلامنا يدعونا إلى النظام وإلى كل ما هو نافع وحسن وجميل، وليس أمامنا إلا أن نتلمس كل ما هو إسلامى حتى نفيق من كبوتنا وننتهى من تلال المشاكل التى نعيشها.

وعلى الله قصد السبيل.

عادل خفاجة

المترين بين من يتعامل ضابط المطار معه وبين من يليه وكم هو يسير تنفيذ ذلك الأمر فى البنوك، حيث لا يحتاج سوى رسم خط على الأرض على بعد خطوتين لحفظ هذه المسافة البينية بين من يتعامل مع الموظف وبين من يليه، وهو نوع من النظام بالإضافة إلى احترام خصوصيات الانسان، وهى خصوصيات أشار الاسلام الى ضرورة احترامها حيث قال الرسول الكريم : «من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار» (٢) أى : كأنما ينظر إلى ما يوجب عليه النار فأضمره فى الكلام، ويرى بعض أهل العلم أنه إنما أراد به الكتاب الذى فيه أمانة أو سر يكره صاحبه أن يطلع عليه أحد» (٣).

وكم هو جميل أن نرى كيف يحافظ الاسلام على حق الانسان فى أن تكون له أسرار لا يطلع عليها أحد بغير إذن منه، وعلينا - أيضا - أن نتأمل ذلك النظام البديع الذى بثه الله فى أرضه وسمائه. ولنتأمل قوله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤).

(٢) سنن أبى داود/كتاب الصلاة/حديث رقم ١٢٧٠.

(٣) راجع عون المعبود شرح سنن أبى داود على الحديث السابق.

(٤) الانبياء/٢٣.

(٥) يس/٤٠.



سعد بن أبي وقاص

جهاده: لقد شهد سعد مع النبي ﷺ العديد من الغزوات وقد كان فيها نعم الفارس المغوار بما فيها غزوتي بدر وأحُد وامتد جهاده بعد وفاة النبي ﷺ فقاد جيوش الإسلام في القادسية ومن بعدها معركة المدائن.

زهده في الإمارة: فقد قال حيث عرض عليه ابن أخيه هاشم بن عتبة الخلافة وقال له : يا عم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر، فقال : « من المائة ألف سيف أريد سيفاً واحداً له عينان ولسان وشفتان يقول إذا قاتلت، هذا مؤمن وهذا كافر » واعتزل الناس.

من مناقبه - رضى الله عنه : أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من رمى أيضاً.

والوحيد الذى افتداه الرسول ﷺ بأبويه فقال له يوم أحد [ارم سعد .. فذاك أبى وأمى].

قال على بن أبى طالب : « ما سمعت رسول الله ﷺ يفدى أحداً » بأبويه إلا سعدا ».

(٤) وكان مستجاب الدعوة وقد دعا له النبي ﷺ وقال : [اللهم سدد رميته .. وأجب دعوته].

وفاته: توفى سعد في العام الرابع والخمسين للهجرة وهو في سن جاوز الثمانين في داره بالعقيق. رحم الله سعد بن أبى وقاص رحمة واسعة.

● استجابة لرغبات القراء في تخصيص ركن من هذا الباب يتناول أحد الصحابة أرسل القارىء / حسام جابر محمد / محرم بك / الأسكندرية هذا التعريف بالصحابي الجليل سعد بن أبى وقاص يقول :

أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة وقد كان ممن سارعوا إلى الإسلام ويتحدث عن إسلامه ويقول : « رأيت في المنام قبل أن أسلم كأنى في ظلمة لا أبصر شيئاً إذ أضاء لى قصر فاتبعته فكنت أنظر إلى من سبقنى إلى ذلك القصر فانظر إلى : زيد بن حارثة وإلى على بن أبى طالب وإلى أبى بكر وكأنى أسألهم : متى انتهيتم إلى هاهنا؟ فيقولون الساعة، وبلغنى أن النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفياً فليقته فى شعب أجياد وقد صلى العصر، فأسلمت، فما تقدمنى أحد إلا هم ». وقد أخفقت جميع المحاولات لرده وصدّه عن الإسلام لذا لجأت أمه إلى وسيلة لم يكن أحد يشك فى أنها ستهزم روحه وترده عن الإسلام فقالت له : ما هذا الدين الذى أحدثت؟ لتدعنه أولاً أكل ولا أشرب حتى أموت فُتيعير بى، فقال لها : والله لو كانت لك ألف نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت دينى هذا لشيء. فلما رأته هذا الإصرار منه أكلت وشربت فنزل قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

[لقمان ١٥]



الابداع القصصى فى القرآن الكريم

● أما القارئ / ناصر مصطفى عبد الحميد
مرسى - إمام وخطيب بأوقاف الشرقية فيرسل
هذه الكلمة عن الابداع القصصى فى القرآن
الكريم حيث يقول :

لقد احتلت القصة القرآنية مكاناً عظيماً إذ تمثل
ابداً ويدل على ذلك ما جاء فى قول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ .

آل عمران (٦٢)

يقول فضيلة الدكتور / محمد بكر إسماعيل فى
مقاله القيم بعنوان « تأملات فى قصص القرآن - مقاصد
القصص القرآنى وتوجيهاته » الذى نُشر بمجلة منبر
الإسلام العبارات التالية : « تحتل القصة مكانة رفيعة
فى نفوس البشر... وذلك لما فيها من شحذ للأذهان،
واستنهاض للهمم... وإبراز للمعاني فى أسلوب شيق
يتفق مع أهل العصر على اختلاف درجاتهم فى الثقافة
والفهم، سواء كانت القصة منتزعة من الواقع المشاهد
أم كانت مستمدة من الخيال، فهى قريبة المنال سهلة
التأثير، مع قوة فاعليته فى النفوس بما يحدثه من إثارة
وتشويق، هذا هو شأن القصة التى يحكيها الناس
ويتفننون فى سرد أحداثها ومشاهداتها.

أما القصص القرآنى فهو نسيج وحده، يحمل
فى طياته من العظات والعبر ما يعبر عن الحياة
الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها

ويكشف عما فيها من جوانب مشرقة وأخرى
مُعتمة، تتميز من خلالها أساليب الخير وأساليب
الشر، فهو مرآة تعكس لأهل كل عصر ما وقع فى
العصور التى سبقتهم، وتُجلى لهم بوضوح خطر ما
هم عليه وخبر ما هم فيه من خير وشر تذكيراً
وتحذيراً وبلاغاً لكل من أراد أن يتذكر ويعتبر^(١).
وقد حظيت القصة القرآنية بالعديد من الكتابات
تذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- القرآن ونظرية الفن « محاولة لتأصيل
نظرية إسلامية فى الفنون » للأستاذ الدكتور
حسين على محمد .

٢- من نسمات القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ
الدكتور عبدالرحمن عبد الحميد على عميد كلية
اللغة العربية بالزقازيق .

٣- التعبير بالقصة من بين وجوه الإعجاز لكاتب
هذه السطور بمجلة الوعي الإسلامى الكويتية .

٤- التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ سيد قطب .
٥- المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم للأستاذ
الدكتور سعد الدين السيد صالح .

وهناك العديد والعديد سوى ما ذكرت لأن
المقام لا يتسع لذكرها .

وأعتقد أن الطريق مازال مفتوحاً أمام الباحثين
من الدراسات حول القرآن الكريم وقبساته وبحوره
التى لا تنضب .

المحرر: نشكر للقارئ مشاركته فى الباب بهذا
الموضوع القيم، وكنا نود أن يرسل رفق كلمته صورة
مما نشر له فى هذا الموضوع تحت عنوان : « التعبير
بالقصة من بين وجوه الإعجاز » . ونتمنى له التوفيق .

(١) مجلة منبر الإسلام - السنة ٥٦ - العدد ٢ - صفر ١٤١٨ هـ / يونيو/يوليو ١٩٩٧ م... ص ٢٣.

من إبداعات القراء :

نور على نور

لكل من الله عليه بحفظ القرآن الكريم كتب الشيخ / محمد أحمد المعصراني إمام وخطيب بأوقاف القاهرة

بِرَبِّي بِلَادِي .. جَنَّةُ الْبُلْدَانِ
فَالذِّكْرُ مِنْهُمْ رَائِعُ الْأَحْصَانِ
وَتِلَاوَةُ كَقَلَائِدِ الْعَقِيَّانِ
وَكَأَنَّا فِي جَنَّةِ الرِّضْوَانِ
فَهَدَاهُ لِلْعَمَلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى ذَوِي السُّلْطَانِ
فِي قَوْلِهِ الْمُتَفَرِّدِ النُّورَانِي
زُمِرَ الْمَلَائِكُ قَاصِيًا أَوْ دَانِي
بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكُّينِ وَالْإِيمَانِ
عِزًّا يَتَوَجَّنَا بِكُلِّ زَمَانِ

قُمْ حَيَّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ
حَفَظُوا كِتَابَ اللَّهِ .. أَسْمَى غَايَةِ
تَرَنُّوْا إِلَيْهِمْ مُغْرَمًا بِقِرَاءَةٍ
وَأَرَاكَ هَيْمَانًا بِحُسْنِ أَدَائِهِمْ
يَا فَوْزَ مَنْ حَفَظَ الْكِتَابَ جَمِيعَهُ
الْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْجَنَانِ لِأَهْلِهِ
وَبِذَاكَ أَخْبَرْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ
مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ الشَّرِيفَ تَحْفَفُهُ
يَا صَاحِبَ التَّوْحِيدِ رَوَّجُنُودَنَا
يَا نِعَمَةَ الْإِسْلَامِ دُومِي بَيْنَنَا

إعلان الفداء

أما الأستاذ حمدي أبو إسماعيل المدرس بالأزهر فنقدم له هذه الأبيات من قصيدة «إعلان الفداء»

قَدْ بَعَثَ رُوحِي لِلَّهِ
وَالظُّلُمُ جَاوَزَ مُنْتَهَاهُ
فَاللَّهُ لِلْعِزِّ اصْطَفَاهُ

الْيَوْمَ أَعْلَنُ أَنَّنِي
فَالْبَغْيُ قَدْ عَمَّ الرُّبَا
وَالْقَلْبُ لَا يَرْضَى بِذُلِّ

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.



للأستاذ / محمد الشرقاوي

مجمع البحوث يرشح نبيل بباوى لجائزة الدولة التقديرية

(١٨٠٠) منحة أزهرية لمسلمي دول العالم

- تمت مناقشة وإقرار مشروع منح الوفورات
بلجنة الطلاب الوافدين بالأزهر الشريف لعدد
« ٤١٤ » طالباً وطالبة تم وضعهم على منح
الوفورات ممن انطبقت عليهم الشروط الخاصة
بهذه المنح.

كما يتم مناقشة مشروع منح الأزهر الشريف
لمختلف دول العالم وشمل المشروع « ١٢٤ » دولة
وأقلية إسلامية وذلك بمقرر وزارة الخارجية لجنة
شئون الطلاب الوافدين.

كما أفاد الأستاذ / شوقي السبكي مدير عام
الإدارة العامة للوافدين بمجمع البحوث الإسلامية
بأن المشروع يتضمن (١٨٠٠) منحة أزهرية وأنه
أكبر مشروع منح يقدم لمختلف دول العالم بقاراته
الخمسة.

● صرح فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن مجلس
المجمع قرر فى جلسته الثالثة من الدورة الثانية
والثلاثين والمنعقدة بتاريخ ٢٢ من شوال ١٤٢٣ هـ
الموافق ٢٦/١٢/٢٠٠٢ ترشيح:

١- أ.د / طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة
الأزهر .. لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب .

٢- د/نبيل لوقا بباوى لجائزة الدولة التقديرية
فى العلوم الاجتماعية .

٣- أ.د / أحمد فتحى الزيات لجائزة الدولة
التقديرية فى العلوم .

وترشيح كل من :

١- أ.د/ أحمد كمال أبوالمجد - لجائزة مبارك
فى العلوم الاجتماعية .

٢- د. محمد عمارة مصطفى عمارة لجائزة
مبارك فى الآداب .

رياض الصالحين

أصدرت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية الجزء السابع من كتاب رياض الصالحين شرح وتعليق فضيلة المرحوم الأستاذ الدكتور / الحسيني هاشم وكيل الأزهر الأسبق ضمن سلسلة البحوث الإسلامية.

أفاد بذلك الأستاذ / فؤاد الشريف - مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية.

منع نشر وتداول «ودخلنا التشيع سجداً».

قررت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية التصريح بتداول:

- كتاب: «بين متبع ومقلد أعمى فى الفروع الفقهية» للدكتور / عامر سعيد الزببارى.

- كتاب: «تحفة الطالب والجلس» للأستاذ / عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ.

- كما قررت اللجنة منع نشر وتداول كتاب «ودخلنا التشيع سجداً» تأليف / محمد على المتوكل أفاد بذلك الأستاذ / صابر تعلب مدير الإدارة العامة للجان والأروقة بمجمع البحوث الإسلامية.

من صور التعصب الصهيونى

تشن المنظمات اليهودية فى فرنسا هذه الأيام حملة ضارية ضد رواية بعنوان «حلم عن فلسطين» كتبها فتاة إيطالية من أصل مصرى فى الخامسة عشر من عمرها تدعى «راند غازى» وتحكى قصة المعاناة التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى على يد جنود الاحتلال الصهيونى.

وكانت هذه الفتاة قد اشتركت بروايتها فى مسابقة لكتب الشباب باللغة الإيطالية وحازت الرواية إعجاباً كبيراً بين الشباب لكن المنظمات اليهودية والتى تملك نفوذاً ساحقاً فى فرنسا وكل أوروبا تقريباً وقفت لها بالمرصاد وطالبت بسحب الرواية من الأسواق ومنع تداولها وعدم وضعها على الإنترنت وذلك بتهمة معاداة السامية.

ومن المثير للدهشة أن هذه الجماعات تطالب الآن بتطبيق قانون حماية النشء الذى صدر فى فرنسا عام ١٩٤٩م والذى يحظر كل أشكال التعبير التى تروج للعنف والكراهية.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن المحاكم الفرنسية رفضت أخيراً منع الكتاب الذى نشرته المؤلفة الإيطالية «أوريانا فلاتشى» وترجم إلى الفرنسية وهاجمت فيه الإسلام والمسلمين ووصفتهم بأقذع الصفات وطالبت بطردهم من أوروبا.

وكذلك رفضت حظر كتاب آخر لمؤلف فرنسى يدعى «ميشيل هويلبيك» وصف فيه الدين الإسلامى بأنه «أغبي عقيدة عرفها التاريخ» ولم تجد المحكمة الفرنسية فى هذا الكتاب أى نوع من العنصرية والتحريض على الكراهية بل اعتبرت أنها نوعاً من حرية التعبير وسوف ترينا الأيام المقبلة مدى مصداقية معايير العدالة الفرنسية وموقفها من كتاب الصبية المصرية عندما تتقدم المنظمات اليهودية بدعاوى حظره أمام المحاكم الفرنسية.

تدريس الإسلام على الطريقة الأمريكية

- ذكرت صحيفة «النيويورك تايمز» الأمريكية أن وزارة الدفاع الأمريكية تدرس إصدار أمر سرى للقوات الأمريكية للقيام بعمليات سرية للتأثير



على رأى العام وصناع السياسة فى الدول الصديقة والمحايدة .

ونقلت الصحيفة عن مصادر فى الإدارة الأمريكية أن البرنامج الدعائى يتضمن جهوداً للتأثير على دور المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية التى تعتبرها أمريكا مركزاً لتفريخ الناشطين وتعزيز العداء ضد أمريكا خاصة فى الدول العربية والإسلامية وأوروبا ويتضمن البرنامج أيضاً إمكانية إنشاء مدارس مدعومة من الجيش الأمريكى لتدريس الإسلام التى تراه أمريكا معتدلاً .

معاملة لا إنسانية للمهاجرين المسلمين فى أمريكا

وجه زعماء مسلمون وجماعات أمريكية للدفاع عن الحريات المدنية انتقادات حادة لسلسلة إجراءات أمريكية بهدف «مكافحة الإرهاب» - على حد زعمها - وتشمل هذه الإجراءات إخضاع الوافدين من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وكوريا الشمالية لعمليات تفتيش ذاتى وأخذ بصماتهم ومعاملتهم بشكل لا إنسانى فى مراكز اعتقال .

وقال محامون متخصصون فى الدفاع عن المهاجرين: إن مئات من الرجال والصبية المسلمين يخضعون لعمليات تفتيش بتجريدهم من ملابسهم فى مراكز احتجاز تنخفض فيها درجة الحرارة إلى مستوى التجمد فى «جنوب كاليفورنيا» بعد اعتقالهم بسبب مخالفات روتينية تتعلق بتأشيرات الدخول . وقال المحامون: إن ما بين ألف و ٢٥٠٠ شخص معظمهم من الذكور الإيرانيين وبعضهم لا يتجاوز عمره ١٦ عاماً محتجزون فى ظروف غير

إنسانية رغم أنهم قدموا أنفسهم بمحض إرادتهم إلى مكاتب الهجرة لتسجيل أسمائهم لدى السلطات المختصة . وذكرت المحامية «سهيلة جنوبى» من لجنة الدفاع عن المهاجرين أنه فى أحد المراكز أمروا بخلع ملابسهم وجرى تفتيشهم وهم عرايا ولم يتم إعطائهم سوى لباس سجن دون أية ملابس داخلية أو قمصان أو جوارب أو أحذية ولم يتم إعطاؤهم أغطية وقالت إنهم يتجمدون» وقال «كياهان شكيب» رئيس اتحاد المحامين الإيرانيين الأمريكيين إن هؤلاء الأشخاص يُحتجزون فى أوضاع غير إنسانية . وقال إننا لانعرف عددهم ولكنه يقدر على أية حال ما بين «١٠٠٠» إلى «٢٥٠٠» شخص معتقلين فى جنوب كاليفورنيا .

الجيش التركى ضد الحجاب

أعلن الجنرال «تونجر جلنج» السكرتير العام لمجلس الأمن القومى التركى - الذى يهيمن عليه الجيش - إن المجلس لا يرغب فى إثارة قضية الحجاب مرة أخرى .

وأوضح جلنج فى تصريحات صحفية أن المجلس سيواصل تحذيراته من أى مسعى لرفع الحظر عن الحجاب، وأشار إلى أنه أجرى اتصالات بهذا الشأن مع زعيم حزب العدالة والتنمية الحاكم «رجب طيب أردوغان» ورئيس الوزراء «عبدالله جول» وألح «جلنج» إلى احتمال إلغاء مدارس الأئمة والخطباء الخاصة بالفتيات، قائلاً: إن بلدنا مثل البلدان الأخرى لا تريد أن تخرج فيها راهبات لأنه لا مجال لعملهن .

- ألم يعلم الجنرال أن البلدان الأخرى تخرج راهبات!

أبناء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم

بدولة بروناى

وتمنى أن يزور فضيلة شيخ الأزهر الشريف دولة بروناى، وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء دولة بروناى، ومن جانبه رحب فضيلته بتوفير كافة السبل التى يطلبها الضيف لدعم سبل التعاون بين البلدين.

ويستقبل وزير خارجية سيراليون

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير / ممدو كوروما وزير الخارجية بدولة سيراليون يرافقه السيد سفير سيراليون بالقاهرة والوفد المرافق، رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف وتم مناقشة سبل دعم التعاون بين الأزهر ودولة سيراليون فى المجال الدينى، وأبلغ السيد وزير الخارجية تحيات رئيس جمهورية سيراليون لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر الشريف لما يقدمونه من مساعدات تعليمية لدولة سيراليون مشيدا بالمنح الدراسية التى يحظى بها أبناء سيراليون للدراسة بالأزهر على منح من الأزهر الشريف مبينا أن حوالى ٧٠٪ من شعب سيراليون مسلمون، وأوضح أن الحروب الأهلية التى تعرضت لها البلاد تركت آثارا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير / فيهن داتو حاج عبدالعزيز وزير التربية والتعليم بدولة بروناى - دار السلام وسعادة السفير / محرم بن بياه سفير بروناى بالقاهرة والوفد المرافق وذلك فى إطار دعم التعاون بين الأزهر وبروناى فى العملية الدينية والتعليمية وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف موضحا لهم دور الأزهر الشريف فى استقبال طلاب من خمس وتسعين دولة يدرسون بالأزهر الشريف على منح من الأزهر وبجانب إخوانهم الطلبة المصريين وينالون كل رعاية وعون ومساعدة ومنهم طلاب دولة بروناى الشقيقة ومن جانبه قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لما يقدمه الأزهر الشريف من دعم دينى وتعليمى لأبناء دولة بروناى، كما قدم شكر بلاده حكومة وشعبا لفضيلة شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر على الجهود الذى يبذل من جانب الأزهر من أجل توضيح المفاهيم الدينية وتبسيطها مشيدا بطلبة بروناى الذين تخرجوا فى الأزهر لأنهم يحتلون مناصب ومراكز هامة فى بلادهم ويشاركون فى عملية التنمية وهم ينقلون ما تعلموه من الأزهر لأبناء بلادهم وأهلهم،



الخير ونشر الأمان، وتنهى عن الظلم، والبغى، ولكل إنسان عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - ونحن كبشر يجب أن نتعاون ونساعد الضعيف حتى ينال حقه .

وأوضح فضيلته أن الفرق بين الإسلام وبين الإرهاب كالفرق ما بين السماء والأرض، فمن يدافع عن نفسه وأرضه وحرية وعرضه وماله مستحيل أن يسمى فى الشرع أو فى العقل إرهابى، وإنما الإرهابى، هو من يحتل ارض غيره ويقتل زرع ويحاصره ويعتدى عليه ويطرده من بيته أو يهدم عليه بيته فهذا هو الإرهابى، وهذا واضح فى الشرائع السماوية والعقول الإنسانية، وقال فضيلته : إننا ضد قتل الأبرياء سواء أكانوا أطفالا أم نساء، أم شيوخا، ومن وجهة نظرى أن الدولة صاحبة الكلمة يجب عليها أن تحسم القضية الفلسطينية، بأن توجد قوة دولية رادعة ومعها الأسلحة التى تؤدب الخارجين، وبهذا يجد الجانبان أنفسهم أمام الحل الأمثل الذى يناسبهم، وعلى الدول الأعضاء فى مجلس الأمن أن يسعوا لذلك حتى تتاح فرص التفاوض .

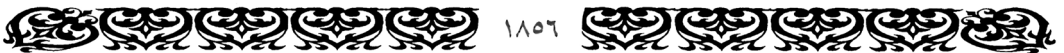
ومن جانبه أعرب الضيف عن اتفاقه التام مع ما قاله فضيلة شيخ الأزهر الشريف، وأن الاتحاد الأوروبى يسعى فى محاولة لإيجاد الحلول المناسبة قبل مضى عام ٢٠٠٥، وهناك من يتحرك من أعضاء مجلس الأمن لمحاولة وضع خريطة تحديد بداية الطريق، وأن تضع الموضوعات تحت المجهر، ولكن قبل ذلك علينا أن نضع حدا للعنف، كما أننا نتمنى أن تكون الأيام القادمة تحمل بشارة توصل الجانبين من فتح وحماس الى اتفاق يوصلنا إلى نتائج أفضل لإيقاف العنف، وأن الفلسطينيين

سيئة مما يتطلب دعاة ووعاظا من علماء الأزهر الشريف لدولة سيراليون لتعليم المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم وتوضيح سماحة الإسلام ويسره ووسطيته، كذا طلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء سيراليون للدراسة بالأزهر وإمداد سيراليون، بالكتب الدينية للنهوض بعملية الإعمار والتنمية، فى أعقاب انتهاء الحرب الأهلية، ومن جانبه وعد فضيلة الإمام الأكبر الضيف بدراسة طلباته وتلبيةها .

الإمام الأكبر يؤكد :

نرحب بحوار الحضارات والثقافات والأديان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / ميجيل موريشنز الممثل الخاص للاتحاد الأوروبى لدى الشرق الأوسط يرافقه سعادة السفير / أولدنبرج سفير الدائم بالقاهرة، والسيد كريستيان جورات المستشار السياسى، والسيد المستشار الشخصى والصحفى، والسيد المفوضين الأوروبيين، رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف موضحا بأن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وقال : إننا نرحب بحوار الحضارات والثقافات والأديان، ومؤكدا على أن الكثير من الناس يعرفون الحق ولا يجهرن به ولا ينتمون إلى الكتيبة التى تناصر الحق بشجاعة وهناك من الناس من يميلون إلى الباطل، ورغم ذلك يوجد من يحب العدل ويكره الظلم وعلينا وعلى المجتمع أن يقف إلى جانب من هم على الحق حتى يظفروا بحقوقهم ليسود الأمن والأمان والرخاء، لأن الأمان يولد الرخاء، أما الإرهاب والظلم والقهر فيولد الخراب، ودائما أقول : إن الاختلاف فى العقائد لا يمنع التعاون، فالشرائع السماوية تأمر بالتعاون على





لهم الحق، ولكن نحن ضد أن يذهب الأفراد إلى المدن الإسرائيلية ويقتلون الآمنين.

وقد أوضح فضيلة شيخ الأزهر الشريف بأننا نعلن في وسائل الإعلام جميعها بأننا ضد قتل الآمنين من الأطفال والنساء، والرجال، ونحن قلوبنا مفتوحة للحوار مع الشرق والغرب والأوروبيين والآسيويين ونحن نتحاور مع كل من يطلب الحوار، وبأيتنا رجال من الفاتيكان ومن أوروبا، ومن الشرق، وإنما نتحاور من أجل نصرة المظلوم ومعاونة المحتاج ولتحقيق العدل والاستقرار وهو ما تدعو إليه الشرائع السماوية كلها.

الإمام الأكبر:

غير العقلاء هم الذين يخلطون

بين الإسلام وبين الإرهاب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اثنين وعشرين سفيرا من مجموعة سفراء الدول الآسيوية بالقاهرة برئاسة الدكتور / راوريت لنياشين سفير مملكة تايلاند بالقاهرة وعميد مجموعة سفراء الدول الآسيوية، رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف شارحا لهم نظام التعليم بالأزهر الشريف، وموضحا لهم بأن الأزهر الشريف يخصص منحاً للطلاب من تسعين دولة من دول العالم يدرسون في الأزهر الشريف وبعد انتهاء دراستهم وحصولهم على الشهادات العليا يعودون إلى بلادهم ويحتلون المراكز العليا، وقد رأينا كثيرا من رؤساء الدول ومن الوزراء والسفراء تخرجوا في الأزهر الشريف وهم رسل الأزهر في بلادهم ينقلون ما تعلموه لأهلهم وذويهم، ويزورون الأزهر الشريف من

آن لآخر، وصلة الأزهر الشريف ممتدة مع العديد من الدول منذ أكثر من مائة عام، وقدم فضيلته شرحا لدور الأزهر الشريف بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، والبيان الذى أعلنه مجمع البحوث الإسلامية، برئاسة شيخ الأزهر الشريف رئيس المجمع والذى أوضح فيه للعالم أجمع بأن ما وقع من عدوان على الآلاف من العاملين الآمنين في نيويورك من المسلمين وغير المسلمين من قارات مختلفة من نساء ورجال وقتل لهؤلاء الأبرياء على اختلاف جنسياتهم وهم يؤدون عملهم فى وظائفهم إنما هى جريمة بكل المقاييس الدينية والخلقية والإنسانية والقانونية، والأزهر الشريف يرفض هذا العدوان رفضا تاما، كما أوضح البيان بأن على من وقع عليه العدوان أن يبحث عن هؤلاء المجرمين وأن يقدمهم للهيئات القضائية المختصة لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقال البيان إنه ليس من حق الدولة التى وقع عليها العدوان أن تعاقب شعبا بأكمله، وجميع الشرائع السماوية والعقول الإنسانية السليمة تمنع العدوان على الآمنين، وقال فضيلته: إن الدراسة فى الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط والبعد عن التطرف والتعصب، وعدم التدخل فى عقيدة أحد، موضحا بأن العقائد لا تباع ولا تشتري والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى دارت حول الذين يسيئون إلى الإسلام ويخلطون بين الإسلام والإرهاب قائلا: إن غير العقلاء هم الذين يخلطون بين الإسلام والإرهاب مع أن الفرق بين الجهاد فى الإسلام وبين الإرهاب كالفرق بين السماء والأرض، فالجهاد معناه الدفاع عن الوطن وعن الدين وعن الحرية الإنسانية وعن المال وعن العرض وعن الكرامة، وعن اغتصاب





أهل الخبرة والمعرفة، وبخاصة في هذا الزمن الذي نعيشه، لأن التخصصات أصبحت دقيقة، وأصبح الوضع سمته، ومن أجل ذلك فإن الأم العاقلة هي التي تأخذ بمشورة المتخصصين في كافة المجالات، والعالم الآن أصبح عالماً يسوده التخصص، وكل متخصص في علم معين هو تلميذ لغيره من المتخصصين في علوم أخرى، وعلى المتخصصين الاستفادة من بعضهم البعض لخدمة أمتهم ورفقيها، كما أوضح فضيلته أن من أسباب الانحراف عن الحق هو عدم الوصول إلى الحقيقة في أمر من أمور الدنيا عندما نلجأ إلى المعرفة عن طريق غير المتخصصين والقرآن الكريم يقول :

﴿ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وأهل الذكر في كل علم هم المتخصصون فيه وأكد على أن تحديد المفاهيم عند طرح الأسئلة هي من الأمور الهامة للمتخصصين عندما يجيبون عن الأسئلة حتى لا يكون هناك لبس في فهم الموضوعات وبذلك تحدد الإجابات دون أن يكون هناك مجال للفهم الخاطئ، مؤكداً أن على الإعلاميين أن يتفهموا الأسئلة جيداً، والإجابات من مصادرها حتى تكون الإجابات واضحة للعامة ضارباً الأمثال على معاملات البنوك والمسميات التي يختلط فيها الفهم فيما بين القرض والاستثمار، والوديعة والمضاربة وغيرها من أنواع المعاملات، وكذا تحديد الأرباح موضحاً بأن المعاملات بمقاصدها لا بالفاظها وإنما الأعمال بالنيات، والضرورات تقدر بقدرها، وخير من يفهم الأمور فهما سليماً هم السادة المتخصصون.

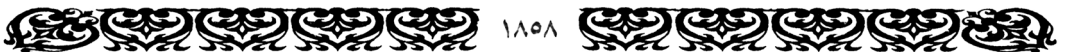
الأرض بالقوة، وهدم المنازل، وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، ومن يدافع عن كل ذلك فهو مجاهد، وعلى عكس ذلك فمن يغتصب الأرض ويقتل الأمنين ويهدم البيوت ويضيق عليهم الأرزاق فهو إرهابي، وجميع الأديان والعقائد والعقول السليمة تقول ذلك وتقول بأن الدفاع عن المال والعرض والأرض والأنفس واجب مشروع، وفي نهاية اللقاء شكر السادة السفراء فضيلة شيخ الأزهر على الشرح الذي قدمه وعلى الإجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم وأنهم يرسلون ما سمعوه من فضيلته لبلادهم حتى تظهر وتتضح صورة الإسلام ومكانته وحتى لا يكون هناك مجال للألسنة التي تتحدث باسم الإسلام وتخلط الأمور.

الإمام الأكبر:

الأمم العاقلة هي التي يتشاور أبنائها لصالح أمتهم

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السادة أعضاء الدورة التدريبية المؤهلة لشغل وظيفة كبير خبراء وعددهم خمسون عضواً من أنحاء الجمهورية ورافقهم الأستاذ / حسن أنيس أحمد رئيس المحكمة وعضو المكتب الفني للمركز القومي للدراسات القضائية وذلك في إطار حضورهم دورة تدريبية بالمركز القومي للدراسات القضائية.

رحب فضيلته بالسادة الخبراء في الأزهر الشريف وأوضح بأن رأى ومشورة المتخصصين في المجالات المختلفة مهم جداً ومطلوب الاستفادة منه حتى تنهض الأمم وترقى، موضحاً بأن الأم العاقلة الرشيدة هي التي يتشاور أبنائها لصالح ولخدمة أمتهم لأنهم





والقوانين المنظمة لأعمال الامتحانات، وفيما يتعلق بالمعنيين الجدد من المدرسين والإداريين والعمال، وأكد على توزيعهم على المعاهد التي تحتاج إلى تخصصاتهم والمعاهد التي بها عجز، وألا يتعارض ذلك مع المصلحة العامة، ومراعاة توزيع العنصر النسائي للنصف الأول والثاني والثالث الابتدائي وذلك لتوفير الجو الأسرى المناسب لهؤلاء الطلاب والطالبات، وفيما يخص الكتب الدراسية اللازمة للفصل الدراسي الثاني أكد فضيلته على المسؤولين أن تكون الكتب في أيدي الطلاب في بدء الدراسة بالفصل الدراسي الثاني، وأكد على أن يستفيد الطلاب والطالبات من الحواسب الآلية والكمبيوتر الموجودة بالمعاهد تذييل كافة السبل لذلك والمناطق التي لم تصلها هذه الأجهزة عليها التقدم بطلبات لتوفير هذه الأجهزة، وبالنسبة للمعاهد التي أضررت بالزلازل أو غير ذلك أكد على متابعة أعمال الشركات المسند إليها أعمال الترميم لمعرفة حجم الإنجازات التي تمت وسرعة الانتهاء من الأعمال المسندة إليهم حضر الاجتماع فضيلة الشيخ / عبد الكريم محمد عبد الرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ / شوقي نوبجي رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة وكلاء القطاع والمسؤولين عن العملية التعليمية والإدارية.

الإمام الأكبر يعلن:

المرحلة الابتدائية هي البديلة عن الكليات

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة أعضاء المجلس الأعلى للآباء والمعلمين حيث تم التصديق على محضر الجلسة السابقة، كما تم التصديق على الموقف المالي لحساب المجلس خلال

وأجاب فضيلته عن أسئلة السادة الحضور والتي دارت حول شرح وتوضيح فتوى مجمع البحوث الإسلامية التي صدرت أخيراً بحل أرباح استثمار الأموال في البنوك وتحديد الربح مقدماً، كذا أجاب عن أسئلة الحضور حول أحكام التدخين، والزكاة، والختان، والفرق بين الصدقة والزكاة، وحول فريضة الحج الخ الأسئلة التي طرحت وأجاب عنها فضيلته.

وفي نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلته على المعلومات القيمة التي سمعوها والتي وضحت أموراً كثيرة مؤكداً بأن تلك المعلومات هي خبرة لهم ويسترشدون بها في عملهم، وقد صححت مفاهيم كثيرة عندهم.

الإمام الأكبر يلتقى برؤساء ومديري عموم المناطق الأزهرية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديري عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، وذلك لدراسة الجوانب والمقومات ذات الصلة بالمسيرة التعليمية حيث أكد فضيلته على الانضباط وعدم المحاباة ومراعاة الضمير واتباع سبل العدل والحق في أعمال الامتحانات الشفوية والتحريرية للفصل الدراسي الأول وأكد فضيلته على مراعاة الأسس التي تضمن المتابعة الجادة لسير الدراسة بالمواقع المختلفة، والاطمئنان على مدى التزام هيئة التدريس بالخطة والمنهج حتى تبدأ مواعيد الامتحانات للفصل الدراسي الأول مع مراعاة تجهيز مقار اللجان واختيار أعضاء المراقبة والملاحظة والتصحيح وتقدير الدرجات وكذا مراكز توزيع الأسئلة والكنترول، واحتياجات التأمين والإجراءات اللازمة طبقاً للوائح



التعارف والمسابقات والرحلات، واستفاد منها حوالي عشرة آلاف طالب وطالبة، كما تم تجهيز قسم داخلي للبنين والبنات المغتربين في كل من الوجه البحري والقلي وتخدم حوالي ١٠٢٥ طالبا وطالبة وتمثل في الإقامة والإعاشة وتوفير الحياة الاجتماعية السليمة لهم وممارسة الأنشطة المختلفة، وفي مجال التغذية التي استفاد منها جميع طلاب وطالبات المرحلة الابتدائية بالإضافة إلى طلاب وطالبات المعاهد الإعدادية والثانوية بالمناطق النائية فقد خصصت لهذه الميزانية مبلغ خمسين مليون جنيه بزيادة قدرها ٢٨ مليون جنيه عن العام الماضي، كما ناقش فضيلته إمداد المعاهد بمسجلات لسماح شرائط تسجيل القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية بدءا بالصف الأول الابتدائي والتسجيل بصوت المرحوم الشيخ / محمود خليل الحصري حتى يتعود الأطفال منذ الصغر على القراءة الصحيحة فينشأون على ذلك، وأكد فضيلته على أن المرحلة الابتدائية هي البديلة عن الكتابات لحفظ القرآن الكريم وسيتم تنفيذ هذه التجربة أولا على منطقة القاهرة الأزهرية ثم يتم تنفيذها تدريجيا على باقي مناطق الجمهورية في معاهدها الأزهرية علما بأنه قد وزع المصحف المعلم على المعاهد الأزهرية منذ ثلاث سنوات ل يتم سماع شرائط القرآن الكريم في طابور الصباح لمدة خمس دقائق.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ورئيس الإدارة المركزية لرعاية الطلاب والسادة وكلاء القطاع والمسؤولون عن العملية التعليمية والإدارية.

الفترة من ١/٧/٢٠٠١ وحتى ٣٠/٦/٢٠٠٢ والمتثلة في الصرف على الخدمات الطلابية التي قدمتها الإدارة المركزية لرعاية الطلاب من خدمات تعاونية للطلاب استفاد منها ١٨٢٨١ حالة بإجمالي مبلغ مليون وثلاثمائة وستين ألفا وأربعمائة وخمسة وستين ألفا من الجنيها كذا مجالس الآباء وخصصت لها مبلغ مائتين وتسعين ألفا من الجنيها لتدعيم الأنشطة الطلابية المختلفة «رياضي اجتماعي وثقافي» وقام المجلس الأعلى للآباء بتدبير مليون جنيه من ميزانيته للإسهام في تزويد بعض المعاهد الأزهرية بأجهزة الحواسيب الآلية، وفي مجال بيوت الشباب تم إنشاء العديد من بيوت الشباب الأزهرية في كل من أسوان، والأقصر، وبنى سويف، وأسيوط، والسويس، الإسماعيلية، وبورسعيد، والعريش، والإسكندرية، والقاهرة، واستفاد منها أكثر من ستة آلاف طالب وطالبة، وفي مجال رعاية الطلاب ذوى الاحتياجات الخاصة فإن الأزهر يولى اهتماما كبيرا بأبنائه من الطلاب والطالبات ذوى الاحتياجات الخاصة حيث يقدم لهم الخدمات التي تساعد على التكيف مع المجتمع من خلال برامج رياضية واجتماعية وثقافية وترويقية وإرشادية بمعرفة المتخصصين واستفاد منها أكثر من ٨٠٠ طالب وطالبة باعتمادات مالية قدرها خمسون ألف جنيه، وفي مجال الاتحادات الطلابية أحد التنظيمات الطلابية التربوية فى المعاهد الأزهرية والتي تهدف الى تدريب الطلاب على الحياة الديمقراطية السليمة من خلال الأنشطة والبرامج التي تعد لهذا الغرض باعتمادات مالية بلغت ثلاثمائة وخمسة وعشرون ألف جنيه لتدعيم الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية بالإضافة إلى المؤتمرات والندوات ولقاءات





gloomy well full of evil. So, Allah, The Most High, sent His Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, in order to eliminate all this and guide people to the most upright path that benefits them all.

For the above mentioned, Islam asserted that man should meditate concerning soul and creatures. Moreover, it motivates people to consider the signs of Allah concerning His creatures and matchless creation. There are dozens of verses stated in the Ever-Glorious Qur'an showing this as Allah, Glory be to Him, says:

﴿And in the earth are signs for the ones having certitude. And in your selves; do you then not behold?﴾

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 20:21]

and He also says:

﴿So let man look into what he was created from; he was created from effusive water, going out between the loins and the breast-bones.﴾

[At-Tariq (The Night Visitant) :

5:7]

In these verses, Allah urges man to look at himself and his origin.

Those (opponents) who claim that Islam resists and opposes science, are ignoring and disregarding the very distinct feature of this religion that it sets mind as a judge differentiating between wrong and right, calls for science in many of its verses and urges people to contemplate and think about everything around them. We answer them saying that such a religion cannot be described or, in order to be more accurate, stained by being resistant to science. Those claiming this not only described by being illogic, but also they completely do know nothing about the topic they are writing about. Allah, The Most Exalted, says:

﴿We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is The Ever-Present Witness over everything?﴾

[Ash-Shura (Counsel) : 53]



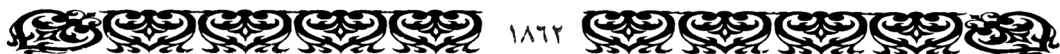


given to them even what involved deriding at creeds and traditions. Whoever thinks about these nations, finds what cannot be perceived by mind; subjugation to illusions and complete belief in delusions and superstitions.

Islam came with its clear evidence to eliminate these dark clouds which have been let down by the delusive (ones) on thinking, contemplating and deducting, so whoever believes in it is like the one who is taken from a dark well to the world of light and sees, by his own eyes, what cannot be effaced by falsifiers and hears, by his own ears, what cannot be hidden by opinionated. Therefore, he accepts the right without hesitation, adheres to it like the drowning (man) does to a straw and work, self-motivated, according to it. Islam's scholars decided on what can be considered a logical consequence for this crucial reformation namely, imitator's belief is unacceptable as imitation in right is similar to imitation in wrong. Islam criticizes imitation and imitators and urges to resort to thinking and be dependent on argument and evidence. Moreover, it does not command anyone what he cannot bear. Islam's clear signs, concerning this, are evident even to the most ignorant. The aim behind this is to make everyone (believes in Islam) feels the responsibility thrown upon his shoulders, so he shall resort to his reason and apply his faculties on deduction in order to protect himself from fossilization of the delusive (ones).

Due to this, Muslims are considered the hardest of nations to be misled by the callers of wrong, everywhere and time, as they are the most adherent to their religion compared to other nations on earth.

The human soul is disposed by nature for thinking in the principle of its source, faculties and destiny. Therefore, if man prevented himself from contemplating and thinking, like in the middle ages, ignorance and blindness would prevail, sciences and arts would be neglected and people would fall in dark





Islam's Call for Contemplation and Thinking
By: The Great Scholar Muhammad Farid Wajdi

At the time when Islam was sent down by the All-Knowing Wise Lord, chiefs of religions on earth have been restricting the power of contemplation and thinking in narrow circles drawn in order not to exceed the silly daily affairs of life. To contemplate or think about the soul, creatures and universe in order to establish a science, deduct wisdom, was considered as matters that do not concern people, as only leaders were those who were allowed to criticize. If they found someone exceeded, according to them, the narrow field of knowledge that common people were allowed to know, they would consider this a violation and would ask him to repent. And if he turned to do this again they would throw him in an overflowing oven or imprison him in a dark well for the rest of his life.

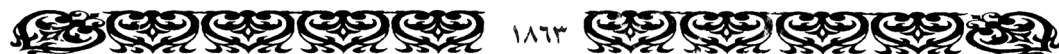
Therefore, Allah sent His Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, to deliver the true religion in order to get people out of darkness to light. This Prophet asks everyone of us to meditate, think and consider, deduct, resort to our minds and to be guided by the help of the mindful seeking more knowledge as Allah, Glory be to Him, says:

﴿And say, "Lord! Increase me in knowledge".﴾

[Taha :114]

Islam aimed, by this, at achieving one of the most sublime goals; to urge all the faculties of mind to perform their functions and to awaken them from their dullness so, the human character can perfect its elements and acquire a natural immunity against instructions inconsistent with mind and science. Consequently, man shall become hard to be misled by the delusive.

Efforts of the delusive were directed to prohibit, on their people, contemplation, freedom of thought and independent opinions in order to enslave them by delusions and to be able to control their minds. Nations, like those, accepted what was





of taste: sweetness, saltiness, bitterness and acidity so that man can recognize and distinguish between any of them easily. We have realized that the Ever-Glorious Qur'an did not focus on only stating the "material taste" as in:

«Then, as soon as they (both) tasted the tree, their shameful parts appeared to them.»

[Al-A`raf (The Battlements) :22]

but it also stated the "moral one" as Allah, Glory be to Him, says:

«So, taste the torment for that you have disbelieved»

[Al-Anfal (The Spoils) :35]

From the Signs of Rain:

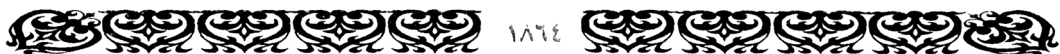
Allah says:

«Allah is He Who sends the wind; so they stir up clouds (and) then He outspreads them in the heaven how He decides, and makes them into lumps. Then you see raindrops coming out of the midst of them. So when He makes it alight on whomsoever of His bondmen He decides, (then), only then they are glad at the tidings.»

[Ar-Rum (The Romans) : 48]

This honorable verse refers, in an inimitable way, to the stages of rain formation starting at clouds referred to, in this verse by the word "**outspread**" which means that the wind sent by Allah is the cause behind forming clouds and making them apparent to eyes after being an invisible transparent vapor. Due to Allah's mercy, He made the process of water evaporation from earth and condensation in clouds continuous without any request or any interference from man. Moreover, He assigned wind to perform that task.

Furthermore, Allah, in this verse, related sending wind and moving clouds to Himself as they are considered two signs of His Will that indicates that there is a Wise, Able Creator behind the existence of this universe.





means that when we did this, we had done it before 10 billion light-year and that Allah, is the only One Who knows about them as man was not created then; namely, before 10 billion light-year).

From Allah's Signs in the Self:

The features of inimitability of the Divine Creation are not confined to one kind of creatures around us, but they extend to include man himself in order to be an established evident sign before us. For example, man's body is considered a miraculous structure involving accuracy, beauty of appearance and harmony of coordination. Allah, Glory be to Him, decided by this to draw our attention to this magnificent structure in order to be able to acquire more knowledge and awareness of the greatness of the Creator and beauty of creation as He, The Al-Mighty, says:

﴿And in your selves; do you then not behold?﴾

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 21]

and

﴿Indeed We already created man in the fairest stature.﴾

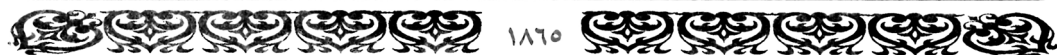
[At-Tin (The Fig): 4]

If we take the tongue as an example of the gifts endowed to man by Allah so as he can consider, learn from and contemplate on the secrets of this blessing as He, The Ever-Lasting, says :

﴿Have We not made for him two eyes, and a tongue and two lips?﴾,

[Al-Balad (The Land) : 8:9]

we shall find that modern science has been of much help concerning clarifying some of the inimitable features relating to the creation of tongue and its sense (taste). In his daily life, man, though eating so many different kinds of foods and drinking so many of beverages, he is able to distinguish between them efficiently. Actually, there are four types concerning the sense





**Faithful Reading Through
The Book Of The Universe And Life.
By: Dr. Ahmad Fu'ad Pasha**

Sites of the Stars

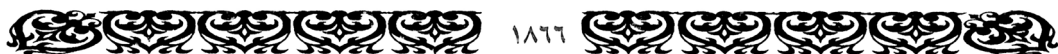
﴿Then no! I swear by the sites of the stars, and surely it is indeed a tremendous oath, if you only knew (it)﴾.

[Al-Waqi'ah (The Event) :75:76]

In this verse, The Ever-Glorious Qur'an refers to the greatness of the secret involved in the sites of stars as well as their predetermined motions in their orbits. It also refers to the great oath made by Allah. Therefore, Allah, The Al-Mighty, draws our attention that perceiving some of the secrets and perspectives of this great oath will not be fulfilled except by practicing reason and acquiring knowledge.

From the scientific perspective, talking about the sites of the stars requires dealing with much more astronomical distances than those we are accustomed to on earth. Scientists have agreed to apply a new unit for measurement which is called "light-year"; the distance crossed by light in a complete earthly year (365 days). So, the nearest star (to earth) after the Sun Star is called the Pale-lighted Star (4.4 light-year or about 42.000.000.000.000 km.). This means that whoever looks at the this star will see the light that was coming out of it 4.4 light-year ago. Consequently, whatever happens here on earth is as past there due to the vast distance of stars. If this is the case with the nearest star, how would it be with the others?

When we cannot see remote stars with our naked eyes, we resort to telescopes provided with photographic and electronic cameras that could receive invisible light (more than billion light-year). Recently, observatories have helped us in discovering so many stars, semi-stars and galaxies that are very far distant from our earth (more than 10 billion light-year). This





and future. It is time to set the stage of the intellectual conflict aside and move to the stage of the intellectual conversation. In other words, we have to move from the defensive attitude, self-praising or extreme attack to a more wise responsible mature attitude.

Third : Non-equivalence between the western and Islamic speeches:

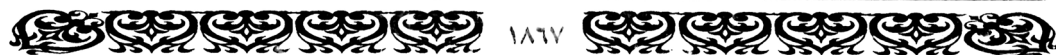
On the cultural level, there is non-equivalence as the west is more powerful than Muslims. However, it is not true that wise opinions be always with the powerful as it is always accompanied by frightening, deterrence, imposing unjust control and loss of wisdom.

For the above-mentioned reasons, Islamic speeches are always full of anger, protest, accusation and doubt as the way with the helpless defeated. On the contrary, west's speeches seem cold, quiet and well-balanced and sometimes arrogant and haughty as the way with the victorious predominant not only economically, technologically, politically and military but also in method and knowledge.

Fourth: Exchange of misunderstanding of the other's culture:

The west is not one entity as we think but it is formed of several cultural and intellectual trends, racial discrimination and policies that encroach upon the rights of others due to excessive use of power. So, its attitude is not the same against Arabs or Islam.

To conclude, the reason behind the non-concurrence, culturally, between the east and west is that many of the educated are not acquainted enough with the methodical revolution that happened in the west. However, the new western methodical revolution did not show anything new in the attitudes of the orientalist studies regarding their studies for Arabs and Islam. What can we call this; is it a failure or negligence?





First :Abusing Islam and Arabs by the western mass media:

The western and American mass media continue to depict Islam as a devilish giant that would ruin progress, civilization and modernity if released out of its bottle. Arabs, according to their view, are ignorant by nature and Muslims are fanatic by nature while Christians, according to them, are forgivable and tolerant by nature. This means that we cannot be tolerant as long as we are not Europeans. These pre-decided opinions have turned to be absolute, inevitable features attached to others. Consequently, this always threatens society; internal conflicts or civil wars.

This is the actual base on which pillars of cultural challenge were established; the western racism against any other races especially Arabs and Muslims.

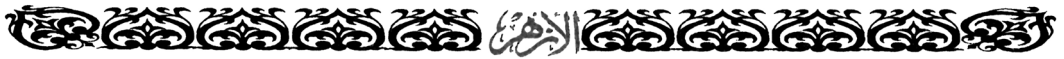
Although technology has made history to civilization, namely, civilization of tools, it is the time for wisdom that elevated the human concept to record its sublime history by spreading peace among nations. On one hand, whoever resorts, directly or indirectly, to force or confrontations using lethal weapons aims at nothing but destroying himself. On the other hand, resorting to wisdom, whatever takes long, is the only guaranteed way for peace, safety and survival. "Wisdom is the believers' aim"

Second : Psychological preparation to accept criticism as well as self-criticism:

Why do not we try to know the west's opinions and what are their answers and arguments used in defending themselves?

As said before, the scientific objectivity necessitates proving opinions and their opposites in order to clarify the aspects of the discussion imposed on developing nations by the west. We have to be self-confident so as to be able to go into this intellectual conflict that concerns our past, present





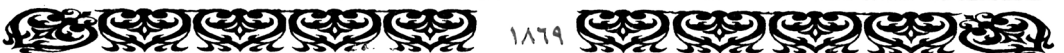
***The cultural challenge
between Islam's thinkers and orientalists
By: Dr. Muhammad Ibrahim Al-Fayoumi**

The idea of the cultural challenge between Islam and west goes back to an old dilemma falls under the Arab Islamic issue with all its problems and issues. We used to view the relationship between them as a misunderstanding as it was not tackled rightly on the research table. Moreover, its study was not based on mutual bases of understanding that resulted in missing the truth and reaching no decisive results.

There is another way that would be more useful, in order to deal with this issue, other than the noise of mass media based on nothing except baseless matters. We do not think that being rush or resorting to force, especially during the imbalance of powers nowadays, is the opened gate to history. In order to clarify the picture of the Arab cultured and the orientalists and to stress on the necessity of cooperation in setting bases of new relations, we have to handle this mutual misunderstanding; clearing the cultural and ideological atmosphere, on both sides, from the cultural misleading. This will not be achieved except by allowing the other side to express its opinions and points of view freely.

Scientific objectivity necessitates proving our opinions as well as others' in order to show the values of the mutual understanding regarding this conflict. We do not fear others' opinions or even their criticism as we do have enough self-confidence allowing us to handle this intellectual conflict regarding one of the most serious issues that affects our past, present and future. This issue can be represented through the issues of challenge between orientalists and Arab including :

* An Article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.



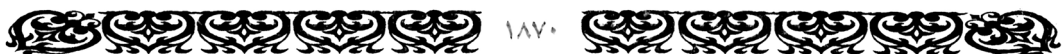


**The Messenger,
The Merciful Leader And The Wise Politician
By : Dr. Ibrahim Al-Assil**

Abu Sufyan accompanied both Hakim Ibn Hezam and Budayl Ibn Warqaa' in order to find out what's behind people's gathering close to Mecca. He was astonished due to their huge number, so he turned to Budayl Ibn Warqaa' and said to him: "I have never seen such fire nor army before." Budayl answered him saying: "They are the tribe of Khuza'ah". Abu Sufyan said to him: "No, it can't be. Khuza'ah is less in number and rank than those."

Upon hearing this, Al-'Abbas who was sent by the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, to spread despair among the people of Mecca in order not to fight or resist, called Abu Sufyan and stressed on the seriousness of the situation. So, Abu Sufyan immediately asked for his advice. Al-'Abbas suggested that they should go to the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, to ask him to guarantee their safety and to reach a settlement with him regarding the conditions of surrender in order to prevent blood-shed and keep their lives. Abu Sufyan accepted Islam. The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, rewarded him by sending him as his messenger to the people of Mecca carrying a message saying "Whoever enters the Sacred Mosque is safe, whoever enters Abu Sufyan's house is safe and whoever keeps himself at his house is safe."

Islam's army entered Mecca from all its sides and the Ka'bah was purified from idols and stones. The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, addressed the surrendered saying: "O people of Quraysh, what do you think that I am going to do with you?" They replied: "Good, as you are a benign brother and the son of a benign brother." He, the Prophet of mercy, said: "Go, you are the free."





AL-AZHAR
MAGAZINE

Dhul-Qi'dah 1423 A. H.



ENGLISH
SECTION

Jan.Feb. 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

*"Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us."*

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University





الفهرس

- الحج ارتقاء خلقى وطهارة نفسية (الافتتاحية) ١٦٩٨
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- تفسير سورة البقرة ١٧٠٤
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- الحدود الشرعية ١٧٠٩
لفضيلة الشيخ / عبدالرحمن الجزيرى
- السنة النبوية وهل خدمت ١٧١٤
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجري
- شهر الصيام فى أمستردام ١٧٢٣
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
- من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة ١٧٢٩
للاستاذة الدكتورة / زينب الأشوح
- فى موسم الحج (قصيدة) ١٧٣٦
للشاعر / محمود غنيم
- مواقف إسلامية: غزوة بنى المصطلق ١٧٣٩
للاستاذ الدكتور / محمود عمارة
- واجب أمنا فى المرحلة الراهنة ١٧٤٤
للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- كتاب الشهر: انتشار الإسلام بعد السيف ١٧٤٨
عرض وتحليل أ. د. إبراهيم عوضين
- الإسلام هو المنقذ ١٧٥٧
للاستاذ الدكتور / حمدى فتوح والى
- حتى نهزم اليأس فى واقعنا المعاصر ١٧٦١
للاستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب
- رؤية إسلامية للتعددية الفكرية ١٧٦٩
للدكتور / محمد عمارة
- مكسيم رودنسون وكتابه: (جاذبية الإسلام) ١٧٧٤
للاستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى
- الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاضل ١٧٧٩
للاستاذ الدكتور / عبدالعظيم المطعنى
- قضية التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية ١٧٨٦
للاستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
- شجاعة العلماء ١٧٩١
لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
- طرائف.. ومواقف ١٧٩٤
لفضيلة الشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم
- ذات النطاقين ١٧٩٦
للاستاذ / محمود شاكر
- الأزهر فى عهده الألفى (قصيدة) ١٨٠٠
للاستاذ الدكتور / حسن جاد حسن
- القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية ١٨٠٤
عرض وتحليل د/ عبدالحليم عويس
- النشاط التقنى الصناعى فى إسرائيل ١٨٠٩
للاستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد
- الأطفال أضحية أو قرابين ١٨١٤
للدكتور / على أحمد على
- الأعياد اليهودية ١٨٢١
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق
- من جرائم اليهود الصهاينة ١٨٢٤
لفضيلة الشيخ / عبد الخالق نصير
- استفتاءات القراء ١٨٢٦
لفضيلة أ. د / أحمد الطيب
- بيت الله الحرام ١٨٣٠
للاستاذ / عبد السلام ناصف
- فى الحج (قصيدة) ١٨٣٥
للشاعر / عبدالفتاح سالم
- تأملات فى خلق الإبل ١٨٣٦
للاستاذ / مجدى عبد الحميد بشير
- رسالة.. و..رد ١٨٣٨
لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح جمعان
- حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له ١٨٤١
للاستاذ / أحمد السيد تقى الدين
- بين الصحف والمجلات ١٨٤٤
للاستاذ / محمود الفشنى
- بين المجلة والقارىء ١٨٤٦
للاستاذ / عادل رفاعى خفاجة
- أنباء العالم الإسلامى ١٨٥٢
للاستاذ / محمد الشرقاوى
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٨٥٥
للشيخ / عمر البسطويسى على
- القسم الإنجليزى ١٨٧١
إعداد أ. د / إبراهيم الأصيل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- من ركان التضامن الإسلامي
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- المفاهيم الحضارية
- للدكتور / عبد الحليم عويس
- المشروع الغربي والتعددية في الحضارات
- للدكتور / محمد عمارة
- كيف نقتلع جذور الثأر
- للأستاذ الدكتور / عبد الحليم هفنى

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ ☎



الأهرام

مجلة شريعة جامعة
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩ هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جيب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

من زائرات البيت الحـ

حفظ التاريخ أسماءً عزيزةً لسيدات فضليات كانت زيارتهن لبيت الله في موسم الحج مصدر خير ويمن، لأن الشعور الديني النبيل قد حملهن على أن يكن ذوات أثر طيب يبقى حديث الأجيال من بعدهن. والمرأة إذا كانت مؤمنة صادقة الإيمان، ووجدت في يدها سعة من الرزق فإن عاطفتها الدينية تدفعها إلى أن تقوم بما يشبع هذه العاطفة براً وفضلاً، وبعض الكتاتين من المؤرخين لا يروق له أن يتحدث عن هذه المآثر، دون أن يعقب عليها بما يحسبه تحليلاً نفسياً لإرضاء النزعات الشخصية، ومرحّباً بهذه النزعات الشخصية إذا أثمرت خيرها في حقل المعروف. فأتت كل لون بهيج، وخير لنا أن نبارك هذا التيار ليكون قدوةً دائمةً للخلفين عن السالفين من أن تظهر البراعة في تسجيل مبررات لانتملك دليها الأكيد، إن الواقع المشهود يسجل أن بعض الفضليات قد قمن بمآثر جليلة، أدت إلى خير العامة، وأرسلت الألسن بالدعاء، ومن حق هؤلاء على التاريخ أن يرصد مافعله ابتغاء مرضاة الله، مما تردّد صده في الصقحات على ممر الأعصار.

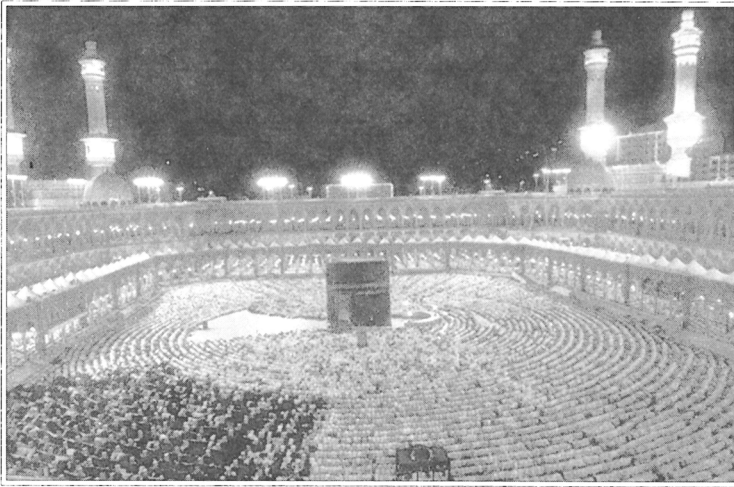
وواضح أنني لا أحاول حصر هؤلاء الفضليات، فهذا مالا يقوم به فرد واحد، أو يستقل به كتاب مفرد، ولكنني أضرب الأمثلة مما قرأت متذكراً قول القائل.

وإذا فاتك التفات إلى الماضي فقد غاب عنك وجه التأسى

زوج المهدي

وأول ما أذكر من هؤلاء الفضليات الخيزران زوج أمير المؤمنين المهدي الخليفة العباسي، فقد كانت سيدة جليلة القدر في قصر الخلافة أيام المهدي، وكان لها رأيها الحاسم في تصريف كثير من الأمور إذ كان زوجها الخليفة يرجع إليها مستشيراً فمنفذاً ماتوحي به، وقد سجلت في صحيفة أعمالها طرائف زاكية من أعمال البر تتجه إلى

سرام في موسم الحج



إنشاء
المساجد،
ورعاية
الأيام، ثم
رأت أن تحج
بيت الله
الحرام فتها
لها من
الموكب
الحاشد
مايناسب
قدرها العظيم

زوجاً لأمير المؤمنين، وقد حملت من بغداد من طرائف الغذاء والكساء وبدرات المال، ماكان حديث الرائح والغادى فى الموسم المشهود، ثم بدا لها أن تقوم بعمل تاريخى يضمن لها حسن الأحدث إذ سألت عن دار الأرقم بن الأرقم المخزومى وهى أول دار اجتمع فيها المسلمون لأداء الصلاة بعيداً عن أنظار المتربصين، وكانت تعلم أن أبا جعفر المنصور اشتراها من حفدة الأرقم بمال كثير بذله فى إرضائهم كى يتنازلوا عنها، ولكنها بقيت على حالها دون عمارة ما فى عهد المنصور، فأرادت أن تحلها المحل اللائق بمنزلتها كأول معهد دينى فى الإسلام فاشتريت ماحولها من الدور وأحاطتها بسور متين، وقد كتبت اسمها فى لوحة تسجل مآثرتها، فكان الناس فيما بعد يسمونها دار الخيزران، ثم توالى تجديدها من بعد ذلك.



وحين تركت الخيزران مكة قاصدة المدينة المنورة لزيارة صاحب الروضة الشريفة ﷺ رأت أن تكسو الحجرة الطاهرة بستائر حريرية مرصعة بالألوان الزاهية، وهى أول من كسا الحجرة الشريفة وفرقت كثيراً من الصدقات بهذه المناسبة، وأرضت شعورها الدينى بما قامت به فى مكة والمدينة من أعمال .

زبيدة زوجة الرشيد

إن حديث (عين زبيدة) التى فجرتها السيدة الفاضلة فى مكة مما تواتر ذكره، وقد تردّد فى كتب التاريخ بأسلوبها التقريرى، ولكن الأستاذ عبدالله عفيفى مؤلف (المرأة العربية) قد كتب عنه كتابة حيّة كاشفة حين قال فى الجزء الثانى من كتاب (المرأة العربية):

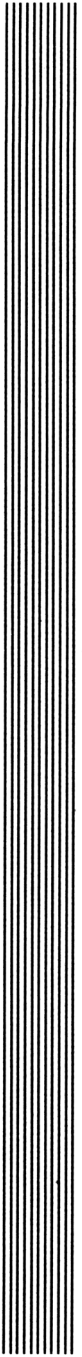
«لم يكن لأهل مكة من المناهل إلا المساليل يجودها المطر أحياناً، وبعض الآبار التى تفيض آنأً وتجف آنأً، فإن جفافهم الغيث عاماً اشتد البلاء.

أما الحجاج فكانوا يحتملون من قرب الماء مايؤودهم، ويقر صدورهم، وقد أخذ بقلب السيدة زبيدة ما علمت فى حجها من أن راوية الماء تباع بدينار، وأن الفقير إنما يتبلغ بما يتساقط من قطرات الغنى فاعتزمت أن تحفر لآل مكة ولقُصّاد البيت الحرام، ضراً جارياً، يتصل بالماء وبمساقط المطر، بالغاً من بعد الشقة، ووعورة الطريق ما بلغت مساحته:

ولم يسنح بخاطر أحد منذ عهد إسماعيل - صلوات الله عليه - حتى عهد زبيدة مثل هذا الخاطر الوثاب، خاطر إجراء نهر بين شعاب مكة، بل ولم يتمنّه متمن، لأنه أبعد من حدّ التمنى، أما زبيدة التى تحكم على خراج الدولة الإسلامية فقد اعتزمت أن تجرى هذا النهر مهما بلغت نفقاته.

دعت خازن أموالها وأمرته أن يدعوا العرفاء والمهندسين والعمال من أطراف الأرض، ليحفر النهر فاستعظم خازنها الأمر، وما يستنفذ من المال فيه، فقالت له تلك الكلمة الخالدة: اعملْ ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً! فأذعن وساق إلى مكة أهل الكفاية من كل مهندس وعامل، فأخذوا يصلون منابع الماء فى شعفات الجبال، ويظهرون ذلك بما يحتفرون من الآبار، وما يعمقون من المساليل، ثم يغفلون ذلك من أعطاف الصخور تارة وفى أعماق الأرض طورا، حتى ينتهى ذلك إلى النهر الذى احتفروه.

وأهمّ ما اعتمدوا عليه عين حنين فى جبال «طاو» إلى الشمال من عرفة، وعلى مدى خمسة وثلاثين كيلو مترا من مكة- أعزها الله- ثم ظاهروا ذلك بمجرى آخر، من وادى النعمان، من مساليل جبال كسرى إلى الشرق والجنوب من عرفات على مدى عشرة كيلو مترات منها، وعزّزوا المجريين بعد ذلك بسبع أقنية تتبعوا فيها مساقط السيل، فصار ذلك





كله فى ممر عظيم بين الصخور حتى إذا انتهى إلى «منى» انحدر فى خزان عميق نقروه لذلك فى الجبل، وسموه (بئر زبيدة) ومن هناك يسير الماء فى فرعين، يذهب أحدهما إلى عرفات، وينتهى الآخر إلى مسجد نمرة، ولكيلا يأسن الماء صرف مافضل منه من رى الظماء إلى بركة (ماجن) بالمسفلة، وزرع حولها الزهر والتمر وهذا العمل الخارق فى بابه لا يحتاج إلى تعليق.

أميرات كريمات

لاتعنى كتب التاريخ العام كثيراً بتسجيل رحلات الحاجات والحاجين إلى بيت الله، وبذلك ضاع المفيد الجيد من أخبار هذه الرحلات، ولكن كتب الرحلات قد أنقذت من الضياع مواقف نبيلة لمن تكبدن المشاق فى سبيل الله سعياً وإنفاقاً وبذلاً للمعروف، وقد تحدثت رحلة ابن جببر الأندلسي فيما تحدثت عن ثلاث سيدات كريمات من البيت السلجوقي الشهير قمن بالحج أثناء مقدم ابن جببر، فكشف عن مآثر فاضلة قمن بها عن أريحية ماجدة وتقى عظيمة، هن الملكة خاتون بنت الأمير مسعود السلجوقي، والأميرة أم عز الدين صاحب الموصل، والأميرة ابنة الدقوس صاحب أصبهان، وكلهن صاحبات فضل غامر، ومنافسة كبيرة فى أعمال البر، ويقول صاحب الرحلة^(١): «إن شأنهن جميعاً عجيب فيما قمن بسبيله من أعمال الخير».

أما الملكة خاتون فقد كانت فى مفتتح شبابها، ولكنها ذات صلاح وإيمان، فقد حرصت على أن تصلى بين القبر والمنبر، ومن فوقها المحفة المانعة لرؤية الناس لصلاتها، والعامّة يتزاحمون على مشهدها وجموع الحرس تدفعهم عن ساحتها ثم مشت إلى الجهة الغربية من الروضة المكرمة فقعدت فى مكان قيل عنه إنه كان مهبط جبريل - عليه السلام - وأرخت الستر عليها. وقد علمت أن صدر الدين الأصبهاني رئيس الشافعية سيلقى درساً دينياً وعظة خلّقية فانتظرت حتى سمعت الدرس، ويقول ابن جببر عن تأثير هذا الواعظ: «إنه أطار النفوس خشية ورقة وتهافت عليه الأعاجم يعلنون التوبة، وقد طاشت ألبابهم وذهلت عقولهم إلى حديث ممتد يدور هذا المدار، ثم التقت بصاحبتها وهما تكبرانها سناً، ولهما جلالة وهيبة فتنافسن كلهن فى إسداء ما بأيديهن من المال على كثرتة، وفرح بهن ذوو الحاجات فرحاً لا يحد إذ أعطين مافاق حد الآمال»^(٢) ولعل الأميرة الشابة كانت أكثرهن هبات، إذ اختصها الرحالة بوصف جيد.

(٢) الرحلة ٢٢٤.

(١) الرحلة، طبعة د. نصار ص ١٦٧.



ولم تقصر سعادة الحجاج بهن على مكان الحرم الشريف بل تعدى ذلك إلى طريق الرحلة الممتدة من الحجاز إلى الموصل، فأصبهان، حيث لاذ بهن الحجاج خائفين من هجوم قَطْعَة الطريق، وماكان أكثرهم في هذا الحين، حيث تمكن الشيطان من نفوسهم فسول لهم إرهاب من سعوا لبیت الله طائعين، فكان موكب الأميرات بكثرة جنوده، وهيبة حراسه، ويقطعة أمنائه ستارا واقيا، وحمى آمناً، وكان ابن جبير ممن ساروا في ركب الأميرات. وقد وصف استقبال الموصلين للأميرة أم عز الدين وصفا باهرا، حيث جللت أعناق الإبل ورقاب الخيل بالحرير الملون والقلائد الثمينة، وجعلت قبة الأميرة مغطاة بسبائك الذهب! « وكان مشهدا أبهت الأبصار، وأحدث الاعتبار ونحن لانحبذ هذا الإغراق المسرف في مظاهر الزينة. ولكننا نتحدث عن أمر وقع، ومشهد سجل، ناقلين مابه من إسراف.

أميرة مغربية

هي الأميرة الماجدة خُنانة بنت الشيخ بكار المعفري، زوجة سلطان عصره بالمغرب، اسماعيل بن محمد العلوي المتوفى عام ١١٣٩، وكانت ذات جمال رائع فوقعت من نفس السلطان أجمل موقع، زيادة على اهتمامها بالثقافة الدينية والأدبية معا، مما جعلها موضع الإعجاب والعجب، والغريب أن كتب المغرب قد أسهبت في تاريخ زوجها السلطان العلوي فأفردت كتب كثيرة لترجمة حياته، وتسجيل وقائعه، حيث قام في الملك ستين عاما، وهو أمد طويل اتسع لأعمال حربية، واتساع عمرانى كبير، ولكنها لم تكتب عن هذه السيدة المثالية مايشفى الغلة، وظلت سيرتها مطوية حتى ظهر مخطوط للإسحاقى فى خزانة القرويين يتحدث عن أمجادها الكثيرة، ومما قاله عن رحلتها إلى الحج ما أنقله عن مجلة «المنهل»: حيث نقلت المجلة عن مخطوط الإسحاقى قوله^(٣).

«إنها أثرت أشرافاً ينبع بعطاياها الفاخرة، وهدايا سنية لم يعرفوها من ذى قبل، وكستهم أنواع الثياب الرفيعة، علاوة على المبالغ النقدية الذهبية الباهظة، كما روى عنها أنها أغدقت خيراتها على سائر رجال العلم والفضل بمكة المكرمة ليلة فتح البيت المبارك خصيصاً لها من لدن شريف مكة، الأمر الذى ظلّ أحدىثة ينعت بها المغرب على الدوام، وقد دفعها حب الخير إلى اقتناء عقار بمكة يقع فى أشرف بقعة، بما يناهز الألف مثقال من الذهب: حبستها على جماعة من المقرئين والطلبة، وكتبت بذلك حجة للمعنيين بالأمر، وعينت ناظراً يتسهر على ريع الوقف وتوزيعه».

(٣) مجلة المنهل ربيع الأول ١٣١٤هـ، ص ٢١٢.



وقد أنشد شعراء مكة قصائد كثيرة بهذه المناسبة.

وما نُقِلَ عن الإسحاقى فى سطور يحتاج إلى بسط فى عدة صحائف، وقد قال الزركلى فى الأعلام^(٤) إنها حجت عام ١١٤٢ هـ فعمت الناس بعطاياها حتى بلغ ما أنفقته فى حجتها مائة ألف دينار، كما ذكر أن لها علماً بالفقه والأدب، وهذا ما جعلها موضع مشورة زوجها السياسية إذ كانت تشاركه على مسرح الأحداث وتبدى من الآراء ما يكون موضع الاحتفاء والتنفيذ.

ولا أنسى أن أشير إلى رحلة (أم المحسنين) والدة الخديوى عباس الثانى إلى مكة، مصاحبة ولدها الخديوى فى موكب حاشد، فقد كان لها موكب خاص يحفل بسيدات البيت الحاكم من الأميرات والنبيلات، وبذلت من العطاء ما عناه أحمد شوقى حين قال:

وأم أمير النيل فى الركب هالة	من العزّ فى أترابها الخفرات
أقلت علاها فى خباء من القنا	هوادج كالإيوان ذى الشرفات
تجلّ نساء المسلمين ثناءها	ويسطن راح الحمد مبتهلات
أخذن بتقواها وسرن بهديها	ومنها علمن البرّ والصدقات
مواكب لم تعهد لغير زبيدة	ببغداد فى الأعياد والجمعات
أعادت حديث الخيزران وعزّها	وما أغدقت من أنعم وهبات

إن من الوفاء أن نسجل للفاضلات فضلهن، إذ قمن به فى أشرف مكان، فصدرن عن إيمان واثق، وكرم نبيل، وما أشرت إليه فى هذا المقال قليل من كثير، وعلى اللواتى يظهرن الآن فى حفلات التبرج داعيات للخير مظهرياً لأعمالها، أن يعرفن أن التاريخ لسان صادق ولا يسجل غير النافع المثمر، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

د. / محمد رجب البيومى



تَقْسِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

قال تعالى:

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا آفِرْغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَازِذُ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

الآيات: ٢٥٠ : ٢٥٢

لفضيلة الامام الاكبر شيخ الزهر
الاسنان الدكتور محمد سيد طنطاوي



وقوله: ﴿بَرْزُوا﴾ أى صاروا إلى براز الأرض وهو ما انكشف منها بحيث يصير كل فريق من المتقاتلين يرى صاحبه، ومنه سميت المبارزة فى الحرب لظهور كل قرن إلى قرنه. أى: وحين برز طالوت ومن معه لقتال جالوت وجنوده، وأصبح الفريقان فى مكان متسع من الأرض بحيث يرى كل فريق خصمه اتجه المؤمنون إلى الله - تعالى - بالدعاء قائلين بإخلاص وخشوع:

﴿رَبِّكَ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أى: أفض علينا صبرا يعمنا، ويملاً قلوبنا ثقة بنصرك، ويحبس نفوسنا على طاعتك.

وفى قوله:

﴿وَتَشِيتُ أَقْدَامَنَا﴾ تعبير بالجزء عن الكل، لأن الأقدام هى التى يكون بها الفرار، فتشيتها إبعاد عن الفرار، ومتى حصل الثبات كان النصر متوقعا، والصبر متحققا.

ثم ختموا دعاءهم بأن قالوا:

﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أى اجعل الغلبة لنا عليهم، لأننا مؤمنون بأنك المعبود المستحق للعبادة وهم يكفرون بذلك.

والمأمل فى هذه الدعوات الثلاث يراها قد جمعت أسمى ألوان الأدب وحسن الترتيب، فهم قد صدروا دعاءهم بالتوسل بوصف الربوبية فقالوا ﴿رَبِّكَ﴾ أى ياخالقنا ويامنشئنا ويامربينا ويامميتنا، وفى ذلك إشعار أنهم يلجأون إلى من بيده وحده النفع والضرر، والنصر والهزيمة. ثم افتتحوا دعاءهم بطلب الصبر عند المخاوف لأنه هو عدة القتال الأولى، وركنه الأعلى، إذ به يكون ضبط النفس فلا تفزع، وبه يسكن القلب فلا يجزع. ثم التمسوا منه - سبحانه - أن يثبت أقدامهم عند اللقاء، لأن هذا الثبات هو مظهر الصبر، ووسيلة النصر، وعنوان القوة.

قال الإمام الرازى ما ملخصه، الإفرغ: الصب. يقال أفرغت الإناء إذا صببت ما فيه. وقولهم هذا يدل على المبالغة فى طلب الصبر من وجهين: أحدهما: أنه إذا صب الشئ فى الشئ فقد أثبت فيه بحيث لا يزول عنه وهذا يدل على التأكيد.

والثانى: أن إفرغ الإناء هو إخلاؤه وذلك يكون بصب كل ما فيه، فمعنى:

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أى أصب علينا أتم صب وأبلغه - حتى تتحقق فينا صفة الصبر كأحسن ما يكون التحقق^(١).

أما الدعوة الثانية فقد قالوا فيها - كما حكى القرآن عنهم - ﴿وَتَشِيتُ أَقْدَامَنَا﴾ أى هب لنا من كمال القوة والرسوخ عند القتال ما يجعلنا

(١) تفسير الفخر الرازى ج٦، صفحة ١٩٩.





الملك زيادة فى ترقيته فى درجات الشرف والكمال، وعلمه- سبحانه- مما يشاء من فنون العلم، ومن أمور الدين والدنيا ك معرفته لغة الطيور، وكلام الدواب، وصناعة آلات الحرب وغير ذلك من ألوان العلوم المختلفة التى لا تحدها إلا مشيئة الله وإرادته.

وفى قوله- تعالى-:

﴿وَعَلَّمَ مَكَايِشَاءَ﴾ بعد الإخبار بأنه- سبحانه- أتى داود الحكمة، إشعار بأن الإنسان لا يستغنى عن التعلم سواء أكان نبيا أم لم يكن، لأن داود- عليه السلام- مع حصوله على النبوة لم يستغن عن تعليم الله إياه، وقد أمر الله- تعالى- نبيه محمدا ﷺ أن يلتبس المزيد من العلم فقال:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

ثم بين- سبحانه- بعض مظاهر فضله على عباده فقال:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾

أى: ولولا أن الله- تعالى- يدفع أهل الباطل بأهل الحق، لفسدت الأرض، وعمها الخراب، لأن أهل الفساد إذا تركوا من غير أن يقاوموا استطارت شرورهم، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطلت مصالح الناس، وانتشر الفساد فى الأرض.

فلولا فى الجملة الكريمة حرف امتناع لوجود. أى: امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم ببعض.

ثم ختموا دعاءهم بما هو ثمرة ونتيجة للصبر والثبات وهو النصر على الأعداء.

فماذا كانت نتيجة هذا الدعاء الخاشع الخالص؟ كانت نتيجته النصر المؤزر الذى حكاه القرآن فى قوله: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وأصل الهزم فى اللغة الكسر. ومنه سقاء منهزم أى انثنى بعضه على بعض مع الجفاف. ويقال للسحاب هزيم، لأنه يتشقق بالمطر. والفاء هنا فصيحة أو سببية أى أنهم بسبب دعائهم المخلص، وإيمانهم القوى، واستجابتهم لما أمرهم الله به، استطاعوا أن يكسروا أعداءهم ويهزموهم، وقوله:

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى بتوفيقه وتيسيره وتأيدته. والباء إما للاستعانة والسببية وإما للمصاحبة.

ثم قال- تعالى-:

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ أى: وقتل داود بن إيشا- وكان فى جيش طالوت- جالوت الذى كان يقود جيش الكفر، وبقتله مرق أتباعه شر مرق، ورزق الله طالوت ومن معه النصر والغلبة.

ثم بين- سبحانه- ما منحه لداود من نعم فقال:

﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مَكَايِشَاءَ﴾

والحكمة المراد بها هنا النبوة، ولم يجتمع الملك والنبوة لأحد قبله فى بنى إسرائيل، وورثه فيهما ابنه سليمان- عليه السلام-.

أى: وأعطى الله- تعالى- عبده داود ملك بنى إسرائيل وأعطاه النبوة التى هى أشرف من





فالإشارة فى قوله :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ إلى الآيات المتلوة من قوله - تعالى - :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ إلى آخر القصة .
وقيل إليها وإلى القصة التى قبلها وهى قصة القوم :

﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾

وكانت الإشارة للبعيد، لما فى ذلك من معنى الاستقصاء للآيات، ولعلو شأنها، وكمال معانيها، والوفاء فى مقاصدها .

وأضيفت الآيات إلى الله لأنها جزء من هذا القرآن الذى أنزله - سبحانه - على نبيه محمد ﷺ ليكون هداية للناس، وليحملهم على تدبرها والاعتبار بها لأنها من عند الله الذى شرع لهم ما يسعدهم .

وجعل - سبحانه - تلاوة جبريل للقرآن تلاوة له فقال :

﴿ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ للإشعار بشرف جبريل، وأنه ما خرج فى تلاوته عما أمره الله به، فهو رسوله الأمين إلى رسله المكرمين .
وجملة :

﴿ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ فى محل نصب حال من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة .

وقوله : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ فى موضع نصب حال من

فالجملـة الكريمة تأمر الأخيار فى كل زمان ومكان أن يقفوا فى وجوه الأشرار، وأن يقاوموهم بكل وسيلة من شأنها أن تحول بينهم وبين الفساد والطغيان .

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله :

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ دُوفَضِّلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

أى : ولكن الله - تعالى - صاحب فضل عظيم، وإنعام كبير على الناس أجمعين، لأنه وضع لهم هذا التنظيم الحكيم الذى أوجب فيه على المصلحين أن يدافعوا المفسدين، وأن يقاوموهم بالطريقة التى تمنع فسادهم حتى ولو أدى ذلك إلى رفع السلاح فى وجوههم، لأن السكوت عن فساد المفسدين سيؤدى إلى العقاب الذى يعمهم ويصيب معهم المصلحين .

ثم ختم - سبحانه - قصة هؤلاء القوم من بنى إسرائيل بقوله :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

أى : تلك الآيات التى حدثناك فيها عن قصة أولئك القوم وما جرى لهم هى آيات الله التى لا يأتيناها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، نتلوها عليك يا محمد عن طريق جبريل الأمين تلاوة ملتبسة بالحق الثابت الذى لا يحوم حوله الباطل، وإنك يا محمد ﴿ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين أرسلهم الله - تعالى - :

﴿ بِالْهُدَىٰ وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾





النصر والفلاح. ألا ترى إلى الملائ من بنى إسرائيل كيف لجأوا إلى نبي لهم ليقولوا له بعد أن أصابهم من الذل ما أصابهم:

﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

إنهم لم يلجأوا إلى زعيم من زعمائهم، أو إلى أمير من أمرائهم، وإنما لجأوا إلى نبيهم يثبون إليه شكواهم، ويطلبون منه أن يختار لهم من يقودهم للقتال في سبيل الله، لأنهم يرون فيه الأمل المرتجى، والعقل السليم، والخلق القويم، والأسوة الحسنة.

٣- أن القائد يجب أن تتوفر فيه صفتان: قوة العقل، وقوة الجسم لأنه متى توفرت فيه هاتان الصفتان استطاع أن يقود أتباعه بنجاح، وأنه قبل أن يلتقى بأعدائه يجب عليه أن يختبر جنده ليعرف مبلغ إيمانهم وقوتهم وطاعتهم وثباتهم وألا يكلفهم بما لا يستطيعونه حتى يحارب أعداءه وهو على بينة من أمره. انظر إلى طالوت كيف اختبر جنده قبل أن يخوض المعركة بأن قال لهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾

وهكذا القواد العقلاء يقدمون على حرب أعدائهم وهم على بصيرة من أمرهم.

٤- أن الفئة القليلة المؤمنة كثيرا ما تنتصر على الفئة الكثيرة الكافرة، لأن المؤمنين الصادقين يحملهم إيمانهم على اليقين ببقاء

مفعول نتلوها أى ملتبسة باليقين الذى لا يرتاب فيه عاقل. أو من فاعله أى: نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب.

وأكد - سبحانه - قوله:

﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بحرف «إن» وباللام

فى «لن» وبالجملة الإسمية، للرد على من شكك فى صدق رسالته ﷺ ولتسليته عما يقوله الجاحدون فى شأنه.

وبعد: فهذه قصة الملائ من بنى إسرائيل من بعد موسى، وإن فيها لعبرا متعددة، وعظات متنوعة لقوم يعقلون. من العبر التى تؤخذ منها:

١- أن الشعور بالظلم والهوان، والابتلاء بالحن والهزائم، والوقوع تحت أيدى المعتدى، كل ذلك من شأنه أن يصهر النفوس الحرة الكريمة، وأن يدفعها بقوة إلى الذود عن كرامتها المسلوبة، وعزتها المغصوبة، حتى تنال حقها ممن سلبه منها أو تموت دونه، لأن النفوس الأبية تشعر دائما بأن الموت مع العزة خير من الحياة مع الذلة. يدل على ذلك قوله - تعالى -:

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتْبِئْنَا﴾

٢- أن الناس فى كل زمان ومكان، يلجأون - خصوصا عندما تنزل بهم الشدائد إلى من يتوسمون فيهم الخير والصلاح، لكى يرشدوهم إلى ما يأخذ بيدهم إلى طريق السعادة، ولكى يهدوهم إلى أفضل السبل التى تنقذهم مما هم فيه من بلاء، ولكى يختاروا لهم من يقودهم إلى





الله، وعلى التضحية من أجل إعلاء كلمته، وعلى الإقدام الذى يربع الكافرين، ويخيف الفاسقين، وصدق الله إذ يقول:

﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَةُ كَثِيرَةٍ يٰٓأَذْنُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

٥- أن هزائم الأمم يمكن إزالتها متى توفر لتلك الأمم القادة العقلاء الأقوياء، والجند الأشداء على أعدائهم، الرحماء فيما بينهم، وأن من شأن المؤمنين حقا أنهم مع مباشرتهم للأسباب، وإحكامهم لكل ما يحتاج إليه القتال، وإحسانهم لكل وسيلة تعينهم على النصر، مع كل ذلك لا يغترون ولا يتطاولون بل يعتمدون على الله- تعالى- اعتمادا تاما، ويتجهون إليه بالضراعة والدعاء ويلتمسون منه النصر على أعدائه وأعدائهم انظر إلى الصفوة المؤمنة من جند طالوت ماذا قالت عندما برزت لجالوت وجنوده، لقد قالت كما حكى القرآن عنها:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِيعًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
فَهَزَمُوهُمْ يٰٓأَذْنُ اللَّهِ

٦- أن من سنن الله فى خلقه أنه- سبحانه- جعل الحياة صراعا دائما بين الحق والباطل، ونزاعا موصولا بين الأخيار والأشرار،

ولولا أن الله- تعالى- يدفع بعض الناس الفاسقين ببعض الناس الصالحين لفسدت الأرض، لأن الفاسقين لو تركوا من غير أن يدافعوا ويقاوموا لنشروا فسوقهم وفجورهم وطغيانهم فى الأرض، ولكنه- سبحانه- أعطى لعباده الصالحين من القوة والثبات ما جعلهم يقاومون الظالمين ويعملون على نشر الخير والصلاح بين الناس.

٧- أن القصة الكريمة تصور لنا ما جبل عليه بنو إسرائيل من نقض للعهد وكذب فى القول:

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾

ومن تطاول على أنبيائهم، وعصيان لأوامرهم، واعتراض على توجيهاتهم، وتفضيل للجاه والمال على العقل والعلم:

﴿قَالُوا۟ إِنَّا يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾

ومن خور عند الابتلاء والاختبار، وحماس فى ساعة السلم ونكوص فى ساعة الجد، تأمل قوله تعالى:

﴿فَشَرُّوْا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا

مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾



من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عريطة

قال الله تعالى في سورة «النحل»

أَفَأَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْجُدُوا لِمَا خَلَقَ مِنْ دُونِهِ وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُزِيلُ الْمَلَكُ الْوَجْهَ عَنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَعْمَلُ الْآفَالُ كُمْ إِلَى بَلَدٍ لَنْ تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا يَشِقُ الْآنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْزِلُ لَكُمْ

بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ كَمَا يَمُوجُ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَنَاقِطَ فِي الْأَرْضِ رَوَّاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْبَقَرَةَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَسْتَدْنُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾

[الآيات من ١: ١٨]

مرة أخرى فى طرفة عين أيضاً، ولتأكدت لديه حقيقة أن الله - تعالى - هو وحده الجدير بالعبادة، لأنه هو الذى خلق هذه النعم كلها.. لاتلك الأصنام التى لاتستطيع أن تخلق شيئاً، ولذا ختم هذا الشوط من السورة بقوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ ۝﴾

والقرآن الكريم - كعادته فى معالجة مثل هذه القضايا العقيدية الهامة - يلجأ إلى طريقة التصوير، لتكون أبلغ فى إقامة الحجة، وأنفى للمعذرة، وأبعد أثراً فى النفس، والصورة فى هذه المرة لاتقوم على تجسيد المعنوى فى صورة محسوسة، أو تصوير أحد مشاهد القيامة، التى لاتزال حتى الآن طيَّ المستقبل، أو حتى بدء قيام الساعة وفساد نظام الكون إيداناً بالانقلاب الهائل، الذى لايزال علم وقته رهناً بمشيئة الله - تبارك وتعالى - وإنما قوامها هذه الحياة الحاضرة المعيشة، والمفعمة بأنعم الله التى تحيط بالإنسان من كل جانب ويراه بعينه ويتقلب بينها ليلاً ونهاراً، ولايعيرها انتباهها ولذا لم يكن فى حاجة إلا إلى أن تذكره بهذه الآيات، وتلفت نظره إليها عله يزدجر ويرعوى.

فبعد أن تؤكد الآيات على أن قيام الساعة أمر مفروغ منه؛ حيث صدر الأمر الإلهى بذلك، ولم يعد هناك مجال للعجلة فى وقوع أحداثها، هذه العجلة التى تنشأ من استهزائهم بخبرها الذى سمعوه من رسول الله ﷺ لأن وقوع أحداثها أمر متروك لمشيئة الحق تعالى :

هذه الآيات البينات وردت فى مفتتح سورة « النحل » وتسمى أيضاً سورة النعم وهى مكية وقد جاءت السورة كلها لتعالج العقيدة بقضاياها الأصلية والفرعية - شأن أخواتها المكيات - وما يترتب عليها من الإيمان بالموت والحساب، وما يجب فى العقيدة الصحيحة من تنزيه الله - تبارك وتعالى - عما لايليق به من الشريك والولد..

وقد جاء فى سبب نزول هذه الآيات التى معنا، أنه ﷺ، لما أكثر من تهديد الكفار بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، ولم يروا شيئاً نسبوه إلى الكذب فأجاب الله - تعالى - عن هذه الشبهة بقوله تعالى :

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ ۝﴾ ولذا قال رسول الله ﷺ :- « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بإصبعيه : السبابة والتى تليها، يقول : « إن كادت لتسبقننى فسبقتها . وقال ابن عباس : كان بعث النبى ﷺ من أشرط الساعة، وأن جبريل لما مر بأهل السموات مبعوثاً إلى محمد ﷺ قالوا : الله أكبر، قد قامت الساعة^(١) .

وهذه الآيات، ترسم صورة كبيرة لأنعم الله على عباده، بحيث يتأملها الإنسان بكل أطرافها وأبعادها، ليرى فضل الله - تعالى - وقد أحاط به من كل جوانب حياته بدءاً من إيجاده من عدم.. وحتى آخر لحظات حياته.

هذه الأنعم التى لو تأملها لأدرك من فوره قدرة الله - تبارك وتعالى - على قيام الساعة، وإنهاء الحياة والإحياء فى طرفة عين، وإعادتها للجزاء والحساب

(١) اقرأ تفسير مفاتيح الغيب للرازى، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى.



﴿ اِنَّ اَمْرَ اللّٰهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوْهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَشْرُكُوْنَ ﴾

بعد ذلك تبدأ الآيات فى رسم أنعم الله - تعالى - فى نسق عجيب، وترتيب دقيق يعمق الإيمان بقدرته تعالى، التى لاتحدّها حدود ويدعو إلى إدامة النظر فى هذا الكون الفسيح، الذى تتجلى أبعاده يوماً بعد يوم.

فى مقدمة هذه الصورة الفنية، تطالعنا سيدة هذه النعم الإلهية على العباد، وهى الملائكة تنزل بالروح من السماء إلى الأرض على من اختارهم الله ليكونوا رسله إلى الناس:

﴿ اَنْ اَنْذِرُوْا اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاتَّقُوْا ۝ ﴾ وهى وصية عامة شاملة لكل ألوان الخير. فتوحيد الله تعالى رأس كل نعمة، وأساس كل فضيلة وهو الغاية العظمى وراء خلق هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْٓنِ ۝ ٢٠ ﴾.

هذا هو الإطار العام الذى يلف الصورة من أولها إلى آخرها وهو الذى يشكل مع التعقيب عليها الذى يقول الله فيه:

﴿ اَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ﴾

المدخل إليها والمخرج منها؛ وبينهما استعراض منسق لأجزاء هذه اللوحة الفنية. التى تبرز بوضوح فضل الله على عباده، ذلك الفضل الذى إن ذهب الإنسان ليعد آثاره عليه فلن يستطيع له عدا:

﴿ وَاِنْ تَعْدُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا ۝ ﴾

فالخالق واحد، والمنعم واحد، والذى ربط بين هذه النعم برباط الأسباب التى تؤدى إلى مسبباتها واحد.. كما أن تأمل الصورة على هذا النحو، إنما يقوى روابط الإيمان بالله - تعالى - فى النفس، ويدعوها إلى أن ترى وحدانية الله فى كل شىء مما نتأمله:

وفى كل شىء له آية

تدل على أنه الواحد

وداخل هذا الإطار العام، تبدأ الآيات فى استعراض أنعم الله - تعالى - فى شىء من التفصيل، فهنا نحن أولاء، نرى السموات والأرض وقد خلقهما الله على هذا النحو الذى تتمكن به الأرض من استقبال الإنسان ليكون خليفته فيها، وقد خلقها بالحق الذى لا عبث معه ولا مجال فيه للعشوائية أو المصادفة؛ إنما كل شىء فيها بقدر ومحسوب بميزان دقيق، لا اختلال فيه ولا اعتلال، إنما هى الحكمة والتدبير اللذان يرجعان كل شىء إلى علمه الأزلى، الذى أحاط بكل ما سيدور فيهما منذ نشأتهما وإلى أن يرثهما الله بما فيهما ومن فيهما:

﴿ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالٰى عَمَّا يَشْرُكُوْنَ ﴾

ثم يخلق الله الإنسان من نقطة، لاتعى شيئاً ولا تملك من أمر نفسها قليلاً ولا كثيراً، ويمنحه القدرة على أن يعبر عن إرادته التى وهبه إياها، ويستقل بقدرته المحدودة على الفعل والترك:





وتختلف فى بعضها الآخر؟ هل هو منافس له فى عمارة الكون أو مشارك؟ هل هو صديق له أو خادم؟ وفى إطار هذه التساؤلات، تثور فى الإنسان غريزة البحث والدرس، ليرى فيها سببا من أسباب حياته المستقرة على سطح هذه الأرض، فهذا الحيوان، نعمة كبرى تنطوى فيها كثير من مفردات النعم التى لا غناء له عنها فى مواجهة الحياة:

﴿وَالْأَنْعَمَ

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا لِيْفَيْهِ إِلَّا يَسْحَبُ ﴿٧﴾ أَلَا أَنْتَسِ إِنْ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾ وَالْحَمِيرَ لَنَزَكُنَّ وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

يالها من نعم كبرى، لا يؤدى حقها من الشكر، ومن يظل طول حياته ساجدا لله رب العالمين وإن طال به المدى!! فهو لم يخلقنا ويتركنا هكذا.. دون أسلحة نندرع بها فى مواجهة معركة الحياة، وإنما زدنا بكل آلات الاستقرار فى حياتنا؛ فهذه المخلوقات تحتوى على كثير من مصادر الدفء والنفع العام، كما أن فيها مصادر غذاء الإنسان، الذى لا يقوى على الحياة بدونه، ولم ينس أن يزوده بعنصر المتعة والإحساس بالجمال فى حله وترحاله؛ حتى لا يلفنا الشقاء والإحساس بمرارة الحياة.

«وهذه اللفتة لها قيمتها فى بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة - هكذا يقول الشهيد سيد قطب - فالجمال عنصر أصيل فى هذه النظرة،

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّثِينٌ﴾ فى خصومته، معاند شديد فى معاندته لجوج جحود ظاهر فى لجاجته وجحوده. «وبالها من نقلة ضخمة بين المبدأ والمصير، بين النطفة الساذجة والإنسان المخاصم المجادل، الذى يخاصم خالقه، فيكفر به ويجادل فى وجوده أو فى وحدانيته، وليس بين مبدئه من نطفة وصيرورته إلى الجدل والخصومة فارق ولا مهلة فهكذا يصوره التعبير، ويختصر المسافة بين المبدأ والمصير، لتبدو المفارقة كاملة والنقطة بعيدة، ويقف الإنسان بين مشهدين وعهدين متواجهين: مشهد الإنسان النطفة المهينة الساذجة، مشهد الإنسان الخصيم المبين..، وهو إيجاز مقصود فى التصوير»^(٣) وما توحى به لفظة خصيم، التى وصف بها الإنسان فى هذا المشهد أنه «منازع للخصوم بعد أن كان نطفة قذرة، وجمادا لاحس له ولا حركة»^(٤) فبدلا من أن يكون متعاوناً مع أخيه رحيماً فى معاملته، شاكراً للنعمة ربه عليه، إذا به لجوج.. متكبر.. خصيم.. معاند!!

ها قد أحس الإنسان بكيانه، واطمأن إلى وجوده من خلال رؤيته للسما الذى تظله، والأرض التى تقله، وعقله الذى يربط بينهما برباط واحد هو رباط التكامل والتساند، الذى يؤدى إلى الاستقرار، مما هو من شأنه أن يقرر أن كل شىء فى السموات والأرض، لا بد من أن يكون بقدر معلوم ولحكمة إلهية بالغة..!! ولذا كان أول شىء يلفت نظره بعد ذلك هذا الحيوان الذى يشاركه وجوده ويساكنه أرضه، ويتحرك معه هنا وهناك: ما علاقته به؟ ولماذا هو بهذه الكيفية التى تشترك معه فى بعض الخصائص

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازى ج٥ ص٤٧٦ ط دار الغد العربى.

(٣) سيد قطب «فى ظلال القرآن» ج٤ ص٢١٦ ط الشروق.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايَزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٦).

وبعد هذه الوقفة اليسيرة، التي يقفها الإنسان، ليتابع أنعم الله عليه في خلق هذه الحيوانات المختلفة الأشكال والأحجام والمهام.. وبعد أن يضع أمامه أسباب الهداية في طريق حياته، يواصل رحلته الإيمانية في تتبع أجزاء الصورة وتعداد أنعم الله عليه وهو في هذه اللقطة أمامه مشهد الماء ينزل من السماء صافيا عذبا لتتجدد به أسباب الحياة على الأرض، ويستوى في ذلك حياته هو أو حياة ما به تستقر حياته: كالأنعام والخيل والبغال والحمير، فليس هناك ولو للحظة من عمر الزمان غناء عن هذا الماء. إذ بدونه يهلك الزرع والضرع، ويهلك هو تبعاً لذلك:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٥٥﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾

ثم تعقب الآية على ما عرضته من أنعم الله بهذه الإضاءة السريعة للإفادة مما يراه، وليقوى إيمانه برب هذا الكون مدبره وذلك عن طريق أعمال عقله وفكره، الذي ميزه الله به عن سائر المخلوقات:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ !!

يتفكرون فيما يرون: من أين جاء وكيف يكون الانتفاع به.. وكيف يرتقى الإنسان به في استخداماته ولا ينتكس، وكيف يعملو به.. في حاضره ومستقبله ولا يدمر به نفسه أو يقضى على أماله:

وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات: من طعام وشراب وركوب، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنسانى المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان^(٥) وما أجمل أن يكون ذيل الآية هكذا:

﴿إِن رَّبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهذه النعم كلها إنما خلقت لراحة البشر وفي خدمتهم، وهو ما يعد من مظاهر التكريم الذي قال الله تعالى فيه:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

فمن تكريم الله لنا أن خلق لنا ما به تستقر حياتنا في السفر والحضر..

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهو ما يترك عقل المسلم مفتوحاً لاحتمالات ما يستحدث بعد ذلك وإلى أن تقوم الساعة من مخترعات العلم في وسائل الانتقال؛ حيث إن الإسلام دين يسر وسهولة واستقرار، وهو يقدر كل ما تتفتق عنه أذهان البشر من وسائل تريحهم في حياتهم وتعينهم في الارتقاء بمعيشتهم.

وهنا تلفت الآيات نظر المسلم إلى أن هذه النعم التي أوجدها الله لتكون من أسباب راحته واستقراره لا ينبغي أن تنسيه طلب الهداية من ربه - تبارك وتعالى - في استخدامها حلاً وترحالاً، وذلك حينما تتشعب به الطرق وتتعدد أمامه المسالك؛ فمنه الفضل وإليه يرجع الأمر كله، والمعصوم من عصمه الله - تعالى -:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

هذا الإنسان الذى امتن الله عليه بهذه النعم التى لاحد لها .. تتقلب حياته بين الحركة والسكون .. واليقظة والنوم .. والعمل والراحة .. مما يفضى به إلى ضرورة أن تكون هناك دواعى التغيير فى نمط الحياة: من ليل ونهار .. وضياء وظلام .. وما يتبع ذلك مما به تكون حرية الحركة فى كل من الحالىين إذا دعت ضرورة حياته إلى شىء من ذلك ومن هنا كانت نعمة التسخير لهذه المتقابلات:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾

فكل هذه الظواهر الكونية إنما هى أمام أمر الله- تعالى- ذوات تعقل، تأتمر بأمره، وتنتهى بنهيه، وليست مجرد أجرام جامدة، لاتعى شيئا ولا تسمع شيئا ولا تطيع أمرا إنما هى:

﴿مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ وكعادة العرض القرآنى

لهذه النعم وبعد كل فوج منها، يعقب بما يلفت النظر إليها ليضعها فى مكانها الذى يجب أن تتبوأه من العبرة والموعظة:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

ينقلون حكمة الله فى كل ذلك « فكل أولئك طرف من حكمة التدبير، وتناسق النواميس فى الكون كله، يدركه أصحاب العقول التى تتدبر وتعقل وتدرك ما وراء الظواهر من سنن وقوانين^(٧):

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

أما هذه الأرض ، التى يعيش عليها ، ويسرح ويمرح على وجهها، فإنها ليست جرما مغلقا، لا فائدة فيه، ولاخير يرجى من باطنه، وإنما هى مفعمة بالخيرات التى لايعلم إلا الله حقيقتها، فما هو إلا أن يعمل الإنسان فكره وأدواته التى يستحدثها فى كل عصر، ليرى فيها من أنعم الله وفضله ما لا يقع تحت حصر؛ لذا كانت هذه الإشارة السريعة، التى يرى المؤمن المستبصر تحتها ما يغريه بالبحث والدرس والكشف فى كل عصر وفى كل ركن من أركانها:

﴿وَمَا ذَرَأَا لَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

لم تتحدث الآية هنا عن كل ما فيها أو بعض ما فيها تفصيلا، وإنما أشارت إلى ما فيها من بعيد من مكنون كنوزها، ليقراها المسلم فى كل عصر وإلى أن تقوم الساعة هكذا:

﴿وَمَا ذَرَأَا لَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾ وكأن

الأرض فى كل عصر، وماتزال بكرا، ولم تفترشها يد إنسان ولم تفض بكارتها آلة من آلاته، ثم تلفت نظره إلى أن يظل ذاكرا - ولا ينسى يوما ما أن يد الله رب العالمين هى التى أودعتها هذه الكنوز، التى تصلح له فى كل عصر وفى كل مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ .

وإلى اللقاء فى مقال تال لننتعرف على بقية النعم التى أنعم الله بها على الإنسان وأشارت إليها الآيات

«يتبع»

(٧) سيد قطب فى ظلال القرآن ج٤ ص ٢١٦٣.

الحدود الشرعية



للاستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيري
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر (●)

٢

إعداد الشيخ / على ماهر عبد الرحيم

عن عائشة رضي الله عنها : « أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: « يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله! » ثم قام فاختطب فقال: « إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ». رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

● تحدث الفقيه الكبير الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري عن الحدود الشرعية حديثا جامعاً مستوعباً، وقد رأينا تخفيفاً على القارئ أن ننشره في أربع حلقات لنفعه الجليل « المحرر ».

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧ هـ



بالأجنبي، فأوجب على الحاكم تعزيرهما بالسجن والضرب .

وبهذا تعلم أن حد الزنا فى الشريعة الإسلامية قد اشتمل على ثلاثة أمور :

« أحدها » شدة الحيلة فى إثباته، لأنه ليس جريمة شخصية بل يتعير بها الأبرياء .

« ثانيها » أنه عقوبة تناسب العدوان على العرض، وهو وإن كان شديدا فى بعض النواحي، ولكن هذه الشدة تنبىء بعظم الجريمة عند الله فقط، ومن أفلت منها فى الدنيا لصعوبة الإثبات فله فى الآخرة سوء الجزاء .

« ثالثها » إذا تعذر الإثبات على الزوج فله فى تأديبها طريقان : التعزير على خلوتها بالأجنبي بالسجن ونحوه، وهى المستعملة فى القوانين الوضعية الآن، ومسألة اللعان التى ذكرناها .

وفى ذلك من الزجر عن هذه الفاحشة والاحتياط فى درئها وتذهير المؤمنين بخطورة أمرها عند الله وتخويفهم من عقابه الديوى والأخروى مالا مزيد عليه فى الحسن والإبداع . لأن الشريعة الإسلامية حريصة على محو الرذائل الخلقية، والضرب على أيدي العابثين بالأخلاق التى عليها قوام حياة الأمم وسعادتها . حريصة على كرامة الناس وأنسابهم . فلم يبق أمام الأمة إلا أن تستمسك بالصيانة والحياء، ولا تجاهر بالفواحش، وإلا أوشك الله أن يسلب عليها من لا يرحمها .

أما حق الزوج فإن الشارع لم يهمله فى هذه الحالة، بل جعل له حدا معقولا يدفع عنه أذى الغضب والغليظ من جهة، ويشكك الناس فى أمر الزوجة فلا تتأذى أسرتهأ بشرها من جهة أخرى .

بيان ذلك : أن الأجنبي إذا رمى امرأة عفيفة أو رجلا عفيفا بالزنا ولم يأت بأربعة شهداء كان جزاؤه أن يحد حد القذف « ثمانين جلدة » . أما الزوج فإنه إذا ادعى أن امرأته قد زنت فإن الشارع لم يكلفه الإثبات كالأجنبي، إذ لا مصلحة للزوج العاقل فى قذف زوجته واتهامها بالزنا جزافا . فإن عار ذلك وإن لم يلحقه هو دائما لإمكانه أن يتخلص منها، ولكنه يلحق أبناءه وبناته، فإن لم يكن له منها أبناء وبنات فإنه يضمن بكرامته عن الامتهان بين الناس مؤقتا، ولهذا لم يسو الله - ع - بين الزوج وبين الأجنبي إذا اتهم زوجته، فشرع لهما فى هذه الحالة اللعان، وهو أن يقول الزوج أمام القاضى : أشهد بالله أننى صادق فيما رميتها به من الزنا، ويكرر ذلك أربع مرات، ثم يقول بعد ذلك : لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . وتقول الزوجة : أشهد بالله إنه لكاذب فيما يرميها به من الزنا، وتكرر ذلك أربع مرات، ثم تقول : إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . وبذلك تبين منه مؤبدا . وهذا المعنى يسجل غضب الله ولعنته على الكاذب حقا .

ثم إذا ثبت أن الأجنبي كان معها فى خلوة فإن الشارع جعل لها عقوبة على الخلوة

أما اللواط فإنه من الجرائم الخلقية التي لا تليق بالنوع الإنساني وفطرته التي فطره الله عليها. فاللواط فيه عدوان ظاهر علي الإنسانية، وخروج عن سنن الله الطبيعية، ولذا سماه الله فاحشة كالزنا. قال تعالى:

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

فمن ارتكب هذا الفعل الشائن فقد اختلفت فيه آراء الأئمة: فمنهم من قال: إنه يعاقب عقوبة الزاني وهي الإعدام إن كان محصنا، أما الموطوء فعقوبته الجلد كالבكر، لأنه لا يتصور فيه إحصان. ومنهم من يقول إن عقاب اللائط من باب التعزير لا من باب الحد، فعلى القاضي أن يحبس، أو يجلده بما يراه رادعا له عن الجريمة، فإذا تكررت منه ولم يزدجر عزز بالإعدام.

أما حد السرقة فقد بينه الله - تعالى - بقوله:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (٢)

أي اقطعوا اليد اليمنى من كل واحد سرق سواء كان رجلا أو امرأة.

واعلم أن الشريعة الإسلامية قد وضعت قوانين المعاملات وفصلتها أحسن تفصيل، فوضعت نظاما للبيع والشراء، والرهن والإجارة، والشركة والشفعة. ووضعت قوانين

للاقتصاد والتجارة والزراعة والصناعة. ولم تترك شيئا إلا وضعت له نظاما مبنيا على مصلحة النوع الإنساني، وترقية حاله، ورفع الخصومات من بين الناس، وتوطيد علائق الثقة فيما بينهم، ونزع العداوة والبغضاء من قلوبهم، وحفظ حقوق الضعفاء ورفع الحيف عنهم. وقد أخذ المجتهدون من النصوص التي جاء بها الكتاب الكريم أو السنة الصحيحة ما فيه مصالح الناس التي اقتضتها حوادث الأزمنة المختلفة. فكان للمسلمين أعظم ثروة فقهية يمكنهم أن يجعلوها أصلا لكل قانون صالح ينتفع به المجتمع، وتقوم عليه دعائم العمران، وتسعد به الشعوب والأمم سعادة حقيقية. ومع هذا فإنها لم تضع عقوبات خاصة لمن خالف قوانين المعاملات المالية، بل تركت أمر هذه العقوبات للحاكم ليضع لها ما يناسب كل زمان ومكان. وهذا هو باب التعزير. فقد جعلت الشريعة للحاكم سلطة يضع بها العقوبات التي تليق بمن يخالف أمر الشريعة أو نهيها، بحسب البيئات والأزمنة، وبحسب ما يترتب علي مخالفتها من الشر والفساد، ما عدا السرقة فإنها قد وضعت لها الحد الذي سمعته.

ولقائل أن يقول: لماذا عנית الشريعة الإسلامية بالسرقة دون غيرها من الأنواع المؤذية للمجتمع، فتركت الغاصب والمختلس والخائن، كما تركت الذي ينفق أمواله في



سببها، وقد تكون عزيمة وحقية، فيجب أن يترك تقدير عقوبتها للحاكم ليقرر لها ما يناسبها بخلاف السرقة فإنها جنابة ترتكب في الخفاء، وآثارها المترتبة عليها لا تختلف غالبا، فهي تهدد الناس في كل زمان ومكان.

ومثل الخيانة والغصب سائر المخالفات المالية، فإنه لا يمكن ضبط عقوبة مطردة لها، لأن آثارها تختلف اختلافا كبيرا. مثلا شخص بذر ماله في المباحات والزخارف حتي نفد ماله فإن عمله هذا في نظر الشريعة الإسلامية لا يجوز، ولكن ضرره يختلف، فإذا كان في بيعة صالحة مستقيمة بحيث لا يتأثر به أحد كان الضرر مقصورا عليه وحده، أما إذا كان في بيعة سريعة التقليد فإن ضرر عمله يتعداه للغير فيكون قدوة سيئة، ولذا يجب أن يترك تقدير تأديبه للحاكم. ولذا قال بعض الأئمة: إذا بذر ماله في مباح فإن ذلك التبذير لا يوجب الحجر عليه. ولكن الجمهور يقولون: إن التبذير في ذاته يوجب الحجر، والحجر نوع من أنواع التعزير، فإن فيه إعلانا بأن الرجل لا يحسن التصرف، ولا يوثق به في باب الأموال، وذلك توبيخ مستمر لا يرضاه عاقل. أما التبذير في الشهوات المحرمة فإنه يوجب الحجر باتفاق.

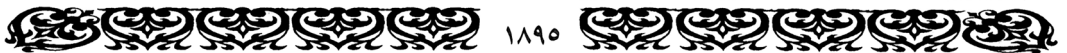
وها هنا سؤال معروف، وهو أن قطع اليد فيه إتلاف لعضو من أعضاء الإنسان، وذلك لا يتناسب مع الجريمة إذا كانت يسيرة، فإن أقل ما تقطع فيه اليد عشرة دراهم، فالعقوبة شديدة. وهذا الكلام منشؤه الغفلة عن معنى

الشهوات الضارة، أو في إيذاء المجتمع أو نحو ذلك؟

والجواب: أن الذي جاء به الشريعة الإسلامية من ذلك هو تقدير العزيز الحكيم، وهو عين الحكمة والصواب.

بيان ذلك: أن السرقة هي أخذ مال الغير خفية من حرز «أى محل محفوظ فيه». ولا ريب أن الذي يقدم على هذا الفعل خطره يطرد في كل زمان ومكان، لأنه لا يبالي في سبيل الوصول إلى غرضه بارتكاب أية جريمة يتوقف عليها الحصول على ما يريد، فهو ينقب الدار، ويكسر القفل، ولا يتأخر عن قتل من يقف في سبيله أو التمثيل به، فهو مهدد للناس في حياتهم وأموالهم وأعراضهم. فإذا لم يضرب على يد السارق من أول الأمر، وإذا لم تشدد عليه العقوبة، كان شره عظيما، وخطره شديدا. وقد عرفتنا الحوادث أن السارقين قد قتلوا أنفسا كثيرة في سبيل وصولهم إلى سرقة المال، واعتدوا على أعراض كثيرة.

أما غير السارق كالحائن والغاصب وغيرهما فإنه يقابل رب المال وجها لوجه، غايته أنه خدعه أو غشه، أو أخذ منه المال بقوته على مرأى من الناس، وكل هؤلاء يمكن اتقاء شرهم والضرب على أيديهم قبل أن يستفحل أمرهم. فلهذا ترك الشارع أمر تأديبهم للحاكم كي يعزرهم بما يراه زاجرا لهم بحسب ما يناسب البيئة ويتفق مع نظام الأمن العام. على أن الحوادث التي من هذا القبيل قد يتفاوت





على أن الذى يتأمل فى المثالين المذكورين يدرك أن شدة العقوبة إنما هى فى ظاهر الأمر، أما فى الواقع فهى رحمة بالسارقين فاسدى الأخلاق، فإنها قد زجرتهم فعلا، وأوقفتهم عند حدهم فتركوا هذه الجريمة المؤذية للمجتمع شرايذا.

ولعل قائلا يقول: إن النظر الى الجريمة على هذا الوجه يقتضى أن يد السارق تقطع ولو سرق درهما واحدا، فما فائدة تخصيص القطع بعشرة دراهم!

والجواب: أن الشارع أراد أن يجعل سبب القطع ما لا له قيمة فى الجملة، وهو ما يتضرر به صاحبه، فالعشرة دراهم قد تكون قوت أسرة فقيرة يومين، فإذا سرقت منها تضررت، أم ما دون ذلك فإنه لا يوجب القطع لهوانه غالبا، فإذا أفلت من القطع فى هذه الحالة فإنه لا يفلت من التعزير بالسجن أو الضرب حتى لا يتعود.

ومثل ذلك ما إذا أراد أن يسرق فنقب الدار أو تسور الجدار ثم منعه من السرقة مانع، فإنه يستحق فى هذه الحالة عقوبة التعزير الرادعة له عن العودة. وكذا من أقدم على السرقة ولم تتوفر فيه الشروط التى ذكرها الفقهاء، فإن الشارع يوجب تعزيره كى لا يعود.

ولعل فيما ذكرناه ما يقنع هؤلاء الذى يتخيلون شدة هذه العقوبة، فيدركوا أنها هى عين الرحمة للسارقين وللمجتمع. هذا وقد ضاق المقام عن تكملة الكلام، فانتظره فى العدد القادم، إن شاء الله،

الجريمة وعن الآثار الضارة المترتبة عليها، فإنك قد عرفت أن هذه الجريمة من أشد الجرائم خطورة، فإذا فشلت السرقة بين الناس فقد هددوا فى أموالهم وأعراضهم وأنفسهم كما ذكرنا، وأصبحت حياتهم مريرة لا فائدة منها، فإن السارق كالحیوان المفترس الذى يفتك بكل ما يلاقیه، فجرمته يجب أن تقابل بالقسوة المتناهية كى ينقطع دابرها من بين الناس بتاتا. فإذا تخيل شخص أن العقوبة شديدة فإنه يجب أن يعلم أن فظاعة الجريمة وآثارها فى المجتمع أشد وأنكى. ثم إن العقوبات لم توضع إلا لزجر فاسدى الأخلاق، وهؤلاء لا ينزجرون بالرفق واللين بدون نزاع. فإذا لم تتمثل أمامهم شدة العقوبة فإنهم لا يزجرون أبدا. ولنا على ذلك أمثلة ملموسة عملية: مثلا: الكوكابين والحشيش قد وضعت لهما الحكومة فى أول الأمر عقوبة خفيفة، فكانت مغرية لضعاف النفوس والأشرار على ارتكاب الفعل لا زاجرة لهم، فلما سنت قوانين صارمة، وأدرك هؤلاء الأشرار خطواتها، كفوا عن تعاطى هذه السموم. وهذه القوانين تقرها الشريعة الإسلامية وتحبذها، لأن للحاكم أن يعزز بما يراه قاطعا للجرائم، سواء كانت مقصورة على الشخص أو تتعداه إلى المجتمع.

وأیضا فقد رأينا فى زمن من الأزمنة اضطراب حبل الأمن فى البلاد المقدسة اضطرابا شديدا، فلما نفذ فيهم حكم الله - تعالى - وقطعت أيدي بعض السارقين، لم تلبث الجريمة أن اختفت وحل محلها الأمن والطمأنينة.





فى اليرموك البراءة المؤمنة تصنع المستقبل.. ولا تنتظره

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة

فى مواجهة الأحداث الكبرى.. وحين يبلغ بك اليأس مداه.. يمكن أن تحدث المعجزة..
ويصبح المستحيل ممكنا.. بشرط واحد هو: أن تعمل.. وأن تكابد.. بأذلا أقصى ما تستطيع
واضعا روحك على كفك مهرا للمجد المنتظر.

ذلك بأن الذى يريد أن يحصل على أشبال «النمر».. عليه أن يدخل عرينه أولا.. متحملا
مسئولية هذا الاقتحام.. وحتى لو فشلت محاولتك.. فأنت المنتصر فى معركة التحدى، ذلك
بأن الجندى إذا حاول الحصول على شيء.. ثم فشل فى اقتناصه.. فإن حاله يكون أفضل منه..
لو أنه لم يفعل شيئا! لأن اليأس يضيع فرصا أخرى لتدارك ما فات.. وذلك أجدى من أن نذرف
الدموع غضايا آسفين!!

هذه خواطر تعبر آفاق خيالنا.. ونحن نذكر موقعة «اليرموك» عندما هبت الروم عن بكرة
أبيها فى جيش عرمرم سد الأفق كأنه غمامة سوداء.. خرج ليلتهم جيش المسلمين
والذى كان يفوق العشرين ألفا بقليل! فماذا حدث؟



التعبئة الروحية

[اجتمعوا. وكونوا جندا واحدا. وألقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله. والله ينصر من ينصره. وخاذل من كفره. ولن يؤتى مثلكم عن قلة. ولكن. من تلقاء الذنوب. فاحترسوا منها].

لقد كان القائد الأعلى صادقا مع نفسه.. ومع الجيش حين كشف النقاب عن سر الهزائم.. وهو الذنوب وأن النصر من عند الله - تعالى - والذي يمنحه لمن آمن به.. وكان مع غيره في كتلة عصية على الاختراق.. لأن يد الله مع الجماعة.

إنه لم يقلل من خطورة الموقف.. بل كشف عن خطورته فيما وجه إليه من ضرورة الاستعداد.. وصرف النظر عن حظ النفس في إحراز نصر هو في الحقيقة من عند الله - تعالى - وإذا كان جيش الروم يملأ الأفق.. يختال عجبا وإذا كان الأمر كما يقولون:

إن العصفير لاتغرد فوق نوافذنا.. وإذا كانت لاتقفز في باحة الدار.. وإذا بدا أن الفرع منكسر، فلن ينتج أزهارا.. وإذا كان ظاهر الحال ذلك.. فإن العبرة باليقين في نصر مبین.. ثم بالتصميم على الانتصار.. منطلق من هذه البديهة: إن أية قبلة لن تلحق الدمار أكثر مما يلحقه به الخوف والتردد!

إن الموقف عندئذ كان مغلفا بالضباب.. وكانت الرسالة ضوءاً كاشفاً.. بدت به الأمور واضحة جلية.. ذلك بأن كل شيء يمكن أن نستتر عليه.. إلا الحقيقة.. الحقيقة التي يجب أن تكون عارية!

والحقيقة هنا هي: أن الموقف خطير.. والأزمة ليس لها من دون الله كاشفة.. ولكن النصر ممكن

من السهولة بمكان أن تضع للمعركة خطة.. ولكن المهم: كيف.. وبمن تضع هذه الخطة موضع التنفيذ؟ قد تكون هناك في خيالك أحلام وردية في نصر مؤزر.. ولكن هذه الأحلام.. سرعان ما تذهب.. حين تدوسها أقدام قوم هم أكثر منك استعدادا وعتادا حين يغلبونك.. تاركين لك الخوف والتمزق تقتاته.. ثم يموت الرجاء بعدما جف الأمل في نصر قريب.

وهذا ما أدركه الصديق - رضى الله عنه - عندما أحكم الخطة.. ثم شحن رجاله بطاقة إيمانية.. تشد العزائم ولا تسترخي.. عندما يهجم الخطب قوى الإيقاع.. لقد وزع الأدوار بدقة وإخلاص:

«سفيان بن حرب»: يعظ الجند ويحثهم على القتال.

والمقداد بن الأسود يدور على الجند ويقرأ عليهم آيات الجهاد

موقف القائد المسلم

وكان أبو بكر - رضى الله عنه - يشحن الجند بالطاقة الإيمانية.. لم يهون من أمر اللقاء.. لم يمددهم بالزهو أو بالغرور.. خداعا وتمويهاً.. ولكنه رضى الله عنه - وفي صحبة أمل وثيق في نصر الله والفتح - يمددهم بطاقة هي أمضى من كل سلاح.. تعينهم على تجاوز الخطر بنجاح.. عن طريق هذه الرسالة التي وجهها إليهم وهم يستعدون لخوض غمرات المعركة:

تقول الرسالة:





نردهم وإن هزمونا لأنفلح بعدها أبدا فتعالوا
فلنتعاور الإمارة - نتداول وتبادل - فليكن عليها
بعضنا اليوم .. والآخر غدا .. حتى يتأمر
كلكم ..]

وهكذا كانت طبيعة المشير ..

قال لأبي عبيدة: تأخر عن القلب .. إلى وراء
الجيش كله حتى إذا رآك المنهزم استحيى منك
ورجع إلى القتال.

فقال له أبو عبيدة كما قال له خالد: إني مشير
بأمر: « قل أسمع وأطيع » وهكذا كان القواد
الذين حقق الله - تعالى - بهم النصر، كانوا
يستخرون الله .. فإن ذلك أوثق لدينهم .. ثم
يستشيرون البشر .. فإن ذلك أوفق بمصلحتهم.

أبو عبيدة.. القائد.. الواعظ

ولما تراءى الجمعان .. وعظ أبو عبيدة المسلمين
فقال: عباد الله: « انصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم ».

يامعشر المسلمين: اصبروا .. فإن الصبر منجاة
من الكفر. ومروضة للرب ومدحضة للعار.

ولا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة
ولا تبدأوهم بقتال. وأشرعوا الرماح واستتروا
بالدرق « الصلب ». والزمو الصمت إلا من ذكر
الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله
تعالى ».

ولقد فهم الجند الرسالة .. فهبوا فيما يشبه
الاحتجاج على ما في العدو من اعوجاج! أجل ..
هبوا على قلب رجل واحد: يقدمون الواجب
على الحق .. في شخص هذا الجندي الذي أعلن

متى كنا مستعدين له، والاستعداد يعني: إعداد
القوة .. والبراءة من المعاصي، على أن يكون
مفهوما أن النصر من عند الله - عز وجل - والذي
يجيء في أوانه!

جنودنا.. في تصور أعدائنا

في وصف كاشف لطبيعة الجندي المسلم ..
قال أحد قواد الروم للقائد الأعلى هناك:
[وجدت قوما: رهبانا بالليل .. فرسانا بالنهار ..
والله لو سرق فيهم ابن ملكهم .. لقطعوه أو زنى
لرجموه]!

ولما سمع القائد ذلك قال أسفا: [لئن كنت
صادقا .. لبطن الأرض خير من ظهرها] ويعني
ذلك أن المعركة محسومة سلفا .. وأن لواء النصر
معقود للقوى المؤمنة .. من الآن !

وليس هناك أصدق في وصف شجاعة الجندي
المؤمن من هذا الذي شهد به العدو! لأن الفضل
ما شهدت به الأعداء.

وبدأت المعركة

أجل: بدأت « وليمة » الموت! كان « المشير »
خالد بن الوليد - رضى الله عنه - يصدر الناس
كلهم عن رأيه .. وبين يدي المعركة قام خالد في
الناس خطيبا فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن
التفرق والاختلاف، فاجتمع الناس وتضافوا في
مواجهة عدوهم .. وقام خالد في الجند خطيبا
فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام
الله. لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي أخلصوا
جهادكم وأريدوا الله بعملكم. وإن هذا يوم له ما
بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم .. فلانزال

ولقد حاول الجيش الروماني أن يجمع شمله المهلهل .. ولقد تجمع الشمل فعلا .. ولكنه كان تجمع العصافير الخائفة .. فى أعالي الأشجار .. تاركة الساحة لرواد الحق .. للنسور المحلقة فى جو السماء .

وعن هذه النهاية التى لم تشر إليها البداية .. تساءل المنهزمون فى « الغرب » عن سر هذا الانتصار، قال هرقل لمن جاءوه منهزمين: أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم: أليسوا بشرا مثلكم؟! قالوا بلى

قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موطن .. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون المعروف وينهون عن المنكر ويتصافون بينهم . ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط ونهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض

فقال: أنت صدقتنى^(١) . وفى رواية:

[أناكم منهم ما لا طاقة لكم به] .

دور المرأة فى تحقيق النصر

قد يسبق إلى الوهم: أن تحقيق النصر حكر على الرجال .. من دون النساء ومن هنا قيل:

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جر الذبول

اعتذاره عن قبول الغنيمة لأنه ما جاهد لغنيمة .. وإنما هو فقط يرجو الشهادة التى تكفيه شرفا وذكرا .

الموقف على الجبهة المعادية

مشكلة الناس اليوم .. أن إحساسهم حاد بحقوقهم التى يلحون فى طلبها .. بينما لا يكادون يحسون بالواجب عليهم بنفس القوة مع أنه السبيل القاصد إلى تحقيق آمالهم .. وهكذا كان الجندي الرومى: إنه جاء من أجل الغنيمة .. من أجل الدنيا .. أو جاء مرغما مدفوعا، لقد كان فى داخله إحساس قوى بأنه وحيد .. يريد جليسا، عجوز، يريد سندا .. مسافر يريد مودعا أو مرحبا، فى مأزق، يريد مخرجا .. مقاتل فى غير قضية، لهيف يريد غوثا، عريش يريد جدارا .

وإذن فلم يكن القوم هناك صادقين مع أنفسهم .. بل لم تكن لهم أنفس على الإطلاق .. بعدما تركوها مع دنياهم المؤثرة .

لقد جاء الجند يصيحون بأصوات صاخبة .. وكان الرهبان يتلون الإنجيل .. ويحثون الجند على القتال ..

ولربما كان لهم بعض الأثر الوقتى .. ولكن وفى النهاية وعندما تهب العواصف الهوج، تسقط الأشجار الضخام .. بينما الأعشاب من تحت أقدامها تعيش! لأنه .. مهما كان القائد بليغا .. ومهما كانت الموعظة مؤثرة .. فإنها لن تستطيع إقناع القلب الجزوع ولا النفس الهالعة!

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص ١٦١ .



نكبت أنعشتها .. وإذا ذهب ريشها .. كستها!
 وإذا كان هناك من نساء العالم من مهرت الدنيا ..
 دينها فزفت الدنيا إليها بالندم .. والألم فإن أسماء
 بنت يزيد - رضى الله عنها - قد قدمت الدنيا إلى
 الدين مهرا .. فزفت إليها المعالي .. جزاء من
 جنس عملها .. مؤكدة أنها لم تكن شرطاً من
 شروط النهضة، يؤثر من الخارج .. ولكنها كانت
 « ركناً » فيها .. يؤثر من الداخل .

[لقد قاتل نساء المسلمين فى هذا اليوم وقتلوا
 خلقا كثيرا] .

لقد ساق خالد - رضى الله عنه - النساء إلى
 وراء الجيش ومعهن السيوف ثم قال لهن : من
 رأيتموه موليا - هاربا - فاقتلنه ..

وقد نفذت النساء أوامر القائد بدقة وحماس
 كن يضربن من انهزم من المسلمين بالخشب
 وبالحجارة ثم يقلن لهن غاضبات عاتبات : [أين
 تذهبون .. وتدعوننا للعلاج] ويعنى ذلك ثبات
 المرأة ورحى الحرب دائرة ، وآتونها مستعر ..

وفى مقدمة الثابتات كانت خولة بنت ثعلبة
 والتي كانت تواجه الرجال الهاربين، وعندئذ
 لا يملك الهارب إلا أن يستجمع أطراف شجاعته
 ثم يكر على العدو من جديد .

وأين من هذه المرأة الأبية .. تلك الزوجة التي
 كانت تعشق المجوهرات .. والتي كانت تمنى
 نفسها بعودة زوجها بنفائس المجوهرات فى قصور
 الاعداء .. ثم لم يعد إليها .. أو عاد مفلسا .. ولا
 بخفى حنين !!

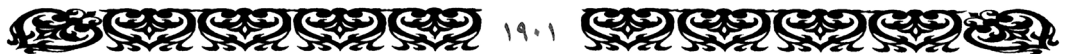
ولكن الحق أن المرأة زاحمت الرجال فى
 ساحات النضال وإذا كانوا يقولون : إن أكثر الثمار
 نضجا هى ما كانت هناك فى أعلى الأشجار ..
 فإن ذلك لا يمنع من وجود ثمار أخرى خلف
 الأوراق لاتراها العيون ! وقد كانت المرأة تلك
 الثمرة الخفية .. والتي لولاها لما كان هذا النصر
 المبين : لقد كان للمرأة .. كالرجل - أمل فى
 النصر، ولقد كانت تؤمن فى نفس الوقت أنه لا
 أمل .. بلا ألم ومن أجل ذلك خاضت المعركة
 بشجاعة نادرة، لم تكن المرأة تختار
 « الأحسن » .. ولكن الأحسن كان هو الذى
 يطلبها ! وإذا كان الخائف .. هو الذى يخاف قبل
 الخطر .. والجبان يخاف .. أثناء الخطر .. فإن
 المؤمن .. وإن المؤمنة لاتخاف لاقبل الخطر ولا من
 بعده .. وإنما هى على ما قال عزوجل :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
 لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢) .

لقد خرجن من لهب الحرب ذهبا أكثر
 صفاء .. وأشد تألقا .

صمت القمر

ولم تكن المرأة تتحدث عن نفسها ..
 وبلائها .. وقيمها التى هى أغلى من كل ما
 طلعت عليه الشمس . إنها لم تكن تتحدث عن
 هذه القيم .. لكن القيم هى التى تتحدث عنها
 شاهدة بأنها : إذا بليت القيم .. فإنها تجدددها ..
 وإذا ابتليت الأمة بالأزمات .. فإنها تسدددها وإذا





فى مجال التطبيق

على الساحة بصماتها.. وقد جُرحت ثلاثة عشر جرحا.. فما وهنت لما أصابها فى سبيل الله!

وهو موقف.. يشكل رسالة عاجلة إلى المرأة التى تجاهد اليهود تقول لها: لا نامت أعين لم تحافظ على يوم يرجى خيره ويحمينا من الحساب ولا نامت عين لم تحافظ على ساعة من نهار.. ولاعلى دقيقة من ساعة.. لاوقت للتسويق فلم يجرىء من يقول لنا: أنها ضجعة بغير حساب!

ج- أسماء بنت يزيد وافدة النساء: ولقد اشتهرت أسماء بأنها خطيبة النساء.. لكن ذلك لم يضائل من دورها العسكرى المرموق.. وبالذات فى معركة اليرموك.. فمن هى أسماء بنت يزيد؟ وماذا نحن قائلون عنها.. وماذا نحن فاعلون تأسيا بها؟ نقول: قد تستغنى الأمة عن لقمة الخبز لكنها أبدا لاتستغنى عن القيم العليا، هذه القيم التى لولاها لفقدت الحياة معناها. غير أنها لن تكون كذلك.. إلا إذا وجدت من يؤمن بها.. مستعدا للموت فى سبيلها.

ولقد كانت «أسماء بنت يزيد» الأنصارية مسكونة بهذه المنظومة من المثل العليا التى انحدرت إليها من قومها الأنصار علما وفصاحة وشجاعة ثم فداء.. وتضحية.. وإذ يمدح الله - تعالى - الأنصار بقوله - عز وجل:

لقد كانت الشجاعة الأبية حلية المرأة المؤمنة: أثناء الحرب.. وبعد أن تضع الحرب أوزارها، أما ورعى الحرب دائرة فقد كانت من الشجاعة على أوفى معانيها.

أ- فى مواجهة بنى قريظة قالت صفية بنت عبد المطلب - رضى الله عنها: مر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن.. فقلت: يا حسان: إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه. فأنزل إليه.. فاقتله.

قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا؟!

قالت: فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئا.. احتجزت^(٣) ثم أخذت عمودا.. ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود.. حتى قتله! قالت: فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن^(٤).

ب- أم عمارة: وهى ذى «أم عمارة» تؤكد كيف كان دور المرأة فى تحقيق النصر «ظاهرة» ولم يكن حالة فردية، لقد كانت فى أحد تسقى الماء.. ولما اشتد القتال.. حملت السلاح وتركت القداح! لقد حمزت ثوبها على وسطها فتركت

(٣) شددت وسطى.

(٤) يحاول الكاتبين تبرئة حسان - رضى الله عنه - من تهمة الجبن الذى تصوره من قوله [لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا] يتلمسن له العذر بأنه كان معتلا يومئذ والحق أن الرجل ليس فى حاجة إلى الدفاع بعد أن نتذكر انه كان الجبهة الإعلامية التى قل الله بها غرور الاعداء. وهذا تخصصه على الجبهة الداخلية أما على الجبهة العسكرية فلا يعيبه أنه لا يحسن القتال بالسلاح الأبيض لأن العسكرية أيضا تخصصات وقد يكون الجندي «قناصا» يصيد دبابات العدو فى الوقت الذى لا يجيد فيه القتال المتلاحم من حيث كان فنا قائما بذاته.



﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقُونَ﴾ (٥) فقد انفقت

أسماء مما رزقها الله - تعالى - هذه القيم الحضارية، والتي عبرت عنها عمليا.. بسلوكها الفريد.. فى السلم والحرب.. على سواء.

أما علمها: فقد روت عن الرسول ﷺ جملة من الأحاديث وروى عنها كوكبة من الرجال.. على نحو كانت به شريانا من شرايين الأمة.. تدفق بالمعرفة تسرى فى عروق الأمة عافية وتسعى بين يديها نورا..

وأما فصاحتها: فقد كانت «خطيبة النساء» بشهادة الرسول ﷺ والذي نوه ببيانها.. وبلاغتها على رؤس الصحابة الذين كانوا فرسان البيان..

وإذا كان الأطباء أقدر على تمييز الطبيب من غيره فقد كان الصحابة أقدر على إدراك فصاحتها.. التى زاحمت بها بلاغة الرجال.

أما عن شجاعتها الأدبية:

فقد قالت: [مر بى النبى ﷺ وأنا فى جوار أتراب لى فسلم علينا وقال «أياكن وكفران المنعمين» ودون أترابها جميعا تسأله ﷺ: يارسول الله: وما كفران المنعمين؟ ثم تسجل فى نفس الوقت شهادتها لنفسها حين تقول: «وكنت من أجرئهن على مساءلته» هذه الجرأة التى تنامت مع الأيام.. حتى رشحتها أخيرا لتكون «وافدة النساء» إلى الرسول ﷺ بما تتطلبه هذه السفارة من

حكمة وروية.. وثبات ثم عرضت قضيتهن عرضا كانت به «خطيبة النساء» ثم كانت ممن بايع رسول الله ﷺ «بيعة الرضوان» وبهذه المبايعة.. تأكدت شجاعتها التى سلكتها فى زمرة الرجال.. الرجال الثائرين الذين التفوا حول الرسول ﷺ يحملون أرواحهم على أكفهم.. فداء للحق الأعزل، وإذا كان للرجولة ما يعينها على تحمل المواقف الصعبة، فقد كان حضورها وإيمانها فى لحظة لا يصمد لها إلا الذين صبروا.

ذلك بأنها كانت مؤمنة ومن شأن الأزمات أن تشد عزائم المؤمنين.. الذين يعتبرون الموت أمرا طبيعيا وما كان طبيعيا فلا مفر منه.. ولقد كان شعارها عندئذ:

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد

لنفسى حياة غير أن أتقدما

أما عن شجاعتها فى ميدان القتال.. فحدث عنها ولا حرج لقد أحبطت ببسالتها الفكرة القائلة:

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جر الذيل!

ففى معركة «اليرموك».. بدت كفاءتها القتالية: لقد تقدمت حين كان الإقدام مغرما ولم يكن مغنما.. تقدمت والموت الزؤام يطل من كل أفق.

لم يكن حماسها للقتال شرارة لا تكاد

(٥) البقرة (٣).



الأمم .. لم تتردد، لأن التردد يضيع الفرص
السانحة .. وأمام هجمة الخطر لا يغنى أن
نتألم .. وإنما هو اختيار الحركة التقدمية ..
التي تدفع بالأمم إلى قلب مستقبل واعد
يناديها .

لقد كان من حولها جرحى من الرجال ..
والجثث تغطي بين يديها تلك الرمال
العفراء .. ولأنها أنثى .. فقد كان المتوقع أن
تبكى .. أن تعزف على أوتار الجراح .. هذا
البطل الذى راح .. لكنها خلعت عمود
خيمتها .. خلعته .. ولم « تأخذه » جاهزا كما
أخذته صفية من قبلها - رضى الله عنهما .

لقد كانت تتمتع بصحة قوية يوم أن
كانت تعيش على الفطرة بلا منشطات ..
ولامساحيق .. إنها قيمة الشجاعة فى أسمى
معانيها .. تتمثلها امرأة لم تمنعها أنوثتها
من أن تحتال .. ثم تفعل ما لا يفعله الرجال
إنها لم تتحدث عن قيمة الشجاعة حديثا
يقال .. أو يكال، إنما هى تصنع هذه القيمة
صنعا .. وعلى الطبيعة .. مؤكدة فى نفس
الوقت طبيعة المؤمن الذى لا ياتمر بالأمر فقط
يكلف به .. وإنما هو ياتمر أساسا بالأمر أولا،
لأنه يحب الأمر، ومن أجل ذلك يهون عليه
التكليف .. مهما كان شديداً .

تبرق حتى تنطفئ وإنما كانت إرادة القتال
غائقة فى قلبها .. ولم تنكسر إرادتها فى
الموقف الرهيب .. إلى الحد الذى تراجع فيه
بطل كعمرو بن العاص - رضى الله عنه - فى
مشهد لانرى فيه إلا مخا ساقطا .. ومعصما
طائرا وكفا مندثرة لقد حملت سلاحها .. ثم
شدت معزرها ورمت بنفسها فى لجة
الأهوال .. وماذا كان سلاحها؟ لقد كانت من
القوة بحيث اقتلعت عمود خيمتها .. ثم
قتلت به تسعة من الروم

وليت شعرى: لرب كان الذى قاتلت به
مدفعا .. أو صاروحي لكن لهذه البطولة ما
يسوغها ولكنه كان « عمودا » من الخشب
قلعته بيديها ثم صوبته إلى أعدائها .. الذى
تساقطوا بين يديها كأوراق الخريف وتعجبت
من سخرية القدر حين يهزم الضعف
الشريف .. القوة السافلة! ونتساءل فى أية
مدرسة للتدريب تعلمت فن التصويب؟!
وعلى أرض مكشوفة فى الوقت الذى يقاتل
الرجال اليوم .. والذين يتترسون بقرى
محصنة أو من وراء جدر؟!

لقد تحملت أسماء هول الموقف: فقد كان
أمامها مجموعة من الخيارات: أن تثبت فى
مكانها « محلك سر » أو أن تأخذ حركتها إلى
الخلف هاربة .. ولكن فضلت الانطلاق إلى

من ركائز التضامن الإسلامي

د. أستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها
«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث
مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه
المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله
وعرضه» (٢).

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين
المسلمين ما جاء في الآية الشريفة :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب
تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة
طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحدد

في هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة
الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب. فإن أخوة
النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين
لا تنقسم بمخالفة النسب وفي الصحيحين عن أبي
هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله
ﷺ « لا تحاسدوا ولا تباعدوا ولا تجسسوا ولا
تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا » (٣)
والتجسس : هو الاستماع لحديث القوم،
والتناجش : هو أن تزيد في ثمن السلعة دون
رغبة في شرائها لتحريض الغير عليها، وفي رواية
أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(١) سورة الحجرات آية (١٠).

(٣) رواه مسلم.



وإذا نظرنا إلى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ﴾

نرى أنه ورد في سبب نزولها آراء منها : أنها

نزلت في وفد بني تميم عندما استهزأوا بفقراء الصحابة أمثال : عمار، وبلال، وخباب، وابن فهيرة، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاء حالهم .

وقيل : نزلت في سخرية الغنى بالفقير، وقيل : في عكرمة بن أبي جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلماً كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس : نزلت في ثابت بن شماس كان في أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فرضى كل رجل منهم بمجلسه وعضوا فيه - أي لزموه - فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلساً، فيظل قائماً فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطف رقاب الناس ويقول : تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له : تفسح فقال الرجل : قد وجدت مجلساً فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضباً ثم قال : من هذا؟ قالوا : فلان، فقال ثابت : ابن فلانة، يعيره بها يعني أما له في الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت (٧).

المصلحون ولا يحابى بعضهم بعضاً، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهي رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ويدعو القرآن

الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى :

١ - منها الرذائل الظاهرة التي تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنايز بالألقاب .

٢ - ومنها الرذائل الباطنة التي تتعلق بالمشاعر كالظن .

أما الأولى الظاهرة : فيقول فيها القرآن :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ

عَسَوْا أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ (٤) .

فينهى الله - تعالى - عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخرؤا منه أن يكون خيراً منهم عند الله - تعالى - في عقيدته وفي عمله وفي باطن أمره . فإن مقاييس الخيرية ليست في المظهر ولا في الشكل، ولكنها فقط في التقوى :

﴿إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدَّكُمْ﴾ (٥) وروى

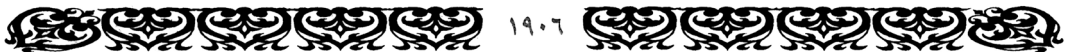
الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٦) .

(٥) سورة الحجرات آية (١٣) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

(٤) سورة الحجرات آية (١١) .

(٦) رواه مسلم .





كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

دون تنابز

ومن الرذائل التى نهى عنها الإسلام : التنابز بالألقاب . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ قيل إنها نزلت فى بنى سلمة، قدم رسول الله ﷺ وليس رجلاً إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا فلان، فيقولون : مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد : كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره كأنه يقول له : يا يهودى يا نصرانى، فنزلت الآية، وقال قتادة : وقول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق . قال تعالى :

﴿ يَسْأَلُ الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ يقول ابن زيد أى بئس أن يسمى الرجل كافراً أوزانياً بعد إسلامه وتوبته . . وقيل : من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق . أما بعض الصفات التى يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها . وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول : حميد الطويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصغر، فقال : إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به .

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التى نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال فى مثل هذه المعاييب بأنه وقع فى

وقد نصت الآية على النساء كذلك وأفردتهن بالذكور فى النهى عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيراً منهم «فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه» ولذا نص عليهم فيقول :

﴿ وَلَا فِسَاءَ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسى أَن يَكُنْ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ .

وقد جاء فى سبب نزولها أن امرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصرها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقال عائشة لحفصة رضى الله عنهما : انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه سخريتها . وقال أنس وابن زيد : نزلت فى نساء النبى ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر . وقيل : نزلت فى عائشة أشارت بيدها : يا بنى إنها لقصيرة، تعنى صفية بنت حبي - رضى الله عنها - وقال عكرمة عن ابن عباس : إن صفية بنت حبي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن النساء يعيرننى فأنزلت هذه الآية . .

وقد نهى الله - تعالى - كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيراً باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة .

وأما الهمز فيكون باللسان . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ويدل هذا التعبير

الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضاً، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغي أن يعيب غيره، فالمؤمنون

الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى :

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَنْبَأْ أَوْلِيَّكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وإذا

كان التناوب بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفى له ود أخيه، يقول عليه الصلاة والسلام : « ثلاث يصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيتَه وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه »^(٨).

ومثال النوع الثاني وهى الرذائل الباطنة التى تتعلق بالقلب والشعور : (ظن السوء) وقد حذر الله - تعالى - من الظن فى قوله :

﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾^(٩).

وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبو عبد الله القرطبى فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ اغتابا رفيقهما، « وذلك أن النبى ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيهىء لهما شيئاً فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما فقالا له : انطلق فاطلب لنا من النبى ﷺ طعاما وإداما فذهب فقال له النبى ﷺ : إذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعام

فليعطك . وكان أسامة خازن النبى ﷺ فذهب إليه فقال أسامة : ما عندى شيء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل، ثم بعث سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة - وهى بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير - لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فراهما النبى ﷺ فقال : مالى أرى خضر اللحم فى أفواهكما؟ فقالا : يابى الله والله ما أكلنا فى يومنا لحماً ولا غيره، فقال : ولكنكما ظللتما تاكلان لحم سلمان وأسامة » فنزلت الآية :

﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾.

وجاء فى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »^(١٠) .. والظن الذى تحذر الآية منه هو : الظن الذى يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجهه .

ومن الرذائل المنهى عنها « التجسس » وهو البحث عما يكون خفياً عن الإنسان كمن يتهم إنساناً بفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً دون أن يبدو له ما يقتضى ذلك أو أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه، كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرماً، هذا بخلاف من عرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصى فلا يكون الظن به محرماً .

(٩) سورة الحجرات آية (١٢).

(٨) رواه الحاكم والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان.

(١٠) رواه البخارى ومسلم.

عوف: حرس ليلة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج فى بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى:

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفارة الغيبة

ومن الرذائل المنهى عنها الغيبة قال الله - تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبة: ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله قال «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» (١٢).

وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون فى أعراضهم» (١٣). وقد صور

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة، وذلك لأن مجرد التهمة يكون سببا فى البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو ما لا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهى الغيبة وهكذا.

وينقى الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاقم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغى الحاكم الريبة فى الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجها السيئة التى لا تقتصر على الآخر فحسب، بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم فى الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته» (١١). ولذلك أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.

فقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمة، فكانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس وحتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبدالرحمن بن

(١٢) رواه مسلم.

(١١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

(١٣) رواه أحمد وأبو داود.



القرآن الكريم صاحب الغيبة فى هيئة مستقدرة،
وصورة تدل على خسة الطبع ودناءة النفس
وفساد القلب، قال تعالى:

﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مِمَّا فَرَغْتُ مَوْتُهُ﴾

فصور الله - تعالى - الغيبة بأكل الميتة لأن
الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحى لا يعلم
بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول
ﷺ للغيبة: روى أبوهريرة - رضى الله عنه - أنه
حين جاء ما عر إلى النبى ﷺ فشهد على نفسه
بالزنا فرجمه الرسول ﷺ فسمع نبى الله رجلين
من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا
الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم
رجم الكلاب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة
حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين
فلان وفلان؟» فقالا: نحن يارسول الله، قال:
«انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يانبى
الله ومن يأكل هذا؟ قال: فما نلتما من عرض
أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسى بيده
إنه لفى أنهار الجنة ينغمس فيها» (١٤)!!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر، قال رسول الله
ﷺ «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم
حرام» (١٥). واتفق العلماء على أنها من الكبائر
تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل
يستحل المغتاب أم لا؟!

١- فقال بعض العلماء: ليس عليه
استحلاله، وإنما هى خطيئة بينه وبين ربه، واستدل
أصحاب هذا رأى بأنه لم يأخذ شيئا من ماله،
ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس فى ذلك
مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون فى
المال والبدن.

٢- وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة
مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذى
اغتابه، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن:
كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣- وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة
مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها،
واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخارى من
حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال:
قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة
لأخيه من عرضه أو شيء فليتحللله منه اليوم
قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له
عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم
يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه
فحمل عليه» (١٦).

والذى نرجحه: هو رأى الثالث القائل بأن
على الذى اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث
البخارى، فهو يدل على التحليل، وحديث
الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن
التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو
من قبيل العفو قال تعالى:

(١٥) رواه البخارى ومسلم.

(١٤) رواه أبو داود.

(١٦) رواه أحمد والبخارى.



المؤمن ونفى كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه، وتحتم احترام المسلم لأخيه، ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه في نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادئ لتكريم الإنسان المسلم فإن الله - تعالى - قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدوداً تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل أن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوباً وقبائل التعارف المثمر الذى يكمل بعضهم بعضاً فى إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم فى اللون أو اللغة أو المال أو القوة سبباً للتمييز والتعاضد، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولاً للتكريم أو قواعد للتعظيم، وإنما جعل المعيار الحقيقى الذى توزن به منازلهم منحصر فى شىء واحد هو « تقوى الله »..

قال الله تعالى :

﴿يَتَأَيَّمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٩).

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١٧).

اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجبر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

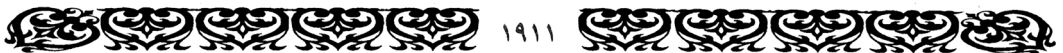
وأما الرأيان الثانى والأول: فنرى أن أصحاب الرأى الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا فليس فى ذلك مظلمة، والحق: أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه، وذلك ليس فى البدن ولا فى المال، فهذا دليل على أن الظلم فى العرض والبدن والمال، وأما الرأى الثانى القائل: أنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم « مظلمة » يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له، وهذه الأحكام سارية فى سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفساق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة فى حقهم فإن من ألقى جلاباب الحياء فلا غيبة له، بل إن ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال رسول الله ﷺ: « اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذر الناس » (١٨) وإذا كانت واجبات الأخوة فى الدين تقتضى تكريم

(١٨) رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والطبرانى.

(١٧) سورة الشورى آية (٤٠).

(١٩) سورة الحجرات آية (١٣).





التشاور الإسلام بعد السيف بين الحقيقة والافتراء

تأليف
د/ نبيل لوقا بياوي



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين





المشكلات، فرأى أن أخطر مشكلة فاجأت الصديق كانت مبادرة كثير من القبائل العربية بالارتداد عن الإسلام، أو رفض فريضة الزكاة، أو محاولة الانفصال عن القيادة المركزية في المدينة المنورة، فلما انتفض الخليفة في حزم وحسم لمقاومة هذا... عدّه بعض المستشرقين إكراها من الصديق للناس على الإسلام.

ولكن تأملات الدكتور نبيل في الأحداث التي وقعت في شبه الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول ﷺ هدته إلى: أن تلك الأحداث كانت متباينة، وإن كانت متفقة في الخروج على السلطة المركزية في المدينة، وأن السبب الذي أدى إلى ذلك كله يرجع إلى أن غالبية القبائل العربية لم يمض على دخولها في الإسلام أكثر من عامين اثنين، لم تستطع في أثناءهما التخلص من تسلط الزعماء والسادة السابقين، ولم يستطع هؤلاء الزعماء والسادة التخلص من حب السيطرة والتسلط الذي هيمن عليهم أزماناً طويلة، ولم يستطع هؤلاء وأولئك أن يتخلصوا من فكر الجاهلية ومعتقداتها.

وإن بعض القبائل كانت تعتقد أن ارتباطها بالدولة الإسلامية ليس ارتباطاً بدولة مركزية، وإنما هو ارتباط بشخص محمد ﷺ، قائم على الإعجاب به، أو على التهيب منه، فلما توفي ﷺ حاولوا الانفصال عن الدولة الأم، والتمرد عليها لتكوين دولة خاصة، حتى إن بعض تلك القبائل - حين علموا بوفاة الرسول ﷺ، وضعف جيش المسلمين الموجود في المدينة لخروج أسامة بن زيد بقوات المسلمين إلى الشام - طمعوا في مهاجمة المدينة، وغزوها للتخلص من سلطة قريش.

وإن بعض القبائل - وإسلامها حديث - لم تكن على وعى بحقيقة الزكاة المفروضة على المسلم،

بتأملاته المتأنية والمتعلقة.. استعرض الدكتور نبيل لوقا أبرز الأحداث والمعارك التي وقعت في حياة الرسول محمد ﷺ، بحثاً عن دور السيف في انتشار الإسلام، فما عثر على أثر للسيف في نشر الإسلام، بل وجد السيف مقصوراً على الدفاع عن النفس، أو الدفاع عن الأرض، أو درء التحالف على العدوان، أو مجازاة نقض العهد.

وفي أثناء تلك التأملات التفت الدكتور إلى ما ارتكز عليه بعض المستشرقين في أمر الجزية، حيث موهوا حقيقتها، وجعلوها وسيلة إكراه على الدخول في الإسلام، فرأى الدكتور أن الجزية لم تكن وسيلة إكراه، ولا أسلوب عقاب ينزله المسلمون بمن لا يعتنق الإسلام، ولكنها كانت ضريبة دفاع وطني، تفرض على كل من يستطيع حمل السلاح، إذ سماحة الإسلام وعدالته اقتضت أن لا يفرض على المعاهدين من غير المسلمين الانضمام إلى الجيش الإسلامي، حتى لا يفرض على غير المسلم أن يدافع عن الدعوة الإسلامية، ولكن عليه أن يقدم قدراً من المال يناسب حالته المالية في مقابل تأمينه، والحفاظة عليه.

ثم التفت إلى دعوى محدودية الإسلام، وزعم أنه مقصور على العرب، فرأى على ضوء تأملاته: أن الأدلة الواقعية والعقلية، والنصوص القرآنية تقرر - في وضوح وجلاء لا ينكره إلا ضال أو مضلل - عالمية الإسلام وعموميته.

وحروب الردة لم تكن إكراها على الإسلام

وبوفاة الرسول ﷺ، وتولى أبي بكر - رضی الله عنه - خلافة رسول الله ﷺ انتقل الدكتور نبيل بتأملاته إلى ما ووجه به الحاكم الجديد من مشكلات، بحثاً عن الكيفية التي عالج بها تلك



وحرب الفرس والروم

وواصل الدكتور نبيل تأملاته الجادة المتأنية، فالتفت إلى ما حدث بعد أن استعاد الصديق هبة الدولة، وكبح جماح المتمردين وناقضى العهود والمواثيق، فوجد أن الصديق - رضى الله عنه - لم يكذب يستنشق أنسام الاستقرار، ويفرغ لأمر الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة - حيث بدأ بتشكيل لجنة لجمع القرآن الكريم فى مصحف واحد - حتى جاء أحد قواد القبائل العربية فى العراق - وهو المثنى بن حارثة الشيباني - ممثلاً لقبائل بنى بكر، وبنى شيبان، وبنى محجل، معلناً إسلام تلك القبائل، وطالبا من الصديق مساعدتهم فى الخلاص من سيطرة الفرس واستعمارهم إياهم، فلم يستطع أبوبكر إلا تلبية طلبهم، والنهوض لمعاونتهم ومناصرتهم، فأرسل خالد بن الوليد على رأس ألفين من المسلمين إلى العراق، وانضم إليهم ثمانية آلاف من قبائل ربيعة ومضر، وفى البصرة انضم إليهم سائر القبائل العربية التى طلبت الدعم بزعامة سويد بن قطبة، فانتهت المعركة بهزيمة الفرس، وفرار قائدى الجيش الفارسى .

ومع محاولة الفرس استعادة هيبتهم، واسترداد مستعمراتهم... توالى الحرب بين الفرس والمسلمين، وكلما هزم الفرس فى موقعة انسحبوا ليتجمعوا من جديد فى محاولة لاسترداد هيبتهم، ولكن الهزائم ظلت تلاحقهم، حتى إذا ما تم خضوع بلاد الفرس جميعها لسلطان المسلمين، وظن المسلمون أنهم مقدمون على مرحلة من الاستقرار ليتفرغوا لأمر الدعوة.. فوجئوا بتحريك الروم فى الشام بجيش كبير يزيد على مائة ألف مقاتل، ظناً منهم أن

فكانت تظن أن الزكاة دليل تبعية، فإيتاء الزكاة مرتبط بمحمد ﷺ ووجوده، فلما توفى الرسول ﷺ خرجوا من تلك التبعية، فطردوا عمال الزكاة الذين كان محمد ﷺ قد عينهم، وأعلنوا رفضهم تقديم الزكاة .

وأن ارتداد بعض القبائل لم يكن عودة إلى الوثنية، ولكنه كان انخداعاً فى أناس ادَّعوا النبوة، وتعصبوا لهم .

فلم يكن أمام أبى بكر - رضى الله عنه - خليفة محمد ﷺ إلا أن يواجه تلك التحركات المتمردة بالحزم الحاسم، ليحافظ على هبة الدولة، وليقضى على تلك الفتنة فى مهدها، من غير هوادة ولا تردد .

فحروب الردة - كما أطلق على تلك الحروب - لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف، ولكنها حروب قصد بها الحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية، فقد نشبت بسبب تمرد بعض القبائل على الحكومة الجديدة، ونقض بعضها للعهد والمواثيق المبرمة بينها وبين الرسول ﷺ قبل وفاته .

وما صنعه أبوبكر مع هؤلاء المتمردين والمنشقين هو نفسه الذى تصنعه اليوم أى حكومة مركزية فى العالم مع من يتمرد عليها، أو يخرج على النظام العام فيها.. فلا صلة لذلك بنشر الإسلام كما يزعم المستشرقون ويتوهمون .

بل إن أبى بكر لو لم يصنع ذلك لكان غير جدير بتولى منصب خليفة محمد ﷺ، ولما استحق أن يختاره المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ، ولا استحق أن يبايعه المسلمون على القيام بأعباء الدولة، والحفاظ عليها، والإبقاء على توازنها .



والتقشف - وبين ظلم الروم البيزنطيين في فرض الضرائب الباهظة عليهم، وحياتهم المفعمة بالفساد واللهو.. جنحوا إلى الدخول تحت عباءة الدولة الإسلامية عن اقتناع.

وتبين أن مما سهل على العرب فتح ولايات الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية.. ما كان بين أهل هذه الولايات وبين العرب المسلمين من صلة الجنس، وتقارب اللغة، وصلات التجارة.

بينما كانت علاقة هذه الولايات العربية بتلك الدولة الرومانية لا تخرج عن علاقة العبد بالسيد، خصوصاً في ظل الحكم الروماني الجائر الذي يعتمد على العنف، وفرض الضرائب الباهظة التي تثقل كاهل الناس، والذي يغذى الانقسامات الدينية ذات التعصب الأعمى.

فلم يكن أمام أهل تلك الولايات إلا أن يرحبوا بحكم العرب المسلمين الذي خلصهم من الحكم الروماني الجائر، واستبداد الكنيسة البيزنطية في فرض اعتقاداتهم اللاهوتية عليهم بقوة السلاح، على الرغم من مخالفتها لاعتقادات هؤلاء العرب اللاهوتية المسيحية.. في حين وجدوا أن المسلمين يبيحون لغير المسلمين من يهود، ومسيحيين، وزرادشتيين، وصابئة - أن يتدينوا بما يرضيهم وما يرضونه لأنفسهم من دين، ويسمحون لهم أن يمارسوا طقوسهم الدينية بحرية، ويتولون تأمينهم وحمايتهم في مقابل دفع الجزية.

وساعد على الترحيب بالعرب المسلمين.. ما آل إليه أمر الدولة الرومانية في ذلك الوقت من ضعف وانحطاط نتيجة الثورات والفتن التي انتشرت في أواخر عهد (جستينيان) إلى وفاة هرقل.

المسلمين قد أرهقتهم حروب الفرس، وأن الفرصة أصبحت مهيأة لهم ليقوعوا بالمسلمين هزيمة يتمكنون بها من الاستيلاء على بلاد العرب وبلاد الفرس معاً، فاضطر أبوبكر لتجميع القوات الإسلامية في جيش واحد، بقيادة خالد بن الوليد، الذي تمكن من إحراز الانتصار الحاسم على القوات الرومية في موقعة اليرموك، فتنفس عرب الشام وعرب العراق أنفاس الحرية، ومن لم يدخل في الإسلام منهم دخل في عقود الأمان مع المسلمين التي ضمنت لهم حرية مباشرة عقائدهم الدينية، وكفالة العيش، والتأمين عند العجز والشيخوخة والفقر، حيث أصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية، التي التزمت بأن تكون مسئولة عن كل رعاياها.

وعندما توفي الصديق.. حاول الفرس من جديد أن يستعيدوا سلطانهم على ما كان خاصاً لهم من بلاد العرب، فاضطروا المسلمين ثانية إلى معاودة حربهم، ودفعهم عن بلاد العرب، وحماية من دخلوا في عهدهم وذمتهم من عرب البلاد العراقية، وانضم إلى القوات الإسلامية بعض القبائل العربية النصرانية، حيث كانت معركة القادسية التي انتهت بهزيمة الفرس.

وقد صنع الروم ما صنعه الفرس من معاودة الكرة على المسلمين في بلاد الشام التي أخرجوا منها، ولم يتوقف الفرس والروم عن محاربة المسلمين إلا بسقوط دولتيهما.

ومن تأملات الدكتور نبيل تبين أن انتصار المسلمين في موقعة اليرموك وأجناديين كان وراء احتفال جميع مدن الشام بانتصار المسلمين على الروم، فبعد أن قارنوا بين عدل المسلمين - في تعاملهم، وأسلوب حياتهم الملتزم بالجد والزهد

المصريون بين الروم الكاثوليك والعرب المسلمين

ولم يغيب عن الدكتور نبيل أن يرصد - فى هذا السياق - موقف الشعب المصرى القبطى المسيحى الأرثوذكسى من الروم البيزنطيين، فرأى كيف كان هذا الشعب يعانى من شدة الفقر، والاضطهاد الدينى فى ظل سيطرة الإمبراطورية البيزنطية، حيث كانوا يفرضون عليهم الضرائب الباهظة، ويستولون على الحاصلات الزراعية لإرسالها إلى بيزنطة، وكيف كانوا ييغضون المصريين بسبب عنادهم ورفضهم الدخول فى المسيحية الكاثوليكية، وإصرارهم على البقاء على مسيحيتهم الأرثوذكسية.

ودعم رؤيته تلك بذكر الصورة التى رسمها المؤرخ (ملن) فى كتابه (تاريخ مصر فى عهد الرومان) حيث قال: إنهم فرضوا ضرائب على الرؤوس من الأقباط - أى على كل نفس حية - وعلى الحيوانات، والمنازل. وأكثر من ذلك فرضوا ضرائب على الأثاث الموجود داخل المنازل، بالإضافة إلى الضرائب العادية، بل لقد فرضوا ضرائب على الموتى، بحيث لا يدفن ميت، ولا يصرح بدفنه إلا إذا دفع أهله ضريبة الموتى.

ولذلك.. سارع المقوقس حاكم مصر إلى توقيع معاهدة الأمان مع عمرو بن العاص، حيث فر البيزنطيون إلى الإسكندرية، ثم أجبروا على الخروج منها عائدين إلى بلادهم.

وحظى المصريون - مع تلك المعاهدة التى كفلت لهم أمان الإسلام - بتلك الخصوصية التى

صرح بها محمد ﷺ فى أحاديث عديدة، منها: ما روته أم المؤمنين، أم سلمة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال عند وفاته: «الله فى قبض مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله»^(١)، وما روى عن أبى عبد الرحمن الجبلى أن رسول الله ﷺ قال: «فاستوصوا بهم - يعنى قبط مصر - خيراً، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله»^(٢)، وما روى عن كعب بن مالك الأنصارى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»^(٣).

وفى مقابلة هذه الصورة المبهجة قدم الدكتور إجمالاً لصورة المصريين تحت حكم الرومان البيزنطيين، حيث رأى ما أنزله هؤلاء الرومانيون بالمصريين المسيحيين منذ سنة ٦٨م من اضطهاد وتعذيب تشيب لهوله الولدان، فكانوا يلقونهم فى النار أحياء، أو يكشطون جلدهم بآلات خاصة، أو يغرقونهم فى الزيت المغلى، أو يصلبونهم ورؤوسهم منكسة إلى أسفل ويتركونهم أحياء على الصليب حتى يهلكوا جوعاً... إلى غير ذلك من وسائل التعذيب التى صبت على أكثر من مليون مسيحى، والتى ذكر منها الدكتور نبيل طائفة منها، والتى كانت سبباً فى تسمية تلك المرحلة (عصر الشهداء).

ولذلك لم يكن غريباً ولا شاذاً أن يتنفس المصريون الصعداء، ويستشعروا الراحة والأمان والحرية فى ظل العهد الإسلامى الذى كفل لهم الحياة

(٢) مجمع الزوائد ٦٣/١٠.

(١) الطبرانى ٦١/١٩.

(٣) السيوطى (طب ك) عن كعب بن مالك.

أوروبا على يد (مارتن لوثر) قاومت الكنيسة الكاثوليكية أتباع هذا المذهب بكل ما أوتيت من قوة، وعرف تاريخ الاضطهاد بين الكاثوليك والبروتستانت مذابح بشرية رهيبة، من أهمها مذبحة باريس في ٢٤ من أغسطس سنة ١٥٧٢م، حيث استضاف الكاثوليك قادة البروتستانت في باريس للبحث في تسوية تقريب وجهات النظر بين الكاثوليك والبروتستانت، فما كان من الكاثوليك إلا أن سطوا على ضيوفهم البروتستانت في ظلمة الليل وقتلهم جميعاً، حتى جرت دماؤهم في شوارع باريس، وبدلاً من استنكار هذه الجرائم.. انهالت التهاني على (تشارلز) التاسع ملك فرنسا من بابا الفاتيكان، ومن ملوك الدول الكاثوليكية على نجاح هذه المجزرة البشرية.

ولكن المستشرقين يأبون إلا الاستسلام لتعصبهم العنصري الأعمى، ويغمضوا أعينهم عن سماحة المسلمين في تعاملهم مع مخالفينهم في الدين، ويغمضوا أعينهم، ويصموا آذانهم عن غدر الكاثوليك بأهل ملتهم، ووحشية صنيعهم مع من ذهب من المسيحيين مذهباً يخالفهم.

مجتمع السماحة والأمان

ولو أن هؤلاء المستشرقين جردوا أنفسهم من الغرض الجائر، وتخلصوا من التعصب الأعمى... لرأوا أن المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على عقيدة وفكرة أيديولوجية خاصة بها، ينبثق نظمه وأحكامه من هذه العقيدة - أو الفكرة الأيديولوجية - وهي الإسلام. وهذا معنى تسميته بالمجتمع الإسلامي، فهو مجتمع اتخذ الإسلام منهاجاً لحياته، ودستوراً لحكمه، ومصدراً لتشريعته في كل شؤون الحياة.

الإنسانية الحقّة، الخالية من القلق والاضطهاد والخوف، والمعانة المرهقة.

فالمسيحيون - في مصر - الذين تلقوا أشكال العذاب بكل صنوفه على يد الرومانيين المسيحيين الكاثوليك.. هم أنفسهم الذين أظلمهم المسلمون بالحماية والأمان، والحرية العقديّة، والفكرية، حيث أصبح لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، فانطلقوا يمارسون عباداتهم، ويجددون كنائسهم، ويضيفون إليها ما يحتاجونه من كنائس جديدة.

وبلغ التسامح والمساواة الإسلامية أعلى درجاته.. حين ضرب ابن عمرو بن العاص ابن القبطي بالسوط قائلاً: «أنا ابن الأكرمين»، فلما ذهب أبوه إلى عمر ابن الخطاب في المدينة شاكياً، استدعى الخليفة عمرو ابن العاص وابنه من مصر، وأعطى السوط ابن القبطي، وقال له: «اضرب ابن الأكرمين» ثم استدار إلى عمرو قائلاً: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!»

ليت كاثوليك باريس أقادوا من سماحة الإسلام

والتفت الدكتور نبيل إلى أن هذه الانتصارات المتوالية لم تخدع المسلمين، فلم يستسلموا لنشوة الانتصارات، ويفرضوا الإسلام على غير المسلمين، ليقينهم أن ذلك يخالف أحد مبادئ الإسلام الأصيلة، فليس في مقدور أي قائد من المسلمين أن يخالف نصوص القرآن في أي زمان، وأى مكان.

وأن الإسلام لم يحاول إفناء أصحاب الديانات الأخرى، أو إرغامهم على الدخول في الإسلام بالإكراه.. على عكس ما صنعتها الكنيسة الكاثوليكية - بعد ذلك بزمان طويل - مع البروتستانت، فحينما ظهر المذهب البروتستانتي في



ولا ريب فى أن أمثال هؤلاء الأئمة - فيما قرروه - يترسمون خطي الرسول ﷺ فيما قرره فى قوله: «من آذى ذمياً فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله»^(٥).

ويتساءل الدكتور نبيل قائل: فأى حماية لأصحاب الديانات الأخرى تضارع تلك الحماية؟! ويواصل مقررًا: تلك هى سماحة الإسلام، تكفل لأصحاب الديانات الأخرى من الحماية ما لم يكفله أى قانون أو مذهب آخر، وهذا يعنى: أن لا عبرة بما قد يصدر من بعض المنتسبين للإسلام من ممارسات تخالف ما جاء به الإسلام، فهؤلاء - فى ممارساتهم التى تسمى إلى أهل الديانات الأخرى - لا يختلفون عن ذلك الذى ينتسب إلى الإسلام ويمارس من الرذائل ما نهى عنه الإسلام من معاقرة الخمر، وأكل مال الآخرين بالباطل.. إلى غير ذلك من المحرمات الإسلامية.

فالإسلام كما يبرأ من هذه يبرأ من تلك، ولا يصح بأى حال نسبة مثل تلك الممارسات إلى الإسلام، ولا أخذ جمهور المسلمين بها.

ولم يغب عن الدكتور نبيل أن يسلط تأملاته الجادة على ما أصاب الأمة الإسلامية من تمزق فى أخريات عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، فوجد أن السبب فى ذلك يرجع إلى ما بثه شياطين الإفك، وجماعة المنافقين من فتن جرّت جمهور المسلمين إلى خلافات سياسية أو مذهبية لا تمت إلى الإسلام بأى صلة.. شغلت الكثيرين منهم عن مواصلة الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة

ومن أهم أسس الإسلام فى مجتمعه.. أن يضم هذا المجتمع المسلمين وغير المسلمين، وأن تقوم العلاقة بين عناصر هذا المجتمع - مسلمين وغير مسلمين - على التسامح، والعدالة، والبر، والرحمة، والمحبة... دون أن يكون للاختلاف فى الدين، أو فى الفكر، أو فى المذهب، أو فى الجنس، أو فى اللون أى أثر فى تلك العلاقة، تحت شعار كبير واضح محدد، له مصداقيته:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٤).

وهذه العلاقة التى جعل منها الإسلام حبلًا يعتصم به كل عناصر المجتمع.. تجاوزت النظرية إلى التطبيق العملى، حيث قامت عليها العلاقة بين عناصر المجتمع الإسلامى المختلفة، وبدت واضحة فى سلوك عمر بن الخطاب يوم فتح بيت المقدس، حيث شارك أهل الكتاب مآكلهم، ولم يتحرج من أكل ذبائحهم ولا من مصاهرتهم، والتزوج من نسائهم المحصنات، ولا من مخالطتهم والحياة معهم فى مودة ورحمة، حتى لقد كان - رضى الله عنه - يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة، خشية أن يكون أحد المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: إنهم يعاملون بمقتضى العهد والعقد الذى بينهم وبين المسلمين.

وقد وضع ذلك بينا فى كتب الفقه الإسلامى، فذكر ابن عابدين المتوفى سنة ١٨٣٦م: «إن ظلم الذمى أشد من ظلم المسلم إثمًا»، وعلل ذلك بأن ظلم القوى للضعيف أعظم فى الإثم.

(٤) البقرة (٢٥٦).

(٥) أخرجه السيوطى عن ابن مسعود بلفظ: «من آذى ذمياً فأننا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة».





الإسلام وزر أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، وتوالى صراخ شياطين الفتن من هنا وهناك، تعلن - بكل وسائل الدعاية والإعلان - أن الإسلام دين عنف، يحرض معتنقيه على العنف، حقداً على الحضارة الغربية الحديثة، وبغضاً لها، وتدعم هذه الدعاوى الباطلة بالزعم الاستشراقى القائل: إن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف .

وكأنى بالرجل - وقد بذل هذا الجهد فى النظر والتأمل والبحث والتحليل ليقف على حقيقة الإسلام فى ماضيه وحاضره - تفسيراً لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦).

فاعتزاز النصرانى بمسيحيته، وتمكنه من مبادئها، وإخلاصه نفسه لها، يقبه خطل الجهل، ويمنحه القدرة على البحث عن الحقيقة، والقوة على إحقاق الحق وبسطه، مهما كلفه ذلك من عنت المتعصبين، وكيد الكائدين .

وهذا... الذى يعلنه ذلك الكتاب - فى مضمونه، ومسيرة البحث فيه، والتزام الجدية المحايدة فى نظراته - فلم يدفعه التعصب لأهل ملته إلى التزوير والتزييف والمغالطة التى تسود كتابات الكثرة من المستشرقين، فكان قوَّاماً بالقسط، شهيداً به .

بيد إن النظر الناقد للكتاب يلفتنا إلى بعض الهنات التى أرجوا أن يتلافها الأستاذ الدكتور فى

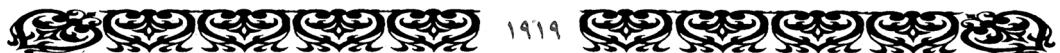
الحسنة، والمجادلة بالتي هى أحسن، بل فعلت فعلها فى تقطيع أواصر العلاقات الوثيقة بين المسلمين بعضهم مع بعض . مما أطمع الروم المقيمين بالإسكندرية، فأرسلوا إلى الإمبراطور (قسطنطين بن هرقل) يهونون عليه فتح الإسكندرية، فأرسل جيشاً بيزنطياً استولى على الإسكندرية، ففزع الأقباط الأرثوذكس من ذلك، وخشوا أن يعود الروم بويلاتهم إلى مصر، فيقعوا فريسة الاضطهاد والانتقام، والقهر الذى طالما عانوا منه، فأرسلوا إلى عثمان بن عفان يستنجدون به، راجين أن ينقذهم من بطش الروم الكاثوليك، فأرسل عمرو بن العاص على رأس جيش استطاع به أن يدحر الروم، ويوقع بهم هزيمة منكرة، اضطرتهم إلى الفرار من الإسكندرية ثانية .

من كل ما يقطع: أن الأقباط الأرثوذكس فى مصر كانت مصلحتهم وأمنهم فى التعايش مع العرب المسلمين، وليس مع الروم المسيحيين الكاثوليك الذين أذاقوهم شتى ألوان العذاب .

وأن المسلمين - بإسلامهم - ما جنحوا إلى الحرب إلا دفاعاً عن النفس، أو عن الأرض، أو عن الدعوة، موقنين أن مبادئ الإسلام وسماحته كفيلة بإغراء الناس على الدخول فيه، دون الحاجة إلى القهر والإكراه بالسيف أو بغير السيف .

أقربهم مودة للذين آمنوا

وبعد... فالكتاب كلمة حق، نطق بها رجل مسيحي أرثوذكسى، على أعلى مستوى ثقافى وفكرى، دفعه اعتزازه بمسيحيته أن يعلنها، فى وقت تداعت القوى السياسية الغربية لتحمل





٣- ورد بالكتاب ترتيب الخيارات التي يبذلها المسلمون لأعدائهم على النحو التالي: «إما القتال، أو الإسلام، أو الجزية» ص ١٢٨، وتكرر ذلك في مواطن عديدة من الكتاب، مثل ص ١٣٤، ص ١٣٧، ص ١٤٠، ص ١٤٧، ص ١٥٢، ص ١٦١ والصواب أنها: الإسلام أو الجزية أو القتال، على ما رواه الإمام الشيرازي، عن بريدة - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على جيش أو سرية قال: «إذا أنت لقيت عدوا من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الدخول في الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... وإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم، ثم قاتلهم» (٧).

وقد علق الإمام الشيرازي على ذلك قائلا: وذلك تنبيه إلى أن المسؤولية تحتاج إلى التبليغ أولاً، فتبليغ الدعوة لابد من أن يسبق القتال، مصداقا لقوله تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٨).

وأيا ما تكن قيمة هذه الهنات، فهي هنات لا تؤثر في قيمة الكتاب وأهميته، ولا تنتقص من إخلاص الدكتور نبيل وحيادته، ولولا حرصى على تخليص الكتاب من الشوائب لأغمضت العين عنها: لأن عين الناقد بصيرة، ولا أملك إلا أن أهنيء الدكتور نبيل على إفادته من عقليته العلمية، وصفاء نفسه، وترفعه على الأغراض العنصرية... تلك التي قادته إلى هذه النتائج المتجردة عن التعصب الأعمى البغيض، وارتفعت به عن التكبر والمكابرة الضالة.

طبعته التالية، إذا اقتنع بها، كى تصح بها عباراته، كما صحت مضامينه.

وكان من أبرز تلك الهنات:

١- كثرة الأخطاء المطبعية والنحوية التي قد تجهد بعض متلقى الكتاب، وتعكس المقصود بالعبارة، مثل عبارة: «وهل كان لأصحاب الديانات الأخرى خيارات في عدم دخول الإسلام أما أن الإسلام يفرض بحد السيف» ص ٢٩، ولا ريب أن المقصود (أم)، وليس (أما).

ومثل: «ومنطقة الحجاز بها أهم قريتان، مكة ويثرب» ص ٣٤، والمراد: أهم قريتين،

ومثل: «سالت المسلمين، وتعهدت أن تكون عوناً لهم، وأن تقاتل معهم في معاركهم شريطة ألا تأخذ الجزية» ص ١٣٨، والصواب: شريطة ألا تدفع الجزية.

ومثل: «روى ابن أبى شيبه عم جابر بن يزيد» ص ١٣٩، والصواب: روى ابن شيبه عن جابر.

٢- كثرة الأخطاء في أسماء الأعلام مثل: «النعمان بن مقرن» ص ١٣٤، ص ١٣٦، والصواب: النعمان بن مقرن.

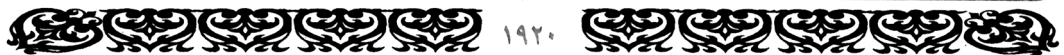
ومثل: «مدينة جولاء» ص ١٣٥، والصواب: جولاء.

ومثل: «عياض بن غنيم» ص ١٣٥، والصواب: عياض بن غنم.

ومثل الخطأ في انتماء قاتل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث جاء فى ص ١٣٩: «لقد طعن الخليفة عمر بن الخطاب من أحد الرجال المسيحيين من أهل الذمة... هو أبولؤلؤة الجوسى»، ولا ريب أن الصواب: من أحد الرجال المجوسيين.

(٨) الإسراء (١٥).

(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الجهاد رقم (٣).





للدكتور / عبد الحليم عويس

● فى موجات التّية ينقلب الظلام نوراً، والنور ظلاماً، ويصبح المحتلّ صديقاً، والأصيل المنتمى غربياً وشاذاً ومحروماً.. إن لم يكن مرفوضاً، وتنقلب المفاهيم والدلالات.

● وكان من أكبر مظاهر التّيه والضياع ما حاوله بعضهم من محاولة الاحتفاء والاحتفال بالحملة الفرنسية التدميرية على مصر سنة ١٧٩٨م.. والزعم بأنها بداية التحديث والعلمنة والتطور!!.. نعم التحديث بوضع سليمان الحلبي على الخازوق، ونشر الفساد بل والانحلال الرسمى بين سيدات المجتمع، ومداومة الأزهر بالخيول، وقهر العلماء والوطنيين، وإشاعة الفرقة الطائفية بين أبناء الوطن الواحد.. إلى غير ذلك من صور التدمير الفرنسية المعروفة فى كل البلاد التى وقعت فريسة الاحتلال الفرنسى البغيض!!

● وإذا علمنا أن كثيرا من أمراضنا الحضارية المعاصرة، وكثيرا من معاركنا الداخلية بين شرائح المفكرين والمثقفين تعود إلى ضباب الرؤية، وعدم تحديد المصطلحات تحديداً علمياً، ومحاولة كثير من المغتربين عن دين الأمة وحضارتها أن يتلاعبوا بالمصطلحات، وأن يروجوا لها ترويجاً مبتذلاً دون ضبط وتقنين، وأن يقدموا- فى كثير من الأحيان. المصطلحات بطريقة تدميرية لا صلة لها بحقيقة المصطلح ولا تأثيره الموضوعى.. إذا علمنا ذلك تأكد لنا أن الجهد الذى سوف نبذله مهما كان كبيراً يستحق أن تضحى فى سبيله بالكثير.. وهذا الجهد يتصل بضرورة ضبط المصطلحات ضبطاً معجمياً ومجمعياً معاً.

● لقد أصبحت مصطلحات مثل (النهضة) و(التقدم) و(الحداثة)- أو (التحديث)- أو (العصرية) و(التنوير)- أو (الحضارة)... تستعمل بإسراف من العامة أو الزورين لحضارة

المفاهيم

الحضارية

ين

الأصيل

العلمى

والتضليل

التعريفى



أو المجلات الأسبوعية أو الدورية، أو الكتب- غير العلمية أو الأكاديمية والأجهزة الإعلامية هي المجال الخصب لهذه الجرائيم الخداعية الاصطلاحية التي تنفذ إلى عقول الناس- مع اختلاف مستوياتهم الثقافية- ومع انعدام الحصانة الفكرية لدى أكثرهم...!!

- وبعدّ (المجال التاريخي والحضارى) من أهم المجالات التي توجه إليها جهود كبيرة من التضليل والخداع التي يتنفس الناس هواءها، وتزكمهم روائعها فى كل يوم على المستوى الإعلامى والفكرى!!

● وكما ذكرنا سلفاً فإن كلمات مثل (التحديث) و(التقدم) و(التحضر) و(النهضة) و(السلام) تستعمل بامتهانٍ شديد، ودون وعى بحقيقتها، أو فحص دقيق لدلولاتها الاصطلاحية الدقيقة!!

- وفى جريدة الأهرام القاهرة كتب الأستاذ (غالى شكرى) سلسلة مقالات تحت عنوان: « قرن من التحديث »، مع أن كل ما فى مقالاته لا علاقة له بالتحديث، بل هو ضدّ التحديث والإقلاع الحضارى الصحيح الذى بحثه وكتب فيه (كلّ) فلاسفة التاريخ، بدءاً من ابن خلدون، وانتهاءً بأرنولد توينبى واشبنجلر ومالك بن نبي(!!)..

- إن الكاتب لم يفعل سوى أنه قام بالخداع المصطلحى فوضع مصطلح (التحديث) مكان مصطلح (التغريب) أو مصطلح (العلمنة) أو (الأوربة)...

أمتهم من أنصاف المثقفين، وذلك دون ضبط وتحديد، بل ربما استعملوها على غير بابها وفى عكس حقيقتها..

● وقد أصبحت كلمات مثل (التغريب) أو (العلمنة) أو (الكونية) أو (الأوربة) ومثلها (الأمركة) تساق وكأنها (قيم محايدة) يمكن أن تطبق على كل الناس، شأنها شأن قوانين الجبر والهندسة دون النظر إلى الاعتبارات الخصوصية أو القسّمات الحضارية التي ترتبط بكل أمة ارتباط تاريخ ووجود.

- وكل ذلك قد أدخل أمتنا فى نهاية القرن العشرين، وبداية الألفية الثالثة فى مرحلة يمكن أن نسميها التضليل الاصطلاحى والتزوير فى الفقه الحضارى..

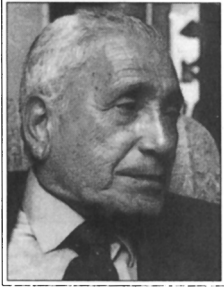


● لقد كان التضليل الاصطلاحى والتزوير فى الفقه الحضارى أو ما يمكن لنا تسميته بقضية (خداع المصطلحات) من أكبر المعابر التي استطاع خصوم عقيدتنا وحضارتنا- أن ينفذوا منها، إلى تضليل مسيرتنا، وتبديد طاقتنا، وإرباك خطواتنا على درب الإقلاع الحضارى.

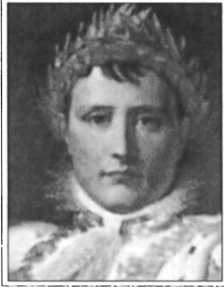
- ومن العجيب أن هذا التضليل- أو الخداع- يساق هكذا بطريقة تبدو عفوية وتلقائية- وكأنه مسلمة من المسلمات، أو كأنه غير قابل للاعتراض، وليس فى حاجة إلى التحليل والتعميق!!

● وبالطبع فكثيراً ما تكون الصحف اليومية





محمد حسنين هيكل



نابليون

الصهيونية منذ مولد الثورة الفرنسية!!

● وهذا التضليل الذى مارسه (غالى شكرى) فى سلسلة مقالاته المذكورة آنفاً، ويمارسه - دائماً - كل أنصار التبعية الغربية والعلمانية والمادية... إنما يمثل نماذج تحتاج إلى رصد وتحليل... فى ظل يقظة أصيلة تعى خطورة (المصطلح)، وتقاوم هذه (السطحية الإعلامية) فى استخدام المصطلحات، وهى سطحية قد تكون ساذجة تنبع عن جهل فى أحيان قليلة، وقد تكون خاضعة لانتماء حضارى معاد فى الأعم الأغلب!!



● والحق أن عرض تاريخنا الإسلامى وتحليله - كانا موضوع غزو مصطلحى كبير، وقد أسقطت عليه مفاهيم ومصطلحات لا تمت إليه بصلة... فمرة نجد مجموعة من الكتاب فى

● وقد بلغ من تضليل الكاتب للجماهير العربية والمصرية أنه أعطى (الحملة الفرنسية على مصر) سنة ١٧٩٨م بقيادة (نابليون بونابرت) حق ريادة مرحلة التحديث، مع ما هو معروف من الآثار السلبية (الفاصلة) للحملة الفرنسية حضارياً وأخلاقياً ودينياً على مصر^(١)، بل إنها كانت (البوابة) التى أراد بطلها منها فتح الباب للصهيونية كى تستولى على فلسطين.. ولعلمهم - لهذا - يكرّمونها!!

● وكان من قدر الله ولطفه بعقولنا وبالتاريخ أن يصدر الكاتب المصرى المعروف الأستاذ (محمد حسنين هيكل) كتابه: (تاريخ المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل) فى الأيام نفسها التى كان (غالى شكرى) قد كتب فيها سلسلة مقالاته.

● ويثبت الأستاذ هيكل فى هذا الكتاب - بالوثائق - أن مشروع إقامة دولة إسرائيل - كحاجز بشرى يمنع العرب من (الإقلاع الحضارى)، وقيادة الحضارة الإسلامية من جديد - إنما تقرّر على يد «نابليون» وكانت بالتالى هذه الحملة جزءاً من هذا الهدف، إذ فى الاستيلاء على مصر ضرب لطاقة كبرى عربية، واختراق للعرب من قلبهم.. وكل محاولات نابليون (التحديثية - التغريبية) كانت تسير فى اتجاه تحقيق أحلامه... المتعانقة مع الأحلام

(١) ينظر فى هذا: السّفر الضخم للأستاذ محمد جلال كشك (رحمه الله): «وبخلت الخيل الأزهر» نشر الزهراء للإعلام العربى - القاهرة، فقد كشف حقيقة الدور التخريبى (الصهيونى العلمانى الماسونى) للحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت ورجاله. وينظر ما كتبه د. ليلي عنان عن الحملة الفرنسية فى جزيين من مطبوعات دار الهلال.



وتاريخية وأمراضاً حضارية لا علاقة لها بتجربتنا الحضارية الإسلامية ولا قيمها السائدة.

— بل إنه لا يمكن لبيئة تنفسست تعاليم الإسلام أن تفرز هذه القيم مهما كانت أخطاؤها البشرية...



وإلى جانب هؤلاء الماركسيين والماديين الخاضعين لهذا الانتماء الأيدلوجي الاعتسافى— وُجدت— كذلك— المدرسة العلمانية أو اللا دينية التى تريد إسقاط المصطلحات الليبرالية والرأسمالية على التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية— وقد حاول هؤلاء— بجرأة لا يسندها العلم— مثل إخوانهم الشيوعيين— أن يُسقطوا على حضارتنا مصطلحات مثل (العالمانية، والمجتمع المدنى، والليبرالية، والفردية، (والحرية) والديمقراطية بالمعنى الليبرالى الذى لا يلتزم بدين ولا خلق)، كما حاولوا تشويه التاريخ بعد الراشدين، بحيث يصبح هذا التاريخ ثمرة حركة عقلية مادية (مدنية) لا أثر للوحى الكريم فيها، ولا تربطها صلة بموازين الإسلام، وشرعية الإسلام وأخلاق الإسلام.

— وكل ذلك تضليل اصطلاحى، وتضليل مفاهيمى، وقلب للحقائق، وإخراج لحضارتنا الإسلامية عن طبيعتها، ومحاولة مستميتة لفرض التّية والضياغ الحضارى علينا.. حاضراً ومستقبلاً.

عصر المدّ الشيوعى والاشتراكى يخضعون هذا التاريخ— وقائع وتحليلات— لمصطلحات (التفسير الاشتراكى— أو المادى للتاريخ).. لدرجة أن كثيراً من هؤلاء الشيوعيين قد ذهبوا إلى تقسيم الصحابة إلى يسار ويمين، وإلى ثوريين ورجعيين، وإلى اشتراكيين وبرجوازيين!!

— وكان طبيعياً فى رأيهم أن يكون الرسول ﷺ زعيم (اليسار) الثورى، ويقف وراءه على ابن أبى طالب، وأبو ذرّ الغفارى، وعمار بن ياسر!!

ولكن الرسول ﷺ فى رأيهم— كان مضطراً لأن يهادن أهل اليمين (الرجعيين!!) من أمثال أبى بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وأن يحاول قيادة السفينة التى تنتظر الجميع.

وكانت الضرورة تقضى أن يكون هناك حزب لليمين، ولهذا تخيل هؤلاء أن (بنى أمية) وعلى رأسهم (عثمان بن عفان) يقفون فى موضع قيادة هذا الحزب، كما أضافوا عبدالرحمن بن عوف إلى قيادته..

والأمر كله— كما نرى— مجرد تضليل مصطلحى، وتفسير أيدىولوجى، وهو لا يعدو أن يكون إسقاطاً لمصطلحات تخضع لشجرة حضارية وتجربة تاريخية وعقدية غير شجرة الحضارة الإسلامية وتجربتها التاريخية والعقدية، وقد أفرزت هذه المصطلحات تأثيرات بيئية

رودنسون

المشروع الثقافي المشترك بين الثقافتين العرب

لأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

مدخل المشروع الثقافي. سؤال

ومن خلال رصد تلك المشكلات ذات النزوات العصبية التي تحكم العلاقة القائمة بين الإسلام والغرب ومن بين الغيوم الملبدة بالتناوب المجافى للحوار الثقافي بينهما، راح «رودنسون» يطرح سؤاله الذي يعبر به عن أمنيته مسهما في تقديم ورقة تصالح تعبر عن وضع معالم جديدة لمرحلة اللقاء الحضاري بين الإسلام والعرب في صيغة علمية جديدة وهو:

كيف يمكن أن نخطط لمستقبل الدراسات المتمحورة حول العالم الإسلامي؟ ما الآمال التي يمكن أن نحلم بها فيما يخص التوجيهات التي تستحق أن تتبع في هذا المجال، والتي يمكنها أن تقدم أكبر خصوبة ممكنة لهذه البحوث؟ سوف أورد فيما يلي رأيي الشخصي، الذي أشعر فعلا أنه نسبي تماما، وأنه ذاتي، فلا أحد يستطيع أن يدعي الموضوعية الكاملة. ولن أخفي على نفسي ولا على الآخرين أنه خاضع بالتأكيد لعوامل ومحددات غير ملحوظة مني بسبب العوامل الشخصية أو الجماعية. فأنا أيضا مشروط بأشياء لا واعية قد تخرج عن إرادتي وطاقتي. ووفق

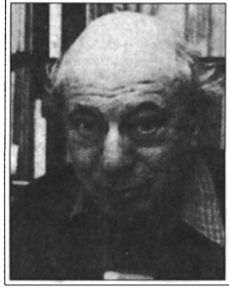
تحفظاته التي عبرت عن طبيعة النقص البشري الذي قد يطبع بصماته على المنهج العلمي مهما يتحرى الإنسان الموضوعية، وهي من المسلمات، خطأ خطواته نحو صياغة مشروعه الثقافي الذي يحمل معالم منهجه الجديد ليعبر به عن مرحلة جديدة تجمع بين المستشرقين ومثقفى العرب.

فرز جعبة الاستشراق القديم

سوف أقول أولا وقبل كل شيء إنه لا ينبغي أن نرمي في سلة المهملات تلك المكتسبات الضخمة والشمينة التي تجمعت أثناء القرنين الماضيين، ذلك أنه توجد مادة علمية كثيفة ومعلومات غنية جدا جدا. صحيح أنه يمكننا إعادة تفسيرها جزئيا أو كلياً، ولكن خسارتها تعني تراجعاً مأساوياً للمستوى الثقافي لمجتمعاتنا.

لا ملكية خاصة للعلم

كان «ماركس» يقول: «لا توجد طريق ملكية خاصة للعلم» بمعنى أن الصفة الأساسية للمسار



رودنسون

شئنا أم أبينا، شعرنا بذلك أم لم نشعر بالأفكار المسبقة غير الواعية للباحث. وهي أفكار يتشربها بشكل لا واع من المجتمع ومن تاريخه الشخصي.

وفى رأيه: أنه لا

ينبغي تجاهل منظور هذه

المجتمعات للأشياء ولا احتقارها ولا الخضوع لها، وإنما ينبغي تحليل جذورها إلى أقصى حد ممكن من أجل فهم أصوله وهضم العناصر الصالحة فيه وإغناء مسارها. وهذه عبارة عن عملية تفاهم مشترك ليتصالح على أصوله الطرفان.

وتلك خطوة على الطريق، وهي شاقة، ينبغي ألا نخفى عن أنفسنا أن الصعوبات التي تعترض تحقيق هذه الخطوة لوضع ذلك البرنامج المثالي من البحوث ضخمة جدا فمن المؤكد أننا سنصطدم بأنواع عديدة من سوء التفاهم وبشبهات مزعجة جدا في الغالب.

لكن هناك ملاحظة يبدو أن التجربة العلمية تؤكدنا وهي تقوى فينا روح الأمل. نقول لنا هذه الملاحظة: إن الناس يعترفون، في نهاية المطاف، بالعمل الجاد الشريف مهما تنكروا له وأساءوا فهمه في البداية. ومن الشاهد أن الباحث الأكثر تعرضا للإشاعات والإهانات يجد دائما مؤيديه له إذا ما بقي مخلصا للقواعد المذهبية للمسار العلمي أو المنهجية العلمية. فهو يساهم في زرع الأفكار واستنباتها، هي التي سوف تتطور يوما ما وتخصب فكرة الخاص بالذات.

العلمي، هي أنه يتقدم خطوة وبحذر وأناة ولا يسمح بالقفز إلا بشرط واحد، هو: العودة إلى الوراء فيما بعد من أجل التحقق من صحة المسافة المقطوعة. ينبغي على العالم أن يضع نصب عينيه دائما وأن يغرس في أعماق قلبه وروحه حكمة من حكم أبوقراط، هذه الحكمة التي تمثل بداية العلم الغربي كله، والتي كانت قد ترجمت بكل إينثار وتفضيل من قبل العلماء العرب «الحياة قصيرة والعلم طويل»، والمناسبة سانحة قد تفلت من أيدينا في أي لحظة والنزعة الارتجالية خطيرة والتعقل صعب.

جمع الوقائع والمعطيات

ولكن ينبغي على المسار العلمي أيضا أن يشتمل على اهتمامات جديدة لم تكن تلعب إلا دوراً صغيراً في الماضي. فمن الضروري عليه أن يتجه نحو التنظير أو أن يمهّد له الطريق. وينبغي على هذا التنظير أن يأخذ بعين الاعتبار الإشكاليات العامة الأكثر حداثة.

ينبغي أيضا وبالدرجة نفسها أن ندمج في عملية البحث العلمي تلك المجالات أو الموضوعات التي كانت مهمشة أو محتقرة من قبل التبحر الاستشراقي الكلاسيكي وهي جمع الوقائع والمعطيات.

تحديد المشكلة والتفاهم المشترك حولها

هكذا نجد أنه من الضروري بشكل لازم وحتمي أن نتجاوز المرحلة الصعبة لجمع الوقائع والمعطيات، وأن نتوصل أخيرا إلى صياغة المشكلة أو طرحها على الأقل، فجمع المعطيات متأثر،



لنا رموز اللغة «الهيروغليفية» يكفيه أنه اكتشف هذا الاكتشاف الكبير، ولا يعني في شيء أن تكون أفكاره عن المجتمع، تقدمية أم محافظة.

إن الدراسات المتركة على شعوب وثقافات ومجتمعات المناطق العديدة المشمولة سابقا تحت اسم الشرق سوف تستمر. وسوف يساهم فيها منذ الآن فصاعدا اختصاصيو البلدان أو المناطق المدروسة. ولكن هؤلاء الأخيرين لن يكونوا أكثر تحررا من المستشرقين من تلك العقبات التي تسببها «الايديولوجيات» أو المشروطيات الاجتماعية الخاصة برؤيتهم للأشياء سواء كان الأمر يتعلق بعوامل خاصة بزمنا أم بعوامل ملازمة لكل فعالية فكرية عبر العصور.

تقييم عمل الاستشراق القديم

توجد هناك بعض الممارسات العلمية في أوروبا وأمريكا، وهي تتركز على دراسة الشعوب والمجتمعات والحضارات واللغات الخاصة بالعالم الإسلامي (أى مجمل الشعوب التي فيها الدين الإسلامي).

إن دراسة هذه الميادين العلمية لم تتم بشكل مثالى ونموذجى عن طريق التعرف عليها أولا، ثم تقسيمها بشكل عقلانى إلى اختصاصات محددة كما هو متوقع. وإنما هى تمت بشكل تاريخى تحت تأثير عوامل متنوعة، وراح كل باحث يتعمق دراسة مجاله الاختصاصى من جهته مع الالتقاء بالآخرين أو دون أن يلتقى بهم. وقد دعيت هذه الممارسات العلمية باسم الاستشراق.

هذا الاستشراق كان يعبر عن الرغبة فى توسيع الفلسفة الإنسانية (هيومانيزم) أى المذهب

من المعروف أن الاختصاصيين الغربيين فى الشؤون العربية والإسلامية أو فى شؤون الشعوب والمجتمعات والحضارات الشرقية، وغير الشرقية، أناس ينتمون إلى مجتمع متميز أو ذى امتيازات. كما أنهم ينتمون بشكل عام إلى الطبقات العليا ذات الامتيازات فى هذه المجتمعات بالذات. بالطبع لا ينبغى أن نحقد عليهم بسبب ذلك أو نستخلص منهم مكانتهم المتميزة وهى عرض طارئ ولا تدخل فى صميم المنهج ولا تخرج عن كونها نتائج تعسفية. ولكننا لا نستطيع أن نهمل هذه الحقيقة، وإنما ينبغى أن تؤخذ بعين الاعتبار فلا ننساها أبدا.

اهتمام أوروبا بدراسة خصائص الشعوب

ليس هناك شرق مأخوذ ككتلة واحدة. وإنما هناك شعوب وبلدان ومجتمعات وثقافات ذات عدد كبير ومتنوع على وجه الأرض. وبعضها يمتلك خصائص مشتركة (دائمة أو عابرة) وكل دراسة مشتركة لأحد هذه الكيانات أو لبعضها ينبغى أن تكون مبررة عن طريق وجود بعض هذه الخصائص المشتركة خلال فترة معينة. ولكن هذه الخصائص تترك دائما خارجها صفات أخرى تظل خصوصية كمن يضع الدنانير فى كيس رث قديم. فلا ينبغى ترك الدنانير لقذارة الكيس أو نترك الدنانير من غير حرز. كذلك لا ينبغى للانتقادات التى وجهناها آنفا إلى الاستشراق القديم أن تنسينا أو تجمعلنا نحتقر كل البحوث التى يقوم بها مؤلفون نختلف مع أفكارهم الفلسفية العامة (صريحة كانت أم ضمنية) فماذا تهمنى أفكار شامبليون عن المجتمع إذا كان قد فك





إلى حماسة غير مفهومة وكان عنادها للإسلام مفضوحا.

ولكن هذا المطمح الجديد لمعرفة الشرق سوف يخدم من قبل تسهيلات أكبر تمكن من الدراسة المباشرة للمصادر الشرقية. فقد كانت القرون الثلاثة: السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر قد جمعت الأعمال التمهيدية بشكل متراكم (كتب النحو العربى، والمعاجم، والنصوص المختارة..) كما تراكمت خلالها مجموعات المخطوطات الشرقية أو العربية فى مكتبات أوروبا (كتلك التى تشكلت بفضل البعثات التى أرسلها كليبر إلى الإمبراطورية العثمانية لهذا الغرض) وقد شهد القرن التاسع عشر تقدم وسائل النقل وتعدد الرحلات التى سهلت العلاقات كثيرا. فى الواقع أن هذه العلاقات لم تكن معدودة فى أى وقت من الأوقات، وذلك فى كل الاتجاهين. نضرب على ذلك مثال، حالة الهولندى « توماس فان ايرب ايربنيوس » الذى ألف كتابا فى النحو العربى فقد استفاد من مساعدة شخص مغربى التقى به بالصدفة بالقرب من باريس عام ١٦١١.

إن تطور العلوم الشرقية فى الغرب يندرج ضمن مسيرة التقدم النوعى للمسار العلمى فى كل المجالات. فالنهضة الأوروبية التى ابتدأت منذ القرن السادس عشر انعكست على كافة المجالات وهذا التقدم أصبح ممكنا بفضل تكاثر المؤسسات التى أقيمت ببطء من قبل المتخصصين وبفضل تخصصها مثل (شبكات البحث التخصصى، مؤسسات العلماء الأكاديمية وجمعياتهم، ثم الجامعات.. إلخ).

الإنسانى لعصر النهضة. ففى نهاية القرن الثامن عشر، وبداية التاسع عشر أرادوا أن يضيفوا إلى الحضارات النموذجية القديمة التى تستلهمها أوروبا حضارات أخرى. من المعروف أن اليونان وروما كانتا تشكلان هذا النموذج التاريخى القديم الذى كان يعتبر مصدرا للإلهام والتقليد والمرجعية والاستشهاد والمثال الأعلى بالنسبة لكل الأوروبيين.

ولما كانت تلك الفترة، فترة الدراسة العلمية فإنهم أرادوا التوصل إلى معرفة علمية بتلك الحضارات النموذجية. وقد عزيت هذه الإرادة أو ذلك الطموح فى الغالب وقبل كل شئ إلى التغيير الذى طرأ على العلاقات بين الغرب الأوروبى والشرق الإسلامى، بمعنى: أن الغرب أصبح أقوى من الشرق بكثير. ولكنه ناتج أيضا عن تطور داخلى للعقلية التى غلفتها الحساسية الأوروبية.

ولقد حصل منعطف تاريخى فى الحساسية والاهتمام باتجاه التركيز على ما هو خصوصى. واستكشاف الروح القومية للشعوب، كل فى خصوصيته ووطنه المحلى، إلخ..

بالطبع فإن الشرق كان مدرسا من قبل بل ومنذ وقت طويل ولكنه كان يدرس لأهداف توليفية اجتماعية، أى من أجل البحث فيه عن الإنسان الكونى.. أو أنه كان يتخذ موضوعا للمباحكات الأيدولوجية، وكان أهمها فيما يخص الموضوع الذى أدرسه هنا التبجيل المسيحى « القروسطى » المستمر فى هجومه ضد الإسلام (كأن الإسلام يشكل التكتل السياسى - الأيدولوجى المعادى) وقد أدى هذا الخط الثانى



تصنيفية تشكيل الشرق بصيغ عامة

إن الخصائص التي تميزت بها الممارسات العلمية المتجمعة تحت اسم الاستشراق القديم قد تشكلت أيضا طبقا للحاجيات العلمية المرحلة الأولية لهذه الدراسات الاستشرافية أنها تركز على المعرفة باللغات القديمة لآسيا (كالعربية، الفارسية، التركية، الأوردو، السنسكريتية، الصينية وإلخ...) كما ارتكزت على فك المصادر الأولية.

كان العلماء يعتقدون آنذاك أنه لكي نتوصل إلى مرحلة التعليم (أو استنتاج الخلاصات والنتائج العامة) فإنه ينبغي أولا البحث عن المعلومات والوقائع بشكل تفصيلي دقيق إلى أبعد حد وذلك عن طريق العمل الطويل والصعب وكانوا يعتقدون أن الانتقال إلى هذه المرحلة الثانية لا يمكنه أن يتم بشكل يرضيهم إلا بعد أن تتوافر كل الشروط. هذا إذا أمكن الانتقال إليها أصلا في يوم من الأيام^(١). وكان الكثيرون آنذاك يكرسون حياتهم كلها لدراسة ميدان علمي ضيق جدا. وأما أولئك الذين لا يستطيعون القيام بأعباء هذا المثال الأعلى التقشفى للعلم فقد كانوا يكتفون غالبا بأيسر الطرق. كانوا يكتفون غالبا بالأفكار العامة التي تلقوها من الفلسفة ومن الوعي الاجتماعي لعصرهم. وأما البعض الآخر

فكانوا يمتلكون أحيانا حدسا عبقريا^(٢) معزولا. وأما الآخرون فكانوا يستسلمون لتركيب نظريات خيالية لا أساس لها من الصحة بسبب استعجالهم لتجاوز التفاصيل والوقائع ولكن دون أن يكونوا مسلحين لذلك^(٣). لم يكونوا مؤهلين للتأمل والتفلسف واستخلاص النتائج العامة، ومع ذلك راحوا يتفلسفون (وهذه العادة لا تزال شائعة حتى اليوم).

وكانت العلوم الإنسانية القادرة آنذاك على التأثير على الأفكار العامة للعلماء المستشرقين هي تلك التي تتمثل بتاريخ الأديان الذي انتشر إلى أوسع مدى بفضل المعركة الجدلية المضادة للمسيحية في القرن الثامن عشر (بفضلها جزئيا) ولكنه انتشر بعمق أكثر وبجدية أكثر في ألمانيا بشكل خاص.

إن مكتسبات ذلك الاستشراق الكلاسيكي القديم كانت ضخمة، ولا نستطيع أن نستعرضها كلها وإنما نحن مضطرون للانتقاء والاختيار. نذكر من بين هذه المكتسبات تلك الكميات من الوثائق الجديدة المتراكمة، كما نذكر تحقيق تلك النصوص القديمة والعديدة بطريقة علمية لم تكن قد حصلت حتى ذلك الوقت كما نذكر مسائل التاريخ الوقائعي (أو الحديث) والتاريخ الأدبي والترتيب الزمني الصحيح للتواريخ الزمنية المتسلسلة. وكل هذا كان ضروريا كقاعدة

(١) انظر كارل ماركس في حكمه العام على الأديان ولو أنه درس الديانات على حدة لعرف خصائص نظام الإسلام.

(٢) انظر نظريات آرنست رينان عن العقل السامي والآرى وكان هدفه منها مساندة الاستعمار في إعلان وصاياته على الشرق.

(٣) انظر كتاب كارل ماي عن الشرق والعرب والإسلام، حيث قدمها للقارئ الأوروبي على أنها عصارة رحلاته في الشرق بينما هو كما أثبت هينز فول شليجر لم يسافر إلى الشرق أبدا وما كتبه محض خيال.

حلبة البحث العلمى . وأصبحت ذاتا فاعلة على مسرح التاريخ وليس فقط ذاتا سلبية منفعة تدار أمورها من الخارج، تستطيع أن تناقش قضاياها والقضايا المشتركة بهدوء وتعقل .

يقول كلود كاهين: إني «أعترف بأن المستشرقين كانوا قد ركزوا اهتمامهم أكثر مما يجب- وفى غالب الأحيان- على بعض الفترات التاريخية أكثر من غيرها، وهى الفترات التى بدت لهم أكثر إشعاعا وإشراقا من غيرها، وهكذا أهملوا فترات تاريخية أخرى أكثر حدائه من حيث الزمن، وهى لا تقل أهمية من أجل فهم العالم الحديث للشعوب العربية والإسلامية إذا ما نظر إليها من وجهه نظر معينة أو من زاوية أخرى . ولن ينبغى أن لا تقع فى التطرف المعاكس فلا تهتم إلا بالتاريخ الحديث وتهمل القديم . فلكى نمى الوعي القومى لشعب ما ولكى نساهم فى انطلاقة ثقافته الجديدة فإن أفضل وسيلة ليست بالضرورة استخدام تاريخه الحديث وإنما تاريخه القديم والمنسى .

وهذا التحدى يرتهن علاجه بالنظر فى المناهج الجامعية وفتح أقسام علمية تتابع بعمق وبجدارة العلاقات الثقافية بين الإسلام والغرب، وعلى الأزهر أن يطور من نفسه ليتحمل عبء تلك الرسالة بمنهج ناضج رشيد، ولا أدري إن قلت: عليه متابعة التواصل الثقافى للشعوب جميعا، هل أكون واهما؟

للانطلاق بقدر الإمكان وإن كان غير كاف يحد ذاته .. إنه يشكل المرحلة الأولى من الدراسة العلمية، لكن ليست الدراسة العلمية كلها . فبعده ينبغى على الدارس أن يحلل ويستنتج ويركب وينظر . لذلك كانت نواقصه قصائر صارخة . نذكر منها على وجه الخصوص :

ظاهرة العرقية المركزية الأوروبية الرؤيا المثالية للحضارات

كان هناك ترابط لا مفر منه بين الاستشراق وحركة الأفكار العامة للغرب فى تلك الفترة . فقد كانوا يعتقدون بأولية النموذج الأوروبى وتفوقه على جميع النماذج الحضارية الأخرى . وكان هذا الاعتقاد يتجلى بكل وضوح فى كل الخلاصات الانتربولوجية لتلك الفترة، هذه الخلاصات المتعلقة بالتطور البشرى فقد كانوا يعتقدون أن كل خطوط التطور سوف تنتهى فى خاتمته إلى النموذج الأوروبى^(٤) وكانوا يعتقدون أن هذا النموذج يعملوا على كل شئ؛ فى طريق الانحطاط العرقى، تلك التى أخرجت قضية العلاقات الثقافية بين الإسلام والاستشراق عن الموضوعية إلى المناظرة والمساجلات الجدلية .

إن هذه التساؤلات والاحتجاجات الغاضبة تعكس أسلوب الهياج الصارخ والعواطف الغاضبة التى حكمت لغة حوار ذميم وقع فيه الطرفان . لكن بعد دخول المفكرين الإسلاميين

(٤) انظر كتاب «صراع الحضارات» لـ «صومنيل هانتجتون» وقدمنا تعليق عليه فى صحيفة الأخبار ١٢/٩/١٩٩٧ وكذلك كتاب «نهاية

التاريخ «غوكوياما» وعرضناه هو الآخر فى صحيفة الأخبار ٣/٨/١٩٩٧ .

المشروع العربي .. والتعددية في الحضارات

للمؤلف: الدكتور / محمد عمارة

إذا كان «جامع الإيمان» و«موحد المؤمنين» هو «التصديق بما جاء به الرسول ﷺ»، فإن مظلة هذا «الجامع» وإطار هذا «التصديق» قد اتسع لتعددية أئمرها «التأويل» فيما يجب أو يجوز فيه «التأويل» فإذا ما التزم الفرقاء المتأولون بقواعد التأويل - التي قررتها العربية - والتي لا تخرجه عن ثوابت «التصديق الجامع»، انفسحت أمامهم آفاق التعددية في هذا الإطار، الذي يعطى «مذاهب الفكر» طابعها «الإسلامي»، مع ما بينها من فروق وتعددية في التصورات.

وإذا كان تعريف ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ/١١٢٦-١١٩٨م) للتأويل يقول: «إنه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل بعادة لسان العرب في التجوز، من تسمية الشيء بشبيهه، أو بسببه، أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي^(١) فإن الإمام الغزالي يفصل «لمراتب الوجود» التي تتصورها التأويلات المتعددة «لما أخبر به الصادق»، تفصيلا يجعل للتعددية، النابعة من التأويل، خمسة مذاهب مفتوحة سبلها أمام تصورات العقل المسلم للموجودات التي تحدث عنها الرسول ﷺ، والتي للتأويل مدخل في تصورها. فالإيمان قائم عند فرقاء هذه التأويلات والتصورات، لقيام التصديق، وانتفاء «التكذيب» لصاحب الرسالة، عليه الصلاة والسلام. لأن «الكفر» هو تكذيب الرسول في شيء بما جاء به، والإيمان: تصديقه في جميع ما جاء به.. وحقيقة التصديق: الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول ﷺ، عن وجوده. إلا أن للوجود خمس مراتب: الوجود الذاتي؛ وهو الوجود الحقيقي، الثابت خارج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكا.

(١) (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص ٣٢ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٨٣م.



بالتأويل، وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه؟!»^(٢).

هكذا انفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام «تيارات الفكر» الإسلامى، فى إطار «وحدة وجامع التصديق» بما جاء به الصادق، عليه الصلاة والسلام!

وهكذا ظلل «الجامع الإسلامى» الذى وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام.. ظلل تعددية فى اللغات والأقوام.. وفى الثقافات الفرعية.. وفى الأوطان والأقاليم المتميزة.. وفى الفرق السياسية.. وفى المذاهب الفقهية.. وفى التيارات الفكرية والمدارس الفلسفية.. وأيضاً فى الشرائع والحضارات، فازدهرت تعددية الاجتهادات البشرية، فى إطار الجامع الثابت الذى تمثل فى أصول الإيمان بالله الواحد.. واليوم الآخر وخبر الصادق، عليه الصلاة والسلام..



بل إن «السبيل الإسلامية» التى حددها الإسلام، وتميزت بها شريعته، فى «حل التناقضات» بين فرقاء التعددية، جاءت طبيعتها وآلياتها ومقاصدها لتكرس قيام هذه «التعددية» عند المستوى الوسطى، الذى لا يذهب بها إلى إلغاء الآخر و«نفيه».. ولا إلى «التشرذم» و«القطيعة» التى لا رابط ولا جامع يوحد بين فرقائها.. فلقد رفض الإسلام

والوجود الحسى: الذى يتمثل فى القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجوداً فى الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره، وذلك كما يشاهد النائم، بل كما يشاهد المريض المتيقظ..

والوجود الخيالى: الذى يخترعه الخيال لصور المحسوسات إذا غابت عن الحس، فهو موجود فى الدماغ لا فى الخارج..

والوجود العقلى: فيما له روح وحقيقة ومعنى.. كاليد، مثلاً، فإن لها صورة محسوسة ومتخيلة، ولها معنى هو حقيقتها، وهى القدرة على البطش.. التى هى «اليد العقلية»..

والوجود الشبهى: وهو أن لا يكون نفس الشئ موجوداً، لا بصورته ولا بحقيقته، لا فى الخارج، ولا فى الحس، ولا فى الخيال، ولا فى العقل، ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه فى خاصة من خواصه وصفة من صفاته.. وكل من نزل قولاً من أقوال صاحب الشريعة ﷺ، على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين، وإنما التكذيب: أن ينفى جميع هذه المعانى، ويزعم أن ما قاله لا معنى له، وإنما هو كذب محض، وغرضه فيما قال التلبيس أو مصلحة الدنيا، وذلك هو الكفر والزندقة ولا يلزم كفر المتأولين ماداموا يلازمون قانون التأويل.. وكيف يلزم الكفر

(٢) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ٤ - ٩.

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ خَلِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا
إِلَّا الْأَذْوَ حَظٌّ عَظِيمٌ﴾ (٤).

فإنه يعلمنا معالم هذا السبيل .. فالتدافع لا يتغيا «صرع الآخر وإلغائه»، وإنما تحويل موقفه وموقعه عن «العداوة» التي تجعله من أهل «السيئات»، إلى موقع وموقف «الولي الحميم»، الذي يجعله من أهل «الحسنات» ..! فيتم «الحراك»، بواسطة «التدافع»، مع بقاء تعددية الفرقاء المتمايزين» ..! بل لقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه «السبيل الإسلامية» - سبيل «التدافع»، لا «الصراع» .. باعتبارها الحافز الذي يدفع الحياة والعمران إلى الأمام دائما وأبدا .. وهذا يعنى اقتران التقدم بالتعددية، إذ بدونها لا تدافع، لأنه مستحيل بدون وجود الفرقاء المتدافعين أبدا؟!!

﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٥)

وعندما أذن الله - سبحانه وتعالى - لرسوله والمؤمنين بالقتال، جاء الحديث عن «التدافع»، لتكون غايات القتال تعديل مواقف المشركين من مواقع الشرك إلى الإيمان، فهي «حراك» لا «نفى وإهلاك».

مذهب «الصراع» سبيلا لحل التناقضات بين فرقاء التعددية، لأن «الصراع» غاياته «صرع .. وإفناء .. ونفى» الآخر، ومن ثم فهو يلغى التعددية وينفيها .. هكذا جاء معناه فى الوطن الذى ورد مصطلحه بالقرآن الكريم:

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةٍ ۖ وَأَمَّا
عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامًا حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أَتْعَاجَزُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٣).

فالصراع غايته إهلاك الآخرين، حتى لا ترى لهم من باقية! .. فسلوك سبيله فى حل التناقضات بين الفرقاء ينفى فلسفة التعددية ويلغى وجودها.

وبدلا من «الصراع» سبيلا لحل التناقضات بين فرقاء التعددية، زكى الإسلام «سبيل التدافع»، الذى لا يتغيا «نفى الآخر»، وإنما تعديل موقعه من «المعايير الإسلامية الجامعة والضابطة والحاكمة» .. فهو «حراك» لا «إهلاك» و«تعديل» فى المواقف والمواقف لا «نفى وإلغاء» للآخرين .. وعندما يخاطب الله - سبحانه وتعالى - رسوله ﷺ، فيقول له:

(٤) فصلت: ٣٤، ٣٥.

(٣) الحاقة: ٥ - ٨.

(٥) البقرة: ٢٥١.

«التعدد» فى هذه الحضارة أيضا!.. فلا تعددية بدون «استقلال.. وتميز» لحضارات هذا العالم الذى نعيش فيه؟!..



نظرة مقارنة

وإذا كانت بضدها تتميز الأشياء.. والشئ يظهر حسنه الضد.. فإن هذا الذى تميزت به الحضارة الإسلامية فى الإيمان بالتعددية وتجلى فى تطبيقاتها بمختلف الميادين، وعلى كل المستويات، لا تتبدى حقيقته الكاملة، ولا تتألق دلالاته العظيمة، إلا إذا قورن.. ولو بإشارات.. لما كانت عليه.. بل ولا تزال.. الحضارة الغربية فى هذا الميدان.

● فبالمقارنة، سيتأكد أن الفارق بين الحضارتين، فى هذه القضية، ليس مرجعه «التسامح» الذى تحلى به حكام مسلمون، وافتقر إليه حكام غربيون.. إذ «التسامح» فى النهاية خلق فردى، لا يثمر قاعدة مطردة على مر تاريخ حضارة من الحضارات وفى مختلف ميادين عمرانها.. بل إن هذا «التسامح» ذاته، هو فى جوهره ثمرة.. إن فى وجوده أو غيابه - لموقف حضارى، ومكون من مكونات الحضارة، التى تقيمه أو تواريه!..

● وبالمقارنة، سنعرف كيف أن الشعب المصرى، مثلا عندما تدين «بتوحيد» «آتون» فى عصر أخناتون (١٣٧٢ - ١٣٥٤ ق.م)، اضطلع

﴿إِنَّ اللَّهَ

يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ أُوذِيَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَاحِبُ وَيْعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣١﴾﴾

فهى، إذن، سبيل إسلامية واضحة: «التعددية» فى إطار «الجامع».. و«التنوع» فى إطار «الوحدة» وبغيبه طرف منهما يغيب المعنى وتغيب الحكمة عن الطرف الآخر!

● «الشرائع» المتعددة، لا تتأتى تعدديتها إلا فى إطار «الدين» الواحد، وبالنسبة إليه، وبالمقارنة معه.

● و«الحضارات» المتعددة، لا تتأتى تعدديتها إلا فى إطار «المشترك الإنسانى العام» المتميز عن الخصوصيات الحضارية..

● والتعددية داخل أية حضارة من الحضارات، لا تتأتى إلا مع وجود المرجعية الواحدة، والجامع الواحد، فى هذه الحضارة.. فلو انتفت المرجعية الواحدة.. والموحدة للحضارة.. انتفى معنى

عقيدة التوحيد الإسلامية.. تفوق الإسلام في تلبية هذه الحاجات، فاندفعت أفواجها إلى الإسلام، دون ترهيب ولا ترغيب.. ويشهد على هذه الحقيقة بعد وقائع التاريخ أحد علماء النصرانية «كيتاني» فيقول: «إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي. أما الشرق الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فآدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها. فلما أهلت، آخر الأمر، أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد. الذى بدد بضرية من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايًا جلييلة، إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبي العرب!»

لقد أقبل الناس على الإسلام، الذى رأوه.. كما يقول «مونتيه» «عقلانى الجواهر، بأوسع معانى هذه الكلمة»... أقبلوا عليه دون أية محاولة للإرغام والاضطهاد كما يقول «أرنولد» (١٨٦٤ - ١٩٣٠) فى كتاب (الدعوة إلى الإسلام)..^(٧)

كهنة «آمون» وأتباعه.. فلما انتصر كهنة «آمون» اقتتلوا «توحيد دعوة» «أختاتون» من الجذور، وطاردوا أتباعه فى كل مكان!.. وكيف أن هذا الشعب المصرى عندما تدين بالنصرانية لم يعرف التسامح مع الديانة المصرية القديمة، فمارس الاضطهاد، بل والإبادة مع كهنتها وفلاسفتها ومدارسها ومكتباتها ومتاحفها وأتباعها جميعا.. فلما تديننت الدولة الرومانية - الحاكمة - بدأت الديانة النصرانية (٣١٣ م)، ولكن بمذهب متميز عن مذهب المصريين النصارى، لم تعرف التسامح معهم، بل لقد عاشوا حقبة اضطهادهم، وعصر الشهداء الذى تؤرخ به النصرانية المصرية حتى الآن!..

لكن هذا الشعب المصرى ذاته.. الذى لم يعرف التسامح الدينى فى تاريخه القديم.. هو ذاته الذى أصبح مضرب الأمثال فى كل بلاد الدنيا على التسامح الدينى، عندما تدين بالإسلام!.. فعاشت فى ظلال إسلامه أكبر الأقليات النصرانية فى بلد إسلامى، وازدهرت فى حضارته الإسلامية أعرق كنائس النصرانية على الإطلاق، وتعانقت فى ثورات وأفراحه وأتراحه شعارات «الهلال» و«الصليب»!.. بل إن أغلبية هذا الشعب قد ظلت على نصرانيته، فى ظل الحكم الإسلامى، عدة قرون.. ولم تدخل هذه الأغلبية فى الإسلام أفواجا إلا عندما عجزت كنيستها عن تلبية حاجاتها الروحية، وبدا لها - بالمقارنة مع بساطة

(٧) أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ٨٩، ٩٠، ٤٥٥، ٩٨، ٩٩ ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، وعبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحرأوى طبعة القاهرة ١٩٧٠ م. وانظر كتابنا «الغزو الفكرى.. وهم أم حقيقة؟» ص ١٥٥ وما بعدها. طبعة القاهرة ١٩٨٩.



نصراني.. بل وضاعت حتى بالتعددية المذهبية داخل النصرانية الوحدة.. «شارلمان» (٧٤٢ - ٨١٤م) فرض النصرانية على السكسونيين بحد السيف.. وفي الدانمرك، استأصل الملك «كنوت» الديانة غير المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب.. وفي بروسيا، فرضت جماعة «إخوان السيف» المسيحية على الناس بالسيف والنار.. وفي ليفونيا، فرض فرسان Drdo Frotrum Militiae Christ المسيحية على الشعب فرضاً.. وفي جنوب النرويج ذبح الملك «أولاف ترايغفيون» كل من أبى اعتناق المسيحية، أو قطع أيديهم وأرجلهم، ونفاهم وشردهم، حتى انفردت المسيحية بالبلاد.. وفي روسيا، فرض فلاديمير عام ٩٨٨م المسيحية على كل الروس، سادة وعبيداً، أغنياء وفقراء، غداة اعتناقه لها.. ولم يعترف فيها بإمكانية تعدد الأديان إلا في مرسوم صدر عام ١٩٠٥.. وفي الجبل الأسود - بالبلقان - قاد الأسقف الحاكم «دانيال بيتروفتس» عملية ذبح غير المسيحيين بمن فيهم من المسلمين ليلة عيد الميلاد عام ١٧٠٣م وفي المجر أرغم الملك «شارل روبرت» غير المسيحيين على التنصر أو النفي من البلاد عام ١٣٤٠م وفي أسبانيا - قبل الفتح الإسلامي.. كان المجمع السادس، في طليطلة، قد حرم كل المذاهب غير المذهب الكاثوليكي.. وأقسم الملوك على تنفيذ هذا القانون بالقوة..!؟.

فتم تحول جمهور المصريين إلى الإسلام، في ظل «التعددية»، المؤسسة على الحرية والاختيار، وعبر قرون عدة، فكانت التجربة العظمى التي تعلم فيها هذا الشعب التسامح الديني لأول مرة في تاريخه الطويل..!

● وبالمقارنة، سنجد أن دار الإسلام قد تفردت بين أوطان الحضارات ببقاء الديانات، السابقة على الإسلام، جميعها فيها، بعد ظهوره، وفي ظل دولته وحاكمية شريعته، مع ازدهار مدارس لاهوتها كلها، بل لقد تمتعت هذه الديانات كلها، في ظل الإسلام، بالتعددية التي حافظت على علاقاتها، والتي ضبظت وكننت هذه العلاقات السلمية لأول مرة في تاريخها، حيث طوى الإسلام نهائياً صفحة «الحروب الدينية» بين أتباع كل الديانات وكأن - تاريخها - المنظم لتعددية المذاهب داخل مختلف الديانات!.. ولم يقف ذلك عند أتباع الديانات الكتابية المعروفة، وإنما شمل ديانات وضعية وشبه وضعية مثل ديانات فارس والهند والصين أدخلها الفقهاء المسلمون في عداد الديانات الكتابية، وقالوا لقد كانت لها كتب فضاعت، أو لعل أمرها كان كذلك!؟..

حدث هذا الإنجاز - في ميدان «التعددية» - بدار الإسلام، وعلى امتداد تاريخه.. في الوقت الذي ضاقت فيه صدور أوروبا الوثنية بكل ما هو «آخر» وغير وثني.. فلما تديننت بالنصرانية ضاقت صدورها بكل ما هو غير





١٩٩٢م بالدورة الأولمبية - إحياء لذكرى خمسمائة عام على إبادة المسلمين في الأندلس؟! .. ثم يتبع ذلك بمجزرة إبادة المسلمين في البلقان؟! فإنه يعلمنا أن رفضه للتعددية ليس بالصفحة التي طواها تطور التاريخ؟! : ففارق بين حضارة لا تريد للآخر الديني «وجودا» على خريطة أوطانها.. وبين حضارة حافظت وتحافظ على وجود الآخر الديني حفاظها على الشعائر الدينية التي تتقرب بالحفاظ عليها إلى الله - سبحانه وتعالى - وتنفذ به سنة رسوله ﷺ .. بل لقد تجاوزت في ذلك مستوى الحفاظ على «وجود» الآخر، إلى حيث تستطيع أن تقرأ أسماء أعلام الأقليات الدينية في تراجم وزراء دول الإسلام على مر التاريخ! ..

● وإذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما فتحت القدس قد أبى أن يصلى في كنيسة القيامة، كي لا تكون هناك شبهة، لمن يأتي من بعده، بوجود «حق» للمسلمين فيها.. فإن الصليبيين الذين اغتصبوها (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م) لم يكتفوا بإبادة المسلمين في مذبحه سبحت فيها خيولهم بدماء المسلمين في مسجد عمر؟! .. وإنما حولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة.. وإبان سنوات الاغتصاب الصليبي للقدس والأقصى، اشتاقت نفس الأمير المؤرخ أسامة

وحيثما امتد نفوذ وحكم الحضارة الغربية، امتد الإنكار للتعددية «فاليعاقة» في مصر والشرق، اضطهدهم الأرثوذكس الملكانيون، بالقتل والنفي والتشريد.. وقتل «يستنيان الأول» (٥٢٧ - ٥٦٥م) مائتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية وحدها، حتى اضطروا من نجا من القتل إلى الهرب في الصحراء!.. وفي أنطاكية، حدث نفس القهر والاضطهاد لمعتنقي غير المسيحية، بل وغير مذهب الدولة الرومانية بالذات!.. وفي الحبشة، قضى الملك «سيف أرعد» (١٣٤٢ - ١٣٧٠م) بإعدام كل من أبى الدخول في المسيحية أو نفيهم من البلاد.. وصنع مثل ذلك الملك «جون» في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي!.. ناهيك عن مأساة المسلمين.. وأيضاً اليهود.. في الأندلس على يد فرديناندو (١٤٥٢ - ١٥١٦م) وإيزابيلا (١٤٥١ - ١٥٠٤م)^(٨).

وبعد ظهور البروتستانتية كانت إقامة قداس بروتستانتى في بلد كاثوليكي عقوبتها: سجن النساء مدى الحياة، وإرسال الرجال للتجديف حتى الموت، وإعدام الكهنة!.. وكانت المواكب تسير، في ذكرى المذابح الدينية، شكراً لله؟!^(٩)

وعندما يحتفل الغرب.. في «برشلونة»

(٨) (الدعوة إلى الإسلام) ص ٣٠ - ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ - ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤ - ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦.

(٩) وول ديورنت (قصة الحضارة) الطبعة العربية. القاهرة.





والأمير المجرى «هنيادي» تقول: إنهم سألوا
الأمير المجرى:

– ماذا تصنع لو انتصرت على المسلمين؟
– فقال: أؤسس العقيدة الرومانية
الكاثوليكية..

فلما سألوا السلطان العثماني:

– ماذا تصنع لديننا لو انتصرت؟
– قال: «أقيم كنيسة إلى جانب كل
مسجد، وأدع مطلق الحرية لكل فرد أن يصلي
في أيهما شاء»!؟^(١١)

أما بونابرت الذي لم يتعلم التعددية، ولم
يعرفها سبيلا للتعایش مع «الآخر» فلقد
رأيناه يسلك إلى التعایش مع المصريين سبيل
الكذب عندما ادعى «أن الفرنسيون هم أيضا
مسلمين خالصين».. وأنه أكثر من الممالك،
يعبد الله- سبحانه وتعالى- ويحترم نبيه
محمد والقرآن العظيم..^(١٢) وأنه «محب
الملة المحمدية»!؟^(١٣)

فهذا فاتح يمثل حضارة لم تعرف التعددية
سبيلا إلى التعایش مع الآخرين.. وذاك فاتح
كانت التعددية سبيل حضارته إلى التعایش
مع الآخر، داخليا وخارجيا.. وعلى كل
المستويات!

ابن منقذ (٤٨٨ – ٥٨٤ هـ – ١٠٩٥ م)
للصلاة في الأقصى، فذهب إليه..
بواسطة علاقات كانت له مع بعض الفرسان
الصلبيين.. فلما توجه إلى القبلة، ودخل
في الصلاة إذا بمن يحول وجهته عن قبلة
الإسلام قسرا.. وكلما عاد إلى قبلة الإسلام
أعادوه إلى قبلتهم هم.. فهم لا يعرفون..
وإن عرفوا لا يطبقون.. التعددية حتى في
التوجه إلى رب المشارق والمغارب
جميعا؟!^(١٠)

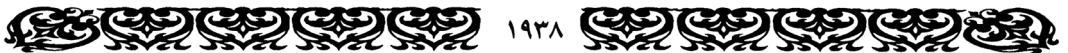
● وبالمقارنة، بين الفتح الإسلامي - الذي
كان يسلك للتعایش مع «الآخرين» طريق
«التعددية» وعليها يتأسس التسامح، الذي
تقننه الشريعة، لا المرهون بسجاي حاكم من
الحكام، أو خلق أمير من الأمراء.. بمقارنة
هذا الفتح بما صنعه بونابرت (١٧٦٩ –
١٨٢١) - نموذج «الحرية.. والإخاء..
والمساواة» الغربية، في أرقى وأحدث صورها
- مع المصريين عندما جاءهم طليعة للغزوة
الاستعمارية الغربية الحديثة.. نكتشف
الفارق بين حضارتين في هذا الميدان.. فإبان
الفتوحات العثمانية في البلقان ووسط أوروبا،
صاغ القصص الغربي أسطورة تناقلها الناس
أثناء وعقب الحرب بين السلطان العثماني

(١٠) أسامة بن منقذ (الاعتبار) ص ١٣٤، ١٣٥ تحقيق: فليبي حتى. طبعة جامعة برنستون ١٩٣٠م.

(١١) (الدعوة إلى الإسلام) ص ٢٢٣.

(١٢) د. أحمد حسين الصاوي (المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة) ص ١٠٦ طبعة القاهرة ١٩٨٦.

(١٣) الجبرتي (عجائب الآثار) تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة ١٩٦٥م.





الإسلام قضية عادلة في يد محام فاضل والمدعون عليه ضرورون

للمستاذ الدكتور / عبد العظيم الطعنى

٣

١١/٩/٢٠٠١ وانضم رجال السياسة فى الغرب، إلى حملة الأقلام فى إصاق هذه التهم بالإسلام بما لا يخفى على أحد .

ونحن لاننكر أن جهوداً فردية لعلماء ومفكرين مسلمين تصدت لهذه الافتراءات فى جيلنا هذا، وفى جيل العمالة السابق على جيلنا .

لاننكر هذا، ولكن الذى ننكره أن تكون هذه الجهود الفردية كافية .

والذى ننكره انعدام العمل الجماعى للأمة ومؤسساتها ومنظماتها ومواقفها الرسمية فى وجه هذا الهجوم الذى لا يستنكف أحد فى الغرب أن يكون جندياً فيه ولو من وراء ستار .

وقد مرّ على أمتنا عهد قريب كانت لاتقيم أى وزن لأى دفاع عن الإسلام يصدر عن المفكرين والعلماء والأفراد، بل لم يسلم هؤلاء من الأذى أو الوصف بالتزمت والانغلاق والرجعية، حتى وقع الفأس فى الرأس كما يقول المثل . وظهر لساسة الأمة أن الذى كان يردده أولئك الأفاذا هو حق لأمتهم . وقوة وعى لا تزمت .

من المجالات التى فشل المسلمون فيها فى الدفاع عن الإسلام مع ظهور الحق فيها، وزيف شبهات الخصوم، مجال « حقوق الإنسان » وحقوق الإنسان فى الفكر المعاصر مبدأ مقدس، ومغال فيه فى الفكر الغربى إلى أقصى الحدود، ومما هو معروف للعامة والخاصة أن مبدأ تقرير حقوق الإنسان تنسبه أوروبا المعاصرة إلى منجزاتها هى، لا إلى منجزات أية حضارة غير حضارتها الغربية .

وهذا - وحده - فيه حيف عظيم على الإسلام وحضارته الإنسانية . ذات الجذور العريقة بوحي الله - عز وجل - ، ثم بعقيدة التوحيد .

وسكوت المسلمين عن هذا الادعاء قصور فى واقع الأمة لا يغفر .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، وهو مجرد نسبة « حقوق الإنسان » إلى الحضارة الغربية . ولكنه تجاوز فى التعدى على الإسلام، فاتهموه بأنه لا يعرف شيئاً عن حقوق الإنسان، ورموه بالتخلف والرجعية، وبلغ الهجوم على الإسلام فى هذا المجال المدى بعد كوارث



● وسلطة الملوك التي كانت تملك جسم الإنسان وطاقاته أمام الإنسان نفسه فلم يكن يملك شيئاً من شعونه لا فى سره ولا فى نجواه.

نظام فاجأ الإسلام به الدنيا كلها

بدأت حقوق الإنسان مع بدء الإسلام نفسه، ثم أخذت فى مدارج النمو والازدهار مواكبة لنمو الإسلام وازدهاره.

● حقوق الإنسان نزل بها القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة.

● وحقوق الإنسان أقرتها السنة النبوية على مدى العمر النبوى الشريف.

● وحقوق الإنسان أقرها الفقه الإسلامى الاجتهادى استنباطاً من القواعد الكلية الإجمالية من الفاحص الدءوب فى مصدرى الشريعة (الكتاب والسنة).

هذا، وقد واكب وضع حقوق الإنسان فى الإسلام كل الوقائع والأحداث، التى حفل بها العصر النبوى. وكان لوضع حقوق الإنسان فى الإسلام مرحلتان :

الأولى : المرحلة التفصيلية فى الكتاب والسنة ونعنى بها الحقوق التى نزل بها القرآن فى بعض الآيات التى لها أسباب نزول، وهى لاتكاد تحصى ثم قضية النبى ﷺ، وفصله بين الخصوم فى الوقائع التى رفعت إليه فى حياته الشريفة.

المرحلة الثانية : ونعنى بها ما ورد فى الخطبة الجامعة، التى ألقاها صاحب الرسالة فى حجة الوداع، فى موسم الحج الأكبر الجامع، وذلك حين الوقوف على عرفات فى التاسع مع ذى الحجة فى السنة العاشرة بعد الهجرة الشريفة، إن هذه الخطبة هى

ولكن بعد فوات الأوان. فقد تجاوزت أوروبا -الآن- مجرد الأقوال، إلى واقعية الأفعال، ومبادئ حقوق الإنسان أوروبا آخر من تتكلم عنه علماً وتطبيقاً.

أما الإسلام فهو أبوعذرة هذه المنجزات، لم يتقدم عليه نظام وضعى، أو دين سماوى، ولم يتأخر عنه نظام وضعى، أو دين سماوى قط، فهو مسبوق بنظم وضعية، وبرسالات سماوية، لم نر فيها، ولن نجد فيها رعاية لحقوق الإنسان وموضوعية شاملة مثلما وجدنا فى الإسلام، ومثلما نجده نحن الآن، ويجده معنا كل منصف من واحات وارفة الظلال، يانة الثمار، تشمل كل من تحقق له وصف الإنسان، وهو جنين فى رحم أمه، أو رضيع أو فطيم إلى آخر يوم من حياته، بل وله حقوق فى الإسلام حتى بعد موته يجب الوفاء بها.

إن صلة أوروبا بحقوق الإنسان نظرياً عمرها الآن ما يزيد قليلاً على نصف القرن.

وقد يغالى فريق فيرجع هذه الصلة إلى أكثر من مائتى سنة بقليل، حيث يؤرخون لها بقيام الثورة الفرنسية.

بيد أن رجوع هذه الصلة إلى صدور وثيقة حقوق الإنسان عام ١٩٤٨ هو الأقرب إلى الصواب أما قبل هذا فلم يكن للغرب صلة إيجابية بمبادئ حقوق الإنسان. ولا يملك أحد ذرة من واقع مقبول يجعل للغرب أصالة فى مجال حقوق الإنسان، لأن إنسان أوروبا كان موزع الولاء بين سلطتين ظالمتين غاشمتين، تقاسمتا واقع الإنسان الغربى فى العصور الوسطى، هما :

● سلطة رجال الكنيسة، وكانت تملك قلب الإنسان وعقله، أو هكذا ينبغى أن يقال.



« الوثيقة الحقوقية لحقوق الإنسان » قبل أكثر من أربعمئة سنة بعد الألف .

فقد أجمع النبي ﷺ أهم وأبرز حقوق الإنسان التي تفرق ذكرها في آيات الكتاب العزيز، والأحاديث النبوية الشريفة هاتان هما المرحلتان اللتان وضع الإسلام فيهما مبادئ وأسس حقوق الإنسان، ويعتبر ما ورد في المرحلة الإجمالية الثانية (خطبة حجة الوداع) توكيدا وزيادة تقرير وتوصية لما ورد في المرحلة التفصيلية الأولى .

وتتميز حقوق الإنسان في الإسلام بسمتين عظيمتين :

الأولى : باعتبار من هو الإنسان الذي وضع الإسلام حقوقه .

هذا الإنسان في الإسلام هو الإنسان من حيث هو إنسان، دون النظر إلى جنسه أو لونه أو شرفه أو وضاعته، أو غناه أو فقره أو قوته أو ضعفه، أو كونه رئيسا أو مرعوسا فكل من ولدته أمه حيا أحاطه الإسلام بهالة من الحقوق أو الضمانات، التي تهيب له حياة طيبة كريمة آمنة . ومن هذه الحقوق :

● حرمة دمه، فهو من يوم يولد يكون معصوم الدم . لا يجوز لأحد - مهما كان - الاعتداء على دمه فيقتله، فإن قتله عدوانا ظلما، وجب القصاص العادل فيقتل فيه، إلا أن يعفو أولياؤه .

وكذلك لا يجوز لأحد الاعتداء على جسده دون القتل، ولا على أحد أطرافه، فإن تعمد ذلك فالإسلام يبيح للمعتدى عليه أن يقتص من المعتدى كما يلزم المعتدى دفع تعويض مناسب إذا اعتدى على

عضو في الجسم عطله عن أداء وظيفته في الحياة حرية التملك، فلكل إنسان أن يمتلك ما شاء من المقومات المباح امتلاكها .

وله حرية مقدار ما يمتلك دون حد أقصى يقف عنده، مادامت مصادر كسبه مشروع، وله حرية الاحتفاظ بما يملك، وليس لأحد أن يجبره على إخراج شيء من ملكيته قهرا وإكراها .

● وله التصرف فيما يمتلك بالبيع أو الهبة أو الصدقة .

● حرية الاعتقاد، فليس لأحد، ولو كان رسولا أو حاكما أن يفرض على إنسان ما عقيدة معينة هو غير مقتنع بها، ولا أن يكرهه على الخروج من عقيدة هو بها مؤمن ومقتنع، مهما كانت باطلة أو يشوبها شيء من البطلان . وحرية الاعتقاد تكرر تقريرها مرات في الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (١)

وقوله عز وجل :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كَُلَّهُمْ

جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

وقوله جل شأنه :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

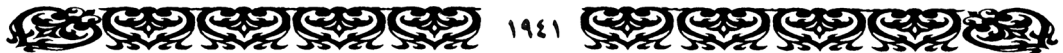
وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ (٣)

● حريات القول والعمل، فليس لإنسان أن يحجر على إنسان في قول أو عمل، لكن بشرط أن

(٢) يونس (٩٩).

(١) البقرة (٢٥٦).

(٣) الكهف (٢٩).





يَتَأْتِي النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

كان المخاطب في هذه الآية هو «الناس» وليس الذين آمنوا، لأن المبدأ المقرر في الآية مبدأ عام يشمل البشرية كلها مهما اختلفت عقائدهم، إنه مبدأ «المساواة» بين بنى آدم، فأصلهم واحد هو آدم وحواء، وهو المراد من قوله «ذكر وأنثى» وبهذا المعيار فلا فضل ولا امتياز لأحد على أحد، لا بقوته، ولا بغناه ولا بجاهه، لأن أباهم واحد، وأمهم واحدة وبذلك ألغى الإسلام كل القيم الأرضية الزائفة التي يتباهى بها فريق على آخر، كما ألغى الفوارق القبلية والشعبية والأسرية، وبين أن هذه الفصائل إنما هي مجرد التعارف المساعد على تسهيل التعامل بين الناس في شئون الحياة.

أما معيار الفضل والكرامة فهو لا صلة له لا بالكثرة ولا بالقلّة، ولا بالنسب ولا فى الجاه، وإنما هو «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» والتقوى هى عمران القلب بالآيمان، والسلوك الطيب والعمل الصالح. وبهذا علا مقام بلال العبد الحبشى عند الله، ونزل مقام أبى جهل القرشى الرفيع النسب. والحديث في هذا المجال لا يحاط به إلا فى موسوعات، أما الإنسان فى حضارة الغرب، وحقوق الإنسان التى تدعى أوروبا نسبتها إالى نفسها، فإن الإنسان فيها هو : «الإنسان الأوروبى» وتملك على ذلك عشرات الأدلة «الطازجة».

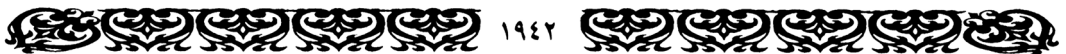
يكون القول غير آثم، وحتى فى هذه الحالة إن تعلق القول بأذى آخرين فمن حقهم رفع الأمر لولى الأمر (القاضى) لزجره وردعه، أما إن القول إنما عاما فأمره إلى الله - عز وجل -، يعنى أن عقوبته أخروية.

والعمل مباح لكل إنسان حسب مواهبه وقدراته إلا إذا تعلق بالمحظور شرعا، أو كان ضاراً بحقوق الآخرين. فالعمل يشترط فيه تحقيق نفع العامل - وهذا حق له- . ثم عدم الإضرار بالناس.

ومن الحقوق الإنسانية التى أقرها الإسلام أن الإنسان لا واسطة بينه وبين الله -عز وجل- ولا سلطان لأحد عليه. وهذا معناه أن الإسلام فى وضعه لحقوق الإنسان حرر البشرية جمعاء من الخضوع والإذلال أمام أحد من الخلق وهذا المعنى هو الذى عناه ربعى بن عامر فى إجابته على سؤال وجهه اليه هرقل عظيم الروم عن المهمة التى جاء بها الإسلام، فقال ربعى : « جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ».

إنها أبلغ عبارة قيلت فى وصف الإسلام فى مجال حقوق الإنسان. وشرحها يحتاج إلى مجلدات مع وضوحها فى نفسها.

وما يتشدد به مفكرو الغرب من أن الحرية والعدل والمساواة مبادئ وضعتها الثورة الفرنسية فى حقوق الإنسان. هذا الكلام محض افتراء أو جهل، لأن الإسلام، قبل الثورة الفرنسية بأثني عشرة قرنا كان قد أقر هذه المبادئ قولاً وعملاً، منهجا وسيرة. وتفصيل هذا أمر غير ممكن فى هذا المقام، لأن تاريخ الإسلام حافل بأروع الصور، التى حدثت عبر تاريخه الطويل ومما ورد فى القرآن فى هذا المجال قوله تعالى :





وهل تملك مبادئ حقوق الإنسان في حضارة أوروبا الحديثة مثالا واحداً مما تذخر به حقائق الإسلام في أوثق مصادره :

ففي عصر نزول القرآن سرق أحد سفهاء الأنصار جراباً مملوءاً بالدقيق، ثم أودعه عند رجل يهودى. دلت التحريات أن الجراب موجود لدى اليهودى. فلما سئل عنه قال : هذا وديعة لفلان، فأنكر السارق أنه أودع اليهودى جراب الدقيق، وشهد قومه زوراً على تبرئته وإدانة اليهودى. حتى هم النبى ﷺ أن يدين اليهودى بالسرقة، ولكن الله سارع وأنزل وحيه الأمين بهذه الآيات الحكيمات :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً ١٥٥ ﴾
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ١٥٦ وَلَا تَجِدُ
 عَنِ الدِّينِ يُخْتَلَوْنَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
 خَوَّانًا أَثِيمًا ١٥٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ
 مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
 اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٥٨ هَٰذَا نَتْلُوهُ لَكَ جَدَلًا
 عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ لَ اللَّهِ عَنْهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ أَمٌّ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ١٥٩ وَمَنْ يَعْمَلْ
 سُوًءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ نُمَسِّكْهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا
 رَحِيمًا ١٦٠ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٦١ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
 ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ١٦٢ (٥).

● موقف أوروبا من الصراع البوسنى الصربى .
 ● موقف أوروبا من الصراع الفلسطينى الاسرائيلى .

● موقف أوروبا من تيمور الشرقية وتيمور الغربية .
 ● موقف أوروبا من العراق وكوريا الشمالية .
 ● موقف أوروبا من مشكلة الشيشان وروسيا .

اما السمة الثانية لحقوق الإنسان في الإسلام، فهي الموضوعية والثبات، فلا انحياز فيها لفريق ضد فريق، ولا تغيير ولا تبديل فيها ولا إحلال مبدأ بعد رفع مبدأ آخر، جبريا مع الهوى، وجبريا مع العواطف والمحابة والدليل نموذج لاتجده فى حضارة أوروبا ففى فتح سمرقند فى عهد الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز خالف قائد الجيش المسلم الذى فتح سمرقند منهج الإسلام فى عرض الدعوة، وأخضع المدينة للنفوذ الإسلامى، فرفع أهل سمرقند الأمر الى عمر بن عبدالعزيز، فأمر - رضى الله عنه - بتشكيل محكمة ميدان تنظر فى هذه الواقعة، وإذا بالقاضى المسلم يحكم لأهل سمرقند، ويأمر بخروج الجيش المسلم منها. كما قضى بأن تدفع الدولة الإسلامية تعويضات لأهل سمرقند من جراء الأضرار التى لحقت بهم من الفتح غير المستوفى شروط السلامة ويهم الجيش بالخروج، إلا أن أهل سمرقند يعدلون عن شكواهم، ويطلبون ببقاء المسلمين فى بلدتهم لما رأوه فيهم من كرم الأخلاق وحسن العشرة! هل تعرف حضارة أوروبا شيئا صنعتته مثلما صنعت حقوق الإنسان فى الإسلام؟

(٥) النساء (١٠٥ : ١١٢).



وعقيدته فهذا «الحق» يتحفظ عليه الإسلام، ولا يسمح به على إطلاقه.

أما فيما ذلك فوثيقة حقوق الإنسان الدولية مستوحاة كلها من نصوص الإسلام (الكتاب والسنة) ثم أصول الفقه والفقه.

إذن فإن هيئة الأمم لم تأت بجديد في مجال حقوق الإنسان لم يقرره الإسلام منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، اللهم إلا ما انحرفت فيه هذه الوثيقة، وهو قليل، عن الحقوق الفطرية للإنسان التي قررها الإسلام من قبل.

والمطلوب لتفعيل هذه الوثيقة، أن تؤصل المواد التي وردت فيها بخصوص حقوق الإنسان إسلامياً بإرجاع كل فكرة فيها إلي النصوص التشريعية الإسلامية وما انبثق عنها من قيم في الفقه الإسلامي وأصوله، وأن يضاف إليها ما أغفلت الوثيقة ذكره من مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام، ثم تترجم هذه الأعمال إلي اللغات الحية، وتبث بكل وسائل البث الحديث المنتشرة في العالم، ليطلع عليها الناس في كل دولة على أن تتضمن الرسائل إشارات صريحة إلي أن وثيقة حقوق الإنسان الدولية، التي عمرها الآن نصف قرن قد سبق الإسلام الوجود كله وأقرها قبل عصر النهضة الحديثة في أوروبا وغيرها.

وحبذا لو عقد من أجل ذلك مؤتمر عالمي تعرض فيه هذه الحقائق، ثم يقال لمفكرى الغرب وللخصوم الإسلام، الذين اتهموه بأنه لايعرف شيئاً عن حقوق الإنسان. يقال لهم :

إنكم تتباهون بـ«وثيقة حقوق الإنسان الدولية الحديثة، وتدعون أنها عمل مبتكر نشأ وترعرع برعاية العقل الأوروبي الحديث. وهاهو ذا الإسلام قد سبقكم بها منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام.

أنظر كيف واجه القرآن هذه الجريمة، التي حاول بعض الناس إلصاقها باليهودى، ليبرأوا قريباً لهم، فنزلت هذه الآيات الثماني تشير إلى براءة اليهودى مما رمى به ظلماً وعدواناً، واليهود كانوا حرباً شعواء على الإسلام يحاولون إطفاء نوره، ويتآمرون مع خصومه عليه. لكن الحق هو الحق، وحماية الإنسان، إلى إنسان، من الظلم حق مقدس في الإسلام للمظلوم.

فهل في حضارة الغرب الحديثة واقعة تماثل هذه الحقيقة في الإسلام أو تداينها.

إن الإسلام منهجا وسيرة هو المصدر الأول لمبادئ حقوق الإنسان في كل زمان ومكان، دون التفرقة بين الناس جميعاً.

إن أئمة المسلمين، إن أخلصوا في نصرة الإسلام، ورد مزايه المألوف إليه، أمامهم أعظم حجة، وأقوى برهان، يفحمون به خصوم الإسلام في أوروبا الحديثة ولو فعلوا لسدوا كل الطرق أمام الطاعنين في الإسلام ولألزموهم بأن الإسلام، وليس غيره، هو الذى أعلى شأن الإنسان، وقرر حقوقه، وحرره من كل أشكال العبودية والتبعية لغير الله - عز وجل.

تلك الحجة، التي يجب شهرها في وجوه الخصوم هي وثيقة حقوق الإنسان التي أصدرتها هيئة الأمم منذ نصف قرن أو يزيد قليلاً.

لقد درسنا هذه الوثيقة، وقارنا ما ورد فيها مادة مادة، فوجدناها مستقاة من مبادئ الإسلام وقيمة وشريعته، وقد أرجعنا كل ما ورد فيها إلي أصوله الإسلامية، إلا قليلاً خالفت فيه هذه الوثيقة شريعة الإسلام، مثل :

لكل إنسان أن يتزوج من يشاء، مهما كان دينه



ما أشبه الليلة بالبارحة

العيد الحزين

للشاعر الأستاذ / أحمد مخيمر

عيد وعيد

للشاعر العراقي الأستاذ / إبراهيم الوائلي

قصيدتان دامتان قيلتا في عيد مرّ من قبل على الأمة العربية وهي في أشد غمرات الحزن.
واليوم يعود العيد، والأمة العربية تعاني من الآلام ما لا قبل لها به والمأساة هي المأساة.
فرأينا أن ننشر هاتين القصيدتين، وهما لشاعر مصري، وآخر عراقي.

المحرر



العيد الحزين

للشاعر الأستاذ / أحمد مخيمر

لا عيدَ حتى يَتِمَّ النُّصْرُ والغَلَبُ
لا عيدَ.. والشَّعْبُ لم تَرْقَأْ مَدَامِعُهُ
لا عيدَ.. والمُعْتَدَى دَاسَتْ جَحَافِلُهُ
ليس العويلُ الذي في الرِّيحِ أَسْمَعُهُ
يرى وجوهاً غريبَاتٍ.. تُطَالِعُهُ
وظِلٌّ ضَمِيمٍ لِرَايَاتٍ يُشَاهِدُهَا
ما خَاضَ من رَكَزُوهَا قَبْلَ مَعْرَكَةٍ
هَانَتْ.. وهَانَ لَهُمْ فِي ظِلِّهَا شَرَفٌ
لا عيدَ يَا وَلَدِي.. أَمَّا الَّذِينَ تَرَى
لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا.. لم يَطْرَبُوا أَبَدًا
والْجَهْلُ فِيهِمْ سِلَاحٌ.. ليس يَمْلِكُهُ
فَلا تَكُنْ مِثْلَهُمْ.. والدَّمَعُ مُغْتَرَفٌ
وَلُعْبَةُ الْعِيدِ.. إِنْ تَفَرَّحَ بِهَا زَمَنًا
وَتَأْخُذَ الثَّأْرَ منْ أَعْدَائِهَا الْعَرَبُ^(١)
على الضَّحَايَا.. ولم يَسْكُنْ بِهِ الْغَضَبُ^(٢)
على تُرَابِ بِلَادِي.. وهو مُغْتَصَبُ^(٣)
إِلَّا صُرَاحُ أُسَاهُ.. وَهُوَ يَنْتَحِبُ^(٤)
وَأَيْدِيًا قَاتِلَاتٍ.. مِنْهُ تَقْتَرِبُ
عَلَيْهِ.. لَيْسَتْ إِلَى التَّارِيخِ تَنْتَسِبُ^(٥)
يَكُونُ فِيهَا لَهُمْ.. مِنْ بَعْدِهَا الْغَلَبُ
أَذْلَهُ أَهْلُهُ وَالِدَهُرُ وَالْحِـقْبُ^(٦)
فَإِنَّهُمْ فِي يَدِ الْمَاسَةِ قَدْ لَعِبُوا
لَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا لَمْ يَعْرِفُوا.. طَرَبُوا
إِلَّا الْعَدُوَّ.. بِهِ لَمَّا التَّقَوُّوا ضَرَبُوا^(٧)
وَالْهَوْلُ مُنْتَظِرٌ.. وَالْمَوْتُ مُرْتَقِبُ^(٨)
فَالْعِيدُ يَمْضِي.. وَتَمْضِي بَعْدَهُ اللَّعْبُ

(١) الغلب: الغلبة والظفر.

(٢) الجحافل: جمع جحفل وهو الجيش، والضمير في «هو» يعود على تراب البلاد.

(٣) الضمير: الظلم.

(٤) الأسى: الحزن، ينتحب: يبكي.

(٥) يقول: إن جهل العرب كان سلاحاً في يد أعدائهم.

(٦) الحقب: جمع حقبة وهي الفترة من الدهر.

(٨) مغترف: منزوف.

إليك.. يَوْمُ انتِصَارِ صُبْحِهِ عَجَبٌ
ورافِعاً جَبْهَةً.. ذَلَّتْ لَهَا الثُّوبُ^(٩)
أُسْطُورَةٌ صَاغَهَا الْعُدَوَانُ وَالْكَذِبُ
عَاتَى الرِّيحَ.. يَمُوجُ الْحَقْدُ يَضْطَرِبُ
وَلَيْسَ يُثْمِرُ فِي رُوحِ لَهَا أَرْبُ^(١٠)
وَلَا غَدٌ تَرْتَجِيهِ.. فَهُوَ مُحْتَجِبٌ
إِلَى الْحَيَاةِ.. فَخَابَ السَّعْيُ وَالطَّلَبُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَمْنِهِ فِيهِ لَهُ سَبَبُ^(١١)
أَوْ أَنْهُمْ غَدَرُوا.. أَوْ أَنْهُمْ نَهَبُوا
وَلَا الشَّجَاعَةَ فِيهِمْ إِنْ هُمْ رَكِبُوا
وَلَا الْوَفَاءَ بِمَأْمُونٍ إِذَا صَحَبُوا
فَكُلُّهُمْ تَائِهٌ فِي الْأَرْضِ مُفْتَرِبٌ
وَفِرْقَةُ الرَّأْيِ جَادَتْ بِالَّذِي كَسَبُوا
وَأَسْلَمَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي سَلَبُوا
فَالشَّعْبُ يَكْشِفُهَا فَيَمْنُ بِهَا نَكَبُوا^(١٢)
فِي حَيْثُمَا سَكَنُوا.. أَوْ أَيْنَمَا ذَهَبُوا
يَهْوَى.. وَبَحْرٌ مُخِيفٌ الْمَوْجُ يَنْقَلِبُ
تُضَيُّءُ مِنْ نُورِهِ الْأَيَّامُ وَالْحَقِيقَةُ
فَإِنَّمَا الرَّاحَةُ الْكُبْرَى لِمَنْ تَعَبُوا

سَأَشْتَرِيهَا.. وَلَكِنْ سَوْفَ يَحْمِلُهَا
يَوْمٌ.. تَرَى الشَّعْبَ فِيهِ رَاقِصاً فَرِحاً
لَا.. يَا بُنَى.. فإِسْرَائِيلُ مَا بَقِيَتْ
جَزِيرَةُ الْبُغْضِ فِي بَحْرِ يُحِيطُ بِهَا
فَلَيْسَ يُورِقُ فِي قَلْبِ لَهَا أَمَلٌ
وَمَا لَهَا أَبَدًا مَاضٍ تَحِنُّ لَهُ
وَلَنْ تَعِيشَ.. وَقَدْ سُدَّتْ مَسَالِكُهَا
مَنْ يَبْنِي فَوْقَ قِمِّ الْبُرْكَانِ مَنْزِلَهُ
فَلَا يَرَوْعُكَ مِنْهُمْ أَنْهُمْ هَجَمُوا
فَمَا السَّمَاحَةُ فِيهِمْ إِنْ هُمْ نَزَلُوا
وَلَا الْإِبَاءُ بِمَوْجِدٍ إِذَا ظَلِمُوا
مُشَرَّدُونَ عَلَى الْأَجْيَالِ مَذْجِدُوا
أَخْطَاؤُنَا نَحْنُ.. أَعْطَتْ كُلَّ مَا أَخَذُوا
وَمَكَّنَتْهُمْ مِنَ الْفَجْرِ الَّذِي سَلَكُوا
لَكِنْ أَخْطَاؤُنَا لَيْسَتْ تَدُومُ لَهُمْ
وَقَبْضَةُ الْجَيْشِ إِنْ تَضْرِبُ سَتَسْحَقُهُمْ
كَأَنَّهَا جَبَلٌ مِنْ فَوْقِ أَرُوسِهِمْ
لَنْ يُفْلِتُوا مِنْهُ.. وَالْيَوْمُ الْأَخِيرُ لَهُ
إِنْ كَانَ يَشْقَى وَيُلْقَى دُونَهُ تَعَبًا

(٩) الأرب: الغاية المنشودة.

(١٢) نكبو: أصيبوا.

(٩) الثوب: الخطوب والنازلات.

(١١) السبب: الوسيلة والطريقة.



عيد وعيد

للشاعر العراقي الأستاذ / إبراهيم الواصل

لَكُمْ العيدُ نعيماً وهناء
لَكُمْ العيدُ كأنفاس الضُّحى
ولنا العيدُ ظلاماً دامساً
لَكُمْ العيدُ نشيداً ورؤى
ولنا العيدُ حنيناً وأسى
لَكُمْ العيدُ ابتهاجاً ومُنَى
ولنا العيدُ قلوباً ذوبتْ
لَكُمْ العيدُ قرىً فارهةً
ولنا العيدُ تهاويل دُجى
نحنُ مـا نحنُ أفى أوطاننا
نحنُ مـا نحنُ أعن تربتنا
ولنا العيدُ جحيماً وشَقَاءً
ألقاً يَبْسُمُ حُسناً وبهَاءً^(١)
لم نَطالعُ فيه للفجر ضياءً^(٢)
وأهازيجَ ولحناً وغناءً^(٣)
ومناحاتٍ وشَجَراً وبُكاءً^(٤)
ضاحكاتٍ وانطلاقاً وأزدهاءً^(٥)
فأذلتها مآقينا دماءً^(٦)
وبُيوتاً تَمَلأُ النَّفْسَ رَجاءً^(٧)
تبعثُ الرعبَ صباحاً ومساءً^(٨)
نلبسُ التشـريدَ والذل رداءً؟^(٩)
للطريدين غـدونا طرداءً؟^(١٠)

(١) ألقا: نورا.

(٣) أهـازيج: أغاريد.

(٥) ازدهاء: فرحاً.

(٧) فارهة: ناعمة رغدة.

(٩) الاستفهام للتحسر.

(٢) دامساً: حالكأ.

(٤) شجو: حزن.

(٦) أذالتها: سكبتها، المأقى: العيون.

(٨) تهاويل: تصاوير، دجى: ظلام.

(١٠) الطريدين: اليهود الذين طردوا من كل موطن.



الطُّفُولَاتُ عَراها ما عَرا
والأَيامى وسلوا تاريخها
هَيَمَنَ الثَّكُلُ عَلَيْها ومَضَتْ
هى بالأَمس ترى سَيِّدها
وهى اليَومَ تَراه شَبَّحاً
كَلَّمَا نادَتْ به لَمْ تَسْتَجِبْ
زُمُراتٌ على مَسْجِبَةٍ
فِي تَيَمِّمٍ أَفَلَتِ اليُتَمُّ به
وفَتَاةٌ أَسَدَتْ راحَتَها
ورضِيعٌ كَلَّمَا اشْتَدَّ به
لَمْ يَجِدْ فى الثَّدْيِ - إِذْ يَلْمُسُهُ
لَكُمُ العِيدُ مَروِجاً تَزدهى
ولنا العِيدُ رَمالاً تَلْتَظى
لَكُمُ العِيدُ تَضَحُّونَ به
ولنا العِيدُ وما فَدَيْتُهُ

من أَذى اليَتَمِّ ولم تَلقَى عِزاءً^(١١)
هل أَباحت لَسَنًا الشَّمسُ سِنا^(١٢)
تَعَبَّرُ البِيدَ وتَطوِيها حِفاءً^(١٣)
حَارَسَ البَيتَ كما شاءت وشاءَ^(١٤)
لَثَمَ التَّربَةَ واشتَاقَ الثَّواءَ^(١٥)
غَيرُ دُنْيا الفَقْرِ لِلثَّكُلِ نِداءً^(١٦)
تَحْصُدُ الشُّوكَ وتَقْتَتِ الغُثاءَ^(١٧)
من وَحوشٍ مَلَأوا اللَّيلَ عِواءً^(١٨)
طِفْلَةٌ تَبْكى وأَما نَفْسُها^(١٩)
أَلَمَ الجُوعَ احتَسى الدَّمْعَ غِداءً^(٢٠)
بَيدَ واهِنَةٍ - إِلا ذِمَّاءَ^(٢١)
ونَسِماً فى مِجالِها رُخاءً^(٢٢)
وأَعاصيرَ وشوكا وعِراءَ^(٢٣)
ما تَشاءونَ مِنَ الضَّأْنِ فِداءً^(٢٤)
غَيرَ أَحرارٍ تَفانُوا شَهاداً^(٢٥)

- (١١) عراها: غشيها. (١٢) الأيامى: فاقداً الأزواج، هل أباحت: لم تترك للشمس ضوءاً.
(١٣) هيمن: سيطر، حفاء: دون أحذية. (١٤) سيدها: زوجها.
(١٥) لثم: قبل، الثواء: المقام. (١٦) تستجيب: تلبى.
(١٧) زمر: جماعات، مسجبة: مجاعة. (١٨) أفلتت به: نجا به.
(١٩) نفساء: ذات نفاس بعد الوضع. (٢٠) احتسى: شرب.
(٢١) ذماء: ضعيقة، ذمأ: بقية. (٢٢) مروجاً: حقولاً ذات نضرة، رخاء: لنا.
(٢٣) تلتظى: تحترق، أعاصير: رياح شديدة، عراء: فقد المأوى واللباس.
(٢٤) تضحون: تقدمون ضحايا الأنعام. (٢٥) تفانوا: هلكوا.



كُتِبُوا تاريخَ جيلٍ نائر
وَاسْتَجَابُوا لأمانى وطنٍ
البُطولاتُ وما أعظمها
والمِبادِينُ وكم قد حُجبتُ
قد ولَدْنَا نحنُ والحربُ معاً
وحَصَدْنَا شوكةَ البغى التى
وتسابقنا فلم نخش الردى
ثورةُ الشَّرقِ وما ازدادت لها
أيُّها التاريخُ هذى صفحةً
قد كتبتُ بناها ولكن بدمٍ
ونضالٍ طال لكن ما رأى
عبر الوحشُ فألقى تربةً
ومَضَى يكرعُ ماشاء وقد
وعلى «المانش» يدٌ عاتيةٌ

مَاوَنَى يَوْمَماً وَلَا أَرْتَدُّ وَرَاءُ^(٢٦)
كَافَحَ الظلمِ وداسَ الكبرياءُ^(٢٧)
قَدْ خَبَرْنَاها رجالاتُ ونساءُ
بَدْخَانِ الثَّوْرَةِ الكبرى سماءُ^(٢٨)
وَاحْتَمَلْنَاها فلم نَشْكُ العِياءُ^(٢٩)
غَرَسَتْهَا «لَنْدُنُ» فى الشرقِ داءُ^(٣٠)
يَوْمَ أَنْ ثَرْنَا ولم نحذر فناءُ
شُعْلُ إِلَّا لِيَزْدَادَ مِضَاءُ^(٣١)
سَوْفَ تَطْوِيكَ خُلُوداً وبقاءُ
وَنَشْرُنَاها على الدهرِ لواءُ^(٣٢)
غَيْرَنَا فيه الضحايا الأبرياءُ^(٣٣)
خَصْبَةُ المِرعَى وأفياءُ وماءُ^(٣٤)
كَانَ يَشْكُو فى المتيهاتِ الظماءُ^(٣٥)
كَلِمَا أَوْغَلَ زَادَتْهُ احْتِمَاءُ^(٣٦)

(٢٦) ونى: استراح.

(٢٧) الكبرياء: هنا كبرياء المحتل الغاصب.

(٢٨) حُجبت: غُطت، كناية عن اشتداد القتال.

(٢٩) العِياء: العجز والضعف.

(٣٠) شوكة البغى (يهود إسرائيل) وقد غرستها لندن لأن الانجليز قد ساعدوا على الاحتلال الصهيونى أيام الانتداب كما أصدر وزير خارجيتهم بلغور أول وعد بالوطن القومى لليهود.

(٣١) مضاء: قوة وعزيمة.

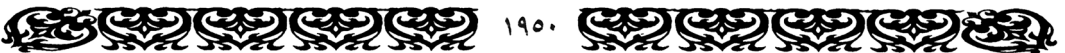
(٣٢) لواء: علماً مرفوعاً.

(٣٣) الضحايا: ما قدمنا من الشهداء.

(٣٤) ألقى: وجد، أفياء: ظلال.

(٣٥) المتيهات: أماكن التيه التى كان حائراً فيها، الظماء: العطش.

(٣٦) المانش: بحر المانش ببريطانيا، وكان الإنجليز هم الحماة لليهود قبل الأمريكان..



يدُ «جنْبُول» ويادُنْيَا اشهدى
 هذه التربة ماذا كابرَتْ
 صَيَّرُوهَا مِرْزَقاً خَاوِيَةً
 فإذا نحنُ حيارى فزْعاً
 ونرودُ الماءَ لكنْ مــــا نرى
 أيها العدْلُ سلاماً فلقد
 ملأُوا العالمَ رعباً ومضوا
 فإذا «الأمنُ» خِيَالٌ كاذِبٌ
 جفَّتِ الأرضُ من الرّىِّ فياخْأَلِقْ ذى النبتة أمطرها السماءُ (٣٧)
 منذ أن كانت تقل الدخلاءُ (٣٨)
 وأحالوها عظاماً ودماءً (٣٩)
 نستجير البيد والقفر الخلاءُ (٤٠)
 غير أوْشالٍ فنرتد ظمأً (٤١)
 صيروا عهدك فى الكون هباءً (٤٢)
 يدعون الحق كذباً ومرأى (٤٣)
 وطيوف تتجافانا ازدراءً (٤٤)
 جفَّتِ الأرضُ من الرّىِّ فياخْأَلِقْ ذى النبتة أمطرها السماءُ (٤٥)



(٣٧) جنانبول: هو اسم عام لكل انجليزى، اخترعته الصحف الكاريكاتورية هناك.

(٣٨) كابدت: قاست، تقل: تحمل، الدخلاء: المراد اليهود.

(٣٩) مِرْزَقاً: قطعاً، خاوية: خالية.

(٤٠) نستجير: نطلب الجوار، البيد: الصحارى.

(٤١) نرود: نطلب باحثين، أوْشال: بقايا الماء الكدر.

(٤٢) هباء: لا حقيقة له.

(٤٣) مرأى: لاجاة وادعاء.

(٤٤) تتجافانا: تبتعد عنا وتتحامانا.

(٤٥) جفّت: نضبت فلا ماء بها، السماء هنا: المطر.

معاداة السامية في الفكر الصهيوني

مؤسّس / صلاح عبد الرحيم محمد

التسعينات من القرن التاسع عشر، فهي لذلك ألمانية المنشأ ويمكن القول أن «موسى هيس» (١٨١٢ - ١٨٧٥) مؤلف كتاب «روما والقدس» هو أحد رواد الفكر الصهيوني، الذي أفلح في توظيف اللامسامية لمهاجمة اندماج اليهود في البلاد التي يعيشون فيها، بهدف دفعهم للهجرة إلى فلسطين. أما المفكر اليهودي الصهيوني «ليو بنسكر» (١٨٢١ - ١٨٩١) فقد تناول اللامسامية (معاداة اليهود) في كتابه «التحرر الذاتي» بوصفها مرضاً موروثاً ينتقل من الأب إلى الابن، ولا يمكن علاجه، ما لم يتغير اليهود جذرياً.

وفي هذا السياق يقول الزعيم الصهيوني اليهودي «حاييم وايزمان» (١٨٧٤ - ١٩٥٢) أول رئيس لإسرائيل: «إن اللامسامية، بالدرجة الأولى، هي مسألة نفسية، باقية، ما دام اليهود موجودين». ويرى زعماء الصهيونية الأوائل أن العدو الأول لليهود في العالم والذي تحاول الصهيونية القضاء عليه يتمثل في فكرة التنوير اليهودية «الهاسكلاه» التي تدعو إلى اندماج اليهود في البلاد التي يقيمون فيها، ومصدر خطورة هذه الفكرة أنها تحد من هجرة يهود الشتات إلى فلسطين. واللافت للنظر أن الصهيونية استغلت دعوى «معاداة السامية»

يُعتبر العالم النمساوي «شلوترز» أول من استخدم مصطلح «السامية» في عام ١٧٨١، وقد أثر رجال الفكر الصهيوني استخدام هذا المصطلح بدلاً من «اليهودية» لأن لفظ «اليهودية» - في نظرهم يحمل دلالات قد لا تلقى قبولا عند كثير من شعوب أوروبا. أما مصطلح «معاداة السامية»

Anti-simism الذي يعني «معاداة اضطهاد

اليهود»، يطابق تماماً مصطلح «اللامسامية» في معناه، ولم يكن هذا المصطلح معروفاً حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ويُعدّ العالم اليهودي «فيلهالم مار» أول من استخدم هذا المصطلح في عام ١٨٧٩ بمعنى اضطهاد اليهود من الأغيار (غير اليهود) وما يجب لفت الأنظار إليه - في البداية - أن اليهود ليسوا وحدهم ساميين، لأن علماء الأجناس يعتبرون العرب أيضاً ساميين، كما أن الغالبية العظمى من يهود اليوم لا تمت إلى الجنس السامي بصلة، لاعتناق أجناس أخرى اليهودية، وللتزاوج من غير اليهود، بعد شتات بنى إسرائيل في أنحاء الأرض، وقد أدى ذلك، بطبيعة الحال، إلى اختلاط الدماء والأنساب. ويذكر كثير من الأدباء والكتاب الصهيونيين أن «معاداة السامية» ظهرت أول ما ظهرت، في الكتابات، في ألمانيا في أواخر



اليهود في شتى مناحى الحياة». ويرحب «هرتزل» بمعاداة السامية بدلا من مناهضتها بقوله: «إن المعادين للسامية حلفاء لنا» وهذا يعنى أن الزعيم الصهيونى لا يرفض اللاسامية تماما، بل يقبل بعض مظاهرها، ويصور كل من هو معاد للسامية بأنه حليف طبيعى للصهيونية لأنه يدفع بهجرة اليهود من بلاد الشتات إلى حيث يريدون، ولعل ذلك ما يؤكده الصهيونى اليهودى «يافنيلى» بقوله: «إن معاداة السامية خير خالص، لأنها تساعد على هجرة اليهود من الشتات، والعودة إلى فلسطين» ويواصل «هرتزل» تأكيد الدور الحيوى الذى تلعبه أسطورة «معاداة السامية» فى تحقيق أهداف المشروع الصهيونى، وكيف يحمل اليهود فى نفوسهم نزعة الشعور باضطهاد الأغيار لهم، فيقول فى مذكراته: «لقد نمت اللاسامية، وهى تستمر فى النمو، وكذلك أنا» وهو بذلك لا يخفى تشجيعه لاستمرار وجود هذه النزعة، ويرى أن تنامي «العداء لليهود» هو تنام للحركة الصهيونية نفسها.

ويؤكد الكاتب اليهودى «ه. كوهين» فى مقال له بعنوان: «صهيون والفكرة القومية اليهودية» علّق فيها على تعاليم هرتزل بقوله: «لقد اعتبر هرتزل معاداة السامية هى القوة الفاعلة التى ينبغى على الصهيونية أن تتعلم كيف تستغلها لمصلحة اليهود، فإن ملامح التاريخ وحقائقه تتجسد فى اللاسامية، وكل ما عدا ذلك ثانوى لا قيمة له». وامتدادا لذلك السياق ذكر الكاتب الصهيونى «بن هخت» فى كتابه «الغدر» «أن القيادة الصهيونية كانت حريصة على حث، وتشجيع الاضطهاد النازى ضد يهود شرق أوروبا لدفعهم للهجرة إلى

لتحريض يهود الشتات على عدم الاندماج فى الشعوب التى يعيشون معها، وحثهم على الهجرة إلى فلسطين. وفى هذا الإطار يقول المفكر الصهيونى «ليو بنسكر»: «إن اليهود بمنزلة الضيوف فى كل مكان، وليسوا أصحاب منزل خاص بهم، حيث يسود العداء للسامية العالم كله، وأن الخوف من اليهود صار مرضا نفسيا، يتوارثه الناس، ولا أمل فى شفائهم منه». لذلك حرص قادة الفكر الصهيونى على تعظيم الهولوكست (اضطهاد وإبادة اليهود) التى تعرض لها اليهود - بزعمهم - لتربية اليهود وتنشئتهم على الخوف الدائم من الأغيار (غير اليهود)، وتعميق الإحساس بعدم الأمن فى ظل وهم تهديد الآخرين لهم بالاضطهاد والإفناء، لتشجيعهم على عدم الاندماج معهم، والهجرة إلى فلسطين. ويجدر الإشارة إلى أن الفكر الصهيونى لا يرفض اندماج اليهود فى بلاد الشتات التى يعيشون فيها فحسب، بل يتقبل معطيات اللاسامية، فيقول «هرتزل» فى مذكراته: «أنا اتفق مع «نوردو» على معاداة السامية، فهى وحدها القادرة على أن تجعل من اليهود يهودا» ويبدو أن هرتزل يذهب، فى رأيه، إلى أن ثمة صلة قوية بين هويته اليهودية ومعاداة السامية حتى إنه كان يرى «أن الهوية» اليهودية تنمو بنمو اللاسامية». ويذكر الزعيم الصهيونى «هرتزل» فى كتابه «الدولة اليهودية»: «أن اليهود أينما يعيشون، فهم معرضون للاضطهاد، وفى روسيا تُفرض على القرى اليهودية الضرائب، وفى رومانيا يُحكم على بعض اليهود بالموت، وفى ألمانيا كثيرا ما يتعرض اليهود للضرب المبرح، وفى النمسا يمارس اللاساميون مختلف أساليب الإرهاب ضد



غالبيتهم كان من يهود شرق أوروبا. وفي هذا الشأن يذكر لورد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا وقتذاك «أن ولاء اليهود للدولة التي يعيشون فيها هو ولاء ضعيف بالمقارنة بولائهم لعرقهم وديانتهم». والحقيقة التي لا ينكرها أحد من قادة الصهيونية، بشهادة التاريخ، أن الاضطهاد الذي يزعم اليهود، وببالغون أنهم تعرضوا له، أثناء شتاتهم في الأرض، لم يكن كما يزعمون بسبب نقاء جنسهم، وتميزهم، وامتلاكهم للثروة والنفوذ، ولكن بما ارتكبه من مخازٍ في حق غيرهم، وما اقتترفوه من مآسٍ في حق غيرهم ممن آووههم، واستضافوهم. وتأسيسا على ذلك طردهم الإنجليز من بريطانيا عام ١٢٧٥ وعام ١٧٠٠، وطُردوا من فرنسا عام ١٣٠٦، ومن بلجيكا عام ١٣٧٠، ومن النمسا عام ١٤٢٠، ومن هولندا عام ١٤٤٤، ومن أسبانيا عام ١٤٩٢، ومن ليتوانيا عام ١٤٩٥، ومن البرتغال عام ١٤٩٨، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠. والحقيقة التي يعرفها اليهود جيدا، بعد عمليات الطرد والملاحقة لهم من هذه البلاد، أنهم لم يجدوا المأوى الدافئ، والملجأ الآمن، والخصن العطوف إلا في بلاد العرب والمسلمين.

وما يجب لفت الأنظار إليه في هذا السياق أن اليهود أثناء تواجدهم في بلاد الشتات، لم يحاولوا، بصدق، التعايش مع شعوبها، بل على خلاف ذلك حرصوا وبشدة على انعزالهم في «جيتوات» «حارات اليهود»، فكانت أرض جاسان، من محافظة الشرقية في مصر أول جيتوليني إسرائيل، وكانت بابل في العراق، الجيتو الثاني، غير أنهم عقب السبي الروماني انتشر بينهم الجيتو، وصار لهم في كل مكان يقيمون فيه

فلسطين وإقامة الدولة اليهودية». ومن هذا المنطلق يقول الزعيم الصهيوني «ناحوم جولدمان»: «إن ضعف تيار معاداة السامية قد يحمل خطرا جديدا على الكيان اليهودي». ويساير هذا الرأي «لبوفغر» أحد أعضاء المؤتمر اليهودي الأمريكي فيقول: «إن مثل هذا الاضطهاد قد يكون بركة، ومن الممكن أن شيئا من اللاسامية قد يكون ضروريا لتعزيز الكيان اليهودي».

ومن جهة أخرى تدرك الصهيونية، منذ البداية، أن روح الحرية، والتسامح الديني، وتطور الوعي السياسي في المجتمع الصناعي الحديث، قد يهدد بوضع نهاية لاضطهاد اليهود، وانتهاء معاداة السامية، ومن ثم يهدد بذوبانهم في الأمم التي يعيشون فيها ثقافة، ولغة، ودينا وجنسا. ومن هنا تسعى الصهيونية بكل ما أوتيت من إمكانيات، وقدرة لاستبقاء «مناخ الاضطهاد» ومحاولة تجسيد أسطوره لإيقاف تيار الذوبان لليهود في الشعوب التي يعيشون معها. لذلك فإن الصهيونية كافأت الصهيوني غير اليهودي «بلفور» فبواته مكانة متميزة في التاريخ اليهودي لوعده المشهور بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وأطلقت اسمه على أحد المزارع الجماعية في إسرائيل.

وبرغم ما أسداه لورد «بلفور» لليهود من خدمات فإنه لم يَسَلِّمْ من جحود الصهاينة له عندما وصفوه بأنه معادٍ للسامية، إذ تعتبره مساهما فاعلا في إصدار «مشروع قانون الأجانب» الذي كان يهدف إلى وضع حد لدخول يهود شرق أوروبا إلى إنجلترا لأنه رأى أن الكوارث التي حلت بالإنجلترا كان سببها، هجرة الأجانب إليها، خاصة أن



«جيتو» فرضوه على أنفسهم قبل أن يفرضه عليهم الأغيار الذين استضافوهم وآووهم.

وكان هذا الجيتو هو الردم أو الحاجز بينهم وبين غيرهم من غير اليهود، الذى صنعوه بأيديهم، وكان هو السبب فى اهتزاز الثقة فى اليهود، لرفضهم الاندماج مع هذه الشعوب التى أمنتهم بعد خوف،

والتي استضافتهم بعد تشتت، وهذا الردم، وهذا الحاجز هو الجيتو الذى ضاعف من إحساس اليهود باضطهاد الغير لهم. وما يلزم التأكيد عليه أن الصهيونية الآن تتاجر بالهولوكست «المحرقة والإبادة النازية لليهود» بحيث بات صناعة رائجة فى الثقافة الأمريكية، فصار الهولوكست المرجع التاريخي الوحيد الذى يتم دراسته فى العديد من كليات وجامعات أمريكا، فتشير استطلاعات الرأى فى الولايات المتحدة الأمريكية أن عدد الأمريكيين الذين يستطيعون الحديث عن المحرقة النازية - المزعومة التى تبالغ الصهيونية فى وصفها - أكبر بكثير من الذين يعرفون ضرب اليابان للأسطول الأمريكى فى «بيرل هاربر» أو القنبلة الذرية الأمريكية على «نجازاكى» و«هيروشيما» فى اليابان، فقد سمحت ١٧ ولاية أمريكية، باستخدام برامج تتعلق بتمجيد وتعظيم أسطورة الهولوكست، كما خصصت عدة كليات وجامعات «كراسى جامعية» لدراسة «المحرقة النازية لليهود»، كما أن الذكرى السنوية للهولوكوست صارت من الأعياد القومية الأمريكية. وقد استغلت الصهيونية أسطورة «الهولوكست»، ووظفتها

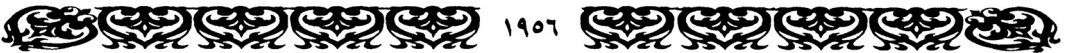
بصورة أفضل لتوطيد النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن رأت فيه سلاحاً فعالاً لدفع تهم النقد عنها. ولكسب عطف الرأى العام، والإدارة الأمريكية ولدعم الكيان الإسرائيلى فى فلسطين المحتلة، وأصبحت دعوى «معاداة السامية» وسيلة للابتزاز المعنوى والمادى للحصول على المزيد من الأموال، وهذا ما يراه العالم من ابتزاز إسرائيلى لألمانيا، وسويسرا، وبولندا للاستيلاء على المزيد من مليارات الدولارات فى شكل تعويضات ومساعدات.

وفى الختام يمكن القول أن الدافع الحقيقى وراء إشهار سلاح معاداة السامية فى وجه كل من يكشف عنصرية الكيان الصهيونى فى فلسطين العربية، ودمويته، وشراسته ضد أصحاب الأرض الحقيقيين، هو المتاجرة بالاضطهاد المزعوم لليهود، ومحاولة تأجيج ناره، وإشعال جذوته لتوحيد الخليط المتنافر من سكان الجيتو الإسرائيلى. فالصهيونية ترى - حتى بعد قيام إسرائيل - أن اضطهاد اليهود فى بلاد الشتات يجب ألا تخبو شعلته لأنه السبيل الأكيد لهجرة اليهود إلى الكيان الصهيونى، وفى نفس الوقت لا تترك الصهيونية



وسيلة إلا استخدمتها لخلق الكراهية بين إسرائيل وجيرانها العرب من ناحية وبينها وبين الفلسطينيين من ناحية أخرى، وهذا ما يشهد عليه التاريخ، من معاداة إسرائيل لكل ما هو عربي، بما يرتكبه جيشها في الضفة الغربية وقطاع غزة من قتل، واغتيال، ونسف للمنازل، وهدم للبنية التحتية، وتجريف للأرض، وإغلاق للمدن، وحصار للقري، وتمزيق لوحدة الأرض الفلسطينية، ويتساءل الجميع ألا يبعث ذلك كله إلى بث الكراهية وزرع الحقد في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني الذي تريد إسرائيل سحقه، وإلى إثارة مشاعر العرب والمسلمين؟ لا شك أن إسرائيل تقدم كل يوم الدليل على استحالة ذوبان كياناتها الصهيونية في محيط السلام العربي، بسبب نزعة الشعور المعادي لكل ما هو عربي ولقد وصل الأمر بإسرائيل أن تصف منظمات حماس، والجهاد الإسلامي، وحزب الله، «بالمعاداة الإسلامية الجديدة للسامية» وترى في الوقت ذاته ما يقوم به أبناء الشعب الفلسطيني من مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي بأنه معاداة للسامية، وصورة من صور الإرهاب، والحقيقة التي يجب أن تدركها إسرائيل أن العرب ليسوا خصوما لليهود، ولكنهم خصومٌ للصهيونية».

**قرر شارون أن هؤلاء الأطفال
وغيرهم ممن قتلهم أعداء
للسامية وينبغي إعدامهم**





مقدمة:

تشهد الفترة الحالية من عصرنا اهتماما كبيرا بتاريخ العلم وفلسفته، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم وأولوية المنهج العلمي، حيث يدور الجدل بين الباحثين حول الإجابة عن أسئلة أين ومتى وكيف نشأ العلم وتكونت بذرة المنهج العلمي في فكر الإنسان؟!

وتاريخ العلم والتقنية جزء من التاريخ الإنساني العام الذي أسهمت في صنعه جميع الأمم على مر العصور، إنه تاريخ الفكر الذي منحه الله - سبحانه وتعالى - للإنسان لكي يرتقى بعقله ويدرك أهمية المعرفة في صنع التقدم وفهم حقائق الأشياء. ومن يقرأ تاريخ أى علم من العلوم - بحيدة وموضوعية بعيدا عن مختلف ضروب الهوى والتحيز - يجد أنه وثيق الارتباط في تقدمه وتعثره بمراحل ازدهار حضارات الإنسان وانحطاطها، منذ عصور الحضارات القديمة، ومرورا بعصر الحضارة العربية الإسلامية، فعصر النهضة الأوروبية الحديثة، وصولا إلى حضارة التكنولوجيا المعاصرة، كما يجد أن فلسفة العلم معنية بتتبع نمو المشكلات العلمية وتطورها عبر تلك المراحل، ومهتمة بما قدمه العلماء من نظريات أو حلول لتلك المشكلات.، وفق منهج تحليلي مقارن يهدف إلى وضع الحقائق في نصابها المقبول عقليا والممكن تاريخيا ومنطقيا.

من هنا، فإن الأمانة في سرد تاريخ أى علم من العلوم تقتضى أن نتتبع مراحل تطوره منذ نشأته، ونقف على كيفية نموه وتدرجه، ونتعرف على مقام به عظماء رجاله من الأعمال التي أحدثت هذا النمو والتدرج، فذلك كله أدعى إلى حسن تصور الآراء والنظريات المختلفة، فضلا عن أنه الأسلوب الواجب لإيضاح التسلسل الطبيعي للخطوات التي أدت إلى الكشف عن الحقائق العلمية منسوبة إلى أصحابها الشرعيين.

أساسيات علوم الأرض في التراث العربي

للمستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا



على أساسها مبحث شكل الأرض « الجيومورفولوجيا » وأصبح واحداً من أهم العلوم الجيولوجية المعاصرة .

ونؤكد في البداية أنه كان لدى علماء الحضارة العربية الإسلامية تصور مقبول عن فكرة الجاذبية الأرضية وقوة تأثيرها، وذلك من خلال دراستهم لحركة المقذوفات والسقوط الحر للأجسام . فقد ذكر الهمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أن الأرض « أشبه بحجر المغناطيس الذي تجذب قواه الحديد من كل جانب » وأوضح البيروني أن الأرض تجذب ما فوقها نحو مركزها على استقامة أقطارها .

وتحدث الإمام فخر الدين الرازي عن انجذاب الجسم إلى مجاوره الأبعد . . . وهي بداية الطريق إلى تعميم فكرة الجاذبية على جميع الأجسام الموجودة في الكون، وصياغة نيوتن لقانون الجذب العام في القرن السابع عشر الميلادي .

وهاهو أبو الريحان البيروني يحدد لنا مفهوماً أساسياً واضحاً في تفكيره عن قوى البناء والهدم، ويقدم أفكاراً غير مسبقة عن تكون الصخور الرسوبية الفتاتية (الحطامية)، وتصنيفها بحسب حجومها إلى الحصى والرمال والتراب، وتفسير الطريقة التي تؤدي إلى استدارة الحبيبات الفتاتية والحصى، وبيان العلاقة بين حجمها وبعد المصدر الذي نشأت منه . وهي موضوعات يعالجها علم الرسوبيات الحديث .

يقول أبو الريحان البيروني في كتابه « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات

وانطلاقاً من هذه المقدمة سوف نعرض للحديث بإيجاز عن أصول بعض العلوم الجيولوجية في كتب التراث العربية لإلقاء الضوء على ماتضمنه هذا التراث من نظريات وآراء وأفكار ذات قيمة معرفية أو منهجية في تاريخ العلم والحضارة، وأن نكشف عن بعض المفاهيم التي تشكل أساساً لكثير من المباحث الجيولوجية التي تعامل اليوم كعلوم تخصصية مستقلة، نظراً لاتساع دائرة البحث في موضوعاتها، وسوف نعتمد في توثيق هذا العرض على بعض النصوص المحققة المنتقاة من أمهات الكتب التراثية .

(أ) علم شكل الأرض (الجيومورفولوجيا)

إذا بدأنا بعلم شكل الأرض فإننا نعرف أن هذا العلم في صورته المعاصرة يهتم بدراسة التضاريس الأرضية المختلفة فوق سطح اليابسة والمغمورة تحت الماء، ويعنى بتتبع أطوارها المتعددة، وتفهم الأسباب والعوامل المؤثرة في تكوينها، وذلك في ضوء ما يسمى بالنظرية الجيومورفولوجية، الحديثة التي تقضى بأن تطور أشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل عديدة كالتعرية والإرساب والحركات الأرضية وغيرها، وهي عوامل ناتجة عن تأثير قوى البناء والهدم .

والباحث المدقق في كتب التراث العلمي يجد العديد من النصوص التراثية التي تؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى وضع أصول النظرية الجيومورفولوجية الحديثة وصياغة المبادئ والمفاهيم العلمية التي تطور



سطح الأرض بحيث كلما أثرت قوى الرفع البانية على منطقة ما ورفعتها فوق مستوى سطح البحر، فإنها تكتسب طاقة كامنة بفارق الارتفاع عما حولها، مما يسهل لقوة الجاذبية الأرضية أن تنقلها شيئا فشيئا إلى مواقع أقل ارتفاعا منها، مثل قيعان المحيطات، في محاولة لكي يتساوى بعد قممها عن مركز الأرض، وينتج عن ذلك تطور في تضاريس الأرض ينتهي معه السطح النهائي بالتعرية إلى سطح منخفض ومستو هو «السهب». وقد نسبت هذه الفكرة إلى ديفيز في القرن التاسع عشر الميلادي، ولكننا نجد ما يصحح هذا الإسناد الخاطئ عندما نقرأ للكرجي قبل ذلك بثمانية قرون، مانصه:

«إن في الأرض حركات دائمة، منها طلب الأبنية للوقوع والانهدام، والميل عن سمت الاستقامة، وكذلك الجبال والتلاع تنهار قليلا قليلا، وتفتت طلبا للمركز. والأرض الرخوة في تربتها حركة دائمة، وهي طلب أجزائها الصلابة باعتماد بعضها على بعض. وأعظم هذه الحركات المذكورة انتقال المياه العظيمة، وجريان الأودية القوية من أرض إلى أرض في الأزمنة الطويلة، فإذا اجتمعت موادها في ناحية من نواحيها، وارتفعت حتى بعد سطحها من المركز، وساوى ذلك بعد الموضع المحاذي له الذي يقابله، ثم بعد المساواة زاد عليه، تحركت الأرض طلبا للمعادلة المذكورة، فتتغير لذلك عروض البلاد ومطالعها وأنصاف نهارها، ويصير

المساكن» الذي أتم تأليفه بمدينة غزنة «كابول حاليا» سنة ٤١٦هـ - ١٠٢٦م:

«ولا نعلم من أحوالها (أى الأرض) إلا مانشاهده من الآثار التي تحتاج في حصولها إلى مدد طويلة، وإن تناهت فى الطرفين، كالجبال الشامخة المترتبة من الرضراض الملص (أى الحصى الصغار وفتات الحجر) المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها.، فإن من تأمل الأمر من وجهه، وأتاه من بابه، علم أن الرضراض والحصى هى حجارة تتكسر من الجبال بالانصداع والانصدام، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح، ويدون احتكاكها فتبلى، ويأخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها، حتى يذهب بها فيدملكها (أى يملسها ويدورها)، وأن الفتات التى تتميز عنها هى الرمال ثم التراب. وإن ذلك الرضراض لما اجتمع فى مسایل الأودية حتى انكبست بها، وتخللها الرمال والتراب فانعجنت بها واندفنت فيها وعلتها السيول، فصارت فى القرار والعمق بعد أن كانت من وجه الأرض فوق، تحجرت..

.. وإذا وجدنا جبلا متجبلًا من هذه الحجارات الملص - وما أكثره فيما بينها - علمنا أن تكونه على ما وصفناه، وأنه تردد سافلا مرة وعاليا أخرى».

واستطاع أبو بكر الكرجي فى القرن الحادى عشر الميلادى أن يزيد على هذه المفاهيم ما يعمق مفهوم توازن الأرض، وفكرة الدورة التضاريسية التى تقول بتطور معالم



٣- الإشارة إلى مفهوم الزمن الجيولوجي، وتعاقب الأحداث على الأرض منذ أزمنة وعصور طويلة، وأن ماينشأ عن هذه الأحداث من تغيرات في سطح الأرض يحتاج إلى مدد زمنية طويلة.

ويضيف أبو الريحان البيروني ما يجعل نظرية تبديل البحر واليابسة أكثر عمقا وأقرب صحة إلى الواقع التاريخي لكوكب الأرض، ويجعل من الاستقراء منهجا تاريخيا يمتد تطبيقه ليشمل الأحداث الجيولوجية القديمة، فيقول عن بادية العرب:

«... وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر في أزمنة، إن كانت قبل كون الناس في العالم فغير معلومة، وإن كانت بعده فغير محفوظة، لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد، وخاصة في الأشياء الكائنة جزءا بعد جزء، بحيث لا يظن لها إلا الخواص.. فهذه بادية العرب وقد كانت بحرا فانكس، حتى إن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها» كما يقول عن أرض الهند:

«... بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها، وفي أحجارها المدملكة حيث يبلغ الحفر: عظيمة بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الأنهار، وأصغر عند التباعد وفتور الجرى، ورمالا عند الركود والاقتراب من المغايض والبحر.. لم تكذب تصور أرضهم إلا بحرا في القديم قد انكس بحمولات السيول».

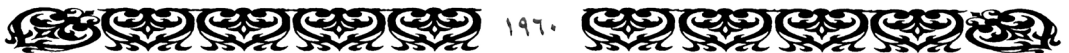
ونلاحظ هنا أن البيروني يطوع منهجه العلمي تبعا لطبيعة الموضوع، فلا يحصر عملية البحث عن الحقيقة في المشاهدة

ذلك سبب انتقال البحار، وظهور عيون وغيض عيون، ولا يكون ذلك دفعة واحدة في ساعة واحدة، بل يكون على التدرج كانتقال العمارات من أرض إلى أرض.

والمأمل في هذا النص الذي أورده الكرجي في كتابه «إنباط المياه الخفية» لبيان أنواع الحركات الأرضية الدائمة وأثر الجاذبية الأرضية عليها، لابد أن تستوقفه بعض الإشارات العلمية، منها:

١- قوله: «الأرض الرخوة في تربتها حركة دائمة، وهي طلب أجزائها الصلابة باعتماد بعضها على بعض» مشيرا إلى حركة الأجزاء الترابية الدقيقة لتتربط وهو إدراك مبكر جدا لما عرف حديثا باسم «عمليات ما بعد الترسيب» أو «النشأة المتأخرة» Diagenesis، حيث تتحول الرسوبيات الرخوة غير المتماسكة إلى صخور قاسية. وذلك حين تقع تحت وطأة ثقل طبقات أحدث منها تكويننا، فتضغط وتصبح صخورا كاملة التماسك نتيجة فقدائها أثناء الانضغاط كميات كبيرة من المياه المتواجدة بين مسامها، وترتبط بعد فترة طويلة من الزمن بواسطة محاليل وسط الترسيب والمياه الجوفية بملاط (مادة لاحمة) فتتماسك وتقسو.

٢- الإشارة إلى ظاهرة التغير النسبي في مواضع الماء واليابسة من خلال إشارته إلى تغير عروض البلاد ومطالعها وأنصاف نهارها تبعا لتغير وضع اليابسة (القارات) وما يرافق ذلك من تغير في موقع البحار ووضعية الخزانات الجوفية «فتظهر عيون وتغيض عيون».



(ب) علم الأحياء القديمة (البيونولوجيا)

وإذا انتقلنا إلى علم الأحياء القديمة، نجد أن علماء الحضارة الإسلامية قالوا بنظريات رائدة تحدثت عن طبيعة الحفريات ومدلولاتها العلمية التي يتم على أساسها استنباط التاريخ الجيولوجي ومعرفة تطور الكائنات الحية وتطور البيئات القديمة عبر العصور الجيولوجية المختلفة.

وكان أبو علي الحسين بن سينا في مقدمة الذين أوضحوا بجلاء أن الطبقات الرسوبية ترسب بعضها فوق بعض في البحار، وأثناء ترسب كل طبقة، وهي مازالت لزجة، تدفن بها أجزاء الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها، ثم تحدث عملية الجفاف والتحجر لتلك الطبقات وتجري كل هذه العمليات ببطء شديد جدا يستغرق - على حد قوله - «مددا لا تفي التأريخات بحفظ أطرافها».

كذلك كان البيروني هو الآخر رائدا في تناول هذا الموضوع بالبحث المنهجي السليم وكانت آراؤه متفقة مع آراء ابن سينا في أن أصل الحفريات بقايا لكائنات حية نباتية وحيوانية متحجرة، وقد تكونت متزامنة مع تكون طبقات الصخور التي وجدت فيها. لكن ينسب للبيروني أنه أدرك بالملاحظة الدقيقة أمرين مهمين جديرين بالتسجيل:

١- الأمر الأول يتعلق بأشكال الحفريات، وفيه يقول: .. بل يخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع وما يسمى آذان السمك، إما باقية فيها على

والتجربة العملية فقط، على غرار ما عرف وشاع منسوباً إلى فرنسيس بيكون في عصر النهضة الأوروبية الحديثة باسم «المنهج التجريبي»، بل إن رؤيته المنهجية الرائدة أعطى عملية التفكير والاستدلال، إلى جانب الربط التاريخي، الأهمية التي تستحقها عندما يكون موضوع البحث قائماً على أحداث تاريخية تفصلها أزمان مديدة، مثل تراجع البحر وانكشاف اليابسة وتبدل مواضعها ومن عجب ألا يفتن فلاسفة العلم إلى هذه المعالجة المنهجية عند البيروني، والتي تعتبر تأصيلاً لما يسمى بالمنهج الفرضي - الاستنباطي، أو المنهج العلمي المعاصر.

ويأتى ابن سينا من ناحية أخرى ليدعم هذه الرؤية المميزة للبحث العلمي في عصر الحضارة الإسلامية. فيؤكد على دور الملكات الإدراكية الأخرى، ومنها الحدس، إلى جانب الملاحظة والتجربة والاستقراء، في الوصول إلى الحقيقة العلمية، وهو يرى أن عملية تبادل توزيع الماء واليابسة ذات طابع كوني لاتتوارث فيها التواريخ، وليست - كما قال فلاسفة الإغريق - محصورة في مناطق ضيقة عند السواحل ومصاب الأنهار، فيقول موضحاً كل هذا وغيره:

«ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت مغمورة بالماء حتى تولدت الجبال، والآن فإن البحار جنوبية، فالبهار متنقلة وليس يجب أن يكون إنتقالها محدوداً، بل يجوز فيه وجوه كثيرة».



وجه الأرض فى الماضى البعيد .، وكان منطقته فى هذا الاستدلال مبنيا على الملاحظة، حيث إن وجود تلك الحلزونات ذات المنشأ البرى فيها يدل على البيئة القارية القديمة لمنشأ تلك الطبقة .

وهذا الربط والتوظيف للحفريات فى التعرف على البيئة القديمة وخصائصها لم يكونا بالأمر المقبول فى الفكر العلمى الغربى قبل نهاية القرن التاسع عشر الميلادى . ولابد أن يكون البيرونى قد قارن بين أنواع شتى من الأصداف لحيوانات تعيش فى الحاضر، وبين حلزونات قارية وأخرى بحرية، حتى يستنتج أن الأخيرة تكون أكبر حجما وأكثر غلظة وصلبة كالخرف . وهذا يعنى أن البيرونى كان مدركا لدور الحاضر فى فهم عمليات حدثت فى الماضى، وهى القاعدة والأساس لنظرية «التواتر» Unifomitarianism المنسوبة فى المؤلفات الجيولوجية الحديثة إلى العالم الاسكتلندى جيمس هاتون فى عام ١٧٨٥م .

(ج) علم المعادن والتعدين

يزخر التراث العربى بالكثير من المؤلفات التى تناولت دراسة العديد من المعادن وتعدينها والتنقيب عنها فى كتاب «المسالك والممالك» تحدث ابن حوقل عن استخراج الرخام من تبريز، والرصاص من فرغانة وكرمان، والكحل من أصفهان، والنفط من باكو، والملح من عبادان، وملح البارود من بخارى، والكبريت من سوريا وفلسطين، والياقوت والزمرد والعقيق من مصر

حاليها، وإما بالية قد تلاشت وبقي مكانها خلاء «تشكل بشكلها» . ويلاحظ أنه أشار إلى ما نعرفه حاليا من أن الحفريات قد تكون عبارة عن الكائن نفسه بجميع أجزائه، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط، وتوجد هذه البقايا بدون أى تغيير فى مادتها الأصلية، أو توجد متحجرة بعد استبدال مادتها بمادة أخرى، وقد تكون الحفرية مجرد طابع خاص أو أثر لبقايا الكائن الحى على الصخور التى كان يعيش عليها عندما كانت رخوة لم تتصلب بعد، وعندما تتصلب بمرور الزمن تحتفظ بهذه الطوابع أو هذا الأثر .

٢- والأمر الثانى يتعلق بوجود حفريات برية أيضا، وليست مائية فقط، وفى ذلك يقول: «حمل إلينا من آبار معادن الذهب بزربان عدة حلزونات وجدت فى بئر بعد حفر مائة وخمسين ذراعا فى مقادير الجوزة، إلا أن قشرها غلاظ جدا حجرية بزيادة خطوط كالخفر فى عرض لولبها، وقد خلت من حيوانها وامتلات بالطين، ثم استحجر بها ذلك الطين . . ولم يحصل من مشاهدة ذلك إلا أن أرض تلك الآبار كانت وجه الأرض مكشوفة وقتا ما، وكان العظم والصغر يلحقها بحسب المكان والماء وكنه طبيعتها، فإن الحلزونات البحرية تكون أعظم جثة وأغلظ خرفا وأصلب .

إن وجود هذه الحفريات ذات المنشأ البرى، والتى وجدت فى البئر على عمق مائة وخمسين ذراعا، استدل بها البيرونى على أن تلك الطبقة التى استخرجت منها كانت على



دراسة تقديرية لجوداتها الاقتصادية، خصوصا بعد التأكد من توافر الزنك والحديد والرصاص، إلى جانب الفضة، بكميات تجارية. وهذا إن دل فإنما يدل على الأهمية المتزايدة للدراسات التراثية في الحياة المعاصرة.

من ناحية أخرى، اعتمد علماء الحضارة العربية الإسلامية على الملاحظة والتجربة في كثير من دراساتهم للمعادن والجواهر والأحجار الكريمة، وفي تمييز دخليها من أصيلها بحسب لونها وشفافيتها وبريقها وصلابتها وحكاستها (أو مخدشها) وتشعيرها (أو تشققها) وغير ذلك من الخواص الفيزيائية التي تميز بها المعادن اليوم، وقد حاولوا قياس بعض هذه الخواص وتقديرها كميا، مثل خاصية الوزن النوعي التي عينوها لمواد كثيرة بدقة تطابق التقديرات المعروفة حاليا، ومثل خاصية الصلادة HARDNESS التي تحدد درجة تماسك (صلابة) المعدن وقدرتها على خدش معدن آخر، فقد ذكر التيفاشي من خواص الألماس، أنه يقطع كل حجر يمر عليه، وهو نفسه عسر الانكسار، وذكر أن الياقوت يقطع الحجارة شبيها بالماس، وليس يقطعه شيء غير الماس. وذكر البيروني في كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» أن الماس أصلب الجواهر ويليه الياقوت ثم أشباه الياقوت، وقال: «إنما قدمت ذكر الماس على ما ذكر مما بقى من مثمرة الجواهر التي لها الرياسة، أعني اللؤلؤ والزمرد، لأنه فاعل في الياقوت الفاعل فيما

وخراسان وجنوب شبه الجزيرة العربية. كما تحدث عن مناجم الذهب في العلاقي على مسيرة خمسة عشرة يوما من أسوان. وفي كتاب «أزهار الأفكار في خواص الأحجار» يقول التيفاشي عن تعدين الزمرد الموجود خلف أسوان بمصر:

«... فيخرج منها الزمرد قطعاً صغاراً كالحصباء منبثة في تراب المعدن وأخبرني رأس المعدنين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن أن أول ما يظهر من معدن الزمرد شيء يسمونه الطلق.. ثم يحفر فتجد طلقاً هشاً فيه الزمرد في تربة حمراء لينّة.. وربما أصيب العرق منه متصلاً فيقطع، وهو جيده. وأما صغيره فإنه يوجد في التراب بالنخل. وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة».

ويعتبر الحسن بن أحمد الهمداني من أفضل الذين كتبوا في علم المعادن والتعدين، فقد سرد في كتاب «الجوهرتين العتيقتين» مناجم الذهب والفضة المعروفة في جزيرة العرب وبلاد الأعاجم وأرض النوبة والحيشة، واهتم بوصف مناجم اليمن وتهامة ونجد، ونقل ماقاله معدنو الفضة من أن ليس بخراسان ولا بغيرها كمعدن اليمن، وهو معدن الرضراض في حد نهم (تقع شمال شرقي صنعاء في الطريق إلى مأرب) ومخلاف يام من أرض همدان. وبفضل هذه المعلومات اهتدت بعثة المسح الجيوفيزيائي لمعرفة موارد اليمن المعدنية والبتروولية إلى الكشف حديثاً عن العديد من المناجم الهامة، وتجري حالياً

خصص الكرجى كتابا بعنوان «إنباط المياه الخفية» متفردا بمعلوماته واختصاصه فى شرح وتفصيل طرق الاستدلال على الماء الجوفى وهندسة استخراجة .

خاتمة:

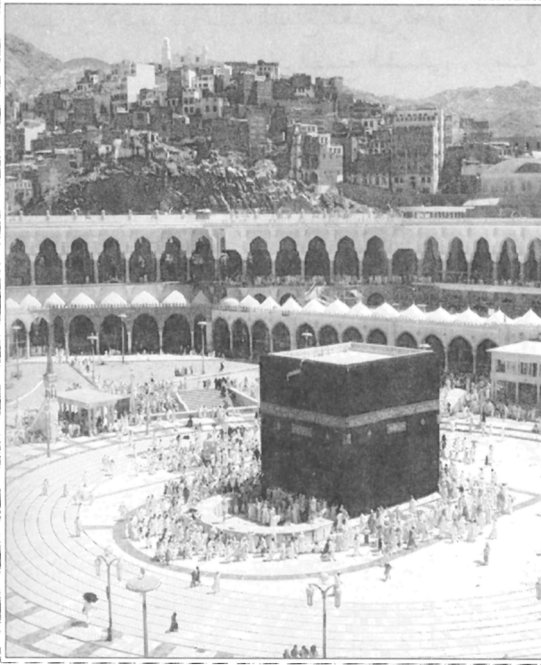
لعل فيما قدمناه من عرض موجز لأساسيات بعض العلوم الجيولوجية فى التراث العربى ما يوضح أهمية هذا التراث فى تاريخ العلم والحضارة . ويدفعنا إلى البحث عن المفقود منه وهو كثير جدا، ليحظى من جموع الباحثين - كل فى تخصصه - بدراسات تحليلية مفصلة تعود بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها فى المجتمع الذى كان شاهدا على ميلادها . وتتعرف على طبيعة الظروف التى سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعا فى شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية، فليس ثمة معرفة إنسانية لاتفقد طابعها العلمى متى نسى الناس الظروف التى نشأت فى أحضانها، وأغفلوا المسائل التى تولت الجواب عليها، وإن تاريخ العلوم لا يدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التى شهدناها، ولكننا نتعلم منه أيضاً أن بعض المشكلات والقضايا العلمية التى تواجهنا الآن ليست جديدة تماما فالأساليب التى عولجت بها هذه القضايا فى ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبدا مما يمكن أن نفيده منه اليوم أو غدا .

دونه، وغير منفعل بشئ فوقه ولا متأثر، مما دونه .. والمناسبة بينه وبين الياقوت أقرب المناسبات بالرزانة والصلابة وقرب الجوار فى المعدن وقهر الغير بالثقب ،القطع . وبهذا يكون البيرونى والتيفاشى قد وضعا اللبنة الأولى فى فكرة بناء «مقياس موهز» للصلابة Mohs scale ذى الدرجات العشر، ويشغل الألماس والياقوت الدرجتين العاشرة والتاسعة فيه على الترتيب .

مباحث جيولوجية أخرى

هناك مباحث جيولوجية أخرى نجد أساسا لبعض مفاهيمها فى ثنايا الكتب التراثية، فقد تحدث الهمداني وابن سينا وإخوان الصفا وغيرهم، عن الطاقة الزلزالية فى باطن الأرض ووصفوا ماينتج عنها من آثار متفاوتة الشدة، كما وصفوا بعض أنواعها وسموها «الرياح المحتقنة» ودونوا ملاحظاتهم عن الهزات الزلزالية التى تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، وهى سجلات يمكن الاسترشاد بها فى الدراسات المتعلقة بخرائط التوزيع الزلزالي .

كذلك نجد فى مخطوطات التراث العربى معلومات كثيرة عن البحار والمحيطات والأنهار، والظواهر المتعلقة بها، ونجد فى مؤلفات لابن وحشية، وإخوان الصفا، وابن سينا، والبيرونى، معلومات عن المياه الجوفية والدورة الهيدروولوجية وآلية صعود الماء الجوفى وأنواع الآبار من عادية وارتوازية وقد



الكعبة المشرفة

مُستأذ / عبد السلام ناصف

تاريخ الكعبة

بنيت الكعبة اثنتى عشرة مرة إذا اعتبرنا البناء من الجذور أو البناء الترميمى الشامل فقد كان أول من بناها هم ملائكة الرحمن قبل إعمار الأرض لتصبح مركزا لهذا الكون - وعندما هبط أبوالبشرية آدم - عليه السلام - إلى الأرض اتجه إليها وجددها وسعد بترميمها ومن بعده جاء شيث - ولده - عليه السلام - فأعاد ترميمها وشرف بتجديد بنائها وظلت على هذا الحال حتى أمر الله نبيه وخليله بنائها، فالتزم بأمر ربه وبناها مع ولده إسماعيل - عليه السلام - وكانت مستطيلة الشكل طول ضلعها الشرقى

ما من مسلم فى هذا الكون إلا ويسمع عن الكعبة المشرفة - وإن لم تسنح له فرصة التطلع إليها والتمتع برؤيتها والنظر إلى بهائها ورونقها - فأنت حين تنظر إليها يتسلل إليك شعور بالمهابة والإكبار وإدراك عميق لمعنى (الله أكبر) وفهم دقيق لقوله تعالى :

﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فِىْهِمْ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ^(١) وهى من الداخل بهو خال من كل زخرف وكأنها بساطة الفطرة ممثلة فى هيكل التوحيد فى أسمى معانيه يذكرك بـ «الله أكبر» التى رفعها بلال - رضى الله عنه - ذات يوم بجانبها وتدور عينك إلى ما فى جوارها من زمزم والمقام والحجر والميزاب والكسوة والحزام.

ويقال إن الكعبة المشرفة هى مركز الأرض وهى تسمى بهذا الإسم لتكعبها وتسمى الطبله وتسمى البيت المعمور وتسمى بيت الله الحرام.

(١) البقرة (١١٥).



ولما ولى الخلافة السلطان العثماني مراد خان سنة ١٠٤٠ هـ أمر بإعادة بنائها بعدما غمرتها المياه كما أمر بعمل حزام حولها من الذهب الخالص.

وأخيراً كانت الطفرة السعودية التي اعتنت بكل الأماكن المشرفة فنالت الكعبة المكرمة عناية خاصة إذ أعيد بناؤها على نظم تقنية حديثة من حيث البناء وعمل «المونة» واختيار الحجارة وبقيّة مواد البناء. إضافة إلى استقدام العمالة الفنية المدربة عالية الخبرة وكانت الكعبة التي نراها اليوم.

وتتكون الكعبة من أجزاء تكمل بعضها البعض في شكل متناسق لتصبح صورة رائعة ترتاح لها العين ويؤمن بها القلب وينشرح لها الصدر وهذه الأجزاء جزء لا يتجزأ منها لكنه يكمل الأجزاء الباقية لتخرج للناس صورة الكعبة المشرفة وهذه الأجزاء هي :

أركان الكعبة

للكعبة المشرفة أربعة أركان هي :

الركن اليماني، والركن العراقي، والركن الشامي، إضافة إلى الركن الأساسي، وهو ركن الحجر الأسود الذي يبدأ منه الطواف وينتهي عنده - وكلمة الركن تعني الحجر الأسود وكلمة الركنين تعني الحجر الأسود والركن اليماني.

روان الكعبة

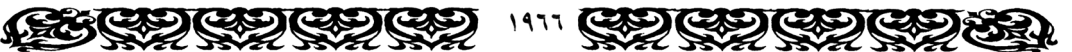
هي المناور التي تدخل الضوء إلى داخلها، ولقد كانت أربعة روازن وروان السلم الموصل إلى سطحها.

نحو اثنين وثلاثين ذراعاً، والضلع الغربي نحو واحد وثلاثين ذراعاً، في حين أن الضلع الشمالي كان نحو اثنين وعشرين ذراعاً، والضلع الجنوبي المقابل نحو عشرين ذراعاً، وكان ارتفاعها يومئذ نحو تسعة أذرع وكان لها بابان ملاصقان للأرض، وقد حفر بداخلها حفرة لتكون بمثابة خزانة، وبنى في شمالها عريشاً لغنم ولده إسماعيل - عليه السلام - لازال باقياً حتى اليوم منذ أكثر من أربعة آلاف سنة وهو ما يعرف بحجر إسماعيل، ويعتبر جزءاً من الكعبة يلزم الطواف حوله مع كل طواف.

وقد أعاد القرشيون بناءها بعد تصدعها إثر الحريق الذي شب فيها وهو العمل الذي شارك فيه محمد الأمين - صلوات الله وسلامه عليه - قبل بعثته بل كان له دور حكيم ريادي قيادي أرضى جميع الأطراف المختلفة في وضع الحجر الأسود المبارك في وضعه الحالي - ولئن زاد القرشيون في ارتفاعها حتى ثمانية عشر ذراعاً ورفعوا بابها عن الأرض من الجهة الشرقية وبنوا لها سلماً يوصل إلى سطحها وأحاطوا حجر إسماعيل بسور لحمايته ومن ثم أصبح جزءاً من الكعبة.

وأعاد عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - بناءها بشكل مربع ومكعب ولكن على نفس القواعد التي ارتكز عليها الخليل إبراهيم - عليه السلام - ووفقاً لرغبة سيد الخلق محمد - صلوات ربي وسلامه عليه - ودعم سقفها بدعائم خشبية لحمل السقف وزاد من ارتفاعه لنحو سبع وعشرين ذراعاً.

أما الحجاج بن يوسف الثقفي فقد أعاد بناءها على قواعد القرشيين.





وقد ألغاهها الملك الأشرف برسباى ليحميمها من
المطر عام ٨٣٤هـ.

الميزاب

وضع عبدالله بن الزبير - رضى الله عنه -
ميزابا للكعبة لأول مرة إلا أن الخليفة الأموى
الوليد بن عبد الملك - رحمه الله - أبدله بميزاب
من صفائح الذهب .

وفى العصر العثمانى جده السلطان عبد المجيد
عام ١٢٧٣هـ بميزاب جديد من الذهب الخالص -
وفى عصر التوسعة الكبرى التى تمت للبيت الحرام
جده خادم الحرمين الشريفين بميزاب أحدث من
الذهب الخالص .

حجر إسماعيل

هناك منحني فى شمال الكعبة محاط بسور
رخامى قصير هو حجر إسماعيل، ويسمى الحطيم
لأن قريشا حطمته وانقصته من الكعبة عندما
أعادت بناءها - وقد رُمِّم أكثر من خمس وعشرين
مرة على يد المصلحين من الخلفاء والأمراء والملوك
كان آخرها ترميمة خادم الحرمين الشريفين بعدما
كسى بالرخام وهو يرتفع عن سطح الأرض بنحو
متر ونصف المتر تقريبا ويلزم الطواف حوله باعتباره
جزءا لا يتجزأ من الكعبة عند أى طواف .

الملتزم

هو ذلك الحجر الملاصق للحجر الأسود وحتى
باب الكعبة - وهو موضع يستجيب الله فيه
الدعاء ويستحب أن يلصق الداعى خده وصدره
وذراعيه مفتوح الكفين إليه أثناء الدعاء .

المستجار

وهو الجزء الواقع بين الركن اليمانى وموضع
الباب المسدود المقابل للملتزم ويسمى ملتزم
عجائز قريش .

الخطيم

يطلق الخطيم على حجر إسماعيل - عليه
السلام - كما تطلق كلمة الخطيم على المساحة
الواقعة بين مقام إبراهيم - عليه السلام - وبئر
زمزم وهى التى تتحطم فيه الذنوب ..

الحجر الأسود

وهو الحجر الذى يبدأ منه الطواف وينتهى عنده
وقد شارك رسول الله - صلوات ربي وسلامه عليه
- فى وضعه فى هذا المكان حينما اختلفت القبائل
فى أحقية كل منها فى وضعه وهو من يواقيت الجنة
ولونه المغمور اليوم يذكرك بلونه الأبيض فى غابر
العصور، وهو موضع سكب العبرات ويسنّ تقبيله
أو استلامه أو الإشارة إليه إذا ما تعذر تقبيله، وهو
يمين الله فى الأرض بمعنى أنه مقام مصافحة العهد
مع الله على التوبة - ولسوف يشهد لكل من
استلمه أو قبّله ومن فاوضه فقد عاهد الله، والمسح
عليه يحط الخطايا وهو ملتقى شفاة الأنبياء
والتابعين والصالحين والحجاج والمعتمرين والزوار .

باب الكعبة

كان أول من أمر بتصنيع باب للكعبة هو أسد بُعْ
أحد ملوك اليمن السابقين وجعل لها مفتاحا وأودعه
إلى شعبة، وكان مصنعا من أجود أنواع الأخشاب
ومحلى بآيات قرآنية بارزة إلى أن أمر جلالة الملك



نحو مترين وخمس وثلاثين سنتيمترا، وكان عبدالله بن الزبير أول من شيدها وأقامها لحمل السقف حين شيد الشاذوران حماية من الأمطار .

جِبَابُ الكعبة

هى حفرة تقع على يمين الداخل إلى الكعبة المشرفة جعلها الخليل إبراهيم - عليه السلام - بعمق ثلاثة أذرع لتكون مستودعا لما يهدى إلى الكعبة من عليه القوم أو من الناذرين - وقد أزيلت هذه الحفرة حين تحولت الخزانة إلى بنى شيبة بن عثمان بن طلحة واستعيض عنها بمشاجب تعلق عليها الهدايا والآثار بداخل الكعبة .

السدانة والحجارة

وهى تولى خدمة البيت عامة والكعبة خاصة، وهى فى أهل عثمان بن طلحة وفى ولده حتى اليوم بأمر من رسول الله ﷺ إذ قال : (خذوها يا بنى طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم) .

المقام

هو مقام إبراهيم خليل الله - عليه السلام - الذى شيد الكعبة مع ولده، ويحسن أداء ركعتين أمامه باتجاه الكعبة بعد كل طواف، فقد نزل فيه أمر إلهى باتخاذ مصلى، وأثر أقدام الخليل واضحة المعالم بداخله .

تطيب الكعبة

تُطيب الكعبة منذ العصر الجاهلى وقد أقره سيدنا رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - وسار على نهجه الخلفاء الراشدون ثم الخلفاء

عبدالعزیز - رحمه الله - بإعادة تصنيعه من أخشاب مستوردة وبصفائح من الذهب والفضة مزينا بأسماء الله الحسنی وبعض الآيات القرآنية حتى كانت التوسعة الكبرى حين أمر خادم الحرمين الشريفين بتصنيعه من الذهب الخالص بما يزيد على مائتين وثمانين كيلو جراما مزین بالآيات القرآنية البارزة وله قفل ذهبى أنيق يغلق الباب ويفتح عند الحاجة .

المعجن

المعجن عبارة عن حفرة بجوار الكعبة من الناحية الشرقية فيها مقام إبراهيم الخليل وقد صلى فيها الأمين محمد ﷺ يوم تم له فتح مكة المكرمة غير أنها سويت بالمطاف بعدما كان يتعثر فيها الطائفون .

الشاذوران

هى الوزرة التى تقع أسفل الكعبة المشرفة وهى مسنمة الشكل من الرخام تدور حول الكعبة من الجهات الثلاث حيث يكمل حجر إسماعيل - عليه السلام - محيطها والذى يعتبر جزءا من الكعبة يلزم الطواف حوله .

مصطبة حراسة الحجر

شيدت تلك المصطبة بجوار الحجر من جهة باب الكعبة ليعتليها جندى الحراسة الذى ينظم عملية استلام الحجر الأسود أو تقييله ودرء تدافع الحجاج والمعتمرين أثناء التزاحم .

دعائم السقف

للکعبة ثلاثة أعمدة بداخلها تحمل سقفها قطر كل منها نحو ذراع يباعد كل منها عن الآخر



بعده جلالة الملك فيصل - رحمه الله - ثم تعهده خدام الحرمين الشريفين فأنشأ لها مصنع الكسوة بمدينة جدة .

ومصنع الكسوة غاية في التقنية العالية من حيث الدقة في العمل بأقسامه المتعددة بدءاً من النسيج إلى الصباغة إلى النقش والتطريز والطباعة والتجهيز والتجميع - وهي من النسيج المحكم من الحرير الطبيعي الخالص المحلى بالآيات القرآنية المكتوبة بأسلاك الذهب الخالص، وتبلغ تكلفتها نحو ما يقرب من سبعة عشر مليون ريال سعودي، فهي تتكون من سبعة عشر ثوبا طول الثوب الواحد نحو أربعة عشر مترا بعرض متر واحد يعمل فى إخراجها نحو مائتين وخمسين عاملا فنيا ماهرا متخصصا متفرغا .

وللكعبة المشرفة ستارة داخلية وستارة أخرى للباب الذهبى .

أبعاد الكعبة

رغم أن الكعبة المشرفة تبدو لناظرها أنها مربعة الشكل ومكعبة إلا أن أبعادها تختلف من ضلع إلى آخر فالضلع بين الحجر الأسود إلى الركن الشمالى نحو ١١,٦٨ متر، والضلع الواقع بين الركن اليمانى إلى الركن الغربى نحو ١٢,٠٤ متر، والضلع الواقع بين الركن الشامى إلى الركن الغربى نحو ٩,٩٠ متر، والضلع الواقع بين ركن الحجر الأسود إلى الركن اليمانى نحو ١٠,٨ متر وأما ارتفاعها فيبلغ نحو ١٢,٩٥ متر بعدما كان عند أول بنائها فى عهد الخليل إبراهيم لا يجاوز ٤,٣٢ متر وفى عهد عبدالله بن الزبير نحو ٨,٦٤ متر .

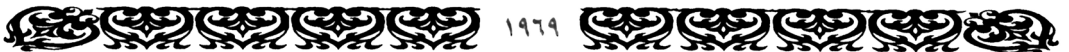
الأمويون والعباسيون والعثمانيون الذين أولوا الحرمين الشريفين جُلَّ اهتمامهم وتتابع الملوك والأمراء والشيوخ على سنة تطييبها حتى يومنا هذا حبا لها وفيها متأسين بالآية الكريمة :

﴿وَطَهَّرْنَا بَنِيَّ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ

وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ (٢) .

الكسوة

أول من كسا الكعبة المشرفة هو سيدنا إسماعيل - عليه السلام - بكسوة جزئية وكانت توضع فوق بعضها البعض - الجديد فوق القديم إلى عهد بُعِثَ أحد ملوك اليمن الذى أمر بكسوتها بكسوة كاملة تامة سابلة، وأقر رسول الله ﷺ كسوتها كاملة حيث أمر بكسوتها بعدما احترقت أثناء تبخيرها، وكساها الخلفاء الراشدون بعده بكسوات جديدة توضع فوق القديمة، حتى عام ١٦٠هـ حيث رأى كسوتها بالكبسوة الجديدة ورفع القديمة، وتؤخذ أجزاؤها للتبرك بها . وفى عهد محمد على حاكم مصر شيدت مصر مصنعا خاصا بالكسوة الشريفة بعمالة مدربة واعية مستعينة بأجود أنواع الخيوط الحريرية وحليات زخرفتها المصنعة من الذهب والفضة لتزيينها وتحليتها بالآيات القرآنية . وكانت الكسوة تنقل إلى مكة المكرمة فى موكب شعبي لوضعها على الكعبة المشرفة فى مهرجان شعبي كل عام واستمرت هذه الاحتفالات بالكسوة الشريفة حتى عام ١٣٤٦هـ حين أمر الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - بإنشاء دار خاصة لصناعة الكسوة بمكة المكرمة، ولقد جدد وطوره من





لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

سجل التاريخ كثيراً من المواقف الشجاعة الجريئة التي وقفها أبطال من علماء الإسلام يتحدون فيها الظلمة والطغاة من الخلفاء والأمراء، والملوك والولاة، ويرفعون راية الحق في وجوههم في شجاعة بالغة وجرأة نادرة، فكانوا قمماً شامخة في دنيا البطولة والإيمان، ونماذج فريدة في إسداء النصيحة للحكام.

من هؤلاء العظماء العالم الجليل، والفقيه التقى: سعيد بن جبير، الذى واجه جيروت الحجاج وقسوته، وتعطشه لإراقة وسفك دماء خصومه، وإزهاق أرواح المعارضين لظلمه، الرافضين لبطشه.. واجه ذلك بشجاعة وثبات نادرين، فلم يرهبه طغيان الحجاج، ولم يضعفه جبروته..

فبعد أن قضى الحجاج على ثورة القائد / عبدالرحمن بن الأشعث الذى ثار ومعه أتباعه - وفى طليعتهم سيد التابعين سعيد بن جبير - ضد طغيان الحجاج، وتفرق جيش الثائرين وفر أغلبهم هاربين، وقبض الحجاج على ناصية الأمر، أصدر أوامره بعقد المحاكمات الدامية لمن قبض عليهم من الثائرين ومنهم سعيد بن جبير.

وكانت محاكمة سعيد بن جبير حدثاً تاريخياً سجل آيات البطولة من عالم مسلم يؤمن بالله وبوعده، ويرى بثبات إيمانه وقوة عقيدته أن من المحتم عليه أن يجابه الطغيان فى جبروته ولا يعنيه ولا يثنيه عن موقفه نهاية ونتيجة محاكمته مهما كانت قاسية أليمة، لأنه يؤمن بأن حياة الذل والهوان، والضعف والاستسلام، والخنوع والخضوع، لا تقاس بالشهادة العالية فى مناضلة الفساد والتشهير بزويه..

وتصدر الحجاج مجلس المحاكمة، وهو منتفخ الأوداج فى جلسته، يملؤه الغرور والكبر، وتسيطر عليه الرغبة الجامحة فى التشفى والانتقام من خصومه، وسأل فى استخفاف:

ما اسمك؟

شجاعة

العظماء

فى إسداء

النصيحة

إلى

الخلفاء

والأمراء

٢



فسمع سعيد يجيب في صلابة وعزة:

اسمى سعيد بن جبير!!

ولكن الطاغية يتحكم فيقول مبالغاً في
استخفافه: بل شقى بن كسير!!

فيندفع سعيد ليجيبه بقوله: أبى كان أعلم
باسمى منك!!

وإذ ذاك يتضايق الحجاج فيصيح في تبرم
وغيظ: لقد شقيت وشقى أبوك، ويظن انه بذلك
قد قطع الرد على غريمه!

ولكنه يسمعه يجيب: الغيب إنما يعلمه
غيرك.

فيستشري غيظه ويلجأ إلى الوعيد والتهديد،
فيصيح: لأبدلك ناراً تتلظى!

وهنا يرده سعيد إلى حقيقته فيقول له في
بساطة هادئة: لو علمت أن ذلك لك ما اتخذت
إلها غيرك!!

وطالت الأسئلة، ولم يصل الحجاج إلى
إفحام غريمه كما يريد.. إذن ليسلك مسلكاً
آخر يقرب الفريسة من الوقوع في فخها
المرصود... وكان الكلام عن بعض الصحابة
آنذاك مجالاً للكيد، ووسيلة للاتهام بمناوأة
الدولة، والثورة على سياستها العامة،
ولاسيما إذا تطرق الحديث إلى الإمام على
كرم الله وجهه.. فأدار الدفة إلى أهل البيت،
وسأل سعيداً:

ما قولك في محمد؟ وهو سؤال لا يتطلب
روية من عالم بصير كسعيد.

فصاح يقول: نبي الرحمة، إمام الهدى، بعثة
الله رحمة للعالمين...

وهنا نفذ الطاغية إلى هدفه فقال: وما رأيك

في على؟ أهو في الجنة أم في النار؟

واستمع الرد فوجد حزماً بالغاً وحيطة تامة في
قول سعيد: لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت
أهلها.. فأقفل بسداده الحازم باب اللجاجة في
وجه أقوى حاقد.

فاستشاط الحجاج غيظاً وصاح: ما قولك في
الخلفاء؟

فيأتيه الرد حاسماً: لست عليهم بوكيل.

وتوالت الأسئلة من الحجاج، والردود من
سعيد، وتطرقت من باب إلى باب.. ومن موضوع
إلى موضوع دون أن يزل سعيد بن جبير في رد
على تهمة تدع حيثية الإعدام في يد عدوه..

ولما رئس الحجاج في محاولاته قال في سخرية
مريرة: أتريد أن أعفو عنك؟

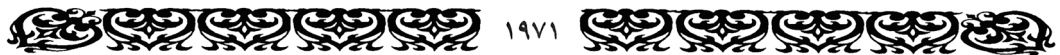
فإذا سعيد يقول في ثقة وإيمان: إن كان العفو
فمن الله، وأما أنت فلا تملك عفواً عن إنسان!!

غير أن حمى الانتقام التي سيطرت على
الطاغية دفعته صائحاً: اختر أى قتلة تريد أن
أقتلك بها؟

فيجيبه سعيد في هدوء الصابر، وإيمان
المحتسب: بل اختر ياعدو الله لنفسك، فوالله ما
تقتلني اليوم قتلة إلا قُتلت في الآخرة بمثلها!!

ثم تكون الخاتمة الأليمة، فيساق الشهيد إلى
المذبحة الحمراء، وكانت آخر دعوة ترددت بها
أنفاسه الطاهرة: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد
بعدي!!

وكان السماء قد سمعت دعاء المظلوم
الشهيد، فمات الحجاج بعد مصرع غريمه بخمس





عشرة ليلة دون أن يريق دماً لإنسان بعد سعيد، وقد أصيب الحجاج بلوثة في عقله بعد أن شاهد رأس الشهيد تتطاير عن جسمه، فلم يذق النوم إلا لماماً، وكان يستيقظ فزعاً وهو يصيح: يا قوم، مالى ولسعيد بن جبير، وكان يتخيل هاتفاً يصلصل فى أذنه: أى عدو الله.. فيم قتلت سعيداً!!

لقد استشهد سعيد بن جبير فى حومة المجد والكرامة، ليعلم الناس جميعاً أن الحرية لا تنال إلا بالدماء، وأن الشهادة فى سبيل الحق مثوبة رفيعة لا يدركها غير المثاليين من ذوى النفوس الرفيعة والمعدن الأصيل... رحم الله العالم التقى الشهيد سعيد بن جبير، وأنزله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.



عندما ولى عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - الخلافة لم يبهره المنصب، ولكنه قدر مسئوليته الضخمة.. فقرر أن يستعين عليها بأهل الخبرة والصلاح وكان من دلائل صلاحه أنه لم يتسبد برأيه ولكنه طلب المشورة من أهلها.. فطلبها من واحد من كبار الزاهدين العلماء.

وكان من رحمة الله بأمة الإسلام أن أتم عليها نعمته: بالحاكم الصالح... والعالم الصادق.. وها هو ذا الحسن - رضى الله عنه - يستجيب لرغبة الخليفة فيرشده بقوة وصراحة إلى طريق الحق والعدل... ويقدم له النصيحة الخالصة فيما يجب عليه اتباعه... التى نحن فى حاجة متجددة إلى مثلها...

فقد كتب عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - لما ولى الخلافة إلى الحسن بن أبى الحسن البصرى طالباً منه: أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل. فكتب إليه الحسن البصرى - رضى الله عنه - يقول:

إعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصف كل مظلوم، ومقرع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق بها، الذى يرتاد لها أطيب المراعى، ويزودها عن مراتع التهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم فى حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيعة بولدها، حملته كرها ووضعت كرها، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتقطعه أخرى، وتفرح بعافيته وتغنم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصى اليتامى، وخازن المساكين، يربى صغيرهم، ويمون «ينفق» كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح: تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر إلى الله ويربهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله - عز وجل - كعبد





اثنمته سيده واستحفظه على ماله وعياله، فبدد المال وشرّد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذى أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك فى قعره فريداً وحيداً فتزود له ما يصحبك :

﴿يَوْمَ نَبْرِأُ الزُّمُرُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمَمَهُ وَأَبِيهِ ۖ

وَصَلَبْنَاهُ وَبَيْنَهُ ۖ﴾ (١) .

واذكر يا أمير المؤمنين :

﴿إِذَا بُعِثَ رَمَا فِي الْقُبُورِ ۖ

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ﴾ (٢) .

فالأسرار ظاهرة، والكتاب

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۖ﴾ (٣) .

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبل الظالمين، ولا يسלט المستكبرين على

المستضعفين، فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك، ولا تنظرن إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور فى حبال الموت، وموقوف بين يدى الله - تعالى - فى مجمع من الملائكة والنبیین والمرسلين، وقد :

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ﴾ (٤) .

إنى يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ يقظتى ما بلغه أولو النهى من قبلى، فلم ألك « أقصر » شفقة ونصحاً، فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبته يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة .

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

رحم الله الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، وجزاه خيراً على ورعه وتقواه، فقد عاش المسلمون فى ظل ولايته فى أمن وأمان، وخير ورخاء .

ورحم الله الحسن بن أبى الحسن البصرى الناصح الصادق الأمين . الذى زهد فى الدنيا فلم يفتنه مال الحاكم ولا جاهه فأخلص فى النصيحة وصدق فى المشورة .

البقية فى العدد القادم

(٢) سورة العاديات ٩، ١٠ .

(١) طه (١١١) .

(١) سورة عبس ٣٤ : ٣٦ .

(٣) سورة الكهف ٤٩ .



دار مؤمنة*

للمؤسس / محمد سعيد العرياني

« ضلت البشرية إن كان هذا مبلغها من العلم بالله ! » همس بها « زيد » في أذن صحابته فالتفتوا إليه مذعورين يسألونه الصمت والحذر ! هذه بطون قريش جميعاً في عيد لهم عند صنم من أصنام الجاهلية ملئين ضارعين يعظمونه وينحرون له عاكفين عليه. ذلك شأنهم في كل عيد.. وأولئك أربعة نفر من قريش قد اجتمعوا لغير ما اجتمع أبائهم وأبنائهم وأخوتهم من سائر قريش، ينظرون إلى القوم في ضجيجهم حافين حول المعبود الأخرس لا يتكلمون، وعلى شفاههم بسمات، وفي أعينهم نظرات يخافتون بها، وفي صدورهم رغبات مكبوتة، لو تأتى لهم لأهواؤاً على هذا المعبود فكبوه على وجهه جذاداً مخطماً ! وانتبذ الأصدقاء الأربعة ناحية يتناجون في همس، وإن المكان ليضج بمن فيه بين داع وملبّ وسائل ومستغفر. وعاد الرجل يقول لصحابته:

« أما والله إنكم لتعلمون ما قومكم على شيء؛ لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم. ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء ! »

ويؤمن صحابته على ما يقول، ذلك زيد بن عمرو بن نفيل، من بني عدى بن كعب؛ وأولئك أصحابه: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحارث.

أربعة نفر أضاء الله لهم على حين غفلة وضلال، فسبقوا قومهم إلى التوحيد والإيمان بالله؛ وجلسوا يداوون الرأي بينهم، فأجمعوا أمرهم على أن يتفرقوا في البلدان يسألون أهل العلم ما يعلمون عن دين إبراهيم.



حتى تؤذَن به الخطاب فيقف له؛ ثم يتناولهُ السفهاء من شبابهم بما يقدرون عليه حتى يعود على وجهه! رجل فرد في وجه أمة، قد برىء منه أهله، وتمردت عليه زوجته، وتذامر سفهاء الإنس وشياطين الجن على مناهضته والوقوف له؛ ولكنه من قوة الإيمان بحيث يغالب مالا غلبه عليه!

وأى قوة في الأرض تنال من الرجل يعمر قلبه الإيمان؟... وأرادوه على أن يلزم مكمنه من الجبل لا يبرح، لا هابطاً إلى الكعبة يسبح الله في البيت الحرام، ولا مصعداً يلتمس أسباب المعرفة في بلاد الله؛ ولكن صوتاً من وراء الغيب يهتف به، ونوراً يتنوره على بعد يضىء بين يديه، وإيماناً يعمر قلبه يذل ما يتكأده من عقبات الطريق.

كان يؤمن إيماناً لا شك فيه أن للكون رباً غير ما يعبد الخطاب وبطون قريش؛ هو رب إبراهيم وموسى؛ فمنذا يهديه الطريق إليه؟

... ووجد زيد غفلة من حراسه فأقلت يقصد قصده، منتقلاً بين الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام، يسأل عن دين إبراهيم وبيتغيه، ومضى تتقاذفه البلاد يستطلع أنباءه بين أحبار اليهود ورجال النصارى؛ فما منهم إلا من يبشره بنبي قد أظلم زمانه، يبعثه الله بدين إبراهيم في أرض الحجاز!

يا ناقُ سيري عنقاً فسيحاً إن نبياً قد أظلم زمانه يبعثه الله بالهدى ودين الحق في أرض الحجاز. يا ناقُ هذا سبيلك إلى الوطن النائي يجمع شملك بالأحباب من آل عدى بن كعب في أرض الهدى والسلام. يا ناقُ هذا فجر يوشك أن ينشق بالنور فسيرى بى إليه أقبس من نوره نوراً لقلبي وسلاماً لروحي. يا ناقُ هذا يؤمك المأمول تبرق شمسهِ في حواشى الأفق فأبلغيني مأملي قبل الغداة.

وأقام زيد بن عمرو بمكة زماناً، معتزلاً قومه وما يعبدون من دين الله؛ لا يؤاكلهم ولا يشاربهم، ولا يخشى أن يبايدهم بالعيب على ما هم فيه، وحرّم على نفسه ما أحلّوا لأنفسهم من الميتة والدم وما دُبِح على النّصب.

وعرف القرشيون ما أجمع عليه أمره، فاعتزلوه وخلّوا بينه وبين نفسه، لكنه لم يخلّ بينهم وبين أنفسهم؛ فإنه ليقتصد إلى البيت فيسند ظهره إلى الكعبة يقول: «يا معاشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى وإنكم لتعبدون مالا يغنى عنكم من الله شيئاً. يا معاشر قريش، إنكم لتأتون المنكر، وتقارفون الشر، وتتدون البنت، وتكفرون النعمة. يا معاشر قريش، أيما رجل منكم هم أن يقتل ابنته خشية إملاق فأنا أكفيه مئونها. يا معاشر قريش... يا معاشر قريش...» فإذا فرغ من دعوته وجّه وجهه لله يقول: «لبيك حقاً حقاً، تعبدوا ورقاً، عذتُ بما عاذبه إبراهيم. اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكنى لا أعلمه...» ثم يسجد على راحته ويقول:

أَنْفَى لَكَ اللَّهُمَّ عَانِ رَاغِمُ

مهما تجشّمتنى فإنى جاشمُ

ولم يزل زيد على ذلك: يذكر قومه ويعيب عليهم ما يعبدون، حتى ضاقوا به؛ فأجمعوا على نكايته وترّصوا به الشر؛ ثم ما زال به عمه (الخطاب ابن نفيل) يؤذيه وينال منه حتى ألجأه إلى (حراء) لائذا بالله مستجيراً؛ فوكل به الخطاب شباباً من سفهاء قريش يأخذون عليه الطريق وينالونه بما يكره إن هم أن يعود إلى مكة، خشية أن يفسد عليهم دينهم ويتأثره بنوهم. وكانت زوجته فيمن كان من عيون الخطاب عليه، لا يكاد زيد بهم أن يدخل مكة

يدخل دار سعيد متوشحاً سيفه، وفي عينيه شرٌّ وعلى لسانه وعيد، فما إن راه سعيد وزوجه حتى سكت القرآنُ وخَفَتِ الصوتُ وانكمشَ بعضُ في بعض؛ وأوشكت أن تنقض صاعقة تزلزل أركان الدار المؤمنة.. يا عجباً! ما بال هذا الفتى قد نسي ما جاء له ورقٌ بعد عُرُم وعنف؟ هل كان يقصد إلا هذا الفتى العربيَّ وزوجَه، أن ينالهما بأشد الأذى على ما صَبَّأ وفارقا دين قومهما؟

ها هو ذافى موقفه منهما خاشع الطرف يتلو من صحيفة في يده: «بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طه﴾ ١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢
إِلَّا نَذْكُرْكَ لَمْ تَخْشَ ٣ تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ
الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ٤ ﴿١﴾

فما يكاد يفرغ من تلاوته حتى يلتفت إلى خَتَنه سعيد وأخته فاطمة بنت الخطاب يقول: «دُلَّني على محمد حتى آتيه فأسلم!» ذلك عمر بن الخطاب وتلك دار سعيد بن زيد بن عمرو؛ دخلها دخول الفاتك المتقحم لا تهدأ نفسه إلا أن يريق دماً؛ فما احتوته الدار حتى كان عمرُ غير عمر!

إن في بعض الأمكنه كسراً يهمس، ونجوى تخافت؛ وإن في هذه الدار...! وجلس سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، وعمر بن الخطاب بن نفيل، مجلسهما إلى رسول الله غدوة، فقالا: «يا رسول الله استغفر لزيد بن عمرو!»

قال رسول الله ﷺ: «نعم، فإنه يبعث أمةً وحده!»
رحمة الله عليه

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل في طريقه إلى مكة يسعى نوره بين يديه إلى أمل يرجوه، فإنه ليحدو بعيره مغتبطاً جذلان أن يعود إلى وطنه ومرتع صباه فيظفر بالحسنين من لقاء الأهل والولد وصحبة النبي القرشي الذي أظلَّ زمانه؛ وإنه ليغدُّ السير وفي نفسه شوق ولهفة، وعلى لسانه تسبيح ودعاء!

وانطوى الطريق تحت أخفاف البعير الذي أنضاه السرى وجهد السفر، فلما صار على قرب قريب من أرض الحجاز وأوشك أن ينعم بلقائه الأهل والولد ورؤية النبي الذي قطع مفازة الحياة سعيًا إلى لقاه - عداً عليه من عدا من أهل السبيل فصرعه قبل أن يبلغ حيث يريد، فإنه ليقول وهو يلفظ أنفاسه: «اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم!» يرحمك الله أبا سعيد!

... وأشرق الصبح على أرض الحجاز، وفاض النور من غار حراء يغمر بطحاء مكة ويسيل سيل العرم فيمحو الظلمات ويدخل منه في كل دار قبس يضيء. وداعت أشعة الصبح الضاحك نافذة الدار التي آوت زيد بن عمرو بن نفيل عُمرًا من عمره، ثم هجرها ساعياً إلى الله يبتغي الوسيلة إلى دين الحق، فكان ولده سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب - من السابقين الأولين في الإسلام!

وعاد النور والإشراق إلى الدار التي يُعزى إليها أولُ مذكر بدين إبراهيم على حين غفلة وضلال. وكان إيمان سعيد واستجابته لدعوة الحق امتداداً لدعوة أبيه في الجاهلية وصفحة مشرقة من التاريخ تنضم إلى صفحات!

ثم دار الفلك دورة، وإذا فتى عارمٌ من فتیان قریش

كيف نقتلع جذور الثأر؟

لأستاذ الدكتور / عبد الحليم مهنى

علم الاجتماع، وكان يدرس لنا هذه المادة، وكانت آخر محاضرة له قبل لقائي به فى الإشراف مضمونها: أنه لا يمكن لأى تشريع أو قانون أن ينجح فى أى مجتمع إلا إذا كان مراعىا لظروف هذا المجتمع وعاداته وتقاليده، وحين التقيت به كان إشرافه موجزا محددا ولكنه عميق، حيث قال: أنا لا أسألك عن وصف عادة الثأر فهذا أمر ميسور، ولكنى أسألك عما تراه لعلاج هذه العادة، قلت: وسائل عديدة، ولكن فى مقدمتها القصاص، وما إن سمع كلمة القصاص حتى زمجر فى غضب قائلا: كيف ونحن فى القرن العشرين تريد أن تعيدنا إلى قتل القاتل وقطع يد السارق وهذا التفكير البدائى؟ ولشقتى فى معلوماتى لم أغضب ولم أتأثر، بل قلت له لنفترض جدلا أن التشريع الإسلامى تشريع بدائى، ولكنى أسألك عن عادة الثأر، هل هى عادة حضارية أم بدائية؟ قال: بل هى طبعا عادة بدائية، قلت: والعادة البدائية كيف تعالج؟ هل بتشريع حضارى أم بتشريع.. ولم يدعنى أكمل كلامى، لأنه عرف أنى أذكره بمحاضرتة الأخيرة المشار إليها، فقال: اكتب البحث واعرضه على..

كنت طالبا فى السنة النهائية فى الكلية حينما قرأت إعلانا من وزارة الشؤون الاجتماعية لمسابقة عن العادات والتقاليد، وما إن وقع بصرى على عادة الأخذ بالثأر بين هذه العادات حتى سيطر على الشعور بضرورة الإسهام فى الكتابة حولها لعل ما أكتبه يصل إلى آذان المسؤولين، وكنت قدنشأت فى بيئة قريبة من قرية (بيت علام) بسوهاج التى تناقلت وسائل إعلام العالم بشاعة أحداثها التى قتل فيها قرابة خمسة وعشرين فى حادث واحد، وكانت أحداث بيئتى التى شهدت فى صباى لا تقل بشاعة إن لم تزد عن أحداث (بيت علام) ومنها أن عائلة واحدة فقدت خلال عام واحد سبعة وعشرين نفسا ذهبوا صرعى فى حوادث الثأر، وظلت نفسى مفعمة بالأسى لما شهدته من قتلى مزقتهم الطلقات النارية، وآخرين غارقين فيما تدفق من دمائهم، فحين وجدت المسابقة هانت على التضحية بمعظم الوقت الثمين المتبقى على الامتحان، والذى لم يكن له بديل لأحافظ على تقدير يتيح لى أن أحظى بالتعيين بعد التخرج، وكان على حين عزمت على الكتابة أن أضع نفسى تحت إشراف أستاذ اختارته وزارة الشؤون الاجتماعية وهو الدكتور على فؤاد الذى كان عائدا من أمريكا بعد حصوله على الدكتوراه فى



ومتورطة في ثأر، فجمع عائلته وقدم لهم كل ما عاد به من مال في إعارته ليشتروا به سلاحا استعدادا لأخذ ثأرهم.

كما أن من تأصل عادة الثأر في أبناء الريف ما تدل عليه هذه المقولة الحكيمة لأحد فلاسفة علم الاجتماع وهي: (تستطيع أن تنتزع شخصا من الريف ولكنك لا تستطيع أن تنتزع الريف من شخص) بمعنى أن الريفى يمكن أن ينتقل إلى أية مدينة أو دولة، ولكن طابع الريف يظل راسخا في أعماقه، ومن طابع الريف عادة الثأر وخصوصا في الصعيد، ومن هنا ندرك خطورة التهوين من الأسباب الدافعة إلى الثأر، لأن ذلك يصرفنا عن التفكير في الحلول السليمة لعلاج هذه العادة الخطيرة، ومن نحو هذا التهوين كان اقتراح أحدهم حلا مضحكا لإنهاء خصومات الصعيد، وقد نشر في بريد الأهرام، وهو أن يؤتى بطرفى الخصومة، ويعطى كل منهم عصا غليظة، ويوضعون جميعا في مكان واحد يغلق عليهم، ويتركون يضرب بعضهم بعضا حتى ينهوا خصومتهم بأنفسهم.

ثانياً: الحلول الجذرية فى التشريع الإسلامى تبحث عن مواطن الخطورة فى مشكلة الثأر لتقتلعها من أساسها، ومن أهم مواطن الخطورة:

١- التقاليد فى الثأر تتيح لكل فرد ممن ينتمى إليهم القتل من عائلته أو بلدته أن يأخذ ثأر هذا القتل، وهذا الشيوع يمثل خطورة كبيرة واضحة، ولكن التشريع الإسلامى يقضى على هذه الخطورة من جهتين، جهة المطالبة بالثأر، وجهة تنفيذ الثأر، فأما المطالبة بالثأر فيقصرها التشريع الإسلامى على الورثة الشرعيين للقتيل، فالذين

وحين مضى فى تصفح البحث بدا عليه الاستغراق شيئا فشيئا، وحين استوعب مضمون البحث نظر إلى متجهما غاضبا يقول فى انفعال شديد: كيف توجد فى الإسلام هذه الحلول لمشاكلنا ونحن لا ندري بها؟ فقلت فى هدوء: هذا ليس عيب الإسلام، ولكنها مسئوليتنا نحن أننا لم نحاول معرفة الإسلام.

والموضوع فى عرض سريع موجز هو كما يلى:
أولاً: من التبسيط المخل أن يتصور بعض الناس أن الدافع إلى الثأر فى بيئته هو مجرد الجهل، أو الغباء، أو النغمة الجديدة وهى تحريض النساء على الثأر أو نحو ذلك، فالحقيقة أن الأمر أخطر وأعمق من ذلك بكثير، فمما يعرفه علماء الاجتماع أن للعادات والتقاليد سلطانا على المجتمعات المحافظة أقوى من سلطان الدين والقانون معا، ويضربون مثالا لذلك بعادة الثأر، حيث يحرص عليها حتى المتدين، وهو يعلم أنها مخالفة للدين، ومخالفة للقانون، ويتحمل متعمدا تبعاتهما رضوخا للعادة المتأصلة، كما أن التعليم لم يكن مانعا من مزاوله الثأر أو التحريض عليه، بل من الغريب أنه كان حافزا ودافعا إلى الثأر، ومن ذلك أننى كنت قد أجريت استفتاء مكتوبا عند كتابة بحث الثأر، وعند جمع نتائجه فوجئت بأن فئة المتعلمين كانت أشد الفئات فى القرية حرصا على الثأر، وقد زالت الغرابة عند تحليل النتائج وتعليلها، حيث إن المتعلمين فى العائلة هم أشدها حرصا على كرامة العائلة، وفى يقينهم أن أخذ الثأر هو من أبرز مظاهر كرامة العائلة، ولا أنسى أن عالما أزهريا شديد التمسك بدينه كان عائدا من الإعارة، فوجد عائلته



ينتظروا ماذا سيكون الحكم، لأن الحكم أيا كان لا يعينهم، وإنما يعينهم أن يأخذوا حقهم بأيديهم.

وهنا تبدو الحكمة البالغة للتشريع الإسلامى، حيث يؤكد لأهل القتل أصحاب الحق فى القصاص - أن القصاص حق وملك خاص لهم، يستطيعون أن يطالبوا به، وأن يتنازلوا عنه فى أية مرحلة من مراحل القضية، وأن كل جهات السلطة التى تباشر القضية إنما تعمل لبيان حقهم وإثباته، بل إن التشريع الإسلامى يستثنى حقوق القصاص من قواعد التشريع رغبة فى منع نزيف الدم، وذلك أن الحقوق فى التشريع الإسلامى نوعان، حقوق الله وعقوبتها تسمى الحدود، كحد السرقة وحد الزنا، وحد شرب الخمر، وحين تثبت لا يملك أحد العفو عن الجانى فيها لأنها حق الله، ويقابلها فى القانون الوضعى الحالى الحق الجنائى، ولا يملك أحد العفو عن الجانى لأنه حق المجتمع، والنوع الثانى فى التشريع الإسلامى حقوق العباد كسائر المعاملات المالية بين الناس، وهذه يملك صاحب الحق العفو عن الجانى فيها والتنازل عن حقه فى أية مرحلة من مراحل القضية، ويقابلها فى القانون الوضعى الحالى الحقوق المدنية التى يملك صاحب الحق فيها التنازل عن حقه فى أية مرحلة من مراحل القضية، وكان حق جريمة القتل وهى كبرى الجرائم أن تكون من حقوق الله التى لا يملك أحد العفو فيها عن الجانى، بل هى أولى بذلك مما دونها من الجرائم كالسرقة، ولكن التشريع

يرثون تركة القتل هم الذين يرثون المطالبة بالقصاص دون غيرهم، وكل منهم يملك من حق القصاص بمقدار نصيبه فى التركة، وأما تنفيذ القصاص حين يثبت فيجعله التشريع الإسلامى بيد ولى الأمر صاحب السلطة والحكم أو من ينوب عنه وهو القضاء.

٢- من التقاليد فى الثأر اختيار شخص بارز من عائلة القاتل أو عدة أشخاص ليكون قتلهم موجعا لعائلة القاتل، وشفاء لنفوس أهل القتل كما حدث فى قضية (بيت علام) بسوهاج، ولكن التشريع الإسلامى لا يبيح إطلاقا أن يؤخذ بالجريمة أحد غير القاتل أو القاتلين إذا اشتركوا فى القتل، وفى القرآن الكريم:

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (١).

ومن الإسراف فى القتل قتل غير القاتل أو أكثر من القاتل، والسلطان الذى جعله الله لولى الدم هو حق القصاص.

٣- من أهم أسباب عدم نجاح كل القوانين الحالية فى معالجة عادة الثأر أن أهل القتل يصرون على أن يشعروا مجتمعهم بأنهم أخذوا حقهم بأنفسهم، ولا تعينهم إطلاقا الأحكام التى تصدر ضد القاتل، وحادث (بيت علام) أوضح مثال لذلك، حيث دبر أهل القتل جريمتهم بحيث تكون فى ذات اليوم الذى ستنتظر فيه القضية فى المحكمة، وقبل أن تنظر، دون أن

(١) سورة الإسراء (٣٣).



بل يجب قبل ذلك أن يعرض على ورثة القتل - وهم وحدهم أصحاب الحق في القصاص - العفو عن القاتل، ويرغبهم في ذلك بكل أنواع الترغيب، فإذا رفضوا العفو وأصرروا على القصاص يجب أن يعرض عليهم قبول الدية، وهى مبلغ مالى كبير فيه إغراء ولو لبعض ورثة القتل. ولا تقل الدية فى أدنى تقدير لها عن مائة ألف جنيه، بل مائة ألف دولار، ولا عقبات فى تطبيقها، لأنها توزع على كل الذين ينتمى إليهم القاتل ويتعصبون له، ليحولوا بعد ذلك بين أفرادهم والعدوان على أحد، فإذا لم يمكن وزعت الدية على أبناء مهنة القاتل أو نقابته، فالإسلام أول من شرع نظام النقابات المهنية فى التاريخ.

٢- إذا أصر ورثة القتل على القصاص أمر القاضى بتنفيذ القصاص، منعا لنزيف الدم الذى سيراى فى دوامة الثأر الذى يدور فى حلقة مفرغة لا نهاية لها، ولكن الإسلام يبلغ من حرصه على إنقاذ حياة القاتل أنه إذا عفا ولو صاحب أصغر نصيب من ورثة القتل أو قبل نصيبه من الدية سقط القصاص، ويخير باقى الورثة بين العفو أو الدية أو لا شىء لهم كما فى نص التشريع الإسلامى، والتعليل الرائع لهذا فى التشريع الإسلامى أن الحياة أولى من الموت، والذى عفا أو قبل الدية كأنه قرر حياة نصيبه فى القاتل، والحياة لا تتجزأ، كما أن الحياة أولى من الموت، فيفضل جانب الحياة على جانب الموت فيسقط القصاص وينجو القاتل من الموت.

٣- من الاحتمالات الغالبة فى حوادث القتل أن القاتل يحاول أن يرتكب جريمته فى خفاء حتى ينجو من العقاب، ولكن أهل

الإسلام لا ينظر إلى جريمة القتل من زاوية العقاب، وإنما من زاوية الأثر الاجتماعى الخطير لها، فيستثنىها ويجعلها من حقوق العباد وليست من حقوق الله، أى يجعلها حقا مدنيا وليس حقا جنائيا، والحكمة الواضحة فى ذلك أن يشعر أهل القتل أن العقاب وهو القصاص ملك خاص لهم يستطيعون أن ينفذوه، ويستطيعون أن يتنازلوا عنه، وهذا الشعور يريح نفوسهم ويطفىء جانبها كبيرا من جذوة الغضب لديهم وهو أهم ما فى الموقف كله، أن يشعر أصحاب الثأر أن الأمر فى أيديهم هم.

ومن هنا كانت الفجوة الشاسعة بين أصحاب الثأر فى الصعيد وبين القانون، حيث إن القانون لا يجعل لأصحاب الثأر اعتبارا، ولا يعترف أصلا بأنهم أصحاب حق، لأن جريمة القتل فى القانون الحالى حق جنائى، وهو حق المجتمع وليس حق أهل القتل، فيصر أهل القتل على أخذ حقهم بأيديهم فى صورة الثأر مهما يكن حكم القانون، بينما كانت نظرة التشريع الإسلامى فى هذه النقطة فيها مفتاح الحل حيث جعل القصاص حقا مدنيا يملكه أهل القتل.

ثالثا: إذا كان أعداء الإسلام ينحون بكل اللوم وكل التشهير عليه بأنه دين العنف وسفك الدماء متخذين من تشريع القصاص مثالا لتشهيرهم فلينبظروا كيف أن الإسلام فى تشريع القصاص يبذل كل وسيلة مشروعة لإنقاذ حياة القاتل نفسه، مع ضمان حل المشكلة اجتماعيا، وذلك باتباع الخطوات التالية:

١- يجب على القاضى وجوبا ألا يلجأ إلى تنفيذ القصاص حين تثبت الجريمة على القاتل،



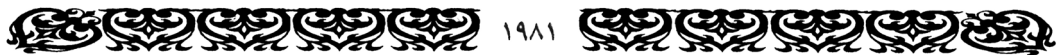
ومن نحو هذا نتبين في جلاء أن التشريع الإسلامي يقدم النظرة إلى إصلاح المجتمع والمحافظة على الحياة على النظرة إلى العقاب، وصدق الله حيث يقول:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

حيث لا بدليل للقصاص في وقف نزيف الدم والمحافظة على صلاح المجتمع.

وكما استثنى التشريع الإسلامي جرائم القتل في بعض جوانبها من قواعد التشريع فإذا أردنا علاجاً حقيقياً - وليس مسكناً وقتياً - لعادة الثأر، فإنني أقترح - إذا لم يمكن تطبيق التشريع الإسلامي كاملاً - أن تستثنى جرائم القتل التي يخشى أن ينبع منها ثأر فيصاغ لها قانون خاص يسير على نهج التشريع الإسلامي في الحلول المشار إليها، ثم تشكل في كل محافظة دائرة قضائية من قضاة ملمين بالثقافة الإسلامية، أو على الأقل ممن تربوا في الريف ليكونوا أقرب إلى نفسية الفلاحين وأعرف بها، وتحال إلى هذه الدائرة جرائم القتل التي يخشى تحولها إلى ثأر، وتستعين هذه الدائرة بأشخاص معينين يحسنون أسلوب التفاوض مع أهل القتل، ويعرفون الحلول الاجتماعية، على أن يكون من أهم ما يتضمنه هذا القانون الخاص إبراز أن جريمة القتل حق مدني يملكه ورثة القتل ويشرفون عليه من بداية القضية إلى نهايتها، فإذا لم يكن بد من القصاص فيحضره ورثة القتل وهم أولياء الدم لعل أحدهم عند التنفيذ تأخذه عاطفة دينية أو رحمة بالقاتل فيعفو عنه فينجو من الموت.

القتيل وإن جهلوا شخص القاتل حين لا يكون هناك دليل عليه فإنهم يعرفون الشخص أو العائلة التي بينهم وبينها من الخصومة ما يدفعها إلى القتل منهم، وحينئذ يلجأون إلى قتل أي شخص من هذه العائلة إذا لم يتمكنوا ممن يتوقعونه القاتل، والنتيجة أنه مع الجهل بشخصية القاتل يظل خطر الثأر قائماً كما هو، وحينئذ يقف القانون الوضعي الحالي عاجزاً ولا يملك إلا قيد القضية ضد مجهول، ولكن التشريع الإسلامي يلجأ حينئذ إلى استثناء لا يوجد في أي قانون في العالم حرصاً على الحياة ومنعاً لنزيف الدماء، وهذا الاستثناء هو ما يعرف بالقسماء، وهي نظام جاهلي أبواه الإسلام التماساً لأية وسيلة تحقق بها الدماء، ومضمونها أن يطلب القاضي من أهل القتل أن يختاروا خمسين شخصاً ممن يثقون في صدقهم وأمانتهم من أهل القاتل أو من ينتمي إليهم القاتل، ليحلف كل منهم ما قتله ولا أعلم قاتله، ولا ينتظر عادة أن يتفق خمسون من الموثوق فيهم على باطل أو إخفاء الحقيقة، وحينئذ إما أن يظهر القاتل، وإما أن تطمئن نفوس أهل القتل إلى أن القاتل ليس من بين هؤلاء المتهمين بالقتل، وفي كلا الحالين لا يلجأون إلى الثأر، بل إن التشريع الإسلامي يقول: فإذا لم يجد أهل القتل من يثقون فيهم من أهل القاتل سوى عشرين مثلاً أو أكثر أو أقل من الخمسين أعيد حلف الإيمان عليهم حتى تبلغ الإيمان خمسين يمينا.



خطبة الجمعة

أسلوب الدعوة إلى الله (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، وهب أصفياه الحكمة، وكتب على نفسه الرحمة:

﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، أشهد أن لا إله إلا الله، هو وحده العليم بالسرائر، المطلع على خفيات الضمائر: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، منحة الرحمن، وصفوة الإنسان: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه:

﴿وَمَنْ تَزَكَّ فَإِنَّمَ يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٤).

يا أتباع محمد ﷺ:

لعل أهم صفة من صفات رسول الله أنه داعية إلى الله، ولذلك خاطبه ربه في محكم تنزيله بقوله:

(*) ألقيت بالتليفزيون في ١٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥هـ - ٨ من أكتوبر سنة ١٩٦٥م.

(١) الأعراف (٥٦).

(٢) الملك (١٤).

(٣) القلم (٤).

(٤) فاطر (١٨).



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٥٠﴾﴾

هو يشهد بالحق ويحث عليه، وهو يبشر بالخير ويحبب فيه، وهو يحذر من الشر ويباعد عنه، وهو حين يدعو إلى الله بإذن الله، ينير الطريق ويضيء المسالك، ويفتح أمام المهتدين المحسنين أبواب الفضل الإلهي الكبير:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

ومعنى هذا أن الدعوة إلى الله ليست لعبة يتلهى بها الغر والجاهل، وليست أمراً يحسنه القاصر والغافل، وليست شهوة يندفع إليها كل من عرف قشوراً من الدين، أو أراد تظاهراً بين الناس، وإنما الدعوة إلى الله كالحرم الرباني الزكي، يدخله من تطهر وتدثر بالعقل والعلم والإخلاص والاعتدال على الصراط المستقيم بلا انحراف ولا اعتساف ولا إسراف، ولذلك وكل الله - تبارك وتعالى - هذه المهمة الجليلة في نطاقها العام إلى أنبيائه ورسله ومن ورائهم ورثتهم والأخيار من

أتباعهم الراسخين في العلم، البصراء بالحق، الخبراء بطرق الهداية في حذق ورفق، ولذلك قال الله - تعالى - لحبيبه ومصطفاه:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾﴾

ولجلال الدعوة إلى الله ودقتها رسم الرحمن الرحيم لرسوله الكريم أصولها وقواعدها، حتى تكون هدياً ونوراً، وخيراً وبراً، تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تمزق، وتبنى ولا تهدم، وتعمر ولا تحطم، فقال له:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٨﴾﴾

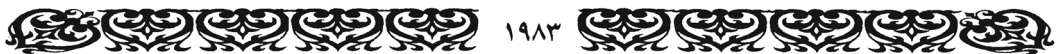
وفى هذا النص الإلهي المجيد حدد الخالق سبحانه ثلاثة وسائل للدعوة هي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ وكأنه أراد أن يكون كل منها لمستوى من المستويات، أو لحالة من الحالات، فالحكمة هي القول العلمي الدقيق البليغ، المشتغل على الحجة المقنعة والبرهان الساطع والدليل الواضح، وكأن وسيلة الإقناع بالحكمة تناسب الذين يطبقونها ذهنياً وفكرياً من المتعلمين والمثقفين، والموعظة الحسنة هي الكلام الرقيق اللطيف، الذي يقوى حوافز الخير وعواطف

(٦) المائدة (١٥، ١٦).

(٨) النحل (١٢٥).

(٥) الأحزاب (٤٥: ٤٧).

(٧) يوسف (١٠٨).





﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ،
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٠).

وإذا كان الله - جل جلاله - قد حدد وسائل الدعوة هنا بهذه الأمور التي جعلها بعيدة عن معانى الإكراه والإرغام والعدوان، فقد ذكر لنا فى موطن آخر صورة من صور التطبيق للدعوة المسالمة، فإذا هذه الصورة تبدو وفيها اللين والرفق والرحمة، وذلك حينما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وقال لهما:

﴿أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿فَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ﴿فَأَنِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغَدِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا تَتَّبِعَ الْهُدَىٰ﴾ (١١).

وهكذا بدأت المحاوراة مع فرعون - وهو فرعون وكفى - بالقول الهادى اللين:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ واختتمت بالسلام والأمان: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا تَتَّبِعَ الْهُدَىٰ﴾، ولقد روى التاريخ أن جاهلاً يدعى العلم أراد أن يتظاهر بالدعوة ليرضى غروره أو يستر

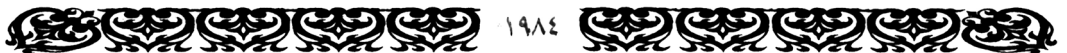
البر ومشاعر الإنسانية الرفيعة التى تعمّر دنياها بالحبّة والمودة وحسن المعاملة، وكان هذه الوسيلة تناسب جمهور الناس اللذين إذا جاءتهم الموعظة الحسنة اللينة أحييت موات قلوبهم، وذكرتهم بربهم، وحملتهم برقة ولطف على سواء السبيل، ثم تأتى المجادلة بالتي هي أحسن، وهى المحاوراة الهادئة الرزينة التى تصور أحسن الطرق للمناقشة، بلا عنف ولا تعنت ولا شطط، وهذه الوسيلة تكون مع المخالف فى الاتجاه أو الاعتقاد، وهكذا أراد الله - جل جلاله - بمن يصلح للدعوة ويقدر عليها أن يعرف حدودها وقيدوها، وأن يلتزم وسائلها الرشيدة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فلا ينحرف عنها ولا يجور فيها، ولا يجاوزها إلى ادعاء ما ليس له من جموح أو تطاول، بل هو يبين ويوضح ويدلل بأرق الوسائل والطف الأساليب، دون لجاجة أو مهاترة أو عدوان، والله بعد ذلك هو المتصرف فى عباده، المسئول عن هدايتهم، العليم بالطوايا والنوايا:

﴿إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٩)، وهو وحده صاحب الحق فى محاسبة الخلق على أعمالهم يوم لقائه، وهو وحده مالك الثواب والعقاب، ولذلك قال:

(١٠) القلم (٧).

(٩) الأنفال (٤٣).

(١١) طه (٤٣: ٤٧).



﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا
غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١٥).

وقال:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦).

وقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧).

يا أتباع محمد ﷺ:

يقول سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» (١٨)، أى الشريعة المعتدلة السهلة الميسورة، وعماد هذا الدين الكريم هو الطهارة والصفاء، والمحبة والإخاء، والتناصح بالرفق والرحمة، والدعوة إلى الخير بالحكمة:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٩).

وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

نقصه، فقال لأحد الحاكمين: أيها الأمير، إننى سأسمعك كلاماً شديداً فاحتمله منى، فأجابه قائلاً: لن أحتمله منك فلا تقله، فقال الدعى فى باب الدعوة: ولم؟، فأجابه: لأن الله - تعالى - أرسل من هو خير منك إلى من هو أسوأ منى، ومع ذلك أمره باللين والتلطف، لقد بعث الله موسى وهارون وهما خير منك بلا نزاع، إلى فرعون وهو أسوأ منى بلا جدال، ومع ذلك أمرهما بقوله:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

ومن بعد موسى وهارون وغيرهما يقبل شيخ الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ فإذا هو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة فى هذا الباب، فهو الذى قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا» (١٢)، وحينما طلب منه بعض أصحابه أن يلعن المشركين أبى وقال: «إننى لم أبعث لعناً، وإنما بعثت هادياً ورحمة» (١٣)، ولما طلب منه أن يدعو على المشركين ليهلكوا أبى وقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً» (١٤)، وترجم القرآن عن هذه المثالية الرائعة فى لين الدعوة ورحمة الداعية فقال للرسول:

(١٣) إتحاف السادة المتقين ١٠٨/٧.

(١٥) آل عمران (١٥٩).

(١٧) الأنبياء (١٠٧).

(١٩) يونس (٢٥).

(١٢) البخارى ٢٧/١.

(١٤) مسلم ١٤٢٠/٣.

(١٦) التوبة (١٢٨).

(١٨) البخارى ١٦/١.



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ليس تأسفى على الدنيا

لما احتضر سلمان الفارسي - رضى الله عنه - تحسر عند موته، ف قيل له : علام تأسفك يا أبا عبد الله؟ قال : ليس تأسفى على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا وقال : « ليكن بُلغَةُ أحدكم كزاد الراكب » وأخاف أن نكون جناوزنا أمره وحولى هذه الأشياء، وأشار إلى ما يليه، وإذا هو سيف، ودست، وجفنة .

الحنين إلى الوطن

قيل لبعض الحكماء بأى شىء يعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار؟ قال : بحنينه إلى أوطانه وتلهفه على ما مضى من زمانه . وعن الأصمعى : قال إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه .

نجونا ورب الكعبة

قال أحد الأعراب لابن عباس : من يحاسب الناس يوم القيامة؟ فقال : يحاسبهم الله - تعالى - فقال الأعرابي : نجونا إذا ورب الكعبة، ف قيل له : وكيف؟ فقال : إن الكريم لا يدقق فى الحساب .

من أنت؟

وقف أعرابي على قوم يسألهم فقالوا له : من أنت؟ قال : إن سوء الاكتساب يمنعنى الانتساب .

حقا

فلو أنا إذا متنا تُركنا
لكان الموت راحة كل حى
ولكننا إذا متنا بعثنا
لنُسأل بعدها عن كل شىء

نصيحة

قال الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : أَلْحَفُوا الظَّالِمَ - إِذَا أُرِدْتُمْ يَمِينَهُ - بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ؟ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عَوَجَلُ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يَعَاجِلْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَحَدَ اللَّهُ - تَعَالَى -:

هل نطحتك أمه

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو على الكوفة «جَدَى» يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسه هو ولا غيره، فقدم أعرابى يوما فأكل لحمه وتعرق عظامه^(١)؛ فقال: يا هذا، أتعطال هذا البائس بذَحْل^(٢)؟

هل نطحتك أمه! قال: وأبيك؛ إنك لشفيق عليه هل أرضعتك أمه؟

دعاء

اللهم وإنك من الضعف خلقتنا، وعلى الوهن بنيتنا، ومن ماء مهين ابتدأتنا .
فلا حول لنا إلا بقوتك، ولا قوة لنا إلا بعونك .

العلم

كتب رجل إلى عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما -: يسأله عن العلم فأجابه: إن العلم أكثر من أن أكتب به إليك، ولكن إذا استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين، خفيف الظهر من دمائهم، خميص البطن من أموالهم، ملازما لجماعتهم فافعل .

موعظة

كان صالح اللخمي الدمشقى شاعرا وحكيما، وقد ذكر عنه أنه وعظ ابنه مرة فقال: يا بنى إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله - تعالى - فكم مسلوب دينه، ومنزوع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره فى ذلك اليوم وأنت فى عافية .

عقل الرءواء لسانه

عن طاهر الزهرى قال: كان رجل يجلس إلى أبى يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبويوسف: ألا تتكلم؟ قال: بلى متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟

فضحك أبويوسف، وقال: أصبت فى صمتك، وأخطأت أنا فى استدعائى لنطقك .

(٢) الذحل: الثأر .

(١) تعرق العظم: أخذ ما عليه من لحم .

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسئفنا وارت القرد

الدول الإسلامية تُجرى مثل هذه العمليات . وهنا يطرح سؤال آخر . هل يجب أن يكون هذا الزواج تاماً أم يتزوجها دون أن يمسه؟ وهل يمكن الزواج عرفياً؟

●● الجواب :

لا يجوز شرعاً أن تستنبت الزوجة في رحمها بويضة من امرأة أخرى مخصبة سواء كانت مخصبة من زوجها أو من غيره، وسواء كانت صاحبة البويضة امرأة أجنبية أو ضرة تشترك معها في الزوج نفسه، ولا يجوز لك أن تستقبلي هذه البويضة الغريبة عنك لتستنبتها في رحمك ولتلدی طفلاً ينسب إليك... وقد أجمع الفقهاء المعاصرون أثناء بحث هذه المسألة (في إحدى ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) على حرمتها، لأن هناك طرفاً ثالثاً غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل: فهل الأحق به صاحبة البويضة التي تخلق منها

● أنا سيدة أبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً وزوجي في الثلاثين، بعد زواجنا بمدة وجيزة لا تتعدى الشهر أجريت لي عملية استئصال لأكياس على المبايض ولكبر حجم هذه الأكياس استؤصل معها أحد المبايض وجزء من الآخر مما أدى إلى عدم قدرتي على التبويض .
مولانا يقول :

﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١).

وعاطفة الأمومة تملكني ورغبتى في سماع كلمة ماما تقتلني، والحل الوحيد هو زواج زوجي من امرأة أخرى تقوم هي بدورها بإعطائي بويضة تخصب من زوجي وتنبت في رحمى فيكون الطفل ولدى ولبنى حلال عليه... وهذا موضوع سؤالى وفتواى، علماً أننى سمعت أنه في بعض

(١) الكهف (٤٦).

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

حكم تحفيظ الرجل القرآن للمرأة

● السؤال من خالد عبدالله: ما حكم تحفيظ الرجل القرآن للمرأة الأجنبية عن الرجل سواء أكان ذلك في خلوة أو رجل لمجموعة من السيدات علماً بتواجد أماكن لتحفيظ النساء ولكن مواعيدها غير مناسبة لمواعيد هذه المرأة.

●● الجواب :

يجوز شرعاً تحفيظ القرآن وتعليمه من الرجال للنساء عند عدم وجود امرأة تقوم بذلك والأصل في ذلك قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٢). إلا أنه يشترط لذلك أن تكون النساء في مجموعة أو مجموعات وأن تؤمن الفتنة من الجانبيين. فإذا كان التحفيظ والتعليم في خلوة بين المرأة الأجنبية والرجل فإن ذلك لا يجوز لما في ذلك من خوف الوقوع في الفتنة ولقول الرسول

الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذي تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنيناً مكتملاً؟... والطفل الذي يأتي بين والدين لا يدري من أمه على سبيل القطع والتأكد، وسيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك... وهذا من الأسباب التي حملت الفقهاء على الفتوى بأن احتضان الزوجة لبويضة ضررتها الملقحة من زوجها ممنوع وغير جائز شرعاً.

وأقول لصاحبة السؤال: إن الخير - كل الخير - فيما أَرَادَهُ اللهُ - تعالى - وقَدَرَهُ وقَضَاهُ، وأنت لا تدريين أين الخير ولا ما هو الأصلح والأُنفع لك، ولو أنكِ اطلعت على الغيب فسوف تختارين ما أنت فيه الآن وتفضلينه على غيره، واعلمي أن الأولاد كما يكونون نعمة يكونون أيضاً نقمة.. فاحمدى الله على كل حال ولا تيأسى من رحمة الله، وابحثي عن الجديد في العلاج و«لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً».

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

الراديو ثم تقام صلاة الجمعة على أن يؤم الأفراد واحد منهم .

ومما ذكر يعلم الجواب .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

لمس المصحف بدون وضوء

● السؤال من خ.ع: ما حكم الشرع فى لمس المصحف بدون وضوء؟ وحكم القراءة فيه أيضا بدون وضوء؟ وإن كنت حافظا لجزء منه هل يجوز لى قراءته بدون وضوء وأنا فى المواصلات مثلا؟ وأيضا ما حكم ما سبق بالنسبة للمرأة الحائض؟

●● الجواب :

قال الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥).

لا يجوز شرعاً لمس المصحف إلا لمن كان طاهراً من الحدثين جميعاً وهو قول مالك والشافعى وأصحاب الرأى والحنابلة واحتجوا بكتاب النبى ﷺ لعمر بن حزم: (أن لا يمس القرآن إلا طاهراً) وقال ابن عمر قال النبى ﷺ: (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) (٦).

وقال أبو حنيفة يجوز حمله بعلاقته بدون وضوء ومنع ذلك مالك والشافعى .

ﷺ: « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » (٣) وقوله ﷺ: « اتقوا الشبهات » (٤).

وفى واقعة السؤال: ما دام يوجد أماكن مخصصة لتحفيظ النساء القرآن فعلى المرأة المسئول عنها أن تتعلم القرآن فى هذه الأماكن مع مثيلاتها وعليها أن تنظم أوقاتها لتتمكن من ذلك فإن لم تستطع فعليها أن تحضر بعض من تأنس له من صديقاتها إلى منزلها لتكون معها أثناء تعلم القرآن من المحفظ .

ومما سبق يعلم الجواب والله سبحانه وتعالى أعلم .

خطبة الجمعة من الراديو جائزة..

ولكن بشروط

● العميد / ع.س: نظراً لطبيعة عملنا بالقوات المسلحة توجد أماكن نائية ومتفرقة وأماكن أخرى بها مساجد صغيرة وزوايا للصلاة وقد لا يوجد من يقوم بأداء خطبة الجمعة .

فهل يجوز للأفراد الاستماع إلى خطبة الجمعة من المذياع ثم يقوم أحد المصلين بإمامة الأفراد لركعتى الجمعة؟

●● الجواب :

إذا كان الحال كما ورد بالسؤال من أنه لا يوجد فى بعض الأحيان من يقدر على أداء خطبة الجمعة، فإنه بناءً على ما ذهب إليه بعض الفقهاء من أن خطبة الجمعة مندوبة أو سنة، فإنه يجوز فى مثل هذه الحالات الاستماع إلى الخطبة من

(٤) أبو داود (٣٢٢٩).

(٦) المستدرک ٤٨٥/٣.

(٣) أحمد ٢٢٢/١.

(٥) الواقعة (٧٩، ٨٠).

﴿ إِنَّا آَعَطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿٧﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ (٧)

وحكمها سنة مؤكدة عن الرسول ﷺ ويكره تركها لمن قدر عليها لما رواه البخارى ومسلم : أن النبى ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما .

وللأضحية ثواب عظيم عند الله فقد قال رسول الله ﷺ عندما سأله أصحابه عن الأضاحى : « سنة أبيكم إبراهيم » . قالوا فما لنا فيها يا رسول الله قال « بكل شعرة حسنة » . قالوا فالصوف . يا رسول الله قال « بكل شعرة من الصوف حسنة » . رواه البخارى - وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا » رواه الترمذى . والأضحية لا تكون إلا من الإبل والبقر والغنم لقوله تعالى :

﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ (٨)

فيجزى من الضأن ما له نصف سنة فأكثر ومن المعز ما له سنة ومن البقر ما له سنتان ومن الإبل ما له خمس سنين يستوى فى ذلك الذكر والأنثى ويشترط لصحة الأضحية أن تكون سليمة من

أما بالنسبة للقراءة من المصحف فيجب على القارئ أن يكون على طهارة تامة من الحدثين الأصغر والأكبر لحديث على - رضى الله عنه : (رأيت رسول الله ﷺ توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن ثم قال هكذا لمن ليس بجنب فأما الجنب فلا ولا آية) .

وإذا كان القارئ حافظاً للقرآن أو لجزء منه ويتلو به غير مس للمصحف فلا مانع من ذلك شرعاً .

ولا يجوز للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن حتى تطهر من حيضها . ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال إذا كان الحال كما ورد به .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

حكم الأضحية فى الإسلام

● حكم الأضحية فى الإسلام وهل هى سنة

أم فريضة ؟

●● الجواب :

الأضحية فى الإسلام شرعها الله إحياء لذكرى إبراهيم - عليه السلام - وتوسعة على الناس يوم العيد كما قال الرسول ﷺ : « إنما هى أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل » رواه مالك فى الموطأ ، وهى اسم لما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقرباً إلى الله تعالى . والأصل فى مشروعيتها قوله تعالى :

ويهدى الأقارب ويتصدق منها على الفقراء ويدخر منها لقوله ﷺ يوم عيد الأضحى لأصحابه: «كلوا وأطعموا وادخروا» وقال العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث ويتصدق بالثلث ويدخر الثلث وليس المقصود تحديد الثلث بالضبط وإنما على وجه التقريب كما يسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول: باسم الله الله أكبر اللهم هذا عن فلان ويسمى نفسه فإن كان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره فإن النبي ﷺ قال لفاطمة: «يا فاطمة قومي فاشهدي أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته» وقولي:

﴿إِنْ صَلَّاتِي وَشُكْرِي وَنَحْيَايَ وَمَعَاقِبِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَكَ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩﴾

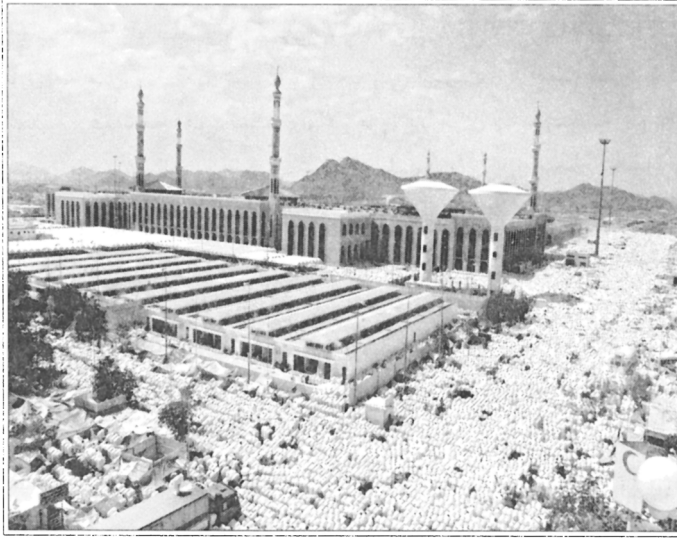
فقال أحد الصحابة: يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة أو للمسلمين عامة؟ قال رسول الله ﷺ «بل للمسلمين عامة» وقال العلماء: يجوز نقل الأضحية من بلد إلى آخر. وفي واقعة السؤال وبناء على ما سبق: فإن الأضحية شعيرة من شعائر الإسلام وسنة مؤكدة عن الرسول ﷺ وفي إحيائها ثواب عظيم وأجر كبير.

العيوب والأمراض لقوله ﷺ: «أربع لا يجزن العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقى». رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

ويشترط لصحتها أيضا أن لا تذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويمر من الوقت قدر ما يصلى العيد ويصح بعد ذلك فى أى يوم من أيام التشريق الثلاثة في ليل أو نهار ويخرج وقتها بانقضاء هذه الأيام أى بغروب شمس اليوم الرابع للعيد فعن البراء رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أول ما نبدأ به فى يومنا - أى يوم العيد - هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك فى شيء» رواه البخارى ومسلم. وعنه ﷺ: «من ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين» رواه البخارى ومسلم.

والأضحية تجزى عن الشخص وأهل بيته ويجوز الاشتراك فيها إذا كانت من بقر أو إبل فكل منهما يجزى عن سبعة أشخاص بأسرهم فعن جابر قال: نحرنا مع النبي ﷺ بالحديبية بالبدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة» رواه مسلم. ويسن للمضحى أن يأكل من أضحيته

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر



الحج رحلة إلى الله تعالى

لفضيلة الشيخ / عبد المصنف محمود عبدالفتاح

قال الله تعالى :

رجاء الموحدين، يقدون إلى أول بيت وضع للناس
ببكة المشرفة، محفوفاً بالخير والبركة :

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (١).

حيث تمتلئ بطاح مكة وتزدحم المناكب
حول الكعبة تلبية لأذان أبيهم إبراهيم
واستجابة لدعوة العزيز الحكيم، عن ابن
عباس - رضى الله عنهما - قال : « لما فرغ
إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت،
قال : رب قد فرغت، فقال : أذن فى الناس

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا عَلَى
كُلِّ صَامِرٍ ثَانِيَيْنَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧) لِيَشْهَدُوا
مَنْفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنْصَابَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
أَمْرَ اللَّهِ الْغَفِيرِ ﴾ (٢٨) ثُمَّ لَقِضُوا أَنْفُسَهُمْ وَلِيُوفُوا
نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

الحج : ٢٧ - ٢٩

فى هذه الأيام المباركة، يتوافد المسلمون من
كل فج عميق، ويأتون من كل بلد سحيق، إلى
بيت الله العتيق، منبع النور الإلهى، ومهبط
الوحي الممدى، وهو أفئدة المؤمنين ومقصد

(١) آل عمران : ٩٧.



وهيبة وخشوع، فطوبى لمن أجاب الداعى، وقام بهذا الواجب المقدس، ليقيم البرهان الساطع والدليل القاطع، على طيب نفسه، وصلابة عوده وقوة قناته، وصلاحيته لخوض غمار الحياة بإرادة قوية، وعزيمة وثابة، فإن مناسك الحج كلها قربات، ومواطن تستجاب فيها الدعوات وتثمر الأعمال الصالحات.. إن هذه الفريضة المقدسة تصور لنا بعض أدوار الآخرة، فالحاج إذا دخل البادية، وسار فى الصحراء لا يأكل إلا من زاده، ولا يعتمد إلا على استعدادده، واغتسال المحرم وتجرده من المحيط ووقوف الجميع بعرفة ما بين مقبول ومخدول، كيوم القيامة فمنهم شقى وسعيد، والإفاضة إلى المزدلفة ودخول البيت الحرام، شبة دخول دار السلام.

الحج فى واقع الأمر رحلة إلى الله - تبارك وتعالى - فيها إنفاق وتجريد، وتطهير وتهذيب، فمن يذهب لأداء فريضة الحج يجب أن يتعود السخاء، والجود والعطاء، من يذهب إلى الحج يجب أن يتجرد من الشهوات وأن يبتعد عن الحرام وأكل الحرام، ويجتنب الآثام، وأن يخلص قلبه وعمله لله - عز وجل - من يذهب للحج يجب أن يتحلى بمكارم الأخلاق، ويترك أساليب النفاق، وأن ينقى قلبه من السوء لإخوانه، وألا يضممر شرا لزملائه وجيرانه، وأن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، ويحب لهم من الخير ما يحبه لنفسه.. للحج أسرار عظيمة، وفضائل

بالحج، قال: يارب وما يبلغ صوتى؟ قال: أذن وعلى البلاغ. قال رب كيف أقول؟ قال: قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج، إلى البيت العتيق، فسمعه أهل السماء والأرض، ألا ترى الناس يجيئون من أقصى البلاد يلبون^(٢) وليس بعجيب أن يسمع الخليل إبراهيم بأذانه الحج من فى السموات ومن فى الأرض، فالتقدم فى الفن والاختراع فى العصر الحاضر قد قرب لنا هذا كل التقريب، فإننا نرى أجهزة الإذاعة والتليفزيون تنشر الصور والأصوات على موجات الأثير فى جميع أنحاء العالم فيسمعها ويراهها البعيد كالقريب، والقاصى كالدانى بالإضافة إلى الأجهزة السلوكية واللاسلكية كالمسرة والبرق، فمن يشاهد هذا يذعن كل الإذعان بأن إبراهيم - عليه السلام - قد أسمع بأذانه للحج جميع العالمين، مع أن فى معجزة إبراهيم تذكيرا بنفخ إسرافيل فى الصور لبعث الخلائق من القبور، فيسمعون ويلبون ويقومون أحياء ينظرون قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٣).

إن فريضة الحج: هى رياضة الوجدان على طاعة الرحمن إلى خير البلدان يؤديها الرئيس والمرءوس، والحاكم والمحكوم بإيمان وخضوع



وفيه إظهار التذلل والخضوع والعبودية وترك الزينة وأسبابها من الملابس الفاخرة، إذ يكتفى الحاج من اللباس بما هو ضرورى لم تتناوله يد الصانع بالخياطة ونحوها، وإن التستر بغير المخيط ليدكرنا بحال الطفل ينزل من بطن أمه لايملك من أمره شيئا وإنما اختار الشارع الحكيم هذا النوع من اللباس ليكون أبلغ فى الخضوع وأكمل فى التسليم للمنعم الكريم رب العرش العظيم ..

ثم إن من أهم المنافع التى قصدها الشارع الحكيم بالحج إلى بيت الله الحرام أن اجتماع الجميع بمكة حول البيت ووقوفهم جميعا بعرفة يعتبر اجتماعا عالميا ومؤتمرا دوليا لوضع أسس السعادة والرقى والحضارة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فضلا عن تبادل الخبرات والمعارف ودراسة المشكلات ووضع الحلول المناسبة لها بطريقة إيجابية وعملية، وإن الحج تتمثل فيه الديمقراطية التعاونية الإسلامية، كما تتمثل فيه الوحدة الإسلامية الشاملة بكل معانيها.

نعم إن الحج هو المؤتمر الأكبر الذى يضم شتات المسلمين من كل فج عميق يستلهمون منه معانى العزة والقوة، ويشهدون منافع لهم دون غيرهم، منافع عامة ليست خاصة منافع كثيرة تعود عليهم بخيرى الدنيا والآخرة، منافع لا يقدرها حق قدرها ولا يعرف كنها إلا الله - تبارك وتعالى - والراسخون فى العلم،

روحية شريفة، وآثار اجتماعية قدسية، فمن ذلك تنظيم البيت العتيق وعمارته، وزيارة الأرض المقدسة التى احتضنت شرعة الإسلام إلى أن ترعرعت وقويت، وقضت على الشرك والوثنية .. الحج من أفضل العبادات التى يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم بارئ السمات، فصفوا قلوبهم، وتشف نفوسهم فى مشارق الفيوضات وترفروا أرواحهم مع نسيمات الرضا والنفحات، فيلتقون على المودة وترتبط بينهم أواصر المحبة على اختلاف الديار وتباعد الأقطار.

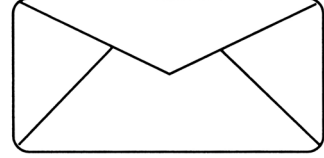
فى الحج تتجلى الوحدة الإسلامية فى أسمى صورها وأروع مظاهرها حيث يلتقى المسلمون من جميع أنحاء العالم ليوثقوا روابطهم وينظموا جهودهم ويوحدوا صفوفهم للعمل لما فيه خير الأمة الإسلامية وإسعادها والنهوض بها لتتبوأ المكانة اللائقة بها بين الأمم ولتسترد مجدها القديم .. وإن المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم والسننهم وألوانهم عربا وعجماء حكاما ومحكومين رؤساء ومرءوسين.

فى أعمال الحج تنزع من النفوس الجامحة الكبر والخيلاء .. ثم إن الشروع فى أداء فريضة الحج يخرج الإنسان من كل مشاغل الحياة ومافيها من أضغان ومنافسات .. وأول عمل من أعمال الحج: هو الإحرام



رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد جمعان



أمر الفتوى عليهم حتى لا يصير الأمر فوضى يتكلم فى الدين والفتوى كل من هب ودب فلكل علم أهله الذين يفتون فيه وحدهم فللطب أهله وللهندسة أهلها وللزراعة أهلها ولكل علم وفن أهله فهل يجوز أن يتكلم شيخ أزهرى فى الطب مثلاً وماذا يقال عنه إذا فعل ذلك ولماذا صار الدين وحده هو الكلاّ المباح لكل إنسان؟! ..

يا قوم اتقوا الله ولا تقولوا فى دين الله بغير علم، ثم إن الحكم بالكفر والشرك مسألة خطيرة للغاية وإذا رمى شخص شخصاً بالكفر بآء بها أحدهما وعلى فرض أن رأى المعارض عليك يا أخ صالح صحيح فما كان ينبغى أن يقوله لك فى المسجد بهذه الصورة التى شوشت على المصلين وأحدثت ضجة لامبرر لها، ألم يعلم هذا المعارض أن الرسول ﷺ كان لا يجابه المخطئ بخطئه بل يكنى ويقول: «ما بال أقوام..» أو مال قوم فعلوا كذا وكذا ولو كان هذا المعارض على علم كما يدعى، لعلم أن الرسول ﷺ «ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإذا كان إثماً كان أبعد الناس عنه».

رسالة هذا العدد وردت من القارئ صالح محمد عطيتو يقول فى رسالته :

صليت إماماً بالناس فى فجر أحد الأيام وفى آخر القنوت قلت «اللهم ببركة القرآن الكريم وبجاه سيد الأولين وآخرين تقبل منا صلاتنا وركوعنا وسجودنا ودعاءنا» وبعد الصلاة وقف واحد من المصلين وقال هذا كفر هذا شرك ووقف المصلون جميعاً ضده ولكن انضم إليه شخص آخر يوافقه ويشجعه ولا يستطيع أن أصف لك ما حدث من فوضى وضوضاء وضجيج فى المسجد لكن أحد العقلاء تدخل قائلاً احتكموا إلى علماء الأزهر الشريف.

فهل يجوز أن نتوسل بسيدنا رسول الله أم لا؟ أفيدونا أفادكم الله.

● وقبل أن أجيب على هذا السؤال أود أن أنبه إلى نقطتين:

الأولى: أن للمساجد حرمة يجب مراعاتها خاصة على المصلين عمار المساجد.

والثانية: أن للإفتاء رجالاً يجب أن يقتصر



غبار عليه لأنه توسل بعمل الداعي : من الايمان والحب والطاعة وان كان المراد بسبب ذاته أو بسبب منزلته من الله فهذا الذى وقع فيه الخلاف فمنعه ابن تيمية وآخرون قائلين : إن مجرد الجاه لا يعطى الشفاعة واستدل الفريق الأول المجيد وهم جمهور العلماء بأدلة منها :

عن عثمان بن حنيف أن ضريباً طلب من النبى أن يدعو الله له بالعافية فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بقوله : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة : يا رسول الله إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضى لى اللهم فشفعه فى . وفى رواية « فإن كان لك حاجة فمثل ذلك » قال عثمان - راوى الحديث - فوالله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضرر) ، وقد روى أن النبى ﷺ علم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول : « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وبإبراهيم خليلك » وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد - وهى أم على رضى الله عنهما - وكانت ربت النبى ﷺ دخل عليها الرسول ﷺ فجلس عند رأسها وقال : رحمك الله يا أمى بعد أمى وذكر ثناء عليها وتكفينها فى برده وأمره بحفر قبرها فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ فاضطجع فيه ثم قال « الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين قبلى فإنك أرحم الراحمين »، وروى

وبعد هذه المقدمة التى كان لابد منها أجيب الآن عن الرسالة فأقول :

إن ما قاله الأخ السائل كما جاء فى رسالته (اللهم ببركة القرآن الكريم وبجاه سيد الأولين وآخرين تقبل منا صلاتنا وركوعنا وسجودنا ودعاءنا) .

وهذا بلا ريب توسل الى الله تعالى بالقرآن الكريم وبالنبى ﷺ أن يتقبل الله تعالى من الداعي صلاته ودعاءه ، أما القرآن فهو كلام الله القديم قدم قائله ولذا قرر العلماء أن الحلف به كالحلف بالله سبحانه واعتقد أن المعترض لا يعارض فى هذا ، وأما التوسل بالنبى صلوات الله عليه فهذا فيما أظن هو موضع الخلاف بين السائل والمعترض ، فهو ومن أخذ عنهم لا يجيزون الخلاف ، يقول فضيلة الشيخ عطية صقر فى كتابه « أحسن الكلام »^(١) : إذا كان المراد بالتوسل أن يدعو الرسول ﷺ للسائل فلا أحد يمارى فى جوازه خاصة فى حياته فقد طلب الصحابة منه - ﷺ - الدعاء فدعا لهم وأجيب دعاؤه ، روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة وقال يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فدعا النبى فنزل المطر مدة أسبوع فقال الأعرابى : تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فدعا فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانزاح السحاب .

وان كان المراد غير ذلك بأن أريد القسم أو السببية بمعنى أسألك بالله بسبب نبيك أن تفعل كذا فإن أريد بسبب الايمان به وحبه وطاعته فلا

(١) المجلد الأول ص ٢٧١ ، وما بعدها بتصرف.





عبدالمطلب فذكر الحديث وفيه (فخطب الناس عمر فقال : إن رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله ففعلوا فما برحوا حتى سقاهم الله)^(٢) هذا والله أعلم .

● والرسالة الثانية في هذا العدد من القارئة ثريا ع . م . ع من بنى قريش بلبيس - شرقية تقول فيها :

ورثت أنا واخوتي عشرين قيراطاً أرضاً زراعية من أمنا ضمها أبى إلى خمسة أفدنة يمتلكها نصفها حديقة مثمرة ومنها فدان يصلح للمباني يباع القيراط فيه بثمان فدان ويريد أبى سامحه الله أن يحرمنى أنا وأختى الكبرى المعوقة من تركته الكبيرة ويخص بها أخوتى الذكور السبعة وقسم التركة فعلاً على الذكور وسجل لهم فى الشهر العقارى وطلب منى أنا وأختى ان نوقع له على إقرار بأنه ليس لنا بعد وفاته إلا ما نأخذه من تركه أمنا وقد اشترى حوالى قيراط فى مينا القمح وبنى عليه منزلاً خص به اثنين من الاخوة فهل شرع الله يوافق على هذا، وما رأيكم فيما فعله والدنا سامحه الله علماً بأن خمسة من اخوتى يشغلون مراكز مرموقة وعلى سبيل المثال أحدهم حاصل على دكتوراه من أمريكا وآخر ضابط برئاسة الجمهورية ويملك عمارة اشتراها بربع مليون جنيه وأنا لست حاقدة أو حاسدة بل أتمنى لهم كل خير لكن زوج أختى المعوقة هدها بالطلاق إن لم تحصل على نصيبها لأنه كما يقول رضى بالزواج منها إشفافاً عليها ورغبة فى تركتها من

البيهقى فى دلائل النبوة باسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال : يارب إنك لما خلقتنى رفعت رأسى فوجدت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وإذا سألتنى بحقه غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » .

وأختتم هذا الرد بما جاء فى البخارى فى باب الاستسقاء قال : « ... عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قُحِطُوا - أى إذا أصابهم القحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون »^(٢) .

وقال ابن حجر العسقلانى فى شرحه ان العباس لما استسقى به عمر قال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا بالغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض وعاش الناس) وأخرج الزبير بن بكار فى الأنساب من طريق داود بن عطاء عن زيد ابن اسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : استسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عام الرمادة بالعباس بن

(٢) المرجع السابق.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٦.





أبيها، وزوجى أنا منع أبى واخوتى من دخول بيتنا ولما أطعت زوجى فى ذلك أرسل لى أبى يقول انه غضبان علىّ فماذا نفعل؟ أفيدونا أفادكم الله .

● لست أدرى كيف يفعل والد لأبناء متعلمين يشغلون مناصب مرموقة هذا الفعل ببنتين ضعيفتين فإذا وقع ذلك وهو حرام من غيره من الناس فلا ينبغي أن يحدث منه ولو كان أبناؤه الذكور محتاجين أو مرضى أو معوقين لقلنا ان بعض الفقهاء أجاز ذلك فى حالة صغر الابن أو زفافه أو تعليمه لكنه ترك المعوقه وحرّمها وأعطى الميراث كله قبل أن يموت للرجال الأصحاء الأشداء فأى جور وظلم وقلب للموازنين مثل هذا؟! إن هذا ردة للجاهلية التى تحرم النساء والصغار ويقولون لا نورث إلا من يحمل السيف ويركب الخيل ويدافع عن العشيرة، ألم يسمع هذا الوالد الظالم بقول الرسول ﷺ «... فاتقوا الله واعدلوا فى أولادكم» البخارى ومسلم وقوله صلوات الله عليه «من كانت له أنثى فلم يعدّها ولم يهنّها ولم يؤثّر ولده عليها أدخله الله الجنة» رواه أبوداود .

ان ما فعله هذا الأب اضرار ببعض الأولاد حرّمه الشرع الشريف وحذر منه رسول الله ﷺ فقد روى النسائى وغيره عن النبى ﷺ أنه قال «الاضرار فى الوصية من الكبائر» وجاء فى الترمذى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار» ومعنى هذا ان أباك ايتها السائلة لن ينفعه

عمل صالح فى حياته الطويلة من صلاة وصيام وزكاة يوم القيامة ان كان صلى وصام وزكى إن لم يرجع عن هذا الذنب الكبير الذى ارتكبه ويعط كل ذى حق حقه كما شرع الله تعالى، والعجيب أن أباك لما أطعت زوجك فى مقاطعتهم اعتبرك عاقّة وأرسل يخبرك أنه غاضب عليك ولم يدر أنه علق وأختك قبل أن تعقاه .

ثم إن ما فعله هذا الوالد العاق مخالف كل المخالفة لشرع الله تعالى الذى تولى تقسيم الموارث بنفسه ولم يترك ذلك لأحد حتى رسول الله ﷺ وقال فى ختام احدى آيات الموارث :

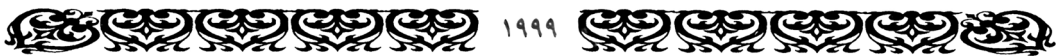
﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ

نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤)

وما يدرى قد يعيش عمراً طويلاً وقد يموت أبناؤه الذكور قبله وما يدرى قد تبدد هذه الثروة التى خص بها الذكور بسبب المرض أو الكوارث ويصبحون فقراء لأن المقادير بيد الله .

وأختتم هذا الرد بتذكير الأب بقول رسول الله ﷺ «سوا بين أولادكم فى العطية ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء» مجمع الزوائد حذّ هدى الله هذا الأب الجائر ورد اليه عقله ودينه حتى يفكر فى مال ابنته المعوقة حين يطلقها زوجها من غير ذنب جنته بل جناه عليها أبوها ورحم الله أبا العلاء حين قال : هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد .

هذا وبالله التوفيق وهو تعالى أعلى وأعظم



إنهم لا يستحقون

للاستاذ / أحمد السيد فقي الدين

دعوى خبيثة صدرت من فئة لا دين لها ولا خلاق .. فئة ضالة لا تستحق بحال أن تنسب إلى أبناء هذا الوطن المقاتل دائما دفاعا عن العقيدة .. عن الدين الخالد .

دعوى لا هدف لها إلا بث الوهن ، وإضعاف النفوس المؤمنة .. الدعوى الخبيثة تقول : إن الحكومة المصرية قررت حذف أى الذكر الحكيم المتناولة لسيرة بنى إسرائيل من المقررات الدراسية فى مدارس وزارة التربية والتعليم ، والمعاهد الأزهرية ، تنفيذا لتوجيهات صادرة من دولة أجنبية !!

فى حين أن نظرة فاحصة متأملة لكتب التربية الدينية فى ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم ، وهى الفترة التى شهدت الصراع العسكرى الصريح بين مصر وإسرائيل ، لم تتضمن كتب التربية الدينية فى هذه الفترة سوى قصار السور من جزأى عم وتبارك ، وهما جزءان لا يتناولان سيرة بنى إسرائيل ، مع أن المنظور السياسى كان يتطلب العكس من أجل شحن النفوس وجعلها فى حالة استنفار دائم لأن المجتمع كله كان يترقب أنباء الحرب فى حين أنه وبعد توقيع اتفاق السلام المصرى الإسرائيلى بدأ تليفزيون جمهورية مصر العربية يذيع وبانتظام أحاديث فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - التى تعارف الناس على تسميتها بـ «تفسير الشعراوى» ذلك التفسير الذى أثار ثائرة الحكومة الإسرائيلية وطالبت الحكومة المصرية بإيقاف إذاعته وذلك عندما تناول الشعراوى سيرة بنى إسرائيل فى تفسيره .

فهل استجابت الحكومة المصرية ؟ هل توقف تليفزيون جمهورية مصر العربية عن إذاعة تفسير الشعراوى ؟



على العكس تماما استمر تليفزيون جمهورية مصر العربية فى إذاعة التفسير، بل وتولت إحدى الصحف القومية الكبرى طباعته وإصداره فى أجزاء بسعر زهيد فى متناول كل فرد، ولازال يصدر حتى يومنا هذا، بل وتعددت طبعات هذا التفسير، وتسابقت دور النشر فى طباعته، بل ويصدر الآن على أشرطة فيديو، وعلى أقراص الكمبيوتر بصوت فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

فهل يرى المتخرون أن تليفزيون جمهورية مصر العربية غير خاضع لسياسة الحكومة المصرية؟!

هل يرى المتخرون أن المؤسسة الصحفية القومية التى تتولى إصدار تفسير الشعراوى، والتى يصدر قرار تعيين رئيس مجلس إدارتها من رئيس الجمهورية شخصيا.. هل هذه المؤسسة غير ملتزمة بالخطوط العامة لسياسة الحكومة المصرية.

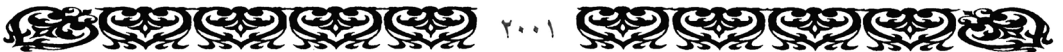
بل ولم تسلم المعاهد الأزهرية من ذات الفرية، فرية حذف آى الذكر الحكيم من المناهج الدراسية، مع أن طلبة المعاهد الأزهرية يحفظون القرآن من المصحف وليس مجرد عدد من السور المطبوعة فى كتاب، إنما من المصحف الذى يتم اختبارهم فيه حفظا وتلاوة وتجويدا، ويصلون إلى مرحلة يتم فيها الاختبار فى المصحف كله ولا يسمح لهم بالانتقال إلى مرحلة دراسية أعلى بغير ذلك.

ليس هذا فقط، إنما ينظم الأزهر، وتنظم وزارة الأوقاف كذلك مسابقات كبرى على مستوى محافظات الجمهورية فى حفظ كتاب الله، فهل يستطيع أن يدعى أى مدع أن هذه المسابقات التى تنظمها هيئات تتبع الحكومة المصرية تتجنب الآيات المتناولة لسيرة بنى إسرائيل؟!

الإجابة: نعم يستطيعون! لماذا؟ لأنهم لا يستحون. ولكن المسلم الحق لا ينساق خلف هذا الكذب والبهتان لأنه يحفظ قول المولى عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا
أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١).

(١) الحجرات (٦).



شهر الصبى فى أمستردام

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

٢

قلت لصاحبى : انتهى لقائى معك بوعد منى أن أحدثك عن هولندا ، وهأنذا مستعينا بالله أشرع فى الوفاء بما وعدت قدر استطاعتى فهولندا يا سيدى تقع فى شمال أوروبا وهى مجموعة جزر متقاربة تتفاوت فى المساحة تقع فى بحر الشمال وهى منخفضة عن بلاد أوروبا ولو أنك واقف على حدودها مع بلجيكا ترى بلجيكا مرتفعة يخيل إليك كأنك تقف أمام سور قلعة صلاح الدين .

وأرض هولندا خصبة كثيرة الخيرات ولعلك تعرف أنها تشتهر بنوع من الأبقار تسمى الفريزيان ذات اللبن الوفير ولذلك تشتهر بمنتجات الألبان خصوصا ما ينسب إليها ونعرفه فى مصر بالسمن الهولندى ورغم قلة مساحة هولندا إلا أنها استطاعت أن توسع مساحة الأرض الزراعية بردم أجزاء من البحر على عكس الحال عندنا حيث إن شواطئنا تتآكل باستمرار مما يهدد الدلتا ومع هذا لم نفكر جديا فى حمايتها بأساليب ناجحة ونظرا لطبيعة البلاد حيث أنها جزر كانت وسيلة المواصلات هى القوارب «والمعديات» ثم أصبحت الأنفاق تحت المياه والجسور الواصلة بين الجزر بعضها ببعض . وتعد هولندا من أمهر بلاد العالم فى الأنفاق تحت الماء والجسور وذلك نظرا لطبيعة البلاد .

وعاصمة هولندا أمستردام وتعداد السكان حوالى أربعة عشر مليون نسمة تقريبا يعنى أقل من سكان مدينة القاهرة منهم حوالى من ثلاثة إلى



أربعة ملايين من أصول غير هولندية يتوزعون بين أجناس عربية وأخرى غير عربية إسلامية وغير إسلامية ومن أكبر الجاليات العربية المسلمة الهولندية من أصل مغربي أكثر من ربع مليون ثم الأتراك حوالى «١٥٠٠٠٠» ألف ثم الجزائر وتونس ثم المصريين.

والذى يجب أن تعرفه عن هولندا رغم قلة السكان وصغر المساحة إلا أن جرثومة الاستعمار متأصلة فيها، ففي عام ١٦٠٢م تأسس ما يسمى بشركة الهند الشرقية وكانت هولندا من الدول البحرية ذات الشأن ولم تكن نالت وطرها من غنائم ما يسمونه بالعالم الثالث المسكين ومن خلال هذه الشركة وعلى بعد آلاف الأميال وقعت الضحية «أندونيسيا» ذات الثمانين مليوناً فى قبضة شركة الهند الشرقية ولم تستطع أن تفلت من قبضة الاستعمار الهولندى إلا فى عام ١٩٤٩م.

وعلى الساحل الشمالى الشرقى من أمريكا الجنوبية تقع جمهورية صغيرة اسمها «سورينام» وهى شمال البرازيل كذلك وقعت فى قبضة الاستعمار الهولندى ولم تحصل على استقلالها إلا فى عام ١٩٤٥م، وتوجد أقليات كثيرة من الأندونيسيين والسورناميين إلى جانب بعض جماعات من بلدان مختلفة من أفريقيا السوداء.

ثم اختلست نظرة إلى صاحبي فوجدت الضجر باديا على ملامحه وقبل أن أغير الحديث قال: ما أردت أن تأخذنى إلى التاريخ والجغرافيا! لكن حدثنى عن البشر قلت على الفور رافضاً القفز النزق على تضاريس الأرض والبشر: لماذا لا تتعلم الأناة والتريث؟

لماذا تريد أنت أن تقفز إلى الحكايات والناس؟ مع أن فى التاريخ عبرة وفى ثنايا الجغرافيا يتكون البشر.

وأذكر حديثاً لحبيبى ﷺ قاله للأشج لما قدم وفد عبد قيس إلى رسول الله ﷺ فأسرعوا إليه غير أن الأشج تأخر عنهم فربط رواحلهم ثم لبس أحسن ثيابه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فاستحسن منه أناته وتريثه وقال له: «إن فيك لخصلتين يجبهما الله ورسوله».



والحديث برمته أرويه لك كما جاء في البداية والنهاية لابن كثير الجزء الخامس (١).

تقول هند بنت الوازع أنها سمعت أباها الوازع يقول أتينا رسول الله ﷺ والأشج المنذر بن عامر - أو عامر بن المنذر - ومعهم رجل مصاب فانتهاوا إلى رسول الله ﷺ فلما رأوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم فأتوا رسول الله ﷺ فقبلوا يده، ثم نزل الأشج فعقل راحلته وأخرج عييته ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم أتى رواحلهم فعقلها فأتى رسول الله ﷺ فقال: «يا أشج أن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة» فقال: يا رسول الله أنا تخلقتهما أو جبلني الله عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله فقال الوازع: يا رسول الله إن معي خالا لي مصابا فادع الله له فقال أين هو؟ أتني به قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج ألبسته ثوبيه وأتيته فأخذ من ورائه يرفعهما - أي ثوبيه - حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره، فقال: «أخرج عدو الله» فولى وجهه [الرجل] وهو ينظر بنظر رجل صحيح» وروى الحافظ البيهقي من طريق هود بن عبد الله بن سعد أنه سمع جده مزبده العبدى، قال بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع من ها هنا ركب هم خير أهل الشرق»، فقام عمر فتوجه نحوهما فتلقي ثلاثة عشر راكبا، فقال من القوم؟ فقالوا: من بنى عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد.. التجارة؟ قالوا: لا، قال أما إن النبي ﷺ قد ذكركم أنفا فقال خيرا، ثم مشوا معه حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذى تريدون - يقصد رسول الله ﷺ فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم فممنهم من مشى ومنهم من هروا ومنهم من يسعى حتى أتوا رسول الله ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها، فتخلف الأشج فى الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها، فقال النبي ﷺ: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله»، قال: جبل جبلت أم تخلقنا منى؟ قال عليه -

الصلاة والسلام - بل جبل ، فقال : الحمد لله الذى جبلنى على ما يحب الله ورسوله » أه والناس متفاوتون فى الخصال منهم من جبل عليها مثل الإشج ومنهم من يتطبع بها ولذلك يقول أهل المجاهدة والتصوف من جبل على شيء منها كان محمودا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة حتى يصير كذلك وما أدراك ما المجاهدة إنها وسيلة من وسائل أهل التصوف المجاهدين ، يمارسونها ويعالجون بها أخلاقهم وأحوالهم للوصول إلى كل خلق سنى وقرب من الله - تعالى - ، والحلم والأناة إلى جانب أنهما من السجايا الحميدة التى تزين الرجال ، هما خصلتان يحبهما الله ورسوله ولست أدري لماذا نتعامل مع السنة على اعتبار أنها نصوص للحفظ والخطابة ولانتعاش ونعيش بها ونقوم بها سلوكنا ، فتلك آفة المسلمين اليوم يشرثون أكثر مما يعملون ويرأون أكثر مما يخلصون .

قال صاحبى : جزاك الله خيرا أنت ترشدنى إلى أحسن الأخلاق .

قلت لصاحبى : للأسف الشديد لم تسمح لنا الظروف بالتوجه إلى مدن خارج العاصمة امستردام كما كنا نود بل كما تخيلنا وجمع بنا الخيال فانطلقنا نجوب أوروبا كلها متمتعين بوحدة أوروبا حيث إنه بعد الوحدة تكفيك تأشيرة لبلدة واحدة لدخول ولايات أوروبا - إن صح التعبير - وساعتها تتذكر - إن كنت نسيت - واقعك العربى الممزق ، مزقته أطماع الزعامات الهزيلة وجهالة شعوب كسيحة ، إنها أمة فقدت حتى الإحساس بالكارثة ، وجلست تلهوا فى بلاهة وخمول بليد ، تنتظر قدرها المدمر ، ذكرتني بيتين لابن الرومى يصور فيهما أحداً قبيحاً كان يتشاءم منه ، منظره يوحى كإنه صُفَع ، على قفاه ... ! لم يقاوم ، وتبلد ، وتكور على نفسه ، كأنه ينتظر صفقة أخرى ، هذه الصورة الكاريكاتورية الساخرة المؤلمة ، قفزت إلى ذهنى عن حال أمتنا العربية الآن . يقول ابن الرومى :

قصرت أخادعه وغار قذاله فكأنه متوجس أن يُصَفَع
وكأنما صُفَعَت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمع^(٢)

(٢) ديوان ابن الرومى ، وانظر أيضاً ابن الرومى حياته من شعره للعقاد .

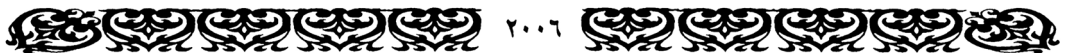


معذرة لهذه الصورة المضحكة، فكما قال سيدنا عمر بن الخطاب :
« شر البلية ما يضحك » .

على أى حال لم تتح لنا الظروف إلا للذهاب إلى قرية أو قل ضاحية لا تبعد أكثر من ثمانية عشر (١٨) كيلو متراً تقريباً وأبادر فأحذرك من ظلم المقارنة ، وأنها سوف لا تكون فى صالحك ولا فى صالحى عندما تسمع كلمة قرية فيجمع بك الخيال إلى قرانا وتعمد إلى المقارنة فيجانبك الصواب وتقع فى ظلم بين ، إذ أنها لا تحمل من القرية إلا الاسم فإنها حديقة أو نموذج « مكيت » لمدينة كاملة أو منتجع فيها كل مقومات المدينة البنك مكتب البريد موقف السيارات محلات على مستوى عال من النظافة ثم الهدوء الساحر الذى يداعب حواسك والنظافة التى أحس معها كأن القرية ترحب بك فحال القرية يجعلك تحس وتلمس بقوة نعمة الهدوء والهمس ، وتدرك وتذوق معنى أن تسكن إلى وسادة وتغمض عينيك وتفتح عقلك لتتأمل ما حولك فى هدوء وعمق .

تقع القرية على أحد الشواطئ ترى السفن وقوارب وشباك الصيد وصناديق حمل الاسماك . لكن أبدا لن تجد ذبابة ولا بقايا السمك وبالتالي لا تشم الرائحة غير الخبية هل تصدق هذا ؟ أعتقد أنك لن تصدق - نظرا لما تعايشه - حتى تشاهد بنفسك وهذا من حقا .

قلت لصاحبي وأنا أوصل الحديث أحس أنك مشتاق لأن تستمع إلى الاسئلة التى قلت لك انها لتزجية الفراغ ووعدتك بالحديث عنها لكنى أبادر فأحذرك وأحذر نفسى بأن نأخذ الأمر مأخذ التسلية فنقع فى نفس الشرك الذى وقعوا فيه حيث إننا لا بد أن نأخذ الامر مأخذ الجد وأن نتدبر الأمر بصدق مع النفس ومواجهة لأنفسنا بما يجب علينا أن نعمله حيث إننا كثيراً ما نعمل فى إلقاء مواظنا من السرد التاريخي الذى يفتقد إلى إرادة التغيير واستسلمنا (علماء وجمهوراً) إلى هذا المخدر اللذيذ نتعاطاه معا وأصبح هذا كل همنا من الدين لكنى سوف أكتفى بنموذج شاذ وغريب تعاطى الدين





مظهريا وأشتاق إلى الزعامة فلم يجد مكانا يقفز إليه أو فيه إلا التزيى مظهريا باسم الدين مع أن الدين عندنا نحن المسلمين ينبع من داخلك ولما سألت السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن : ما العمل الأخلاقي؟ فأجابت قائلة : إذا عملت عملا وخشيت أن يطلع الناس عليه فتأكد أنه مناف للأخلاق» .

وحكى لى رفيق فى الرحلة أن شابا قوى البنية مفتول العضلات ألقى عليه سؤالا ما حكم الهجرة إلى بلاد الكفر والإقامة فيها؟ فأجابه الشيخ بما يعتقد أنه صواب - وأظن أنه كذلك إلا أن السائل أصر على أن الإقامة ببلاد الكفر حرام فلما قال له الشيخ فى أدب : هذا رأيك فاعمل به مادامت مقتنعا لكن الشاب لم يعجبه كلام الشيخ وعمد إلى أساليب غوغائية لا تفيد الحوار وليست من الدين وكل هذا رغم أنه مؤلم وقبيح خصوصا ممن ينتسب إلى الدين لكنه فى سبيل الدعوة محتمل وبهون لكن المدمر الذى لا يقبل ولا يطاق أو ثالثة الأثافي كما يقول المثل العربى أنه لما مل الشيخ من حوارهِ مع هذا الإنسان قال له : ما دام هذا رأيك فلماذا أنت هنا أخرج من بلاد الكفر مادامت الإقامة حراما ! وكانت الكارثة أن هذا الذى يزعم بأنه داعية وينادى بالحلل والحرام والتشدد يقيم فى بلاد الكفر كما زعم ويأخذ إعانة بطالة أى أنه عاطل ويعيش على إعانة من الكافرين كما يسميهم .

قلت لصاحبي : بالله عليك هل هذه نماذج تصلح بأن توصف بأنها سوية أم أنها ضالعة فى عالم الإجرام وأن أساس نكبتنا أن أمثال هذه النماذج تتغلغل فى المجتمعات الإسلامية فى السياسة والاقتصاد والحياة كلها وتتولى مواقع القيادة وصدق رسول الله ﷺ قال : «إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة» .

الرسالة.. والأخبار

للدكتور / على أحمد على

روى الإمام البخارى - رضى الله عنه - فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «لو آمن بى عشرة من اليهود لآمن بى اليهود» (١).
ويبدون العشرة فى الحديث الشريف مقصود بها عشرة من أعلامهم الأخبار الرؤساء، وقد ورد ذلك صريحا فى رواية الإمام أحمد - رضى الله عنه - بسنده، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو آمن بى عشرة من أخبار اليهود لآمن بى كل يهودى على وجه الأرض» ٤٤٦/٢ وبعد:
فلقد أرجو أن يكون حديثى بالعدد الماضى (٢). وقد بسطت فيه القول عن وثنية بنى إسرائيل - أن يكون مقدمة موفقة - إن شاء الله تعالى - بين يدى هذا المقال.

وفى التنزيل العزيز:
﴿فَأَمَّا الْيَهُودُ فَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَكَانَ قُلُوبُهُمْ مُصَاسِنَةً﴾

﴿فَأَمَّا الْيَهُودُ فَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَكَانَ قُلُوبُهُمْ مُصَاسِنَةً﴾

الصف - ١٤

والطائفة الكافرة - كما سبق أن أوضحت هى
الطائفة الكبرى، ولنا دليل على ذلك قوله تعالى -

بسورة الأعراف:

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

الأعراف ١٥٩، ١٦٠

﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾

البقرة - ٩٣

وهم أولئك الذين:

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

النساء - ٥١

(١) صحيح البخارى - مناقب الأنصار - باب: إتيان اليهود النبى ﷺ حين قدم المدينة - ط البهية. ١٢٩٠ هجرية.

(٢) مجلة الأزهر - عدد ذى القعدة ١٤٢٣ ص ١٨١٤.



الجبت: السحر، والطاغوت: الأوثان وبيت الأصنام.



وهذا الحديث الشريف يقتضينا بيانا يوضح علاقة اليهود بالجزيرة العربية، وأحوالهم - أو بعضها - بها، وعلاقتهم بمن جاوروه من أهلها، وما كان لهم من أهداف فى السعى إليها.

لم تكن الجزيرة العربية موطناً أصلياً لهؤلاء اليهود، بل طرأوا عليها مثلما طرأ عليها - تماماً - شذاذ القراصنة الهنود، وأقاموا جيوباً لهم شرق الجزيرة^(٣) وكما أفسح العرب - كرماً منهم - لهؤلاء القراصنة أفسحوا كذلك لليهود.

فمتى قدم هؤلاء اليهود إلى الجزيرة؟ وهل كان هناك دافع أو أكثر يحثهم على النزوح إلى الجزيرة إلى جانب هذا القدوم؟ فأما عن الدافع أو الدوافع:

فإن ذلك لأمر قد وافق أمانى علمائهم إلى جانب، اضطرارهم العنيف إلى الهجرة من وجه مضطهديهم من البابليين والآشوريين على ما سوف نبسطه بقدر ما يسمح به (مقال).

وأما متى قدموا إليها؟

فإنه مما لا شك فيه أن قدومهم إليها - أشتاتاً أو جماعات - يمكن رد بدايته إلى ما نزل بكتلتا

مملكتيهم: «إسرائيل» و«يهودا» من تدمير وأسر وتشريد:

وقع ذلك بمملكة الشمال «إسرائيل» عام (٧٢٢ ق م) على يدى سرجون الآشورى ووقع مثله بمملكة الجنوب «يهودا» عام (٥٨٦ ق م) على يدى نبوخذ نصر البابلى^(٤).

فانطلقوا يطلبون المأوى الآمن إلى جانب العمل المثمر... دأبهم المالى المنشود.

لم يكن أمامهم خير من الجزيرة العربية، بل ما كانوا يجدون سواها؛ إذ هى فى الجنوب من مقامهم حينئذ، وهو الاتجاه الوحيد الذى خلا تماماً من سطوة أعدائهم الذين ساموهم الخسف وسوء العذاب إلى الدرجة التى عبد فيها ملوك منهم ملوكاً من بابل وآشور.^(٥)

ومنذ ذلك الحين ظلوا يردون إلى الجزيرة - كما قلت: أشتاتاً أو جماعات - إلى ما بعد عهد المسيح بن مريم - على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام. فكلما نزلت ببقاياهم فى الشمال نازلة هرعوا إلى الجزيرة، فرحلوا إليها - أيضاً - عقب «تخريب (تيطس) سنة (٧٠ م) لمدينة أورشليم، ثم ما فعله بهم (هادريان) سنة (١٣٥ م) وقد دمرها عليهم»^(٦).



(٣) انظر د/ على أحمد الخطيب - الشرك فى الجاهلية عقيدة وأدبا ص ٧١ - ٧٤ ط الأولى ١٤٢١ هـ دار اللواء للطباعة.

(٤) انظر د/ محمد بيومى مهران - دراسات فى الشرق الأدنى القديم - إسرائيل ص ٤٣، ٤٨٤ مطبعة الأمان بلا تاريخ. والعهد القديم - أرميا ٢/٢١.

(٥) انظر مجلة الأزهر - العدد الماضى ذا القعدة ١٤٢٣ ص ١٨١٩.

(٦) انظر د/ أحمد محمد النجار - شعراء اليهود فى الجاهلية وصدر الإسلام ص ٣٠ دار النهضة العربية ١٩٧٨.





على بقايا يسيرة من عرب (عَبِيل) وقبل أن يحل بها الأوس والخزرج بنو (ثعلبة بن عمرو ومُزَيْقياء الأزدي اليماني) الذين يسميهم المؤرخون من آن لآخر (بنى قَيْلَة) باسم أمهم حتى لا يقع لبس في (ثعلبة) أيهم الذي كثرت التسمية باسمه في اليمن.

ارتحل بنو قبيلة إلى اليمن عقب انهيار (سد مأرب) حوالي عام (١١٥ ق. م.)^(٧) واختار غيرهم من اليمانيين مواقع أخرى، وارتحل بنو عموماتهم من الغساسنة إلى أقصى الشمال.

وضاق اليهود - وهم الغرباء - بهؤلاء العرب الخُلص من أصول الجزيرة، وساء لهم أن شاركوهم أرض المدينة، وهم الذين يريدونها خالصة لهم، وَزَيْنَ لَهُمْ سَبْقُهُمْ إِلَى أرضها قبل هؤلاء النازحين - بأكثر من قرنين - أنهم أصحابها وأولئها، ولما كانوا - على إحساس تام بأنهم غرباء - جاؤوا هؤلاء اليمانيين على ضيق مكبوت وحنق أليم تسترهما سياسة رياء إلى حين.. «رغم أن الأوس والخزرج اتخذوا منازلهم في (عالية) المدينة (و) (سافلتها) حسب الفروع منهم والأفخاذ...»^(٨) ولم ينازعوا اليهود ما وضعوا أيديهم عليه من أرض المدينة.

لم يدر بخلد هؤلاء العرب أن يبادثوا اليهود بعداء، ولم يخطر لهم ما تكنه صدور القوم لهم من

ولقد كان - إلى جانب الفرار دوافع، في مقدمتها إيمان أحبارهم وصفوة علمائهم بوجوب النزوح إليها ولو لم يصيبهم ما أصابهم، فهم على يقين ببشارة التوراة بالنبي الخاتم ﷺ الذي سوف يظهر بها، ويهاجر إلى أرض منها (ذات نخل وماء وتقع بين حرتين) وكانت هذه الصفات تنطبق أو تكاد على أربعة أماكن، هي: تيماء وخيبر وَقَدْكَ والمدينة (يثرب) فمروا بهذه الأماكن وشغلوها - فعلا - بأعداد وفيرة، طبقا لإيمانهم العجيب، بل - بدقة - لأمانتهم التي نزلت من صدورهم منزلة الإيمان - بأن هذا الرسول لابد أن يكون إسرائيليا، فإن النبوة المبعوثة فيهم إسرائيلية محضة من عهد (إسرائيل) يعقوب حتى زكريا فالمسيح عليهم السلام.

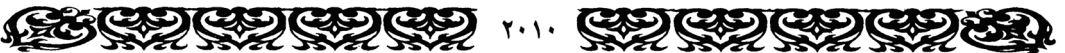
ومادام الأمر كذلك، وهذه البقعة مكانه.. فكيف يكون إسرائيليا، وليس بها أحد من بنى إسرائيل...؟! فيجب - إذا - أن يعمروها، وزكا اجتهداهم أكثر فأكثر فاستنبطوا أن مهجره - عليه الصلاة والسلام - هو المدينة (يثرب) آنخذ. فأوى إليها منهم: بنو قينقاع وقريظة والنضير، ومن لا ذ بهم منهم.

إنهم ينتظرون هذا النبي بصبر مكين فهم يدينون له بأنه القائد الجامع لشتاتهم الذي سيملكهم من سيادة العالم.

وهبطت تلك القبائل اليهودية (المدينة) يثرب

(٧) راجع محمد مبروك نافع - أستاذ التاريخ الإسلامي. كلية دار العلوم جامعة فؤاد الأول - تاريخ العرب - عصر ما قبل الإسلام ص ٧٥ النهضة المصرية.

(٨) يغلب على ظني أن عالية المدينة هي شرقها، وسافلتها غربها. والله أعلم.





﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ هـ
القرآن الكريم ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من
التوراة ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ مجيئه ﷺ :
﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أى يستنصرون به :

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم العرب المشركون فى
هذا الزمن :
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق ببعثته
- عليه الصلاة والسلام :

﴿كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١٠)
ويبدو أن تكرار اليهود لهذا الاستفتاح بالنبي
الإسرائيلي باعث اليقظة والقوة فيهم ترك شيئا من
القلق فى نفوس بنى قيلة من الأوس والخزرج معا، إذ
يرون هذا الاستفتاح لا يزال يقوى عند اليهود، فلو كان
مجرد أمانى لأصابها الفتور بطول هذا الزمن، لكن
إيمانهم بهذا النبي الكريم المنتظر لا يزال يزداد - فى
نفوسهم - شدة ورسوخا . . والعرب - إلى جانب ذلك -
يقدرّون فى اليهود أنهم (أهل كتاب)، وبأيديهم إثارة
من علم ليس للعرب . . إذا فهم جادون . . !!!

بغضاء، فبذلوا لليهود من الود أصفاه، ومن جمال
الجوار أكمله إلى الدرجة التى لم يشاحنهم فيها
أسواقهم ولا تجارتهم، ورضوا بالعيش على قلة مما
بأيديهم، وبما استطاعوا مزاولته من عمل لا يقوم
منافسا لتجارة هؤلاء اليهود (٩).

وما كان ذلك ليردع من حق بنى إسرائيل، أو
يستل من سحيمتهم، أو يدفعهم إلى مقارنة
أحاسيسهم نحو هؤلاء العرب بما ينالون منهم من
ود وحسن جوار، فيفضلون بذلك حسن السلام
والوئام على حق الصدور ومكنون العدوان .

لكن هيهات . .

لقد غرهم ما هم عليه من قوة، وما ملكوا من
ثروة، وشادوا من ملك فأسفروا عن عداوتهم
لجيرانهم لدى أدنى مناوشة قائلين : سبعت منا
نبيّ نقاتلكم به قتل عاد وإرم .

أى سوف نفنيكم . . !

وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا الموقف إذ
انقلبوا يحاربون رسول الله ﷺ فقد جاء عربيا
صميما لا رابطة بينه وبين بنى إسرائيل . وهذا
مالم يقبلوه . . قال تعالى :

(٩) تقسيم العرب الجماعة من الناس من أعلاها عددا إلى أصغرها : فأكبرها الشعب، يليه القبيلة، فالفصيلة، فالعمارة، فالبطن ثم الفخذ.
انظر اللسان مادة: ف خ ذ.

(١٠) البقرة - ٨٩. وانظر تفسيرها لدى ابن كثير غيره.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه، فلما
بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل ويشر بن البراء بن معمر وداود بن سلمة : يا معشر يهود
اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال
سلام بن مشكم أخو بنى النضير: ما جاعنا بشيء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكر لكم، فأنزل الله - تعالى - فى ذلك الآية.
السيرة النبوية لابن كثير ١/٢٤ ط عيسى البابى الحلبي سنة ١٣٨٤.



قلت: وما كان حسن الجوار من الأوس والخزرج إبان حياتهم الأولى، إلى جوار بنى إسرائيل، ليستل سحيمة هؤلاء اليهود، فما لبثوا أن أسفروا عن عداوتهم، وبسط زعماء اليهود ألسنتهم فى مكارم العرب، ثم استطلوا فى إهانتهم إلى أن نالوا من أعراضهم فكانت تلك «الحالقة» ولم يجد بنو قبيلة بدا من حربهم مستعنيين - عليهم - بنى عمومتهم من الغساسنة، فأنزلوا باليهود ضربات موجعة ألزمتهم - فى النهاية بتوقيع (معاهدة حلف وحسن جوار) عاش بعدها اليهود يجتروا حسرتهم، لكنهم لم ييأسوا؛ فانقلبوا يخططون لضرب الوحدة بين بنى قبيلة.

صحيح أن المعاهدة أطلقت للأوس والخزرج حرية اقتصادية واسعة بما أتاحته لهم من سعة الحركة فى النشاط التجارى والزراعى كانوا محتجبين عنه.. غير أن بنى إسرائيل - من جانبهم - لم يرضوا عن هذا الوضع، وإذا كانوا لن يستطيعوا أن يمتشقوا السلاح مرة أخرى، فلا أقل من نصر آخر بسوء يلقونه بين جيرانهم. فما كان منهم إلا أن تظاهروا بالعداء بعضهم لبعض، وانقسموا إلى فريقين:

فريق أوى إلى الخزرج يطلب حمايته ومناصرته ضد بنى جلدته من اليهود، وآخر أوى إلى الأوس لنفس الهدف.. وما هى إلا أعوام حتى اشتعلت الحرب.. لا بين اليهود، ولكن بين بنى أم واحدة، وفسد الود بين الأوس والخزرج، وتناصل الرحم،

وهذا الحادث التالى يفسر لنا شيئا من هذا القلق العربى، كما يفسر - بجانبه - انشراحا وغبطة بالنبي العربى محمد ﷺ أزاح من نفوس هؤلاء العرب ما كان بها من ضيق.

وقع هذا الحادث قبل هجرته ﷺ بنحو ثلاث سنين حين كان يلتقى بالقبائل القادمة إلى مكة فى موسم الحج يعرض عليها الإسلام، فالتقى عند العقبة بهذه الصفوة من الخزرج قال ابن كثير: «فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا..

قال لهم: من أنتم..؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى.

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

... فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض:

يا قوم تعلمون - والله - إنه النبی الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا»^(١١) وتبع ذلك انتشار الإسلام بالمدينة.

وكان جرحا لم يندمل فى صدور بنى إسرائيل.



(١١) نفس المصدر ١٧٦/٢.

يكون النبي ﷺ عربياً، وأعلمهم بصفاته ﷺ
وصدق رسالته^(١٤)، لكن غلب ما فيهم من سوء
وحسد على ما كان أمامهم من خير ومجد فأبوا إلا
أن يضيعوه، وما كان يرد كيدهم إلا مجازتهم
بالسوء سوءاً، وهذا ما فعله رسوله ﷺ إبان
حياته، ثم أوصى به على فراش موته - عليه
الصلاة والسلام - فقال:

(لا يبقين دينان في جزيرة العرب)^(١٥)

فأجلاهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
منها جميعاً .



ولنقترب - بعد - من حديث رسول الله ﷺ
فى اليهود العشرة فنقول : بلغت قبائل اليهود نيفا
وعشرين قبيلة عاشت بين العرب، وحمل بعضها
أسماء عربية، وقد برز منها فى صراعهم ضد
الإسلام ثلاثة : قينقاع وقريظة والنضير، وبلغت
آطامهم (حصونهم وصياصيهم) تسعا وخمسين
أطماً^(١٦) ولاشك أن زيادة الحصون على عدد
القبائل يُنبئ عن مدى ما يعدون من قوة لإرهاب
العرب، وشاء - سبحانه وتعالى - أن يذلهم ويذل

ووقعت بينهما حرب يوم (سُمَيْر) وظلت تشتعل
حتى يوم (بعث) قرب مبعثه - ﷺ .. ولولا
الإسلام ما التأمت لهم وحدة إلى يوم الدين^(١٧) .

على أن الواقع يبين ويسجل أن اليهود لم
ينعموا بحرية وأمن مثلما نعموا بهما إذ نزحوا إلى
الجزيرة حيث ارتبعوا منها ما كان أخصب مرعى،
وأوفر تجارة، وأسرع ربحاً فى إطار من الأمن
والسكينة لم يدر لهم بخلد، لكنهم أنكروا
الجميل وعضوا اليد التى امتدت إليهم بالإحسان،
واشتدت عداوتهم واشتعلت نيرانها بعروبة
الرسول ﷺ الذى كان دينه - ولا زال - للناس
أجمعين، لا يستأثر به العرب دون غيرهم،
فتعاونوا إبان رسالته ﷺ مع كل من ناوأه وعاداه
من وثنى قريش إلى المنافقين .

لقد كان من الممكن أن يبيوءوا بربح عظيم
ومنزلة سامية لو أنهم قابلوا الإحسان بالإحسان،
فأسلموا ووضعوا أيديهم فى يدى النبي ﷺ
لاسيما وقد تأثروا بالعرب وأثروا فيهم علماً
وديناً^(١٨) ومن قبل ذلك وبعده هم على علم بأن
الله يفعل ما يريد ويختار ما شاء وقد اختار أن

(١٢) راجع د/ محمد العيد الخطراوي - شعر الحرب فى الجاهلية عند الأوس والخزرج ص ١٧، ١٨ مؤسسة علوم القرآن - دار القلم
دمشق - بيروت ط أولى ١٤٠٠هـ .

(١٣) انظر د/ على أحمد الخطيب - الصيام من البداية حتى الإسلام ١٧٣ - ٢٠٩، ٢٥١ - ٢٥٣ مجمع البحوث الإسلامية - سلسلة البحوث
الإسلامية مطابع الأزهر الشريف ١٤١٦ هـ ود/ النجار - مرجع سابق ص ٤٠، ٤٥ .

(١٤) انظر تفسير الآية الكريمة ٨٩ من البقرة . وانظر الحاشية رقم (١٠) .

(١٥) موطأ مالك - رضى الله عنه - ٢٣٣/٤ ط الاستقامة نشر المكتبة التجارية ١٣٧٩ هـ .

(١٦) راجع للإمام نور الدين السمهوى المصرى - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٦٥/١ وما بعدها نشر النمنكانى - مطبعة السعادة -

مصر ١٣٧٣ .



مناصريهم من المشركين والمنافقين - قال تعالى :

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْثُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾

الاحزاب - ٢٦، ٢٧

وها هي قبائلهم - بعد الثلاث المتقدم ذكرها :

٤- بنو أنيف، وهم حى من قبيلة بلي العربية، كانوا يسكنون قباء بالمدينة المنورة .

٥- بنو القصيص، كانوا بقباء مجاورين لبنى أنيف .

٦- بنو هذل، وكانوا يسكنون حرة بنى قريظة مجاورين لهم .

٧- بنو عمرو، وكانوا يسكنون - أيضا - مع بنى قريظة .

٨- بنو مريد ٩- بنو معاوية ١٠- بنو ماسكة

١١- بنو مُحَمَّم ١٢- بنو زعوراء ١٣- بنو زيد اللات

١٤- بنو حجر ١٥- بنو ثعلبة . وكان بنو حجر وبنو ثعلبة يسكنون (زهرة) وهى من أعظم قرى المدينة

١٦- يهود الجوانية : موضع قرب (أحد) شمالى المدينة .

١٧- بنو عكرة ١٨- بنو مراية ١٩- يهود راتج ٢٠- يهود يثرب .

٢١- بنو ناغضة : أصلهم من اليمن وسكنوا شعب بنى حرام (١٧) .

وإذ أحطنا علما بما شاء الله - تعالى - من أمر يهود وعلاقتهم بالجزيرة العربية، نسأل :

ما المقصود بـ «عشرة من اليهود» فى هذا الحديث الشريف من قول رسول الله ﷺ ؟..

أطلق عشرة من اليهود ؟ أم عشرة أحبار بأعيانهم ؟.. وعلى افتراض أى الاحتمالين فالمقصود أن يسلموا فى حياته ﷺ .

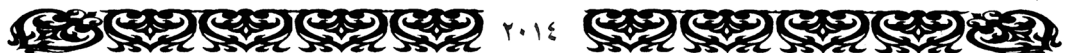
قبل أن نجيب عن السؤالين يجب أن نستبعد من هذه العشرة :

أ- من أسلم من اليهود نفقا، ورسول الله ﷺ أعلم بنفاقهم، فإن الله - تعالى - أخبر رسوله بأسماء المنافقين، ورسول الله ﷺ يريد إيماننا صحيحا لا دَخَلَ فيه - لذا نلغى فى إطار هذا الاستبعاد كلا من :

سعد بن حنيف، وزيد بن اللُصيت، ونعمان ابن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حُرَيْملة، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وسلسلة بن براهيم، وكنانة بن صوريا، فأولئك هم المنافقون الأحبار من اليهود الذين أسلموا تقية (١٨) .

(١٧) راجع د/ الخطاوى ص ٣٩ - ٤١ .

(١٨) ابن كثير - السيرة ٣٤٩/٢ .



ابن أبي وهب - كما نص عليه في «أسد الغابة»، أسلم يوم قريظة، وفي «أسد» أيضاً: أسد بن عبيد القرظي، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية.

قال ابن إسحاق: «ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد، وهم من بني هذيل، وليسوا من بني قريظة ولا النضير، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت في غدها بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ - رضي الله عنهم» (٢١).

٣- وامرأتان هما: السيدة أم المؤمنين: صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير بن النحام بن ناخوم من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، ثم من ولد هرون بن عمران أخى موسى - عليهم السلام.. كانت تعتبر سيدة قريظة والنضير.. كانت من سبى خيبر، اصطفاها رسول الله ﷺ، وحجبتها وأعتقها وتزوجها، وقسم لها، وكانت من عاقلة النساء، توفيت في خلافة معاوية - رضي الله عنهما، ودفنت بالبقيع. (٢٢)

والسيدة خَلْدَة - أو خالدة - بنت الحارث عمة عبد الله بن سلام، أسلمت وحسن إسلامها - رضي الله عنهم. (٢٣)

أولئك جميع من تأكد لأصحاب السير إسلامهم، ويبلغ مجموعهم كلهم - رجالاً ونساءً وصبياناً ثمانية،

ب- كذلك نستبعد من العشرة من أسلم من اليهود، وحسن إسلامه لكنه لم يكن حبراً أو كان امرأة، فقد:

١- روى البخاري - في صحيحه عن سليمان بن حرب: حدثنا حماد - وهو ابن زيد - عن ثابت، عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فاتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه - وهو عنده - فقال له: أطلع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار».

قال ابن حجر: إن ابن بشكوال ذكر أن صاحب «العتبية» حكى عن زياد بن شبطون (١٩) أن اسم هذا الغلام: عبد القدوس. قال: وهو غريب ما وجدته عند غيره (٢٠).

والحديث واضح في صحة إسلام هذا الصبي بقوله ﷺ: الحمد لله الذي أنقذه من النار.

٢- كذلك ليس من العشرة رهط من اليهود أسلموا وحسن إسلامهم، منهم - على ما رصده أهل السيرة:

يامين بن عُمَيْر - وهو في أسد الغابة: «يامين بن يامين» أي ابن عمير، وأبوسعد بن وهب، أو

(١٩) هو زياد بن عبد الرحمن اللخمي شبطون - بتقديم الموحدة على الطاء على الصحيح - وكان تلميذ الإمام مالك، أول من أدخل مذهب مالك إلى الجزيرة الأندلسية، وكانوا يتفقون قبله على الأوزاعي وغيره - انظر تاريخ الإسلام للذهبي - حرف الزاي ترجمة رقم ٩٥ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي وفيات سنة ثلاث وتسعين ومائة.

(٢٠) ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٧٦/٣.

(٢١) السيرة النبوية لابن كثير ٨٥/١، ١١٤، ٢٨٧ - ١٧٦/٣ وفي بعض الأسماء خلاف يسير.

(٢٢) ابن الأثير - أسد الغابة - ١٦٩/٧ كتاب الشعب.

(٢٣) نفس المرجع ٧٨/٧.

عليكم لحق.. فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي محمد، ثم غدا إلى رسول الله - ﷺ فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله - ﷺ: مخيريق خير يهود^(٢٥). وجعل رسول الله - ﷺ أمواله وقفاً لله بالمدينة، قال محمد بن كعب القرظي: وكانت أول وقف بالمدينة^(٢٦).

وهذا تحديد ابن حجر للعشرة المقدمين عنده قال: من بنى النضير: أبو ياسر بن أخطب، وأخوه حيي ابن أخطب، وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي الحقيق. ومن بنى قينقاع: عبدالله بن حنيف، وفنحاص، ورفاعة بن زيد. ومن بنى قريظة: الزبير بن باطيا، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد.

قال: فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم، وكان كل منهم رئيساً في اليهود، ولو أسلم لاتبعه جماعة منهم، ا.هـ^(٢٧).



وبعد:

فقد مس رسول الله - ﷺ حقيقة نفسية كامنة وشاملة لأهل الكتاب جميعاً، في هذا الحديث الشريف هي انقياد عامة أهل الكتاب للأخبار والرهبان، دون نظر فيما يُملُون عليهم حتى لقد ذهبوا - والعياذ بالله - إلى اعتقاد العصمة فيهم دون الأنبياء. نسأله - تعالى - التوفيق.

إذا أضيف إليهم الحبران الجليلان: مخيريق وعبدالله بن سلام - رضى الله عنهما بلغ العدد عشرة. أسلموا في حياته - ﷺ ولو كان المطلوب (مطلق عشرة) لكان فيهم الكفاية ولتحقق إيمان اليهود جميعاً؛ فأما إذا كان الواقع غير ذلك، فإن فيه دلالة على أن المراد عشرة من أحبارهم، كما جاء ذلك صريحاً في رواية ابن حنبل - رضى الله عنه.

ثم المراد: عشرة أحبار يؤمنون برسالته - ﷺ - إيان حياته - عليه الصلاة والسلام - لا على مطلق الزمن أو امتداده، وإلا «فقد آمن به من اليهود أكثر من عشرة أضعافاً مضاعفة كما نقل العلامة أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندی - في حاشيته المختصرة على متن الإمام البخارى - رضى الله عنهما^(٢٤).

وإلى ما ذهب إليه الإمام السندی جنح العلامة الإمام ابن حجر في شرحه للحديث. قال رحمه الله: في رواية الإسماعيلي [أى للحديث]: «لم يبق يهودى إلا أسلم»، وكذا أخرجه أبو سعيد في «شرف المصطفى» وزاد - في آخره: قال كعب: «هم الذين سماهم الله في سورة المائدة، فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة. اهد ابن حجر

أى عشرة أفراد بأعيانهم، من الأحبار ذكرهم - رحمه الله - بأسمائهم وأسباطهم - عدا من أسلم منهم من قبل، وهما اثنان: عبدالله بن سلام، ومخيريق وكان من بنى ثعلبة بن الفطيوون - الذى قال لقومه - يوم أحد: والله لقد علمتم أن نصر محمد

(٢٥) السيرة النبوية لابن كثير ٧٢/٣

(٢٧) ابن حجر - فتح البارى ٢١٤/٧

(٢٤) حاشية السندی على صحيح البخارى ٢٩٤/٢

(٢٦) نفس المرجع ٧٢/٣، ٧٣.

من نتائج «الهجرة إلى الحبشة»

حُسْنُ الْجَوَارِ وَصِدْقُ الْحَوَارِ

«بين المسيحية والإسلام»

للشيخ / عبد الخالق عطية نصير
الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية

منذ سنوات معدودات وجدت عدة دعوات، من المسؤولين، وعلماء الدين، بعقد كثير من المؤتمرات للحوار بين المسيحية والإسلام أو ما يسمى بحوار الأديان لكي يعيش المسلمون والمسيحيون وغيرهم في سلام وأمان وفي عالم واحد للجميع، عن طريق الحوار وحسن الجوار، والاعتراف بالآخر، واحترام الحرية الدينية، وهي دعوات طيبة للتعايش السلمي بين الجميع. إذا صدقت النية، وظهر ذلك على أرض الواقع، نظرًا لأننا نرى يوميًا دمارًا لا حواريًا، ممن في أيديهم القوة الفاشية المدمرة، من اليهود الصهاينة أو المسيحيين المتعصبين المؤلّعين بإبادة الآخرين من المسلمين بما يسمى بالتطهير العرقي، أو من المجوس الذين يحرقون الأحياء من المسلمين ويحرقون مساجدهم ويبيوتهم.

وخرج الفوج الأول من المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وعددهم أحد عشر رجلا وأربع نساء، وفيهم عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وزوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وفيهم - أيضا - ابن عم السيدة خديجة - رضى الله عنها - «الزبير بن العوام» وكانت الحبشة - على دين عيسى بن مريم - عليه السلام - «دين النصرانية» وكان ملكها النجاشي - نصرانيا - صادقا عادلا - لا يظلم عنده أحد - كما وصفه بذلك رسول الله ﷺ ولما وصل المهاجرون إلى أرض الحبشة - أحسن النجاشي لقاءهم، وأكرم نزلهم، فوجدوا الأمن والطمأنينة وحسن الجوار . وسعادة الاستقرار، وأرسلوا جماعة منهم ليشيروا رسول الله ﷺ ويخبروه بذلك، ويعرضوا على المسلمين المعذبين فى مكة ليهاجروا معهم إلى الحبشة، فهاجر الفوج الثانى من الصحابة إليها وعددهم ثمانون رجلا - تقريبا - علاوة على ما كان معهم من الأطفال والنساء، وعاشوا هناك معززين مكرمين .

والسياسة الماكرة والإعلام الكاذب جاء لتشيويه سمعة الإسلام والمسلمين . عند ملك الحبشة لإعادة المهاجرين وتسليمهم لقريش ليستمروا فى تعذيبهم، - كل ذلك جاء بمؤامرة من المشركين بإرسال سفيرين خطيرين يحملان الهدايا إلى النجاشي وأصحابه لإقناعهم بأسلوب ماكر بتسليم المهاجرين إلى الحبشة، وإعادتهم إلى مكة - وهما : - «عمر بن العاص، وعبد الله بن أبى ربيعة» وتحدثا بأسلوب كاذب وحوار مضلل مع أصحاب النجاشي ليشيروا عليه بإرسال المهاجرين وتسليمهم لهما قالا : «إن ناسا من سفهائنا، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا دين الملك، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا

والإسلام هو الدين الوحيد الذى ضرب المثل الأعلى فى التعايش السلمى والدعوة إلى حسن الجوار، وصدق الحوار مع الآخرين من أصحاب الديانات المختلفة، وطبق ذلك بصدق على أرض الواقع منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، بصورة لم يسبق لها مثيل، ومن ذلك على سبيل المثال ما فعله رسول الله ﷺ مع وفد نصارى نجران . فقد سمح لهم بدخول مسجده وأن يصلوا فيه صلاتهم وينالوا حريتهم الدينية، على أكمل وجه ومكنهم ﷺ من الصلاة بحضرة المسلمين فيه، «قال ابن اسحاق وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : « لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجده ﷺ فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ : دَعُوهُمْ «أى اتركوهم يصلون» - فصلوا صلاتهم...» [زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ط ٢ - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م] ص ٣٨ - ومن أعظم نتائج «الهجرة إلى الحبشة» - تحقيق الأمن والسلام بين المسلمين والمسيحيين على أعلى مستوى من حسن الجوار وصدق الحوار، وأمن الديار، الذى استقر بين مكة والمدينة وبين الحبشة التى وصفت بأرض الصدق على أظهر لسان هو لسان الصادق الأمين ﷺ فقد خشى أن يفتن المسلمون عن دينهم بسبب سوء العذاب من المشركين، وبفراسة النبوة اختار لهم مكانا آمنا يأمنون فيه على أنفسهم ودينهم، فأشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة، وقال لهم ﷺ : «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه!»



إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وألا نشرك به شيئا، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام... [المرجع السابق، وسيرة ابن هشام] و[السيرة الحلبية]

وهذا أسلوب في حسن العرض لرذائل الكفر وحسن العرض لفضائل الإسلام، وبعد أن ذكر له أمور الإسلام - قال: فأما به، وصدقناه، وحرمانا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك»، هذا أسلوب دبلوماسي إسلامي رائع.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قال جعفر: - «نعم» وقرأ عليه من أول «سورة مريم» - فبكى النجاشي وبكى معه أساقفته^(١) وقال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى، يخرج من مشكاة واحدة!.. [صور من حياة الرسول - أرض الحرم الشريف لأمين دويدار].

ثم قال النجاشي لعمر بن العاص وصاحبه: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا..» فقال عمرو للنجاشي: «إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم - قولا عظيما!..» فسأل النجاشي المسلمين عن قولهم في

أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم. وخافا إن سمع «النجاشي» كلام المسلمين ألا يسلمهم، فوعدهما أصحاب النجاشي بالمساعدة على ما يريدان..» ثم إنهما حضرا عند النجاشي فأعلماه ما قالاه، فأشار عليه أصحابه بتسليم المسلمين إليهما، فغضب «النجاشي» من ذلك وقال: «لا والله، لا أسلم قوما جاوروني ونزلوا بلادى، واختاروني على من سواى، حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن كانا صادقين، سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يقول هذان منعتهما وأحسنت جوارهم».

[وهذا النص من تاريخ الكامل لابن الأثير]

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبي ﷺ فحضرُوا وقد أجمعوا على صدق النجاشي فيما ساءه وسره، وهذا يدل على الصدق في القول والإخلاص في قول الحق ولو كان مرأ.

● صدق الحوار وجودة العرض الثقافى بين النجاشي والمسلمين على أرض الحبشة:

وكان المتحدث الرسمى للمسلمين: جعفر بن أبى طالب -رضى الله عنه -وبدأ الحوار: قال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من الملل؟ فقال جعفر: أيها الملك «كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف.. حتى بعث الله

(١) ويتحدث القرآن الكريم عن أن النصارى هم أقرب الناس مودة للمؤمنين وأنهم سيكون عند سماع القرآن لمعرفة الحق قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِبَُوا رِهَابًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٢٩) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُنِا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾



صدق الله العظيم وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وأثمر الحوار الصادق والحوار الحسن - الحب والإخلاص والمودة بين المسلمين، والنصارى ووقف المسلمون معهم ضد أعدائهم حتى تحقق النصر لهم، وازدادت علاقة الحب الخالص والوفاء والمودة، بين النبي ﷺ وبين النجاشي وطلب منه النبي الكريم أن يزوجه «أم حبيبة» - رضى الله عنها - وكانت من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها «عبدالله بن جحش» الذى تنصر ومات هناك فوافق النجاشي وجعل مهرها أربعمائة دينار مكرمة له ونيابة عنه، ودعاه النبي ﷺ إلى الإسلام برسالة كرسائله إلى الملوك والرؤساء، فكان النجاشي أول من أسلم وبعث إلى النبي وفدا يحمل إليه كل معانى الحب والإخلاص، وقام النبي ﷺ بخدمة الوفد بنفسه، ليرد الكرم والتحية ويكافئ هؤلاء الذين أكرموا المسلمين فى بلادهم، ولما قيل له نكفيك هذه الخدمة يا رسول الله، قال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإنى أحب أن أكافئهم، وحين توفى النجاشي، قال ﷺ «توفى اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم» «أصحمة» وهذا اسمه . أما النجاشي فلقب لملك الحبشة، وصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الغائب، وهكذا كان حب العدل ورعاية الحق وحسن الحوار وصدق الحوار - سببا فى حماية الأقلية الإسلامية التى هاجرت إلى الحبشة . والله ولى التوفيق

المسيح - عليه السلام - فقال جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا «هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال: «ماعدا عيسى ما قلت هذا العود!..» أى هو كما قلت، ثم قال للمسلمين: «اذهبوا فأنتم آمنون.. ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنتى آذيت رجلا منكم..» ورفض هدية قريش وردّها [المرجع السابق]

ووجد المسلمون من النجاشي ملك الحبشة كل عناية ورعاية وعاشوا بها آمنين وظلوا مقيمين بها نحو أحد عشر عاما - ماعدا عثمان بن عفان فقد رجع إلى مكة مع زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وبعد ذلك، عاد المسلمون إلى المدينة المنورة بعد هجرة النبي ﷺ إليها، فى السنة السابعة من الهجرة بعد أن تم بين النبي وبين قريش «صلح الحديبية»، وهكذا نرى أن حسن الحوار وصدق الحوار والمحبة والمودة بين المسلمين والنصارى على أرض الحبشة، كل ذلك يرشد الناس إلى مكان الثراء الروحي من التراث الذى يتحلى بالحوار والمحبة والرحمة التى ينعم بها العالم كله تحت ظل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢) وفى أحضان صلة الرحم الناس تحت راية قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٣).





بدون عنوان

الدكتور / محمد حسن عبد الحاق

تلعب القوة دوراً بارزاً في هذا العالم الذي تتشابك فيه كافة الأطراف بين تهديد ووعيد واتفاق وتحدٍ، ومفارقات عديدة تحكمها الظروف الدولية وتخطط لها الصهيونية العالمية. وإذا استعرضنا الحالة التي نحن عليها الآن والحشود الأمريكية والبريطانية وحلفاءهما، نشعر وكأننا على أعتاب حرب عالمية نووية ثالثة. تهدد بانفجار الكرة الأرضية، كل هذه الحشود وكل هذه المليارات لتغيير نظام الحكم في إحدى دول العالم الثالث. «العراق» وإذا سألنا عن السبب، أجابوا: لأنها تملك أسلحة دمار شامل، وهي بهذا على رأس قائمة محور الشر. وقد رأينا في البداية أفغانستان وما لحق بها والآن العراق ثم من ياترى بعد ذلك.

والعدد الهائل للرؤوس النووية القادرة على نفس المنطقة بأسرها.

وتشاء الأقدار أن تفصح كوريا الشمالية عن امتلاكها للسلاح النووي وأنها ماضية في تطويره. وأمريكا تهدد شفوياً فقط، العراق ينفي وكوريا تعترف، فرق التفتيش تجوب العراق طويلاً وعرضاً دون جدوى، وأمريكا تصر على ضرب العراق وتدميره على من فيه، أما لغة التحدي في شبه الجزيرة الكورية فقد أجبرت أمريكا على التراجع، بل أن كوريا استثمرت الموقف وابتزتها بمساعدات نفطية واقتصادية، بل وطلبت منها معاهدات خطية أمنية بعدم الاعتداء. ويبدو أن الحوار مع الكبار له قواعده وكما أن الحوار مع

باختصار إنها دولة مواجهة تمثل بالنسبة لأمريكا خطورة على الكيان الصهيوني، والذي لا بد أن يكون له اليد الطولى في المنطقة.

ونعود إلى الوراء قليلاً، (فقد انعقد في تل أبيب في أواخر يناير ١٩٩٤ أول مؤتمر دولي لعلوم الذرة شارك فيه علماء من ٢٦ دولة وكان أغلب المشتركين من دول العالم الغربي وإفريقيا الجنوبية والصين والهند. وقد ذكرت المصادر الإسرائيلية أن هذه هي المرة الأولى التي وافق فيه أعضاء اللجنة الأوروبية لعلوم الذرة على الاجتماع في إسرائيل، رغم أن إسرائيل لم توقع حتى الآن على وثيقة منع انتشار الأسلحة الذرية وماضية في برنامجها النووي).

ألم تعلم أمريكا عن برنامج إسرائيل النووي،



الصغار له قواعده أيضا. وانكشف القناع عن وجه أمريكا.

ونرى المظاهرات في العالم أجمع التي تندد بالحرب على العراق، وسواء أكان الدافع إنسانيا أم اقتصاديا. فالحرب وبال على المنطقة بأسرها، وسوف يتأثر بها سلبا كثير من دول العالم. والمشكلة العراقية تتصدر اهتمامات العالم أجمع. وقد غطت على مايجرى في الأرض الفلسطينية المحتلة، ذلك مقصود في حد ذاته وقد دفع هذا الوضع إلى التنسيق الأمريكي الإسرائيلي لتصفية كواد المقاومة الفلسطينية وبث الخوف والهلع في نفوس الفلسطينيين، تمهيدا لقتل القضية برمتها، والصراع القادم هو صراع على الطاقة مثلا في البترول، ثم المياه، وبملاك العراق ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية وخافت الدول المستوردة للنفط من حدوث أزمة بترولية مما سيعرضها لخسائر فادحة خاصة بعد مشكلة فنزويلا وانخفاض معدلات ضخ النفط بسبب إضراب عماله.

وتتصدر الأوبك دائرة الضوء، وتعلن عن زيادة إنتاجها اليومي لإعادة الاستقرار إلى أسواق النفط العالمية. فقد كنا أول من حرص على دفعي العالم الغربي بتعويض النقص في الطاقة إنها شهامة وسماحة العرب. لأن ارتفاع أسعار النفط سيؤدي إلى تراجع معدلات النمو في الدول المستوردة.

أما الفلسطينيون فلا ينقصهم إلا رغبة الخبز وخيمة إيواء والشعور بالأمان!

والحقيقة المؤلمة أننا كعرب لم ننجح في إدارة الصراع العربي الصهيوني سياسيا، والسياسة هي فن إدارة مصالح الدولة وتعظيم مكاسبها.. إننا ننتظر الفعل من

الآخر وبعدها نتبنى سياسة رد الفعل، وينتظر الفلسطينيون على أحر من الجمر نتائج الانتخابات الإسرائيلية، ويدعون الله الا يفوز الليكود الشاروني الذي أذاقهم صنوف العذاب. حتى أن (دعاة السلام) في إسرائيل هددوا بانتخاب العرب ليأسهم من سياسات الليكود الدموية. ولكن فرصة حزب العمل في الفوز ضئيلة أمام الليكود، وماذا فعل حزب العمل حين كان على رأس السلطة.

وتحية إلى الشعب الفلسطيني، الشعب الوحيد في العالم الذي يزرع تحت نير الاحتلال.

ولكن: ألم يحن الوقت بعد كي تتفق كافة الفصائل الفلسطينية على استراتيجية واحدة وشاملة، فلا بد من التلاحم بين النضال والسياسة. والهدف ليس الأمان، ولكن كافة ماتتفق عليه القوى الفلسطينية، كما أن كثرة التصريحات أدت إلى تعقيد الوضع السياسي وشاء قدرنا أن يصبح مستقبل العملية السلمية في يد رجل واحد هو «شارون» ووسيط واحد هو «بوش» والرجلان وجهان لعملة واحدة.

إن السياسات العربية على مدى ربع قرن هي التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه ولابد من إيجاد سقف عربي يحمي آمال هذه الأمة، وحتى وإن اختلفت أشكال أعمده، ولو كان هذا السقف موحدا لما حدثت حرب الخليج ولا كنا وصلنا إلى ما نحن عليه، يمتلك العالم العربي الإسلامي ثروات طائلة بترولية وغير بترولية، ويمتلك ثروة لاتقدر في العقول البشرية هذه الأمة التي قال عنها المولى عز وجل:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١).





دعوة للحياة

للمُستأذ / مجدى عبدالمحميد بشير

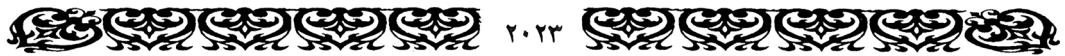
منذ شهر مضى ودعنا عاماً ميلادياً
وبعد شهر نستقبل عاماً هجرياً جديداً

تقوم بامتصاص وتخزين ثاني أكسيد الكربون من الجو ودمجه مع الماء وضوء الشمس لنتج من ذلك كله عناصر ضرورية لحياة النبات وكل الكائنات من إنسان وحيوان وغيرها فهي تأخذ ثاني أكسيد الكربون الخارج من زفير الإنسان فتعطيه الأكسجين اللازم لكل أشكال الحياة على سطح الأرض إضافة الى الطعام المتمثل فى الجلو كوز للنبات . وواضح إذن كم هو امر جوهرى اعتمادنا نحن البشر على استنشاق ذلك الاوكسجين الذى هو ثمار حياتنا والمنفعة متبادلة كما ترى بين عالم النبات وكل الكائنات بقدره الخالق الرازق الذى يريد لصنعبته على تنوعها واثرائها أن تعيش فى تفاعل يستفيد كل منها من الآخر ويفيد .

فإذا سألت عن زمن حدوث التمثيل الضوئى أو النتج ووقته لعلمنا أنه يحدث من الربيع حتى الخريف . وعندما يقترب الشتاء فيقصر النهار وتقل فترات سطوع الشمس ويطول الليل وتقل كمية الضوء ويزداد الظلام يكون ذلك كله هو الشفرة التى توحى إلى النبات وإلى أوراقه على وجه الخصوص بأمر الله أن تغلق مصانعها وتتوقف عن

نأمل فيه الخير والبر والتوفيق . وهكذا تفضى الحياة بحلوها ومرها بين وداع واستقبال وموت وميلاد . وهى حقيقة تذكرنا نحن المؤمنين بسنة إلهية لاتتبدل أو تتغير مغزاها أن أنفاس الإنسان معدودة وخطواته معدودة، وأن العبد بين مخافتين بين ماض لايدرى ما الله قاض فيه وحاضر يرجو فيه الخير . وتعد ورقة النبات خير مثل حىي بين لنا ذلك المثل ويمكن التفكير فيه لنرى إبداع الخالق العظيم . فأوراق الشجر صفحات حوت من أسرار الخليقة والغاز الحياة ماهو جديد لكل من حباهم الله عقولاً تدبر ويستنتجوا ما أودع البارى فيها من عجائب ومعجزات تجعل الإنسان يهتف من أعماقه بتوحيد الخالق وتفرد عزه وجل بالبقاء السرمدى والعبودية الخالصة وأن ما دونه من كائنات ماض لا محالة .

فأوراق كل النباتات الخضراء تعتبر عاملاً أساسياً فى مسيرة الحياة على سطح الأرض والسبب هو ما يسميه العلماء « التمثيل الضوئى » فماذا يحدث ياترى فى التمثيل الكلورفىلى؟ الذى يحدث ببساطه ودون دخول فى تفاصيل علمية معقدة هو أن ورقة النبات





الحشرات البكتريا الضارة . أما الغرض الثاني للمادة الفلينية : فهو إيجاد فليينات صغيرة تسد الثغرات المفتوحة بأذنانيبب الشعرية للنباتات التي تمددت بفعل حرارة الصيف وأغلقت ما يمكن أن نطلق عليه شبكة الصرف الصحي ونظام تصريف المياه داخل النبات فمنعت وصول الماء بشكل صحيح إلى بقية أجزاء النبات . وكلما شبع امتصاص الأوراق للماء من الجذور كلما اضمحلت قدره الأوراق على تجديد الكلوروفيل أو المادة الخضراء وبالتالي تذوى الأوراق وتذبل وبذهاب المادة الخضراء يبرز للوجود مركبان كيميائيان ملونان ترى أين كان هذان المركبان؟ ومرة أخرى إنظر الى قدرة الله لقد كان هذان المركبان كامينين مختبئين داخل الورقة طيلة الصيف فيالقدرة الخلاق العظيم وبعد فإن علماء النبات غير قادرين بالضبط على شرح وتفسير الدور الذي يمكن أن تقوم به أوراق الخريف وتساقطها في تشكيل ورقة النبات لكنهم يجزمون أن الطاقة الكيميائية التي مهمتها تلوين أوراق النبات لا تؤدي فائدة واحدة للنبات بل أكثر من فائدة ويقولون إنه ربما كانت هذه طريقه لحفظ حياة ورقة النبات وعندما تكون الورقة مترعة بالمادة الخضراء فإنها تقوم بتكوين الأوكسجين اللازم لبقاء الحياة مستمرة أما عندما يعلوها الذبول وتأخذ اللون الخريف في الزحف عليها فليس معنى ذلك أنها تموت أو تضيع وقتها سدى إنها في حقيقة الأمر بالهام من الله - عز وجل - تقوم بإيجاد وتشكيل حورة أكثر حيوية للحياة إنها صورة من الجمال الأخاذ والبريق الخلاب ذلك الجمال هو جمال الروح .

عملها ومن ثم تبدأ الأوراق بالهام من ربها - عز وجل - في الاستعداد لبدء دورة الحياة من جديد وتبدأ هذه المرحلة بأن تتشكل في ورقة النبات طبقة تنفصل عن الورقة فأين تتشكل هذه الطبقة؟ إنها تتكون من قاع جذر النبات وذلك عندما تبدأ الورقة في التخلق في الربيع لكنها تظل كامنة دون أن تلعب دوراً فعالاً قبل أوائل أيام الخريف الباكرة التي تحذر أوراق النبات من قدوم برد الشتاء القارس . ورغم أن ذلك الجزء من ورقة النبات يعرف بالطبقة المنفصلة إلا أنها تتركب في حقيقة الأمر من طبقتين مختلفتين كل منهما عن الأخرى بل تتميز كل واحدة منهما أنها تتركب من أنسجة شديدة التخصص في وظيفتها . فاعجب معي لقدرة الصانع الحكيم الذي يخلق في شئ ضعيف واحد المتناقضات والمتكاملات وأفضل القول فأقول إن الطبقة الأولى تتركب من خلايا تأخذ في التقلص والضعف شيئاً فشيئاً لتشكل بالتدريج المكان الذي تسقط منه الورقة الذابلة . وتحت هذا النسيج الذي تنتهي عنده حياة الورقة تتخلق طبقة أخرى من الخلايا التي تقوى وتصلب شيئاً فشيئاً لتكون ورقة رقيقة وعريضة جوهرها ولبها مادة شبه فلينية فما فائدة هذه المادة للنبات؟ فرضان محددان ولكن قبل الخوض فيهما انظر بعين بصيرتك إلى يد الله الحانية التي تعمل في الخفاء وتستنهض عقول العلماء وألبابهم أن تفكروا وكونوا كالنساك في محاربيهم وعود الى الغرضين؛ أما الاول : فهو أنها - أعني المادة الفلينية - تقوم بتضميد ما بالنبات من جروح أو ندوب بقي أثرها على غصن الشجرة نتيجة لسقوط الورقة منه وهي حينما تأسو تلك الجراح فهي تحمي الفرع وتقيه من أن تهاجمه





المستشرقون

يغالطون في المنهج الإسلامي ويلوون النصوص

ما زالت الدراسات الاستشراقية الأولى والكتابات الغربية عن الإسلام مصدر الفهم الأساسي للإسلام لدى الدارسين والمثقفين وصانعي القرار بالغرب .

ومن هؤلاء قلة من المستشرقين غير المحايدين قد أساءوا إلى الإسلام وغالطوا فيه ويعتبر المستشرق الألماني « تيودور نولدكه » واحداً من أهم من أرسى في كتابه الشهير « تاريخ القرآن » أخطاء جسيمة تنف الرسالة المحمدية وتشكك في الإسلام كدين وانتقلت هذه الأخطاء إلى ما أتى بعده من الكتابات وكأنها مسلمات يسير عليها الباحثون وينطلقون منها، ولكن للأسف هناك من يقرأ لهؤلاء ويثنى عليهم دون أن يقرأوا نصوصهم .

من هنا كان اختيارنا لما نشر في جريدة الجمهورية في عدده الصادر في ٢٣ / ١ / ٢٠٠٣ حيث قدمت رسالة دكتورة للباحث محمد حسين المدرس بكلية أصول الدين بعنوان « شبهات حول العقيدة الإسلامية » دراسات تحليلية نقدية وقد أتت الدراسة في وقت يشتد فيه الهجوم على الإسلام والمسلمين بطريقة شرسة حتى أصبح كل من أراد أن يحقق لنفسه شهرة فعليه بمهاجمة الإسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن ما جاء بالدراسة يمثل ردا علميا على بعض ما يقال أو قيل على المستوى الأكاديمي والمستوى العام خاصة أنه يجيد اللغة الألمانية فترجمها للألمانية رداً على المستشرق « تيودور الألماني » .

فإذا أضفنا أن الكتابات الاستشراقية لم تكن لها آثارها المعيبة في الغرب فقط بل نضحت هذه الكتابات على كثير من المفكرين العرب ونحوها واتخذوا من أخطاء تيودور نولدكه منطلقات فكرية كان لها ما لها من زعزعة في الحركة الثقافية العربية وخلقت ألوانا من الصراعات والتحيزات بشأن كثير من

يين

الصحف

و

المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشتي





إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية .

ويركز التقرير بأن مشكلة البطالة والفقر في مصر هما أساس اللجوء إلى الدين .

وربطو زيادة المعونة الأمريكية بهذا التطوير الديني وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن الدعاة المصريين ورجال الدين المصريين هما الأكثر شهرة وتأثيراً على العالم الإسلامي ويرى المشروع أن خطة تطوير الخطاب الديني في مصر سيجري تنفيذها من خلال دورات تدريبية مكثفة وهذه الدورات ستعقد بين القاهرة وواشنطن .

وعن دور المسجد فقد حاز على اهتمام كبير في إطار خطة تطوير الخطاب الديني بحيث يتحول المسجد إلى مؤسسة اجتماعية بها حدائق للأطفال والسيدات وملاعب رياضية بدلاً من كونه أداة للتخريض وبث الكراهية .

ويبحث هذا التقرير على الاختلاط بين الرجل والمرأة داخل هذه المؤسسة الاجتماعية « المسجد » وتمارس فيه المرأة حقها الطبيعي في ممارسة النشاط السياسي والاجتماعي وتقتترح الخطة أن يتم إلغاء مقررات التربية الدينية وأما ما يتعلق بالقرآن الكريم أو أحاديث الرسول « صلى الله عليه وسلم » ترى الخطة بأن التلاميذ أحرار في تعلمها بعيد عن المدرسة ويقولون إن الإرهاب وتصعيد موجات التطرف أساسه التنشئة التمييزية بين الطلاب في المدارس .

وتركز الخطة على الدعاة الجدد بطريقتها هي وترى أن الدور الخارجي للأزهر سيجري بالاتفاق بين أمريكا ومصر وأن هذه البرامج ستكون بمثابة برامج عمل يتم تنفيذها سنوياً .

الموضوعات التي تتناولها الدراسة فإننا ندرك جانباً آخر من جوانب الأهمية لهذه الدراسة، وهو ما أجابت عنه الدراسة وأظهرت به عقلية نولدكه التي تحاول نفى النبوة عن الرسول وبالتالي إنكار نبوته وأن الإسلام هو الدين الخاتم وإدعى نولدكه بأن الوحي الذي كان يتلقاه النبي ما هو إلا صوت داخلي للنبي نتيجة مرض نفسي أحدثه دخوله في خلوة طويلة تفاعلت بداخله أثناءها أفكار أهل الكتاب وبالطبع هو أمر لا يثبت أمام أبسط قواعد البحث العلمي لأنه كيف يأتي النبي بقرآن له خصائص معينة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله .

أمركة الدين الإسلامي

وفي جريدة الأسبوع في عددها الصادر في ١٣ يناير سنة ٢٠٠٣ كتب الأستاذ مصطفى بكرى رئيس تحريرها في تقرير أشار فيه إلى أن الإدارة الأمريكية انتهت من إعداد مشروع لتطوير الخطاب الديني وأعلنوا إنه مشروع الشراكة من أجل الديمقراطية والتنمية وقد أفادت المعلومات بأنه قد تم تشكيل لجنة داخل الخارجية الأمريكية أطلقوا عليها لجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية وتشير المعلومات إلى أن تقرير اللجنة أكد أهمية أن يتم التركيز على تقليل الاهتمام بالجانب الديني في الحياة الاجتماعية العامة وأن يبرز الدور الديني كمعيار ثانوي في أساليب الحياة الاجتماعية للمواطنين وأن الإدارة الأمريكية ستبلغ الدول الإسلامية بكل ما يجب تنفيذه في هذا المجال .

ويرى التقرير أن إحدى الوسائل الأساسية للقضاء على الجانب الديني يجب أن تتضمن

الإعلام الإسلامي ضرورة

لقد ابتلى الإسلام والمسلمون بأعداء حملوا لواء التشهير ونشر المفتريات والأباطيل، فقد رُمي الإسلام بأنه دين يفرق بين الابن وأبيه، ثم رُمي بأنه دين انتشر بحد السيف، وقالوا: إنه دين يدعو إلى الرق .. ومن هذه المفتريات أيضاً قولهم: إنه دين يميز بين الرجل والمرأة!! ..

فإذا ما انبرى رجال الإسلام ينافحون عن دينهم ويدفعون عنه أذى المغرضين، يجد الحاقدون ضالتهم في رمي الإسلام والمسلمين بالإرهاب!! ..

إنها الحرب الدائمة بين الخير والشر، وإن الواجب على الإعلام في الأمة الإسلامية أن يتقدمه رجال على علم عميق بالإسلام وشرعه وروحه الداعية للإنصاف، التي تمنع منعاً باتاً أن يعتدى المسلمون على غيرهم ممن لم يتقدم إليهم بأذى. يقول الله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا
إِلَّا اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١).

وعليهم أن يبرزوا في جلاء مدى حماية الإسلام لأبناء أمتهم «مسلمين وغير مسلمين»؛ فإن دماء غير المسلمين من أبناء الأمة في عنق الدولة، تُسأل عنها وتحاسب عليها. قال رسول الله ﷺ:

«لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً» (٢).
ويعني ذلك أن الجماعة الإسلامية المحققة لإسلامها الممارسة

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٦٨٦٢ - كتاب الديات -

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

هؤلاء الذين يصرون على وصف الإسلام والمسلمين بالرجعية والتخلف، بل والإرهاب. وقد قام الأزهر الشريف بتجربة رائدة، وذلك بإنشاء لجنة حوار الأديان، فها حبذا لو تم ترجمة نتائج حوار هذه اللجنة إلى عدة لغات، على أن ينبرى لهذا الهدف النبيل فريق عمل يضم خيرة المترجمين وكبار رجال الدين، وبث هذه الترجمات على شبكات الإنترنت، بكل وسائل الإعلام المتاحة، كي تعم الفائدة على الجميع. ويجب أن تنهض الدول الإسلامية الغنية لهذا الهدف النبيل وهو واجب ليس على الدول الغنية فحسب، بل هو واجب - أيضاً - على أثرياء المسلمين كافة.

وفى تجربة AL-Azhar on line - التى أمر سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دى بتنفيذها - القدوة الحسنة لمن يريد أن يقتدى ويشارك فى تقديم صورة الإسلام فى أبهى ما يكون. وكم أسعدتنى كلمة الشيخ جمال خلفان، حين نقل عن سمو ولى العهد قوله: «إننى أخدم الأزهر، لأن الأزهر يخدم الإسلام». لذلك فإننى أدعو الله أن يَمُنَّ على الإسلام بكثير من أمثاله الذين يجندون طاقاتهم وأموالهم فى سبيل الدفاع عن كلمة الحق.. وبعد: فإن الدين الإسلامى جاء ليدعو إلى السلام.. يقول الله - تعالى -:

﴿وَلَا جَبْنَؤَ لِلسَّالِمِ فَأَجْجَحْ لَهَا﴾ (٣)

وجاء ليدعو إلى الوفاء بالعهود والمواثيق. يقول الله - تعالى -:

له، يجب ألا يقع بين صفوفها قتل، فإن وقع، فلا يكون إلا قتلاً خطأ، لا عمد فيه ولا تربص. وعلى هذا يُربى الإسلام أبناءه على هذه المبادئ التى ندرك نحن فى عصرنا هذا أن الحبناء من غير المسلمين ومن المسلمين أيضاً يتلاعبون بها. فيجب على رجال الإسلام أن يكون لهم دورهم فى صد هذه الهجمات الفكرية وإبراز هذه الصورة المشرقة لديننا الحنيف وتصحيح كل ما ينشر من أخطاء ومفتريات عن الإسلام، ويجب أن يصاحب ذلك نشر الصورة السمحة الحقيقية لديننا العظيم، على أن يكون ذلك فى ميدان يأتى النشر فيه بالثمرة المرجوة فى نفوس هؤلاء الذين يحاولون ربط الإسلام بالإرهاب كشراء صفحات من الصحف العالمية مثل: Newsweek وال Times وغيرها.

والسبيل إلى نشر الإسلام وتبصير العالم بصورته المشرقة، لن يكون إلا بالعمل الدءوب والبحث العلمى الجاد.

ومن هذه الخطوات: الحوار الحضارى، وذلك بعقد المؤتمرات العالمية التى يحضرها المستشرقون، واتخاذ خطوات عملية فى هذا السبيل، كتوجيه الدعوة إلى شخصيات غربية بعينها تتسم بالاتزان العلمى السليم، ليتحدثوا عن الإسلام بإنصاف.. بالإضافة إلى إجراء الحوار بين هؤلاء المستشرقين وبين المثقفين من الأمة الإسلامية فى الشرق والغرب، كل يدلى بدلو، لإظهار الصورة الصحيحة لدينه والبحث عن النقاط التى تجمع بين الأديان، وما أكثرها.. فإن ذلك كفىل بإزالة سوء الفهم وتصحيح الصورة، وكشف



﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾

الإسراء: ٣٤

كما جاء لينشر الأمان .

وهذا قول رسولنا ﷺ : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم » . أخرجه الترمذى

ومعنى هذا عند أهل العلم أن من أعطى الأمان من المسلمين، فهو ملزم لهم جميعاً، ولو كان من رقيق المسلمين .

وعن أم هانئ أنها قالت : « أَجَرْتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَحْمَائِي » (الأحماء أقارب الزوج) فقال رسول الله ﷺ : « قَدْ أَمَّنَّا مِنْ أَمْنَتِ » . أخرجه الترمذى

قال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم، أجازوا أمان المرأة » .

أقول : إذا كان هذا بعض ما يقدمه إسلامنا، منهجاً للحياة، وهو قليل من كثير .

فكيف يتصور أحد أن يكون معتنقه ممن يحبون الاعتداء على الآخرين؟! .. ناهيك عن التفكير فى قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق؟! ..

اللهم إلا إذا كان وصم الإسلام بالإرهاب، سياسة اتخذها مسئولو الغرب منطلقاً للهجوم على الإسلام!! ..

فلله الأمر من قبل ومن بعد ...

نسأل الله العظيم أن يلهمنا رشدنا .

عوامل خفاجة

مفتاح البحث القرآنى

وإلى سائل القراء

هذا ... ومن الضرورى للباحث فى القرآن الكريم بصيغة خاصة، أن يجرد نفسه عن الهوى ويخلصها من التحيز حتى يمكنه أن يدرك الحقيقة، لأن البحث فى القرآن الكريم عبادة من أجل العبادات لو خلصت فيه النية لابتغاء الخير والحق . والنية هى (الإرادة المتوجهة نحو الفعل، ابتغاء رضا الله - تعالى - وامتنالاً لحكمه، وهى عمل قلبى محض لا دخل للسان فيه) .

وباختصار شديد ... فإن مفتاح البحث القرآنى (إخلاص النية وسلامة القصد) .

ورد من القارئ / زغلول عبد الحليم عبد الله كلمة عن البحث القرآنى نقدم موجزاً لها حيث يقول :

« .. ولما كان الاجتهاد الفكرى فريضة، والمجتهد إذ يعمل فكره للوصول إلى ما يظن أنه حكم الله، لا يعمل مطلق الفكر الذى لا قيود له ولا حدود، بل يعمل فكره مراعى لحدود الله ومقيد بما أوصى الله به إلى رسوله ﷺ وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرة رسول الله ﷺ وفى غيبته، فكان يقرهم إذا ما أصابوا، وينكر عليهم إذا أخطأوا .

الشاعر الأزهرى «إبراهيم الدباغ»

وفى سنة ١٩٢٦ انطفأ نور بصره ولكن ذلك لم يوقفه عن أداء رسالته الوطنية حتى أطلق عليه الأصدقاء رهن الأحباس، وفولتير القاهرة، وكان ذلك عن حق فقد ترك ثروة ضخمة فى الشعر والنثر نشر بعضها وقام ابن أخيه الأديب الشاعر مصطفى درويش الدباغ بنشرها وتمثلت فى ثلاثة كتب نثرية تحوى نظراته فى الحياة والناس، ونقده للشعراء والكتاب الذين عاصروه، وخواطره الاجتماعية والفلسفية، وهى بالترتيب: «حديث الصومعة» و«فى ظلال الحرية» و«شهد وعلقم». أما فى الشعر فقد نشر قسماً منه فى حياته فى ديوان الطليعة من جزئين، ثم نشر ابن أخيه القسم الآخر، وشعر الدباغ تناول الجوانب الذاتية من مدح لسيوخته، وثناء لأحبائه الذين فقدهم، كما تناول الموضوعات الوطنية والسياسية والاجتماعية، ولم ينسه فقد بصره محنة بلاده فلسطين التى ألهمته الكثير من القصائد، ونستطيع القول أنه توزعت عاطفته بين فلسطين بلده الأول ومصر بلده الثانى، وقد أطرى الشعراء والكتاب شعره ونوهوا بأدبه، وأشادوا بفننه، فقد قدم الشاعر الكبير خليل مطران الجزء الثانى من شعره وقال: «هل يوجد فى الأقطار العربية من لم يردد اسم الشيخ إبراهيم الدباغ، ولم يرو له بيتاً من شعره، أو طرفه من النثر شائقة».

وجاءت كلمة الوفاء من القارئ: فرج مجاهد عبد الوهاب يخص بها الأديب إبراهيم الدباغ يقول:

قال الأديب الكبير محمود تيمور عن الدباغ: «كان الدباغ ذلق اللسان، عذب الكلام فكه الروح، وكان آية عصره فى قوة الذاكرة، وحضور البديهة، وسعة الاطلاع».

وقال عنه الشاعر الناقد عادل الغضبان: «وشعر الدباغ هو شعر القوة والعنفوان لما اجتمع لصاحبه فيه من أدوات البيان شأنه فيه شأن كبار الشعراء فى هذا العصر ممن تمرس على نهج الأقدمين...».

هو إبراهيم مصطفى عبد القادر الدباغ ولد فى مدينة يافا بفلسطين سنة ١٨٨٠م وبعد أن تلقى فيها قسطاً من التعليم رحل إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف عام ١٨٩٣ وكان من شيوخه الإمام محمد عبده، والشيخ سليم البشرى، والشيخ سيد المرصفى.. وغيرهم من أعلام الأزهر الشامخة. وكان من زملائه فى الدراسة الشعراء ولى الدين يكن، وأحمد محرم، وأحمد نسيم. وأسهم بعد تخرجه فى تحرير عدد من الصحف والمجلات، كما كان ينشر أعماله فى الأهرام، والمؤيد، واللواء. كما أنشأ سنة ١٩٠٤م جريدة «الإنسانية» بعد أن أثر البقاء فى مصر.



مولاي

من إبداعات القراء

وبرئت من ذنبي ومن سـقـطـاتـي
إِلاَّكَ يَنْجـيـنـي من الظـلـمـات
فـي هـذه الدنـيـا وبعـد مـمـاتـي
ولغـير وجـهـك ما وهـبـت حـيـاتـي
فـيـهـا من الآمـال والشـهـوات
صَفَّوْا من الأكـدار والعـثـرات
لك أو لـغـيـرك في سـوـى لـحـظـات
ليـسـت تـورثـنا سـوـى الحـسـرات
كُتـبـت لأهـل الذكـر والصلـوات
تـحـظـي بـقـرب الله في الجنـات

يا رب جـئـتـك صـادق الدـعـوات
يا غـافـر الذنـب العـظـيم وليـس لي
يا قـبـلـتـي أنـي ذهـبـت وغـايـتـي
مـولـاي وحـدك لا سـواك وسـيـدـي
يا أيـهـا المـغـرور بالدنـيـا وما
دنـيـاك شـائـئـة وأنت تريدهـا
هيـهـات يا مـسـكـين تُخـلـص وُدَّها
لا يـخـدعـنـك زيفُها وبريقُها
دعـها لأخـرى لا يـزول نعيمُها
فـحـب ربك والثبات على التُّقى

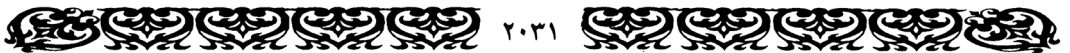
مصطفى أبو الغيط - قرية بلجاي - مركز المنصورة

موكب الحجيج

وتجـردوا من رِبَقـة اللـذات
وتوجـهوا للبيت في إخبـات
في فرحـة لإجـابة الدـعـوات
أوزارهم فيضاً من الحـسـنات
عـطـراً كـريح المسك في الجنـات
قلـب يـناجـي الله في عـرفـات
والفـوز عـند الله بالجنـات

لبي الحـجـيج بأصـدق النـغـمات
وتوحدوا بـمـلابـس قـد مـيـزت
وعـلا ضـجـيج بالدعاء وبالبكا
وهناك في خـيـر البـلـاد تبـدلـت
هـذـى البـقـاع وقـد تجلـى نورها
وهناك قـد وقـف الحـجـيج وكلهم
لكم التـحـيـة والمـثـوبة والرـضـا

شعر / جابر عبد العليم مصطفى - دار السلام - سوهاج





للأستاذ / محمد الشرقاوي

حادث مروري بمكة المكرمة غير صحيح لأن الحادث وقع لثمانية عشر مصرياً من العمالة الموسمية بالسعودية وأنهم جميعاً غادروا المستشفى بعد تلقي العلاج ماعدا واحداً مازال يتلقى العلاج لإصابته بكسر في الترقوة.

الجمهورية ٢٨ / ١ / ٢٠٠٣

المغرب تدعو لتصحيح الصورة السلبية للعرب

دعا نبيل بن عبد الله وزير الاتصال المغربي المتحدث باسم الحكومة المغربية إلى تصحيح الصورة السلبية حول العرب والمسلمين والتي تربطهم بالتخلف والإرهاب.

لا حوادث ولا إصابات.. لحجاجنا بالسعودية

توقعت مصادر تعمل في خدمة ضيوف الرحمن أن يصل عدد الحجاج القادمين من الخارج إلى مليون و٣٠٠ ألف بينما يصل عدد حجاج الداخل إلى المليون..

أوضحت المصادر أن سبب ارتفاع نسبة حجاج الخارج هذا العام يعود للطقس الجيد المتوقع في مناطق المشاعر المقدسة بمنى وعرفات والمزدلفة ومكة المكرمة التي تبلغ درجة الحرارة بها ٣٢ درجة.

وأكد اللواء ماجد إبراهيم مساعد وزير الداخلية رئيس بعثة حجاج القرعة أن جميع الحجاج المصريين في مكة والمدينة وجدة بخير وبحالة صحية جيدة وأن مانشرته صحيفة عكاظ السعودية عن إصابة ١٨ منهم في



اختلاف فى وجهات نظر الجانبين حول المبادئ المتعلقة بالقضية الوطنية للقبارصة الأتراك .

ومن ناحية اخرى أوضح دنكتاش أن إدارة القبارصة الأتراك يجب عليها أن تنظر بشكل إيجابى إلى الاقتراح الخاص بإجراء بعض التغييرات فى الخطة المقدمة ويجب ألا تحاول أن تجعل القبارصة الأتراك يقبلون جمهورية قبرص بشكل غير مباشر .

خطة فيدرالية أمريكية لمراقبة المساجد

أصدر روبرت مولر رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى قراراً برسم خرائط ديموجرافية لجميع المساجد فى الولايات المتحدة بهدف تكثيف عمليات البحث عن الإرهابيين .

ذكرت مصادر أمريكية أن خطة مراقبة المساجد تتضمن وضع أجهزة تنصت بداخلها .

أعرب إبراهيم هوبر المتحدث باسم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية عن استيائه من القرار ووصفه أنه يثير الشكوك الأمريكية تجاه الجاليات الإسلامية .

وزير الدفاع الهندى يهدد بإزالة باكستان

من خريطة العالم..!!

قال وزير الدفاع الهندى جورج فرنانديز إنه سيتم ازالة باكستان من على خريطة العالم إذا أقدمت على شن هجوم نووى ضد الهند .

وقال ان باكستان إذا أرادت البقاء فعليها التوقف عن التلويح باستخدام الأسلحة النووية ضد بلادنا!!!

وقال الوزير المغربى فى افتتاح أعمال الملتقى الأول للإعلاميين المغاربة بالرباط أن المنطقة العربية تغلى والصوت العربى يكاد يختنق خلف أسوار الحصار الإعلامى الغربى الذى يطوق القضايا العربية ويفرض منطق القوة على قوة المنطق .

وطالب الإعلام المغاربى والعربى برفع صوت الحق ودعوة المجتمع الدولى وهيئاته إلى تحمل مسؤولياتهم فى رفع التهم الملتصقة ظلماً بالعالم العربى والإسلامى وفى مواجهة إرهاب الدولة الذى تمارسه إسرائيل فى حق الشعب الفلسطينى والتصدى لخيار الحرب الذى تقوده أمريكا وبريطانيا ضد الشعب العراقى وتذكير العالم بأن المقاومة حق وواجب ولا رابط بينها وبين الإرهاب .

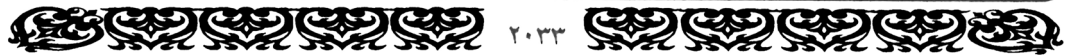
شارك فى الملتقى الإعلامى الغربى الأول حوالى ستين من القيادات الإعلامية بدول المغرب العربى الخمس وناقش على مدى ثلاثة أيام موضوعات تتناول دور الإعلام ومسؤولية الإعلاميين المغاربة فى بناء اتحاد المغرب العربى والإعلام المغاربى بين الواقع والآفاق .

مباحثات بين شطرى قبرص

عقد جلافكوس كلاريديس رئيس قبرص « القبارصة اليونانيون » اجتماعاً مع رؤوف دنكتاش رئيس جمهورية قبرص الشمالية .

وكان دنكتاش قد اجتمع فى وقت سابق مع بشار ياقيش وزير خارجية تركيا .

أشار دنكتاش عقب المقابلة مع ياقيش إلى أن مباحثات الجانبين كانت جيدة ولا يوجد أى



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء ماليزيا

والتعليم، وجامعة الأزهر بها أكثر من سبعين كلية بالقاهرة وبمعظم محافظات الجمهورية، وفيها الكليات الأصلية مثل كلية الشريعة وكلية اللغة العربية، وكلية أصول الدين، وكلية الدراسات الإسلامية، وكلية الدعوة، إلى جانب الكليات الأخرى كالشريعة والقانون والطب والهندسة، وطب الاسنان والزراعة والتربية الرياضية، واللغات والترجمة جميع التخصصات موجودة بكليات جامعة الأزهر للبنين وللبنات.

وقد أثنى فضيلته على طلبة وطالبات ماليزيا من الناحية الخلقية ومن الناحية العلمية، حيث يمتازون بالأخلاق الطيبة الحميدة، ويقبلون على العلم إقبالا طيبا ومنهم من حصل على الدراسات العليا من الأزهر الشريف.

وقال فضيلته: إننا نقبل الطلاب الذين يأتون عن الطريق الدبلوماسى أى عن طريق السفارة، وهم يتعلمون بجوار إخوانهم من الطلاب المصريين ويقبلون فى مدينة البعث الإسلامية،

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء دولة ماليزيا والوفد المرافق له، حيث أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن ترحيب الأزهر الشريف بسيادته وضيوفه الكرام، وأوضح أن صلة الأزهر الشريف بدولة ماليزيا قديمة وعميقة منذ أكثر من خمسين عاما، وأن الآلاف من طلبة وطالبات ماليزيا يدرسون بالأزهر الشريف وقد تخرج فيه أعداد كثيرة ومنهم من يشغل مناصب عليا بدولة ماليزيا الشقيقة. وشرح فضيلته نظام الدراسة بالأزهر الشريف الذى يهتم بحفظ القرآن الكريم إلى جانب دراسة العلوم الأخرى الشرعية واللغوية والثقافية والرياضية، والدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والتوسط وبعيدة كل البعد عن التطرف والتعصب والعنصرية، وإلى جانب الدراسة الأزهرية يدرس الأزهر الشريف جميع المواد الأخرى التى تدرس فى مدارس التربية



دولة ماليزيا في الصيف القادم، وقد وعد فضيلته بدراستها تمهيدا لتبليتها.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الاوقاف ورئيس بعثة الشرف وقيادات وعلماء الأزهر الشريف، وقد دعاه فضيلة الإمام الأكبر لإلقاء محاضرة لطلاب مدينة البعوث الإسلامية من دولة ماليزيا وغيرها من الدول وكانت المحاضر بعنوان: **(الاتحاد الإسلامي في مواجهة التحديات والتهديدات)**.

وتحدث فيها عن أن من يطبق تعاليم الإسلام هو الذى يسعى للعلم ولقوة الإسلام والمسلمين وتساءل عن المهانة التى يعيشها الإسلام والمسلمون وهل الدنيا للكبار، والآخرة للمسلمين؟ ولم يفعل المسلمون ذلك والنبي لم يفعل ذلك؟ والإسلام دين واحد، ليس إسلاما سنيا وشيعيا وغيرهما؟ من طوائف يكفرون بعضهم بعضا (الأحزاب فى ماليزيا يكفر بعضهم بعضا، من لم يصوت لهذا أو لذاك) ويرجع ذلك إلى التشرذم وعدم الاهتمام بأمر الإسلام ذاته، ومن أجل ذلك المسلمون اليوم متشرذمون يقاتل بعضهم بعضا ويدمرون أنفسهم ويدمرون صورة الإسلام، وقد لجأ بعض المسلمين إلى العنف والإرهاب، فهل استفاد المسلمون من ذلك؟ أعداء الإسلام وجدوا فى ذلك سبيلا للعدوان على المسلمين والانتقام من المسلمين، وقد ضاع الطريق من المسلمين (ضلوا الطريق). ويتساءل المرء: هل نحن على الطريق المستقيم؟ إننا نبتعد كثيرا عن الإسلام ولا بد أن نعود مرة أخرى إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة، الإسلام دين السلام تحيتنا السلام، فهل هى كلمة خاوية؟ لا بد

على منح من الأزهر الشريف ويلقون كل وسائل الرعاية الاجتماعية والصحية، حيث إنه يوجد لدينا فى مدن البعوث طلاب من ٩٦ دولة منهم البنين ومنهم البنات، وتوجد مدينة خاصة بالبنات ويلقون المحافظة والرعاية الكاملة أيضا.

ومن جانبه أشاد الضيف بما تقدمه مصر وأزهرها الشريف للطلاب وطالبات ماليزيا للتعليم بالأزهر الشريف لأن التعليم فى الأزهر الشريف يحتل بالنسبة لطلبة ماليزيا الدور الهام والأساسى لأنهم يحفظون القرآن الكريم ويعرفون تفسيره ويحفظون الأحاديث النبوية الشريفة وعلوم الشريعة واللغة، ومن أجل ذلك حينما يعودون يجردون العمل فى ماليزيا ويحتلون أرقى وأعلى المناصب، والأزهر الشريف وقف بجانب دولة ماليزيا أثناء الاحتلال وهذا دور عظيم لا يمكن أن ننساه أبدا، وأبدى الضيف سعادته الغامرة بزيارته لمصر وأزهرها الشريف، وأكد سيادته على قبول الطلاب الماليزيين الذين يحضرون عن طريق السفارة، أما الذين يأتون على حسابهم الخاص فهؤلاء حينما يعودون إلى ماليزيا لا يكونون على المستوى المطلوب ولا يتم تعيينهم فى المناصب الهامة بل قد لا يجدون عملا ويكونون عبئا على الدولة.

وقدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المصحف الشريف، وكتاب الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والإنجليزية وأبحاث مؤتمر هذا هو الإسلام هدية للضيف، وشكر الضيف حسن اللقاء والحفاوة البالغة التى قوبل بها ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة

والسادة النواب، والسادة سفراء الدول الإسلامية، وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ شوقي نويجي رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وعلماء الأزهر الشريف ورجال الصحافة والإعلام.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية عمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي وزير الخارجية العماني / يوسف بن علوي يرافقه سفير سلطنة عمان بالقاهرة حيث رحب فضيلته بهما مشيداً بالدور الذي تنتهجه سلطنة عمان تجاه القضايا الإسلامية والعربية، وأن السلطنة تبنى ولا تهدم تعمير ولا تخرب، ولا تتدخل في شئون غيرها من الدول، ولها مواقف قوية وسديدة، وأن السلطنة تتقدم وترقى، وتطرق الحديث إلى التعليم الأزهرى منذ مراحل التمهيدية وحتى الجامعة، حيث شرح فضيلته نظام التعليم في الأزهر الشريف وفي جامعته العريقة، مؤكداً على أن رسالة الأزهر الشريف الأساسية هي حفظ القرآن الكريم وتفسيره تفسيراً صحيحاً بعيداً عن المغالاة والتعصب والعنصرية، وأكد على أن الأصول الإسلامية ثابتة وتهدف إلى إرساء قيم الخير والسلام بين البشر، ومناهج الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال، وتلقين النشئ المبادئ الصحيحة السليمة للإسلام، كما يدرس الأزهر الشريف العلوم الشرعية والعربية والثقافية، واللغات والحاسب الآلى.

أن نحقق السلام مع أنفسنا ثم مع غيرنا وأهل الأديان والحضارات الأخرى، هناك من يرتدى زيا معيناً ليكون مسلماً، القرآن الكريم يعلمنا أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم، قد نتنازع، ولكن لابد أن نبقى أخوة، وقال : لم يكن للمسلمين حدود أو تفرقة، وأصبحنا شيعاً كل يهتم بمجتمعه بدلاً من الاهتمام بالإسلام لقد أصبح المسلمون دمي يلعب بها الآخرون، وعلينا أن نتعرف على أخطائنا وعيوبنا، وأول ذلك التشرذم أن البعض يتجنب الصغائر ويرتكب أفحش الكبائر، لقد ضاع منا الهدف وانهمكنا فى الشكليات، لقد تجاهلنا جوهر الدين، بالعدل والسلام تكون الأمة أقوى، أسباب سوء الفهم أننا أصبحنا متخلفين وجرينا وراء العنف لننتقم، علينا أن نطور أنفسنا ليعتبرنا الغير ويحترم ديننا ثم ختم بقول الله تعالى :

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَفْئِسْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ ﴾ (١).

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ (٢).

حضر الندوة فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، والأستاذ الدكتور محمود شيخون نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف،

ويستقبل وفداً من مدرسي البوسنة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفداً من مدرسي مدارس دولة البوسنة الذين يتلقون دورة تدريبية بمركز اللغة العربية بجامعة القاهرة وعددهم (٤٠) دارساً، وقد رحب بهم فضيلته في مصر وأزهرها الشريف وتحدث إليهم عن فضل العلم وتعلم اللغة العربية وبخاصة لدى المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية مما يعينهم على فهم شريعة الإسلام فهما سليماً وصحيحاً، كما أوضح أنه رغم اختلاف الفقهاء في بعض الفروع إلا أنهم متفقون على أنه لا خلاف ولا اجتهاد مع النص، وكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم، وأنه لا خلاف على الأصول، والدين الإسلامي دين يسروهو واضح وضوح الشمس، وأنه يواكب التطورات التي تحدث، والأزهر الشريف يقوم بتدريس المواد الشرعية والعربية إلى جانب المواد الثقافية واللغات، ويساير متطلبات العصر مع التأكيد على حفظ القرآن الكريم، والدراسة تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة في الأقوال والأفعال .

وأجاب فضيلته عن أسئلة الحضور والتي دارت حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وحول النقاب والحجاب للمرأة المسلمة، والزواج من الأقارب، وآيات التحريم في القرآن الكريم، وشرح العلاقة بين الخالق والمخلوق، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين من أصحاب الملل الأخرى، موضحاً بأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأن

كما تطرق الحديث حول تحديد الربح مقدماً في حالة أن يكون البنك وكيلاً عن المودعين في استثمار أموالهم وبتراضى الطرفين وهى الفتوى التي بحثها مجمع البحوث الإسلامية .

وأوضح فضيلته أن كل حالة لها فتاها تدرس على حدة فليست كل المعاملات حلال وليست كل المعاملات حرام، وأكد على أن التعامل بالربا حرام حرام حرام .

وقد أشاد الضيف بهذا اللقاء المثمر وبدور الأزهر الهام في تعليم أبناء المسلمين في شتى أنحاء العالم أمور دينهم ببسر وسهولة ووضوح، كما تطرق الحديث حول مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الأخير وكان تحت عنوان [هذا هو الإسلام] والذي عقد بالأزهر الشريف والذي أظهر صورة الإسلام الصحيحة وظهر ذلك جلياً في الأبحاث التي قدمت في هذا المؤتمر وتم مناقشتها وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأبحاث تم طبعها في مجلدين كبيرين وقامت العلاقات العامة بمكتب شيخ الأزهر الشريف بتوزيعها على السفارات في القاهرة وعلى السادة الأعضاء الذين شاركوا في المؤتمر من خارج مصر، ومن مصر أيضاً، وإلى الهيئات والمؤسسات التي تستفيد من هذه الأبحاث، وناقش وزير الخارجية إمكان إعداد مناهج تعليمية مثل مناهج الأزهر تدرس بالمدارس في الدول الإسلامية يشرف عليها الأزهر الشريف للتأكيد على الثوابت الدينية التي تحت على الفضيلة ومكارم الأخلاق من مصادرها الأصلية .

الإسلام يمد يده بالسلام لكل من يمد إليه يد بالسلام.

ثم التقى الوفد بفضيلة الشيخ / على أبو الحسن الأمين العام المساعد للدعوة الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف والذي قام بدوره بالرد على العديد من الأسئلة والاستفسارات الدينية، والرخص التي رخص بها الإسلام مثل المسح على الخفين، وقصر الصلاة في السفر، والجمع في الصلاة، والفطر للصائم إلى غير ذلك من الأسئلة التي طرحها الوفد.

الإمام الأكبر يستقبل مبعوثا من الخارجية الألمانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور السفير جونز مولاك مفوض الحوار الأوروبي الإسلامي بوزارة الخارجية الألمانية والوفد المرافق، رحب فضيلته بالوفد في الأزهر الشريف مشيدا بالعلاقات الطيبة بين الأزهر الشريف وألمانيا وأنها قديمة، وأن كثيرا من علماء الأزهر الشريف تلقوا دراستهم العليا في ألمانيا، وأن موقف ألمانيا واضح تجاه القضية الفلسطينية والعراقية، وأوضح بأن الأزهر يرحب بالحوار دائما، ويوجد بالأزهر الشريف لجنة للحوار، وأن طلاب العالم الإسلامي يدرسون على منح من الأزهر ويقيمون بمدن البعثات الإسلامية يتلقون العلم النافع إلى جانب إخوانهم في مصر. ومن جانبه شكر الضيف فضيلته على حسن الاستقبال وعلى المعلومات التي سمعها، وأشاد بدور الأزهر ومكانته العالمية في العالم كله وخاصة في دولة ألمانيا، وقال: إن

الأزهر الشريف جامعة كبيرة تقدم العلم والقيم الإسلامية المعتدلة، وأن زيارته جاءت لتدعيم الحوار مع العالم الإسلامي. وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن سؤال حول مفاتيح السلام التي يملكها الأزهر الشريف لدى مسلمي العالم أجمع وقال فضيلته: إن المفتاح ليس في يد الأزهر الشريف وحده ولكن لابد من أن تتكاتف المفاتيح جميعها والأزهر يوضح ويبين التعاليم السمحة المعتدلة للإسلام ولا يتدخل في شئون الشعوب أو الديانات. وحول سؤال عما يحدث في فلسطين والعراق أوضح فضيلته أن وجهة نظره الشخصية هي أن يجلس الأطراف المعنية ويتناقشوا فيما بينهم، ولابد من إيجاد قوة دولية للفصل بين الجانبين بحزم وقوة حتى يمكن إعطاء الفرصة للوصول إلى الحل، وأثناء ذلك من يعتدى من الطرفين على الآخر على هذه القوة أن تقوم بردعه وإذا كان الشعب الفلسطيني يصد العدوان عليه بالحجارة رغم تفوق الجانب الآخر بما يملكه من الأسلحة الحديثة، فكيف تعتدل الموازين؟ وإذا أرادت أمريكا أن تحسم هذا النزاع فهي قادرة، والأزهر الشريف عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م كانت له وجهة نظر سباقة تجاه هذا الفعل الأثيم، وأعلنه الأزهر للعالم أجمع، لأن وظيفتنا توضيح الأمور الدينية، وليس لدينا خلاف حول العقائد، لأن لكل إنسان عقيدته، ولا إكراه على العقائد والعقلاء في العالم، والشرايع السماوية، الكل يعلم أن العدل فضيلة، والظلم رذيلة، والصدق فضيلة والكذب رذيلة وإذا كان الغرب لا يسمع المفاهيم الصحيحة للإسلام من الأزهر

ولجأ إلى السماع ممن لا يفهم الإسلام فهذا عائد إليه وإلى وسائل الاعلام المغلوطة، وأن أمريكا والغرب حينما احتضنا الإرهابيين الذين صدرت ضدهم أحكام والفارين من العدالة، وكان ذلك تحت مسمى حقوق الإنسان فهذا الأمر يسبب الخلل، وعلى وسائل الاعلام أن تبين صورة الإسلام الصحيحة من الأزهر الشريف، ونحن لا نقصر في هذا ولكن أين السامعين، وأنتم تسمعون من الإرهابيين ولا تسمعون من الأزهر الشريف، وقد حضر إلى الأزهر آلاف من الاعلاميين والصحفيين من كل دول العالم وشرحنا وبيننا ووضحنا وعليهم أن يعلنوا ذلك في بلادهم ودراسنا في الأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط ونعتبر الناس جميعاً إخوة وجدوا من أب واحد وأم واحدة وعلينا أن نتعاون ونتبادل المنافع فيما بيننا، ونحن نمد يداً بالسلام إلى كل من يمد يده لنا بالسلام، ولكن إذا اعتدى على أحد أو أخذ أرضي بالقوة فيجب على أن أَدافع عن أرضي وعرضي وديني، وفي نهاية اللقاء شكر الضيف لفضيلة الإمام هذا الحديث الطيب وأنه هو الحق بعينه، وأعلن أنه استفاد منه، وأن حديثه شيق ومفيد موضحاً بأن ألمانيا ضد الحرب على العراق، وضد الاعتداء على الشعب الفلسطيني، ثم التقى الوفد برئاسة لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

ولجأ إلى السماع ممن لا يفهم الإسلام فهذا عائد إليه وإلى وسائل الاعلام المغلوطة، وأن أمريكا والغرب حينما احتضنا الإرهابيين الذين صدرت ضدهم أحكام والفارين من العدالة، وكان ذلك تحت مسمى حقوق الإنسان فهذا الأمر يسبب الخلل، وعلى وسائل الاعلام أن تبين صورة الإسلام الصحيحة من الأزهر الشريف، ونحن لا نقصر في هذا ولكن أين السامعين، وأنتم تسمعون من الإرهابيين ولا تسمعون من الأزهر الشريف، وقد حضر إلى الأزهر آلاف من الاعلاميين والصحفيين من كل دول العالم وشرحنا وبيننا ووضحنا وعليهم أن يعلنوا ذلك في بلادهم ودراسنا في الأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط ونعتبر الناس جميعاً إخوة وجدوا من أب واحد وأم واحدة وعلينا أن نتعاون ونتبادل المنافع فيما بيننا، ونحن نمد يداً بالسلام إلى كل من يمد يده لنا بالسلام، ولكن إذا اعتدى على أحد أو أخذ أرضي بالقوة فيجب على أن أَدافع عن أرضي وعرضي وديني، وفي نهاية اللقاء شكر الضيف لفضيلة الإمام هذا الحديث الطيب وأنه هو الحق بعينه، وأعلن أنه استفاد منه، وأن حديثه شيق ومفيد موضحاً بأن ألمانيا ضد الحرب على العراق، وضد الاعتداء على الشعب الفلسطيني، ثم التقى الوفد برئاسة لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل سفير كازاخستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير/ بغداد أمر ييف سفير جمهورية كازاخستان بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير

ويستقبل وكيل الأمين العام للأمم المتحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور ثريا أحمد عبيد وكيل الأمين العام للأمم المتحدة والمدير التنفيذي لصندوق الأمم المتحدة للسكان، وهى أول سيدة عربية مسلمة تتبوأ ذلك المنصب الرفيع بالأمم المتحدة وهى سعودية الجنسية، يرافقها الدكتور فيصل عبدالقادر محمد الممثل المقيم بصندوق الأمم المتحدة للسكان بجمهورية مصر العربية رحب فضيلته بها فى الأزهر لشريف مشيدا بالجهود الذى تبذله لخدمة البشرية، ومؤكدا على أن الأزهر الشريف على استعداد لتقديم العون لخدمة الأسر والمرأة والطفل فى زمن كشرت فيه المشاكل، وأشار فضيلته إلى أن الأزهر الشريف يسير على نهج التربية الإسلامية من المرحلة التمهيدية وحتى الانتهاء من المرحلة الجامعية مؤكدا على أن حفظ القرآن له الأولوية منذ المرحلة الأولى فى التعليم إلى جانب دراسة المواد الشرعية والعربية والثقافية واللغات والكمبيوتر، وأوضح فضيلته أن تنظيم الأسرة جائز شرعا ما دام الزوجان متفقين على ذلك، وهناك حالات يرجع فيها إلى رأى الطبيب المعالج وتحديد فترات الحمل طبقا لما يراه ولكل حالة منا يناسبها، ونحن نحترم رأى الأطباء من توجيهات وإرشادات، وقال: نحن فى زمن التخصص وفى زمن يسوده العلم، وبدأ الوعى يزداد لدى الناس ولدى العامة فى مصر وقد وضحت الأمور بصورة جلية.

ومن جانبها شكرت الضيفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما سمعته من آراء بناءة وسعدت بهذا اللقاء الذى استهلته بزيارة الأزهر الشريف وشيخه العالم الفاضل مؤكدة على دور الأزهر الشريف الذى وصل صدها الى دول أوروبا وأمريكا فى الأمور الدينية التى توضح صورة الإسلام الصحيحة وكذا دور الأزهر فى دعم قضايا الصحة والأسرة والطفل فى إطار مشروع الحكومة القومى للدراسات السكانية، وأن كثيرا من الكتب قد ترجمت إلى لغات مختلفة فى هذا الخصوص ومنها ما يخص الشباب ورعايتهم فى ظل السلوك السوى، وقضايا السكان عموما، وفى نهاية اللقاء قدمت الشكر والتقدير للأزهر وشيخه وعلمائه وخطباء المساجد لتناولهم الموضوعات التى تدور حول مشكلة الأسرة وما يقدمونه من شرح وإرشاد وتوعية وحلول حضر اللقاء الأستاذ الدكتور / جمال أبو السرور عميد كلية الطب السابق، ومدير المركز الإسلامى للدراسات السكانية بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً من ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد ولاية سراوك الماليزية برئاسة حاج عدنان حاج ساتيم وزير الزراعة ومدير مؤسسة سراواك، رحب فضيلته بالوفد الماليزى مشيداً بعمق العلاقة بين الأزهر وماليزيا فى مجال التعليم منذ زمن بعيد حيث إن الآلاف من طلاب ماليزيا يدرسون فى الأزهر الشريف ويعودون إلى بلادهم ليقوموا بتعليم أبنائهم وإخوانهم فى ماليزيا وكثير منهم يحتل المناصب العليا، وهذا واجب الأزهر

الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلته كلمة هنا فيها الخريجين، وحثهم على مواصلة القراءة والاهتمام بمتابعة حفظ وقراءة القرآن الكريم، وحثهم على نقل ماتعلموه لأبناء بلادهم فى سهولة ويسر بعيداً عن المغالة والتشدد، وأن يظهرُوا يسر الإسلام وسماحته، وعليهم أن يتحلوا بمكارم الأخلاق وأن يكونوا قدوة سلوكية طيبة حتى يقتدى بهم إخوانهم وأبناءؤهم فى بلادهم، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تكون خالصة لوجه الله - عز وجل - ولخدمة دينهم ووطنهم، وأن يكونوا على صلة وتواصل بالأزهر الشريف ويذكروه ويذكروا مصر بالخير والعرفان، داعياً لهم بدوام السداد والتوفيق فى رسالتهم التى هى رسالة الأنبياء، ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج ومكتبة إسلامية تحوى أمهات الكتب لتكون مرجعاً لهم، كما افتتح فضيلته أعمال الدورة التدريبية العالمية رقم ستين لعدد ثلاثة وعشرين عالماً من دول: الجزائر، الكامبيرون، تنزانيا، ماليزيا، المالديف، والتى تبدأ بمدينة البعوث الإسلامية اعتباراً من ٢٠٠٣/٢/١.

حضر الحفل فضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف وفضيلة الشيخ/ السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ/ على أبوالحسن الأمين العام المساعد للدعوة الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ/ عبدالحالق نصير الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف

تجاه أبناء العالم الإسلامى وأشاد فضيلته بطلبة ماليزيا وأنهم يمتازون بحسن الخلق والسلوك والمثابرة فى طلب العلم، وقد أكد فضيلته على أهمية تدريس اللغة العربية للنشء الماليزى فى مرحلة التعليم الأساسية والذى من شأنه معرفة قراءة القرآن وفهم معانيه وهو أمر لاغنى عنه لفهم الدين الصحيح بوضوح، وشرح فضيلته نظام الدراسة فى الأزهر الشريف.

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء والشرح الوافى الذى أفاده كثيراً وقدم شكر بلاده حكومة وشعباً على دور الأزهر الهام للمسلمين وقال إن سكان ماليزيا يبلغ تعدادهم ٢٢ مليون نسمة نسبة المسلمين ٦٠٪ منهم، والدين الرسمى للدولة هو الإسلام وهذا منصوص عليه فى الدستور، وقال: إن الدولة أخذت على عاتقها تدريس اللغة العربية منذ العام الماضى للمراحل الابتدائية ليكون ذلك معيناً لهم فى فهم معانى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

الدورة التدريبية لأئمة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج علماء الدورة التدريبية العالمية التاسعة والخمسين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى لعدد واحد وعشرين عالماً من دول: الصين، الجزائر، الفلبين، بنين، البانيا، الكونغو برازافيل ولمدة ثلاثة أشهر اعتباراً من ٢٠٠٢/١١/١، حيث تلقوا خلالها العلوم والمعارف الإسلامية المتنوعة والتدريب على الفتوى من العلماء المتخصصين من الأزهر وجامعته العريقة وعلى رأسهم فضيلة الإمام



Strange expressions such as “ Political Islam theory after the 11th of September” have existed. We would like to assert that Islam is a perfect religion fits all ages ; a religion that does not force or coerce anybody to embrace it. Moreover, we don't fear loosing it as Allah, Glory be to Him, is The one Who can preserve it as He says:

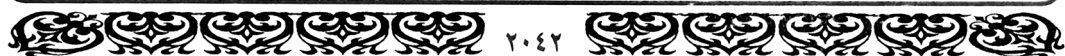
﴿Surely We, even We, have been sending down the Remembrance and surely We are indeed Preservers of it ﴾

[Al-Hijr(Thamûd's Habitation): 9].

Their thinking led them to carry out a study on the Arab world made by a selected group of the foreign and Arab professors who were taught in their countries. The pretext aim of this study is to help the others and the result was “Hell covered by superficial mercy”. What concerns us in this study is woman's status. According to their reports, woman's status is very degraded as she lives under circumstances of extreme injustice symbolized in circumcision, not practicing her rights to elect and can be the second, third or fourth wife, etc. to reply, the truthful Islamic religion gives woman all her due rights.

It is war without quarters as efforts and bargains are stuck in order to allow U.S.A to get the support of the European countries to adopt the American points of views in order to be able to impose its prospective.

In conclusion, we should join ranks and fill the gaps among us after we have left the arena for Zionism to practice its filthy acts against others. It is stated in their distorted Tawrah that those who plant with tears, harvest with joy. It seems that Sharon's generation understood it as “the Palestinian women's tears shed on their children.”



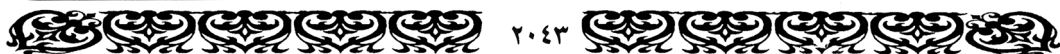


it began its second stage namely the Idea of “ Evil Axis” that involves two Islamic countries in addition to North Korea.

This indicates that the American administration succeeded in making use of the event and attaching the consequences to Islam and Muslims. It is worth mentioning to indicate that the American aim is not to establish democracy but to change regimes and to found those who can accept Islam, regime and rule, according to the American way and what benefits its policy. Moreover, I would like to refer to the poisonous Zionist Jewish pens that regard whoever dares to uncover any of the Israeli extreme injustice aspects as anti-Semitist while we are the descendants of Sam, the son of Nuh “Noah” peace of Allah be upon him. They managed to snatch a French law forbids and commits whoever dares to say a word committing them or questions their lies and fabrications and he shall be put to trial and even jailed.

From the religious perspectives, Israeli rabbis are behind all different kinds of crimes committed against the non-Jewish rich people. They put themselves at the service of the Israeli army violating all the religious commands and prohibitions. Their religious opinions are always ready. Consequently, the minds of West are under the Jewish control for their possession of mass media and their means of brain-washing.

Jewish rabbis had planted the hatred of all the other nations in the minds of their people as other nations, according to them, are nothing but pagans. So, they issued religious decrees stating that Allah’s chosen people should not be related by marriage to those pagans and that they should consider them a threat : being related to those pagans is considered an unsacred marriage.





***Islamic Nations**
Won't Be Reshaped By The USA
By: Dr. Muhammad Hassan Abdul-khaliq

All nations experience moments of winning and others of loss, however, life goes on, generations follow and we forget or pretend to forget owing to life's problems and events. Only history records and truly depicts what had happened without interference from any body whatever tries to falsify facts or legalize his criminal acts whatever resorts to flexible terms that have no specific meaning such as "Fighting Terrorism", "Protective Shield" or even "Anti-Semitism". What had been recorded by history is manifest to all people. It has become obviously, that we are witnessing and living in a stage of one pole, namely, "Who is with us and who is against us?"

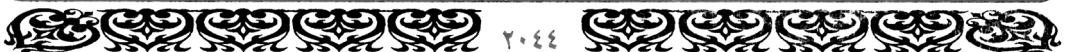
A harmful thing might turn to be beneficial". The 11th of September, 2001 event, despite our Arab Islamic nations, rejection, on all levels, to this criminal act – no one up till now has been declared to commit it and it seems that investigations will not come to an end - that shook the feelings of the whole world, US seized the opportunity to impose its sovereignty on the whole world. USA' first experiment was the Muslim Afghanistan – it is only the beginning – and it seems that the 11th of September event has left its effect on the American and international level.

The current question is:

Does USA seek revenge? And from whom?

If it means Al-Qa'idah and Talban (The Afghani organizations), it has already achieved its revenge in Afghanistan. US does not have one aim but it has next ones as

* An Article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.





As stated in the verse, the principle of communication with others is obligatory; if it is related to legal duties and it is preferable; if it is a means of getting acquainted with others and disseminating the call of Allah.

Qur'an commands us to consider the intellectual and cultural level when communicating and arguing with others as the aim of communication is not just to convince or overcome the opponent but it is arguing with wisdom and fair admonition, as well as disputing with them in the fairest way. Aims of communication will not be achieved except through a tender heart and sweet tongue as stated in the Book of Allah (while addressing the Messenger):

«So, it was by (some) mercy from Allah that you have been lenient with them; and if you have been stern (and) harsh of heart, they would indeed have broken away from round about you; so be clement towards them, and ask forgiveness for them, and take counsel of them in the command.»

[Al-Imran (The Household of Imran) :159].

To conclude, the Ever-Glorious Qur'an differentiates between two kinds concerning the population of the Book as they contain the unjust, stubborn and unreasonable contender in addition to the just, and those who fulfill their promises, so we should not issue a general verdict that involves both. Allah, Glory be to Him, revealed:

«They are not (all) equal; of the population of the Book is an upright nation, (who) recite the signs of Allah at various times of night, as they prostrate themselves (to Him). They believe in Allah and the Last Day, and command beneficence and forbid maleficence, and vie swiftly charitable deeds; and those are of the righteous.»

[Al-Imran (The Household of Imran) :113-114].

Those are some general features that are stated in the verses of Qur'an to be bases for our communication with others.





Islam obligates amicability, getting acquainted even with those who disagree with it as long as they live in peace with Muslims as Allah, The Al-Mighty, says:

﴿Allah does not forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them; surely Allah loves the equitable ones. Surely Allah only forbids you as to the ones who have fought you on account of the religion, and driven you out of your homes, and backed (others) in driving you out, that you should patronize them; and whatsoever patronizes them, then those are the ones who are unjust.﴾

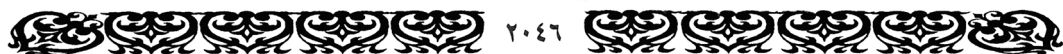
[Al-Mumtahanah (The Woman Tested): 8-9]

All people are equal, as Islam does not make any distinction between the Muslim and the non-Muslim especially in the field of dealings as in penalties of crimes. Islam's great rule of how to deal with the non-Muslims can be summarized in ***"Muslims and non-Muslims are to be treated equally."***

Such religion, that gives rights to others the same as to its followers even their rights are inviolable and sacred among the Islamic Community, is a religion calling for communication, mutual understanding and cooperating on benignancy and piety, not on vice and hostility. It is a religion that stresses that all the prophets' calls are but one and that they all came with the call of monotheism. They called for believing in Allah and worshipping only Him as well as believing in the existence of angels and earlier prophets. Moreover, they called for doing good, leaving odious deeds, avoiding evil matters and sticking to morals and values. All this is involved in the word ***"level"*** stated in the Ever-Glorious Qur'an:

﴿Say "O population of the Book come to a level word between us and you, that we worship none except Allah.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran) 64].





**Method of Communication
In Islam**

**By: The honorable sheikh,
Mahmoud Abdul-Ghany Ashour,
Al-Azhar Deputy.**

A perfect method of dealings and communication is established by Islam. It decides distinction among people and races and sets rules for this distinction. It also connects Muslims to other mankind despite their different cultural belongings with ties of human brotherhood emanating from the unity of the human origin. Furthermore, it obligates Muslims to cooperate, coexist and get acquainted with others. In addition, it commands them to spread good among all people regardless of their religions, races and colors. Allah, The Ever-Truthful, revealed:

﴿O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.﴾ [Al-Hujurat (The Apartments) : 13]

Communication is considered an obligatory duty and legal necessity for Muslims as the message of Islam is a universal one that is not restricted to one race, color, country, etc. Qur'an, in most of its verses, addresses all mankind. Qur'an emphasizes human brotherhood and peaceful coexistence and it aims at spreading good, progress and prosperity. This brotherhood among humanity is stated in Allah's Ever-Glorious Book:

﴿Say, "We have believed in Allah, and in whatever has been sent down on us, and whatever was sent down on Ibrâhîm and Ismâ'îl and Ishâq and Ya'qûb, and the Grandsons and in whatever was brought to Mûsâ and Îsâ and the Prophets, from their Lord; we make no distinction between any of them and to Him we are Muslims."﴾ [Al-Imran (The Household of Imran) : 84]



while performing the rites of pilgrimage saying: "I wonder how the Messenger of Allah was spending nights and nights in that deserted, remote cave. When I was young in age and enjoying health, I was trying to climb to the top of that mount to see that cave with my own eyes. My friends and I were doing our best to reach that cave and whenever I feel tired and exhausted, they encourage me to continue. Although we were company, we witnessed a great difficulty in our journey. So, how did Muhammad bear such journey?" This question is an answer in itself. In other words, Muhammad was only a human but the difference is that he was supported by Allah. Jermanous added: "Why does not history record this among the other miraculous deeds of the Messenger?"

The greatest benefit one can obtain during this journey of faith is one's true feelings concerning Islamic brotherhood that extends to cover all the five continents. At pilgrimage, one finds something he has never seen before as he sees people from many races and colors and speaking different languages and each of them is wearing clothes similar to the others; there is no fancy clothes. So, one can say that pilgrimage is the first step toward mutual Islamic acquaintance and establishing Islamic unity. Islam is the real home for all Muslims as the Arab poet once said:

Islam is my father I have no father but it.

Pilgrimage has a deep effect concerning the repentant i.e. he shall observe his future deeds and shall bear in his mind that if he commits any sin, he may not have the chance to repent again. Similarly, the case applies to the one who returns to his home after performing pilgrimage as he feels the difference whether in his new look to himself or others' looks to him. In brief, pilgrimage is considered a stage of transition between one's past and one's present and even future.





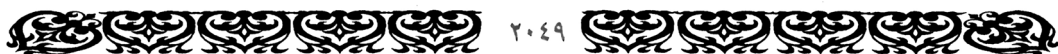
there is no mediation between man and his Lord. Ironically, man kneels before a man just like him in order to grant him forgiveness for his previous sins. However, when man resorts to the Creator of the earth and heaven in a kind of secret talk involving and repentance, he feels spiritual tranquility and without letting anybody into his secrets. When a Muslim travels to Allah's Sacred House while repenting and regretting and whenever he goes to perform one of the rites of pilgrimage, his heart shall beat strongly out of true faith and his tongue shall never stop glorifying and invoking Allah. In addition, man will seclude himself to supplicate Allah asking for His forgiveness and wishing that He would accept his true repentance. In such a spiritual atmosphere, man will feel a refreshing breeze on his face entering into his lungs and expanding his breast. Furthermore, he will feel as if a heavy mountain that was lying heavily on his chest was removed, so he will feel like a winner. Allah is Compassionate towards His bondsmen as He, Glory be to Him, revealed:

«Invoke Me and I will respond to you.» [Surat Ghafir (The Forgiver) : 60].

That feeling of spiritual relief cannot be obtained at any place else other than the House of Allah and while performing the rites of pilgrimage. After this, one is now ready to start a new era of his life.

Among the other benefits that the pilgrim can get when he reaches the place where the Glorious-Qur'an was revealed, is the increase of faith in the Prophet. The pilgrim sees the sacred spots on which the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, had trodden as well as the spots that witnessed his efforts in disseminating the Islamic Call among the disbelievers.

The Magarian professor of history at Magar University Abdul-Kireem Jermanous, who embraced Islam talks to us describing his great amazement when he saw the *Mount of Hira'*





Pilgrimage Is Moral Elevation And Spiritual Purification

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

Man needs to entertain and relieve himself with a journey by which he leaves his permanent place of residence and goes to a place for a week or two where he can spend summer or winter. And after that, he returns to his residence after enjoying changing of sights and meeting people whom he did not see before. He wishes nothing more than talking about his journey with his acquaintances. Moreover, he may do it again in the next year.

That journey I have been talking about and explaining its fruits and benefits is a mere worldly journey which does not have any spiritual dimensions elevating man from the narrowness of earth to the broadness of heaven. So, if we move from this desired journey to the journey of pilgrimage (to the Sacred House), we shall realize the extreme difference between the two. All that the one on a journey can get is available in pilgrimage in addition to the miracle of salvation. One will realize that Allah guards and watches him and that there is a reward waiting for him in the Hereafter.

The first benefit that the pilgrim can obtain is purification from his previous sins. He will return to his home newly born. There (at the Sacred Land) man surrenders his face to Allah asking for His guidance away from odious matters and evil thoughts. In some religions, there is what we call “**Chair of Confession**” where those believing in such religions go and sit to a priest in order to make their confessions and reveal their hidden sins that may, in many cases, lead to being despondent of the mercy of Allah. After making one’s confession, one would think that his sins are forgiven, so he will feel ease and comfort. In contrary, Islam is a religion that treats all people equally as,



Memories of Pilgrimage

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

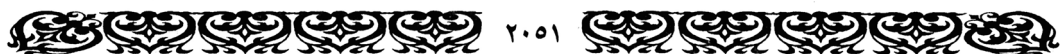
Allah has bestowed favors upon me with a minor pilgrimage and pilgrimage at two different times of the last year (1422 A.H.). When performing the first, Saudi newspapers and TV channels were celebrating, like a wedding, the embracement of the Italian Ambassador in Saudi Arabia, Turcowato Cardilli, of Islam. His embracement is considered as a sweeping reply to the offensive attack launched against Islam and its civilization by the Italian Prime Minister, Perlisconi.

As for the second, namely, pilgrimage where souls of Muslims all over the world strive for performing the rites of pilgrimage, seeing the honorable Ka`bah and performing prayers as they could at the Ancient House in a kind of respond to the call of the father of the prophets, Ibrahim (Abraham), may the peace of Allah be upon him, saying:

«Our Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at Your Inviolable House. Our Lord, that they may keep up the prayer, so make heart-sights of mankind yearn towards them and provide them with products, that possibly they would thank (You).» [Ibrahim (Ibrahim) :37]

I was astonished to see this huge number of Muslims who came to perform the rites of pilgrimage. Rightly mentioned, the more Islam is criticized or attacked, the more Muslims stick and adhere to it like those who whenever stormy wind blows aiming at taking their clothes away their sticking to it increases.

My advice to those who hate and attack Islam would be, to ask the Muslim Turcowato Cardilli about the reasons behind his embracing Islam; perhaps Allah, the Most High, will guide them too.





**AL-AZHAR
MAGAZINE**

Dhul-Hijjah 1423 A. H.



**ENGLISH
SECTION**

Feb./ Mar.. 2003

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰنَا اللّٰهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

(Al A'raf 43)

**EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University**





الفهرس السنوى لعام ١٤٢٣هـ المحرم

- من الجديد عن حادث الهجرة النبوية (الافتتاحية) ٢
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى
- من وحى الهجرة ٢
لفضيلة الأستاذ الدكتور/
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ٨
- هجرة الرسول والطبع العربى ٨
للاستاذ الدكتور/ على عبدالواحد وافى ١٦
- املاً الأرض نوراً (قصيدة) ٢٠
للشاعر/ أحمد محرم
- الهجرة حدث تاريخى عظيم ٢٤
للشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح
- محنة مؤمن ٢٧
للاستاذ/ شوقى محمود أبونا جى
- الهجرة تذكير وإيناس ٣٠
للشيخ/ الطاهر الحامدى
- دلائل القدرة الإلهية ٣٦
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
- من آيات الله فى السماء ٤٠
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
- أمومة من صنع الإيمان ٤٥
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة
- من الإرهابى؟ ٥١
للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى
- كتاب الشهر: ٥٧
الهجمات الغرضية على التاريخ الإسلامى
عرض وتقديم أ.د/ إبراهيم عوضين
- عمرين الخطاب والقدس ٦٤
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى
- هل كان ابن رشد فيلسوفاً مادياً؟ ٧٠
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة
- النعمان بن مقرن المزنى ٧٥
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين
- طرائف.. ومواقف ٨٠
للاستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم
- الشباب.. والفراغ ٨٢
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
- شكر النعمة وجودها (١) ٨٦
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
- القدرة الإلهية والهام الحيوان ٩٠
للدكتور/ حسين عباس الأنصارى
- رسالة.. و..رد ٩٤
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان
- كيف نقدم إسلامنا للغرب؟ ٩٧
أجرى الحوار/ إسماعيل أبو الهيثم
- خطبة الجمعة: مصدر العزة ١٠٠
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى
- استفتاءات القراء ١٠٣
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس
- صرخة فى واد ١٠٦
للاستاذ/ مجدى بشير
- من الأدب العبرى ١٠٨
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق
- بين الصحف والمجلات ١١١
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى
- بين المجلة والقارىء ١١٣
إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة
- أنباء العالم الإسلامى ١٢٠
للاستاذ/ محمد الشرقاوى
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ١٢٢
للشيخ/ عمر البسطويسى





صفر

- إسرائيل تجربنا لحرب أمريكا
المحرر ١٢٩
- قدموا النص القرآني (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٣٢
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٣٧
- السلم
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيري ١٤٢
- مات المعتصم
لفضيلة الأستاذ الشيخ/ الطاهر الحامدي ١٤٨
- النفوذ اليهودي في أمريكا
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٥٢
- بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٥٧
- غدا ينطق الحجر
للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ١٦١
- من أجل مواجهة أكثر فعالية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٦٨
- فلسطين وسياسة أمريكا
للشاعر الكبير الأستاذ/ فؤاد الخطيب ١٧٥
- قصة العدو: وامثنياء
بقلم/ عابر سبيل ١٨٠
- لسنا إرهابيين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٨٧
- الأمة الوارثة وبشائر التمكين في الأرض
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٩٠
- حضارة قوم نوح
للدكتور/ على أحمد على ١٩٥
- القرآن دستور الإسلام
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٢٠٢
- الآثار النفسية في أسلوب القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٢٠٨
- اغتيال إسلامية فيلسوف
للدكتور/ محمد عمارة ٢١٤
- دروس في بناء الرجال
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٢٢١
- كتاب الشهر:
الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامى
عرض ونقد أ. د. إبراهيم عوضين ٢٢٩
- أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٢٤١
- أنظمو أوطاننا أسرا
للشاعر/ محمد مصطفى حمام ٢٤٨
- طرائف.. ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٥٠
- الشيخ محمد زكى إبراهيم
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشى ٢٥٢
- الإمام الزيلعى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٢٦٠
- شكر النعمة وجودها
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٢٦٥
- صرخة فى واد
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٢٦٩
- رسالة.. و..رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٢٧١
- خطبة الجمعة: جهلة بالسنة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٢٧٤
- استفتاءات القراء
تحجب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٢٧٧
- بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٢٨٠
- أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٢٨٥
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٢٩٠
- القسم الإنجليزى ٣٠٣



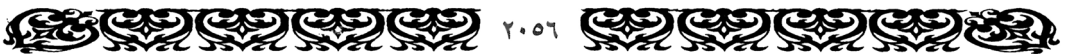
ربيع الأول

- في ذكرى المولد النبوي (الافتتاحية) ٣٠٦
لأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي
- مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني عشر ٣١٢
متابعة/ أحمد تقي الدين
- تفسير سورة البقرة ٣٥٠
لفضيلة الإمام الأكبر
- توجيهات تربوية من القرآن الكريم ٣٥٤
للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني
- من طاعة الله وعبادته ٣٥٩
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
- مواقف إسلامية ٣٦٣
للأستاذ الدكتور محمود عمارة
- أهديك التحية صارعاً (قصيدة) ٣٦٧
لفضيلة الشيخ/ محمد أحمد الطاهر الحامدي
- لنسا إرهابيين ٣٧٠
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى
- الإسلام وحقوق الإنسان ٣٧٣
للأستاذ الدكتور/ عبدالغفار حامد هلال
- الإسلام يخاطب المستقبل ٣٧٩
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
- فلسفة العقوبات في التشريع الإسلامي ٣٨٣
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى
- دعوة إلى العرب (قصيدة) ٣٨٧
للأستاذ/ كمال النجمي
- كتاب الشهر ٣٩٠
حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر
- عرض وتقدير د. إبراهيم عوضين ٣٩٩
للأستاذ/ فكرى ياسين
- حضارة قوم نوح ٤٠٣
للدكتور/ على أحمد على
- اغتيال إسلامية فيلسوف ٤٠٩
للدكتور/ محمد عمارة
- من أعلام الأزهر: ٤١٥
للأستاذ/ حمدي أبو السعود
- طرائف.. ومواقف ٤١٨
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم
- منزلة الذكر ومعانيه ودرجاته ٤٢٠
لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف
- الأمويون وتأكيده هوية القدس الإسلامية ٤٢٥
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي
- مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية ٤٣١
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد
- قصة العدد ٤٣٦
للأستاذ/ أحمد التاجي
- قراءة في الأدب الصهيوني ٤٤١
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق
- سقوط الأقنعة ٤٤٦
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي
- حول مصادر التفسير ٤٤٩
للأستاذ/ توفيق العبقري
- رسالة.. و..رد ٤٥٣
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان
- في أجواء السعادة ٤٥٧
للأستاذ/ مجدي عبدالحميد بشير
- بيان القرآن عن تكوين الإنسان ٤٦٠
للدكتور/ محمود خطاب
- بين الصحف والمجلات ٤٦٤
للأستاذ/ محمود الفشنى
- بين المجلة والقارىء ٤٦٩
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة
- أنباء العالم الإسلامي ٤٧٥
للأستاذ/ محمد الشرقاوى
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ٤٧٨
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى
- القسم الإنجليزي ٤٨٥



ربيع الآخر

- النص القرآني هو الفيصل «الافتتاحية» ٤٩٨
 ● للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٥٠٤
 ● الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ٥١٥
 ● تفسير سورة البقرة ٥٢٠
 ● لفضية الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٥٢٩
 ● في الأصول القرآنية للتربية ٥٣٣
 ● للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ٥٣٩
 ● السنة: العدل ٥٤٤
 ● لفضية الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيري ٥٤٩
 ● إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم ٥٥٧
 ● رسول الله ﷺ في شبابه ٥٦٤
 ● للأستاذ/ محمد حسن دراز ٥٦٧
 ● سماحة التشريع الإسلامي سرائره ٥٧٣
 ● للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٥٧٦
 ● مجالات التفاهات الشريف ٥٨٤
 ● للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٥٨٤
 ● التأويل الرشدي: عربي؟ أم غربي؟ ٥٨٤
 ● للأستاذ/ محمد عمارة ٥٨٤
 ● كتاب الشهر: حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر ٥٨٤
 ● عرض وتقديم أ.د./ إبراهيم عوضين ٥٨٤
 ● قصة العدد: الحظ السعيد ٥٨٤
 ● قيمة الكلمة «قصيدة» ٥٨٤
 ● للأستاذ/ عبد المنعم عبد الله حسن ٥٨٤
 ● الخطابة المثالية في مرآة النقد ٥٨٤
 ● للأستاذ الدكتور/ أحمد محمد حنطور ٥٨٤
 ● ضوابط حرية الاعتقاد في الإسلام ٥٨٤
 ● للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني ٥٨٤
 ● الإسلام وحقوق الإنسان ٥٨٤
 ● للأستاذ الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال ٥٨٤
 ● حقوق الإنسان.. رؤية أمريكية ٥٨٤
 ● للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ٥٨٤
 ● لاجئ ينشد وطنًا ٥٨٨
 ● للأستاذ/ خير الدين الزركلي ٥٩٣
 ● اليهود في الإعلام الأمريكي ٥٩٨
 ● للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٥٩٨
 ● نهاية إسرائيل محتومة ٦٠٥
 ● للأستاذ/ حمدي فتوح والي ٦١١
 ● فرق.. تسد ٦٢٠
 ● للأستاذ/ محمد حسن عبد الخالق ٦٢٤
 ● هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز ٦٢٦
 ● لفضية الشيخ/ الطاهر الحامدي ٦٣٠
 ● قول الحق.. أم.. نغوا المفتريين ٦٣٣
 ● للأستاذ/ على أحمد على ٦٣٥
 ● طرائف.. ومواقف ٦٣٩
 ● لفضية الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٤٨
 ● الحياء مظاهره وأقسامه ٦٤٨
 ● لفضية الشيخ/ فوزي الزفزاف ٦٥٠
 ● خطبة الجمعة: حضارة الذئاب ٦٥٤
 ● للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي ٦٥٨
 ● رسالة.. ورد ٦٦٤
 ● لفضية الشيخ/ عبد الفتاح جمعان ٦٦٤
 ● مناجاة قلب ٦٦٤
 ● للأستاذ/ مجدي عبد الحميد بشير ٦٦٤
 ● بين المجلة والقارئ ٦٦٤
 ● إعداد وتقديم/ عادل رفاعي خفاجة ٦٦٤
 ● من أنباء مجمع البحوث الإسلامية ٦٦٤
 ● إعداد/ محمود الفشنى ٦٦٤
 ● أنباء العالم الإسلامي ٦٦٤
 ● للأستاذ/ محمد الشرقاوي ٦٦٤
 ● أنباء مكتب شيخ الأزهر ٦٦٤
 ● لفضية الشيخ/ عمر البسطويسى ٦٦٤
 ● القسم الإنجليزي ٦٦٤





جمادى الأولى

- **الازدواج النفسى فى حياة الفرد (الافتتاحية)**
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٦٧٤
- **تفسير سورة البقرة**
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٦٨٠
- **السنة: الرهن**
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى
إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٦٨٥
- **هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز**
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٦٩٠
- **الأمة الإسلامية بين مرحلتى الاستعمار والنفاق**
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم عويس ٦٩٩
- **لماذا كان القصاص حقا مدنيا وليس جنائيا**
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٧٠٣
- **مواقف إسلامية**
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٠٩
- **الوسط فى الميزان الخلقى لدى المسلم**
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٧١٨
- **ابن شهاب الزهرى**
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحيدى ٧٢٢
- **اغتيال إسلامية فيلسوف (٥)**
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٢٨
- **الحضارة الإسلامية تتفوق ولا تتراجع**
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٧٣٤
- **كتاب الشهر:**
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم أ. د/ إبراهيم عوضين ٧٣٨
- **قصة العدد: مصرع ابن القاسم**
بقلم/ عابر سبيل ٧٤٧
- **بين الشرق والغرب (قصيدة)**
للشاعر الأستاذ/ محمود الخفيف ٧٥٥
- **عداوة أمريكا وصدافتها (١)**
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٧٦٠
- **الجيـتـو**
للأستاذ الدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٧٦٩
- **القوى الدينية فى إسرائيل**
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ٧٧٤
- **طرائف.. ومواقف**
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٧٨
- **الحلم والصفح من صفات الرسل والأنبياء**
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٧٨٠
- **الإسلام.. والحياة**
للأستاذ/ حسين عباس الأنصارى ٧٨٤
- **حكمة الإسلام فيما حرم من الطعام**
للأستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى ٧٨٨
- **الاهتمام بأدب الطفل فى الإسلام**
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم يونس ٧٩٣
- **سبحانك بديع السموات والأرض**
للأستاذ/ على أحمد على ٧٩٧
- **رسالة.. ورد**
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٨٠٤
- **الخطابة المثالية فى مرآة النقد**
للأستاذ الدكتور/ أحمد حنطور ٨٠٩
- **خطبة الجمعة**
الإسلام ضد الإرهاب
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٨١٤
- **اتقوا الله فى خير أجناد الأرض**
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ٨١٨
- **بين الصحف والمجلات**
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ٨٢٢
- **الجار.. حقوق وواجبات**
للأستاذ/ مجدى بشير ٨٢٧
- **بين المجلة والقارىء**
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٨٣٣
- **أنباء العالم الإسلامى**
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٨٣٩
- **أنباء مكتب شيخ الأزهر**
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ٨٤٤
- **القسم الإنجليزى**
..... ٨٦٣





جمادى الآخرة

- مصر عرفت التوحيد قبل إخناتون
لفضيلة أ. د. محمد رجب البيومي ٨٦٦
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى ٨٧٣
- الإعجاز التريوى فى القرآن الكريم
أ. د. مصطفى رجب ٨٧٩
- كسب الحلال والحرام
لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى ٨٨٣
- دعوة الإسلام إلى حب الأوطان
أ. د. أحمد عمر هاشم ٨٨٨
- لحظة تفضل العمر
أ. د. محمود محمد عمارة ٨٩١
- هوامش على كلمة د. أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٨٩٧
- عداوة أمريكا وصداقتها (٢)
أ. د. عبدالعظيم المطعنى ٩٠٥
- عثرات الماضى والعبور إلى المستقبل
أ. د. عبدالحليم عويس ٩١٣
- قومى بين الشرق والغرب (قصيدة)
للأستاذ محمود غنيم ٩١٦
- حوار حول فلسفة ابن رشد
أ. د. محمد عمارة ٩١٩
- وبدأ خلق الإنسان من طين
للدكتور/ على أحمد على ٩٢٩
- كتاب الشهر
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم أ. د. إبراهيم عوضين ٩٣٥
- قراءة نقدية فى كتاب تاريخ الطب
عرض وتعليق أ. د. أحمد فؤاد باشا ٩٤٤
- التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية
عرض وتحليل أ. د. محمد إبراهيم الفيومى ٩٤٩
- الأقلية العربية فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم ٩٥٦
- نعمة «رواية ليهودايورلا»
عرض وتعليق د. محمد حسن عبدالخالق ٩٦٩
- الصرخة (قصيدة)
شعر الأستاذ/ محمد فهمى سند ٩٧٣
- التدابير الوقائية للحد من الطلاق
أ. د. محمد الدسوقي ٩٧٥
- قصة العدة «قبل انبثاق الفجر»
للأستاذ/ محمد سعيد العريان ٩٨٠
- طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٩٨٦
- العلم والصف من صفات الرسل والأنبياء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٩٨٨
- رسالة .. ورد
لفضيلة الشيخ عبدالفتاح جمعان ٩٩٢
- أصول تربية النشء
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٩٩٥
- بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٩٩٦
- بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ٩٩٩
- أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٠٠٦
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ عمر البسطويسى ١٠٠٨
- القسم الإنجليزى
إعداد د. إبراهيم الأصيل ١٠٢٣





رجب

- السيرة النبوية والأدب الشعبي (الافتتاحية) ١٠٢٦
لأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي
- من تفسير سورة النجم ١٠٣٢
لفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ محمد سيد طنطاوى
- من صور الإعجاز البياني فى القرآن الكريم ١٠٤١
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة
- كليات القرآن الكريم ١٠٥٠
للدكتور/ على أحمد على
- الحكم فى نظر الإسلام ١٠٥٦
لفضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيرى
- من نفحات الإسرائء والمعراج ١٠٦٣
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى
- زيارة إلى بيت النبوة ١٠٦٧
لأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
- الحدود بين الرحمة والقسوة ١٠٧٦
لأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
- الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية ١٠٨٠
للدكتور/ عبد الحليم عويس
- قالوا عن الحضارة الغربية ١٠٨٤
للدكتور/ حمدى فتوح والى
- الإسرائء والمعراج ١٠٨٩
شعر لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى
- عداوة أمريكا وصداقتها ١٠٩٣
لأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى
- كتاب الشهر: من هو اليهودى ١٠٩٩
عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين
- معركة فى كتاب: تهافت الفلاسفة ١١٠٧
لأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
- قراءة نقدية فى كتاب: تاريخ الطب ١١١٣
عرض وتعليق أ.د/ أحمد فؤاد باشا
- تنويه ١١١٨
لأستاذ الدكتور/ محمد فؤاد باشا
- التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية ١١١٩
عرض وتحليل أ.د/ محمد إبراهيم الفيومى
- طرائف ومواقف ١١٢٤
لفضيلة الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
- الكيا الهراس ١١٢٦
لأستاذ الدكتور/ عبد اللطيف الحيدى
- قصة العدد: رجولة وإباء ١١٣١
لأستاذ/ شوقى أبوناجى
- الدراسات الاستشراقية والأدب العربى ١١٣٥
لأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
- مسؤولية العلماء ١١٤١
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
- خطبة الجمعة: ١١٤٥
لأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى
- مؤسسات الاستيطان اليهودى فى إسرائيل ١١٤٩
لأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد
- رب لا تذرونى على الأرض من الكافرين دياراً ١١٥٤
لأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين
- لن نصبح شعوباً إسلامية بسمات أمريكية ١١٦١
للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق
- فى الرؤى والأحلام ١١٦٤
لأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير
- رسالة..و..رد ١١٦٧
لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد جمعان
- بين الصحف والمجلات ١١٧٢
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى
- بين المجلة والقارىء ١١٧٤
إعداد وتقديم/ عادل خفاجة
- أنباء العالم الإسلامى ١١٨١
لأستاذ/ محمد الشرقاوى
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ١١٨٣
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى
- القسم الإنجليزى ١١٩٩
إعداد أ.د/ إبراهيم الأصيل



شعبان

- النقد الهادف لا الهدم الجارف (الافتتاحية) للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٢٠٢
- تفسير سورة البقرة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٢٠٨
- فاتحة الكتاب بين تفسيرين للأستاذ الدكتور/ محمد العزب ١٢١٣
- السنة: أخذ الله للظالمين لفضيلة الشيخ/ طه السாகت ١٢١٩
- من نفحات الإسرائاء (٢) لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ١٢٢٤
- مواقف إسلامية: بريرة.. وتكاليف الحرية للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٢٢٩
- منهج الإسلام في العبادة والعمل للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٢٣٦
- الإنسان والكون للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٢٤٣
- معركة في كتاب: تهافت التهافت للدكتور/ محمد عمارة ١٢٤٧
- تعقيب على رد ١٢٥٧
- ما يقال عن الإسلام: عداوة أمريكا وصداقتها (٤) للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ١٢٦٠
- كتاب الشهر: من هو اليهودي عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٢٧١
- الاقتصاد الإسرائيلي في ظل انتفاضة الأقصى للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم ١٢٧٩
- بعد النكبة (قصيدة) للشاعر العراقي/ محمد الأثرى ١٢٨٤
- خطبة الجمعة: الإسلام والتفرقة العنصرية للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٨٨
- استفاءات القراء للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٢٩٢
- شهر شعبان وضوء لرمضان للأستاذ/ محمد مصطفى البسبوني ١٢٩٧
- الكليات.. والأسماء الحسنى للدكتور/ على أحمد على ١٣٠١
- من معانى الحكمة لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٣٠٧
- قصة العدد: مصرع خبيب للأستاذ/ ناجى الطنطاوى ١٣١١
- طرائف.. ومواقف للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٣١٦
- الراحمون يرحمهم الرحمن للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٣١٨
- صورة مشرقة من أدب المعلمين مع معلمهم للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ١٣٢١
- رسالة.. و..رد لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح جمعان ١٣٢٤
- اليهود وتهمة الدم للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ١٣٢٨
- بين الصحف والمجلات إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٣٣١
- بين المجلة والقارىء للأستاذ/ عادل خفاجة ١٣٣٥
- أنباء العالم الإسلامى للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٣٤١
- أنباء مكتب شيخ الأزهر لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٣٤٣
- القسم الإنجليزى لإشراف الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الأصيل ١٣٥٩

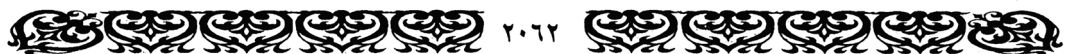
رمضان

- **الصوم في مرآة الغزالي (اقتحاجية العدد)**
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٣٦٢
- **تفسير سورة البقرة**
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٣٦٨
- **فاتحة الكتاب بين تفسيري (٢)**
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٣٧٦
- **سمات التربية القرآنية**
للاستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ١٣٨٢
- **مجاورة بين السادة والأتباع**
للاستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى ١٣٨٥
- **السنة: التساؤل والإختلاف**
لفضيلة الشيخ/ فكرى ياسين ١٣٨٩
- **صامت الأكوأن بما فيها الإنسان فمتى تصوم المدافع**
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٣٩٣
- **إعجاز الكلمة في شهر القرآن**
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٣٩٧
- **هلال الصوم (قصيدة)**
للاستاذ الدكتور/ عبد المنعم عبد الله ١٤٠١
- **الصوم وأنواعه**
للاستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى ١٤٠٣
- **خطبة الجمعة: الإيمان طريق النصر**
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٤٠٩
- **الصيام والصحة**
للدكتور/ حسين الانصارى ١٤١٢
- **التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين**
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٤١٦
- **رشيد رضا ومدرسة الإحياء والتجديد**
للدكتور/ محمد عمارة ١٤١٩
- **قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة**
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٤٢٤
- **عالية الأدب الإسلامى في فكر بلديع الزمان النورسى**
للدكتور/ عبد الحليم عويس ١٤٢٨
- **مكانة الشهداء في سبيل الله**
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٤٣١
- **كتاب الشهر: من هو اليهودى؟**
عرض وتقديم / أ.د. إبراهيم عوضين ١٤٣٥
- **ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟**
للاستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ١٤٤٤
- **جواب الشهيد (قصيدة)**
للدكتور/ محمد عبد المنعم العربى ١٤٥٠
- **النشاط العلمى فى إسرائيل**
للاستاذ/ صلاح عبد الرحيم ١٤٥٣
- **الصوم فى الديانة اليهودية**
للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ١٤٥٨
- **صنائع المعروف**
بقلم/ عابر سبيل ١٤٦١
- **استفتاءات القراء**
للاستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٤٦٨
- **كليات القدرة تصحب خواطرنا**
للدكتور/ على أحمد على ١٤٧١
- **الموعظة الحسنة وأثرها فى إصلاح النفوس**
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفراف ١٤٧٥
- **دعوة للأدباء**
للاستاذ/ مجدى بشير ١٤٧٩
- **طرائف ومواقف**
للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٤٨٢
- **تأملات فى منهج الدعوة الإسلامية**
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٤٨٤
- **بين الصحف والمجلات**
للاستاذ/ محمود الفشنى ١٤٨٦
- **بين المجلة والقارىء**
للاستاذ/ عادل خفاجة ١٤٨٨
- **أنباء العالم الإسلامى**
للاستاذ/ محمد الشرفاوى ١٤٩٤
- **أنباء مكتب الإمام الأكبر**
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٤٩٨
- **القسم الإنجليزى**
إشراف أ.د. إبراهيم الأصيل ١٥١٩



شوال

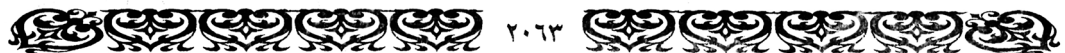
- في عالم النفس: كيف تنقلب على الأحرار
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٥٢٢
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٥٢٦
- يوم الناقور
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطه ١٥٣١
- السنة: الحداثة
لفضيلة الشيخ/ فكرى ياسين ١٥٣٦
- المنهج الإسلامي في الحوار
لفضيلة الشيخ/ محمود عاشور ١٥٤٠
- الإسلام قضية عادلة في يد معام فاشل!
للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٥٤٤
- واجبات المسلمين في غير أوطانهم
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٥٥٠
- التجدي الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين (٢)
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ١٥٥٥
- كتاب الشهر: انتشار الإسلام بحدا السيف
عرض وتحليل أ/ إبراهيم عوضين ١٥٥٩
- العطاء العلمى للحضارة الإسلامية
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٥٦٩
- الأندلسية (قصيدة)
للشاعر العربى الكبير/ شكيب أرسلان ١٥٧٤
- منار الإحياء والنهضة والتجديد
للدكتور/ محمد عمارة ١٥٧٩
- كيف نصبح خير أمة أخرجت للناس؟
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٥٨٦
- مواقف إسلامية: الفاروق عمر الحاكم الإنسان
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٥٩٠
- التكاملية بين الدينى والدنيوى فى الرؤية الإسلامية
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٥٩٦
- استفتاءات القراء
يجيب عنها أ/ أحمد الطيب ١٦٠٠
- خطبة الجمعة: آداب الأعياد
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٦٠٤
- الأسرة من المنظور الإسلامى
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٦٠٧
- طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٦١٠
- الموعظة الحسنه
للشيخ/ فوزى الزفزاف ١٦١٢
- القدرة.. والكون.. والمصير
للدكتور/ على أحمد على ١٦١٧
- رسالة.. و..رد
للشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٦٢٣
- دفع مفتريات حول السيدة نفيسة
للاستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحيدى ١٦٢٧
- تحريم أكل الميتة وأخوانها فى ضوء العلم الحديث
للاستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى ١٦٣١
- الشاعر الإسلامى محمد عبدالرحمن صان الدين
للاستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١٦٣٨
- أطماع إسرائيل فى المياه العربية
للاستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٦٤٤
- التدابير الوقائية قبل عقد الزواج
للاستاذ الدكتور/ محمد الدسوقي ١٦٤٩
- إعجاز العلم الأعجمى فى القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٦٥٥
- ولا تفرقوا
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٦٥٩
- سفينة التقوى والإيمان
للاستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٦٦٢
- بين الصحف والمجلات
للاستاذ/ محمود الفشنى ١٦٦٤
- بين المجلة والقارئ
للاستاذ/ عادل خفاجة ١٦٦٨
- أنباء العالم الإسلامى
للاستاذ/ محمد الشرقاوى ١٦٧٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٦٧٨
- القسم الإنجليزى
إعداد وإشراف أ/ إبراهيم الأصيل ١٦٩٥





ذو القعدة

- الحج ارتقاء خلقى وطهارة نفسية (الافتتاحية) ١٦٩٨
 للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- تفسير سورة البقرة ١٧٠٤
 لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- الحدود الشرعية ١٧٠٩
 لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى
- السنة النبوية وهل خدمت ١٧١٤
 للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجري
- شهر الصيام فى أمستردام ١٧٢٣
 لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى
- من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة ١٧٢٩
 للأستاذة الدكتورة/ زينب الأشوح
- فى موسم الحج (قصيدة) ١٧٣٦
 للشاعر/ محمود غنيم
- مواقف إسلامية: غزوة بنى المصطلق ١٧٣٩
 للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
- واجب أمتنا فى المرحلة الراهنة ١٧٤٤
 للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
- كتاب الشهر: انتشار الإسلام بعد السيف ١٧٤٨
 عرض وتحليل أ. د/ إبراهيم عوضين
- الإسلام هو المنقذ ١٧٥٧
 للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى
- حتى نهزم اليأس فى واقعنا المعاصر ١٧٦١
 للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
- رؤية إسلامية للتعددية الفكرية ١٧٦٩
 للدكتور/ محمد عمارة
- مكسيم رودنسون وكتابه: جاذبية الإسلام ١٧٧٤
 للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى
- الإسلام قضية عادلة فى يد معجم فاشل ١٧٧٩
 للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى
- قضية التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية ١٧٨٦
 للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
- شجاعة العلماء ١٧٩١
 لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفراف
- طرائف.. ومواقف ١٧٩٤
 لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم
- ذات النطاقين ١٧٩٦
 للأستاذ/ محمود شاكر
- الأزهر فى عيده الألفى (قصيدة) ١٨٠٠
 للأستاذ الدكتور/ حسن جاد حسن
- القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية ١٨٠٤
 عرض وتحليل د/ عبدالحليم عويس
- النشاط القنى الصناعى فى إسرائيل ١٨٠٩
 للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد
- الأطفال أضحية أو قرابين ١٨١٤
 للدكتور/ على أحمد على
- الأعياد اليهودية ١٨٢١
 للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق
- من جرائع اليهود الصهاينة ١٨٢٤
 لفضيلة الشيخ/ عبد الخالق نصير
- استفتاءات القراء ١٨٢٦
 لفضيلة أ. د/ أحمد الطيب
- بيت الله الحرام ١٨٣٠
 للأستاذ/ عبدالسلام ناصف
- فى الحج (قصيدة) ١٨٣٥
 للشاعر/ عبدالفتاح سالم
- تأملات فى خلق الإبل ١٨٣٦
 للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير
- رسالة... ورد ١٨٣٨
 لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان
- حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له ١٨٤١
 للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين
- بين الصحف والمجلات ١٨٤٤
 للأستاذ/ محمود الفشنى
- بين المجلة والقارىء ١٨٤٦
 للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة
- أنباء العالم الإسلامى ١٨٥٢
 للأستاذ/ محمد الشرقاوى
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٨٥٥
 للشيخ/ عمر البسطويسى على
- القسم الإنجليزى ١٨٧١
 إعداد أ. د/ إبراهيم الأصيل



ذو الحجة

- من زائرات البيت الحرام في موسم الحج (الافتتاحية) ١٨٧٤
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي
- تفسير سورة البقرة
- لفضية الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨٨٠
- من الإعجاز البياني في القرآن الكريم
- للشيخ/ صديق بكر عيطة ١٨٨٦
- الحدود الشرعية (٢)
- لفضية الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيري ١٨٩٢
- المرأة المؤمنة تصنع المستقبل ولا تنتظره
- للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٨٩٧
- من ركائز التضامن الإسلامي
- للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٩٠٥
- كتاب الشهر: انتشار الإسلام بعد السيف (٣)
- عرض وتحليل أ.د. إبراهيم عوضين ١٩١٢
- المفاهيم الحضارية بين التأصيل العلمي والتضليل التحريفي
- للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٩٢١
- رودنسون، ومشروع خطاب التفاهم المشترك
- للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ١٩٢٥
- المشروع الغربي والتعددية في الحضارات
- للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١٩٣١
- الإسلام قضية عادلة في يد محام فاضل
- للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٩٣٩
- العيد الحزين (قصيدة)
- للشاعر الأستاذ/ أحمد مخيمر ١٩٤٦
- عيد.. وعيد (قصيدة)
- للشاعر الأستاذ/ إبراهيم الوائلى ١٩٤٨
- معاداة السامية في الفكر الصهيوني
- للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٩٥٢
- أساسيات علوم الأرض في التراث العربي
- للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٩٥٧
- الكعبة المشرفة
- للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٩٦٥
- شجاعة العلماء (٢)
- لفضية الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٩٧٠
- قصة العدد: دار مؤمنة
- للأستاذ/ محمد سعيد العريان ١٩٧٤
- كيف نقتلع جذور الثار
- للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفى ١٩٧٧
- خطبة الجمعة: أسلوب الدعوة إلى الله
- لفضية الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٩٨٢
- طرأفا.. ومواقف
- لفضية الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٩٨٦
- استفتاءات القراء
- يجيب عنها الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٩٨٨
- الحج رحلة إلى الله تعالى
- لفضية الشيخ/ عبد المنصف محمود عبدالفتاح ١٩٩٣
- رسالة.. و..رد
- لفضية الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٩٩٦
- إنهم لا يستجوتون
- للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٢٠٠٠
- شهر الصيام في أمستردام (٢)
- لفضية الشيخ/ الطاهر الحامدى ٢٠٠٢
- الرسالة والأجبار
- للدكتور/ على أحمد على ٢٠٠٨
- من نتائج الهجرة إلى الحبشة
- للشيخ/ عبدالخالق عطية نصير ٢٠١٧
- بلون عنوان
- للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٢٠٢١
- دعوة للحياة
- للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٢٠٢٣
- بين الصحف والمجلات
- للأستاذ/ محمود الفشنى ٢٠٢٥
- بين المجلة والقارىء
- للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٢٠٢٧
- أنباء العالم الإسلامى
- للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٢٠٣٢
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
- للشيخ/ عمر البسطويسى ٢٠٣٤
- القسم الإنجليزى
- إعداد أ.د. إبراهيم الأصيل ٢٠٥٢
- الفهرس السنوى لعام ١٤٢٣هـ ٢٠٥٣